

فهرست الموضوعات

صفحة
تضدير لمعالى الشئخ اءمد زكى ىمسانى ٣١ - ٣٢

مقدمة المءقق

موضوع المءلء الرابء ٣٣ - ٣٥
المسءءء الجامع ٣٦ - ٤٤
المءرسة ٤٤ - ٧٠
شاة العمار ٧٠ - ٧٢
مءكباء المءارس ٧٢ - ٨٨
المءوانك ٨٢ - ٨٩
الرئط والرؤاىا ٨٩ - ٩١
المصاءف المملوكىة ٩١ - ٩٥
القسرافة ٩٦ - ١٠٠
الوضع الراهن للآثار اللى ذكراها المءقرىزى ١٠٠ - ١٠٥
مصادر المءلء الرابء ١٠٦ - ١١٨
الشئخ المسءءءمة فى هءا المءلء ١١٩ - ١٤٧
طرىقى فى إءراء النص ١٤٨ - ١٥٢

ما أءرك علىه المءقرىزى القاهرة وظواهرها من الأءوال (ءتممة)

ذكر المساءءء الجامعة ٣ - ٦
ذكر الجوامع ٧ - ٣٦٠
الجامع العىق بالقسقاط ٨ - ٥٥

المءاءل اللى أءامها العلامة « إضافة من مسوءة الخطط لا ءوءء فى المىضة .

صفحة	
٥٥-٣٧	ذِكْرُ الْمُحَارِبِ
٥٩-٥٥	الْجَامِعُ بِالْعَشْكَرِ
٩٠-٥٩	جَامِعُ ابْنِ طُولُونٍ بِالْقَطَائِعِ
٧٤-٦٤	حَدِيثُ الْكَتْرِ
٨٠-٧٤	تَجْدِيدُ الْجَامِعِ
٨١-٨٠	ذِكْرُ دَارِ الْإِمَارَةِ
٩٠-٨١	ذِكْرُ الْأَذَانِ
١٠٧-٩٠	الْجَامِعُ الْأَزْهَرُ
١٠٠-٩٦	وَقْفِيَّةُ الْحَاكِمِ
١٠٧-١٠٠	ذِكْرُ تَجْدِيدِهِ
١٢٦-١٠٧	جَامِعُ الْحَاكِمِ بِجَوَارِ بَابِ الْفُتُوحِ
١٢٦-١٢٣	هَيْئَةُ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ فِي أَيَّامِ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ
١٢٩-١٢٦	جَامِعُ رَاشِدَةَ
١٣٢-١٣٠	جَامِعُ الْمَقْسِ
١٣٥-١٣٢	الْعَزِيمُ بِاللَّهِ
١٤٦-١٣٥	الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ
١٤٨-١٤٦	جَامِعُ الْفَيْتَلَةِ بِسَطْحِ الْجُرْفِ
١٤٩-١٤٨	جَامِعُ الْمِقْيَاسِ بِجَزِيرَةِ الرَّوْضَةِ
١٥٦-١٥٠	الْجَامِعُ الْأَقْمَرُ بِجَوَارِ الْقَضْرِ الْفَاطِمِيِّ الْكَبِيرِ
١٥٩-١٥٦	الْأَمِيرُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ
١٦٣-١٥٩	يَلْبَغَا الشَّالِبِي
١٦٦-١٦٤	جَامِعُ الظَّافِرِ بِسُوقِ الشُّوَّائِينَ
١٦٨-١٦٦	جَامِعُ الصَّالِحِ خَارِجَ بَابِ زُوَيْلَةَ
١٧٣-١٦٨	طَلَائِعُ بَنِ زُرَيْكٍ
١٧٨-١٧٣	ذِكْرُ الْأَخْتِاسِ
١٧٩	الْجَامِعُ بِجَوَارِ ثُرَيَّةِ الشَّافِعِيِّ بِالْقَرَّافَةِ
١٨٠-١٧٩	جَامِعُ مَحْمُودٍ بِالْقَرَّافَةِ
١٨٠	جَامِعُ الرَّوْضَةِ بِقَلْعَةِ جَزِيرَةِ الْفُسطَاطِ
١٨١	جَامِعُ عَنَبِنَ بِالرَّوْضَةِ

صفحة	
١٨٢-١٨٣	غُتْنُ
١٨٣-١٨٤	جامع الأفزم بسفح الرضد
١٨٤-١٨٥	الجامع بمشاة المهراي
١٨٥-١٨٦	جامع دير الطين
١٨٦-١٨٨	الصاحب فخر الدين بن حنا
١٨٨-١٩٤	جامع الظاهر بالحسنية
١٩٤-٢٠٤	الظاهر ببيزس
٢٠٤-٢٠٥	جامع ابن اللبان بجسر الأفزم
٢٠٥	الجامع العتيبي بشاطئ النيل
٢٠٦-٢٠٧	الجامع الجديد الناصري بشاطئ النيل
٢٠٧-٢١٣	الناصر محمد بن قلاوون
٢١٤-٢١٦	جامع أمير محسن بالحكر
٢١٦-٢١٩	جامع ألماس بالشيوية
٢٢٠-٢٢٢	ألماس الحاجب
٢٢٣-٢٢٤	جامع قوصون خارج باب زويلة
٢٢٤-٢٢٦	قوصون
٢٢٧-٢٢٨	جامع المازديني بجوار حطّ الثبانة
٢٢٨-٢٣١	الطنبغا المازديني
٢٣٢	جامع أضلم داخل الباب المحروق
٢٣٤-٢٣٦	أضلم البهائي السلاح دار
٢٣٦-٢٣٨	جامع بشتاك بحطّ قيو الكرماني
٢٣٨-٢٣٩	جامع آقسنقر على البوكة الناصرية
٢٣٩-٢٤٣	جامع آقسنقر بباب الوزير
٢٤٤-٢٤٦	آقسنقر الشلاري
٢٤٦	جامع آل ملك خارج باب النضر
٢٤٦-٢٤٧	آل ملك الجوكندار
٢٤٧-٢٤٨	جامع الفخر في بولاق وفي الروضة وفي جزيرة الفيل
٢٤٩-٢٥٠	الفخر ناظر الجيش
٢٥١	جامع نائب الكرك بظاهر الحسنية

صفحة	
٢٥٣-٢٥١	جامع الخطيري ببولاق
٢٥٤-٢٥٣	أيدمر الخطيري
٢٥٤	جامع قيّدان ظاهر باب الفُتوح
٢٥٥	جامع الست حدق بالمريس
٢٥٥	جامع ابن غازي خارج باب البحر
٢٥٦-٢٥٥	جامع التزكمانى بالمقس
٢٥٦	بدر الدين محمد التزكمانى
٢٥٨-٢٥٦	جامع شيخو بسوثقة منعم
٢٦٤-٢٥٨	سيف الدين شيخو
٢٦٤	جامع الجاكي بالحكر
٢٦٥	جامع الثوبه بجوار باب البرقة
٢٦٦-٢٦٥	جامع أخي صاؤونجا بالقرب من بركة الحاجب
٢٦٦	جامع الطباخ بخط باب اللوق
٢٦٨-٢٦٧	علي بن الطباخ
٢٦٩-٢٦٨	جامع الأسيوطي بطرف جزيرة الفيل
٢٨١-٢٦٩	الجامع الناصري حسن بميدان الرمتيلة
٢٨٨-٢٨١	السلطان الناصر حسن
٢٩٤-٢٨٨	جامع القرافة
٢٩٤	جامع الجزيرة
٢٩٦-٢٩٥	جامع منجك بالشغرة
٣٠٨-٢٩٦	منجك اليوسفي
٣٠٨	الجامع الأخضر بخط فم الخور
٣٠٩	جامع البكجري قريتا من الدكة
٣٠٩	جامع السروجي
٣٠٩	جامع كزجي بحكر أقوش
٣١٠-٣٠٩	جامع الفاخري بسوثقة الخايم
٣١٠	جامع ابن عبد الظاهر بالقرافة الصغرى
٣١١-٣١٠	فتح الدين ابن عبد الظاهر

صفحة	
٣١١	جامع بساين الوزير على بزكة الحبش
٣١٢	جامع الخندق
٣١٢	جامع جزيرة الفييل
٣١٢	جامع الطواشي بين باب الشغرية وباب البحر
٣١٢-٣١٣	جامع كزاي بالريديانية
٣١٨-٣١٣	جامع القلعة
٣١٨	جامع قوضون خارج باب القرافة
٣٢٠	جامع كوم الريش
٣٢٠	جامع الجزيرة الوسطى
٣٢١	جامع ابن صارم بيولاق
٣٢١	جامع الكيمختي بأرض الطبالة
٣٢٢-٣٢١	جامع الست مشكة على الخليج الكبير
٣٢٢	جامع ابن الفلك بالحسيية
٣٢٤	جامع التكروري بيولاق التكرور
٣٢٥	جامع البرقية
٣٢٥	جامع الحراني بالقرافة الصغرى
٣٢٥	جامع بزكة بحدرة ابن قميحة
٣٢٦	جامع بزكة الرطلي
٣٢٧	جامع الصوة
٣٢٧	جامع الحوش داخل قلعة الجبل
٣٢٧	جامع الإسطنبل بقلعة الجبل
٣٢٨	جامع ابنة التركماني بالمفس
٣٢٨	جامع [يونس] بخط السبع سقايات
٣٢٨	جامع الباسطي بيولاق
٣٢٨	جامع الحنفي غزب الخليج الكبير
٣٢٩	جامع ابن الرفعة بحجر الزهري
٣٢٩	جامع الإسماعيلي على البركة الناصرية

صفحة	
٣٣٠	جامع الزاهد بالقدس
٣٣١-٣٣٠	جامع ابن المغربي على الخليج الناصري
٣٣٤-٣٣١	جامع الفخري بين السورتين
٣٤٧-٣٣٤	الجامع المؤيدي داخل باب زويلة
٣٥٠-٣٤٨	الجامع الأشرفي بالأشرفية
٣٥٤-٣٥١	الجامع الباسطي بخط الكافوري
٣٦٠-٣٥٤	جوامع تجددت في مطلع القرن التاسع الهجري

ذُكِرَ مذاهب أهل مِصر ونَحَلِهِمْ مِنْذِ افْتِتاحِ عَمْرٍو بنِ العاصِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -

أَرْضِ مِصرٍ إِلَى أَنْ صَارُوا إِلَى اعْتِقَادِ مَذاهِبِ الأئِمَّةِ الأربَعَةِ - رَحِمَهُمُ اللهُ

٣٩٧-٣٦٢ تَعَالَى - وَمَا كَانَ مِنَ الأَخْداثِ فِي ذَلِكَ

٣٩٧-٣٦٤ مَذاهِبُ أَهلِ مِصر

٤٣٣-٣٩٨ ذُكِرَ فِرْقُ الخَلِيقَةِ واخْتِلافِ عَقائِدِها وَتَبائِها

٤٠٠-٣٩٨ المَخالِفونَ لِمِلَّةِ الإِسلام

٤٣٣-٤٠٠ فِرْقُ أَهلِ الإِسلام

٤١١-٤٠٢ المُعْتزِلَةُ

٤١٣-٤١١ المُشَبِّهَةُ

٤١٣ القَدْرِيةُ

٤١٤-٤١٣ المُعْجِبةُ

٤١٦-٤١٤ المُزَجِّجَةُ

٤١٧-٤١٦ الحُرُورِيةُ

٤١٧ التَّجْارِيةُ

٤١٨ الجَهْمِيةُ

٤٢٨-٤١٨ الرِّوافِضُ

٤٣٣-٤٢٨ الخِوارجُ

ذُكِرَ الحالُ فِي عَقائِدِ أَهلِ الإِسلامِ مِنْذِ ابتِداءِ المِلَّةِ الإِسلامِ إِلَى أَنْ

٤٣٩-٤٣٤ انْتَشَرَ مَذهَبُ الأَشْعَرِيةِ

صفحة	
٤٤٢-٤٤٠	مَذْهَبُ الْأَشْعَرِيِّ
٤٤٦-٤٤٣	أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ
٤٥٠-٤٤٦	فَضْلٌ - مَعْرِفَةُ الْخَالِقِ
٦٨٩-٤٥١	ذِكْرُ الْمَدَارِسِ
٤٥٥-٤٥٤	الْمَدْرَسَةُ النَّاصِرِيَّةُ بِجَوَارِ الْجَامِعِ الْعَتِيقِ
٤٥٦-٤٥٥	الْمَدْرَسَةُ الْقَمَحِيَّةُ بِجَوَارِ الْجَامِعِ الْعَتِيقِ
٤٥٦	مَدْرَسَةُ يَزْكُوجِ بِسُوقِ الْعَزْلِ
٤٥٦	مَدْرَسَةُ ابْنِ الْأَرْسُوفِيِّ بِمِصْرَ
٤٥٧-٤٥٦	مَدْرَسَةُ مَنَازِلِ الْعِزِّ عَلَى النَّيْلِ
٤٥٨-٤٥٧	الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ تَقِيُّ الدِّينِ عُمَرُ
٤٥٩-٤٥٨	مَدْرَسَةُ الْعَادِلِ بِحُطَّ الشَّاحِلِ
٤٥٩	مَدْرَسَةُ ابْنِ رَشِيْقِ بِمَدِينَةِ مِصْرَ
٤٥٩	الْمَدْرَسَةُ الْفَائِزِيَّةُ بِمَدِينَةِ مِصْرَ
٤٦٠-٤٥٩	الْمَدْرَسَةُ الْقُطَيْبِيَّةُ الْعَتِيقَةُ بِسُوقِ الصَّاحِبِ
٤٦١-٤٦٠	الْمَدْرَسَةُ الشَّيْوَيْبِيَّةُ بِالْقَاهِرَةِ
٤٦٣-٤٦٢	مَدْرَسَةُ الْقَاضِي الْفَاضِلِ بِدَرْبِ مَلُوحِيَا
٤٦٥-٤٦٣	الْقَاضِي الْفَاضِلُ
٤٦٦-٤٦٥	الْمَدْرَسَةُ الْأَزْكَشِيَّةُ بِسُوقِ أَمِيرِ الْجُيُوشِ
٤٦٦	الْمَدْرَسَةُ الْفَخْرِيَّةُ فِيمَا بَيْنَ سُوقِ الصَّاحِبِ وَدَرْبِ الْعَدَّاسِ
٤٦٧	الْمَدْرَسَةُ الشَّيْبِيَّةُ قُرْبَ الْبُنْدُقَانِيِّينَ
٤٦٨-٤٦٧	سَيْفُ الْإِسْلَامِ طُعْتَكِينَ
٤٦٨	الْمَدْرَسَةُ الْعَاشُورِيَّةُ بِحَارَةِ زَوَيْلَةَ
٤٦٩-٤٦٨	الْمَدْرَسَةُ الْقُطَيْبِيَّةُ بِرَحْبَةِ كُوكَايِ
٤٦٩	الْمَدْرَسَةُ الْخَرْوَيْبِيَّةُ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ بِمِصْرَ
٤٧٠-٤٦٩	مَدْرَسَةُ الْمَحَلِّيِّ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ ظَاهِرَ مَدِينَةِ مِصْرَ
٤٧١-٤٧٠	الْمَدْرَسَةُ الْفَارَاقِيَّةُ فِي سُوقِ حَارَةِ الْوَزِيرِيَّةِ

صفحة	
٤٧١	المدرسة المهديّة بخط حارة حلب
٤٧٢	المدرسة الخروبيّة بظاهر مدينة مصر
٤٧٣	المدرسة الخروبيّة قبلي دار النحاس ظاهر مدينة مصر
٤٧٣	المدرسة الصّاحبيّة البهائيّة بزقاق القناديل
٤٧٦-٤٧٤	الصّاحب بهاء الدين بن جنّا
٤٧٧-٤٧٦	المدرسة الصّاحبيّة بشوئقة الصّاحب
٤٨١-٤٧٧	صفيّ الدين بن شكر
٤٨٤-٤٨١	المدرسة الشّريفيّة بدزب كركامة
٤٩٠-٤٨٥	المدرسة الصّالحيّة بين القصرين
٤٩٤-٤٩٠	قبة الصّالح
٤٩٦-٤٩٤	المدرسة الكاميّية بخط بين القصرين
٥٠٣-٤٩٦	الملك الكامل محمد
٥٠٣	المدرسة الصّيرميّة قرب رأس شوئقة أمير الجيوش
٥٠٤	المدرسة المنصوريّة داخل دزب شمس الدولة
٥٠٤	المدرسة القوصيّة قرب دزب ملوخيا
٥٠٥	مدرسة الحنفيّة بحارة الدّيلم
٥١٢-٥٠٥	المدرسة الظاهريّة العتيقة بين القصرين
٥١٥-٥١٣	المدرسة المنصوريّة بين القصرين
٥١٥-٥١٣	القبة المنصوريّة
٥٢٤-٥١٦	المدرسة الناصريّة المجاورة للقبة المنصورية
٥٣٥-٥٣١	المدرسة الحجازيّة برحبة باب العيد
٥٣٨-٥٣٦	المدرسة الطّيبرسيّة بجوار الجامع الأزهر
٥٤٠-٥٣٨	طيّبوس الوزيري
٥٤٤-٥٤٠	المدرسة الآقباوية بجوار الجامع الأزهر
٥٤٧-٥٤٤	آقبا عبد الواحد
٥٤٨	المدرسة الحساميّة بخط المسطّاح
٥٥٢-٥٤٨	مختام الدين طرنتاي
٥٥٤-٥٥٢	المدرسة المنكوتريّة بحارة بهاء الدين
٥٥٦-٥٥٤	سيف الدين منكوتمر الحسامي

صفحة

- المدرسة القرآنية تجاه خاتناه سعيد الشعداء ٥٨٨-٥٥٦
- قراشقر المنصوري ٥٦٣-٥٥٨
- المدرسة الغزنوية برأس شويقة أمير الجيوش ٥٦٣
- المدرسة البوبكرية قرب حارة الوزيرية ٥٦٦-٥٦٣
- أستبغا البوبكري ٥٦٦
- المدرسة البقرية بالعطوف ٥٦٩-٥٦٦
- المدرسة القطبية الجديدة بأول حارة زويلة ٥٦٩
- مدرسة ابن المغربي بأخر دزب الصقالية ٥٧٠-٥٦٩
- المدرسة البدرية برحبة الأندمري ٥٧٠
- المدرسة البدرية بجوار باب سبب المدرسة الصالحية ٥٧١-٥٧٠
- المدرسة الملكية بخط المشهد الحسيني ٥٧٤-٥٧١
- المدرسة الجمالية بجوار دزب راشد ٥٧٦-٥٧٥
- علاء الدين مُغلطاي الجمالي ٥٧٨-٥٧٦
- المدرسة الفارسية بخط الفقاهدين ٥٧٩
- المدرسة السابقية بدزب قرمز ٥٨٢-٥٧٩
- المدرسة القيسرائية بسويقة الصاحب ٥٨٤-٥٨٢
- المدرسة الزمامية بخط رأس البندقانيين ٥٨٥-٥٨٤
- المدرسة الصغيرة بين البندقانيين وطواحين الملحجين ٥٨٥
- ثربة الصالح علي قرب المشهد النفيسي ٥٨٦-٥٨٥
- مدرسة ابن عزام بجكر جوهر الثوبي ٥٩٠-٥٨٦
- مدرسة محمود الأستاذدار بالموازين خارج باب زويلة ٥٩٤-٥٩٠
- جمال الدين محمود بن علي بن أصفر عينه ٥٩٨-٥٩٤
- المدرسة المهديية بحارة حلب ٥٩٨
- المدرسة السعدية قرب حذرة البقر ٦٠٢-٥٩٨
- المدرسة الطنجية بخط حذرة البقر ٦٠٢
- سيف الدين طنجي ٦٠٤-٦٠٣
- المدرسة الجاولية بجوار الكيش ٦٠٧-٦٠٤
- علم الدين سينجر الجاولي ٦٠٩-٦٠٧

صفحة	
٦١٠	المدرسة الفاروقانية تجاه الخانقاه البندوقدارية
٦١٢-٦١٠	المدرسة البشيرية بحجر الخازن
٦١٣-٦١٢	المدرسة المهندارية بالتبانة
٦١٧-٦١٥	مدرسة أُلجاي بشوق السلاح
٦٢٠-٦١٨	أُلجاي اليوسفي
٦٢٥-٦٢٠	مدرسة أم السلطان بالتبانة
٦٢٧-٦٢٦	نخوند بركة
٦٢٧	المدرسة الأيتُمشيية باب الوزير
٦٢٧	أيتُمش البجاسي
٦٣١-٦٣٠	المدرسة المجديّة الخليلية بمصر
٦٣٢-٦٣١	المدرسة الناصرية بالقراة
٦٣٤-٦٣٣	المدرسة المسلميّة بمصر
٦٣٤	مدرسة إينال خارج باب زويلة
٦٤٧-٦٣٦	إينال اليوسفي
٦٥٤-٦٤٧	مدرسة الأمير جمال الدين الأشتادار برحبة باب العيد
٦٥٦-٦٥٥	المدرسة الصرعتمشيية بجوار جامع ابن طولون
٦٥٦	صرعتمش الناصري
٦٥٦	المدرسة القيسرائية بأول الموازين
٦٥٧	مدرسة محمّود بن علي المؤذن بخط الموازين
٦٥٧	مدرسة قطلوبغا الذهبي بشارع سوق السلاح
٦٥٨	مدرسة ابن آقباغا آص بأول سويقة العري
٦٦٠-٦٥٨	المدرسة الدوادارية بسويقة المشبب
٦٦٦-٦٦١	المدرسة الأشرفية المستجدة على الصوة
٦٦٦	مدرسة قماري الحموي بالهلالية
٦٦٨-٦٦٧	المدرسة الصارميه عند قنطرة آق ستر
٦٦٨	المدرسة بميدان القمّح خارج باب القنطرة
٦٦٩-٦٦٨	مدرسة الحاجب بكتمر خارج باب النضر
٦٦٩	مدرسة قراجا

صفحة	
٦٦٩	مَدْرَسَةُ ابْنِ كَرَاي
٦٦٩	المَدْرَسَةُ الشَّمِيسَاطِيَّة
٦٧٠	المَدْرَسَةُ بِحُطِّ سُوَيْفَةَ مُنْعِم
٦٧٠	مَدْرَسَةُ أُمِّ أُنُوكِ خَارِجِ بَابِ البَرِيقَةِ
٦٧١	المَدْرَسَةُ بِالصُّوَّةِ نِجَاهِ العُطْبَلِخَانَاه
٦٧٢	مَدْرَسَةُ ابْنِ غُلَامِيهَا بِبُولاق
٦٧٢	مَدْرَسَةُ إِبْرَاهِيمِ الزُّوَيْمِلِ بِجَوَارِ جَامِعِ المَازِدِينِي
٦٧٢	مَدْرَسَةُ الطَّنْقَشِ بِالتَّجَانَةِ
٦٧٥-٦٧٣	المَدْرَسَةُ الأَشْرَفِيَّةُ قُرْبَ المَشْهَدِ التَّقِيْسِي
٦٧٧-٦٧٦	مَدْرَسَةُ أَبِي غَالِبِ خَارِجِ بَابِ الخُوخَةِ
٦٧٧	المَدْرَسَةُ البُلْقَيْيَّةُ بِحَارَةِ بَهَاءِ الدِّينِ
٦٧٧	المَدْرَسَةُ الشَّرِيفِيَّةُ بِحَارَةِ بَهَاءِ الدِّينِ
٦٧٨	المَدْرَسَةُ النَّابُلُسِيَّةُ مُقَابِلَ خَانِقَاهِ سَعِيدِ السَّعْدَاءِ
٦٧٨	المَدْرَسَةُ الكَهْهَارِيَّةُ بِالقُرْبِ مِنَ الجَوْدَرِيَّةِ
٦٧٩	مَدْرَسَةُ مُقْبِلِ الأَسْقَمْتَمَرِي بِحُطِّ التَّجَانَةِ
٦٨٨-٦٧٩	المَدْرَسَةُ الظَّاهِرِيَّةُ المُسْتَجِدَّةُ بَيْنَ القَصْرَيْنِ
٦٨٨	بِرْفُوق
٦٨٩-٦٨٨	نَحْأُ الزُّكَاةِ
٧٠٥-٦٩٠	ذِكْرُ المَارِشْتَانَاتِ
٦٩٢-٦٩١	مَارِشْتَانُ ابْنِ طُولُون
٦٩٢	مَارِشْتَانُ كَأْفُور
٦٩٢	مَارِشْتَانُ المَعَايِرِ
٧٠٧-٦٩٢	المَارِشْتَانُ الكَبِيرُ المَنْصُورِي بَيْنَ القَصْرَيْنِ
٧٠٥-٧٠٢	المَارِشْتَانُ المُوَيْدِي قَوْقُ الصُّوَّةِ
٧٢٣-٧٠٦	ذِكْرُ المَسَاجِدِ
٧٠٧	المَسْجِدُ بِجَوَارِ دَيْرِ البَعْلِ
٧٠٨	مَسْجِدُ ابْنِ الجَيْسِ خَارِجِ بَابِ زَوَيْلَةَ

صفحة	
٧٠٩-٧٠٨	مَسْجِدُ ابْنِ الْبَتَاءِ دَاخِلَ بَابِ زَوَيْلَةَ
٧١٠	مَسْجِدُ الْحَلْبِيِّينَ فِيمَا بَيْنَ بَابِ الزُّهُومَةِ وَدَرْبِ سَيْفِ الدُّوَلَةِ
٧١١	مَسْجِدُ الْكَافُورِيِّ فِي الْبُسْتَانِ الْكَافُورِيِّ
٧١١	مَسْجِدُ رَشِيدِ الدِّينِ الْبِهَائِيِّ بِحُطِّ تَحْتِ الرَّبِيعِ
٧١٣-٧١١	الْمَسْجِدُ الْمَعْرُوفُ بِزَرْعِ النَّوَى خَارِجَ بَابِ زَوَيْلَةَ
٧١٤-٧١٣	مَسْجِدُ الذُّخَيْرَةِ تَحْتِ قَلْعَةِ الْجَبَلِ
٧١٥	مَسْجِدُ رَشْلَانَ بِحَازَةِ الْيَانِسِيَةِ
٧١٥	مَسْجِدُ ابْنِ الشَّيْخِيِّ بِأَخْرِ حُطِّ الْكَافُورِيِّ
٧١٦	مَسْجِدُ يَانِسَ تَجَاهَ بَابِ سَعَادَةَ
٧١٧	مَسْجِدُ بَابِ الْخُوخَةِ بِجَوَارِ مَدْرَسَةِ أَبِي غَالِبٍ
٧١٨-٧١٧	الْمَسْجِدُ الْمَعْرُوفُ بِمَقْبَدِ مُوسَى بِحُطِّ الرُّكْنِ الْمُخَلَّقِ
٧٢٠-٧١٨	مَسْجِدُ نَجْمِ الدِّينِ ظَاهِرِ بَابِ النَّضْرِ
٧٢٠	مَسْجِدُ صَوَابٍ بِحُطِّ الصُّلَيْبَةِ
٧٢٠	الْمَسْجِدُ بِجَوَارِ الْمَشْهَدِ الْحُسَيْنِيِّ
٧٢١-٧٢٠	مَسْجِدُ الْفِجْلِ بِحُطِّ بَيْنِ الْقَضْرَيْنِ
٧٢٣-٧٢١	مَسْجِدُ يَثْرَ تَمَّا يَلِي الْخَنْدَقَ
٧٢٣	مَسْجِدُ الْقُطَيْبَةِ بَيْنَ الْقَضْرَيْنِ
٧٢٣	مَسْجِدُ ابْنِ الْبَابَا بِحِكْرِ الْخَازِنِ
٧٢٣	مَسْجِدُ مُرْشِدِ قِبَالَةِ حَمَامِ الْكُوَيْتِ
٧٢٣	مَسْجِدُ الزِّيَالَعَةِ غُلُوَ بَابِ حَازَةِ بَرْجَوَانَ

ذِكْرُ الْخَوَانِكِ ٧٩٣-٧٢٤

تَعْرِيفُ الْخَانِكَاةِ ٧٢٧-٧٢٤

الْخَانِكَاةُ الصَّلَاحِيَّةُ دَارُ سَعِيدِ السُّعْدَاءِ دُوَيْرَةِ الصُّوْفِيَّةِ ٧٣٢-٧٢٧

الْخَانِكَاةُ الرَّكْنِيَّةُ بَيْتْرُوسَ بِالْجَمَالِيَةِ ٧٤٠-٧٣٢

صفحة

- الملك المظفر بيبرس الجاشنكير ٧٤٣-٧٤١
- الخائقاء الجمالية قُرب دزب راشد ٧٤٣
- الخائقاء الظاهرية المستجدة بين القصرين ٧٤٣
- الخائقاء الشرايحية بين الجامع الأقمر وخازة بزجوان ٧٤٤
- الخائقاء المهندارية بالتجانة ٧٤٤
- خائقاء بشتاك على البرّ الشرقي للخليج الكبير ٧٤٦
- خائقاء ابن غراب على البرّ الشرقي للخليج الكبير ٧٥٦-٧٤٦
- الخائقاء الناصرية فرج بقرافة الممالك ٧٥٢-٧٥١
- الخائقاء البندقدارية بالقُرب من الصليبية ٧٦٠-٧٥٦
- خائقاء شيخو بشويقة مُنعم ٧٦٤-٧٦٠
- الخائقاء الجاولية على جبل يشكر ٧٦٥
- خائقاء أجيئغا المظفري بالصُحراء خارج باب النُصر ٧٦٥
- أجيئغا المظفري الخاصكي ٧٦٦-٧٦٥
- الخائقاء الناصرية بسيزياقوس ٧٧٠-٧٦٧
- خائقاء أرسلان على شاطئ النيل ٧٧٠
- الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار ٧٧١-٧٧٠
- خائقاء بكتمر بأجر القرافة الصغرى ٧٧٢-٧٧١
- الأمير سيف الدين بكتمر الساقى ٧٨٨-٧٧٢
- خائكاء قوصون شمالي القرافة مما يلي قلعة الجبل ٧٨٢-٧٧٨
- خائكاء طغاي تمر النجمي خارج باب البيروية ٧٨٣-٧٨٢
- طغاي تمر النجمي ٧٨٤-٧٨٣
- خائكاء أم أنوك خارج باب البيروية ٧٨٦-٧٨٤
- طغاي الخونده الكبرى ٧٨٨-٧٨٦
- خائكاء يونس من جملة ميدان القبق ٧٩١-٧٨٨
- * قبة كمشيغا خارج الباب المحروق تحت الجبل ٧٩١
- خائقاء طيبرس بأراضي بستان الخشاب ٧٩٢
- خائقاء أقبغا بجوار الجامع الأزهر ٧٩٢
- الخروية بساحل الجزيرة تجاه المقياس ٧٩٣-٧٩٢

صفحة

٨٢٦-٧٩٣	ذِكْرُ الرُّبُطِ
٧٩٤-٧٩٣	تَعْرِيفُ الرُّبُطِ
٧٩٥	رِبَاطُ الصَّاجِبِ عَلَى بِرْكَةِ الْحَبَشِ
٧٩٥	رِبَاطُ الفَخْرِيِّ خَارِجِ بَابِ الفُتُوحِ
٧٩٦-٧٩٥	رِبَاطُ البَغْدَادِيَّةِ دَاخِلِ الدُّرْبِ الأَصْفَرِ
٧٩٧-٧٩٦	رِبَاطُ السُّتِّ كُليِّهِ خَارِجِ دَرْبِ بَطُوطِ
٧٩٧	رِبَاطُ الخَازِنِ بِقُرْبِ قُبَّةِ الإمامِ الشَّافِعِيِّ
٧٩٨-٧٩٧	الرِّبَاطُ المَعْرُوفُ بِرِوَاقِ ابنِ سُلَيْمَانَ بِحَاوِزَةِ الهِلَالِيَّةِ
٧٩٨	رِبَاطُ دَاوُدِ بنِ إِبْرَاهِيمِ بِحُطِّ بِرْكَةِ الفِيلِ
٨٠٠-٧٩٨	رِبَاطُ ابنِ أَبِي المُنْصُورِ بِقَرَاةِ مِصْرِ
٨٠١-٨٠٠	رِبَاطُ المُشْتَهَى بِرِوَاةِ مِصْرِ
٨٠٢-٨٠١	رِبَاطُ الأَنَارِ
٨٠٤-٨٠٢	الرِّوَاةُ الصَّاجِبُ تاجُ الدِّينِ بنِ حِثَّاءِ
٨٠٤	رِبَاطُ الأَقْرَمِ بِسَفْحِ الجُرْفِ المُشْرِفِ عَلَى بِرْكَةِ الْحَبَشِ
٨٠٥	الرِّبَاطُ العَلَائِيُّ خَارِجِ مِصْرِ بِحُطِّ بَيْنِ الرُّقَائِقِ
٨٠٦-٨٠٥	زَاوِيَةُ الدُّمِيَّاطِيِّ بَيْنَ حُطِّ السَّبْعِ سِقَايَاتِ وَقَنْطَرَةِ السَّدِّ
٨٠٨-٨٠٦	زَاوِيَةُ الشَّيْخِ خِضْرِ خَارِجِ بَابِ الفُتُوحِ بِحُطِّ رُقَائِقِ الكَعْبَلِ
٨٠٩-٨٠٨	زَاوِيَةُ ابنِ مَنظُورِ بِحُطِّ الدُّكَّةِ بِجِوَارِ المَقْسِ
٨٠٩	زَاوِيَةُ الظَّاهِرِيِّ خَارِجِ بَابِ البُخْرِ
٨٠٩	جَمَالُ الدِّينِ أَبُو العَبَّاسِ الظَّاهِرِيِّ
٨١٠	زَاوِيَةُ الجُمَيْزَةِ قُرْبَ مَعْدِيَّةِ فُرَيْحِ
٨١٠	زَاوِيَةُ الحَلَاوِيِّ بِحُطِّ الأَبْيَارِ قُرْبَ الجَامِعِ الأَزْهَرِ
٨١١-٨١٠	زَاوِيَةُ الشَّيْخِ نَضْرِ خَارِجِ بَابِ النُّضْرِ
٨١١	زَاوِيَةُ الخُدَّامِ خَارِجِ بَابِ النُّضْرِ
٨١١	زَاوِيَةُ تَقِيِّ الدِّينِ تَحْتَ قَلْعَةِ الجَبَلِ

صفحة	
٨١٢	زاوية الشريف مهدي تحت قلعة الجبل
٨١٢	زاوية الطرايطية قرب مؤرودة البلاط
٨١٤-٨١٢	زاوية القلندرية خارج باب النصر
٨١٥-٨١٤	قبة النصر تحت الجبل الأحمر بأخر ميدان القيق من بحريه
٨١٥	زاوية الزكراكي بالمقس
٨١٦-٨١٥	زاوية الشيخ إبراهيم الصائغ بوسط الجسر الأعظم على بركة الفيل
٨١٦	زاوية الجعبري خارج باب النصر
٨١٧	زاوية أبي السعود خارج باب القنطرة من القاهرة
٨١٧	زاوية الحنصي بجكر خزائن السلاح على شاطئ خليج الذكر
٨١٨	زاوية المغزبل بدرج الزراق من الحكر خارج القاهرة
٨١٨	زاوية القصري بخط المقس
٨١٨	زاوية الجاكي في سوتقة الريش خارج القاهرة
٨١٩	زاوية الأبتاسي بخط المقس
٨٢٠-٨١٩	زاوية اليونسية بالقرب من باب اللوق
٨٢٠	زاوية الخلاطي خارج باب النصر
٨٢٦-٨٢١	الزاوية العدوية بالقرافة
٨٢٦	زاوية السدار برأس حارة الديلم
٨٤٤-٨٢٧	ذكر المشاهيد التي يتبرك الناس بزيارتها
٨٢٨-٨٢٧	مشهد زين العابدين
٨٣٧-٨٢٨	زيند بن علي بن الحسين
٨٤٣-٨٣٧	مشهد السيدة نفيسة
٨٤٤-٨٤٣	مشهد السيدة كلثم
٨٤٤	سنا وثنا
٨٤٥	ذكر مقابر مصر والقاهرة المشهورة
٨٤٦	ذكر القرافة
٨٥٠-٨٤٦	القرافة الكبرى

صفحة	
٨٥٢-٨٥١	القَرَاةُ الصُّغْرَى
٨٧٣-٨٥٣	ذِكْرُ الْمَسَاجِدِ الشَّهِيْرَةِ بِالْقَرَاةِ الْكَبِيْرَةِ
٨٥٤-٨٥٣	مَسْجِدُ الْأَقْدَامِ فِي خِطَّةِ الْمَعَايِرِ
٨٥٤	مَسْجِدُ الرِّضْدِ
٨٥٥-٨٥٤	مَسْجِدُ شَقِيْقِ الْمَلِكِ بِجَوَارِ مَسْجِدِ الرِّضْدِ
٨٥٥	مَسْجِدُ الْأَنْطَاكِي بِالرِّضْدِ
٨٥٥	مَسْجِدُ النَّارِجِ بَيْنَ الرِّضْدِ وَالْقَرَاةِ الْكَبِيْرَى
٨٥٦	مَسْجِدُ الْأَنْدَلُسِ شَرْقِي الْقَرَاةِ الصُّغْرَى
٨٥٨-٨٥٦	جِهَةٌ مَكْنُونٌ
٨٥٨	مَسْجِدُ النَّقْعَةِ غَرْبِي مَسْجِدِ الْفَتْحِ
٨٥٨	مَسْجِدُ الْفَتْحِ بِجَوَارِ قَبْرِ النَّاطِقِ
٨٥٩-٨٥٨	مَسْجِدُ أُمِّ عَبَّاسٍ جِهَةٌ الْعَادِلِ بْنِ سَلَارِ بِجَوَارِ مُصَلَّى خَوْلَانَ بِالْمَعَايِرِ
٨٥٩	مَسْجِدُ الصَّالِحِ بِخُطِّ جَامِعِ الْقَرَاةِ
٨٥٩	مَسْجِدُ وَلِيِّ عَهْدِ الْمُؤْمِنِينَ بِجَانِبِ مَسْجِدِ الصَّالِحِ
٨٦٣-٨٥٩	مَسْجِدُ الرَّحْمَةِ فِي صَدْرِ الْقَرَاةِ الْكَبِيْرَى
٨٦٠	مَشْهَدُ رُقِيَّةَ
٨٦٣	مَسْجِدُ مَكْنُونٌ بِجَانِبِ مَسْجِدِ الرَّحْمَةِ
٨٦٣	مَسْجِدُ رِيْحَانَ قُبَاةَ دَارِ الْبَقْرِ مِنَ الْقَرَاةِ الْكَبِيْرَى
٨٦٤-٨٦٣	مَسْجِدُ جِهَةٌ بِيَانِ فِي بَطْحَاءِ مَسْجِدِ الْأَقْدَامِ
٨٦٤	مَسْجِدُ تَوْبَةِ قُبَاةَ تُوْبَةَ نَسَبِ الطُّبَّالَةِ بِالْقَرَاةِ الْكَبِيْرَى
٨٦٥-٨٦٤	مَسْجِدُ دُرِّي فِي رَحْبَةِ الْأَقْهَوْبِ بِالْقَرَاةِ الْكَبِيْرَى
٨٦٥	مَسْجِدُ بَيْتِ غَزَالِ بِجَوَارِ تُوْبَةِ النُّعْمَانِ
٨٦٥	مَسْجِدُ رِيَاضِ بِجَوَارِ الْمَصْنَعَةِ الصُّغْرَى الطُّوْلُونِيَّةِ
٨٦٦	مَسْجِدُ عَظِيْمِ الدَّوْلَةِ بِخُطِّ سُوقِ الْقَرَاةِ الْكَبِيْرَى
٨٦٧-٨٦٦	مَسْجِدُ أَبِي صَادِقِ غَرْبِي مَسْجِدِ الْأَقْدَامِ
٨٦٧	مَسْجِدُ الْفَرَّاشِ بِالْقَرَاةِ الْكَبِيْرَى
٨٦٨-٨٦٧	مَسْجِدُ تَاجِ الْمُلُوكِ قُدَّامِ دَارِ النُّعْمَانِ بِالْقَرَاةِ الْكَبِيْرَى
٨٦٨	مَسْجِدُ الشُّمَارِ بَحْرِي مَسْجِدِ الْأَقْدَامِ

صفحة

- ٨٦٨ مَسْجِدُ الْحَجَرِ بِالْقَرَّافَةِ الْكَبْرَى
- ٨٦٨ مَسْجِدُ الْقَاضِي يُونُسَ غَزَبِي مَسْجِدِ الْحَجَرِ
- ٨٦٩-٨٦٨ مَسْجِدُ الْوَزِيرِيَّةِ بِالْقَرَّافَةِ الْكَبْرَى
- ٨٦٩ مَسْجِدُ ابْنِ الْعِكْرِ غَزَبِي مَسْجِدِ أَبِي صَادِقٍ
- ٨٦٩ مَسْجِدُ ابْنِ كَبَّاسٍ بِجَوَارِ الْقَنَاظِرِ الْإِطْفِيحِيَّةِ
- ٨٦٩ مَسْجِدُ السُّهْمِيَّةِ شَرْقِي مَسْجِدِ الْأَقْدَامِ
- ٨٧٠ مَسْجِدُ زَيْنَادَةَ غَزَبِي مَسْجِدِ عَمَّارِ بْنِ يُونُسَ بِالْقَرَّافَةِ الْكَبْرَى
- ٨٧٠ جَامِعُ الْقَرَّافَةِ الْمَعْرُوفُ بِ«جَامِعِ الْأَوْلِيَاءِ»
- ٨٧٠ مَسْجِدُ الْإِطْفِيحِيِّ بَحْرِي مَجْرَى جَامِعِ الْفَيْلَةِ
- ٨٧٣-٨٧١ وَحَاظُهُ بْنُ سَعْدِ الْإِطْفِيحِيِّ
- ٨٧٣ مَسْجِدُ الزِّيَّاتِ
- ٨٧٣ الْقَصْرُ الْمَعْرُوفُ بِبَابِ لِيُونِ بِالشَّرْفِ
- ٨٧٧-٨٧٤ ذِكْرُ الْجَوَاسِقِ الَّتِي بِالْقَرَّافَةِ
- ٨٧٤ جَوْسِقُ بَنِي عَبْدِ الْحَكَمِ
- ٨٧٤ جَوْسِقُ بَنِي غَالِبِ
- ٨٧٥-٨٧٤ جَوْسِقُ ابْنِ مُيَسَّرِ
- ٨٧٥ جَوْسِقُ ابْنِ مُقْسِرِ
- ٨٧٥ جَوْسِقُ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ
- ٨٧٦ جَوْسِقُ الْمَادْرَائِيِّ
- ٨٧٦ جَوْسِقُ حَبِّ الْوَرَقَةِ
- ٨٧٧-٨٧٦ قَصْرُ الْقَرَّافَةِ
- ٨٧٨-٨٧٧ ذِكْرُ الرِّبَاطَاتِ الَّتِي كَانَتْ بِالْقَرَّافَةِ
- ٨٧٧ رِبَاطُ بِنْتِ الْخَوَّاصِ
- ٨٧٧ رِبَاطُ الْأَشْرَافِ
- ٨٧٧ رِبَاطُ الْأَنْدَلُسِ
- ٨٧٨ رِبَاطُ ابْنِ الْعَكَارِيِّ

صفحة	
٨٧٨	رباطُ الحِجَازِيَّةِ
٨٧٨	رباطُ رِيَاضِ
٨٨١-٨٧٨	ذِكْرُ الْمُصَلِّياتِ وَالْمَحَارِبِ الَّتِي بِالْقَرَاةِ
٨٧٨	مُصَلِّيُ الْمَغَايِرِ وَهُوَ الْأَنْدَلُسُ
٨٧٨	مُصَلِّيُ الشَّرِيفَةِ
٨٧٩	مُصَلِّيُ عَقَبَةِ الْقَرَاةِ
٨٧٩	مُصَلِّيُ الْقَرَاةِ
٨٧٩	مُصَلِّيُ الْفَتْحِ
٨٧٩	مُصَلِّيُ جِهَةِ الْعَادِلِ
٨٧٩	مُصَلِّيُ الْإِطْفِيحِيِّ
٨٧٩	مُصَلِّيُ الْجَزْجَرَانِيِّ
٨٨١-٨٧٩	مُصَلِّيُ خَزَلَانَ
٩٠٤-٨٨٤	ذِكْرُ الْمَسَاجِدِ وَالْمَعَابِدِ الَّتِي بِالْجَبَلِ وَالصُّخْرَاءِ
٨٨٣-٨٨٢	التُّشُورُ أَعْلَى جَبَلِ الْمُقَطَّمِ
٨٨٣	الْقَرْقُوبِيُّ عَلَى قُرُونَةِ الْجَبَلِ
٨٨٥-٨٨٣	مَسْجِدُ أَمِيرِ الْأَمْرَاءِ بَدْرِ الْمُشْتَصِرِيِّ
٨٨٦	كَهْفُ السُّودَانَ فِي الْجَبَلِ الْمُقَطَّمِ
٨٨٧	الْعَارِضُ فِي الْجَبَلِ
٨٨٧	اللُّؤْلُؤَةُ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ
٨٨٨	مَسْجِدُ الدُّعَاءِ فِيمَا بَيْنَ اللَّؤْلُؤَةِ وَمَسْجِدِ مُحَمَّدٍ
٨٨٨	دِكَّةُ الْقُضَاةِ فِي الْجَبَلِ
٨٨٨	مَسْجِدُ فَايِقٍ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ
٨٨٨	مَسْجِدُ مُوسَى فِي سَفْحِ الْجَبَلِ
٨٩٠	مَسْجِدُ زَهْرُونَ بِالصُّخْرَاءِ
٨٩٠	مَسْجِدُ الْفُقَاعِيِّ
٨٩١-٨٩٠	مَسْجِدُ الْكَثْرِ شَرْقِي الْخَنْدَقِ

صفحة	
٨٩١	مسجد في غربي الخندق
٨٩١	مسجد لؤلؤ الحاجب بالقراة الصغرى
٨٩٢	مدرسة السنجاري بالقراة
٨٩٢	مسجد الأشعوب بالقراة
٨٩٣	مقام المؤمن
٨٩٧-٨٩٣	قناطر ابن طولون وبقره
٩٠٠-٨٩٧	الخندق
٩٠٤-٩٠٠	القياب الشبع بأجر القراة الكبرى
٩٠٥-٩٠٤	ذكر الأخواض والآبار التي بالقراة
٩٠٥-٩٠٤	خوض القراة
٩٠٥	الخوض بجوار قصر القراة
٩٠٥	خوض بحضرة الأشعوب
٩٠٥	خوض في داخل قصر أبي المعلوم
٩٠٥	خوض بقصر بني كعب وبجانبه بئر
٩٠٧-٩٠٦	ذكر الآبار التي بيزكة الحبش والقراة
٩٠٦	بئر أبي سلامة
٩٠٦	بئر غزبي دئر مزحنا وبشتان العبيدي
٩٠٦	بئر الدرج
٩٠٧	بئر الزقاق
٩٠٩-٩٠٧	ذكر الشبعة التي تزار بالقراة
٩١٤-٩٠٩	قبر الإمام محمد بن إدريس الشافعي
٩١٥-٩١٤	قبر الإمام الليث بن سعد
٩٢١-٩١٦	ذكر المقابر خارج باب النصر
٩١٧-٩١٦	تربة أمير الجيوش بدر الجمالي
٩٤١-٩٢٢	ذكر كنائس اليهود

صفحة	
٩٢٣-٩٢٢	كنيسة دُموه
٩٣٥-٩٢٣	موسى بن عمران
٩٣٦	كنيسة جوجر
٩٣٩-٩٣٦	إلياس
٩٣٩	كنيسة المصاصة
٩٤٠	كنيسة الشاميين بخط قصر الشمع
٩٤٠	كنيسة العراقيين بخط قصر الشمع
٩٤٠	كنيسة بالجوزدريّة من القاهرة
٩٤١	كنيسة القرائين بحارة زويلة
٩٤١	كنيسة دار الحدرة بحارة زويلة
٩٤١	كنيسة الرّبانيين بحارة زويلة
٩٤١	كنيسة ابن شميخ بحارة زويلة
٩٤١	كنيسة السمرة بحارة زويلة
٩٤٨-٩٤٢	ذكر تاريخ اليهود وأعيادهم
٩٤٩-٩٤٨	ذكر معنى قولهم يهودي
٩٥٢-٩٥٠	ذكر أصل معتقد اليهود وكيف وقع عندهم التّجديل
٩٥٥-٩٥٣	ذكر فرق اليهود الآن
٩٥٨-٩٥٥	ذكر السمرة
٩٦٠-٩٥٨	فرق اليهود بعد أيام داود
٩٦١-٩٦٠	بقية فرق اليهود
٩٦٣-٩٦١	شريعة اليهود وأعيادهم
	ذكر قبض مصر ودياناتهم القديمة وكيف تنصروا ثم صاروا ذمة للمسلمين وما
	كان لهم في ذلك من القصص والأخبار وذكر الخبر عن كنائسهم ودياراتهم
١٠٢٤-٩٦٤	وكيف كان ابتداءها ومصير أمرها
٩٦٨-٩٦٦	ذكر ديانة القبط قبل تنصيرهم
٩٩٦ ٩٦٨	ذكر دخول قبط مصر في دين النصرانية
	ذكر دخول النصارى من قبط مصر في طاعة المسلمين وأدائهم الجزية واتخاذهم

صفحة

- ١٠١٤-٩٩٧ ذمّة لهم وما كان في ذلك من الحوادث والأبناء
- ١٠٢١-١٠١٤ واقعة النصارى
- ١٠٢٣-١٠٢١ فرق النصارى
- ١٠٢٤-١٠٢٣ شريعة النصارى وأعيادهم
- ١٠٥٩-١٠٢٥ **ذكر ديارب النصارى**
- ١٠٤٧-١٠٢٥ الوجه القبلي
- ١٠٢٥ القلاية بمصر
- ١٠٢٦ دَيْرُ طُرَا
- ١٠٢٦ دَيْرُ شَعْرَانَ نَاحِيَةِ طُرَا
- ١٠٢٦ دَيْرُ الرَّشَلِ خَارِجَ نَاحِيَةِ الصَّفِّ
- ١٠٢٧ دَيْرُ بَطْرُسَ وَبُولُصَ خَارِجَ إِطْفِيحَ
- ١٠٢٧ دَيْرُ الْجُمَيْرَةِ
- ١٠٢٨-١٠٢٧ دَيْرُ الْعَسْرَةِ
- ١٠٢٨ دَيْرُ أَنْبَا بُولَا فِي الْبَرِّ الْغَرْبِيِّ مِنَ الطُّورِ
- ١٠٣٠-١٠٢٨ دَيْرُ الْقَصِيرِ
- ١٠٣١ دَيْرُ مَرْحَنَّا عَلَى شَاطِئِ بَزْكَةِ الْحَبَشِ
- ١٠٣١ دَيْرُ أَبِي التُّعْنَاعِ خَارِجَ أَنْصِنَا
- ١٠٣٢-١٠٣١ دَيْرُ مَغَارَةِ شِقْلَقِيلِ
- ١٠٣٢ دَيْرُ بَقَطْرَ بِحَاجِرِ أَثْنُوبِ
- ١٠٣٢ دَيْرُ بَقَطْرَ شُو بَحْرِي أَثْنُوبِ
- ١٠٣٣ دَيْرُ بُوَجْرَجَ بِنَاحِيَةِ شَرْقِ بَنِي مُرِّ
- ١٠٣٣ دَيْرُ حَمَّاسَ
- ١٠٣٤-١٠٣٣ دَيْرُ الطَّيْرِ بِنَوَاحِيِ إِخْمِيمِ
- ١٠٣٤ دَيْرُ بُوَهْرَمِيْنَةَ بَحْرِي فَاو الْخَرَابِ
- ١٠٣٤ دَيْرُ السَّبْعَةِ جِبَالِ يَأْخْمِيمِ
- ١٠٣٥ دَيْرُ الْقُرْقُوسِ دَاخِلَ دَيْرِ السَّبْعَةِ جِبَالِ
- ١٠٣٥ دَيْرُ صَبْرَةَ شَرْقِي إِخْمِيمِ

صفحة	
١٠٣٥	دير بوأبتادة بالحاجر
١٠٣٦-١٠٣٥	دير بوهور الراهب قبالة ثنية بني خصيب
١٠٣٦	دير دُموه بالجيزة
١٠٣٦	دير نهيًا بالجيزة
١٠٣٧-١٠٣٦	دير طمونه بالجيزة
١٠٣٧	دير أقفاص
١٠٣٧	دير خارج ناحية منهرى
١٠٣٨	دير الخادم بأعمال البهنسا
١٠٣٨	دير أشنين
١٠٣٨	دير إيسوس (دير أزجنوس)
١٠٣٨	دير سدمنت
١٠٣٩	دير الثقلون
١٠٤٠-١٠٣٩	دير القلمون
١٠٤٠	دير السيدة مزيم خارج طنبدى
١٠٤٠	دير بوفانا بحري بني خالد
١٠٤٠	دير بالوجه
١٠٤١	دير مزقورة
١٠٤١	دير صنبو
١٠٤١	دير تادرس
١٠٤١	دير الرزيمون
١٠٤١	دير المحرق
١٠٤٢	دير بني كلب بمنقلوط
١٠٤٢	دير الجاويكة
١٠٤٢	دير السبعة جبال غربي سيوط
١٠٤٢	يحنس
١٠٤٣	دير المطل قبالة سيوط
١٠٤٥-١٠٤٣	أديرة أذرناكة
١٠٤٣	دير بوجرج

صفحة	
١٠٤٣	دَيْرُ أَرْضِ الْحَاجِرِ وَدَيْرُ مِيكَائِيلِ وَدَيْرُ كَرْفُونَةَ
١٠٤٣	دَيْرُ أَبِي بَقَامٍ
١٠٤٤	دَيْرُ بوساويرس
١٠٤٤	دَيْرُ تاذرس
١٠٤٤	دَيْرُ مَنْسَى آك
١٠٤٥-١٠٤٤	دَيْرُ الرُّسُلِ
١٠٤٥	دير موشة قبلي سبيوط
١٠٤٦-١٠٤٥	دَيْرُ بَوْمَقْرُوفَةَ
١٠٤٦	دَيْرُ بوبقَامِ خَارِجِ طِمَا
١٠٤٦	دَيْرُ بوشنودة (الدَيْرُ الأَبْيَضُ) غربي سوهاج
١٠٤٦	الدَيْرُ الأَحْمَرُ (دَيْرُ بوايشاي)
١٠٤٧	دير يوميسناس تحت البليتة
١٠٥٩-١٠٤٧	الوَجْهَةُ البَحْرِيَّةُ
١٠٤٨	دَيْرُ الحَنْدَقِ
١٠٤٩-١٠٤٨	دَيْرُ سيزياقوس
١٠٤٩	دَيْرُ أَتْرِيْبِ
١٠٤٩	دَيْرُ المَعْطَسِ
١٠٥٠	دَيْرُ العَشْكَرِ
١٠٥٠	دَيْرُ جَمِيَانَةَ
١٠٥١-١٠٥٠	دَيْرُ المَيْعَةِ
١٠٥١	دَيْرُ بَوْمَقَارِ الكَبِيرِ
١٠٥٢-١٠٥١	أبو مقار الأكبر
١٠٥٢	أبو مقار الإسكندراني
١٠٥٢	أبو مقار الثالث
١٠٥٢	دَيْرُ بُوَيْحَنَسِ القُصَيْرِ
١٠٥٣-١٠٥٢	دَيْرُ إِيَّاسِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
١٠٥٣	دَيْرُ أنبانوب
١٠٥٣	دَيْرُ الأزمن

صفحة

- ١٠٥٣ دَيْرُ بُوإِبْشَاي
- ١٠٥٣ دَيْرُ يَزَاءِ دَيْرِ بُوإِبْشَاي
- ١٠٥٤ دَيْرُ سَيِّدَةِ بَرْمُوس
- ١٠٥٤ دَيْرُ مُوسَى
- ١٠٥٤ دَيْرُ الزُّجَاجِ خَارِجَ مَدِينَةِ الإسْكَندَرِيَّةِ
- ١٠٥٥ دَيْرُ الرَّاهِبَاتِ بِحَارَةِ زَوَيْلَةَ
- ١٠٥٥ دَيْرُ البَنَاتِ بِحَارَةِ الرُّومِ
- ١٠٥٥ دَيْرُ المَعْلَقَةِ بِالفُسْطَاطِ
- ١٠٥٥ دَيْرُ بَرَبَارَةَ بِقَصْرِ الشَّمْعِ
- ١٠٥٥ بَرَبَارَةَ
- ١٠٥٦-١٠٥٥ دَيْرُ يُحَنَسِ القُصَيْرِ
- ١٠٥٩-١٠٥٦ دَيْرُ الطُّورِ
- ١٠٥٩ دَيْرُ البَنَاتِ بِقَصْرِ الشَّمْعِ بِمِصْرَ
- ١٠٦٠ ذِكْرُ كَنَائِسِ النُّصَارَى
- ١٠٦١ كَنِيسَتَا الخَنْدَقِ ظَاهِرِ القَاهِرَةِ
- ١٠٦٢ كَنِيسَةُ حَارَةِ زَوَيْلَةَ بِالقَاهِرَةِ
- ١٠٦٢ كَنِيسَةُ تُعْرَفُ بِالمُعَيْثَةِ بِحَارَةِ الرُّومِ
- ١٠٦٢ كَنِيسَةُ بَرَبَارَةَ بِحَارَةِ الرُّومِ
- ١٠٦٣ كَنِيسَةُ بُومِنَا
- ١٠٦٣ كَنِيسَةُ المَعْلَقَةِ بِمَدِينَةِ مِصْرَ
- ١٠٦٣ كَنِيسَةُ شِنُودَةَ بِمِصْرَ
- ١٠٦٤-١٠٦٣ كَنِيسَةُ مَرْيَمَ بِجَوَارِ كَنِيسَةِ شِنُودَةَ
- ١٠٦٤ كَنِيسَةُ بُوجُجِجِ الثَّقَةِ
- ١٠٦٤ كَنِيسَةُ بَرَبَارَةَ بِمِصْرَ
- ١٠٦٤ كَنِيسَةُ بوسِوَجَةَ

صفحة

١٠٦٥	كنيسة بابلون
١٠٦٥	كنيسة تاوذروس الشهيد
١٠٦٥	كنيسة بومنا
١٠٦٦-١٠٦٥	كنيسة بومنا بالحمرء
١٠٧٦-١٠٦٦	كنيسة الزهري
١٠٦٩-١٠٦٦	واقعة الكنائس
١٠٧٦-١٠٧٠	الحريق بالقاهرة ومصر
١٠٧٧	كنيسة ميكايل عند خليج بني وائل
١٠٧٧	كنيسة مريم قيلي بركة الحبش
١٠٧٧	كنيسة مريم بناحية العذوية
١٠٧٧	كنيسة أنطونيوس بناحية يياض
١٠٧٧	كنيسة السيدة بناحية أسكر
١٠٧٨	كنيسة مريم بناحية الخصوص
١٠٧٨	كنيسة مريم وكنيسة يحنس القصير، وكنيسة غبريال
١٠٧٨	كنيسة إسبوطير ياخميم
١٠٧٨	كنيسة ميكايل ياخميم
١٠٧٨	كنيسة بوبخوم بناحية إنقه
١٠٧٩	كنيسة مرقص الإنجيلي بالجيزة
١٠٧٩	كنيسة بوجرج بناحية أبي الثعرس
١٠٧٩	كنيسة بوفار آجر أعمال الجيزة
١٠٨٠	كنيسة شودة بناحية هربشت
١٠٨٠	كنيسة بوجرج بناحية بيا
١٠٨٠	كنيسة ماروطا القديس بناحية سمنطا
١٠٨٠	كنيسة مريم باليهنسا
١٠٨٠	كنيسة صمويل الراهب بناحية شبرى
١٠٨٠	كنيسة مريم بناحية طنبدى
١٠٨١	كنيسة ميخائيل بناحية طنبدى
١٠٨١	كنيسة الأبطولي بناحية أشين

صفحة	
١٠٨١	كنيسة مريم بناحية أشنين
١٠٨١	كنيسة ميخائيل وكنيسة غبريال بناحية أشنين
١٠٨١	كنيسة بناحية طحا
١٠٨٢	كنيسة مريم بناحية طحا
١٠٨٢	كنيسة الحكمين بناحية منهرى
١٠٨٢	كنيسة السيدة بناحية بقرقاس
١٠٨٤-١٠٨٢	بقية كنائس الوجه القبلي
١٠٨٦-١٠٨٥	كنائس الوجه البحري
١٠٨٨-١٠٨٧	من أسباب الخراب
١٠٨٩	خرد متن نسخة الأصل

المواظبة والاعتبار

في ذكر الخطب والأشهر

لنفي الدين أحمد بن علي بن عبد الفادر المقريزي

٧٦٦ - ٨٤٥ هـ

١٣٦٥ - ١٤٤٢ م

حَقَّقَهُ وَكَتَبَ مُقَدِّمَتَهُ وَحَوَاشِيَهُ وَوَضَعَ فَهْرَسَهُ

الدكتور أيمن فؤاد سيّد

المجلد الرابع

١



مؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي - لندن

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

ذِكْرُ الْمَسَاجِدِ الْبِجَايِعَةِ

- اعْلَمَ أَنَّ أَرْضَ مِصْرَ لَمَّا فُتِحَتْ فِي سَنَةِ عِشْرِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ ، وَاخْتِطَّتْ الصُّحَابَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - فُسْطَاطَ مِصْرَ كَمَا تَقَدَّمَ . لَمْ يَكُنْ بِالْفُسْطَاطِ غَيْرَ مَسْجِدٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْجَامِعُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ فِي مَدِينَةِ مِصْرَ «الْجَامِعُ الْعَتِيقُ» وَ«جَامِعُ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ» .
- وَمَا بَرِحَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا إِلَى أَنْ قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - مِنَ الْعِرَاقِ فِي طَلَبِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ . فَتَزَلَّ عَسْكَرُهُ فِي شِمَالِي الْفُسْطَاطِ ، وَبَنَوْا هُنَاكَ الْأَبْنِيَّةَ ، فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ بِـ «الْعَسْكَرِ» ، وَأُقِيمَتِ هُنَاكَ الْجُمُعَةُ فِي مَسْجِدٍ . فَصَارَتِ الْجُمُعَةُ تُقَامُ بِمَسْجِدِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ ، وَبِجَامِعِ الْعَسْكَرِ إِلَى أَنْ بَنَى الْأَمِيرُ أَحْمَدُ ابْنُ طُولُونٍ جَامِعَهُ عَلَى جَبَلٍ يَشْكُرُ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ حِينَ بَنَى الْقَطَائِعَ ، فَتَلَاشَى مِنْ حَيْثُ جَامِعِ الْعَسْكَرِ ، وَصَارَتِ الْجُمُعَةُ تُقَامُ بِجَامِعِ عَمْرُو بْنِ طُولُونٍ ، إِلَى أَنْ قَدِمَ جَوْهَرُ الْقَائِدِ مِنَ بِلَادِ الْقَيْرَوَانَ بِالْمَغْرِبِ ، وَمَعَهُ عَسَاكِرُ مَوْلَاهُ الْمُعِزُّ لَدِينِ اللَّهِ أَبِي تَمِيمٍ مَعَدَّ ، فَبَنَى الْقَاهِرَةَ ، وَبَنَى الْجَامِعَ الَّذِي يُعْرَفُ بِـ «الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ» فِي سَنَةِ سِتِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ . فَكَانَتِ الْجُمُعَةُ تُقَامُ فِي جَامِعِ عَمْرُو ، وَجَامِعِ ابْنِ طُولُونٍ ، وَالْجَامِعِ الْأَزْهَرِ ، / وَجَامِعِ الْقَرَّافَةِ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِـ «جَامِعِ الْأَوْلِيَاءِ» ^١ .
- ثُمَّ إِنَّ الْعَزِيزَ بِاللَّهِ أَبَا مَنْصُورَ نِزَارَ بْنَ الْمُعِزِّ لَدِينِ اللَّهِ ، بَنَى فِي ظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ مِنْ جِهَةِ بَابِ الْفُتُوحِ الْجَامِعَ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِـ «جَامِعِ الْحَاكِمِ» ، فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَأَكْمَلَهُ ابْنُهُ الْحَاكِمُ

^١ فيما يلي ٢٨٨ ، ٨٥٩ .

بأمر الله أبو علي منصور، وبني جامع المقس وجامع راشدة. فكانت الجمعة تُقام في هذه الجوامع كلها إلى أن انقرضت دولة الخلفاء الفاطميين في سنة سبع وستين وخمس مائة، فبطلت الخطبة من الجامع الأزهر، واستمرت فيما عداه^١.

فلما كانت الدولة التركية، حدثت بالقاهرة والقرافة ومصر وما بين ذلك عدة جوامع أُقيمت فيها الجمعة. وما برح الأمر يزداد حتى بلغ عدد المواضع التي تُقام بها الجمعة، فيما بين مسجد تير - من بحري القاهرة^(a) - إلى دِير الطين - قبلي مدينة مصر - زيادةً على مائة موضع. وسيأتي من ذكر ذلك ما فيه كفاية إن شاء الله تعالى.

وقد بلغت عدة المساجد التي تُقام بها الجمعة: مائة وثلاثين مسجدًا^٢، منها بمدينة مصر: جامع عمرو بن العاص، والجامع الجديد، والمدرسَة المعزِيَّة، وجامع ابن اللبان، وجامع القراء، وجامع تقي التمار، وجامع راشدة، وجامع الفيلة، وجامع دِير الطين، وجامع بساتين الوزير.

ومنها بالقرافة: جامع الأولياء، وجامع الأفزم، وخانكاه بكتمر، وجامع ابن عبد الظاهر، وجامع الحرّاني^(b)، وجامع الضراب، وجامع قوضون، وجامع الشافعي، وجامع الدئلمي، وجامع محمود، وجامع قريبًا من^(c) ثُرْبَة السُّت.

ومنها بالروضة: جامع المقياس، وجامع غبن^(d)، وجامع الرّيس، وجامع الأباريقي، وجامع المقسي.

ومنها بالحسينية خارج القاهرة: جامع أحمد الزاهد، وجامع آل ملك، وجامع كراي، وجامع الكافري^(e) بالقرب من السَّميساطية، وجامع الخندق، وجامع نائب الكرك، وجامع سُويقة الجميزة، وجامع قيّدان^(f)، وجامع ابن شرف الدين، وجامع الظاهر، وجامع الحاج كمال التاجر، تجدد هو وجامع سُويقة الجميزة في أيام الظاهر برقوق.

(a) العبارة في بولاق: خارج القاهرة من بحريها. (b) بولاق: جامع الجواني. (c) بولاق: جامع بقرب. (d) بولاق: جامع عين. (e) بولاق: الكافوري. (f) بولاق: جامع قيّدان.

^١ فيما يلي ١٠٣.

^٢ حاشية بخط المؤلف: «وأكثر ما بلغت عدة جوامع أحد عشر جامعًا».

بغداد في أيام الخليفة الرّاضي لدين الله أحمد بن المستضيء

ومنها خَارِجُ الْقَاهِرَةِ مِمَّا يَلِي النَّيْلَ : جَامِعُ كَوْمِ الرَّيْشِ . جَامِعُ جَزِيرَةِ الْفَيْلِ . جَامِعُ أَمِينِ الدِّينِ
ابن تاج الدين مُوسَى . جَامِعُ الْفَخْرِ عَلَى النَّيْلِ . جَامِعُ الْأَسْيُوطِيِّ . جَامِعُ الْوَايِطِيِّ . جَامِعُ ابْنِ
بَدْرٍ . جَامِعُ الْخَطِيرِيِّ . جَامِعُ ابْنِ غَازِي . جَامِعُ الْمَقْسِ . جَامِعُ ابْنِ التُّرْكَمَانِيِّ . جَامِعُ بِنْتِ
التُّرْكَمَانِيِّ . جَامِعُ الطُّوَّاشِيِّ . جَامِعُ بَابِ الرَّخَاءِ . جَامِعُ الزَّاهِدِ . جَامِعُ مَيْدَانِ الْقَمْحِ . جَامِعُ
صَارُوجَا . جَامِعُ ابْنِ زَيْدٍ . جَامِعُ بَرْكَةِ الرَّطْلِيِّ . جَامِعُ الْكَيْمُخْتِيِّ . جَامِعُ بَابِ الشُّعْرِيَّةِ . جَامِعُ
ابْنِ مَيْالَةَ . جَامِعُ ابْنِ الْمَغْرِبِيِّ . جَامِعُ الْعَجْمِيِّ بِقَنْطَرَةِ الْمَوْسِكِيِّ . الْجَامِعُ الْمَعْلُوقُ بِقَنْطَرَةِ الْمَوْسِكِيِّ
أَيْضًا . جَامِعُ الْجَاكِيِّ بِسُوَيْقَةِ الرَّيْشِ . جَامِعُ الشَّرُوجِيِّ بِسُوَيْقَةِ الرَّيْشِ أَيْضًا . جَامِعُ الْبَكَّجَرِيِّ .
جَامِعُ ابْنِ حَسُونٍ بِالذُّكَّةِ ^١ . جَامِعُ ابْنِ الْمَغْرِبِيِّ عَلَى الْخَلِيجِ . جَامِعُ الطُّبَّاحِ بِخَطِّ اللُّوقِ . جَامِعُ
السُّتِّ نَصِيْرَةَ بِخَطِّ بَابِ اللُّوقِ - حَيْثُ كَانَ الْكُومُ فَحْفِرَ إِذَا بَقِيَ عُرْفٌ بِالسُّتِّ نَصِيْرَةَ ، وَعَمِلَ
عَلَيْهِ مَسْجِدٌ ، وَأُقِيْمَتْ بِهِ الْجُمُعَةُ فِي أَيَّامِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقِ . جَامِعُ شَاكِرِ بَجَوَارِ قَنْطَرَةِ قَدَادَارِ ، ^(a) عُمَرُ
سَنَةِ سِتِّ وَعِشْرِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ . جَامِعُ غَيْطِ الْقَاصِدِ خَلْفَ قَنْطَرَةِ قَدَادَارِ ^(a) . جَامِعُ الْجَزِيرَةِ
الْوَسْطِيِّ . جَامِعُ كَرِيمِ الدِّينِ بِخَطِّ الزُّرِّيَّةِ ^(b) ^٢ . جَامِعُ ابْنِ غُلَامِيهَا بِخَطِّ الزُّرِّيَّةِ ^(b) أَيْضًا . الْجَامِعُ
الْأَخْضَرُ . جَامِعُ سُوَيْقَةِ الْمَوْقُوقِ . جَامِعُ سُلْطَانَ شَاهِ بِيَابِ الْخَرْقِ ^٣ . جَامِعُ زَيْنِ الدِّينِ الْخَشَّابِ

(a-a) العبارة ساقطة من نسخة باريس : انتقال نظر . (b) بولاق : الزرية .

سيمون بوليفار الآن) والذي جَدَّه الخديو إسماعيل وَفَّت
إِنشَاء سِرَايِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ فِي سَنَةِ ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م ،
وَيُنْسَبُ إِلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْعَبِيْطِ الْمَدْفُونِ بِهِ . (أَبُو الْحَاسَنِ :
النجوم الزاهرة ٩ : ٢٠٠هـ^٢ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية
١١٣ : ٥ (٤٦-٤٧) .

وقد هَدَمَتْ وَزَارَةُ الْأَوْقَافِ هَذَا الْجَامِعَ الْقَدِيمَ وَأَقَامَتْ
فِي مَكَانِهِ الْجَامِعَ الْمَعْرُوفَ الْآنَ بِ«جَامِعِ عَمْرِ مَكْرَمٍ»
الواقع بين مَبْنَى مِتْحَفِ وَزَارَةِ الْخَارِجِيَّةِ وَمَبْنَى مَجْمَعِ
التَّخْرِيرِ ، وَرَاجِعُ كَذَلِكَ سَعَادُ مَاهِرُ : مَسَاجِدُ مِصْرَ
١٠٥ : ١١١ .

^٣ مَا زَالَ جَامِعُ سُلْطَانَ شَاهِ قَائِمًا بِشَارِعِ غَيْطِ الْعِدَّةِ بِيَابِ
الْخَلْقِ ، أَقَامَهُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ الْمُقَرُّ الشَّيْخِي الْأَمِيرِ سُلْطَانَ شَاهِ ابْنِ
قَرَا أَمِيرِ طَبَلْخَانَاهِ فِي دَوْلَةِ السُّلْطَانَ الْأَشْرَفِ شَعْبَانَ ابْنِ =

^١ جَامِعُ ابْنِ حَسُونِ بِخَطِّ الذُّكَّةِ مِنَ الْمَقْسِ . أَنشَأَهُ
شَعْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حَسَبِ اللَّهِ ابْنِ حَسُونِ ، أَخَذَ
الْفُقَهَاءُ الشَّافِعِيَّةَ ، الْمَتُوفَى فِي عَاشِرِ شَعْبَانَ سَنَةِ ٦٩٩هـ/
١٣٩٧م . قَالَ الْمَقْرِيْزِيُّ : «نُوزِعَ فِي إِقَامَةِ الْخُطْبَةِ فِيهِ»
وَأَضَافَ : «وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ بَجْدِيِّ لِأُمِّي ، وَلَهُ إِلَيَّ تَرْذَادٌ ،
عُمُرٌ وَتَرْهَدٌ ... وَتُوفِيَ وَقَدْ قَارَبَ الْإِخْتِلَاطَ . (دَررُ الْعُقُودِ
الْفَرِيدَةِ ٣ : ٧٢) . وَانظُرْ كَذَلِكَ الْمَقْرِيْزِيُّ : السُّلُوكُ ٣ : ٨٨٤ ؛
ابْنُ حَجْرٍ : إِنْبَاءُ الْغَمْرِ ١ : ٥٤٠ .

^٢ حَدَّثَ مُحَمَّدُ بَكْ رَمْزِيٌّ مَوْضِعَ جَامِعِ كَرِيمِ الدِّينِ بِخَطِّ
الزُّرِّيَّةِ ، وَالَّذِي أَنشَأَهُ كَرِيمُ الدِّينِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ
هَيْبَةَ اللَّهِ بْنِ الشَّدِيدِ الْقِبْطِيِّ الْمَعْرُوفِ بِكَرِيمِ الدِّينِ الْكَبِيرِ نَاطِرِ
الْحَاصِّ حَوْلَ سَنَةِ ٧٢٠هـ/١٣٢٠م ، بِمَوْضِعِ الْجَامِعِ الَّذِي
كَانَ يُعْرَفُ بِجَامِعِ الشَّيْخِ الْعَبِيْطِ بِخَطِّ قَصْرِ الدُّوْبَارَةِ (مَيْدَانِ

خارج باب اللوق - كان زاوية للفقراء، فأقيمت به الجمعة بعد سنة ثمان مائة. جامع منكلي بسويقة القيّمري.

ومنها فيما بين القاهرة ومصر: جامع بشتاك. جامع الإسماعيلي على البركة الناصرية. جامع الست مسكة. جامع آق سنقر بيخرة^(a) الشقائين. جامع الشيخ محمد بن حسن الحنفي. جامع سيت حدق بالمريس. جامع الطيّبزي. جامع الرّحمة عمارة الصّاحب أمين الدّين عبد الله ابن غنام. جامع منشأة المهراي. جامع يونس بالسبع سقايات على البركة. جامع بركة الأستاذار بحدرة ابن قميحة. جامع ابن طولون. جامع المشهد النفيسي. جامع البقلي بالقبيبات. جامع شيخو. جامع قانياي برأس سويقة منعم. جامع ألماس. جامع قوضون. جامع الصّالح. المدرّسة الناصرية حسن بشوق الخليل. جامع ألجاي. جامع المازديني. جامع أضلم. جامع^(b).

ومنها بقلعة الجبل: جامع الناصري. وجامع التوبة. وجامع الإسطبل. والجامع المؤيدي^(١). ومنها خارج القاهرة بالترب وما قرب من القلعة: تربة جوشن^(٢)، والتربة الظاهرية بزقوق، وتربة طشتمر جمص أخضر بالصحراء. جامع الخضري. جامع التوبة. الجامع المؤيدي.

ومنها بالقاهرة: الجامع الأزهر، والجامع الحاكي، والجامع الأقمر، والمدرّسة الظاهرية بزقوق، والمدرّسة الصّاحية [المدرّسة^(c)] الحجازية، والمشهد الحسيني، وجامع الفكاكين^(d)، والزمامية، والصّاحبية، والبوبكرية، والجامع المؤيدي، والأشرفية، وجامع الدواداري قريبا من البروقية، وجامع التوبة بالبروقية، ومدرّسة ابن البقري والباسطية.

(a) بلاق: مجرى. (b) بياض بالنسخ. (c) زيادة اقتضاها السياق. (d) بلاق: الفاكهاني.

= حسين سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م، ثم جدّده في سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م السلطان الأشرف قايتباي، كما جدّده بعد ذلك الخديو إسماعيل باشا سنة ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م، لقربه من قصر عابدين. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٣: ٢١٣). ((٥٤)).

ويلاحظ أن المقرري لم يُفصل الحديث على جميع المساجد الجامعة التي أجمّل ذكرها هنا، وذكر بعضها في

المساجد الجامعة، وبعضها الآخر مع المدارس، وانظر فيما يلي (٣٥٤-٣٦٠) المساجد التي استُجدت بها خطبة.

^١ جاء هنا على هامش نسخة آياصوفيا: «وبها جامع خامس عمّره الناصر فرج بالحوش السلطاني، قاله محمد»، وهو ناسخ الشسخة. وانظر فيما يلي ٣٢٧.

^٢ وتُعرف بتربة عثمان بن جوشن السعودي. (فيما يلي ٦: ٧٦٥).

اذِكْرُ الْجَوَامِعِ

اعلم أنه لما اتَّصَلت مَبَانِي الْقَاهِرَةِ الْمُعَرِّبَةِ بِمَبَانِي مَدِينَةِ فُسْطَاطِ مِصْرَ بِحَيْثُ صَارَتَا كَأَنَّهِنَّ مَدِينَةٌ وَاحِدَةٌ، وَاتَّخَذَ أَهْلُ الْقَاهِرَةِ وَأَهْلُ مِصْرَ الْقَرَاتَيْنِ لِدَفْنِ أَمْوَاتِهِمْ، ذَكَرْتُ مَا فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الْأَرْبَعَةِ مِنَ الْمَسَاجِدِ الْجَامِعَةِ^١، وَأَضَفْتُ إِلَيْهَا مَا فِي جَزِيرَةِ فُسْطَاطِ مِصْرَ - الَّتِي يُقَالُ لَهَا الرُّؤُوسَةُ - مِنَ الْجَوَامِعِ أَيْضًا، فَإِنَّهَا مُتَنَزَّهَةٌ أَهْلُ الْبَلَدَيْنِ، وَجَمَعْتُ إِلَى ذَلِكَ مَا فِي ظَوَاهِرِ الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ مِنَ الْجَوَامِعِ مَعَ التَّعْرِيفِ بِحَالِ مِنْ أُسْسِهَا^٢، وَاللَّهُ الْمُتَوْفَّقُ^(a).

(a) بولاق: وبالله التوفيق.

هذه الجوامع والمساجد وتطورها، بالإضافة إلى دراساتٍ مُتَخَصِّصَةٍ دَرَسَتْ جَامِعًا أَوْ مَسْجِدًا بَعِيْنَهُ دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ وَمَعْمَارِيَّةٌ. وَأَهْمُ الدَّرَاسَاتِ الشَّامِلَةِ الَّتِي سَأَحِيلُ عَلَيْهَا الْقَارِئُ هِيَ: Hauteceur, L. & Wiet, G., *Les Mosquées du Caire*, I-II, Paris 1932; Creswell, K. A. C., *EMA = Early Muslim Architecture: Umayyads, Early Abbasids & Tulunids*, I-II, Oxford 1932-40; id., *MAE = The Muslim Architecture of Egypt I. Ikhshids and Fatimids*, Oxford 1952, II. Ayyubids and Early Mamluks, Oxford 1958؛ عبد العزيز مرزوق: مساجد القاهرة قبل العصر المملوكي، القاهرة ١٩٤٢؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ١-٢، القاهرة ١٩٤٦؛ وزارة الأوقاف: مساجد مصر، ١-٢، القاهرة ١٩٤٨؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل) - القاهرة ١٩٦١، (العصر الفاطمي) - القاهرة ١٩٦٥ - (العصر الأموي)، القاهرة ١٩٦٩؛ سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ١-٥، القاهرة ١٩٧١-١٩٨٠؛ Meinecke, M., *Die Mamlukische Architektur in Ägypten und Syrien*, I-II, Glückstadt 1992.

^١ الجَامِعُ جِ الْجَوَامِعِ. هِيَ الْمَسَاجِدُ الْجَامِعَةُ ذَاتُ الْمَنَابِرِ الَّتِي تُقَامُ فِيهَا صَلَاةُ الْجُمُعَةِ وَتُلْقَى مِنْ عَلَى مَنَابِرِهَا خُطْبَةٌ الْجُمُعَةِ، بَيْنَمَا تَخْتَصُّ الْمَسَاجِدَ (م. مَسْجِدًا) بِأَدَاءِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فَقَطْ. وَكَانَ مِنَ التَّقْلِيدِ فِي الْمَدِينَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنْ لَا يَوْجَدُ بِهَا سِوَى مَسْجِدٍ جَامِعٍ وَاحِدٍ فَقَطْ، وَمَعَ نُمُو الْمَدِينِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَأَتْسَاعِهَا تَقَدَّدَتِ الْمَسَاجِدُ الْجَامِعَةُ فِي الْمَدِينَةِ الْوَاحِدَةِ. (رَاجِعْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ وَدَوْرِهِ الدِّينِيِّ وَالثَّقَافِيِّ، Grabar, O., «The Architecture of the Middle Eastern City from Past to Present: The Case of the Mosque» in *Middle Eastern Cities*, I.M. Lapidus (ed.), Berkeley - Los Anglos 1969, pp. 26-46؛ حسين مؤنس: المساجد، عالم المعرفة - ٣٧، الكويت ١٩٨١؛ *El² art. Masdjid*؛ Pedersen, Johs., VI, pp. 629-64؛ وعن عمارة المساجد وتخطيطها انظر Hillenbrand, R., *El² art. Masdjid* VI, pp. 664-76؛ وعن دور الأوقاف في إنشاء المساجد الجامعة والصُّرُوفِ عَلَى الْقَائِمِينَ عَلَيْهَا وَالْمُرْتَبِينَ فِي وِظَائِفِهَا رَاجِعْ، مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ أَمِينٌ: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ١٧٨-٢٠٣ والمقدمة.

^٢ حَظِّتِ الْجَوَامِعُ مِصْرَ وَمَسَاجِدُهَا بِاهْتِمَامٍ كَثِيرٍ مِنَ الْبَاحِثِينَ الْعَرَبِ وَالْمُسْتَشْرِقِينَ، فَقَدَّمُوا دِرَاسَاتٍ شَامِلَةً تَنَاطَلَتْ

الجامع العتيق

[أثر رقم ٣١٩]

هذا الجامع بمدينة فسطاطٍ مِصر - ويُقال له «تاج الجوامع»، و«جامع عمرو بن العاص» - وهو أول مسجد أسس بديار مصر في الملة الإسلامية بعد الفتح^١.

^aنُحِرَج الحافظ أبو القاسم بن عساكر من حديث معاوية بن قرة، قال: قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : مَنْ صَلَّى صَلَاةً مَكْتُوبَةً فِي مَسْجِدِ مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ كَانَتْ لَهُ كَحَجَّةٍ مُتَقَبَّلَةٍ، فَإِنْ صَلَّى تَطَوُّعًا كَانَتْ لَهُ كَعُمْرَةٍ مَبْرُورَةٍ.

وعن كعب: مَنْ صَلَّى فِي مَسْجِدِ مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ صَلَاةً فَرِيضَةً عَدَلَتْ حَجَّةً مُتَقَبَّلَةً، وَمَنْ صَلَّى صَلَاةً تَطَوُّعًا عَدَلَتْ عُمْرَةً مُتَقَبَّلَةً، فَإِنْ أَصِيبَ فِي وَجْهِهِ ذَلِكَ، حُرِّمَ لَحْمُهُ وَدَمُهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَطْعَمَهُ، وَذَنْبُهُ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ.

وأول مسجد بُني في الإسلام مسجد قباء، ثم مسجد رسول الله ﷺ^a. قال هشام ابن عمار: حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ الْمُغِيرَةَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَطَاءِ الْخُرَّاسَانِيِّ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا افْتَتَحَ عُمَرُ الْبُلْدَانَ كَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى وَهُوَ عَلَى الْبَصْرَةِ، بِأَمْرِهِ أَنْ يَتَّخِذَ مَسْجِدًا لِلْجَمَاعَةِ وَيَتَّخِذَ لِلْقَبَائِلِ

(a-a) هذه الفقرة موجودة في هامش آياصوفيا وساقطة من نسخة الفتح.

العاص وشرح مميزاته الفنية، القاهرة ١٩٣٥؛ نفسه: جامع عمرو بن العاص بالفسطاط من الناحيتين التاريخية والأثرية، القاهرة ١٩٣٨؛ محمد عبد العزيز مرزوق: مساجد القاهرة قبل عصر المماليك ٩-٢٦؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١: ٢٢٣-٣١؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل)، ٦٧-١٠٠؛ فريد شافعي: العمارة العربية في مصر ١: ٣٦٣-٣٨٤؛ سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ١: ٥٥-٧٤؛ Fu'ad Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 16-18 عاصم محمد رزق: أطلُس العمارة الإسلامية والقبطية بالقاهرة ١: ١٧-٣٤.

^١ راجع عن تاريخ جامع عمرو وتخطيطه الأصلي، ابن عبد الحكم: فتوح مصر ٩٢؛ أبا عبيد البكري: جغرافية مصر ٥٥؛ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب ٤٠؛ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٥٩-٧٥؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٣٧-٣٤٠؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ٦٦-٧١؛ السيوطي: حسن المحاضرة ٢: ٢٣٩-٢٤٥؛ Corbett, E.R., «The History of the Mosque of Amr at Old Cairo», *JRAS* XVII (1890), pp. 759-800; Wiet, G., *CIA Egypte* II, pp. 1-16; Creswell, K.A.C., «La mosquée de Amru», *BIFAO* XXXII (1932), pp. 121-66; id., *EMAI*, pp. 28-29, II, pp. 171-219; Hauteceur, L., *Les Mosquées du Caire*, pp. 199-207؛ محمود أحمد: بيان تاريخي عن مسجد عمرو بن

مساجد، فإذا كان يوم الجمعة انضَمُّوا إلى مسجد الجماعة. وكتب إلى سعيد بن أبي وقاص، وهو على الكوفة، بمثل ذلك. وكتب إلى عمرو بن العاص، وهو على مصر، بمثل ذلك. وكتب إلى أمراء أجناد الشام ألا يتبددوا إلى القرى، وأن ينزلوا المدائن، وأن يتخذوا في كل مدينة مسجداً واحداً، ولا تتخذ القبائل مساجد. فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده.

وقال أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن حفص الكندي في كتاب «أخبار مسجد أهل الرابة الأعظم وأول أمره وبنائه، وزيادة الأمراء فيه وغيرهم، ومجالس الحكام والفقهاء منه، وغير ذلك»، قال هبيرة بن أبيض عن مشيخة^(a) ثجيب: إن قيسبة بن كلثوم التميمي، أحد بني سؤم، سار من الشام إلى مصر مع عمرو بن العاص، فدخلها في مائة راجلة وخمسين عبداً وثلاثين فرساً. فلما اجتمع^(b) المسلمون وعمرو بن العاص على حصار الحصن، نظر قيسبة بن كلثوم فرأى جناناً تقرب من الحصن، فخرج إليه في أهله وعبديه فنزل وضرب فيه فسطاطه، وأقام فيها طول حصارهم الحصن حتى فتحه الله عليهم.

ثم خرج قيسبة مع عمرو إلى الإسكندرية وخلف أهله فيها، ثم فتح الله عليهم الإسكندرية، وعاد قيسبة إلى منزله هذا فنزله، واحتط عمرو بن العاص داره مقابل تلك الجنان التي نزلها قيسبة، وتشاور المسلمون أين يكون المسجد الجامع، فأروا أن يكون منزل قيسبة. فسأله عمرو فيه وقال: أنا احتط لك يا أبا عبد الرحمن حيث أحببت. فقال قيسبة: لقد علمتم يا معاشر المسلمين أنني حزت هذا المنزل وملكته، وإني أتصدق به على المسلمين. وارتحل فنزل مع قومه بني سؤم واحتط فيهم^(c).

فبني مسجداً في سنة إحدى وعشرين من الهجرة. وفي ذلك يقول أبو قبان بن نعيم بن ربيعة^(c) التميمي:

(a) بولاق: شيخه. (b) بولاق: أجمع. (c) بولاق: بدر.

^١ حاشية بخط المؤلف: «قيسبة بن كلثوم بن حبابة ابن عمرو بن هرم بن عامر بن خولي بن وائل بن سؤم بن عدي ابن أسرس، واسمه سكن بن كندة واسمه ثور بن عفير بن عدي ابن الحارث بن مرة بن أد بن زيد بن يشجب بن غريب ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن عابر بن فالح بن أرفخشذ بن سؤم بن نوح أبو الحسي الشاعر».

^٢ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٦١-٦٢؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٣٧؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ٦٦.

[الطويل]

وبابليون^١ قد سَعِدْنَا بِفَتْحِهَا وَحُزْنَا لَعَمْرُ اللَّهِ فِيهَا وَمَعْنَمَا
وَقَيْسَبَةَ الْخَيْرِ بْنِ كُثُومٍ دَارَهُ أَبَاحَ حِمَاهَا لِلصَّلَاةِ وَسَلَّمَا
فَكُلُّ مُصَلٍّ فِي فَنَاهَا^(a) صَلَاتِهِ تَعَارَفَ أَهْلُ الْمِصْرِ مَا قُلْتُ فَاغْلَمَا

وقال أبو مُضْعَبِ قَيْسِ بْنِ سَلَمَةَ الشَّاعِرِ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي امْتَدَّحَ فِيهَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ قَيْسَبَةَ :

[الكامل]

وَأَبُوكَ سَلَّمَ دَارَهُ وَأَبَاحَهَا لِجِيَاهِ قَوْمٍ رُكِعَ وَسُجُودِ

وقال اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ : كَانَ مَسْجِدُنَا هَذَا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا .

وقال الشَّرِيفُ مُحَمَّدُ بْنُ أَسْعَدِ الْجَوَانِي : وَمِنْ جَمَلَةِ مَزَارِعِهَا جَامِعُ مِصْرَ ، وَقَدْ بَقِيَ إِلَى الْآنِ

١٠ مِنْ جَمَلَةِ الْأَنْشَابِ الَّتِي كَانَتْ فِي الْبُسْتَانِ فِي مَوْضِعِ الْجَامِعِ شَجَرَةٌ زَنْزَلَتْ ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى الْآنِ
تَخَلْفُ الْحِرَابَ الْكَبِيرَ وَالْحَائِطَ الَّذِي بِهِ الْمِنْبَرُ . وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ قَالَ : إِنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ بَاقِيَةٌ مِنْ عَهْدِ
مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَكَانَ لَهَا نَظِيرٌ شَجَرَةٌ أُخْرَى فِي الْوَرَّاقِينَ اخْتَرَقَتْ فِي حَرِيقِ مِصْرَ سَنَةَ أَرْبَعِ
وَسِتِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ .

وظَهَرَ بِالْجَامِعِ الْعَتِيقِ بِرُؤِ الْبُسْتَانِ الَّتِي كَانَتْ بِهِ ، وَهِيَ الْيَوْمَ يَسْتَقِي مِنْهَا النَّاسُ الْمَاءَ بِمَوْضِعِ

١٥ حَلْقَةِ الْفَقِيهِ ابْنِ الْجَمِيزِيِّ^(b) الْمَالِكِيِّ .

قال الْكِنْدِيُّ : وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ : سَمِعْتُ أَشْيَاخَنَا مِمَّنْ حَضَرَ مَسْجِدَ الْفَتْحِ يَقُولُونَ :

وَقَفَّ عَلَى إِقَامَةِ قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ثَمَانُونَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فِيهِمُ الزُّبَيْرُ بْنُ
الْعَوَّامِ ، وَالْمِقْدَادُ ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ ، وَفُضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ ، وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ .

٢٠ وَفِي رِوَايَةٍ : أُسِّسَ مَسْجِدُنَا هَذَا أَرْبَعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ : أَبُو ذَرٍّ ، وَأَبُو بَصْرَةَ ، وَمَحْمُودُ بْنُ جَزْءِ

الزُّبَيْدِيِّ ، وَنُبَيْهَةَ بْنِ صَوَّابٍ^٢ .

(a) فِي النِّسْخِ : فَنَانَا . (b) بُولَاقُ : الْجَمِيزِيُّ .

^١ حَاشِيَةٌ بِحِطِّ الْمَوْلَفِ : «بَابُ لِيُونِ كَانَ قَصْرًا بِالشَّرْفِ
الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالرُّضْدِ ، وَلِيُونُ اسْمُ بَلَدٍ مِصْرِي بِلُغَةِ السُّودَانِ
وَالرُّومِ» . (وَانظُرْ فِيمَا تَقَدَّمَ ٢ : ٨-٩) .
^٢ ابْنُ دِقْمَاقٍ : الْإِتِّصَارُ ٤ : ٦٢ ؛ الْقَلْقَشَنْدِيُّ :
صَبْحُ الْأَعْمَشِيِّ ٣ : ٣٣٧ ؛ أَبُو الْمَحَاسَنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ
١ : ٦٧ .

وقال عبد الله بن أبي جعفر: أقام مِحْرَابَنَا هذا عِبَادَةُ بن الصَّامِتِ ، وَرَافِعُ بن مَالِكِ ، وهما نَقِيَّان .

وقال داوُد بن عُقْبَةَ : إِنَّ عَمْرُو بن العَاصِ بَعَثَ رِبِيعَةَ بن سُرخِيبِلِ ابنِ حَسَنَةَ وَعَمْرُو بن عَلَقَمَةَ القُرَشِيَّ - ثم العَدَوِيَّ - يُقِيمَانِ القِبْلَةَ ، وقال لهما : قُومَا إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ - أو قال : انْتَصَفَتِ الشَّمْسُ - فَاجْعَلَاها على حَاجِبَيْكُمَا ، فَفَعَلَا .

وقال اللَّيْثُ : إِنَّ عَمْرُو بن العَاصِ ، كان يَمُدُّ^(a) الحِيَالَ حَتَّى أُقِيمَتِ قِبْلَةُ المَسْجِدِ . وقال عَمْرُو ابن العَاصِ : شَرَّفُوا القِبْلَةَ تُصَيِّبُوا الحَرَمَ ، قال : فَشَرَّفَتْ جِدًّا . فَلَمَّا كان قُرَّةُ بن شَرِيكٍ تِيَامَنُ بها قَلِيلًا . وكان عَمْرُو بن العَاصِ إِذَا صَلَّى في مَسْجِدِ الجَامِعِ يُصَلِّي نَاحِيَةَ الشَّرْقِ إِلَّا الشَّيْءَ اليَسِيرَ^١ .

وقال رَجُلٌ من تُجَيْبٍ : رَأَيْتُ عَمْرُو بن العَاصِ دَخَلَ كَنِيسَةً فَصَلَّى فيها ، ولم يَنْصَرِفْ عن قِبْلَتِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا . وكان اللَّيْثُ وابنُ لَهِيْعَةَ إِذَا صَلَّيَا تِيَامَنَا . وكان عُمَرُ بن مَرْوان - عَمُّ الخُلَفَاءِ - إِذَا صَلَّى في المَسْجِدِ الجَامِعِ تِيَامَنُ^٢ .

وقال يَزِيدُ بن أَبِي^(b) حَبِيبٍ في قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ [الآية ١٤٤ سورة البقرة] : هِيَ قِبْلَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي نَصَبَهَا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مُقَابِلَ المِيزَابِ ، وَهِيَ قِبْلَةُ أَهْلِ مِصْرَ وَأَهْلِ المَغْرِبِ . وكان يقرأها (فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا) بالنون ... وقال : هَكَذَا أَقْرَأْنَاهَا أَبُو الخَيْرِ .

وقال الخَلِيلُ بن عبد الله الأَزْدِيُّ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيْلُ فَقَالَ : « ضَعِ القِبْلَةَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلى الكَعْبَةِ » ، ثم مالَ بيده فأماطَ كُلَّ جَبَلٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكَعْبَةِ . فَوَضَعَ المَسْجِدَ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلى الكَعْبَةِ ، وَصَارَتْ قِبْلَتُهُ إِلى المِيزَابِ .

وقال ابنُ لَهِيْعَةَ : سَمِعْتُ أَشْيَاخَنَا يَقُولُونَ : لَمْ يَكُنْ لِمَسْجِدِ عَمْرُو بن العَاصِ مِحْرَابٌ مُجَوَّفٌ ، وَلَا أُدْرَى بِنَاؤُهُ مَسْلَمَةٌ أَوْ بِنَاؤُهُ عَبْدُ العَزِيزِ . وَأَوَّلُ مَنْ جَعَلَ المِحْرَابَ قُرَّةُ بن شَرِيكٍ^٣ .

(a) بولاق : يعد . (b) أبي : ساقطة من بولاق .

^١ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١ : ٦٧ .

^٢ الفلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٣٩ .

^٣ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦٢ وفيه : أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ جَعَلَ المِحْرَابَ المُجَوَّفَ ؛ أَبُو المحاسن : النجوم الزاهرة ١ : ٦٧ .

وقال الواقدي: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هِلَالٍ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ أَحَدَّثَ الْمِحْرَابَ الْمَجُوفَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِيَالِي بَنِي^(a) مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَذَكَرَ عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ مَطْعُونَ تَفَلَّ فِي الْقِبْلَةِ، فَأَصْبَحَ مُكْتَبًا. فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: مَا لِي أَرَاكَ مُكْتَبًا؟ قَالَ: لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي تَفَلْتُ فِي الْقِبْلَةِ وَأَنَا أُصَلِّي. فَعَمَدَتِ إِلَى الْقِبْلَةِ فَعَسَلَتْهَا، ثُمَّ عَمِلَتْ خَلُوقًا فَخَلَقَتْهَا. فَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ خَلَقَ الْقِبْلَةَ.

وقال أبو سعيد سلف الحميري: أَدْرَكْتُ مَسْجِدَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ طُولَهُ خَمْسُونَ ذِرَاعًا فِي عَرْضِ ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا، وَجُعِلَ الطَّرِيقُ يُطِيفُ بِهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَجُعِلَ لَهُ بَابَانِ يُقَابِلَانِ دَارَ عَمْرٍو ابْنِ الْعَاصِ، وَجُعِلَ لَهُ بَابَانِ فِي بَحْرِيهِ وَبَابَانِ فِي غَرْبِيهِ. وَكَانَ الْخَارِجُ إِذَا خَرَجَ مِنْ رُقَاقِ الْقَنَادِيلِ وَجَدَ رُكْنَ الْمَسْجِدِ الشَّرْقِيِّ مُحَازِيًا لِرُكْنِ دَارِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ الْغَرْبِيِّ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُؤَخَّذَ^(b) مِنْ دَارِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ مَا أُخِذَ؛ وَكَانَ طُولُهُ مِنَ الْقِبْلَةِ إِلَى الْبَحْرِيِّ مِثْلَ طُولِ دَارِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، وَكَانَ سَقْفُهُ مُطَاطَأً جِدًّا وَلَا صَحْرَ لَهُ، فَإِذَا كَانَ الصَّيْفُ جَلَسَ النَّاسُ بِفِنَائِهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَبَيْنَ دَارِ عَمْرٍو سَبْعَ أذْرَعٍ^١.

قُلْتُ: وَأَوَّلُ مَنْ جَلَسَ عَلَى مِثْبَرٍ أَوْ سَرِيرٍ ذِي أَعْوَادٍ رَبِيعَةُ بْنُ مُحَاسِنٍ.

وقال القضاعي في كتاب «الخطط»: وَكَانَ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ قَدْ اتَّخَذَ مِثْبَرًا، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَعْزِمُ عَلَيْهِ فِي كَسْرِهِ، وَيَقُولُ: أَمَا بِحَسْبِكَ أَنْ تَقُومَ قَائِمًا وَالْمُسْلِمُونَ مُجْلُوسٌ تَحْتَ عَقْبَيْكَ، فَكَسَرَهُ^٢.

قال كاتبه^(c): وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِينَ وَمِائَةٍ، أَمَرَ الْمَهْدِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورَ بِتَقْصِيرِ الْمَنَابِرِ، وَجَعَلَهَا بِقَدْرِ مِثْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(d).

قال القضاعي: وَأَوَّلُ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتَى دَاخِلَ الْجَامِعِ أَبُو الْحُسَيْنِ^(e) سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ، صَاحِبِ الشَّرْطِ، فِي النُّصْفِ مِنْ صَفَرٍ؛ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فَجَاءَةً، فَأَخْرَجَ ضَحْوَةَ يَوْمِ الْأَحَدِ السَّادِسِ

(a) كذا في جميع النسخ. (b) بولاق: أخذ. (c) بولاق: مؤلفه. (d) بولاق: النبي. (e) بولاق: أبو الحسن.

^١ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٦٢؛ أبو المحاسن: النجوم الأعشى ٣: ٣٣٧.

^٢ الزاهرة ١: ٦٧.

^٣ نفسه ٤: ٦٨.

^٤ نفسه ٤: ٦٣؛ نفسه ١: ٦٧؛ القلقشندي: صبح

عشر من صفر، وصُلِّيَ عليه خَلْفَ الْمُقْصُورَةِ، وَكُتِبَ عَلَيْهِ خَمْسًا. وَلَمْ يُعْلَمَ أَحَدٌ قَبْلَهُ صُلِّيَ عَلَيْهِ فِي الْجَامِعِ^١.

وَذَكَرَ عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ فِي «تَارِيخِ الْمَدِينَةِ» أَنَّ أَوَّلَ مَنْ عَمِلَ مَقْصُورَةً بَلَدِي عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَكَانَتْ فِيهَا كُوفِي تَنْظُرُ النَّاسِ مِنْهَا إِلَى الْإِمَامِ، وَأَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَمِلَهَا بِالسَّجَّاجِ.

قال القُضَاعِيُّ: وَلَمْ تُكُنِ الْجُمُعَةُ تُقَامُ فِي زَمَنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِشَيْءٍ مِنْ أَرْضِ مِصْرٍ إِلَّا فِي هَذَا الْجَامِعِ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يُونُسَ: جَاءَ نَفَرٌ مِنْ غَافِقٍ^(a) إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالُوا: إِنَّا نَكُونُ فِي الرَّيْفِ فَتَجْمَعُ فِي الْعِيدَيْنِ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى، وَيُؤْمِنُنَا رَجُلٌ مِنَّا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالُوا: فَالْجُمُعَةُ؟ قَالَ: لَا، وَلَا يُصَلِّي الْجُمُعَةَ بِالنَّاسِ إِلَّا مِنْ أَقَامِ الْحُدُودَ، وَأَتَخَذَ بِالذُّنُوبِ، وَأَعْطَى الْحُقُوقَ^٢.

وأوَّلُ مَنْ زَادَ فِي هَذَا الْجَامِعِ مَسْلَمَةَ بْنَ مَخْلَدٍ الْأَنْصَارِي سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ أَمِيرُ مِصْرٍ مِنْ قِبَلِ مَعَاوِيَةَ^٣. قَالَ الْكِنْدِيُّ فِي كِتَابِ «أَخْبَارِ مَسْجِدِ أَهْلِ الرَّايَةِ»: وَلَمَّا ضَاقَ الْمَسْجِدُ بِأَهْلِهِ، سُكِّيَ ذَلِكَ إِلَى مَسْلَمَةَ بْنِ مَخْلَدٍ - وَهُوَ الْأَمِيرُ يَوْمَئِذٍ - فَكَتَبَ فِيهِ إِلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ بِالزِّيَادَةِ فِيهِ. فَزَادَ فِيهِ مِنْ شَرْقِيهِ مِمَّا يَلِي دَارَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَزَادَ فِيهِ مِنْ بَعْرِيهِ، وَلَمْ يُحَدِّثْ فِيهِ حَدَثًا مِنَ الْقِبْلِيِّ وَلَا مِنَ الْغَرْبِيِّ، / وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ، وَجَعَلَ لَهُ رَحْبَةً فِي الْبَحْرِيِّ مِنْهُ كَانَ النَّاسُ يُصَيِّفُونَ فِيهَا، وَلَا طَةَ بِالنُّورَةِ، وَزَخْرَفَ جُدْرَانَهُ وَسُقُوفَهُ - وَلَمْ يَكُنِ الْمَسْجِدُ الَّذِي لِعَمْرِو جُعِلَ فِيهِ نُورَةٌ وَلَا زُخْرُفٌ - وَأَمَرَ بِإِثْنَاءِ مَنَارِ الْمَسْجِدِ الَّذِي فِي الْفُسْطَاطِ، وَأَمَرَ أَنْ يُؤذَّنُوا فِي وَقْتِ وَاحِدٍ، وَأَمَرَ مُؤذَّنِي الْجَامِعِ أَنْ يُؤذَّنُوا لِلْفَجْرِ إِذَا مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ، فَإِذَا فَرَّغُوا مِنْ أَذَانِهِمْ أَذَّنَ كُلُّ مُؤذِّنٍ فِي الْفُسْطَاطِ فِي وَقْتِ وَاحِدٍ، قَالَ ابْنُ لَهْيَعَةَ: فَكَانَ لِأَذَانِهِمْ دَوِيٌّ شَدِيدٌ.

(a) بولاق: بحائق.

^٣ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٦٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ٦٨، وانظر كذلك، ابن عبد الحكم: فتوح مصر

^١ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٦٣؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ٦٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٣٨.

^٢ ابن يونس: تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين)

٣٧٥؛ السيوطي: حسن المحاضرة ٢: ٢٣٨.

فقال عابد بن هشام الأزدي - ثم السلامي - لمسلمة بن مخلد :

[الوافر]

لقد مدت لمسلمة الليالي
وساعده الزمان بكل سعدي
أمسلم فازتقي لا زلت تغلو
لقد أحكمت مسجدنا فأضحى
قباة به البلاد وساكنوها
وكم لك من مناقب صالحات
كان تجاوب الأصوات فيها
كصوت الرعد خالطة دوي
على زعم العداة مع الأمان
وبلغة البعيد من الأمان
على الأيام مسلم والزمان
كأحسن ما يكون من المباني
كما تاهت بزيتها الغواني
وأجدل بالصوامع للأذان
إذا ما الليل ألقى بالجران
وأزعب كل مختطف الجنان

وقيل إن معاوية أمره ببناء الصوامع للأذان ^١.

قال : وجعل مسلمة للمسجد الجامع أربع صوامع في أركانه الأربع ، وهو أول من جعلها فيه ، ولم تكن قبل ذلك . قال : وهو أول من جعل فيه الحضر ، وإنما كان قبل ذلك مفروشا بالحصباء ، وأمر ألا يضرب بناقوس عند الأذان - يعني الفجر ^٢ - وكان السلم الذي يصعد منه المؤذنون في الطريق حتى كان خالد بن سعيد فحوّله داخل المسجد .

قال القاضي القضاعي : ثم إن عبد العزيز بن مروان هدمه في سنة تسع وسبعين من الهجرة - وهو يومئذ أمير مصر من قبل أخيه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان - وزاد فيه من ناحية الغرب ، وأدخل فيه الرخبة التي كانت في بحريه ، ولم يجد في شرقيه موضعا يوسع به ^٣ . وذكر أبو عمر الكندي في كتاب «الأمراء» أنه زاد فيه من جوانبه كلها ^٤ .

ويقال : إن عبد العزيز بن مروان لما أكمل بناء المسجد ، خرج من دار الذهب عند طلوع الفجر ، فدخل المسجد فرأى في أهله خيفة ، فأمر بأخذ الأبواب على من فيه ، ثم دعا بهم رجلا رجلا ، فيقول للرجل : ألك زوجة ؟ فيقول : لا ، فيقول : زوجه ، ألك خادم ؟ فيقول : لا ، فيقول : اخدموه ، أحججت ؟ فيقول : لا ، فيقول : أحجوه ، أعليك دين ؟

^١ راجع ، فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الزاهرة ١ : ٦٨ ؛ وانظر كذلك فيما يلي ٢ : ٢٧٣ .

^٢ نفسه ٤ : ٦٢ ؛ نفسه ١ : ٦٨ .

^٣ ذلك في سنة سبع وسبعين (الكندي : ولاية مصر ٧٣) .

^٤ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦٢ ؛ أبو المحاسن : النجوم

فيقول : نعم ، فيقول : اقضوا دينه . فأقام المسجد بعد ذلك دَهْرًا عامرًا ، ولم يزل إلى اليوم .
وذكر أن عبد الله بن عبد الملك بن مروان - في ولايته على مصر من قتل أخيه الوليد - أمر برفع
سقف المسجد الجامع - وكان مُطَاطَأً - وذلك في سنة تسع وثمانين ^١ .

ثم إن قُرَّة بن شريك العبسي هدمه مُستَهْلَ سنة اثنتين وتسعين بأمر الوليد بن عبد الملك - وهو
يومئذ أمير مصر من قبله - وابتدأ في بُنيانه في شعبان من السنة المذكورة ، وجعل على بنيائه يحيى
ابن حنظلة مولى بني عامر بن لؤي ، وكانوا يجمعون الجمعة في قيسارية العسل حتى فرغ من
بنيائه ، وذلك في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ، ونصب المنبر الجديد في سنة أربع وتسعين ^٢ .
وتزع المنبر الذي كان في المسجد . وذكر أن عمرو بن العاص كان جعله فيه ، فلعله بعد وفاة عمر
ابن الخطاب - رضي الله عنه - وقيل هو منبر عبد العزيز بن مروان ، وذكر أنه حمل إليه من بعض
كنائس مصر . وقيل إن زكريا بن بزقني ^(a) - ملك الثوبة - أهداه إلى عبد الله بن سعد بن أبي
سرح ، وبعث معه نجاره حتى ركبته ، واسم هذا النجار بقطر من أهل دندرة . ولم يزل هذا المنبر في
المسجد حتى زاد قُرَّة بن شريك في الجامع ، فنصب منبرًا سواه ، على ما تقدم شرحه ^٣ .

ولم يكن يُخطب في القرى إلا على العيصي ^(b) ، إلى أن ولي عبد الملك بن موسى بن نصير
اللخمي مصر ، من قبل مروان بن محمد ، فأمر باتخاذ المنابر في القرى وذلك في سنة اثنتين
وثلاثين ومائة . وذكر أنه لا يعرف منبرًا أقدم منه - يعني من منبر قُرَّة بن شريك - بعد منبر رسول
الله ﷺ . فلم يزل كذلك إلى أن قلع وكسر في أيام العزيز بالله بنظر الوزير يعقوب بن كلس ،
في يوم الخميس لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين وثلاث مائة ، وجعل مكانه منبر
مذهب . ثم أخرج هذا المنبر إلى الإسكندرية ، وجعل في جامع عمرو بها ، وأنزل إلى الجامع المنبر
الكبير الذي هو به الآن ، وذلك في أيام الحاكم بأمر الله في شهر ربيع الأول سنة خمس وأربع مائة .

وصرف بنو عبد السميع عن الخطابة ، وجعلت خطابة الجامع العتيق لجعفر بن الحسن ابن
خداع الحسيني ، وجعل إلى أخيه الخطابة بالجامع الأزهر . وصرف بنو عبد السميع بن عمر ابن

(a) في صبح الأعشى : مرقيا . (b) بولاق : العصا .

^١ الكندي : ولاية مصر ٨١ ؛ ابن دقماق : الانتصار عبد الحكم : فتوح مصر ١١٣١ ؛ ابن يونس : تاريخ ابن يونس
المصري (تاريخ الغرباء) ١٧٥-١٧٦ .

^٢ نفسه ٨٦ ؛ نفسه ٤ : ٦٣ ؛ نفسه ١ : ٦٩ ؛ ابن
^٣ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦٣ - ٦٤ ؛ أبو المحاسن :

الحُسَيْن/ بن عبد العزيز بن عبد الله بن عُبيد الله بن العَبَّاس من جميع المنابر ، بعد أن أقاموا هم
وسلفهم فيها ستين سنة .

وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة وُجِدَ المُنْبَرُ الجَدِيدُ الذي نُصِبَ في الجامع قد لُطِّخَ بِعَدِيرَةٍ ،
فَوُكِّلَ بِهِ مَنْ يَحْفَظُهُ ، وَعَمِلَ لَهُ غِشَاءٌ مِنْ أَدَمٍ مُذَهَّبٍ فِي شَعْبَانٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَخَطَبَ عَلَيْهِ ابْنُ
خِدَاعٍ وَهُوَ مُعَشَّى .

وزيادة قُرَّة من القبلي والشرقي ، وَأَخَذَ بَعْضَ دَارِ عَمْرٍو وَابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو فَأَدَخَلَهُ فِي
المَسْجِدِ ، وَأَخَذَ مِنْهُمَا الطَّرِيقَ الَّذِي بَيْنَ المَسْجِدِ وَبَيْنَهُمَا ، وَعَوَّضَ وَوَلَدَ عَمْرٍو مَا هُوَ فِي أَيْدِيهِمْ
اليوم من الرباع ، وَأَمَرَ قُرَّةً بِعَمَلِ المِحْرَابِ المَجُوفِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ شَرْحُهُ ؛ وَهُوَ المِحْرَابُ المَعْرُوفُ
بِعَمْرٍو ، لِأَنَّهُ فِي سَمْتِ مِحْرَابِ المَسْجِدِ القَدِيمِ الَّذِي بَنَاهُ عَمْرٍو .

وكانت قبلة المسجد القديم عند العُمد المذَهَّبة في صَفِّ التَّوَابِيَتِ اليَوْمِ ، وَهِيَ أَرْبَعَةُ عُمُدٍ :
اثنان في مقابلة اثنين ، وَكَانَ قُرَّةً أَذْهَبَ رُغُوسَهَا ، وَكَانَتْ مَجَالِسَ قَيْسَ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي المَسْجِدِ
عُمُدٌ مُذَهَّبةٌ غَيْرَهَا ، وَكَانَتْ قَدِيمًا حَلَقَةً أَهْلَ المَدِينَةِ ، ثُمَّ زُوِّقَ أَكْثَرَ العُمُدِ وَطُوِّقَ فِي أَيَّامِ الإخْشِيدِ
سنة أربع وعشرين وثلاث مائة^١ . وَلَمْ يَكُنْ لِلجَامِعِ أَيَّامَ قُرَّةَ بْنِ شَرِيكٍ غَيْرَ هَذَا المِحْرَابِ ، فَأَمَّا
المِحْرَابُ الأَوْسَطُ المَوْجُودُ اليَوْمِ ، فَعُرِفَ بِمِحْرَابِ عُمَرَ بْنِ مَرْوَانَ عَمَّ الخُلَفَاءَ ، وَهُوَ أَخُو عَبْدِ المَلِكِ
وَعَبْدِ العَزِيزِ ، وَلَعَلَّهُ أُحْدِثَهُ فِي الجِدَارِ بَعْدَ قُرَّةَ . وَقَدْ ذَكَرَ قَوْمٌ أَنَّ قُرَّةً عَمِلَ هَذِينَ المِحْرَابِينَ^٢ .

وصار للجوامع أربعة أبواب ، وَهِيَ الأَبْوَابُ المَوْجُودَةُ فِي شَرْقِيهِ الآنَ ، وَأَخْرَجَهَا بَابُ إِسْرَائِيلَ
وَهِوَ بَابُ النَّحَّاسِينَ . وَفِي غَرْبِيهِ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ شَارِعَةٌ فِي رُقَاقٍ كَانَ يُعْرَفُ بِرُقَاقِ البَلَاطِ ، وَفِي
بَحْرِيهِ ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ^٣ .

وَبُنِيَ المَالُ الَّذِي فِي عُلُوِّ القَوَّازَةِ بِالجَامِعِ بِنَاءُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ التَّنُوخِيِّ ، مُتَوَلَّى الخَرَّاجِ بِمِصْرَ ، سَنَةَ
سَبْعٍ وَتِسْعِينَ فِي أَيَّامِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ ، وَأَمِيرُ مِصْرَ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ رِفَاعَةَ الفَهْمِيِّ ،
وَكَانَ مَالُ المُسْلِمِينَ فِيهِ^٤ .

الحسين الثشابة ابن جعفر بن أحمد بن محمد بن إسماعيل
ابن محمد الأزقط بن عبد الله .

^٣ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦٣ ؛ أبو المحاسن : النجوم
الزاهرة ١ : ٧١ .

^٤ نفسه ٤ : ٦٤ ؛ نفسه ١ : ٧١ ، وانظر كذلك =

= النجوم الزاهرة ١ : ٦٩ - ٧٠ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى

٣ : ٣٣٨ ؛ وراجع ، فريد شافعي : العمارة العربية ٦٢٤ - ٦٣٥ .

^١ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦٤ ، أبو المحاسن : النجوم

الزاهرة ١ : ٧٠ - ٧١ .

^٢ حاشية بخط المؤلف : «ابن خيداع هو أبو القاسم

وَطُرِقَ الْمَسْجِدُ فِي لَيْلَةٍ^(a) سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةً فِي وِلايَةِ يَزِيدَ بْنِ حَاتِمِ الْمُهَلَّبِيِّ مِنْ قِبَلِ الْمَنْصُورِ، طَرَفَهُ قَوْمٌ مِمَّنْ كَانَ بَايَعَ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنَ بْنِ حَسَنَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَكَانَ أَوَّلَ عَلَوِيِّ قَدِيمٍ مِصْرَ - فَتَهَبُوا بَيْتَ الْمَالِ، ثُمَّ تَضَارَبُوا عَلَيْهِ بِسُيُوفِهِمْ، فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِمْ مِنْهُ إِلَّا الْيَسِيرُ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِمْ يَزِيدُ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً، وَأَنْهَزَمُوا^١. وَذُكِرَ أَنَّ هَذَا الْمَكَانَ تَسَوَّرَ عَلَيْهِ لِحُصْنٍ فِي إِمَارَةِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ، وَسَرَقَ مِنْهُ بَدْرَتِي دَنَانِيرَ. فَظَفِرَ بِهِ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ وَاصْطَنَعَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

وَفِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، أَمَرَ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ بِعَمَلِ الْفَوَّارَةِ تَحْتَ قُبَّةِ بَيْتِ الْمَالِ، فَعَمِلَتْ. وَفَرِغَ مِنْهَا فِي شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ.

ثُمَّ زَادَ فِيهِ صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَهُوَ يَوْمئِذٍ أَمِيرُ مِصْرَ مِنْ قِبَلِ أَبِي الْعَبَّاسِ السُّفَّاحِ - فِي مُؤَخَّرِهِ أَرْبَعَ أَسَاطِينٍ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ وَلِيَ مِصْرَ لِبَنِي الْعَبَّاسِ، فَيُقَالُ: إِنَّهُ أَدْخَلَ فِي الْجَامِعِ دَارَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَكَانَتْ غَرْبِي دَارِ النَّحَّاسِ. وَكَانَ الزُّبَيْرُ تَخَلَّى عَنْهَا، وَوَهَبَهَا لِمَوَالِيهِ لِحُصُومَةِ جَرَّتَ بَيْنَ غِلْمَانِهِ وَغِلْمَانِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ، وَاخْتَطَّ الزُّبَيْرُ فِيمَا يَلِي الدَّارَ الْمَعْرُوفَةَ بِهِ الْآنَ. ثُمَّ اشْتَرَى عَبْدُ الْعَزِيزِ ابْنَ مَرْوَانَ دَارَ الزُّبَيْرِ مِنْ مَوَالِيهِ، فَقَسَمَهَا بَيْنَ ابْنَيْهِ^(b) الْأَصْبَغِ وَأَبِي بَكْرٍ. فَلَمَّا قَدِمَ صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ، أَخَذَهَا عَنْ أُمِّ عَاصِمِ بِنْتِ عَاصِمِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَعَنْ طِفْلِ يَتِيمٍ - وَهُوَ حَسَّانُ بْنُ الْأَصْبَغِ - فَأَدْخَلَهَا فِي الْمَسْجِدِ؛ وَبَابُ الْكَعْجَلِ مِنْ هَذِهِ الزِّيَادَةِ، وَهُوَ الْبَابُ الْخَامِسُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَامِعِ الشَّرْقِيَّةِ الْآنَ. وَعَمَّرَ صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ أَيْضًا مُقَدِّمَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ عِنْدَ الْبَابِ الْأَوَّلِ مَوْضِعَ الْبَلَاطَةِ الْحَمْرَاءِ^٢.

ثُمَّ زَادَ فِيهِ مُوسَى بْنُ عَيْسَى الْهَاشِمِيُّ - وَهُوَ يَوْمئِذٍ أَمِيرُ مِصْرَ مِنْ قِبَلِ الرَّشِيدِ - فِي شَعْبَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ، الرَّحْبَةَ الَّتِي فِي مُؤَخَّرِهِ، وَهِيَ نِصْفُ الرَّحْبَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِأَبِي أَيُّوبٍ^٣. وَلَمَّا ضَاقَ الطَّرِيقُ بِهَذِهِ الزِّيَادَةِ أَخَذَ مُوسَى بْنُ عَيْسَى دَارَ الرَّبِيعِ بْنِ سَلِيمَانَ الزُّهْرِيَّ، شَرِكَةَ بَنِي مِسْكِينَ،

(a) فِي النِّسْخِ: وَطُرِقَ فِي لَيْلَةِ الْمَسْجِدِ. (b) بُولَاقُ: ابْنُهُ.

^٢ نَفْسُهُ ٤: ٦٥.

= ابْنُ رِسْتَةَ: الْأَعْلَاقُ النَّفِيسَةُ ١١٦.

^٣ الْكَنْدِيُّ: وِلاَةُ مِصْرَ ١٥٨؛ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ: فَتُوحُ مِصْرَ ١٣٢.

^١ ابْنُ دِقْمَاقٍ: الْإِتِّصَارُ ٤: ٦٥.

بغير عَوْضٍ لِلرَّبِيعِ ، وَوَسَّعَ بِهَا الطَّرِيقَ ، وَعَوَّضَ بَنِي مَسْكِينِ [الْحَوَانِيتِ الْمَلَاصِيقَةَ لِدَارِ خَلْفِ الْكِنْدِيِّ] ^(a) .^١

وَوَصَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُضْعَبٍ ، مَوْلَى خُزَاعَةَ ، أَمِيرًا مِنْ قِبَلِ الْمَأْمُونِ ، فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ مُسْتَهْلًا صَفَرَ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ ، وَرَجَعَ إِلَى الْقُسْطَاطِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَأَمَرَ بِالزِّيَادَةِ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، فَزِيدَ فِيهِ مِثْلُهُ مِنْ غَزْبِيهِ . وَعَادَ ابْنُ طَاهِرٍ إِلَى بَغْدَادَ لِحَمْسِ بَقِيْنَ مِنْ رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ .^٢

وَكَانَتْ زِيَادَةُ ابْنِ طَاهِرِ الْمِحْرَابِ الْكَبِيرِ وَمَا فِي غَزْبِيهِ إِلَى حَدِّ زِيَادَةِ الْخَازِنِ . فَأَدْخَلَ فِيهِ الرُّقَاقَ الْمَعْرُوفَ - كَانَ ^(b) - بِرُقَاقِ الْبَلَاطِ ، وَقِطْعَةً كَبِيرَةً مِنْ دَارِ الرَّمْلِ ، [حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهَا غَيْرُ دَارِ الضَّرْبِ الْيَوْمَ وَقَيْسَارِيَّةِ بَدْرٍ وَالْمَيْضَاءِ وَزَادَ فِيهِ] ^(a) وَرَحْبَةً كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْ دَارِ الرَّمْلِ ^٣ ، وَدُورًا ذَكَرَهَا الْقَضَاعِيُّ .

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ مَوْضِعَ قُسْطَاطِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ حَيْثُ الْمِحْرَابُ وَالْمَيْتَرُ ، قَالَ : وَكَانَ الَّذِي تَمَّمَ زِيَادَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، بَعْدَ مَسِيرِهِ إِلَى بَغْدَادَ ، عَيْسَى بْنُ يَزِيدِ الْجَلُودِيِّ . وَتَكَامَلَ ذَرْعُ الْجَامِعِ ، سِوَى الزِّيَادَتَيْنِ ، مِائَةً وَتِسْعِينَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْعَمَلِ طُولًا فِي مِائَةٍ وَخَمْسِينَ ذِرَاعًا عَرْضًا . وَيُقَالُ إِنَّ ذَرْعَ جَامِعِ ابْنِ طُولُونَ مِثْلَ ذَلِكَ ، سِوَى الرُّوَقِ الْمَحِيطِ بِجَوَانِبِهِ الثَّلَاثَةِ .

وَنَصَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرِ اللَّوْحَ الْأَخْضَرَ ، فَلَمَّا اخْتَرَقَ / الْجَامِعُ اخْتَرَقَ ذَلِكَ اللَّوْحَ . فَجَعَلَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعُجَيْفِيُّ هَذَا اللَّوْحَ مَكَانَ ذَلِكَ ، وَهُوَ هَذَا اللَّوْحُ الْأَخْضَرُ الْبَاقِي إِلَى الْيَوْمِ ^٤ . وَرَحْبَةُ الْحَارِثِ هِيَ الرَّحْبَةُ الْبَحْرِيَّةُ مِنْ زِيَادَةِ الْخَازِنِ ، وَكَانَتْ رَحْبَةً يَتَّبَعُ النَّاسُ فِيهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ .^٥

(a) العبارة زيادة من ابن دقماق . (b) بولاق : أولاً .

^١ المقرئ ي نقل من كتاب الكندي المفقود وأخبار مسجد أهل الرأية الأعظم .

^١ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦٥ .

^٢ الكندي : ولاة مصر ٢٠٧-٢٠٨ .

^٤ نفسه ٤ : ٦٦ .

^٣ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦٥-٦٦ وهو نص أكثر

^٥ نفسه ٤ : ٦٦ .

تفصيلاً ، وابن عبد الحكم : فتوح مصر ١٣٢ . وواضح أن

وذكر أبو عمر الكندي في كتاب «الموالي» أن أبا عمرو الحارث بن مسكين بن محمد ابن يوسف - مولى محمد بن ريان بن عبد العزيز بن مروان - لما ولي القضاء من قبل المتوكل على الله في سنة سبع وثلاثين ومائتين، أمر ببناء هذه الرحبة ليتسع الناس بها، وحول سلم المؤذنين إلى غربي المسجد وكان عند باب إسرائيل، وبلط زيادة ابن طاهر، وأصلح بئيان الشقف، وبنى سقاية في الحدائين، وأمر ببناء الرحبة الملاصقة لدار الضرب ليتسع الناس بها^١.

وزيادة أبي أيوب أحمد بن محمد بن شعاع بن أخت أبي الوزير أحمد بن خالد صاحب الخراج في أيام المعتصم. كان أبو أيوب هذا أحد عمال الخراج زمن أحمد بن طولون، وزيادته في بقية الرحبة المعروفة برحبة أبي أيوب، والحراب المنسوب إلى أبي أيوب هو الغربي من هذه الزيادة عند شبك الحدائين، وكان بناؤها في سنة ثمان وخمسين ومائتين. ويقال: إن أبا أيوب مات في سجن أحمد بن طولون بعد أن نكبه واضطفى أمواله، وذلك في سنة ست وستين ومائتين. وأدخل أبو أيوب في هذه الزيادة أماكن ذكرها^٢.

قال: وكان قد وقع في مؤخر المسجد الجامع حريق، فعمر وزيدت هذه الزيادة في أيام أحمد ابن طولون. ووقع في الجامع، في ليلة الجمعة لتسع نخلون من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين، حريق أخذ من بعد ثلاث خنايا من باب إسرائيل إلى رحبة الحارث بن مسكين، فهلك فيه أكثر زيادة عبد الله بن طاهر، والرواق الذي عليه اللوح الأخضر. فأمر خمارويه بن أحمد بن طولون بعمارته على يد أحمد بن محمد العجيفي، فأعيد على ما كان عليه، وأنفق فيه ستة آلاف وأربع مائة دينار، وكُتب اسم خمارويه في دائر الرواق الذي عليه اللوح الأخضر، وهي موجودة الآن، وكانت عمارته في السنة المذكورة^٣.

وأمر عيسى الثوري، في ولايته الثانية على مصر في سنة أربع وتسعين ومائتين، بإغلاق المسجد الجامع فيما بين الصلوات. فكان يُفتح للصلاة فقط، وأقام على ذلك أياماً، فضج أهل المسجد ففتح لهم^٤.

وزاد أبو حفص العباسي، في أيام نظره في قضاء مصر خلافة لأخيه محمد، العرفة التي يؤذن فيها المؤذنون في السطح. وكانت ولايته في رجب من سنة ست وثلاثين وثلاث مائة، وكان إمام

^١ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٦٧.

^٢ الكندي: ولاية مصر ٢٨٥.

^٣ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٦٦.

^٤ نفسه ٤: ٦٧ حيث أورد أسماء هذه الأماكن.

مصر والحرمين وإليه إقامة الحج . ولم يزل قاضيًا بمصر خلافة لأخيه ، إلى أن صُرف من القضاء بالخصيبي في ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وثلاث مائة ، وتوفي في سنة اثنتين وأربعين وثلاث مائة بعد قدومه من الحج^١ .

ثم زاد فيه أبو بكر محمد بن عبد الله الخازن رواقًا واحدًا من دار الضرب - وهو الرواق ذو المحراب والشبّاكين ، المتصل برحبة الخارث ، ومقداره تسع أذرع - وكان ابتداء ذلك في رجب سنة سبع وخمسين وثلاث مائة ، ومات قبل تمام هذه الزيادة ، وتممها ابنه علي بن محمد ، وفرغت في العشر الآخر من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلاث مائة^٢ .

وزاد فيه الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلّس ، بأمر العزيز بالله ، الفوّارة التي تحت قبة بيت المال - وهو أول من عمّل فيه فوّارة - وزاد فيه أيضًا مساقف الخشب المحيطة بها ، على يد المعروف بالمقدسي الأطروش متولي مسجد بيت المقدس ، وذلك في سنة ثمان وسبعين وثلاث مائة ، ونصب فيها الحباب الرخام التي للماء^٣ .

وفي سنة سبع وثمانين وثلاث مائة جدد بياض المسجد الجامع ، وقُلع شيء كثير من الفسيفساء الذي كان في أروقته ، وبُيَض مواضعه ، ونُقِشت خمسة ألواح وذهبت ، ونُصبت على أبوابه الخمسة الشرقية ، وهي التي عليها الآن . وكان ذلك على يد بروجوان الخادم ، وكان اسمه ثابتًا في الألواح فقلع بعد قتله^٤ .

(١) وقال أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن زولاق : أول تنور عمّل في الجامع العتيق ، تنور أبي زُرعة محمد بن عثمان بن القاضي ، كان يُوقد كل ليلة جمعة سنة سبع وثمانين ومائتين ، ثم تنور أبي بكر محمد بن علي الماذرائي سنة ثلاث وثلاث مائة ، ثم تنور أخيه أبي الطيب أحمد بن علي سنة ثلاث وثلاث مائة ، ثم تنور ذكا أمير مصر سنة خمس وثلاث مائة ، ثم تنور تكين أمير مصر سنة ست عشرة وثلاث مائة ، ثم تنور محمد بن عبد الله الخازن باسم الأمير أبي القاسم أونجور ابن الإخشيد سنة تسع وأربعين وثلاث مائة ، ثم تنور الوزير يعقوب بن يوسف بن كلّس سنة ثمان وسبعين وثلاث مائة ، ثم تنور جاريتته سنة ثمان وسبعين وثلاث مائة^(a) .

(a-a) هذه الفقرة ساقطة من بولاق وهي موجودة في هامش نسخة آياصوفيا .

^١ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦٧-٦٨ .

^٣ نفسه ٤ : ٦٨ .

^٢ نفسه ٤ : ٦٨ .

^٤ نفسه ٤ : ٦٨ وذلك في أيام الحاكم بأمر الله .

وقال المُسَبِّحِي في «تاريخه»: وفي سنة ثلاث وأربع مائة أُنزل من القصر إلى الجامع العتيق بألف ومائتين وثمانية وتسعين مَصْحَفًا ما بين خَتَمَاتٍ وَرَبْعَاتٍ، فيها ما هو مَكْتُوبٌ كُلُّهُ بِالذَّهَبِ، وَمُكَنَّ النَّاسُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِيهَا. وَأُنزِلَ إِلَيْهِ أَيْضًا بَثُورٌ مِنْ فِضَّةٍ عَمِلَهُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ بِرِسْمِ الْجَامِعِ، فِيهِ مِائَةٌ أَلْفَ دِرْهَمٍ فِضَّةً. فَاجْتَمَعَ النَّاسُ، وَعُلِّقَ بِالْجَامِعِ بَعْدَ أَنْ قُلِعَتْ عَتَبَاتُ الْبَابِ حَتَّى أُدْخِلَ بِهِ. وَكَانَ مِنَ اجْتِمَاعِ النَّاسِ لِدَلِّكَ مَا يَتَجَاوَزُ الْوَصْفَ^١.

قال القَضَاعِي: وَأَمَرَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ بِعَمَلِ الرُّوَاقِينَ الَّذِينَ فِي صَخْنِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، وَقَلَعَ الْعُمْدَ الْخَشَبَ وَالْجِسْرَ الْخَشَبَ الَّتِي كَانَتْ هُنَاكَ، وَذَلِكَ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ سِتِّ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ. وَكَانَتْ الْعُمْدُ وَالْجِسْرُ قَدْ نَصَبَهَا أَبُو أَيُّوبَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شُجَاعٍ، فِي سَنَةِ سَبْعِ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ، زَمَنَ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ. لِأَنَّ الْحَرَ اشْتَدَّ عَلَى النَّاسِ فَشَكُوا ذَلِكَ إِلَى ابْنِ طُولُونَ، فَأَمَرَ بِنَضْبِ الْعُمْدِ الْخَشَبِ، وَجَعَلَ عَلَيْهَا الشُّتَائِرَ فِي السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ.

وَكَانَ الْحَاكِمُ قَدْ أَمَرَ بِأَنْ تُذَهَنَ هَذِهِ الْعُمْدُ الْخَشَبَ بِذَهْنٍ أَحْمَرَ وَأَخْضَرَ فَلَمْ يَثْبُتْ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِقَلْعِهَا، وَجَعَلَهَا بَيْنَ الرُّوَاقِينَ، [فَكُمِّلَ بِهِمَا عِدَّةَ الرُّوَاقَاتِ الْمَوْجُودَةِ الْآنَ، وَهِيَ: سَبْعَةٌ فِي مَقْدَمِهِ، وَسَبْعَةٌ فِي مُؤَخَّرِهِ، وَخَمْسَةٌ فِي شَرْقِيهِ، وَخَمْسَةٌ فِي غَرْبِيهِ]^(a)^٢.

وَأَوَّلُ مَا عُمِلَتْ الْمَقَاصِيرُ فِي الْجَوَامِعِ فِي أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ. وَلَعَلَّ قُرَّةَ ابْنِ شَرِيكَ لَمَّا بَنَى الْجَامِعَ بِمِصْرَ عَمِلَ الْمَقْصُورَةَ.

/وفي سنة إحدى وستين ومائة أمر المهدي بنزح المقاصير من مساجد الأمصار، وبتقصير المناير، فجعلت على مقدار منبر رسول الله ﷺ، ثم أعيدت بعد ذلك.

ولما ولي مضر موسى بن أبي العباس من أهل الشاش من قِبَلِ أَبِي جَعْفَرِ أَشْنَسَ، أَمَرَ الْمُعْتَصِمُ أَنْ يَخْرُجَ الْمُؤَدَّنُونَ إِلَى خَارِجِ الْمَقْصُورَةِ - وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أُخْرِجَهُمْ - وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يُؤَدَّنُونَ دَاخِلِهَا^٣.

ثم أمر الإمام المُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ بْنِ الظَّاهِرِ بِعَمَلِ الْحَجَرِ الْمَقَابِلِ لِلْمِحْرَابِ، وَبِالزِّيَادَةِ فِي الْمَقْصُورَةِ فِي شَرْقِيهَا وَغَرْبِيهَا حَتَّى اتَّصَلَتْ بِالْحَدَّائِينَ^(c) مِنْ جَانِبَيْهَا، وَبِعَمَلِ مِئْطَقَةِ فِضَّةٍ فِي صَدْرِ الْمِحْرَابِ

(a) هذه العبارة زيادة من ابن دقماق . (b) في الانتصار: ظاهرها . (c) في الانتصار: بالجدارين .

^١ المقرئ: اتعاط الحنفا ٢: ٩٦؛ وانظر كذلك فيما يلي نفسه ٤: ٦٨؛ وراجع: فريد شافعي، العمارة العربية

٦٤٩ - ٦٥١.

^٢ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٦٨.

الكبير أثبت عليها اسم أمير المؤمنين ، وجعل لعمودي الحراب أطواق فضة . وجرى ذلك على يد عبد الله بن محمد بن عبدون في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وأربع مائة^١ .

قال كاتبه^٢ : ولم تزل هذه المنطقة الفضة إلى أن استبد السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب على مملكة مصر - بعد موت الخليفة العاضد لدين الله - في محرم سنة سبع وستين وخمس مائة . فقلع مناطق الفضة من الجوامع بالقاهرة ومن جامع عمرو بن العاص بمصر ، وذلك في حادي عشر شهر ربيع الأول من السنة المذكورة^٣ .

قال القاضي : وفي شهر رمضان من سنة أربعين وأربع مائة ، جددت الخزانة التي في ظهر دار الضرب في طريق الشرطة مقابلة لظهر الحراب الكبير . وفي شعبان من سنة إحدى وأربعين وأربع مائة ، أذهب بقية الجدار القبلي حتى اتصل الإذهاب من جدار زيادة الخازن إلى المنبر ، وجرى ذلك على يد القاضي أبي عبد الله أحمد بن محمد بن يحيى بن أبي زكريا^٤ .

وفي شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وأربعين وأربع مائة ، عملت لموقف الإمام في زمن الصيف مقصورة خشب ومخرب ساج منقوش بعمودي صندل . وتقلع هذه المقصورة في الشتاء إذا صلى الإمام في المقصورة الكبيرة^٥ .

وفي شعبان سنة أربع وأربعين وأربع مائة ، زيد في الخزانة مجلس من دار الضرب وطريق المستحم ، وزخرف هذا المجلس وحسن^٦ ، وجعل فيه مخرب ، ورخم بالرخام الذي قلع من الحراب الكبير حين نصب عبد الله بن محمد بن عبدون منطقة الفضة في صدر الحراب الكبير^٧ . وجرى هذه الزيادة على يد القاضي أبي عبد الله أحمد بن محمد بن يحيى .

وفي ذي الحجة من سنة اثنتين وأربعين وأربع مائة ، عمّر القاضي أبو عبد الله أحمد بن محمد ابن أبي زكريا غرفة المؤذنين بالسطح وحسنها ، وجعل لها رؤسنا على صحن الجامع وجعل بعدها

(a) بولاق : قال مؤلفه .

^١ ابن دقماق : الانتصار : ٦٨-٦٩ .

^٤ نفسه : ٦٩ : ٤ .

^٢ المقرئ : السلوك : ١ : ٤٥ ؛ وفيما يلي ١٠٠ .

^٥ حاشية بخط المؤلف : « هذا المجلس يُعرف اليوم بقاعة

^٣ ابن دقماق : الانتصار : ٦٩ : ٤ ، وانظر ترجمة أبي عبد

الخطابة ؛ يجلس فيه الخطيب يوم الجمعة ومن يخرج للخطبة

والله أحمد بن محمد بن أبي زكريا ، المتوفى سنة ٤٥٣ هـ /

وإليه يدخل إذا خرج من الصلاة .

^٦ ابن دقماق : الانتصار : ٦٩ : ٤ .

^٧ ابن دقماق : الانتصار : ٦٩ : ٤ .

١٠٦١ م ، عند ، ابن حجر : رفع الإصر عن قضاة مصر ٧٥ .

تمرقًا يُنزل منه إلى بيت المال، وجعل للسطح مطلقًا من الخزانة المستجدة في ظهر الحراب الكبير، وجعل له مطلقًا آخر من الديوان الذي في رحبة أبي أيوب.

وفي شعبان من سنة خمس وأربعين وأربع مائة، بُنيت المئذنة التي فيما بين مئذنة عرفة والمئذنة الكبيرة، على يد القاضي أبي عبد الله أحمد بن أبي زكريا^٢. انتهى ما ذكره القاضي.

وفي سنة أربع وستين وخمس مائة تمكن الفريخ من ديار مصر وحكموا في القاهرة حكمًا جائرًا، وركبوا المسلمين بالأذى العظيم، وتيقنوا أنه لا حامي للبلاد من أجل ضعف الدولة، وانكشفت لهم عورات الناس. فجمع مؤري [Amaury] - ملك الفريخ - بالساحل جموعه، واشتجد قومًا قوى بهم عساكره، وسار إلى القاهرة من بلبيس بعد أن أخذها، وقتل كثيرًا من أهلها. فأمر شاور بن مجير السعدي - وهو يومئذ مستول على ديار مصر ووزارة للعايد - بإخراج مدينة مصر. فخرج إليها في اليوم التاسع من صفر من السنة المذكورة عشرون ألف قارورة نبط وعشرة آلاف مشعل مضممة بالنيران، وفُرقت فيها. ونزل مؤري [Amaury] بجموع الفريخ على بركة الحبش، فلما رأى دخان الحريق تحول من بركة الحبش، ونزل على القاهرة مما يلي باب البرقية، وقاتل أهل القاهرة وقد انحسر الناس فيها.

واستمرت النار في مصر أربعة وخمسين يومًا، والنهابة تهدم ما بها من المباني، وتحفر لأخذ الخبايا إلى أن بلغ مؤري [Amaury] قدوم أسد الدين شيركوه بعسكر من جهة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام، فرحل في سابع شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة، وتراجع المصريون شيئًا بعد شيء إلى مصر، وتشتت الجامع^٣.

فلما استتب السلطان صلاح الدين بمملكة مصر، بعد موت العايد، جدد الجامع العتيق بمصر في سنة ثمان وستين وخمس مائة، وأعاد صدر الجامع والحراب الكبير، ورحمه ورسم عليه اسمه، وجعل من^(a) سقاية قاعة الخطابة قصبة إلى السطح يرتفق بها أهل السطح، وعمر المنظرة التي تحت المئذنة الكبيرة وجعل لها سقاية، وعمر في كيف دار عمرو الصغرى البحري مما يلي

(a) بولاق : في .

^١ ابن دقماق : الانتصار : ٤ : ٦٩، وانظر وصف ابن زشتة لبيت^٢ نفسه ٤ : ٦٩.^٣ انظر تفصيل ذلك فيما تقدم ٢ : ١٤٢ - ١٤٦.

المال بالجامع الكبير بفسطاط مصر في الأطلاق النفيسة ١١٦.

الغربي قصبته أخرى إلى مُحاذاة السطح ، وجعل لها ممشاة من السطح إليها يرتفق بها أهل السطح ، وعمّر عُرفه الساعات وحُرّرت ؛ فلم تزل مستمرة إلى أثناء أيام الملك المعزّ الدين أيّك التركماني ، أول من ملك من المماليك ، وجدّد يياض الجامع ، وأزال شعثه ، وجلّى عمّده ، وأصلح رُخامه حتى صار جميعه مفروشًا بالرخام ، وليس في سائر أرضه شيءٌ بغير رُخام حتى تحت الحُصْر^١ .

ولما تقلّد قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهّاب بن الأعرّ أبي القاسم خلف بن رشيد/ الدين محمود بن بدر المعروف بابن بنت الأعرّ العلّائي الشافعي^٢ ، قضاء القضاة بالديار المصرية ونظر الأعباس في ولايته الثانية أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ، كشف الجامع بنفسه فوجد مؤخره قد مال إلى بحريه ، ووجد سورّه البحري قد مال ، وانقلب علوه عن سمت سفله ، ورأى في سطح الجامع عُرفًا كثيرةً مُحدثةً ، وبعضها مزخرف . فهدم الجميع ، ولم يدع بالسطح سوى عُرفه المؤذنين القديمة وثلاث خزائن لرؤساء المؤذنين لا غير . وجمع أرباب الخيرة ، فاتفق الرأي على إبطال جريان الماء إلى فوّارة الفسقية - وكان الماء يصل إليها من بحر النيل - فأمر بإبطاله لما كان فيه من الضرر على جذر الجامع ، وعمّر بعلات بالزيادة البحرية تشدّ جدار الجامع البحري ، وزاد في عمْد الزيادة ما قوى به البعلات المذكورة ، وسدّ شباكين كانا في الجدار المذكور ليتقوى بذلك ، وأنفق المصروف على ذلك من مال الأعباس^٣ .

وخشي أن يتداعى الجامع كله إلى السقوط ، فحدّث الصّاحب الوزير بهاء الدين عليّ ابن محمد بن سليم بن حنّا في مفاوضة السلطان في عمارة ذلك من بيت المال . فاجتمعوا مع السلطان الملك الظاهر بيبرس ، وسألاه في ذلك ، فرسم بعمارة الجامع . فهدم الجدار البحري من مقدّم الجامع - وهو الجدار الذي فيه اللوح الأخضر - وحطّ اللوح ، وأزيلت العمْد والقواصير العشر ، وعمّر الجدار المذكور ، وأعيدت العمْد والقواصير كما كانت ، وزيد في العمْد أربعة ، قرن بها أربعة مما هو تحت اللوح الأخضر والصفّ الثاني منه ، وفصل اللوح الأخضر أجزاء ، وجدّد غيره وأذهب ، وكتب عليه اسم السلطان الملك الظاهر ، وجلّيت العمْد كلها ، ويّض الجامع بأسره - وذلك في شهر رجب سنة ست وستين وست مائة -

^١ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦٩ .

٢٥٨ - ٢٦٣ .

^٢ انظر ترجمة عند ، ابن حجر : رفع الإصر ^٣ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦٠ - ٧٠ .

- وُضِي فِيهِ شَهْرَ رَمَضَانَ بَعْدَ فَرَاغِهِ ، وَلَمْ تَتَعَطَّلِ الصَّلَاةُ فِيهِ لِأَجْلِ عِمَارَةِ ١ .
- ولمَّا كَانَ فِي شَهْرِ سَنَةِ سَبْعِ وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، شَكَا قَاضِي القُضَاةِ [وَنَاطِرَ الأَخْبَاسِ] ^(a) تَقِيَّ الدِّينِ أَبُو القَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ بْنِ بِنْتِ الأَعَزِّ لِلسُّلْطَانِ المَلِكِ المُنْصُورِ قَلَاوُونَ ، سَوْءَ حَالِ جَامِعِ عَمْرُو بِمِصْرَ ، وَسَوْءَ حَالِ الجَامِعِ الأَزْهَرِ بِالقَاهِرَةِ ، وَأَنَّ الأَخْبَاسَ عَلَى أَسْوَأِ الأَحْوَالِ ، وَأَنَّ مَجْدَ الدِّينِ بْنِ الحَبَّابِ أَخْرَبَ هَذِهِ الجِهَةَ لَمَّا كَانَ يَتَحَدَّثُ فِيهَا ، وَتَقَرَّبَ بِجَزِيرَةِ الفِيلِ - الوَقْفِ الصَّلَاحِيِّ عَلَى مَدْرَسَةِ الشَّافِعِيَّةِ - إِلَى الأَمِيرِ عَلَمِ الدِّينِ الشُّجَاعِيِّ ، وَذَكَرَ لَهُ بِأَنَّ فِي أَطْيَانِهَا زِيَادَةً ، فَقَاسُوا مَا تَجَدَّدَ بِهَا مِنَ الرُّمَالِ وَجَعَلُوهُ لِلوَقْفِ ، وَأَقْطَعُوا الأَطْيَانَ القَدِيمَةَ الجَارِيَةَ فِي الوَقْفِ . وَتَقَرَّبَ أَيْضًا إِلَيْهِ بِأَنَّ فِي الأَخْبَاسِ زِيَادَةً ، مِنْ جَمَلَتِهَا بِالأَعْمَالِ الغَرِيبَةِ مَا مَبْلُغُهُ فِي السَّنَةِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَأَنَّ ذَلِكَ لِجِهَةِ عِمَارَةِ الجَامِعَيْنِ ، وَسَأَلَ السُّلْطَانَ فِي إِعَادَةِ ذَلِكَ وَإِبْطَالِ مَا أَقْطَعَ مِنْهُ . فَلَمْ يُجِبْ إِلَى ذَلِكَ وَأَمَرَ الأَمِيرَ حُسَامَ الدِّينِ طُرُنْطَايَ بِعِمَارَةِ الجَامِعِ الأَزْهَرِ ، وَالأَمِيرَ عِزَّ الدِّينِ الأَفْرَمَ بِعِمَارَةِ جَامِعِ عَمْرُو . فَحَضَرَ الأَفْرَمُ إِلَى الجَامِعِ بِمِصْرَ وَرَسَمَ عَلَى مُبَاشِرِي الأَخْبَاسِ ، وَكَشَفَ المَسَاجِدَ لِعَرَضٍ كَانَ فِي نَفْسِهِ ، وَبَيَّضَ الجَامِعَ وَجَرَّدَ نِصْفَ العُمْدِ الَّتِي فِيهِ ، فَصَارَ العَمُودُ نِصْفَهُ الأَسْفَلَ أَيْضًا وَبَاقِيَهُ بِحَالِهِ ، وَذَهَنَ وَاجِهَةَ غُرْفَةِ السَّاعَاتِ بِالسَّيْلِقُونَ ، وَأَجْرَى المَاءَ مِنَ البَيْتْرِ الَّتِي بِزُقَاقِ الأَقْفَالِ إِلَى فَسْقِيَّةِ الجَامِعِ ، وَرَمَى مَا كَانَ مِنَ الزِّيَادَاتِ مِنَ الأَثَرِيَّةِ ٢ .
- وَنَظَرَ العَوَامُّ بِهِ فِيمَا فَعَلَهُ بِالجَامِعِ ، فَصَارُوا يَقُولُونَ : «نَقَلَ الدِّيمَاسَ مِنَ البَحْرِ إِلَى الجَامِعِ» لِكُونِهِ ذَهَنَ الغُرْفَةِ بِالسَّيْلِقُونَ ، «وَأَلْبَسَ العَوَامِيْدَ لِلشَّيْخِ العُرْيَانِ» لِكُونِهِ جَرَّدَ نِصْفَهَا التَّحْتَانِي ، فَصَارَ أَيْضًا الأَسْفَلَ أَسْمَرَ الأَعْلَى ، كَمَا كَانَ الشَّيْخُ العُرْيَانُ ، فَإِنَّ نِصْفَهُ الأَسْفَلَ كَانَ مَسْشُورًا بِمِثْرٍ أَيْضًا وَأَعْلَاهُ عُرْيَانٌ ، وَلَمْ يَفْعَلْ بِالجَامِعِ سِوَى مَا ذُكِرَ .
- ولمَّا حَدَّثَتِ الزُّلْزَلَةُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِ مِائَةٍ ٣ تَشَعَّتِ الجَامِعُ ، فَاتَّفَقَ الأَمِيرَانِ بَيْبُوسُ الجَاشَنكِيَرِ - وَهُوَ يَوْمَئِذٍ أَسْتَاذُ المَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ - وَالأَمِيرُ سَلَارُ وَهُوَ نَائِبُ السُّلْطَنَةِ ، وَاليَهُمَا تَدْبِيرُ الدَّوْلَةِ ، عَلَى عِمَارَةِ الجَامِعَيْنِ بِمِصْرَ وَالقَاهِرَةِ . فَتَوَلَّى الأَمِيرُ رُكْنَ الدِّينِ بَيْبُوسُ عِمَارَةَ الجَامِعِ الحَاكِمِيِّ بِالقَاهِرَةِ ، وَتَوَلَّى الأَمِيرُ سَلَارُ عِمَارَةَ جَامِعِ عَمْرُو بِمِصْرَ .

(a) زيادة من ابن دقماق .

٣ انظر مصادر خبر هذه الزلزاله فيما يلي ١٠٣ هـ ٢ .

١ ابن دقماق : الانتصار : ٤ : ٧٠ .

٢ نفسه : ٤ : ٧٠ .

فاغتمد سلاز على كاتيه بذر الدين بن خطاب ، فهدم الحد البحري من سلم السطح إلى باب الزيادة البحرية والشرقية ، وأعادته على ما كان عليه ، وعمل بايئين جديدين للزيادة البحرية والغربية ، وأضاف إلى كل عمود من الصف الأخير المقابل للجدار الذي هدمه عمودًا آخر تقوية له ، وجرّد عمّد الجامع كلها ، ويّض الجامع بأسره ، وزاد في سقف الزيادة الغربية رواقين ، وبّلط سفل ما أسقف منها . وخرّب بظاهر مصر وبالقرافتين عدّة مساجد وأخذ عمدها ليُرخّم بها صحن الجامع ، وقلّع من رخام الجامع الذي كان تحت الحضر كثيرًا من الألواح الطوال ، ورَضّ الجميع عند باب الجامع المعروف بباب الشراريين ، فنقل من هناك إلى حيث شاءوا ، ولم يعمل منه في صحن الجامع شيء ألبتة ، وكان فيما نقل من ألواح الرخام ما طوله أربعة أذرع في عرض ذراع وسُدس ، ذهب بجميع ذلك ^١ .

ولما ولي علاء الدين بن بزوانة^٢ نيابة دار العدل ، قسّم جامعي مصر والقاهرة ، فجعل جامع القاهرة مع نبيه الدين بن الشعرتي ، وجامع عمرو مع بهاء/ الدين بن السكري ، فسقفت الزيادة البحرية الشرقية - وكانت قد جعلت حاصلاً للحضر - وجعل لها درابزين بين البابين يمتنع الجانبين من المار من باب الجامع إلى باب الزيادة المسلوكة منه إلى سوق النحاسين ، وبّلط أرضها ، ورَقَع^٣ بعض رخام صحن الجامع ، وبّلط بعض المجازات ، وعمل عضائد أعتاب تحوز الصحن عن مواضع الصلاة ^٢ .

ولما كان في شهر سنة ست وتسعين وست مائة اشترى الصاحب تاج الدين دارًا بسوق الأكتفانيين وهدمها ، وجعل مكانها سقاية كبيرة ورفعها إلى محاذاة سطح الجامع ، وجعل لها ممشى يتوصّل إليها من سطح الجامع ، وعمل في أعلاها أربعة بيوت يُرتفق بهم في الخلاء ومكانًا يرسم أزيار الماء العذب ، وهدم سقاية الغرفة التي تحت المئذنة المعروفة بالمنظرة وبنّاها بُرجًا كبيرًا من الأرض إلى العلوّ حيث كان أولًا ، وجعل بأعلى هذا البرج بيتًا مُرتفعًا يختصّ بالغرفة المذكورة كما كان أولًا ، وبيتًا ثانيًا من خارج الغرفة يُرتفق به من هو خارج الغرفة ممن يقرب منها ^٣ .

(a) بولاق : مروانة . (b) بولاق : رفع .

^٢ نفسه ٤ : ٧١ .

^١ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٧١ .

^٣ نفسه ٤ : ٧١ .

- وعمر القاضي صدر الدين أبو عبد الله محمد بن البارثباري سقايةً في ركن دار عمرو البحري الغربي من داره الصغرى بعدما كانت قد تهدمت ، فأعادها كأحسن ما كانت [وجعل بجوارها مزينة برسم الأزار ، وانتفع الناس بذلك كله] ^(a) . ثم إن الجامع تشعث ومالت قواصره ولم يتق إلا أن يسقط ^١ ؛ وأهل الدولة - بعد موت الملك الظاهر بزقوق - في شغل من اللهو عن عمل ذلك ؛ فانتدب الرئيس بوهان الدين إبراهيم بن عمر بن علي المحلي ، رئيس التجار يومئذ بديار مصر ، لعمارة الجامع بنفسه وذويه ، وهدم صدر الجامع بأسره فيما بين الحراب الكبير إلى الصحن طولاً وعرضاً ، وأزال اللوح الأخضر وأعاد البناء كما كان أولاً ، وجدد لוחاً أخضر بدل الأول ونصبه كما كان - وهو الموجود الآن - وجرد العمدة كلها ، وتبع جذر الجامع فرم شعثها كله ، وأصلح من رحام الصحن ما كان قد فسد ، ومن الشقوق ما كان قد وهى ، وبيض الجامع كله . فجاء ^{١٠} كما كان ، وعاد جديداً بعدما كاد أن يسقط لولا أقام الله - عز وجل - هذا الرجل - مع ما عرف من شحّه وكثرة ضنّته بالمال - حتى عمره . فشكر الله سعّيته ، وبيض مَحْيَاه . وكان انتهاء هذا العمل في سنة أربع وثمان مائة ، ولم يتعطل منه صلاة الجمعة ولا جماعة في مدة عمارته ^٢ .
- ^(b) وذكر ابن جبّير في «رحلته» أن بجامع عمرو بن العاص يُنْفَقُ عليه كل يوم نحو الثلاثين ديناراً مصرية في مصالحه ، وذلك في سنة ثمان وسبعين وخمس مائة ^(b) ^٣ .
- ^{١٥} قال ابن المتّوج : إن ذرع هذا الجامع اثنان وأربعون ألف ذراع بذراع [عمل] ^(a) البئر المصري القديم - وهو ذراع الحُصْر [العبداني] ^(a) المستمر إلى الآن - فمن ذلك مقدّمه ثلاثة عشر ألف ذراع وأربع مائة وخمسة وعشرون ذراعاً ، ومؤخره مثل ذلك ، وصحّته سبعة آلاف وخمس مائة ذراع ، وكل من جانبيه الشرقي والغربي ثلاثة آلاف وثمان مائة وخمسة وعشرون ذراعاً . وذرعته كله بذرّاع العمل [المحرر على القصبّة الجاكمية] ^(a) ثمانية وعشرون ألف ذراع .
- ^{٢٠} وعدد أبوابه ثلاثة عشر باباً : منها في القبلي باب الزيّزليّة الذي يدخل منه الخطيب - كان به شجرة زيّزليّة عظيمة قطعت في سنة ست وستين وسبع مائة - وفي البحري ثلاثة أبواب ، وفي

(a) زيادة من الانتصار لابن دقماق . (b-b) هذه الفقرة ساقطة من بولاق ، وجاءت على هامش آياصوفيا .

^٢ فيما يلي ٤٧٠ .

^٣ ابن جبّير : الرحلة ٢٤ .

^١ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٧١ ، ولم يُشير ابن دقماق

إلى الأعمال التي تمت في الجامع بعد موت الظاهر بزقوق ،

لأنه ألف كتابه نحو سنة ٨٠٤ هـ .

الشَّرْقِيَّ خَمْسَةَ ، وَفِي الْعَرَبِيِّ أَرْبَعَةَ . وَعَدَدُ عُمْدِهِ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَثَمَانِيَةَ وَسَبْعُونَ عَمُودًا ، (a) وَعَدَدُ مَاذِنِهِ خَمْسٌ وَبِهِ ثَلَاثَ زِيَادَاتٍ (a) ، فَالْبَحْرِيَّةُ الشَّرْقِيَّةُ كَانَتْ لِحُلُوسِ قَاضِي الْقَضَاةِ بِهَا فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ يَوْمِينَ ١ .

وَكَانَ بِهَذَا الْجَامِعِ «الْقَصَصُ» ، قَالَ الْقُضَاعِيُّ : رَوَى نَافِعٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : لَمْ يُقَصَّ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا أَبِي بَكْرٍ وَلَا عُمَرَ وَلَا عُثْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَإِنَّمَا كَانَ الْقَصَصُ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٢ .

وَذَكَرَ عُمَرُ بْنُ سُبَيْةٍ قَالَ : قِيلَ لِلْحَسَنِ : مَتَى أُحْدِثَ الْقَصَصُ ؟ قَالَ : فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ . قِيلَ : مَنْ أَوَّلَ مَنْ قَصَّ ؟ قَالَ : تَمِيمُ الدَّارِيُّ . وَذَكَرَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ : أَوَّلَ مَنْ قَصَّ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَمِيمُ الدَّارِيُّ اسْتَأْذَنَ عُمَرَ أَنْ يُذَكِّرَ النَّاسَ فَأَتَى عَلَيْهِ ، حَتَّى كَانَ آخِرَ وِلَايَتِهِ فَأَذِنَ لَهُ أَنْ يُذَكِّرَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ عُمَرَ . فَاسْتَأْذَنَ تَمِيمُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي ذَلِكَ ، فَأَذِنَ لَهُ أَنْ يُذَكِّرَ يَوْمِينَ فِي الْجُمُعَةِ . فَكَانَ تَمِيمٌ يَفْعَلُ ذَلِكَ .

وَرَوَى ابْنُ لَهِيْعَةَ عَنْ يَزِيدِ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ ، أَنَّ عَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَتَلَ فِدْعًا عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ حَزْبِهِ ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ فَأَمَرَ رَجُلًا يَقْضُ بَعْدَ الصُّبْحِ وَبَعْدَ الْمَغْرَبِ يَدْعُو لَهُ وَلِأَهْلِ الشَّامِ ، قَالَ يَزِيدُ : وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ الْقَصَصِ .

وَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَفَّلٍ قَالَ : أَمَّنَا عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي الْمَغْرِبِ ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ الثَّلَاثَةِ ذَكَرَ مُعَاوِيَةَ أَوَّلًا ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ثَانِيًا ، وَأَبَا الْأَعْوَرِ - يَعْنِي السَّلْمِيَّ - ثَالِثًا ، وَكَانَ أَبُو مُوسَى الرَّابِعَ .

وَقَالَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ : هُمَا قَصَصَانِ : قَصَصُ الْعَامَّةِ ، وَقَصَصُ الْخَاصَّةِ . فَأَمَّا «قَصَصُ الْعَامَّةِ» فَهُوَ الَّذِي يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ النَّفَرُ مِنَ النَّاسِ يَعْظُمُونَ وَيُذَكِّرُهُمْ ، فَذَلِكَ مَكْرُوهٌ لِمَنْ فَعَلَهُ وَلِمَنْ اسْتَمَعَهُ . وَأَمَّا «قَصَصُ الْخَاصَّةِ» فَهُوَ الَّذِي جَعَلَهُ مُعَاوِيَةُ وَلِيُّ رَجُلًا عَلَى الْقَصَصِ ، فَإِذَا سَلَّمَ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ ، جَلَسَ وَذَكَرَ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - وَحَمِدَهُ وَمَجَّدَهُ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَدَعَا لِلْخَلِيفَةِ وَأَهْلِ وِلَايَتِهِ وَلِحَشْمِهِ وَجُنُودِهِ ، وَدَعَا عَلَى أَهْلِ حَزْبِهِ وَعَلَى الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ٣ .

(a-a) ساقطة من بولاق .

١ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٥٩ - ٦١ ، نص أكثر تفصيلاً .

٢ حاشية بخط المؤلف : «قال الأوزاعي عن عبد الله ابن عامر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه يرفعه : «لا =

نفسه ٤ : ٧٢ .

ويقال أول^٥ من قص بمصر سليمان بن عثر التيجيبي في سنة ثمان وثلاثين ، وجميع له القضاء إلى القصص ، ثم عزل عن القضاء وأُفرد^١ بالقصص . وكانت ولايته على القصص والقضاء سبعا وثلاثين سنة : منها سنتان قبل القضاء . ويقال : إنه كان يختم القرآن في كل ليلة ثلاث مرّات ، وكان يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم ، ويشجّد في المفضل ، ويسلم تسليمًا واحدة ، ويقرأ في الركعة الأولى بالبقرة وفي الثانية بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [آية ١ سورة الإخلاص] ، ويرفع يديه في القصص إذا دعا .

وكان عبد الملك بن مزوان شكّا إلى العلماء ما انتشر عليه من أمر رعيته ، وشخصه في^٦ كل وجه . فأشار عليه أبو حبيب الحيمصي القاضي بأن يستنصر عليهم برفع يديه إلى الله تعالى . فكان عبد الملك يدعو ويرفع يديه ، وكتب بذلك إلى القصاص ، فكانوا يرفعون أيديهم بالعادة والعشي^٢ .

قال ابن شهاب عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : أول من جمع القرآن في مصحف وكتبه عثمان بن عفان ثم وضعه في المسجد فأمر به يقرأ كل غداة^٣ .

وفي هذا الجامع «مصحف أسماء» ، وهو الذي تجاه الحراب الكبير . قال القضاعي : كان السبب في كتب هذا المصحف أن الحجّاج بن يوسف الثقفي كتب مصاحف وبعث بها إلى الأمصار ، ووجه إلى مصر بمصحف منها . فعضب عبد العزيز بن مزوان من ذلك - وكان الوالي يومئذ من قبل أخيه عبد الملك - وقال : يبعث إلى جند أنا فيه بمصحف ؛ فأمر فكتب له هذا المصحف الذي في المسجد الجامع اليوم .

(a) بولاق : إن أول . (b) بولاق : وتخوفه من . (c-c) هذه الفقرة ساقطة من بولاق .

= يقص على الناس إلا أمير أو مأمور أو مرثي . وقال كثير ابن مرة عن عوف بن مالك الأشجعي يرفعه : «لا يقص إلا أمير أو مأمور أو مرثي» ، وفي رواية أو يتكلف بدل مرثي . وعن مقاتل بن حيان : مرّ عمر بن الخطاب بقاص فحققه بالدرة وقال : من أنت ؟ قال : مذكر . قال : قل أنا أحمق مرثي متكلف . وقيل للحسن متى أحدث القصص ؟ قال :
 في ... وأضاع نص هامش النسخة بقية الخبر .
 ١ انظر حول هذا الموضوع ، ابن الجوزي : القصاص والمذكرين ، تحقيق قاسم السامرائي ، الرياض - دار أمية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ ، Pellat, Ch., *El*² art. *Kâss* IV, pp. 763-65.
 ٢ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٧٢ .

فَلَمَّا فَرَعَ مِنْهُ قَالَ : مَنْ وَجَدَ فِيهِ حَرْفًا خَطَأً فَلَهُ رَأْسٌ أَحْمَرٌ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا . فَتَدَاوَلَهُ الْقُرَاءُ ، فَأَتَى رَجُلٌ مِنْ حَمْرَاءِ^(a) الْكُوفَةِ اسْمَهُ زُرْعَةُ بْنُ سَهَيْلٍ^(b) الثَّقَفِيُّ ، فَقَرَأَهُ تَهْجِيًّا ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ وَجَدْتُ فِي الْمُصْحَفِ حَرْفًا خَطَأً . فَقَالَ : مُصْحَفِي ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَتَنَظَرَ فَإِذَا فِيهِ ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْعَةً﴾ [الآية ٢٣ سورة ص] ، فَإِذَا هِيَ مَكْتُوبَةٌ «نَجْعَةٌ» قَدْ قُدِّمَتْ الْجِيمُ قَبْلَ الْعَيْنِ . فَأَمَرَ بِالْمُصْحَفِ فَأُصْلِحَ مَا كَانَ فِيهِ وَأُبْدِلَتْ الْوَرْقَةُ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ دِينَارًا وَرَأْسٍ أَحْمَرَ^١ .

وَلَمَّا فَرَعَ مِنْ هَذَا الْمُصْحَفِ ، كَانَ يُحْمَلُ إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ غَدَاةَ كُلِّ جُمُعَةٍ مِنْ دَارِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَيَقْرَأُ فِيهِ ثُمَّ يُقْصُ ، ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى مَوْضِعِهِ . فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَرَأَ فِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حُجْبِرَةَ الْخَوْلَانِي ، لِأَنَّهُ كَانَ يَتَوَلَّى الْقَصَصَ وَالْقَضَاءَ يَوْمَئِذٍ وَذَلِكَ فِي سَنَةِ سِتِّ وَسَبْعِينَ^٢ . ثُمَّ تَوَلَّى بَعْدَهُ الْقَصَصَ أَبُو الْخَيْرِ مَرْثَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْيَزْنِي ، وَكَانَ قَاضِيًا بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ قَبْلَ ذَلِكَ .

ثُمَّ تَوَفَّى عَبْدُ الْعَزِيزِ فِي سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِينَ فَبِيعَ هَذَا الْمُصْحَفُ فِي مِيرَاثِهِ ، فَاشْتَرَاهُ ابْنُهُ أَبُو بَكْرٍ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، ثُمَّ تَوَفَّى أَبُو بَكْرٍ فَاشْتَرَتْهُ أَسْمَاءُ ابْنَةُ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِسَبْعِ مِائَةِ دِينَارٍ ، فَأَمَكَّنَتْ النَّاسَ مِنْهُ ، وَشَهَّرَتْهُ فَنَسِبَ إِلَيْهَا . ثُمَّ^(c) تَوَفَّيَتْ أَسْمَاءُ فَاشْتَرَاهُ أَخُوهَا الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنَ مَرْوَانَ مِنْ مِيرَاثِهَا بِخَمْسِ مِائَةِ دِينَارٍ . فَأَشَارَ عَلَيْهِ تَوْبَةُ بْنُ نَمِرٍ الْحَضْرَمِيُّ الْقَاضِي - وَهُوَ مُتَوَلَّى الْقَصَصَ يَوْمَئِذٍ بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بَعْدَ عُقْبَةَ بْنِ مُسْلِمِ الْهَمْدَانِيِّ وَإِلَيْهِ الْقَضَاءُ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ عَشْرَةٍ وَمِائَةٍ - فَجَعَلَهُ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، وَأَجْرَى عَلَى الَّذِي يَقْرَأُ فِيهِ ثَلَاثَةَ دَنَانِيرٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ غَلَّةِ الْإِسْطَبَلِ . فَكَانَ تَوْبَةُ أَوَّلَ مَنْ قَرَأَ فِيهِ بَعْدَ أَنْ أُقِرَّ فِي الْجَامِعِ^٣ .

وَتَوَلَّى الْقَصَصَ بَعْدَ تَوْبَةَ أَبُو إِسْمَاعِيلَ خَيْرِ بْنِ نَعِيمِ الْحَضْرَمِيِّ الْقَاضِي فِي سَنَةِ عَشْرِينَ وَمِائَةٍ ، وَجُمِعَ لَهُ الْقَضَاءُ وَالْقَصَصُ^٤ . فَكَانَ يَقْرَأُ فِي الْمُصْحَفِ قَائِمًا ، ثُمَّ يَقْصُ وَهُوَ جَالِسٌ ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ

(a) بولاق : قراء . (b) بولاق : سهل . (c) بولاق : فلما .

^١ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ١١٧-١١٨ ؛ ابن ٢١٤-٢١٦ .

^٢ دقماق : الانتصار ٤ : ٧٢ .

^٣ نفسه ٤ : ٧٣ ، وكذلك ابن عبد الحكم : فتوح مصر

^٢ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٧٣ وانظر ترجمة ١١٧ ، ١١٨ ؛ ابن حجر : رفع الإصر ١٠٩-١١١ .

^٤ انظر ترجمته عند ابن حجر : رفع الإصر ١٥٣-١٥٦ .

قَرَأَ فِي الْمُصْحَفِ قَائِمًا . وَلَمْ تَزَلِ الْأُئِمَّةُ يَقْرَأُونَ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ فِي هَذَا الْمُصْحَفِ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ ، إِلَى أَنْ وُلِيَ الْقَصَصَ أَبُو رَجَبِ الْعَلَاءِ بْنِ عَاصِمِ الْخَوْلَانِيِّ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ ، فَقَرَأَ فِيهِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ . وَكَانَ قَدْ جَعَلَ الْمُطَلِّبَ الْخَزَاعِيَّ ، أَمِيرَ مِصْرَ مِنْ قِبَلِ الْمَأْمُونِ ، رَزَقَ أَبِي رَجَبِ الْعَلَاءِ عَشْرَةَ دَنَانِيرَ عَلَى الْقَصَصِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَلَّمَ فِي الْجَامِعِ تَسْلِيمَتَيْنِ بَكْتَابٍ وَرَدَّ مِنَ الْمَأْمُونِ يَأْمُرُ فِيهِ بِذَلِكَ . وَصَلَّى خَلْفَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيَّ حِينَ قَدِمَ إِلَى مِصْرَ ، فَقَالَ : هَكَذَا تَكُونُ الصَّلَاةُ ، مَا صَلَّيْتُ خَلْفَ أَحَدٍ أُمَّ صَلَاةٍ مِنْ أَبِي رَجَبٍ وَلَا أَحْسَنَ ١ .

وَلَمَّا وُلِيَ الْقَصَصَ حَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ مِنْ قِبَلِ عُنْبَسَةَ بْنِ إِسْحَاقَ - أَمِيرَ مِصْرَ مِنْ قِبَلِ الْمُتَوَكِّلِ - فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، أَمَرَ أَنْ تُتْرَكَ قِرَاءَةُ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» فِي الصَّلَاةِ فَتَرَكَهَا النَّاسُ ، وَأَمَرَ أَنْ تُصَلَّى التَّرَاوِيحُ خَمْسَ تَرَاوِيحَ ، وَكَانَتْ تُصَلَّى قَبْلَ ذَلِكَ سِتَّ تَرَاوِيحَ ، وَزَادَ فِي قِرَاءَةِ الْمُصْحَفِ يَوْمًا . فَكَانَ يُقْرَأُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فِيَوْمِ الْجُمُعَةِ ٢ .

وَلَمَّا وُلِيَ حَمَزَةُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَيُّوبَ (a) الْهَاشِمِيَّ الْقَصَصَ - بِكِتَابٍ مِنَ الْمَكْتَفِيِّ - فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، صَلَّى فِي مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ حِينَ نُكِّسَ ، وَأَمَرَ أَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ الْمُصْحَفُ لِيُقْرَأَ فِيهِ . فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ لَمْ يُحْمَلَ الْمُصْحَفُ إِلَى أَحَدٍ قَبْلَكَ ، فَلَوْ قُمْتَ وَقَرَأْتَ فِيهِ فِي مَكَانِهِ ؟ فَقَالَ : لَا أَفْعَلُ ، وَلَكِنْ ائْتُونِي بِهِ ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ عَلَيْنَا أَنْزَلَ ، وَإِلَيْنَا أَتَى . فَأُتِيَ بِهِ فَقَرَأَ فِيهِ فِي الْمُوَخَّرِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَرَأَ فِي الْمُصْحَفِ فِي الْمُوَخَّرِ ، وَلَمْ يُقْرَأَ فِي الْمُصْحَفِ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْمُوَخَّرِ ، إِلَى أَنْ تَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ السُّوسِيَّ الصَّلَاةَ وَالْقَصَصَ فِي الْيَوْمِ الْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ ، فَنَصَبَ الْمُصْحَفَ فِي مُؤَخَّرِ الْجَامِعِ حِيَالَ الْفَوَارَةِ ، وَقَرَأَ فِيهِ أَيَّامَ نُكْسِ الْجَامِعِ ٣ . فَاسْتَمَرَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْآنَ ٤ .

وَلَمَّا تَوَلَّى الْقَصَصَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمِ الْمَلْطِيِّ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِ مِائَةٍ ، عَزَمَ عَلَى الْقِرَاءَةِ فِي الْمُصْحَفِ فِي كُلِّ يَوْمٍ . فَتَكَلَّمَ عَلِيُّ بْنُ قُدَيْدٍ فِي ذَلِكَ وَمَنَعَ مِنْهُ ٥ ، وَقَالَ : أَعَزَمُ

(a) بولاق : أيوب بن إبراهيم .

٤ انظر كذلك ، الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ٤١٩ ؛

١ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٧٣ .

السخاوي : تحفة الأحياب ٢٢١ .

٢ نفسه ٤ : ٧٣ ، وفيما تقدم ٢ : ٧٩ .

٥ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٧٣ .

٣ نفسه ٤ : ٧٣ .

على أن يُخْلَق المصحف ويُقَطَّعه؟ أَيْرَى عبد العزيز بن مزوان حَيًّا فَيَكْتُب له مثله؟ فَرَجَعَ إلى القِرَاءة ثلاثة/أيام.

وكان قد حَضَرَ إلى مصر رَجُلٌ من أهلِ العراق، وأَحْضَرَ مُصْحَفًا ذَكَرَ أَنَّهُ مُصْحَفُ عُثْمَانَ ابنِ عَفَّانٍ - رضي الله عنه - وَأَنَّهُ الذي كان بين يَدَيْه يوم الدَّار - وكان فيه أَثَرُ الدَّم - وذكر أَنَّهُ اسْتُخْرِجَ من خَزَائِنِ المَقْتَدِر. وَدَفَعَ المُصْحَفَ إلى عبد الله بن سَعِيدِ المعروف بابن بنت وُلَيْدِ القَاضِي، فَأَخَذَهُ أبو بكر الخَازِنِ وَجَعَلَهُ في الجَامِعِ وشَهَرَهُ، وَجَعَلَ عليه خَشَبًا مَنقُوشًا. وكان الإمامُ يقرأ فيه يَوْمًا وفي مُصْحَفِ أسْمَاءِ يَوْمًا. ولم يَزَلْ على ذلك إلى أن رُفِعَ هذا المُصْحَفُ، واقتَصِرَ على القِرَاءةِ في مُصْحَفِ أسْمَاءِ، وذلك في أَيَّامِ العَزِيزِ بالله لخمسِ خَلَوْنٍ من المحرمِ سنة ثمانٍ وسبعين وثلاث مائة.

وقد أَنْكَرَ قَوْمٌ أن يكون هذا المُصْحَفُ مُصْحَفَ عُثْمَانَ - رضي الله عنه - لأنَّ نَقْلَهُ لم يَصِحَّ ولا^(a) يَبْتَدَأُ بِحِكَايَةِ رَجُلٍ وَاحِدٍ.

ورأيت أنا هذا المُصْحَفَ، وعلى ظَهْرِهِ ما نُسَخَّتُهُ:

(a) بولاق: ولم.

فيما يلي ٤٦٢. وواضح أن المقرئ وابن دقماق قد اعتمدا على هذه المصادر دون أن يصرِّحا بها.

ويذكر أحمد تيمور باشا أنه لما خربت المدرسة الفاضلية نقل السلطان الأشرف قانصوه الغوري هذا المصحف إلى القبة التي أنشأها تجاه مدرسته المعروفة [عند تقاطع شارع المعز لدين الله مع شارع الأزهر]، فما زال هناك حتى سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م فقلبت مع آثار نبوية أخرى إلى المسجد الزينبي، ثم إلى خزانة الأمانة في القلعة، ثم في سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م إلى ديوان الأوقاف، ثم في سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م إلى قصر عابدين ثم في السنة نفسها إلى المشهد الحسيني. (أحمد تيمور: الآثار النبوية، القاهرة ١٩٥١، ٣٨-٤٦؛ أمين فؤاد: الكتاب العربي المخطوط ٢٩٥-٢٩٧؛ وفيما يلي ٧٧٥، ٨٠١-٨٠٢).

^١ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٧٣-٧٤ (بتفصيل أكثر). وأورد الشَّهْهُودِي نَقْلًا عن أبي عُبيد القاسم بن سلام، المتوفى سنة ٢٢٢هـ/٨٣٧م، قوله: «رأيت المصحف الذي يُقال له الإمام، مصحف عثمان بن عفان - رضي الله عنه - استخرج لي من بعض خزائن الأمراء، وهو المصحف الذي كان في حجره حين أصيب، ورأيت آثار دمه في مواضع منه» (وفاء الوفا ٢: ٦٦٩). وقد ذكر خليفة بن خياط أن أول قطرة من دم عثمان قطرت على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ وأنَّ الدَّم بقي عليها لم يُحكَ بعد وفاته (تاريخ ١٥٣). ووَصَفَ الشَّهْهُودِي هذا المصحف فقال: إنَّ بالقاهرة مُصْحَفًا عليه أَثَرُ الدَّم عند قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾، وأضاف الصَّفَّاقِصِي في كتاب «غَيْثِ النَّفْعِ في القِرَاءاتِ السَّبْعِ»: «ورأيت فيه - يعني مصحف عثمان - أَثَرُ الدَّم، وهو بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة» (غَيْثِ النَّفْعِ ٢٣٠) وانظر

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . هَذَا الْمُصْحَفُ الْجَامِعُ
 لِكِتَابِ اللَّهِ ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ، حَمَلَهُ الْمُبَارَكُ مَسْعُودُ بْنُ سَعِيدٍ^(a)
 الْهَيْتِيُّ لِمَجْمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ الْقُرَاءِ لِلْقُرْآنِ الثَّلَاثِينَ لَهُ ، الْمُتَقَرِّينَ إِلَى اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ
 بِقِرَاءَتِهِ وَالْمُتَعَلِّمِينَ لَهُ ، لِيَكُونَ مَحْفُوظًا أَبَدًا مَا بَقِيَ وَرَقُهُ وَلَمْ يَذْهَبَ رَسْمُهُ^(b)
 ابْتِغَاءً ثَوَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَرَجَاءَ غُفْرَانِهِ . وَجَعَلَهُ عُمَدَتَهُ^(c) لِيَوْمِ فِقْرِهِ وَفَاقَتِهِ
 وَحَاجَتِهِ إِلَيْهِ . أَنَا اللَّهُ ذَلِكَ بِرَأْفَتِهِ ، وَجَعَلَ ثَوَابَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَمَاعَةٍ مِنْ نَظَرٍ
 فِيهِ» .

وقد دَرَسَ ما بعد هذا الكلام من ظَهر المِصْحَفِ . والمُنْدَرِسُ يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ :
 »^(d) وَتَبَصَّرَ فِي وَرَقِهِ ، وَقَصَدَ بِإِيدَاعِهِ فُسْطَاطَ مِصْرَ فِي الْمَسْجِدِ
 الْجَامِعِ ، جَامِعِ الْمُسْلِمِينَ الْعَتِيقِ ، لِيُحْفَظَ حِفْظًا مِثْلَهُ مَعَ سَائِرِ مِصَاحِفِ
 الْمُسْلِمِينَ ، فَرِحِمَ اللَّهُ مَنْ حَفِظَهُ وَمَنْ قَرَأَ فِيهِ وَمَنْ غَنِيَ بِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ فِي
 يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ مُسْتَهْلَ ذِي الْقِعْدَةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَصَلَّى اللَّهُ
 عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ
 الْوَكِيلُ^(e) .^١

قال ابنُ المُنَوِّجِ : وَدَلِيلُ بَطْلَانِ مَا قَالَهُ هَذَا الْمُفْتَرِضُ - ظُهُورُ التَّعَصُّبِ عَلَى عُثْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ - مِنْ تُجِيبٍ وَخُلَفَائِهِمْ^(e) - أَنَّ النَّاسَ قَدْ جَرَّبُوا هَذَا الْمُصْحَفَ ، وَهُوَ الَّذِي عَلَى الْكُرْسِيِّ الْغُرَبِيِّ
 مِنْ مُصْحَفِ أَسْمَاءَ ، أَنَّهُ مَا فُتِحَ قَطُّ إِلَّا وَحَدَّثَ حَدِيثًا فِي الْوُجُودِ لِتَحْقِيقِ مَا حَدَّثَ أَوَّلًا . وَاللَّهُ
 أَعْلَمُ^(f) .^٢

قال القُضَاعِيُّ : «ذِكْرُ الْمَوَاضِعِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْبَرَكَةِ مِنَ الْجَامِعِ يُسْتَحَبُّ الصَّلَاةُ وَالِدُعَاءُ
 عِنْدَهَا^(f)» : مِنْهَا الْبِلَاطَةُ الَّتِي خَلَفَ الْبَابَ الْأَوَّلَ فِي مَجْلِسِ ابْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ . وَمِنْهَا بَابُ

(a) بولاق : سعد . (b) بولاق : اسمه . (c) بولاق : عُذَّة . (d) بياض في آياصوفيا والفاخ . (e) بولاق :
 خلفائهم . (f) ابن دقماق : وإجابة الدعاء منها .

^١ ابن دقماق : الانتصار ٤: ٧٢-٧٤ ومصدره فيه ابن المقرئ .
^٢ نفسة ٤: ٧٤ .

البرادع، زوي عن رجلٍ من صلحاء المصريين - يُقال له أبو هارون الخزقي - قال: رأيتُ الله - عزَّ وجلَّ - في منامي، فقلت له: ياربُّ أنت تراني وتسمع كلامي؟ قال: نعم. ثم قال: أتريدُ أن أريك بابًا من أبواب الجنة؟ قلت: نعم ياربُّ. فأشار إلي باب أصحاب البرادع، أو الباب الأقصى مما يلي رَحْبَة حارث. وكان أبو هارون هذا يُصلي الظهر والعصر فيما بينهما^١.

وقال ابن المتوج: وعند المجراب الصغير، الذي في جدار الجامع الغربي ظاهر المقصورة فيما بين باني الزيادة الغربية، [الصلاة عنده مُسْتَحَبَّة و]^(a) الدُّعَاءُ عنده مُسْتَجَاب^٢. قال: ومن ذلك بابُ مَقْصُورَة عَرَفَة، ومنها عند خَرْزَة البئر التي بالجامع، ومنها قُبَال اللُّوح الأَخْضَرِ، ومنها زاوية فاطمة. ويُقال إنها فاطمة ابنة عَفَّان لما وَصَّى والدُها أن تُتْرَكَ لله في الجامع، فتركت في هذا المكان فَعْرِفَ بها. ومنها سَطْحُ الجامع، والطَّوَّافُ به سَبْعَ مَرَّاتٍ: يبدأ بالأولى من باب الخزانة الأولى التي يَسْتَقْبِلُهَا الدَّاخِلُ من بابِ السَّطْحِ وهو يَتَلَوُّ إلى أن يَصِلَ إلى زاوية السَّطْحِ اليُسْرَى^(b) التي عند المِئذنة المعروفة بعَرَفَة، يَقِفُ عندها ثم يَدْعُو بما أَرَادَ، ثم يَمُرُّ وهو يَتَلَوُّ إلى أن يَصِلَ إلى الرُّكْنِ الشَّرْقِيِّ - عند المِئذنة المشهورة باليُسْرَة^(c) - ثم يَدْعُو بما أَرَادَ. وَيَمُرُّ إلى الرُّكْنِ البَحْرِيِّ للشَّرْقِيِّ، فيَقِفُ مُحَاذِيًا لَعَرَفَة المؤذنين وَيَدْعُو. ثم يَمُرُّ وهو يَتَلَوُّ إلى المكان الذي ابتداء منه، يَفْعَلُ ذلك سَبْعَ مَرَّاتٍ فَإِنْ حَاجَتَهُ تَقْضَى^٣.

قال القضاعي: ولم يكن الناس يُصلُّون بالجامع بمصر صلاة العيد، حتى كانت سنة ست - ويُقال سنة ثمان - وثلاث مائة، فصلَّى فيه رجلٌ يُعْرَفُ بعليِّ بن أحمد بن عبد الملك الفهمي - يُعْرَفُ بابن أبي شَيْخَة - صلاةَ الفِطْرِ. ويُقال إنه خَطَبَ من دَفْتَرٍ نَظَرًا، وحَفِظَ عنه: اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ «مُشْرِكُونَ»! فقال بعض الشعراء:

وقام في العيد لنا خاطبٌ
فَحَرَّضَ النَّاسَ عَلَى الكُفْرِ

وتوفي سنة تسع وثلاث مائة.

(a) زيادة من ابن دقماق. (b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: الكبيرة.

^١ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٧٤. وأقول...

^٢ نفسه ٤: ٧٤-٧٥ وبدأ الخبر بصيغة المتكلم: ^٣ نفسه ٤: ٧٥، والنص عنده أكثر تفصيلاً.

- وبالجامع زوايا يُدرّس فيها الفقه^١ منها : «زاوية الإمام الشافعي» فعرفت به ، يُقال إنّه درّس بها الشافعيّ فعرفت به ، وعليها أرض بناحية سنديس وقفها السلطان الملك العزيز عثمان ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولم يزل يتولّى تدريسها أعيان الفقهاء ومجلة العلماء .
- ومنها «الزاوية المجدية» بصدر الجامع ، فيما بين الحراب الكبير ومحراب الخمس ، داخل المقصورة الوسطى ، بجوار المحراب الكبير . ربّتها مجدّ الدين أبو الأشبال الحارث بن مهذب الدين أبي المحاسن مهلب بن حسن بن بزكات بن عليّ بن / غياث المهلبى الأزدي البهنسي الشافعيّ ، وزير الملك الأشرف موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب بحرّان ، وقرّر في تدريسها قريبه قاضي القضاة وجيه الدين عبد الوهاب البهنسي ، وعمل على هذه الزاوية عدّة أوقاف بمصر والقاهرة . ويُعدّ تدريسها من المناصب الجليلة ، وتوفيّ المجدّ في صفر سنة ثمان وعشرين وست مائة بدمشق عن ثلاث وستين سنة .
- ومنها «الزاوية الصاحبية» حول عرفة ، ربّتها الصاحب تاج الدين محمد بن فخر الدين محمد ابن بهاء الدين بن حنّا ، وجعل لها مدرّسين : أحدهما مالكيّ ، والآخر شافعيّ ، وجعل عليها وقفًا بظاهر القاهرة بخطّ البرادعيين .
- ومنها «الزاوية الكمالية» بالمقصورة المجاورة لباب الجامع الذي يُدخل إليه من سوق الغزل . ربّتها كمال الدين السمنودي ، وعليها فندق بمصر موقوف عليها .
- ومنها «الزاوية التاجية» أمام المحراب الخشب . ربّتها تاج الدين السطحيّ ، وجعل عليها دورًا بمصر موقوفة عليها .
- ومنها «الزاوية المعينية» في الجانب الشرقي من الجامع . ربّتها معين الدين الدهروطي ، وعليها وقف بمصر .
- ومنها «الزاوية العلائية» - تُنسب لعلاء الدين الضير - وهي في صحن الجامع ، وهي لقراءة ميعاد .
- ومنها «الزاوية الزينية» . ربّتها الصاحب زين الدين لقراءة ميعاد أيضًا .
- ذكر ذلك ابن المتوجّج .

وأخبرني المقرئ الأديب المؤرّخ الضابط شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدي - رحمه الله - قال : أخبرني المؤرّخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن القرات^٢ ، قال : أخبرني

^١ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٠٠-١٠١ . الخطط إلى شهاب الدين أحمد بن عبد الله الأوحدي ،

^٢ هذه هي الإشارة الصريحة الوحيدة عند المقرئ في ومعاصره ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن القرات . =

العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفي ، أنه أدرك بجامع عمرو بن العاص بمصر - قبل الوباء الكائن في سنة تسع وأربعين وسبع مائة - بضعة وأربعين حلقة لإقراء العلم لا تكاد تُبرح منه ^١ .

وقال ابن المأمون : حدثني القاضي المكين ابن حيدرة - وهو من أعيان الشهود بمصر - أن من جملة الخدم التي كانت بيد والده مشاركة الجامع العتيق ، وأن القومة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود بمدة ^(a) إلى أن يكملوا ثمانية عشر ألف فتيلة ، وأن المطلق برسيمه خاصة في كل ليلة يرسم وقوده أحد عشر قنطارًا ونصف زيتًا طيبًا ^٢ .

التي بديار مصر وسبب اختلافها وتعيين الصواب فيها ، وتبين الخطأ منها ^٣ . اعلم أن محاريب ديار مصر التي يشتقها المسلمون في صلواتهم

ذِكْرُ الْحَارِيبِ

أربعة محاريب :

(a) بولاق : عنده .

في ستة مجلدات في مكتبة أحمد الثالث بإستانبول برقم ١٣٢٤ (مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ١ - ٦ فقه شافعي) ؛ الزركشي : إعلام الساجد بأحكام المساجد ، تحقيق أبو الوفا المراغي ، القاهرة ١٩٦٥ ، ٣٦٢ - ٣٦٤ ؛ وأيضا Creswell, K.A.C., *EMA I*, pp. 97-99 ؛ فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الإسلامية ٥٨٤ - ٦٢٤ ؛ Kessler, Ch., «Mecca - Oriented Architecture and Urban Growth of Cairo», *Atti del Terzo Congresso di Studi Arabi e Islamici* (Ravello 1966), Napoli - IUO 1967, p. 425; id., «Mecca - Oriented Urban Architecture in Mamluk Cairo : The Madrasa - Mausoleum of Sultan Sha'bân II» in Arnold H. Green (ed.), *In Quest of an Islamic Humanism : Arab and Islamic Studies in Memory of Mohamed Nowaihi*, Cairo - AUC 1982, pp. 97-108; Febervari, G., *El² art. Mihrâb VII*, pp. 10-11; King, D. A., *El² art. Kibla V*, pp. 84-91; id., «Architecture and Astronomy : The = Ventilators of Medieval Cairo and their

= (راجع مقدمة الجزء الأول ٦١ ، ٦٢ - ٦٣) .

^١ أورد المقرئ الخبّر نفسه في ترجمته للأوحد في كتاب «ذُرر العقود الفريدة» بالصيغة التالية : «حدثنا المقرئ المؤرخ شهاب الدين أحمد بن عبد الله الأوحد ، قال : حدثنا العذّل المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ابن علي بن الفرات ، قال : حدثنا العلامة شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفي أنه أدرك بجامع عمرو ابن العاص خمسين حلقة للإشغال بالعلم لا تزال موجودة فيه دائما» . (درر العقود الفريدة ١ : ١٨٨) .

^٢ ابن المأمون : أخبار مصر ٦٤ ، ١٠٤ ؛ وفيما تقدم ٥٢٦ : ٢ .

^٣ الحراب ج. الحاريب . مكان مسطح ثم أصبح مجوفا في صدر المساجد والجوامع يُحدّد اتجاه القبلة . راجع لمزيد من التفصيل حول الحاريب وتحديد اتجاه القبلة ، القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٣٩ - ٣٤٠ ، وهو يُحيل على كتاب «الابتهاج في شرح المنهاج للنووي» لتقي الدين علي بن عبد الكافي الشبكي ، المتوفى سنة ٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م ، ومنه نسخة

أخذها مِحْرَابُ الصَّحَابَةِ - رضي الله عنهم - الذي أسسوه في البلاد التي استوطنوها والبلاد التي كثر ممزهم بها من إقليم مصر . وهو مِحْرَابُ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِمِصْرَ - المعروف بجامع عمرو - ومِحْرَابُ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِالْجِيزَةِ ، وبمدينة بلبيس ، وبالإسكندرية ، وقوص ، وأسوان . وهذه المحاريب المذكورة على سمت واحد ، غير أن محاريب ثغر أسوان أشد تشريقاً من غيرها ؛ وذلك أن أسوان مع مكة - شرفها الله تعالى - في الإقليم الثاني ، وهو الحد الغربي من مكة بغير ميل إلى الشمال - ومِحْرَابُ بِلْبَيْسِ مُغْرَبٌ قَلِيلاً .

والمِحْرَابُ الثَّانِي مِحْرَابُ مَسْجِدِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونٍ ، وهو مُنْحَرَفٌ عن سمت مِحْرَابِ الصَّحَابَةِ . وقد ذكر في سبب انحرافه أقوال : منها أن أحمد بن طولون ، لما عزم على بناء هذا المسجد ، بعث إلى مِحْرَابِ مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ من أخذ سمته ، فإذا هو مائل عن خط سمت القبلة المستخرج بالصناعة نحو العشر درج إلى جهة الجنوب . فوضع حينئذ مِحْرَابَ مَسْجِدِهِ هذا مائلاً عن خط سمت القبلة إلى جهة الجنوب بنحو ذلك ، اقتداءً منه بمِحْرَابِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وقيل : إنه رأى رسول الله ﷺ في منامه ، وخط له المِحْرَابَ . فلما أصبح وجد التمثل قد أطاف بالمكان الذي خطه له رسول الله ﷺ في المنام^١ . وقيل غير ذلك .

وأنت إن صعدت إلى سطح جامع ابن طولون ، رأيت مِحْرَابَهُ مائلاً عن مِحْرَابِ جَامِعِ عَمْرُو ابن العاص إلى الجنوب ، ورأيت مِحْرَابَ الْمَدَارِسِ التي حدثت إلى جانبه قد انحرقت عن مِحْرَابِهِ إلى جهة الشرق ، وصار مِحْرَابُ جَامِعِ عَمْرُو فيما بين مِحْرَابِ ابْنِ طُولُونٍ والمِحْرَابِ الْأَخْرَ . وقد عُقِدَ مَجْلِسٌ بِجَامِعِ ابْنِ طُولُونٍ ، في ولاية قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن محمد ابن جماعة ، حضره علماء الميقات - منهم الشيخ تقي الدين محمد بن محمد بن موسى الغزولي ، والشيخ أبو الطاهر محمد بن محمد - ونظروا في مِحْرَابِهِ ، فأجمعوا على أنه مُنْحَرَفٌ عن خط

Orientation Versus Street Alignment in the Mosques and Madrasas from Qaytbay to the End of Mamluk Period, Ph. D. Thesis AUC 1984, Thesis n. 619 محمد محمد الكحلأوي : «أثر مراعاة اتجاه القبلة وخط تنظيم الطريق على مخططات العمائر الدينية المملوكية لمدينة القاهرة» ، مجلة كلية الآثار - جامعة القاهرة ٧ (١٩٩٦) ، ٧٧-١٨٧ .

^١ فيما يلي ٧٣ .

Secrets», JAOS 104 (1984), pp. 97-133; id., = «Aspects of Fatimid Astronomy . From Hard-Core Mathematical Astronomy to Architectural Orientations in Cairo», in *L'Égypte Fatimide, son art et son histoire*, Barrucand, M. (ed.), Paris 1999, pp. 497-517; id., *World-Maps for Finding the Direction and Distance to Mecca - Innovation and Tradition in Islamic Studies*, al-Furqan & Brill 1999; Shedic, I. R., *Qibla*

سَمِيَتِ الْقِبْلَةُ إِلَى جِهَةِ الْجَنُوبِ ، مُغْرَبًا بِقَدْرِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ دَرَجَةً . وَكُتِبَ بِذَلِكَ مَحْضَرًا ، وَأُثْبِتَ عَلَى ابْنِ جَمَاعَةَ .

وَالْمَحْرَابُ الثَّلَاثُ مَحْرَابُ جَامِعِ الْقَاهِرَةِ - الْمَعْرُوفِ بِالْجَامِعِ الْأَزْهَرِ - وَمَا فِي سَمِيَتِهِ مِنْ بَقِيَّةِ مَحَارِبِ الْقَاهِرَةِ . وَهِيَ مَحَارِبُ يَشْهَدُ الْإِمْتِحَانُ بِتَقَدُّمِ وَاضِعِهَا فِي مَعْرِفَةِ اسْتِخْرَاجِ الْقِبْلَةِ ، فَإِنَّهَا عَلَى خَطِّ سَمِيَتِ الْقِبْلَةِ مِنْ غَيْرِ مِثْلِ عَنِّهِ وَلَا انْحِرَافِ الْبَيْتَةِ .

وَالْمَحْرَابُ الرَّابِعُ مَحَارِبُ الْمَسَاجِدِ الَّتِي فِي قُرَى بِلَادِ السَّاحِلِ ، فَإِنَّهَا تُخَالِفُ مَحَارِبَ الصُّحَابَةِ ؛ إِلَّا أَنَّ مَحْرَابَ جَامِعِ مِئِيَّةِ عَمْرٍ قَرِيبٌ مِنْ سَمِيَتِ مَحَارِبِ الصُّحَابَةِ . فَإِنَّ الْوَزِيرَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ فَاتِكٍ ، الْمَنْعُوتِ بِالْمَأْمُونِ الْبَطَّائِحِيِّ - وَزِيرِ الْخَلِيفَةِ الْأَمِيرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ أَبِي عَلِيِّ مَنْصُورِ بْنِ الْمُشْتَعَلِيِّ بِاللَّهِ - أَنْشَأَ جَامِعًا بِمِئِيَّةِ زِفْتَا فِي سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، فَجَعَلَ مَحْرَابَهُ عَلَى سَمِيَتِ الْمَحَارِبِ الصُّحَابَةِ .

وَفِي قَرَاةِ مِصْرَ بِجَوَارِ مَسْجِدِ الْفَتْحِ عِدَّةُ مَسَاجِدٍ تُخَالِفُ مَحَارِبَ الصُّحَابَةِ مُخَالَفَةً فَاجِشَةً . وَكَذَلِكَ بِمَدِينَةِ مِصْرَ الْفُسْطَاطِ غَيْرُ مَسْجِدٍ عَلَى هَذَا الْحُكْمِ .

فَأَمَّا مَحَارِبُ الصُّحَابَةِ الَّتِي بِفُسْطَاطِ مِصْرَ وَالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فَإِنَّ سَمِيَتَهَا يُقَابِلُ مَشْرِقَ الشِّتَاءِ - وَهُوَ مَطَالِغُ بُرُوجِ الْعَقْرَبِ - مَعَ مِثْلِ قَلِيلٍ إِلَى نَاحِيَةِ الْجَنُوبِ . وَمَحَارِبُ مَسَاجِدِ الْقُرَى ، وَمَا حَوْلَ مَسْجِدِ الْفَتْحِ بِالْقَرَاةِ ، فَإِنَّهَا تَسْتَقْبِلُ خَطَّ نِصْفِ النَّهَارِ - الَّذِي يُقَالُ لَهُ خَطُّ الزُّوَالِ - وَتَمِيلُ عَنِّهِ إِلَى جِهَةِ الْمَغْرِبِ . وَهَذَا الْاِخْتِلَافُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَحْرَابَيْنِ اِخْتِلَافٌ فَاجِشٌ يُفْضِي إِلَى إِبْطَالِ الصَّلَاةِ . وَقَدْ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكْمِ : قِبْلَةُ أَهْلِ مِصْرَ أَنْ يَكُونَ الْقُطْبُ الشَّمَالِي عَلَى الْكَتِفِ الْأَيْسَرِ . وَهَذَا سَمِيَتُ مَحَارِبِ الصُّحَابَةِ . قَالَ : وَإِذَا طَلَعَتْ مَنَازِلُ الْعَقْرَبِ ، وَتَكَمَّلَتْ صُورَتُهُ ، فَمُحَادَاثَةُ سَمِيَتِ الْقِبْلَةِ لِدِيَارِ مِصْرَ وَبَرَقَةَ وَإِفْرِيقِيَّةَ وَمَا وَالِهَا .

وَفِي الْفَرْقَدَيْنِ وَالْقُطْبِ الشَّمَالِي كِفَايَةٌ لِلْمَسْتَدَلِّينَ : فَإِنَّهُمْ إِنْ كَانُوا مُسْتَقْبِلِينَ فِي مَسِيرِهِمْ مِنَ الْجَنُوبِ جِهَةَ الشَّمَالِ اسْتَقْبَلُوا الْقُطْبَ وَالْفَرْقَدَيْنِ ، وَإِنْ كَانُوا سَائِرِينَ إِلَى الْجَنُوبِ مِنَ الشَّمَالِ اسْتَدْبَرُوا ، وَإِنْ كَانُوا سَائِرِينَ إِلَى الشَّرْقِ مِنَ الْمَغْرِبِ جَعَلُوهَا عَلَى الْأُذُنِ الْيَسْرَى ، وَإِنْ كَانُوا سَائِرِينَ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْمَغْرِبِ جَعَلُوهَا عَلَى الْأُذُنِ الْيَمْنَى ، وَإِنْ كَانَ مَسِيرُهُمْ إِلَى النَّكْبَاءِ الَّتِي بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالذُّبُورِ جَعَلُوهَا عَلَى الْكَتِفِ الْأَيْمَنِ ، وَإِنْ كَانَ مَسِيرُهُمْ إِلَى النَّكْبَاءِ الَّتِي بَيْنَ الشَّمَالِ وَالذُّبُورِ وَجَعَلُوهَا عَلَى الْحَاجِبِ الْأَيْمَنِ ، وَإِنْ كَانَ مَسِيرُهُمْ إِلَى النَّكْبَاءِ الَّتِي بَيْنَ الشَّمَالِ وَالصَّبَا جَعَلُوهَا عَلَى الْحَاجِبِ الْأَيْسَرِ .

وإذا عُرف ذلك ، فإنه يَسْتَحِيلُ تَصْوِيبُ مِخْرَابَيْنِ مُخْتَلِفِينَ فِي قُطْرٍ وَاحِدٍ إِذَا زَادَ اخْتِلَافُهُمَا عَلَى مِقْدَارٍ مَا يُتَسَامَحُ بِهِ فِي التِّيَامُنِ وَالتِّيَاسِرِ . وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ قُطْرٍ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، كِبِلَادِ الشَّامِ وَدِيَارِ مِصْرَ وَنَحْوَهُمَا مِنَ الْأَقْطَارِ ، قِطْعَةٌ مِنَ الْأَرْضِ وَاقِعَةٌ فِي مُقَابَلَةِ جِزْيٍ مِنَ الْكَعْبَةِ ، وَالْكَعْبَةُ تَكُونُ فِي جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِ ذَلِكَ الْقُطْرِ . فَإِذَا اخْتَلَفَ مِخْرَابَانِ فِي قُطْرٍ وَاحِدٍ ، فَإِنَّا نَتَيَقَّنُ أَنَّ أَحَدَهُمَا صَوَابٌ وَالْآخَرُ خَطَأٌ ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْقُطْرُ قَرِيبًا مِنْ مَكَّةَ ، وَخِطَّتُهُ الَّتِي هُوَ مَحْدُودٌ بِهَا مُتَّسِعَةً اتِّسَاعًا كَثِيرًا يَزِيدُ عَلَى الْجِزْيِ الَّذِي يَخُصُّهُ لَوْ وُزِعَتْ الْكَعْبَةُ أَجْزَاءً مُتَمَاثِلَةً ، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَجُوزُ التِّيَامُنُ وَالتِّيَاسِرُ فِي مَحَارِيْبِهِ . وَذَلِكَ مِثْلُ بِلَادِ الْبُجَّةِ ، فَإِنَّهَا عَلَى السَّاحِلِ الْعَرَبِيِّ مِنْ بَحْرِ الْقَلْزُومِ ، وَمَكَّةَ وَاقِعَةٌ فِي شَرْقِيَّهَا ، لَيْسَ بَيْنَهُمَا إِلَّا مَسَافَةٌ الْبَحْرِ فَقَطْ وَمَا بَيْنَ جَدَّةَ وَمَكَّةَ مِنَ الْبَرِّ . وَخِطَّةُ بِلَادِ الْبُجَّةِ مَعَ ذَلِكَ وَاسِعَةٌ مُسْتَطِيلَةٌ عَلَى السَّاحِلِ : أَوَّلُهَا عَيْدَابُ ، وَهِيَ مُحَاذِيَةٌ لِمَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَتَمِيلُ عَنْهَا فِي الْجَنُوبِ مَيْلًا قَلِيلًا ، وَالْمَدِينَةُ شَامِيَّةٌ عَنْ مَكَّةَ بِنَحْوِ عَشْرَةِ أَيَّامٍ . وَآخِرُ بِلَادِ الْبُجَّةِ مِنْ نَاحِيَةِ الْجَنُوبِ سَوَاكِينُ ، وَهِيَ مَائِلَةٌ فِي نَاحِيَةِ الْجَنُوبِ عَنْ مَكَّةَ مَيْلًا كَثِيرًا . وَهَذَا الْمِقْدَارُ مِنْ طُولِ بِلَادِ الْبُجَّةِ يَزِيدُ عَلَى الْجُزْءِ الَّذِي يَخُصُّ هَذِهِ الْخِطَّةَ مِنَ الْأَرْضِ ، لَوْ وُزِعَتْ الْأَرْضُ أَجْزَاءً مُتَسَاوِيَةً إِلَى الْكَعْبَةِ ، فَيَتَعَيَّنُ - وَالْحَالَةَ هَذِهِ - التِّيَامُنُ أَوْ التِّيَاسِرُ فِي طَرَفِي هَذِهِ الْبِلَادِ لَطَلَبِ جِهَةِ الْكَعْبَةِ .

وَأَمَّا إِذَا بَعُدَ الْقُطْرُ عَنِ الْكَعْبَةِ بُعْدًا كَثِيرًا ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ اتِّسَاعَ خِطَّتِهِ ، وَلَا يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى تِّيَامُنٍ وَلَا تِّيَاسِرٍ لِاتِّسَاعِ الْجُزْءِ الَّذِي يَخُصُّهُ مِنَ الْأَرْضِ . فَإِنَّ كُلَّ قُطْرٍ مِنْهَا لَهُ جُزْءٌ يَخُصُّهُ مِنَ الْكَعْبَةِ ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْكَعْبَةَ مِنَ الْبِلَادِ الْمَعْمُورَةِ كَالْكُرَّةِ مِنَ الدَّائِرَةِ ، فَلِأَقْطَارِ كُلِّهَا فِي اسْتِيقْبَالِ الْكَعْبَةِ مُحِيطَةٌ بِهَا كِإِحَاطَةِ الدَّائِرَةِ بِمَرْكَزِهَا .

وَكُلُّ قُطْرٍ فَإِنَّهُ يَتَوَجَّهُ إِلَى الْكَعْبَةِ فِي جُزْءٍ يَخُصُّهُ . وَالْأَجْزَاءُ الْمُنْقَسِمَةُ - إِذَا قُدِّرَتْ الْأَرْضُ كَالدَّائِرَةِ - فَإِنَّهَا تَتَّسِعُ عِنْدَ الْمَحِيطِ ، وَتَتَضَايِقُ عِنْدَ الْمَرْكَزِ . فَإِذَا كَانَ الْقُطْرُ بَعِيدًا عَنِ الْكَعْبَةِ ، فَإِنَّهُ يَقَعُ فِي مُتَّسِعِ الْحَدِّ ، وَلَا يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى تِّيَامُنٍ وَلَا تِّيَاسِرٍ ، بِخِلَافِ مَا إِذَا قَرَّبَ الْقُطْرُ مِنَ الْكَعْبَةِ فَإِنَّهُ يَقَعُ فِي مُتَضَايِقِ الْجُزْءِ ، وَيُحْتَاجُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى تِّيَامُنٍ أَوْ تِّيَاسِرٍ .

فَإِنْ فَرَضْنَا أَنَّ الْوَاجِبَ إِصَابَةَ عَيْنِ الْكَعْبَةِ فِي اسْتِيقْبَالِ الصَّلَاةِ لِمَنْ بَعُدَ عَنِ مَكَّةَ - وَقَدْ عَلِمْتَ مَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ - فَإِنَّهُ لَا يُتَسَامَحُ فِي اخْتِلَافِ الْمَحَارِيبِ بِأَكْثَرِ مِنْ قَدْرِ التِّيَامُنِ وَالتِّيَاسِرِ الَّذِي لَا يَخْرُجُ عَنْ حُدِّ الْجِهَةِ ، فَلَوْ زَادَ الْاِخْتِلَافُ حُكْمَ بَيْطُلَانِ أَحَدِ الْمِخْرَابَيْنِ وَلَا بَدَّ ؛ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي قُطْرَيْنِ بَعِيدَيْنِ بَعْضُهُمَا مِنْ بَعْضٍ ، وَلَيْسَا عَلَى خَطِّ وَاحِدٍ مِنْ

مُسَامَتَةِ الْكَعْبَةِ ، وَذَلِكَ كِبْلَادِ الشَّامِ وَدِيَارِ مِصْرَ . فَإِنَّ الْبِلَادَ الشَّامِيَّةَ لَهَا جَانِبَانِ ، وَخِطَّتُهَا مُتَّسِعَةً مُسْتَطِيلَةً فِي شَمَالِ مَكَّةَ ، وَتَمْتَدُّ أَكْثَرَ مِنَ الْجُزْءِ الْخَاصِّ بِهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مِقْدَارِ بُعْدِهَا عَنِ الْكَعْبَةِ . وَفِي هَذَيْنِ الْقَطْرَيْنِ يَجْرِي مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ فِي أَرْضِ الْبُجَّةِ . إِلَّا أَنَّ التِّيَامَنَ وَالتِّيَاسِرَ ظُهُورَهُ فِي الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ أَقَلَّ مِنْ ظُهُورِهِ فِي أَرْضِ الْبُجَّةِ ، مِنْ أَجْلِ بُعْدِ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ عَنِ الْكَعْبَةِ وَقُرْبِ أَرْضِ الْبُجَّةِ . / وَذَلِكَ أَنَّ الْبِلَادَ الشَّامِيَّةَ وَقَعَتْ فِي مُتَّسَعِ الْجُزْءِ الْخَاصِّ بِهَا ، فَلَمْ يَظْهَرْ أَثَرُ التِّيَامَنِ وَالتِّيَاسِرِ ظُهُورًا كَثِيرًا كَظُهُورِهِ فِي أَرْضِ الْبُجَّةِ ، لِأَنَّ الْبِلَادَ الشَّامِيَّةَ لَهَا جَانِبٌ شَرْقِيٌّ وَجَانِبٌ غَرْبِيٌّ وَوَسَطٌ .

فَجَانِبُهَا الْغَرْبِيُّ هُوَ أَرْضُ بَيْتِ الْمَقْدَسِ وَقَلَسْطِينِ إِلَى الْعَرِيشِ أَوَّلِ حَدِّ مِصْرَ ، وَهَذَا الْجَانِبُ مِنَ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ يُقَابِلُ الْكَعْبَةَ عَلَى حَدِّ مَهَبِ النَّكْبَاءِ الَّتِي بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالصَّبَا . وَأَمَّا جَانِبُ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ الشَّرْقِيِّ فَإِنَّهُ مَا كَانَ مَشْرِقًا مِنْ مَدِينَةِ دِمَشْقَ إِلَى حَلَبَ وَالْفُرَاتِ ، وَمَا يُسَامِتُ ذَلِكَ مِنَ بِلَادِ السَّاحِلِ ، وَهَذِهِ الْجِهَةُ تُقَابِلُ الْكَعْبَةَ مَشْرِقًا عَنِ أَوْسَطِ مَهَبِ الْجَنُوبِ قَلِيلًا . وَأَمَّا وَسَطُ بِلَادِ الشَّامِ فَإِنَّهَا دِمَشْقُ وَمَا قَارَبَهَا ، وَتُقَابِلُ الْكَعْبَةَ عَلَى وَسَطِ مَهَبِ الْجَنُوبِ ، وَهَذَا هُوَ سَمْتُ مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ مَيْلٍ يَسِيرٍ عَنْهُ إِلَى نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ .

وَأَمَّا مِصْرُ فَإِنَّهَا تُقَابِلُ الْكَعْبَةَ فِيمَا بَيْنَ الصَّبَا وَمَهَبِ النَّكْبَاءِ الَّتِي بَيْنَ الصَّبَا وَالْجَنُوبِ . وَلِذَلِكَ لَمَّا اخْتَلَفَ هَذَانِ الْقَطْرَانِ - أَعْنِي مِصْرَ وَالشَّامَ - فِي مُحَاذَاةِ الْكَعْبَةِ ، اخْتَلَفَتْ مَحَارِبُهُمَا . وَعَلَى ذَلِكَ وَضَعَ الصُّحَابَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - مَحَارِبَ الشَّامِ وَمِصْرَ عَلَى اخْتِلَافِ السَّمْتَيْنِ . فَأَمَّا مِصْرُ بَعِينَهَا وَضَوَاحِيهَا ، وَمَا هُوَ فِي حَدِّهَا أَوْ عَلَى سَمْتِهَا ، أَوْ فِي الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ ، وَمَا فِي حَدِّهَا أَوْ عَلَى سَمْتِهَا ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ فِيهَا تَصْوِيبُ مِحْرَابَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ اخْتِلَافًا بَيِّنًا .

فَإِنْ تَبَاعَدَ الْقَطْرُ عَنِ الْقَطْرِ بِمَسَافَةٍ قَرِيبَةٍ أَوْ بَعِيدَةٍ ، وَكَانَ الْقَطْرَانِ عَلَى سَمْتٍ وَاحِدٍ فِي مُحَاذَاةِ الْكَعْبَةِ ، لَمْ يَضُرَّ حِينَئِذٍ تَبَاعُدُهُمَا ، وَلَا تَخْتَلَفُ مَحَارِبُهُمَا ، بَلْ تَكُونُ مَحَارِبُ كُلِّ قَطْرِ مِنْهُمَا عَلَى حَدِّ وَاحِدٍ وَسَمْتٍ وَاحِدٍ ، وَذَلِكَ كَمِصْرَ وَبَرْقَةَ وَإِفْرِيقِيَّةَ وَصِقْلِيَّةَ وَالْأَنْدَلُسَ . فَإِنَّ هَذِهِ الْبِلَادَ ، وَإِنْ تَبَاعَدَ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ ، فَإِنَّهَا كُلُّهَا تُقَابِلُ الْكَعْبَةَ عَلَى حَدِّ وَاحِدٍ ، وَسَمْتِهَا جَمِيعًا سَمْتُ مِصْرَ مِنْ غَيْرِ اخْتِلَافٍ أَلْبَتَّةَ . وَقَدْ تَبَيَّنَ بِمَا تَقَرَّرَ حَالُ الْأَقْطَارِ الْمُخْتَلِفَةِ مِنَ الْكَعْبَةِ فِي وَقُوعِهَا مِنْهَا .

وَأَمَّا اخْتِلَافُ مَحَارِبِ مِصْرَ فَإِنَّ لَهُ أَسْبَابًا : أَحَدُهَا حَمْلُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ قَوْلَهُ ﷺ - الَّذِي رَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو عَيْسَى التِّرْمِذِيُّ ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - « مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ

قِبْلَةٌ؛ على العموم . وهذا الحديث قد رُوِيَ مَوْقُوفًا على عُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَمُحَمَّدُ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ - رضي الله عنهم - وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - مَرْفُوعًا . قَالَ أَحْمَدُ ابْنُ حَنْبَلٍ : هَذَا فِي كُلِّ الْبُلْدَانِ ، قَالَ : هَذَا الْمَشْرِقُ وَهَذَا الْمَغْرِبُ وَمَا بَيْنَهُمَا قِبْلَةٌ . قِيلَ لَهُ : فَصَلَاةُ مَنْ صَلَّى بَيْنَهُمَا جَائِزَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَيَتَّبِعِي أَنْ يَتَّخِذِيَ الْوَسْطَ . وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ : قَوْلُ عُمَرَ « مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ » قَالَه بِالْمَدِينَةِ . فَمَنْ كَانَتْ قِبْلَتُهُ مِثْلَ قِبْلَةِ الْمَدِينَةِ ، فَهُوَ فِي سَعَةِ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ . وَلَسَائِرِ الْبُلْدَانِ مِنَ السَّعَةِ فِي الْقِبْلَةِ مِثْلَ ذَلِكَ بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالشُّمَالِ . وَقَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : لَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِيهِ .

قال كاتبه^(a) : إِذَا تَأَمَّلْتَ وَجَدْتَ هَذَا الْحَدِيثَ يَخْتَصُّ بِأَهْلِ الشَّامِ وَالْمَدِينَةِ ، وَمَا عَلَى سَمْتِ تِلْكَ الْبِلَادِ شَمَالًا وَجَنُوبًا فَقَطْ . وَالذَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَلْزَمُ مَنْ حَمَلَهُ عَلَى الْعُمُومِ إِبْطَالَ التَّوَجُّهِ إِلَى الْكَعْبَةِ فِي بَعْضِ الْأَقْطَارِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ افْتَرَضَ عَلَى الْكَافَّةِ أَنْ يَتَوَجَّهُوا إِلَى الْكَعْبَةِ فِي الصَّلَاةِ حَيْثُمَا كَانُوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [الآية ١٥٠ سورة البقرة] .

وقد عرفت - إن كنت تمهّرت في معرفة البلدان وحدود الأقاليم - أن الناس في توجّهم إلى الكعبة كالدائرة حول المركز : فمن كان في الجهة الغربية من الكعبة ، فإن جهة قبلة صلاته إلى المشرق . ومن كان في الجهة الشرقية من الكعبة ، فإنه يستقبل في صلاته جهة المغرب . ومن كان في الجهة الشمالية من الكعبة ، فإنه يتوجّه في صلاته إلى جهة الجنوب : ومن كان في الجهة الجنوبية من الكعبة ، كانت صلاته إلى جهة الشمال .

ومن كان من الكعبة فيما بين المشرق والجنوب ، فإن قبلة فيما بين الشمال والمغرب . ومن كان من الكعبة فيما بين الجنوب والمغرب ، فإن قبلة فيما بين الشمال والمشرق . ومن كان من الكعبة فيما بين المشرق والشمال ، فقبلته فيما بين الجنوب والمغرب . ومن كان من الكعبة فيما بين الشمال والمغرب ، فقبلته فيما بين الجنوب والمشرق .

فقد ظهر ما يلزم ، من القول بعموم هذا الحديث ، من خروج أهل المشرق الشاكنين به وأهل المغرب أيضًا ؛ عن التوجّه إلى الكعبة في الصلاة عينا ووجهة . لأن من كان مسكنه من البلاد ما هو في أقصى المشرق من الكعبة ، لو جعل المشرق عن يساره والمغرب عن

(a) بولاق : مؤلفه .

يَمِينِهِ ، لَكَانَ إِنَّمَا يَسْتَقْبِلُ حَيْثُ جَنُوبَ أَرْضِهِ ، وَلَمْ يَسْتَقْبِلْ قَطَّ عَيْنَ الْكَعْبَةِ وَلَا جِهَتَهَا .
فَوَجِبَ - وَلَا بُدَّ - حَمْلُ الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّهُ خَاصٌّ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ وَمَا عَلَى سَمْتِ ذَلِكَ مِنَ
الْبِلَادِ . بِدَلِيلِ أَنَّ الْمَدِينَةَ النَّبَوِيَّةَ وَاقِعَةٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَبَيْنَ أَوْسَطِ الشَّامِ عَلَى خَطِّ مُسْتَقِيمٍ ، وَالْجَانِبِ
الْغَرْبِيِّ مِنَ بِلَادِ الشَّامِ - الَّتِي هِيَ أَرْضُ الْمَقْدِسِ وَفَلَسْطِينَ - يَكُونُ عَنْ يَمِينٍ مِنْ يَسْتَقْبِلُ بِالْمَدِينَةِ
الْكَعْبَةَ ، وَالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ - الَّذِي هُوَ جَنْبُ وَمَا وَالَى ذَلِكَ - وَاقِعٌ عَنْ يَسَارٍ مِنْ اسْتَقْبَلِ /

الْكَعْبَةَ بِالْمَدِينَةِ .
وَالْمَدِينَةُ وَاقِعَةٌ فِي أَوْسَطِ جِهَةِ الشَّامِ عَلَى جِهَةٍ مُسْتَقِيمَةٍ . بِحَيْثُ لَوْ خَرَجَ نَحْطٌ مِنَ الْكَعْبَةِ وَمَرَّ
عَلَى اسْتِقَامَةٍ إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ ، لَنَقَدَ مِنْهَا إِلَى أَوْسَطِ جِهَةِ الشَّامِ سَوَاءً . وَكَذَلِكَ لَوْ خَرَجَ نَحْطٌ مِنْ
مُصَلَّى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَتَوَجَّهَ عَلَى اسْتِقَامَةٍ ، لَوَقَعَ فِيمَا بَيْنَ الْمِيزَابِ مِنَ الْكَعْبَةِ وَبَيْنَ الرُّكْنِ
الشَّامِيِّ .

فَلَوْ فَارَضْنَا أَنَّ هَذَا النَّحْطُ خَرَقَ الْمَوْضِعَ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ مِنَ الْكَعْبَةِ وَمَرَّ ، لَنَقَدَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ
عَلَى اسْتِوَاءٍ مِنْ غَيْرِ مَيْلٍ وَلَا انْحِرَافٍ أَلْبَتَّةَ . وَصَارَ مَوْقِعُ هَذَا النَّحْطِ فِيمَا بَيْنَ نَكَبَاءِ الشُّمَالِ وَالذُّبُورِ
وَبَيْنَ الْقُطْبِ الشُّمَالِيِّ ، وَهُوَ إِلَى الْقُطْبِ الشُّمَالِيِّ أَقْرَبُ وَأَمِيلٌ ، وَمُقَابِلَتُهُ مَا بَيْنَ أَوْسَطِ الْجَنُوبِ
وَنَكَبَاءِ الصُّبَا وَالْجَنُوبِ ، وَهُوَ إِلَى الْجَنُوبِ أَقْرَبُ .

وَالْمَدِينَةُ النَّبَوِيَّةُ مُشْرِقَةٌ عَنْ هَذَا السَّمْتِ ، وَمُعْرَبَةٌ عَنْ سَمْتِ الْجَانِبِ الْآخَرَ مِنَ بِلَادِ الشَّامِ - وَهُوَ
الْجَانِبُ الْغَرْبِيُّ - تَغْرِيثًا يَسِيرًا . فَمَنْ يَسْتَقْبِلُ مَكَّةَ بِالْمَدِينَةِ يَصِيرُ الْمَشْرِقُ عَنْ يَسَارِهِ ، وَالْمَغْرِبُ عَنْ
يَمِينِهِ ، وَمَا بَيْنَهُمَا فَهُوَ قِبَلَتُهُ ، وَتَكُونُ حَيْثُ الشَّامُ بِأَسْرَافِهَا وَجَمَلَةِ بِلَادِهَا خَلْفَهُ . فَالْمَدِينَةُ عَلَى هَذَا
فِي أَوْسَطِ جِهَاتِ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ .

وَيَشْهَدُ بِصِدْقِ ذَلِكَ مَا رَوَيْنَاهُ مِنْ طَرِيقِ مُسْلِمٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا - قَالَ : رَقِيتُ عَلَى بَيْتِ أُخْتِي حَفْصَةَ ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاعِدًا لِحَاجَتِهِ ، مُسْتَقْبِلَ
الشَّامِ مُسْتَدِيرَ الْقِبْلَةَ . وَلَهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ : بَيْنَا النَّاسُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ ، إِذْ
جَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ ،
فَاسْتَدَارَ إِلَى الْكَعْبَةِ .

فَهَذَا - أَعَزَّكَ اللَّهُ - أَوْضَحُ دَلِيلٍ أَنَّ الْمَدِينَةَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالشَّامِ عَلَى حَدِّ وَاحِدٍ ، وَأَنَّهَا فِي أَوْسَطِ
جِهَةِ بِلَادِ الشَّامِ . فَمَنْ اسْتَقْبَلَ بِالْمَدِينَةِ الْكَعْبَةَ ، فَقَدْ اسْتَدْبَرَ الشَّامَ . وَمَنْ اسْتَدْبَرَ بِالْمَدِينَةِ الْكَعْبَةَ ،
فَقَدْ اسْتَقْبَلَ الشَّامَ . وَيَكُونُ حَيْثُ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنَ بِلَادِ الشَّامِ ، وَمَا عَلَى سَمْتِهِ مِنَ الْبِلَادِ ، جِهَةً

القبلة عندهم أن يجعل الواقف مشرق الصيف عن يساره ، ومغرب الشتاء عن يمينه ، فيكون ما بين ذلك قبلته . وتكون قبلة الجانب الشرقي من بلاد الشام وما على سمت ذلك من البلدان ، أن يجعل المصلي مغرب الصيف عن يمينه ، ومشرق الشتاء عن يساره ، وما بينهما قبلته . ويكون أوسط البلاد الشامية - التي هي حد المدينة النبوية - قبلة المصلي بها أن يجعل مشرق الاعتدال عن يساره ، ومغرب الاعتدال عن يمينه ، وما بينهما قبلة له . فهذا أوضح استدلال على أن الحديث خاص بأهل المدينة ، وما على سمتها من البلاد الشامية ، وما وراءها من البلدان المسامية لها . وهكذا أهل اليمن وما على سمت اليمن من البلاد . فإن القبلة واقعة فيما هنالك بين المشرق والمغرب ، لكن على عكس وقوعها في البلاد الشامية . فإنه تصير مشارق الكواكب في البلاد الشامية ، التي على يسار المصلي ، واقعة عن يمين المصلي في بلاد اليمن . وكذلك كل ما كان من المغرب عن يمين المصلي بالشام ، فإنه ينقلب عن يسار المصلي باليمن . وكل من قام ببلاد اليمن مستقبلاً الكعبة ، فإنه يتوجه إلى بلاد الشام فيما بين المشرق والمغرب .

وهذه الأقطار سكانها هم المخاطبون بهذا الحديث ، وحكمه لازم لهم ، وهم خاص بهم دون من سواهم من أهل الأقطار الأخر . ومن أجل حمل هذا الحديث على العموم ، كان السبب في اختلاف محارِب مصر .

السبب الثاني في اختلاف محارِب مصر : أن الديار المصرية لما افتتحها المسلمون ، كانت غاصة^a بالقبط والرؤم مشحونة بهم ، ونزل الصحابة - رضي الله عنهم - من أرض مصر في موضع الفسطاط - الذي يُعرف اليوم بمدينة مِصر - وبالإسكندرية ، وتركوا سائر قرى مصر بأيدي القبط ، كما تقدّم في موضعه من هذا الكتاب^١ . ولم يشكّن أحد من المسلمين بالقرى ، وإنما كانت رابطة تخرج إلى الصعيد ، حتى إذا جاء أوان الربيع انتشر الأتباع في القرى لرعي الدواب ومعهم طوائف من السادات . ومع ذلك فكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ينهي الجنّد عن الزرع ، وينعت إلى أمراء الأجناد بإعطاء الرعيّة أعطياتهم وأرزاق عيالهم ، وينهاهم عن الزرع .

روى الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب «فتوح مصر» من طريق ابن وهب ، عن حيوة بن شريح ، عن بكر بن عمرو ، عن عبد الله بن هبيرة : أن عمر ابن

(a) بولاق : خاصة .

^١ فيما تقدم ١ : ٨٠ .

الخطاب أمر بناذره^(a) أن يخرج إلى أمراء الأجناد يتقدمون إلى الرعية: أن عطاءهم قائم، وأن أرزاق عيالهم سايل، فلا يزرعون ولا يزارعون.

قال ابن وهب: وأخبرني شريك بن عبد الرحمن المرادي، قال: بلغنا أن شريك بن سمي الغطيفي^(b)، أتى إلى عمرو بن العاص، فقال: إنكم لا تغطوننا ما يحسبنا أفتأذن لي بالزرع؟ فقال له عمرو: ما أقدر على ذلك. فزرع شريك من غير إذن عمرو. فلما بلغ ذلك عمرا، كتب إلى عمر بن الخطاب يخبره أن شريك بن سمي الغطيفي^(b) حرث بأرض مصر. فكتب إليه عمر «أن ابعث إلي به».

فلما انتهى كتاب عمر إلى عمرو أقرأه شريكا فقال شريك لعمرو: قتلتني يا عمرو؛ فقال عمرو: ما أنا بالذي قتلتك، أنت صنعت هذا بنفسك؛ فقال له: إذا كان هذا من رأيك فأذن لي بالخروج من غير / كتاب، ولك علي عهد الله أن أجعل يدي في يده.

فأذن له بالخروج، فلما وقف على عمر قال: تؤمّني يا أمير المؤمنين؟ قال: ومن أي الأجناد أنت؟ قال: من جند مصر؛ قال: فلعلك شريك بن سمي الغطيفي^(b)؛ قال: نعم يا أمير المؤمنين؛ قال: لأجعلنك نكالا لمن خلفك؛ قال: أو تقبل مني ما قبل الله تعالى من العباد؟ قال: وتقبل؟ قال: نعم.

فكتب إلى عمرو بن العاص أن شريك بن سمي جاءني تائبا فقبلت منه^١. قال: وحدثنا عبد الله بن صالح عن عبد الرحمن بن شريح، عن أبي قبيل، قال: كان الناس يجتمعون بالفسطاط إذا قفلوا، فإذا حضر مرافق الريف خطب عمرو بن العاص الناس فقال: قد حضر مرافق ريفكم^(c) فأنصرفوا. فإذا حمض اللبن، واشتد العود، وكثر الذباب، فحى على فسطاطكم، ولا أعلمن ما جاء أحد^(d) قد أسمن نفسه وأهزل جواده.

وقال ابن لهيعة: عن يزيد بن أبي حبيب، قال: كان عمرو يقول للناس إذا قفلوا من غزوهم: إنه قد حضر الربيع، فمن أحب منكم أن يخرج بفرسه يربعه فليفعل، ولا أعلمن ما جاء رجل^(e)

(a) عند ابن عبد الحكم: مناديه، وفي سائر النسخ بناذره. (b) بولاق: الغطفاني. (c) بولاق: الريف ربيعكم. (d) ابن عبد الحكم: أحدكم. (e) بولاق: أحد.

قد أَسْمَنَ نفسه وأَهْزَلَ فَرَسَهُ . فإذا حَمَصَ اللَّبَنُ ، وَكَثُرَ الذُّبَابُ ، وَلَوَى العُودُ ، فَارْجِعُوا إِلَى قَبْرِ وَايْكُمْ ^١ .

وعن ابن لهيعة ، عن الأسود بن مالك الحيميري ، عن بُحَيْرِ بن ذَاخِرِ المَعَاوِي ، قال : رُحْتُ أَنَا ووالدي إِلَى صَلَاةِ الجُمُعَةِ تَهْجِيرًا - وَذَلِكَ بَعْدَ حَمِيمِ النَّصَارَى بِأَيَّامِ سِيرَةٍ - فَأَطَلْنَا الرُّكُوعَ ، إِذْ أَقْبَلَ رِجَالٌ بِأَيْدِيهِمُ السَّيَاطِ يَزْجُرُونَ النَّاسَ ، فَذُعِرْتُ ؛ فَقُلْتُ : يَا أَبَتِ مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ فَقَالَ : يَا بُنَيَّ هَؤُلَاءِ الشُّرَطُ . فَأَقَامَ الْمُؤَذِّنُونَ الصَّلَاةَ ، فَقَامَ عَمْرُو بنِ العَاصِ عَلَى المِنْبَرِ . فرَأَيْتُ رَجُلًا رَبْعَةً ، قَصْدًا ^(a) القَامَةَ ، وَافِرَ الهَامَةَ ، أَدْعَجَ أَبْجَحَ ، عَلَيْهِ ثِيَابٌ مُوشَاةٌ كَأَنَّ بِهِ العِيقِيَانِ تَأْتَلِقُ ، عَلَيْهِ حُلَّةٌ وَعِمَامَةٌ وَجُبَّةٌ ، فَحَمِدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ حَمْدًا مُوجِزًا ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَوَعَّظَ النَّاسَ وَأَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ ؛ فَسَمِعْتُهُ يَحُضُّ عَلَى الزَّكَاةِ وَصِلَةِ الأَرْحَامِ ، وَيَأْمُرُ بِالأَقْتِصَادِ ، وَيَنْهَى عَنِ الفُضُولِ وَكَثْرَةِ العِيَالِ ، وَإِخْفَاضِ الحَالِ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ :

« يَا مَعْشَرَ النَّاسِ إِيَّاكُمْ وَجِلَالًا أَرْبَعًا ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى النَّصَبِ بَعْدَ الرَّاحَةِ ، وَإِلَى الضُّيْقِ بَعْدَ السَّعَةِ ، وَإِلَى الذُّلَّةِ بَعْدَ العِزَّةِ . إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ العِيَالِ ، وَإِخْفَاضِ الحَالِ ، وَتَضْيِيعِ المَالِ ، وَالقَيْلِ بَعْدَ القَالِ فِي غيرِ دَرَكٍ وَلَا نَوَالٍ . ثُمَّ إِنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ فَرَاغٍ يؤولُ إِلَيْهِ المَرْءُ فِي تَوَدِيْعِ جِسْمِهِ ، وَالتَّذْيِيرِ لَشَأْنِهِ ، وَتَخْلِيْتِهِ بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ شَهْوَاتِهَا . وَمَنْ صَارَ إِلَى ذَلِكَ ، فَلْيَأْخُذْ بِالقَصْدِ وَالنَّصَبِ الأَقْلَ ، وَلَا يَضَعْ ^(b) المَرْءُ فِي فَرَاغِهِ نَصِيبَ العِلْمِ مِنْ نَفْسِهِ ، فَيَحُوزَ ^(c) مِنَ الخَيْرِ عَاطِلًا ، وَعَنِ حَلَالِ اللهِ وَحَرَامِهِ غَافِلًا .

يَا مَعْشَرَ النَّاسِ إِنَّهُ قَدْ تَدَلَّتِ الجُوزَاءُ ، وَذَكَتِ ^(d) الشُّعْرَى ، وَأَقْلَعَتِ السَّمَاءُ ، وَارْتَفَعَ الوَبَاءُ ، وَقَلَّ النَّدَى ، وَطَابَ المَرْعَى ، وَوَضَعَتِ الحَوَامِلُ ، وَدَرَجَتِ السَّخَائِلُ ، وَعَلَى الرَّاعِي بِحَسَنِ رَعِيَّتِهِ حُسْنَ النُّظَرِ . فَحَيِّ لَكُمْ - عَلَى بَرَكَةِ اللهِ تَعَالَى - إِلَى رَيْفِكُمْ ، فَتَوَلُّوا ^(e) مِنْ خَيْرِهِ وَوَلِيَّتِهِ وَخِرَافِهِ وَصَيِّدِهِ ، وَأَزْبِعُوا حَيْلَكُمْ وَأَسْمِنُوهَا وَصُونُوهَا وَأَكْرِمُوهَا ، فَإِنَّهَا جُنَّتْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ ،

(a) بولاق : قصير . (b) بولاق : يضيع . (c) بولاق : فيجوز . (d) بولاق : ذلت . (e) في النسخ : فنالوا .

وبها مغانمكم وأنفالكم ، واستوثقوا بمن جاوزتموه من القبط خيبراً ، وإيائي^(a) والمسومات^(b) المعشولات ، فإنهن يفسدن الدين ، ويقصرون الهمم .

حدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن الله سيفتح عليكم بغيدي مصر ، فاستوثقوا بقبطها خيبراً ، فإن لهم فيكم صهراً وذمة . فكفوا أيديكم ، وعفوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم . ولا أعلمن ما أتى رجلٌ قد أسمن جسمه وأهزل فرسه ، وأعلموا أنني مُعترض الخيل كاعتراض الرجال ، فمن أهزل فرسه من غير علة ، حططته من فريضته قدر ذلك . وأعلموا أنكم في رباط إلى يوم القيامة ، لكثرة الأعداء حولكم ، وتشوف قلوبهم إليكم ، وإلى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية .

وحدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إذا فتح الله عليكم مصر ، فاتخذوا فيها جنداً كثيفاً ، فذلك الجند خير أجناد الأرض . فقال له أبو بكر - رضي الله عنه : ولم يا رسول الله ؟ قال : « لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة »^١ .

فاحمدوا الله معشر الناس على ما أولاكم ، فتمتعوا في ريفكم ما طاب لكم . فإذا يبس العود ، وسخن الماء ، وكثر الدباب ، وحمض اللبن ، وصوخ البقل ، وانقطع الوزد من الشجر ، فحني إلى فسطاطكم على بركة الله ، ولا يقدم أحد منكم ذو عيالٍ إلا ومعه تحفة لعياله ، على ما أطلق من سعته أو عُشرته . أقول قولي هذا ، وأستحفظ الله عليكم .

قال : فحفظت ذلك عنه . فقال والدي ، بعد انصرافنا إلى المنزل ، لما حكيت له خطبته : إنه يا بُنيّ يخذو^(c) الناس إذا انصرفوا إليه على الرباط كما خداهم^(d) على الريف والدعة^٢ .

(a) بولاق : إياكم ، والمثبت من النسخ وفتح مصر . (b) بولاق : المومسات ، ابن عبد الحكم : المشومات ، والمثبت قراءة النجوم الزاهرة . (c) بولاق : يحذر . (d) بولاق : يحذرهم .

^١ انظر كذلك فيما تقدم ١ : ٢٤ . ^٢ راجع خير خطبة عمرو بن العاص عند ابن =

قال: وكان إذا جاء وقت الربيع واللبن^(a) كتب لكل قوم بزيعهم ولبيهم إلى حيث أحبوا. وكانت القرى التي يأخذ فيها معظمهم: منوف وديسبنديس^(b) وأهناس وطحا. وكان أهل الراية متفرقين: فكان آل عمرو بن العاص وآل عبد الله بن سعد يأخذون في منف^(c) ووسيم، وكانت هذيل تأخذ في بنا وبوصير، وكانت عدوان تأخذ في بوصير، وقرى عك التي تأخذ فيها معظمهم بوصير ومنوف وديسبنديس^(d) وأثريب.

وكانت بلي تأخذ في منف وطراية^(e)، وكانت فهيم تأخذ في أثريب وعين / شمس ومنوف، وكانت مهرة تأخذ في منا ومي وبسطة ووسيم، وكانت لحم تأخذ في الفيوم وطراية^(f) وفرييط^(g)، وكانت جذام تأخذ في فرييط^(f) وطراية^(g)، وكانت حضرموت تأخذ في بنا وعين شمس وأثريب، وكانت مراد تأخذ في منف والفيوم ومعهم عبس بن زوف، وكانت حمير تأخذ في بوصير وقرى أهناس، وكانت خولان تأخذ في قرى أهناس والقيس والبهنسا.

وآل وعلة يأخذون في سفيط من بوصير، وآل أبرهة يأخذون في منف، وغفار وأسلم يأخذون مع وائل من جذام وسعد في بسطة وفرييط وطراية، وآل يسار بن ضبة في أثريب. وكانت المعافر تأخذ في أثريب وسحا ومنوف، وكانت طائفة من نجيب ومراد يأخذون باليدقون. وكان بعض هذه القبائل ربما جاؤز بعضا في الربيع، ولا يوقف في معرفة ذلك على أحد؛ إلا أن معظم القبائل كانوا يأخذون حيث وصفنا. وكان يكتب لهم بالربيع فيربعون وباللبن ما أقاموا، وكان لغفار وليث أيضا مرتبع^(h) بأثريب.

قال: وأقامت مدلج بخربتنا فاتخذوها منزلا وكان معهم نقر من حمير حالقوهم فيها فهي منازلهم، ورجعت حشيين وطائفة من لحم وجذام فنزلوا أكناف صان وإليل وطراية^(h). ولم تكن قيس بالحواف الشرقي قديما، وإنما أنزلهم به ابن الحبحاب. وذلك أنه وقد إلى هشام ابن

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: سمود. (c) بولاق: منوف. (d) بولاق: سنديس. (e) بولاق: طراية. (f) في بولاق والنسخ: قرييط بالقاف، وصوبها محمد رمزي إلى فرييط بالفاء (القاموس الجغرافي ٢/١٣٠:١). (g) بولاق: مربع.

عبد الملك ، فَأَمَرَ لَهُ بِفَرِيضَةٍ خَمْسَةَ آلَافِ رَجُلٍ ، فَجَعَلَ ابْنُ الْحَبَّاحِ الْفَرِيضَةَ فِي قَيْسٍ ، وَقَدِمَ بِهِمْ فَأَنْزَلَهُمُ الْخَوْفَ الشَّرْقِيَّ بِمِصْرٍ^١ .

فَانظُرْ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَتَابِعُوهُمْ عِنْدَ فَتْحِ مِصْرٍ مِنْ قِلَّةِ السُّكْنَى بِالرَّيْفِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَكَانَتْ الْقَرْيُ كُلُّهَا فِي جَمِيعِ الْإِقْلِيمِ ، أَعْلَاهُ وَأَسْفَلُهُ ، مَمْلُوءَةٌ بِالْقِبْطِ وَالرُّومِ . وَلَمْ يَنْتَشِرِ الْإِسْلَامُ فِي قَرْيِ مِصْرٍ إِلَّا بَعْدَ الْمِائَةِ مِنْ تَارِيخِ الْهَجْرَةِ ، عِنْدَمَا أَنْزَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَبَّاحِ - مَوْلَى سُلُوقٍ - قَيْسًا بِالْخَوْفِ الشَّرْقِيِّ . فَلَمَّا كَانَ فِي الْمِائَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ سِنِي الْهَجْرَةِ ، كَثُرَ انْتِشَارُ الْمُسْلِمِينَ بِقَرْيِ مِصْرٍ وَتَوَاجِيحِهَا . وَمَا بَرِحَتِ الْقِبْطُ تَنْقُضُ وَتُحَارِبُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَا بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ مِنْ سِنِي الْهَجْرَةِ^٢ .

قال أبو عمر^(a) محمد بن يوسف الكندي في كتاب «أمرأئ مِصْر» : وفي إمرة الحر بن يوسف أمير مصر ، كتب عبیدُ الله بن الحَبَّاحِ - صاحب خراج مصر - إلى هشام بن عبد الملك بأن أرض مصر تحمل الزيادة . فزاد على كل دينار قيراطًا ، فانتقضت^(b) كورة نثو ونمي وفرييط وطراينة وعامة الخوف الشرقي . فبعث إليهم الحر بأهل الديوان فحاربوهم ، فقتل منهم بشر^(c) كثير . وذلك أول نقض القبط بمصر ، وكان نقضهم في سنة سبع^(d) ومائة ، ورابط الحر بن يوسف بدمياط ثلاثة أشهر^٣ .

ثم نقض أهل الصعيد ، وحارب القبط عمالهم في سنة إحدى وعشرين ومائة . فبعث إليهم حنظلة بن صفوان أمير مصر ، أهل الديوان ، فقتلوا من القبط ناسًا كثيرًا فظفر بهم^٤ .

وخرج يُحنس^(e) - وهو رجل من القبط - من سمثود ، فبعث إليه عبد الملك بن مروان ابن موسى بن نصير أمير مصر ، فقتل يُحنس^(e) في كثير من أصحابه ، وذلك في سنة اثنتين وثلاثين ومائة^٥ .

(a) بولاق : أبو عمرو . (b) بولاق : فنقضت . (c) بولاق : خلَّق . (d) بولاق : تسع . (e) بولاق : بحنس .

^١ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ١٤١-١٤٣ .

^٢ انظر حول هذا الموضوع فيما تقدم ٢١٩:١ هـ .^٤ نفسه ١٠٣ .

^٣ الكندي : ولاية مصر ٩٥ ؛ وفيما تقدم .^٥ نفسه ١١٦ .

وخالفت القبط أيضا برشيد ، فبعث إليهم مزوان بن محمد الحمار - لما دخل مصر فارًا من بني العباس - عثمان بن أبي نسة^(a) فهزمهم^١ .

وخرج القبط على يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة أمير مصر بناحية سخا ، ونابدوا العمال ، وأخرجوهم في سنة خمسين ومائة ، وصاروا إلى شبرا شنباط ، وانضم إليهم أهل البشروود والأوسية والبجوم^(b) . فأتى الخبير يزيد بن حاتم ، فعقد لتضر بن حبيب المهلبى على أهل الديوان ووجوه أهل مصر ، فخرجوا إليهم ، فبيتهم^(c) القبط وقتلوا من المسلمين ، فألقى المسلمون النار في عسكر القبط ، وانصرف العسكر إلى مصر منهزمًا^٢ .

وفي ولاية موسى بن علي بن زياد على مصر ، خرج القبط يتهيب في سنة ست وخمسين ومائة ، فخرج إليهم عسكر فهزمهم^٣ . ثم نقضت القبط في جمادى الأولى سنة ست عشرة ومائتين ، مع من نقض من أهل أسفل الأرض من العرب ، وأخرجوا العمال ، وخلعوا الطاعة لشوء سيرة العمال فيهم^٤ . فكانت بينهم وبين الجيوش حروب امتدت إلى أن قدم الخليفة عبد الله أمير المؤمنين المأمون إلى مصر ، لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين ، فعقد على جيش بعث به إلى الصعيد ، وارتحل هو إلى سخا .

وأوقع الأفسين بالقبط في ناحية البشروود حتى نزلوا على حاكم أمير المؤمنين ، فحكم بقتل الرجال وبيع النساء والأطفال ، فبيعوا وسبي أكثرهم . وتبع كل من يؤمأ إليه بخلاف ، فقتل ناسا كثيرا ، ورجع إلى الفسطاط في صفر ، ومضى إلى حلوان ، وعاد لثمان عشرة خلعت من صفر . فكان مقامه بالفسطاط وسخا وحلوان تسعة وأربعين يوما^٥ .

فانظر - أعزك الله - كيف كانت إقامة الصحابة إنما هي بالفسطاط والإسكندرية ، وأنه لم يكن لهم كثير إقامة بالقرى ، وأن النصارى كانوا متمكنين من القرى والمسلمون بها قليل ، وأنهم لم ينتشروا بالنواحي إلا بعد عصر الصحابة والتابعين ، يتبين لك أنهم لم يؤسسوا في القرى والنواحي مساجد .

(a) بولاق : سبعة . (b) بولاق : التخوم . (c) بولاق : ولقيهم . (d) بولاق : أبو عمرو .

^٤ نفسه ٢١٤ .

^٥ نفسه ٢١٦ .

^١ الكندي : ولاية مصر ١١٨ .

^٢ نفسه ١٣٧ - ١٣٨ .

^٣ نفسه ١٤١ .

وَتَقَطَّنَ لشيءٍ آخَرَ ، وهو أَنَّ الْقَيْطَ ما بَرِحُوا ، كما تَقَدَّمَ ، يَبْتُونَ^(a) لِحَارِبَةِ الْمُسْلِمِينَ ذَالَّةٌ مِنْهُمْ بما هم عليه من الْقُوَّةِ وَالكَثْرَةِ . فَلَمَّا أَوْقَعَ بِهِمُ الْمَأْمُونُ الْوَقْعَةَ الَّتِي قُلْنَا ، / غَلَبَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَمَاكِنِهِمْ مِنَ الْقُرَى لما قَتَلُوا مِنْهُمْ وَسَبَّوْا ، وَجَعَلُوا عِدَّةً مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى مَسَاجِدَ .

وَكَنَائِسُ النَّصَارَى مُؤَسَّسَةٌ عَلَى اسْتِيقْبَالِ الْمَشْرِقِ وَاسْتِدْبَارِ الْمَغْرِبِ ، زَعَمًا مِنْهُمْ أَنَّهُمْ أَمَرُوا بِاسْتِيقْبَالِ مَشْرِقِ الْإِعْتِدَالِ ، وَأَنَّهُ الْجَنَّةُ لَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْهُ . فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ أَبْوَابَ الْكَنَائِسِ مَحَارِيبَ عِنْدَمَا غَلَبُوا عَلَيْهَا وَصَيَّرُوهَا مَسَاجِدَ ، فَجَاءَتْ مُوَازِيَةٌ لِحُطِّ نِصْفِ النَّهَارِ ، وَصَارَتْ مُنْخَرِفَةٌ عَنِ مَحَارِيبِ الصُّحَابَةِ انْجِرَافًا كَثِيرًا يَحْكُمُ بِخَطِّهَا وَبُعْدِهَا عَنِ الصُّوَابِ كَمَا تَقَدَّمَ .

السَّبَبُ الثَّلَاثُ : تَسَاهُلُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فِي مَعْرِفَةِ أُدْلَةِ الْقِبْلَةِ ، حَتَّى إِنَّكَ لَتَجِدُ كَثِيرًا مِنَ الْفُقَهَاءِ لَا يَعْرِفُونَ مَنَازِلَ الْقَمَرِ صُورَةً وَحِسَابًا ، وَقَدْ عَلِمَ مَنْ لَهُ مُمَارَسَةٌ بِالرِّيَاضِيَّاتِ أَنَّ مَنَازِلَ الْقَمَرِ يُعْرَفُ وَقْتُ السَّحَرِ وَانْتِقَالُ الْفَجْرِ فِي الْمَنَازِلِ ، وَنَاهِيكَ بِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ . وَهَذِهِ الْمَنَازِلُ الَّتِي لِلْقَمَرِ مِنْ بَعْضِ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى الْقِبْلَةِ وَالطَّرِيقَاتِ ، وَهِيَ مِنْ مَبَادِي الْعِلْمِ وَقَدْ جَهِلُوهُ ، فَمَنْ أَعْوَزَهُ الْأَذْنَى آخَرَ بِهِ^(b) أَنْ يَجْهَلَ مَا هُوَ أَعْلَى مِنْهُ وَأَدْقُ .

السَّبَبُ الرَّابِعُ : الْإِعْتِدَارُ بِنَجْمِ سُهَيْلٍ ، فَإِنَّ كَثِيرًا مَا يَقَعُ الْإِعْتِدَارُ عَنِ مُخَالَفَةِ مَحَارِيبِ الْمَتَأَخِّرِينَ بِأَنَّهَا بُيِّنَتْ عَلَى مُقَابَلَةِ سُهَيْلٍ ، وَمِنْ هُنَا يَقَعُ الْخَطَأُ . فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى تَحْرِيرٍ ، وَهُوَ أَنَّ دَائِرَةَ سُهَيْلٍ مَطْلَعُهَا جَنُوبَ مَشْرِقِ الشِّتَاءِ قَلِيلًا ، وَتَوَسُّطُهَا فِي أَوْسَطِ الْجَنُوبِ ، وَغُرُوبُهَا يَمِيلُ عَنِ أَوْسَطِ الْجَنُوبِ قَلِيلًا . فَلَعَلَّ مِنْ تَقَدَّمَ مِنَ السَّلَفِ أَمْرَ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الْقُرَى عَلَى مُقَابَلَةِ مَطَالِعِ سُهَيْلٍ - وَمَطْلَعِهِ فِي سَمْتِ قِبْلَةِ مِصْرَ تَقْرِيبًا - فَجَهِلَ مِنْ قَامَ بِأَمْرِ الْبُنْيَانِ فَرَقَ مَا بَيْنَ مَطَالِعِ سُهَيْلٍ وَتَوَسُّطِهِ وَغُرُوبِهِ ، وَتَسَاهَلَ فَوَضَعَ الْحِرَابَ عَلَى مُقَابَلَةِ تَوَسُّطِ سُهَيْلٍ - وَهُوَ أَوْسَطُ الْجَنُوبِ - فَجَاءَ الْحِرَابُ حِينَئِذٍ مُنْخَرِفًا عَنِ السَّمْتِ الصَّحِيحِ انْجِرَافًا لَا يُسَوِّغُ التَّوَجُّهَ إِلَيْهِ أَلْبَتَّةُ .

السَّبَبُ الْخَامِسُ : أَنَّ الْحَارِيبَ الْفَاسِدَةَ بَدْيَارِ مِصْرَ أَكْثَرُهَا فِي الْبِلَادِ الشَّمَالِيَّةِ الَّتِي تُعْرَفُ بِالْوَجْهِ الْبَحْرِيِّ . وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْغَلَطَ دَخَلَ عَلَى مَنْ وَضَعَهَا مِنْ جِهَةِ ظَنِّهِ أَنَّ هَذِهِ الْبِلَادَ لَهَا حُكْمُ بِلَادِ الشَّامِ . وَذَلِكَ أَنَّ بِلَادَ مِصْرَ الَّتِي فِي السَّاحِلِ كَثِيرَةُ الشَّبْهِ بِبِلَادِ الشَّامِ فِي كَثْرَةِ أَمْطَارِهَا وَشِدَّةِ بَرْدِهَا وَحُسْنِ فَوَاكِهَتِهَا ، فَاسْتَطْرَدَ الشَّبْهَ حَتَّى فِي الْحَارِيبِ وَوَضَعَهَا عَلَى سَمْتِ الْحَارِيبِ الشَّامِيَّةِ ، فَجَاءَ شَيْئًا خَطَأً .

وبيان ذلك أن هذه البلاد ليست بشمالية عن الشام ، حتى يكون حُكْمُهَا في استقبالي الكعبة كالحكم في البلاد الشامية ، بل هي مُعْرَبَةٌ عن الجانب الغربي من الشام بعدة أيام ، وسَمْتَاهُما مُخْتَلِفَانِ في استقبالي الكعبة لاختلاف القطرتين . فإن الجانب الغربي من الشام كما تقدم مُقَابِلُ ميزاب الكعبة على نَحْطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وهو حيثُ مَهَبَتِ النَّكْبَاءُ التي بين الشمال والدُّبُورِ ؛ وَوَسَطُ الشَّامِ كِدِمَشْقُ وَمَا وَالَاهَا شَمَالُ مَكَّةَ مِنْ غَيْرِ مِثْلِ ، وَهُمْ يَسْتَقْبِلُونَ أَوْسَطَ الْجَنُوبِ فِي صَلَاتِهِمْ ، بَحِيثٍ يَكُونُ الْقُطْبُ الشَّمَالِي الْمُسَمَّى بِالْجَدِّي وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ .

والمدينة النبوية بين هذا الحد من الشام وبين مكة مُشْرِقَةٌ عَنْ هَذَا الْحَدِّ قَلِيلًا ، فَإِذَا كَانَتْ مِصْرَ مُعْرَبَةً عَنِ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنَ الشَّامِ بِأَيَّامٍ عَدِيدَةٍ ، تَعَيَّنَ وَوَجِبَ أَنْ تَكُونَ مَحَارِبِيهَا - وَلَا بَدَ - مَائِلَةً إِلَى جِهَةِ الْمَشْرِقِ بِقَدْرِ بُعْدِ مِصْرَ وَتَغْرِيْبِهَا عَنِ أَوْسَطِ الشَّامِ ، وَهَذَا أَمْرٌ يُذَكِّرُكَ الْحِشْيَ ، وَيَشْهَدُ لِصِحَّتِهِ الْعَيَانُ . وَعَلَى ذَلِكَ أُسِّسَ الصُّحَابَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - الْمَحَارِبَ بِدِمَشْقَ وَيَتَّيْتِ الْمَقْدَسَ مُسْتَقْبِلَةً نَاحِيَةَ الْجَنُوبِ وَأَسَّسُوا الْمَحَارِبَ بِمِصْرَ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَشْرِقِ مَعَ مِثْلِ يَسِيرٍ عَنْهُ إِلَى نَاحِيَةِ الْجَنُوبِ . فَدَرَبٌ^١ - رَحِمَكَ اللَّهُ - نَفْسِكَ فِي التَّمْيِيزِ ، وَعَوَّذُ نَظْرِكَ التَّامُّلِ ، وَارْتِبَاً بِتَفْسُكِ أَنْ تُقَادَ ، كَمَا تُقَادُ الْبَهِيمَةُ ، بِتَقْلِيدِكَ مِنْ لَا يُؤْمِنُ عَلَيْهِ الْخَطَأُ . فَقَدْ نَهَجْتُ لَكَ الشَّبِيلَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَأَلْتِ لَكَ مِنَ الْقَوْلِ ، وَقَرَّبْتُ لَكَ حَتَّى كَأَنَّكَ تُعَايِنُ الْأَقْطَارَ وَكَيْفَ مَوْقِعِهَا مِنْ مَكَّةَ .

ولي هنا مزيدُ بيانٍ فيهِ الْفَرْقُ بَيْنَ إِصَابَةِ الْعَيْنِ وَإِصَابَةِ الْجِهَةِ . وَهُوَ أَنَّ الْمُكَلَّفَ لَوْ وَقَفَ ، وَفَرَضْنَا أَنَّهُ خَرَجَ نَحْطُ مُسْتَقِيمٍ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْهِ ، وَمَرَّ حَتَّى اتَّصَلَ بِجِدَارِ الْكَعْبَةِ مِنْ غَيْرِ مِثْلِ عَنْهَا إِلَى جِهَةِ مِنَ الْجِهَاتِ ، فَإِنَّهُ لَا بَدَ أَنْ يَنْكَشِفَ لِبَصَرِهِ مَدَى عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ لَا يَنْتَهِي بَصَرُهُ إِلَى غَيْرِهِ إِنْ كَانَ لَا يَنْحَرِفُ عَنْ مُقَابِلَتِهِ . فَلَوْ فَرَضْنَا امْتِدَادَ خَطِّينِ مِنْ كِلَا عَيْنَيْ الْوَقْفِ - بِحَيْثُ يَلْتَقِيَانِ فِي بَاطِنِ الرَّأْسِ عَلَى زَاوِيَةٍ مُثَلَّثَةٍ ، وَيَتَّصِلَانِ بِمَا انْتَهَى إِلَيْهِ الْبَصَرُ مِنْ كِلَا الْجَانِبَيْنِ - لَكَانَ ذَلِكَ شَكْلًا مُثَلَّثًا ، بِقِسْمَةِ الْخَطِّ الْخَارِجِ مِنْ بَيْنِ الْعَيْنَيْنِ إِلَى الْكَعْبَةِ بِنَصْفَيْنِ ، حَتَّى يَصِيرَ ذَلِكَ الشَّكْلُ بَيْنَ مُثَلَّثَيْنِ مُتَسَاوَيْنِ .

فَالْخَطُّ الْخَارِجُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْ مُسْتَقْبِلِ الْكَعْبَةِ ، الَّذِي فَرَّقَ بَيْنَ الزَّوَايَتَيْنِ ، هُوَ مُقَابِلَةُ الْعَيْنِ الَّتِي اشْتَرَطَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَجُوبَ اسْتِقْبَالِهِ مِنَ الْكَعْبَةِ عِنْدَ الصَّلَاةِ . وَمُنْتَهَى مَا يَكْشِفُ بَصَرُ

(a) بولاق : فرض .

وقال غيره: واشترى له حَمَامَ شُمُولٍ ودارَ النُّحاسِ بمصرٍ وحبَّسَهُما على سَدَنَتِهِ ووَقُودَ مَصَابِيحِهِ ومن يَتَوَلَّى أمرَهُ ويؤدِّن فيه .^(a) قال كَاتِبُهُ : شَاهَدْتُ لَوْحًا بِأَعْلَى مِحْرَابِ الْجَامِعِ الْمَذْكُورِ فِيهِ اسْمُ الْآمِرِ وَتَارِيخُ بِنَائِهِ عَلَى مَا ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ ، وَفِيهِ ذِكْرُ تَجْدِيدِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بِيَبْرُسَ لَهُ فِي سَنَةِ .^(a) وَلَمْ تَكُنْ فِيهِ حُطْبَةٌ لَكِنَّهُ يُعْرَفُ بِالْجَامِعِ الْأَقْمَرِ .

فَلَمَّا كَانَ فِي شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، جَدَّدَهُ^(b) صَدِيقُنَا الْأَمِيرُ الْوَزِيرُ الْمُشِيرُ الْأُسْتَاذَارُ يَلْبُغَا بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّلْمِيِّ ، رَحِمَهُ اللَّهُ^(b) أَحَدُ الْمَمَالِكِ الظَّاهِرِيَّةِ ، وَأَنْشَأَ بِظَاهِرِ بَابِهِ الْبَحْرِيِّ حَوَانِيَتَ يَغْلُوهَا طِبَاقٌ لِلشُّكْنِيِّ^(c) ، وَجَدَّدَ فِي صَحْنِ الْجَامِعِ بِرُكَّةً لَطِيفَةً يَصِلُ إِلَيْهَا الْمَاءُ مِنْ سَاقِيَةٍ ، وَجَعَلَهَا مَرْتَفَعَةً يَنْزِلُ مِنْهَا الْمَاءُ إِلَى مَنْ يَتَوَضَّأُ مِنْ بَزَائِرِ نُحَاسٍ ،^(b) بَنَى لَهُ مَنَارَةً وَعَمِلَ بِهِ مِثْبَرًا لِلْحُطْبَةِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ^(b) . فَكَانَتْ أَوَّلَ جُمُعَةٍ جُمِعَتْ فِيهِ^(d) يَوْمَ الْجُمُعَةِ^(d) رَابِعَ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ . وَخَطَبَ فِيهِ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى الْحَلَبِيِّ - أَحَدُ نُوَّابِ الْقُضَاةِ الْحَنَفِيَّةِ - وَأُزْتِجَ عَلَيْهِ ، وَاسْتَمَرَ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي تَاسِعِ^(e) عَشْرِينَ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ إِحْدَى

(a-a) هذه العبارة من المَسْوَدَةِ عِوَضًا عَنْ مَا جَاءَ فِي التَّنْسِخِ وَهُوَ : «وَمَا زَالَ اسْمُ الْمَأْمُونِ وَالْآمِرِ عَلَى لَوْحٍ فَوْقَ الْمِحْرَابِ ، وَمِنْ تَجْدِيدِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بِيَبْرُسَ لِلْجَامِعِ الْمَذْكُورِ» . (b-b) هذه العبارة من المَسْوَدَةِ عِوَضًا عَنْ مَا جَاءَ فِي الْمُبَيَّنَّةِ . (c) إضافة من المَسْوَدَةِ . (d-d) ساقطة من بولاق . (e) بولاق : سابع .

= تُشَبِّهُ شَكْلَ الدِّينَارِ الْفَاعِطِيِّ - لِأَوَّلِ مَرَّةٍ اسْمَ الْإِمَامِ عَلِيِّ إِلَى جَانِبِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ (مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ) تَغْيِيرًا عَنِ الْإِعْتِقَادِ الشَّيْعِيِّ لِلدَّوْلَةِ .

قامت مؤخرًا طائفة البهرة بعملية ترميم كاملة للجامع وأعادت بناء الجناح الأيسر لواجهة الجامع الذي فقد منذ فترة طويلة . راجع كذلك عن الجامع الأقمر، محمد عبد العزيز مرزوق : مساجد القاهرة قبل عصر المماليك ٨٢-٩٥ ؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ٦٩-٧٣ ؛ أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ٩٥:١-١٠٢ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ١:١٤٤-٣١٤-٣٢٥ ؛ Creswell, K.A.C., MAE I, pp. 241-46; Fu'ad Sayyid, A., op.cit., pp. 514-29; Ja'farus Sâdiq M. Saifuddin, Al-Aqmar . A Living Testimony Fatemiyeen, London 2000 محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ١:١٤١-٦٦٧ .

(راجع، Williams, C., «The Cult of Alid Saints in the Fatimid Monuments of Cairo, Part I: The Mosque of al-Aqmar», *Muqarnas* I (1983), pp. 37-52; Behrens - Abouseif, D., «The Façade of the Aqmar Mosque in the Context of Fatimid Ceremonial», *Muqarnas* IX (1992), pp. 29-38 أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٦١٨-٦٢٠) .

^١ نظرًا للإهمال الذي شهده هذا الجامع مما أدى إلى تآكل أجزاء كبيرة منه ، فقد قامت لجنة حفظ الآثار العربية بإصلاحه بين سنتي ١٣٢٠-١٣٤٧/١٩٠٢-١٩٢٨ م . ثم

^٢ يوجد فوق القبلة أربعة أسطر من التَّنْسِخِ الْمَمْلُوكِيِّ =

المستقبل من الجانبين ، هو حَدُّ مَقَابِلَةِ الْجِهَةِ الَّتِي قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ بِصِحَّةِ اسْتِقْبَالِهِ فِي الصَّلَاةِ .

وَالْخَطَّانِ الْخَارِجَانِ مِنَ الْعَيْنَيْنِ إِلَى طَرَفَيْهِمَا آخِرُ الْجِهَةِ مِنَ الْيَمِينِ وَالشُّمَالِ . فَمَهْمَا وَقَعَتْ صَلَاةُ الْمُسْتَقْبِلِ عَلَى الْخَطِّ الْفَاصِلِ بَيْنَ الزَّوَيَتَيْنِ كَانَ قَدْ اسْتَقْبَلَ عَيْنَ الْكَعْبَةِ ، وَمَهْمَا وَقَعَتْ صَلَاتُهُ مَنْحَرَفَةً عَنْ يَمِينِ الْخَطِّ أَوْ يَسَارِهِ - بِحَيْثُ لَا يَخْرُجُ / اسْتِقْبَالُهُ عَنْ مَنْتَهَى حَدِّ الزَّوَيَتَيْنِ الْمَحْدُودَتَيْنِ بِمَا يَكْشِفُ بَصَرَهُ مِنَ الْجَانِبَيْنِ - فَإِنَّهُ مُسْتَقْبَلُ جِهَةِ الْكَعْبَةِ . وَإِنْ خَرَجَ اسْتِقْبَالُهُ عَنْ حَدِّ الزَّوَيَتَيْنِ مِنْ أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ ، فَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِي اسْتِقْبَالِهِ عَنْ حَدِّ جِهَةِ الْكَعْبَةِ .

وَهَذَا الْحَدُّ فِي الْجِهَةِ يَتَّسِعُ بِتَعَدِّ الْمَدَى وَيَضِيقُ بِقُرْبِهِ ، فَأَقْصَى مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ اتِّسَاعُهُ رُبْعُ دَائِرَةِ الْأُفُقِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجِهَاتِ الْمَعْتَبَرَةَ فِي الْاسْتِقْبَالِ أَرْبَعٌ : الْمَشْرِقُ ، وَالْمَغْرِبُ ، وَالْجَنُوبُ ، وَالشُّمَالُ . فَمَنْ اسْتَقْبَلَ جِهَةً مِنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ ، كَانَ أَقْصَى مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ سَعَةٌ تِلْكَ الْجِهَةِ رُبْعُ دَائِرَةِ الْأُفُقِ . وَإِنْ انْكَشَفَ لِبَصَرِهِ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَا عِبْرَةَ بِهِ مِنْ أَجْلِ ضَرُورَةِ تَسَاوِيِ الْجِهَاتِ . فَإِنَّا لَوْ فَرَضْنَا إِنْسَانًا وَقَفَ فِي مَرْكَزِ دَائِرَةٍ ، وَاسْتَقْبَلَ جِزَاءً مِنْ مُحِيطِ الدَّائِرَةِ ، لَكَانَتْ كُلُّ جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِهِ الْأَرْبَعِ - الَّتِي هِيَ وَرَاءَهُ وَأَمَامَهُ وَيَمِينُهُ وَشِمَالُهُ - تُقَابِلُ رُبْعًا مِنْ أَرْبَاعِ الدَّائِرَةِ .

فَتَبَيَّنَ بِمَا قُلْنَا أَنَّ أَقْصَى مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ اتِّسَاعُ الْجِهَةِ قَدْرُ رُبْعِ دَائِرَةِ الْأُفُقِ . فَأَيُّ جِزَاءٍ مِنْ أَجْزَاءِ دَائِرَةِ الْأُفُقِ قَصَدَهُ الْوَاقِفُ بِالْاسْتِقْبَالِ فِي بَلَدٍ مِنَ الْبُلْدَانِ ، كَانَتْ جِهَةٌ ذَلِكَ الْجُزْءِ الْمُسْتَقْبَلِ رُبْعَ دَائِرَةِ الْأُفُقِ ، وَكَانَ الْخَطُّ الْخَارِجُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْ الْوَاقِفِ إِلَى وَسَطِ تِلْكَ الْجِهَةِ هُوَ مَقَابِلَةُ الْعَيْنِ ، وَمَنْتَهَى الرَّبْعِ مِنْ جَانِبِهِ يَمْنَةً وَيَسْرَةً هُوَ مَنْتَهَى الْجِهَةِ الَّتِي قَدْ اسْتَقْبَلَهَا .

فَمَا خَرَجَ مِنْ مَحَارِبِ بَلَدٍ مِنَ الْبُلْدَانِ عَنْ حَدِّ جِهَةِ الْكَعْبَةِ ، لَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ لِذَلِكَ الْمَحْرَبِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ . وَمَا وَقَعَ فِي جِهَةِ الْكَعْبَةِ ، صَحَّتِ الصَّلَاةُ إِلَيْهِ عِنْدَ مَنْ يَرَى أَنَّ الْفَرَضَ فِي اسْتِقْبَالِ الْكَعْبَةِ إِصَابَةٌ جِهَتِهَا . وَمَا وَقَعَ فِي مُقَابِلَةِ عَيْنِ الْكَعْبَةِ ، فَهُوَ الْأَسَدُ الْأَفْضَلُ الْأَوْلَى عِنْدَ الْجُمْهُورِ .

وَإِنْ أَنْصَفْتَ عَلِمْتَ أَنَّهُ مَهْمَا وَقَعَ الْاسْتِقْبَالُ فِي مُقَابِلَةِ جِهَةِ الْكَعْبَةِ ، فَإِنَّهُ يَكُونُ سَدِيدًا . وَأَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى الصُّوَابِ مَا وَقَعَ قَرِيبًا مِنْ مُقَابِلَةِ الْعَيْنِ يَمْنَةً أَوْ يَسْرَةً ، بِخِلَافِ مَا وَقَعَ بَعِيدًا عَنْ مُقَابِلَةِ الْعَيْنِ فَإِنَّهُ بَعِيدٌ مِنَ الصُّوَابِ ، وَلَعَلَّهُ هُوَ الَّذِي يَجْرِي فِيهِ الْخِلَافُ بَيْنَ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَحَيْثُ تَقَرَّرَ الْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ بِالْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ وَالْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، فَاغْلَمَ أَنَّ الْمَحَارِبَ الْمَخَالِفَةَ لِمَحَارِبِ الصُّحَابَةِ ، الَّتِي بِقَرَاةِ مِصْرٍ وَبِالْوَجْهِ الْبَحْرِيِّ مِنْ دِيَارِ مِصْرٍ ، وَاقِعَةٌ فِي

آخر جهة الكعبة من مصر، وخارجة عن حد الجهة. وهي مع ذلك في مقابلة ما بين البجة والثوبة، لا في مقابلة الكعبة، فإنها منصوبة على موازاة خط نصف النهار.

و«محايرب الصحابة» على موازاة مشرق الشتاء تجاه مطالع العقرب، مع ميل يسير عنها إلى ناحية الجنوب. فإذا جعلنا مشرق الشتاء المذكور مقابلة عين الكعبة لأهل مصر، وفرضنا جهة ذلك الجزء ربع دائرة الأفق، صار سمت المحايرب التي هي موازاة لخط نصف النهار خارجا عن جهة الكعبة، والذي يستقبلها في الصلاة يُصلي إلى غير شطر المسجد الحرام. وهو خطر عظيم، فاخذه.

واعلم أن صعيد مصر واقع في جنوب مدينة مصر، وقوس واقعة في شرقي الصعيد وفيما بين مهب ربح الجنوب والصبأ من ديار مصر. فالتوجه من مدينة قوس إلى عيذاب يستقبل مشرق الشتاء سواء، إلى أن يصل إلى عيذاب، ولا يزال كذلك إذا سار من عيذاب حتى ينتهي في البحر إلى جدة، فإذا سار من جدة في البر استقبل المشرق كذلك حتى يحل بمكة، فإذا عاد من مكة استقبل المغرب.

فاعرف من هذا أن مكة واقعة في النصف الشرقي من الربع الجنوبي بالنسبة إلى أرض مصر. وهذا هو سمت محايرب الصحابة التي بديار مصر والإسكندرية، وهو الذي يجب أن يكون سمت جميع محايرب إقليم مصر.

بزهان آخر: وهو أن من سار من مكة يريد مصر على الجادة، فإنه يستقبل ما بين القطب الشمالي - الذي هو الجدي - وبين مغرب الصيف مدة يومين وبعض اليوم الثالث، وفي هذه المدة يكون مهب النكباء - التي بين الشمال والمغرب - تلقاء وجهه. ثم يستقبل بعد ذلك في مدة ثلاثة أيام أو وسط الشمال، بحيث يتقى الجدي تلقاء وجهه، إلى أن يصل إلى بدر. فإذا سار من بدر إلى المدينة النبوية، صار مشرق الصيف تلقاء وجهه تارة، ومشرق الاعتدال تارة، إلى أن ينتهي إلى المدينة. فإذا رجع من المدينة إلى الصفراء، استقبل مغرب الشتاء إلى أن يعدل إلى يثبع، فيصير تارة يسير شمالا وتارة يسير مغربا، ويكون يثبع من مكة على حد النكباء التي بين الشمال ومغرب الصيف. فإذا سار من يثبع استقبل ما بين الجدي ومغرب الثريا - وهو مغرب الصيف - وهبت النكباء تلقاء وجهه إلى أن يصل إلى مدين. فإذا سار من مدين، استقبل تارة الشمال وأخرى مغرب الصيف حتى يدخل أيلة. ومن أيلة لا يزال يستقبل مغرب الاعتدال تارة، ويميل عنه إلى جهة الجنوب مع استقبال مغرب الشتاء أخرى، إلى أن يصل إلى القاهرة ومصر. فلو

فَرَضْنَا خَطًّا خَرَجَ مِنْ مَحَارِيبِ مِصْرَ الصُّحَيْحَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الصُّحَابَةُ ، وَمَرَّ عَلَى اسْتِقَامَةٍ مِنْ غَيْرِ مَبِيلٍ وَلَا انْحِرَافٍ ، لَاتَّصَلَ بِالْكَعْبَةِ وَلَصِقَ بِهَا .

وَاعْلَمَ أَنَّ أَهْلَ مِصْرَ وَالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَبِلَادِ الصُّعِيدِ وَأَسْفَلَ الْأَرْضِ وَبَرْقَةَ وَأَفْرِيْقِيَّةَ وَطَرَابُلُسَ الْمَغْرِبِ وَصِيقْلِيَّةَ وَالْأَنْدَلُسَ وَسَوَاحِلَ الْمَغْرِبِ إِلَى الشُّوسِ الْأَقْصَى وَالْبَحْرِ الْمَحِيطِ ، وَمَا عَلَى / سَمَتْ هَذِهِ الْبِلَادِ ، يَسْتَقْبِلُونَ فِي صَلَاتِهِمْ مِنَ الْكَعْبَةِ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ الْغَرْبِيِّ إِلَى الْمِيزَابِ .

فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ ، فَلْيَجْعَلْ بِنَاتٍ نَعِشٍ إِذَا غَرَبَتْ خَلْفَ كَيْفِهِ الْأَيْسَرِ ، وَإِذَا طَلَعَتْ عَلَى صُدْغِهِ الْأَيْسَرِ ، وَيَكُونُ الْجَدْيُ عَلَى أُذُنِهِ الْيُسْرَى ، وَمَشْرِقُ الشَّمْسِ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ ، أَوْ رِيحُ الشَّمَالِ خَلْفَ أُذُنِهِ الْيُسْرَى ، أَوْ رِيحُ الدُّبُورِ خَلْفَ كَيْفِهِ الْأَيْمَنِ ، أَوْ رِيحُ الْجَنُوبِ الَّتِي تَهُبُّ مِنْ نَاحِيَةِ الصُّعِيدِ عَلَى عَيْنِهِ الْيُمْنَى ، فَإِنَّهُ حَيْثُ يَسْتَقْبِلُ مِنَ الْكَعْبَةِ سَمَتْ مَحَارِيبِ الصُّحَابَةِ الَّذِينَ أَمَرْنَا اللَّهُ بِاتِّبَاعِ سَبِيلِهِمْ ، وَنَهَانَا عَنْ مُخَالَفَتِهِمْ بِقَوْلِهِ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [آيَةُ ١١٥ سُورَةُ النَّسَاءِ] . اللَّهُمَّنا اللَّهُ بِمَنَّةِ اتِّبَاعِ طَرِيقِهِمْ ، وَصَيِّرْنَا بِكَرَمِهِ مِنْ جِزْبِهِمْ وَفَرِيقِهِمْ . إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

الجامع بالعسكر^(a)

١٥ هذا الجامع ظاهر مصر^(b) ، وهو حيثُ الفضاء الذي هو اليوم فيما بين جامع أحمد ابن طولون وكوم الجارح بظاهر مدينة مصر ، وكان إلى جانب الشرطة والدار التي يسكنها أمراء مصر ، ومن هذه الدار إلى الجامع باب^١ ، وكان يُجمع فيه الجمعة ، وفيه منبرٌ ومقصورة^١ . وهذا الجامع بناه الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس^٢ ، في ولايته إمارة مصر ، مُلاصِقًا لشرطة العسكر - التي كان يُقال لها الشرطة العليا - في سنة تسع وستين ومائة فكانوا يجمعون فيه .

(a) بولاق : جامع العسكر . (b) بولاق : بظاهر مصر .

^١ انظر أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١ : ٣٢٦ ، ٢ : ٤٦١ ؛ انظر الكندي : ولاية مصر ١٥٢ - ١٥٤ ، وفيما تقدم

Fu'ad Sayyid, A., La capitale de l'Égypte, pp. ٦٦ : ٢ .

وكانت ولاية الفضل إمارة مصر، من قبل المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور، على الصلاة والخراج. فدخلها سلخ المحرم سنة تسع وستين ومائة في عسكر من الجنيد عظيم أتى بهم من الشام، ومصر تضطرم لما كان في الحوف، والخروج دحية بن مَعْصَب^a بن الأصبغ بن عبد العزيز ابن مزوان. فقام في ذلك، وجَهَزَ الجنود حتى أسر دحية وضرب عنقه في جمادى الآخرة من السنة المذكورة. وكان يقول: أنا أولى الناس بولاية مصر لقيامي في أمر دحية، وقد عجز عنه غيري حتى كفت أهل مصر أمره. فعزله موسى الهادي لما استخلف بعد موت أبيه المهدي بعد ما أقره. فنديم الفضل على قتل دحية، وأظهر توبة، وسار إلى بغداد. فمات عن خمسين سنة في سنة اثنتين وسبعين ومائة^١.

ولم يزل الجامع بالعسكر إلى أن ولي عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مَعْصَب مولى خزاعة على صلاة مصر وخراجها، من قبل عبد الله أمير المؤمنين المأمون، في ربيع الأول سنة إحدى عشرة ومائتين، فزاد في عمارته، وكان الناس يصلون فيه الجمعة قبل بناء جامع أحمد ابن طولون. ولم يزل هذا الجامع إلى ما بعد الخمس مائة من سني الهجرة^٢.

قال ابن المأمون في «تاريخه» من حوادث سنة سبع عشرة وخمس مائة: وكان يُطلق في الأربع ليالي الوقود - وهي مستهل رجب، ونصفه، ومستهل شعبان، ونصفه - يرسم الجوامع الستة: الأزهر والأنور والأقمر بالقاهرة، والطولوني والعتيق بمصر، وجامع القرافة، والمشاهد التي تتضمن الأعضاء الشريفة، وبعض المساجد التي يكون لأربابها وجاهة؛ جملة كثيرة من الزيت الطيب، ويختص بجامع راشد وجامع ساجل الغلة بمصر والجامع بالمقس يسير^٣.

ويعني بجامع ساجل الغلة جامع العسكر، فإن العسكر حيث كان قد خرب وحملت أنقاضه، وصار الجامع بساجل مصر، وهو الساجل القديم المذكور في موضعه من هذا الكتاب^٤.

كان مكان العسكر في صدر الإسلام يُعرف بعد الفتح بالحمراء القُصوى. وهي كما تقدم بخطه بني الأزرق، وخطه بني زويل،

ذكر العسكر

(a) بولاق: مصعب.

^٣ ابن المأمون: أخبار مصر ٦٩ وفيما تقدم ٢: ٥٢٤.

^١ فيما تقدم ٢: ٦٦.

^٤ انظر فيما تقدم ٢: ١٥٨-١٦٣.

^٢ المقريري: مسودة الخطط ٧١ و.

وخطُّه بني يَشْكُر بن جديلة من لحم. ثم دَثَرَتْ هذه الحَمْرَاء وصارت صَحْرَاء^١.

فلَمَّا زالت دَوْلَةُ بني أُمَيَّةَ ، ودَخَلتِ المُسَوَّدَةُ إلى مصر في طَلَبِ مَرْوان بن محمد الجَعْدِي في سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائة - وهي خَرَابُ فِضَاءٍ يُعْرَفُ بَعْضُهُ بِجَبَلِ يَشْكُر - نَزَلَ صَالِحُ بن عَلِيّ ابن عبد الله بن عَبَّاسٍ وأبو عَوْنُ عبد الملك بن يزيد بعَشْكْرهما في هذا الفِضَاءِ ، وأَمَرَ عبد الملك أبو عَوْنُ أصحابه بالبناء فيه فَبَنَوْا ، وسُمِّيَ من يومئذٍ بِالْعَشْكَرِ^٢.

وصارَ أَمْرَاءُ مصر إذا قَدِمُوا يَنْزِلُونَ فيه من بعد أبي عَوْنٍ ، وقال النَّاسُ من عَهْدِهِ : «كُنَّا بِالْعَشْكَرِ» ، و«خَرَجْنَا إلى العَشْكَرِ» ، و«كُتِبَ مِنَّا^٣ العَشْكَرِ» . فصارت «مَدِينَةُ الفُسطاطِ والعَشْكَرِ» ، ونَزَلَ الأَمْرَاءُ من عَهْدِ أبي عَوْنٍ بِالْعَشْكَرِ^٣.

فلَمَّا وُلِّيَ يزيدُ بن حَاتِمٍ إِمَارَةَ مصر ، وقَامَ عَلِيّ بن محمد بن عبد الله بن حَسَنٍ وطَرَقَ المَسْجِدَ ، كَتَبَ أبو جَعْفَرِ المَنْصُورِ إلى يزيد بن حَاتِمٍ بِأَمْرِهِ أَنْ يَتَحَوَّلَ مِنَ العَشْكَرِ إلى الفُسطاطِ ، وَأَنْ يَجْعَلَ الدِّيوانَ في كَنَائِسِ القَصْرِ وذلك في سنة سِتِّ وأربعين ومائة^٤.

إلى أن قَدِمَ الأَمِيرُ أبو العَبَّاسِ أحمد بن طُولُونُ من العِراقِ ، أميرًا على مصر ، فنَزَلَ بِالْعَشْكَرِ بدار الإِمَارَةَ التي بناها صَالِحُ بن عَلِيّ بعد هَزِيمَةِ مَرْوان وقتلِهِ ، وكان لها بابٌ إلى الجامع الذي بِالْعَشْكَرِ .

وكان الأَمْرَاءُ يَنْزِلُونَ بهذه الدَّارِ إلى أن نَزَلَهَا أحمد بن طُولُونُ ، ثم / تَحَوَّلَ منها إلى القَطَائِعِ .^٥ وجَعَلَهَا أبو الجَيْشِ حَمَارَوَيْه بن أحمد بن طُولُونُ ، عند إِمَارَتِهِ على مصر ، دِيوانًا للخِراجِ . ثم فُرِّقَتْ حَجْرًا حَجْرًا بعد دُخُولِ محمد بن سُلَيْمان الكَاتِبِ إلى مصر وزوالِ دَوْلَةِ بني طُولُونِ . وسَكَنَ محمد بن سُلَيْمان أيضًا بدارِ في العَشْكَرِ عند المِصَلِّي القَدِيمِ^٥ ، ونَزَلَهَا الأَمْرَاءُ من بعده إلى أن وُلِّيَ الإِنْخِشِيدُ محمد بن طُغْجِ ، فنَزَلَ بِالْعَشْكَرِ أيضًا .

(a) بولاق : و كنت في .

^١ انظر ما سبق وذكره المقرئ عن العسكر فيما تقدم

^٢ ٥٦:٢ - ٥٩ ، وما دُكِرَ هناك من مصادر ومراجع .

^٣ فيما تقدم ٥٦:٢ ، وفيه أن ذلك كان في سنة

^٣ فيما تقدم ٥٦:٢ .

^٤ الكندي : ولاية مصر ١٣٧ ، وفيما تقدم ٦٢:٢ .

^٥ فيما تقدم ٥٧:٢ .

ولما بنى أحمد بن طولون القطائع اتصّلت مبانيها بالعسكر، وبنى الجامع على جبل يشكر، فعمر ما هنالك عمارة عظيمة، بحيث كانت هناك دار^(a) (تُعرف بدار الفيل^a) على بركة قارون أنفق عليها كافور الإخشيدى مائة ألف دينار وسكنها^(a) في سنة ست وأربعين وثلاث مائة^a، وكان هناك مارستان أحمد بن طولون^١ أنفق عليه وعلى مستغله ستين ألف دينار.

وقدمت عساكر المعز لدين الله مع كاتيه وعلامه جوهر القائد، في سنة ثمان وخمسين وثلاث مائة، والعسكر عامر. غير أنه منذ بنى أحمد بن طولون القطائع هجر اسم العسكر، وصار يُقال «مدينة القسوط والقطائع». فلما خرب محمد بن سليمان الكاتب قصر ابن طولون وميدانه - كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب - صارت القطائع فيها المساكن الجليلة حيث كان العسكر^٢.

وأُنزل المعز لدين الله عمه أبا علي في دار الإمارة، فلم يزل أهله بها إلى أن خربت القطائع في الغلاء الكائن بمصر في خلافة المستنصر أعوام بضع وخمسين وأربع مائة. فيقال إنه كان هنالك ما ينيف على مائة ألف دار^٣، ولا يُنكر ذلك. فانظر ما بين سفح الجبل - حيث القلعة الآن - وبين ساحل مصر القديم الذي يُعرف اليوم بالكبارة، وما بين كوم الجارح من مصر وقناطر السباع، فهناك كانت القطائع والعسكر. ويخص العسكر من ذلك ما بين قناطر السباع وحذرة ابن قميحة إلى كوم الجارح، حيث الفضاء الذي يتوسط فيما بين قنطرة السد وباب المجدم من جهة القرافة فهناك كان العسكر.

ولما استولى الخراب في المحنة زمن المستنصر، أمر الوزير الناصر للدين [الحسن بن علي ابن]^(b) عبد الرحمن اليازوري ببناء حائط يشتر الخراب إذا توجه الخليفة إلى مصر فيما بين العسكر والقطائع وبين الطريق، وأمر فبنى حائط آخر عند جامع ابن طولون.

فلما كان في خلافة الأمير بأحكام الله أبي علي منصور بن المستغلي بالله، أمر وزيره أبو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالمأمون البطايحي فتودي مدة ثلاثة أيام في القاهرة ومصر بأن:

(a-a) ساقطة من بولاق. (b) إضافة اقتضاها السياق.

^١ فيما تقدم ٢: ٥٧، وفيما يلي ٦٩١-٦٩٢. العباس ١٤٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ١٤٠؛ وفيما

^٢ فيما تقدم ٢: ١٠٤. تقدم ٢: ١١٢.

^٣ مُضدّر هذا الخبر ابن دحية: النبراس في مناقب بني

من كان له دَارٌ في الخرابِ أو مكانٌ يعمره ، ومن عَجَزَ عن عِمَارَتِهِ يبيعه أو يُؤجِّره من غير نَقْلِ شيءٍ من أنقاضه ، ومن تأخَّر بعد ذلك فلا حَقَّ له ولا حِكْرَ يلزمه . وأباحَ تَعْمِيرَ جَمِيعِ ذلك بغير طَلَبِ حَقِّ . فَعَمَّرَ النَّاسُ ما كان منه مِمَّا يلي القَاهِرَةَ ، من حيث مَشْهَدُ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ إلى ظَاهِرِ بابِ زَوِيلَةَ ، ونُقِلَتْ أنقاضُ العَسْكَرِ ، فصَارَ الفَضَاءُ الذي يُتَوَصَّلُ إليه من مَشْهَدِ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ ومن الجَامِعِ الطُّولُونِيِّ ومن قَنَطَرَةِ السَّدِّ ، ويُسَلِّكُ فيه إلى حيث كُومِ الجَارِحِ . والقَامِرُ الآن من العَسْكَرِ جَبَلُ يَشْكُرُ الذي فيه جَامِعُ ابنِ طُولُونٍ ، وما حَوَّلَهُ إلى قَنَاطِرِ السَّبَاعِ^١ ، كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى .

جَامِعُ ابنِ طُولُونٍ

[أثر رقم ٢٢٠]

١. هذا الجَامِعُ على جَبَلٍ يُقَالُ له جَبَلُ يَشْكُرُ فيما بين القَاهِرَةِ ومِصر^(a) ، قال ابنُ عبدِ الظَّاهِرِ : وهو مَكَانٌ مَشْهُورٌ بِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ ، وقيل إنَّ مُوسَى - عليه السَّلَامُ - نَاجَى رَبَّهُ عليه بكلمات^٢ . وابتدأ في بِنَاءِ هذا الجَامِعِ الأَمِيرُ أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ بنِ طُولُونٍ ، بعد بِنَاءِ القَطَائِعِ ، في سنة ثلاثِ وستين ومائتين^٣ . قال جَامِعُ «السِّيَرَةِ الطُّولُونِيَّةِ» : كان أَحْمَدُ بنِ طُولُونٍ يُصَلِّي الجُمُعَةَ في المَسْجِدِ

(a) العبارة في الأصول : هذا الجامع موضعه يُعرَفُ بِجَبَلِ يَشْكُرُ ، والمثبت من مُسَوِّدَةِ الخَطِّطِ .

بأمر الله الواقع عند باب الفتوح ، وجامع الظاهر يبيِّنُس الواقع في ميدان الظاهر خارج سور القاهرة الشمالي ، أكبر مساجد الصلاة في مصر مساحةً (فيما يلي ١٠٧-١٠٨ ، ١٨٨-١٨٩) .

ونظرًا لكبير مساحة الجامع وتَعَدُّرِ الصُّرُوفِ عليه لم يكن من بين المساجد المأهولة في العصر الفاطمي ، ونزَّلَ به في عهد السلطان النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوْسُفِ بنِ أَيُّوبِ طائفةً من المغاربة الوافدين على مصر وأقاموا فيه أكثر من مائة سنة ، ثم جُعِلَ شُورَةُ لِلغِلَالِ في زَمَنِ المَلِكِ الظَّاهِرِ بِيْبُرْسِ ، إلى أن عَمَّرَهُ وَجَدَّه السُّلْطَانُ حُسَامُ الدِّينِ لاجين سنة ٦٩٦هـ/١٩٩٦م وأقام فيه الشعائر الدينية ، ثم عادَ إلى الخراب ، إلى أن جُعِلَ مَصْنَعًا لِعَمَلِ الأَحْرِمَةِ الصُّوفِيَّةِ في العصر العثماني . وفي سنة ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م تحوَّلَ =

^١ انظر فيما تقدم ٢: ٥٨ ؛ ٣: ٥٧-٥٨ ، ٣٣٣ .

^٢ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٨١ ؛ وفيما تقدم ٣٣٩: ١ .

^٣ ما زالَ جَامِعُ أَحْمَدِ بنِ طُولُونٍ قائمًا إلى اليوم بمِنطِقَةِ العُلَيْيَةِ جَنُوبِ القَاهِرَةِ (بين مَيِّدَانِ الرَّمِيْلَةِ شِمَالًا وَمَيِّدَانِ السَّيِّدَةِ زَيْنَبِ جَنُوبًا) ، وهو الأَثَرُ الوَحِيدُ الباقِي من مَدِينَةِ القَطَائِعِ الطُّولُونِيَّةِ . وتَبْلُغُ مِسَاحَةُ الجَامِعِ ١٧٢٤٤ مترًا مُرَبَّعًا ، وتُحِيطُ به من خارجه - ما عدا جهة القِبْلَةِ - ثلاثة أروقة خارجية مكشوفة على شكل طريقي حَوَّلَ الجَامِعِ ، تُعرَفُ بِ«الزِّيَادَاتِ» ، مجموع مساحتها ٩٠٣٧ مترًا مُرَبَّعًا . فتكون المساحة الإجمالية للجوامع والزِّيَادَاتِ الخَارِجِيَّةِ ٢٦٢٨١ مترًا مُرَبَّعًا تُعَادِلُ سِتَّةَ أَفْدِيَّةٍ وَرُبْعَ فَدَّانٍ . ويُعَدُّ هو وَجَامِعُ الحَاكِمِ

القَدِيمُ المِلاصِقُ لِلشُّرْطَةِ، فَلَمَّا ضَاقَ عَنْهُ^a بَنَى الجَامِعَ الجَدِيدَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ المَالِ الذي وَجَدَهُ فَوْقَ الجَبَلِ فِي المَوْضِعِ المَعْرُوفِ بِتُورِ فِرْعَوْنَ، وَمِنْهُ بَنَى العَيْنَ. فَلَمَّا أَرَادَ بِنَاءَ الجَامِعِ قَدَّرَ لَهُ ثَلَاثَ مِائَةِ عَمُودٍ، فَقِيلَ لَهُ مَا تَجِدُهَا، أَوْ تُنْفِذَ إِلَى الكِنَائِسِ فِي الأَزْيَافِ وَالضِّيَاعِ الخَرَابِ فَتَحْمِلَ ذَلِكَ. فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَلَمْ يَخْتَارِهِ، وَتَعَدَّبَ قَلْبُهُ بِالفِكرِ فِي أَمْرِهِ.

(a) بولاق: عليه.

Palestine, pp. 47-68; Hassan, Z.M., *Les Tulunides*, pp. 298-338 محمود عكوش: تاريخ ووصف الجامع الطولوني، القاهرة ١٩٢٧؛ محمود أحمد: بيان تاريخي عن الجامع الطولوني وشرح مميزاتة الفنية، القاهرة ١٩٣٥؛ زكي محمد حسن: الفن الإسلامي في مصر ٣٧-٤٧؛ Hautecoeur, L., *Les Mosquées du Caire*, I, pp. 208-16; Wiet, G., *CIA Égypte* II, pp. 73-90; Pauty, E. *La mosquée d'Ibn Touloun et ses alentours*, Le Caire 1936; Creswell, K.A.C., *EMA*, II pp. 332-56 عبد العزيز مرزوق: مساجد القاهرة قبل عصر المماليك ٢٧-٥٢؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية القاهرة ومدارسها (المدخل) ١٠١-١٣٦؛ فريد شافعي: العمارة العربية في مصر ٤٦٣-٤٩٥؛ سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ١: ١٣٥-١٥١؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ٥٧-٩٦؛ Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 42-55; Tarek Swelim, *The Mosque of Ibn Tûlûn*, Ph.D. Harvard University 1994 (وهي تحت الطبع الآن بالمعهد الهولندي بالقاهرة).

^١ حاشية بخط المؤلف: «المسجد القديم هذا هو بجامع العسكر المقدم ذكره».

= إلى ملجأ للمعجزة وظل كذلك حتى تألفت لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م فقامت بتزيمه وإصلاحه إصلاحاً كاملاً وأعدت إليه سابق رؤيته، كما أزالت الأبنية المحيطة به وعلى الأخص من الجهة البحرية. ونظراً لصعوبة صيانة الجامع فقد أهمل مرة ثانية فبدأ المجلس الأعلى للآثار مشروعاً لترميمه وإصلاحه، وما تزال هذه الأعمال جارية به ولم تتم إلى الآن.

راجع عن تاريخ الجامع ووصفه وتخطيطه، ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٧٦-٨٥؛ ابن دقماق: الانتصار ١٢٢:٤-١٢٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٤٠-٣٤١؛ المقرئ: السلوك ٢: ٨٢٧؛ العيني: عقد الجمان ٣: ٢٣٩، ٣٥٩-٣٦٠؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ٣٢٦، ٣: ٨، ١٠٦-١٠٧ (وتعليقات محمد رمزي عليه)؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤: ٤٥-٤٨؛ Marcel, J.J., «Mémoire sur la mosquée de Touloun et les inscriptions qu'elle renferme, comprenant un précis de la dynastie des Toulounides», *Description de l'Égypte*, t. XVIII, 3^e partie, Etat Moderne, Paris 1830, pp. 1-34; Corbett, E.R., «The Life and Works of Ahmed ibn Tulun», *JRAS* (1891), pp. 527-62; Salmon, G., *Études sur la topographie du Caire*, pp. 12-27; Williams, R., «The Mosque of Ibn Tûlûn», *MWV* (1918), pp. 221-34; Briggs, M. S., *Muhammadan Architecture in Egypt and*

وَبَلَغَ النَّضْرَانِيَّ الَّذِي تَوَلَّى لَهُ بِنَاءَ الْعَيْنِ - وَكَانَ قَدْ غَضِبَ عَلَيْهِ وَضَرَبَهُ وَرَمَاهُ فِي الْمَطْبِقِ - الْحَبْرَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَقُولُ : أَنَا أَبْنِيهِ لَكَ كَمَا تُحِبُّ وَتَخْتَارُ بِلَا عُمْدٍ إِلَّا عَمُودِي الْقِبْلَةَ . فَأَحْضَرَهُ ، وَقَدْ طَالَ شَعْرُهُ حَتَّى نَزَلَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَقَالَ لَهُ : وَيْحَكَ ، مَا تَقُولُ فِي بِنَاءِ الْجَامِعِ ! فَقَالَ : أَنَا أَصُوْرُهُ لِلْأَمِيرِ حَتَّى يَرَاهُ عَيَانًا بِلَا عُمْدٍ إِلَّا عَمُودِي الْقِبْلَةَ ^١ . فَأَمَرَ بِأَنْ تُحْضَرَ لَهُ الْجُلُودُ ، فَأَحْضَرَتْ ، وَصُوْرُهُ لَهُ ، فَأَعْجَبَهُ وَاسْتَحْسَنَهُ ، وَأَطْلَقَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَأَطْلَقَ لَهُ لِلنَّفَقَةِ عَلَيْهِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْفِقْ وَمَا احْتَجَجْتَ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَطْلَقْنَاكَ لَكَ .

فَوَضَعَ النَّضْرَانِيُّ يَدَهُ فِي الْبِنَاءِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، وَهُوَ جَبَلٌ يَشْكُرُ ، فَكَانَ يَنْشُرُ مِنْهُ وَيَعْمَلُ الْجِيرَ ، وَيَبْنِي إِلَى أَنْ فَرَعَ مِنْ جَمِيعِهِ ، وَيَبْيُضُهُ وَخَلَقَهُ ، وَفَرَشَ فِيهِ الْحُضْرَ ، وَعَلَّقَ فِيهِ الْقَنَادِيلَ بِالسَّلَاسِلِ الْحِسَانِ الطُّوَالَ ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ صَنَادِيقَ الْمَصَاحِفِ ، وَقَفَلَ ^٢ إِلَيْهِ الْقُرَّاءَ وَالْفُقَهَاءَ ، وَصَلَّى فِيهِ بَكَارُ بْنُ قُتَيْبَةَ الْقَاضِي ، وَعَمِلَ الرَّبِيعُ بْنُ سَلِيمَانَ بَابًا فِيْمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا ، وَلَوْ كَمَثَلِ مِفْحَصٍ ^٣ قَطَاةٍ ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» .

فَلَمَّا كَانَ فِي أَوَّلِ جُمُعَةٍ صَلَّىهَا أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ فِيهِ ، وَفَرَعَتِ الصَّلَاةُ ، / جَلَسَ مُحَمَّدُ بْنُ الرَّبِيعِ خَارِجَ الْمَقْصُورَةِ ، وَقَامَ الْمُسْتَمْلِي وَفَتَحَ بَابَ الْمَقْصُورَةِ ، وَجَلَسَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ وَلَمْ يَنْصَرَفْ ، وَالْعُلَمَاءُ قِيَامًا وَسَائِرُ الْحُجَّابِ ، حَتَّى فَرَغَ الْمَجْلِسِ . فَلَمَّا فَرَغَ الْمَجْلِسِ ، خَرَجَ إِلَيْهِ غُلَامٌ بَكِيْسٍ فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ ، وَقَالَ : يَقُولُ لَكَ الْأَمِيرُ : نَفَعَكَ اللَّهُ بِمَا عَلَّمَكَ ، وَهَذِهِ لِأَبِي طَاهِرٍ ، يَعْنِي ابْنَهُ . وَتَصَدَّقْ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ بِصَدَقَاتٍ عَظِيمَةٍ فِيهِ ، وَعَمِلَ طَعَامًا عَظِيمًا لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ؛ وَكَانَ يَوْمًا عَظِيمًا حَسَنًا .

وَرَأَى أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ ، وَنَزَلَ فِي الدَّارِ الَّتِي عَمِلَهَا فِيهِ لِلْإِمَارَةِ - وَقَدْ فُرِشَتْ وَعُلِقَتْ ، وَحُمِلَتْ إِلَيْهَا الْأَلَاتُ وَالْأَوَانِي وَصَنَادِيقُ الْأَشْرِبَةِ وَمَا شَاكَهَا - فَتَزَلَّ بِهَا أَحْمَدُ وَجَدَّدَ طَهْرَهُ وَغَيَّرَ ثِيَابَهُ ، وَخَرَجَ مِنْ بَابِهَا إِلَى الْمَقْصُورَةِ ، فَزَكَعَ وَسَجَدَ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا أَعَانَهُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَيَسَّرَهُ لَهُ . فَلَمَّا أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ ، خَرَجَ مِنَ الْمَقْصُورَةِ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى الْقَوَارَةِ ، وَخَرَجَ إِلَى بَابِ الرَّيْحِ . فَصَعِدَ النَّضْرَانِيَّ الَّذِي بَنَى الْجَامِعَ الْمَنَارَةَ ^٤ ، وَوَقَفَ إِلَى جَانِبِ الْمَرْكَبِ الثُّحَاسِ وَصَاحَ :

(a) بولاق : ونقل . (b) بولاق : كمفحص . (c) إضافة من المسودة .

يا أحمد بن طولون يا أمير الأمان ، عَبْدُكَ يُرِيدُ الْجَائِزَةَ ، ويسأل الأمان ألا يجري عليه مثل ما جرى في المرة الأولى . فقال له أحمد بن طولون : انزل فقد أمّنتك الله ، ولك الجائزة . فنزل وخلع عليه ، وأمر له بعشرة آلاف دينار ، وأجرى عليه الرزق الواسع إلى أن مات ^١ .

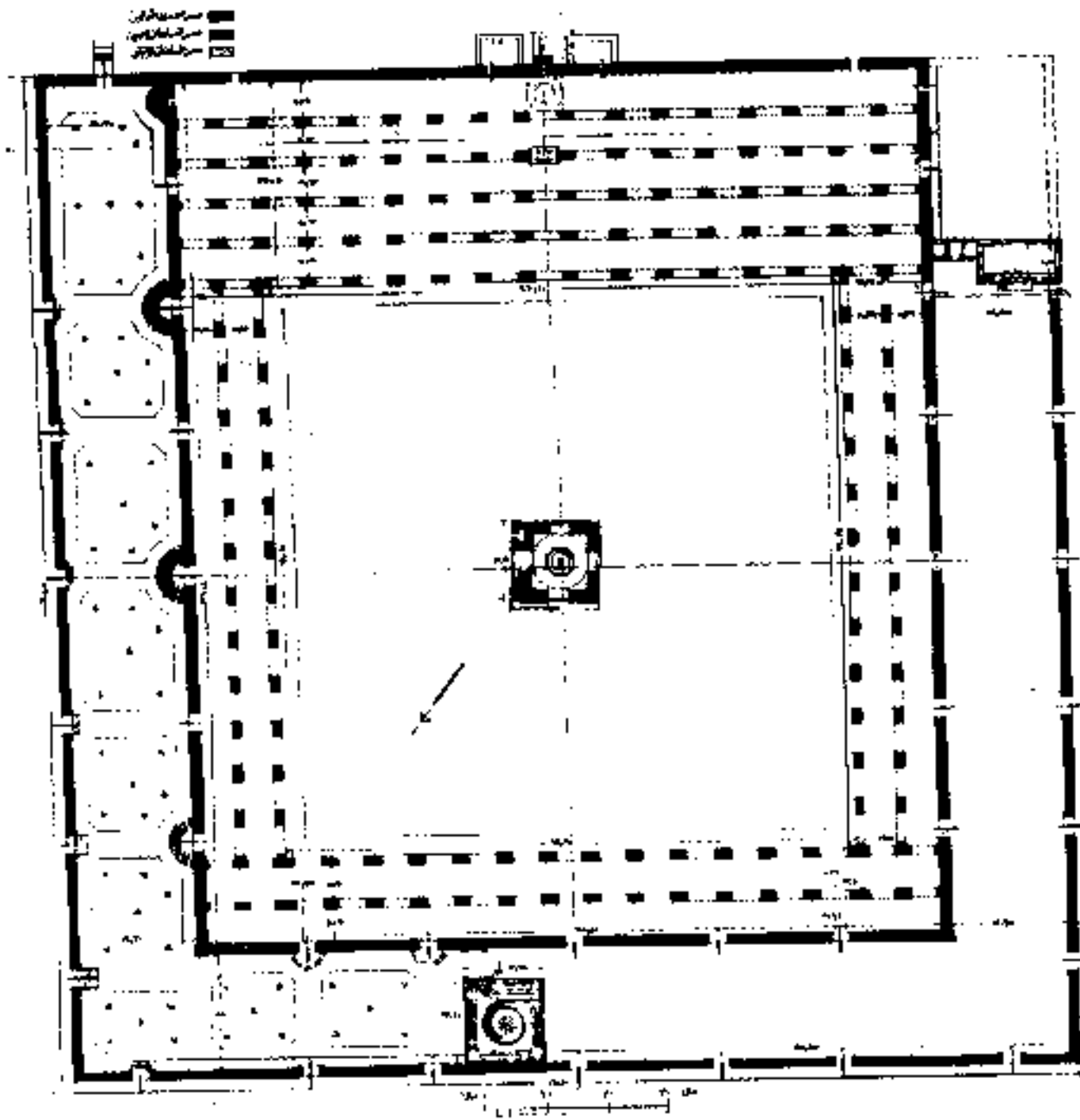
وراح أحمد بن طولون في يوم الجمعة إلى الجامع ، فلما رقي الخطيب المنبر وخطب أبو يعقوب البلخي ، دعا للمُعْتَمِد ولولده وأنسي أن يدعوا لأحمد بن طولون ، ونزل عن المنبر . ^(a) قال نسيم الخادم : فأشار إليّ أحمد ^(a) أن اضربه خمس مائة سوط ؛ فذكر الخطيب سهوه ، وهو على مراقبي المنبر ، فعاد وقال : الحمد لله وصلى الله على محمد ، ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنِي وَلمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [آية ١١٥ سورة طه] ، اللهم وأصلح الأمير أبا العباس أحمد بن طولون مؤلى أمير المؤمنين ، وزاد في الشكر والدعاء له بقدر الخطبة ، ثم نزل . ^(b) قال نسيم : فنظر إليّ مؤلاي ^(b) أن اجعلها دنانير . ووقف الخطيب على ما كان منه ، فحمد الله على سلامته ، وهنأه الناس بالسلامة .

^(c) قال : كان أحمد بن طولون في الجامع إذا رأى الصنّاع عند العشاء يتنون ^(c) - وكان شهر رمضان - قال : متى يشتري هؤلاء الضعفاء إبطارًا لعيالهم وأولادهم ؟ اضرفوهم العضر ، فصارت سنة إلى اليوم بمصر . فلما فرغ شهر رمضان قيل له : قد انقضى شهر رمضان ، فيعودون إلى رسمهم . فقال : قد بلغني دعاؤهم وقد تبرّكت به ، وليس هذا بما يوفر العمل علينا .

وفرغ منه في شهر رمضان سنة خمس وستين ومائتين ^٢ ، وتقرب الناس إلى ابن طولون بالصلاة فيه ، وألزم أولاده ^(d) كلهم صلاة الجمعة في فؤارة الجامع ، ثم يخرجون بعد الصلاة إلى مجلس الربيع بن سليمان ليكتبوا العلم ، مع كل واحد منهم وراق وعدة غلمان . وبلغت الثقة على هذا الجامع في بنائه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار .

(a-a) النسخ : فأشار أحمد إلى نسيم الخادم ، والمثبت من المَسْوَدَة . (b-b) النسخ : فنظر أحمد إلى نسيم ، والمثبت من المَسْوَدَة . (c-c) النسخ : ورأى أحمد بن طولون الصنّاع يتنون في الجامع عند العشاء ، والمثبت من المَسْوَدَة . (d) بولاق : أولادهم .

^١ البلوي : سيرة أحمد بن طولون ١٨٢-١٨٣ ؛ ست وستين ومائتين . ويؤكد تاريخ الانتهاء من بناء الجامع - المقرئ : مسودة الخطط .
^٢ ابن دقماق : الانتصار ٤: ١٢٣ وفيه أن ذلك في سنة الجامع الموجود الآن على أحد دعائم الجامع تجاه القبلة =



مُخَطَّط جامع ابن طولون (عن اللجنة)

= ونصه :

صَلَّيْتُ وَتَرَحُّمَتْ وَبَارَكْتَ عَلَيَّ يَا إِبْرَاهِيمُ ... وَعَلَى آلِ
إِبْرَاهِيمَ وَأَنْعَمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ.

كان أول من نشر هذه الكتابة ج. مارسيل في كتاب «وصف

مصر» Marcel, J.J., «Inscriptions, monnaies et médailles», *Description de l'Égypte*, État moderne planches t. II (Paris 1817), pl. f et g

وانظر كذلك van Berhem, M., *CIA Égypte I*, n° 10; Salmon, G., *Etudes sur la topographie du Caire*, p. 22 محمود عكوش: تاريخ ووصف الجامع

الطولوني ٢٢-٢٤؛ Wiet, G., *CIA Égypte II*, pp. ٢٢-٢٤؛ حسن عبد الوهاب: *RCEA II*, n° 682؛ 73-81؛ id.,

تاريخ المساجد الأثرية ٤٠:١-٤١؛ Grohmann, A., «Die Bauinschrift der Moschee des Ahmad Ibn Tûlûn (265/879)», in *Studies in Islamic Arts and Architecture in Honour of Professor K.A.C. Creswell*, Cairo AUC 1965, pp. 84, 94.

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآيات ١٨ سورة التوبة،
١٠٦ سورة آل عمران، و ٢٩٥ سورة الفتح، و ٢٥٦
سورة البقرة - أَمَرَ الْأَمِيرُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ مَوْلَى
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَدَامَ اللَّهُ لَهُ الْعِزَّ وَالْكَرَامَةَ وَالتَّعَمُّةَ الثَّامَةَ فِي
الْأَجْرَةِ وَالْأُولَى، بِنَاءَ هَذَا الْمَسْجِدِ الْمُبَارَكِ الْمَيْمُونِ مِنْ
خَالِصِ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَطَيْبِهِ لِمَجَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ابْتِغَاءَ
رِضْوَانِ اللَّهِ وَالذَّارِ الْآخِرَةِ [وإثارة] لما فيه تسنية الدين وألفة
المؤمنين، ورغبة في عمارة بيوت الله وأداء فريضه وتلاوة
كتابه ومداومة ذكره، إذ يقول الله تَعَالَى وَتَعَالَى - الآيات
٣٦-٣٨ سورة النور - فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ خَمْسِ
وَسِتِينَ وَمِائَتَيْنِ - الآيات ١٨٠-١٨٢ سورة الصافات .
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَارْحَمْ مُحَمَّدًا وَآلَ
مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَأَفْضَلِ مَا

ويقال إن أحمد بن طولون رأى في منامه كأن الله تعالى قد تجلّى ووقع نُورُه على المدينة التي حوّل الجامع، إلا الجامع فإنه لم يقع عليه من النور شيء. فتألم وقال: والله ما بنيتُه إلا لله خالصًا ومن المال الحلال الذي لا شبهة فيه^١. فقال له مُعَبَّرٌ حاذقٌ: هذا الجامع يتقى ويخرب كل ما حوّل، لأن الله تعالى قال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [آية ١٤٣ سورة الأعراف]، فكل شيء يقع عليه جلالُ الله - عزَّ وجلَّ - لا يثبت. وقد صحَّ تعبيرُ هذه الرؤيا^٢، فإنَّ جميع ما حوّل الجامع خربَ دَهْرًا طويلاً - كما تقدّم في موضعه من هذا الكتاب - وبقي الجامع عامرًا، ثم عادت العِمَارَةُ لما حوّلته كما هي الآن.

وقال القضاعي: وذَكَرَ أَنَّ السَّبَبَ فِي بِنَائِهِ أَنَّ أَهْلَ مِصْرَ شَكُوا إِلَيْهِ ضَيْقَ الجَامِعِ يَوْمَ الجُمُعَةِ بِجُنْدِهِ وَسُودَانِهِ، فَأَمَرَ بِإِنشَاءِ المَسْجِدِ الجَامِعِ بِجَبَلِ يَشْكُرَ بنِ جُدَيْلَةَ مِنَ الحَمِّ. فابتدأ بُنْيَانَهُ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ، وَقَرَعَ مِنْهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ^(b)؛^(c) وَقِيلَ إِنَّهُ بَنَاهُ فِي صَفَرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ^(c)! وَقِيلَ إِنَّ أَحْمَدَ بنَ طُولُونَ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَبْنِيَ بِنَاءً إِنْ احْتَرَقَتْ مِصْرُ بَقِي، وَإِنْ عَرِقَتْ بَقِي. فَقِيلَ لَهُ: يُبْنَى بِالْجِيرِ والرَّمَادِ وَالْأَجْرِ الأَحْمَرَ القَوِي النَّارَ إِلَى السَّقْفِ، وَلَا يُجْعَلُ فِيهِ أَسَاطِينُ رُخَامٍ، فَإِنَّهُ لَا صَبْرَ لَهَا عَلَى النَّارِ. فَبَنَاهُ هَذَا البِنَاءَ وَعَمِلَ فِي مُؤَخَّرِهِ مَيْضَاءً، وَخِزَانَةَ شَرَابٍ فِيهَا جَمِيعُ الشَّرَابَاتِ والأَدْوِيَةِ وَعَلَيْهَا خَدَمٌ، وَفِيهَا طَبِيبٌ جَالِسٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ لِحَادِثٍ يَحْدُثُ لِلحَاضِرِينَ لِلصَّلَاةِ. وَبَنَاهُ عَلَى بِنَاءِ جَامِعِ سَامِرًا، وَكَذَلِكَ المِنَارَةُ، وَعَلَّقَ فِيهِ سَلَابِلَ النُّحَاسِ المَفْرَعَةَ والقِنَادِيلَ المَحْكَمَةَ، وَفَرَشَهُ بِالحُصْرِ العَبْدَانِيَةِ والسَّامَانِيَةِ^٣.

قال جامع «السيرة»: لما وَرَدَ عَلَى أَحْمَدَ بنِ طُولُونَ كِتَابُ المُعْتَمِدِ بِمَا حَدِيثُ الكَنْزِ اسْتَدْعَاهُ مِنْ رَدِّ الخِرَاجِ بِمِصْرَ إِلَيْهِ، وَزَادَهُ المُعْتَمِدُ - مَعَ مَا طَلَبَ - الثُّغُورَ الشَّامِيَّةَ، رَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنِ أَدْنَسِ المَعَاوِنِ^(d) وَمَرافِقِهَا، فَأَمَرَ بِتَرْكِهَا وَكَتَبَ بِإِسْقَاطِهَا فِي سَائِرِ

(a) المسودة: تفسير هذا المنام. (b) النسخ والمسودة: سنة ست وستين ومائتين، والتاريخ الصواب هو الوارد في النص والذي جاء أيضًا في طبعة بولاق. (c-c) إضافة من المسودة. (d) بولاق: عن المعادن، والمثبت من النسخ والمسودة.

^١ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٧٦؛ ابن أبيك: كنز الخطط ٧٣ و - ظ.

الدرر ٥: ٢٨٥. ^٣ نفسه ٤: ١٢٢-١٣٢، وبدأ الخير بالعبارة التالية:

^٢ ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٢٢؛ المقرئ: مسودة «نقلت من خط الحافظ جمال الدين الينغوري...».

الأعمال ، ومنع المتقبلين من الفسخ على المزارعين ، وحظر^(a) الارتفاق على العمال . وكان قبل إسقاط المرافق بمصر قد شاور عبد الله بن دثومة^١ في ذلك - وهو يومئذ أمين على أبي أيوب متولي الخراج - فقال : إن أمنتني الأمير تكلمت بما عندي . فقال له : قد أمنتك الله عز وجل . فقال : أيها الأمير إن الدنيا والآخرة ضربتان ، والحازم من لم يخلط إحداهما مع الأخرى ، والمفرط من خلط بينهما فتتلف أعماله ويبتطل سعيه . وأفعال الأمير - أيده الله - الخير ، وتوكله توكل الزهاد ، وليس مثله / من ركب خطة لم يحكمها . ولو كنا نثق بالنصر دائماً طول العمر لما كان شيء عندنا أثر من التضييق على أنفسنا في العاجل بعمارة الآجل ، ولكن الإنسان قصير العمر كثير المصائب ، مدفوع إلى الآفات . وترك الإنسان ما قد أمكنه وصار في يده تضييع ، ولعل الذي حماه نفسه يكون سعادة لمن يأتي من بعده ، فيعود ذلك توسعة لغيره بما حرمه هو . ويجمع للأمير - أيده الله - بما قد عزم على إسقاطه من المرافق في السنة بمصر دون غيرها مائة ألف دينار ، وإن فسح ضياع الأمراء والمتقبلين في هذه السنة ، لأنها سنة ظمأ توجب الفسخ ، زاد مال البلد ، وتوفر توفراً عظيماً يضاف إلى مال المرافق ، فيضبط به الأمير - أيده الله - أمر دنياه . وهذه طريقة أمور الدنيا وإحكام أمور الرئاسة والسياسة ، وكل ما عدل الأمير - أيده الله - إليه من أمر غير هذا فهو مفسد لدنياه . وهذا رأيي ، والأمير - أيده الله - على ما عساه يراه .

فقال له : تنظر في هذا إن شاء الله . وشغل قلبه كلامه ، فبات تلك الليلة بعد أن مضى أكثر الليل يفكر في كلام ابن دثومة ، فرأى في منامه رجلاً من إخوانه الزهاد بطرسوس وهو يقول له : ^(b) ما أشار به عليك من استشرته في أمر الارتفاق والفسخ برأي محمد عاقبته فلا تقبله ، ومن ترك شيئاً لله - عز وجل - عوضه الله عنه ، فأض ما كنت عزمت عليه^٢ .

فلما أصبح أنقذ الكتب إلى سائر الأعمال بذلك ، وتقدم به في سائر الدواوين بإمضائه ، ودعا بابن دثومة فعرفه بذلك . فقال له : قد أشار عليك رجلاً ، الواحد في اليقظة والآخر ميث في

(a) بولاق : وخطر . (b) بولاق : ليس .

^١ لم تذكر المصادر من اسم عبد الله بن دثومة سوى هذا القدر (المقريزي : المقفى الكبير ٤ : ٣٩٨-٤٠٠) .

^٢ البلوي : سيرة أحمد بن طولون ٧٣-٧٤ ؛ ابن عبد

الظاهر : الروضة البهية ٧٧-٧٨ ؛ المقريزي : المقفى الكبير

٤ : ٣٩٨-٣٩٩ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣ : ٩-١٠ .

(عن خطط ابن عبد الظاهر ، وقارن مع ابن سعيد : المغرب

في حلى المغرب (قسم مصر) ٨٥-٨٦ .

النَّوْمَ ، وَأَنْتِ إِلَى الْحَيِّ أَقْرَبُ وَبِضْمَانِهِ أَوْثَقُ . فَقَالَ : دَعْنَا مِنْ هَذَا ، فَلَسْتُ أَقْبَلُ مِنْكَ ! وَرَكِبَ فِي غَدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى نَحْوِ الصَّعِيدِ . فَلَمَّا أَمْعَنَ فِي الصَّحْرَاءِ سَاخَتْ فِي الْأَرْضِ يَدُ فَرَسٍ بَعْضِ غِلْمَانِهِ - وَهُوَ رَمْلٌ - فَسَقَطَ الْغُلَامُ فِي الرَّمْلِ ، فَإِذَا بَفْتَقِي ، فَفُتِحَ فَأَصِيبَ فِيهِ مِنَ الْمَالِ مَا كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَهُوَ الْمَطْلَبُ^١ الَّذِي شَاعَ حَبْرُهُ . وَكَتَبَ بِهِ إِلَى الْعِرَاقِ أَحْمَدُ بْنُ طَوْلُونَ يُخْبِرُ الْمُعْتَمِدَ بِهِ ، وَيَسْتَأْذِنُهُ فِيمَا يَصْرِفُهُ فِيهِ مِنْ وُجُوهِ الْبِرِّ وَغَيْرِهَا ، فَبَتَى مِنْهُ الْمَارِسْتَانُ . ثُمَّ أَصَابَ بَعْدَهُ فِي الْجَبَلِ مَالًا عَظِيمًا ، فَبَتَى مِنْهُ الْجَامِعُ ، وَوَقَفَ جَمِيعَ مَا بَقِيَ مِنَ الْمَالِ فِي الصَّدَقَاتِ . وَكَانَتْ صَدَقَاتُهُ وَمَعْرُوفُهُ لَا تُحْصَى كَثْرَةً .

وَلَمَّا انْصَرَفَ مِنَ الصَّحْرَاءِ ، وَحَمَلَ الْمَالَ ، أَحْضَرَ ابْنَ دَسُومَةَ وَأَرَاهُ الْمَالَ ، وَقَالَ لَهُ : يَسَّ الصَّاحِبِ وَالْمُسْتَشَارِ أَنْتِ ! هَذَا أَوَّلُ بَرَكَةٍ مَشُورَةِ الْمَيْتِ فِي النَّوْمِ ، وَلَوْلَا أَنَّنِي أَمْنْتُكَ لَصَرَبْتُ عُقْنُكَ . وَتَغَيَّرَ عَلَيْهِ وَسَقَطَ مَحَلُّهُ عِنْدَهُ . وَرُفِعَ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ أَجْحَفَ بِالنَّاسِ ، وَأَلْزَمَهُمْ أَشْيَاءَ صَجَّجُوا مِنْهَا . فَقَبِضَ عَلَيْهِ وَأَخَذَ مَالَهُ وَحَبَسَهُ ، فَمَاتَ فِي حَبْسِهِ^١ .

وَكَانَ ابْنُ دَسُومَةَ وَاسِعَ الْحِيلَةِ بِخَيْلِ الْكَفِّ ، زَاهِدًا فِي شُكْرِ الشَّاكِرِينَ ، لَا يَهْشُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ . وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ طَوْلُونَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ ، إِذَا جَرَتْ مِنْهُ إِسَاءَةٌ اسْتَعْفَرَ وَتَضَرَّعَ^٢ .

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : سَمِعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ يَقُولُ : إِنَّهُ لَمَّا فَرَعَ أَحْمَدُ بْنُ طَوْلُونَ مِنْ بِنَاءِ هَذَا الْجَامِعِ ، أَسْرَ لِلنَّاسِ بِسَمَاعِ مَا يَقُولُهُ النَّاسُ فِيهِ مِنَ الْعُيُوبِ . فَقَالَ رَجُلٌ : مِخْرَابُهُ صَغِيرٌ ، وَقَالَ آخَرُ : مَا فِيهِ عُمُودٌ ، وَقَالَ آخَرُ : لَيْسَتْ لَهُ مَيْضَاةٌ . فَجَمَعَ النَّاسَ وَقَالَ : أَمَّا الْمِخْرَابُ فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ خَطَّهُ لِي ، فَأَصْبَحْتُ فَرَأَيْتُ النَّعْلَ قَدْ أَطَافَتْ بِالْمَكَانِ الَّذِي خَطَّهُ لِي^٣ . وَأَمَّا الْعُمُدُ فَإِنِّي بَنَيْتُ هَذَا الْجَامِعَ مِنْ مَالٍ حَلَالٍ وَهُوَ الْكَنْزُ ، وَمَا كُنْتُ لِأَشُوبَهُ بِغَيْرِهِ ، وَهَذِهِ الْعُمُدُ إِذَا أَنْ تَكُونَ مِنْ مَسْجِدٍ أَوْ كَنِيسَةٍ فَتَنْزَهُتَهُ عَنْهَا . وَأَمَّا الْمَيْضَاةُ فَإِنِّي نَظَرْتُ

(a) بولاق : الكنز .

^١ البلوي : سيرة أحمد بن طولون ٧٣-٧٧ ؛ ابن

سعيد : المغرب ٨٥-٨٦ (عن ابن الداية) ؛ ابن أئيك : كنز

الدرر ٥ : ٢٧١ ؛ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٧٨ ؛

السيوطي : حسن المحاضرة ٢ : ٢٤٧ ؛ ابن إياس : بدائع

الزهور ١/١ : ١٦٢-١٦٣ .

^٢ المقرئ : مسودة الخطط ٧٣ ظ - ٧٥ و .

^٣ فيما تقدم ٣٨ ؛ وقارن الموفق بن عثمان : مرشد الزوار

٢٠٣-٢٠٤ .

فَوَجَدَتْ مَا يَكُونُ بِهَا مِنَ النَّجَاسَاتِ فَطَهَّرْتَهُ مِنْهَا، وَهَا أَنَا أَبْنِيهَا خَلْفَهُ . ثُمَّ أَمَرَ بِبِنَائِهَا ^١ .
 وَقِيلَ : إِنَّهُ لَمَّا فَرَعَ مِنْ بِنَائِهِ رَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّ نَارًا نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخَذَتْ الْجَامِعَ دُونَ مَا
 حَوْلَهُ . فَلَمَّا أَصْبَحَ قَصَّ رُؤْيَاهُ فَقِيلَ لَهُ : أَبَشِّرْ بِقَبُولِ الْجَامِعِ ، لِأَنَّ النَّارَ كَانَتْ فِي الزَّمَانِ الْمَاضِي إِذَا
 قَبِلَ اللَّهُ قُرْبَانًا نَزَلَتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ أَخَذَتْهُ ، وَدَلِيلُهُ قِصَّةُ قَابِيلَ وَهَابِيلَ .

قَالَ : وَرَأَيْتُ مِنْ يَقُولُ إِنَّهُ عَمِلَ بِهِ مِنْطِقَةً مِنْ عَثْرٍ طَائِفَةٌ ^٢ بِجَمِيعِهِ . وَلَمْ أَرِ مُصَنِّفًا ذَكَرَهُ ، إِلَّا
 أَنَّهُ مُسْتَفَاضٌ مِنَ الْأَفْوَاهِ وَالتَّقَلَّةِ ^٣ . وَسَمِعْتُ مِنْ يَقُولُ : إِنَّ حَوْلَهُ عُمُرٌ حَتَّى كَانَتْ خَلْفَهُ مَسْطَبَةٌ
 ذِرَاعٌ فِي ذِرَاعٍ : أُجْرَتْهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ اثْنَا عَشَرَ دِرْهَمًا فِي بَكْرَةِ النَّهَارِ لِشَخْصٍ يَبِيعُ الْغَزْلَ وَيَشْتَرِيهِ ،
 وَالظُّهْرَ لِخَبَّازٍ ، وَالْعَصْرَ لِشَخْصٍ ^٤ يَبِيعُ الْحِمَّصَ وَالْفُؤْلَ ^٥ .

وَقِيلَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ : إِنَّهُ كَانَ لَا يَعْثَبُ بِشَيْءٍ قَطُّ ، فَاتَّفَقَ أَنَّهُ أَخَذَ دَرَجًا أَيْضًا بِيَدِهِ
 وَأَخْرَجَهُ وَمَدَّهُ ، وَاسْتَيْقِظَ لِنَفْسِهِ وَعَلِمَ أَنَّهُ قَدْ فُطِنَ بِهِ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ لِكَوْنِهِ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ عَادَتَهُ .
 فَطَلَبَ الْمِعْمَارَ عَلَى الْجَامِعِ ، وَقَالَ : تُبْنَى الْمِنَارَةُ الَّتِي لِلتَّأْدِينَ هَكَذَا ؛ فَبُنِيَتْ عَلَى تِلْكَ
 الصُّورَةِ ^٤ .

وَالْعَامَّةُ يَقُولُونَ : إِنَّ الْعُشَارِيَّ الَّذِي عَلَى الْمِنَارَةِ الْمَذْكُورَةِ يَدُورُ مَعَ الشَّمْسِ . وَليْسَ صَحِيحًا ،
 وَإِنَّمَا يَدُورُ مَعَ دَوْرَانِ الرِّيَّاحِ . وَكَانَ الْمَلِكُ الْكَامِلُ قَدْ اعْتَنَى بِوُقُودِهَا لَيْلَةَ النُّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ثُمَّ
 أَبْطَلَهَا ^٥ .

(a) بولاق : دائرة . (b) بولاق : لشيخ .

^١ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٧٩ ؛ القلقشندي :
 صبح الأعشى ٣ : ٣٤٠ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة
 ١٠ : ١١٠-١١٣ .

^٢ نفسه ٧٩ ، ٨٠ .

^٣ نفسه ٨٠ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣ : ١١٠ .

^٤ المقرئ : مسوودة الخطط ٧٥ و .

وانظر حول أصل مئذنة جامع ابن طولون وطرزها الذي
 يُشبه كثيرًا مآذن جوامع مدينة سامرا بالعراق وجامع أبي
 دُلف شمال هذه المدينة ، والتي جُددت أثناء عملية تجديد
 الجامع التي قام بها السلطان المملوكي المنصور حسام الدين

^٥ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٨٠ .

لاجين سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م ، فريد شافعي : «مئذنة جامع
 ابن طولون ، رأي في تكوينها المعماري» ، مجلة كلية
 الآداب - جامعة القاهرة ١٤ (١٩٥٢) ، ١٦٧-١٧٤ ؛
 نفسه : العمارة العربية في مصر الإسلامية ٤٧٩-٤٨٥ ؛
 السيد عبد العزيز سالم : المآذن المصرية ، الإسكندرية
 ١٩٨٢ ، ١٥-١٦ ؛ أحمد فكري : مساجد القاهرة
 ومدارسها (المدخل) ، ١١٧-١١٩ ؛ Wiet, G., *CIA*
 Égypte II, pp. 74-75; Creswell, K.A.C., *EMA* II,
 pp. 350-55; Muhammad, R., «The Minaret of
 Ibn Tûlûn», *Sumer* XXIII (1967), pp. 83-96.

وقال المسبحي : إن الحاكِم أنزل إلى جامع ابن طولون ثمان مائة مُصَحَّف وأربعة عشر مُصَحَّفًا .

وفي سنة ست وسبعين وثلاث مائة ، في ليلة الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى ، اخترقت الفوارة التي كانت بجامع ابن طولون فلم يبق منها شيء . وكانت في وسط صحنه قبة مشبكة من جميع جوانبها وهي مذهبة ، على عشر عمد رخام ، / وستة عشر عمود رخام في جوانبها ، مفروشة كلها بالرخام . وتحت القبة قسعة رخام فسحتها أربعة أذرع ، في وسطها فوارة تفور بالماء ، وفي وسطها قبة مزوقة يؤذن فيها وفي أخرى على سُلَمِها ، وفي السطح علامات الزوال ، والسطح بدرائزين ساج فاخرق جميع هذا في ساعة واحدة .

وفي المحرم سنة خمس وثمانين وثلاث مائة ، أمر العزيز بالله بن المعز بناء فوارة عوضا عن التي اخترقت . فعمل ذلك على يد راشد الحنفي ، وتولى عمارتها ابن الروميّة وابن البتاء . وماتت أم العزيز في سلخ ذي القعدة من السنة . والله أعلم .

وكان من خبر جامع ابن طولون أنه لما كان غلاء مصر في زمان المستنصر ، وخربت القطائع والعسكر ، غدم الشاكن هناك ، وصار ما حول الجامع خرابا^١ . وتوالت الأيام على ذلك ، وتشعثت الجامع ، وخرّب أكثره ، وصار أخيرا ينزل فيه المغاربة بأباعرها ومتاعها عندما تمر بمصر أيام الحج^٢ .

VIII, n°2806; Fu'ad Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 460-62؛ كما تقد القاضي أبو الثريا نجم بن جعفر بعض الأعمال في الجامع باسم الخليفة الحافظ لدين الله يدل عليها شريط من الكتابة بالخط الكوفي في إطار خشبي يفيد أنها تمت في شوال سنة ٥٢٦هـ / يناير ١١٣٢م . (van Berchem, M., *op.cit.*, I, p. 35 n°13; Wiet, G., *CIA* II, p. 181 n°566, id., *RCEA* VIII, n° 3048 عكوش : المرجع السابق (٩٠) .

^٢ ابن جبير : الرحلة ٢٦-٢٧ ، وفيه : «جعل الشيطان - يعني الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب - مأوى للفرّباء من المغاربة يسكنونه ويخلقون فيه ، وأجرى عليهم الأرزاق في كل شهر» .

^١ لم يُشر المقرئ إلى أعمال الصيانة والتزيم التي قام بها في الجامع الخلفاء الفاطميون المتأخرون ووُزرأوهم ، حيث أصلح أمير الجيوش بدر الجمالي الباب الشمالي الشرقي لسور الجامع الخارجي في صفر سنة ٤٧٠هـ / سبتمبر سنة ١٠٧٧م كما تدل على ذلك الكتابة الموجودة بأعلى الباب (van Berchem M., *CIA* Égypte I, n°11; Salmon, G., *op.cit.*, p. 25 محمود عكوش : تاريخ ووصف الجامع الطولوني ٨٩؛ Wiet, G., *CIA* Égypte II, pp. 151-52; (id., *RCEA* VII, n°2716) . وأنشأ ولده الوزير الأفضل شاهنشاه معرابا جديدا للجامع في سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م ، ما زال يوجد على أحد دعائم بيت الصلاة إلى الآن . (van Berchem, M., *op.cit.*, I, °12; Wiet., G., *RCEA*

فهياً الله - جلَّ جلاله - لعمارة هذا الجامع أن كان بين الملك الأشرف خليل بن قلاوون وبين الأمير بيذرا^(a) أمورٌ موحشة تزايدت وتأكدت . إلى أن جمع بيذرا^(a) من يتق به ، وقُتِل الأشرفُ بناحية تزوجة في سنة ثلاث وتسعين وست مائة - كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى عند ذكر مدرسته - وكان ممن وافق الأمير بيذرا على قتل الأشرف الأمير حسام الدين لاجين المنصوري والأمير قراسنقر .

فلما قُتِل بيذرا^(a) في محاربة تماليك الأشرف له ، فرَّ لاجين وقراسنقر من المعركة ، فاختفى لاجين بالجامع الطولوني وقراسنقر في داره بالقاهرة . وصار لاجين يتردد بمفرده من غير أحد معه في الجامع - وهو حينئذ خراب لا ساكن فيه - وأعطى الله عهداً إن سلمه الله من هذه المحنة ومكَّنه من الأرض ، أن يُجدد عمارة هذا الجامع ويجعل له ما يقوم به .

ثم إنه خرج منه في خفية إلى القراقة ، فأقام بها مدةً وراسل قراسنقر ، فتحيَّل في لحاقه به ؛ وعملاً أعمالاً إلى أن اجتمعوا بالأمير زين الدين كئبغا المنصوري - وهو إذ ذاك نائب السلطنة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، والقائم بأمر الدولة كلها - فأخضرها إلى مجلس السلطان بقلعة الجبل ، بعد أن اتقن أمرهما مع الأمراء وتماليك السلطان ، فخلع عليهما ، وصار كلُّ منهما إلى داره وهو أمين . فلم تطل أيام الملك الناصر في هذه الولاية حتى خلعه الأمير كئبغا ، وجلس على تخت الملك ، وتلقب بالملك العادل ، فجعل لاجين نائب السلطنة بديار مصر .

وجرت أمورٌ اقتضت قيام لاجين على كئبغا وهم بطريق الشام ، ففرَّ كئبغا إلى دمشق ، واستولى لاجين على دسيت المملكة ، وصار إلى مصر وجلس على سرير الملك بقلعة الجبل ، وتلقب بالملك المنصور في الحرم من سنة ست وتسعين وست مائة . فأقام قراسنقر في نيابة السلطنة بديار مصر ، وأخرج الناصر محمد بن قلاوون من قلعة الجبل إلى كرك الشوبك فجعله في قلعتها . وأعانه أهل الشام على كئبغا حتى قبض عليه ، وجعله نائب حماة ، فأقام بها مدةً سنين بعد سلطنة مصر والشام .

وخلع على الأمير علم الدين سينجر الدواداري ، وأقامه في نيابة دار العدل ، وجعل إليه شراء الأوقاف على الجامع الطولوني ، وصرف إليه كل ما يحتاج إليه في العمارة ، وأكد عليه في ألا يسخر فيه فاعلاً ولا صانعاً ، وألا يقيم مستنجحاً للصناع ، ولا يشتري لعمارتها شيئاً مما يحتاج إليه

من سائر الأصناف إلا بالقيمة الثامنة، وأن يكون ما يُنْفَقُ على ذلك من ماله. وأشهد عليه بوكالته. فابتاع مُنيّة أندوننة من أراضي الجيزة - وعُرفت هذه القرية بأندوننة كاتب بمصر كان نصرانيًا في زمن أحمد بن طولون، ومُنَّ نكبه وأخذ منه خمسين ألف ديناراً - واشترى أيضًا ساحة بجوار جامع أحمد بن طولون - مما كان في القديم عامراً ثم خرب - وحكّرها. وعمّر الجامع، وأزال كل ما كان فيه من تخريب، وبَلَطَه وبيّضه ورَتَّب فيه دُرُوسًا لإلقاء الفقه على المذاهب الأربعة التي عمَلُ أهل مصر عليها الآن، ودَرَسًا يُلقَى فيه تفسير القرآن الكريم، ودَرَسًا لحديث النبي ﷺ، ودَرَسًا للطب. وقَرَّر للخطيب معلومًا، وجَعَلَ له إمامًا راتبًا ومؤذنين وقَرَّاشين وقَوَمَة، وعمِلَ بجواره مَكْتَبًا لإقراء أيتام المسلمين كتاب الله عزَّ وجلَّ، وغير ذلك من أنواع القُرْبَاتِ ووجوه البرِّ. فَبَلَغَت التَّفَقُّهُ على عِمَارَةِ الجامع وثَمَنَ مستغلاته عشرين ألف ديناراً^٢.

فلَمَّا شاءَ اللهُ سبحانه أن يَهْلِكَ لاجين، زَيَّنَ له سُوءُ عَمَلِهِ عَزَلَ الأمير قراشئقر من نيابة السُلْطَنَة، فعزَّله، وولَّى مملوكه مَنكوتمر - وكان عَشُوقًا عَجُولًا حادًّا، ولاجين مع ذلك يَزْكَن إليه، ويُعَوِّل في جميع أموره عليه، ولا يُخَالِفُ قَوْلَهُ ولا يَنْقُضُ فعله - فشرع مَنكوتمر في تأخير

ومَّا تَخَلَّفَ من هذه العِمَارَةِ قطعة من الخَشَبِ طولها ١,٤٠ مترًا مكتوب عليها سطران بقلم نسخ مملوكي متوسط، نصُّها:

«أَمَرَ بِتَجْدِيدِ هَذَا الْجَامِعِ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ حُسَامُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ لَاجِين» (van Berchem, M., CIA., RCEA XIII, n° 5025-26; id., RCEA XIII, n° 5025-26; محمود عكوش: المرجع السابق ٨٦، ٩٢-٩٩). وأُثْبِتَ تاريخ الانتهاء من هذه الأعمال على أَرْبَعِ حَشُوات كانت على الميَّز الذي عمله المنصور لاجين، وهي موجودة الآن بمتحف فكتوريا وألبرت في لندن، ونصُّه:

«أَمَرَ بِعَمَلِ هَذَا الْمَيَّزِ الْمِيَّازِكِ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ حُسَامُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ لَاجِين الْمَنْصُورِي، وَذَلِكَ فِي الْعَاشِرِ مِنْ صَفَرٍ مِنْ شَهْرِ سَنَةِ سِتِّ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ أَحْسَنَ اللهُ عَاقِبَتَهَا» (Wiet, G., CIA Egypte II, n° 5020; id., RCEA XIII n° 5020; محمود عكوش: تاريخ ووصف الجامع الطولوني ٩٥-٩٧).

^١ انظر فيما تقدم ١: ٥٦٥.

^٢ عاصِرَ عملية تجديد الجامع وإعادة تعميره التي قام بها السُّلْطَانُ الْمَنْصُورُ لَاجِين، الرَّحَالَةُ الْمَغْرِبِي الْقَاسِمُ بْنُ يُوسُفَ التَّجِيبِي السُّبْتِي، المتوفى سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م، الذي زار مصر في سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م أثناء عملية التجديد وأشار إليها في رحلته المُسَمَّاة «مُسْتَفَادِ الرَّحْلة وَالْأَغْتِرَابِ»، تحقيق عبد الحفيظ منصور، تونس - الدار العربية للكتاب ١٩٧٥، ٧؛ وانظر كذلك، النويري: نهاية الأرب ٣١: ٣٢١-٣٢٢؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ٣١٥؛ المقرئ: السلوك ٢: ٨٢٧-٨٢٨؛ العيني: عقد الجمان ٣: ٢٧٩، ٣٥٩-٣٦٠؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ١٠٦-١٠٧. وانظر وَصْفًا لِعِمَارَةِ السُّلْطَانِ حُسَامِ الدِّينِ لَاجِين فِي الْجَامِعِ الطُّولُونِيِّ فِي الْوَثِيقَةِ رَقْمَ ١٧، ١٨ مَحْفَظَةَ ٣ مَجْمُوعَةِ الْمَحْكَمَةِ الشَّرْعِيَّةِ بِدَارِ الْوَثَائِقِ الْقَوْمِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ، الَّتِي أَوْزَدَ مَقْتَطَفَاتٍ مِنْهَا عَبْدُ اللَّطِيفِ إِبْرَاهِيمَ: الْوَثَائِقُ فِي خِدْمَةِ الْآثَارِ «العصر المملوكي»، ٢٧٨-٢٧٩. وراجع كذلك Creswell, K.A.C., MAE II, pp. 223-29.

أمراء الدولة من الصالحة والمنصورية ، وأعجل في إظهار التهجيم لهم ، والإعلان بما يريد من القبض عليهم وإقامة أمراء غيرهم . فتوحشت القلوب منه ، وتمالأت على بغضه ، ومشى القوم بغضهم إلى بغض ، وكاتبوا إخوانهم من أهل البلاد الشامية حتى تم لهم ما يريدون . فوعد جماعة منهم إخوانهم على قتل السلطان لاجين ونائبه منكوتر ، فما هو إلا أن صلى السلطان العشاء الآخرة من ليلة الجمعة العاشر من شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وست مائة ، وإذا بالأمير كرجي - وكان ممن هو قائم / بين يده - تقدم ليصلح الشمعة ، فضربه بسيف قد أخفاه معه أطار به زنده ، وانقض عليه البقية ممن واعدوهم بالسيف والخنجر ، فقطعوه قطعاً وهو يقول : الله الله .

وخرجوا من فورهم إلى باب القلة من قلعة الجبل ، فإذا بالأمير طنج قد جلس في انتظارهم ومعه عدة من الأمراء - وكانوا إذ ذاك يبيتون بالقلعة دائماً - فأمروا بإحضار منكوتر من دار النيابة بالقلعة ، وقتلوه بعد مضي نصف ساعة من قتل أستاذه الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري ، رحمه الله ، فلقد كان مشكور السيرة ^١ .

وفي سنة سبع وستين وسبع مائة جدد الأمير يلبيغا العمري الخاصكي درساً بجامع ابن طولون فيه سبعة مدرسين للحنفية ، وقرر لكل فقيه من الطلبة في الشهر أربعين درهماً وأردب قمح . فانتقل جماعة من الشافعية إلى مذهب الحنفية .

وأول من ولي نظره بعد تجديده الأمير علم الدين سنجر الجاولي ، وهو إذ ذاك دوا دار السلطان الملك المنصور لاجين . ثم ولي نظره قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ، ثم من بعده الأمير مجلس في الأيام الناصرية ^(b) محمد بن قلاوون ، فجدد في أوقافه طاحونا وفزنا وخوانيت ، فلما مات وليه قاضي القضاة عز الدين بن جماعة ، ثم ولأه الناصر للقاضي كريم الدين الكبير ، فجدد فيه مئذنتين ؛ فلما نكبه السلطان عاد نظره إلى قاضي القضاة الشافعي . وما برح إلى أيام الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، فولأه للأمير صرعتمش ، وتوفر في مدة نظره من مال الوقف مائة ألف درهم فضة ، وقبض عليه وهي حاصلة . فباشره قاضي القضاة إلى أيام الأشرف شعبان ابن حسين ، فقوض نظره إلى الأمير ألباي اليوسفي إلى أن غرق .

(a) بولاق : مكين . (b) بولاق : أيام الناصر .

^١ المقريري : مسودة الخطط ٧٦ و .

فَتَحَدَّثَ فِيهِ قَاضِي القُضَاةِ الشَّافِعِيُّ ، إِلَى أَنْ فَوَّضَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بَرْقُوقَ نَظَرَهُ إِلَى الْأَمِيرِ قُطْلُوبُغَا الصَّفْوِيِّ^١ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ . وَكَانَ الْأَمِيرُ مِنْطَاشَ فِي^(a) مُدَّةٍ تَحْكُمُهُ فِي الدَّوْلَةِ فَوَّضَهُ إِلَى الْمَذْكُورِ فِي أَوَاخِرِ شَوَّالِ سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ . ثُمَّ عَادَ نَظَرُهُ إِلَى القُضَاةِ بَعْدَ الصَّفْوِيِّ ، وَهُوَ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى الْيَوْمِ .

وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، جَدَّدَ الرُّوَّاقَ الْبَحْرِيَّ الْمَلَاصِقَ لِلْمِثْدَنَةِ الْحَاجِ عُبَيْدُ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْهَادِي الْهُوَيْدِيِّ الْبَاذِرَارِيِّ مُقَدِّمَ الدَّوْلَةِ ، وَجَدَّدَ مَيْضَاةَ بَجَانِبِ الْمَيْضَاةِ الْقَدِيمَةِ^٢ . وَكَانَ عُبَيْدٌ هَذَا بَاذِرَارًا ، ثُمَّ تَرَقَّى حَتَّى صَارَ مُقَدِّمَ الدَّوْلَةِ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، ثُمَّ تَرَكَ زِيَّ الْمَقْدَمِينَ وَتَرَيًّا بَزِيَّ الْأَمْرَاءِ ، وَحَازَ نِعْمَةً جَلِيلَةً وَسَعَادَةً طَائِلَةً ، حَتَّى مَاتَ يَوْمَ السَّبْتِ رَابِعَ عَشَرَ صَفَرَ سَنَةِ ثَلَاثِ وَتِسْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ^٣ .

وَكَانَ بِجِوَارِ الْجَامِعِ الطُّوْلُونِيِّ دَارًا أَنْشَأَهَا الْأَمِيرُ أَحْمَدُ ابْنُ طُوْلُونٍ عِنْدَمَا ذَكَرَ دَارَ الْإِمَارَةِ بَنَى الْجَامِعَ ، وَجَعَلَهَا فِي الْجِهَةِ الْقِبْلِيَّةِ ، وَلَهَا بَابٌ مِنْ جِدَارِ الْجَامِعِ يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى الْمَقْصُورَةِ بِجِوَارِ الْمِحْرَابِ وَالْمِنْبَرِ ، وَجَعَلَ فِي هَذِهِ الدَّارِ جَمِيعَ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْفُرْشِ وَالشُّتُورِ وَالآلَاتِ . فَكَانَ يَنْزِلُ بِهَا إِذَا رَاحَ إِلَى صَلَاةِ الْجُمُعَةِ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ تَجَاهَ الْقَصْرِ وَالْمَيْدَانِ ، فَيَجْلِسُ فِيهَا وَيُجَدِّدُ وُضُوءَهُ وَيُغَيِّرُ ثِيَابَهُ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهَا : «دَارُ الْإِمَارَةِ» . وَمَوْضِعُهَا الْآنَ سُوقُ الْجَامِعِ ، حَيْثُ الْبَزَّازِينَ وَغَيْرِهِمْ . وَلَمْ تَزَلْ هَذِهِ الدَّارُ بَاقِيَةً إِلَى أَنْ قَدِمَ الْإِمَامُ الْمُعِزُّ لَدِينِ اللَّهِ أَبُو تَمِيمٍ مَعَدَّ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ ، فَكَانَ يُسْتَخْرَجُ فِيهَا أَمْوَالُ الْخَرَاجِ .

(a) فِي : سَاقِطَةٌ مِنْ بُولَاقِ .

الهامش : «يذكر خبر الأذان بمصر» .

^٣ راجع أخبار عُبيد الباذراري عند المقرئزي : السلوك ٣ : ٧١٢ ، ٧٥٧ .

^٤ انظر عن دار الإمارة الطولونية ، أبا المحاسن : النجوم

الزاهرة ٣ : ١٥٠-١٦٦ ؛ Salmon, G., *Études sur la topographie du Caire*, pp. 28-34; Fu'ad Sayyid A., *op.cit.*, pp. 54-55.

^١ الأمير قُطْلُوبُغَا الصَّفْوِيُّ ، قَدِمَ إِلَى مِصْرَ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ٧٩١هـ/١٣٨٩م ، وَأُنْعِمَ عَلَيْهِ بِإِمْرَةِ مِائَةٍ وَتَقْدِيمَةِ أَلْفِ سَنَةِ ٧٩٢هـ/١٣٩٠م ، ثُمَّ اسْتَقَرَّ حَاجِبَ الْحُجَّابِ سَنَةَ ٧٩٣هـ وَوَلِيَ وِلَايَةَ قَلْبُوبِ فِي الْعَامِ نَفْسِهِ ، وَتَوَفَّى فِي أَوَّلِ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ ٧٩٤هـ/١٣٩٢م . (المقرئزي : السلوك ٣ : ٧١٢) .

^٢ المقرئزي : مُسَوِّدَةُ الْخَطِّ ٧٦ ظ ، وَكُتِبَ بِخَطِّهِ عَلَى

قال الفقيه الحسن بن إبراهيم بن زولاق في كتاب «سيرة المعز»: ولست عشرة بقيت من المحرم - يعني من سنة ثلاث وستين وثلاث مائة - قلَّد المعز لدين الله الخراج وجميع وجوه الأعمال والحسبة والسواجل والأغشار والجوالي والأخباس والمواريث والشروطتين، وجميع ما ينضاف إلى ذلك وما يطرأ في مصر وسائر الأعمال، أبا الفرج يعقوب بن يوسف بن كلثوم وعشلوج ابن الحسن، وكتب لهما سجلاً بذلك قرئ يوم الجمعة على منبر جامع أحمد بن طولون، وجلسنا عند هذا اليوم في دار الإمارة في جامع أحمد بن طولون للنداء على الضياع وسائر وجوه الأعمال^١. ثم خربت هذه الدار فيما خرب من القطائع والعسكر، وصار موضعها ساحة إلى أن حكرها الدويداري عند تجديد عمارة الجامع كما تقدم. وقد تقدم^٢ ذكر بناء القيسارية في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر الأسواق^٣.

- بمصر وما كان فيه من الاختلاف^٣. اعلم أن أول من أذن لرسول الله ﷺ
- ١٠ بلال بن رباح، مولى أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - بالمدينة الشريفة وفي الأشقر. وكان ابن أم مكتوم - واسمه عمرو بن قيس بن شريح، من بني عامر بن لؤي، وقيل اسمه عبد الله وأمه أم مكتوم، واسمها عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة من بني مخزوم - ربما أذن بالمدينة.
- وأذن أبو مخذورة، واسمه أوس - وقيل سمرة - ابن معير بن لؤذان بن ربيعة بن معير بن عريج
- ١٥ ابن سعد بن جهم. وكان استأذن رسول الله ﷺ في أن يؤذن مع بلال، فأذن له، وكان يؤذن في المسجد الحرام، وأقام بمكة ومات بها، ولم يأت المدينة.
- وقال: / ابن الكلبي: كان أبو مخذورة لا يؤذن لرسول الله ﷺ بمكة إلا في الفجر، ولم يهاجر وأقام بمكة.

(a) إضافة من المسوذة. (b) بولاق: للنبي.

^١ انظر فيما تقدم ١: ٢٢١، ٣: ١٤-١٥.

^٢ فيما تقدم ٣: ٣٠٢.

^٣ يُقَدُّ الفُضْلُ الذي أفرده المقرئ هنا للحديث عن الأذان وما كان فيه من الاختلاف، فضلاً متميزاً غير مشهور، حيث لا نجد هذه المعلومات حول الأذان وتطوره

واختلاف عبارات النداء إلى الصلاة مجموعة في مكان واحد كما فعل المقرئ. (انظر كذلك، ابن سعد: الطبقات الكبرى ١: ٢٤٦-٢٤٨؛ البلاذري: أنساب الأشراف Junboll, Th. W., *El*² art. *Adhân* I, ١٨٧-١٩٣، (pp. 193-94).

وقال ابن جرير: عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ أبا مَخْدُورَةَ الأَذَانَ بِالْجِعْرَانَةِ حِينَ قَسَمَ غَنَائِمَ مُحَيِّينَ ، ثُمَّ جَعَلَهُ مُؤَذِّنًا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ .

وقال الشَّعْبِيُّ : أَدَّنَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِلَالٌ وَأَبُو مَخْدُورَةَ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ . وَقَدْ جَاءَ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَانَ يُؤَذِّنُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ الْمِنْبَرِ .

وقال محمد بن سعد عن الشَّعْبِيِّ : كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةُ مُؤَذِّنِينَ : بِلَالٌ وَأَبُو مَخْدُورَةَ وَعَمْرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ؛ فَإِذَا غَابَ بِلَالٌ أَدَّنَ أَبُو مَخْدُورَةَ ، وَإِذَا غَابَ أَبُو مَخْدُورَةَ أَدَّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ^(a) . لَعَلَّ هَذَا كَانَ بِمَكَّةَ .

وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ أَنَّ بِلَالَ أَدَّنَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَنَّ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَرَادَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ لَهُ فَأَتَى عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : إِلَى مَنْ تَرَى أَنْ أُجْعَلَ النِّدَاءُ ؟ فَقَالَ : إِلَى سَعْدِ الْقَرِظِ ، فَإِنَّهُ قَدْ أَدَّنَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَدَعَاهُ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَجَعَلَ النِّدَاءَ إِلَيْهِ وَإِلَى عَقِبِهِ مِنْ بَعْدِهِ ^٢ . وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ سَعْدَ الْقَرِظِ كَانَ يُؤَذِّنُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقَبَاءِ .

وَذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ فِي «مَرَاثِلِهِ» ، وَالدَّارِقُطَنِيُّ فِي «سُنَنِهِ» ، قَالَ بُكَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَشَجِيُّ : كَانَتْ مَسَاجِدُ الْمَدِينَةِ تِسْعَةً ، سِوَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، كُلُّهُمْ يُصَلُّونَ بِأَذَانِ بِلَالٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^٣ .

وقد كان عند فتح مصر الأذان إنما هو بالمسجد الجامع، المعروف بجامع عمرو، وبه صلاة الناس بأسرهم. وكان من هذي الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم - المحافظة على الجماعة، وتشديد التكير على من تخلف عن صلاة الجمعة ^(b).

قال أبو عمر الكندي في ذكر من عُرف على المؤذنين بجامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر: وكان أول من عُرف على المؤذنين أبو مسلم سالم بن عامر بن عبد المرادي - وهو من أصحاب رسول الله ﷺ ، وقد أذن لعمر بن الخطاب - سار إلى مصر مع عمرو بن العاص يؤذن

(a) في نسخة باريس: قال المؤلف. (b) بولاق: الجماعة.

بيروت - عالم الكتب د.ت، ٢: ٨٥.

^١ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣: ٢٣٤.

^٢ في كتاب «أخبار مسجد أهل الرابة الأعظم».

نفسه ٣: ٢٣٦.

^٣ عُرف أي صار عريقاً.

^٣ أبو داود: المراسيل، تحقيق أحمد حسن جابر، القاهرة

- مجلة الأزهر ١٤٠٩هـ، ١: ٥٠؛ الدارقطني: السنن،

له حتى أفتيحت مصر، فأقام على الأذان، وضَمَّ إليه عمرو بن العاص تسعة رجال يُؤذنون هو غابِرتهم. وكان الأذان في ولده حتى انقرضوا.

قال أبو الخير: حدثني أبو مسلم - وكان مؤذناً لعمرو بن العاص - أن الأذان كان أوله «لا إله إلا الله» وأخيره «لا إله إلا الله»، وكان أبو مسلم يُوصي بذلك حتى مات، ويقول: هكذا كان الأذان.

ثم عُرِفَ عليهم أخوه سُرخبيل بن عامر - وكانت له صُحبة - وفي عرافته زاد مسَلَمَةُ بن مَخْلَدٍ في المسجد الجامع، وجعل له المنار ولم يكن قبل ذلك. وكان سُرخبيل أول من رَقِيَ منارة مصر للأذان. وأن مسَلَمَةَ بن مَخْلَدٍ اعتكف في منارة الجامع، فسمع أصوات النواقيس عاليةً بالفسطاط، فدعا سُرخبيل بن عامر فأخبره بما ساءه من ذلك. فقال سُرخبيل: فإني أمدد بالأذان من نصف الليل إلى قُرب الفجر، فأنهتهم أيها الأمير أن يتنقشوا إذا أذنت. فنهاهم مسَلَمَةُ عن ضرب النواقيس وقت الأذان. ومدد سُرخبيل ومطط أكثر الليل، إلى أن مات سُرخبيل سنة خمس وستين^١.

وذكر عن عثمان - رضي الله عنه - أنه أول من رزق المؤذنين. فلما كثرت مساجد الخطبة، أمر مسَلَمَةُ بن مَخْلَدٍ الأنصاري، في إمارته على مصر، ببناء المنار في جميع المساجد خلا مساجد نجيب وحولان. فكانوا يؤذنون في الجامع أولاً، فإذا فرغوا أذن كل مؤذن في الفسطاط في وقت واحد، فكان لأذانهم دويٌّ شديد.

وكان الأذان أولاً بمصر كأذان أهل المدينة، وهو: «الله أكبر، الله أكبر...» وباقيه كما هو اليوم. فلم يرل الأمر بمصر على ذلك في جامع عمرو بالفسطاط، وفي جامع العسكر، وفي جامع أحمد بن طولون وبقية المساجد إلى أن قدم القائد جوهر^(a) من بلاد المغرب^(a) بجيوش المعز لدين الله وبنى القاهرة. فلما كان في يوم الجمعة الثامن من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلاث مائة، صلى القائد جوهر الجمعة في جامع أحمد بن طولون، وخطب به عبد السميع ابن عمر العبّاسي بقلنسوة وشي^(b) وطيلسان وشي^(c)، وأذن المؤذنون: «حي على خير العمل».

(a-a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: وسبني. (c) بولاق: دبسي.

^١ انظر كذلك فيما يلي ٨٩.

وهو أول ما أُذِّنَ به بمصر. وصلَّى به عبد السميع الجمعة، فقرأ «سورة الجمعة» و﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ [آية ١ سورة المنافقون]، وقنَّت في الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ، وانْحَطَّ إِلَى السُّجُودِ وَنَسِيَ الرَّكْعَةَ. فصاح به علي بن الوليد قاضي عسكر جوهر: بَطَلَتِ الصَّلَاةُ، أعد ظهراً أربع ركعات.

ثم أُذِّنَ بـ«حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ» في سائر مساجد العسكر، إلى حدود مسجد عبد الله. وأنكر جوهر علي عبد السميع أنه لم يقرأ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» في كلِّ سورة، ولا قرأها في الخطبة، ^(a) فصلَّى به الجمعة الأخرى وفعل ذلك، وكان عبد السميع قد دعا لجوهر في الجمعة الأولى في الخطبة ^(a)، فأنكره جوهر ومنعه من ذلك ^١.

ولأربع بقين من جمادى الأولى المذكور، أُذِّنَ في الجامع العتيق بـ«حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ»، وجهروا في الجامع بالبسملة في الصلاة. فلم يزل الأمر على ذلك طول مدة الخلفاء الفاطميين؛ إلا أن الحاكم بأمر الله في سنة أربع مائة، أمر بجمع مؤذني القصر وسائر الجوامع، وحضر قاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقي، وقرأ أبو علي العباسي سجلاً فيه الأمر بتزك «حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ» في الأذان، وأن يُقال في صلاة الصبح ^(b): «الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ»، وأن يكون ذلك من / مؤذني القصر عند قولهم: «السَّلَامُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةِ اللَّهِ». فامتثل ذلك. ثم عاد المؤذنون إلى قول «حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ» في ربيع الآخر سنة إحدى وأربع مائة. ومنع في سنة خمس وأربع مائة مؤذني جامع القاهرة ومؤذني القصر من قولهم بعد الأذان: «السَّلَامُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ»، وأمرهم أن يقولوا بعد الأذان: «الصَّلَاةُ رَحِمَكَ اللَّهُ» ^٢.

ولهذا الفعل أضل، قال الواقدي: كان يلال - رضي الله عنه - يقف على باب رسول الله ﷺ، فيقول: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ»، وربما قال: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ». قال البلاذري، وقال غيره: كان يقول: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ».

(a-a) العبارة ساقطة من بولاق. (b) أضاف بعد ذلك في اتعاظ الحنفا: وأن يُراد في أذان الفجر.

^١ المقرئ: اتعاظ الحنفا ١: ١٢٠-١٢١. ^٢ نفسه ٢: ٨٢، ٨٦.

فلما ولي أبو بكر - رضي الله عنه - الخلافة ، كان سعدُ القرظ يقف على بابِه فيقول : «السلامُ عليك يا خليفة رسولِ الله ورحمةُ الله وبركاته ، حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح ، الصلاةُ يا خليفة رسولِ الله»^١ .

فلما استُخلفَ عمر - رضي الله عنه - كان سعدُ يقف على بابِه فيقول : «السلامُ عليك يا خليفة خليفة رسولِ الله ورحمةُ الله ، حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح ، الصلاةُ يا خليفة خليفة رسولِ الله» .

فلما قال عمر - رضي الله عنه - للناس : أنتم المؤمنون وأنا أميرُكم . فدُعِيَ «أمير المؤمنين» ، استِطالَ لقولِ القائلِ يا خليفة خليفة رسولِ الله ، ولمن بعده خليفة خليفة خليفة رسولِ الله ، كان المؤذّنُ يقول : «السلامُ عليك ، أمير المؤمنين ، ورحمةُ الله وبركاته ، حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح ، الصلاةُ يا أمير المؤمنين» . ثم إنَّ عمرَ - رضي الله عنه - أمرَ المؤذّنَ فزادَ فيها «رحمك الله» . ويُقال إنَّ عثمانَ - رضي الله عنه - زادها .

وما زال المؤذّنون إذا أذنوا سلّموا على الخلفاءِ وأمرءِ الأعمالِ ، ثم يُقيمون الصلاةَ بعد السلام . فيخرجُ الخليفةُ أو الأميرُ فيصليّ بالناسِ ، هكذا كان العملُ مُدَّةَ أيامِ بني أمية ، ثم مُدَّةَ خلافةِ بني العباسِ ، أيامَ كانت الخلفاءِ وأمرءِ الأعمالِ تُصليّ بالناسِ . فلما استولى العجمُ ، وتتركُ خلفاءُ بني العباسِ الصلاةَ بالناسِ ، تركَ ذلك كما تركَ غيره من سننِ الإسلامِ .

ولم يكن أحدٌ من الخلفاءِ الفاطميين يُصليّ بالناسِ الصلواتِ الخمس في كلِّ يوم ، فسَلَّم المؤذّنون في أيامهم على الخليفةِ بعد الأذانِ للفجرِ فوق المنارات . فلما انقضت أيامهم ، وغيرَ السلطانُ صلاحَ الدينِ رؤسومهم ، لم يتجاسرَ المؤذّنون على السلامِ عليه ، احتراماً للخليفةِ العباسي يتغداد ، فجعلوا عوضَ السلامِ على الخليفةِ السلامَ على رسولِ الله ﷺ ، واستمرَّ ذلك قبلَ الأذانِ للفجرِ في كلِّ ليلةٍ بمصر والشَّام والحِجاز ، وزيدَ فيه بأمرِ المحتسبِ صلاح الدين عبد الله [بن عبد الله] البرُّلُسي «الصلاةُ والسلامُ عليك يا رسولَ الله» . وكان ذلك بعد في^(b) سنة ستين وسبع مائة ، فاستمرَّ^(c) إلى يومنا ، وإنها لمن جميلِ العوائدِ وأحسنِ الأفعالِ^(c) .^٢

(a) إضافة مما يلي . (b) بولاق : بعد . (c-c) بولاق : فاستمر ذلك ، والمثبت من المسوِّدة .

^١ راجع كذلك ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ^٢ صلاح الدين عبد الله بن عبد الله بن إبراهيم البرُّلُسي المالكي مُدرِّس المدرَّسة الأشرفية ، استقرَّ في حبشة القاهرة = ٢٣٤:٣ - ٢٣٧ .

فلَمَّا^(a) تغلب أبو علي كُتَيْفَات^(b) بن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي ، على رُبَيْبَةَ
الوزارة في أيام الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم محمد بن المستنصر
بالله ، في سادس عشر ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمس مائة ، وسجن الحافظ وقيدته ،
واستولى على سائر ما في القصر من الأموال والدخائر وحملها إلى دار الوزارة - وكان إمامًا
مُتَشَدِّدًا في ذلك - خالف ما عليه الدولة من مذهب الإسماعيلية ، وأظهر الدعاء للإمام المنتظر ،
وأزال من الأذان قول^(c) : «حي على خير العمل» ، وقولهم : «محمد وعلي خير البشر» ، وأسقط ذكر
إسماعيل بن جعفر الذي تُنسب^(d) إليه الإسماعيلية . فلَمَّا قُتِلَ في سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين
 وخمس مائة ، عاد الأمر إلى الخليفة الحافظ ، وأعيد إلى الأذان ما كان أسقط منه^١ .

وأول من قال في الأذان بالليل : «محمد وعلي خير البشر» الحسين المعروف بأميركا ابن
شكته ، ويقال اشكته - وهو اسم أعجمي معناه الكرش - وهو علي بن محمد بن علي ابن
إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وكان أول تأذينه بذلك في أيام
سيف الدولة بن حمدان بحلب في سنة سبع وأربعين وثلاث مائة ، قاله الشريف محمد بن أسعد
الجواني النشابة .

ولم يزل الأذان بحلب يُراد فيه «حي على خير العمل» ، ومحمد وعلي خير البشر» إلى أيام نور
الدين محمود . فلَمَّا فتَحَ المدرسة الكبيرة المعروفة بالحلاوية ، اشتدعى أبا الحسن علي بن الحسن
ابن محمد البلخي الحنفي إليها ، فجاء معه جماعة من الفقهاء ، وألقى بها الدروس . فلَمَّا سمع
الأذان أمر الفقهاء فصعدوا المنارة وقت الأذان ، وقال لهم : مُرُوهُمْ يُؤذِنُوا الأذان المشروع ، ومن
امتنع كبوه على رأسه ؛ فصعدوا وفعلوا ما أمرهم به ، واستمر الأمر على ذلك^٢ .

(a) بولاق : ولما . (b) بولاق : أبو علي بن كتيفات . (c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : تنتسب .

= في سنة ١٣٦٣/هـ ٧٦٣م عوضًا عن البرهان الأثنائي ،
وتوفي خامس عشرين صفر سنة ١٣٦٥/هـ ٧٦٥م .
(المقريزي : السلوك ٣ : ٧٣ ، ٩٤ ، أبو المحاسن : النجوم
الزاهرة ١٠ : ٨٥) . وهو الذي أمر المؤذنين أن يقولوا في ليلة
الجمعة بعد أذان العشاء الآخرة وقيل الفجر : «الصلاة والسلام
عليك يا رسول الله» ، واشتمر ذلك إلى سلطنة الملك الظاهر
برقوق ، حين أمر محتسب القاهرة نجم الدين محمد الطنبردي
المؤذنين في سنة ١٣٨٨/هـ ٧٩٠م أن يقولوا ذلك عقيب كل
أذان إلا المغرب واشتمر ذلك . (المقريزي : السلوك ٣ : ٦٣٩ ،
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠ : ٣٣١ ، وفيما يلي ٨٧) .
١ فيما تقدم ٢ : ٣٤٩ - ٣٥٠ ، وفيما يلي ٣٩٥ .
٢ النعيمي : المدارس في تاريخ المدارس ١ : ٤٨١ .

وأما مصر فلم يزل الأذان بها على مذهب القوم، إلى أن استبدَّ السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب بسلطنة ديار مصر، وأزال الدولة الفاطمية في سنة سبع وستين وخمس مائة - وكان يتجمل مذهب الإمام الشافعي - رضي الله عنه، وعقيدة الشيخ أبي الحسن الأشعري - رحمه الله^١ - فأبطل من الأذان قول «حي على خير العمل»، وصار يؤذن في سائر إقليم مصر والشام بأذان أهل مكة، وفيه تزييع التكبير وتزجيع الشهادتين.

- فاستمر الأمر على ذلك إلى أن بنت الأثر الك المدارس بديار مصر، وانتشر مذهب أبي حنيفة - رضي الله عنه - في ديار^(a) مصر، فصار يؤذن في بعض المدارس التي للحنيفية بأذان أهل الكوفة، وتقام الصلاة أيضا على رأيهم، وما عدا ذلك فعلى ما قلنا. إلا أنه في ليلة الجمعة إذا فرغ المؤذنون من التأذين، سلموا على رسول الله ﷺ، وهو شيء أخذته محتسب القاهرة صلاح الدين عبد الله بن عبد الله البرلسي بعد سنة ستين وسبع مائة^٢. فاستمر إلى أن كان في شعبان سنة ١٠ إحدى وتسعين وسبع مائة - ومثولى الأمر بديار مصر الأمير منطاش القائم بدولة الملك الصالح المنصور أمير حاج، المعروف بحاجي بن شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون - فسمع بعض الفقهاء الخلاطين سلام المؤذنين على رسول الله ﷺ في ليلة الجمعة، وقد استحسن ذلك طائفة من إخوانه، فقال لهم: أتحبون أن يكون هذا السلام في كل أذان؟ قالوا: نعم. فباتت تلك الليلة، وأصبح متواجدا يزعم أنه رأى رسول الله ﷺ في منامه، وأنه أمره أن يذهب إلى المحتسب، ويبلغه عنه أن يأمر المؤذنين بالسلام على رسول الله ﷺ في كل أذان. فمضى إلى محتسب القاهرة، وهو يومئذ نجم الدين محمد الطنبدي - وكان شيخا جهولا، وبلهاتا بهولا^(b)، سيئ السيرة في الحسبة والقضاء، متهاقتا على الدرهم ولولا^(c) قاده إلى البلاء، لا تحشم^(d) من أخذ البراطيل والرشوة، ولا يزعى^(e) في مؤمن إلا ولا ذمة، وقد ضرب على الآثام، وتجدد من أكل الحرام يرى أن العلم إرخاء العذبة وليس الجبة، ويحسب أن رضا الله سبحانه في ضرب العباد بالذرة وولاية الحسبة. لم تحمد الناس قط أياديه، ولا شكرت أبدا مساعيه، بل جهالاته شائعة، وقبايح أفعاله ذائعة. أشخص غير مرة إلى مجلس المظالم، وأوقف مع من أوقف للمحاكمة بين

(a) ديار، ساقطة من بولاق. (b) بولاق: مهولا. (c) بولاق: ولو. (d) بولاق: لا يحشم. (e) بولاق: لا براعي.

يدي السلطان من أجل غيوب فوادح ، حَقَّقَ فيها شكائهُ عليه القوادح . وما زال في السيرة مَذْمُومًا ، ومن العامة والخاصة ملومًا - وقال له : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يأمرُك أن تتقدم لسائر المؤذنين بأن يزيدوا في كلِّ أذان قولهم : «الصلاة والسلام عليك يا رسول الله» ، كما يفعل في ليالي الجمع . فأعجب الجاهل هذا القول ، وجَهِلَ أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لا يأمر بعد وفاته إلا بما يوافق ما شرَّعه الله على لسانه في حياته . وقد نهى الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز عن الزيادة فيما شرَّعه حيث يقول : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ [آية ٢١ سورة الشورى] . وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إياكم ومحدثات الأمور» ؛ فأمر بذلك في شعبان من السنة المذكورة^١ .

وتمت هذه البدعة ، واستمرت إلى يومنا هذا في جميع ديار مصر وبلاد الشام ، وصارت العامة وأهل الجهالة ترى أن ذلك من جملة الأذان الذي لا يحلُّ تزكُّه ، وأدى ذلك إلى أن زاد بعض أهل الإلحاد في الأذان ببعض القرى السلام بعد الأذان على شخص من المعتقدين الذين ماتوا . فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون !

وأما «التشيخ في الليل على المأذنين» ، فإنه لم يكن من فعل سلف الأمة . وأول ما عرف من ذلك أن موسى بن عمران - صلوات الله عليه - لما كان بيني إسرائيل في التيه بعد غرق فرعون وقومه ، اتخذ ثوبين من فضة مع رجلين من بني إسرائيل ينقحان فيهما وقت الرحيل ، ووقت النزول ، وفي أيام الأعياد ، وعند ثلث الليل الأخير من كل ليلة . فتقوم عند ذلك طائفة من بني لاوي - سبط موسى عليه السلام - ويقولون نشيدًا منزلًا بالوحي ، فيه تخويف وتحذير وتعظيم لله تعالى وتنزيه له تعالى ، إلى وقت طلوع الفجر .

واستمر الحال على هذا كل ليلة مدة حياة موسى - عليه السلام - وبعده أيام يوشع بن نون ومن قام في بني إسرائيل من القضاة . إلى أن قام بأمرهم داود - عليه السلام - وشرع في عمارة بيت المقدس ، فرتب في كل ليلة عدَّة من بني لاوي يقومون عند ثلث الليل الآخر : فمنهم من يضرب بالآلات كالعود والسنتير والتربط والدف والمزمار ، ونحو ذلك . ومنهم من يرفع عقيرته بالنشائد المنزلة بالوحي على نبي الله موسى - عليه السلام - والنشائد المنزلة بالوحي على داود - عليه السلام . ويُقال إن عدد بني لاوي هذا كان ثمانية وثلاثين ألف رجل قد ذكر تفصيلهم في كتاب الزبور . فإذا قام هؤلاء ببيت المقدس ، قام في كل محلة من محال بيت المقدس رجال يرفعون

^١ المقريري : السلوك ٣ : ٦٢٩ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠ : ٣٣١ .

أصواتهم بذكر الله سبحانه من غير آلات - فإن الآلات كانت مما يختص ببيت المقدس فقط ، وقد نُهوا عن ضربها في غير البيت - فيتسامع من في قرى^(a) بيت المقدس ، فيقوم في كل قرية رجال يرفعون أصواتهم بذكر الله تعالى حتى يعم الصوت بالذكر جميع قرى بني إسرائيل ومدنهم .

- وما زال الأمر على ذلك في كل ليلة إلى أن خرب بُخْت نصر بيت المقدس ، وجلا بني إسرائيل إلى بابل ، فبطل هذا العمل وغيره من بلاد بني إسرائيل مدة جلائهم في بابل سبعين سنة . فلما عاد بنو إسرائيل من بابل وعمروا البيت العِمارة الثانية ، أقاموا شرائعهم ، وعاد قيام بني لاوي بالبيت في الليل ، وقيام أهل محال القدس وأهل القرى والمدن على ما كان العمل عليه أيام عِمارة البيت الأول^(b) . واستمر ذلك إلى أن خرب القدس بعد قتل نبي الله يحيى ابن زكريا ، وقيام اليهود على روح الله ورَسُوله عيسى بن مريم - صلوات الله عليهم - على يد طيطش ، فبطلت شرائع بني إسرائيل من حينئذ ، وبطل هذا القيام فيما بطل من بلاد بني إسرائيل .

- وأما في الملة الإسلامية ، فكان ابتدأ هذا العمل بمصر وسببه أن مسلمة بن مخلد أمير مصر بنى منارا لجامع عمرو بن العاص واعتكف فيه ، فسمع أصوات النواقيس عالية ، فشكا ذلك إلى شرحبيل بن عامر عريف المؤذنين . فقال : إنى أمدد الأذان من نصف الليل إلى قرب الفجر ، فانهم أيها الأمير أن يتقشوا إذا أذنت . فتهاهم مسلمة عن ضرب النواقيس وقت الأذان ، ومدد شرحبيل ومطط أكثر الليل^١ .

- ثم إن الأمير أبا العباس أحمد بن طولون كان قد جعل ، في حجرة تقرب منه ، رجالا تعرف بالكبرين ، عدتهم اثنا عشر رجلا ، يبيت في هذه الحجرة كل ليلة أربعة يجعلون الليل بينهم عقبا . فكانوا يكبرون ويسبحون ويحمدون الله سبحانه في كل وقت ، ويقرؤون القرآن بألحان ، ويتوسلون ويقولون قصائد زهدية ، ويؤذنون في أوقات الأذان ، وجعل لهم أوزاقا واسعة تجرى عليهم .

(a) بولاق : فيتسامع من قرية . (b) بولاق : الأولى .

فلَمَّا ماتَ أحمد بن طولون، وقامَ من بعده ابنه أبو الجَيْش حَمَارَوَيْه، أَقْرَهُم بحالِهِم، وأَجْرَاهُم على رَسْمِهِم مع أبيه. ومن حينئذِ اتَّخَذَ النَّاسُ قِيَامَ الْمُؤَذِّنِينَ فِي اللَّيْلِ على المآذِن، وصارَ يُعْرَفُ ذلك بـ«التَّشْبِيح».

فلَمَّا وَلِيَ السُّلْطَانُ صلاحُ الدين يوسف بن أيُّوب سُلْطَنَةَ مصر، وولَّى القَضَاءَ صَدْرَ الدين عبد الملك بن دِرْبَاس الهَدَبَانِي الماراني الشَّافِعِيّ - كان من رأيه ورأي السُّلْطَانِ اعتِقَادُ مَذْهَبِ الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الأشْعَرِي فِي الأُصُولِ^١. فَحَمَلَ النَّاسُ إلى اليوم على اعتِقَادِهِ حتى يُكْفَرُ من يُخَالِفُهُ^(a)، وتقدَّم الأمرُ إلى المؤذنين أن يُعْلِنُوا - في وَقْتِ التَّشْبِيحِ على المآذِن بالليل - بِذِكْرِ العَقِيدَةِ التي تُعْرَفُ بِالْمُرْشِدَةِ. فَوَاطَبَ المؤذنون على ذِكْرِهَا في كُلِّ لَيْلَةٍ بِسَائِرِ جوامِعِ مصر والقاهرة إلى وَقْتِنَا هذا.

ومِمَّا أُخْدِتْ أيضًا: «التَّذْكِيرُ فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ» من أَثناء النَّهَارِ بِأَنْواعٍ من الذُّكْرِ على المآذِن، ليتَهَيَّأَ النَّاسُ لصلَاةِ الجُمُعَةِ. وكان ذلك بعد السبع مائة من سني الهجرة؛ قال ابنُ كَثِيرٍ، رَحِمَهُ اللهُ: فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ سَادِسَ ربيعِ الآخِرِ سنة أربع وأربعين وسبع مائة، رُسِمَ بأن يُذكَرَ بالصلَاةِ يَوْمَ الجُمُعَةِ فِي سائرِ مآذِنِ دِمَشْقَ، كما يُذكَرُ فِي مآذِنِ الجامِعِ الأموي، فَفَعَلَ ذلك^٢.

الجامع الأزهر^(b)

[أثر رقم ٩٧]

هذا الجامعُ أوَّلُ مَسْجِدٍ أُسِّسَ بالقاهرة^٤. والذي أنشأه القَائِدُ جَوْهَرُ الكَاتِبِ الصَّقْلَبِي، مؤلَى الإمامِ أَبِي تَمِيمٍ مَعَدَّ الخَلِيفَةَ أميرَ المؤمنين المُعَزَّ لدين الله، لما اخْتَطَّ القاهرة.

(a) بولاق: من خالفه. (b) في المَسْوَدَةِ قبل هذا العنوان: ذكر الجوامع التي يقام بها الجُمُعَةُ.

^١ فيما يلي ٤٤٠. الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي باسم «جامع القاهرة». (المسبحي: نصوص ضائعة ١٣، ٢٣، ٢٩، ٣٨، ٣٩)، ولكن بعد بناء جامع الحاكم وافتتاحه للصلَاة سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م أصبح يذكره باسم «الجامع الأنور» (أخبار مصر ٦٤)، وجامع القاهرة باسم «الجامع الأزهر»^٤

^٢ ابن كثير: البداية والنهاية ١٤: ٢١٠.

^٣ جاء في المَسْوَدَةِ قبل ذكر الجامع الأزهر العنوان التالي: «ذِكْرُ الجوامِعِ التي يُقَامُ بها الجُمُعَةُ».

وشرع في بناء هذا الجامع في يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلاث مائة، وكمل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة إحدى وستين وثلاث مائة، وجميع فيه^١.
 (قال المؤلف: رأيت مكتوباً^a) بدائر القبة التي في الرواق الأول - وهي على يمينه المحراب والمنبر - ما نصه بعد البشمة:

«مما أمر بينائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين، صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين، على يد عبده جوهر الكاتب الصقلي، وذلك في سنة ستين وثلاث مائة»^٢.

(a-a) من المسودة، وجاء عوضها في الميضية: وكتب.

pp. 632-34; van Berchem, M., *CIA Égypte I*, pp. 43-50, 630, 632-33 et 674-76; Briggs, M.S., *op.cit.*, pp. 67-69; Wiet, G., *CIA Égypte II*, pp. 103-25; Hauteceur, L., *Les mosquées du Caire I*, pp. 218-20; Creswell, K.A.C., *MAEI*, pp. 36-57, 254-57; محمد عبد العزيز مرزوق، مساجد القاهرة قبل عصر المماليك ٥٣-٦٦؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١: ٤٧-٦٣؛ محمد عبد الله عنان: تاريخ الجامع الأزهر، القاهرة ١٩٥٨؛ Jomier, J., *El² art.* ١٩٥٨؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها ١: ٤١-٥٩؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ١: ١٦٥-٢٢٦؛ عبد العزيز محمد الشناوي: الأزهر جامعا، وجامعة القاهرة ١٩٨٣، Fu'ád Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 191-207, Rabbat, N., «Al-Azhar Mosque: An Architectural Chronicle of Cairo's History», *Muqarnas* 13 (1996), pp. 45-67؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ١٤٩-١٩٧).

= (نفسه ٦٢). وانظر كذلك ابن خلكان: وفيات الأعيان ١: ٣٨٠؛ وفيما تقدم ٢: ٢١٤، ٣٠٧، ٤١٨: ١٧، وفيما يلي ٩٧. وكان التخطيط الأول للجامع الأزهر أقل بكثير مما عليه جامع الأزهر الحالي، فيجب أن نحذف من تصورتنا كل المياني المضافة إليه وهي من الغرب: الرواق العباسي، والمدرسة الطيروزية، ومدخل قايتباي، والمدرسة الآقباوية، ثم الميضية والمدرسة الجهرية ثم جميع الإيوان المضاف خلف المحراب الفاطمي والذي أقامه في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي عبد الرحمن كشخدا، الذي يوجد ضريحه في الجهة الجنوبية الغربية للجامع.

وبذلك فلم يبق من الجامع الفاطمي سوى القليل، وأهمه الصحن والأروقة المحيطة به والخمس بوائك الموازية لحائط القبلة، وبالتالي فمن الصعوبة بمكان أن نتعرف على الشكل الخارجي للجامع الفاطمي الذي كان يتكون من رباعي أضلاع طوله ٨٨ مترا وعرضه ٧٠ مترا، وضلعي بيت الصلاة ٨٥ مترا (موازية لحائط القبلة) و٢٥ مترا حتى الصحن ويتكون من خمسة صفوف من الأعمدة.

(راجع، علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ٢٥٥-٢٥٨، Ravaisse, P., «Sur trois ٢٩: ٤-٩٢»، *MIE II/2* (1889), mithrâbs en bois sculpté).

^١ يختلف نص المسودة عن هذا النص حيث أورد المقيزي في المسودة النص الذي ذكره ابن عبد الظاهر في كتاب الروض الزاهر ٢٧٧-٢٧٨.

^٢ فُقدت الآن هذه الكتابة التاريخية، وكل ما نعرفه =



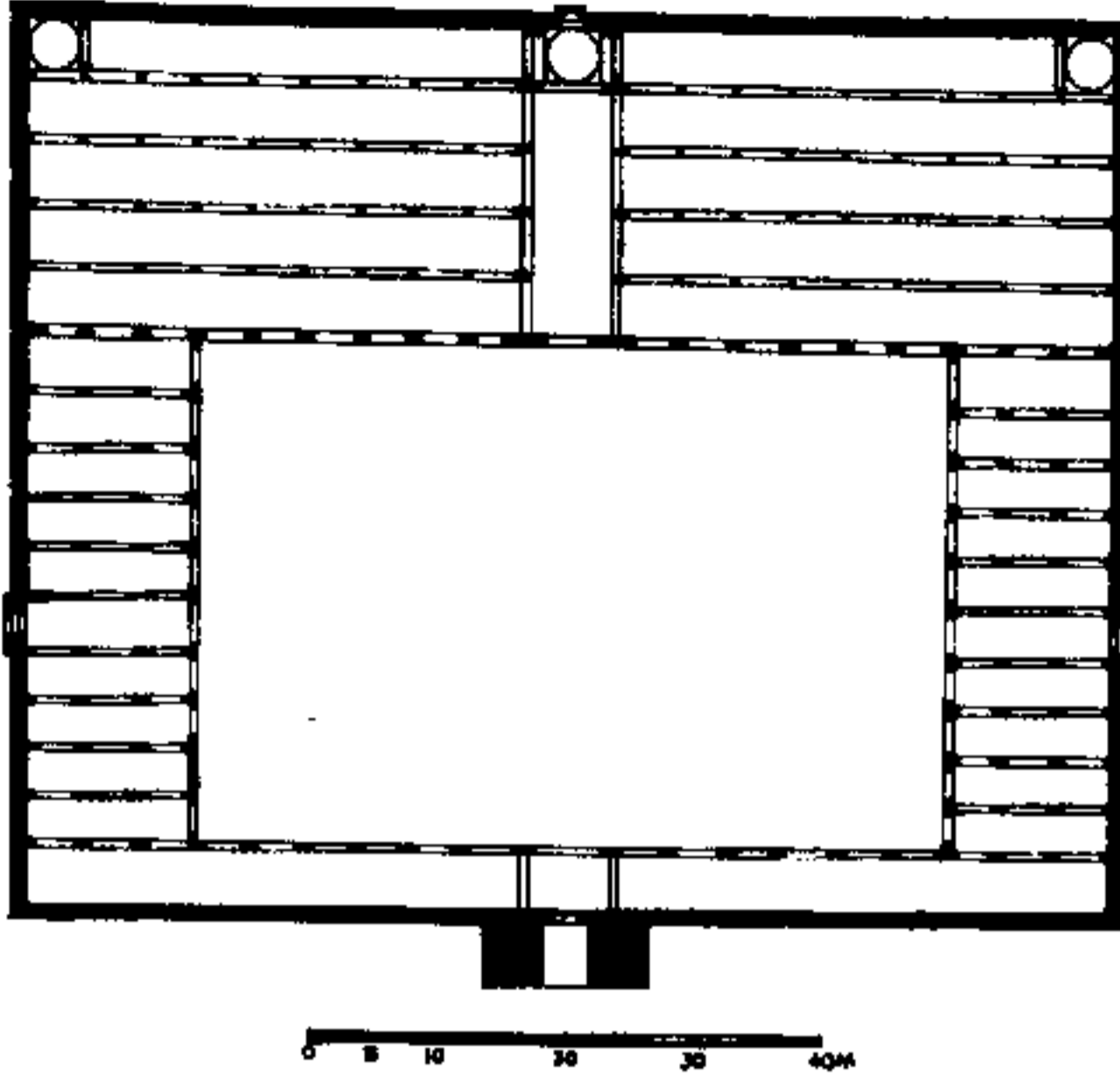
الجامع الأزهر (المحراب الفاطمي)

وأولُ جُمُعَةٍ جُمِعَتْ فِيهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لِسَبْعِ خَلَوْنَ مِنْهُ سَنَةً إِحْدَى وَسِتِّينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ . ثُمَّ إِنَّ الْعَزِيزَ بِاللَّهِ أَبَا مَنْصُورٍ نِزَارَ بْنَ الْمُعِزِّ لَدِينِ اللَّهِ جَدَّدَ فِيهِ أَشْيَاءَ .

تتضمن على كتابة كوفية تتعلّق بالشعب سقايات التي أنشأها جعفر بن الفضل بن الفرات ، والتي حفظ لنا المقرئ النص الكامل لإنشائها الذي يتطابق مع الكتابة المكتشفة (فيما تقدم ٣: ٤٥١) ، يجعلنا نثق في صدق وصحة نقش الأزهر - كما أوردّه المقرئ - والذي يتسجّم تمامًا مع سائر الكتابات والنقوش الفاطمية التاريخية .

= عنها هو ما ذكره المقرئ هنا ، ونقله عنه علي مبارك في خططه ٤: ٢٩ (١٠) ، وحسن عبد الوهاب في تاريخ المساجد الأثرية ١: ٤٩ ، وأحمد فكري في مساجد القاهرة ومدارسها ١: ٤١ ؛ وكذلك ، van Berchem, *CIA Égypte I*, n° 20, Wiet, G., *RCEA V*, n° 1821; Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, p. 192.

وكان اكتشاف قطعة حجري في نهاية القرن التاسع عشر



مُخَطَّط الجامع الأزهر الفاطمي (عن Creswell)

وفي سنة ثمانٍ وسبعين وثلاث مائة ، سأل الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس ، الخليفة العزيز بالله ، في صلة رزق جماعة من الفقهاء ، فأطلق لهم ما يكفي كل واحد منهم من الرزق الناض^١ ، وأمر لهم بشراء دارٍ وبنائها ، فبُنيت بجانب الجامع الأزهر . فإذا كان يوم الجمعة حَضروا إلى الجامع ، وتحلَّقوا فيه بعد الصلاة إلى أن يُصلى العصر . وكان لهم أيضا من مال الوزير صلة في كل سنة ، وكانت عدَّتْهم خمسة وثلاثين رجلاً . ونخلع عليهم العزيز يوم عيد الفطر ، وحملهم على بغلات^٢ . ويُقال إن بهذا الجامع طُلُسمًا فلا يسكنه عُصفورٌ ولا يفرخ به^٣ .^(a) وما ذكره ابن عبد الظاهر من أمر الطُلُسم الذي به فإنه صحيح وهو باقٍ مُستَمِرُّ العملِ إلى وقتنا هذا وهو سنة ثمانٍ وتسعين وسبع مائة^(a) ، وليس هو مخصوصٌ بالعصافير فقط بل هو لسائر الطيور ليس يبيت به شيء من الحمام ولا اليمام ولا العصافير ولا غيرها ولا يفرخون به إلى الآن . ورأيت به^(b) صورَ ثلاثة طيور

(a-a) من المُسوَّدة ، وجاء عوضه في المُبيضة : وكذا سائر الطيور من الحمام واليمام وغيره وهو . (b) في المُسوَّدة : ثمان مائة ، سبق قلم .

^١ الناض . هو الرزق إذا تحوَّل عتبتا بعد أن كان متاعًا . كتر الدرر ٨ : ١٢١-١٢٢ ؛ وفيما يلي ٣٨٩-٣٩٠ .

(ابن منظور : لسان العرب ١٤ : ١٨٠) .^٣ نفسه ٢٧٨ ؛ نفسه ٨ : ١٢١ ؛ النويري : نهاية

^٢ ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ٢٧٨ ؛ ابن أيبك : الأرب ٣٠ : ١٣٥ .

منقوشة ، كلُّ صورة على رأس عمود ، فمنها صورتان في مُقدِّم الجامع بالزُّواقي الخامس : منهما صورة في الجهة الغربية في العمود ، وصورة في أحد العمودين اللذين على يسار من استقبل سُدَّة المؤذنين . والصورة الأخرى في الصُّحن في الأعمدة القبليَّة مما يلي الشرقيَّة .

ثم إنَّ الحَاكِمَ بأمرِ الله جَدَّه ، ووقَّف على الجامع الأزهر وجامع المقس والجامع الحَاكِمِي ودارِ العِلْمِ بالقاهرة رباعًا بمصر ، وضَمَّنَ ذلك كِتَابًا نُسخته :

«هذا كِتَابٌ أَشْهَدَ قَاضِي القَضَاةِ مَالِكُ بنِ سَعِيدِ بنِ مَالِكِ الفَارِقي على جميع ما نُسِبَ إليه مِمَّا ذُكِرَ ووُصِفَ فيه ، مَنْ حَضَرَ من الشُّهُودِ في مَجْلِسِ حُكْمِهِ وقَضَائِهِ بِفُسطاطِ مصر في شهرِ رَمَضانِ سنةِ أربعِ مائةٍ . أَشْهَدُهُمْ - وهو يومئذٍ قاضي عبد الله ووليُّه المنصور أبي عليِّ الإمام الحَاكِمِ بأمرِ الله أمير المؤمنين ابنِ الإمام العزير بالله - صلوات الله عليهما - / على القاهرة المعزِيَّة ومصر والإسكندرية والحرمين - حرسَهُما الله - وأجناد الشام والرقَّة والرَّحْبَةَ ونواحي المغرب وسائر أعمالهن ، وما فَتَحَهُ اللهُ ويَفْتَحُهُ لِأَمِيرِ المؤمنين من بلادِ الشَّرْقِ والغَرْبِ - بِمَحْضَرِ رجلٍ مُتَكَلِّمٍ أَنَّهُ صَحَّتْ عنده مَعْرِفَةُ المواضع الكَامِلَةِ والحِصَصِ الشَّائِعَةِ ، الذي^a يُذَكِّرُ جميعَ ذلك ويُحَدِّدُ في هذا الكِتَابِ ، وَأَنَّهَا كَانَتْ من أَمْلَاقِ الإمام الحَاكِمِ إلى أن حَبَسَهَا على الجامعِ الأزهرِ بالقاهرة المحروسَةِ ، والجامعِ بَرَايِدَةَ ، والجامعِ بالمَقْسِ اللذين أَمَرَ بِإنشائِهِما وتأسيسِ بِنائِهِما ، وعلى دارِ الحِكْمَةِ بالقاهرة المحروسَةِ التي وَقَفَهَا والكُتُبِ التي فيها قَبْلَ تاريخِ هذا الكِتَابِ .

منها ما يُخَصُّ الجامعَ الأزهرَ والجامعَ بَرَايِدَةَ ودارِ الحِكْمَةِ بالقاهرة المحروسَةِ ، مَشَاعًا جميعَ ذلك غيرِ مَقْسومٍ . ومنها ما يُخَصُّ الجامعَ بالمَقْسِ على شَرَايِطٍ يَجْرِي ذَكَرُهَا .

فمن ذلك : ما تَصَدَّقَ به على الجامعِ الأزهرِ بالقاهرة المحروسَةِ ، والجامعِ بَرَايِدَةَ ودارِ الحِكْمَةِ بالقاهرة المحروسَةِ : جميعُ الدَّارِ المعروفةِ بدارِ الضُّرْبِ ، وجميعُ القَيْساريَّةِ المعروفةِ بِقَيْساريَّةِ الصُّوفِ ، وجميعُ الدَّارِ

المعروفة بدار الخِرْقِ الجَدِيدَةِ ، الذي ذلك^(a) كُلُّهُ بِفُسْطَاطِ مِصْرَ .

ومن ذلك ما تَصَدَّقَ بِهِ عَلَى جَمَاعِ الْمَقْسِ : جَمِيعِ الْأَرْبَعَةِ^(b) الْحَوَانِيتِ
وَالْمَنَازِلِ الَّتِي عُلِّوْهَا وَالْمَخْرَنْيْنَ ، الَّذِي ذَلِكَ كُلُّهُ بِفُسْطَاطِ مِصْرَ بِالرَّيَّاتِ فِي
جَانِبِ الْغَرْبِ مِنَ الدَّارِ الْمَعْرُوفَةِ كَانَتْ بَدَارِ الْخِرْقِ .^(c) فِيهِنَّ الْحَانُوتِ
الْمَعْرُوفِ بِسَكْنِ ابْنِ الشُّورِيِّ الَّتِي فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَعْرُوفَةِ
بِدَارِ الْخِرْقِ ، وَمِنْ ذَلِكَ الْحَانُوتَانِ النَّافِذَ أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخَرِ الْمَعْرُوفَانِ
بِسَكْنِ . وَمِنْ ذَلِكَ الْحَانُوتِ الَّذِي فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَعْرُوفَةِ
بِدَارِ الْخِرْقِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذَا الْكِتَابِ^(c) . وَهَاتَانِ الدَّارَانِ الْمَعْرُوفَتَانِ بِدَارِ
الْخِرْقِ فِي الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِحَمَامِ الْفَارِ .

ومن ذلك : جَمِيعُ الْخِصَصِ الشَّائِعَةِ مِنَ الْأَرْبَعَةِ الْحَوَانِيتِ الْمُتَلَاصِقَةِ الَّتِي
بِفُسْطَاطِ مِصْرَ بِالرَّيَّاتِ أَيْضًا بِالْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِحَمَامِ الْفَارِ ، وَتُعْرَفُ هَذِهِ
الْحَوَانِيتُ بِحِصَصِ الْقَيْسِيِّ بِحُدُودِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَأَرْضِهِ وَبِنَائِهِ وَسُقْلِهِ وَعُلُوِّهِ
وَعُرْفِهِ وَمُرْتَفَعَاتِهِ وَحَوَانِيَتِهِ وَسَاحَاتِهِ وَطُرُقِهِ وَمَمَرَاتِهِ وَمَجَارِي مِيَاهِهِ ، وَكُلُّ
حَقٍّ هُوَ لَهُ دَاخِلٌ فِيهِ وَخَارِجٌ عَنْهُ .

وَجَعَلَ ذَلِكَ كُلُّهُ صَدَقَةً مَوْثُوقَةً مَحْرُومَةً مُحَبَّسَةً بِنَّةً بَثْلَةً ، لَا يَجُوزُ يَتَّعُهَا
وَلَا هِبَتُهَا وَلَا تَمْلِكُهَا ، بَاقِيَةٌ عَلَى شُرُوطِهَا جَارِيَةٌ عَلَى سُئْلِهَا [الْمَقْرُورَةُ]^(d)
الْمَعْرُوفَةِ فِي هَذَا الْكِتَابِ . لَا يُوهِنُهَا تَقَادِمُ السِّنِّينِ ، وَلَا تُغَيِّرُ بِحُدُوثِ
حَدَثٍ ، وَلَا يُسْتَنْتَى فِيهَا وَلَا يُتَأَوَّلُ ، وَلَا يُسْتَفْتَى بِتَجَدُّدِ تَحْيِيسِهَا مَدَى
الْأَوْقَاتِ ، وَتَسْتَمِرُّ شُرُوطُهَا عَلَى اخْتِلَافِ الْحَالَاتِ حَتَّى يَرِثُ اللَّهُ الْأَرْضَ
وَالسَّمَلَوَاتِ ؛ عَلَى أَنْ يُؤَجَّرَ ذَلِكَ فِي كُلِّ عَضْرِ مِنْ يَنْتَهِي إِلَيْهِ وَلَا يَتَّعُهَا ،
وَيَرْجِعُ إِلَيْهِ أَمْرُهَا - بَعْدَ مُرَاقَبَةِ اللَّهِ وَاجْتِلَابِ مَا يُؤَفَّرُ مَنَفَعَتَهَا مِنْ إِشْهَارِهَا -
عِنْدَ ذَوِي الرِّغْبَةِ فِي إِجَارَةِ أَمْثَالِهَا . فَيَبْتَدَأُ مِنْ ذَلِكَ بِعِمَارَةِ ذَلِكَ ، عَلَى
حَسَبِ الْمَصْلُحَةِ وَبِقَاءِ الْعَيْنِ وَمَرَمَّتِهِ ، مِنْ غَيْرِ إِجْحَافٍ بِمَا حُبِسَ ذَلِكَ
عَلَيْهِ . وَمَا فَضَّلَ كَانَ مَقْسُومًا عَلَى سَتِينَ سَهْمًا ؛ فَمِنْ ذَلِكَ لِلْجَامِعِ الْأَزْهَرِ

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : أربعة . (c-c) ساقطة من بولاق . (d) زيادة من ابن عبد الظاهر .

بالقاهرة المحروسة، المذكور في هذا الإشهاد: الخُمس والثُمْنُ ونِصْفُ
 الشُدس ونِصْفُ التُّشع يُصْرَفُ ذلك فيما فيه عِمارة له ومَصْلحة . وهو من
 العَيْنِ المِعْزِي الوَازِن ألف دينار واحد^a وسبعة وستون دينارًا ونِصْفِ دينار
 وثُمْنِ دينار، من ذلك: للخطيب بهذا الجامع أربعة وثمانون دينارًا، ومن
 ذلك لثَمَنِ ألف ذِرَاعِ حُضْرِ عِبْدَانِيَّة تكون عُدةً له بحيث لا ينقطع من
 حُضْرِهِ عند الحاجة إلى ذلك، ومن ذلك لثَمَنِ ثلاثة عشر ألف ذِرَاعِ حُضْرِ
 مَظْفُورَةَ لَكُشُورَةَ هذا الجامع في كلِّ سَنَةٍ عند الحاجة إليها: مائة دينار واحدة
 وثمانية دنانير. ومن ذلك لثَمَنِ ثلاثة قَنَاطِيرِ زُجَاجٍ وفِرَاحِهَا: اثنا عشر دينارًا
 ونِصْفِ ورُبْعِ دينار. ومن ذلك لثَمَنِ عُودِ هِنْدِي لِلبُخُورِ في شهر
 رَمَضانِ وأَيَّامِ الجُمُعِ، مع ثَمَنِ الكافُورِ والمِسْكِ وأُجْرَةَ الصَّانِعِ: خمسة
 عشر دينارًا^b ومن ذلك لثَمَنِ قُلْتَيْنِ زَيْتِ مَغْرِبِي وَزَنَ كُلِّ واحدةٍ منهما
 مائة رَظَلٍ واحدةٍ واثنا عشر رَظَلًا بِالرَظَلِ الفُلْقَلِي^b. ومن ذلك لِنِصْفِ
 قِنطَارِ شَمْعٍ بِالْفُلْقَلِي: سبعة دنانير.

٥

١٠

ومن ذلك لكَتْسِ هذا الجامع ونَقْلِ الثُّرابِ، وَخِيَاطَةَ الحُضْرِ وَثَمَنِ الخَيْطِ
 وَأُجْرَةَ الخِيَاطَةِ: خمسة دنانير. ومن ذلك لثَمَنِ مَشَاقَّةِ لَسْرَجِ القَنَادِيلِ، عن
 خمسة وعشرين رَظَلًا بِالرَظَلِ الفُلْقَلِي: دينارًا واحدًا. ومن ذلك لثَمَنِ فَحْمِ
 لِلبُخُورِ، عن قِنطَارٍ واحدٍ بِالْفُلْقَلِي: نِصْفِ دينار. ومن ذلك لثَمَنِ أُرْدِيَنِ
 مِلْحًا للقَنَادِيلِ: رُبْعِ دينار. ومن ذلك ما قُدِّرَ لمُؤَنَةِ النُّحاسِ والسُّلَّاسِ
 والثَّنَانِيرِ والقِيَابِ التي فَوْقَ سَطْحِ الجَامِعِ: أربعة وعشرون دينارًا.

١٥

ومن ذلك لثَمَنِ سَلْبِ لَيْفٍ وأربعة أَخْبَلِ وَسِتِّ دِلَاءِ أَدَمٍ: نِصْفِ دينار.
 ومن ذلك لثَمَنِ قِنطَارَيْنِ خِرْقًا لَمَسِّحِ القَنَادِيلِ: نِصْفِ دينار. ومن ذلك
 لثَمَنِ عَشْرِ قِفَافٍ لِلخِذْمَةِ وَعَشْرَةَ أُرْطَالِ قِنْبٍ لِتَغْلِيْقِ القَنَادِيلِ، وَلثَمَنِ مَائِي
 مَكْنَسَةٍ لكَتْسِ هذا الجامع: دينارًا واحدًا ورُبْعِ دينار. ومن ذلك لثَمَنِ أُرْيارِ
 فَخَّارٍ تُنْصَبُ على المَصْنَعِ وَيُصَبُّ فِيهَا المَاءُ، مع أُجْرَةَ حَمَلِهَا: ثلاثة دنانير.

٢٠

(a) بولاق: واحدة. (b-b) ساقطة من بولاق.

ومن ذلك لثَمَنِ زَيْتٍ وَقُودِ هَذَا الْجَامِعِ ، رَاتِبُ السَّنَةِ أَلْفَ رَطْلٍ وَمِائَتَا رَطْلٍ
مَعَ أُجْرَةِ الْحَمَلِ : سَبْعَةٌ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا وَنِصْفٌ .

ومن ذلك لِأَزْزَاقِ الْمُصَلِّينَ - يَعْنِي الْأَيْمَةَ - وَهِيَ ثَلَاثَةٌ ، وَأَرْبَعَةٌ قَوْمَةٌ
وَخَمْسَةٌ عَشْرٌ مُؤَدَّنًا : خَمْسٌ مِائَةٌ دِينَارٍ وَسِتَّةٌ وَخَمْسُونَ دِينَارًا وَنِصْفٌ ،
مِنْهَا لِلْمُصَلِّينَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ دِينَارَانِ وَثَلَاثَا دِينَارٍ وَثَمَنُ دِينَارٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ
مِنْ شَهْرِ السَّنَةِ ، وَالْمُؤَدَّنُونَ وَالْقَوْمَةُ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ دِينَارَانِ فِي كُلِّ شَهْرٍ .
ومن ذلك لِلْمُشْرِفِ عَلَى هَذَا الْجَامِعِ فِي كُلِّ سَنَةٍ : أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا .
ومن ذلك لِكُنْسِ الْمَصْنَعِ بِهَذَا الْجَامِعِ ، وَنَقْلِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ مِنَ الطَّيْنِ
وَالْوَسَخِ : دِينَارًا وَاحِدًا / وَمِنْ ذَلِكَ لِمَرْمَةِ مَا يُخْتِاجُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْجَامِعِ فِي
سَطْحِهِ وَأَثْرَابِهِ وَحَيَاطَتِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا قُدِّرَ لِكُلِّ سَنَةٍ : سِتُونَ دِينَارًا .

ومن ذلك لثَمَنِ مِائَةٍ وَثَمَانِينَ حَمَلٍ تَبْنٍ وَنِصْفِ حَمَلٍ جَارِيَةٍ ، لِعَلْفِ
رَأْسِي بَقَرٍ لِلْمَصْنَعِ الَّذِي لِهَذَا الْجَامِعِ : ثَمَانِيَةَ دِنَانِيرٍ وَنِصْفَ وَثَلَاثَ دِينَارٍ .
ومن ذلك لِلتَّبْنِ الْمَخْزَنِ يُوضَعُ فِيهِ بِالْقَاهِرَةِ : أَرْبَعَةَ دِنَانِيرٍ .

^aومن ذلك لثَمَنِ أَرْبَعِينَ إِزْدَبًا قَوْلًا لِعَلْفِ الرَّاسِينَ : أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ
دِينَارًا وَسُدْسٌ ^a .

ومن ذلك لثَمَنِ قَدَّانِينَ قُرْطٍ ، لِتَرْبِيعِ رَأْسِي الْبَقَرِ الْمَذْكُورِينَ فِي
السَّنَةِ : سَبْعَةَ دِنَانِيرٍ . وَمِنْ ذَلِكَ لِأَجْرَةِ مُتَوَلِّيِ الْعَلْفِ ، وَأُجْرَةِ السَّقَاءِ
وَالْحِبَالِ وَالْقَوَادِيسِ وَمَا يَجْرِي مَعْجَرَى ذَلِكَ : خَمْسَةٌ عَشْرَ دِينَارًا
وَنِصْفٌ . وَمِنْ ذَلِكَ لِأَجْرَةِ قِيمِ الْمَيْضَاءِ إِنْ عُجِلَتْ بِهَذَا الْجَامِعِ : اثْنَا
عَشَرَ دِينَارًا ^١ .

وإلى هنا انقضى حديث الجامع الأزهر، وأخذ في ذكر جامع راشدّة ودار العلم وجامع
المفس . ثم ذكر أن تنانير الفضة ثلاثة تنانير وتسعة وثلاثون قنديلاً فضة : فللجامع الأزهر ثوران

^{a-a} ساقطة من بولاق .

^١ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٤٤ - ١٤٨ .

وسبعة وعشرون قنديلاً ، ومنها لجامع راشدَة ثنورٍ واثنا عشر قنديلاً . وشرط أن تُعلّق في شهر رمضان ، وتُعاد إلى مكانٍ جرت عاداتها أن تُحفظ به .

وشرط شروطاً كثيرةً في الأوقاف : منها أنه إذا فصل شيءٌ واجتمع يُشترى به ملكٌ ، فإن عازٍ شيئاً واشتهدم ولم يف الربح بعمارته بيع وعُمّر به ، وأشياء كثيرة . وحبس فيه أيضاً عدّة أدُرٍ وقياسرٍ لا فائدة في ذكرها ، فإنها مما خربت بمصر .

قال ابنُ عبد الظاهر عن هذا الكتاب : ورأيتُ منه نسخةً [عند نجم الدين بن الحلبي] ^(a) ، وانتقلت [هذه النسخة الآن] ^(a) إلى قاضي القضاة تقي الدين بن رزين ^١ .

وكان بصدرٍ هذا الجامع في محرابه منطقةً فضةً ، كما كان في محرابٍ جامع عمرو ابن العاص بمصر ، قلّع ذلك صلاح الدين يوسف بن أيوب في حادي عشر ربيع الأول سنة تسع وستين وخمس مائة ، لأنه كان فيها أسماء ^(b) خُلفاء الفاطميين ، فجاء وزنها خمسة آلاف درهم نُقرةً ، وقلّع أيضاً المناطق من بقية الجوامع ^٢ .

ثم إن المُستنصر جدد هذا الجامع أيضاً ، وجدّده الحافظُ لدين الله ، وأنشأ فيه مقصورةً لطيفةً تُجاور الباب الغربي الذي في مُقدّم الجامع بداخل الرواقات - عُرفت بمقصورة فاطمة من أجل أن فاطمة الزهراء - رضي الله تعالى عنها - رُئيت بها في المنام ^٣ . ثم إنّه جدد في أيام الملك الظاهر بيبرس البندقداري .

واعادة الخطبة به - قال جامع «السيرة للملك الظاهر ركن الدين بيبرس» ^(c) ذكر تجديد ^(c) ومنها نقلت ، وذكر ذلك أيضاً القاضي ناصر الدين شافع بن علي الكاتب في كتاب «نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك» ^(c) : لما كان يوم الجمعة الثامن عشر من ربيع

(a) زيادة من الروض الزاهر . (b) بولاق : انتهاء . (c-c) هذه العبارة من المسوّدة وجاء عوضها في النسخ : «قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في كتاب «سيرة الملك الظاهر» .

^١ ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ٢٧٩ .
^٢ المقرئ : السلوك ١ : ٤٥ ؛ وفيما تقدم ٢١ - ٢٢ .
^٣ لم يُشر المقرئ إلى بعض أعمال التّجديد التي قام بها الخلفاء الفاطميون في الجامع الأزهر ، ووصل إلينا ما يتدلّ عليها ، منها : باب ذو مضراعين من خشب شوح تركي محفوظ الآن بمتحف الفن الإسلامي برقم ٥٥١ أُحضِر من الجامع الأزهر وعليه اسم «مؤلانا أمير المؤمنين الإمام الحاكم بأمر الله ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه» ، وهذا الباب يدلّ على العمارة التي قام بها الإمام الحاكم بأمر الله في الجامع سنة ٤٠٠هـ / ١٠١٠م . (van Berchem.)

الأول^(a) سنة خمس وستين وست مائة، أُقيمت الجمعة بالجامع الأزهر بالقاهرة^(١). وسبب ذلك أن الأمير عز الدين أيدمر الحلي كان جاز هذا الجامع من مدة سنين، فرعى - وفقه الله - حزمة الجار، ورأى أن يكون كما هو جاره في دار الدنيا أنه غداً يكون ثوابه جاره في تلك الدار، ورسم بالنظر في أمره، وانتزع له أشياء مفضولة كان شيء منها في أيدي جماعة وحاط أموره حتى جمع له شيئاً صالحاً.

وجرى الحديث في ذلك، فتبرع الأمير عز الدين له بجملة مستكثرة من المال الجزيل، واشتطقت^(b) له من السلطان جملة من المال، وشرع في عمارته. فعمر الواهي من أركانه ومجذرائه ويضه وأصلح سُقوفه، وبسطه وفرشه وكساه حتى عاد حرمًا في وسط المدينة، واشتجد به مقصورة حسنة، وأثر فيه آثارًا صالحة يبيها الله عليها.

١٠ وعمل الأمير يئلبك الخازندار فيه مقصورة كبيرة، رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الإمام الشافعي - رحمه الله - ورتب في هذه المقصورة محدثًا يُسمع الحديث النبوي والرفائق، ووقف على ذلك الأوقاف الدارة، ورتب به سبعة

(a) كذا في السلوك، وفي الروض الزاهر ونهاية الأرب: الثامن من ربيع الأول. (b) بولاق: وأطلق.

إلى الجامع الأزهر - مبنوا إلى الجامع ضاع كل أثر له الآن، وإن كان قد تخلف عنه لوح خشبي عليه ثلاثة أسطر من التسخ المملوكي المبكر اقتناها في نهاية القرن التاسع عشر المستشرق الفرنسي شارل شيفر Charles Schefer (١٨٢٨-١٨٩٨م)، ثم آلت إلى المتحف الوطني بالجزائر، نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم - بما أمر بعمل هذا المنبر المبارك لجامع الأزهر مؤلانا السلطان الملك الظاهر المجاهد المرابط المؤيد المنصور ركن الدنيا والدين أبو الفتح بيبرس الصالحي قسيم أمير المؤمنين بالذهار المصرية أعز الله أنصاره بتاريخ الثالث عشر من ربيع الأول سنة خمس وستين وست مائة من الهجرة النبوية».

(van Berchem, M., *CIA Égypte I*, n° 128; Wiet, G.,

RCEA XII, n° 4562.

M., *CIA Égypte I*, n° 453; Weill, J.D., *Les bois a épigraphes jusqu'à l'époque mamelouke*, pp. 16-18; Pauty, E., *Les bois sculptés jusqu'à l'époque ayyoubide*, pp. 30-31; Wiet, G., *RCEA VI*, n° 2173; زكي محمد حسن: كتوز الفاطميين ٢٠١-٢٠٢). ومخراب منقول محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم ٤٤٢ يحمل كتابة تاريخية بالخط الكوفي تُفيد قيام الإمام الأمر بأحكام الله بقتل المخراب برسم الجامع الأزهر الشريف في شهر سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م. (Sur) Ravaisse, P., «trois mihrâbs en bois sculptés», *MIE II/2* (1889), pp. 628-31; van Berchem, M., *CIA Égypte I*, n° 455; Weill, J.D., *op.cit.*, pp. 5-6; Pauty, E., *op.cit.*, p. 64; Wiet, G., *RCEA VIII*, n° 3013; (Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 194, 198-99).

^١ أهدى السلطان الظاهر بيبرس - بمناسبة إعادة الخطبة

لقراءة القرآن، ورثت به مدرّسا أثابه الله على ذلك^١.

ولما تكمل تجديده تحدّث في إقامة الجمعة فيه. فتودي في المدينة بذلك، واستخدم له الفقيه زين الدين^٢ خطيبا، وأقيمت الجمعة فيه في اليوم المذكور. وحضر الأتابك فارس الدين، والصاحب بهاء الدين علي بن حنا، وولده الصاحب فخر الدين محمد، وجماعة من الأمراء والكبراء وأصناف العالم على اختلافهم، وكان يوم الجمعة مشهودا.

ولما فرغ من الجمعة، جلس الأمير عز الدين الحلي والatabك والصاحب، وقرأ القرآن، ودعي للسلطان. وقام الأمير عز الدين ودخل إلى داره، ودخل معه الأمراء، فقدم لهم كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وانفصلوا^٣.

وكان قد جرى الحديث في أمر جواز الجمعة في الجامع، وما ورد فيه من أقاويل العلماء، وكتب^٤ قتيبا أخذ فيها خطوط العلماء بجواز الجمعة في هذا الجامع وإقامتها، فكتب جماعة خطوطهم فيها. وأقيمت صلاة الجمعة به واستمرت، ووجد الناس به رفقا وراحة لقربه من الحارات البعيدة من الجامع الحاكي^٥.

قال: وكان سقف هذا الجامع قد بُني قصيرا، فزيد فيه بعد ذلك وعُلي ذراعا. واستمرت الخطبة فيه حتى بُني الجامع الحاكي^٥ فانتقلت الخطبة إليه بعد ذلك^٦، فإن الخليفة كان يخطب فيه الجمعة^٧، وفي الجامع الأزهر الجمعة^٨، وفي جامع ابن طولون الجمعة^٩، وفي جامع مصر الجمعة^{١٠}.

(a) بولاق: وكتب منها. (b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: خطبة.

^١ حاشية بخط المؤلف: «قال هشام بن عمار: حدّثنا يزيد بن أبي مالك عن أبيه قال: كان أبو الدرداء يُصلي الغداة ثم يقرأ في الحلقة حتى إذا أراد القيام قال: هل من وليمة تُشهدها أو عقيقة أو فطرة؟ فإن قال أصحابه: نعم، قام إليها، وإن قالوا: لا، قال: اللهم إني أشهدك أنني صائم. وهو الذي سنّ هذه الحلقة التي يقرأ فيها الناس القرآن بالمساجد إلى اليوم. انتهى».

^٢ الفقيه زين الدين إدريس بن صالح بن وهيب المصري

^٣ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٢٧٧.

^٤ نفسه ٢٧٧؛ بيرس المنصوري: زبدة الفكرة

١٠٧؛ المقرئ: السلوك ١: ٥٥٦.

^٥ نفسه ٢٧٩.

وانقَطَعَتِ الخُطْبَةُ من الجامع الأزهر لما استتبدَّ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالسلطنة . فإنه قَلَدَ وَظِيْفَةَ القَضَاءِ لقاضي القضاة صدر الدين عبد الملك بن دزباس ، فَعَمِلَ بمقتضى مذهبِهِ - وهو امتِناعُ إقامة خُطْبَتَيْنِ للجمُعة في بَلَدٍ واحدٍ ، كما هو مذهبُ الإمام الشافعي - رحمه الله - فأَبْطَلَ الخُطْبَةَ من الجامع الأزهر ، وأَقْرَأَ الخُطْبَةَ / بالجامع الحاكمي من أجل أنه أَوْسَع . فلم يَزَلِ الجامع الأزهر مُعْطَلًا من إقامة الخُطْبَةِ^(a) فيه مائة عام ، من حين استولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، إلى أن أُعيدت الخُطْبَةُ في أيام الملك الظاهر بيبرس كما تقدّم ذكره^١ .

ثم لما كانت الزلزلة بديار مصر في ذي الحجة سنة اثنتين وسبع مائة ، سقط الجامع الأزهر والجامع الحاكمي وجامع مصر وغيره ، فتقاسم أمراء الدولة عمارة الجوامع ؛ فتولّى الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عمارة الجامع الحاكمي ، وتولّى الأمير سلار عمارة الجامع الأزهر ، وتولّى الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار عمارة جامع الصالح ؛ فجددوا مبانيها ، وأعادوا ما تهدم منها^٢ .

ثم جددت عمارة الجامع الأزهر على يد القاضي نجم الدين محمد بن حسين بن علي الأشقردي ، مُحْتَسِبِ القاهِرة ، في سنة خمسٍ وعشرين وسبع مائة .
ثم جددت عمارته في سنة إحدى وستين وسبع مائة عندما سكن الأمير الطواشي سعد الدين بشير الجامدار الناصري في دار الأمير فخر الدين أبان الزاهدي الصالحي النجمي ، بخط الأبارين بجوار الجامع الأزهر ، بعدما هدمها وعمرها داره التي تُعرف هناك إلى اليوم بدار بشير الجامدار .

(a) بولاق : الجمعة .

^١ ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ٢٧٧ ؛ النويري : نهاية الأرب ٣٠ : ١٣٥ - ١٣٦ ؛ ابن أبيك : كثر الدرر ٨ : ١٢١ - ١٢٣ ؛ بيبرس المنصوري : زبدة الفكرة ١٠٧ ؛ العيني : عقد الجمان ٢ : ٦ ؛ المقرئ : السلوك ١ : ٥٥٦ .
^٢ راجع أخبار هذه الزلزلة عند ، بيبرس المنصوري : زبدة الفكرة ٣٧٨ - ٣٧٩ ؛ النويري : نهاية الأرب ٣٢ : ٥٧ - ٥٩ ؛ ابن أبيك : كثر الدرر ٩ : ١٠٠ - ١٠٣ ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ١ : ٢٥٣ ؛ المقرئ : السلوك ١ : ٩٤٢ - ٩٤٥ ؛ العيني : عقد الجمان ٤ : ٢٦٠ - ٢٦٢ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٨ : ٢٠١ ؛ السيوطي : كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، دراسة وتحقيق محمد كمال الدين عز الدين ، بيروت - عالم الكتب ١٩٨٧ ، ٢٠٠ - ٢٠٥ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١ : ٤١٦ - ٤١٧ ؛ عبد الله يوسف الغنيم : سجلّ الزلازل العربي - أحداث الزلازل وآثارها في المصادر العربية ، الكويت ٢٠٠٢ ، ١٨٧ - ١٩٧ ، ٣٦٨ ؛ وفيما تقدم ٢٥ ، وفيما يلي ١١٤ .

فأحب لقربه من الجامع أن يؤثر فيه أثراً صالحاً ، فاستأذن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد ابن قلاوون في عمارة الجامع - وكان أثيراً عنده خصيصاً به - فأذن له في ذلك . وكان قد استجد بالجامع عدة مقاصير ، ووضعت فيه صنديق وخزائن حتى ضيقته ، فأخرج الخزائن والصناديق ، ونزع تلك المقاصير ، وتتبع جذرانه وشقوقه بالإصلاح حتى عادت كأنها جديدة ، ويخص الجامع كله وتلطه ، ومنع الناس من المرور فيه ، ورثب فيه مصحفاً ، وجعل له قارئاً . وأنشأ على باب الجامع القبلي حائوتاً لتسهيل الماء العذب في كل يوم ، وعمل فوزه مكتب سبيل لإقراء أئام المسلمين كتاب الله العزيز . ورثب للفقراء المجاورين بالجامع^a طعاماً يطبخ كل يوم ، وأنزل إليه قدوراً من نحاس جعلها فيه . ورثب فيه درسا للفقهاء من الحنفية ، يجلس مدرّسهم لإلقاء الفقه في الحراب الكبير ، ووقف على ذلك أوقافاً جليلة باقية إلى يومنا هذا . ومؤذنو الجامع يدعون في كل جمعة ، وبعد كل صلاة ، للسلطان حسن إلى هذا الوقت الذي نحن فيه .

وفي سنة أربع وثمانين وسبع مائة ، ولي الأمير الطواشي بهادر ، المقدم على الممالك السلطانية ، نظر الجامع الأزهر . فتنجز مرسوم السلطان الملك الظاهر بزقوق : بأن من مات من مجاوري الجامع الأزهر عن غير وارث شرعي وترك موجوداً ، فإنه يأخذه المجاورون بالجامع . ونقش ذلك على حجر عند الباب الكبير البحري .

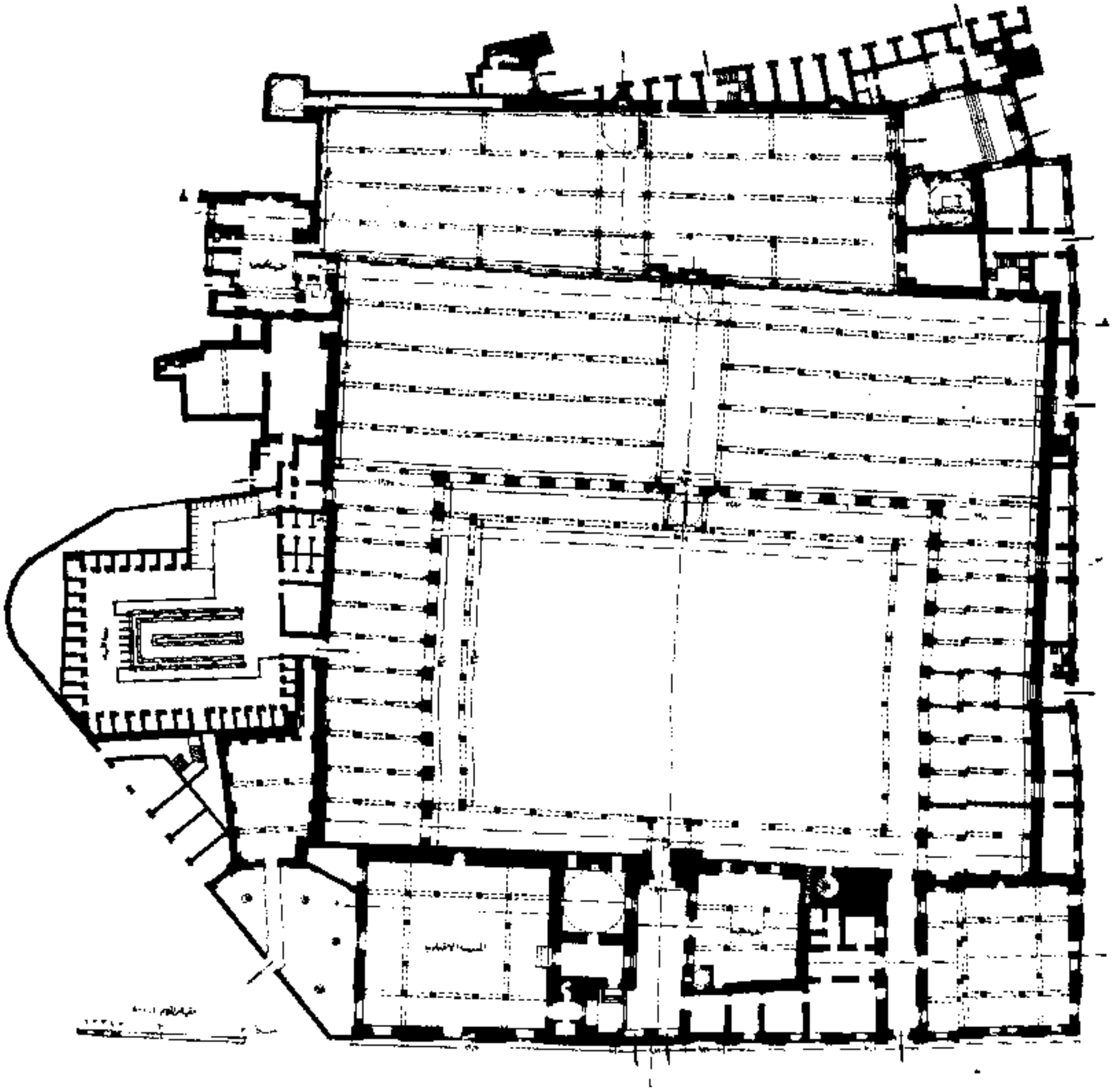
وفي سنة ثمان مائة هدمت منارة الجامع ، وكانت قصيرة ، وعمرت أطول منها ، فبلغت النفقة عليها من مال السلطان^b (الملك الظاهر بزقوق^b) خمسة عشر ألف درهم نكرة ، وكملت في ربيع الآخر من السنة المذكورة . فعُلقت القناديل فيها لئلا الجمعة من هذا الشهر ، وأوقدت حتى اشتعل الضوء من أعلاها إلى أسفلها . واجتمع القراء والوعاظ بالجامع ، وتلوا ختمة شريفة ، ودعوا للسلطان .

فلم تزل هذه الميذنة إلى شوال سنة سبع عشرة وثمان مائة ، فهدمت لميل ظهر فيها ، وعمل بدلها منارة من حجر على باب الجامع البحري بعدما هدم الباب وأعيد بناؤه بالحجر ، ورُكبت المنارة فوق عقده ، وأخذ الحجر لها من مدرسة الملك الأشرف التي كانت تجاه قلعة الجبل^١ .

(a) ساقطة من بولاق . (b-b) ساقطة من بولاق .

^١ المدرسة الأشرفية ، انظر عنها فيما يلي ٦٦١-٦٦٦ .

وهدمها الملك الناصر فرج بن برقوق ، وقام بعمارة ذلك الأمير تاج الدين التاج الشوبكي ، والي القاهرة ومحتسبها ، إلى أن تمت في جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وثمان مائة^١ . فلم تقم غير قليل ، ومالت حتى كادت تسقط ، فهيدمت في صفر سنة سبع وعشرين وأعيدت^٢ .



المخطط الحالي للجامع الأزهر ويتضمن مخطط المدرسة الطيبرسية والمدرسة الأقبغاوية (فيما يلي ٥٣٦ ، ٥٤٠) (عن اللجنة)

^٢ نفسه ٤ : ٦٥٨ .

^١ المقرئبي : السلوك ٤ : ٣١٩ .

وفي سؤالٍ منها ابتدئ بعمل الصَّهريج الذي بوسَط الجامع، فوجدَ هناك آثارَ فسقِيَّة ماء، ووجدَ أيضًا رُمَّ أموات. وتمَّ بناؤه في ربيع الأوَّل، وعمل بأغلاهِ مكانٌ مرتفع له قُبَّة يُسبَّل فيه الماء، وغرس بصحنِ الجامع أربعَ شجرات نارنج^a، فلم تُفْلح وماتت.

ولم يكن لهذا الجامع مِيضَاةٌ عندما بُني، ثم عملت مِيضَاةٌ حيث المَدْرَسَةُ الأقبغاوية، إلى أن بنى الأميرُ آقبغا عبد الواحد مَدْرَسَتَهُ المعروفة بالمَدْرَسَةُ الأقبغاوية هناك^١. وأمَّا هذه المِيضَاةُ التي بالجامع الآن فإنَّ الأميرَ بَدْرَ الدِّين جَنَكلي بن البابا بناها، ثم زيدَ فيها بعد سنة عشرٍ وثمان مائة مِيضَاةُ المَدْرَسَةُ الأقبغاوية.

وفي سنة ثمانٍ عشرة وثمان مائةٍ وليَ نظَرَ هذا الجامعَ الأميرُ سُودُون^c القاضي حاجب الحُجَّاب^٢، فجرت في أيام نظره حوادثٌ لم يتفقَ مثلها. وذلك أنَّه لم يزل في هذا الجامع منذ بُني عدَّة من الفقراء يُلازمون الإقامة فيه، وبلغت عدَّتُهم في هذه الأيام سبع مائةٍ وخمسين رجلاً، ما بين عجمٍ وزبالعةٍ ومن أهل ريف مصر ومغاربة، ولكل طائفةٍ رواقٌ يُعرَف بهم^٣. فلا يزال الجامعُ عامراً بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه، والاشتغال بأنواع العلوم من^a الفقه والحديث والتفسير والتخو، ومجالس الوعظ وخلق الذكر. فيجد الإنسان إذا دخلَ هذا الجامع من الأنس بالله، والازتياح وتزويج النفس، ما لا يجده في غيره، وصارَ أربابُ الأموال يقضُدون / هذا الجامع بأنواع البِرِّ من الذهب والفضة والفُلوس إعانةً للمُجاورين فيه على عبادة الله تعالى، وكلُّ قليلٍ تحمَل إليهم أنواعُ الأطيعة والخبز والحلاوات لا سيَّما في المواسم.

فأمَرَ في جمادى الأولى من هذه السنة بإخراج المُجاورين من الجامع، ومنعهم من الإقامة فيه، وإخراج ما كان لهم فيه من صناديقٍ وخزائنٍ وكراسي المصاحف^٤ زعمًا منه أنَّ هذا العملُ إمَّا

(a) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: سودوب.

^١ فيما يلي ٥٤٠-٥٤٤.
^٢ توفي سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤: ١٥٨، المنهل الصافي ٦: ١٤٩-١٥١، السخاوي: الضراء اللامع ٣: ٢٨٤-٢٨٥).
^٣ هذه أقدم إشارة وصلت إلينا عن «نظام الأزوقة» الذي اشتهر به الجامع الأزهر، وأضحى أحد أهم سماته في العصر العثماني وحتى النصف الأول من القرن العشرين. (راجع، علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤: ٤٩-٥٨ (٢٠-٢٥)؛ عبد العزيز الشناوي: الأزهر جامعا وجامعة، القاهرة ١٩٨٣، ٢٤١: ١-٣١٠).

^٤ المقريري: السلوك ٤: ٣١٩.

^٣ هذه أقدم إشارة وصلت إلينا عن «نظام الأزوقة» الذي اشتهر به الجامع الأزهر، وأضحى أحد أهم سماته في العصر

يُنَابُ عَلَيْهِ ، وما كان إلا من أعظم الذُّنُوبِ وأكثرها ضَرَرًا ، فإنه حَلَّ بالفُقَرَاءِ بِلَاءً كَبِيرًا من تَشَتَّتْ سَمَلِيهِمْ وتَعَدَّرَ الأَمَاكِنَ عَلَيْهِمْ ، فَسَارُوا فِي القُرَى ، وَتَبَدَّلُوا بَعْدَ الصَّيَانَةِ ، وَفُقِدَ مِنَ الجَامِعِ أَكْثَرُ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ تِلَاوَةِ القُرْآنِ وَدِرَاسَةِ العِلْمِ وَذِكْرِ اللَّهِ . ثم لم يُرَهِهِ ذلكَ حتى زَادَ فِي التَّعَدِّيِّ ، وَأَشَاعَ أَنَّ أَنَاسًا يَبِيثُونَ بِالجَامِعِ وَيَفْعَلُونَ فِيهِ مُنْكَرَاتٍ . وَكَانَتِ العَادَةُ قَدِ جَرَتْ بِمَبِيَّتِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فِي الجَامِعِ مَا بَيْنَ تَاجِرٍ وَفَقِيهِ وَجُنْدِيٍّ وَغَيْرِهِمْ ، مِنْهُمْ مَنْ يُقْصِدُ بِمَبِيَّتِهِ البَرَكَةَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَجِدُ مَكَانًا بِأَوِيهِ ، وَمِنْهُمْ يَشْتَرُوحُ بِمَبِيَّتِهِ هُنَاكَ خُصُوصًا فِي لَيَالِي الصَّيْفِ وَلَيَالِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَإِنَّهُ يَمْتَلِي صَخْنَهُ وَأَكْثَرُ رِوَاقَاتِهِ .

فَلَمَّا كَانَتِ لَيْلَةُ الأَحَدِ الحَادِي عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الآخِرَةِ ، طَرَقَ الأَمِيرُ سُودُونَ^(a) الجَامِعَ بَعْدَ العِشَاءِ الآخِرَةِ - وَالوَقْتُ صَيْفٌ - وَقَبِضَ عَلَى جَمَاعَةٍ وَضَرَبَهُمْ فِي الجَامِعِ ، وَكَانَ قَدْ جَاءَ مَعَهُ مِنَ الأَعْوَانِ وَالعِلْمَانِ وَغَوَّغَاءِ العَامَّةِ وَمَنْ يُرِيدُ النَّهْبَ جَمَاعَةً ، فَحَلَّ بَمَنْ كَانَ فِي الجَامِعِ أَنْوَاعُ البَلَاءِ ، وَوَقَعَ فِيهِمُ النَّهْبُ ، فَأُخِذَتِ فُرُشُهُمْ وَعَمَائِمُهُمْ ، وَفُتِّشَتْ أَوْسَاطُهُمْ ، وَسَلِبُوا مَا كَانَ مَرْبُوطًا عَلَيْهَا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ^١ .

وَعَمِلَ ثَوْبًا أَسْوَدًا لِلْمَبْتَرِ وَعَلَمَيْنِ مُزَوَّقَيْنِ ، بَلَغَتْ الثَّقَفَةُ عَلَى ذَلِكَ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ عَلَى مَا بَلَغَنِي . فَعَاجَلَ اللَّهُ الأَمِيرَ سُودُونَ^(b) ، وَقَبِضَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَسَجَنَهُ بِدِمَشْقٍ .

جامع الحاكم

[الرقم ١٥]

هذا الجَامِعُ بُنِيَ خَارِجَ بَابِ الفُتُوحِ - أَحَدُ أَبْوَابِ القَاهِرَةِ - وَأَوَّلُ مَنْ أَسَّسَهُ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ العَزِيزُ بِاللَّهِ نِزَارُ بْنُ المُعِزِّ لِذِي اللَّهِ مَعَدَّ ، وَخَطَبَ فِيهِ وَصَلَّى بِالنَّاسِ الجُمُعَةَ ، ثُمَّ أَكْمَلَهُ ابْنُهُ الحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ . فَلَمَّا وَسَّعَ أَمِيرُ الجُيُوشِ بَدْرَ الجَمَالِيِّ القَاهِرَةِ ، وَجَعَلَ أَبْوَابَهَا حَيْثُ هِيَ اليَوْمَ ، صَارَ جَامِعُ الحَاكِمِ دَاخِلَ القَاهِرَةِ ، وَكَانَ يُعْرَفُ أَوَّلًا بِ«جَامِعِ الخُطْبَةِ» ، وَيُعْرَفُ اليَوْمَ

(a) بولاق : سودوب .

^١ المقرئ : السلوك ٤ : ٣٢٢ - ٣٢٤ .

بـ «جامع الحاكم»، ويُقال له «الجامع الأنور»^١.

قال الأمير المختار عزَّ الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبَّحي في «تاريخ مصر»^(a) ومنه نَقَلْتُ^(a). وفيه - يعني في^(b) شهر رَمَضان سنة ثمانين وثلاث مائة - حُطَّ أساسُ الجامع الجديد بالقاهرة ممَّا يلي بابِ الفُتُوح من خارجه، وبُدئَ بالبناء فيه وتخلَّق فيه الفُقهَاء الذين يتحلَّقون في جامع القاهرة - يعني الجامع الأزهر - وخطب فيه العزيز بالله^٢.

(a-a) إضافة من المُسَوِّدة . (b) إضافة من المُسَوِّدة .

السلاحدار، فظلَّ غير مقام الشعائر إلى أن قامت طائفة البهرة بإعادة بنائه وتجديده وافتتح للصلاة في عام ١٩٨٠ م. (راجع، علي مبارك ٢: ٢٠٠، ٤: ١٦٧-١٧٠ Herz, M., «Mosquée du calife al-Hakem bi Amr Allah», *CR de comité XXIV* (1907), pp. 132-34; Flury, S., *Die Ornamente der Hakim - und Azhar - Moschee. Materialien zur Geschichte der älteren Kunst des Islam*, Heidelberg 1912, pp. 8-26, 43-50; Creswell, K.A.C., «The Great Salients of the Mosque of al-Hakim at Cairo», *JRAS* (1923), pp. 573-84; id., *MAE* I, pp. 65-66, 115-17, Wiet, G., *CIA Égypte* II, pp. 125-29; id., *RCEA* VI, n° 2089-93; Hauteceur, L. & Wiet, G., *Les Mosquées du Caire*, I, pp. 220-25; محمد عبد العزيز مرزوق: مساجد القاهرة قبل المماليك ٦٧-٨١؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها ١: ٦٣-٨٥؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ١: ٢٣٥-٢٣٩؛ Ritta, C.F., «The Early Fatimid Mosque of al-Hakim», *Oriental Art* XXVII (1981), pp. 302-15; Bloom, J.M., «The Mosque of al-Hâkim in Cairo», *Muqarnas* I (1983), pp. 15-36; Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 334-51; رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ١٩٩-٢٢٨).

^١ جامع الحاكم (الأنور)، ثاني جامع بنى بمدينة القاهرة وأحد أكبر مساجدها الجامعة مساحةً. يجمع في تخطيطه بين عناصر إفريقية وعناصر مصرية، فتخطيطه بلا جدال يماثل تخطيط جامع ابن طولون، ولم تستخدم العواميد في بوائكه وإنما اشْتُعِضَ عنها بالدعائم. ويُفتَح المدخل الرئيس له في منتصف جدار مؤخر الجامع في موضع يقابل الخراب، يتفق في ذلك مع مدخل جامع المهديَّة الفاطمي، ويبرز هذا المدخل خارج سَنَمِ جدار المؤخر بنحو ستة أمتار مُتَّخِذًا هيئة بُرْجَيْن على شكل محاريب يتوسطهما تمُرٌّ يؤدي إلى باب، بحيث أصبح شكل المدخل يماثل البوابة بالمعنى المُصْطَلَح عليه في عمارة الأشوار، بينما كانت المداخل الرئيسة للجوامع قبل ذلك تفتح في الجدارين الجانبيين غير جداري القبلة والمؤخر كما هو واضح في جامع ابن طولون. ويمتدنا هذا الجامع طراز فريد بين مآذن مصر الإسلامية وقد بنيت من الحجر: واحدة في الركن الغربي الشمالي، والأخرى في الركن الشمالي الشرقي على شكل محور أسطواني. وتُمثِّل الزخرفة ذات الأشكال الهندسية والنباتية على قاعدة هاتين المذنتين وعلى المدخل الرئيس للجامع مرحلة حاسمة في تشكيل الزخرفة الإسلامية.

وقد تعرَّض هذا الجامع للتخريب على فترات متباعدة وكان مهجورًا قبل وصول الحملة الفرنسية إلى مصر، واستخدم في نهاية القرن التاسع عشر مقرًا للجنة حفظ الآثار العربية، وبنيت في ضلعه مدرسة تُعرف بمدرسة

^٢ المسبَّحي: نصوص ضائعة ١٣؛ المقرئزي: مُسَوِّدة الخطط ١٢٢ ظ.

وقال في حوادث سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة: لأربع خلون من شهر رمضان، صلى العزيز بالله في جامع صلاة الجمعة وخطب. وكان في مسيره بين يديه أكثر من ثلاثة آلاف، وعليه طيلسان، ويده القضيب، وفي رجله الحذاء. وركب لصلاة الجمعة في رمضان سنة ثلاث وثمانين وثلاث مائة إلى جامع ومعه ابنه منصور، فجعلت المظلة على منصور، وسار العزيز بغير مظلة^١.

وقال في حوادث سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة: وأمر - يعني^٢ - الحاكم بأمر الله - بأن يتم بناء الجامع الذي كان الوزير يعقوب بن كلثوم بدأ في بنيانه عند باب الفتوح، فقدّر للنفقة عليه أربعون ألف دينار، فابتدى في العمل فيه. وفي صفر سنة إحدى وأربع مائة زيد في منارة جامع باب الفتوح، وعمل لها أركان طول كل ركن مائة ذراع^٢.

وفي سنة ثلاث وأربع مائة، أمر الحاكم بأمر الله بعمل تقدير ما يحتاج إليه جامع باب الفتوح من الحضر والقناديل والسلاسل، فكان تكسير ما ذرع للحضر ستة وثلاثين ألف ذراع، فبلغت النفقة على ذلك خمسة آلاف دينار.

قال: وتم بناء الجامع الجديد بباب الفتوح وعلق على سائر أبوابه ستور ديبقية عملت له، وعلق فيه تنانير فضة عدتها أربع، وكثير من قناديل فضة، وفرش جميعه بالحضر التي عملت له، ونصب فيه المنبر، وتكامل فرشه وتعليقه.

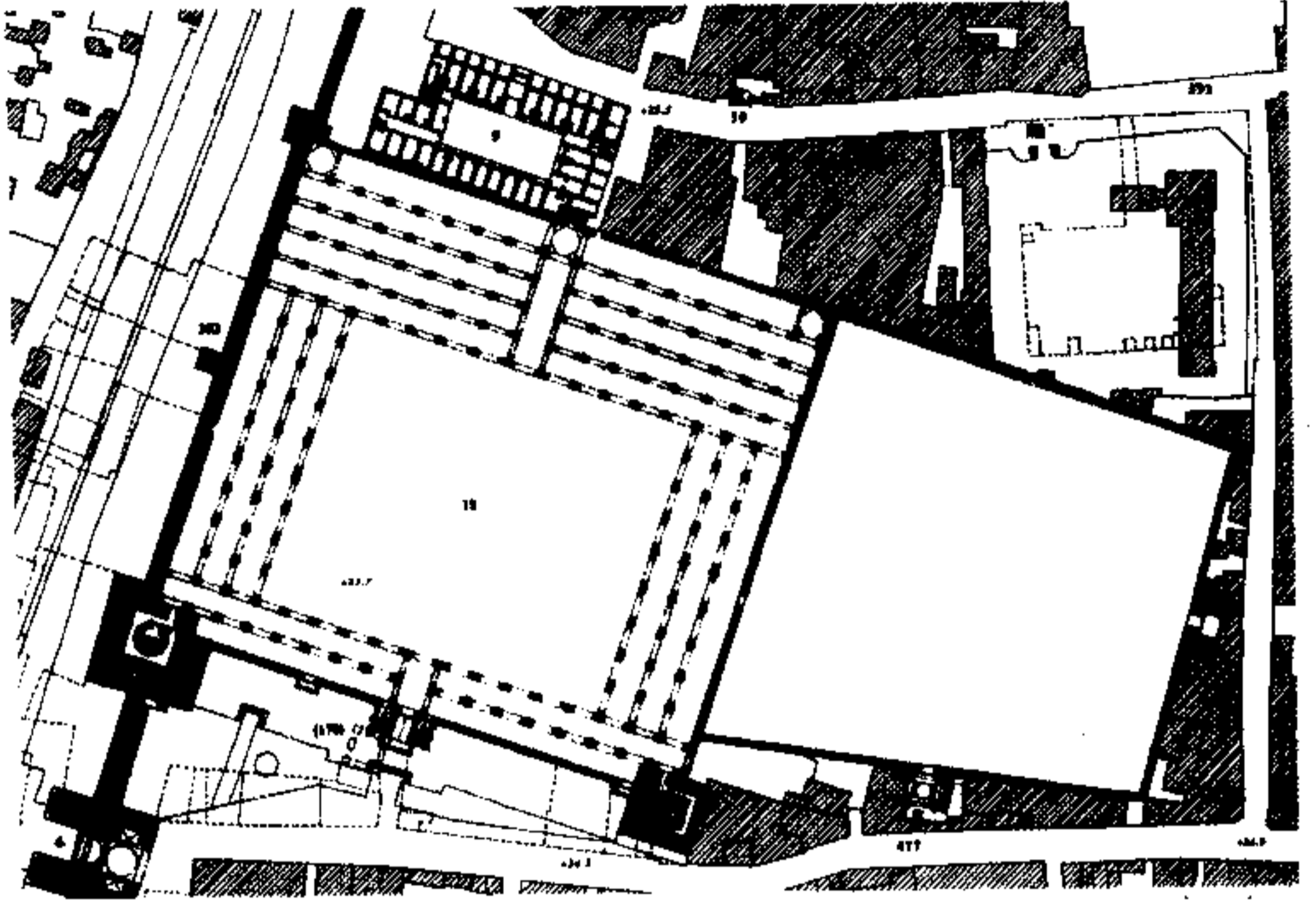
وأذن في ليلة الجمعة سادس شهر رمضان سنة ثلاث وأربع مائة لمن بات في الجامع الأزهر أن يمضوا إليه. فمضوا إليه. وصار الناس طول ليلتهم يمشون من كل واحد من الجامعين إلى الآخر - بغير مانع لهم، ولا اغتراض من أحد من عسس القصر ولا أصحاب الطوف - إلى الصبح وصلى فيه الحاكم بأمر الله بالناس صلاة الجمعة، وهي أول صلاة أقيمت فيه بعد فراغه.

وفي ذي القعدة سنة أربع وأربع مائة، حبس الحاكم عدّة قيايسر وأملاك على الجامع الحاكمي بباب الفتوح.

(a) إضافة من المصوّدة.

^١ المسيحي: نصوص ضائعة ١٤. نفسه ٢٠؛ المقرئ: اتعاط الحنفا ٢: ٤٥، مصوّدة الخطط ١٢٢ ظ.

قال ابن عبد الظاهر: وعلى باب الجامع الحاكمي مكتوب أنه «أمر بعمله الحاكم أبو علي المنصور في سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة»، وعلى منبره مكتوب أنه «أمر بعمل هذا المنبر للجامع الحاكمي المنشأ بظاهر باب الفتوح في سنة ثلاث وأربع مائة»^١.



مُحَطَّطُ جَامِعِ الْحَاكِمِ وَتَصَوُّرُ افْتِرَاضِي لِزِيَادَةِ الْجَامِعِ (عن B. O'ken)

١٨٧٥-١٨٧٦م، حتى إن ماكس فان يرشم كتب في عام ١٨٩١م أن النقش الذي ذكره ابن عبد الظاهر وراه ولكنسون أعلى الباب الغربي للجامع ثم نشره هامر-بورجستال، قد اختفى وأنه لم يستطع العثور عليه حيث أُذخِلَت جملة تعديلات على الباب. (van Berchem, M., «Notes d'archéologie arabe. Monuments et inscriptions. (fatimides», JA 8^e série t. XVII (1891), p. 433 وأثناء عملية ترميم الجامع الأتور سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م غير على قطعة حجر صغيرة تحت المدخل أضيفت إلى قطع أخرى كان قد كُشِفَ عنها في أعوام ١٩٠٠ و١٩٢٤م وضُمت إلى دار الآثار العربية (متحف الفن الإسلامي)، تمكن من خلالها - بعد تجميعها وترميمها - الدكتور الشيخ محمد =

ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٢٧٩، الروضة البهية ٦٨. ولا شك أن الكتابة التاريخية التي شاهدتها ابن عبد الظاهر وأشار إليها فقط المقريري، هي الكتابة نفسها التي شاهدتها سنة ١٨٣٥م السير جاردنر ولكنسون Sir Gardner Wilkinson على الباب الغربي للجامع Wilkinson, I. G., *Topography of Thebes and General View of Egypt*, London 1853, pp. 299-300) ونشرها البارون فون هامر-بورجستال في «المجلة الآسيوية» سنة ١٨٣٨م (Hammer-Purgastall, Baron von, «Inscription coufique de la mosquée de Hâkim bi Emrillâh», JA 3^e série V (1838), pp. 588-91). وسقطت هذه اللوحة التذكارية التي كانت توجد فوق المدخل الرئيس ومعها أحجار سدَّت المدخل نحو ستي

(a) وشاهدت جزءاً من «سيرة الحاكم» يقول فيه (a): وفي يوم الجمعة أُقيمت الجمعة في الجامع الذي كان الوزير أنشأه بباب الفتوح (b) وأمر أمير المؤمنين بإتمامه (b).

(c) ورأيت في «سيرة الإمام العزيز بالله قال (c): في يوم الأحد عاشر / رمضان سنة تسع وسبعين وثلاث مائة، اخطط (d) أساس الجامع الجديد بالقاهرة، خارج الطابية مما يلي باب الفتوح.

قال: وكان هذا الجامع خارج القاهرة، فجدد بعد ذلك باب الفتوح. وعلى البدنة التي تجاور باب الفتوح وبعض البرج مكتوب «إن ذلك بُني سنة ثمانين (e) وأربع مائة في زمن المستنصر بالله ووزارة أمير الجيوش». فيكون بينهما سبع وثمانون سنة (1).

قال: والفسقية وسط الجامع بناها الصاحب عبد الله بن علي بن شكر، وأجرى الماء إليها، وأزالها القاضي تاج الدين بن شكر وهو قاضي القضاة في سنة ستين وست مائة. والزيادة التي إلى جانبه قيل إنها بناء ولده الظاهر علي ولم يكملها. وكان قد حبس فيها الفرج، فعملوا فيها كنائس هدمها الملك الناصر صلاح الدين، وكان قد تغلب عليها، وبُنيت إسطبلات.

وبلغني أنها كانت في الأيام المتقدمة قد جعلت أهراء للغلال. فلما كان في الأيام الصالحة ووزارة معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ للملك الصالح أيوب ولد الكامل، ثبت عند الحاكم

(a-a) تتفق هذه العبارة مع ما جاء في الروض الزاهر مصدر النقل، وجاءت العبارة في المسودة: وشاهدت جزءاً من «سيرة الحاكم» يقول فيه (b-b) إضافة من المسودة (c-c) تتفق هذه العبارة مع ما جاء في الروض الزاهر مصدر النقل، وجاءت في المسودة: «ورأيت في «سيرة الإمام العزيز بالله» قال (d) من المسودة، وفي النسخ: اخطط (e) بولاق: ثلاثين.

ثلاث مائة. (van Berchem, M., *CIA Égypte I*, n°28; Wiet, G., *RCEA VI*, n°2093; id., *Inscriptions historiques sur pierre*, pp. 35-36 n° 52; Fu'ad Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, p. 336؛ محمد شاكر: اللوحة التاريخية للجامع الأنور، سورت - الجامعة السيفية ٢٠٠٢).

= شاكر - الذي أشرف على عملية ترميم الجامع - من إعادة بناء اللوح التذكاري للجامع الأنور المكون من ستة أسطر من الكتابة الكوفية البارزة المزهرة، ونصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ والآية ه سورة القصص. لما أمر بعقوله عبد الله ووليه أبو علي المنصور الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آياته الطاهرين في شهر رجب سنة ثلاث وتسعين

١ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٢٧٩؛ ابن أبيك: كثر الدرر ٨: ١٢٢-١٢٣؛ وفيما تقدم ٢: ٢٧٤ نص ما ورد على البدنة المجاورة لباب الفتوح.

أنها من الجامع ، وأن بها مخرابًا ، فانتزعت وأخرج الخيل منها ، وبني فيها ما هو الآن في الأيام المعزّية على يد الركن الصيرفي ، ولم يُسقف^١ .

ثم جدد هذا الجامع في سنة ثلاث وسبع مائة ، وذلك أنه لما كان يوم الخميس ثالث عشرين ذي الحجة سنة اثنتين وسبع مائة ، تزلزلت أرض مصر والقاهرة وأعمالهما ، ورَجَفَ كُلُّ ما عليهما واهتز ، وسمع للحيطان قعقة وللشُوف قرقعة ، ومارت الأرض بما عليها وخرجت عن مكانها . وتخيّل الناس أن السماء قد انطبقت على الأرض ، فهربوا من أماكنهم ، وخرجوا عن مساكنهم ، وبرزت النساء حاسرات ، وكثر الصراخ والعويل ، وانتشرت الخلائق ، فلم يُقدِر أحدٌ على السكون والقرار ، لكثرة ما سقط من الحيطان ، وخر من الشُوف والمآذن وغير ذلك من الأبنية . وفاض ماء النيل فيضًا غير المعتاد ، وألقى ما كان عليه من المراكب التي بالساحل قدر زمنية ستم ، وانحسر عنها فصارت على الأرض بغير ماء .

واجتمع العالم في الصحراء خارج القاهرة ، وبأثوا ظاهر باب البحر بحرمهم وأولادهم في الخيم ، وخلت المدينة ، وتشعّنت جميع البيوت حتى لم ينلّم ولا يبت من سُوطٍ أو تسقط أو ميل . وقام الناس في الجوامع يتهلون ، ويسألون الله سبحانه طول يوم الخميس وليلة الجمعة ويوم الجمعة^٢ .

فكان مما تهّدّم في هذه الزلزلة الجامع الحاكمي ، فإنه سقط كثير من البدنات التي فيه ، وخرّب أعالي المُدنتين ، وتشعّنت سُوفه ومُجرانه . فانتدب لذلك الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، ونزل إليه ومعه القضاة والأمراء فكشفه بنفسه ، وأمر برّم ما تهّدّم منه وإعادة ما سقط من البدنات ، فأعيدت وفي كل بدنة منها طاق ، وأقام سُوف الجامع ويوضه حتى عاد جديدًا ، وجعل له عدّة أوقاف بناحية الجيزة وفي الصعيد وفي الإسكندرية ، تُغل كل سنة شيئًا كثيرًا^٣ ، ورُتب فيه دُروسًا أربعة لإقراء الفقه على مذاهب الأئمة الأربعة ، ودُرسًا لإقراء الحديث النبوي ، وجعل لكل دُرسٍ مُدرّسًا وعدّة كثيرة من الطلبة .

وتخلف عن أعمال الترميم التي قام بها بيبرس الجاشنكير لُوح من الحجر الكلسي يحمل النص التالي : «بشم الله الرحمن الرحيم : ﴿إِنَّمَا يَقْرَأُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ . وكان الفراغ في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وسبع مائة» .

(van Berchem, M., *CIA Égypte I*, n°31; Wiet.)
- (G., *RCEA XIII*, n° 5159

^١ المقريري : مُسوّدة الخطط ١٢٣ ظ ؛ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٦٩ .

^٢ نفسه ١٢٣ ظ ؛ وانظر فيما تقدم ٢٥ ، ١٠٣ .

^٣ تُوجد وقفية المظفر بيبرس الجاشنكير ، وهي مؤرّخة في

٢٦ شوال سنة ٧٠٧ هـ ، بدار الوثائق القومية بالقاهرة برقم

.٤/٢٤ ، ٤/٢٣ ، ٤/٢٢

فَرْتَبَ فِي تَدْرِيسِ الشَّافِعِيَّةِ قَاضِي القَضَاةِ بَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ جَمَاعَةِ الشَّافِعِيِّ ، وَفِي تَدْرِيسِ الحَنَفِيَّةِ قَاضِي القَضَاةِ شَمْسُ الدِّينِ أَحْمَدُ الشُّرُوجِيُّ الحَنَفِيُّ ، وَفِي تَدْرِيسِ المَالِكِيَّةِ قَاضِي القَضَاةِ زَيْنُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ مَخْلُوفِ المَالِكِيِّ ، وَفِي تَدْرِيسِ الحَنَابِلِيَّةِ قَاضِي القَضَاةِ شَرَفُ الدِّينِ الحَرَّانِيُّ^٥ ، وَفِي دَرَسِ الحَدِيثِ الشَّيْخُ سَعْدُ الدِّينِ مَسْعُودًا الحَارِثِيُّ ، وَفِي دَرَسِ النَّحْوِ الشَّيْخُ أَثِيرُ الدِّينِ أَبَا حَيَّانَ ، وَفِي دَرَسِ القِرَاءَاتِ السَّبْعِ الشَّيْخُ نُورُ الدِّينِ الشُّطُنُوفِيُّ ، وَفِي التَّصْدِيرِ لِإِفَادَةِ العُلُومِ عِلَاءُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلِ القَوْنُورِيُّ ، وَفِي مَشِيخَةِ المِعَادِ المَجْدُ عَيْسَى بْنُ الحَشَّابِ .

وَعَمِلَ فِيهِ خِزَانَةٌ كُتِبَ بِجَلِيلَةٍ ، وَجَعَلَ فِيهِ عِدَّةٌ مُتَّصِدِّينَ لِتَلْقِينِ القُرْآنِ الكَرِيمِ ، وَعِدَّةٌ قُرَاءَةً يَتَنَاوَبُونَ قِرَاءَةَ القُرْآنِ ، وَمُعَلِّمًا يُقْرَأُ أَيْتَامَ المُسْلِمِينَ كِتَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَحَفَرَ فِيهِ صِهْرِيحًا بِصُخْرِ الجَامِعِ لِيُثْمَلَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ مَاءِ النَّيْلِ ، وَيُسَبَّلُ مِنْهُ المَاءُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَيَسْتَقِي مِنْهُ النَّاسُ يَوْمَ الجُمُعَةِ ، وَأَجْرَى عَلَى جَمِيعِ مَنْ قَرَّرَهُ فِيهِ مَعَالِيمَ دَارَةٍ . وَهَذِهِ الأَوْقَافُ بَاقِيَةٌ إِلَى اليَوْمِ ، إِلَّا أَنَّ أَحْوَالَهَا اخْتَلَّتْ كَمَا اخْتَلَّتْ غَيْرُهَا . فَكَانَ مَا أُنفِقَ عَلَيْهِ زِيَادَةً عَلَى أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ .

وَجَرَى فِي بِنَائِهِ لِهَذَا الجَامِعِ أَمْرٌ يُتَعَجَّبُ مِنْهُ ، وَهُوَ مَا حَدَّثَنِي فِيهِ شَيْخُنَا الشَّيْخُ المَعْرُوفُ المُسْنِدُ المَعْمَرُ ، أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ ضِرْعَامِ بْنِ شُكْرِ المَقْرِي بِمَكَّةَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ^١ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي مِنْ حَضَرَ عِمَارَةَ الأَمِيرِ بَيْبُزَسَ لِلجَامِعِ الحَاكِمِي عِنْدَ سُقُوطِهِ فِي سَنَةِ الزَّلْزَلَةِ ، أَنَّهُ لَمَّا شَرَعَ البِنَاءُ فِي تَرْمِيمِ مَا وَهَى مِنَ المِئْدَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ جِهَةِ بَابِ الفُتُوحِ ، ظَهَرَ لَهُمْ صُنْدُوقٌ فِي تَضَاعِيفِ البُيَّانِ . فَأَخْرَجَهُ المَوْكَلُ بِالعِمَارَةِ وَفَتَحَهُ ، فَإِذَا فِيهِ قُطْنٌ مَلْفُوفٌ عَلَى كَفِّ إِنْسَانٍ بِزَنْدِهِ ، وَعَلَيْهِ أُسْطُرٌ مَكْتُوبَةٌ لَمْ يَدْرَ مَا هِيَ ، وَالكَفُّ طَرِيقَةٌ كَانَتْهَا قَرِيبَةً عَهْدٍ بِالقَطْعِ . ثُمَّ رَأَيْتُ هَذِهِ الحِكَايَةَ بِحَظِّ مُؤَلَّفِ «السِّيَرَةِ النَّاصِرِيَّةِ» مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى أَحَدِ مُقَدِّمِي الحَلَقَةِ^٢ .

ثُمَّ جُدِّدَ هَذَا الجَامِعُ ، وَبُلِّطَ جَمِيعُهُ فِي أَيَّامِ المَلِكِ النَّاصِرِ حَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ فِي وِلَايَتِهِ الثَّانِيَةِ ، عَلَى يَدِ الشَّيْخِ / قُطْبِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الهِرْمَاسِ فِي سَنَةِ سِتِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ^٣ . وَوَقَّفَ قِطْعَةً

(a) بولاق : الجوّاني .

^١ لم يترجم له المقرئ في درر العقود الفريدة .

^٢ عنوان هذه السيرة «نزّهة الناظر في سيرة الملك الناصر» .

^٣ انظر خبر الهرماس فيما تقدم ٢٥٢:٣ - ٢٥٣ .

أرض على الهزماس وأولاده ، وعلى زيادة في معلوم الإمام بالجامع ، وعلى ما يُحتاج إليه في زيت الوقود ومزمنة في سقفه وجدرانِه .

وجرى في عمارة الجامع على يد الهزماس ما حَدَّثني به الشيخ المعمر شمس الدين محمد ابن علي ، إمام الجامع الطيبرسي بشاطئ النيل قال : أخبرني محمد بن عمر البوصيري ، قال : حَدَّثنا قُطبُ الدين محمد الهزماس ، أنه رأى بالجامع الحاكيمي حَجْرًا ظَهَرَ من مكانٍ قد سَقَطَ ، مَنْقُوشة عليه هذه الأبيات الخمسة :

[الكامل]

إن الذي أسررتُ مكنونَ اسمه
مالٌ له جذرٌ تساوى في الهجا
فيصيرُ ذاك المالُ إلا أنه
وإذا نطقت برُبعه متكلماً
لا نَقَطَ فيه إذا تكاملَ عدُّه
وكتَّمته كيما أفوزَ بوضيله
طرفاه يُضربُ بَعْضُه في مثله
في النصف منه تُصابُ أحرفُ كُله
من بعدِ أوَّلِه نَطَقَتْ بكُله
فيصيرُ مَنْقُوطاً بِجُمْلَةٍ شَكْلِه

قال : وهذه الأبيات نُعزِّزُ في الحجرِ المَكْرَمِ .

وقال العلامة شمس الدين محمد بن النقاش في كتاب «العبر في أخبار من مضى وغبر»^١ :
وفي هذه السنة - يعني سنة إحدى وستين وسبع مائة - صودر الهزماس وهُدِمت دأره التي بناها
١٥ إمام الجامع الحاكيمي^٢ ، وضرب ونفي هو وولده . فلما كان يوم الثلاثاء التاسع والعشرون من ذي
القعدة ، استفتى السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في وقف حصّة طندتا^٣ ،
وهي الأرض التي كان قد سأله الهزماس أن يقفها على مصالح الجامع الحاكيمي ، فعين له خمس
مائة وستين فداناً من طين طندتا ، وطلب الموقعين وأمرهم أن يكتبوا صورة وقفها ، ويحضروه
ليشهدوا عليه به - وكان قد تقرر من شروطه في أوقافه ما قيل إنه رواية عن أبي حنيفة - رحمة الله
٢٠

١ المحاسن : النجوم الزاهرة ١١ : ١٣ ، الدليل الشافي ٢ : ٦٦١ .

وإن لم يذكر له أحد ممن ترجم له كتاباً بهذا العنوان .

٢ انظر عن دار الهزماس ، فيما تقدم ٣ : ٢٥٢-٢٥٣ .

٣ طندتا هي مدينة طنطا الحالية عاصمة محافظة الغربية .

(علي مبارك : الخطط التوفيقية ١٣ : ١٢٨-١٣٠ - ٤٤)

(٤٥) ؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ٢ /

٢ : ١٠٢-١٠٣ .

١ لم يرد عنوان هذا الكتاب في «كشف الظنون» لحاجي خليفة أو في «تاريخ الأدب العربي» لكارل بروكلمان ، وربما كان المؤلف هو شمس الدين محمد بن علي بن عبد الواحد ابن يحيى بن عبد الرحيم الدكالي الشافعي المعروف بابن النقاش ، خطيب جامع ابن طولون ، المتوفى سنة ٥٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م . (المقرئزي : درر العقود الفريدة ٣ : ٣٧٤-٣٧٦ ، السلوك ٣ : ٧٩ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٤ : ١٩٠ ؛ أبو

تعالى عليه - من أن للواقف أن يشترط في وقفه التغيير والزيادة والنقص وغير ذلك - فأحضر الكركي الموقع إليه الكتاب مطويًا، فقرأ منه طرته وخطبته وأوله، ثم طواه وأعادته إليه مطويًا، وقال: أشهدوا بما فيه - دون قراءة وتأمل - فشهدوا هم بالتفصيل الذي كتبوه وقرروه مع الهرماس .

ولما أطلع السلطان على ذلك بعد نفي الهرماس، طلب الكركي وسأله عن هذه الواقعة . فأجاب بما قد ذكرنا، والله أعلم بصحة ذلك، غير أن المعلوم المقرر أن السلطان ما قصد إلا مصالح الجامع، نعم سأله أزدثر الخازندار: هل وقفت حصنة لطيفة على أولاد الهرماس، فإنه قد ذكر ذلك؟ فقال: نعم، أنا وقفت عليهم جزءًا يسيرًا لم أعلم مقدارَه . وأما التفصيل المذكور في كتاب الوقف فلم أتحمقه ولم أطلع عليه .

فاستفتى المفتين في هذه الواقعة . فأما المفتون - كابن عقيل، وابن الشبكي، والبلقيني والبسطامي، والهندي، وابن شيخ الجبل، والبغدادي ونحوهم - فأجابوا ببطالان الحكم المترتب على هذه الشهادة الباطلة وبطلان التنفيذ، وكان الحنفي حكّم والبقية نفذوا . وأما الحنفي فقال: إن الوقف إذا صدر صحيحًا على الأوضاع الشرعية، فإنه لا يتطل بما قاله الشاهد، وهو جواب عن نفس الواقعة . وأما الشافعي فكتب ما مضمونه: إن الحنفي إن اقتضى مذهبه بطلان ما صححه أولًا، نفذ بطلانه، وحاصل ذلك أن القضاة أجابوا بالصحة، والمفتين أجابوا بالبطلان . فطلب السلطان المفتين والقضاة . فلم يحضر من الحكماء غير نائب الشافعي، وهو تاج الدين محمد بن إسحاق بن المناوي، والقضاة الثلاثة الشافعي والحنفي والحنبلي وجدوا مرضى لم يمكنهم الحضور إلى سرياقوس - فإن السلطان كان قد سرح إليها على العادة في كل سنة - فجمعهم السلطان في برج من القصر الذي بميدان سرياقوس عشاء الآخرة، وذكر لهم القضية، وسألهم عن حكم الله تعالى في الواقعة . فأجاب الجميع بالبطلان غير المناوي، فإنه قال: مذهب أبي حنيفة أن الشهادة الباطلة إذا اتصل بها الحكم صحح ولزم . فصرخت عليه المفتون شافعيهم وحنفيهم، أما شافعيهم فإنه قال: ليس هذا مذهبك ولا مذهب الجمهور، ولا هو الراجح في الدليل والنظر . وقال له ابن عقيل: هذا مما يتقضى به الحكم لو حكّم به حاكم، وادعى قيام الإجماع على ذلك . وقال له سراج الدين البلقيني: ليس هذا مذهب أبي حنيفة، ومذهبه في العقود والفسوخ ما ذكرت من أن حكم الحاكم يكون هو المعتمد في التحليل والتحرير . وأما الأوقاف ونحوها فحكم الحاكم فيها لا أثر له كمذهب الشافعي .

وَأَدَّعَوْا أَنَّ الْإِجْمَاعَ قَائِمٌ عَلَى ذَلِكَ ، وَقَامُوا عَلَى الْمُنَاوِي فِي ذَلِكَ قَوْمَةٌ عَظِيمَةٌ ، فَقَالَ : نَحْنُ نَحْكُمُ بِالظَّاهِرِ . فَقَالُوا لَهُ : مَا لَمْ يَظْهَرَ الْبَاطِنُ بِخِلَافِهِ . فَقَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «نَحْنُ نَحْكُمُ بِالظَّاهِرِ» . قَالُوا : هَذَا الْحَدِيثُ كَذِبٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَإِنَّمَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ حَدِيثُ «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنُّ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ...» الْحَدِيثُ .

٥ / قال المناوي : الأحكام ما هي بالفتاوى . قالوا له : فبماذا تكون ؟ أفي الوجود حكم شرعي بغير فتوى من الله ورسوله ؟

وكان قد قال في مجلس ابن الدرزيهم القائم على نفيس اليهودي - المدعو برأس الجالوت^١ بين اليهود - لا يُلْتَفَتُ لِقَوْلِ الْمُفْتِي . فقيل له في هذا المجلس : ها أنت قد قلت مرتين : إن المفتي لا يُعْتَبَرُ قَوْلُهُمْ ، وَأَنَّ الْفَتَاوَى لَا يُعْتَدُّ بِهَا . وقد أخطأت في ذلك أشد الخطأ ، وأنبأت عن غاية الجهل ، فَإِنَّ مَنْصِبَ الْفَتَاوَى أَوْلَ مِنْ قَامَ بِهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، إِذْ قَالَ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [الآية ١٧٦ سورة النساء] ، وَقَالَ يُوسُفُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [الآية ٤١ سورة يوسف] ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : «قَدْ أَفْتَانِي اللَّهُ رَبِّي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ» .

١٥ وَكُلُّ حُكْمٍ جَاءَ عَلَى سُؤَالِ سَائِلٍ تَكْفَلُ بِيَانِهِ قُرْآنٌ أَوْ سُنَّةٌ فَهُوَ فَتْوَى ، وَالْقَائِمُ بِهِ مُفْتٍ ، فَكَيْفَ تَقُولُ : لَا يُلْتَفَتُ إِلَى الْفَتَاوَى أَوْ إِلَى الْمُفْتِي ؟ فَقَالَ سِرَاجُ الدِّينِ الْهِنْدِيُّ وَغَيْرُهُ : هَذَا كُفْرٌ ، وَمَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّ مَنْ اسْتَحْفَ بِالْفَتَاوَى أَوْ الْمُفْتِي فَهُوَ كَافِرٌ .

٢٠ فَاسْتَدْرَكَ نَفْسَهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَالَ : لَمْ أُرِدْ إِلَّا أَنْ الْفَتَاوَى إِذَا خَالَفَتِ الْمَذْهَبَ فِيهَا بَاطِلَةٌ . قَالُوا لَهُ : وَأَخْطَأْتُ فِي ذَلِكَ أَيْضًا ، لِأَنَّ الْفَتَاوَى قَدْ تُخَالِفُ الْمَذْهَبَ الْمَعِينُ ، وَلَا تُخَالِفُ الْحَقَّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ . قَالَ : فَأَرَدْتُ بِالْفَتَاوَى الَّتِي تُخَالِفُ الْحَقَّ . قَالُوا : فَأَطَلَقْتُ فِي مَوْضِعِ التَّقْيِيدِ ، وَذَلِكَ خَطَأً . فَقَالَ السُّلْطَانُ حِينئذٍ : فَإِذَا قُدِّرَ هَذَا ، وَادَّعِيَتْ أَنَّ الْفَتَاوَى لَا أَثَرَ لَهَا ، فَتُبْطَلُ الْمُفْتِي وَالْفَتَاوَى مِنَ الْوُجُودِ . فَتَلَكَّا وَحَارَ وَقَالَ : كَيْفَ أَعْمَلُ فِي هَذَا ؟ فَتَبَيَّنَ لِبَعْضِ الْحَاضِرِينَ أَنَّهُ اسْتَشْكَلَ الْمَسْأَلَةَ ، وَلَمْ يَتَّبِعْ لَهُ وَجْهًا ، فَقَالَ : لَا شَكَّ أَنَّ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ لَمْ يُنْكَرْ صُدُورَ الْوَقْفِ ، وَإِنَّمَا أَنْكَرَ الْمَصَارِفَ ، وَأَنَّ تَكُونَ الْجِهَةَ الَّتِي عَيْنُهَا هِيَ هِرْمَاسُ وَشُهُودُهُ وَقَضَائِهِ ،

Origins of the Office of Head of the Jews, Ca. 1065-1126, Princeton N.J. 1980.

^١ عن وظيفة رأس الجالوت Head of the Diaspora ، أي رئيس يهود المنفى ، راجع ، Cohen, M. R., *Jewish Self - Government in Medieval Egypt. The*

وللسلطان أن يحكم فيها بعلمه ، ويبتل ما قرره من عند أنفسهم .

قال : وكيف يحكم لنفسه ؟ قيل له : ليس هذا حكماً لنفسه لأنه مقر بأصل الوقف ، وهو للمستحقين ليس له فيه شيء ، وإنما بطل وصف الوقف ، وهو المصرف الذي قرر على غير جهة الوقف . وله أن يوقع الشهادة على نفسه ، بحكم أن مصرف هذا الوقف الجهة الفلانية دون الفلانية .

ولم يزالوا يذكرون له أوجهها تبين بطلان الوقف إما بأصله أو بوصفه ، إلى أن قال : يبتل بوصفه دون أصله . وأدعن لذلك بعد إتهاب من العلماء ، وانزعاج^a شديد من السلطان في بيان أوجه ذكرها^b تبين وجه الحق ، وأنه إنما وقفه على مصارف^c الجامع المذكور . وهذا مما لا يشك فيه عاقل ولا يزتاب . فالتفت بعد ذلك وقال للحاضرين : كيف تعمل في إبطاله ؟ فقالوا : بما قررناه من إسهاد السلطان على نفسه بتفصيل صحيح ، وأنه لم يزل كذلك منذ صدر منه الوقف إلى هذا الحد وغير ذلك من الأوجه .

فجعل يوهم السلطان أن الشهود الذين شهدوا في هذا الوقف ، متى بطل هذا الوقف ثبت عليهم التساهل ، وجرحوا بذلك ، وقدح ذلك في عدالتهم ، ومتى جرحوا الآن ، لزم بطلان شهادتهم في الأوقاف المتقدمة على هذا التاريخ .

وخيّل بذلك للسلطان حتى ذكر له إجماع المسلمين على أن جرح الشاهد لا ينعطف على ما مضى من شهادته الشالفة ، ولو كفر - والعياد بالله - وهذا مما لا خلاف فيه . ثم استقر رأيه على أن يعطله بشاهدين يشهدان أن السلطان لما صدر منه هذا الوقف كان قد اشترط لنفسه التغيير والتبديل والزيادة والنقص ، وقام على ذلك .

قال كاتبه^d : انظر ثبت القضاة ، وقايس بين هذه الواقعة وما كان من ثبت القاضي تاج الدين المناوي - وهو يومئذ خليفة الحكم - ومصادمته الجبال ، وبين ما ستقف عليه من التساهل والتناقض في خبر أوقاف مدرسة جمال الدين يوسف الأستادار^١ ، وميز بعقلك فرق ما بين القضيتين . وهذه الأرض التي ذكرت ، هي الآن بيد أولاد الهرماس ، بحكم^e ما في^e الكتاب

(a) بولاق : إزعاج . (b) بولاق : ذكرها . (c) بولاق : مصالح . (d) بولاق : مؤلفه . (e-e) ساقطة من بولاق .

الذي حاول السلطان نقضه فلم يوافق المناوي . والجامع الآن متهدّم ، وسُقُوفه كلها ما من زمن إلا ويسقط منها الشيء بعد الشيء فلا يُعاد .

وكانت ميضأة هذا الجامع صغيرة بجوار ميضأته الآن فيما بينها وبين باب الجامع ، وموضعاها الآن مخزنٌ تعلوه طبقة عمّرها شخصٌ من الباعة يُعرف بابن كرسون المراجلي وهذه الميضاة الموجودة الآن أُخْدِثت ، وأنشأ الفسقيّة التي فيها ابن كرسون في أعوامٍ بضع وثمانين وسبع مائة ، ويخصّ ميضأته الجامع . واشتجّد الميضاة التي بأعلى الباب المجاور للمبشر رجُلٌ من الباعة ، وكملت في جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وثمان مائة ، وخرق سقف الجامع حتى صار المؤذنون ينزلون من السطح إلى الدُكّة التي يُكبرون فوقها وراء الإمام .

هيئة صلاة الجمعة في أيام الخلفاء الفاطميين . قال المسبّحي : وفي يوم الجمعة غرة رمضان سنة ثمانين وثلاث مائة ، ركب العزيز بالله إلى جامع القاهرة بالمظلة المذهّبة ، وبين يديه نحو خمسة آلاف ماشٍ^(a) ، ويده القضيب وعليه الطيلسان والسيف ، فخطب وصلى صلاة الجمعة ، وانصرف فأخذ رِقَاع المتظلمين بيده ، وقرأ منها عدّة في الطريق ؛ وكان يوماً عظيماً ذكرته الشعراء^١ .

قال ابن الطوير : إذا انقضى زكوب أول شهر رمضان اشترح / في أول الجمعة ، فإذا كانت الثانية ركب الخليفة إلى الجامع الأنور الكبير ، في هيئة المواسم ، بالمظلة وما تقدّم ذكره من الآلات ، ولباسه فيه ثياب الحرير البيض ، توقيراً للصلاة من الذهب والمنديل والطيلسان المقور الشعريين^٢ . فيدخل من باب الخطابة والوزير معه ، بعد أن يتقدّمه في أوائل النهار صاحب بيت المال - وهو المقدم ذكره في الأستاذين - وبين يديه الفرش المختصة بالخليفة إذا صار إليه في هذا اليوم ، وهو محمولٌ بأيدي الفرّاشين المميّزين ، وهو ملفوفٌ في العراضي الديقي^(b) . فيفرش في الحراب ثلاث طراحات ، إمّا سامان أو ديقى أبيض أحسن ما يكون من صنفهما ، كلٌّ منهما منقوشٌ بالحُمرة . فتجعل الطراحات متطابقات ، ويعلق ستران يمتنة ويسرّة ، وفي السّتر الأيمن

(a) المسوّدة : مشاة . (b) بولاق : الديقية .

^١ المسبّحي : نصوص ضائعة ١٣ ؛ المقرئ : اتعاط
^٢ حاشية بخط المؤلف : «الطيلسان المقور يُعرف اليوم
 ٢٦٧:٢ ، مسودة الخطوط ١٢٤ و١ ، والعنوان فيه : «ذكر هيئة بالطرحة» .
 صلاة الجمعة أيام الخلفاء .

كِتَابَةٌ مَرْقُومَةٌ بِالْحَرِيرِ الْأَحْمَرِ وَاضِحَةٌ مَنْقُوطَةٌ ، أَوَّلُهَا «الْبِسْمَلَةُ» وَ«الْفَاتِحَةُ» وَ«سُورَةُ الْجُمُعَةِ» ، وَفِي الشَّرِّ الْأَيْسَرِ مِثْلَ ذَلِكَ وَسُورَةٌ ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتُنَفِّقُونَ﴾ [آيَةُ ١ سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ] . وَقَدْ أُسْبِلًا وَفُرِشًا فِي التَّغْلِيْقِ بِجَانِبِي الْمِحْرَابِ لِاصْتِقَانِ بِجِسْمِهِ .

ثُمَّ يَصْعَدُ قَاضِي الْقَضَاةِ الْمُنْبَرِ وَفِي يَدِهِ مَذْخَنَةٌ لَطِيْفَةٌ خَيْرَانُ يُحْضِرُهَا إِلَيْهِ صَاحِبُ بَيْتِ الْمَالِ فِيهَا جَمْرَاتٌ ، وَيَجْعَلُ فِيهَا نَدًّا مِثْلًا لَا يُشَمُّ مِثْلَهُ إِلَّا هُنَاكَ ، فَيُنْخَرُ الذُّرْوَةُ الَّتِي عَلَيْهَا الْغِشَاءُ كَالْقُبَّةِ لِحُلُوسِ الْخَلِيفَةِ لِلْحَطَابَةِ ، وَيُكْرَّرُ ذَلِكَ ثَلَاثَ دَفْعَاتٍ ؛ فَيَأْتِي الْخَلِيفَةُ فِي هَيْئَةٍ مُوقَّرَةٍ مِنَ الطَّبْلِ وَالْبُوقِ ، وَحِوَالِي رِكَابِهِ - خَارِجَ أَصْحَابِ الرِّكَابِ - الْقُرَّاءُ ، وَهُمْ قُرَّاءُ الْحَضْرَةِ ، مِنَ الْجَانِبِينَ ، يُطَرَّبُونَ بِالْقِرَاءَةِ نَوْبَةً بَعْدَ نَوْبَةٍ يَسْتَفْتِحُونَهُ^(a) بِذَلِكَ مِنْ رُكُوبِهِ عَنِ^(b) الْكُرْسِيِّ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ طُولَ طَرِيقِهِ إِلَى قَاعَةِ الْخَطَابَةِ مِنَ الْجَامِعِ . ثُمَّ تُحْفَظُ الْمَقْصُورَةُ مِنْ خَارِجِهَا بِتَرْتِيبِ أَصْحَابِ الْبَابِ وَإِسْفِهَسَلَارِ الْعَسَاكِرِ ، مِنْ أَوَّلِهَا^(c) إِلَى آخِرِهَا صِبْيَانُ الْخَاصِّ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَجْرِي مَجْرَاهُمْ ، وَمَنْ دَاخِلُهَا مِنْ بَابِ خُرُوجِهِ إِلَى الْمُنْبَرِ وَاحِدٌ فَوَاحِدٌ ، فَيَجْلِسُ فِي الْقَاعَةِ ، وَإِنْ اِحْتَجَّ إِلَى تَجْدِيدِ وُضُوءٍ فَعَلَّ ، وَالْوَزِيرُ فِي مَكَانٍ آخَرَ .

فَإِذَا أُذِّنَ بِالْجُمُعَةِ دَخَلَ إِلَيْهِ قَاضِي الْقَضَاةِ فَقَالَ لَهُ : «السَّلَامُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّرِيفِ الْقَاضِي الْخَطِيبِ^(d) وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، الصَّلَاةُ بِرَحْمَتِكَ اللَّهُ» . فَيَخْرُجُ مَاشِيًا وَحِوَالِيهِ الْأُسْتَاذُونَ الْمُحْتَكُونَ وَالْوَزِيرُ وَرِئَاةُ ، وَمَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْخَوَاصِّ ، وَبِأَيْدِيهِمُ الْأَسْلِحَةُ مِنْ صِبْيَانِ الْخَاصِّ ، وَهُمْ أَمْرَاءُ وَعَلَيْهِمْ هَذَا الْأَسْمُ . فَيَصْعَدُ إِلَى^(d) الْمُنْبَرِ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى الذُّرْوَةِ تَحْتَ تِلْكَ الْقُبَّةِ الْمُبْخَرَةِ ، فَإِذَا اسْتَوَى جَالِسًا وَالْوَزِيرُ عَلَى بَابِ الْمُنْبَرِ وَوَجْهُهُ إِلَيْهِ فَيُشِيرُ إِلَيْهِ بِالصُّعُودِ فَيَصْعَدُ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ ، فَيَقْبَلُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ بِحَيْثُ يَرَاهُ النَّاسُ ، ثُمَّ يُزَرَّرُ عَلَيْهِ تِلْكَ الْقُبَّةُ لِأَنَّهَا كَالْهَوْدَجِ ، ثُمَّ يَنْزِلُ مُسْتَقْبِلًا فَيَقِفُ ضَابِطًا لِبَابِ الْمُنْبَرِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثُمَّ وَزِيرٌ صَاحِبُ سَيْفٍ ، زَرَّرَ عَلَيْهِ قَاضِي الْقَضَاةِ كَذَلِكَ ، وَوَقَفَ صَاحِبُ الْبَابِ ضَابِطًا لِلْمُنْبَرِ ، فَيَخْطُبُ خُطْبَةً قَصِيرَةً مِنْ مَسْطُورٍ يُحْضَرُ إِلَيْهِ مِنْ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ ، يَقْرَأُ فِيهَا آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ^(e) ؛ وَلَقَدْ سَمِعْتَهُ مَرَّةً فِي خَطَابَتِهِ بِالْجَامِعِ الْأَزْهَرِ وَقَدْ قَرَأَ فِي خُطْبَتِهِ ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ [آيَةُ ١٥ سُورَةُ الْأَحْقَافِ] . ثُمَّ يُصَلِّي فِيهَا^(f) عَلَى أَبِيهِ وَجَدِّهِ - يَعْنِي بِهِمَا مُحَمَّدًا ﷺ وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَيَعْظُمُ النَّاسَ وَعَظْمًا بَلِيغًا قَلِيلَ اللَّفْظِ .

(a) بولاق : يستفتحون . (b) بولاق : من . (c) بولاق : داخلها . (d) ساقطة من بولاق . (e) بولاق : الكريم . (f) فيها :

ساقطة من بولاق .

وتشتمل الخطبة على ألفاظ جزلة ، ويذكر من سلف من آباؤه حتى يصل إلى نفسه ، فقال وأنا أسمعه : «اللهم وأنا عبدك وابن عبدك ، لا أم لك لنفسي ضراً ولا نفعاً» . ويتوسل بدعوات فخمة تليق بمثله ، ويدعو للتوزير إن كان ، وللجيوش بالنصر والتأليف ، وللعساكر بالظفر ، وعلى الكافرين والمخالفين بالهلاك والقهر ، ثم يختم بقوله : «اذكروا الله يذكركم» ، فيطلع إليه من زرز عليه ، ويفك ذلك التزير وينزل القهقري . وسبب التزير عليهم قراءتهم من مشطور لا كعادة الخطباء .

فيتزل الخليفة ، ويصير على تلك الطراحات الثلاث في المحراب وحده إماماً ، ويقف الوزير وقاضي القضاة صفًا ، ومن ورائهما الأستاذون المحنكون والأمراء المطوقون . وأرباب الرتب من أصحاب السيوف والأقلام ، والمؤذنون وقوف وظهورهم إلى المقصورة لحفظه . فإذا سمع الوزير الخليفة أسمع القاضي ، فأسمع القاضي المؤذنين ، وأسمع المؤذنون الناس . هذا والجامع مشحون بالعالم للصلاة ورائه ، فيقرأ ما هو مكتوب في الشتر الأيمن في الركعة الأولى ، وفي الركعة الثانية ما هو مكتوب في الشتر الأيسر ، وذلك على طريق التذكار خيفة الإرتاج^(a) . فإذا فرغ خرج الناس وركبوا أولاً فأولاً ، وعاد طالبنا القصر والوزير ورائه ، وضربت البوقات والطبول في العود .

فإذا أتت الجمعة الثانية ركب إلى الجامع الأزهر من القشاشين^١ ، على الميوال الذي ذكرناه والقالب الذي وصفناه .

فإذا كانت الجمعة الثالثة أعلم بركوبه إلى مصر للخطابة في جامعها ، فيزيئ له من باب القصر أهل القاهرة إلى جامع ابن طولون ، ويزيئ له أهل مصر من جامع ابن طولون إلى الجامع بمصر ، يُرتب ذلك والي مصر : كل أهل معيشة في مكان . فيظهر المختار من الآلات والشتور المشتمات ، ويهتمون بذلك ثلاثة أيام بلياليهن ، والوالي ماژ وعائذ بينهم ، وقد ندب من يحفظ الناس ومتاعهم . فيركب يوم الجمعة المذكور شاقاً / لذلك كله على الشارع الأعظم إلى مسجد عبد الله^٢ الخراب اليوم ، إلى دار الأنماط ، إلى الجامع بمصر . فيدخل إليه من المعونة - ومنها باب متصل بقاعة الخطيب - بالزي الذي تقدم ذكره في خطبة الجامعين بالقاهرة وعلى ترتيبهما . فإذا

(a) بولاق : الارتجاج .

^١ حاشية بخط المؤلف : «القشاشين يُعرف اليوم^٢ انظر عن مسجد عبد الله وموقعه فيما تقدم بالخراطين» .

قَضَى الصَّلَاةَ عَادًا إِلَى الْقَاهِرَةِ مِنْ طَرِيقِهِ بِعَيْنِهَا ، شَاقًّا بِالزَّيْتَةِ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى الْقَصْرِ ، وَيُعْطِي أَرْبَابَ الْمَسَاجِدِ الَّتِي يَمُرُّ عَلَيْهَا كُلَّ وَاحِدٍ دِينَارًا ^١ .

وَقَالَ ابْنُ الْمَأْمُونِ : وَوَصَلَ مِنَ الطَّرَازِ الْكُشُورَةَ الْمُخْتَصَّةَ بَغْرَةَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَجُمُعَتَيْهِ : يَرْسُمُ الْخَلِيفَةُ لِلغُرَّةِ بَدَلَةَ كَبِيرَةً مَوْكِبِيَةً مَكْمَلَةً مُذَهَّبَةً ، وَيَرْسُمُ الْجَامِعَ الْأَزْهَرَ لِلجُمُعَةِ الْأُولَى مِنَ الشَّهْرِ بَدَلَةَ مَوْكِبِيَةً حَرِيرِيَةً مَكْمَلَةً مِندِيلُهَا وَطَيْلَسَانُهَا بَيَاضٌ ، وَيَرْسُمُ الْجَامِعَ الْأَنْوَرَ لِلجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ بَدَلَةَ مِندِيلُهَا وَطَيْلَسَانُهَا شَعْرِيٌّ ، وَمَا هُوَ يَرْسُمُ أَخِي الْخَلِيفَةَ لِلغُرَّةِ خَاصَّةً بَدَلَةَ مُذَهَّبَةً ، وَيَرْسُمُ أَرْبَعَ جِهَاتٍ لِلخَلِيفَةِ أَرْبَعَ مُحَلَّلَاتٍ مُذَهَّبَاتٍ ، وَيَرْسُمُ الْوَزِيرَ لِلغُرَّةِ خِلْعَةً مُذَهَّبَةً مَكْمَلَةً مَوْكِبِيَةً ، وَيَرْسُمُ الْجُمُعَتَيْنِ بَدَلَتَانِ حَرِيرِيَتَانِ . وَلَمْ يَكُنْ لغيرِ الْخَلِيفَةِ وَأَخِيهِ ^(a) الْوَزِيرِ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ فَذَكَرَهُ ^٢ .

جَامِعُ رَاشِدَةَ

١٠ هَذَا الْجَامِعُ عُرِفَ بِ«جَامِعِ رَاشِدَةَ» لِأَنَّهُ فِي خِطَّةِ رَاشِدَةَ . قَالَ الْقَضَائِيُّ : خِطَّةُ رَاشِدَةَ بِنُ أَدَّ ابْنَ جُدَيْلَةَ مِنَ لَحْمٍ ، هِيَ مُتَاخِمَةٌ لِلخِطَّةِ الَّتِي قَبْلَهَا إِلَى الدَّيْرِ الْمَعْرُوفِ كَانَ أَبِي تَلْمُوسَ ^(b) ثُمَّ هُدِيمَ ، وَهُوَ الْجَامِعُ الْكَبِيرُ الَّذِي بِرَاشِدَةَ . وَقَدْ دَثَّرَتْ هَذِهِ الْخِطَّةُ ، وَمِنْهَا الْمَقْبَرَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِمَقْبَرَةِ رَاشِدَةَ ، وَالجِنَانُ ^(c) الْمَعْرُوفُ كَانَ ^(c) بِكَهْمَسَ بْنِ مَعْمَرٍ ^(d) ، ثُمَّ عُرِفَ بِالْمَآذِرَائِيِّ ^(e) ، وَهُوَ الْيَوْمَ يُعْرَفُ بِالْأَمِيرِ تَمِيمٍ ^٣ .

١٥ وَقَالَ الْمَسْبُحِيُّ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ : وَابْتَدَى بِنَاءُ جَامِعِ رَاشِدَةَ فِي سَابِعِ عَشْرِ رَجَبِ الْآخِرِ ، وَكَانَ مَكَانَهُ كَنِيسَةً حَوْلَهَا مَقَابِرُ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، فَبَنِيَ بِالطُّوبِ ، ثُمَّ هُدِيمَ وَزِيدَ فِيهِ وَبَنِيَ بِالْحَجَرِ ، وَأَقِيمَتْ بِهِ الْجُمُعَةُ ^٤ .

(a) الواو ساقطة من بولاق . (b) بولاق : تكموس . (c-c) بولاق : التي كانت تعرف . (d) بولاق : بعر . (e) بولاق : ثم عرفت بالمارداني .

^١ ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٧٢-١٧٦؛ المقرئزي : مسودة الخطط ١٢١ و-١٢٥ ظ .

^٢ ابن المأمون : أخبار مصر ٨١-٨٢ .

^٣ حاشية بخط المؤلف : «هذه الجنان تُعرف اليوم

بالبشتان المغشوق بجوار رباط الآثار التَّبَوِيَّ وَبِرُوكَةَ

الْحَبَشِ .

^٤ المسبحي : نصوص ضائعة ١٩؛ ابن دقماق :

الانتصار ٧٨:٤-٧٩ .

وقال في سنة خمس وتسعين وثلاث مائة : وفيه - يعني شهر رمضان - فرس جامع راشدة وتكامل فرسه وتعليق قناديله وما يحتاج إليه . وزكب الحاكم بأمر الله عشية يوم الجمعة الخامس عشر منه ، وأشرف عليه ^١ .

وقال في سنة ثمان وتسعين وثلاث مائة : وفيه - يعني شهر رمضان - صلى الحاكم بجامعه الذي أنشأه براشدة صلاة الجمعة وخطب ^٢ . وفي شهر رمضان سنة أربع مائة ، أنزل بقناديل وتثور من فضة زنتها ألوف كثيرة ، فعلقت بجامع راشدة . وفي سنة إحدى وأربع مائة هدم ، وابتدى في عمارته من صفر ^٣ .

وفي شهر رمضان سنة ثلاث وأربع مائة : صلى الحاكم في جامع راشدة صلاة الجمعة ، وعليه عمامة بغير جوهر وسيف محلى بفضة بيضاء دقيقة ، والناس يمشون بركابه من غير أن يمتنع أحد منه . وكان يأخذ قصصهم ، ويقف وقفا طويلا لكل منهم ^٤ .

وأنفق يوم الجمعة حادي عشر جمادى الآخر سنة أربع عشرة وأربع مائة ، أن خطب فيه خطبتان معا على المنبر . وذلك أن أبا طالب علي بن عبد السميع العباسي استقر في خطابته ياذن قاضي القضاة أبي العباس أحمد بن محمد بن القوام ، بعد سفر العفيف البخاري إلى الشام . فتوصل ابن عصفورة إلى أن خرج له أمر أمير المؤمنين الظاهر لإعزاز دين الله أبي الحسن علي بن الحاكم بأمر الله ، أن يخطب ، فصعدا جميعا المنبر ، ووقف أحدهما دون الآخر وخطبا معا . ثم بعد ذلك استقر أبو طالب خطيبا ، وأن يكون ابن عصفورة يخلفه ^٥ .

وقال ابن المتوج : هذا الجامع فيما بين دئر الطين والفسطاط . وهو مشهور الآن بجامع راشدة ، وليس [ذلك] ^٦ بصحيح ، وإنما جامع راشدة كان جامعاً قديماً البناء بجوار هذا الجامع عمر في زمن الفتح عمرته راشدة ، وهي قبيلة من القبائل كقبيلة نجيب ومهرة ، نزلت في هذا المكان ، وعمرها فيه جامعاً كبيراً . [قال ابن المتوج] ^٦ : أدركت أنا بعضه ومخرابه . وكان

(٦) ذلك : زيادة من ابن دقماق .

^١ المسيحي : نصوص ضائعة ٢٣؛ القرظي : اتعاظ ٥٨ : ٢ .

^٤ نفسه ٣١ .

^٢ نفسه ٢٥ ؛ نفسه ٧٣ : ٢ .

^٥ المسيحي : أخبار مصر ٩ - ١٠ ؛ القرظي : اتعاظ

١٣٤ : ٢ .

^٣ نفسه ٢٩ .

فيه نخل كثير من نخل المقل، ومن جملة ما رأيت فيه نخلة من المقل عددت لها سبعة رؤوس مفرعة منها؛ فذاك الجامع هو المعروف بـ«جامع راشدة». وأما هذا الموجود الآن فمن عمارة الحاكم^١.

ولم يكن في بناء الجوامع أحسن من بنائه. وقيل عمرته حظيئة الخليفة وكان اسمها راشدة، وليس بصحيح، والأول هو الصحيح^٢. وفيه الآن نخل وسدر وبئر وساقية رجل، وهو مكان خلوة وانقطاع، ومحل عبادة وفراغ من تعلقات الدنيا.

قال كاتبه^٣: هذا وهم من ابن المتوج في موضعين:

أولهما: أن راشدة عمرت هذا الجامع في زمن فتح مصر، وهذا قول لم يقله أحد من مؤرخي مصر. فهذا الكندي ثم القضاعي - وعليهما يعول في معرفة خطط مصر - ومن قبلهما ابن عبد الحكم؛ لم يقل أحد منهم إن راشدة عمرت زمن الفتح مسجداً، ولا يعرف من هذا السلف - رحمهم الله - في جند من أجناد الأمصار التي افتتحتها الصحابة - رضي الله عنهم - أنهم أقاموا خطبتين في جند^٤ واحد.

وقد حكينا ما تقدم عن المسبحي - وهو مشاهد ما نقله من بناء الجامع المذكور في موضع الكنيسة بأمر الحاكم بأمر الله وتغييره لبنائه غير مرة، وتبعه القضاعي على ذلك. وقد عد القضاعي والكندي في كتابتهما/ المذكور فيهما خطط مصر، ما كان بمصر من مساجد الخطبة القديمة والحديثة، وذكرنا مساجد راشدة، ولم يذكرنا فيها جامعاً اختطه راشدة، وذكرنا هذا الدائر، وعين القضاعي اسمه، وأنه^٥ هدم وتبني في مكانه جامع راشدة. وناهيك بهما معرفة آثار مصر وخطبها.

والوهم الثاني: الاستدلال على الوهم الأول بمشاهدة بقايا مسجد قديم. ولا أذري كيف يُستدل بذلك؟ فمن أنكر أن يكون قد كان هناك مسجد؟ بل المدعى أنه كان لراشدة مساجد، لكن كونها اختطت جامعاً هذا غير صحيح.

(a) بولاق: مؤلفه. (b) بولاق: مسجد. (c) وأنه: ساقطة من بولاق.

^٢ ابن الزيات: الكواكب السيارة ١٨٣.

^١ ابن دقماق: الانتصار ٧٨:٤ (نفس النص نقلاً عن ابن المتوج).

وقال ابن أبي طي في أخبار سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة في كتابه «تاريخ حلب»: كانت النصارى اليغقوية قد شرعوا في إنشاء كنيسة كانت قد اندرست لهم بظاهر مصر في الموضع المعروف براشدة، فثار قوم من المسلمين وهدموا ما بنى النصارى. وأنهى إلى الحاكم ذلك، وقيل له: إن النصارى ابتدأوا بناءها، وقال النصارى: إنها كانت قبل الإسلام. فأمر الحاكم حسين بن جوهر بالنظر في حال الفريقين، فمال في الحكم مع النصارى، وتبين للحاكم ذلك، فأمر أن تبنى تلك الكنيسة مشجداً جامعاً، فبنى في أسرع وقت، وهو جامع راشدة، ورأشدة اسم للكنيسة، وكان بجواره كنيسة: إحداهما لليغقوية والأخرى للنسطورية، فهدمتا أيضاً وبنيتا مشجدين.

وكان في حارة الروم بالقاهرة أدر للروم وكنيسة لهم، فهدمتا وجعلتا مشجدين أيضاً، وحول الروم إلى الموضع المعروف بالحمر، وأسس الروم ثلاث كنائس عوضاً عما هدم لهم. وهذا أيضاً موضح بأن جامع راشدة أسسه الحاكم، وفيه وهم لكونه جعل راشدة اسماً للكنيسة، وإنما راشدة اسم لقبيلة من العرب نزلوا عند الفتح هناك، فعرفت تلك البقاع بخطة راشدة.

وقد جدد جامع راشدة مراراً، وأدركته عامراً تقام فيه الجمعة ويمتلئ بالناس لكثرة من حوله من السكان، وإنما تعطلت من إقامة الجمعة بعد حوادث سنة ست وثمان مائة^١.

^١ وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة: راشدة بطن من لحم، وهم ولد راشدة ابن الحارث بن أد بن جذيلة، من لحم بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد - وقيل راشدة بن أدوب - ويقال لراشدة: خالفة، ولهم خطة بمصر بالجبل المعروف بالرضد المطل على بركة الحبش، وقد دثرت الخطة ولم يبق في موضعها إلا الجامع الحاكمي المعروف بجامع راشدة^٢.

(a-a) هذه الفقرة لا توجد في الأصول التي اعتمدها، وتوجد فقط في طبعة بولاق (١)

^١ المقرئ: السلوك ٥١٦:٢ وفيه أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون جدد هذا الجامع سنة ٧٤١هـ/١٣٤١م، وانظر كذلك فيما يلي ٢٢٧ حيث يذكر المقرئ أن عمده الجامع استُخدمت في بناء جامع المارديني (المارداني) خارج باب زويلة سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٨م. وانظر أيضاً عن الجامع Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, p. 352

جامع المقس

هذا الجامع أنشأه الحاكم بأمر الله على شاطئ النيل بالمقس في (a) ١، لأن المقس كان خطة كبيرة. وهي بلد قديم من قبل الفتح كما تقدم ذكر ذلك في هذا الكتاب^٢.

وقال في الكتاب الذي تضمن وقف الحاكم بأمر الله الأماكن بمصر على الجوامع - كما ذكر في خبير الجامع الأزهر^٣ - ما نصه:

(a) بياض في الأصول.

على نقش في لوح من الرخام فوق الباب الداخلي بدھليز الجامع، شاهده محمد بك رمزي فوق الباب الخارجي للجامع الذي تحت المدينة مكتوباً عليه: «أتم بإنشاء هذا المسجد المبارك خديو مصر عباس حلمي الثاني الأفخم أدام الله أيامه في سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م)».

ووصف محمد بك رمزي الجامع بأنه «جامع لطيف عاير بالشعائر يعلو بابه الذي على الشارع مقذنة جميلة، ويحجب الجامع عن شارع إبراهيم باشا (شارع الجمهورية الآن) من جهة ميدان باب الحديد (ميدان رمسيس الآن) فكان على عين الباب الخارجي يعلوه كُتَاب (تعليقات محمد بك رمزي على النجوم الزاهرة ١١: ١٧٨ هـ)».

وقد هُدم هذا الجامع في خمسينيات القرن العشرين، وأقيم في موضعه جامع ضخم يطل مدخله الرئيس على شارع رمسيس عند التقائه بشارع الجمهورية يُعرف بجامع الفتح، افتتح للصلاة في سنة ١٩٨٩.

(راجع، القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٦٥؛ Creswell, K.A.C., MAEI, p. 67; Fu'ad Sayyid, (A., op.cit., p. 351).

^٢ فيما تقدم ٣: ٤٠٣ - ٤٠٤.

^٣ فيما تقدم ٩٧.

^١ جامع المقس. بناه الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٣ هـ/ ١٠٠٢ م، ويبدو مما يلي في نص المقريري أنه لم تكن تقام به الجمعة إلى أن وسَّعه الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب عند بناء سوره الذي وصل إلى حد بُرج المقس على النيل غرباً (ميدان رمسيس الآن)، فصارت تقام به الجمعة والجماعات. ثم جدد بناءه مرة أخرى في سنة ٧٧٠ هـ/ ١٣٩٦ م الوزير الصاحب شمس الدين عبد الله المقسي.

وفي العصر المملوكي كان هذا الجامع يقع على الخليج الناصري بباب البخر، وأصبح يعرف في العصر العثماني بجامع أولاد عنان (الجبرني: عجائب الآثار ٣: ٤٨) نسبة إلى الشيخ الصالح الزاهد محمد بن حسن بن أحمد الطهوائي البرهمتوشي المصري الشهير بابن عنان الشافعي، المتوفى في ربيع الأول سنة ٩٢٢ هـ/ ١٥١٦ م، والمدفون في قبره بجوار الجامع، والذي قام أولاده من بعده بخدمة الجامع فاشتهر بهم.

وأهمل هذا الجامع وتخرَّب في نهاية العصر العثماني إلى أن تسلَّمه ديوان عموم الأوقاف سنة ١٢٩٨ هـ/ ١٨٨١ م، وقام بينائه من ماله الخاص حسن باشا حلمي الأندوسي وكيل مجلس شوري القوانين تحت إشراف نظارة الأوقاف، وُفِرغ من بنائه في سنة ١٣١٣ هـ/ ١٨٩٥ م كما كان مُبْتَنًا

«ويكون جميع ما بقي ، مما تُصدّق به على هذه المواضع ، يُصرف في جميع ما يُحتاج إليه في جامع المقس المذكور من عمارته ، ومن ثَمَن الحُضر العبدانية والمظفورة ، وثَمَن العود للبخور وغيره ، على ما شرح من الوظائف في الذي تقدّم»^١ .

- ٥ وكان لهذا الجامع محلٌ كبيرٌ^a في الدولة الفاطمية ، ويؤكد الخليفة إلى منظرية كانت بجانيه عند عرض الأستطول فيجلس بها لمشاهدة ذلك ، كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر المناظر^٢ .

وفي سنة سبع وثمانين وخمس مائة انشئت زريبة^b هذا الجامع في شهر رمضان لكثرة زيادة ماء النيل ، وخيف على الجامع الشقوط فأمر بعمارتيها .

- ١٠ ولما بنى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب هذا الشور الذي على القاهرة ، وأراد أن يوصله بشور مصر من خارج باب البحر إلى الكوم الأحمر - حيث منشأة المهراي اليوم - وكان المتولي لعمارة ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي ، أنشأ بجوار جامع المقس بُرجاً كبيراً عُرف بقلعة المقس في مكان المنظرية التي كانت للخلفاء^٣ .

- فلما كان في سنة سبعين وسبع مائة جدد بناء هذا الجامع الوزير الصاحب شمس الدين عبد الله المقسي^٤ ، وهدم القلعة وجعل مكانها جنيئة ، واتهمه الناس بأنه وجد هنالك مالا كثيرا ، وأنه عمّر منه الجامع المذكور ، فصار العامة اليوم يقولون : جامع المقسي . ويظن من لا علم عنده أن هذا الجامع من إنشائه ، وليس كذلك بل إنما جددّه ويضّنه^٥ .

- وقد انحسر ماء النيل عن تجاه هذا الجامع كما ذكر في خبر بولاق والمقس^٦ ، وصار هذا الجامع اليوم على حافة الخليج الناصري . وأذكر لنا ما حوله في غاية العمارة ، وقد تلاشت المساكن التي هناك ، وبها إلى اليوم بقية يسيرة .

(a) بولاق : نخل كثير . (b) بولاق : زريبة .

^١ المقرئزي : مسودة الخطط ٧٦ ظ .

^٢ فيما تقدم ٢ : ٥٦٢ - ٥٦٥ .

^٣ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٩ .

^٤ حاشية بخط المؤلف : مات عبد الله أبو الفرج الوزير

^٦ فيما تقدم ٣ : ٤٠٣ ، ٤٣٠ - ٤٣٢ .

شمس الدين المقسي يوم السبت ثالث شعبان سنة خمس

وتسعين وسبع مائة ودفن بالجامع .

^٥ المقرئزي : السلوك ٣ : ٧٩٣ .

ونظر هذا الجامع اليوم بيد أولاد الوزير المقيسي ، فإنه جددّه وجعل عليه أوقافاً لمدرّس وخطيب وقومة ومؤذنين وغير ذلك .

وقال جامع «السيرة الصلاحية» : وهذا المقسم على شاطئ النيل يُزار ، وهناك مسجد يتبرك به الأبرار ، وهو المكان الذي قُسمت فيه الغنيمة عند استيلاء الصحابة - رضي الله عنهم - على مصر . فلما أمر السلطان صلاح الدين بإدارة الشور / على مصر والقاهرة ، تولى ذلك بهاء الدين قراقوش ، وجعل نهايته التي تلي القاهرة عند المقس ، وبني فيه بُرجاً يُشرف على النيل ، وبني مسجده جامعاً ، واتصلت العمارّة منه إلى البلد ، وصار تُقام فيه الجمع والجماعات ^١ .

أبو المنصور^٢ نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معدّ - وُلد بالمهدية من بلاد العزيز بالله إفريقيا في يوم الخميس الرابع عشر من المحرم سنة أربع وأربعين وثلاث مائة ، وقدم مع أبيه إلى القاهرة وولي العهد . فلما مات المعز لدين الله أُقيم من بعده في الخلافة يوم الرابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاث مائة ، فأذعن له سائر عساكر أبيه . واجتمعوا عليه ، وسير بذهب إلى بلاد المغرب فرّق في الناس ، وأقرّ يوسف بن بلكين على ولاية إفريقيا ، وخطب له بمكة .

ووافى الشام عسكر القرامطة ، فصاروا مع أفتكين التركي وقوي بهم ، وساروا إلى الرملة وقاتلوا عساكر العزيز بيافا . فبعث العزيز جوهرًا القائد بعساكر كثيرة ، ومَلَكَ الرملة ، وحاصر دمشق مدة ، ثم رحل عنها بغير طائل ، فأذركه القرامطة ، وقاتلوه بالرملة وعشقلان نحو سبعة عشر شهرًا . ثم خلص من تحت سُيوف أفتكين وسار إلى العزيز ، فوافاه وقد برز من القاهرة فسار معه . ودخل العزيز إلى الرملة ، وأسر أفتكين في المحرم سنة ثمان وستين وثلاث مائة ، فأحسن إليه وأكرمه إكرامًا زائدًا .

(a) بولاق : أبو النصر .

١ خلكان : وفيات الأعيان ٥ : ٣٧١ - ٣٧٦ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨ : ١٥٣ - ١٦٤ ؛ ابن أبيك : كنز الدرر ٦ : ١٧٤ - ٢٥٥ ؛ المقرئ : اتعاظ الخنفا ١ : ٢٣٦ - ٢٩٩ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ١١٢ - ١١٧٥ ؛ Canard, .M., art. *al-Aziz billâh* I, p. 847

^١ هذه السيرة التي ينقل عنها المقرئ هنا ليست هي كتاب «التوادر اليوشفية في السيرة الصلاحية» لبهاء الدين ابن شداد ، فلم يرد بها هذا الخبر !

^٢ انظر ترجمة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله خامس الخلفاء الفاطميين ، وثانيهم في مصر عند ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة (القسم الخاص بالفاطميين) ٣١ - ٤٢ ؛ ابن

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الشَّرِيفُ أَبُو إِسْمَاعِيلَ إِبْرَاهِيمَ الرَّسِّيَّ^(a) يَقُولُ : يَا مَوْلَانَا لَقَدْ اسْتَحَقَّ هَذَا الْكَافِرُ كُلَّ عَذَابٍ ، وَالْعَجَبُ مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ . فَلَمَّا لَقِيَهُ قَالَ : يَا إِبْرَاهِيمَ ، قَرَأْتُ كِتَابَكَ فِي أَمْرِ أَفْتِكِينَ ، وَأَنَا أُخْبِرُكَ ، اعْلَمْ أَنَّا قَدْ وَعَدْنَا الْإِحْسَانَ وَالْوَلَايَةَ ، فَلَمَّا قَبِلَ وَجَاءَ إِلَيْنَا نَصَبَ فَازَاتِهِ وَخِيَامَهُ حِدَاءَنَا ، وَأَرَدْنَا مِنْهُ الْإِنْصِرَافَ ، فَلَجَّ وَقَاتَلَ . فَلَمَّا وُلِّيَ مُنْهَزِمًا ، وَسِرْتُ إِلَى فَازَاتِهِ وَدَخَلْتُهَا ، سَجَدْتُ لِلَّهِ شُكْرًا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَفْتَحَ لِي بِالظَّفَرِ بِهِ ، فَجِيءَ بِهِ بَعْدَ سَاعَةٍ أَسِيرًا ، أَتَرَى يَلِيْقُ بِي غَيْرَ الْوَفَاءِ ؟

وَمَا وَصَلَ الْعَزِيزُ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، اضْطَنَّعَ أَفْتِكِينَ ، وَوَاصَلَهُ بِالْعَطَايَا وَالخِلْعِ حَتَّى قَالَ : لَقَدْ اخْتَشَمْتُ مِنْ رُكُوبِي مَعَ الْخَلِيفَةِ مَوْلَانَا الْعَزِيزِ بِاللَّهِ وَنَظَرِي إِلَيْهِ بِمَا غَمَّرَنِي مِنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ . فَلَمَّا بَلَغَ الْعَزِيزُ ذَلِكَ قَالَ لِعَمِّهِ حَيْدَرَةَ : يَا عَمِّ أَحِبُّ أَنْ أَرَى النُّعْمَ عِنْدَ النَّاسِ ظَاهِرَةً ، وَأَرَى عَلَيْهِمُ الذُّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَالْجَوَاهِرَ ، وَلَهُمُ الْخَيْلَ وَاللُّبَّاسَ وَالضِّيَاعَ وَالْعَقَارَ ، وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ عِنْدِي^١ .

وَمَاتَ بِمَدِينَةِ بَلْبَيسَ مِنْ مَرَضٍ طَوِيلٍ بِالْقَوْلُوجِ وَالْحَصَاةِ ، فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، فَحُمِلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَدُفِنَ بِتُرْبَةِ الْقَصْرِ مَعَ آبَائِهِ . وَكَانَتْ مُدَّةَ خِلَافَتِهِ بَعْدَ أَبِيهِ الْمُعَزَّ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفًا ، وَمَاتَ وَعَمْرُهُ اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَكَانَ نَقَشُ نَحَاتِمِهِ :

«بَنَصْرِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ ، يَنْتَصِرُ الْإِمَامُ نِزَارًا» .

وَلَمَّا مَاتَ وَحَضَرَ النَّاسُ إِلَى الْقَصْرِ لِلتُّعْزِيَةِ ، أَفْحَمُوا عَنْ أَنْ يُورِدُوا فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ شَيْئًا ، وَمَكَثُوا مُطْرِقِينَ لَا يَنْبَسُونَ . فَقَامَ صَبِيٌّ مِنْ أَوْلَادِ الْأَمْرَاءِ الْكُتَامِيِّينَ^(b) ، وَفَتَحَ بَابَ التُّعْزِيَةِ وَأَنْشَدَ :

[الكامل]

انظُرْ إِلَى الْعَلِيَاءِ كَيْفَ تُضَامُ وَمَاتِمُ الْأَخْسَابِ كَيْفَ تُقَامُ

خَجِرْتَنِي رِكَابُ الرِّكَابِ وَلَمْ يَدْعَ لِلسَّفَرِ وَجَهَ تَرْحُلَ فَأَقَامُوا

فَاسْتَحْسَنَ النَّاسُ إِيْرَادَهُ ، وَكَأَنَّهُ طَرَقَ لَهُمْ كَيْفَ يُورِدُونَ الْمَرَاتِي ؛ فَنَهَضَ الشُّعْرَاءُ وَالْخُطَبَاءُ حِينَئِذٍ وَعَزَّوْا ، وَأَنْشَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا عَمِلَ فِي التُّعْزِيَةِ .

(a) بولاق : الرئيس . (b) بولاق : الكنانيين .

^١ راجع خَجِرَ أَفْتِكِينَ مَعَ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ فِيمَا تَقَدَّمَ ٣: ٢٣-٢٧ وَمَا ذَكَرَ مِنْ مَرَاجِعِ .

ونخلف من الأولاد: ابنه المنصور وولي الخلافة من بعده، وابنة تُدعى «سَيِّدَةُ الْمُلْكِ». وكان أَسْمَرَ طَوَالًا، أَصْهَبَ الشَّعْرَ، أَغْيَنَ أَشْهَلَ، عَرِيضَ الْمَنْكِبِينَ، شُجَاعًا كَرِيمًا، حَسَنَ الْعَقْرِ وَالْقُدْرَةَ، لَا يَعْرِفُ سَفْكَ الدَّمَاءِ أَلْبَتَّةَ، مَعَ مُحْسِنِ الْخَلْقِ وَالْقُرْبِ مِنَ النَّاسِ، وَالْمَعْرِفَةَ بِالْخَيْلِ وَجَوَارِحِ الطَّيْرِ. وَكَانَ مُجِبًّا لِلصَّيْدِ مُغْرَى بِهِ، حَرِيصًا عَلَى صَيْدِ السَّبَاعِ^١.

وَوَزَّرَ لَهُ يَعْقُوبُ بْنُ كَلْسٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَشَهْرَيْنِ وَتِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ الْعَدَّاسِ سَنَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ الْفُرَاتِ سَنَةً، ثُمَّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنُ الْحَسَنِ الْبَارِزِيَّ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَمَّارِ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ الْفَضْلُ بْنُ صَالِحِ الْوَزِيرِيِّ أَيَّامًا، ثُمَّ عَيْسَى بْنُ نَسْطُورِ سَنَةً وَعَشْرَةَ أَشْهُرٍ. وَكَانَتْ قُضَاتُهُ أَبُو طَاهِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ، ثُمَّ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الثُّعْمَانِ، ثُمَّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الثُّعْمَانِ.

وَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ أَوَّلًا فِي صَفَرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَعَادَ مِنَ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَخَرَجَ ثَانِيًا وَظَفَرَ بِأَفْتَكِينَ، وَخَرَجَ ثَالِثًا فِي صَفَرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَرَجَعَ بَعْدَ شَهْرٍ إِلَى قَضْرِهِ بِالْقَاهِرَةِ، وَخَرَجَ رَابِعًا فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ^(a)، فَتَزَلَّ مِئْتَةَ الْأَصْبَحِ وَعَادَ بَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ وَاثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا، وَخَرَجَ خَامِسًا فِي عَاشِرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ فَأَقَامَ مُبَرِّزًا أَرْبَعَةَ عَشَرَ شَهْرًا وَعِشْرِينَ يَوْمًا، وَمَاتَ فِي هَذِهِ الْخَرْجَةِ بِبَلْبَيسَ.

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَزِيرًا أَثَبَّتَ اسْمَهُ عَلَى الطُّرُزِ، وَقَرَنَ اسْمَهُ بِاسْمِهِ، وَأَوَّلُ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ الْخَفِيُّنَ وَالْمِنْطَقَةَ، وَأَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ مِنْهُمْ الْأَثْرَاكَ / وَاصْطَنَعَهُمْ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقُوَادَّ، وَأَوَّلُ مَنْ رَمَى مِنْهُمْ بِالنُّشَابِ، وَأَوَّلُ مَنْ رَكِبَ مِنْهُمْ بِالذُّوَابَةِ الطُّوِيلَةَ وَالْحَنَكَ، وَضَرَبَ بِالصُّوَالِجَةِ وَلَعِبَ بِالرَّمْحِ، وَأَوَّلُ مَنْ عَمِلَ مَائِدَةً فِي الشُّرْطَةِ السُّفْلَى فِي شَهْرِ رَمَضَانَ يُفْطِرُ عَلَيْهَا أَهْلَ الْجَامِعِ الْعَتِيقِ، وَأَقَامَ طَعَامًا فِي جَامِعِ الْقَاهِرَةِ لِمَنْ يَحْضُرُ فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَرَمَضَانَ، وَاتَّخَذَ الْحَمِيرَ لِرُكُوبِهِ إِيَّاهَا.

وَكَانَتْ أُمُّهُ أُمُّ وَوَلَدِ اسْمِهَا «دُرْزَان»^(b). وَكَانَ يُضْرَبُ بِأَيَّامِهِ الْمَثَلُ فِي الْحُسْنِ، فَإِنَّهَا كَانَتْ كُلُّهَا أَعْيَادًا وَأَعْرَاسًا لِكثْرَةِ كَرَمِهِ وَمَحَبَّتِهِ لِلْعَقْرِ وَاسْتِعْمَالِهِ لِنَدْوَاهِ. وَلَا أَعْلَمُ لَهُ

(a) بولاق : ستين . (b) بولاق : درزاره .

^١ قارن مع المقرئ : اتعاظ الحنفا ١ : ٢٩٩ ، وفيه أن مضدر هذا الخبر ابن الأثير ، ولم أقف عليه فيما وصل إلينا من تاريخه !

بمصر من الآثار غير تأسيس الجامع الحاكمي ، وما عدا ذلك فذهب اسمه ومحي رسمه .

الحاكم بأمر الله
أبو علي منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معد^١ - وُلِدَ
بالقصر من القاهرة المعزية ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول
سنة خمس وسبعين وثلاث مائة ، في الساعة التاسعة ، والطالع من بزج السرطان سبع وعشرين
درجة ، وسُلم عليه بالخلافة في مدينة بلبيس بعد الظهر من يوم الثلاثاء عشرين شهر رمضان سنة
ست وثمانين وثلاث مائة .

وسار إلى القاهرة في يوم الأربعاء بسائر أهل الدولة ، والعزيز في قبّة على ناقّة بين يديه ، وعلى
الحاكم ذراعة مضمت وعمامة فيها الجوهر ، ويده زُمخ وقد تقلد السيف ، ولم يُفقد من جميع
ما كان مع العساكر شيء . ودخل القصر قبل صلاة المغرب ، وأخذ في جهاز أبيه العزيز بالله
ودفنه .

ثم بكر سائر أهل الدولة إلى القصر يوم الخميس ، وقد نصب للحاكم سرير من ذهب عليه
مرتبة مذهبة في الإيوان الكبير . وخرج من قصره راكباً وعليه معتمّة الجوهر ، والناس وقوف في
صحن الإيوان ، فقبلوا له الأرض ، ومشوا بين يديه حتى جلس على السرير . فوقف من رسمه
الوقوف ، وجلس من له عادة أن يجلس ، وسلم الجميع عليه بالإمامة واللقب الذي اختير له وهو
«الحاكم بأمر الله» . وكان سنه يومئذ إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وستة أيام .

فجعل أبا محمد الحسن بن عمّار الكتامي^٢ واسطة ولقب بأمين الدولة ، وأسقط مكوسا
كانت بالشاحل ، وردّ إلى الحسين بن جوهر القائد البريد والإنشاء فكان يخلفه ابن سورين ، وأقرّ

(a) بولاق : الكندي .

^١ أهم المصادر المبكرة التي تناولت سيرة الإمام الحاكم بأمر الله هي كتاب أخبار مصره للمسبحي ، الذي وصل إلينا منه فقط المجلد الأربعون الذي يتناول حوادث سنتي ٤١٤ و٤١٥ هـ ؛ إضافة إلى نقول مطوّلة حفظها منه المؤرخون المتأخرون . (انظر فيما تقدم ٢٤: ٢ - ٢٨) ، وتاريخ يحيى ابن سعيد الأنطاكي (نشرة لويس شيخو ونشرة كراتشكوفسكي وفازيليف ونشرة عمر تدمري) ، أضف إليها ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة (القسم الخاص بالفاطميين) ٤٣ - ٦٢ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢٩٢: ٥ - ٢٩٨ ؛ النويري : نهاية الأرب ١٦٧: ٢٨ - ٢٠٢ ، ابن أبيك : كنز الدرر ٢٥٦: ٦ - ٣١٢ ؛ المقرئ : تعاظ الحنفا ٣: ٢ - ١٢٣ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٧٦: ٤ - ٢٤٧ ؛ وفيما يلي ٣٩٠ - ٣٩٥ .
كما وضعت مؤلفات كثيرة عن عصر الحاكم بأمر =

عيسى بن نسطورس على ديوان الخاص، وقلد سليمان بن جعفر بن فلاح الشام. فخرج منجوتكين^(a) بدمشق^(b) وسار منها لمدافعة سليمان بن جعفر بن فلاح. فبلغ الرملة، وانضم إليه ابن الجراح الطائي في كثير من العرب، وواقع ابن فلاح، فانهزم وفر، ثم أسير فحبل إلى القاهرة وأكرم. واختلف أهل الدولة على ابن عمّار، ووقعت حروب آلت إلى صرفه عن الوساطة وله في النظر أحد عشر شهراً غير خمسة أيام، فلزم داره وأطلقت له رسوم وجرايات^٥.

وأقيم الطواشي بزجوان الصقلبي^(c) مكانه في الوساطة لثلاث بقين من رمضان سنة سبع وثمانين وثلاث مائة، فجعل كاتبه فهد بن إبراهيم يوقع عنه ولقبه بـ «الرئيس»، وصرف سليمان ابن فلاح عن الشام بجيش بن الصمصامة.

وقلّد فخذ^(d) بن إسماعيل الكتامي مدينة صور، وقلّد يانس الخادم بزقة، وميسورا الخادم طرابلس، وثمانين الخادم غزة وعسقلان. فواقع جيش الروم على فامية، وقتل منهم خمسة آلاف رجل، وغزا إلى أن دخل مَرَعش. وقلّد وظيفة قضاء القضاة أبا عبد الله الحسين بن عليّ ابن النعمان في صفر سنة تسع وثمانين وثلاث مائة بعد موت قاضي القضاة محمد ابن النعمان.

وقيل الأستاذ بزجوان لأربع بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وثلاث مائة، وله في النظر سنتان وثمانية أشهر غير يوم واحد^{١٥}، ورُدّ النظر في أمور الناس وتدير المملكة والتوقيعات إلى الحسين بن جوهر ولقب بـ «قائد القواد»، فخلفه الرئيس فهد، واتخذ

(a) في بعض النسخ: ينجوتكين؟ (b) بولاق: من دمشق. (c) بولاق: الصقلي. (d) بولاق: فحل.

Africans XI (1979), pp. 107-33; Van Ess, J., *Chiliasische Erwartungen und die Versuchung der Gattlichkeit: der Kalif al-Hâkim (375-411 H)* Hiedelberg - Winter 1977; Halm, H., «Der Treuhân der Gottes. Die Edikte des Kalifen al-Hâkim», *Der Islam* 63 (1986), pp. 11-72.

^١ انظر أخبار أبي محمد الحسن بن عمّار، الملقب أمين الدولة، فيما تقدم ٣: ١٠٥-١٠٧.

^٢ انظر أخبار بزجوان الصقلبي، فيما تقدم ٣: ٧-٩. وكذلك المقريري: اتعاط الخنفا ٢: ٢٥-٢٩.

= الله بين متعاطفة معه، مدافعة عن سياساته، أو مهاجمة له تهمه بالخلل والجنون، أهمها، محمد عبد الله عنان: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، القاهرة ١٩٣٧، ١٩٥٩؛ عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، القاهرة ١٩٥٨، Sadik, A.A., *The Reign of al-Hâkim bi Amr Allâh (366/996 - 411/1021). A Political Study*, Beirut 1974; Canard, M., *El* ² art. *al-Hâkim bi Amr Allâh III*, pp. 79-84; Bianquis, Th., «Al-Hâkim bi Amr Allâh ou la folie de l'unité chez un souverain fatimide», *Les*

الحاكم مجلساً في الليل يحضر فيه عدّة من أعيان الدولة ثم أبطله^١.

ومات جيش بن الصنمصة في ربيع الآخر سنة تسعين وثلاث مائة، فوصل ابنه بركته إلى القاهرة، ومعه درج بخط أبيه فيه وصية وثبت بما خلفه مفصلاً، وأن ذلك جميعه لأمر المؤمنين الحاكم بأمر الله، لا يستحق أخذ من أولاده منه دهماً. وكان مبلغ ذلك نحو المائتي ألف دينار ما بين عين ومتاع ودواب، قد أوقف جميع ذلك تحت القصر. فأخذ الحاكم الدرج ونظره، ثم أعاده إلى أولاد جيش، وخلع عليهم، وقال لهم بخضرة وجوه الدولة: «قد وقفت على وصية أبيكم - رحمه الله - وما وصى به من عين ومتاع، فخذوه هنيئاً مباركاً لكم فيه». فانصرفوا بجميع التركة^٢.

وولي دمشق فحل بن تميم ومات بعد شهر، فولي علي بن فلاح^٣.

١٠ ورد النظر في المظالم لعبد العزيز بن محمد بن الثعمان، ومتع الناس كافة من مخاطبة أحد أو مكاتبته بسيدنا ومولانا إلا «أمر المؤمنين» وخذته، وأيح دم من خالف ذلك. وفي سؤال قتل ابن عمّار.

١٥ وفي سنة إحدى وتسعين واصل الحاكم الركوب في الليل، كل ليلة، فكان يشق الشوارع والأزقة. وبالغ الناس في الوقود والزينة، وأنفقوا الأموال الكثيرة في المآكل والمشرب والغناء واللهو، وكثر تفرجهم على ذلك حتى خرجوا فيه عن الحد، فصنع النساء من الخروج في الليل، ثم منع الرجال من الجلوس في الحوانيت.

٢٠ وفي رمضان سنة / اثنتين وتسعين، قلّد تموصلت بن بكار دمشق عوضاً عن ابن فلاح. وابتدأ في عمارة جامع راشدة في سنة ثلاث وتسعين. وقتل فهد بن إبراهيم وله منذ نظر في الرياسة خمس سنين وتسعة أشهر واثنا عشر يوماً، في ثامن جمادى الآخرة منها، وأقيم في مكانه علي ابن عمر العدّاس، وسار الأمير ياروخ لإمارة طبرية. ووقع الشروع في إتمام الجامع خارج باب الفتوح، وقطع الحاكم الركوب في الليل، ومات تموصلت فولي دمشق بعده مفلح اللخنياني الخادم.

١ تميم بن إسماعيل المغربي القائد ويعرف بفحل؛ المقرئ:

المقرئ: اتعاظ الحنفا ٢: ٣١.

اتعاظ الحنفا ٢: ٤٥.

٢ نفسه ٢: ٣١-٣٣.

٣ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ٥٧، وفيه أن اسمه

وقَتَلَ علي بن عُمَرَ العَدَّاس والأستاذ زَيْدَان الصُّقْلَبِي^a وعدَّة كثيرة من النَّاس ، وَقَلَّدَ إمَارَةَ بَرْدَةَ صَنْدَل الأَسْوَد في المحرَّم سنة أربع وتسعين ، وصَرَفَ الحُسَيْن بن الثُّعْمَان عن القَضَاءِ في رَمَضَانَ منها ، وكانت مُدَّة نَظَرِهِ في القَضَاءِ خمسَ سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يومًا ، وإليه كانت الدُّعْوَةُ أيضًا ، فيُقَال له «قاضي القَضَاءِ وداعي الدُّعَاة» . وَقَلَّدَ عبد العزيز بن محمد بن الثُّعْمَان وَظِيْفَةَ القَضَاءِ والدُّعْوَةَ ، مع ما بيده من النُّظَرِ في المظالم .

وفي سنة خمس وتسعين ، أَمَرَ النَّصَارَى واليَهُود بِشُدِّ الزُّنَارِ وليس الغيار ، وَمَنَعَ النَّاسَ من أَكْلِ الملوخيَّة والجَزْجِيرِ والمُتَوَكُّلِيَّةِ والدَّيْلِيْسِ ، وذَبَحَ الأبقار السَّليمة من العاهة إلَّا في أَيَّام الأَضْحِيَّةِ ، وَمَنَعَ من يَبِعُ الفُقَّاعَ وعمله ألبتة ، وألَّا يَدْخُلَ أَحَدُ الحَمَّامِ إلَّا بِمِغْزَرٍ ، وألَّا تَكْشِفَ امرأةٌ وَجْهَهَا في طَرِيقٍ ولا خَلْفَ جَنَازَةٍ ولا تَتَّبِعَ ، ولا يُبَاعُ شَيْءٌ من السَّمَكِ بغير قِشْرٍ ، ولا يَصْطَاذُهُ أَحَدٌ من الصَّيَّادِينَ وتَتَّبِعَ النَّاسَ في ذلك كُلِّهِ ، وشَدَّدَ فيه ، وضَرَبَ جَمَاعَةً بسَبَبِ مُخَالَفَتِهِمْ ما أَمَرُوا به ونُهوا عنه ممَّا ذُكِرَ^١ .

وخرَجَت العَسَاكِرُ لِقِتَالِ بني قُرَّةِ أَهْلِ البُحَيْرَةِ . وَكَتَبَ على أبواب المساجد وعلى الجوامع بمصر ، وعلى أبواب الحوانيت والحجر والمقابر ، سَبَّ السُّلَفِ ولَعْنَهُمْ ، وأكْرَهَ النَّاسَ على نَقْشِ ذلك وكتابته بالأصباغ في سائر المواضع . وأَقْبَلَ النَّاسُ من سائر النواحي فَدْخَلُوا في الدُّعْوَةَ ، وجُعِلَ لهم يومان في الأسبوع ، وكَثُرَ الأزدحامُ وماتَ فيه جماعةٌ ، وَمَنَعَ النَّاسَ من الخُرُوجِ بعد المغرب في الطُّرُقَاتِ ، وألَّا يَظْهَرَ أَحَدٌ بها لبيع ولا شراء . فخلَّت الطُّرُقُ من المارَّةِ ، وكُسِرَتِ أواني الخُمُورِ ، وأرِيقَت من سائر الأماكن ، واشتدَّ خَوْفُ النَّاسِ بأسيْرِهِمْ ، وقَوِيَتِ السَّنَاعَاتُ وزاد الاضطرابُ . فاجْتَمَعَ كثيرٌ من الكُتَّابِ وغيرِهِمْ تحت القَصْرِ ، وضجُّوا يسألون العَفْوَ . فكَتَبَ عِدَّةُ أماناتٍ لجميع الطُّوائِفِ من أَهْلِ الدُّوَلَةِ وغيرِهِمْ من الباعة والرعيَّةِ^٢ . وأَمَرَ بِقَتْلِ الكِلَابِ فَقُتِلَ منها ما لا يَنْحَصِرُ حتى فُقِدَت^٣ . وفُتِحَت «دارُ الحِكْمَةِ» بالقاهرة وحَمَلَ إليها الكُتُبُ^٤ ، ودَخَلَ إليها النَّاسُ . واشتدَّ الطُّلُبُ على الرُّكَّابِيَةِ المُستخدِمين في الرُّكَّابِ ، وقُتِلَ منهم كثيرٌ ، ثم عفا عنهم

(a) بولاق : زيدان الصقلي .

^١ المقرئزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٥٣ - ٥٤ .

^٢ نفسه ٢ : ٥٤ - ٥٥ ، ٥٦ .

^٣ نفسه ٢ : ٥٦ .

^٤ نفسه ٢ : ٥٦ ، وفيما تقدم ٢ : ٥٠٢ - ٥٠٨ .

وكتب لهم أماناً . ومُنِعَ النَّاسُ كَافَّةً مِنَ الدُّخُولِ مِنْ بَابِ القَاهِرَةِ ، (١) وَهُمْ رِكَابٌ ، وَمُنِعَ المَكَارِيونَ أَنْ يَدْخُلُوا بِحَمِيرِهِمْ إِلَى القَاهِرَةِ (٢) ، وَمُنِعَ النَّاسُ مِنَ المَشْيِ مُلَاصِقِ القَصْرِ ، وَقُتِلَ قَاضِي القُضَاةِ حُسَيْنُ بنِ الثُّعْمَانِ وَأُحْرِقَ بِالنَّارِ ، وَقُتِلَ عَدَدًا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ (٣) .

وَفِي سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ خَرَجَ أَبُو رَكْوَةَ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ ، وَادَّعَى أَنَّهُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ . فَقَامَ بِأَمْرِهِ بَنُو قُرَّةٍ لكَثْرَةِ مَا أَوْقَعَ بِهِمُ الحَاكِمُ وَبَايَعُوهُ ، وَاسْتَجَابَ لَهُ لَوَاثِمَةٌ وَمِزَانَةٌ وَزَنَانَةٌ ، وَأَخَذَ بَرَقَةَ ، وَهَزَمَ جُيُوشَ الحَاكِمِ غَيْرَ مَرَّةٍ وَغَنِمَ مَا مَعَهُمْ . فَخَرَجَ لِقِتَالِهِ القَائِدُ فَضْلُ بنِ صَالِحٍ فِي رَجَبِ الأوَّلِ وَوَأَقَعَهُ ، فَانْهَزَمَ مِنْهُ فَضْلٌ ، وَاسْتَدَّ الاضْطِرَابُ بِمِصْرَ ، وَتَزَايَدَتِ الأَشْعَارُ .

وَاسْتَدَّ الاِسْتِعْدَادُ لِمُحَارَبَةِ أَبِي رَكْوَةَ ، وَنَزَلَتِ العَسَاكِرُ بِالجِيزَةِ ، وَسَارَ أَبُو رَكْوَةَ ، فَوَاقَعَهُ القَائِدُ فَضْلٌ ، وَقُتِلَ عِدَّةٌ مِنْ مَعِهِ . فَعَظُمَ الأَمْرُ ، وَاسْتَدَّ الخَوْفُ ، وَخَرَجَ النَّاسُ فَبَاتُوا بِالشُّوَارِعِ خَوْفًا مِنْ هُجُومِ عَسَاكِرِ أَبِي رَكْوَةَ . وَاسْتَمَرَّتِ الحُرُوبُ ، فَانْهَزَمَ أَبُو رَكْوَةَ فِي ثَالِثِ ذِي الحِجَّةِ إِلَى الفَيْهَوْمِ ، وَتَبِعَهُ القَائِدُ فَضْلٌ - بَعْدَ أَنْ بَعَثَ إِلَى القَاهِرَةِ بِسِتَّةِ آلَافِ رَأْسٍ وَمِائَةِ أُسِيرٍ - إِلَى أَنْ قَبِضَ عَلَيْهِ بِبِلَادِ الثُّوبَةِ ، وَأُخْضِرَ إِلَى القَاهِرَةِ فَقُتِلَ بِهَا ، وَخُلِعَ عَلَى القَائِدِ فَضْلٌ ، وَسُيِّرَتِ البَشَائِرُ بِقَتْلِهِ فِي الأَعْمَالِ (٤) .

وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ أَمَرَ بِمُخَوِّسِ السَّلْفِ ، فَمَجِي سَائِرُ مَا كُتِبَ مِنْ ذَلِكَ (٥) . وَغَلَّتِ الأَشْعَارُ لِنَقْصِ مَاءِ النُّيْلِ ، فَإِنَّهُ بَلَغَ سِتَّةَ عَشَرَ أَصْبُعًا مِنْ سَبْعَةِ عَشَرَ ذِرَاعًا ثُمَّ نَقَصَ (٦) . وَمَاتَ مَنجُوتَكِينُ فِي ذِي الحِجَّةِ (٧) . وَاسْتَدَّ الغَلَاءُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ ، وَوَلِيَ عَلِيَّ بنَ فَلَاحٍ دِمَشْقَ . وَقُبِضَ جَمِيعُ مَا هُوَ مُحَبَّبٌ عَلَى الكِنَائِسِ وَجُعِلَ فِي الدِّيوانِ ، وَأُحْرِقَ عِدَّةٌ صُلْبَانِ

(a-a) هذه العبارة ساقطة من بولاق .

٦٥-٦٦؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ١٨٠-١٨٥؛
المقريزي: اتعاظ الخنفا ٢: ٦٠-٦٧، إغاثة الأمة ٦٤: أبي
المحسن: النجوم الزاهرة ٤: ١٧٩، ٢١٢، ٢١٥-٢١٧؛
عماد الدين إدريس: عيون الأخبار ٦: ٢٥٩-٢٧٢ .

٣ المقريزي: اتعاظ الخنفا ٢: ٦٩ .

٤ نفسه ٢: ٧٠ .

٥ نفسه ٢: ٧٠ .

١ عن نواهي الحاكم وأوامره انظر، أيمن فؤاد: الدولة
الفاطمية في مصر ١٦٧-١٦٩؛ De Smet, D., «Les
interdictions alimentaires de calife al-Hâkim :
Marques de foulie ou annonce d'un règne
messianique» in *Egypt and Syria in the
Fatimid, Ayyubid and Mamluk Eras*, I, pp. 53-
70 (عن النواهي الخاصة بالأطعمة) .

٢ انظر نخبة أبي رَكْوَةَ، الوليد بن هشام بن عبد الملك ابن
عبد الرحمن الأموي، عند ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق

على باب الجامع بمصر، وكُتِبَ إلى سائر الأعمال بذلك^١.

وفي سادس عشر رَجَبِ قُرَّرَ مالِكُ بن سعيد الفارقي في وَظِيفَةِ قَضَاءِ الْقَضَاةِ، وَتَسَلَّمَ كُتِبَ الدُّعْوَةُ الَّتِي تُقْرَأُ بِالْقَضْرِ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ، وَصُرِفَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بن النُّعْمَانِ عن ذلك، وَصُرِفَ قَائِدُ الْقُوَادِ الْحُسَيْنِ بن جَوْهَرِ عَمَّا كَانَ يَلِيهِ مِنَ النَّظَرِ فِي سَابِعِ شَعْبَانَ، وَقُرَّرَ مَكَانَهُ صَالِحُ بن عَلِيٍّ الرَّوْذِبَارِيُّ^(a)، وَقُرَّرَ فِي دِيْوَانِ الشَّامِ مَكَانَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمُؤَصِّلِيُّ الْكَاتِبُ، وَأَمَرَ حُسَيْنُ بن جَوْهَرِ وَعَبْدُ الْعَزِيزُ بَلْزُومِ ذَوْرِيهِمَا، وَمُنِعَا مِنَ الرُّكُوبِ وَسَائِرِ أَوْلَادِهِمَا، ثُمَّ عَقَا عَنْهُمَا بَعْدَ أَيَّامٍ وَأَمَرَ بِالرُّكُوبِ^٢.

وَتَوَقَّفت زِيَادَةُ النَّيْلِ، فَاسْتَسْقَى النَّاسُ مَرَّتَيْنِ، وَأَمَرَ بِإِبْطَالِ عِدَّةِ مُكُوسٍ، وَتَعَدَّرَ وَجُودُ الْخُبْزِ لِعَلَّائِهِ وَقَلَّتِهِ، وَفُتِحَ الْخَلِيجُ فِي رَابِعِ ثَوْتٍ وَالْمَاءُ عَلَى خَمْسَةِ عَشَرَ / ذِرَاعًا، فَاشْتَدَّ الْغَلَاءُ^٣.

وَفِي تَاسِعِ الْمَحْرَمِ - وَهُوَ نِصْفُ ثَوْتٍ - نَقَصَ مَاءَ النَّيْلِ وَلَمْ يُؤَفِّ سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا، فَمُنِعَ النَّاسُ مِنَ التَّظَاهُرِ بِالْغِنَاءِ، وَمِنَ رُكُوبِ الْبَحْرِ لِلتَّفَرُّجِ، وَمُنِعَ مِنَ بَيْعِ الْمُسْكِرَاتِ، وَمُنِعَ النَّاسُ كَافَّةً مِنَ الْخُرُوجِ قَبْلَ الْفَجْرِ وَبَعْدَ الْعِشَاءِ إِلَى الطَّرِيقَاتِ، وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى الْكَافَّةِ لِشِدَّةِ مَا دَاخَلَ مِنْ الْخَوْفِ، مَعَ شِدَّةِ الْغَلَاءِ وَتَزَايُدِ الْأَمْرَاضِ فِي النَّاسِ وَالْمَوْتِ^٤.

فَلَمَّا كَانَ فِي رَجَبٍ انْحَلَّتِ الْأَشْعَارُ^(b)، وَفِي رَمَضَانَ^(c) قَرِئَ سِجْلٌ فِيهِ «يَصُومُ الصَّائِمُونَ عَلَى حِسَابِهِمْ وَيُفْطِرُونَ، وَلَا يُعَارِضُ أَهْلُ الرُّؤْيَةِ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ صَائِمُونَ وَمُفْطِرُونَ، وَصَلَاةُ الْخَمْسِينَ لِلَّذِينَ بَمَا جَاءَهُمْ^(c) فِيهَا يُصَلُّونَ، وَصَلَاةُ الضُّحَى وَصَلَاةُ التَّرَاوِيحِ لَا مَانِعَ لَهُمْ مِنْهَا وَلَا هُمْ عَنْهَا يُدْفَعُونَ، يُخَمَّسُ فِي التَّكْبِيرِ عَلَى الْجَنَائِزِ الْمُخَمَّسُونَ، وَلَا يُنْتَعَمُ مِنَ التَّزْيِيعِ عَلَيْهَا الْمُرْبُوعُونَ، يُؤَذَّنُ بِ«حَيٍّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ» الْمُؤَذَّنُونَ وَلَا يُؤَذَّى مِنْ بَهَا لَا يُؤَذَّنُونَ. لَا يُسَبُّ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ، وَلَا يُحْتَسَبُ عَلَى الْوَاصِفِ فِيهِمْ بَمَا وَصَفَ وَالْحَالِفُ مِنْهُمْ بَمَا حَلَفَ، لِكُلِّ مُسْلِمٍ يَجْتَهِدُ^(d) فِي دِينِهِ اجْتِهَادَهُ»^٦.

(a) بولاق: الروذبادي. (b) زيادة من اتعاظ الحنفا. (c) بولاق: للذي جاءهم. (d) بولاق: مجتهد.

^١ المقرزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٧١.

^٢ نفسه ٢: ٧١-٧٢.

^٣ نفسه ٢: ٧٤.

^٤ نفسه ٢: ٧٦-٧٧.

^٥ نفسه ٢: ٧٨ وفيه أن ذلك كان في شعبان.

^٦ نفسه ٢: ٧٨، وأورد نص هذا السجل بتمامه ابن

خلدون في العبر وديوان المبتدأ والخبر، بولاق ١٢٨٤هـ،

٤: ٦٠-٦١؛ وتدل هذه الإشارة على تغاضي الإمام =

ولُقِّبَ صَالِحُ بْنُ عَلِيِّ الرَّوْذِبَارِيِّ بِـ «ثِقَّةِ ثِقَاتِ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ»، وَأُعِيدَ الْقَاضِي عَبْدُ الْعَزِيزِ ابْنَ التُّعْمَانِ إِلَى النَّظَرِ فِي الْمَظَالِمِ . وَتَزَايَدَتِ الْأَمْرَاضُ وَكَثُرَ الْمَوْتُ وَعَزَّتِ الْأَدْوِيَّةُ ، وَأُعِيدَتِ الْمَكُوسُ الَّتِي رُفِعَتْ ، وَهَدِمَتِ كَنَائِسُ كَانَتْ بِطَرِيقِ الْمَنْسِ ، وَهَدِمَتِ كَنِيسَةٌ كَانَتْ بِحَارَةِ الرُّومِ مِنَ الْقَاهِرَةِ وَنُهَبَ مَا فِيهَا وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْخُدَّامِ وَمِنَ الْكُتَّابِ وَمِنَ الصَّقَالِبَةِ ، بَعْدَمَا قُطِعَتْ أَيْدِي بَعْضِ^(a) مِنَ الْكُتَّابِ بِالسَّاطُورِ عَلَى الْخَشَبَةِ مِنْ وَسْطِ الذُّرَاعِ ، وَقُتِلَ الْقَائِدُ فَضْلُ بْنُ صَالِحٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ^١ .

وَفِي حَادِي عَشْرٍ صَفَرَ صَرَفَ صَالِحُ بْنُ عَلِيِّ الرَّوْذِبَارِيِّ^(b) وَقُرَّرَ مَكَانَهُ ابْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّصْرَانِي الْكَاتِبِ ، فَوَقَعَ عَنِ الْحَاكِمِ وَنَظَرَ ، وَكُتِبَ بِهِمْ كَنِيسَةٌ قُمَامَةٌ ، وَجُدَّدَ دِيْوَانٌ - يُقَالُ لَهُ «الدِّيْوَانُ الْمُفْرَدُ» - بِرَسْمٍ مِنْ يُقْبَضُ مَالُهُ مِنَ الْمُقْتُولِينَ وَغَيْرِهِمْ ، وَكَثُرَتِ الْأَمْرَاضُ ، وَعَزَّتِ الْأَدْوِيَّةُ ، وَشَهَرَ جَمَاعَةٌ وَجَدَّ عِنْدَهُمْ فُقَّاعٌ وَمُلُونَجِيَّةٌ وَدِلِينِسٌ وَتِيرَمَسٌ^(c) وَضَرَبُوا ، وَهَدِمَ دَائِرُ الْقَصْرِ^٢ .

وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى النَّصَارَى وَالْيَهُودِ فِي إِلْزَامِهِمْ لَيْسَ الْغِيَارَ ، وَكُتِبَ إِبْطَالُ أَخْذِ الْخُمْسِ وَالنَّجَاوَى ، وَالْفِطْرَةَ ، وَفَرَ الْحُسَيْنُ بْنُ جَوْهَرَ وَأَوْلَادُهُ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ التُّعْمَانِ ، وَفَرَ أَبُو الْقَاسِمِ الْحُسَيْنُ بْنُ الْمَغْرِبِيِّ . وَكُتِبَتْ^(d) عِدَّةُ أَمَانَاتٍ لِعِدَّةِ طَوَائِفٍ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِمْ ، وَقُطِعَتْ قِرَاءَةُ مَجَالِسِ الْحِكْمَةِ بِالْقَصْرِ ، وَوَقَعَ التَّشْدِيدُ فِي الْمَنَعِ مِنَ الْمُسْكِرَاتِ ، وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْكُتَّابِ وَالْخُدَّامِ وَالْفَرَّاشِينَ ، وَقُتِلَ صَالِحُ بْنُ عَلِيِّ الرَّوْذِبَارِيِّ^(c) فِي شَوَّالٍ^٣ .

(a) بولاق : بعضهم . (b) بولاق : الروذبادي . (c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : كتب .

محمد عبد القادر عبد الناصر ، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة ٣١ (١٩٦٩) ، ١-٥٢ ، De Smet, D., «Comment déterminer le début et la fin du Jeûne de Ramadan? un point de discorde entre sunnite et ismaéliens en Égypte fatimide», dans *Egypt and Syria in the Fatimid, Ayyubide and Mamluk Eras*, I, pp. 71-84 ، وفيما يلي ٣٨٨ ، ٣٩٢-٣٩٣ .

^١ المقرئزي : اتعاط الحنفا ٢: ٧٨-٨٠ .

^٢ نفسه ٢: ٨١ .

^٣ نفسه ٢: ٨١-٨٣ .

= الحاكم بأمر الله عن أخذ أصول المذهب الإسماعيلي . فتبعنا للمذهب الإسماعيلي فإن صوم رمضان وفطره يتم بالرؤية والحساب جميعًا ، واعتبروها كالظاهر والباطن ، إذا أشكل الأمر في أحدهما التمس في الآخر . فالهلال كالظاهر لأنه مُشَاهَدٌ ، والحساب كالباطن لأنه مَفْقُولٌ وهو يُسْتَعْمَلُ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سَنَةٍ ثُمَّ يُرَاعَى طُلُوعُ الْهِلَالِ ، فَإِنْ وَافَقَ الْحِسَابُ الرَّؤْيَةَ فَقَدْ اتَّفَقَ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَزَالَ الْإِشْكَالُ . (راجع حول هذا الموضوع ، المجالس المستنصرية ، تحقيق محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ؛ حميد الكرمانى : الرسالة اللازمة في صوم رمضان وحينه ، تحقيق وتقديم

وفي رابع المحرم سنة إحدى وأربع مائة، صُرف الكافي بن عبّدون عن النّظرِ والتّوقيع، وقُرّر بدله أحمد بن محمد القشوري الكاتب في الوساطة والسّفارة، وحضّر الحسين بن جوهر وعبّد العزيز بن الثّعمان إلى القاهرة فأكرّما، ثم صُرف ابن القشوري بعد عشرة أيّام من استقراره وضربت عنقه، وقُرّر بدله زُرعة بن عيسى بن نسطورس الكاتب النّصراني، ولُقّب بالشّافي^١.

ومنع النّاس من الرّكوب في المراكب في الخليج، وسُدّت أبواب الدّور التي على الخليج والطّاقات المطلّة عليه، وأضيف إلى قاضي القضاة مالك بن سعيد النّظر في المظالم، وأعيدت مجالس الحكمة وأخذ مال النّجوى، وقتل ابن عبّدون وأخذ ماله، وضربت جماعة وشهروا من أجل بيعهم الملوخيّة والسّمك الذي لا قشر له وبسبب بيع النّبذ^٢.

وقتل الحسين بن جوهر وعبّد العزيز بن الثّعمان في ثاني عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وأربع مائة، وأحيط بأموالهما، وأبطلت عدّة مكوس، ومنع النّاس من الغناء واللّهو ومن بيع المغنيات ومن الاجتماع بالصّخراء^٣.

وفي هذه السنة خلّع حشّان بن مفرّج بن دغفل بن الجراح طاعة الحاكم، وأقام أبا الفتح حسين بن جعفر الحسني أمير مكة خليفة، وبايعه ودعا النّاس إلى طاعته ومبايعته، وقاتل عساكر الحاكم^٤.

وفي سنة اثنتين وأربع مائة، منع من بيع الزّيب وكوتب بالمنع من حمله، وألقي في بحر النيل منه شيء كثير وأحرق شيء كثير. ومنع النّساء من زيارة القبور، فلم يُر في الأعياد بالمقابر امرأة واحدة، ومنع من الاجتماع على شاطئ النيل للتّفرج، ومنع من بيع العنب إلا أربعة أرطال فما دونها، ومنع من عصره، وطرح كثير منه وديس في الطّرق، وغرق كثير منه في النيل، ومنع من حمله، وقطعت كروم الجيزة كلّها، وشيّر إلى الجهات بذلك^٥.

وفي سنة ثلاث وأربع مائة نزع السّعر، وازدحم النّاس على الخبز. وفي ثاني ربيع الأوّل منها هلك عيسى بن نسطورس، فأمر النّصارى بلبس السّواد وتعليق صلبان الخشب في أعناقهم، وأن يكون الصليب ذراعًا في مثله، وزنته خمسة أرطال، وأن يكون مكشوفًا بحيث يراه النّاس،

^٤ نفسه ٢: ٨٧.

^١ المقرزي: اتعاط الحنفا ٨٤-٨٥، ٨٦.

^٥ نفسه ٢: ٨٩-٩٢.

^٢ نفسه ٢: ٨٦.

^٣ نفسه ٢: ٨٦-٨٧.

ومنعوا من ركوب الخيل ، وأن يكون رُكوبهم البغال والحَمير بسروج الخشب والسيور السودِ بغير جليّة ، وأن يشدّوا الزنانير ، ولا يستخدموا مُسليماً ولا يشترُوا عبداً ولا أمةً ، وتُبعت آثارهم في ذلك فأسلم منهم عدّة ١ .

وقرر حسين بن طاهر الوزان في الوساطة والتوقيع عن الحاكم في تاسع عشرين ربيع الأول منها ، ولقب «أمين الأمانة» ونقش الحاكم على خاتمه : «بنصر الله العظيم الولي / ينتصر الإمام أبو علي» ، وضرب جماعة بسبب اللعب بالشطرنج وهدمت الكنائس ، وأخذ جميع ما فيها وما لها من الرباع ، وكُتب بذلك إلى الأعمال فهدمت بها ٢ .

وفيهما لحق أبو الفتح بمكة ، ودعا للحاكم وضرب السكة باسمه ٣ .

وأمر الحاكم ألا يقبل أحد له الأرض ، ولا يقبل ركابه ولا يده عند السلام عليه في المواكب ، فإن الانجاء إلى الأرض لخلق من صنيع الروم ، وألا يزداد على قولهم : «السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته» ، ولا يصلي عليه أحد في مكاتبة ولا مخاطبة ، ويقتصر في مكاتبة على سلام الله وتحياته ونوامي بركاته على أمير المؤمنين ، ويدعى له بما يتفق من الدعاء لا غير . فلم يقل الخطباء يوم الجمعة سوى «اللهم صل على محمد المصطفى ، وسلم على أمير المؤمنين علي المرتضى ، اللهم وسلم على أمراء المؤمنين آباء أمير المؤمنين ، اللهم اجعل أفضل سلامك على عبدك وخليفتك» ٤ .

ومنع من ضرب الطبول والأبواق حول القصر ، فصاروا يطوفون بغير طبل ولا بوق ٥ . وكثرت إنعامات الحاكم ، فتوقف أمين الأمانة حسين بن طاهر الوزان في إرضائها . فكتب إليه الحاكم بخطه بعد البسملة :
«الحمد لله كما هو أهله :

[السريع]

أصبحت لا أزجو ولا أتقي
ألا^a إلهي وله الفضل
جددي نبيي وإمامي أبي
وديني الإخلاص والعدل

a) اتعاط الحنفا : سوى .

١ المقرئزي : اتعاط الحنفا ٢: ٩٣-٩٤ ، وفيما يلي

٢ نفسه ٢: ٩٥ .

٤ نفسه ٢: ٩٦ .

٥ نفسه ٢: ٩٦ .

٢: ٤٩٥-٤٩٦ .

٢ نفسه ٢: ٩٤-٩٥ .

المال مال الله عز وجل ، والخلق عباد الله ، ونحن أمناؤه في الأرض . أطلق أزراق الناس ولا تقطعها والسلام»^١ .

وركب الحاكم يوم عيد الفطر إلى المصلى بغير زينة ولا جنائب ولا أبهة ، سوى عشرة أفراس تقاد بشروج ولحم مخللة بفضة بيضاء خفيفة ، وبثود ساذجة ، ومظلة بيضاء بغير ذهب ، عليه نياض بغير طرز ولا ذهب ولا جواهر في عمامته ، ولم يُفرش المنبر ، ومنع الناس من سب السلف ، وضرب في ذلك [رجل]^٢ وشهر ، وصلى صلاة عيد النحر كما صلى صلاة عيد الفطر من غير أبهة ، ونحر عنه عبد الرحيم بن إلياس بن أحمد بن المهدي ، وأكثر الحاكم من الركوب إلى الصخراء بحذاء في رجله وفوطية على رأسه^٣ .

وفي سنة أربع وأربع مائة أُلزم اليهود أن يكون في أعناقهم جرس إذا دخلوا الحمام ، وأن يكون في أعناق النصارى صلبان ، ومنع الناس من الكلام في النجوم ، وأقيم المنجمون من الطرقات ، وطلبوا فتغيّبوا ونفوا . وكثرت هبات الحاكم وصدقاته وعنته ، وأمر اليهود والنصارى بالخروج من مصر إلى بلاد الروم وغيرها^٤ .

وأقيم عبد الرحيم بن إلياس ولي العهد ، وأمر أن يقال في السلام عليه : «السلام على ابن عم أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين» ، وصار يجلس بمكان في القصر ، وصار الحاكم يركب بذراعية صوف بيضاء ، ويتعمم بفوطية وفي رجله حذاء عربي بقبالين ، وعبد الرحيم يتولى النظر في أمور الدولة كلها . وأقرط الحاكم في العطاء ، ورد ما كان أخذ من الضياع والأملاك إلى أزيابها^٥ .

وفي [ثامن عشر]^٦ ربيع الآخر أمر بقطع يدي أبي القاسم الجزجرائي^٧ ، وكان يكتب للقائد عبن ، ثم قطع يد عبن فصار مقطوع اليدين ، وبعث إليه الحاكم بعد قطع يديه بألف من الذهب

(a) زيادة من اتعاظ الحنفا . (b) بولاق : المرجاني .

^١ المقرزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٩٧ .
^٢ نفسه ٢ : ٩٧ - ٩٩ .
^٣ نفسه ٢ : ١٠٠ .
^٤ نفسه ٢ : ١٠٠ - ١٠١ . وعن هذا الموضوع الذي يُعدُّ

خروجنا على أصول المذهب الإسماعيلي الذي يشترط أن تكون الإمامة في الأتقياء ، راجع أمين فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ١٧١-١٧٣ وما ذكر من مراجع و Makarim S.N., «Al-Hâkim bi Amrillâh's Appointment of his Successors», *al-Abhath* 23 (1970), pp. 319-25.

والثياب ، ثم بعد ذلك أمر بقطع لسانه فقطع ، وأبطل عدة مكوس ، وقتل الكلاب كلها ، وأكثر من الركوب في الليل ^١ .

ومنع النساء من المشي في الطرقات ، فلم تُر امرأة في طريق البتة ، وأغلقت حماماتهن ، ومنع الأساكفة من عمل خفافهن ، وتعطلت حوانيتهن . واشتدت الإشاعة بوقوع السيف في الناس فتهاربوا ، وغلقت الأسواق فلم يُبع شيء . ودُعي لعبد الرحيم بن إلياس على المناير ، وضربت السكة باسمه بولاية العهد ^٢ .

وفي سنة خمس وأربع مائة قُتل مالك بن سعيد الفارقي في ربيع الآخر ، وكانت مدة نظره في قضاء القضاة ست سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام ، وبلغ إقطاعه في السنة خمسة عشر ألف دينار . وتزايد ركوب الحاكم حتى كان يزكب في كل يوم عدة مرات ، واشترى الحمير وركبها بدل الخيل ^٣ .

وفي جمادى الآخرة منها قُتل الحسين بن طاهر الوزان ، فكانت مدة نظره في الوساطة سنتين وشهرين وعشرين يوماً ، فأمر أصحاب الدواوين بلزوم دواوينهم . وصار الحاكم يزكب حماراً بشاشية مكشوفة بغير عمامة ، ثم أقام عبد الرحيم بن أبي السيد الكاتب وأخاه أبا عبد الله الحسين في الوساطة والسفارة ، وأقر في وظيفة قضاء القضاة أحمد بن محمد بن أبي العوام ^٤ .

وخرج الحاكم عن الحد في العطاء حتى أقطع نواتية المراكب والمشاعلية وبنو قره ، فمما أقطع الإسكندرية والبحيرة ونواحيهما . وقتل ابني أبي السيد ، فكانت مدة نظريهما اثنتين وستين يوماً . وقتل الوساطة فضل بن جعفر بن الفرات ، ثم قتله في اليوم الخامس من ولايته . وغلب بنو قره على الإسكندرية وأعمالها ^٥ .

وأكثر الحاكم من الركوب ، فزكب في يوم ست مرات : مرة على فرس ، ومرة على حمار ، ومرة في مخفة تحمل على الأعناق ، ومرة في عشاري في النيل بغير عمامة . وأكثر من إقطاع الجند والعبيد الإقطاعات ، وأقام ذا الرياستين قطب الدولة أبا الحسن علي بن جعفر بن فلاح في الوساطة والسفارة ^٦ .

^١ المقرزي : اتعاط الحنفا ١٠١:٢-١٠٢ وفيما يلي

^٣ نفسه ١٠٦:٢-١٠٧ .

٢٩٧:٢-٢٩٨ .

^٤ نفسه ١٠٨:٢ . ^٥ نفسه ١٠٩:٢-١١٠ .

^٦ نفسه ١١٠:٢ .

^٢ نفسه ١٠٣:٢ .

وولي عبد / الرحيم بن إلياس دمشق فسار إليها في جمادى الآخرة سنة تسع وأربع مائة، فأقام فيها شهرين، ثم هجم عليه قوم فقتلوا جماعة ممن عنده، وأخذوه في صندوق وحملوه إلى مصر، ثم أعيد إلى دمشق، فأقام بها إلى ليلة عيد الفطر وأخرج منها^١.

فلما كان لليلتين بقيتا من شوال سنة إحدى عشرة وأربع مائة، فقد الحاكم - وقيل إن أخته قتلتها، وليس بصحيح - وكان عمره ستًا وثلاثين سنة وسبع أشهر، وكانت مدة خلافته خمسًا وعشرين سنة وشهرًا، وكان جوادًا، سفاكًا للدماء، قتل عددًا لا يحصى، وكانت سيرته من أعجب السير، وخطب له على منابر مضر والشام وإفريقية والحجاز.

وكان يشتغل بعلوم الأوائل، وينظر في النجوم، وعمل رصداً، واتخذ بيتاً في المقطم ينقطع فيه عن الناس لذلك. ويقال إنه كان يعتريه جفاف في دماغه، فلذلك كثر تناقضه. وما أحسن ما قال فيه بعضهم: «كانت أفعاله لا تعلل، وأحلامه وساوسه لا تؤول»^٢.

وقال المسبحي: وفي محرم سنة خمس عشرة وأربع مائة، قبض على رجل من بني حسين ثار بالصعيد الأعلى، فأقر بأنه قتل الحاكم بأمر الله في جملة أربعة أنفس تفرقوا في البلاد، وأظهر قطعة من جلدة رأس الحاكم، وقطعة من الفوطة التي كانت عليه. فقيل له: لم قتلتها؟ فقال: غيرة لله وللإسلام؛ فقيل له: كيف قتلتها؟ فأخرج سيكينا ضرب بها فؤاده فقتل نفسه، وقال: هكذا قتلتها. فقطع رأسه، وأنفذ به إلى الحضرة مع ما وجد معه^٣.

وهذا هو الصحيح في خبر قتل الحاكم، لا ما تحكيه المشاركة في كتبهم من أن أخته قتلتها.

جامع الفيحة

هذا الجامع بسطح الجرف المطل على بركة الحبش - المعروف الآن بالرصد - بناء الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي في شعبان سنة ثمان وتسعين^(a) وأربع مائة، وبلغت النفقة على بنائه ستة آلاف دينار^٤.

(a) بولاق: سبعين.

الحنفا ٢: ١٤٠؛ وفيما تقدم ٢: ١٨٩.

المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ١١٤.

٢ نفسه ٢: ١١٧ ومصدره فيه ابن أبي طي.

٤ توفي الوزير الأفضل مقتولاً سنة ٥١٥ هـ/١١٢١ م قبل

٣ المسبحي: أخبار مصر ٢٧-٢٨؛ المقريزي: اتعاظ أن يتم بناء الجامع، فأكماله خلفه الوزير المأمون البطائحي =

وأما قيل له جامع الفيلة لأن في قبليته تسع قباب في أعلاه ذات قناطر، إذا رآها الإنسان من بعيد شبهها بمذرعين على فيلة^١، كالتي كانت تعمل في المواكب أيام الأعياد، وعليها السرير وفوقها المذرعون، أيام الخلفاء.

- ولما كمل أقام في خطايته الشريف الزكي أمين الدولة أبا جعفر محمد بن محمد بن هبة الله ابن علي الحسيني الأنطسي النشابة الكاتب الشاعر الطرابلسي^٢ بعد صرفه من قضاء الغريفة. فلما رقي المنبر في^٣ أول خطبة أقيمت في هذا الجامع، قال: «بسم الله الحمد لله»، وأزج عليه فلم يدر ما يقول. وكان هناك الشيخ أبو القاسم علي بن منجب بن الصيرفي الكاتب وولده مختص الدولة أبو المجد، وأبو عبد الله بن بركات النحوي ووجوه الدولة. فلما أضجر من حضر، نزل عن المنبر وقد حُم، فتقدم قيم الجامع وصلى، ومضى الشريف إلى داره فاعتل ومات^٤.
- وكان قد ولي قضاء عسقلان وغيرها، ثم قدم إلى مصر فولي الحكم بالمحلة، وولي ديوان الأقباس. وكان أحد الأعيان الأدباء العارفين بالنسب، ومن الشعراء المجيدين والنحاة اللغويين. وُلد بطرابلس الشام في سنة اثنتين وستين وأربع مائة، وقدم إلى القاهرة في سنة إحدى وخميس مائة ومدح الأفضل، ومات في سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة وخميس مائة. وقد ترشح للثقافة بمصر ولم يتلها مع تطلعه إليها، وذيل كتاب أبي الغنائم الزيدي النشابة. ومن شعره بديها، وقد نام مع جاريتته على سطوح، فطلع القمر عليهما فازتاعا من كشف الجيران عليهما:

(a) في: ساقطة من بولاق.

- وأقام له ميثرا. (ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة ١٠٦: ابن ميسر: أخبار مصر ٨٤؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨٤:٢٨ (نقلًا عن الشريف الجواني)؛ المقرزي: اتعاض الحنفا ٣: ٧٢، المقفى الكبير ٧: ٩٦).

^١ ابن الزيات: الكواكب السيارة ١٨٣.

^٢ انظر ترجمته عند المقرزي: المقفى الكبير ٧: ٩٦-٩٨.

^٣ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٨٥؛ المقرزي: المقفى الكبير ٧: ٩٧.

مصر القديمة المعروف الآن بجبل إسطنبل عتتر، وكان يغلوه مبنى جدده محمد علي باشا وجعله مخزنًا للبارود باسم بجبخانه أثر النبي. وربما تكون هذه الطاية قد حلت محل

[الطول]

ولما تلاقينا وغاب رقيبنا
ورميت التثكبي في خلوة وفي سر
بدا ضوء بدر فافترقنا لضوئه
فيا من رأى بدرًا يئم على بدر

وأهل المطالب يذكرون أن الأفضل وجد بموضع الصهريج مطلبًا، فحتم عليه شهرًا إلى أن نقله، وعمله صهريجًا وبني عليه هذا المسجد.

وهذا الشرف الذي عليه جامع الفيلة منظره في غاية الحسن لأن في قلبه بركة الحبش، وبستان الوزير المغربي، والعدوية^١ ودير النسطورية، وبئر أبي سلامة - وهي بئر مدورة برسم الغنم - وبئر النعش كان يستقي منها أصحاب الروايا، وهي بجوار حفصة الصغرى، وهي بئر أبي موسى بن أبي حليد. وسُميت بئر النعش لأنها على هيئة النعش، وماؤها يهضم الطعام وهو أصح الأمواه. وشرقي هذا الجبل جبل المقطم، والجبانة والمعافز والقرافة، وآخر الأكلحول، وديحان ورعين والكلاع والأكنوع. وغربي هذا الجبل المعشوق والنيل، وبستان اليهودي إلى الفيلة^(ب)، وطموه والأهرام وراشدة. وبحري هذا الجبل بستان الأمير تميم، وقنطرة خليج بني وائل، ودير المعدلين، وعقبة يحضب، ومحرس قسطنطين، والشرف وغير ذلك.

وهذا الجامع لا تُقام فيه اليوم جمعة ولا جماعة، لخراب ما حوله من القرافة وراشدة، وينزل فيه أحيانًا طائفة من العرب يابلهم يقال لهم المسلمية. وعمًا قليل يذتر كما دتر غيره.

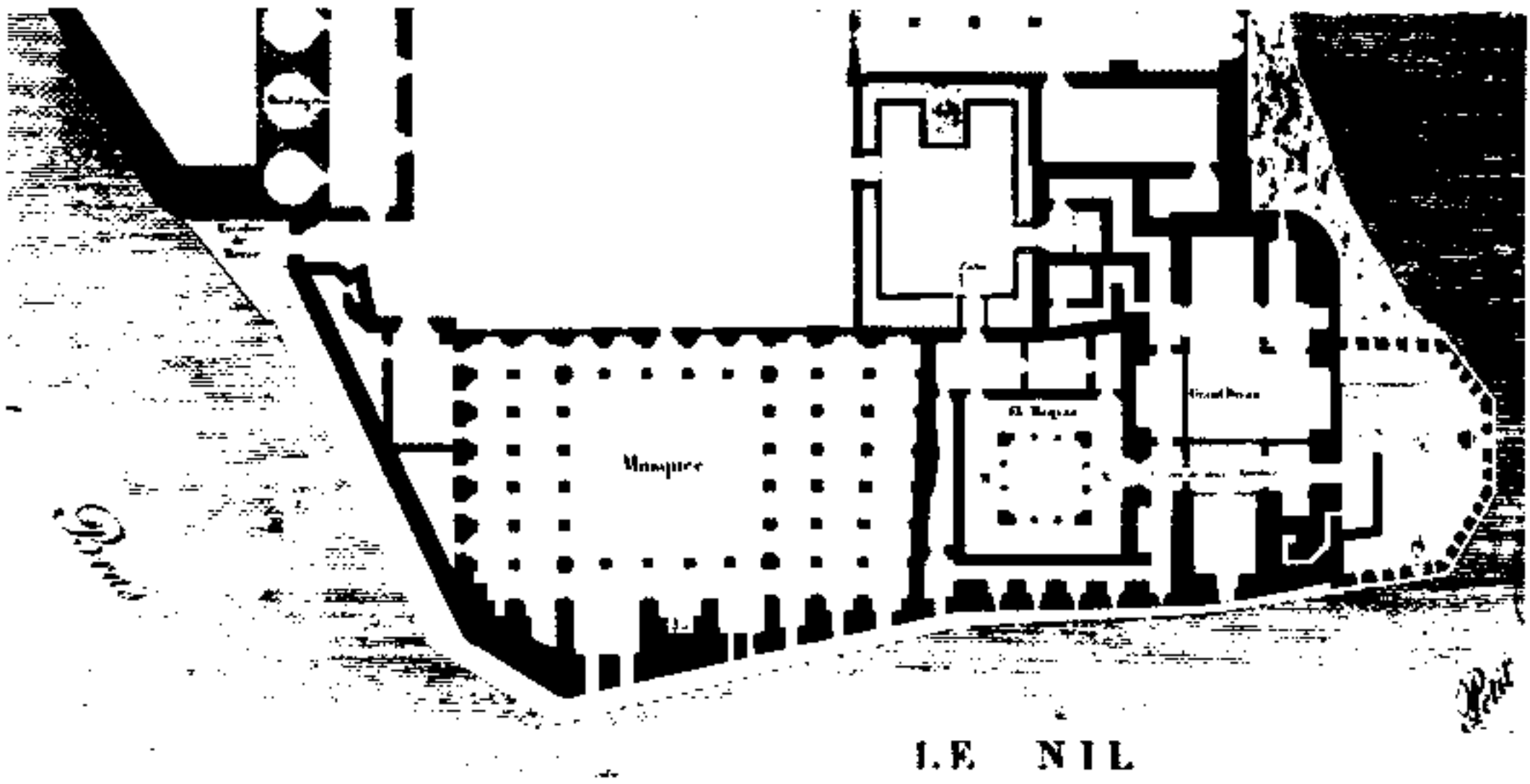
جامع المقياس

هذا الجامع بجوار مقياس النيل من جزيرة القسطنطين أنشأه

(c) ٢

(a) بولاق: الأوسع. (b) بولاق: القبلة. (c) بياض في جميع النسخ.

^١ انظر عن الزاوية العدوية، فيما يلي ٨٢١-٨٢٦.
^٢ ربما يكون هذا الجامع هو نفسه الجامع الذي جدده السلطان الصالح نجم الدين أيوب، والذي ذكره المقرئ (فيما يلي ١٨٠) باسم: جامع الروضة بقلعة جزيرة القسطنطين، ثم هدمه ووسعه السلطان المؤيد شيخ سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م.
أقول: هذا الجامع كان في الأصل جزءًا من مجموعة عمائر أقامها أمير الجيوش بدر الجمالي في رجب سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م حول المقياس عند الطرف الجنوبي لجزيرة الروضة. وقد وهم ابن دقماق فتسبب بناء هذا الجامع إلى ابنه الأفضل شاهنشاه ولم يُعَيَّن السنة التي بُني فيها (الانتصار ٤: ١١٥). ولكن J.J. Marcel - أحد العلماء المصاحبين للحملة الفرنسية - قدم لنا في نهاية القرن الثامن عشر وصفًا تفصيليًا يؤكد الوجود التاريخي لهذا الجامع.



مُخَطَّطُ جَامِعِ الْمِقْيَاسِ الَّذِي شَيَّدهُ بَدْرُ الْجَمَالِيِّ (عَنْ وَصْفِ مِصْرَ)

وَوَلِيهَ مَعَدَّ أَبِي تَيْمِ الْإِمَامِ الْمُشْتَشِيرِ بِاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ وَأَبْنَائِهِ الْأَكْرَمِينَ . مِمَّا أَمَرَ بِإِنشَاءِ هَذَا الْجَامِعِ الْمُبَارَكِ فَتَاهُ الشَّيْخُ الْأَجَلُّ أَمِيرَ الْجَيْوشِ سَيِّفَ الْإِسْلَامِ نَاصِرَ الْإِمَامِ كَافِلَ قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَهَادِي دُعَاةِ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو النَّجْمِ بَدْرُ الْمُشْتَشِيرِيِّ ، عَضُدَ اللَّهِ بِهِ الدِّينَ وَأَمْتَنَعَ بِطَوْلِ بَقَائِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَامَ قُدْرَتَهُ وَأَعْلَى كَلِمَتَهُ فِي رَجَبِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ .

(رَاجِعْ ، أَبُو الْمُحَاسِنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٤ : ٩٩ هـ ٣ ؛ عَلِي مَبَارَكٌ : الْخَطَطُ التَّوْفِيقِيَّةُ ٥ : ٢٧٨ - ٢٨٠ (١٢٢ - ١٢٣) ،

١٨ : ١٣ ؛ Marcel, J.J., «Mémoire sur le Meqyas de l'île de Roudah», *Description de l'Égypte - Etat moderne XV*, Paris 1826, pp. 459-64; van Berchem, M., *CIA Égypte I*, n° 30; Wiet, G., *CIA Égypte II*, pp. 146-46; id., *RCEA VII*, n° 2794, 2796; Creswell, K.A.C., *MAE I*, pp. 217-19; Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 447-51; أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ١ : ٩٠ ؛

أيمن فؤاد : «جامع المقياس بجزيرة الروضة» ، دراسات وبحوث في الآثار والحضارة الإسلامية - الكتاب التذكاري للآثاري عبد الرحمن عبد التواب ، القاهرة ٢٠٠١ ، ٢ : ٩ - ١٨ .

= وللأسف الشديد فقد اختفت جميع هذه العمائر التي شيدتها بذر الجمالي مع التجديدات التي أدخلها عليها كل من الصالح نجم الدين أيوب والمؤيد شيخ الحمودي بعد وصف مارسيل Marcel لها بنحو نصف قرن ، ليحل محلها ومحل قصر الصالح نجم الدين أيوب المجاور لها (فيما تقدم ٣ : ٥٨٢ - ٥٨٤) قصر كبير بناه في سنة ١٢٦٧ هـ / ١٨٥٠ م حسن باشا فؤاد المايشترلي (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥ : ١٢٣) ، ما تزال بقاياها موجودة في الطرف الجنوبي لجزيرة الروضة ويشغله الآن متحف مقتنيات أم كلثوم .

وكان يوجد بالجامع الذي شيدته بذر الجمالي ثلاث لوحات تذكارية تحمل تقريرا نصا واحدا توضح أن أمير الجيوش بذر الجمالي هو الذي أمر ببناء هذا الجامع في رجب سنة ٤٨٥ هـ / أغسطس ١٠٩٢ م في خلافة المشتشير بالله نقلها مارسيل وفيما يلي نص أحدها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ ، ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَأْ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ . نَصَرُ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحَ قَرِيبَ لَعْبِدِ اللَّهِ

الجامع الأحمر^(a)

[الر رقم ٣٣]

قال ابن عبد الظاهر: كان مكانه علافون والحوض مكان المنظرة، فتحدث المأمون ابن البطائحي^(b) في إنشائه جامعًا. فلم يترك قدام القصر دكانًا، وبنى تحت الجامع دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح لا من صوب القصر. وكمل الجامع المذكور في أيامه، وذلك في سنة تسع عشرة وخمس مائة، وذكر أن اسم الأمير والمأمون عليه^(c) إلى الآن. انتهى^(c).

(a) بولاق: جامع الأحمر. (b) هذا نص المسودة والروضة البهية، وفي سائر النسخ: فتحدث الخليفة الأمر مع الوزير المأمون بن البطائحي. (c-c) إضافة من المسودة.

Wiet, G., *CIA Égypte II*, n° 586-87; id., *RCEA* VIII, n° 3011-12؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ٧٦-٧٧؛ Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 524-26; Saifuddin, J.M., *Al-Aqmar - A Living Testimony to the Fatimiyeen*, pp. 132-35.

^٢ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٧٣.

ويُعدُّ هذا الجامع، على صغر حجمه، أحد أهم آثار القاهرة الإسلامية، ويشتمل أهميته من واجهته التي تشتمل على ملامح ذات معنى كبير، أولها توافيقها مع استقامة الطريق المقامة عليه بخلاف الجامع نفسه الذي احتفظ بتوجهه تجاه القبلة، ثم إنها أقدم واجهة حجرية غني بينائها وزخرفتها بسخاء، وهي واجهة كانت تحوي في الأصل جناحين متماثلين على عيين ويسار المدخل البارز عن ستمت الجدار تظهر فيها أشكال المقرنصات لأول مرة في عمارة القاهرة. والجامع ملاصق تمامًا للقصر الفاطمي الكبير لا يفصله عنه سوى ممر ضيق، فأصبح بذلك في قلب الطقوس الاحتفالية للمدينة، وجاءت زخارف واجهته لتعكس التطورات التي أدخلها الوزير المأمون البطائحي على الاحتفالات الفاطمية. وقد دُكر في الحلية الدائرية Médaillon - التي تغلو المدخل الرئيس للجامع والتي =

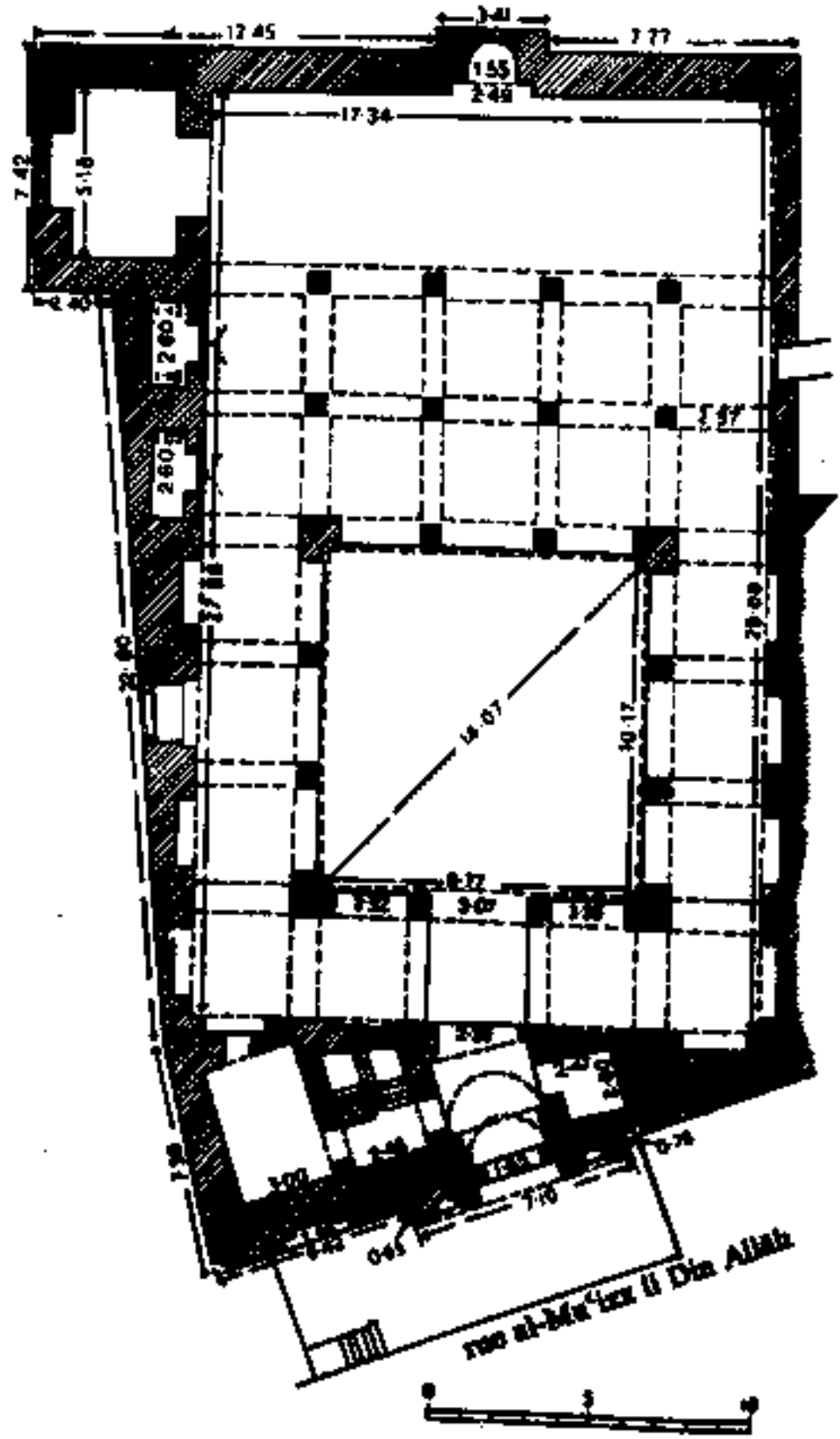
^١ شيد هذا الجامع - كما يُذكر ابن مثير: أخبار مصر ٩١؛ المقريري: تعاضد الحنفا ٣: ٧٧ - في آخر عام ٥١٥هـ/ ١٢٢١م وأفتتح للصلاة في عام ٥١٩هـ/ ١١٢٥م. ويُدلُّ على هذا التاريخ شريطان من الكتابة بالخط الكوفي المزهر البارز، واجد في أعلى الجامع والثاني على مستوى المقرنصات الموجودة في واجهة الجامع، فقد قسّم كبير منها ووضع قسم آخر في غير موضعه، وفيما يلي نص الشريط العلوي، علمًا بأن ما بين المعقوفتين قد قُيد الآن:

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . بِمَا أَمَرَ بِعَمَلِهِ ... فَتَى مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا الْإِمَامِ الْأَمِيرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ بْنِ الْإِمَامِ الْمُشْتَقَلِيِّ] بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَعَلَى آبَائِهِمَا الطَّاهِرِينَ وَأَبْنَائِهِمَا الْأَكْرَمِينَ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقِّ الْمُبِينِ، وَأَقَام ... اللَّهُمَّ أَنْصُرْ جُيُوشَ الْإِمَامِ الْأَمِيرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى كَأَفَّةِ الْمُشْرِكِينَ ... السَّيِّدِ الْأَجَلِّ الْمَأْمُونِ أَمِيرِ الْجُيُوشِ سَيْفِ الْإِسْلَامِ نَاصِرِ الْإِمَامِ] كَافِلِ قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَهَادِي دُعَاةِ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ الْأَمِيرِي عَضُدَ اللَّهِ بِهِ الدِّينَ وَأَمْتَعَ بِطَوْلِ بَقَائِهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَامَ قُدْرَتَهُ وَأَعْلَى كَلِمَتَهُ فِي سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةَ وَخَمْسِ مِائَةٍ ... لِإِقَامَةِ الْبُرْهَانِ.

(van Berchem, M., *CIA Égypte I*, n° 40-41.)

وثمان مائة. وبني على يمينه المِحْرَابُ البَحْرِي مِفْذَنَةً، وَيَبِيضُ الجَامِعِ كُلَّهُ، وَدَهَنَ صَدْرَهُ بِبَلَازُورْدٍ وَذَهَبٍ.

فَقَلْتُ لَهُ: قَدْ أَعْجَبْتَنِي مَا صَنَعْتَ بِهَذَا الجَامِعِ، مَا خَلَا تَجْدِيدَ الخُطْبَةِ فِيهِ وَعَمَلِ بِرُوكَةِ المَاءِ، فَإِنَّ الخُطْبَةَ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهَا هَاهُنَا لِقُرْبِ الخُطْبِ مِنْ هَذَا الجَامِعِ، وَبِرُوكَةِ المَاءِ تُضَيِّقُ الصَّخْرَ، وَقَدْ أُنشِئَتْ مَيْضَاةٌ بِجَوَارِ بَابِهِ الَّذِي مِنْ جِهَةِ الرُّكْنِ المَخْلُوقِ. فَاحْتَجَّ لِعَمَلِ المَيْبَرِ بِأَنَّ ابْنَ الطَّوَيْرِ قَالَ فِي كِتَابِ «نَزْهَةِ المَقْلَتَيْنِ فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَتَيْنِ» عِنْدَ ذِكْرِ جُلُوسِ الخَلِيفَةِ فِي المَوَالِيدِ السُّتَّةِ: وَيُقَدَّمُ خَطِيبُ الجَامِعِ الأَزْهَرِ فَيَخْطُبُ كَذَلِكَ، ثُمَّ يَحْضُرُ خَطِيبُ الجَامِعِ الأَقْمَرِ وَيَخْطُبُ كَذَلِكَ^١. قَالَ: فَهَذَا أَمْرٌ قَدْ كَانَ فِي الدَّوْلَةِ الفَاطِمِيَّةِ، وَمَا أَنَا بِالَّذِي أَحَدَّثْتُهُ، وَأَمَّا البِرُوكَةُ فَفِيهَا عَوْنٌ عَلَى الصَّلَاةِ لِقُرْبِهَا مِنَ المُصَلِّينِ. وَجَعَلَ فَوْقَ المِحْرَابِ لَوْحًا مَكْتُوبًا فِيهِ مَا كَانَ فِيهِ أَوَّلًا، وَذَكَرَ فِيهِ تَجْدِيدَهُ لِهَذَا الجَامِعِ، وَرَسَمَ فِيهِ نُعُوتَهُ وَأَلْقَابَهُ، وَجَدَّدَ



مُخَطَّطُ الجَامِعِ الأَقْمَرِ (عَنْ Creswell)

أَيْضًا حَوْضَ هَذَا الجَامِعِ الَّذِي تَشْرَبُ مِنْهُ الدَّوَابُّ، وَهُوَ فِي ظَهْرِ الجَامِعِ تَجَاهَ الرُّكْنِ المَخْلُوقِ.

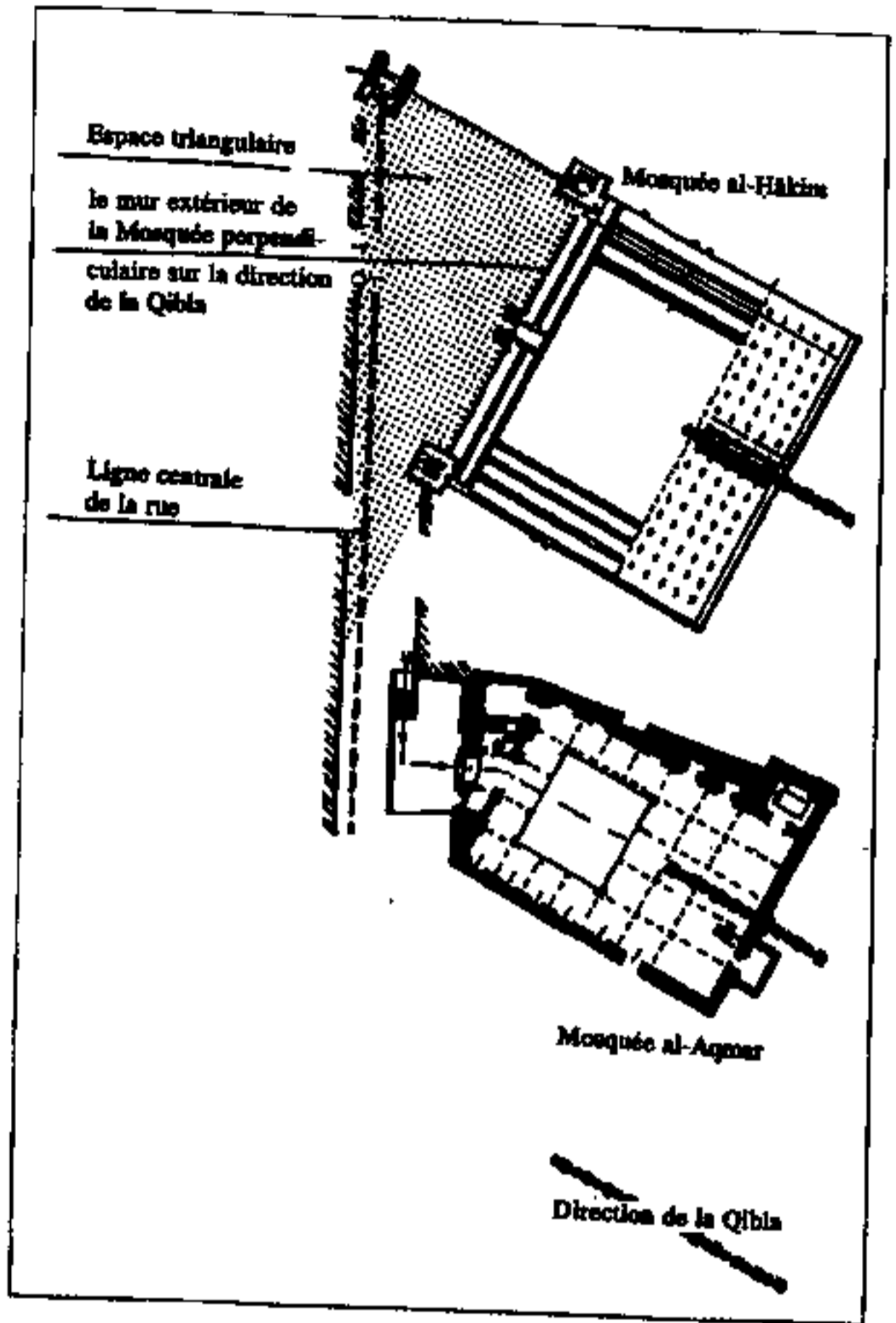
تسع وتسعين وسبع مائة. وكان بُنِيَ هَذَا الجَامِعُ عَلَى أَيَّامِ الخَلِيفَةِ الأَمِيرِ بِأَحْكَامِ اللهِ بْنِ المَشْتَقِ بِاللهِ فِي سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةَ وَخَمْسِ مِائَةٍ مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ. (van Berchem, M., CIA Égypte I, n° 41; Wiet, G., CIA Égypte II, n° 587; id., RCEA VIII, n° 3012 الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١٧٢ Fu'ad Sayyid, (A., op.cit., p. 526

^١ ابن الطوير: نزهة المقلتين ٢١٩.

= تَدُلُّ عَلَى تَجْدِيدِ المَيْبَرِ وَالمَنَارَةِ الَّذِي قَامَ بِهِ الأَمِيرُ بَلْبَغَا الشَّامِي نَصْهَا:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآيَةُ ٢٦١ سُورَةُ البَقَرَةِ - صَدَّقَ اللهُ العَظِيمِ. أَمَرَ بِعَمَلِ هَذَا المَيْبَرِ وَالمَنَارَةِ وَغَيْرِهِ بَعْدَ ائْتِدَائِهِ فِي أَيَّامِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ المَلِكِ الظَّاهِرِ أَبِي سَعِيدٍ بِرُفُوقِ حَرَسِ اللهِ بِعَمَلِهِ العَبْدُ الفَقِيرُ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَبُو المَعَالِي عَيْدِ اللهِ بَلْبَغَا الشَّامِي الحَقِّي الصُّوفِي لَطَفَ اللهُ بِهِ فِي الدَّارَيْنِ وَجَعَلَهُ ... آمِينَ آمِينَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ المَعْظُمِ سَنَةِ

وبئر هذا الجامع قديمة قبل الملة الإسلامية ، كانت في دَيْر من ديارات النَّصارَى بهذا الموضع . فلما قَدِمَ القَائِدُ جَوْهَرُ بجيوش المُعزِّ لدين الله ، في سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائة ، أدخل هذا الدَيْرَ في القَصْر - وهو مَوْضِعُ الرُّكْنِ المَخْلُوقِ تِجَاهَ الحَوْضِ المذكور - وجَعَلَ هذه البِئْرَ مِمَّا يُتَّقَعُ به في القَصْرِ ؛ وهي تُعْرَفُ بِبِئْرِ العِظَامِ ، وذلك أَنَّ جَوْهَرَ نَقَلَ من الدَيْرِ المذكورِ عِظَامًا كانت فيه من رِجْمِ قَوْمٍ يُقالُ إِنَّهم من الحَواريين ، فسُمِّيَتْ بِبِئْرِ العِظَامِ ، والعامَّةُ تقولُ إلى اليوم بِبِئْرِ العِظَمَةِ ، وهي بِئْرٌ كبيرة في غاية السَّعَةِ . وأوَّلُ ما أُعْرِفُ من إِضافَتِها إلى الجامعِ الأَقْمَرِ أَنَّ العِمادَ الدُّمياطيَّ رَكَّبَ على فُوهَتِها هذه المحالَّ التي بها الآن ، وهي من جَيِّدِ المحالَّ ، وكان تركيبها بعد السبع مائة في أَيَّامِ قاضي القضاة عِزِّ الدِّينِ عبد العزيز ابن جماعة الشافعي .



وبهذا الجامع دَرَسَ ^(a) للشافعية ولا أُعْرِفُ من رَتَّبته ، وهو مُسْتَمِرٌّ به إلى الآن وكان بيد قاضي القضاة بَدْرِ الدِّينِ بن جماعة الشافعي ثم بيد أولاده من بَعْدِهِ وهو إلى الآن ^(a) من قديم الزَّمان . ولم تَزَلْ مِثْدَنَّتْها التي جَدَّها السَّالِمِيَّ والبِرْكَةُ إلى سنة خمس عشرة وثمان مائة ، فوَلِيَّ نَظَرَ الجامعِ بعضُ الفُقهاء ، فرأى هَدْمَ المِثْدَنَةِ من أَجْلِ

اتباع الواجهة الرئيسة للجامع الأقمَرِ بَحْطُ تنظيمِ الطَّرِيقِ

مِثْلِ حَدَثٍ بها فَهَدَمَهَا ، وأَبْطَلَ الماءَ من البِرْكَةِ لإفْسَادِ الماءِ بِمُرورِهِ جِدَارِ الجامعِ القِبْلِيِّ . والحُطْبَةُ قائِمةٌ به إلى الآن .

أبو علي المَنصُورِ ابنِ المُسْتَعْلِيِّ بالله أبي القاسم أحمد بن المُسْتَنصِرِ بالله أبي تميم مَعَدِّ بن الظَّاهِرِ لإعزازِ دينِ الله أبي الحسن علي بن الحاكِمِ بأمرِ الله أبي

الأمرِ بأحكامِ الله

عليّ منصور^١ - وُلِدَ يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم سنة تسعين وأربع مائة، وبُوع له بالخِلافة يوم مات أبوه وهو طفلٌ له من العُمُر خمس سنين وشهر^(a) وأيام في يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة خمس وتسعين. أحضره الأفضل بن أمير الجيوش وبيع له ونصّبته مكان أبيه، ونعتّه بـ «الأمير بأحكام الله».

٥ ورَكِبَ الأفضلُ فرسًا وجعلَ في السرجِ شيئًا وأزكبه عليه ليئتمو شخصُ الأمير، وصارَ ظهره في حجر الأفضل، فلم يزل تحت حجره حتى قتل الأفضل ليلة عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمس مائة. فاستوزر بعده القائد أبا عبد الله محمد / بن فاتك البطائحي، ولقبته بـ «المأمون» فقام بأمر دولته إلى أن قبض عليه في ليلة السبت رابع شهر رمضان سنة تسع عشر وخمس مائة^٢.

١٠ فتفرغ الأمير لنفسه، ولم يبق له ضد ولا مداح^(b)، وبقي بغير وزير، وأقام صاحب ديوان: أحدهما جعفر بن عبد المنعم^(c) ابن أبي قيراط^(c)، والآخر سامري يُقال له أبو يعقوب إبراهيم، ومعهما مستوفٍ يُعرف بابن أبي نجاح كان راهبًا.

١٥ ثم تحكّم هذا الراهب في الناس وتمكّن من الدواوين، فابتدأ في مطالبة النصارى، وحقّق في جهاتهم الأموال وحملها أولًا فأولًا. ثم أخذ في مصادرة بقيّة المباشرين والمعاملين والضمّاء والعمّال، وزاد إلى أن عمّ ضرره جميع الرؤساء والقضاة والكتّاب والشوقة، بحيث لم يخل أحدٌ من ضرره. فلما تفاقم أمره قبض عليه الأمير، وضرب بالثعال حتى مات بالشُرطة، فجُرّ إلى كوزي الجسر وشمر على لوح وطرح في النيل وجذف حتى خرج إلى البحر الملح^٣.

(a) بولاق: أشهر. (b) بولاق: مزاحم. (c-c) ساقطة من بولاق.

^١ راجع ترجمة الأمر بأحكام الله عند، ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة (القسم الخاص بالفاطميين) ٨٧-٩٣؛ ابن ميسر: أخبار مصر ٧٠-١١٢؛ النويري: نهاية الأرب ٢٧٤:٢٨-٢٩٦؛ ابن أبيك: كثر الدرر ٦:٤٦١-٥٠٥؛ المقرئ: اتعاظ الخنفا ٣:٢٩-١٣٣؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٥:١٧٠-١٨٥؛ جمال الدين الشيال: مجموعة الوثائق الفاطمية ٤١-٦٧، ١٩٣-٢٣٠، Stern, S. M., *El² art. al-Âmir bi Ahkâm Allâh, I, pp. 372-72* أمين فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٢٢٦-٢٥٣. ^٢ فيما تقدم ٢:٥١٣-٥١٥. ^٣ راجع، أمين فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٢٣٩-٢٤١ وما ذكر من مصادر ومراجع.

فلما كان يوم الثلاثاء رابع عشر ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمس مائة، وثب جماعة على الأمير وقتلوه كما ذكر عند خبير الهودج^١. وكان كريماً سمحاً إلى الغاية، كثير التزهد، مجتنباً للمال والزينة؛ وكانت أيامه كلها لهواً وعبثة راضية لكثرة عطائه وعطاء حواشيه، بحيث لم يوجد بمصر والقاهرة إذ ذاك من يشكو زمانه البتة إلى أن نكذ بالزاهب على الناس، فقبحت سيرته وكثر ظلمه واغتصابه للأموال.

وفي أيامه ملك الفيرنج كثيراً من المعامل والحضون بسواحل الشام. فملكك عكا في شعبان سنة سبع وتسعين، وعزقة^٢ في رجب سنة اثنتين وخمس مائة، وطرابلس في ذي الحجة منها، وبانياس وجبيل وقلعة تينين فيها أيضاً، وملكوا صور في سنة ثمان عشرة وخمس مائة^٣. وكثرت المرافعات في أيامه، وأحدثت رسوم لم تكن، وعمّر الهودج بالروضة ودكة بيركة الحبش، وعمّر تيس ودمياط، وجدّد قصر القرافة. وكانت نفسه تُحدّثه بالسفر والغارة إلى بغداد، ومن شعره في ذلك^٤:

[الطويل]

دع اللوم عني لست مني بموثق فلا بُدّ لي من صدمة المتحقق
وأسقي جيادي من فراتٍ ودجلة وأجمع شمل الدين بعد التفريق

وقال:

[الطويل]

أما والذي حجّت إلى ركن بيته جراثيم رُكبان مُقلّدة شُهبا
لأقتحمّ الحرب حتى يقال لي ملكت زمام الحرب فاعتزل الحربا
ويتزل روح الله عيسى بن مريم فيرضى بنا صحبنا ونرضى به صحبنا

وكان أسمر شديد السمرة، يحفظ القرآن ويكتب خطاً ضعيفاً. وهو الذي جدّد رسوم الدولة وأعاد إليها بهجتها بعدما كان الأفضل أبطل ذلك ونقل الدواوين والأسمطة من القصر بالقاهرة إلى دار الملك بمصر، كما ذكر هناك^٤.

(a) بولاق: غزة.

^١ المقتلين ١٩؛ المقرئ: اتعاط الحنفا ٢: ١٣٢؛ أبو المحاسن:

فيما تقدم ٢: ٥٨٠، ٣: ٥٨١.

النجوم الزاهرة ٤: ١٩٦، وفيما تقدم ٢: ٣٨٣.

^٢ راجع، أمين فؤاد: المرجع السابق ٢٢٩-٢٣٠.

^٤ فيما تقدم ٢: ٥٧٣-٥٧٦.

^٣ ابن ميسر: أخبار مصر ١١٢؛ ابن الطوير: نزهة

وقضائه : ابن ذكّا النَّابُلُسي ، ثم نِعْمَة بن بَشِير ، ثم الرَّشيد محمد بن قاسم الصَّقْلِي ، ثم المجلس نِعْمَة بن بَشِير النَّابُلُسي ، ثم صَرَفَه ثانيًا بمُسلم بن الرَّشعني ، وعَزَلَه بأبي الحَجَّاج يُوسُف ابن أَيوب المغربي ثم مات ، فولَّى محمد بن هِبَة الله بن مُيَسَّر . وكُتِّبَتْ إنشائه : سناء الملك أبو محمد الزَّيْدِي^a الحَسَنِي ، والشَّيخ أبو الحَسَن بن أبي أسامة ، وتاج الرئاسة أبو القاسم بن الصَّيْرَفِي ، وابن أبي الدَّمِ اليَهُودِي . وكان نَقَشُ خاتمه «الإمامُ الأميرُ بأحكامِ الله أمير المؤمنين» ، ووقَّع في آخِرِ أَيامه غَلاءَ قَلِقَ النَّاسُ منه .

وكان جريئًا على سَفْكِ الدَّماءِ وازتكاِبِ المَحْظوراتِ واستيخسانِ القَبائِحِ . وقُتِلَ وعُمُرُه أربَع وثلاثون سنة وتسعة أشهر وعشرون يومًا : منها مُدَّةُ خِلافته تسع وعشرون سنة وثمانية أشهر ونصف ، وما زال مَحْجُورًا عليه حتى قُتِلَ الأَفْضَلُ . وكان يَزُكُّبُ لِلنَّزْهَة دائِمًا عندما استَبَدَّ في يومي السبت والثلاثاء ، وَيَتَحَوَّلُ في أَيامِ النَّيْلِ بِحَرَمِهِ إلى اللُّؤلؤة على الخَلِيجِ^١ ، واختصَّ بِغَلامِيه بَرَعَشَ وهَزَّارَ المُلُوكِ^٢ .

أبو المعالي عبد الله الأمير سيف الدين الحنفي الصوفي الظاهري^٣ - كان اسمه في بلاطه يُوسُف ، وهو حُرُّ الأَصْل ، وأباؤه مُسْلِمُونَ . فلَمَّا جَلِبَ من بلادِ المَشْرِيقِ سُمِّيَ يَلْبِغَا ، وقيل له السَّالِمِي نِسْبَةً إلى سَالِمِ تاجرِه الذي جَلَبَه . فترقَّى في خِدمِ السُّلطانِ الملكِ الظَّاهِرِ بَرَقُوقِ إلى أن وُلِّاه نَظَرَ الخانكاهِ الصَّلاحية^b سَعِيدِ السُّعْداءِ في ثامن عشر جُمادى الآخِرة سنة سبع وتسعين وسبع مائة ، فأخْرَجَ كِتابَ الوَقْفِ ، وقَصَدَ أن يَعمَلَ بِشَرْطِ الواقِفِ وأخْرَجَ منها جَماعَةً من بياضِ النَّاسِ . فجزت أُمُورٌ ذُكِرَتْ في خَبَرِ الخانكاهِ^c .

(a) بولاق : الزبيدي . (b) بولاق : خانقاه صلاح . (c) بولاق : الخانقاه .

^١ فيما تقدم ٢ : ٥٣١ : ٥ - ٦ . السلوك ٤ : ٨٨ ؛ ابن حجر : ذيل الدرر الكامنة ٢٠٠ -
^٢ فيما تقدم ٢ : ٢٠٠ ، ٣٤٩ . ٢٠١ ، إنباء الغمر ٢ : ٤١٧ - ٤١٨ ؛ أبي المحاسن : النجوم
^٣ راجع ترجمة الأمير سيف الدين أبي المعالي يلبغا السالمي الظاهري بَرَقُوقِ ، الذي مات حَقًّا بالإشكَنْدرية سنة ٨١١هـ / ١٤٠٨ ، عند المقرئ : درر العقود الفريدة
^٣ فيما يلي ٧٣٠ ، وفي درر العقود الفريدة : ذكرتها عند ذكر الخوانك من كتاب الموايعظ والاعتبار بذكر الخيط والآثار .

وفي سابع عشرين صَفَرَ سنة ثمان مائة ، أَنْعَمَ عليه الملكُ الظَّاهِرُ بِإِمْرَةِ عَشْرَةِ عَوْضًا عن الأمير بهادر فطيس ، ^(a) بِحُكْمِ انْتِقَالِهِ ^(a) إلى إمْرَةِ طَبْلَخَانَاةٍ ، ثم جَعَلَهُ نَاطِرًا على الخانقاهِ الشَّيْخُونِيَّةِ بالصُّلَيْبِيَّةِ في تاسعِ شَعْبَانَ سنة إحدى وثمان مائة . فَعَسَفَ بِمُبَاشَرِيهَا ، وَأَرَادَ حَمْلَهُمْ على مُرِّ الحَقِّ فَتَفَرَّتْ مِنْهُ القُلُوبُ .

٥ / ولَمَّا مَرَضَ الظَّاهِرُ ^(b) جَعَلَهُ أَحَدَ الأَوْصِيَاءِ على تَرْكِتِهِ ، فَقَامَ بِتَحْلِيْفِ المَمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ للملكِ النَّاصِرِ فَرَجِ بنِ بَرْقُوقٍ ، وَالإِنْفَاقِ عَلَيْهِمْ بِحَضْرَةِ النَّاصِرِ ، فَأَنْفَقَ عَلَيْهِمْ كُلُّ دِينَارٍ مِنْ حِسَابِ أَرْبَعَةِ وَعَشْرِينَ دِرْهَمًا . ولَمَّا انْقَضَتِ النَّفَقَةُ نُودِيَ فِي البَلَدِ أَنْ يَكُونَ ^(c) صَرْفُ كُلِّ دِينَارٍ ثَلَاثُونَ دِرْهَمًا ، وَمِنْ امْتِنَعَ نُهَبَ مَالُهُ وَعُوقِبَ ، فَحَصَلَ لِلنَّاسِ مِنْ ذَلِكَ شِدَّةٌ .

١٠ وكان قد كَثُرَ القَبْضُ على الأَمْرَاءِ بعدَ مَوْتِ الظَّاهِرِ ، فَتَحَدَّثَ معَ الأميرِ الكَبِيرِ أَيْتَمُشَ ، القَائِمِ بِتَدْبِيرِ دَوْلَةِ النَّاصِرِ فَرَجِ بعدَ مَوْتِ أَبِيهِ ، فِي أَنْ يَكُونَ على كُلِّ أميرٍ مِنَ المَقْدُمِينَ : خَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَعلى كُلِّ أميرٍ مِنَ الطَّبْلَخَانَاتِ ^(d) : عَشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَعلى كُلِّ أميرٍ عَشْرَةَ : خَمْسَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَعلى كُلِّ أميرٍ خَمْسَةَ : أَلْفَا دِرْهَمٍ وَخَمْسَ مِائَةِ دِرْهَمٍ . فَرُسِمَ بِذَلِكَ وَعُمِلَ بِهِ مُدَّةَ أَيَّامِ النَّاصِرِ ، وَحَصَلَ بِهِ رِفْقٌ لِلأَمْرَاءِ وَمُبَاشَرِيهِمْ .

١٥ ثم خُلِعَ عَلَيْهِ وَاسْتَقَرَّ أَسْتَاذُ السُّلْطَانِ ، عِوَضًا عن الأميرِ الوَازِرِ تاجِ الدِّينِ عبدِ الرَّزَّاقِ بنِ أَبِي الفَرَجِ المَلِكِيِّ فِي يَوْمِ الاثْنِينِ ثَلَاثَ عَشْرِينَ ذِي القَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ المَذْكُورَةِ . فَأَبْطَلَ تَعْرِيفَ مُنِيَّةِ بَنِي نَحْصِيبٍ ، وَضَمَانَ العَرِضَةِ وَأَخْصَاصَ العَسَالِينَ ^(e) ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ مَرُشُومًا سُلْطَانِيًّا ، وَبَعَثَ بِهِ إلى وَالِي الأَشْمُونِيِّنَ ، وَأَبْطَلَ وَفَرَ ^(f) الشُّونَ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَمَا كَانَ مُقَرَّرًا على البَرْدَدَارِ وَهُوَ فِي الشَّهْرِ سَبْعَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَمَا كَانَ مُقَرَّرًا على مُقَدِّمِ المُسْتَخْرَجِ وَهُوَ فِي الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

٢٠ وَكَانَتْ سَمَاسِرَةُ الغِلالِ تَأْخُذُ مِمَّنْ يَشْتَرِي شَيْئًا مِنَ الغَلَّةِ على كُلِّ أَرْدَبٍ دِرْهَمِينَ سَمْسِرَةَ وَكِيَالَةَ وَلِوَاخَةَ وَأَمَانَةَ ، فَأَلْزَمَهُمْ أَلَّا يَأْخُذُوا عَنْ كُلِّ أَرْدَبٍ سِوَى نِصْفِ دِرْهَمٍ ، وَهَدَّدَ على ذَلِكَ بِالغَرَامَةِ وَالعُقُوبَةِ . وَرَكِبَ فِي صَفَرَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِ مِائَةٍ إلى نَاحِيَةِ المُنِيَّةِ وَشَبْرَا الخَيْمَةِ مِنَ الصُّوَاخِيِّ بِالقَاهِرَةِ ، وَكَسَرَ مِنْهَا مَا يَنِيْفُ على أَرْبَعِينَ أَلْفَ جِرَّةٍ خَمْرٍ ، وَخَرَّبَ بِهَا كَنِيْسَةً كَانَتْ لِلنَّصَارِيِّ ، وَحَمَلَ عِدَّةَ جِرَارٍ فَكَسَرَهَا تَحْتَ قَلْعَةِ الجَبَلِ وَعلى بَابِ زَوَيْلَةَ ،

(a-a) بولاق : ثم نقله . (b) في درر العقود الفريدة : فلما مات السلطان . (c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق :

الطبلخاناة . (e) بولاق : الكيالين . (f) بولاق : وفر .

وَسَدَّدَ عَلَى النَّصَارَى، فَلَمْ يُمَكِّنْهُ أَمْرَاءُ الدَّوْلَةِ مِنْ حَمْلِهِمْ عَلَى الصَّغَارِ وَالْمَدَلَّةِ فِي مَلْبَسِهِمْ .
وَأَمَرَ فَضْرِبَ الذَّهَبُ، كُلُّ دِينَارٍ زَنْتَهُ مِثْقَالٌ وَاحِدٌ، وَأَرَادَ بِذَلِكَ إِبْطَالَ مَا حَدَّثَ مِنَ الْمَعَامَلَةِ
بِالذَّهَبِ الْإِفْرَنْجِيِّ^١ فَضْرِبَ ذَلِكَ، وَتَعَامَلَ النَّاسُ بِهِ مُدَّةً، وَصَارَ يُقَالُ «دِينَارٌ سَالِمِي»^(a)، إِلَى أَنْ
ضْرِبَ النَّاصِرُ فَرَجَ دَنَانِيرَ وَسَمَّاها «النَّاصِرِيَّة»^٢، وَصَارَ يَتَحَكَّمُ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ . فَقَلَّقَ مِنْهُ
أَمْرَاءُ الدَّوْلَةِ وَقَامُوا فِي ذَلِكَ، فَمُنِعَ مِنَ الْحُكْمِ إِلَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالذُّيُوانِ الْمَفْرُودِ وَغَيْرِهِ مِمَّا هُوَ مِنْ لَوَازِمِ
الْأُسْتَاذَارِ .

(a) فِي دَرَرِ الْعُقُودِ الْفَرِيدَةِ : وَأَمَرَ بِضْرِبِ الذَّهَبِ الْإِفْرَنْجِيِّ الَّذِي هُوَ مِنْ ضْرِبِ الْفَرَجِ وَعَلَيْهِ شَعَارُ النَّصْرَانِيَّةِ، فَرَجَ دِينَارُهُ
وَعَرِفَ بِالذُّيَانِ السَّالِمِيِّ .

^٢ الدِّينَارُ السَّالِمِيُّ هُوَ الدِّينَارُ الَّذِي أَمَرَ بِضْرِبِهِ فِي سَنَةِ
٨٠٣هـ/١٤٠٠مِ الْأَمِيرُ يَلْبَغَا السَّالِمِيُّ، وَهُوَ دِينَارٌ ذَهَبٌ مُخَرَّرٌ
الْوِزْنَ زِنَةُ كُلِّ دِينَارٍ مِنْهُ مِثْقَالٌ، وَرَبْمَا كَانَ مِنْهَا مَا زَنْتَهُ مِثْقَالٌ
وَنَصْفٌ أَوْ مِثْقَالَانِ، وَرَبْمَا كَانَ نِصْفَ مِثْقَالٍ أَوْ رُبْعَ مِثْقَالٍ .
وَالْغَالِبُ فِيهَا نَقْصُ أَوْزَانِهَا، وَكَانَ هَذَا النَّقْصُ فِي نَظَرِ كُلْفَةِ
ضْرِبِهَا . وَكَانَ فِي وَسْطِ هَذِهِ الدَّنَانِيرِ دَائِرَةٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا
«فَرَجٌ»، وَكَانَ يُتَعَامَلُ بِهِ عَدَدًا .

وَفِي سَنَةِ ٨٠٨هـ/١٤٠٥مِ ضْرِبَ أَوَّلُ دِينَارٍ مِنَ «الدَّنَانِيرِ
النَّاصِرِيَّةِ» الَّتِي ضْرِبَهَا السُّلْطَانُ النَّاصِرُ فَرَجٌ، وَهِيَ دَنَانِيرٌ
عَلَى زِنَةِ الدَّنَانِيرِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ، فِي أَحَدِ وَجْهَيْهَا «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»، وَعَلَى الْوَجْهِ الْآخَرِ اسْمُ السُّلْطَانِ
النَّاصِرِ فَرَجٍ، وَفِي وَسْطِهَا سَقَطٌ مُسْتَطِيلٌ بَيْنَ خَطَّيْنِ،
وَصَارَتْ أَكْثَرُ الْمَعَامَلَاتِ تَتِمُّ بِهَذِهِ الدَّنَانِيرِ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا
يُنْقِصُونَهَا عَنِ الدَّنَانِيرِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ . وَهُوَ أَوَّلُ دِينَارٍ
مِصْرِيٍّ يَزِنُ أَقْلَ مِنَ الْوِزْنِ التَّقْلِيدِيِّ . (رَاجِعْ، الْقَلْقَشَنْدِي :
صَبْحُ الْأَعْشَى ٣: ٤٣٧-٤٣٨؛ الْمَقْرِيزِيُّ : السُّلُوكُ
٣: ١٠٤١، ١٠٥٥، ١٦٥: ٤-١٦٦، ٩٤١-٩٤٤،
إِغَاثَةُ الْأُمَّةِ ٧١-٧٢، وَرَاجِعْ كَذَلِكَ الدِّرَاسَةَ الْهَامَةَ لِوَلِيمِ
بُورِ Popper, W., *Egypt and Syria under the
Circassian Sultans 1382-1466 A.D.*, University of
California Press 1957, pp. 45-79؛ وَأَيْضًا دَرِاسَاتُ =

^١ الذَّهَبُ الْإِفْرَنْجِيُّ (وَيُقَالُ لَهُ الْإِفْرَنْجِيُّ وَالْأَفْلُورِيُّ
وَالْبِنْدُوقِيُّ وَأَيْضًا الدُّوكَاةُ أَوْ الدُّوكَاتُ - وَهُوَ مُضْطَلَعٌ يُطْلَقُ
عَلَى الْأَخْصَصِ عَلَى مَا ضْرِبَ مِنْهَا فِي الْبِنْدُوقِيَّةِ)، هُوَ الذَّهَبُ
الْمَجْلُوبُ مِنَ بِلَادِ الْإِفْرَنْجِ . وَكَانَ يُطْلَقُ عَلَيْهِ كَذَلِكَ الدَّنَانِيرِ
الْمُشَخَّصَةِ لِأَنَّهُ - عَلَى عَكْسِ الدَّنَانِيرِ الْإِسْلَامِيَّةِ - كَانَتْ
تُوجَدُ عَلَى أَحَدِ وَجْهَيْهِ صُورَةُ الْمَلِكِ الَّذِي تُضْرِبُ فِي زَمَنِهِ،
وَعَلَى الْوَجْهِ الْآخَرَ صُورَتَا بَطْرُسَ وَبُولُسَ الْخَوَارِيزْمِيِّينَ اللَّذِينَ
بَعَثَ بِهِمَا الْمَسِيحُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَى رُومَا . وَبَدَأَ فِي
التَّعَامُلِ بِالذَّهَبِ الْإِفْرَنْجِيِّ فِي الْقَاهِرَةِ فِي حُدُودِ سَنَةِ تِسْعِينَ
وَسَبْعَ مِائَةٍ حَتَّى صَارَ تَقْدِيرًا رَائِجًا، وَبَلَغَ صَرْفُ كُلِّ دِينَارٍ مِنْهُ
مِائَتِي دَرَاهِمٍ وَثَلَاثِينَ دَرَاهِمًا مِنَ الْفُلُوسِ، وَوِزْنُ كُلِّ مِائَةِ دِينَارٍ
مِنْ هَذَا الذَّهَبِ أَحَدٌ وَثَمَانُونَ مِثْقَالًا وَرُبْعٌ مِثْقَالٌ .

أَمَّا التَّقْوُودُ الْإِسْلَامِيَّةُ فَكَانَتْ تُصْنَعُ مِنَ الذَّهَبِ الَّذِي
يُقَالُ لَهُ : «الذَّهَبُ الْهَرَجِيَّةُ» الَّذِي تُصْنَعُ مِنْهُ الدَّنَانِيرُ الْخَالِصَةُ
مِنَ الْغَيْشِ، وَهُوَ مُسْتَدِيرُ الشُّكْلِ عَلَى أَحَدِ وَجْهَيْهِ شَهَادَةٌ أَنَّ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَعَلَى الْوَجْهِ الْآخَرَ
اسْمُ السُّلْطَانِ وَتَارِيخُ ضْرِبِهِ وَاسْمُ الْمَدِينَةِ الَّتِي ضْرِبَ فِيهَا -
وَهِيَ فِي هَذَا الْوَقْتِ إِثْنَا الْقَاهِرَةَ أَوْ دِمَشْقَ أَوْ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ -
وَبَلَغَ كُلُّ مِثْقَالٍ مِنْهُ إِلَى مِائَتِي دَرَاهِمٍ وَخَمْسِينَ دَرَاهِمًا مِنَ
الْفُلُوسِ، وَكُلُّ سَبْعَةِ مِثْقَالِينَ زَنْتُهَا عَشْرَةُ دَرَاهِمٍ . (الْمَقْرِيزِيُّ :
السُّلُوكُ ٤: ٣٠٤-٣٠٦، ٧٠٩-٧١٠) .

وَأَخَذَ فِي مُخَاشَنَةِ الْأُمَرَاءِ عِنْدَمَا عَادَ النَّاصِرُ فَرَجَ وَقَدْ انْهَزَمَ مِنْ تَيْمُورَلَنْكٍ ، وَشَرَعَ فِي إِقَامَةِ شِعَارِ الْمَمْلُوكَةِ وَالنَّفَقَةِ عَلَى الْعَسَاكِرِ الَّتِي رَجَعَتْ مُنْهَزِمَةً . فَأَخَذَ مِنْ بِلَادِ الْأُمَرَاءِ وَبِلَادِ السُّلْطَانِ عَنْ كُلِّ أَلْفِ دِينَارٍ فَرَسًا أَوْ خَمْسَ مِائَةِ دِرْهَمٍ ثَمَنَهَا ، وَجَبَى مِنْ أَمْلَاكِ الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ وَظَوَاهِرِهَا أُجْرَةَ شَهْرٍ ، وَأَخَذَ مِنَ الرَّزْقِ^١ عَنْ كُلِّ فَدَّانٍ عَشْرَةَ دِرَاهِمٍ ، وَعَنِ الْقَدَّانِ مِنَ الْقَصَبِ الْمَرْزُوعِ وَالْقُلُقَاسِ وَالثُّيَلَةِ نَحْوَ مِائَةِ دِرْهَمٍ ، وَجَبَى مِنَ الْبَسَاتِينِ عَنْ كُلِّ فَدَّانٍ مِائَةَ دِرْهَمٍ .

وَقَامَ بِنَفْسِهِ وَكَبَسَ الْحَوَاصِلَ لَيْلًا وَنَهَارًا وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَغَيْرِهِمْ ، وَأَخَذَ مِمَّا فِيهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْقُلُوسِ نِصْفَ مَا يَجِدُ - سِوَاءَ كَانَ صَاحِبُ الْمَالِ غَائِبًا أَوْ حَاضِرًا - فَعَمَّ ذَلِكَ أَمْوَالَ التُّجَّارِ وَالْأَيْتَامِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ مَنْ وُجِدَ لَهُ مَالٌ ، وَأَخَذَ مَا كَانَ فِي الْجَوَامِعِ وَالْمَدَارِسِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْحَوَاصِلِ . فَشَمِلَ النَّاسَ مِنْ ذَلِكَ ضَرْزٌ عَظِيمٌ ، وَصَارَ يُؤَخَذُ مِنْ كُلِّ مِائَةِ دِرْهَمٍ ثَلَاثَةٌ دِرَاهِمٍ عَنْ أُجْرَةِ صَرْفٍ ، وَسِتَّةُ دِرَاهِمٍ عَنْ أُجْرَةِ الرَّسُولِ ، وَعَشْرَةُ دِرَاهِمٍ عَنْ أُجْرَةِ نَقِيبٍ . فَتَفَرَّتْ مِنْهُ الْقُلُوبُ ، وَانْطَلَقَتِ الْأَلْسُنُ بِذَمِّهِ وَالِدُّعَاءِ عَلَيْهِ .

وَعَرَضَ مَعَ ذَلِكَ الْجُنْدُ ، وَالزَّمَّ مِنْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى السَّفَرِ بِالتَّجْهِزِ لِلسَّفَرِ إِلَى الشَّامِ لِقِتَالِ تَيْمُورَلَنْكٍ ، وَمَنْ وَجَدَهُ عَاجِزًا عَنِ السَّفَرِ أَلْزَمَهُ بِحَمْلِ نِصْفِ مُتَحَصِّلِ إِقْطَاعِهِ . فَقُبِضَ عَلَيْهِ فِي يَوْمِ الْاِثْنِينَ رَابِعَ عَشَرَ رَجَبِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، وَسُلِّمَ لِلْقَاضِي سَعْدِ الدِّينِ إِبْرَاهِيمِ ابْنِ غُرَابٍ ، وَقُرِّرَ مَكَانَهُ فِي الْأُسْتَاذَارِيَّةِ . فَلَمْ يَزَلْ إِلَى يَوْمِ عِيدِ الْفِطْرِ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ ، فَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ بَعْدَ أَنْ عُصِرَ^(a) وَأُهِنَ إِهَانَةً كَبِيرَةً ، ثُمَّ قُبِضَ عَلَيْهِ وَضُرِبَ ضَرْبًا مُبْرَحًا حَتَّى أَشْفَى عَلَى الْمَوْتِ^٢ .

(a) بولاق : حضر .

الشراكية، القاهرة ١٩٩٦، ٥٦-٦١.

^١ انظر عن الرزق، فيما يلي ١٧٥-١٧٦هـ.^٤

^٢ راجع، المقرئ: درر العقود الفريدة ٣: ٥٤٦-

٥٤٧، السلوك ٣: ١٠٥٢-١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٦،

١٠٦٠، ١٠٦٥، ١٠٦٦.

Bacharach, J.L., «The Dinar = جيري باكاراك versus the Ducat», *IJMES* 4 (1973), pp. 77-96; id., «Circassian Monetary Policy : Copper», *JESHO* XIX (1976), pp. 32-47; id., «The Ducat in Fourteenth Century Egypt», *Itinéraires d'Orient . Hommage à Claude Cahen, Res Orientales* VI (1994), pp. 95-107 ودراسة رأفت النبراوي: النقود الإسلامية في مصر - عصر دولة المماليك

وأُطْلِقَ فِي نِصْفِ ذِي الْقَعْدَةِ وَهُوَ مَرِيضٌ ، فَأُخْرِجَ إِلَى دِمْيَاطَ وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً ، ثُمَّ أُخْضِرَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَقُلِدَ وَظِيْفَةً الْوِزَارَةِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانٍ مِائَةٍ وَجُعِلَ مُشِيرًا ^١ . فَأَبْطَلَ مُكُوسَ النَّحِيرَةِ ^(a) - وَهُوَ مَا يُؤْخَذُ عَلَى مَا يُذْبَحُ مِنَ الْبَقَرِ وَالغَنَمِ - وَاسْتَعْمَلَ فِي أُمُورِهِ الْعَسْفَ ، وَتَرَكَ مُدَارَاةَ الْأُمَرَاءِ وَاسْتَعْجَلَ . فَكَبِضَ عَلَيْهِ وَعُوقِبَ ، وَسُجِنَ إِلَى أَنْ أُخْرِجَ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانٍ مِائَةٍ ، وَقُلِدَ وَظِيْفَةً الْإِشَارَةِ - وَكَانَتْ لِلْأَمِيرِ جَمَالِ الدِّينِ يُوسُفَ الْأُسْتَاذَارِ - فَلَمْ يَتْرُكْ عَادَتَهُ فِي الْإِعْجَابِ بِرَأْيِهِ ، وَالِاسْتِئْذَانِ بِالْأُمُورِ ، وَاسْتِعْجَالِ الْأَشْيَاءِ قَبْلَ أَوَانِهَا .

فَكَبِضَ عَلَيْهِ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْهَا ، وَسُلِّمَ لِلْأَمِيرِ جَمَالِ الدِّينِ يُوسُفَ ، فَعَاقَبَهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، فَسُجِنَ بِهَا إِلَى أَنْ سَعَى جَمَالُ الدِّينِ فِي قَتْلِهِ ، بِمَالٍ بَدَّلَهُ لِلنَّاصِرِ فِيهِ حَتَّى أُذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقُتِلَ حَقْنًا عَصْرَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ - وَهُوَ صَائِمٌ - السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَمَانٍ مِائَةٍ - / رَحِمَهُ اللَّهُ - ^(b) عَنْ بَضْعٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ^(b) .

وَكَانَ كَثِيرَ النُّسُكِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصُّوْمِ وَالصَّدَقَةِ . لَا يُخَلُّ بِشَيْءٍ مِنْ نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ ، وَلَا يَتْرُكُ قِيَامَ اللَّيْلِ سَفَرًا وَلَا حَضْرًا ، وَلَا يُصَلِّي قَطُّ إِلَّا بِوُضُوءٍ جَدِيدٍ ، وَكَلَّمَا أَحْدَثَ تَوَضُّأً ، وَإِذَا تَوَضَّأَ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ . وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا ، وَيَخْرُجُ فِي كَثْرَةِ الصَّدَقَاتِ عَنِ الْحَدِّ ، وَيَقْرَأُ فِي كُلِّ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ خَتْمَةً ، وَلَا يَتْرُكُ أَوْرَادَهُ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ مَعَ الْمُرُوءَةِ وَالهِمَّةِ .

وَسَمِعَ كَثِيرًا مِنَ الْحَدِيثِ ، وَقَرَأَ بِنَفْسِهِ عَلَى الْمَشَايخِ ، وَكَتَبَ الْخَطَّ الْمَلِيحَ ، وَقَرَأَ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعَ ، وَعَرَفَ التُّصَوِّفَ وَالْفِقْهَ وَالْحِسَابَ وَالنُّجُومَ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مُتَهَوِّزًا فِي أَخْذِ الْأَمْوَالِ ، عَشُوفًا لِحُجُوجًا مُصَمَّمًا ، لَا يَنْقَادُ إِلَى أَحَدٍ ، وَيَسْتَبَدُّ بِرَأْيِهِ فَيَغْلَطُ غَلَطَاتٍ لَا تُحْتَمَلُ ، وَيَسْتَخِفُّ بغيرِهِ ، وَيُعْجَبُ بِنَفْسِهِ ، وَيُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَ غَايَةَ الْأُمُورِ بِدَايَتِهَا . فَلِذَلِكَ لَمْ يَتَمَّ لَهُ أَمْرٌ .

(a) بولاق : البحيرة ، ودرر العقود : مَيْسَمِ النَّحِيرَةِ . (b-b) إضافة من درر العقود الفريدة .

^١ المقرئزي : درر العقود الفريدة ٣ : ٥٤٧ ، السلوك ٣ : ١١٤٩ .

جامع الظاهر

[أثر رقم ١٠٩]

هذا الجامع بالقاهرة^١ في وَسَطِ الشُّوقِ الَّذِي كَانَ يُعْرَفُ قَدِيمًا بِسُوقِ الشَّرَاجِينِ ، وَيُعْرَفُ الْيَوْمَ بِسُوقِ الشُّوَاتِينِ . كَانَ يُقَالُ لَهُ «الْجَامِعُ الْأَفْحَرُ» ، وَيُقَالُ لَهُ الْيَوْمَ «جَامِعُ الْفَكَاهِينِ»^(a) ، وَهُوَ مِنَ الْمَسَاجِدِ الْفَاطِمِيَّةِ . عَمَّرَهُ الْخَلِيفَةُ الظَّافِرُ بَنَصْرٍ اللَّهُ أَبُو الْمَنْصُورِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْحَافِظِ لِذَيْنِ اللَّهِ أَبِي الْمَيْمُونِ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ الْأَمِيرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ مَنْصُورٍ ، وَوَقَفَ حَوَانِيَّتَهُ عَلَى سَدَنَّتِهِ وَمَنْ يَقْرَأُ فِيهِ .

قال ابنُ عبد الظَّاهِرِ : بَنَاهُ الظَّافِرُ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ زَرِيَّةٌ تُعْرَفُ بِدَارِ الْكِبَاشِ ، وَبَنَاهُ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ . وَسَبَبُ بِنَائِهِ أَنَّ خَادِمًا رَأَى مِنْ مُسْتَشْرِفٍ^(b) عَالٍ ذَبَّاحًا وَقَدْ أَخَذَ رَأْسِينَ مِنَ الْغَنَمِ ، فَذَبَحَ أَحَدَهُمَا وَرَمَى سَكِينَتَهُ ، وَرَاحَ^(c) لِيَقْضِيَ حَاجَتَهُ ، فَاتَى رَأْسَ الْغَنَمِ الْآخَرَ وَأَخَذَ السُّكَيْنَ بِقِمِهِ وَرَمَاهَا فِي الْبَلَاغَةِ^(d) ، فَجَاءَ الْجَزَّازُ يَطُوفُ عَلَى السُّكَيْنِ فَلَمْ يَجِدْهَا ، وَأَمَّا الْخَادِمُ فَإِنَّهُ اسْتَضْرَخَ وَخَلَّصَهُ مِنْهُ . وَطُوعَ بِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ أَهْلَ الْقَصْرِ ، فَأَمَرُوا بِعَمَلِهِ جَامِعًا ، وَيُسَمَّى «الْجَامِعُ الْأَفْحَرُ» ، وَبِهِ حَلْقَةٌ تَدْرِسُ وَفُقَهَاءٌ وَمُتَصَدَّرُونَ لِلْقُرْآنِ . وَأَوَّلُ مَا أُقِيمَتْ بِهِ الْجُمُعَةُ فِي

(c) ٢ .

(a) بولاق : الفاكهيين . (b) بولاق : مشرف . (c) بولاق : مضى . (d) بولاق : البلوعة . (e) بياض في الأصول .

^١ تأثر هذا الجامع ، الواقع في شارع المعز لدين الله (الغورية سابقًا) على رأس حارة خُشَقْدَم (حوش آدم) ، من زلزال سنة ١٣٠٢هـ/١٣٠٢م (انظر عنه فيما تقدم ١٠٣) ، حيث سَقَطَتْ مِقْدَنَتُهُ . كما قام بأعمال ترميمية هامة فيه سنة ١٤٤٠هـ/١٤٤٠م العالم المُفسِّرُ جلالُ الدِّينِ المَحَلِّي ، المتوفى سنة ١٤٥٩هـ/١٤٥٩م ، الَّذِي أَمَرَ بِإِنْشَاءِ مِيْضَاةٍ بِهِ . وَنَحْوُ نَهَايَةِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ الْهَجْرِيِّ / الْخَامِسِ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ غُنِيَ بِعِمَارَتِهِ وَزَخْرَفَتْهُ الْأَمِيرُ يَشْتَبِكُ مِنْ مَهْدِي الدُّوَادَارِ وَأَزَالَ الْأَبْنِيَةَ الَّتِي كَانَتْ تَحْجِبُهُ . وَفِي سَنَةِ ١١٤٨هـ/١٧٣٦م هَدَمَهُ الْأَمِيرُ أَحْمَدُ كَتْمُخْدَا مُسْتَحْفَظَانِ الْخَرْبُوطَلِيِّ وَأَعَادَ بِنَاءَهُ

(الجبرتي : عجائب الآثار ١ : ٢٨٦ ، ٥٤٨) . ولم يبق من الجامع الفاطمي إلا مصاريع البابين الغربي والبحري بالإضافة إلى مداميك حجرية في أعلى الباب الغربي كُتِبَ عَلَيْهَا بِالْحَطِّ الْكُوفِيِّ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» أُعِيدَ اسْتِخْدَامُهَا فِي بِنَاءِ الْجَامِعِ الْجَدِيدِ . (راجع ، حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١ : ٧٤-٧٥ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte* pp. 544-47 : ٣٤١-٣٤٧ ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ١ : ٧١٩-٧٣٤) .

^٢ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٧٤-٧٥ =

(a) وبه تصديراً قراءات ولا أعلم من رتبته، وتصدّر به جماعة، وممن تصدّر به الشيخ كمال الدين أحمد المحلّي، والشيخ نور الدين علي بن ظهير بن شهاب المعروف بالكفتي، والشيخ شمس الدين بن السراج الكاتب المقرئ، وشيخنا تقي الدين البغدادي، رجم الله الجميع (b).

جامع الصالح

[الرقم ١١٦]

هذا الجامع من المواضع التي عُمّرت في زمن الخلفاء الفاطميين، وهو خارج باب زويلة^١. قال ابن عبد الظاهر: كان الصالح طلائع بن رزّيك - لما خيف على مشهد الإمام الحسين - رضي الله عنه - إذ كان بعسقلان من هجمة الفرج، وعزم على نقله - قد بنى هذا الجامع ليُدْفِنه به. فلما فرغ منه لم يُمكنه الخليفة من ذلك، وقال: لا يكون إلا داخل القصور الزاهرة، وبنى المشهد الموجود الآن ودُفِن به^٢.

(a-a) إضافة من المستودعة.

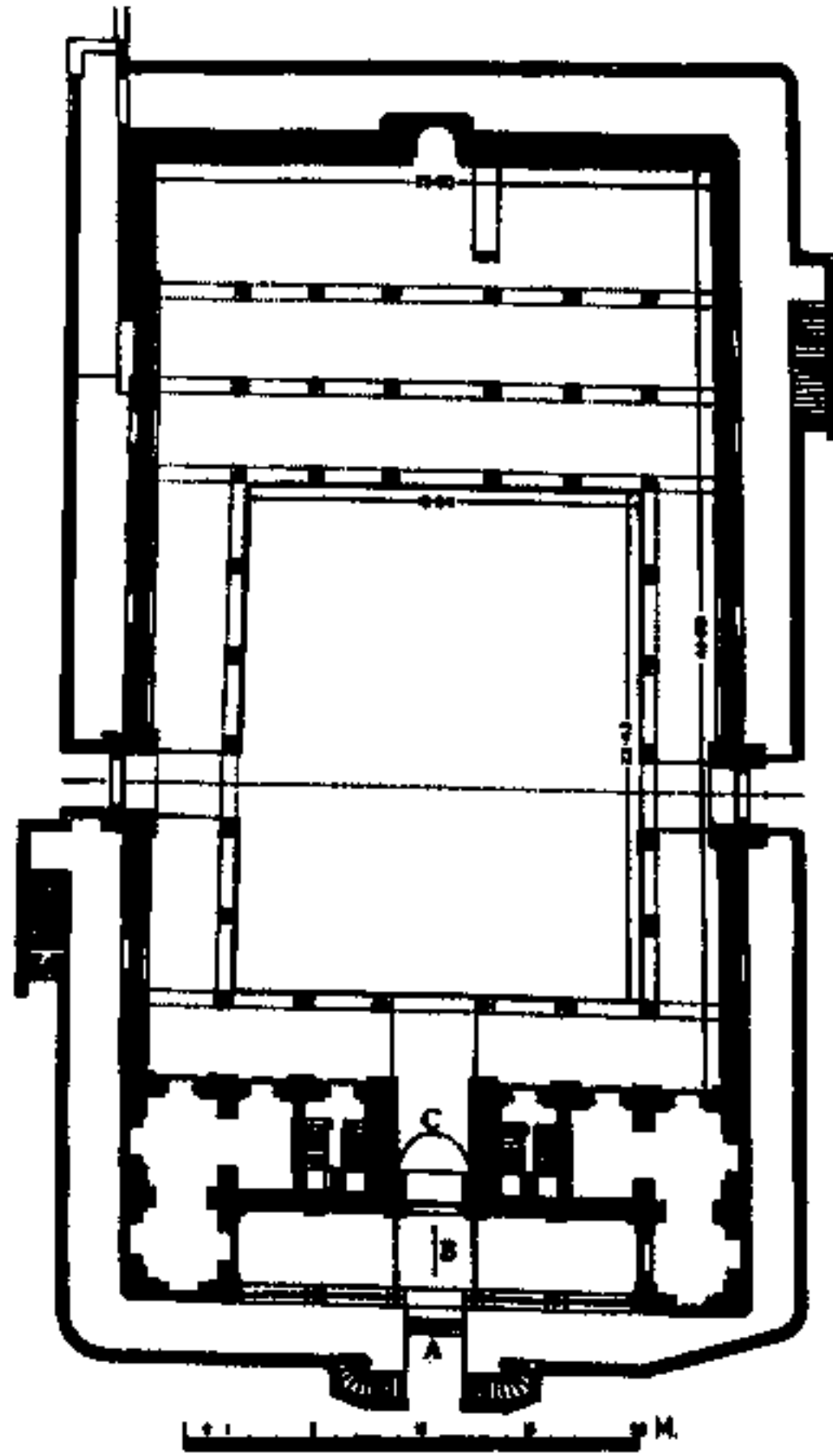
النصوري. (راجع، المقرئ: اتعاط الحنفا ٣: ٢٥١، ٢٥٤؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ٢٩٣، ٣٤٥؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ١٣٣ (٣٣)، ٩١: ٥ (٣٧) - ٣٨)؛ محمد عبد العزيز مرزوق: مساجد القاهرة قبل عصر الماليك ٩٦-١٠٤؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ٩٧-١٠٥؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ١: ١١٠-١٢١؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ١: ٣٩٨-٤٠٧ Pauty, Ed., «Le plan de la mosquée d'al-Sâlih Talâyi' au Caire», *BSRGA* XVII (1931), pp. 277-92; Creswell, K.A.C., *MAEI*, pp. 275-88; Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 547-58. رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ٧٩٧-٨٢١).

^٢ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٣٠، ٧٤-٧٥ وفيما تقدم ٢: ٤٠٥-٤٠٨.

= المقرئ: اتعاط الحنفا ٣: ٢٠٩.

^١ جامع الصالح. آخر المساجد الجامعة التي بُنيت في عصر الفاطميين في مصر، ولا يزال قائماً إلى اليوم على يسار الخارج من باب زويلة في الزاوية التي تلتقي فيها قصبته رضوان بشارع الدرب الأحمر. وهو من المساجد الجامعة الكبيرة، إذ تبلغ مساحته ١٥٢٢ متراً مربعاً، كما أنه من الجوامع المعلقة حيث كانت أرضيته عند بنائه مرتفعة عن مستوى الشارع بنحو ٣,٨٠ متراً. وله أربع واجهات مبنية بالحجر أمقل ثلاثة منها صنف دكاكين. وتفتح باب الجامع الرئيس في واجهته الغربية، وأقيم أمامه رواق محمول على أربع عمود رخامية له سقف من الخشب حُلّي بزخارف فاطمية عُزِر على بقاياها في عمارة الجامع فأكمل على مثالها، ولعله السقف الفاطمي الخشبي الوحيد الذي وصل إلينا للجامع، إضافة إلى سقف القصر الفاطمي الصغير الذي كُشِف عنه في البيمارستان

وتمَّ الجامع المذكور، واستمرَّ جلوس زَيْن الدِّين الواعظ به وحضور الصَّالِح إليه . فيقال : إنَّ الصَّالِح لما حضرته الوفاة جَمَعَ أهله وأولاده ، وقال لهم في جُمْلَةٍ وَصِيَّتِهِ : ما تَدِمْت قَطَّ في شيءٍ عملته إلا في ثلاثة : الأول بنائي هذا الجامع على باب القاهرة فإنه صار عَوْنًا عليها^(a) ، والثاني تُولِيَتِي لساوَر الصَّعِيد الأعلى ، والثالث خُرُوجِي إلى بَلْبَيْس بالعساكر وإنفاقي الأموال الجَمَّة ، ولم أتمَّ بهم إلى الشَّام وأَفْتَح بَيْت المَقْدِس ، وأَسْتَصِيل شَأْفَةَ^(b) الفِرْنَج . وكان قد أَنْفَقَ في العساكر في تلك الدَّفْعَةِ مائتي^(c) ألف دينار .



مُخَطَّط جامع الصَّالِح طلائع (عن Creswell)

وبنى في الجامع المذكور صِهْرِيَجًا عَظِيمًا ، وجَعَلَ ساقِيَةً على الخَلِيج قَرِيب باب الخَزَقِي تَمْلَأُ الصَّهْرِيَج المذكور أَيَّام النَّيْلِ ، وجَعَلَ المِجَارِي إليه .

(a) بولاق : لها . (b) بولاق : ساقية . (c) بولاق : مائة .

وأقيمت الجمعة فيه في الأيام المعزّية في سنة بضع وخمسين وست مائة بحضور رسول بغداد الشيخ نجم الدين عبد الله البادراني^٢، وخطب به أصيل الدين أبو بكر الأشعردي وهي إلى الآن. ولما حدثت الزلزلة سنة اثنتين وسبع مائة تهدّم^٣، فعمر على يد الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار^٤.

أبو الغارات الملك الصّالح، فارس المسلمين، نصير الدين^٥ - قديم في أول
طلّح بن رزّيك أمره إلى زيارة مشهد الإمام عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - بأرض
 النّجف من العراق، في جماعة من الفقراء، وكان من الشيعة الإمامية، وإمام مشهد عليّ -

هذا الجامع حتى قبل وقوع الزلزلة حيث جدّد منبراً للجامع في سنة ٦٩٩هـ/١٣٠٠م، عليه كتابة تاريخية نصّها:

«... أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك من ماله ابتغاء لوجه الله الكريم المقرب العالي الأميري الكبير الشيفي سيف الدين مقدّم الجيوش بكتمر الجوكندار المنصوري الشيفي أمير جنّدار الناصري، وذلك بتاريخ شهر جمادى الآخر سنة تسع وتسعين وست مائة، رجم الله من كان السبب.»
 (Wiet G., RCEA XIII, n° 50745؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١: ١٠١؛ Fu'ad Sayyid, A. op.cit., p. 550).

^٥ انظر ترجمة الصّالح طلّح بن رزّيك، أول من تلقّب بـ «الملك» من وزراء الفاطميين، والمتوفى مقتولاً في رمضان سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م عند العماد الأصفهاني: خريدة القصر (قسم مصر) ١: ١٧٣-١٨٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١١: ١٩٣-١٩٤؛ أبي شامة: الروضتين ١: ٢٩٨-٢٩٩؛ ابن ميسر: أخبار مصر ١٤٩-١٥٧، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢: ٥٢٦-٥٣٠؛ ابن سعيد: النجوم الزاهرة ٢١٧-٢٢٣؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٣١٩-٣٣٠؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٧: ١٢، ١٦-١٨؛ أمين فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٢٨٠-٢٨٦؛ Bianquis, Th., EI² art. Talā'i b. Ruzzik X, pp. 161-62; Dodoyan, S.B., The Fatimid Armenians: Cultural and Political Interaction in the Near East, Leiden 1997, pp. 154-78.

^١ يدلّ على تاريخ إنشاء هذا الجامع كتابة بالحطّ الكوفي المزهر تمتدّ على الواجهتين الغربية والبحرية للجامع، نصّها: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أمر بإنشاء هذا المسجد بالقاهرة المعزّية المحروسة فتي مؤلانا وسيدنا الإمام عيسى أبي القاسم الفائز بنصر الله أمير المؤمنين، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين، الشيد الأجلّ الملك الصّالح ناصر الأئمة وكاشف الغمة أمير الجيوش سيف الإسلام غياث الأنام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو الغارات طلّح الفائزي، عضدّ الله به الدين وأمتّع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته ونصّر ألويته وفتح به على يديه مشارق الأرض ومغاربها في شهور سنة خمس وخمسين وخمسة مائة. والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أفضل الوصيين...» (van Berchem, M., CIA Égypte I, n° 46; Wiet, G., RCEA IX, n° 3231؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١: ٩٩؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ١: ١١٠؛ Fu'ad Sayyid, A., op.cit., p. 552).

^٢ الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد بن الحسن البادراني، المتوفى سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م. (المقريري: المقفى الكبير ٤: ١١٣-١١٤).

^٣ انظر عن خير هذه الزلزلة فيما تقدم ١٠٣هـ.

^٤ كان الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار قد افتتم بأمر

رضي الله عنه - يومئذ السيد ابن معصوم^١ . فزار طلائع وأصحابه ، وبأثوا هنالك . فرأى ابن معصوم في منامه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وهو يقول له : قد ورد عليك الليلة أربعون فقيرًا من جملتهم رجل يقال له طلائع بن رزيك من أكبر محبينا ، قل له اذهب فقد ولتناك مصر . فلما أصبح أمر أن يُنادى : من فيكم طلائع بن رزيك فليتم إلى السيد ابن معصوم . فجاء طلائع وسلم عليه ، فقصر عليه ما رأى .

فسار حينئذ إلى مصر ، وترقى في الخدم حتى ولي مئنة بني خصيب . فلما قتل نصر بن عبّاس الخليفة الظافر ، بعث نساء القصر إلى طلائع يستغيثن به في الأخذ بشأر الظافر ، وجعلن في طي الكُتب شعور النساء . فجمع طلائع عندما وردت عليه الكُتب الناس ، وسار يريد القاهرة لمحاربة الوزير عبّاس . فعندما قرب من البلد فر عبّاس ، ودخل طلائع إلى القاهرة ، فخلع عليه خلع الوزارة ، ونعت بـ «الملك الصالح فارس المسلمين نصير / الدين» فباشر البلاد أحسن مباشرة ، واشتد بالأمر لصغر سن الخليفة الفائز بنصر الله إلى أن مات . فأقام من بعده عبد الله ابن محمد ، ولقبه بالعايد لدين الله ، وبايع له ، وكان صغيرًا لم يبلغ الحلم ، فقويت حرمة طلائع ، وازداد تمكُّنه من الدولة . فنقل على أهل القصر لكثرة تضيقه عليهم ، واشتداده بالأمر دونهم ، فوقف له رجال بدهاليز القصر ، وضربوه حتى سقط على الأرض على وجهه ، وحمل جريحًا لا يعي إلى داره ، فمات يوم الاثنين تاسع عشر شهر رمضان سنة ست وخمسين وخمسة مائة .

وكان شجاعًا كريمًا ، جوادًا فاضلاً ، محبًا لأهل الأدب جيّد الشعر ، رجل وقته فضلًا وعقلًا وسياسةً وتدبيرًا . وكان مهاتبا في شكله عظيمًا في سطوته ، وجمع أموالاً عظيمة ، وكان محافظًا على الصلوات فرائضها وتوافلها ، شديد المغالاة في التشيع .

صنّف كتابًا سماه «الاعتماد في الرد على أهل العناد» ، جمع له الفقهاء وناظرهم عليه ، وهو يتضمّن إمامة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - والكلام على الأحاديث الواردة في ذلك . وله شعر كثير يشتمل على مجلدين في كل فن ، فمنه في اعتقاده :

^١ حاشية بخط المؤلف : «قال الشريف محمد بن أشعد الجوزاني : وفي بني الحسين - عليه السلام - بنو جعفر ابن محمد بن إبراهيم المجاب بن علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن علي بن أبي طالب بن محمد بن علي بن أبي طالب بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نضر بن معد بن عدنان» .

^٢ أحمد أحمد بدوي : ديوان الوزير المصري طلائع بن رزيك ، القاهرة ١٩٥٨ ، ٤٦ .

^١ حاشية بخط المؤلف : «قال الشريف محمد بن أشعد الجوزاني : وفي بني الحسين - عليه السلام - بنو جعفر ابن محمد بن إبراهيم المجاب بن علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن علي بن أبي طالب بن محمد بن علي بن أبي طالب بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نضر بن معد بن عدنان» .

[الكامل]

يا أُمَّة، سَلَكَتْ ضَلالًا بَيْنًا حين^٥ اسْتَوَى إِقْرارُها وَجُحودُها
مِلْتَم إلى أَنْ المَعاصِي لم تَكُن إلا بِتَقْدِيرِ الإِلهِ وَجُودُها
لَوْ صَحَّ ذَا كانَ الإِلهِ بِرَعْمِكُمْ مَنَعَ الشَّرِيعَةَ أَنْ تُقامَ حُدودُها
حاشا وَكَلًّا أَنْ يَكُونَ إِلهُنا يَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ ثُمَّ يُريدُها

وله قَصِيدَةٌ سَمَّاهَا «الجَوْهَرِيَّةُ فِي الرُّدِّ عَلى القَدْرِيَّةِ» .

وَجَدَّدَ الجَامِعَ الَّذِي بِالقَرافةِ الكُبْرَى، وَوَقَّفَ نَاحِيَةَ بَلْقَسَ: عَلى أَنْ يَكُونَ ثُلثاها عَلى الأَشْرَافِ مِن بَنِي حَسَنَ وَبَنِي حُسَيْنَ ابْنِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُم - وَسَبْعَ قَرارِيطَ مِنها عَلى أَشْرَافِ المَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَجَعَلَ فِيها قِراطًا عَلى بَنِي مَعْصُومِ إِمامِ مَشْهَدِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^١ .

ولَمَّا وَلِيَ الوِزارَةَ مالَ عَلى المُسْتَعْجَمِينَ بِالدَّوْلَةِ وَعَلى الأَمْرَاءِ، وَأَظْهَرَ مَذْهَبَ الإِمامِيَّةِ وَهُوَ مُخالِفٌ لِمَذْهَبِ القَوْمِ، وَباعَ وَلاياتِ الأَعْمالِ للأَمْرَاءِ بِأَسْعارٍ مُقَرَّرَةٍ، وَجَعَلَ مُدَّةَ كُلِّ مُتَوَلٍّ سَنَةً أَشْهَرَ. فَتَضَرَّرَ النَّاسُ مِن كَثْرَةِ تَرَدُّدِ الوُلاةِ عَلى البِلاَدِ، وَتَعَبُوا مِن ذَلِكَ. وَكانَ لَهُ مَجْلِسٌ فِي اللَّيْلِ يَحْضِرُهُ أَهْلُ العِلْمِ وَيُدَوِّنُونَ شِغْرَهُ، وَلَمْ يَتْرُكْ مُدَّةَ أَيَّامِهِ غَزْوَ الفِرْجِ وَتَسْيِيرَ الجُيُوشِ لِقِتالِهِمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ، وَكانَ يُخْرِجُ البُعُوثَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِرارًا .

وَكانَ يَحْمِلُ فِي كُلِّ عامٍ إِلى أَهْلِ الحَرَمَيْنِ مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ مِنَ الأَشْرَافِ سائِرِ ما يَحْتَاجُونَ إِليه مِنَ الكِساوَةِ وَغَيرِها، حَتى يَحْمِلَ إِليهِمُ الأَواحِ الصُّبْيانِ الَّتِي يُكْتَبُ فِيها، وَالأَقلامَ وَالمِدادَ وَآلاتَ

(a) بولاق : حتى .

١ وَصَلَ إِلينا جِزءٌ مِنَ وَقْفِيَّةِ الصَّالِحِ طَلابِعِ وَهِيَ مَحفوظَةٌ بِدارِ الوِثائِقِ القوميةِ بِالقاهرةِ بِرقمِ ١/١ وَمُؤرَّخَةٌ فِي أَوَّلِ جُمادىِ الأولى سَنَةِ ٥٥٤/١١٥٩ م. وَهذهِ الوَقْفِيَّةُ أَقْدَمُ وَقْفِيَّةٍ وَصَلَتْ إِلينا وَالوَحيدَةُ الباقِيَةُ مِنَ العَصْرِ الفاطميِّ . وَلَكِنَّ النُّصَّ الَّذِي وَصَلَ إِلينا لَيْسَ هُوَ النُّصُّ الأَصْلِيُّ وَإِنَّمَا نُسخَةٌ نُسِختَ عَنْهُ فِي سَنَةِ ٧٠٥ هـ / ١٣٠٤ م، فِي الفِترَةِ الواقِعَةِ بَينَ الرُّوكِ الحُساميِّ وَالرُّوكِ النَّاصِريِّ، وَالتي تَمَّ فِيها إِعادَةُ قِياسِ الأَرْضِ المِصرِيَّةِ . وَتُوجَدُ فِي مِجموعَةِ تِمْبورِ

بِاشا المِلْحَقَةُ بِدارِ الكُتُبِ المِصرِيَّةِ نُسخَةٌ أُخْرَى نُسِختَ عَنْ هذهِ النُّسخَةِ فِي نِهايةِ القَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ مَحفوظَةٌ بِها بِرقمِ ١٤٣٠ تارِيخًا . وَقد نَشَرَ هذهِ الوَقْفِيَّةُ كَلودِ كاهنِ وَيوسفِ راعِبِ وَمِصطَفى أَنورِ طاهِرٍ . انظرِ Cahen, Cl., Ragib, Y. et Taher, M. A., «L'achat et le waqf d'un grand domaine égyptien par le vizir fatimide Talâ'i b. Ruzzik», *An. Isl.*, XIV (1976), pp. 59-126.

النساء، ويحمل كل سنة إلى العلويين الذين بالمشاهد جُملاً كبيرة. وكان أهل العلم يَعدون إليه من سائر البلاد، فلا يُخيَّب أمل قاصِدٍ منهم.

ولما كان في الليلة التي قُتِلَ صبيحتها قال: في هذه الليلة ضُرب في مثلها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه. وأمر^(a) بقراءة مَقْتَلِهِ^(a)، فاغْتَسَلَ وصَلَّى على رأي الإمامية مائة وعشرين ركعةً أحيا بها ليلته، وخرَجَ ليركب، فعَثَرَ وسَقَطتِ عِمَامَتُهُ عن رأسه وتَشَوَّشت؛ ففَعَدَ في دِهْلِيْزِ دارِ الوزارة، وأمرَ بإحضار ابن الضيف - وكان يتعمَّم للخلفاء والوزراء وله على ذلك الجاري الثقيل - فلما أخذ في إصلاح العمامة، قال رجلٌ للصالح: نُعيدُ بالله مولانا، ويكفيه هذا الذي جرى أمراً يُطَيِّرُ منه، فإن رأى مولانا أن يُؤخَّرَ الركوبَ فعَلْ؛ فقال: الطَّيْرَةُ من الشَّيْطَانِ، ليس إلى تأخير الركوبِ سبيل. وركب فكان من ضربه ما كان، وعادَ محمُولاً، فمات منها كما تقدَّم.

١٠. وما كان يُعملُ فيها - اعلم أن الأعباس في القديم لم تكن تُعرف إلا في
 الرِّبَاع وما يجري مجراها من المباني، وكلُّها كانت على جهاتٍ يري. فأما
 المسجد الجامع العتيق بمصر، فكان يلي إمامته في الصلوات الخمس، والخطابة فيه يوم الجمعة
 والصلوة بالناس صلاة الجمعة، أمير البلد: فتارةً يُجمع للأمر بين الصلاة والخراج، وتارةً يُفرد
 الخراج عن الأمير، فيكون الأمير إليه أمر الصلاة بالناس والحزب، ولاخر أمر الخراج وهو دون
 مرتبة أمير الصلاة والحزب. وكان الأمير يشتخلف عنه في الصلاة صاحب الشرطة إذا شغله أمر.
 ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن ولي مصر عنبسة بن إسحاق بن شيمر، من قتل المنتصر^(b) ابن
 التوكل، على الصلاة والخراج. فقدمها لخميس خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين،
 وأقام إلى مُستَهَلِّ رَجَبِ سنة اثنتين وأربعين ومائتين وصرف^١. فكان آخر من ولي مصر من
 العرب، وآخر أمير صلَّى بالناس في المسجد الجامع، وصار يُصلِّي بالناس رجلٌ يُزَقُّ من بيت
 المال، وكذلك المؤذنون ونحوهم.

وأما الأراضي فلم يكن سلف الأمة من الصحابة والتابعين يتعرضون لها، وإنما حدث ذلك بعد
 عصرهم. / حتى إن أحمد بن طولون لما بنى الجامع والمارستان والسقاية، وحبس على ذلك

(a-a) بولاق: بقربة ممتلئة. (b) بولاق: المستنصر.

^١ فيما تقدم ٢: ٧٧-٧٨.

الأحباس الكثيرة، لم يكن فيها سوى الرباع ونحوها بمصر، ولم يتعترض إلى شيء من أراضي مصر البتة. وحبس أبو بكر محمد بن علي الماذرائي^(a) بركة الحبش وشيوط وغيرها على الحرمين وعلى جهات بئر، وحبس غيره أيضا.

فلما قدمت الدولة الفاطمية من المغرب^(b) إلى مصر، بطل تحبس البلاد، وصار قاضي القضاة يتولى أمر الأحباس من الرباع، وإليه أمر الجوامع والمشاهد، وصار للأحباس ديوان مفرد. وأول ما قدم المعز أمر في ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وثلاث مائة بحمل مال الأحباس من المؤدع إلى بيت المال الذي لوجوه البئر، وطولب أصحاب الأحباس بالشرائط ليحملوا عليها وما يجب لهم فيها. وللنصف من شعبان ضمن الأحباس محمد بن القاضي أبي الطاهر محمد بن أحمد، بألف ألف وخمس مائة ألف درهم في كل سنة، يدفع إلى المستحقين حقوقهم، ويحمل ما بقي إلى بيت المال^١.

وقال ابن الطوير: «الخدمة في ديوان الأحباس» - وهي^(c) أوفر الدواوين مباشرة، ولا يخدم فيه إلا أعيان كتاب المسلمين من الشهود المعدلين بحكم أنها معاملة دينية - وفيها عدة مدبرين يتوبون عن أرباب هذه الخدمة في إيجاب أرزاقهم من ديوان الرواتب، وينتجزون^(d) لهم الخروج بإطلاق أرزاقهم. ولا يوجب لأحد من هؤلاء خروج إلا بعد حضور ورقة التعريف من جهة مشارف الجوامع والمساجد باستمرار خدمته ذلك الشهر جميعه، ومن تأخر تعريفه تأخر الإيجاب له، وإن تمادى ذلك استبدل به أو توفّر ما باسمه لمصلحة أخرى، خلا جوارى المشاهد فإنها لا توفّر، لكنها تنقل من مقصر إلى ملازم. وكان يطلق لكل مشهد خمسون درهما في الشهر برسم الماء لزوارها، ويجري من معاملة سواقي السبيل بالقرافة والنفقة عليها من ارتفاعه، فلا تخلو المصانع ولا الأحواض من الماء أبدا، ولا يعترض أحد في^(e) الانتفاع به. وكان فيه كاتبان ومعيان^٢.

(a) بولاق: المارداني. (b) بولاق: الغرب. (c) بولاق: وهو. (d) بولاق: وينجزون. (e) بولاق: من.

^١ راجع كذلك محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٤٨ - ٥٩؛ وانظر عن الأوقاف عموما Behrens - Abouseif, D., *El² art. Wakf*, pp. 65-76 وما ذكرت من مراجع.

^٢ ابن الطوير: نزهة المقتنين ١٠٠ - ١٠١؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ١/٤: ١٤٩ - ١٥٠؛ القلقشندي: صبح ٤٩٠: ٣.

وقال المسبحي في حوادث سنة ثلاث وأربع مائة : وأمر الحاكم بأمر الله بإثبات المساجد التي لا غلّة لها ولا أحد يقوم بها ، وما له منها غلّة لا تقوم بما يحتاج إليه ، فأثبت في عمل ورُفِعَ إلى الحاكم بأمر الله . فكانت عدّة المساجد على الشرح المذكور ثمان مائة وأحد وثلاثون^a مسجداً ، ومبلغ ما تحتاج إليه من التّفقة في كل شهر تسعة آلاف ومائتان وعشرون درهماً ، على أن لكل مسجد في كل شهر اثني عشر درهماً^١ .

وقال في حوادث سنة خمس وأربع مائة : وقرأ يوم الجمعة ثامن عشرين صفر سجل بتّحيس عدّة ضياع - وهي إطفيح وصول وطوخ ، وست ضياع أخر ، وعدّة قياسر وغيرها - على القراء والفقهاء والمؤذنين بالجوامع ، وعلى المصانع والقوام بها ، ونفقة المارستانات وأزراق المستخدمين فيها ، وتمن الأكتاف^٢ .

وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني : كان القضاة بمصر إذا بقي لشهر رمضان ثلاثة أيام ، طافوا يوماً على المساجد والمشاهد بمصر والقاهرة : يبدأون بجامع المقس ، ثم القاهرة ، ثم المشاهد ، ثم القرافة ، ثم جامع مصر ، ثم مشهد الرأس لنظر محضر ذلك وقناديله وعمارته وما تشعّت منه . وما زال الأمر على ذلك إلى أن زالت الدولة الفاطمية .

فلما استقرت دولة بني أيوب ، أضيفت الأختاس أيضاً إلى القاضي . ثم تفرقت جهات الأختاس في الدولة التركية ، وصارت إلى يومنا هذا ثلاث جهات :

الأولى تُعرف بـ «الأختاس» : ويولي هذه الجهة دوادار السلطان وهو أحد الأمراء ، ومعه ناظر الأختاس ولا يكون إلا من أعيان الرؤساء ، وبهذه الجهة ديوان فيه عدّة كتاب ومدبر . وأكثر ما في ديوان الأختاس «الرزق الأختاسية» - وهي أراض من أعمال مصر - على المساجد والزوايا للقيام بمصالحها ، وعلى غير ذلك من جهات البر^٣ .

وبلغت «الرزق الأختاسية»^٤ في سنة أربعين وسبع مائة ، عندما حرّرها النشو ناظر الخاص في

(a) بولاق : ثمان مائة وثلاثين .

^١ فيما يلي ٧٠٧ . وأضيف إلى ما ذكر هناك ، الجبرتي : عجائب الآثار ٢ : ٢٦٤ ،

^٢ فيما يلي ٧٠٧ . والدراسة الهامة التي كتبها نقولا ميشيل Nicolas Michel

والتي تتبّع فيها بداية ذكر «الرزق» في العصر الأيوبي ، ثم

^٣ قارن ، القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٣٨ .

^٤ الرزق الأختاسية ، انظر عنها فيما تقدم ٧٢٦ : ٣ هـ^١ ، ظهور مصطلح «الرزق الأختاسية» في نهاية القرن السابع =

أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، مائة ألف وثلاثين ألف فدان^١ . عمل بها النسوة أوراقاً ، وحدثت السلطان في إخراجها عمن هي باسمه ، وقال له^(أ) : جميع هذه الرزق أخرجهما الدواوين بالبراطيل ، والتقرب إلى الأمراء والحكام ، وأكثرها بأيدي أناس من فقهاء الأرياف لا يدرون الفقه ، يسمون أنفسهم الخطباء ولا يعرفون كيف يخطبون ، ولا يقرأون القرآن ، وكثير منها بأسماء مساجد وزوايا معطلة وخراب . وحسن له أن يقيم شاداً وديواناً يسير في النواحي ، وينظر في المساجد التي هي عامرة ، ويصرف لها من رزقها النصف ، وما عدا ذلك يجري في ديوان السلطان . فعجله الله ، وقبض عليه قبل عمل شيء من ذلك^٢ .

الجهة الثانية تُعرف بـ «الأوقاف الحكيمية» بمصر والقاهرة : ويلى هذه الجهة قاضي القضاة الشافعي ، وفيها ما حبس من الرباع على الحرمين وعلى الصدقات والأسرى وأنواع القرب . ويُقال لمن يتولى هذه الجهة «ناظر الأوقاف» : فتارة ينفرد بنظر أوقاف مصر والقاهرة رجلاً واحداً من أعيان نواب القاضي ، وتارة ينفرد بأوقاف القاهرة ناظر من الأعيان ويلى نظر أوقاف مصر / آخر ، ولكل من أوقاف البلدين ديوان فيه كتاب وجبابة .

(a) له : ساقطة من بولاق .

الأراضي وعتائهم» .

وتتبع نقولا ميشيل بعد ذلك تطور الرزق في نهاية العصر المملوكي ثم وضعها في العصر العثماني من خلال ما تحذره قانون نامه ودفاتر الأقباس العثمانية . (Michel, N., «Les Risaq ahbasiyya, terres agricoles en mainmorte dans l'Égypte mamelouke et ottomane. Étude sur les Dafâtir al-Ahbâs ottomane», *An. Isl.* XXX (1996), pp. 105-98 من 107-109 .

^١ المقريري : السلوك ٢ : ٤٧٤ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ١٣٢ .

^٢ نفسه ٢ : ٤٧٣ ؛ محمد محمد أمين : الأوقاف ١٠٧ - ١٠٩ .

= الهجري / الثالث عشر الميلادي وعلى الأخص ابتداء من عام ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م في أعقاب الزوك الحسامي . يقول النويري : «ولما تجز هذا الزوك أقطعت البلاد للأمراء والأجناد درسته [أي كاملة] ، لم يُستثن منها غير الجوالي والمواريث الحشرية ، فإن ذلك جعل في جملة الخاص السلطاني . واستثنيت الرزق الأقباسية المرصدة لمصالح الجوامع والمساجد والربط والزوايا والخطباء والفقراء ، واستقرت في سائر البلاد على ما يشهد به ديوان الأقباس ، وما عدا ذلك من سائر الأموال وغيرها دخل في الإقطاع» . (النويري : نهاية الأرب ٣١ : ٣٤٨ ؛ وقارن مع المقريري : السلوك ١ : ٨٤٤ - ٨٤٥ وفيما تقدم ١ : ٢٦١ حيث قسم المقريري أرض مصر سبعة أقسام بينها قسم «جعل وفقاً لمحبسنا على الجوامع والمدارس والخوانك ، وعلى جهات البر ، وعلى ذراري واقفي تلك

وكانت جهة عامرة يتحصل منها أموال جمة ، فيصرف منها لأهل الحرميين أموال عظيمة في كل سنة ، تحل من مصر إليهم مع من يثق به قاضي القضاة ، وتفرق هناك صررا ، ويصرف منها أيضا بمصر والقاهرة لطلبة العلم ولأهل الشتر وللقراء شيء كثير ، إلا أنها اختلت وتلاشت في زمننا هذا ، وعمّا قليل إن دام ما نحن فيه لم يتق لها أثر ألبتة ^١ .

وسبب ذلك أنه ولي قضاء الحنفية كمال الدين عمر بن العديم ^٢ في أيام الملك الناصر فرج ، وولاية الأمير جمال الدين يوسف [الأستاذان] ^a تدير الأمور والمملكة ، فتظاهرا معا على إتلاف الأوقاف . فكان جمال الدين إذا أراد أخذ وقف من الأوقاف ، أقام شاهدين يشهدان بأن هذا المكان يضر بالجار والمار ، وأن الحظ ^b والمصلحة ^b فيه أن يستبدل به غيره فيحكم له قاضي القضاة كمال الدين عمر بن العديم باستبدال ذلك ^٣ .

١٠ وشرة جمال الدين في هذا الفعل كما شرة في غيره ، فحكم له المذكور باستبدال القصور العامرة والدور الجليلة بهذه الطريقة . والناس على دين ملكهم . فصار كل من يريد بيع وقف أو شراء وقف ، سعى عند القاضي المذكور بجاه أو مال ، فيحكم له بما يريد من ذلك . واشتد رج غيره من القضاة إلى نوع آخر ، وهو أن تقام شهود القيمة فيشهدون بأن هذا الوقف ضار بالجار والمار ، وأن الحظ والمصلحة في بيعه أنقاضا . فيحكم قاض شافعي المذهب ببيع تلك الأنقاض . واشتمر الأمر على هذا إلى وقتنا هذا الذي نحن فيه ، ثم زاد بعض سفهاء قضاة زمننا في المعنى ، وحكم ببيع المساجد الجامعة إذا خرب ما حولها ، وأخذ ذرية واقفها ثمن أنقاضها ، وحكم آخر منهم ببيع الوقف ودفع الثمن لمستحقه من غير شراء بدل . فامتدت الأيدي لبيع

(a) زيادة اقتضاها السياق . (b-b) ساقطة من بولاق .

وحواشيهم بما يحبون ... ولقد كانت بيني وبينه صخبة أكيدة ، وكان لي معظما يادر إلى قضاء حوائجي ولا يرد لي قولا ، إلا أن الحق أحق أن يتبع . (درر العقود الفريدة ٢: ٤٢٨-٤٢٩ ؛ ابن حجر : إنباء الغمر ٢: ٤١١-٤١٢ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٣: ١٧١ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ٦: ٦٥-٦٦) .

^٣ انظر عن الاستبدال فيما تقدم ٣: ٢٠١ هـ ^١ .

^١ راجع كذلك محمد أمين : الأوقاف ١١٣ - ١١٦ .

^٢ القاضي كمال الدين أبو حفص عمر بن إبراهيم ابن العديم الحلبي الحنفي ، المتوفى سنة ٨١١ هـ / ١٤٠٨ م . قال المقريري : « كان من شر قضاة مصر حنفا ورتاعة وجرأة وإقداما وجدة ... وقحا فحاشا جسورا على الاستبدال بالأوقاف ، بحيث أتى هو وشيخه الملطي ، ثم هو وابنه ، على إتلاف معظم أوقاف القاهرة ومصر ، تقربا لأهل الدولة

الأوقاف حتى تليف بذلك سائر ما كان في قرانتي مصر من التراب ، وجميع ما كان من الدور الجليلية والمسايكن الأنيقة بمصر القسطنطاط ، ومُنشأة المهراي ومُنشأة الكتاب ، وزريرة قوضون ، وجكر ابن الأثير ، وسويقة الموق ، وما كان في الحكورة من ذلك ، وما كان بالجوانية والخطوفية وغيرها من حازات القاهرة وغيرها . فكان ما ذكر أحد أسباب الخراب كما هو مذكور في موضعه من هذا الكتاب ^١ .

الجهة الثالثة «الأوقاف الأهلية» : وهي التي لها ناظر خاص ؛ إما من أولاد الواقف أو من ولاية السلطان أو القاضي . وفي هذه الجهة الخوانك والمدارس والجوامع والتراب ، وكان متحصلها قد خرج عن الحد في الكثرة لما حدث في الدولة التركية من بناء المدارس والجوامع والتراب وغيرها ، وصاروا يفردون أراضي من أعمال مصر والشامات وفيها بلاد مقورة^٢ ، ويقيمون صورة يتملكونها بها ، ويجعلونها وقفا على مصارف كما يريدون .

فلما استبدد الأمير بزقوق بأمر بلاد مصر ، قبل أن يتلقب باسم السلطنة ، همم بازتجاج هذه البلاد ، وعقد مجلسا فيه شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني ، وقاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء وغيره ، فلم يتهيا له ذلك . فلما جلس على تخت الملك صار أمرؤه يستأجرون هذه النواحي من جهات الأوقاف ، ويؤجرونها للفلاحين بأزيد مما استأجروا .

فلما مات الظاهر فحش الأمر في ذلك ، واستولى أهل الدولة على جميع الأراضي الموقوفة بمصر والشامات ، وصار أجودهم من يدفع فيها لمن يشتحق ريعها عشر ما يحصل له ، وإلا فكثير منهم لا يدفع شيئا البتة ، لا سيما ما كان من ذلك في بلاد الشام ، فإنه استهلك وأخذ . ولذلك كان أسوأ الناس حالا في هذه المحن التي حدثت منذ سنة ست وثمان مائة الفقهاء ، لخراب الموقوف عليهم وبيعها ، واستيلاء أهل الدولة على الأراضي ^٣ .

(a) بولاقي : بلاد مقورة .

^٢ انظر عن البلاد المقورة فيما تقدم ١ : ٢٢٣ هـ .

^٣ محمد محمد أمين : الأوقاف ١١٦ - ١١٩ .

^١ واضح من هذا النص ونصوص أخرى أن المقرزي كتب الفضل الذي ذكر فيه «أسباب الخراب» بدليل إحالته إليه في كثير من المواضع . (انظر فيما تقدم ١ : ٥٤٠*) .

الجامع بجوار ثرية الشافعي بالقراة

هذا الجامع كان مسجدًا صغيرًا، فلما كثر الناس بالقراة الصغرى، عندما عمّر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب المدرسة بجوار قبر الإمام الشافعي - رضي الله عنه - وجعل لها مدرسًا وطلبة^١ زاد الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب في المسجد المذكور، ونصب به منبرًا، وخطب فيه، وضيئت الجمعة به في سنة سبع وست مائة.

جامع محمود
بالقراة

هذا المسجد قديم، والخطبة فيه متجددة، ويُنسب لمحمود بن سالم بن مالك الطويل، من أجناد السري بن الحكم أمير مصر بعد سنة مائتين من الهجرة^٢.

قال القضاة: المسجد المعروف بمحمود، يُقال إن محمودًا هذا كان رجلًا جنديًا من جنود السري بن الحكم أمير مصر، وأنه هو الذي بنى هذا المسجد. وذلك أن السري بن الحكم ركب يومًا فعارضه رجل في طريقه فكلّمه ووعظه بما غاظه، فالتفت عن يمينه فرأى محمودًا فأمره بضرب عنق / الرجل، ففعل.

فلما رجع محمود إلى منزله تفكّر وندم، وقال: رجل يتكلّم بموعظة بحق فيقتل بيدي وأنا طابع غير مكره على ذلك! فهل امتنعت؟ وكثر أسفه وبكاؤه، وآلى على نفسه أن يخرج من الجندية ولا يعود فيها، ولم يتم ليلته من الغم والندم.

فلما أصبح غدا إلى السري فقال له: إنني لم أتم في هذه الليلة على قتل الرجل، وأنا أشهد الله - عز وجل - وأشهدك أنني لا أعود في الجندية، فأسقط اسمي منهم، وإن أردت نعمتي فهي بين يديك. وخرج من بين يديه، وحسنت توبته، وأقبل على العبادة، واتخذ

^١ انظر فيما يلي ٦٣١؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة
الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٤٢٨، ٦٠٣ وفيه:
٦٠٤-٥٥؛ السيوطي: حسن المحاضرة ٢: ٢٥٧-٢٥٩. وهو صاحب الجامع الذي بسفح المقطم.

المسجد المعروف بمسجد مَحْمُود وأقام فيه ^١.

وقال ابن المتوج: «المسجد الجامع المشهور بمحمود^١ بسفح المقطم»، هذا الجامع من المساجد الحظية^٢، وهو بسفح الجبل المقطم بالقرافة الصغرى^٣. وأول من خطب فيه السيد الشريف شهاب الدين الحسين بن محمد قاضي العسكر والمدرس بالمدرسة الناصرية الصلاحية بجوار جامع عمرو - وبه عُرفت بالشريفة - وسفير [كذا] الخلافة المعظمة. وتوفي في شوال سنة خمس وخمسين وست مائة، وكان أيضا نقيب الأشراف^٤.

جامع الروضة بقلعة جزيرة الفسطاط

قال ابن المتوج: هذا الجامع عمره السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب. وكان أمام باب كنيسته تُعرف بابن لُقلق بترك اليعاقبة، وكان بها بئر مالحة، وذلك مما عُدد من عجائب مصر أن في وسط النيل جزيرة بوسطها بئر مالحة. وهذه البئر التي رأيتها كانت قبالة باب المسجد الجامع، وإنما رُدِمَت بعد ذلك^٤.

وهذا الجامع لم يزل بيد بني الرِّدَّاد، ولهم نواب عنهم فيه. ثم لما كانت أيام السلطان الملك المؤيد شيخ الحمودي هدم هذا الجامع في شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وثمان مائة، ووسَّعه بدور كانت إلى جانبه، وشرع في عمارته فمات قبل الفراغ منه^٥.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: من مساجد الخطبة.

^١ الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٦٠٤، ومصدره فيه أبو جعفر الطحاوي.

^٢ أضاف الموفق بن عثمان أنه أيضا مجاور لمشهد إبراهيم ابن اليسع.

^٣ نفسه ٦٠٤، وكذلك ابن الزيات: الكواكب السيارة ٢٨٢.

^٤ ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٠٥.

^٥ لا نُدري إن كان جامع الروضة بقلعة جزيرة مصر -

الذي يُشير إليه المقرئ - هو نفسه جامع المقياس الذي شيده أمير الجيوش بئر الجمالي في شهر رجب سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م حول المقياس عند الطرف الجنوبي لجزيرة الروضة (فيما تقدم ١٤٨-١٤٩)، وأن الصالح نجم الدين أيوب جرده وقت بنائه لقلعة الروضة، أو أن هناك جامعين مختلفين؟ فقد ذكر المقرئ في السلوك (٤: ٥٣٤) أن السلطان المؤيد شيخ صلى الجمعة يوم ٢١ رجب سنة ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م في جامع المقياس ورسم بهدمه وبنائه وتوسيعه، =

جامع غنن^(a) بالروضة

قال ابن المتوج: المسجد الجامع بروضة مصر يُعرف بجامع غنن^(a)، وهو القديم، ولم تزل الخطبة قائمة فيه إلى أن عمّر جامع^(b) المقياس^١ فبطلت الخطبة منه، ولم تزل الخطبة بطالة منه إلى الدولة الظاهرية. فكثرت عمائر الناس حوله في الروضة، وقلّ الناس في القلعة، وصاروا يجدون مشقة في مشيهم من أواخر^(c) الروضة.

وعمر الصاحب محيي الدين أحمد ولد الصاحب بهاء الدين علي بن جئنا^٢ داره على خوخة الفقيه نصر قبالة هذا الجامع؛ فحسّن له إقامة الجمعة في هذا الجامع لقربه منه ومن الناس، فتحدّث مع والده، فشاوّر السلطان الملك الظاهر بيبرس فوقع منه بموقع - لكثرة رُكوبه بحر النيل، واعتنايه بعمارة الشواني ولعبها في البحر، ونظره إلى كثرة الخلائق بالروضة - ورسم إقامة الخطبة فيه مع بقاء الخطبة بجامع القلعة لقوة نيّبه في عمارتها على ما كانت عليه.

فأقيمت الخطبة به في سنة ستين وست مائة. وولي خطابته أفضى القضاة جمال الدين ابن الغضاري^(d) الغفاري، وكان يثوب بالجيزة في الحكم، ثم ناب في الحكم بمصر عن قاضي القضاة وجيه الدين البهنسي، وكان إمامه في حال عطّيته من الخطبة، فلما أقيمت فيه الخطبة، أضيفت إليه الخطابة فيه مع الإمامة^٣.

(a) بولاق: عين. (b) في النسخ: جانب. (c) بولاق: أوائل. (d) بولاق: الغفاري.

^٢ حاشية بخط المؤلف: «محيي الدين أحمد ابن الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن جئنا، مات في حياة أبيه لثمان خلون من شعبان سنة اثنين وتسعين وست مائة وورثاه البوصيري». (وانظر فيما يلي ٢: ٢٩٩).

^٣ قارن مع ابن دُقماق: الانتصار ٤: ١١٥. وذكر السيوطي أن هذا الجامع أصبح يُسمى في وقته «جامع الأباريقي» (كوكب الروضة ١٠١)، وأضاف علي باشا مبارك أن في زمنه - أي في سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م =

= ورسم أيضًا بتزميم رباط الآثار جنوب الفسطاط. وفي يوم الأحد ١٦ شعبان من اليوم نفسه زار الآثار النبوية وكشّف عمارة جامع المقياس بالروضة. (راجع كذلك، ابن حجر: إنباء الغمر ٣: ٢٢١؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤: ٩٩، ١٠١، ١١٣، حوادث الدهور ١: ٨٨؛ السيوطي: كوكب الروضة ١٠١-١٠٢؛ ابن إياس: بدائع الزهور ٢: ٥٤، ٦٢)، وانظر فيما يلي ٢٤٨، جامع الفخر بالروضة.

^١ السيوطي: كوكب الروضة ١٠٠.

أَحَدُ خُدَّامِ الْخَلِيفَةِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ . خَلَعَ عَلَيْهِ فِي تَاسِعِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ
 عَيْن (a) اثنتين وأربع مائة وقلده سيفًا ، وأعطاه سِجِلًا قُرئَ فَإِذَا فِيهِ أَنَّهُ لُقِّبَ بِـ «قَائِدِ
 الْقَوَادِ» ، وَأُمِرَ أَنْ يَكْتُبَ بِذَلِكَ وَيُكَاتِبَ بِهِ ، وَرَكِبَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَشْرَةَ أَفْرَاسٍ بِشُرُوجِهَا وَحُجْمِهَا .
 وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ ، أُنْفَذَ إِلَيْهِ الْحَاكِمُ خَمْسَةَ آلَافٍ دِينَارٍ وَخَمْسَةَ وَعِشْرِينَ
 فَرَسًا بِشُرُوجِهَا وَحُجْمِهَا ، وَقَلَدَهُ الشُّرْطَتَيْنِ وَالْحَيْسَبَةَ بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ وَالجِيزَةَ ، وَالنَّظَرَ فِي أُمُورِ
 الْجَمِيعِ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ كُلِّهَا ، وَكَتَبَ لَهُ سِجِلًا بِذَلِكَ قُرئَ بِالْجَامِعِ الْعَتِيقِ . فَتَنَزَلَ إِلَى الْجَامِعِ
 وَمَعَهُ سَائِرُ الْعَشْكَرِ وَالخَلِيعِ عَلَيْهِ ، وَحَمِيلَ عَلَى فَرَسَيْنِ . وَكَانَ فِي سِجِلِّهِ مُرَاعَاةُ أَمْرِ التَّبِيدِ وَغَيْرِهِ مِنَ
 الْمُسْكِرَاتِ ، وَتَتَبُّعُ ذَلِكَ وَالتَّشْدِيدُ فِيهِ ، وَفِي الْمَنَعِ مِنَ عَمَلِ الْفُقَّاعِ وَتَبِعِهِ ، وَمِنْ أَكْلِ الْمُلُوجِيَّةِ
 وَالسَّمَكِ الَّذِي لَا قِشْرَ لَهُ ، وَالْمَنَعِ مِنَ الْمَلَاهِي كُلِّهَا ، وَالتَّقَدُّمُ بِمَنَعِ النِّسَاءِ مِنْ مُحْضُورِ الْجَنَائِزِ وَالْمَنَعِ
 مِنْ بَيْعِ الْعَسَلِ ، وَالْأَلَّا يَتَجَاوَزَ فِي بَيْعِهِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَرْطَالٍ لِمَنْ لَا يَسْبِقُ إِلَيْهِ ظَنُّهُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْهُ
 مَسْكِرًا . فَاسْتَمَرَ ذَلِكَ إِلَى عُرَّةِ صَفَرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ ، فَصُرِفَ عَنِ الشُّرْطَتَيْنِ وَالْحَيْسَبَةِ بِمُظَفَّرِ
 الصَّقْلِيِّ (b) ٢ .

(a) بولاق : عين . (b) بولاق : الصقلي .

الطاهرين» . هكذا وَرَدَتْ أَلْقَابُهُ كَامِلَةً عَلَى طَبَقِي مِنَ الْخَرْفِ
 مَحْفُوظٍ بِمَتْحَفِ الْفَرْقِ الْإِسْلَامِيِّ بِالْقَاهِرَةِ (حَسَنُ الْبَاشَا :
 «طَبَقٌ مِنَ الْخَرْفِ بِاسْمِ (عَيْن) مَوْلَى الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ» ، مَجَلَّةُ
 كَلِيَّةِ الْآدَابِ - جَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ ١٨ (١٩٥٦) ، ٨٤ ؛ عَبْدِ
 الرَّؤُوفِ عَلِيِّ يَوْسُفَ : «طَبَقٌ عَيْنٍ وَالْخَرْفُ الْفَاعِلِيُّ الْمُبَكَّرُ» ،
 مَجَلَّةُ كَلِيَّةِ الْآدَابِ - جَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ ١٨ (١٩٥٦) ، ٨٧ -
 ١٠٦ ؛ وَرَاجِعْ كَذَلِكَ الْمَسْبُوحِي : أَخْبَارُ مِصْرَ ٧٨ ، يَحْيَى
 ابْنِ سَعِيدٍ : تَارِيخُ الْأَنْطَاكِيِّ ٣٠٩ ، ٣١٠ ؛ ابْنُ الصَّيْرَفِيِّ :
 الْإِشَارَةُ إِلَى مَنْ نَالَ الْوِزَارَةَ ٦٨ ؛ ابْنُ دِقْمَاقٍ : الْإِنْتِصَارُ
 ٤ : ١١٥ ؛ الْمُقْرِزِيُّ : اتِّعَاطُ الْخَنَفَا ٢ : ٨٩ ، ٩١ ، ٩٤ ،
 ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢) .

= - صَارَ مَوْضِعُهُ زَاوِيَةً صَغِيرَةً بِهَا ضَرْبُ الشَّيْخِ الْأَبَارِيقِيِّ
 ظَاهِرٌ يُرَازُ ؛ وَقَدْ بَنَى هَذِهِ الزَّوِيَةَ الْأَمِيرُ عَلِيُّ بَاشَا شَرِيفِ ابْنِ
 الْمَرْحُومِ شَرِيفِ بَاشَا أَحَدِ أَمْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْمَحْمُودِيَّةِ الْعُلُويَّةِ .
 وَعِنْدَمَا نَبَشَ هَذَا الْأَمِيرُ الْأَرْضَ لِيَأْخُذَ مِنْهَا التُّرَابَ لِيُرْفَعَ بِهِ
 أَرْضَ بُنْتَانِهِ ، وَجَدَ كَثِيرًا مِنْ قِطْعِ الرُّخَامِ وَوَجَدَ حَيْضَانًا
 مَبْنِيَةً وَمِجَارِيَّ وَغَيْرَ ذَلِكَ ، فَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ جَامِعَ عَيْنٍ
 الْأَوَّلَ كَانَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ؛ وَأَنَّ مَا عُمِّرَ مِنْهُ هُوَ الْجِزَاءُ الَّذِي
 فِيهِ قَطْعُ ضَرْبِ الْأَبَارِيقِيِّ . وَهُوَ الْآنَ زَاوِيَةٌ صَغِيرَةٌ بِشَارِعِ
 مُحَمَّدِ ذُو الْفَقَارِ بِالْمَنْبِيلِ غَرْبِ كَوْبَرِيِّ الْمَلِكِ الصَّالِحِ . (عَلِيِّ
 مَبَارَكٍ : الْخَطَطُ التَّوْفِيقِيَّةُ ١٨ : ١٢ ؛ سَعَادُ مَاهِرٍ : مَسَاجِدُ
 مِصْرَ ٢ : ١٠٠-١٠١) .

٢ راجع فيما تقدم ١٣٨-١٤٠ نواهي الحاكم .

١ عَيْن : هُاسْتَاذُ الْأُسْتَاذِينَ قَائِدُ الْقَوَادِ عَيْنِ مَوْلَى أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ

- فلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ثَامِنَ عَشْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْهَا ، أَمَرَ بِقَطْعِ يَدَيْ كَاتِبِهِ أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ ابْنِ أَحْمَدَ الْجَزْجَرَانِيِّ^(a) فَقَطَعْتَا جَمِيعًا ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ عِنْدَ السَّيِّدَةِ الشَّرِيفَةِ أُخْتِ الْحَاكِمِ ، فَانْتَقَلَ مِنْ خِدْمَتِهَا إِلَى خِدْمَةِ عَبْنٍ^(b) خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنْ خِدْمَتِهَا فَسَخِطَتْ لَذَلِكَ ، فَبَعَثَتْ إِلَيْهَا يَسْتَعْفِفُهَا وَيَذْكَرُ فِي رُقْعَتِهِ شَيْئًا وَقَفَّتْ عَلَيْهِ ، فَارْتَابَتْ مِنْهُ فَظَنَّتْ أَنَّ ذَلِكَ حِيلَةٌ عَلَيْهَا ، وَأَنْفَذَتْ الرُّقْعَةَ فِي طَيِّ رُقْعَتِهَا إِلَى الْحَاكِمِ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهَا اشْتَدَّ غَضَبُهُ ، وَأَمَرَ بِقَطْعِ يَدَيْهِ جَمِيعًا فَقَطَعْتَا .^٥
- وَقِيلَ بَلْ كَانَ عَبْنٌ^(b) هُوَ الَّذِي يُوَصَّلُ رِقَاعَ عُقَيْلٍ ، صَاحِبِ الْخَبْرِ ، إِلَى الْحَاكِمِ فِي كُلِّ يَوْمٍ .^٦
- فِيأَخِذُهَا مِنْ عُقَيْلٍ وَهِيَ مَخْتُومَةٌ بِخَاتَمِهِ ، وَيَدْفَعُهَا لِكَاتِبِهِ أَبِي الْقَاسِمِ الْجَزْجَرَانِيِّ^(a) حَتَّى يَخْلُوَ لَهُ وَجْهَ الْحَاكِمِ ، فَيَأْخِذُهَا حِينَئِذٍ مِنْ كَاتِبِهِ وَيُوقِفُهَا عَلَيْهَا . وَكَانَ الْجَزْجَرَانِيُّ^(a) يَفْكَ الْخَتْمَ وَيَقْرَأُ الرِّقَاعَ^(c) وَيُعِيدُ خَتْمَهَا^(c) ، فَلَمَّا كَانَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ فَكَّ رُقْعَةً ، فَوَجَدَ فِيهَا طَعْنًا عَلَى عَبْنٍ^(c) أَسَازَهُ وَقَدْ ذُكِرَ فِيهَا بِشَوْءٍ ، فَقَطَعَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ وَأَصْلَحَهُ وَأَعَادَ خَتْمَ الرُّقْعَةِ . فَبَلَغَ ذَلِكَ عُقَيْلًا^{١٠} صَاحِبَ الْخَبْرِ ، فَبَعَثَ إِلَى الْحَاكِمِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْاجْتِمَاعِ بِهِ لِحُلُوءَةٍ فِي أَمْرٍ مَهْمٍ ، فَأُذِنَ لَهُ وَحَدَّثَهُ بِالْخَبْرِ ، فَأَمَرَ حِينَئِذٍ بِقَطْعِ يَدَيْ الْجَزْجَرَانِيِّ^(a) فَقَطَعْتَا . ثُمَّ بَعْدَ قَطْعِ يَدَيْهِ بِخَمْسَةِ عَشْرِ يَوْمًا فِي ثَالِثِ جُمَادَى الْأُولَى ، قُطِعَتْ يَدُ عَبْنٍ^(b) الْآخَرَى . وَكَانَ قَدْ أَمَرَ بِقَطْعِ يَدَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلَاثِ سِنِينَ وَشَهْرٍ ، فَصَارَ مَقْطُوعَ الْيَدَيْنِ مَعًا .
- وَلَمَّا قُطِعَتْ يَدُهُ حُمِلَتْ فِي طَبَقٍ إِلَى الْحَاكِمِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِالْأَطْبَاءِ ، وَوَصَلَهُ بِاللُّوفِ مِنَ الذَّهَبِ^{١٥} وَعِدَّةٍ مِنْ أَسْفَاطِ ثِيَابٍ ، وَعَادَهُ جَمِيعُ أَهْلِ الدَّوْلَةِ . فَلَمَّا كَانَ ثَالِثَ عَشْرَةَ أَمَرَ بِقَطْعِ لِسَانِهِ فَقَطَعَ وَحُمِلَ إِلَى الْحَاكِمِ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ الْأَطِبَّاءَ ، وَمَاتَ بَعْدَ ذَلِكَ .

جَامِعُ الْأَقْرَمِ

- قَالَ ابْنُ الْمُنَوِّجِ : هَذَا الْجَامِعُ بِسَفْحِ الرُّضْدِ^١ ، عَمَّرَهُ الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ أَيُّبُكَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ -
 الْمَعْرُوفُ بِالْأَقْرَمِ - أَمِيرُ جَانْدَارِ الْمَلِكِيِّ الصَّالِحِيِّ النَّجْمِيِّ ، فِي شَهْرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ،
 لَمَّا عَمَّرَ الْمَنْظَرَةَ هُنَاكَ ، وَعَمَّرَ بِجَوَارِهَا رِبَاطًا لِلْفُقَرَاءِ وَقَرَّرَ لَهُمْ عِدَّةً تَتَعَقَدُ بِهِمُ الْجُمُعَةَ ، وَقَرَّرَ إِقَامَتَهُمْ

(a) بولاق : الجرجاني . (b) بولاق : عين . (c-c) ساقطة من بولاق .

^١ لذلك يُعْرَفُ أَيْضًا بِجَامِعِ الرُّضْدِ (ابن دقماق : الانتصار ٤: ٧٨) ، وفيما يلي ٨٠٤ .

فيه ليلاً ونهاراً، وقرَّرَ كفايتهم وإعانتهم على الإقامة، وعمَّرَ لهم هذا الجامع يستغنون به عن الشَّعْبِي إلى غيره. وذكر أن الأقرم أيضاً عمَّرَ مسجداً بجسر الشَّعْبِيَّة، في شعبان سنة ثلاث وتسعين وست مائة وجامعاً هدمَ فيه عدَّة مساجد^١.

الجامعُ بِمُنْشَأَةِ المِزْرَانِي

قال ابنُ المَنَوِّج: والسَّبَبُ في عِمَارَةِ هذا الجَامِعِ أَنَّ القَاضِي الفَاضِلَ كَانَ لَهُ بُسْتَانٌ عَظِيمٌ فِيمَا بَيْنَ مَيْدَانِ اللُّوقِ وَبُسْتَانِ الخَشَّابِ^٢ الَّذِي أَكَلَهُ البَحْرُ، وَكَانَ يَمِيرُ مِصرَ والقَاهِرَةَ مِنْ ثِمَارِهِ وَأَعْنَابِهِ، وَلَمْ تَزَلِ البَاعَةُ يُنَادُونَ عَلَى العِنَبِ «رَحِمَ اللهُ الفَاضِلَ يَا عِنَبُ» إِلَى مُدَّةِ سِنِينَ عَدِيدَةٍ بَعْدَ أَنْ أَكَلَهُ البَحْرُ^٣.

وَكَانَ قَدْ عَمَّرَ إِلَى جَانِبِهِ جَامِعًا وَبَنَى حَوْلَهُ، فَسُمِّيَتْ بِمُنْشَأَةِ الفَاضِلِ، وَكَانَ خَطِيْبُهُ أَنَا الفَقِيهَ مُوَفَّقَ الدِّينِ بنِ المَهْدَوِيِّ الدِّيَابِجِيِّ العُثمَانِي، وَكَانَ قَدْ عَمَّرَ بِجَوَارِهِ دَارًا وَبُسْتَانًا وَعَرَسَ فِيهِ أَشْجَارًا حَسَنَةً. وَدَفَعَ إِلَيْهِ فِيهِ أَلْفَ دِينَارٍ مِصرِيَّةٍ فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ، وَكَانَ الصَّرْفُ قَدْ بَلَغَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ كُلِّ دِينَارٍ ثَمَانِيَةَ وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا وَنِصْفَ دِرْهَمٍ نَقْرَةَ. فَاسْتَوَلَى البَحْرُ عَلَى الجَامِعِ وَالدَّارِ وَالمُنْشَأَةِ، وَقَطَعَ جَمِيعَ ذَلِكَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ.

وَكَانَ خَطِيْبُهُ مُوَفَّقَ الدِّينِ يَسْكُنُ بِجَوَارِ الصَّاحِبِ بَهَاءِ الدِّينِ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ حِنَّا، وَيَبْرَدُ إِلَيْهِ وَإِلَى وَالِدِهِ مُحْيِي الدِّينِ، فَوَقَّفَ وَضَرَعَ إِلَيْهِمَا وَقَالَ: أَكُونُ غُلَامَ هَذَا البَابِ وَيَخْرُبُ جَامِعِي. فَرَحِمَهُ الصَّاحِبُ وَقَالَ: السَّمْعُ وَالمُطَاعَةُ، يُدَبِّرُ اللهُ. ثُمَّ فَكَّرَ فِي هَذِهِ البُقْعَةِ الَّتِي فِيهَا هَذَا الجَامِعُ الآنَ، وَكَانَتْ تُعْرَفُ بِالكُومِ الأَحْمَرِ، مُرْصَدَةً لِعَمَلِ أَقْمِنَةِ الطُّوبِ الأَجْرِيِّ، وَبِهِ سُمِّيَ^٤ بِالكُومِ الأَحْمَرِ.

(a) بولاق: أقمنة الطوب الأجرية سميت.

^١ جامعُ جِسرِ الشَّعْبِيَّةِ عَمَّرَهُ الأَمِيرُ عَزُّ الدِّينِ أَيْتُكَ الأَقْرَمُ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ. (ابن دِقْمَاقِ: الانتصار ٤: ٧٨، وانظر فيما تقدم ٣: ٥٥١، وفيما يلي ٢٠٤).
^٢ بَشْرَةُ قَنْطَرَةٌ قَدَادَارِ لِمَنْ يُرِيدُ البَحْرَ مِنَ القَنْطَرَةِ. «بُسْتَانُ الخَشَّابِ يُعْرَفُ مَوْضِعُهُ بِالمَرِيْسِ». (وانظر فيما تقدم ٣: ٣٨٦، ٣٨٨-٣٩٢).
^٣ فيما تقدم ٢: ١٦٤.

^٤ حَاشِيَةٌ بِخَطِّ المَوْئَلَّفِ: «مَيْدَانِ اللُّوقِ هُوَ اليَوْمَ عَلَى

وكان الصَّاحِبُ فَخْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّاحِبِ بَهَاءِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حِنَّا قَدْ عَمَّرَ مَنظَرَةَ قُبَاةَ هَذَا الْكُومِ^١ - وهي التي صارت دار ابن صَاحِبِ الْمُؤَصِّلِ^(b) وانتقلت إلى يدِ وَرَثَةِ الْمَلِكِ علاء الدِّينِ ابنِ صَاحِبِ الْمُؤَصِّلِ^(b) - وكان فَخْرُ الدِّينِ كثير الإقامة فيها مُدَّةَ الأَيَّامِ الْمُعْرِضَةِ ، فَقَلِقَ مِنْ دُخَانِ الأَقِيمَةِ التي على الْكُومِ الأَحْمَرِ ، وشكا ذلك لوالديه ولصهره الوَزِيرِ شَرَفِ الدِّينِ هِبَةَ اللَّهِ بْنِ صَاعِدِ الْفَائِزِيِّ . فَأَمَرَ بِتَقْوِيمِهِ ، فَقُومَ مَا بَيْنَ بُسْتَانَ الحِمْيِّ وَبَحْرِ النَّيْلِ ، وَابْتِئَاعَهُ الصَّاحِبُ بَهَاءِ الدِّينِ .

فَلَمَّا مَاتَ وَلَدَهُ فَخْرُ الدِّينِ ، وَتَحَدَّثَ مَعَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبَرْسَ فِي عِمَارَةِ جَامِعِ هُنَاكَ ، مَلَكَهُ هَذِهِ الْقِطْعَةُ مِنَ الأَرْضِ ، فَعَمَّرَ السُّلْطَانُ بِهَا هَذَا الْجَامِعَ ، وَوَقَفَ عَلَيْهِ بِقِيَّةَ هَذِهِ الأَرْضِ الْمَذْكُورَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَجَعَلَ النَّظَرَ فِيهِ لِأَوْلَادِهِ وَذُرِّيَّتِهِ ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِمْ لِقَاضِي القُضَاةِ الحَنَفِيِّ .

وَأَوَّلُ مَنْ خَطَبَ فِيهِ الْفَقِيهُ مُوَفَّقُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمَهْدَوِيِّ العُثْمَانِي الدِّيَابِجِي إِلَى أَنْ تَوَفَّى يَوْمَ الأَرْبَعَاءِ ثَلَاثَ عَشْرِينَ^(c) شَوَّالِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ . وَقَدْ تَعَطَّلَتْ إِقَامَةُ الْجُمُعَةِ مِنْ هَذَا الْجَامِعِ لِخَرَابِ مَا حَوْلَهُ وَقِلَّةِ السَّاكِنِينَ هُنَاكَ ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ تِلْكَ الحِطَّةُ فِي غَايَةِ العِمَارَةِ . وَكَانَ صَاحِبُنَا شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّاحِبِ قَدْ عَزَمَ عَلَى نَقْلِ هَذَا الْجَامِعِ مِنْ مَكَانِهِ ، فَاخْتَرَمَتْهُ المَنِيَّةُ قَبْلَ ذَلِكَ .

جَامِعُ دَيْرِ الطِّينِ

قال ابنُ المَنَوِجِ : هَذَا الْجَامِعُ بِدَيْرِ الطِّينِ فِي الجَانِبِ الشَّرْقِيِّ عَمَّرَهُ الصَّاحِبُ تَاجُ الدِّينِ ابنِ الصَّاحِبِ فَخْرُ الدِّينِ ، / وَلَدَ الصَّاحِبِ بَهَاءِ الدِّينِ المشهور بابن حِنَّا ، فِي المَحْرَمِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ . وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا عَمَّرَ بُسْتَانَ المَعَشُوقِ وَمَنَاظِرَهُ ، وَكَثُرَتْ إِقَامَتُهُ بِهَا ، وَبَعُدَ عَلَيْهِ الْجَامِعُ - وَكَانَ جَامِعُ دَيْرِ الطِّينِ ضَيِّقًا لَا يَسَعُ النَّاسَ - فَعَمَّرَ هَذَا الْجَامِعَ وَعَمَّرَ فَوْقَهُ طَبَقَةً يُصَلِّي فِيهَا .

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : عشر .

^١ حاشية بخط المؤلف : «هذه المنظره هي الدور التي في الحُطَّ الذي يُقالُ له اليوم بين الرُّقَاقِينِ ، ومنه يشكُّك من يُريدُ مصرَ والجامع الجديد» .

وَيَعْتَكِفُ إِذَا شَاءَ وَيَحُلُو بِنَفْسِهِ فِيهَا . وَكَانَ مَاءُ النَّيْلِ فِي زَمَانِهِ يَصِلُ إِلَى جِدَارِ هَذَا الْجَامِعِ [وَهُوَ مُطَّلٌّ عَلَى بَرَكَةِ الْحَبَشِ] (a) ١ .

وَوَلِيَّ خُطَابَتِهِ الْفَقِيهُ جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ ابْنُ الْمَاشِطَةِ ، وَمَنْعَهُ مِنْ لَيْسِ السَّوَادِ لِأَدَاءِ الْخُطْبَةِ فَاسْتَمَرَ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ فِي عَاشِرِ رَجَبِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِ مِائَةٍ . وَأَوَّلُ خُطْبَةٍ أُقِيمَتْ فِيهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَابِعَ صَفَرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ . وَقَدْ ذَكَرْتُ تَرْجَمَةَ الصَّاحِبِ تَاجِ الدِّينِ عِنْدَ ذِكْرِ رِبَاطِ الْآثَارِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ٢ .

محمد بن علي بن محمد بن سليم بن حنّا - أبو عبد الله الوزير الصّاحب
فخر الدين ابن حنّا
وست مائة، وتزوج بابنة الوزير الصّاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد الفايزي، وناب عن والده في الوزارة، وولي ديوان الأقباس ووزارة الصّحبة في الأيام الظاهرية تيّزس ٣ .

وَسَمِعَ الْحَدِيثَ بِالْقَاهِرَةِ وَدِمَشْقَ وَحَدَّثَ ، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ ، وَدَرَسَ بِمَدْرَسَةِ أَبِيهِ الصَّاحِبِ بِهَاءِ الدِّينِ الَّتِي كَانَتْ فِي رُقَاقِ الْقَنَادِيلِ بِمِصْرَ . وَكَانَ مُحِبًّا لِأَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ ، مُؤَثِّرًا لَهُمْ ، مُتَّفَقًا لِأَحْوَالِهِمْ . وَعَمَّرَ رِبَاطًا حَسَنًا بِالْقَرَفَةِ الْكَبْرَى رَتَّبَ فِيهِ جَمَاعَةً مِنَ الْفُقَرَاءِ .

وَمِنْ غَرِيبٍ مَا يَتَّعِظُ بِهِ الْأَرَيْبُ أَنَّ الْوَزِيرَ الصَّاحِبَ زَيْنَ الدِّينِ يَعْقُوبَ بْنَ عَبْدِ الرَّفِيعِ بْنِ الزُّبَيْرِ - الَّذِي كَانَ بَنُو حِنَّا يُعَادُونَهُ وَعَنْهُ أَخَذُوا الْوِزَارَةَ - مَاتَ فِي ثَالِثِ عَشَرَ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ بِالسُّجْنِ ، فَأُخْرِجَ كَمَا تَخْرُجُ الْأَمْوَاتُ الطَّرْحَاءُ عَلَى الطَّرِيقَاتِ مِنَ الْغُرَبَاءِ ، وَلَمْ يُشَيِّعْ جَنَازَتَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ مُرَاعَاةً لِلصَّاحِبِ بْنِ حِنَّا .

وَكَانَ فَخْرُ الدِّينِ هَذَا يَنْتَزِعُهُ فِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ مُبْنِيَةَ الْقَائِدِ - وَقَدْ نُصِبَتْ لَهُ الْخِيَامُ ، وَأُقِيمَتْ الْمَطَابِخُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْمُطْرِبُونَ - فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْبَشِيرُ بِمَوْتِ الْوَزِيرِ يَعْقُوبَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَأَنَّهُ أُخْرِجَ إِلَى الْمَقَابِرِ مِنْ

(a) زيادة من ابن دقماق .

١ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٧٨ ، وسماه «الجامع التاجي بدير الطين» .

٢ فيما يلي ٨٠٢ - ٨٠٤ .

٣ صَبَطَ الْمُقْرِيزِيُّ اسْمَهُ فِي الْمَقْفَى بِالْعِبَارَةِ : سَلِيمٌ ، بَفَتْحِ السِّينِ الْمَهْمَلَةِ وَكَسْرِ اللَّامِ ، وَحِنَّا بِحَاءٍ مَهْمَلَةٍ مَكْسُورَةٍ بَعْدَهَا

نون مشددة مفتوحة . (المقريزي : المقفى ٦ : ٣٣٤) . وانظر ترجمة الوزير الصّاحب فخر الدين محمد بن الوزير الصّاحب بهاء الدين ابن حنّا، المتوفى سنة ٦٦٨هـ/٩٢١م، عند الصفدي : الوافي بالوفيات ٤ : ١٨٥-١٨٦ ؛ المقريزي : المقفى الكبير ٦ : ٣٣٤-٣٣٦ .

غير أن يُشيع جنازته أحد من الناس . فشر بذلك ولم يتمالك نفسه . وأمر المطربين فغنّوه ، ثم قام على رجلَيْه ورَقَصَ هو وسائر من حضره وأظهر من الفرح والخلاعة ما خرّج به عن الحدّ ، وخلع على البشير بموت المذكور خلعاً سيئاً .

فلم يمض على ذلك سوى أقل من أربعة أشهر ، ومات في حادي عشرين شعبان من السنة المذكورة ففجع به أبوه ، وكانت له جنازة عظيمة . ولما دُلِّي في لحده ، قام شرف الدين محمد ابن سعيد البوصيري - صاحب البردة - في ذلك الجمع الموقور بثبوت ابن حنّا من القرافة ، وأنشد^١ :

[الخفيف]

تم هنيئاً محمد بن عليّ

بجميل قدّمت بين يديكَا

لم تزل عوننا على الدهر حتى

غلبتنا^(a) يدُ المنونِ عليكَا

أنت أحسنت في الحياة إلينا

أحسن الله في المعات إلينا

فتباكى الناس وكان لها محلّ كبيرٌ ممن حضر ، رحمة الله عليهم أجمعين .

وفي هذا الجامع يقول السراج الوراق^٢ :

[الطويل]

وتخيّر مباني العابدين المساجد

على حُسينها الزاهي لها البخر حاسد

من الجامع المعمور بالله واجد

أقر له زيدٌ وعمرو وخالد

فما هي بين الشهب إلا فراقد

فلا حائرٌ عنه ولا عنه حائد

وخوفٌ فلم يُمدد إليهن ساعد

بنيهم على تقوى من الله مسجداً

فقل في طرازٍ معلّم فوق بركة

لها حللٌ شتى^(b) ولكن طرازها

هو الجامع الإحسان والحسن والذي

وقد صافحت شهب الدجى شرفاته

وقد أرشد الضلال عالي مناره

ونالت نواقيس الديارات وجمّة

(a) البيت في الوافي : كنت عوناً لنا على الدهر حتى حسدتنا . (b) بولاق : حسنى .

١ ديوان البوصيري ، نشر محمد سيد الكيلاني ، القاهرة

١٩٥٥ ، ٢٣٢ .

٢ : ٣ : ١٤٠-١٤٦ ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ١ : ١٨٧ ؛

الصقاعي : تالي كتاب وفيات الأعيان ١١٧ ؛ العيني :

عقد الجمان ٣ : ٣٣١ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٨ : ٨٣ -

٨٤ ، المنهل الصافي ٨ : ٣١٦ - ٣١٩ .

٢ سراج الدين أبو حفص عمر بن محمد بن حسن

الوراق الشاعر ، المتوفى سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م بسويقة وزدان

بالقاهرة ، راجع ترجمته عند ، ابن شاکر : فوات الوفيات

فتبكي عليهن البطاريق في الدجى
وهنّ لديهم مُلقيات كواسدُ
بذا قَضَتِ الأيامُ ما بين أهلها
مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ

جامع الظاهر

[أثر رقم ١]

هذا الجامع خارج القاهرة وكان موضعه ميداناً، فأنشأه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري جامعاً^١. قال جامع «السيرة الظاهرية»^(a) ومنها نقلت^(a): «في شهر^(b) ربيع الآخر -

(a-a) إضافة من المسوّدة. (b) ساقطة من بولاق.

الإسلامية ٢: ٣٩-٥٥).

ويُدلّ على تاريخ بناء هذا الجامع ثلاثة كتابات تاريخية - تحمل تقريباً نصاً واحداً - تُوجد على كلٍّ من أبواب الجامع الثلاثة: الشمالي والغربي والجنوبي، وفيما يلي الكتابة الموجودة على الباب الغربي للجامع وهي خمسة أسطر من النسخ المملوكي، نصّها:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآية ١٨ سورة التوبة -
أَمَرَ بِإِنشَاءِ هَذَا الْجَامِعِ الْمُبَارَكِ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ
رُكْنُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ سُلْطَانُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ صَاحِبُ
الْقِبْلَتَيْنِ الْأَمِيرُ بَيْتَقَةَ الْخَلِيفَتَيْنِ خَادِمُ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ أَبُو
الْفَتْحِ بَيْبَرُ بْنُ الْقَاسِمِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ،
وَذَلِكَ بِتَأْرِيخِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ
وَسِتِّ مِائَةٍ». (van Berchem, M., *CIA Egypt I*, n^o 7678; Wiet, G., *RCEA XII* n^o 4563-65).

وتعطلت إقامة الشعائر في هذا الجامع منذ أوائل القرن
العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، بسبب سقته
وتعذر الصّرف عليه (مثل ما تحدّث مع جامع ابن طولون، فيما
تقدم ٥٩-٦٠)، ووجوده نسيباً خارج المدينة. وتخرّب مع
الزّمن وسقطت قبّته الكبيرة التي كانت فوق إيوان

^١ جامع الظاهر. يقع في ميدان الظاهر إلى الشمال الغربي من سور القاهرة الشمالي خارج باب الفتوح. يُعدّ من أكبر جوامع القاهرة مساحةً حيث تبلغ مساحته نحو ثلاثة أفدنة (١١٨٨٠ متراً مربعاً). وهو أول الجوامع المملوكية بالقاهرة. (راجع عن تاريخ بنائه ووصفه وتخطيطه وعماره، ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٢٧٢-٢٧٣؛ النويري: نهاية الأرب ٣٠: ١٣٣-١٣٤؛ ابن أليك الدواداري: كنز الدرر ٨: ١٢٣، المقرئ: السلوك ١: ٥٥٦؛ العيني: عقد الجمان ١: ٤٠٧؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ١٦١ هـ^٢؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ١٠١، ١٠٣-١٠٤؛ محمد عبد العزيز مرزوق: «جامع الظاهر ببيبرس البندقداري»، *المجلة التاريخية المصرية* ٣ (مايو ١٩٥٠)، ٩١-١٠٢؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ٣٢-٣٧؛ Creswell, K.A.C., «The Works of the Sultan Bibars al-Bunduqdari in Egypt», *BIFAO XXVI* (1926), pp. 154-67; id., *MAE II*, pp. 155-61; Bloom, J.M., «The Mosque of Baybars al-Bunduqdârâ in Cairo», *An.Isl. XVIII* (1982), pp. 45-78؛ سامح عبد الرحمن فهمي: «جامع الظاهر ببيبرس - دراسة معمارية وفنية»، دراسات أثرية إسلامية ٣ (١٩٨٨)، ٩٩-١٦٠؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة

يعني سنة خمس وستين وست مائة - اهتتم السلطان بعمارة جامع بالحسينية ، وسير الأتابك فارس الدين أقطاي المستعرب والصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين علي بن حنا وجماعة من المهندسين لكشف مكان يليق أن يعمل جامعاً . فتوجهوا لذلك واتفقوا على منح الجمال السلطانية ، فقال السلطان : / لا والله لا جعلت الجامع مكان الجمال ، وأولى ما جعلته ميداني الذي ألعب فيه بالكرة وهو نزهتي .

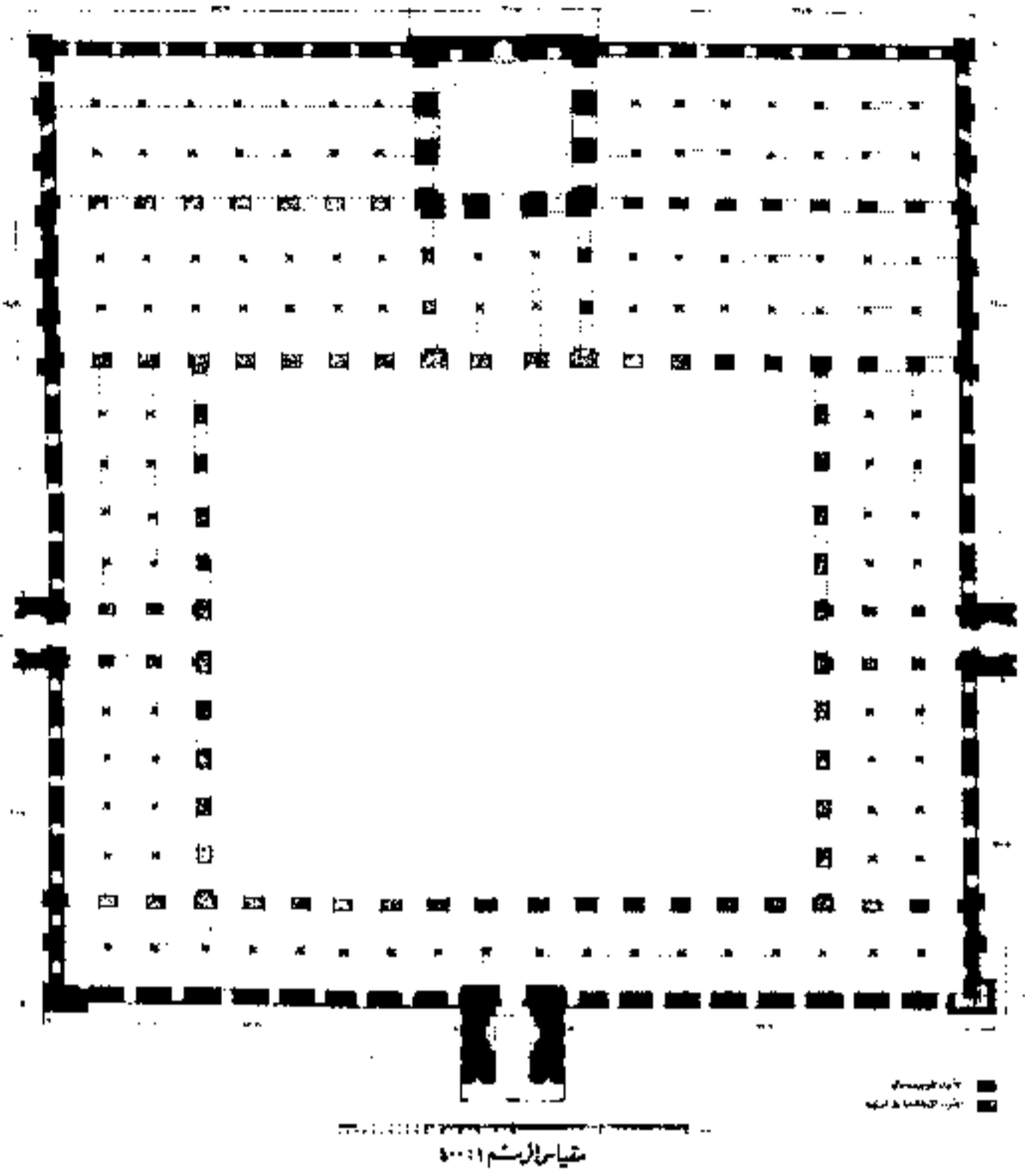
فلما كان يوم الخميس ثامن شهر ربيع الآخر ركب السلطان وصحبته خواصه ووزيره الصاحب بهاء الدين علي بن حنا القضاة والأئمة^(a) ، ونزل إلى ميدان قراقوش ، وتحدث في أمره وقاسه ورثب أموره وأمور بنائه ، ورسم بأن يكون بقية الميدان وفقاً على الجامع يحكر ، ورسم بين يديه هيئة الجامع ، وأشار أن يكون بابه مثل باب المدرسة الظاهرية ، وأن يكون على مخرابه قبة على قدر قبة الشافعي - رحمة الله عليه^(b) .

وكتب في وقته الكتب إلى البلاد بإحضار العمود الرخام الكبار^(c) من سائر البلاد ، وكتب بإحضار الجمال والجواميس والأبقار والدواب من سائر الولايات ، وكتب بإحضار الآلات من الحديد والأخشاب النقية برسم الأبواب والشقوف وغيرها .

(a) بولاق : الوزير . (b) المسودة : رضي الله عنه . (c) بولاق : عمود رخام .

= المخراب ، ثم سقطت مثذته ، ولم يبق منه إلا جذرائه الخارجية المبنية بالحجر النحيت . وجعل الجامع في العصر العثماني مخزناً للمهمات الحربية كالخيام والشروج ، واشتخدمه الفرنسيون زمن الحملة كقلعة وثكنة للجنود (الجهرتي : عجائب الآثار ٣: ٥٦) ، ثم جعل مخبراً للجراية ومغتملاً للصابون في زمن محمد علي باشا ، وجعله الإنجليز زمن الاحتلال البريطاني مذبحاً للجيش الإنجليزي وتطل

الذبح فيه سنة ١٩١٥ م ، وهذا سبب اشتهاره باسم «مذبح الإنجليز» . وفي سنة ١٩١٨ م غرست مصلحة التنظيم أرض صحن الجامع وجعلته متنزهاً عاماً . وعمرت لجنة حفظ الآثار العربية في سنة ١٩٢٨ م الجزء الواقع عند المخراب وجعلته مصلى ، وأصبح الدخول لأداء الصلاة من حائط القبلة . وتجري به الآن بغثة أمريكية بعض أعمال الترميم والإصلاح .



مخطط جامع الظاهر ببيرس (عن اللجنة)

ثم تَوَجَّه لزيارة الشيخ الصالح خِضْر^١ بالمكان الذي أنشأه له ، وصَلَّى الظُّهْرَ هناك ، ثم تَوَجَّه إلى المَدْرَسَةِ بالقاهرة فَدَخَلَ إليها^(a) والفقهاء والقراء على حالهم ، وجَلَسَ بينهم ثم تَحَدَّثَ وقال : هذا مكانٌ قد جعلته لله عَزَّ وَجَلَّ ، وخَرَجْتُ عنه ، فبالله^(b) إذا مُتُّ لا تُدْفِنُونِي هنا ، ولا تُعَيِّرُوا معالِمَ هذا المكان ، فقد خَرَجْتُ عنه لله تعالى . ثم قامَ من إيوانِ الحَنَفِيَّةِ وجَلَسَ بالمِحْرَابِ في إيوانِ الشَّافِعِيَّةِ وتَحَدَّثَ وَسَمِعَ الْقُرْآنَ والدُّعَاءَ ورأى جميعَ الأماكنِ ، ودَخَلَ إلى قاعةِ وَلَدِهِ الملكِ السعيدِ المبنية قَرِيبًا منها ، ثم رَكِبَ إلى قَلْعَتِهِ^(c) ، وولَّى عِدَّةَ مُشِيدِينَ على عِمَارَةِ الجَامِعِ^٢ .

(a) بولاق والنسخ : فدخلها ، والمثبت من المَسْوُودَةِ . (b) بولاق : وقفًا لله . (c) بولاق : قلعة الجبل .

^١ راجع أخبار الشيخ الصالح خِضْر المَهْرَانِي ، فيما يلي ٨٠٦-٨٠٨ .
^٢ وَرَدَ هذا النَّصُّ في غاية الاختصار عند ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ٢٧٢-٢٧٣ ، وهو ما يَدُلُّ على أنَّ

نُسخة «الروض الزاهر» التي اعتمد عليها المقرئ من نسخة التي وصلت إلينا من الكتاب (فيما تقدم ٣: ٧١) ؛ وانظر كذلك ، النويري : نهاية الأرب ٣٠: ١٣٣-١٣٤ ؛ ابن أبيك : كنز الدرر ٨: ١٢٣ ؛ المقرئ : السلوك =

وكان إلى جانب الميدان قاعةً ومنظرةً عظيمةً بناها السلطان الملك الظاهر. فلما رَسَمَ بِناء هذا^(a) الجامع طلبها الأمير سيف الدين قُشْتَمِرُ العجمي من السلطان فقال: الأرض قد خَرَجْتُ عنها لهذا الجامع فاستأجرها من ديوانه، والبناء والأصناف وهبتك إياها، وشرع في العِمارة في منتصف جمادى الآخرة منها.

وفي أول جمادى الآخرة سنة ست وستين وست مائة، سار السلطان من الديار المصرية^(b) يريد بلاد الشام، فنزل على مدينة يافا وتسلمها من الفِرنج بأمان في يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة المذكور، وسير أهلها ففرقوا في البلاد، وشرع في هدمها، وقسم أبراجها على الأُمراء، فابتدأ في ذلك من ثاني عشرينه، وقاسوا شدةً في هدمها لخصائنها وقوة بنائها، لا سيما القلعة فإنها كانت حصينةً عاليةً الارتفاع، ولها أساسات إلى الأرض الحقيقية.

وباشر السلطان الهدم بنفسه وبخواصه وماليكه، حتى غلمان البيوتات التي له. وكان ابتداء هدم القلعة في سابع عشرينه، ونقصت من أعلاها ونظفت زلاقتها واشتمر الاجتهاد^(c) في ذلك ليلاً ونهاراً، وأخذ من أخشابها جملة. ومن ألواح الرخام التي وجدت فيها، وأوسق منها^(d) مراكب من المراكب التي وجدت في يافا، وسيرها إلى القاهرة، ورسم بأن يُعمل من ذلك الخشب مقصورةً في الجامع الظاهري بالميدان من الحسينية، والرخام يُعمل بالحِراب، فاستعمل كذلك^(e).

ولما عاد السلطان إلى مصر في حادي عشر^(e) ذي الحجة منها - وقد فتح في هذه السفرة يافا وطرابلس وأنطاكية وغيرها - أقام إلى أن أهلت سنة سبع وستين وست مائة، فلما كملت عِمارة الجامع في شوال منها ركب السلطان، ونزل إلى الجامع وشاهده، فرآه في غاية ما يكون من الحسن، وأعجبه نجازته في أقرب وقتٍ ومدةٍ مع علو الهمة. فخلع على مباشريه - وكان الذي تولى بناءه الصاحب بهاء الدين بن حنّا، والأمير علم الدين سينجر المسروري^(f) متولي القاهرة -

(a) إضافة من المسودة. (b) بولاق: ديار مصر. (c) بولاق: الأجناد. (d) بولاق: ووسق منها. (e) بولاق: حادي عشري. (f) بولاق: السروري.

= ١: ٥٥٦؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ١٦١؛ ابن فتحها.

إياس: بدائع الزهور ١/١: ٣٣١. ^٢ آخر الموجود في المسودة.

^١ بعد ذلك في المسودة حديثٌ عن تاريخ يافا ومن

وزار الشيخ خضراً^(a) وجلس عنده ساعة^(a)، وعاد إلى قلعتيه^١.

وفي سؤال منها تمت عمارة الجامع الظاهري، ورثب به خطيباً حنفي المذهب، ووقف عليه حكر ما بقي من أرض الميدان، ونزل السلطان إليه، ورثب أوقافه، ونظر في أموره.

الملك الظاهر زكن الدين البندقداري^٢ - أخذ المماليك البحرية الذين اختص بهم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، وأسكنهم قلعة الروضة. كان أولاً من مماليك الأمير علاء الدين أيديكين

الظاهر بيبرس

(a-a) إضافة من المسودة.

٢٥٨، المنهل الصافي ٣: ٤٤٧-٤٦٧؛ وأيضاً: سيرة الظاهر بيبرس (السيرة الشعبية - الرواية المصرية)، القاهرة - مكتبة صبيح ١٩٦٠ في خمسين مجلداً، سيرة الملك الظاهر بيبرس (كذا) حسب الرواية الشامية ١-٢، حققها وعلق عليها جورج بوهاس وكاتيا زخريا، دمشق - المعهد الفرنسي للدراسات العربية ٢٠٠٠-٢٠٠١ م. وانظر كذلك، Paret, R., *El² art. Sirat Baybars I*, pp. 1160-61.

ومن الدراسات الحديثة، محمد جمال الدين سرور: الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره، القاهرة ١٩٣٨ (أعاد نشره بعنوان: دولة الظاهر بيبرس في مصر، القاهرة ١٩٦٠)؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: الظاهر بيبرس، أعلام العرب ١٤، القاهرة ١٩٦٣؛ عبد العزيز الخويطر: الملك الظاهر بيبرس، الرياض ١٩٧٦؛ Khowaitir, A.A., *Baibars the First: His Endeavours and Achievements*, London 1978; Holt, P. M., «Three Biographies of al-Zāhir Baybars» in *Medieval Historical Writing in the Christian and Islamic Works*, D.O. Morgan (ed.), London 1982, pp. 19-29؛ قاسم عبده قاسم: «السيرة الشعبية مصدراً للدراسة التاريخ الاجتماعي: قراءة في سيرة الظاهر بيبرس»، بين الأدب والتاريخ، القاهرة - دار الفكر للدراسات والنشر -

^١ السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري الصالح، المؤسس الحقيقي للدولة التركية في مصر والشام (دولة المماليك البحرية). كُتِبَ الكثير في سيرته من معاصريه ومن المتأخرين، كما تحلّد الأدب الشعبي سيرته وظلّت تتداول في روايتين مصرية وشامية حتى وقتنا الحاضر.

راجع، ابن عبد الظاهر: الرؤى الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر، الرياض ١٩٧٦ (ونشرت فاطمة صادق نصّاً مختصراً لهذه السيرة مع ترجمة إنجليزية Fatima Sadeque, *Baybars I of Egypt, Dacca 1956*)؛ ابن شدّاد: تاريخ الملك الظاهر، تحقيق أحمد حطيط، بيروت ١٩٨٤؛ شافع ابن علي: المناقب الشريفة المنتزعة من السيرة الظاهرية، مخطوط في المكتبة الوطنية بباريس برقم ar. 1707 (Holt, P. M., «Some Observations on Shāfi' b. Alī's Biography of Baybars», *JSS* 23 (1984), pp. 123-30)؛ وانظر كذلك بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ٥٥-١٦٢؛ النويري: نهاية الأرب ٣٠: ١٣-٣٦٨؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٨: ٦١-٢١٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠: ٣٢٩-٣٤٨؛ ابن الفرات: تاريخ الدول الملوك ٧: ١-٩٢؛ المقرئ: السلوك ١: ٤٣٦-٦٤١؛ الذهب المسبوك ٨٥-٩٥؛ العيني: عقد الجمان ١: ٢٦١-٤٣٢، ٥: ٢-١٨٤؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٩٤-

البندقداري . فلما سخط عليه الملك الصالح أخذ مماليكه - ومنهم الأمير بيبرس هذا - وذلك في سنة أربع وأربعين وست مائة وقدمه على طائفة من الجندارية . وما زال يترقى في الخدم إلى أن قتل المعز أئيك التركماني الفارس أقطاي الجمدار في شعبان سنة اثنتين وخمسين وست مائة ، وكانت البحرية قد انحازت إليه ، فركبوا في نحو السبع مائة ^(a) وقصدوا قلعة الجبل ^(b) ، فلما ألقيت إليهم رأس أقطاي تفرقوا ، واتفقوا على الخروج إلى الشام - وكانت أعيانهم يومئذ بيبرس البندقداري ، وقلاوون الألفي ، وسنقر الأشقر ، وبيسري ، وسكر وبرامق ^(c) - فساروا إلى الملك الناصر صاحب الشام ^١ .

ولم يزل بيبرس ببلاد الشام إلى أن قتل المعز أئيك ، وقام من بعده ابنه المنصور علي ، وقبض عليه نائبه الأمير سيف الدين قطز ، وجلس على تخت المملكة ، وتلقب بـ «الملك المظفر» ، قدم عليه بيبرس ، فأمره المظفر قطز . ولما خرج قطز إلى ملاقاته التتار ^(a) جعل الأمير بيبرس على مقدمته ومعه البحرية فواقع التتار ^(a) ، وكان ما كان من نصرته عليهم ودخل إلى دمشق ، فوشى إليه بأن الأمير بيبرس قد تنكر له وتغير عليه ، وأنه عازم على القيام بالحرب .

فأسرع قطز بالخروج من دمشق إلى جهة مصر وهو مضير لبيبرس السوء ، وعلم بذلك خواصه . فبلغ ذلك بيبرس ، / فاستوحش من قطز ، وأخذ كل منهما يحترس من الآخر على نفسه ، ويتنظر الفرصة . فبادر بيبرس وواعد الأمير سيف الدين بلبان ^{١٥}

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : ترامق . (c) بولاق : رحل .

Sultan Baybars», in *War and Society in the Eastern Mediterranean, 7th - 15th Centuries*, Yaacov Lev (ed.), Leiden 1997, pp. 267-300; Broadbridge, A.F., «Mamluk Legitimacy and the Mongols : The Reigns of Baybars and Qalâwûn», *MSR V* (2001), pp. 91-118; Elbendary, A.A., «The Sultan, the Tyrant and the Hero : Changing Medieval Perceptions of al-Zahir Baybars», *MSR V* (2001), pp. 141-57.

^١ انظر فيما تقدم ٢: ٢٨١-٢٨٢ .

Thorau, P., *Sultan ١٣٧-١٥٦ = Baibars I von Ägypten Ein Beitrag zur Geschichte des Vorderen Orients im 13 Jahrhundert*, Wiesbaden 1987 (نقله إلى الإنجليزية) Thorau, P., *The Lion of P. M. Holt Egypt. Sultan Baybars I and the Near East in the Thirteenth Century*, London & New York - Longman 1992)؛ محمود شلبي : حياة الملك الظاهر بيبرس ، بيروت - دار الجيل ١٩٩٢ ؛ Sublet, J., *Les trois vies du sultan Baibars : Choix des textes et présentation*, Paris 1992; Reuven, A., «The Mamluk Officer Class during the Reign of

الرشيدي ، (a) والأمير سيف الدين بهادر المعزّي ، والأمير بدر الدين بكتوت الجوكندار (a) والأمير سيف الدين بيدغان الركني - المعروف بشم الموت - والأمير سيف الدين بلبان الهاروني والأمير بدر الدين آنص الأصبهاني . فلما قُربوا في مسيرهم من القصير (b) بين الصالحية والسعيدية عند القرين ، انحرف قُطر عن الدرب للصيد ، فلما قضى منه وطره وعاد - والأمير بيبرس يسايره هو وأصحابه - طلب بيبرس منه امرأة من سبي التتار ، فأنعم عليه بها فتقدم ليُقبل يده - وكانت إشارة بينه وبين أصحابه - فعندما رأوا بيبرس قد قبض على يد السلطان المظفر قُطر ، بادر الأمير بكتوت الجوكندار وضربه بسيف على عاتقه أبانه ، واحتطفه الأمير آنص وألقاه عن فرسه إلى الأرض ، وزماه بهادر المعزّي (c) بسهم قتله (d) ، وذلك يوم السبت خامس عشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وست مائة .

ومضوا إلى الدهليز للمشورة ، فوقع الاتفاق على الأمير بيبرس ، فتقدم إليه أقطاي المستعرب الجمدار - المعروف بالأتاك - وبايعه وحلف له ، ثم بقيت الأمراء ، وتلقب بـ «الملك الظاهر» وذلك بمنزلة القصير . فلما تمت البيعة وحلف الأمراء كلهم ، قال له الأمير أقطاي المستعرب : يا خوند لا يتم لك أمر إلا بعد دخولك إلى القاهرة وتطلعك إلى القلعة .

فركب من وقته ومعه الأمير قلاوون ، والأمير بلبان الرشيدي ، والأمير يئلبك الخازندار وجماعة يريدون قلعة الجبل . فلقبهم في طريقهم الأمير عز الدين أيذر الحلبي ، نائب الغيبة عن المظفر قُطر ، وقد خرج لتلقيه . فأخبروه بما جرى وحلفوه ، فتقدمهم إلى القلعة ، ووقف على بابها حتى وصلوا في الليل ، فدخلوا إليها .

وكانت القاهرة قد زينت لقدوم السلطان الملك المظفر قُطر ، وفرح الناس بكسر التتار وعود السلطان فما راعهم ، وقد طلع النهار ، إلا والمشاعلي ينادي : معاشر الناس ترحموا على الملك المظفر ، وادعوا لسلطانكم الملك الظاهر بيبرس . فدخل على الناس من ذلك غم شديد ووجل عظيم ، خوفا من عود البحرية إلى ما كانوا عليه من الجور والفساد وظلم الناس .

فأول ما بدأ به الظاهر أنه أبطل ما كان قُطر أخذته من المظالم عند سفره - وهو تصقيع الأملاك وتقويمها ، وأخذ زكاة ثمنها في كل سنة ، وجباية دينار من كل إنسان ، وأخذ ثلث الترك الأهلية - فبلغ ذلك في السنة ست مائة ألف دينار . وكتب بذلك مسموحا قري على المناير في صبيحة

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : القصر . (c) بولاق : المغربي . (d) بولاق : فقتله .

دُخوله إلى القلعة ، وهو يوم الأحد سادس عشر ذي القعدة المذكور . وجلس بالإيوان وحلف القساكر ، واستتاب الأمير بدر الدين يئلبك الخازندار بالديار المصرية . واستقر بالأمير^(a) فارس الدين أقطاي المستعرب أتابكا على عادته ، والأمير جمال الدين أقوش النجيبى أستاذًا ، والأمير عز الدين أيتك الأفرم الصالحى أمير جاندار ، والأمير لاجين الدزفيل وبلبان الرومى ذوادارته ، والأمير بهاء الدين يعقوب الشهرزوري أمير آخور على عادته ، وبهاء الدين علي بن حنا وزيرًا ، والأمير ركن الدين إباحي^(b) الركني والأمير سيف الدين بكجري حجابًا . ورسم باخضار البحرية الذين تفرقوا في البلاد بطالين ، وسيّر الكتب إلى الأقطار بما تجدد له من النعمة^(c) ، ودعاهم إلى الطاعة . فأذعنوا له ، وانقادوا إليه .

وكان الأمير علم الدين سنجر الحلبي نائب دمشق ، لما قتل قطز ، جمع الناس وحلفهم ، وتلقب بالملك المجاهد . وثار علاء الدين - الملقب بالملك الشعيد - ابن صاحب الموصل في حلب ، وظلم أهلها وأخذ منهم خمسين ألف دينار . فقام عليه جماعة - ومقدمهم الأمير حسام الدين لاجين العزيزي - وقبضوا عليه . فسيّر الظاهر إلى لاجين بنبابة حلب .

فلما دخلت سنة تسع وخمسين قبض الظاهر على جماعة من الأمراء المعزية : منهم الأمير سنجر العثمى ، والأمير بهادر المعزى ، والشجاع بكتوت .

ووصل إلى السلطان الإمام أبو العباس أحمد ابن الخليفة الظاهر العباسي من بغداد في تاسع رجب ، فلقاه السلطان في عساكره ، وبالغ في إكرامه ، وأنزله بالقلعة . وحضر سائر الأمراء والمقدمين ، والقضاة وأهل العلم والمشايخ ، بقاعة الأعمدة من القلعة بين يدي أبي العباس . فتأدب السلطان الظاهر ، ولم يجلس على مرتبة ولا فوق كرسي . وحضر العزبان الذين قدموا من العراق وخادم من طواشيئة بغداد ، وشهدوا بأن العباس أحمد ولد الخليفة الظاهر ابن الخليفة الناصر . وشهد معهم بالاستيفاضة الأمير جمال الدين يحيى نائب الحكم بمصر ، وعلم الدين ابن رشيق ، وصدر الدين مؤهوب الجزري ، ونجيب الدين الحراني ، وسديد التزمثي^(d) نائب الحكم بالقاهرة عند قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز الشافعي ، وأسجل على نفسه بثبوت نسب أبي العباس أحمد وهو قائم على قدميه ، ولقب بالإمام «المستنصر بالله» .

(a) بولاق : الأمير . (b) بولاق : التاجي . (c) بولاق : النعم . (d) بولاق : التزمثي .

وبايعة الظاهر على كتاب الله وسنة نبيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، وأخذ أموال الله بحقوقها وصرفها في مستحقها. فلما تمت البيعة، قلد المستنصر بالله السلطان الملك الظاهر أمر البلاد الإسلامية وما سيفتحه الله على يديه من بلاد الكفار. وبايع الناس المستنصر على طبقاتهم، وكتب إلى الأطراف / بأخذ البيعة له وإقامة الخطبة باسمه على المناير، ونقشت الشكوة في ديار مصر باسمه واسم الملك الظاهر معاً^١.

٥

فلما كان يوم الجمعة سابع عشر رجب، خطب الخليفة بالناس في جامع القلعة. وركب السلطان في يوم الاثنين رابع شعبان إلى خيمة ضربت له بالبستان الكبير ظاهر القاهرة، وأيضت عليه الخلع الخليفة - وهي جبة سوداء، وعمامة بنفسجية، وطوق من ذهب - وقلد بسيف عربي، وجلس مجلساً عاماً حضره الخليفة والوزير وسائر القضاة والأمراء والشهود، وصعد القاضي فخر الدين بن لقمان كاتب السر منبراً نصب له، وقرأ تقليد السلطان المملكة وهو بخطه من إنشائه. ثم ركب السلطان بالخلعة والطوق، ودخل من باب النصر، وشق القاهرة وقد زينت له، وحمل الصاحب بهاء الدين بن حنا التقليد على رأسه فقام السلطان والأمراء مشاة بين يديه. وكان يوماً مشهوداً.

١٠

وأخذ السلطان في تجهيز الخليفة ليسيير إلى بغداد. فرتب له الطواشي بهاء الدين صندلاً الصالحى شرايياً، والأمير سابق الدين بوزبا الصيرفي أتايكا، والشريف^(a) جعفر أستاذاراً، والأمير فتح الدين بن الشهاب أحمد أمير جاندار، والأمير ناصر الدين بن صيرم خازنداراً، والأمير سيف الدين بلبان الشمسي وفارس الدين أحمد بن أزدمر اليعموري دواداريه، والقاضي كمال الدين محمد السنجاري وزيراً، وشرف الدين أبا حامد كاتباً.

١٥

وعين له خزانة وسلاح خاناه، وماليك عدتهم نحو الأربعين منهم سلاحدارية وجمدارية ورزدكاشية ورمدارية، وجعل له طشتخاناه وقراشخاناه وشرايخاناه وإماماً ومؤذناً وسائر أرباب الوظائف، واستخدم له خمس مائة فارس، وكتب لمن قدم معه من العراق بإقطاعات، وأذن له في الركوب والحركة حيث اختار.

٢٠

(a) بولاق: الأمير.

^١ راجع، محمد حسين محاسنه ومحمد سالم القاهرة، حوليات كلية الآداب - جامعة عين شمس ٣٠ الطراونة: «دور الظاهر بيبرس في إحياء الخلافة العباسية في (٢٠٠٢)، ٢٢١-٢٥٨؛ وانظر فيما تقدم ٣: ٧٨٣هـ^١.

وحَضَرَ الملك الصَّالِح إِسْمَاعِيل بن بَدْر الدِّين لُؤْلُؤُ صاحب المؤصِّل ، وأخوه الملك المُجَاهِد سَيْف الدِّين إِسْحَاق صاحب الجزيرة ، وأخوهما المظفر . فأكرمهم السُّلطان ، وأقرهم على ما بأيديهم ، وكتب لهم تقاليد ، وجهزهم في خدمة الخليفة .

وسار الخليفة في سادس شوال ، والسُّلطان في خدمته ، إلى دِمَشق . فنزل السُّلطان في القلعة ، ونزل الخليفة في الثَّروة النَّاصِرِيَّة بجبل الصَّالِحِيَّة وبلغت نفقة السُّلطان على الخليفة ألف ألف وستين ألف دينار . وخرج من دِمَشق في ثالث عشر ذي القعدة ، ومعه الأمير بَلْبَان الرُّشَيْدِي والأمير سُتُّر الرُّومِي وطائفة من العسكر ، وأوصاهما السُّلطان أن يكونا في خدمة الخليفة حتى يصل إلى الفرات ، فإذا عبر الفرات أقاما بمن معهما من العسكر بالبرِّ الغزبي من جهات حلب لا يتظار ما يتجدد من أمر الخليفة بحيث إن احتاج إليهم ساروا إليه . فسار إلى الرُّحْبَة ، وتركة أولاد صاحب المؤصِّل وانصرفوا إلى بلادهم . وسار إلى مَشْهَد عَلِيٍّ ، فوجد الإمام الحاكم بأمر الله قد جمع سبع مائة فارس من التُّركمان وهو على عانة ، ففارق التُّركمان ، وصار الحاكم إلى المُسْتَنْصِر طائغاله . فأكرمه وأنزله معه ، وسار إلى عانة ، ورحلا إلى الحديثة ، وخرجنا منها إلى هيت .

وكانت له حروب مع التُّتار في ثالث محرم سنة ستين وست مائة ، قتل فيها أكثر أصحابه ، وفرَّ الحاكم وجماعة من الأجناد ، وفقد المُسْتَنْصِر فلم يُوقف له على خبر . فحضر الحاكم إلى قلعة الجبل ، وبايعه السُّلطان والناس ، واستمرَّ بديار مصر في مناظر الكباش وهو جد الخلفاء الموجودين اليوم . وفي سنة ست وستين قرَّر الظاهر بديار مصر أربعة قضاة ، وهم شافعي ومالكي وحنفي وخبلي ، فاستمرَّ الأمر على ذلك إلى اليوم .^١

31; id., *The Office of the Qādī al-Qudāt in Cairo under the Bahri Mamluk*, Berlin 1984; Nielsen, J. S., «Sultan al-Zāhir Baybars and the Appointment of Four Chief Qādīs (663/1265)», *SI LX* (1984), pp. 167-78 «القضاء والقضاة في مصر في عهد الناصر محمد بن قلاوون ٧٠٩-٧٤١/١٣٠٩-١٣٤١»، دراسات العلوم الإنسانية ، الكويت ١٢/١٣ (١٩٨٦) ، ٦٥-٩٥ ؛ وأيضاً فيما يلي ٣٩٥ حول إقامة الوزير الفاطمي أبي علي كُتَيْفَات لأربع قضاة سنة ٥٢٥/١١٣١ م .

^١ راجع حول هذا الموضوع ، ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ١٨٢ ؛ النويري : نهاية الأرب ٣٠ : ١١٧-١٢٢ (وفيه أن ذلك كان سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م) ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٧ : ٨٩-٩٠ ؛ المقرئ : السلوك ١ : ٥٣٨-٥٤٠ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٧ : ١٢١ ، المنهل الصافي ٣ : ٤٦٦-٤٦٧ ؛ وانظر كذلك Escovitz, J. H., «Patterns of Appointment to the Chief Judgeships of Cairo during the Bahri Mamluk Period», *Arabica XXX* (1983), pp. 139-68; id., «The Establishment of four Chief Judgeships in the Mamluk Empire», *JAOS* 102 (1984), pp. 229-

وَحَدَّثَ غَلَاءَ شَدِيدًا بِمِصْرَ، وَغَدِمَتِ الْعَلَّةُ؛ فَجَمَعَ السُّلْطَانُ الْفُقَرَاءَ وَعَدَّهُمْ، وَأَخَذَ لِنَفْسِهِ خَمْسَ مِائَةِ فَقِيرٍ يَمُونَهُمْ، وَابْنَهُ الشَّعِيدَ بَرَكَةَ خَانَ خَمْسَ مِائَةِ فَقِيرٍ، وَلِلنَّائِبِ يَثْلَبِكَ الْخَازِنْدَارِ ثَلَاثَ مِائَةِ فَقِيرٍ، وَفَرَّقَ الْبَاقِيَ عَلَى سَائِرِ الْأَمْرَاءِ، وَرَسَمَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ فِي الْيَوْمِ بَرَطَلِي خُبْرًا. فَلَمْ يُرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْبَلَدِ أَحَدٌ مِنَ الْفُقَرَاءِ يَسْأَلُ.

٥. وَفِي ثَالِثِ سَنَوَالِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِينَ، أَرْكَبَ السُّلْطَانُ ابْنَ الشَّعِيدِ بَرَكَةَ بِشِعَارِ السُّلْطَنَةِ وَمَشَى قُدَّامَهُ، وَسَقَى الْقَاهِرَةَ وَالْكُلَّ مُشَاةً بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ بَابِ النَّصْرِ إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ، وَزُيِّنَتْ الْبَلَدُ.

١٠. وَفِيهَا رَتَّبَ السُّلْطَانُ لِعَبِّ الْقَبْقُ بِمِيدَانِ الْعِيدِ خَارِجَ بَابِ النَّصْرِ، وَخَتَنَ الْمَلِكُ الشَّعِيدَ وَمَعَهُ أَلْفٌ وَسِتُّ مِائَةٍ وَخَمْسَةَ وَأَرْبَعُونَ صَبِيًّا مِنْ أَوْلَادِ النَّاسِ سِوَى أَوْلَادِ الْأَمْرَاءِ وَالْأَجْنَادِ، وَأَمَرَ لِكُلِّ صَغِيرٍ مِنْهُمْ بِكُشُوفَةٍ عَلَى قَدْرِهِ وَمِائَةِ دِرْهَمٍ وَرَأْسٍ مِنَ الْعَنَمِ، فَكَانَ مُهِمًّا عَظِيمًا^١، وَأَبْطَلَ ضَمَانَ الْمَزْرُوجِيَّاتِهِ، وَأَمَرَ بِحَرْقِ النَّصَارِيِّ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِينَ، فَتَشَفَّعَ فِيهِمْ عَلَى أَنْ يَحْمِلُوا خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَتَرَكُوا.

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ افْتَتَحَ قَلْعَةَ صَفَدَا، وَجَهَّزَ الْعَسَاكِرَ إِلَى سِيسٍ وَمُقَدَّمُهُمُ الْأَمِيرُ قَلَاوُونَ^٢، فَحَصَرَ مَدِينَةَ إِيَّاسَ^ب وَعِدَّةَ قِلَاعٍ^٢.

١٥. وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِينَ، أَبْطَلَ ضَمَانَ الْحَشِيشِ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ، وَقَتَعَ يَافَا وَالشَّقِيفَ وَأَنْطَاكِيَةَ.

وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِينَ حَجَّ، فَسَارَ عَلَى عَزَّةٍ إِلَى الْكَرْكِ وَمِنْهَا إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَغَسَلَ الْكَعْبَةَ بِمَاءِ الْوَرْدِ بِيَدِهِ، وَرَجَعَ إِلَى دِمَشْقَ، فَأَرَاكَ جَمِيعَ الْخُمُورِ، وَقَدِمَ إِلَى مِصْرَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِينَ. وَفِي / سَنَةِ سَبْعِينَ خَرَجَ إِلَى دِمَشْقَ.

٢٠. وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ خَرَجَ مِنْ دِمَشْقَ سَائِقًا إِلَى مِصْرَ - وَمَعَهُ بَيْسَرِي، وَأَقُوشُ الرُّومِي، وَجَوْمَكَ^ج الْخَازِنْدَارِ، وَسُنْثُرُ الْأَلْفِي - فَوَصَلَ إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ، وَعَادَ إِلَى دِمَشْقَ. فَكَانَتْ مُدَّةُ غَيْبَتِهِ أَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِغَيْبَتِهِ مِنْ فِي دِمَشْقَ حَتَّى حَضَرَ.

(a) بولاق : قلاوون الألفي . (b) بولاق : أبناس . (c) بولاق : جرسك .

^٢ ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ٢٧٠ .

^١ فيما تقدم ٣ : ٣٧٠ - ٣٧٣ .

ثم نَحَرَجَ سَائِقًا مِنْ دِمَشْقَ يُرِيدُ كَبْسَ التُّنَّارِ ، فَخَاضَ الْفُرَاتَ وَقُدَّامَهُ قَلَاوُونَ وَيَيْسَرِي ، وَأَوْقَعَ
بِالتُّنَّارِ عَلَى جِينِ غَفَلَةٍ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَسَاقَ خَلْفَهُمْ يَيْسَرِي إِلَى سَرُوجَ ، وَتَسَلَّمَ
السُّلْطَانُ الْبَيْرَةَ .

وَوَقَعَ بِمِصْرَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَبَاءَ هَلَكًا بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ .

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ، غَزَا السُّلْطَانُ سِيسَ ، وَافْتَتَحَ قِلَاعًا عِدَّةً ^(a) .

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ ، تَزَوَّجَ السُّعِيدُ بْنُ السُّلْطَانِ بَابِنَةَ الْأَمِيرِ قَلَاوُونَ ، وَخَرَجَ الْعَشْكَرُ إِلَى
بِلَادِ الثُّوبَةِ فَوَاقَعَ مَلِكَهُمْ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ كَثِيرًا وَفَرَّ بَاقِيَهُمْ .

وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ ، سَارَ السُّلْطَانُ لِحَرْبِ التُّنَّارِ ، فَوَاقَعَهُمْ عَلَى الْأُبْلَسْتَيْنِ وَقَدْ انْضَمَّ إِلَيْهِمُ
الرُّومُ ، فَانْهَزَمُوا وَقُتِلَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ ، وَتَسَلَّمَ السُّلْطَانُ قَيْسَارِيَّةً وَنَزَلَ فِيهَا بَدَارِ السُّلْطَانِ .

١٠ ثم نَحَرَجَ إِلَى دِمَشْقَ ، فَوَعَكَ بِهَا مِنْ إِسْهَالٍ وَحُمَى مَاتَ مِنْهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ تَائِبِعَ عَشْرٍ مُحَرَّمٍ
سَنَةِ سِتِّ وَسَبْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَعُمُرُهُ نَحْوَ مِنْ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَمُدَّةُ مُلْكِهِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً
وَشَهْرَانِ .

وَكَانَ مَلِكًا جَلِيلًا ، عَشُوفًا عَجُولًا ، كَثِيرَ الْمَصَادِرَاتِ لِرِعِيَّتِهِ وَدَوَاوِينِهِ ، سَرِيعَ الْحَرَكََةِ ، فَارِسًا
مُقَدِّمًا ، وَتَرَكَ مِنَ الذُّكُورِ ثَلَاثَةً : السُّعِيدَ مُحَمَّدَ بَرَكَةَ خَانَ وَمَلِكَ بَغْدَةَ ، وَسَلَامِشَ وَمَلِكَ أَيْضًا ،
وَالْمُسْعُودَ خِضْرًا ، وَمِنَ الْبَنَاتِ سَبْعَ بَنَاتٍ . وَكَانَ طَوِيلًا مَلِيحَ الشُّكْلِ .

١٥ وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ مِمَّا كَانَ مَعَ الْفَرِجِجِ : قَيْسَارِيَّةً وَأَرْشُوفَ وَصَفَدَ وَطَبْرِيَّةً وَيَاقَا وَالشُّقِيفَ
وَأَنْطَاكِيَةَ وَبَغْرَاسَ وَالْقُصَيْرَ وَحِصْنَ الْأَكْرَادِ وَالْقُرَيْنَ وَحِصْنَ عَكَارَ ^(b) وَصَافِيثَا وَمَرْقِيَّةَ وَحَلْبًا ،
وَنَاصِفَ الْفَرِجِجِ عَلَى الْمَرْقَبِ وَبَلِينَاسَ وَأَنْطَرَشُوسَ ، وَأَخَذَ مِنْ صَاحِبِ سِيسَ دَرْبَسَاكَ وَدَرْكُوشَ
وَتَلْمِيشَ وَكَفَرْدِينَ وَرَعْبَانَ وَمَرْزُبَانَ وَكِينُوكَ وَأَدَنَةَ وَالْمِصْبِيصَةَ ^١ .

٢٠ وَصَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي كَانَتْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ دِمَشْقَ وَبَغْلَبَتَكَ وَعَجَلُونَ وَبُضْرَى وَصَرْخَدَ
وَالصُّلَّتَ وَحِمْصَ وَتَدْمُرَ وَالرَّحْبَةَ وَتَلَّ بَاشِرَ وَصَهْبِيُونَ وَبِلَاطِنُسَ وَقَلْعَةَ الْكَهْفِ وَالْقَدْمُوسَ وَالْعَلِيقَةَ
وَالخَوَابِيَّ وَالرَّهْصَافَةَ وَمِضْيَافَ وَالْقَلْبِيَّةَ وَالكَرَكَ وَالشُّوبَتَكَ ، وَفَتَحَ بِلَادَ الثُّوبَةِ وَبِرْقَةَ ^٢ .

دار الكتب والوثائق القومية

مكتبة مركز ترميم التراث

التسجيل :

التاريخ :

(a) بولاق : عديدة . (b) بولاق : حصن عكا .

وعَمَّرَ الحَرَمَ النَّبَوِيَّ وَقُبَّةَ الصَّخْرَةِ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ ، وَزَادَ فِي أَوْقَافِ الخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَعَمَّرَ قَنَاطِرَ شَبْرَامُنْتِ بِالْحِيزِيَّةِ وَسُورَ الإسْكَنْدَرِيَّةِ وَمَنَارَ رَشِيدٍ ، وَرَدَّمَ فَمَ بَحْرَ دِمْيَاطَ ، وَوَعَّرَ طَرِيقَهُ ، وَعَمَّرَ الشَّوَانِي ، وَعَمَّرَ قَلْعَةَ دِمَشْقَ وَقَلْعَةَ الصُّبَيْبِيَّةِ وَقَلْعَةَ بَغْلَبِكَ وَقَلْعَةَ الصَّلْتِ وَقَلْعَةَ صَرْخَدَ وَقَلْعَةَ عَجْلُونَ وَقَلْعَةَ بُصْرَى وَقَلْعَةَ شَيْرَ وَقَلْعَةَ حِمصَ^١ .

٥ وَعَمَّرَ المَدْرَسَةَ بَيْنَ القَصْرَيْنِ بالقَاهِرَةِ ، وَالجَامِعَ الكَبِيرَ بِالحُسَيْنِيَّةِ خَارِجَ القَاهِرَةِ ، وَحَفَرَ خَلِيجَ الإسْكَنْدَرِيَّةِ القَدِيمِ وَبَاشَرَهُ بِنَفْسِهِ ، وَعَمَّرَ هُنَاكَ قَرْيَةَ سَمَّاهَا الظَّاهِرِيَّةَ ، وَحَفَرَ بَحْرَ أَشْمُومَ طَنَاحَ عَلى يَدِ الأَمِيرِ بَلْبَانَ الرَّشِيدِي ، وَجَدَّدَ الجَامِعَ الأَزْهَرَ بالقَاهِرَةِ وَأَعَادَ إِلَيْهِ الخُطْبَةَ ، وَعَمَّرَ بَلَدَ السَّعِيدِيَّةِ مِنَ الشَّرْقِيَّةِ بِدِيَارِ مِصْرَ ، وَعَمَّرَ القَصْرَ الأَبْلَقَ بِدِمَشْقَ وَغَيْرَ ذَلِكَ .

١٠ وَلَمَّا مَاتَ كَتَمَ مَوْتَهُ الأَمِيرُ بَدْرُ الدِّينِ تَيْلَبَكُ الخَازِنْدَارُ عَنِ العَسْكَرِ ، وَجَعَلَهُ فِي تَائِبَتٍ وَعَلَّقَهُ بِبَيْتٍ مِنَ قَلْعَةِ دِمَشْقَ ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ مَرِيضٌ ، وَرَتَّبَ الأَطِبَّاءَ يَحْضُرُونَ عَلى العَادَةِ ، وَأَخَذَ العَسَاكِرَ وَالخَزَائِنَ وَمَعَهُ مَخَفَّةٌ مَحْمُولَةٌ فِي المَوْكِبِ مُخْتَرَمَةٌ ، وَأَوْهَمَ النَّاسَ أَنَّ السُّلْطَانَ فِيهَا وَهُوَ مَرِيضٌ ، فَلَمْ يَجْسُرَ أَحَدٌ أَنْ يَتَّقُوهُ بِمَوْتِ السُّلْطَانَ ، وَسَارَ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى قَلْعَةِ الجَبَلِ بِمِصْرَ وَأُشِيعَ مَوْتُهُ . رَجِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

جَامِعُ ابْنِ اللَّبَّانِ

١٥ هَذَا الجَامِعُ بِجِسْرِ الشُّعَيْبِيَّةِ - المَعْرُوفُ بِجِسْرِ الأَفْرَمِ^٢ - عَمَّرَهُ الأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ أَيُّبُكَ الأَفْرَمُ فِي شَعْبَانَ^(a) سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ .

٢٠ قَالَ ابْنُ المَتَّوْجِ : وَكَانَ سَبَبُ عِمَارَتِهِ أَنَّهُ لَمَّا كَثُرَتْ الخَلَائِقُ فِي خِطَّةِ هَذَا الجَامِعِ ، قَصَدَ الأَفْرَمُ أَنْ يَجْعَلَ خُطْبَةً فِي المَسْجِدِ المَعْرُوفِ بِمَسْجِدِ الخَلَالَةِ^(b) ، الَّذِي بِيَزَاةِ الشُّقَافِ ظَاهِرِ سُورِ القُسْطَاطِ المَسْتَجِدِّ ، وَأَنْ يَزِيدَ فِيهِ وَيَعْمُرَهُ كَمَا يَخْتَارُ ، فَمَنَعَهُ الفَقِيهَ مُؤْتَمِنُ الدِّينِ الحَارِثُ ابْنُ مِسْكَينَ^٣ وَرَدَّهُ عَنْ غَرَضِهِ . فَحَسَّنَ لَهُ الصَّاحِبُ تَاجُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّاحِبِ فَخَّرَ الدِّينِ مُحَمَّدُ

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : الجلالة .

^١ ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ٣٥٦ - ٣٦١ .

^٢ حاشية بخط المؤلف : «مات مؤتمن الدين هذا في الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة خمس وسبع مائة» .

^٢ فيما تقدم ٣ : ٥٥١ .

ابن الصاحب بهاء الدين علي بن حنّا عِمارة هذا الجامع في هذه البقعة لقربه منه . فعمره في شعبان سنة ثلاث وتسعين وست مائة ، لكنه هدم بسببه عدّة مساجد^١ .

وعرف هذا الجامع في زمننا هذا بالشيخ^(a) شمس الدين^(a) محمد بن اللبان الشافعي لإقامته فيه . وأدركناه عامراً ، وقد تعطلت^(b) منه في هذه المحن إقامة الجمعة والجماعة ، لخراب ما حوله وبُعد البحر عنه .

الجامع الطيبرسي

هذا الجامع عمره الأمير علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيوش ، بشاطئ النيل في أرض بستان الخشاب ، وعمر بجواره خانقاه في جمادى الأولى سنة سبع وسبع مائة^٢ . وكان من أحسن متنزّهات مصر وأعمرها^٣ .

- ١٠ وقد خرب ما حوله في الحوادث والمحن التي بعد سنة ست وثمان مائة ، بعد ما كانت العِمارة متصلة منه إلى الجامع الجديد بمصر ، ومنه إلى الجامع الخطيري ببولاق ، ويتركب الناس المراكب للفرجة من هذا الجامع إلى الجامعين المذكورين مُضعدين ومُنحدرين في النيل ، ويَجتمع بهذا الجامع الناس للترّهة ، فيمرُّ به أوقات ومسرات لا يمكن وصفها . وقد خرب هذا الجامع وأقفر^(a) من الساكن والوارد وانحسر ماء النيل من أمامه وهدم ما حوله^(a) من المساكن^٤ ، وصار مخوفاً بعدما كان ملهى وملعباً ، «سنة الله في الذين خلوا من قبل» [الآية ٣٨ سورة الأحزاب] .
- ١٥ ولطيبرس هذا المدرسة الطيبرسيّة بجوار الجامع الأزهر من القاهرة^٥ .

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : انقطعت .

الكبيران ، وهي عامرة كلها مأهولة بكثرة الناس ، والعمارة متصلة منه إلى الجامع الخطيري ببولاق . وكان بحر النيل تحته دائماً للناس ترداداً كبيراً واجتماعات عظيمة فيه وفيما حوله ، ثم خرب ذلك كله بعد سنة ست وثمان مائة وخلا من الساكن .
^٥ أورد المقرئ هنا في المسوّدة ترجمة الأمير طيبرس الخازندار ، بينما جاءت في المبيضة فيما يلي ٥٣٨-٥٤٠ عند ذكر المدرسة الطيبرسيّة .

١ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٧٨ .

٢ فيما يلي ٧٩٢ .

٣ النص في المسوّدة ١٣٦ ظ : «وهو أول من عمّر في أرض بستان الخشاب على شطّ البحر ، فبني به الجامع والخانقاه وحوض ماء للشبيل ، ورُتب فيه درسا» .

٤ النص في المسوّدة ١٣٦ و : «قال كاتبه : أدركنا هذا الجامع والخانقاه وبجوارهما الحمام والوكالة والرُبعان

الجامع الجديد الناصري

هذا الجامع بشاطئ النيل من ساحل مصر الجديد، عمره القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله، ناظر الجيش، باسم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون^١. وكان الشروع فيه يوم التاسع من المحرم سنة إحدى عشرة وسبع مائة، وانتهت عمارته في ثامن صفر سنة اثني عشرة وسبع مائة^٢. وأقيم في خطايته قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الشافعي، ورُتّب في إمامته الفقيه تاج الدين ابن مَرْهَف. فأول ما ضلّي فيه صلاة الظهر من يوم الخميس ثامن صفر المذكور^٣، وأقيمت فيه الجمعة يوم الجمعة تاسع صفر، وخطب عن قاضي القضاة بدر الدين ابنه جمال الدين.

ولهذا الجامع أربعة أبواب، وفيه مائة وسبعة وثلاثون عمودًا، منها عشرة من صوان في غاية السمك والطول، وجملة ذرعه أحد عشر ألف ذراع وخمس مائة ذراع بذراع العمل، من ذلك: طوله من قبله إلى بحريه مائة وعشرون ذراعًا، وعرضه من شرقيه إلى غربيه مائة ذراع، وفيه ستة عشر شباكًا من حديد، وهو يُشرف من قبله على بُستان العالمة، وينظر من بحريه بحر النيل^٤.

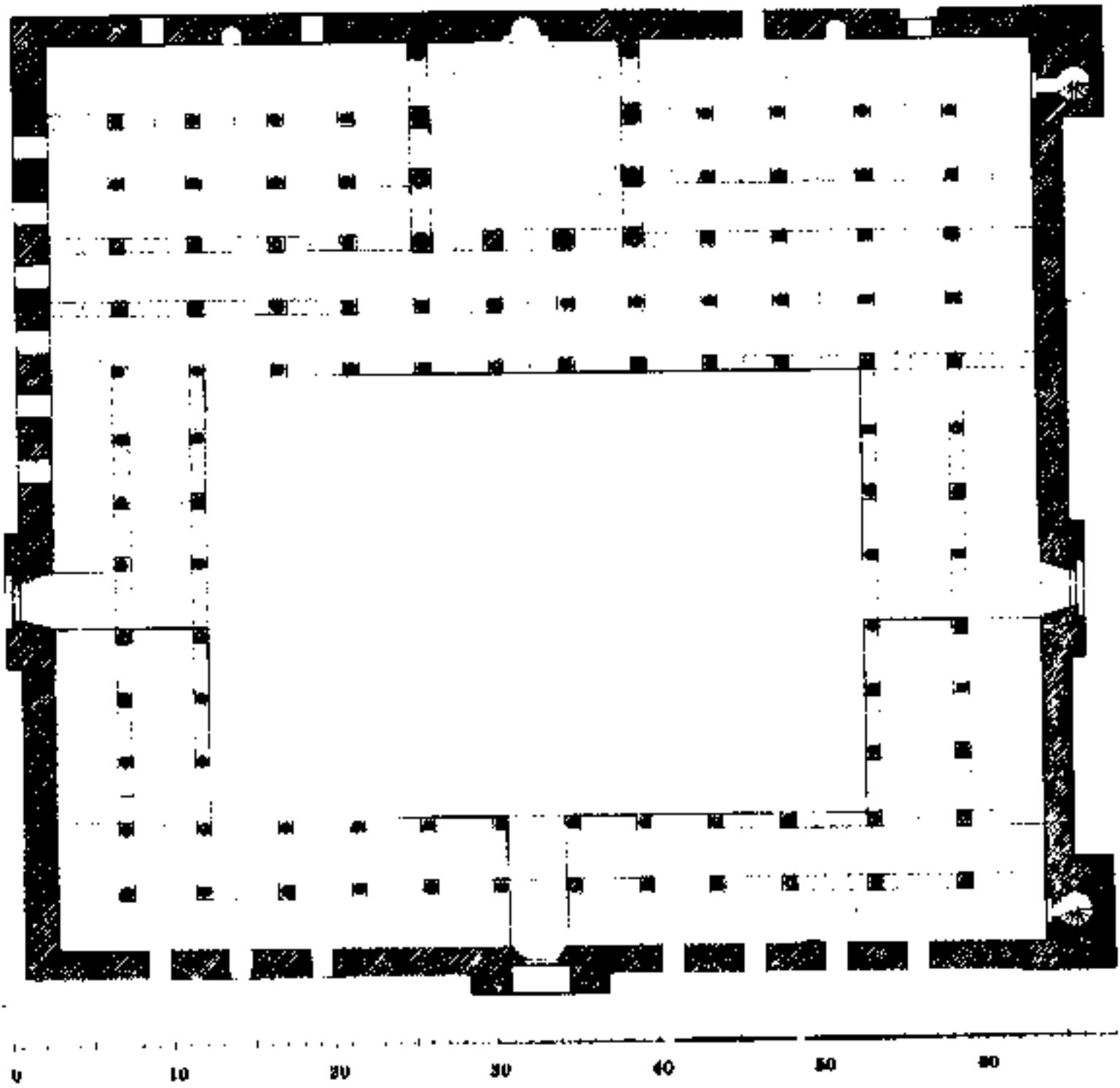
الراحل ميشيل ماينكه تصور مخططه من خلال وصف كل من ابن دقماق والمقريري له في كتابه *Meinecke, M., Die Mamlukische Architektur in Ägypten and Syrian, p. 60*؛ وانظر فيما تقدم ١٦٢:٢-١٦٣ رواية ابن المتوج عن موضع الجامع الجديد.

^٢ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٧٦؛ المقريري: السلوك ٢: ١١٤-١١٥؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٣٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٤٤١.

^٣ نفسه ٤: ٧٦.

^٤ نفسه ٤: ٧٦-٧٧، وهو يُقدّم وصفًا أكثر تفصيلًا من نص المقريري، يعتمد على نص ابن المتوج الذي أورده المقريري فيما تقدم ١٦٢:٢-١٦٣.

^١ الجامع الجديد الناصري. كان من أكبر جوامع القاهرة وتبلغ مساحته نحو ستة آلاف مترًا مربعًا، وفيه ١٣٧ عمودًا، منها عشرة من صوان مُشتملة مما بقي من أعمدة ورخام قلعة الروضة، كما استخدمت في بنائه أحجار الصنم الذي يقال له سرية أبي الهول وعملت منها قواعد وأعتاب الجامع. وكان يقع على النيل جنوب القاهرة قبلي الشواقي التي كانت قائمة على رأس مجرى العيون في المنطقة التي يخترقها الآن شارع السكر والليمون بمصر القديمة. (ابن دقماق: الانتصار ٤: ٧٦-٧٨؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٣٣؛ تعليقات رمزي بك؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ١٤، ٢٧٢؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ١٨: ١١٦). وقد ضاع الآن كل أثر لهذا الجامع، الذي أعاد عالم الآثار الألماني



مُحَطَّطُ الْجَامِعِ الْجَدِيدِ النَّاصِرِيِّ (عن Meibecke)

وكان مَوْضِعُ هذا الجَامِعِ في القَدِيمِ عَامِرًا بِمَاءِ النَّيْلِ ، ثم انْحَسَرَ عَنْهُ النَّيْلُ وَصَارَ رَمْلَةً ، في زَمَنِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ ، يُمَرِّغُ النَّاسُ فِيهَا دَوَابَّهُمْ أَيَّامَ اخْتِرَاقِ النَّيْلِ . فَلَمَّا عَمَّرَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ قَلْعَةَ الرُّوْضَةِ وَحَفَرَ الْبَحْرَ ، طَرَحَ الرَّمْلَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَشَرَعَ النَّاسُ فِي الْعِمَارَةِ عَلَى السَّاحِلِ^١ .

وكان مَوْضِعُ هذا الجَامِعِ شُونَةً ، وَقَدْ ذَكَرَ نَجَبُ ذَلِكَ عِنْدَ ذِكْرِ السَّاحِلِ الْجَدِيدِ بِمِصْرَ ، فَاَنْظُرْهُ . وَمَا بَرِحَ هَذَا الْجَامِعُ مِنْ أَحْسَنِ مُتَنَزِّهَاتِ مِصْرَ إِلَى أَنْ خَرِبَ مَا حَوْلَهُ . وَفِيهِ إِلَى الْآنَ بَقِيَّةٌ ، وَهُوَ عَامِرٌ^٢ .

النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ ، السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ أَبُو الْفَتْحِ نَاصِرُ الدِّينِ ابْنُ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ - كَانَ ابْنُ قَلَاوُونَ يُلَقَّبُ بِخَرْفُوشَ ، وَأُمُّهُ أَشْلُونُ ابْنَةُ سَنْكَايَ - وُلِدَ يَوْمَ السَّبْتِ النَّصْفِ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ ، وَوَلِيَ الْمَلِكُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ^٣ :

^١ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٧٧ نقلًا عن ابن المتوج .
^٢ نفسه ٤ : ٧٧ ؛ وفيما تقدم ٢ : ١٦٢ - ١٦٣ .
^٣ تُعَدُّ فِتْرَةُ سُلْطَنَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ الطُّوَيْلَةَ ، وَعَلَى الْأَخْصَصِ فِتْرَةُ سُلْطَنَتِهِ الثَّلَاثَةِ (٧٠٩ - =

الأولى بعد مقتل أخيه الملك الأشرف خليل بن قلاوون، في ربيع عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وست مائة، وعمره تسع سنين تنقضى يوماً واحداً. فأقام في الملك سنة إلا ثلاثة أيام، وخلع بمملوك أبيه كتبغا المنصوري يوم الأربعاء حادي عشر المحرم سنة أربع وتسعين وست مائة.

وأعيد إلى المملكة ثانياً بعد قتل الملك المنصور لاجين يوم الاثنين سادس جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وست مائة. فأقام عشر سنين وخمسة أشهر وستة عشر يوماً، وعزل نفسه وسار إلى الكرك. فولي الملك من بعده الأمير ركن الدين يتيبوس الجاشنكير، وتلقب بالملك المظفر، في يوم السبت ثالث عشرين شوال سنة ثمان وسبع مائة.

ومن الدراسات الحديثة، علي إبراهيم حسن: دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص، القاهرة ١٩٤٤؛ محمد عبد العزيز مرزوق: الناصر محمد بن قلاوون، أعلام العرب، القاهرة ١٩٦٤؛ al-Hajji, H.N., *The Internal Affairs in Egypt during the Third Reign of Sultan al-Nâsir Muhammad b. Qalâwûn 709-741/ 1309-1341*, Kuwait 1978, 1995, 2000؛ حياة ناصر الحججي: السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده مع تحقيق ودراسة وثيقة وقف سيزياقوس، الكويت ١٩٨٣، نفسه: «القضاء والقضاة في مصر في عهد الناصر محمد ابن قلاوون ٧٠٩-٧٤١/١٣٠٩-١٣٤١»، دراسات العلوم الإنسانية، الكويت ١٢/١٣ (١٩٨٦)، ٦٥-٩٥؛ إبراهيم علي عمر: «ديوان الخاص السلطاني زمن الناصر محمد بن قلاوون، موارده ومصارفه»، العصور ٤/ ٢ (١٩٨٩)، ٣٢٠-٣٠٥؛ Amitai - Preiss, R., «The Remaking of the Military Elite of Mamluk Egypt by al-Nâsir Muhammad b. Qalâwûn», *SI LXXII* (1990), pp. 145-63; Levanoni, A., *A Turning Point in Mamluk History: The Third Reign of al-Nâsir Muhammad Ibn Qalâwûn 1310-1314*, Leiden 1995; Holt, P. M., *El² art. al-Nâsir Muhammad b. Kalâwûn VIII*, pp. 993-94.

= ٧٤١هـ/١٣٠٩-١٣٤١م)، من أغنى فترات التاريخ المملوكي بالمصادر والدراسات الحديثة على السواء. فمن المصادر الخاصة بسيرته: ابن أيبك: كثر الدرر ٨: ٣٥٢-٤٠٠ والجزء التاسع بتمامه وعنوانه «الدُرُّ الفاخِر في سيرة الملك الناصر»، القاهرة ١٩٦٠؛ الشجاعى: تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون وأولاده، تحقيق برباره شيفر، فيسبادن ١٩٧٨؛ اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق أحمد حطيط، بيروت ١٩٨٦؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ١: ١٦٩-١٧٧، ٢١٣-٢٨٦ وكُلُّ المجلد الثاني؛ ومن المصادر العامة، النويري: نهاية الأرب ٣٢: ١٤٨-٣٣٣، ٣٣-٩: ٣١٩؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ٢٩٨-٣٠٥، ٣٢٥-٤٠٦؛ المقرئزي: السلوك ١: ٧٩٣-٨٠٦، ٨٧٢-٩٥٧، ٢: ٥-٤٥، ٧٢-٥٤٨؛ العيني: عقد الجمان ٣: ٢٢٢-٢٦٦، ٤٤٩-٤٧٢، ٤: ٤٧٢-٧: ٤، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٤١-٥٤، ١١٥-٢٣١، ٩: ٣-٣٢٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٣٧٨-٤٨٦؛ وانظر أيضاً الصفدي: أعيان العصر ٥: ٧٣-١٠٣، الوافي بالوفيات ٤: ٣٥٣-٣٧٤؛ المقرئزي: المقفى الكبير ٧: ١٦٢-٢٠٤ (وهي ناقصة من آخرها)؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٤: ٢٦١-٢٦٥، أبو المحاسن: المنهل الصافي ١٠: ٢٦٨-

ثم حضر من الكرك إلى الشام وجمع العساكر، فخامر على بيبرس معظم جيش مصر وانحل أمره، فترك الملك في يوم الثلاثاء سادس عشر شهر رمضان سنة سبع وسبع مائة. وطلع الملك الثاهير إلى قلعة الجبل يوم عيد الفطر من السنة المذكورة، واشتولى على ممالك مصر والشام والحجاز. فأقام في الملك من غير منازع له فيه إلى أن مات بقلعة الجبل في ليلة الخميس الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبع مائة، وعمره سبع وخمسون سنة وأحد عشر شهراً وخمسة أيام. وله في ولايته الثالثة مدة اثنتين وثلاثين سنة وشهرين وعشرين يوماً. وجملة إقامته في الملك عن المدد الثلاث، ثلاث وأربعون سنة وثمانية أشهر وتسعة أيام.

ولما مات ترك ليلته ومن الغد حتى تم الأمر لابنه أبي بكر المنصور في يوم الخميس المذكور. ثم أخذ في جهازه، فوضع في محفة بعد العشاء الآخرة بساعة، وحمل على بغلين، وأنزل من القلعة إلى الإسطنبول السلطاني. وسار به الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي أمير جاندار، والأمير نجم الدين أيوب والي القاهرة، والأمير قطلوبغا الذهبي، وعلم دار أخو طاجار الدوادار. وعبروا به إلى القاهرة من باب النصر، وقد غلقت الحوائث كلها، ومنع الناس من الوقوف للنظر إليه، وقدم المحفة شمعة واحدة في يد علم دار. فلما دخلوا به من باب النصر، كان قد أمه مشرحة في يد يات^a وشمعة واحدة، وعبروا به المدرسة المنصورية بين القصرين ليذفن عند أبيه الملك المنصور قلاوون.

وكان الأمير علم الدين سنجر الجاولي، ناظر المارستان، قد جلس ومعه القضاة الأربعة وشيخ الشيوخ ركن الدين شيخ خانقاه سرياقوس، والشيخ ركن الدين عمر ابن الشيخ إبراهيم الجعبري. فحطت المحفة وأخرج منها، فوضع بجانب الفسقية التي بالقبة، وأمر ابن أبي الطاهر مغسل الأموات بتغسيله، فقال: هذا ملك، ولا أنقرد بتغسيله إلا أن يقوم أحد منكم ويجرده على الدكة، فإنني أخشى أن يقال كان معه فص أو خاتم أو في عنقه خرزة. فقام قطلوبغا الذهبي وعلم دار، وجرده مع الغاسل من ثيابه. فكان على رأسه قبع أبيض من قطن ينائه، وعلى بدنه بغلطاق صدر أبيض وسراويل فنزعا، وترك القميص عليه وغسل به، ووجد في رجله الموجوعة بخشان مفتوحان. فغسل من فوق القميص، وكفن في نضيفة، وعملت له أخرى طراحة ومخدة، ووضع في تابوت من خشب، وصلى عليه قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز ابن محمد بن جماعة الشافعي بمن حضر.

(a) بولاق: شاب.

وَأُنزِلَ إِلَى قَبْرِ أَبِيهِ فِي سِخْلِيَّةٍ مِنْ خَشَبٍ قَدْ رُبِطَتْ بِحَبْلِ ، وَنَزَلَ مَعَهُ إِلَى الْقَبْرِ الْغَائِلُ وَالْأَمِيرُ
سِنَجَرُ الْجَاوَلِي ، وَدُفِعَ إِلَى الْغَائِلِ ثَلَاثَ مِائَةِ دَرَاهِمٍ ، فَبَاعَ مَا نَابَهُ مِنَ الثِّيَابِ بِثَلَاثَةِ عَشْرِ دَرَاهِمًا
سِوَى الْقَبْعِ فَإِنَّهُ فَقِدَ ، وَذَكَرَ الْغَائِلُ أَنَّهُ كَانَ مُحْتَكًا بِخِرْقَةٍ مُعَقَّدَةٍ بِثَلَاثِ عُقَدٍ .

فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ ، هَذَا مَلِكٌ أَكْثَمُ الْمَعْمُورِ مِنَ الْأَرْضِ مَاتَ غَرِيثًا ، وَغُسِّلَ
طَرِيحًا ، وَدُفِنَ وَجِيدًا ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ !

وَفِي لَيْلَةِ السَّبْتِ قَرَأَ الْقُرْآنَ عِنْدَ الْقَبْرِ بِالثُّبَةِ الْقُرْآنَ ، وَحَضَرَ بَعْضُ الْأَمْرَاءِ .

وَتَرَكَ مِنَ الْأَوْلَادِ اثْنَيْ عَشَرَ وَوَلَدًا ذَكَرًا ، وَهُمْ : أَحْمَدُ وَهُوَ أَسْنَهُمْ ، وَكَانَ بِالكَرْكِ ، وَأَبُو بَكْرٍ
وَتَسْلَطَنُ مِنْ بَغْدَادِ ، وَشَقِيقُهُ رَمَضَانُ ، وَيُوسُفُ وَإِسْمَاعِيلُ وَتَسْلَطَنُ أَيْضًا ، وَشُعْبَانُ وَتَسْلَطَنُ ،
وَحُسَيْنُ ، وَكُجُكُ وَتَسْلَطَنُ ، وَأَمِيرُ حَاجٍ ، وَحَسَنُ - وَيُدْعَى قِمَارِي - وَتَسْلَطَنُ ، وَصَالِحُ
وَتَسْلَطَنُ ، وَمُحَمَّدُ . وَتَرَكَ مِنَ الْبَنَاتِ ثَمَانِيَا مِئْرَاجَاتٍ ، سِوَى مَنْ خَلَّفَ مِنَ الصُّغَارِ وَخَلَّفَ مِنْ
الزُّوجَاتِ جَارِيَتَهُ طُغَايَ ، وَابْنَةَ الْأَمِيرِ تَنْكِيَزَ نَائِبَ الشَّامِ .

وَمَاتَ وَلَيْسَ لَهُ نَائِبٌ بِدِيَارِ مِصْرَ ، وَلَا وَزِيرٌ ، وَلَا حَاجِبٌ مُتَّصِرٌ سِوَى أَنْ يَرْتَسِبُغَا الْحَاجِبُ
يَتَحَكَّمُ فِي مُتَعَلِّقَاتِ أُمُورِ الْإِقْطَاعَاتِ وَلَيْسَ مَعَهُ عَصَا الْحُجُورِيَّةِ ، وَبَدْرُ الدِّينِ بَكْتِاشُ نَقِيبُ
الْجِيُوشِ ، وَأَقْبَغَا عَبْدُ الْوَاحِدِ أَسْتَاذَارُ السُّلْطَانِ وَمُقَدَّمُ الْمَمَالِكِ ، وَبَيْبُزَسُ الْأَحْمَدِيُّ أَمِيرُ جَانْدَارِ ،
وَنَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ وَالِي الْقَاهِرَةِ ، وَجَمَالُ الدِّينِ جَمَالُ الْكُفَاهِ نَازِرُ الْجِيُوشِ ، وَالْمُؤَفَّقُ نَازِرُ الدَّوْلَةِ ،
وَصَارِمُ الدِّينِ أَرْبُكُ شَادَةُ الدَّوَابِينِ ، وَعَزُّ الدِّينِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ جَمَاعَةَ قَاضِي الْقَضَاةِ بِدِيَارِ مِصْرَ .
وَنَائِبُ دِمَشْقِ الْأَمِيرِ الطُّنْبُغَا ، وَنَائِبُ حَلَبِ (a) الْأَمِيرِ طَشْتَمُرُ حُصَّصُ أَحْضَرُ وَنَائِبُ طَرَابُلُوسِ الْحَاجِ
أَرْقُطَايَ ، وَنَائِبُ صَفَدِ الْأَمِيرِ أَصْلَمُ ، وَنَائِبُ عَزَّةِ الْأَمِيرِ آقُ شَنْقَرُ السُّلَارِي ، وَصَاحِبُ حَمَاهِ
الْمَلِكِ الْأَفْضَلِ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُؤَيَّدِ إِسْمَاعِيلُ .

وَالْأَمْرَاءُ مُقَدَّمُو الْأُلُوفِ بِدِيَارِ مِصْرَ يَوْمَ وَفَاتِهِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ أَمِيرًا وَهُمْ : بَدْرُ الدِّينِ بَجْنَكَلِي
ابْنُ الْبَابَا ، وَالْحَاجُّ آلِ مَلِكِ ، وَبَيْبُزَسُ الْأَحْمَدِيُّ ، وَعَلَمُ الدِّينِ سِنَجَرُ الْجَاوَلِي ، وَسَيْفُ الدِّينِ
كُوكَايَ ، وَنَجْمُ الدِّينِ مُحَمَّدُ وَزِيرُ بَغْدَادِ ، هُوَلَاءُ بَرَّانِيَّةُ كِبَارٌ ؛ وَبِالْبَاقِي مَمَالِيكُهُ وَخَوَاصُّهُ ، وَهُمْ :
وَلَدُهُ الْأَمِيرُ أَبُو بَكْرٍ ، وَالْأَمِيرُ قَوْضُونُ ، وَالْأَمِيرُ بَشْتَاكُ ، وَالْأَمِيرُ (a) طَقَزْدَمُرُ ، وَأَقْبَغَا عَبْدُ الْوَاحِدِ
الْأَسْتَاذَارُ ، وَأَيْدَغُمُشُ أَمِيرُ آخُورِ ، وَقُطْلُوبُغَا الْفَخْرِي ، وَيَلْبَغَا الْيَحْيَاوِي ، وَتَلَكْتَمُرُ (b) الْحِجَازِي ،

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : ملكتمر .

وَالطُّنْبُغَا المَارِدِينِي ، وَبَهَاذِرِ النَّاصِرِي ، وَأَقِ سُنْقُرِ النَّاصِرِي ، وَقَمَارِي أَمِير^٥ كَبِير ، وَقَمَارِي أَمِير شَكَار ، وَطُوغَاي ، وَأَزَنْبُغَا أَمِير جَانْدَار ، وَبِرْشَبُغَا الْحَاجِب ، وَيَلْرَغِي ابْن الْعَجُوزِ أَمِير سِلَاح ، وَيَتْفَرَا .
وَكَانَ السُّلْطَانُ أَيْضَ اللُّون ، قَدْ وَخَطَهُ السُّيْب ، وَفِي عَيْتِيهِ حَوَلٌ ، وَبِرْجَلِهِ الِئْمَنِي رِيحُ شَوْكَةِ تَنْقُضُ^٦ عَلَيْهِ أَحْيَانًا وَثُؤْلَهُ ، وَكَانَ لَا يَكَاذُ يَمْسُ بِهَا الْأَرْضَ ، وَلَا يَمْشِي إِلَّا مُتَّكِنًا عَلَى أَحَدٍ أَوْ مُتَوَكِّفًا عَلَى شَيْءٍ ، وَلَا يَصِلُ إِلَى الْأَرْضِ سِوَى أَطْرَافِ^٧ أَصَابِعِهِ . وَكَانَ شَدِيدَ الْبَأْسِ ، جَيِّدَ الرَّأْيِ ، يَتَوَلَّى الْأُمُورَ بِنَفْسِهِ ، وَيَجُودُ لِحَوَاصِهِ .

وَكَانَ مُهَابًا عِنْدَ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، بِحَيْثُ إِنَّ الْأَمْرَاءَ إِذَا كَانُوا عِنْدَهُ بِالْخِدْمَةِ لَا يَجْسُرُ أَحَدٌ أَنْ يُكَلِّمَ آخَرَ كَلِمَةً وَاحِدَةً ، وَلَا يَلْتَقِيَتْ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ خَوْفًا مِنْهُ . وَلَا يُمَكِّنُ وَاحِدًا مِنْهُمْ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى بَيْتِ أَحَدٍ أَلْبَثَةً ، لَا فِي وَلِيْمَةٍ وَلَا غَيْرِهَا ، فَإِنْ قَعَلَ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ قَبِضَ عَلَيْهِ ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ يَوْمِهِ مَنَفِيًّا .

وَكَانَ مُسَدِّدًا عَارِفًا بِأُمُورِ رَعِيَّتِهِ وَأَحْوَالِ مَمْلَكَتِهِ ، وَأَبْطَلَ نِيَابَةَ السُّلْطَنَةِ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، وَأَبْطَلَ الْوِزَارَةَ^٨ ، وَصَارَ يَتَحَدَّثُ بِنَفْسِهِ فِي الْجَلِيلِ مِنَ الْأُمُورِ وَالْحَقِيرِ ، وَيَسْتَعْجِلُ خَاطِرَ كُلِّ أَحَدٍ مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ ، لَا سِوَا حَوَاشِيهِ . فَلِذَلِكَ عَظُمَتْ حَاشِيَةُ الْمَمْلَكَةِ وَأَتْبَاعُ السُّلْطَنَةِ ، وَتَخَوَّلُوا فِي النُّعْمِ الْجَزِيلَةِ ، حَتَّى الْخَوَلَةُ وَالْكَلاَبَرِيَّةُ وَالْأَشْرَى مِنَ الْأَزْمَنِ وَالْفِرْنَجِ ، وَأَعْطَى الْبَازْدَارِيَّةَ الْأَخْبَازَ فِي الْحَلَقَةِ : فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ إِقْطَاعُهُ الْأَلْفَ دِينَارًا فِي السَّنَةِ ، وَزَوْجٌ عِدَّةٌ مِنْهُمْ بِجَوَارِيهِ مِنَ التُّرُكِ^٩ ، وَأَقْنَى / خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الْأَمْرَاءِ بَلَغَ عَدْدُهُمْ نَحْوَ الْمِائَتِي أَمِير .

وَكَانَ إِذَا كَبَّرَ أَحَدًا مِنْ أَمْرَائِهِ ، قَبِضَ عَلَيْهِ وَسَلَبَهُ نِعْمَتَهُ ، وَأَقَامَ بَدَلَهُ صَغِيرًا مِنْ مَمَالِكِهِ إِلَى أَنْ يَكْبُرَ ، فَيُنْسِكَهُ وَيُقِيمَ غَيْرَهُ لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ شَرَّهُمْ . وَكَانَ كَثِيرَ التَّخْيِيلِ حَازِمًا ، حَتَّى إِنَّهُ إِذَا تَخَيَّلَ مِنْ ابْنِهِ قَتْلَهُ .

وَفِي آخِرِ أَيَّامِهِ شَرٌّ فِي جَمْعِ الْمَالِ ، فَصَادَرَ كَثِيرًا مِنَ الدُّوَابِ وَالْوَلَاةِ وَغَيْرِهِمْ ، وَرَمَى الْبِضَائِعَ عَلَى التُّجَّارِ حَتَّى خَافَ كُلُّ مَنْ لَهُ مَالٌ . وَكَانَ مُخَادِعًا كَثِيرَ الْحَيْلِ ، لَا يَقِفُ عِنْدَ قَوْلٍ ، وَلَا يُؤْفِي بِعَهْدٍ ، وَلَا يَبْرُ فِي يَمِينٍ .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : تنقص . (c) بولاق : إلا أطراف .

وكان مُجَبَّنًا لِلعِمَارَةِ ، عَمَّرَ عِدَّةَ أَمَاكِنَ ، مِنْهَا جَامِعُ قَلْعَةِ الجَبَلِ وَهَدَمَهُ مَرَّتَيْنِ ، وَعَمَّرَ القَصْرَ الأَبْلَقَ بِالقَلْعَةِ وَمُعْظَمَ الأَمَاكِنِ الَّتِي بِالقَلْعَةِ ، وَعَمَّرَ المَجْرَى الَّذِي يُنْقَلُ المَاءُ عَلَيْهِ مِنْ بَحْرِ النُّيْلِ إِلَى القَلْعَةِ عَلَى الشُّورِ ، وَعَمَّرَ المَيْدَانَ تَحْتَ القَلْعَةِ ، وَمَنَاظِرَ المَيْدَانِ عَلَى النُّيْلِ . وَعَمَّرَ قَنَاطِرَ السَّبَاعِ عَلَى الخَلِيجِ ، وَمَنَاظِرَ سِرِّيَاقُوسَ والخَانِقَاهُ بِسِرِّيَاقُوسَ ، وَحَفَرَ الخَلِيجَ النَّاصِرِي بِظَاهِرِ القَاهِرَةِ ، وَعَمَّرَ الجَامِعَ الجَدِيدَ عَلَى شَاطِئِ النُّيْلِ بِظَاهِرِ مِصْرَ ، وَجَدَّدَ جَامِعَ الفَيْتَلَةَ الَّذِي بِالرَّضْدِ ، وَالمُدْرَسَةَ النَّاصِرِيَّةَ بَيْنَ القَصْرَيْنِ مِنَ القَاهِرَةِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَرِدُ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا الكِتَابِ .

وَمَا زَالَ يُعَمَّرُ مُنْذُ عَادَ إِلَى وِلَايَةِ المُلْكِ فِي المَرَّةِ الثَّالِثَةِ إِلَى أَنْ مَاتَ . وَبَلَغَ مَصْرُوفُ العِمَارَةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِهِ سَبْعَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ فِضَّةً : عَنْهَا ثَلَاثُ مِائَةٍ وَخَمْسُونَ دِينَارًا ، سِوَى مَنْ يُسَخَّرُهُ مِنَ المُقَيَّدِينَ وَغَيْرِهِمْ فِي عَمَلِ مَا يَعْمُرُهُ .

وَحَفَرَ عِدَّةً مِنَ الخَلْجَانَاتِ وَالثَّرْعِ ، وَأَقَامَ الجُسُورَ بِالبِلَادِ ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَنْصَرِفُ مِنَ الأَجْنَادِ^(a) عَلَى ذَلِكَ رُبْعُ مُتَحَصِّلِ الإِقْطَاعَاتِ . وَحَفَرَ خَلِيجَ الإِسْكَندَرِيَّةِ ، وَبَحْرَ المَحَلَّةِ مَرَّتَيْنِ ، وَبَحْرَ اللُّبْنِيِّ بِالجِيزَةِ ، وَعَمِلَ جِسْرَ شِيبِينَ ، وَعَمِلَ جِسْرَ أَحْبَاسَ بِالشَّرْقِيَّةِ وَالقَلْبُوبِيَّةِ مُدَّةَ ثَلَاثِ سِنِينَ مُتَوَالِيَةً قَلَمَ يَنْجَحُ ، فَأَنْشَأَهُ بُنْيَانًا بِالطُّوبِ وَالجِيزِ ، وَأَنْفَقَ فِيهِ أَمْوَالًا عَظِيمَةً^١ .

وَرَأَى دِيَارَ مِصْرَ وَبِلَادَ الشَّامِ^٢ .

وَعَرَّضَ الجَيْشَ بَعْدَ حُضُورِهِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، وَقَطَعَ ثَمَانِ مِائَةٍ مِنَ الجُنْدِ ، ثُمَّ قَطَعَ مَرَّةً أُخْرَى ثَلَاثَةَ وَأَرْبَعِينَ جُنْدِيًّا فِي سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ^(b) وَسَبْعَ مِائَةٍ ، ثُمَّ قَطَعَ خَمْسَةَ وَسِتِّينَ أَيْضًا فِي رَمَضَانَ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِشَهْرَيْنِ .

وَفَتَحَ مِنَ البِلَادِ جَزِيرَةَ أَرْوَادَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، وَفَتَحَ مَلَطِيَّةَ فِي سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، وَفَتَحَ إِيَاسَ^(c) فِي رَبِيعِ الأَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ وَخَرَّبَهَا ، ثُمَّ عَمَّرَهَا الأَرْمَنَ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا جَيْشًا فَأَخَذَهَا ، وَمَعَهَا عِدَّةُ بِلَادٍ مِنَ بِلَادِ الأَرْمَنِ ، فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، وَأَقَامَ بِهَا نَائِبًا مِنْ أَمْرَاءِ حَلَبَ . وَعَمَّرَ قَلْعَةَ جَعْبَرٍ بَعْدَ أَنْ دَثَّرَتْ .

(a) بولاق : الأخباز . (b) بولاق : وأربعين . (c) بولاق : أبناس .

^٢ انظر فيما تقدم ١: ٢٣٥-٢٤٤ .

^١ انظر فيما تقدم ٣: ٥٧-٦٤ .

وَضُرِبَتِ الشُّكَّةُ بِاسْمِهِ فِي بَغْدَادِ^(a) فِي شَوَّالِ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ قَبْلَ مَوْتِهِ ، تَوَلَّى ذَلِكَ الشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ حُسَيْنٍ ، بِحُضُورِ الْأَمِيرِ شِهَابِ الدِّينِ أَحْمَدَ قَرِيبِ السُّلْطَانِ ، وَقَدْ تَوَجَّهَ مِنْ مِصْرَ بِهَذَا السَّبَبِ . وَخَطَبَ لَهُ أَيْضًا أَرْثَنَّا بِلَادِ الرُّومِ^١ ، وَضُرِبَتِ الشُّكَّةُ بِاسْمِهِ ، وَكَذَلِكَ بِلَادِ ابْنِ قِزْمَانَ وَجِبَالِ الْأَكْرَادِ وَكَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ الشَّرْقِ .

٥ وكان من الذكاء المفرط على جانب عظيم ، يُعْرِفُ مَمَالِيكَ أَيْبِهِ وَمَمَالِيكَ الْأُمَرَاءِ بِأَسْمَائِهِمْ وَوَقَائِعِهِمْ ، وَلَهُ مَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِالْحَيْلِ وَقِيَمِهَا ، مَعَ الْحِشْمَةِ وَالسِّيَادَةِ ؛ لَمْ يُعْرِفْ عَنْهُ قَطُّ أَنَّهُ سَتَمَ أَحَدًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ ، وَلَا سَفَّهَ عَلَيْهِ ، وَلَا كَلَّمَهُ بِكَلِمَةٍ سَيِّئَةٍ ، وَكَانَ يَدْعُو الْأُمَرَاءَ أَرْبَابَ الْأَشْغَالِ بِالْقَابِهِمْ .

١٠ وكانت هِمَّتُهُ عَلِيَّةً ، وَسِيَاسَتُهُ جَيِّدَةً ، وَحُرْمَتُهُ عَظِيمَةً إِلَى الْغَايَةِ ، وَمَعْرِفَتُهُ بِمُهَادَنَةِ الْمُلُوكِ لَا مَزْمَى وَرَاءَهَا يَتَذَلُّ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَمْوَالِ مَا لَا يُوصَفُ كَثْرَةً ، فَكَانَ كِتَابُهُ يَنْفَذُ أَمْرَهُ فِي سَائِرِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ كُلِّهَا . وَهُوَ مَعَ مَا ذَكَرْنَا مُؤَيَّدٌ فِي كُلِّ أَمْرِهِ ، مُظَفَّرٌ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ ، مَسْعُودٌ فِي سَائِرِ حَرَكَاتِهِ ، مَا عَانَدَهُ أَحَدٌ أَوْ أَضْمَرَ لَهُ سُوءًا إِلَّا وَنَدِمَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ هَلَكَ .

١٥ واشتهر في حياته بديار مصر أنه إن وَقَعَتْ قَطْرَةٌ مِنْ دَمِهِ عَلَى الْأَرْضِ لَا يَطَّلَعُ نَيْلُ مِصْرَ مُدَّةَ سَبْعِ سِنِينَ . فَمَتَّعَهُ اللَّهُ مِنَ الدُّنْيَا بِالسَّعَادَةِ الْعَظِيمَةِ فِي الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ ، مَعَ كَثْرَةِ الطَّمَأْنِينَةِ وَالْأَمْنِ وَسَعَةِ الْأَمْوَالِ . وَاقْتَنَى كُلَّ حَسَنٍ وَمُسْتَحْسِنٍ مِنَ الْحَيْلِ وَالْغِلْمَانِ وَالْجَوَارِي ، وَسَاعَدَهُ الْوَقْتُ فِي كُلِّ مَا يَحِبُّ وَيَخْتَارُ إِلَى أَنْ أَتَاهُ الْمَوْتُ .

(a) فِي بَغْدَادِ : سَاقِطَةٌ مِنْ بَوْلَاقِ .

وتوفي أرثنا سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م . (الصفدي : أعيان العصر
١: ٤٤٨-٤٤٩ ، الوافي بالوفيات ٨: ٣٣٧-٣٣٨ ؛
المقريزي : السلوك ٢: ١٨٦-١٨٧هـ ؛ ابن حجر : الدرر
الكامنة ١: ٣٧١ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠: ٢٨٩ ،
المنهل الصافي ٢: ٢٩٤) .

^١ الأمير عَلَمُ الدِّينِ أَرْثَنَّا - بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَبَعْدِ الرَّاءِ الْمَفْتُوحَةِ تَاءً ثَالِثَةً الْحُرُوفِ سَاكِنَةً ثُمَّ نُونٌ وَأَلْفٌ - كَانَ حَاكِمًا بِلَادِ الرُّومِ مِنْ قِتْلِ الْمَلِكِ بُو سَعِيدِ أَحَدِ إِيْلَخَانَاتِ فَارِسِ . فَلَمَّا مَاتَ بُو سَعِيدٌ كَاتَبَ أَرْثَنَّا السُّلْطَانَ النَّاصِرَ مُحَمَّدَ بْنَ قَلَاوُونَ لِيَكُونَ نَائِبًا لَهُ ، فَأَجَابَهُ النَّاصِرُ مُحَمَّدٌ إِلَى ذَلِكَ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِالْخَلِجِ السُّنِّيَّةِ وَلَقَّبَهُ «نَائِبَ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِالْبِلَادِ الرُّومِيَّةِ» ؛

الجامع بالمشهد النفيسي

قال ابن المتوج: هذا الجامع أمر بإنشائه الملك الناصر محمد بن قلاوون، فعمر في شهر سنة أربع عشرة وسبع مائة، وولي خطابته علاء الدين محمد بن نصر الله بن الجوهري شاهد الخزانة السلطانية، وأول خطبته فيه يوم الجمعة ثامن صفر من السنة المذكورة، وحضرة^(a) أمير المؤمنين المشتكفي بالله أبو الربيع سليمان وولده وابن عمه، والأمير كهزداش متولي شد العمائر السلطانية وعمارته هذا الجامع ورواقاته والفسقية المستجدة.

وقيل إن جميع المصروف على هذا الجامع من حاصل المشهد النفيسي وما يدخل إليه من الثدور ومن الفتوح^١.

جامع أمير حسين

بالحكر^(b)

[أثر رقم ٢٣٣]

هذا الجامع^٢ كان موضعه بُسْتَانًا بجوار غيظ العدة، أنشأه الأمير حسين بن أبي بكر ابن

(a) بولاق: وحضر. (b) من المسودة، والنسخ: جامع الأمير حسين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك من فضل الله وجزيل عطائه العبد الفقير إلى الله تعالى حسين ابن جندر بك عفا الله عنه، وذلك في شهر سنة تسعة عشرة وسبع مائة. (van Berchem, M., CIA Égypte) . (I, n° 114; Wiet, G., RCEA XIV n° 5407)

ويقع هذا الجامع غربي الخليج (شارع بورسعيد الآن) أمام محكمة جنوب القاهرة الابتدائية وخلف مبنى دار الكتب المصرية ومتحف الفن الإسلامي في شارع الأمير حسين بالناصرية. (راجع، المقرئ: السلوك ٢: ٢١٥،

^١ هذا الجامع ذكره أبو المحاسن (النجوم الزاهرة ٩: ١٩٩) وقال إنه لا يقلم من بناءه. وهو الجامع الذي يوجد بداخله ضريح السيدة نفيسة بشارع الأشرف بقسم الخليفة بالقاهرة، وقد تمجدد بناؤه في سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٦م، ومؤخرًا في العقد الأخير من القرن العشرين. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٦: ٣٧٨هـ^٢، ٩: ١٩٩هـ^٢؛ وانظر فيما يلي ٨٤٢).

^٢ هذا الجامع أنشأه الأمير حسين بن أبي بكر ابن إسماعيل بن جندر بك بحكر بخزير الثوب سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م كما هو مبين في لوح من الرخام مثبت في الثجوبف العلوي لباب الجامع، نصه:

إسماعيل بن جندَر بك شَرَفُ الدِّينِ الرُّومِي^(a) ١. قَدِيمٌ مَعَ أَبِيهِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ إِلَى دِيَارِ مِصْرَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، وَتَخَصَّصَ بِالْأَمِيرِ حُسَامِ الدِّينِ لَاجِنِ الْمَنْصُورِيِّ قَبْلَ سَلْطَنَتِهِ، فَكَانَتْ لَهُ مِنْهُ مَكَانَةٌ مَكِينَةٌ^(b) وَمَنْزِلَةٌ عَلِيَّةٌ^(b)، وَصَارَ أَمِيرَ شِكَارٍ، وَكَانَ فِيهِ بَيْتٌ، وَلَهُ صَدَقَةٌ، وَعِنْدَهُ تَفَقُّدٌ لِأَصْحَابِهِ.

وَأَنْشَأَ أَيْضًا الْقَنْطَرَةَ الْمَعْرُوفَةَ بِقَنْطَرَةِ أَمِيرِ مُحْسِنِينَ عَلَى خَلِيجِ الْقَاهِرَةِ، وَفَتَحَ الْخُوقَةَ فِي سُورِ الْقَاهِرَةِ بِجَوَارِ الْوَزِيرِيَّةِ، وَجَزَى عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ فَتْحِهَا مَا قَدْ ذُكِرَ عِنْدَ ذِكْرِهَا فِي الْخُوقِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ٢. وَتُوفِيَ فِي سَابِعِ الْمَحْرَمِ سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ، وَذُفِنَ بِهَذَا الْجَامِعِ^(c).

جَامِعُ الْمَاسِ

[أثر رقم ١٣٠]

هَذَا الْجَامِعُ بِالشَّارِعِ خَارِجَ بَابِ زَوَيْلَةَ. بَنَاهُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ الْمَاسِ الْحَاجِبِ النَّاصِرِيِّ^(d)، وَكَمَّلَ فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ ٣.

(a) بولاق: مشرف الرومي. (b-b) إضافة من المُسَوِّدَة. (c) المُسَوِّدَة: بجامعه بالحِكر. (d) إضافة من المُسَوِّدَة.

أَمِيرِ حَاجِبٍ فِي شَهْرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ، وَكَمَّالُهُ سَنَةِ ثَلَاثِينَ مِنْ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ. (Wiet, G., RCEA XIV n° 5579).

وَمِنْ بَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ جَامِعًا أَقَامَهَا أَمْرًا فِي فِتْرَةِ سَلْطَنَةِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ الثَّلَاثَةِ، لَا يُوجَدُ الْآنَ سِوَى هَذَا الْجَامِعِ وَجَامِعِ الْطَنْبُغَا الْمَازِدَانِيِّ (الْمَازِدِينِيِّ) اللَّذِينَ يَحْتَفِظَانِ بِتَخْطِيطِهِمَا الْأَصْلِيِّ. عَلَمًا بِأَنَّ هَذَا الْجَامِعَ الْآنَ فِي حَالَةٍ يُزَيِّئُ لَهَا بِسَبَبِ تَسْرُبِ الْمِيَاهِ الْجَوْفِيَّةِ إِلَيْهِ. (مجهول: تاريخ

سلاطين المماليك ١٨٧، ٢٢٦؛ المقرئ: السلوك ٢: ٣٢٣؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٦؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١: ١٣٦-١٣٨؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ١٧٤-١٧٩، Chahinda

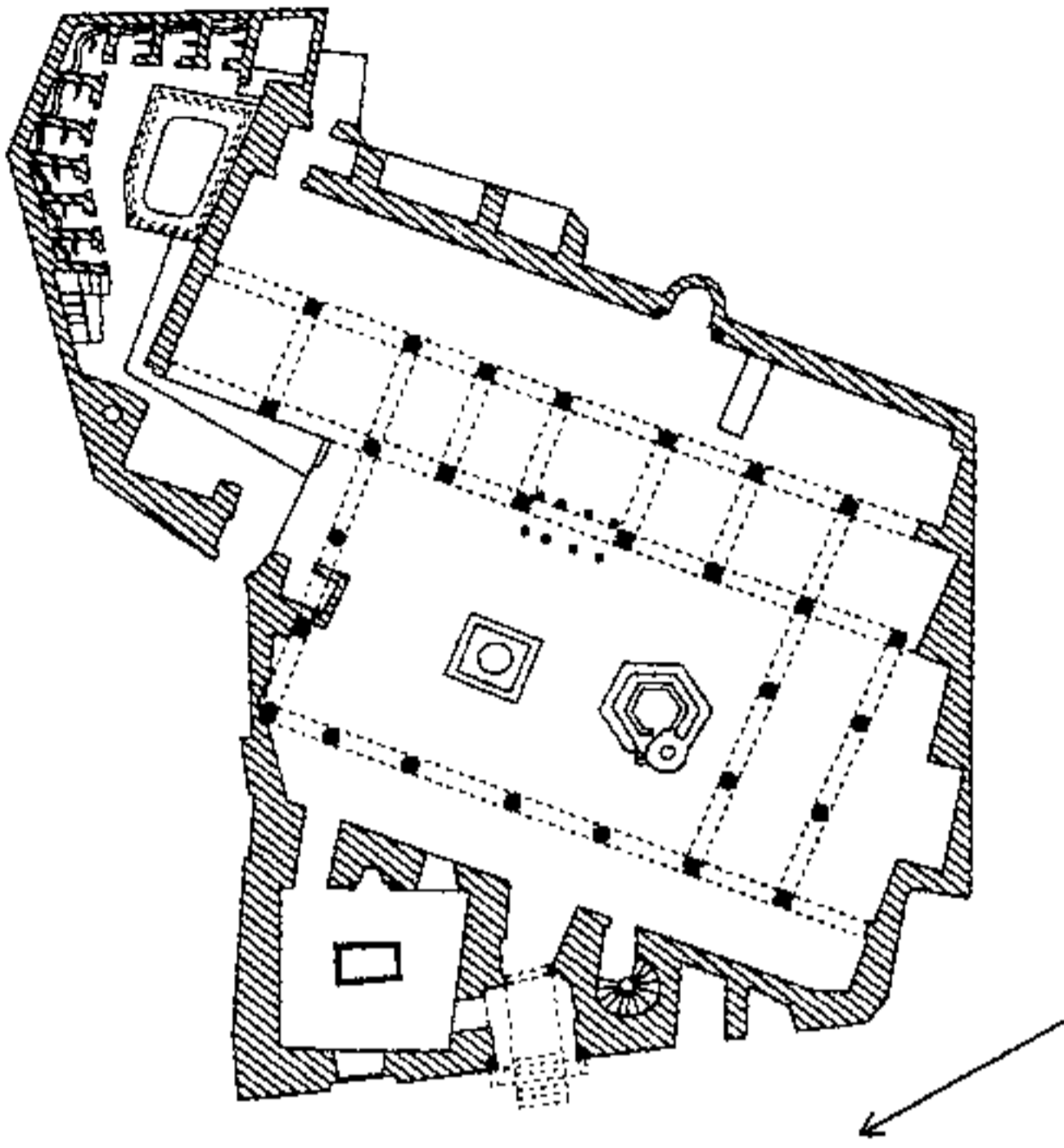
Herz, M., «La mosquée de l'émir ٥٤٤، ٣١٤ = Hussein», CR du comité, exersice 1910, pp. 155-56؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٦٢؛ تعليقات رمزي بك؛ Creswell, K.A.C., MAE II, pp. 269-70؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٥٠٧-٥١٩).

١ انظر ترجمة الأمير حسين فيما تقدم ٣: ١٤٧-١٤٨.

٢ فيما تقدم ٣: ١٤٧-١٤٨.

٣ جَامِعُ الْمَاسِ. يَقَعُ الْآنَ فِي أَوَّلِ شَارِعِ الشُّيُوفِيَّةِ بِالْحَلَمِيَّةِ الْجَدِيدَةِ مِنْ جِهَةِ شَارِعِ الْقَلْعَةِ (مُحَمَّدُ عَلِيٌّ سَابِقًا). وَجَاءَ فِي الْكِتَابَةِ الْأَثَرِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ فِي أَعْلَى مَدْخَلِهِ:

وَمَا أَمَرَ بِإِنْشَاءِ هَذَا الْمَسْجِدِ الْمُبَارَكِ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ الْمَاسِ



مُحَطَّط جامع أُلْماس (عن Kessler)

أُلْماس

وكان أُلْماسُ هذا أحدَ مَماليك النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلاوونَ ، فرَقَّاهُ إلى أن صارَ من أكبرِ الأُمراءِ^(a) ولَمَّا أُخْرِجَ الأميرُ أرغونُ إلى نِيباتِه حَلَبَ ، وبقي مُنصَّبُ النِّيباتِ شاعِراً ؛ عَظَمَتِ مَنزِلَةُ أُلْماسَ ، وصارَ في مَنزِلَةِ النِّيباتِ إلا أَنَّهُ لَمْ يُسَمَّ بِالنَّائبِ ، ويَرَكِبُ الأُمراءَ الأكابرَ والأصاغِرَ في خِدمَتِهِ ، ويجلسُ بيابِ^(b) القَلَّةِ من قَلْعَةِ الجَبَلِ في مَنزِلَةِ النَّائبِ ، والحُجَّابِ وَقُوفٍ بين يَدَيْهِ^١ .

(a) المُسَوِّدَةُ : حاجب الحُجَّابِ . (b) بولاق : في باب .

الناصر محمد بن قلاوون، توفي مقتولاً سنة ١٢٣٤هـ / ١٣٣٤م ودُفِنَ بالقُبَّةِ الملحقة بجامعه هذا. (راجع، الصفدي: أعيان العصر ١: ٦١٦-٦١٨) وفيه أُلْماسُ بفتح الهمزة وسكون اللام وبعد الميم ألف وسين مهملة)، الوافي بالوفيات ٩: ٣٧٠-٣٧١؛ المقرئ: المقفى الكبير ٢: ٢٩٢-٢٩٤، السلوك ٢: ٣٦٥-٣٦٦؛ ابن حجر:

Karim, «The Mosque of Ulmas al-Hajib» in Doris Behrens - Abouseif (ed.), *The Cairo Heritage. Essays in Honor of Laila 'Ali Ibrahim*, Cairo AUC 2000, pp. 123-47 محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٥٩٥-٦١٨).

^١ الأمير سيفُ الدين أُلْماسُ الحَاجِبِ ، أخذُ كبارِ أُمراءِ

وما برح على ذلك حتى توجه السلطان إلى الحجاز في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائة، فتركه في القلعة هو والأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك، والأمير آقباغا عبد الواحد، والأمير طشتمر حُصص أخضر هؤلاء الأربعة لا غير، وبقية الأمراء إماما معه في الحجاز وإماما في إقطاعاتهم، وأمرهم ألا يدخلوا القاهرة حتى يحضر من الحجاز. فلما قدم من الحجاز نقم عليه، وأمسكه في صفر سنة أربع وثلاثين وسبع مائة وكان لغضب السلطان عليه أسباب: منها أنه لما أقام في غيبة السلطان بالقلعة كان يُراييل الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك ويؤادده، وبدت منه في مدة الغيبة أمور فاحشة من معاشره الشباب ومن كلام في حق السلطان، فوشى به آقباغا.

وكان مع ذلك قد كثر ماله وزادت سعادته، فهوى شابا من أبناء الحسينية يُعرف بعمير، وكان ينزل إليه ويجمع الأوترياتية، ويحضر الشباب ويشرب، فحرك عليه ذلك ما كان ساكنا، ويُقال إن السلطان لما مات الأمير بكتمر الساقى، وجد في تركته خزمدان^a فيه جواب ألماس إلى بكتمر الساقى «إني حافظ لك القلعة^b إلى أن يرد عليّ منك ما أعتمده». فلما وقف السلطان على ذلك أمر النشو بن هلال الدولة، وشاهد الخزانة، بإيقاع الخوطة على موجوده فوجد له ست مائة ألف درهم فضة، ومائة ألف درهم فلوّسا، وأربعة آلاف دينار ذهبًا، وثلاثين حياصة ذهبًا كاملة بكفتاتها وخلعها وجواهرها وتُحفًا.

وأقام ألماس عند آقباغا عبد الواحد ثلاثة أيام، وقُتل حنقا بمحبسه في الثاني عشر من صفر سنة أربع وثلاثين وسبع مائة^c هو وأخوه قرا، ووُجد له من الفضة ألفا ألف درهم وأربع مائة ألف درهم، ومن الذهب والخيل والقماش شيء كثير^c، وحُمِلَ من القلعة إلى جامع فدفن به، وأُخذ جميع ما كان في داره من الرخام فقلع منها، وكان رخاما فاخرا إلى الغاية.

وكان أسمى طوالا، عُثميا لا يفهم شيئا بالعربي، ساذجا يجلس في بيته فوق لبّاد على ما اعتاده^١. وبهذا الجامع رخام كثير نقله من جزائر البحر وبلاد الشام والروم،^c وعمر أيضا بجواره قاعة فيها رخام ملىح^c ٢.

(a) بولاق: جردان. (b) بولاق: إني حافظ القلعة. (c-c) إضافة من مسودة الخطط.

= الدرر الكامنة ١: ٤٣٨-٤٣٩؛ أبا المحاسن: المنهل الصافي يموت، النجوم الزاهرة ٩: ٣٠١. ١ فيما تقدم ٣: ٢٤٤. ٢ المقرئ: مسودة الخطط ١٣١ و.

جامع قوصون^١

[أثر رقم ٢٢٤]

هذا الجامع بالشارع خارج باب زويلة^(a)، ابتداءً بعمارته الأمير^(b) الكبير سيف الدين^(b) قوصون في سنة ثلاثين وسبع مائة،^(b) وهو خارج باب القوس المجاور لحارة المصامدة من الجانب الغربي^(b)، وكان موضعه دارًا بجوار حارة المصامدة من جانبها الغربي تُعرف بدار أقوش نُمَيْلَة، ثم عُرفت بدار الأمير جمال الدين قتال السبع المؤصلي، فأخذها من ولده وهدمها وتولى بناءه^(c) شاد^(c) العمائر، واشتغل فيه الأسرى. وكان قد حضر من بلاد توزير بناءً، فبنى مئذنتي هذا الجامع على مثال المئذنة التي عملها خواجه علي شاه وزير السلطان أبي سعيد، في جامع بمدينة توزير.

(a) المَسْوَدَة : بالشارع خارج باب القوس . (b-b) إضافة من مَسْوَدَة الخطط . (c) بياض في ميونخ .

عجائب الآثار ٣: ٢٣٤)، والثانية مع فتح شارع محمد علي سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ٨٨)، الذي أدى فتحه إلى هدم أجزاء كبيرة من الجامع. وقد أعيد بناؤه سنة ١٣١١هـ/١٨٩٣م في عهد الخديو عباس حلمي الثاني، ولم يتبق من الجامع الأصلي سوى بوابته الشرقية الواقعة في شارع الشروجية، وبوابته البحرية التي بداخل دُزب الأغاوات، وبقايا زخارف وشبايك بخصبة بالحائط البحري للجامع. وتُشغل الجامع الحالي مكان الجامع القديم بحدوده بعد الذي أُخذ منه عند فتح شارع محمد علي، ولم تكن البوابة الشرقية التي بشارع الشروجية واقعة ضمن حوائط الجامع الأصلي، بل كانت بعيدة عنه بمسافة ثمانين مترًا - كما هي الآن - وكان العَرَضُ من إنشائها هو تقريب طريق الجامع لشُكَّان الشارع الأعظم (الشروجية والمُعزبلين الآن) وتسهيل وصولهم إليه في أوقات الصلاة، وكانت هذه البوابة على رأس دهليز يُوصَل إلى الجامع، وحل محل هذا الدهليز الآن عَظْفَةُ المحكمة المُوصَلَة بين شارع الشروجية وشارع محمد علي. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٩٥هـ^١ =

^١ جامع قوصون. أنشئ عام ثلاثين وسبع مائة كما يدل على ذلك كتابتان تاريخيتان، الأولى نَصُّها: «أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك بكرم الله تعالى العبد الفقير إلى الله قوصون الشاقي الملكي الناصري في أيام مولانا السلطان الملك الناصر أعز الله أنصاره، وذلك في سنة ثلاثين وسبع مائة». (van Berchem, M., CIA Egypte I, n° 119; Wiet, G., RCEA XIV, n° 5577). والثانية نَصُّها:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآية ١٨ سورة التوبة - أمر بإنشاء هذا الجامع العبد الفقير إلى الله تعالى الشيفي قوصون الملكي الناصري، في أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون، وذلك في شهر سنة ثلاثين وسبع مائة من الهجرة». (van Berchem, M., CIA Egypte I, n° 120; Wiet, G., RCEA XIV, n° 5578).

وتعرض هذا الجامع الضخم إلى التخريب منذ فترة بعيدة، فقد سقطت مئذنتاه اللتان ذكرهما المقرئ في واحدة في آخر شعبان سنة ١٢١٥هـ/١٨٠١م (الجبرتي:

وأوَّلُ خُطْبَةٍ أُقِيمَتْ فِيهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ^(a) مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ،
وخطبَ يومئذٍ قاضي القضاة جلالُ الدين القزويني بحضورِ السلطان ، ولما انقضت صلاةُ الجمعة
أزكبه الملكُ الناصرُ بغلَّةٍ بخُلعةٍ سنِّيَّةٍ ، ثم منعه السلطانُ الملكُ الناصرُ أن يستقرَّ في خطابته ، فولِّي
فخر الدين شكر .

قُوضُونَ

الأميرُ الكبيرُ سيفُ الدين - حضرَ من بلادِ بَرَكةٍ إلى مصرِ ضُحْبَةً خَوْنُدُ ابنة
أزبَك ، امرأة ^(b) الملكِ النَّاصِرِ محمد بن قلاوون ، في ثالثِ عشرين ربيعِ
الآخرِ سنة عشرين وسبع مائة ، و ^(c) لم يمتسه رِقٌّ بل كان ^(c) معه قليلُ عصي وطسما ونحو ذلك
مما قيمته خمس مائة درهم ، ليُتجرَ فيه . فكان يطوفُ ^(d) بذلك في أسواقِ القاهرة وتحت القلعة ،
وفي داخلِ قلعة الجبلِ لبيعه ؛ فاتفق في بعض الأيَّام أنه دَخَلَ إلى الإسطنبول السلطاني لبيِّعَ ما
معه ^(e) فوَلَعَ به بعضُ الأوشاقية وأحبَّه ^(e) - وكان صبيًّا جميلاً طويلاً ، له من العُمَرِ ما يُقاربُ /
الثمانية عشرة سنة - فصارَ يتردَّدُ إلى الأوشاقية إلى أن رآه السلطانُ ^(c) ومعه العصي وهوى ونحو
ذلك يبيعه ^(c) فوَلَعَ منه بموَقِعٍ ، فسألَ عنه ، فعرفَ بأنه يحضرُ لبيِّعَ ما معه ، وأنَّ بعضَ الأوشاقية
توَلَعَ به . فأمرَ بإحضاره إليه ، وابتاعَ منه نفسه ليصيرَ من جملة المماليك السلطانية ، فنزَّله من
جملة الشقاة ، وشغفَ به وأحبَّه حبًّا كثيرًا .

فأسلمَه للأميرِ بكتُمُر السَّاقِي ، وجعَلَه أميرَ عشرة ، ثم أعطاه إمرةً طبَّخاناه ، ثم جعلَه أميرَ مائة
مُقَدَّم ألفٍ ، ورَقَّاه حتى بَلَغَ أعلى الرُّتَبِ ^(f) . فأرسلَ إلى البلادِ ، وأحضرَ إخوتَه سُوشُونَ وغيره من

(a) بياض بآياصوفيا وباريس وميونخ . (b) مُسَوَّدَةٌ الخطط : زوج . (c-c) إضافة من مُسَوَّدَةٌ الخطط . (d)
بولاق والتسخ : فطاف ، والمثبت من المُسَوَّدَةِ . (e-e) بولاق والتسخ : فأحبَّه بعض الأوشاقية ، والمثبت من المُسَوَّدَةِ . (f) بولاق
والتسخ : حتى بَلَغَ أعلى المراتب .

= وانظر كذلك المقرئزي : السلوك ٢ : ٣٢٠ ؛ حسن عبد
الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١ : ١٣٩-١٤٢ ؛ سعاد
ماهر : مساجد مصر ٣ : ١٨٩-١٩٦ ؛ عاصم محمد رزق :
أطلس العمارة الإسلامية ٢ : ٥٦٩-٥٧٧ ، ٦١٩-٦٢٧) .
١ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٩٥-٩٦ ، وأضاف : وهو
خارج بابي زويلة على الشارع الأعظم بالقرب من بركة الفيل .
٢ الأمير قوضون ، لا قوضون ؛ كما ضبط اسمه في
van Steenberg, J., «The Amir ١١٠-١٠٧ : ٩»

أقاربه ، وأمر الجميع واختص به السلطان بحيث لم يتل أحدٌ عنده ما ناله ، وزوجه بابتته وتزوج السلطان أخته . (ثم لما حضرته الوفاة^a) جعله وصيًا على أولاده ، وعهد لابنه أبي بكر ، فأقيم في الملك من بعده .

وأخذ قوضون في أسباب السلطنة ، وخلع أبا بكر المنصور بعد شهرين ، وأخرجته إلى مدينة قوص ببلاد الصعيد ثم قتله ، وأقام كجك ابن السلطان وله من العمر خمس سنين ، ولقبه بالملك الأشرف ، وتقلد نيابة السلطنة بديار مصر ، فأمر من حاشيته وأقاربه ستين أميرًا ، وأكثر من العطاء وبذل الأموال والإنعام ، فصار أمر الدولة كله بيده .

هذا وأحمد ابن السلطان الملك الناصر مقيم بمدينة الكرك . فخافه قوضون وأخذ في التذير عليه ، فلم يتم له ما أراد من ذلك ، وحرّك على نفسه ما كان ساكنًا فطلب أحمد الملك لنفسه ، وكاتب الأمراء والثواب بالمملكة الشامية والمصرية ، فأذعنوا إليه .

وكان بمصر من الأمراء الأمير أيدغمش ، والأمير آل ملك ، وقماري ، والمازديني^b ، وغيرهم فتخيّل قوضون منهم ، وأخذ في أسباب القبض عليهم ، فعلموا بذلك وخافوا الموت ، فركبوا لحزبه وحصروه بقلعة الجبل حتى قبضوا عليه في ليلة الأربعاء آخر شهر رجب سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة ، ونهبت دأره وسائر دور حواشيه وأسبابه ، وحمل إلى الإسكندرية ضحبة الأمير قبلاي فقتل بها .

وكان كريمًا : يُفَرِّق في كل سنة للأضحية ألف رأس غنمًا وثلاث مائة بقرة ، ويُفَرِّق ثلاثين جياصة ذهبًا ، ويُفَرِّق كل سنة عدّة أملاك فيها ما يبلغ ثمنه ثلاثين ألف درهم ودونها^c .^١
وله من الآثار - بديار مصر - سوى هذا الجامع - الخانقاه بباب القرافة ، والجامع تجاهها^٢ ، ودأره التي بالرميلة تحت القلعة تجاه باب السلسلة ، وجكر قوضون^٣ .

(a-a) من المَسْوَدَة ، وفي بولاق والنسخ : فلما احتضر السلطان . (b) بولاق : المارداني . (c) إضافة من المَسْوَدَة .

^١ المقرئزي : مَسْوَدَة الخطط ١٣١ (طيارة) .

^٢ فيما يلي ٣١٨:٢ ، ٧٧٨ - ٧٨٢ .

^٣ فيما تقدم ٢٣٥:٣ - ٢٣٨ ، ٣٨٢ - ٣٨٣ .

Qawsûn, Statesman or Courtier? (720-741AH/= 1320-1341AD)» in *Egypt and Syria in the Fatimid, Ayyubid and Mamluk Eras*, Vermeulen and J. Van Steenbergen (eds.), Leuven 2001, III, pp. 443-66.

جامع المازديني^(a)

[أثر رقم ١٢٠]

هذا الجامع بجوار حُطَّ التَّجَانَّة خارج بابِ زَوَيْلَةَ، كان مكانه أَوْلًا مَقَابِرَ أَهْلِ القَاهِرَةِ، ثم عُمِّرَ أَمَاكِنُ. فَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ^(b) اشْتَرَاهَا بِالشَّمْنِ مِنْ أَرْبَابِهَا، ثُمَّ أَمَرَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدَ النَّشَوَ نَاطِرَ الْخَاصِّ أَنْ يَتَوَلَّى أَمْرَ شِرَاءِ البُيُوتِ فَظَلَمَ النَّاسَ وَلَمْ يُنْصِفْهُمْ فِي أَثْمَانِهَا^(b)،^١ وَهَدِمَتْ وَبُنِيَ مَكَانُهَا هَذَا الْجَامِعُ. فَبَلَغَ مَصْرُوفُهُ زِيَادَةً عَلَى ثَلَاثِ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، عَنْهَا نَحْوُ خَمْسَةِ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ سِوَى مَا حُمِلَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَخْشَابِ وَالرُّخَامِ وَغَيْرِهِ مِنْ جِهَةِ السُّلْطَنَةِ، وَأَخَذَ مَا كَانَ فِي جَامِعِ رَاشِدَةَ مِنَ العُمْدِ فَعَمِلَتْ فِيهِ، وَجَاءَ مِنْ أَحْسَنِ الْجَوَامِعِ^٢.

١٠ وَأَوَّلُ خُطْبَةٍ أُقِيمَتْ فِيهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ رَابِعَ عَشْرِينَ رَمَضَانَ سَنَةِ^(c)، وَخَطَبَ فِيهِ الشَّيْخُ رُكْنُ الدِّينِ عَمْرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْجَعْفَرِيُّ وَلَمْ يَتَنَاوَلَ مَعْلُومًا^(d) عَلَى الخُطْبَةِ^(d).

(a) بولاق : المارداني . (b-b) في بولاق والنسخ : وَأُنْجِدَتِ الْأَمَاكِنُ مِنْ أَرْبَابِهَا، وَتَوَلَّى شِرَاءَهَا النَّشَوُ فَلَمْ يُنْصِفْ فِي أَثْمَانِهَا، وَالْعِبَارَةُ الْمَثْبُتَةُ مِنَ الْمُسَوَّدَةِ . (c) بياض في سائر النسخ، وأثبتت بولاق تاريخ : أربعين وسبع مائة . (d-d) إضافة من المسوَّدة .

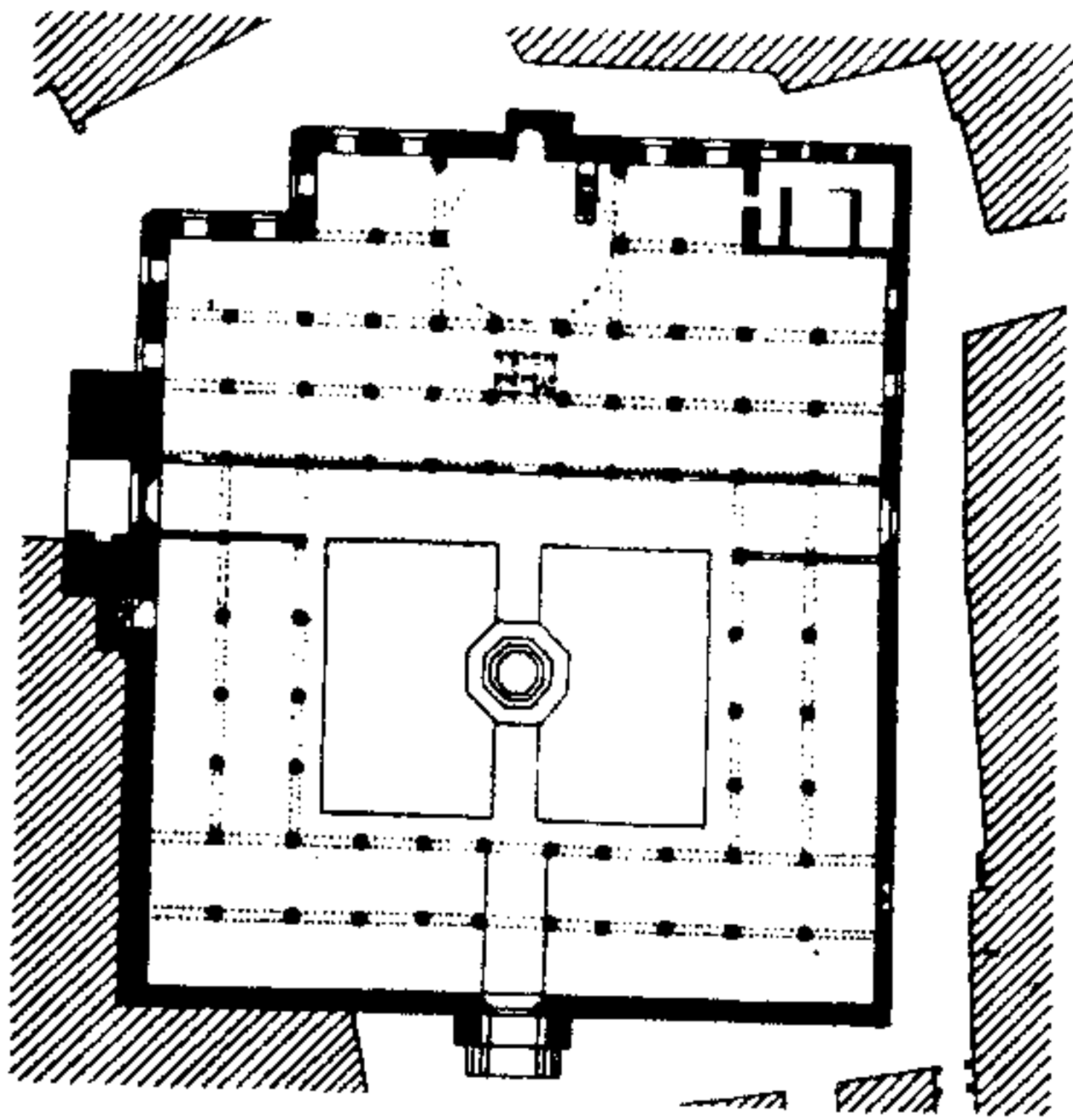
^١ وذلك في شهر سنة ٥٧٣٥/١٣٣٤م (المقرزي : السلوك ٢: ٣٨٥).

^٢ ما زال هذا الجامع قائمًا بشارع التَّجَانَّة على يسار الخارج من بابِ زَوَيْلَةَ، وَهُوَ مُصَمَّمٌ عَلَى مِثَالِ الْمَسَاجِدِ الْجَامِعَةِ: أَرْبَعَةُ أَرْوَاقٍ يَتَوَسَّطُهَا صَخْرٌ مَكشُوفٌ، أَكْبَرُهَا رِوَاقُ الْقِبْلَةِ. وَلَهُ ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ: غَرْبِيٌّ وَقِبْلِيٌّ وَبَحْرِيٌّ، وَالْبَابُ الْبَحْرِيُّ هُوَ بَابُ الْجَامِعِ الرَّئِيسِ وَأُخْفِلُهَا زُخْرُفًا كُثْبِي بِالرُّخَامِ الْمَلُونِ الْمَلْبَسِ فِي الْحَجَرِ وَعَلَيْهِ تَارِيخُ الْفَرَاغِ مِنْ بِنَاءِ الْجَامِعِ، وَنَصُّهُ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَمَرَ بِإِنشَاءِ هَذَا الْجَامِعِ الْمُبَارَكِ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الرَّاجِي عَفْوَ رَبِّهِ أَلطُّبُّبَا الشَّاقِي الْمَلِكِي النَّاصِرِي، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ». (van Berchem, M., CIA Égypte I, n° 133 الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١٥٠: Wiet, G., RCEA XV, n° 5797 =

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ هَذَا الْجَامِعِ

(١) ومثدنته لم يُعمل بمصر نظيرها في ملاحظتها.



مخطط جامع المارديني (عن اللجنة)

الطنبغا المارديني^١ الساقي - أمره الملك الناصر محمد بن قلاوون، وقدمه وزوجه ابنته. فلما مات السلطان، وتولى بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر، ذكر أنه الساقي

(a-u) إضافة من المَسوَدَة .

٩: ١١٢، ٢٠٩؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١٤٧-١٥١؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ٢١٤-٢١١؛ ولعصام عرفة محمود عرفة: مسجد الطنبغا المارداني بالقاهرة، رسالة ماجستير بكلية الآثار - جامعة القاهرة ١٩٨١؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٧٥٧-٧٨٢).

^١ رسم المقريري اسمه في المَسوَدَة، كما ورد كذلك في بعض نسخ المخطوط: المارديني لا المارداني، وانظر ترجمته =

ومهندس هذا الجامع ابن البشوني كبير مهندسي دولة الناصر محمد بن قلاوون، هو نفسه مهندس المدرسة الأقباقوية القائمة على يسار الداخل إلى الجامع الأزهر (فيما يلي ٢: ٣٨٤). ونظراً لتخرب هذا الجامع في نهاية القرن التاسع عشر، فقد قامت لجنة حفظ الآثار العربية بإصلاحه وتجديده وإبدال ما تداعى من أساطينه وأعادت بناء الدائرة العليا من مثدنته في الفترة بين سنتي ١٣١٤هـ/١٨٩٦م و١٣٢١هـ/١٩٠٣م. (راجع، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة

وسى بأمره إلى الأمير قوضون وقال: قد عزم على إمساكك. فتخيّل قوضون وخلع أبا بكر وقتله بقوص، هذا مع أنّ الطنبغا كان قد عظم عند المنصور أكثر مما كان عند أبيه.

فلما أقيم الأشرف كجك، وماج الناس، وحضر الأمير قطلوبغا من الشام، وشعب الأمراء على قوضون، كان الطنبغا أصل ذلك كله، ثم نزل إلى الأمير أيدغمش أمير آخور، واتفق معه على أن يقبض على قوضون، وطلع إلى قوضون وشاغله، وخذله عن الحركة طوال الليل وأحضر^(a) الأمراء الكتاب^(b) المشايخ عنده، وما زال يساهره حتى نام. وكان من قيام الأمراء، وزكوبهم عليه ما كان إلى أن أمسك، وأخرج إلى الإسكندرية.

ولما قدم الطنبغا نائب الشام وأقام، تقدّم المازديني^(c) وقبض على سيفه، ولم يجسر غيره على ذلك، فقويت^(d) بعد هذه^(d) الحركات نفسه، وصار يقف فوق التمرتاشي، وهو أغاثه، فشق ذلك عليه، وكتّم في نفسه إلى أن ملك الصالح إسماعيل، فتمكّن حينئذ التمرتاشي، وصار الأمر له، وعمل على المازديني^(c)، فلم يشعر بنفسه إلا وقد أخرج على خمس رؤس من خيل البريد إلى نيابة حماة في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين. فسار إليها وبقي فيها نحو شهرين إلى أن مات أيدغمش نائب الشام، ونقل طقزدمر من نيابة حلب إلى نيابة دمشق. فنقل المازديني^(c) من نيابة حماه إلى نيابة حلب، وسار إليها في أول رجب من السنة المذكورة، وجاء الأمير يلبغا اليحياوي إلى نيابة حماه. فأقام المازديني^(c) يسيرًا في حلب ومرض، ومات مستهلاً صفر سنة أربع وأربعين وسبع مائة. وكان شابًا طويلًا رقيقًا، حلو الصورة لطيفًا، معشق الخطرة كريمًا، صائب الحدس عاقلًا.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: الكبار. (c) بولاق: المارداني. (d-d) بولاق: بهذه.

= كذلك عند، الصفدي: أعيان العصر ١: ٦٠٤-٦٠٧ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٤٣٧؛ أبي المحاسن: النجوم (وهو مصدر المقرئزي)، الوافي بالوفيات ٩: ٣٦٤-٣٦٥؛ الزاهرة ١٠: ١٠٥، المنهل الصافي ٣: ٦٧-٧٠. المقرئزي: السلوك ٢: ٦٨٥، المقفى الكبير ٢: ٢٨٤-٢٨٥؛

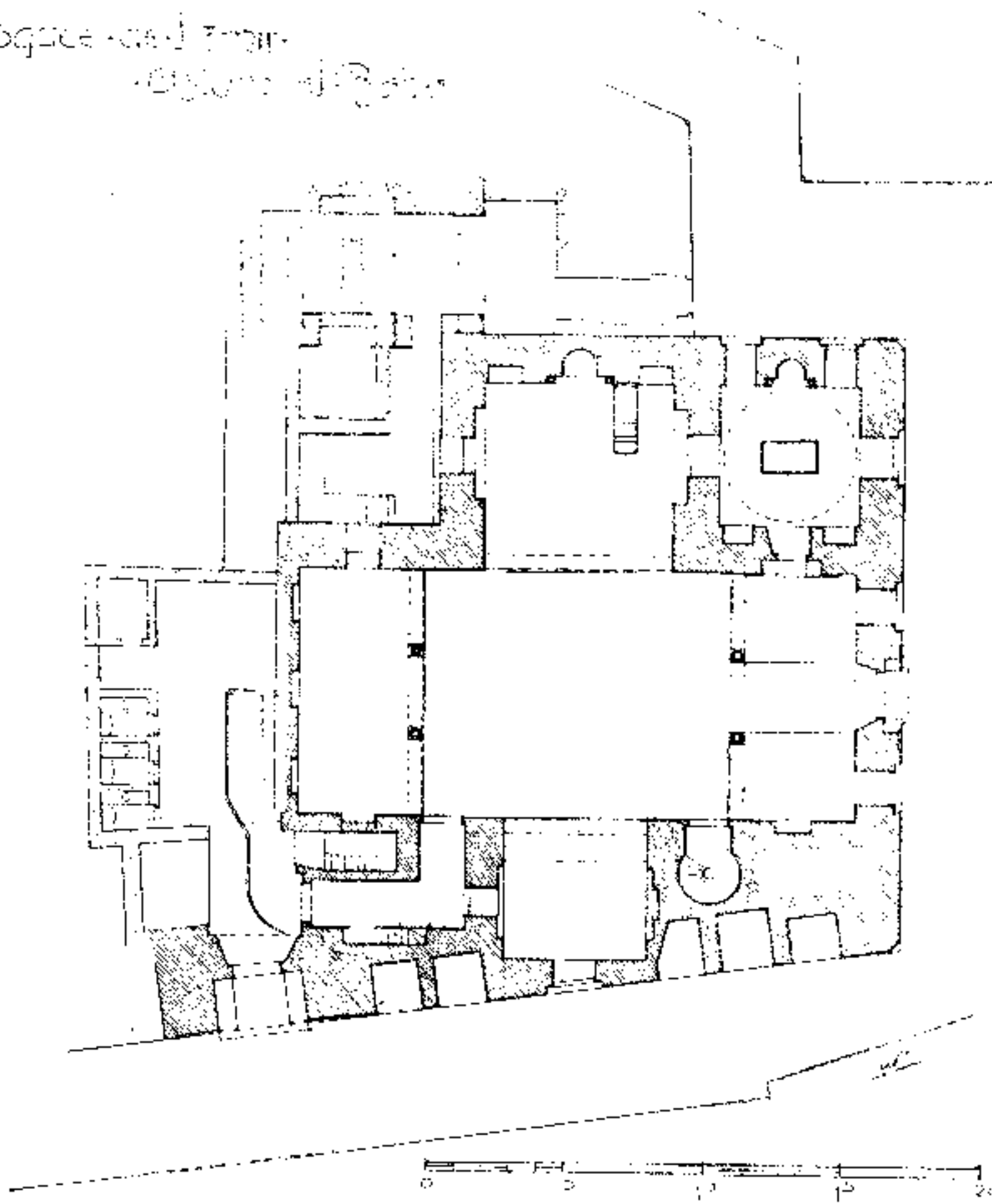
جامع أضلم

[أثر رقم ١١٢]

هذا الجامع داخل الباب المحروق ، أنشأه الأمير بهاء الدين أضلم السلاج دار في سنة ست وأربعين وسبع مائة^١.

Mosque of Sulaym

جامع أضلم



مخطط جامع أضلم البهائي (عن اللجنة)

^١ لا يزال هذا الجامع قائماً بشارع دزب سُغَلان عند تلاقيه بشارع فاطمة النبوية بالدزب الأحمر، وهو مُصَمَّم على تخطيط المدارس المتعامدة بأربع إيوانات صغيرة. وتوجد فوق المدخل الجنوبي للجامع ثلاثة أسطر بالخط الششغ =

أخذ تماليك الملك المنصور قلاوون الألفي^١. فلما فرقت المماليك السلطانية
 أصلم في نيابة كئبغا، بعد قتل الملك الأشرف خليل بن قلاوون وسلطنة الناصر
 محمد بن قلاوون، كان أصلم من نصيب الأمير سيف الدين أقوش المنصوري، ثم انتقل إلى
 الأمير سلار. فلما حضر الملك الناصر محمد من الكرك، بعد سلطنة بييرس الجاشنكير، خرج
 إليه أصلم بمنجاة الملك^(a)، و بشره بهروب بييرس. فأنعم عليه بإمرة عشرة، ثم تنقل إلى أن
 صار أمير مائة مقدم ألف، وخرج في التجريدة إلى اليمن، فلما عاد اعتقله السلطان خمس سنين
 لكلام نقل عنه، ثم أخرج وأعادته إلى منزلته، ثم جهزه لنيابة صفد.
 ومات الناصر وأصلم بصفد، فخرج الأمير قوضون مع الطنبغا نائب الشام إلى حلب
 لإمساك طشتمر، فسار إلى قارا، ثم رجع وانضم إلى الفخري، وأقام عنده على خان
 لاجين، وتوجه معه ضعبة عساكر الشام إلى مصر، فرسم له الملك الناصر أحمد بن محمد
 ابن قلاوون بإمرة مائة في مصر على عادته.

(a) بولاق: بمنجاة الملك.

(n° 137; Wiet, G., RCEA XV, n° 5990)

= المملوكي تُحدِّد تاريخ بناء الجامع والقراغ منه، نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد
 وآله وصحبه. أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك من فضل الله تعالى
 وجزيل عطائه العبد الفقير إلى الله تعالى أصلم بن عبد الله
 السلحدار الملكي الصالح. وكان ابتداء عمارة في شهر
 جمادى الأولى سنة خمس وأربعين وسبع مائة وقراغه في ربيع
 الأول سنة ست وأربعين وسبع مائة». (van Berchem, M.,
 CIA Égypte I, n° 136; Wiet, G., RCEA XV, n°
 5986). كما توجد كتابة على إفريز المدخل الغربي نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ
 آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك
 العبد الفقير إلى الله تعالى البهائي أصلم السلحدار عز
 نصره. وكان القراغ في شهر رجب الفرد سنة ست وأربعين
 وسبع مائة». (van Berchem, M., CIA Égypte I,)

(راجع، المقرئ: السلوك ٢: ٧٢٢؛ أبا المحاسن:
 النجوم الزاهرة ١٠: ١٧٤-١٧٥ هـ^١، علي مبارك: الخطط
 التوفيقية ٤: ١٢٢-١٢٤ (٥٩)؛ Karim, Ch., «The
 Mosque of Aslam al-Bahâ'i al-Silabâr (746/
 An. Isl. XXIV (1988), pp. 233-52» (1345)؛ عاصم
 محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٨٢٧-٨٤٩).

^١ انظر ترجمة أصلم البهائي السلاح دار، المتوفى سنة
 ٦٤٧ هـ/١٣٤٦ م، كذلك عند، الصفدي: أعيان العصر
 ١: ٥٤٠-٥٤١، الوافي بالوفيات ٩: ٢٨٥؛ المقرئ:
 السلوك ٢: ٧١٩، ٧٢٢، المقفى الكبير ٢: ٢١٨-٢١٩؛
 ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٤١٦-٤١٧؛ أبي المحاسن:
 النجوم الزاهرة ١٠: ١٧٤، المنهل الصافي ٢: ٤٥٥-٤٥٧.
^٢ التلمجة (التنجاة). خنجير مقوس يشبه السيف

الصغير. (Dozy, R., Suppl. Dict. Ar. II, 732).

وكان أحد المشايخ ، ويجلس رأس الحلقة ، ويُجيدُ رمي الثُّشاب ، مع سلامة صدرٍ وخير ، إلى أن مات في يوم السبت عاشر شعبان سنة سبع^(a) وأربعين وسبع مائة .
وأنشأ بجوار هذا الجامع دارًا سنينةً وحوض ماءً للسَّبيل . وبهذا الجامع درس ، وله أوقاف ، وهو من أحسن الجوامع .

جامعُ بشتاك

[أثر رقم ٢٠٥]

هذا الجامعُ خارج القاهرة بخط قبو الكيرماني على بركة الفيل ، عمَّره الأميرُ بشتاك فكمَّل في شعبان سنة ست وثلاثين وسبع مائة ، وخطب فيه تاج الدين عبد الرحيم ابن قاضي القضاة جلال الدين القزويني في يوم الجمعة سابع عشره . وعمَّر تجاهه خانقاه على الخليج الكبير ، ونُصِبَ بينهما ساباطٌ يتوصَّل من أحدهما إلى الآخر^١ .

(a) في أعيان العصر : ست .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هذا ما مهَّده لنفسه المقرَّب الأشرف بشتاك المالكي النَّاصري ، والابتداء في مستهل شهر رَمَضَانَ الْمُعْظَمِ سنة ست وثلاثين وسبع مائة ، وقرعَ آخر شهر رَجَبِ الْفَرْدِ سنة سبع وثلاثين وسبع مائة (Wiet, G., RCEA XV, n° 5703) . ويُعرف الجامع الآن باسم جامع مصطفى فاضل باشا ، كما يُطلق عليه العائمة اسم جامع الشيخ رفعت لأنَّ القارئ الشهير الشيخ محمد رفعت كان يقرأ به . (راجع ، المقرَّب : السلوك ٢ : ٤٢٣ ، ٥١٨ ، ٥٤٥ ، أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٢٠٨ هـ ؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١٤٣-١٤٦ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٣ : ٢٠٦-٢١٣ ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٢ : ٦٩٩-٧٠٩) .

^١ هذا الجامع يقع جنوب المدرسة الخديوية بشارع بورسعيد (درب الحمامير سابقًا) في مواجهة خانقاه ابن غراب . كان في الأصل يُشرف على بركة الفيل ، ووصَّفه المقرَّب بأنَّه «من أنبج جوامع البلد لحسنًا وزخرفةً ورُخامةً وحسن مُشرف» . وقامت أعمال تجديد وإعادة بناء كاملة للجامع سنة ١٢٧٨ هـ / ١٨٦١ م بأمرِ الأميرة ألفت هانم قادن والدة الأمير مصطفى فاضل أخي الخديو إسماعيل بمناسبة إنشاء دارهما المجاورة له (وهي الدار التي شغلها فيما بعد الكُتَيْبَخانة الخديوية وديوان عموم الأوقاف) . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٤ : ١٣٧ (٦٥-٦٦)) . ولم يتبق من آثار الجامع الأصلي سوى الباب العمومي الداخلي للجامع ومئذنته الواقعة على يساره ، ومكتوبٌ فوقه النَّصُّ التاريخي التالي :

وكان هذا الخُطُّ يَسْكُنُه (a) المكين بن قَرْوينة و (a) جماعة من الفِرَيجِ والأقباط ، وَيَزْتَكِبُونَ من القَبَائِحِ ما يَلِيْقُ بِهِمْ . فَلَمَّا عُمِّرَ هذا الجَامِعُ ، و أُعْلِنَ فِيهِ بِالْأَذَانِ وإِقَامَةَ الصَّلَوَاتِ ، اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُهُمْ لذلك ، وَتَحَوَّلُوا من هذا الخُطِّ وَهُوَ من أَتْبَهَجِ (b) جوامع البَلَدِ مُحْسِنًا وَزُخْرَفَةً وَرُخَامًا وَحُسْنِ مُشْتَرَفِ (b) ، وَأَدْرَكَناه إِذَا قَوِيَتْ زِيَادَةُ مَاءِ النَّيْلِ فَاضَتْ بِرُكَّةِ الْفَيْلِ وَغَرَفَتْه ، فَيَصِيرُ لُجَّةً مَاءً ، لَكِنْ مِنْذُ انْحَسَرَ مَاءُ النَّيْلِ عَنِ الْبَلَدِ إِلَى جِهَةِ الْغَرْبِ بَطَلَ ذَلِكَ .

وله من الآثار ، سِوَى ذَلِكَ ، قَصْرٌ بِشَتَاكَ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ^١ .

جامع آق سنقر

هذا الجَامِعُ بِسُوقِ السَّبَاعِينَ عَلَى الْبِرْكَةِ النَّاصِرِيَّةِ ^٢ ، عَمَّرَهُ الْأَمِيرُ آقُ سُنْقَرُ شَادُ الْعِمَائِرِ الْعِمَائِرِ السُّلْطَانِيَّةِ ^٣ ، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ قَنْطَرَةُ آقِ سُنْقَرِ الَّتِي عَلَى الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ بِخُطِّ قَبِيْرِ الْكِرْمَانِيِّ قُبَالَةَ الْحَبَائِيَّةِ ^٤ ، وَأَنْشَأَ أَيْضًا دَارًا جَلِيلَةً (c) وَحَمَامَتَيْنِ بِخُطِّ الْبِرْكَةِ النَّاصِرِيَّةِ .

وكان أولًا (d) من جُمَلَةِ الْأَوْشَاقِيَّةِ فِي أَوَّلِ أَيَّامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ، ثُمَّ عَمِلَهُ أَمِيرُ آخُورِ مُدَّةً (d) ؛ وَنَقَلَهُ مِنْهَا فَجَعَلَهُ شَادُ الْعِمَائِرِ السُّلْطَانِيَّةِ . وَأَقَامَ فِيهَا مُدَّةً فَأَثْرَى ثَرَاءً كَبِيرًا ، وَعَمَّرَ مِنْهَا

(a-a) إضافة من المسوودة . (b-b) بولاق والنسخ : «الجوامع وأحسنها زخرفًا وأزهرها» ، والعبارة المثبتة من المسوودة . (c) في المسوودة : ملكًا عظيمًا . (d) إضافة من المسوودة .

^١ انظر فيما تقدم ٣: ٢٢٧-٢٣٠ ، ومن آثاره أيضًا «حمام بشتاك» بسوق السلاح بالذرب الأحمر ، وهو حمام لم يذكره المقرئ في الفصل الذي خصصه للذكر الحمامات ، وما زال مدخله قائمًا إلى الآن بشارع سوق السلاح ، مسجل بالآثار برقم ٢٤٤ ، وعليه كتابة تاريخية نضها :

«أمر بإنشاء هذا الحمام المبارك المقام الأشرف العالي المؤلوي الأميري الكبير الشيفي بشتاك الملكي الناصري دام عزه» . (Wiet, G., RCEA XV, n° 5802) .

^٢ جامع آق سنقر بسوق السباعين . حدّد محمد بك رمزي هذا الجامع بالجامع المعروف الآن بجامع أبي طبل

الموجود بحارة الشقائين عند تلاقيها بشارع المذبح الذي بطل عليها الباب الحالي للجامع بقسم الشيعة زينب (أبو المحاسن النجوم الزاهرة ٩: ٣٢٢ هـ) .

^٣ توفي الأمير آقسنقر شاد العمائر بدمشق سنة ٥٧٤٠ م ١٣٣٩ . (المقرئ: المقفى الكبير ٢: ٢٦٤-٢٦٥ ؛ أبو المحاسن حجر: الدرر الكامنة ١: ٤٢١ ؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٣٢٢) .

وعن وظيفة شاد العمائر السلطانية انظر فيما تقدم ٣: ٦٩٠ هـ .

^٤ فيما تقدم ٣: ٤٩٢ .

^٢ جامع آق سنقر بسوق السباعين . حدّد محمد بك رمزي هذا الجامع بالجامع المعروف الآن بجامع أبي طبل

ذِكْر، وجعل على الجامع عدة أوقاف. ثم عزل^a، وصودر وأُخرج من مصر إلى حلب، ثم نُقل منها إلى دمشق، فمات بها في سنة أربعين وسبع مائة.

جامع آق سنقر

[التر رقم ١٢٣]

- هذا الجامع قريب من قلعة الجبل، فيما بين باب الوزير والتبانة، كان موضعه في القديم مقابر أهل القاهرة، وأنشأه الأمير آق سنقر الناصري وبناء بالحجر، وجعل صفوفه عُقودًا من حجارة ورخمه، واهتم في بنائه اهتمامًا زائدًا حتى كان يقعد على عمارته بنفسه، ويشيل التراب مع الفعلة بيده، ويتأخر عن غدائه اشتغالًا بذلك، وأنشأ بجانيه مكتبة لإقراء أيتام المسلمين القرآن، وحائوتا لسقي الناس الماء العذب،^b وسلط سرايه على سراي جامع المازديني^b.

(a) بولاق والنسخ: فعزل. (b-b) إضافة من المسودة.

أربعة إيوانات يتوسطها صحن مكشوف أكبرها إيوان القبلة المشتمل على رواقين، أما سائر الإيوانات فمكونة من رواق واحد. ويفتح الباب الرئيس للجامع في واجهته الغربية.

وتوجد على يسار الباب الرئيس القبلة التي دُفن فيها السلطان علاء الدين كجك (لأن آقسنقر زوج أمه) سنة ٧٤٦هـ (أي قبل بناء الجامع) وكتب عليها: «وَلَا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآية ١٨٢ سورة آل عمران - هذه القبلة المباركة عُمرت لدفن العبد الفقير إلى الله تعالى مولانا السلطان السعيد الشهيد الملك الأشرف علاء الدين كجك. وكانت وفاته في شهر جمادى الأولى من سنة ست وأربعين وسبع مائة». (van Berchem, M., CIA Egypte I, n° 138; Wiet, G., RCEA XV, n° 5987) ثانيًا: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآية ٢٥٦ سورة البقرة - هذا ضريح العبد الفقير إلى الله السعيد الشهيد مولانا السلطان الملك الأشرف علاء الدين كجك، ابن مولانا السلطان الشهيد الملك الناصر محمد ابن مولانا =

^١ جامع آقسنقر الناصري بشارع باب الوزير. أنشئ كما هو مثبت بكتابة تاريخية على الباب القبلي للجامع سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، ونصها:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، أمر بإنشاء هذا الجامع العبد الفقير إلى الله تعالى آقسنقر الناصري تفضله الله برحمته، وكان إيداء عمارته سادس عشر رمضان المعظم سنة سبع وأربعين وسبع مائة، وكان الصلاة فيه يوم الجمعة ثالث ربيع الأول سنة ثمان وأربعين وسبع مائة، وتوفي إلى رحمة الله تعالى تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبع مائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتحية» (van Berchem M., CIA Egypte I, n° 142) حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١٥٢، Wiet, G., RCEA XVI, n° 6040. وواضح أن هذا النص كتبت بعد وفاة المنشئ وقبل الفراغ من بناء الجامع الذي لا نعرف من قام بتكاملته. وهو مضمم على مثال المساجد الجامعة:

وَوَجَدَ عِنْدَ حَفْرِ أَسَاسِ هَذَا الْجَامِعِ كَثِيرًا مِنَ الْأَمْوَاتِ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ ضَيْعَةً مِنْ قُرَى حَلَبٍ تُغَلِّ فِي السَّنَةِ مِائَةَ وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فِضَّةً : عَنْهَا نَحْوُ سَبْعَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، وَقَرَّرَ فِيهِ دَرْسًا فِيهِ عِدَّةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ ، وَوَلَّى الشَّيْخَ شَمْسَ الدِّينِ مُحَمَّدَ ابْنِ اللَّبَّانِ الشَّافِعِيِّ خَطَابَتَهُ ، وَأَقَامَ لَهُ سَائِرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أَرْبَابِ الْوِظَائِفِ ، وَبَنَى بِجَوَارِهِ مَكَانًا لِيُدْفَنَ فِيهِ ، وَنَقَلَ إِلَيْهِ ابْنَهُ فَدَفَنَهُ هُنَاكَ .

وهذا الجامع من أجل جوامع مصر ، إلا أنه لما حدثت الفتن ببلاد الشام ، وخرجت الثواب عن طاعة سلطان مصر منذ مات الملك الظاهر برفوق ، امتنع حضور مغل وقف هذا الجامع لكونه في بلاد حلب ، فتعطل الجامع من أرباب وظائفه ، إلا الأذان والصلاة وإقامة الخطبة في الجمع والأعياد . ولما كانت سنة خمس عشرة وثمان مائة ، أنشأ / في وسطه الأمير طوغان الدوادار بركة ماء وسقفها ، ونصب عليها عمدا من رخام لحمل السقف أخذها من جامع الخندق (أظاهر القاهرة^a) ، فهدم الجامع بالخندق من أجل ذلك^١ ، وصار الماء يُثقل إلى هذه البركة من ساقية الجامع التي كانت للميضاة .

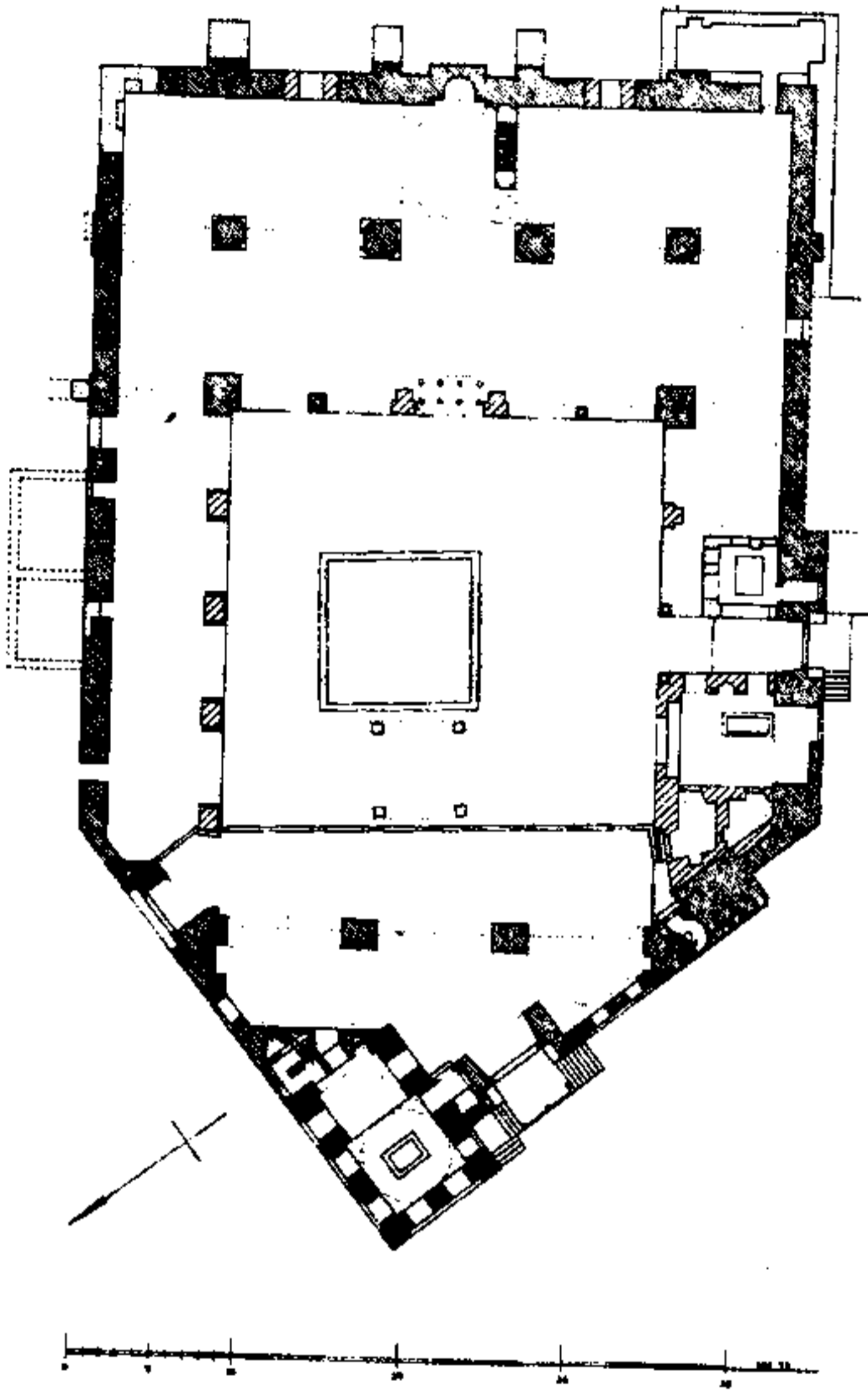
(a-a) إضافة من المسوِّدة .

(راجع ، المقرئبي : السلوك ٢ : ٧٥٤ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠ : ١٧٨-١٧٩ هـ^١ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٤ : ٩٣-٩٥ (٤٤-٤٥) ؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١٥٢-١٥٥ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر Meinecke, M., «Die Moschce des ٢٣٥:٣ - ٢٤٠ : ٣ Amirs Aqsunqur an-Nâsirî in Kairo», *MDAIK* 29 (1973), pp. 9-38; Meinecke-Berg, V., «Die Osmanische Fliesendekoration der Aqsunqur - Moschce in Kairo. Zur Entwicklung der Iznik-Fliesen des 17 Jahr hunderts», *MDAIK* 29 (1973), pp. 39-61 آق سُقْرُ النَّاصِرِيِّ» ، مجلة كلية الآداب - جامعة المنصورة ٣-٤ (مايو ١٩٨٢) ، ٢٦١-٣٤٩ ؛ عاصم محمد رزقي : أطلس العمارة الإسلامية ٢ : ٨٩٥-٩١٦) .

= السلطان الشَّعْبِدُ الشَّهِيدُ قَلَاوُونَ الصَّالِحِيُّ ، تَعَمَّدَهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ وَأَسْكَنَهُمْ فَسِيحَ جَنَّتِهِ وَقَدَّسَ أَرْوَاحَهُمُ الطَّاهِرَةَ وَعَوَّضَهُمُ عَنِ الدُّنْيَا بِتَعْمِيمِ الآخِرَةِ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي شَهْرِ جُمَادَى الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتِّ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ (Wiet, G., *RCEA* XV, n° 5988) .

وأخذت إبراهيم أغا مُسْتَحْفَظَانِ عِمَارَةَ كَبِيرَةً بِهَذَا الْجَامِعِ بَيْنَ سَنَتَيْ ١٠٦١ هـ / ١٦٥١ م و ١٠٦٢ هـ / ١٦٥٢ م . فَغَيَّرَ فِي عُقُودِ السَّقْفِ الْحَجَرِيَّةِ وَاسْتَبَدَّلَ مَا اخْتَلَّ مِنْهَا بِسُقُوفٍ خَشَبِيَّةٍ ، وَكَسَا الْحَائِطَ الشَّرْقِيَّ الَّذِي فِيهِ الْمِحْرَابُ إِلَى السَّقْفِ بِالْقَاشَانِيِّ الْأَزْرَقِ (مِمَّا جَعَلَ الْجَامِعَ يُقْرَفُ أَيْضًا بِالْجَامِعِ الْأَزْرَقِ) . كَمَا قَامَتِ لَجْنَةُ جَفِظِ الْآثَارِ الْعَرَبِيَّةِ عَامَ ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م بِعَمَلِيَّةٍ إِضْلَاحٍ لِعُقُودِ الْجَامِعِ وَالْقَاشَانِيِّ وَمِثْرِهِ الرُّخَامِيِّ وَأَعَادَتِ بِنَاءَ الدُّوْرَةِ الثَّلَاثَةِ لِلْمُعْتَدَةِ بَعْدَ سَقُوطِهَا وَكَشَفَتِ وَجْهَاتِ الْجَامِعِ مِنَ الْأَبْنِيَّةِ الَّتِي تَحْجِبُهَا .

^١ فيما يلي ٣١٢ .



مُحَطَّط بجامع آفَى شَتْر (عن Meinecke)

فلَمَّا قَبِضَ الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ شَيْخَ الظَّاهِرِيِّ عَلِيَّ طَوْغَانَ ، فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ تَاسِعِ عَشْرِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، وَأَخْرَجَهُ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَاعْتَقَلَهُ بِهَا ^١ ، أَخَذَ شَخْصَ الثُّورِ الَّذِي كَانَ يُدِيرُ السَّاقِيَّةَ - فَإِنَّ طَوْغَانَ كَانَ أَخَذَهُ مِنْهُ بَغَيْرِ ثَمَنٍ ، كَمَا هِيَ عَادَةٌ أُمَرَائِنَا - فَبَطَلَ الْمَاءُ مِنَ الْبَيْرَةِ .

^١ المقرئبي : السلوك ٤ : ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

الأمير شمس الدين^١ - أخذ ممالك السلطان الملك المنصور قلاوون. ولما
 آق سنقر السلاري فرقت الممالك في نيابة كتبنا على الأمراء، صار الأمير آق سنقر إلى الأمير
 سلار، فقيل له السلاري لذلك. ولما عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك، اختص به،
 ورقيه في الخدم حتى صار أحد الأمراء المقدمين، وزوجه بابنته، وأخرجه لنيابة صفد، فباشرها
 بعفة إلى الغاية، ثم نقله من نيابة صفد إلى نيابة غزة.

فلما مات الناصر، وأقيم من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر، ونخلع بالأشرف كجك، وجاء
 الفخري لحصار الكرك؛ قام آق سنقر بنصرة أحمد ابن السلطان في الباطن. وتوجه الفخري إلى
 دمشق لما توجه الطنبغا إلى حلب ليطرد طشتمر نائب حلب، فاجتمع به وقوى عزمه، وقال له:
 توجه أنت إلى دمشق واملكها، وأنا أحفظ لك غزة.

وقام في هذه الواقعة قياما عظيما، وأمسك الدروب، فلم يحضر أحد من الشام أو مصر، من
 البريد وغيره، إلا وقبض عليه وحمل إلى الكرك، وحلف الناس للناصر أحمد، وقام بأمره ظاهرا
 وباطنا، ثم جاء إلى الفخري وهو على خان لاجين، وقوى عزمه وعصده، وما زال عنده بدمشق
 إلى أن جاء الطنبغا من حلب والتقوا، وهرب الطنبغا، فأتبعه آق سنقر إلى غزة وأقام بها،
 ووصلت العساكر الشامية إلى مصر.

فلما أمسك الناصر أحمد طشتمر النائب، وتوجه به إلى الكرك، أعطى نيابة ديار مصر لآق
 سنقر، فباشر النيابة وأحمد في الكرك. إلى أن ملك الملك الصالح إسماعيل بن محمد، فأقره
 على النيابة، وسار فيها سيرة مشكورة. فكان لا يمنع أحدا شيئا طلبه كائنا من كان، ولا يرد
 سائلا يسأل ولو كان ذلك غير ممكن، فازترق الناس في أيامه، واتسعت أحوالهم، وتقدم من
 كان متأخرا حتى كان الناس يطلبون ما لا حاجة لهم به.

ثم إن الصالح أمسكه هو ويغفرا أمير جاندار وأولجا الحاجب وقراجا الحاجب، من
 أجل أنهم نسيبوا إلى الممالة والمداجاة مع الناصر أحمد، وذلك يوم الخميس رابع المحرم

^١ منشى الجامع المذكور هو الأمير آقسنقر الناصري، أعيان العصر ١: ٥٥٤-٥٥٦، الوافي بالوفيات ٩: ٣١١-
 المتوفى مقتولا بالقلعة تهبيرا بالسيوف يوم الأحد تاسع عشر ٣١٣؛ المقرئ: المقفى الكبير ٢: ٢٦٢-٢٦٣، السلوك
 شهر ربيع الآخر سنة ٥٧٤٨/١٣٤٧م، لا آقسنقر ٢: ٧٥٤؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٤٢٥؛ أبي
 المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٧٨-١٨٠، المنهل الصافي
 له المقرئ هنا. (٢: ٤٩٦-٤٩٩).

(راجع ترجمة الأمير آقسنقر الناصري عند، الصفدي:

سنة أربع وأربعين وسبع مائة، وكان ذلك آخر العهد به، فاشتقر^a بعده في النيابة الحاج آل ملك. ثم أفرج عن يئغرا وأولاجا وقراجا في شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبع مائة.

جامع آل ملك

هذا الجامع في الحسينية خارج باب النصر، أنشأه الأمير سيف الدين الحاج آل ملك، وكمل وأقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة تاسع جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائة، وهو من الجوامع المليحة، وكانت خطته عامرة بالمساكن وقد خربت^١.

آل ملك الأمير سيف الدين، أصله مما أخذ في أيام الملك الظاهر من كسب الأبلستين، لما دخل إلى بلاد الروم في سنة ست وسبعين وست مائة، وصار إلى الأمير سيف الدين قلاوون وهو أمير قبل سلطنته، فأعطاه لابنه الأمير علي. وما زال يترقى في الخدم إلى أن صار من كبار الأمراء المشايخ رؤوس المشورة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون^٢.

وكان لما خلع الناصر وتسلطن بيبرس يتردد بينهما من مصر إلى الكرك، فأعجب الناصر عقله وتأنيه، وسيّر من الكرك يقول للمظفر: لا يعود يجيء إليّ رسولاً غير هذا؛ فلما قدم الناصر إلى مصر عظّمه، ولم يزل كبيراً موقّراً مبجّلاً. فلما ولي الناصر أحمد السلطنة أخرجته إلى نيابة حماه، فأقام بها إلى أن تولى الصالح إسماعيل فأقدمه إلى مصر، وأقام بها على حاله إلى أن أمسك الأمير آق سنقر السلاري نائب السلطنة بديار مصر، فولاه النيابة مكانه، فشدّد في الخمر إلى الغاية وحدّ شاربها، وهدم خزائن البثود وأراق خُمورها، وبني بها مسجداً

(a) بولاق: واشتقر.

^١ زال كل أثر لهذا الجامع الآن، وأقيمت على أرضه مداخل خارج باب النصر. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٢٠٨: ٩ هـ؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٤٩٩).

^٢ انظر كذلك، الصفدي: أعيان العصر ١: ٦١٨ - ٦٢٠، الوافي بالوفيات ٩: ٣٧٢ - ٣٧٣؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ٨٢ - ٨٣؛ المقرئ: السلوك ٢: ٧٢٣، المقفى الكبير ٢: ٢٩٤ - ٢٩٧، مسودة المواعظ ١٤٥ - ١٤٨؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٤٣٩ - ٤٤٠؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٧٥، المنهل الصافي ٦: ٢٥٧ - ٢٦٢.

- وحكّرها للناس، فسكنت إلى اليوم كما تقدم ذكره^١، وأمسك الزمام زماناً.
- وكان يجلس للحكم في الشباك بدار النيابة من قلعة الجبل طول نهاره، لا يمل ذلك ولا يسأم، وتروخ أرباب الوظائف ولا يبقى عنده إلا النقباء البطالة، وكان له في قلوب الناس مهابة وحزيمة، إلى أن تولى الكامل شعبان، فأخرجه أول سلطنته إلى دمشق نائباً بها عوضاً عن الأمير طغرلدمر. فلما كان في أول الطريق حضر إليه من أخذه، وتوجه به إلى صفد نائباً بها، فدخلها
- ٥ آخر ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وسبع مائة. ثم سأل الحضور إلى مصر، فرسم له بذلك، فلما توجه ووصل إلى غزة أمسكه نائباً، ووجهه إلى الإسكندرية في سنة سبع وأربعين فحقيق بها.
- وكان / خيراً فيه دين وعبادة، يميل إلى أهل الخير والصلاح وتعتقد بركته، وخرج له أحمد ابن أيتك الدمياطي مشيخة، وحدث بها، وقرئت عليه مرّات وهو جالس في شباك النيابة بقلعة الجبل. وعمّر هذا الجامع وداراً مليحة عند المشهد الحسيني من القاهرة، ومدّرسه بالقرب منها.
- ١٠ وكان بزكته من أحسن ما يكون، وخيله مشهورة موصوفة، وكان يقول: كل أمير لا يقيم زمنه، ويسكب الذهب إلى أن يساوي السنان، ما هو أمير، رحمة الله عليه.

جامع الفخر

- (a) جامع الفخر^a في ثلاثة مواضع: في بولاق خارج القاهرة، وفي الروضة تجاه مدينة مصر، وفي جزيرة الفيل على النيل ما بين بولاق ومئنة السيرج؛ أما «جامع الفخر بناحية بولاق» فإنه موجودٌ تقام فيه الجمعة إلى اليوم^٢. كان أولاً عند ابتداء بنائه يُعرف موضعه بخط حص الكيالة،
- ١٥

(a-a) ساقطة من بولاق.

^١ فيما تقدم ٢: ٤٠٠-٤٠١.
^٢ يدل على موضع هذا الجامع - الذي أنشاه الفخر نحو سنة ١٣٢٩/٧٣٠م بخط سويقة الموفق، الجامع المعروف الآن بجامع السلطان أبي العلاء بشارع ٢٦ يولية (فؤاد الأول سابقاً) ببولاق. مجدّد أولاً سنة ١٤٤٤/٨٤٤م، ثم مجدّده نحو سنة ١٤٨٥/٨٩٠م الخواجه نور الدين علي بن بندر الدين محمد بن القنيس البيروسي على قببة الشيخ الصالح الاحتفال بمولد أبي العلاء سنة ١٣٤١/١٩٢٢م؛ =

حسين بن أبي علي الذي حرّف العائمة اسمه إلى أبي العلاء. كان تخطيطه على طراز المدارس المتعامدة له أربعة إيوانات. وتمت بالجامع عدّة إصلاحات سنة ١١٥٤/١٧٤١م، وسنة ١٢٦٣/١٨٤٧م، ثم قامت لجنة حفظ الآثار العربية بإصلاحات هامة في الجامع بين سنتي ١٩١٥ و ١٩٢٠م، غير أن الشعائر تعطلت بالجامع عندما سقط إيوانه الشرقي أثناء الاحتفال بمولد أبي العلاء سنة ١٣٤١/١٩٢٢م؛ =

وهو مكانٌ كان يُؤخذ فيه مكسُ الغلال المتباعة، وقد ذُكر ذلك عند ذكر أقسام مالٍ مصر من هذا الكتاب^١.

و«جامع الروضة» باقي ثَقَام فيه الجمعة^٢.

وأما «الجامع بجزيرة الفيل» فإنه كان باقياً إلى نحو سنة تسعين وسبع مائة، ^(a) ووصلت فيه الجمعة غير مرة ثم خرب. وموضعه باقي بجوار دار تُشرف على النيل، تُعرف بدار الأمير شهاب الدين أحمد بن عمر بن قطينة قريباً من الدار الحجازية^(a)^٣.

(a-a) العبارة في المسوّدة: على حافة النيل فيما بين الدار التي تُعرف بالحجازية على النيل ودار الخليفة، أدركته وفي الخطبة وثقَام به الجمعة، وصلّت فيه الجمعة غير مرة في سنة أربع وثمانين وسبع مائة، وهو الآن خراب.

= فقامت وزارة الأوقاف بتجديده وتوسيعه سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م مع مراعاة المحافظة على أجزائه القديمة المتمثلة في بابه البحري وقسم من الواجهة البحرية والشرقية والقبّة والمبذنة والمئبر، على أن يكون طرازه مُتفقاً مع الطراز المملوكي الذي بُني عليه الجامع في الأصل. وافتُتح الجامع للصلاة بأداء فريضة الجمعة به يوم ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٥هـ/ ٥ يونية سنة ١٩٣٦م.

(راجع، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٢هـ^١، ١٥: ٣٤٨؛ الشعراني: الطبقات الكبرى ٢: ١٠١؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤: ١٠٨؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ٢٧٦-٢٨٠).

^١ فيما تقدم ١: ٢٣٩.

^٢ جامع القُحْر بالروضة. أنشأه في حدود سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م فخرُ الدين ناظر الجيش، ثم جدد بناءه سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م الصّاحِب شمسُ الدين محمد بن المُقسي، ثم تلاشى أمرُ الجامع في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، إلى أن أمر بتجديده السلطان الأشرف قايتباي في سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م، وكان الشّاد على عمارته البُدري حسن بن الطولوني، وصار يُعرف بـ«جامع السلطان». ثم وقع خريقٌ بالجامع سنة ١٢١٦هـ/

وما زال الجامع موجوداً ومُسجلاً بالآثار برقم ٥١٩ بشارع جامع قايتباي بالمئيل.

^٣ بما أن الحدّ الفاصل بين جزيرة الفيل وبين أرض بولاق هو الشارع المعروف الآن بشارع جزيرة بدران، فيدلُّ على جامع القُحْر، الذي كان بجزيرة الفيل، الجامع المعروف بـ«جامع الشيخ فرج» الواقع بشارع جزيرة بدران يقسم روض القُحْر، وكان النيل يسير قديماً تحت هذا الجامع، ولكن بسبب طُرح البحر الذي حدّث في سنتي ١٤٠٣ و١٨٦٨م أصبح الجامع بعيداً عن النيل.

الفخر

هذا هو مُحَمَّدُ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ الْقَاضِي فَخْرُ الدِّينِ ، ناظرِ الجَيْشِ المعروف بالفَخْر^١ - كان في نَصْرانِيته مُتَأَلِّهاً ثم أُكْرِهَ على الإسلامِ ، فامْتَنَعَ وَهَمَّ بِقَتْلِ نَفْسِهِ وَتَغَيَّبَ أَيَّامًا ثم أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، وَأَبْعَدَ النَّصَارَى وَلَمْ يُقْرَبْ أَحَدًا مِنْهُمْ ، وَحَجَّ غيرَ مَرَّةٍ ، وَتَصَدَّقَ في آخِرِ عُمرِهِ مُدَّةً في كُلِّ شَهْرٍ بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ نَقْرَةً .

٥ وَبَنَى عِدَّةً مَسَاجِدَ بِدِيَارِ مِصْرَ ، وَأَنْشَأَ عِدَّةً أَحْوَاضٍ مَاءٍ لِلسَّبِيلِ في الطَّرِيقَاتِ ، وَبَنَى مَارِسْتَانًا بِمَدِينَةِ الرُّمْلَةِ وَمَارِسْتَانًا بِمَدِينَةِ بَلْبَيْسَ ، وَفَعَلَ أَنْوَاعًا مِنَ الخَيْرِ ، وَكَانَ حَنَفِيَّ المَذْهَبِ ، وَزَارَ القُدْسَ عِدَّةً مِرَارًا ، وَأَحْرَمَ مَرَّةً مِنَ القُدْسِ بِالحَجِّ ، وَسَارَ إِلَى مَكَّةَ مُحْرِمًا ، وَكَانَ إِذَا خَدَمَهُ أَحَدٌ مَرَّةً وَاحِدَةً صَارَ صَاحِبَهُ طُولَ عُمرِهِ .

١٠ وَكَانَ كَثِيرَ الإِحْسَانِ ، لَا يَزَالُ في قَضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ ، مَعَ عَصِيْبَةٍ شَدِيدَةٍ لِأَصْحَابِهِ . وَانْتَفَعَ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ لَوَجَاهَتِهِ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَإِقْدَامِهِ عَلَيْهِ . بِحَيْثُ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ أُمَرَاءِ الدَّوْلَةِ عِنْدَ المَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ مَا لَهُ مِنَ الإِقْدَامِ ، وَلَقَدْ قَالَ السُّلْطَانُ مَرَّةً لِجُنْدِي طَلَبَ مِنْهُ إِقْطَاعًا : لَا تُطَوِّلْ ، وَاللَّهِ لَوْ أَنَّكَ ابْنُ قَلَاوُونَ مَا أُعْطَاكَ القَاضِي فَخْرُ الدِّينِ خُبْرًا يَغْلُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . وَقَالَ لَهُ السُّلْطَانُ في يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ - وَهُوَ بَدَارِ العَدْلِ - يَا فَخْرُ الدِّينِ تِلْكَ القَضِيَّةُ طَلَعَتْ فَاشُوشَ ، فَقَالَ لَهُ : مَا قُلْتَ لَكَ إِنَّهَا عَجُوزٌ نَحْسُ [وَتَكْذِيبٌ]^(a) ، يُرِيدُ بِذَلِكَ بِنْتَ كُوكَايِ امْرَأَةَ السُّلْطَانِ عِنْدَمَا ادَّعَتْ أَنَّهَا مُحْبَلَى .

١٥ وَلَهُ مِنَ الأَخْبَارِ كَثِيرٌ ، وَكَانَ أَوَّلًا كَاتِبَ المَمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ ، ثُمَّ صَارَ مِنَ كِتَابَةِ المَمَالِكِ إِلَى وَظِيْفَةِ نَظَرِ الجَيْشِ ، وَنَالَ مِنَ الوَجَاهَةِ مَا لَمْ يَنْلَهُ غَيْرُهُ في زَمَانِهِ .

وَكَانَ الأَمِيرُ أَرْغُونَ ، نَائِبُ السُّلْطَانَةِ بِدِيَارِ مِصْرَ ، يَكْرَهُهُ ، وَإِذَا جَلَسَ لِلْحُكْمِ يُغْرِضُ عَنْهُ وَيُدِيرُ كَيْفَهُ إِلَى وَجْهِ الفَخْرِ . فَعَمِلَ عَلَيْهِ الفَخْرُ حَتَّى سَارَ لِلْحَجِّ ، فَقَالَ لِلسُّلْطَانِ : يَا خَوْنُدُ ، مَا يَقْتُلُ

(a) زيادة من أعيان العصر مصدر التثقل .

= وَجَدْتُ هَذَا الجَامِعَ في سَنَةِ ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م مُحَمَّدُ بَكِ طَاهِرِ بْنِ أَحْمَدِ بَاشَا طَاهِرِ كَمَا هُوَ مَذْكَورٌ في اللُّوْحِ المُثَبَّتِ بِأَعْلَى بَابِ الجَامِعِ . (أَبُو المَحَاسِنِ : النُّجُومُ الزَاهِرَةُ ١: ٢٠١هـ) .

٥٣: ٥ - ٥٨ (مُضَدَّرُ المُقْرِيزِيِّ) ، الوَافِي بِالوَفِيَّاتِ ٤: ٣٣٥ -

٣٣٧ ؛ المُقْرِيزِيُّ : السُّلُوكُ ٢: ٣٥٤ ، المُقْفِي الكَبِيرُ

٦: ٥١٦ - ٥٢٠ ؛ ابْنُ حَجْرٍ : الدَّرَرُ الكَامِنَةُ ٤: ٢٥٥ -

٢٥٦ ؛ أَبِي المَحَاسِنِ : النُّجُومُ الزَاهِرَةُ ٩: ٢٩٥ ، الدَّلِيلُ الشَّافِي

٦٧٣ - ٦٧٤ .

^١ انظر ترجمته كذلك عند الصنفدي : أعيان العصر

الملك إلا الثواب، بيدرا قتل أخاك الملك الأشرف، ولاجين قتل بسبب نائيه منكوثم، وخيل
السلطان إلى أن أمر بسير الأمير أزغون من طريق الحجاز إلى نيابة حلب.

وحسن للسلطان ألا يستوزر أحدًا بعد الوزير^(a) الجمالي. فلم يؤل أحدًا بعده الوزارة، وصارت
المملكة كلها - من أحوال الجيوش، وأمور الأموال وغيرها - متعلقة بالفخر، إلى أن غضب
السلطان عليه ونكبه، وصادته على أربع مائة ألف درهم نقرة، وولي^(b) موضعه في^(b) وظيفة نظر
الجيش قطب الدين^(c) موسى بن شيخ السلامية.

ثم رضي عن الفخر، وأمر بإعادة ما أخذ منه من المال إليه - وهو أربع مائة ألف درهم نقرة -
فامتنع وقال: أنا خرجت عنها للسلطان فليبن بها جامعًا، وبني بها الجامع الناصري - المعروف
الآن بالجامع الجديد - خارج مدينة مصر بموردة الحلفاء^(d).

وزار مرة القدس وعبر إلى^(d) كنيسة قمامة، فسمع وهو يقول عندما رأى الصور^(e) بها: ﴿رَبَّنَا
لا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [الآية ٨ سورة آل عمران]، وباشر آخر عمره بغير معلوم، وكان لا يأخذ من
ديوان السلطان معلومًا سوى كمامجة^(٢) ويقول: أتبرك بها.

ولما مات في رابع عشر رجب سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائة، وله من العمر ما ينيف على
سبعين سنة، وترك مؤجودًا عظيمًا إلى الغاية، قال السلطان: لعنه الله، له^(d) خمس عشرة سنة ما
يدعني أعمل ما أريد. وأوصى للسلطان بمبلغ أربع مائة ألف درهم نقرة، فأخذ من تركته أكثر من
ألف ألف درهم نقرة.

ومن حين مات الفخر كثر تسلط السلطان الملك الناصر وأخذ أموال الناس. وإلى الفخر
تُسبب «قنطرة الفخر» التي على قم الخليج الناصري المجاور لميدان السلطان بموردة الجيس^(٣)،
و«قنطرة الفخر» التي على الخليج المجاور للخليج الناصري. وأدركت^(٤) ولده فقيرًا يتكفف الناس
بعد مال لا يُحَدُّ كثرة.

(a) بولاق: الأمير بذر. (b-b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: الشيخ قطب الدين. (d) ساقطة من بولاق. (e) بولاق:

الضوء.

البياض، يصنع دون استخدام خميرة. (Dozy, R.,

^١ فيما تقدم ٢: ٣٠٤.

(Suppl. Dict. Ar. II, p. 495).

^٢ كمامجة. لفظ فارسي يعني نوعًا من الخبز الناصع

جامع نائب الكرك

هذا الجامع بظاهر الحسينية، مما يلي الخليج^١، كان عامراً، وعُمِّر ما حوله عمارة كبيرة، ثم خرب بخراب ما حوله من عهد الحوادث في سنة ست وثمان مائة. عمَّره الأمير جمال الدين أقوش، المعروف بنائب الكرك، وقد تقدّم ذكره عند ذكر الدور من هذا الكتاب^٢.
^a وقد خرب الآن ما حوّل الجامع المذكور وتعطل^a ^٣.

جامع الخطيري

ببولاق

هذا الجامع موضعه الآن بناحية بولاق خارج القاهرة^٤، كان موضعه قديماً مغموراً بماء النيل إلى نحو سنة سبع مائة، فلما انحسر ماء النيل عن ساحل المقس، صار ما قدام المقس رمالاً لا يعلوها ماء النيل إلا أيام الزيادة ثم صارت بحيث لا يعلوها الماء البتة. فزرع موضع هذا الجامع بعد سنة سبع مائة، وصار متنزهاً يجتمع عنده الناس.

(a-a) إضافة من المسوّدة.

شارع ٢٦ بولية (فؤاد الأول سابقاً) عند تلاقيه مع شارع كورنيش النيل ومسجلة بالآثار برقم ٣٤١، ولكنها أزيلت تماماً مع تنظيم شوارع منطقة بولاق في العقد الأخير من القرن العشرين. (المقريزي: السلوك ٢: ٤٢٣، وفيما تقدم ٣: ٤٣٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٢٢٣هـ^٢)، ونُقِلت بقايا قاشاني الجامع إلى متحف الفن الإسلامي بالقاهرة. كما يحتفظ المتحف بلوح من الحجر جاء من الجامع تحت رقم ٣٧٣٥، يحمل النص التالي:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآية ٩٠ سورة النحل - أَمَرَ بِإِنشَاءِ هَذَا الْمَكَانِ الْمُبَارَكِ فِي شَهْرِ الْحَرَمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ. (Wiet, G., RCEA XV, n° 5702; id.,) . (Inscriptions historiques sur pierre, p. 69 n° 93)

^١ فيما تقدم ٣: ٤٩٨-٤٩٩.
^٢ انذّر الآن مكان جامع نائب الكرك، وخذّد محمد بك رمزي موضعه بشارع رمسيس (الملكة نازلي سابقاً) تجاه مدخل شارع محمود فهمي المعماري بحي الشكاكيني. (ابن أبيك: كثر الدرر ٩: ٣٨٩؛ المقريزي: السلوك ٢: ٥٤٤؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٤هـ^١).

^٣ فيما تقدم ٣: ١٨١.

^٤ المقريزي: مسوّدة الخطط ١٣٢ظ، وأورد المقريزي ترجمة الأمير جمال الدين أقوش في المسوّدة عند ذكر الجامع، بينما أوردتها في المبيضة عند ذكر الدور. (فيما تقدم ٣: ١٨١-١٨٢).

^٥ كانت مقلّدة وبقايا جامع الخطيري موجودة في نهاية

ثم بنتى هناك شرف الدين بن زنبور ساقية ، وعمّر بجوارها رَجُلٌ يُعرف بالحاج محمد بن عزّ الفَراش دارًا تُشرف على النيل ، وتردّد إليها ، فلما مات أخذها شخص يُقال له تاج الدين ابن الأزرق ناظر الجهات ، وسكنها ، فعرفت بدار الفاسقين لكثرة ما يجري فيها من أنواع المحرمات (a).

فاتفق أن التثوّ ناظر الخاص قبض على ابن الأزرق وصادره ، فباع هذه الدار في جملة ما باعه من موجوده . فاشتراها منه الأمير عزّ الدين أيّدمر الخطيري وهدمها ، وبنى مكانها هذا الجامع ، وسماه «جامع التوبة» وبالغ في عمارته ، وتأنق في رُخامه ، فجاء من أجل جوامع مصر وأحسنها . وعمل له منبرًا من رُخام في غاية الحسن ، وزكّب فيه عدّة شبايك من حديد تُشرف على النيل



الكتابة التاريخية لجامع الخطيري فوق المنبر الحجري (محافظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة)

الأعظم ، وجعل فيه خزانة كُتِبَ جليلة نفيسة ، ورُتّب فيه درسا للفقهاء الشافعية ، ووقف عليه عدّة أوقاف منها داره العظيمة التي هي في الدرب الأصفر تجاه خانقاه بيبرس . فكان (b) جملة ما أنفق في عمارته (c) هذا الجامع أربع مائة ألف درهم نفرة ، وكملت عمارته في سنة سبع وثلاثين وسبع مائة ، وأقيمت به الجمعة في يوم الجمعة عشرين جمادى الآخرة ١ . فلما خلص ابن الأزرق من المصادرة حضر إلى الأمير الخطيري وادّعى أنه باع داره وهو مكره ، فدفع إليه ثمنها مرة ثانية .

(a) المتوّدة : لكثرة ما يمضي الله فيها . (b) بولاق : وكان . (c) ساقطة من بولاق .

١ أول من ولي خطابته وإمامته وتدرّسه الشيخ كمال الدين أبو محمد (وأبو العباس) أحمد بن عمر بن مهدي التشنائي ، المتوفى يوم الأحد حادي عشر صفر سنة ٥٧٥٧هـ / الزاهرة ١٠ : ٣٢٣-٣٢٤ . (المقريزي : السلوك ٣ : ٣١ ؛ أبو المحاسن : النجوم

ثم إنَّ البحْرَ قَوِيَ على هذا الجامع وهَدَمَهُ ، فأعادَ بِناءَهُ بجملةٍ كثيرةٍ من المال ، ورَمَى قُدَّامَ زَرِيئَتِهِ^(a) ألفَ مَرَكِبٍ مملوءةٍ بالحجارة . ثم انهدَمَ بعدَ مَوْتِهِ ، وأعيدتْ زَرِيئَتُهُ^(a) .

أَتَدْمُرُ الْخَطِيرِي
الأميرُ عَزُّ الدِّينِ مَمْلُوكُ شَرْفِ الدِّينِ أَوْحَدِ بْنِ الْخَطِيرِيِّ الأَمِيرِ مَسْعُودِ ابْنِ خَطِيرٍ^٢ . انْتَقَلَ إلى المَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ، فَرَفَّاهُ حَتَّى صَارَ أَحَدَ أَمْرَاءِ الأُلُوفِ ، بَعْدَما حَبَسَهُ بَعْدَ مَجِيئِهِ مِنَ الكَرَكِ إلى مِصرَ مُدَّةً ثُمَّ أَطْلَقَهُ ، وَعَظَّمَ مِقْدَارَهُ إلى أَنْ بَقِيَ يَجْلِسُ رَأْسَ المَيْسِرَةِ وَمَعَهُ إِمْرَةٌ مائةٍ وَعِشْرِينَ فَارِسًا .

وكان لا يُمكنه السُّلْطَانُ مِنَ المَبِيْتِ فِي دارِهِ^(b) بِرَحْبَةِ العَيْدِ^(b) مِنَ القَاهِرَةِ^(c) فَيُنزَلُ إليها بُكْرَةً وَيَطَّلَعُ إلى القَلْعَةِ بَعْدَ العَصْرِ كذا أَبَدًا ، فَكانوا يَرَوْنَ ذلكَ تَعْظِيمًا لَهُ . وكان مُنَوَّرَ الشَّيْبَةِ كَرِيمًا ، يَحِبُّ التَّجَمُّلَ^(d) الكَثِيرَ وَالْفَخْرَ ، بِحَيْثُ إِنَّهُ لَمَّا زَوَّجَ السُّلْطَانُ ابْنَتَهُ بِالأَمِيرِ قُوضُونَ ، صَرَبَ دِينَارِينَ وَزَنْهُمَا أربَعِ مائةٍ مِثقالِ ذَهَبًا ، وَعِشْرَةَ آلافِ دَرْهَمِ فِضَّةٍ ، بِرِشْمِ نُقُوطِ امْرَأَتِهِ فِي العُرْسِ إِذا طَلَعَتْ إلى زِفافِ ابْنَةِ السُّلْطَانِ على قُوضُونَ .

وقيل له مَرَّةً : هذا الشُّكْرُ الَّذِي يُعْمَلُ فِي الطَّعامِ ما يَضُرُّ أَنْ نَعْمَلَهُ^(e) غَيْرَ مُكْرَرٍ ، فَقالَ : لا يُعْمَلُ إِلا مُكْرَرًا ، فَإِنَّهُ يَبْقَى فِي نَفْسِي أَنَّهُ غَيْرَ مُكْرَرٍ .

وكان لا يَلْبَسُ قَباءَ مَطْرُزًا ولا مَصْفُولا ، ولا يَدَعُ أَحَدًا عِنْدَهُ يَلْبَسُ ذلكَ ، وكان يُخْرِجُ الزَّكَاةَ ، وَأَنْشَأَ بِجانِبِ هذا الجامعِ رَبْعًا كَبيرًا تَنافَسَ النَّاسُ فِي سُكْنائِهِ . ولم يَزَلْ على حالِهِ حَتَّى ماتَ يَوْمَ الثَّلاثاءِ مَسْتَهْلًا شَهْرَ رَجَبِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلاثينَ وَسَبْعِ مائةٍ ، وَدُفِنَ بِبُزْيَتِهِ خَارجَ بابِ النُّصْرِ .
والم يَزَلْ هذا الجامعُ مَجْمَعًا يَقْصُدُهُ سائِرُ النَّاسِ لِلتَّنَزُّهِ فِيهِ على النِّيلِ ، وَيَرغَبُ كُلُّ أَحَدٍ فِي الشُّكْنَى بِجِوارِهِ ، وَبَلَّغَتْ الأَماكِنُ الَّتِي بِجِوارِهِ مِنَ الأَسواقِ وَالدُّورِ الغايَةِ فِي العِمارةِ حَتَّى صَارَ ذلكَ الخُطُّ أَعْمَرَ أخطاطِ مِصرَ وَأَحْسَنَها .

(a) بولاق : زريته . (b-b) إضافة من المسوذة . (c) بولاق : بالقاهرة . (d) بولاق : التزوج . (e) بولاق والنسخ : يُعْمَلُ ، والمثبت من المسوذة .

^١ المقرئزي : السلوك ٢ : ٤٢٣ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ١١٨ - ١١٩ .
^٢ راجع ترجمته عند ، الصفدي : أعيان العصر ١ : ٤٥٨ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٣١٢ ، المنهل ٣ : ١٨٠ - ١٨٢ .

فلما كانت سنة ست وثمان مائة، انْحَسَرَ ماء النَّيْلِ عمَّا تَجَاهُ جَامِعِ الْخَطِيرِيِّ، وَصَارَ رَمْلَةٌ لَا يَغْلُوهَا الْمَاءُ إِلَّا فِي أَيَّامِ الزِّيَادَةِ، وَتَكَاثَرَ الرَّمْلُ تَحْتَ شَبَابِيكِ الْجَامِعِ، وَقَرَّبَتْ مِنَ الْأَرْضِ بَعْدَمَا كَانَ الْمَاءُ تَحْتَهُ لَا يَكَادُ يُدْرِكُ قَرَارَهُ. وَهُوَ الْآنَ عَامِرٌ، إِلَّا أَنَّ الْاجْتِمَاعَاتِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِ قَبْلَ انْحِسَارِ النَّيْلِ عمَّا قَبَالَتَهُ قَلَّتْ، وَاتَّضَعَ حَالٌ مَا يُجَاوِزُهُ مِنَ الشُّوقِ وَالذُّورِ، وَبِاللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ.

جَامِعُ قَيْدَانِ

هَذَا الْجَامِعُ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ، عَلَى جَانِبِ الْخَلِيجِ الشَّرْقِيِّ، ظَاهِرٌ بَابِ الْفُتُوحِ مِمَّا يَلِي قَنَاطِرَ الْإِرْوَزِ^(a) غَزْبِي الْحُسَيْنِيَّةِ^(a) تَجَاهَ أَرْضِ الْبَغْلِ^١. كَانَ مَسْجِدًا قَدِيمَ الْبِنَاءِ، فَجَدَّدَهُ الطُّوَّاشِيُّ بِهَاءِ الدُّيْنِ قَرَأُوشِ الْأَسَدِيِّ فِي مَحْرَمِ سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ، وَجَدَّدَ حَوْضَ السَّبِيلِ الَّذِي فِيهِ، ثُمَّ إِنَّ الْأَمِيرَ مُظَفَّرَ الدُّيْنِ قَيْدَانَ الرَّومِيَّ عَمِلَ بِهِ مِنْبَرًا لِإِقَامَةِ الْخُطْبَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، كَانَ / عَامِرًا بِعِمَارَةِ مَا حَوْلَهُ.

فَلَمَّا حَدَثَ الْعَلَاءُ فِي سَنَةِ سِتِّ وَسَبْعِينَ وَسَبْعٍ مِائَةٍ، أَيَّامَ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ شَعْبَانَ بْنِ حُسَيْنٍ، خَرِبَ كَثِيرٌ مِنَ تِلْكَ النَّوَاحِي وَبِيعَتْ أَنْقَاضُهَا، وَكَانَتِ الْعَرَقَةُ أَيْضًا، فَصَارَ مَا بَيْنَ الْقَنْطَرَةِ الْجَدِيدَةِ الْمَجَاوِرَةِ لِسُوقِ جَامِعِ الظَّاهِرِ، وَبَيْنَ قَنَاطِرِ الْإِرْوَزِ الْمَقَابِلَةِ لِأَرْضِ الْبَغْلِ، يَبَاطًا لَا عَامِرَ لَهُ وَلَا سَاكِنَ فِيهِ.

وَخَرِبَ أَيْضًا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ شَرْقِيهِ إِلَى جَامِعِ نَائِبِ الْكَرْكِ، وَتَعَطَّلَ هَذَا الْجَامِعُ، وَلَمْ يَتَّقِ مِنْهُ غَيْرَ جُدْرٍ آيَلَةٍ إِلَى الْعَدَمِ. ثُمَّ جَدَّدَهُ مُقَدَّمُ بَعْضِ الْمَمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ فِي مُحْدُودِ الثَّلَاثِينَ وَالْثَمَانِ مِائَةٍ، ثُمَّ وَسَّعَ فِيهِ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ الْأَنْصَارِيِّ الْعَقَّادِ - الشَّهِيرِ بِالْأَزْرَارِيِّ - وَمَاتَ فِي ثَانِي عَشْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ^٢.

(a-a) إضافة من المسوِّدة.

^١ وقد انْدَثَرَ الْآنَ جَامِعُ قَيْدَانَ، وَخَدَّدَ مُحَمَّدُ بَكْ رَمَزِي مَكَانَهُ بِشَارِعِ قَنْطَرَةِ عَمْرَةَ عِنْدَ تَلَاقِهِ بِشَارِعِ سَعِيدِ بَحْتِي الشُّكَاكِينِيِّ. (أَبُو الْحَاسَنِ: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٩: ٢٠٣هـ ١١١٠ علي مبارك: الخطة التوفيقية ٥: ٢٠٠).

^٢ جَامِعُ قَيْدَانَ عَلَى الْخَلِيجِ الْمِصْرِيِّ بِالْقَرْبِ مِنْ قَنَاطِرِ الْإِرْوَزِ. أَنْشَأَ بِهِ الْأَمِيرُ خَايِرُ بَكْ مِنْ خَدِيدِ جَوْسَقًا مُطَّلَاً عَلَى الْبِرْكَةِ الَّتِي هُنَاكَ (بِرْكَةُ الشَّيْخِ قَمَسَ) سَنَةِ ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م. (أَبُو الْحَاسَنِ: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١٦: ٣٢٨؛ ابْنُ إِيَّاسٍ: بَدَائِعُ الزُّهْرِ ٣: ١٧٦).

^٢ هَذَا التَّارِيخُ هُوَ أَحْدَثُ تَارِيخٍ وَرَدَّ فِي الْخِطِّطِ، =

جامع الست حدق

هذا الجامع بخط المريس في جانب الخليج الكبير مما يلي الغرب ، بالقرب من قنطرة السد التي خارج مدينة مصر^١ . أنشأه الست حدق ، جارية^٢ الملك الناصر محمد بن قلاوون^٣ ودادته التي ربه وحضنته^٤ ، وأقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة لعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وسبع مائة . وإلى حدق هذه يُنسب حكر الست حدق الذي ذكر عند ذكر الأحكار من هذا الكتاب^٥ .

جامع ابن غازي

هذا الجامع خارج باب البحر من القاهرة بطريق بولاق ، أنشأه نجم الدين^٦ أبو بكر^٧ ابن غازي دلال الممالك ، وأقيمت فيه الخطبة في يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وسبع مائة ، وإلى اليوم تُقام فيه الجمعة ، وبقية الأيام لا يزال مُغلق الأبواب لقلّة الشكّان حوله^٨ .

جامع الشوكماني

هذا الجامع في المقس ، وهو من الجوامع المليحة البناء ، أنشأه الأمير بدر الدين محمد^٩ ابن فخر الدين^{١٠} الشوكماني ، وكان ما حوله عامراً عمارة زائدة ، ثم تلاشى من الوقت الذي كان فيه الغلاء زمن الملك الأشرف شعبان بن حسين ، وما برح حاله يَحْتَلّ إلى أن كانت الحوادث والمحن من سنة ست

(a) بولاق والنسخ : دادة ، والمثبت من المَسُوذة . (b-b) إضافة من المَسُوذة .

^١ وهو يُدُلُّ على أن المقرئ كان دائم النظر في نُسخته ويُحدِّث معلوماتها ، وانظر كذلك فيما يلي ٣٥٦ .
^٢ انظر عن الست حدق فيما تقدم ٣٨٦-٣٨٧ هـ .
^٣ فيما تقدم ٣٨٦:٣ .
^٤ تحدّد محمد بك رمزي مكان هذا الجامع ، بالجامع المعروف بجامع الشيخ نصر بشارع دزب نصر بولاق . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٣٣٣) .
^٥ انظر عن الست حدق فيما تقدم ٣٨٦:٣ .
^٦ نجم الزاهرة ٩: ١٩٦-١٩٧ هـ .
^٧ انظر عن الست حدق فيما تقدم ٣٨٦:٣ .
^٨ انظر عن الست حدق فيما تقدم ٣٨٦:٣ .
^٩ انظر عن الست حدق فيما تقدم ٣٨٦:٣ .
^{١٠} انظر عن الست حدق فيما تقدم ٣٨٦:٣ .

وثمان مائة، فخرّب معظم ما هنالك، وفيه إلى اليوم بقايا عامرة، لا سيّما بجوار هذا الجامع^١.

محمد التركماني ويُنعت بالأمرير بدر الدين محمد ابن الأمير فخر الدين عيسى التركماني: كان أولاً شادًا، ثم ترقى حتى ولي الجيزة، وتقدّم في الدولة الناصرية، فولاه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون شادًا الدواوين، والدولة حينئذ ليس فيها وزير، فاستقلّ بتدبير الدولة مدة أعوام. وكان يلي نظراً الدولة تلك الأيام كريم الدين الصغير، فغصّ به، وما زال يدبّر عليه حتى أخرجه السلطان من ديار مصر، وعمله شادًا الدواوين بطرابلس. فأقام هناك مدة سنتين، ثم عاد إلى القاهرة بشفاعة الأمير تنكز نائب الشام، وولي كشف الوجه البحري مدة، ثم أعطي إمرة طبلخاناه، وأعطي أخوه علي إمرة عشرة، وولده إبراهيم أيضًا إمرة عشرة. وكان مهاتبا صاحب حرمية باسطة، وكلمة نافذة. ومات عن سعادة طائلة بدايره^(a) بالمقس، في ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة، وهو أمير.

جامع شيخو

[أثر رقم ١٤٧]

هذا الجامع بشويقة منعم، فيما بين الصليبية والرّميلة، تحت قلعة الجبل^٢. أنشأه الأمير الكبير سيف الدين شيخو الناصري، رأس نوبة الأمراء، في سنة خمسين وسبع مائة^(b)، ورفق بالناس في

(a) إضافة من المخطوطة. (b) النسخ: سنة ست وخمسين وسبع مائة، وهو تاريخ بناء الخانقاه الواقعة تجاه الجامع. (فيما يلي ٧٦٠).

^١ جامع التركماني. ذكر على خريطة القاهرة التي رسمها علماء الحملة الفرنسية (E-12, 281). وخذّه علي باشا مبارك بجامع التوجمان بخط باب البحر داخل دزب التركماني (الذي يُسميه العامة دزب التوجمان) على يمين الدّاخل. وذكر أنّ به ثمانية أعمدة من الرخام وخمسة من الرّلت، منها عمود ذو ثمانية أضلاع على كلّ ضلع كتابة هيروغليفية قديمة وعمود من الرخام الأحمر. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤: ١٤٦). وما زال الجامع موجودًا ويُعرف باسم جامع ومقام محمد عيسى التركماني بدزب التركماني المتفرع من شارع باب البحر، وإن كان البناء الموجود الآن يرجع إلى العصر العثماني. (انظر كذلك، المقرئ السلوك ٢: ٥٤٤، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٩٩٩^٣). ويرجع تاريخ بناء هذا الجامع إلى ما قبل عام ٧٣٨هـ (تاريخ وفاة المنشي) بعام أو عامين.

^٢ جامع شيخو. ما زال قائمًا ويُعرف بجامع شيخو البحري لوقوعه تجاه الخانقاه المعروفة بجامع شيخو القبلي

العمل فيه وأعطاهم أجورهم ، وجعل فيه خطبة وعشرين صوفياً ، وأقام الشيخ أكمل الدين محمد ابن محمود الرومي الحنفي شيخهم^١. ثم لما عمّر الخانقاه تجاه الجامع ، نقل حضور الأكمل والصوفية إليها ، وزاد عدتهم^٢. وهذا الجامع من أجل جوامع ديار مصر .

الأمير شيخو الكبير سيف الدين ، أخذ ممالك الناصر محمد بن قلاوون ، حظي عند الملك المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون ، وزادت وجاهته حتى شفع في الأمراء ، وأخرجهم من سجن الإسكندرية . ثم إنه استقر في أول دولة الملك الناصر حسن أخذ أمراء المشورة^٣.

= (فيما يلي ٧٦٠-٧٦٤) ، ويفصل بينهما شارع شيخون الذي يربط بين صليبة ابن طولون وميدان صلاح الدين تحت قلعة الجبل . ويدل على تاريخ بناء هذا الجامع طراز من النسخ المملوكي في واجهة المسجد نصه :

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ . وكان الفراغ من ذلك الجامع في شهر رَمَضَانَ الْمُعْظَمِ سنة خمسین و سبع مائة . (van Berchem, M., *CIA Égypte I*, n° 156; Wiet, G., *RCEA XVI*, n° 6088) . والجامع يشتمل على صحن مفروش بالرخام الملون يحيط به أربعة إيوانات بكل من الشَّرْقِي والغَرْبِي منها رواقان ، أمَّا القِبْلِي والبَحْرِي فكل منهما رواق واحد صغير قُصِدَ بهما إيجاد التماثل فقط . ومبني الجامع ودكَّة المبلَّغ به مبنية من الحجر ، وأُنشِئت دكَّة المبلَّغ في تاريخ متأخر ، فمكتوب عليها ما نصه : «أنشأ هذه الدكَّة المباركة الحاج محمد بن شعبان بن سعيد الثقلي ، عَفَرَ اللَّهُ لَهُم وَلِلْمُسْلِمِينَ . وكان الفراغ من ذلك في شهر صَفَر سنة أحد وستين وتسع مائة» ، وهي أوَّل دكَّة حجرية في الجوامع المصرية ، إذ المؤلف أن تكون رُخامية أو حَشِيبِيَّة ، والمُرَجَّح أنَّه هو الأمر بعَمَلِ هذا المَبْنِيّ أيضاً الذي يعتبر ثاني مبني حجري (والأوَّل هو المَبْنِيّ الذي أنشأه السلطان قايتباي لخانقاه فَرَج بن برفوق بصحراء الممالك سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م) . وقامت لجنة حفظ الآثار العربية

بين سنتي ١٩٣١-١٩٣٣م بإصلاح مبني الجامع وكرسي

المُصْحَف والمِحْرَاب وشبابيكه الخَصِيَّة ، وتقويم عمُد ومُجْدِرَان الإيوان الغربي وإصلاح أرضيته الرُخامية . وقد تأثر الجامع

بشدة بزلزال أكتوبر سنة ١٩٩٢م ، وتجري به الآن أعمال

صَلْب وصيانة وترميم .

(راجع ، أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠: ٢٦٩هـ^١

علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥: ٨٣-٨٤ ؛ حسن عبد

الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١٥٧-١٥٩ ؛ سعاد ماهر :

مساجد مصر ٣: ٢٤٩-٢٥٨ ؛ وانظر كذلك ، سعاد محمد

حسني : أعمال الأمير شيخو العمري الناصري المعمارية

بالقاهرة ، رسالة ماجستير بآداب القاهرة ١٩٧٦ ؛ عاصم

محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٩٧١-٩٨٧) .

^١ المقرئزي : السلوك ٢: ٨٦٤ .

^٢ فيما يلي ٧٦٠-٧٦٢ .

^٣ انظر ترجمة الأمير شيخو العمري كذلك عند ،

الصفدي : أعيان العصر ٢: ٥٣١-٥٣٦ ، الوافي بالوفيات

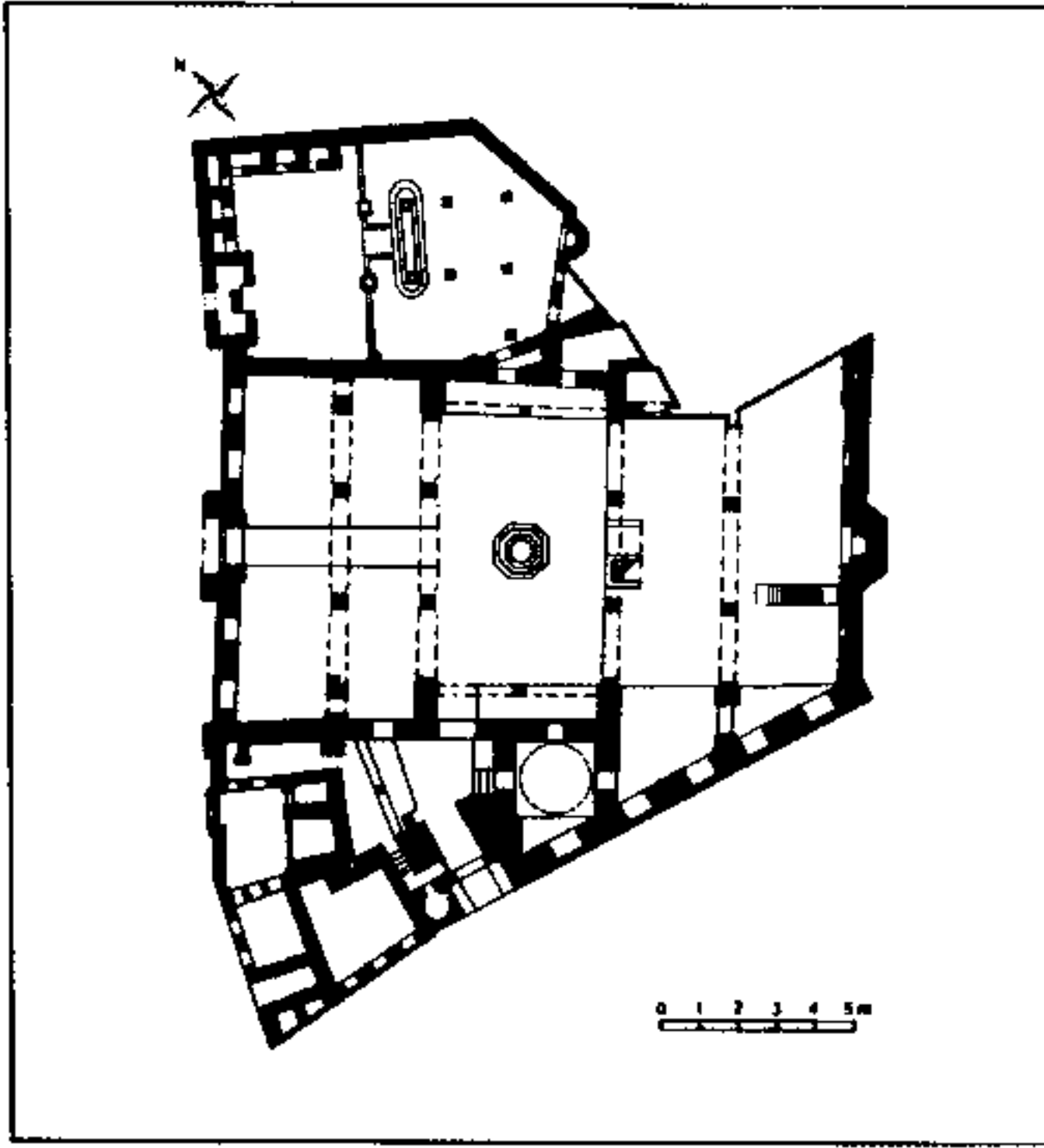
١٦: ٢١١-٢١٢ ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ٣: ١٢٠٤

المقرئزي : السلوك ٣: ٣٣ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة

٢: ٢٩٣-٢٩٤ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠: ٣٢٤ ،

المنهل الصافي ٦: ٢٥٧-٢٦٢ .

وفي آخر الأمر كانت القيصص تُقرأ عليه بحضرة السلطان في أيام الخدمة ، وصار زمام الدولة بيده ، فسأستها أحسن سياسة بسكون وعدم شر ، وكان يمنع كل حزب من الوثوب على الآخر ، فعظم شأنه إلى أن رسم السلطان يأمسك الأمير بيبغا روس^(a) نائب السلطنة بديار مصر وهو مسافر بالحجاز ، وكان شيخو قد خرج متصيدا إلى ناحية طمان بالغربية .



مخطط جامع شيخو (عن اللجنة)

فلما كان يوم السبت رابع عشرين شوال / سنة إحدى وخمسين وسبع مائة ، أمسك السلطان الأمير منجك الوزير ، وحلف الأمراء لنفسه ، وكتب تقليد شيخو بنبابة طرابلس ، وجهزه إليه مع الأمير سيف الدين طينال الجاشنكير ، فسار إليه وسفره من براء فوصل إلى دمشق ليلة الثلاثاء رابع ذي القعدة ، فظهر مرسوم السلطان بإقامة شيخو في دمشق على إقطاع الأمير بلك السلامي^(b) ، وتجهيز بلك^(c) إلى القاهرة فخرج بلك^(c) من دمشق ، وأقام شيخو على إقطاعه بها . فما وصل بلك^(c) إلى القاهرة إلا وقد وصل إلى دمشق مرسوم يأمسك شيخو ، وتجهيزه إلى السلطان ، وتقييد

(a) بولاق : بلبغا روس . (b) بولاق : بيلك السالمي . (c) بولاق : بيلك .

ماليكه واعتقالهم بقلعة دمشق، فأمسك وجهاز مقيداً، فلما وصل إلى قطيا توجهوا به إلى الإسكندرية. فلم يزل معتقلاً بها إلى أن خلع السلطان الملك الناصر حسن، وتولى أخوه الملك الصالح صالح، فأخرج عن شيخو ومنجك الوزير وعدة من الأمراء، فوصلوا إلى القاهرة في رابع شهر رجب سنة اثنتين وخمسين وسبع مائة، وأنزل في الأشرافية بقلعة الجبل واشتمر على عادته.

وخرج مع الملك الصالح إلى الشام في واقعة يتيغا روس^a، وتوجه إلى حلب هو والأمير طاز وأزغون الكاملي خلف يتيغا روس^a، وعاد مع السلطان إلى القاهرة، وصمم حتى أمسك يتيغا روس^a ومن معه من الأمراء، بعدما وصلوا إلى بلاد الروم، وحزرت زعوشهم. وأمسك أيضاً ابن دلغار، وأحضر إلى القاهرة، ووسط وعلق على باب زويلة.

ثم خرج بنفسه في طلب الأحدب الذي خرج بالصعيد، وتجاوز في سفره قوص، وأمسك عدة كثيرة ووسطهم حتى سكنت الفتنة بأرض مصر، وذلك في آخر سنة أربع وخمسين وأول سنة خمس وخمسين. ثم خلع الملك الصالح، وأقام بدله الملك الناصر حسناً في ثاني سؤال، وأخرج الأمير طاز من مصر إلى حلب نائياً بها ومعه إخوته، وصارت الأمور كلها راجعة إليه، وزادت عظمته، وكثرت أمواله وأملاكه ومستأجراته حتى كاد يكثير أمواج البحر بما ملك، وقيل له قازون عصره وعزير مصره.

وأنشأ خلقاً كثيراً، فقوى بذلك حرمة^b وجعل في كل مملكة من جهته عدة أمراء، وصارت نوابه بالشام وفي كل مدينة أمراء كبار، وخدموه حتى قيل كان يدخل كل يوم ديوانه - من إقطاعه وأملاكه ومستأجراته بالشام وديار مصر - مبالغ مائتي ألف درهم نفرة وأكثر، وهذا شيء لم يسمع مثله في الدولة التركية، وذلك سوى الإنعامات السلطانية، والتقادم التي ترد إليه من الشام ومصر، وما كان يأخذ من البراطيل على ولاية الأعمال.

وجامعه هذا وحناقاهه التي بخط الصليبية لم يُعمر مثلها قبلهما، ولا عُمل في الدولة التركية مثل أوقافهما، وحسن ترتيب المعاليم بهما.

ولم يزل على حاله إلى أن كان يوم الخميس ثامن شعبان سنة ثمان وخمسين وسبع مائة، فخرج عليه شخص من المماليك السلطانية المُرْتَجِعة^c عن الأمير منجك الوزير يُقال له باي، فجاء وهو جالس بدار العدل، وضربه بالسيف في وجهه وفي يده. فازتجت القلعة كلها، وكثر هرج

(a) بولاق : يلبغا روس . (b) بولاق : حربه . (c) بولاق : المرتجة .

النَّاسِ حَتَّى مَاتَ مِنْ النَّاسِ جَمَاعَةٌ مِنَ الزَّحْمَةِ ، وَرَكِبَ مِنَ الْأَمْرَاءِ الْكِبَارِ عَشْرَةَ وَهَمَّ بِالسَّلَاحِ عَلَيْهِمْ إِلَى قُبَّةِ النَّصْرِ خَارِجِ الْقَاهِرَةِ .

ثُمَّ أَمْسِكَ بَايَ ، فَجَاءَ وَقُرَّرَ ، فَلَمْ يَعْتَرَفْ بِشَيْءٍ عَلَى أَحَدٍ ، وَقَالَ : أَنَا قَدَّمْتُ إِلَيْهِ قِصَّةً لِيَتَّقِلَنِي مِنَ الْجَامِعِيَّةِ إِلَى الْإِقْطَاعِ ، فَمَا قَضَى شُعْلِي ، فَأَخَذْتُ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ . فَسَجِنَ مُدَّةً ثُمَّ سُرَّ وَطِيفَ بِهِ الشُّوَارِعَ . وَبَقِيَ شَيْخُو عَلِيًّا مِنْ تِلْكَ الْجِرَاحَةِ لَمْ يَزْكَبْ إِلَى أَنْ مَاتَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ سَادِسَ عَشْرِينَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، وَدُفِنَ بِالْخَانِقَاهِ الشَّيْخُونِيَّةِ وَقَبْرُهُ بِهَا يُقْرَأُ عِنْدَهُ الْقُرْآنُ دَائِمًا .

جامع الجاكي

هَذَا الْجَامِعُ كَانَ بِدَرْبِ الْجَاكِي ، عِنْدَ سُوقَةِ الرَّيْشِ مِنَ الْحِكْرِ ، فِي بَرِّ الْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ ^١ . أَضْلُهُ مَسْجِدٌ مِنْ مَسَاجِدِ الْحِكْرِ ، ثُمَّ زَادَ فِيهِ الْأَمِيرُ بَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُهَمَّنْدَارِ ^(a) أَخُو الْأَمِيرِ شَرْفِ الدِّينِ الْجَاكِي الْمُهَمَّنْدَارِ ^(a) وَجَعَلَهُ جَامِعًا ، وَأَقَامَ فِيهِ مِثْبَرًا فِي سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةَ وَسَبْعَ مِائَةٍ . فَصَارَ أَهْلُ الْحِكْرِ يُصَلُّونَ فِيهِ الْجُمُعَةَ إِلَى أَنْ حَدَّثَتْ الْحِجْرُ مِنْ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، فَخَرِبَ الْحِكْرُ ، وَبِيعَتْ أَنْقَاضُ مُعْظَمِ الدُّورِ الَّتِي هُنَاكَ .

وَتَعَطَّلَ هَذَا الْجَامِعُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ لِحَرَابِ مَا حَوَّلَهُ ، فَحَكَمَ بَعْضُ قُضَاةِ الْحَنَفِيَّةِ بَيْعَ هَذَا الْجَامِعِ . فَاشْتَرَاهُ شَخْصٌ مِنَ الْوُعَاظِ يُعْرَفُ بِالشَّيْخِ أَحْمَدِ الْوَاعِظِ الزَّاهِدِ - صَاحِبِ جَامِعِ الزَّاهِدِ بِحُطِّ الْمَقْسِ - وَهَدَمَهُ ، وَأَخَذَ أَنْقَاضَهُ فَعَمِلَهَا فِي جَامِعِهِ الَّذِي بِالْمَقْسِ فِي أَوَّلِ سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةَ وَثَمَانِ مِائَةٍ ^٢ .

(a-a) إضافة من المسودة .

^١ جامع الجاكي . كان يقع في جكر دزب الجاكي غربي الخليج وتجاه جامع القحري (جامع البنات) الواقع شرقي الخليج (شارع بورسعيد الآن) (فيما يلي ٣٣١) . وبما أن موضع جكر دزب الجاكي حدده محمد بك رمزي بين شارع الأزهر شمالاً وبيكة المنصورة جنوباً، يكون موقع جامع الجاكي الذي اندثر منذ سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م في أرض هنا الحكر (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٠-٢٠١هـ) . وذكر ابن إياس أن جامع الجاكي الذي كان قد تخرّب في وقته يقع في موضع الأزيكية (؟) (بدائع الزهور ٣: ١١٦) . ^٢ فيما يلي ٣٣٠ .

جامع الثَّوْبَة

هذا الجامع بجوار باب البرقيّة في حُطّ بين الشورين^١. كان موضعه مساكن أهل الفساد وأصحاب الرّيب^(a). فلمّا أنشأ الأمير الوزير علاء الدّين مُغلطاي الجمالي خانقاهه المعروفة بالجماليّة قريباً من خزانة البُتود بالقاهرة^٢، / كره مجاوره هذه الأماكن لداره وخانقاهه، فأخذها وهدمها، وبنى هذا الجامع في مكانها، وسماه «جامع الثَّوْبَة»، فعرف بذلك إلى اليوم^٣. وهو الآن تُقام فيه الجمعة، غير أنّه لا يزال طوال الأيّام مُغلق الأبواب لخلّوه من ساكن، وقد خرب كثيرٌ بما يُجاوره، وهناك بقايا من أماكن.

جامع أخي صاروجا^(b)

هذا الجامع مُطلٌّ على ضفّة^(c) الخليج الناصريّ بالقرب من بركة الحاجب^(d)، التي تُعرف ببركة الرّطلي^٤، كان حِطّة تُعرف بحارة^(e) العرب. فأنشأ بها هذا الجامع ناصر الدّين محمد، أخو

(a) بولاق : الرأي . (b) في نسخ الخطط : جامع صاروجا، والتصويب من السلوك والنجوم الزاهرة . (c) إضافة من المستودع . (d) المسودة : بركة الطّوابة، وهو اسمها الأوّل . (e) بولاق : بجامع .

الذي عمّره مُغلطاي أخو الأمير ألباس اسم «جامع الثَّوْبَة» .
(أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٢٠٥) .

^٢ انظر فيما يلي ٥٧٥ ، ٧٤٣ .

^٣ بناء على هذا الوصف ومجاورة الجامع للخانقاه الجمالية الواقعة الآن بحارة قصر الشوك (فيما يلي ٥٧٥) ، فإنّ موضع «جامع الثَّوْبَة» يجب أن يكون خلف الخانقاه داخل دُرب الفَرّاخة، ولم يتبق منه إلا قطعة أرض صغيرة عليها مقام وزاوية الشيخ عطيّة التي يفتح بابها على عطفة دُرب الحمام خلف دُرب الفَرّاخة يقسم الجمالية . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٩٦-٩٧ هـ ، ٢٠٥ هـ) .

^٤ انظر تحديد موضع بركة الرّطلي، فيما تقدم

٥٤٠ : ٣ .

^١ هذا التّحديد لا يتطابق على موضع الجامع الذي بناه مُغلطاي الجمالي بجوار داره وخانقاهه القريبة من خزانة البُتود بالقاهرة، وأما ينطبق على «جامع البرقيّة» الذي أنشأه معاشره مُغلطاي الفخري أخو الأمير ألباس الحاجب، والذي سيرد (فيما يلي ٣٢٥) باسم «جامع البرقيّة» .

ووقع المقرئ في الخطأ نفسه في كتاب «السلوك» حيث نسب بناء «جامع بين الشورين» المعروف بـ «جامع الثَّوْبَة»، في حوادث ذي القعدة سنة ٧٣٠ هـ، إلى الأمير علاء الدّين طغطاي أحد مماليك السلطان الناصر محمد ابن قلاوون (السلوك ٢ : ٣٢٣) !، ثم نسب بناء «جامع الثَّوْبَة» بياب البرقيّة في موضع آخر إلى الأمير مُغلطاي أخي الأمير ألباس (السلوك ٢ : ٥٤٥) . ونجد الخطأ نفسه كذلك عند أبي المحاسن بن تغري بؤدي الذي أطلق على «جامع البرقيّة»

الأمير صاروجا نقيب الجيش^١ بعد سنة ثلاثين وسبع مائة . وكانت تلك الخطة قد عُمِّرت عمارة زائدة ، وأدركت منها بقية جيدة إلى أن دثرت فصارت كيمانًا . وثقائم الجمعة إلى اليوم في هذا الجامع أيام النيل^٢ .

جامع الطَّبَّاح

هذا الجامع خارج القاهرة بخط باب اللوق بجوار بركة الشُّقاف ، كان موضعه وموضع بركة الشُّقاف من جملة الزُّهري^٣ . أنشأه الأمير جمال الدين أقوش ، وجدده الحاج علي الطَّبَّاح في المطبخ السلطاني أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ولم يكن له وقف ، فقام بمصالحه من ماله مدة ؛ ثم إنه صودر في سنة ست وأربعين وسبع مائة ، فتعطل مدة نزول الشدة بالطَّبَّاح ، ولم تقم فيه تلك المدة الصلاة .

^٣ وَرَدَ هذا الجامع على خريطة القاهرة التي رسمها علماء الحملة الفرنسية (N 13, 99) ، وشاهد علي باشا مبارك بقايا الجامع وقال : «هو عن شمال الناهب من باب اللوق إلى جهة قصر النيل ، بابُه على الشارع وبه منبرٌ وخطبةٌ وشعائره مُقامةٌ ومنافعه تائه مع قدم عمارته» . (الخطط التوفيقية ٥: ١٠٠ (٤١) ٤ وانظر كذلك ، مجهول : تاريخ سلاطين المماليك ١٢٢٦ الشجاعى : تاريخ الملك الناصر ١١٨ ؛ المقرئى : السلوك ٢: ٦٨٦) .

وأزالت وزارة الأوقاف هذا الجامع القديم سنة ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م وأقامت مكانه جامعًا جديدًا يقع الآن في نهاية شارع علي ذو الفقار (الصنابيرى سابقًا) عند التقائه بميدان عبد السلام عارف (باب اللوق سابقًا) في ظهر المبنى الذي تشغله الآن محافظة القاهرة . (انظر كذلك سعاد ماهر : مساجد مصر ٢٠٤-٢٠٥) .

^١ ترجمت المصادر للأمير شهاب الدين صاروجا نقيب الجيوش ، الذي توفي فجأة عند نزوله عن فرسه في جمادى الأولى سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٦م ، وصاروجا تصغير أصغر باللغة التركية . (الصفدي : الوافى بالوفيات ١٦: ٢٢٥-٢٢٦ ؛ المقرئى : السلوك ٢: ٣٧٧ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢: ٢٩٦ ؛ أبو المحاسن : المنهل الصافى ٦: ٣١٩-٣٢٠) .

^٢ ذكره المقرئى في السلوك ٢: ٥٤٥ ، وأبو المحاسن في النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٧-٢٠٨ باسم جامع أخي صاروجا بشون القصب ، بينما نسيه ابن إياس في بدائع الزهور ١/١: ٤٦٣ إلى الأمير صاروجا نفسه . وقد اندثر الآن هذا الجامع الذي كان يقع بشارع أرض الحرميين قرب تلاقيه بشارع حمدي وشارع الظاهر حيث كان يمر الخليج الناصري في تلك الجهة . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥: ٩٢ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٧هـ^{٦٥}) .

علي بن الطباخ^١

نشأ بمصر، وخدم الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو بمدينة الكرك. فلما قديم إلى مصر جعله «إخوان سلار»^(a)، وسلمه المطبخ السلطاني، فكثرت ماله لطول مدته وكثرة تمكنه، ولم يتفق لأحد من نظرائه ما اتفق له من السعادة الطائلة، وذلك أن الأفرار وما كان يصنع من المهتمات والأعراس ونحوها، مما كان يعمل في الدور السلطانية وعند الأمراء والمماليك والحواشي، مع كثرة ذلك في طول تلك الأعوام، كانت كلها إنما يتولى أمرها هو بمفرده.

فيمما اتفق له في عمل مهم ابن بكتمر الشاقي، على ابنة الأمير تئكيز نائب الشام، أن السلطان الملك الناصر استدعاه آخر النهار الذي عمل فيه المهم المذكور، وقال له: يا حاج علي اعمل لي الساعة لونا من طعام الفلاحين، وهو خروف رميس يكون ملهوج. فولى وجهه وهو مغبس^(b)، فصاح به السلطان: وألك مالك مغبس الوجه؟! فقال: كيف ما أعبس وقد أحرمتني الساعة عشرين ألف دزهم نقرة! فقال: كيف حرمتك؟ قال: قد تجمع عندي زغوس غنم وبقر وأكارغ وكروش وأعضاء وسقط دجاج وإوز، وغير ذلك مما سرقته من المهم، وأريد أقعد أبيعه^(c)، وقد قلت لي اطبخ، وينا أفرغ من الطبخ تلف الجميع. فتبسم السلطان وقال: رخ أطبخ وضمان الذي ذكرت علي.

وأمر بطلب^(d) والي القاهرة ومصر، فلما حضرا ألزمهما بطلب أرباب الزفر إلى القلعة، وتفريقة ما ناب الطباخ من المهم عليهم واستخراج ثمنه. فللحال حضر المذكورون، وبيع عليهم ذلك، فبلغ ثمنه ثلاثة وعشرين ألف دزهم نقرة،^(e) عنها ما ينيف عن ألف مثقال ذهباً^(e). وهذا مهم واحد من ألوف، مع الذي كان له من المعاليم والجرايات ومنافع المطبخ.

(a) بولاقي: اخوان سلار. (b) بولاقي: فولى ووجهه معبس. (c) بولاقي: وأبيعه. (d) بولاقي: بإحضار. (e-e) إضافة من المستودة.

^١ الحاج علي بن الطباخ المعروف بإخوان سلار، والثاني سلار - وهي فارسية - معناها المقدم، فيكون معناه: وصوابه «إخوان سلار»، وهو لقب مختص بكبير رجال المطبخ السلطاني، القائم مقام المهتم في غير المطبخ من البيوت مثل: الشراب خاناه والطشت خاناه. وهو مركب من لفظين: إخوان، وهو الذي يؤكل عليه وهو مغرب،

والثاني سلار - وهي فارسية - معناها المقدم، فيكون معناه: مقدم إخوان. وذكر القلقشندي أن العائمة تقول: «إخوان سلار» بألف في أوله وهو لحن. (القلقشندي: صبح الأعشى ٥: ٤٧١).

ويقال إنه كان يتحصّل له من المطبخ السلطاني في كل يوم - على الدوام والاستمرار - مبلغ خمس مائة درهم نقرّة، ولولده أحمد مبلغ ثلاث مائة درهم نقرّة. فلما تحدّث النشو في الدولة خرج عليه تخاريج، وأغرى به السلطان، فلم يسمع فيه كلامًا.

وما زال على حاله إلى أن مات الملك الناصر وقام من بعده أولاده الملك المنصور أبو بكر، والملك الأشرف كجك، والملك الناصر أحمد، والملك الصالح إسماعيل، والملك الكامل شعبان فصادره في سنة ست وأربعين وسبع مائة، وأخذ منه مالا كثيرا.

ومما وجد له خمس عشرون دارًا مشرفة على النيل وغيره. فتفرقت حواشي الملك الكامل أملاكه، فأخذت أم السلطان ملكه الذي كان على البحر - وكانت دارًا عظيمة جدًا - وأخذت أنقاض داره التي بالمحمودية من القاهرة، وأقيم عوضه بالمطبخ السلطاني، وضربت ابنه أحمد^١.

جامع الأسيوطي

هذا الجامع بطرف جزيرة الفيلى، بمأبلي ناحية بولاق، كان موضعه في القديم غامرًا بماء النيل^٢. فلما انحسر عن جزيرة الفيلى، وعمرت بولاق، أنشأ هذا الجامع القاضي شمس الدين

^١ المقرئزي: السلوك ٢: ٦٨٥-٦٨٦، وانظر كذلك والأقران (٢١٧).

المقرئزي: السلوك ٢: ٦٠٢؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٥٩: ١٠.

^٢ ذكر ابن إياس أن القاضي ناصر الدين [محمد ابن محمد بن عثمان المعروف بـ] ابن البارزي أكمل في شهر جمادى الآخر سنة ٨٢٣ هـ عمارة الجامع الذي بجوار بيته الذي في بولاق وأقام به الخطبة... وكان هذا الجامع يُعرف قديمًا بمسجد الأسيوطي، فلما جدّده ابن البارزي عُرف به. (بدائع الزهور ٢: ٥٢؛ وانظر كذلك الشجاعي: تاريخ الملك الناصر ١١٨-١١٩؛ المقرئزي: السلوك ٢: ٧٩٧، ٤: ٥٢٩؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤: ٩٥-٩٦؛ البقاعي: عنوان الزمان بتراجم الشيوخ

وذكر علي باشا مبارك أن هذا الجامع لم يبق له أثر بالمرة (الخطط التوفيقية ٥: ٥٥)، ولكن محمد بك رمزي أخذ مكان جامع الأسيوطي (ابن البارزي) بالموضع الذي أقيم عليه الجامع المعروف الآن بجامع الأخرس (نسبة إلى الشيخ محمد الأخرس المدفون فيه) بشارع الشببية الجواني ببولاق. وبعد خرابه اغتصبت بعض أصحاب الأملاك المجاورة له جزءًا منه. واشتد رمزي بك على ذلك بأن جامع الأسيوطي (ابن البارزي) مبني على خريطة القاهرة التي رسمها علماء الحملة الفرنسية باسم «جامع البارزي» (خريطة بولاق برقم ٨٤). (أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٤٢-٢٤٣ هـ).

محمد بن إبراهيم بن عمر الشيوطي ناظر بيت المال^(a) في سنة أربع وأربعين وسبع مائة^(a)، ومات في سنة تسع وأربعين وسبع مائة. ^(a) وكان يُباشِر شهادة دواوين^١ الأمراء وولي نظر بيت المال^(a). ثم جدد عمارته بعدما تهدم وزاد فيه ناصر الدين محمد بن محمد بن عثمان بن محمد، المعروف بابن البارزي الحموي^٢ كاتب السر، وأجرى فيه الماء، وأقام فيه الخطبة يوم الجمعة ثالث^(b) / عشرين جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثمان مائة. فجاء في أحسن هندام وأبدع زبي، وصلى فيه السلطان الملك المؤيد شيخ الجمعة في أول جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين وثمان مائة^٣.

الجامع الناصري حسن^(c)

[أثر رقم ١٣٣]

١٠ هذا الجامع يُعرف بمدرسة السلطان حسن^٤. وهو تجاه قلعة الجبل فيما بين القلعة وبركة الفيل،

(a-a) إضافة من المستوذة. (b) بولاق: سادس. (c) بولاق: جامع الملك الناصر حسن.

والبخرة التي بوسطه، فإنه - أعز الله أنصاره - وقف ذلك جميعه - خلا البخرة - مشجداً لله تعالى جامعاً تُقام فيه الصلوات والجمع والأعياد والجماعات ويُتَكف في على الطاعات ويُتلى فيه كتاب الله الكريم ويُذَكَّر فيه اسمه العظيم ويُستَقَل فيه بالعلم الشريف ويجعل حكمه محكم المساجد العايزة، والإيوان القبلي منه (أي إيوان القبلة) جعله أيضاً لإقامة الخطبة وقراءة المصحف الكريم، ولجلوس الشافعية مع مدرّسهم لأداء وظيفة الدرس العام فيه، وأوضح الواقف ذلك بعبارة أخرى فقال بعد قليل: «وأما المكان الذي بالجهة الشرقية من الإيوان القبلي المذكور فوقف الإيوان الذي بصدره الجراب منه مشجداً لله تعالى تُقام فيه الصلوات... ووقف بقية المكان المذكور مدرسة لاشتغال طلبة العلم الشريف على مذهب الإمام الشافعي - رضي الله عنه - ولاشترار الخمسين نفر المشروط إقامتهم بها». وكرر ذلك بالنسبة للأواوين =

^١ المقرئ: السلوك ٢: ٧٩٧؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٤٢.

^٢ توفي ناصر الدين ابن البارزي في سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م. (المقرئ: المقفى الكبير ٧: ٧١-٧٢، درر العقود الفريدة ٣: ١١٥-١١٧، السلوك ٤: ٥٤٥. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤: ١٦١؛ السخاوي: الضوء اللامع ٩: ١٣٧).

^٣ المقرئ: السلوك ٤: ٥٢٩.

^٤ هذا المبنى الذي شيده السلطان الناصر حسن كانت له - كما جاء في وثيقة وقفه - وظيفتان: وظيفة الجامع - وهي الأضل - ووظيفة المدرسة، لذلك ذكره المقرئ مع المساجد الجامعة وقال إنه الجامع المعروف بمدرسة السلطان حسن، فقد جاء بالوثيقة: «وأما المكان الكبير المجاور للقبعة المذكورة من الجهة البحرية، المشتمل على الأواوين الأربعة والصحن

كان موضعه بيت الأمير يلبغا اليحياوي الذي تقدم ذكره عند ذكر الدور^١.

ابتدأ السلطان عمارته في سنة سبع وخمسين وسبع مائة، وأوسع دوره، وعمله في أكبر قالب وأحسن هندام وأضحى شكل، فلا يُعرف ببلاد الإسلام مقبداً من معايد المسلمين يحكي هذا الجامع^٢، أقامت العماره فيه مدة ثلاث سنين لا تبطل يوماً واحداً، وأرصد لمصروفها في كل يوم عشرون ألف درهم: عنها نحو ألف مثقال ذهباً.

ولقد أخبرني الطواشي مقبل الشامي أنه سمع السلطان حسناً يقول: انصرف على القالب الذي بُني عليه عقدة الإيوان الكبير مائة ألف درهم نقره. وهذا القالب مما رُمي على الكيمان بعد فراغ العقد المذكور. قال: وسمعت السلطان يقول: لولا أن يقال ملك مصر عجز عن إتمام بناءه لترك بناء هذا الجامع من كثرة ما صرف عليه.

الظاهر، المتوفى سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م، الذي يقول: «وأما مدرسة السلطان حسن تجاه القلعة المنصورة فليس لها نظير في الدنيا... وهي عجيبة من عجائب الدنيا، سئك جدارها ثمانية عشر ذراعاً بالمصري» (زبدة كشف الممالك ٣١)؛ وابن إياس، المتوفى سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٤م، يقول: «من أراد أن يعلم علو قدر السلطان حسن فليظنر علو هيئته في بناء هذه المدرسة التي لم يُن على وجه الأرض مثلها أبداً، وقد فاق أباه وجدّه في الحرمة والكلمة والنظام العظيم» (بدائع الزهور ١/٥٦١). وقال عنه جومار Jomard - أحد العلماء المصاحبين للحملة الفرنسية - : «وهذا الجامع من أجمل مباني القاهرة والإسلام، ويستحق أن يكون في الرتبة الأولى من مراتب العمارة العربية بفضل قيمه العالية وارتفاع مثنته وعظم اتساعه وفخامة وكثرة زخارفه التي تكسو الأرضية والحواطط... ويبدو أن مهندس هذا الجامع كان مُجبراً على البناء على أرض غير منتظمة، ولكنه تجبّب بمهارة فائقة عدم انتظام الخطوط المنحرفة التي واجهته... ومدخله المطل على شارع سوق السلاح في غاية الضخامة - رغم عدم استقامته - ولا شك أن آثره كان سيكون أقوى من ذلك لو كان هناك ميدان أمام هذا الباب ثمائل للعيّدان الموجود تجاه القلعة» (وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل ١٦٩، ١٧٠، ١٧١).

= الثلاثة الأخرى التي خصّصت للمالكية والحنابلة، كما حدّد الواقف قبعة ما يُصرف في كل شهر للمعيدين والطلبة والمدّرسين ونقباء الدّرس. (راجع، محمد محمد أمين: «وثائق وقف السلطان الملك الناصر حسن بن محمد ابن قلاوون على مصالح القبة والمسجد الجامع والمدارس ومكتب السبيل بالقاهرة» نشرها في نهاية الجزء الثالث من كتاب «تذكرة النبيه» في أيام المنصور وبنه» لابن حبيب، القاهرة ١٩٨٦، ٥١-٥٣؛ هويدا الحارثي: كتاب وقف السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون على مدرسته بالرميلة، النشرات الإسلامية - ٤٥، بيروت ٢٠٠١، ١٤٨-١٥٠؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: «العلم بين المسجد والمدرسة» في كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، تاريخ المصريين - ٥١، القاهرة ١٩٩٢، ٢٦-٤٤؛ وانظر رأياً مخالفاً عند، محمد حمزة الحداد: «العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري للمدرسة في العصر المملوكي»، المرجع نفسه ٣٣٣-٣٣٥).

^١ فيما تقدم ٢٣٣:٣-٢٣٤.

^٢ لفت هذا الجامع - المدرسة - انتباه جميع المؤرخين والرحالة الذين بهرتهم فخامة المبنى وضخامته وسجلوا إعجابهم به، مثل المقرئ، ومنهم خليل بن شاهين

وفي هذا الجامع عجائب من البنيان منها : أن ذرع إيوانه الكبير خمسة وستون ذراعاً في مثلها - ويُقال إنه أكبر من إيوان كسرى الذي بالمداين من العراق بخمسة أذرع - ومنها القبة العظيمة التي لم يُبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها ، ومنها المنبر الرخام الذي لا نظير له ، ومنها البوابة العظيمة ، ومنها المدارس الأربع التي بدور قاعة الجامع إلى غير ذلك ^١ .

وكان السلطان قد عزم على أن يبني أربع منائر يؤذن عليها ، فتمت ثلاث منائر ^(a) ، إلى أن كان يوم السبت سادس شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وسبع مائة ، فسقطت المنارة التي على الباب ، فهلك تحتها نحو ثلاث مائة نفس من الأيتام الذين كانوا قد رُتبوا بمكتب السبيل الذي هناك ومن غير الأيتام ، وسلم من الأيتام ستة أطفال ، فأبطل السلطان بناء هذه المنارة وبناء نظيرتها ، وتأخر هناك منارتان هما قائمتان إلى اليوم . ولما سقطت المنارة المذكورة ، لهجت عامة مصر والقاهرة بأن ذلك مُنذر بزوال الدولة ^٢ ، فقال الشيخ بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي ابن محمد الشبكي في سقوطها :

[البيط]

أبشِرْ فَسَعْدُكَ يَا سُلْطَانَ مِصْرَ أَتَى	بَشِيرُهُ بِمَقَالٍ سَارٍ كَالْمَثَلِ
إِنَّ الْمَنَارَةَ لَمْ تَسْقُطْ لِمَقْصَةٍ	لَكِنْ لِسِرِّ خَفِيٍّ قَدْ تَبَيَّنَ لِي
مِنْ تَحْتِهَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمَعْتَ	فَالْوَجْدُ فِي الْحَالِ أَذَاهَا إِلَى الْمَثَلِ
لَوْ أَنْزَلَ اللَّهُ قُرْآنًا عَلَى جَبَلٍ	تَصَدَّعَتْ رَأْسُهُ مِنْ شِدَّةِ الْوَجَلِ
تِلْكَ الْحِجَارَةُ لَمْ تَنْقُضْ بَلْ هَبَطَتْ	مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ لَا لِلضَّعْفِ وَالخَلَلِ
وْغَابَ سُلْطَانُهَا فَاسْتَوْحِشْتَ وَرَمْتَ	بِنَفْسِهَا لَجَوَى فِي الْقَلْبِ مَشْتَعِلِ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَظَّ الْعَيْنِ زَالَ بِمَا	قَدْ كَانَ قَدْرَهُ الرَّحْمَنُ فِي الْأَزَلِ
لَا يَغْتَرِي الْبُؤْسُ بَعْدَ الْيَوْمِ مَدْرَسَةٌ	شِيدَتْ بُيَانَهَا بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ
وَدُمْتَ حَتَّى تَرَى الدُّنْيَا بِهَا امْتَلَات	عِلْمًا فَلَيْسَ بِمَضْرٍ غَيْرِ مُشْتَغَلِ

فاتفق قتل السلطان بعد سقوط المئذنة ^(b) بثلاثة وثلاثين يوماً . ومات السلطان قبل أن يتم رخام

(a) بولاق : منابر . (b) بولاق : المنارة .

^١ انظر كذلك الوصف التفصيلي الذي قدمه الحسن بن عمر بن حبيب ، الذي عاصر بناء الجامع . (ابن حبيب :
^٢ المقرئزي : السلوك ٣ : ٦٠ . تذكرة النبيه ٣ : ٢٠٩ - ٢١٠) .

هذا الجامع، فأتمه من بعده الطواشي بشير الجمدار^١. وكان قد جعل السلطان على هذا الجامع أوقافاً عظيمة جداً، فلم يترك منها إلا شيء يسير، وأقطع أكثر البلاد التي وقفت عليه بديار مصر والشام لجماعة من الأمراء وغيرهم^٢.

وصار هذا الجامع ضيماً لقلعة الجبل قلماً تكون فتنة بين أهل الدولة إلا ويصعد عدّة من الأمراء وغيرهم إلى أعلاه، ويصير الرمي منه على القلعة. فلم يحتمل ذلك الملك الظاهر برفوق، وأمر فهدمت الدرج التي كانت تُصعد إلى المنارتين والبيوت التي كان يسكنها الفقهاء، ويتوصل من هذه الدرج إلى السطح الذي كان يُرمى منه على القلعة، وهدمت البسطة العظيمة والدرج التي كانت بجانيبي هذه البسطة التي كانت قدام باب الجامع حتى لا يمكن الصعود إلى الجامع. وسد من وراء الباب النحاس الذي لم يعمل فيما عهد باب مثله، وفتح شبّاك من شبّايك أخذ مدارس هذا الجامع، ليتوصل منه إلى داخل الجامع عوضاً عن الباب المسدود. فصار هذا الجامع تجاه باب القلعة المعروف بباب السلسلة^٣، وامتنع صعود المؤذنين إلى المنارتين، وبقي الأذان على درج هذا الباب. وكان ابتداء هدم ما ذكر في يوم الأحد ثامن صفر سنة ثلاث وتسعين وسبع مائة^٤.

Sultan Hassan au Caire, Le Caire 1899 (نقله إلى العربية علي بهجت بعنوان: جامع السلطان حسن بمصر القاهرة، القاهرة ١٩٠٢)؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٢٣:٩ هـ؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٥٥٩-٥٦١، ٥٧٥؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١٦٥-١٨١؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ٢٧٦-٢٩٠ Osman Rostem, *The Architecture of the Mosque of Sultan Hasan, Beirut 1970* زغلول قاسم: مدرسة السلطان حسن (٧٥٧-٧٦٤ هـ/١٣٥٦-١٣٦٢ م)، رسالة ماجستير بجامعة القاهرة ١٩٧٧؛ al-Harithy, H., «The Complex of Sultan Hasan in Cairo. Reading between the Lines», *Muqarnas* 13 (1996), pp. 68-79 أطلس العمارة الإسلامية ٢: ١١٤١-١١٦٢.

^٣ انظر عن باب السلسلة، فيما تقدم ٣: ٦٨٨ هـ.

^٤ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٢: ١٨.

^١ توجد أربع لوحات من الرخام أعلى كل باب من أبواب المدارس الأربعة الموجودة في زوايا الصحن أضيفت بعد وفاة السلطان حسن من عمل الطواشي بشير الجمدار تحمل نصاً واجداً هو:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة مؤلانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر حسن ابن مؤلانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر محمد ابن قلاوون، وذلك في شهر سنة أربع وستين وسبع مائة. (van Berchem, M., *CIA Égypte I, n° 168*;) (Kallus, L., *RCEA, XVII, n° 764 002*).

^٢ راجع فيما تقدم ٢٦٩-٢٧٠ هـ، حيث ذكرت وثائق الوقف الخاصة بالجامع - المدرسة وتاريخ نشرها.

وانظر عن تاريخ الجامع ووصف عمارته، ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ٢٠٩-٢١٠؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤: ١٧٤-١٨١ Herz Pacha, M., *La Mosquée du*

ثم لما شرع السلطان الملك المؤيد شيخ في عمارة الجامع بجوار / باب زويلة ، اشترى هذا الباب النحاس والثور النحاس الذي كان معلقاً هناك بخمس مائة دينار^١ ، ونُقِلَ في يوم الخميس سابع عشرين شوال سنة تسع عشرة وثمان مائة ، فركب الباب على البوابة ، وعُلِقَ الثور تجاه المحراب^٢ .

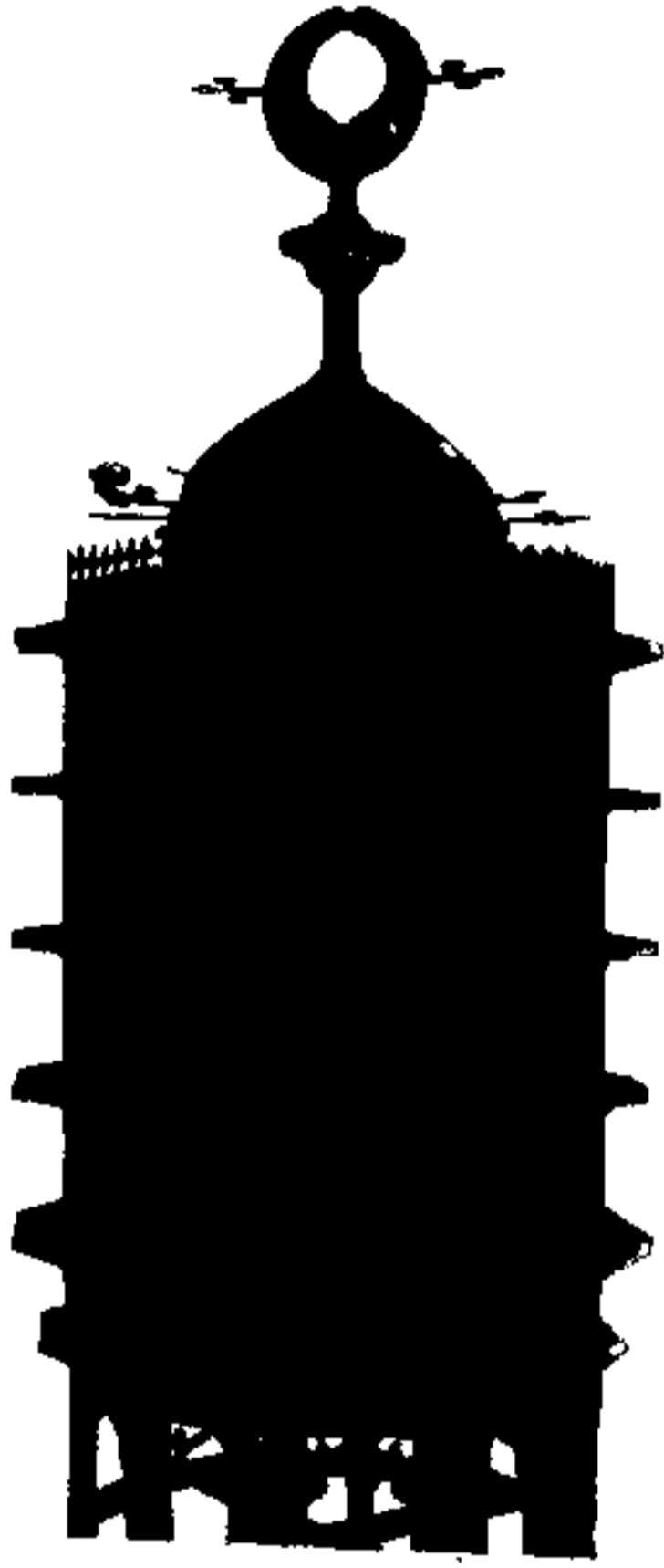
فلما كان في يوم الخميس تاسع شهر رمضان سنة خمس وعشرين وثمان مائة ، أُعيد الأذان في المئذنتين كما كان ، وأعيد بناء الدرج والبسطة ، وركب باب بدل الذي أخذه المؤيد ، واستمر الأمر على ذلك .

الملك الناصر أبو المعالي الحسن بن محمد

ابن قلاوون^٣ - جلس على تخت الملك

الناصر حسن

وعمره ثلاث عشرة سنة ، في يوم الثلاثاء رابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبع مائة ، بعد أخيه الملك المظفر حاجي وأزكب من باب الستارة بقلعة الجبل ، وعليه شعار السلطنة ، وفي ركابه الأمراء ، إلى أن نزل بالإيوان السلطاني . ومدبرو الدولة يومئذ : الأمير بييغا روس^(a) ، والأمير الجيغنا المظفري ، والأمير شيخو ، والأمير طاز ، وأحمد شاذ الشراب خاناه ، وأزغون الإسماعيلي .



الثور النحاس الخاص بجامع
السلطان حسن

(a) بولاق : بليغا روس .

^١ أربع وستين وسبع مائة . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤٣:١٤ - ٤٤ ؛ وفيما يلي ٣٢٩:٢ van Berchem, M., CIA Égypte I, n° 238; Kallus, L., RCEA, (XVII, n° 764 011).

^٢ انظر ترجمة السلطان الناصر حسن وأخباره عند، الصفدي : أعيان العصر ٢:٢٤٧ - ٢٥٥ ، الوافي بالوفيات ١٢:٢٦٦ - ٢٦٧ ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه =

فيما يلي ٣٤٢ ، وهذا الثور محفوظ الآن بمتحف الفن الإسلامي (انظر اللوحة) .

^٢ ولا يزال هذا الباب موجوداً إلى الآن بجامع المؤيد شيخ داخل باب زويلة (انظر اللوحة) ، وعليه النص التالي :

«أمر بإنشاء هذا الباب المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى مولانا السلطان الشهيد أبو المعالي حسن بن مولانا السلطان الشهيد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وذلك في سنة

فخلع على بيبغا روس^(a) واستقر في نيابة السلطنة بديار مصر عوضاً عن الحاج أرقطاي ، وقُرر أرقطاي في نيابة السلطنة بحلب ، وخلع على الأمير سيف الدين منجك اليوسفي واستقر في الوزارة والأستاذارية ، وقُرر الأمير أرغون شاه في نيابة السلطنة بدمشق .

فلما دخلت سنة تسع وأربعين كثر انكشاف الأراضي من ماء النيل بالبر الشرقي ، فيما يلي بولاق إلى مصر ، فاهتم الأمراء بسد البحر مما يلي الجيزة ، وقوض ذلك للأمير منجك ، فجمع مالا كثيراً وأنفقه على ذلك فلم يُفد ، فقُبض على منجك في ربيع الأول .

وحدثت الوباء العظيم في هذه السنة^(١) ، وأخرج أحمد شاد الشراب خاناه لنيابة صفد ، وألجبيغا لنيابة طرابلس . فاستمر ألجبيغا بها إلى شهر ربيع الأول سنة خمسين ، فركب إلى دمشق ، وقتل أرغون شاه بغير مرسوم ، فأُتكر عليه وأمسك ، وقتل بدمشق .

وفي سنة إحدى وخمسين سار من دمشق عسكر عدته أربعة آلاف فارس ، ومن حلب ألفا فارس إلى مدينة سنجار ، ومعهم عدة كثيرة من التركمان ، فحصروها مدة حتى طلب أهلها الأمان ثم عادوا . وترشد السلطان ، واستبد بأمره ، وقبض على منجك وبيبغا روس^(a) ، وقبض بمكة على الملك المجاهد صاحب اليمن وقيد وحمل إلى القاهرة فأطلق ، ثم سجن بقلعة الكرك .

فلما كان يوم الأحد سابع عشر جمادى الآخرة ، ركب الأمراء على السلطان - وهم طاز وإخوته ، وبيبغا الشمسي^(b) ، وبيغرا - ووقفوا تحت القلعة ، وصعد الأمير طاز وهو لا يس إلى القلعة في عدة وافرة ، وقبض على السلطان وسجنه بالدور ، فكانت مدة ولايته ثلاث سنين وتسعة أشهر . وأقيم بدله أخوه الملك الصالح صالح .

فأقام السلطان حسن منجمعا^(c) على الاشتغال بالعلم ، وكتب بخطه نسخة من كتاب « دلائل النبوة » للبيهقي ، إلى يوم الاثنين ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبع مائة ، فأقامه الأمير شيخو

(a) بولاق : يلبغا روس . (b) بولاق : يلبغا الشمسي . (c) بولاق : مجمعا .

٣٣٨ ، المنهل الصافي ١٢٥:٥ - ١٣٢ ؛ Holt P. M., *EI* .
art. *al-Nâsir Hasan VII*, pp. 994

^١ انظر عن الوباء العظيم أو الفناء الكبير ، فيما تقدم

٢٢٤:٢ هـ .^١

= ١٠٢:٣ - ١٤٧ ، ١٧٦ - ٢٣٩ ؛ الفاسي : العقد الثمين

١٨٠:٤ - ١٨١ ؛ المقرئزي : السلوك ٧٤٥:٢ - ٨٤٣ ،

١٠:٣ - ٦٣ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ١٢٤:٢ - ١٢٥ ؛

أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠:١٨٧ - ٢٥٣ ، ٣٠٢ -

العُمري في السُلطنة وقَبَضَ على الصَّالِح - وكانت مدَّة سَجْنِهِ ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يومًا - فرَسَمَ بِإمْسَاكِ الأمير طاز وإخراجه لِنِيَابَةِ حَلَب .

وفي ربيعِ الأوَّل سنة سبع وخمسين ، هَبَّت رِيحٌ عاصِفَةٌ من ناحية الغرب - من أوَّل النَّهار إلى آخر اللَّيْلِ - اصْفَرَّتْ منها الجَوْثُ ثم احْمَرَّتْ ثم اسْوَدَّتْ ، فَتَلِفَ منها شيءٌ كثيرٌ .

وفي شَعْبَانَ سنة تسع وخمسين ضَرَبَ الأميرُ شَيْخو بعضُ المماليك بسَيْفٍ ، فلم يَزَلْ عَلِيلاً حتى مات .

وفي سنة تسع وخمسين ، كان ضَرَبُ الفُلُوسِ الجُدِّدِ ، فَعَمِلَ كُلُّ فُلْسٍ زِنَةَ مِثْقَالٍ^١ ، وَقَبِضَ على الأمير طاز نَائِبَ حَلَبٍ وَشَجِنَ بالإسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَقُرِّرَ مَكَانَهُ فِي نِيَابَةِ حَلَبِ الأميرِ مَنْجُكِ اليُوسُفِيِّ ، وَأَمْسَكَ الأميرُ صَرَعْتُمُشَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْهَا ، وَكَانَتْ حَرْبٌ بَيْنَ مَمَالِيكِهِ وَمَمَالِيكِ السُّلْطَانِ انْتَصَرَ فِيهَا المَمَالِيكُ السُّلْطَانِيَّةُ ، وَقَبِضَ على عِدَّةِ أُمَرَاءَ ، فَأَنْعَمَ السُّلْطَانُ على مَمْلُوكِهِ يَلْبُغَا العُمري الخَاصِكي بِتَقْدِيمَةِ أَلْفِ ، عِوَضًا عَنِ تَنْكِزِ بَغَا المازدِينِيِّ أميرِ مَجْلِسِ بِحُكْمِ وَفَاتِهِ .

وفي سنة ستين فَرَّ مَنْجُكُ مِنْ حَلَبٍ فلم يُوقَفْ لَهُ على خَبَرٍ . فَأَقْرَعَ على نِيَابَةِ حَلَبِ الأميرِ بَيْدَمُرَ الخُوَارِزْمِيِّ ، وَسَارَ لِعَزْوِ سَيْسِ ، فَأَخَذَ أَدَنَةَ بِأَمَانٍ ، وَأَخَذَ طَرُشُوسَ والمُصَيِّصَةَ وَعِدَّةَ بِلَادٍ ، وَأَقَامَ بِهَا نُوَابًا وَعَادًا . فَلَمَّا كَانَتْ سِنَةُ اثْنَتَيْنِ وَسِتِينَ عَدَّى السُّلْطَانُ إلى بَرِّ الجِيْزَةِ ، وَأَقَامَ بِنَاحِيَةِ كُومِ بَرًّا مَدَّةً طَوِيلَةً لَوَبَائِهِ كَانِ بِالقَاهِرَةِ . فَتَنَكَّرَ الحَالُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الأميرِ يَلْبُغَا إلى لَيْلَةِ الأربَعَاءِ تاسِعِ جُمَادَى الأُولَى ، فَزَكِبَ السُّلْطَانُ فِي جَمَاعَةٍ لِيَكْبِسَ على الأميرِ يَلْبُغَا - وَكَانَ قَدْ أَحْسَسَ بِذَلِكَ وَخَرَجَ عَنِ الخِيَامِ ، وَأَكْمَنَ^(a) بِمَكَانٍ وَهُوَ لا يَسُرُّ فِي جَمَاعَتِهِ - فلم يَظْفَرَ السُّلْطَانُ بِهِ وَرَجَعَ . فَتَارَ بِهِ يَلْبُغَا فَانْتَكَمَرَ مِنْهُ^(b) ، وَفَرَّ يُرِيدُ قَلْعَةَ الجَبَلِ ، فَتَبِعَهُ يَلْبُغَا ، وَقَدْ انْضَمَّ إِلَيْهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ ، وَدَخَلَ السُّلْطَانُ إلى

(a) بولاق : كمن . (b) بولاق : بمن معه .

كالماء ، ثم يُخْرَجُ فَيَضْرَبُ قُضْبَانًا ، ثُمَّ يُقَطَّعُ قِطْعًا صِغَارًا ، ثُمَّ تُرَوِّعُ وَتُسَكُّ بِالسُّكَّةِ السُّلْطَانِيَّةِ وَيَسْكُتُهَا أَنْ يَكْتُبَ على أَحَدِ وَجْهَيْهَا اسْمُ السُّلْطَانِ وَلَقَبُهُ ، وَعَلَى الأخرِ اسْمُ بَلَدِ ضَرْبِهِ وَتَارِيخُ السَّنَةِ الَّتِي ضُرِبَ فِيهَا . قَالَ القَلْقَشَنْدِيُّ : « وَيَطَّلُ مَا عَدَاهَا مِنَ الفُلُوسِ ، وَهِيَ أَكْثَرُ مَا يَتَعَامَلُ بِهِ أَهْلُ زَمَانِنَاهُ . » (القَلْقَشَنْدِيُّ : صَبْحُ الأَعْشَى ٣ : ٤٣٩ - ٤٤٠ ، ٤٦٣ - ٤٦٤ ؛ المَقْرِزِيُّ : السُّلُوكُ ٣ : ٣٩) .

^١ كانت الفُلُوسُ قَبْلَ سِنَةِ ٧٥٩ هـ يُعْتَبَرُ كُلُّ ثَمَانِيَةِ وَأَرْبَعِينَ فُلْسًا مِنْهَا بِدَرَاهِمٍ مِنَ الثَّقَرَةِ على اِخْتِلَافِ السُّكَّةِ فِيهَا ، ثُمَّ أُخْدِثَتْ فِي سِنَةِ ٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م - بِإِشَارَةِ الأميرِ صَرَعْتُمُشَ - فُلُوسٌ شَهْرَتْ بِ«الجُدِّدِ» جَمْعُ جَدِيدِ زِنَةُ كُلِّ فُلْسٍ مِنْهَا مِثْقَالٌ ، وَكُلُّ فُلْسٍ مِنْهَا قِيرَاطٌ مِنْ أَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ قِيرَاطًا مِنَ الدَّرَاهِمِ ، أَيُّ كُلُّ أَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ فُلْسًا بِدَرَاهِمِ فِضَّةٍ . وَطَرِيقَةُ عَمَلِهَا أَنْ يُسَبَّكَ الثُّحَاسُ الأَحْمَرُ حَتَّى يَصِيرَ

القلعة فلم يثبت ، وركب معه أيدمر الدوادار ليتوجه إلى بلاد الشام ، ونزل إلى بيت الأمير شرف الدين موسى بن الأزكشي أمير حاجب ، فبعث في الحال إلى الأمير يلْبغا يُعلمه بمجيء السلطان إليه ، فبعث من قبضه هو والأمير أيدمر . ومن حينئذ لم يوقف له على خبير البتة ، مع كثرة فحص أتباعه / وخواشيه عن قبره وما آل إليه أمره . فكانت مدة ولايته هذه الثانية ست سنين وسبعة أشهر وأياما .

وكان ملكا حازما مهابا شجاعا ، صاحب حُرمة وإفرة وكلمة نافذة ودين متين ، حلف غير مرة أنه ما لاط ولا شرب خمرًا ولا زنى . إلا أنه كان يتحل ، ويُعجب بالنساء ولا يكاد يضرب عنهن ، ويُبالغ في إعطائهن المال ^١ .

وعادى في دولته أقباط مصر ، وقصد اجنثات أصلهم ^٢ ، وكرة المماليك ، وشرع في إقامة « أولاد الناس » ^٣ أمراء ، وترك عشرة بنين وست بنات . وكان أشقر أتمش ، وقُتل وله من العمر

أقصاهم من طبقة المماليك حيث كان المماليك فقط هم الذين يُسمح لهم بالاستمتاع بثروة البلد وتولى السلطتين السياسية والعسكرية ، فإنهم لم يرثوا إقطاعات آبائهم وأضحكت فرصهم في التقدّم لشغل الوظائف العليا محدودة ، لذلك فإن عددًا كبيرًا منهم ترك حياة الخدمة وامتتهن دراسة الفقه والأدب وكتابة التاريخ . (راجع ، Ayalon, D., *El² art. Awlâd al-Nâs I*, p. 788; Haarmann, U., «The Sons of Mamluks as Fief-Holders in Late Medieval Egypt» in T. Khalidi (ed.), *Land Tenure and Social Transformation in the Middle East*, Beirut 1984, pp. 141-68; id., «Arabic in Speech, Turkish in Lineage: Mamluks and their Sons in the Intellectual Life of Fourteenth - Century Egypt and Syria» *JSS* 33 (1988), pp. 81-114; id., «Joseph's Law. The Careers and Activities of Mamluk Descendants before the Ottoman Conquest of Egypt» in Th. Philipp and U. Haarmann (eds.), *The Mamluks in Egyptian Politics and Society*, Cambridge 1999, pp. 55-84; Richards, D. S., «Mamluk Amirs and their Families and Households» in Th. Philipp and U. Haarmann (eds.), *op.cit.*, pp. 32-54

^١ المقريري : السلوك ٦١:٣-٦٢ .

^٢ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١ : ٥٧٨ .

^٣ أولاد الناس . هم أبناء السلاطين وأبناء أمراء المماليك الذين وُلدوا أحرارًا مسلمين ونشأوا داخل حدود السلطنة المملوكية ويحملون أسماء عربية . فنظرنا لأن المماليك كانوا يُشكّلون مُجتمعًا مُغلقًا يتكوّن من الرقيق - وعلى الأخص من الأتراك والشراكسة - الذين أُسروا صغارًا في دار الحرب ولا يحملون أسماء عربية ، ثم تحوّلوا إلى الإسلام وأعتقوا بعد اجتيازهم العديد من التدرجات العسكرية اللازمة التي تؤهلهم ليكونوا جنودًا محترفين . وبما أن هذه الصفات لا يمكن توريثها فإن أبناءهم الذين وُلدوا أحرارًا مسلمين انتموا إلى وُحدة من غير المماليك أطلق عليها «مُجند الحلقة» (فيما تقدم ٧٠٠:٣) كانوا يكوّنون الطبقة العليا بينهم . وكان «أولاد الناس» لا يصلون إلى مرتبة أعلى من أمير عشرة أو أمير طبخانة (قارن ، المقريري : السلوك ٣: ٢٧٤-٢٧٥ ، ٦٢٤-٦٢٥ ، ٧٥٤) فيما عدا استثناءات قليلة مثل ما فعله السلطان الناصر حسن الذي «كره المماليك وشرع في إقامة أولاد الناس أمراء» . ونظرنا لأن وضعهم بطبيعته

يَضَعُ وعشرون سنة ، ولم يكن قبله ولا بعده في الدولة التُّرْكِيَّة مثله .

جامع القرافة

هذا الجامع يُعرف الآن بـ «جامع الأولياء» وهو بالقرافة الكبرى ، وكان موضعه يُعرف في القديم عند فتح مصر بخطَّة المعافير^(a) ، وهو مسجدُ بني عبد الله بن ماتب بن مؤزِع ، يُعرف بمسجد القبة^١ .

قال القضاعي : كان القراء يحضرون فيه ، ثم بُني عليه المسجد الجامع الجديد بنته السيدة المعزية في سنة ست وستين وثلاث مائة - وهي أم العزيز بالله نزار ولد المعز لدين الله : أم ولد من المغرب^(b) يُقال لها تغريد ، وتُدعى دُززان - وبنته على يد الحسن بن عبد العزيز الفارسي المحتسب^٢ في شهر رمضان من السنة المذكورة . وهو على نحو بناء الجامع الأزهر بالقاهرة .

وكان بهذا الجامع بُستانٌ لطيفٌ في غربه وصهريج . وبابه - الذي يُدخل منه ذو المساطب الكبير الأوسط ، تحت المنار العالي الذي عليه ، مُصَفَّحٌ بالحديد إلى حُضرة المِحْرَاب . والمَقْصُورة من عِدَّة أبواب ، وعِدَّتُها أربعة عشر بابًا مربعة مَطْوِيَّة^(c) الأبواب ، قُدَّام كلِّ بابٍ قَنْطَرَةٌ قَوْسٍ على عمودي زُخَامٍ ثلاثة ضُفُوف . وهو مُكَنَّدَجٌ مُزَوَّقٌ باللازورد والزنجفر والزنجار وأنواع الأصباغ ، وفيه مواضع مَدُهُونَةٌ ، والسَّقُوفُ مزوَّقةٌ ملوَّنةٌ كُلُّها ، والحنايا والعُقُود التي على العُمُد مزوَّقة

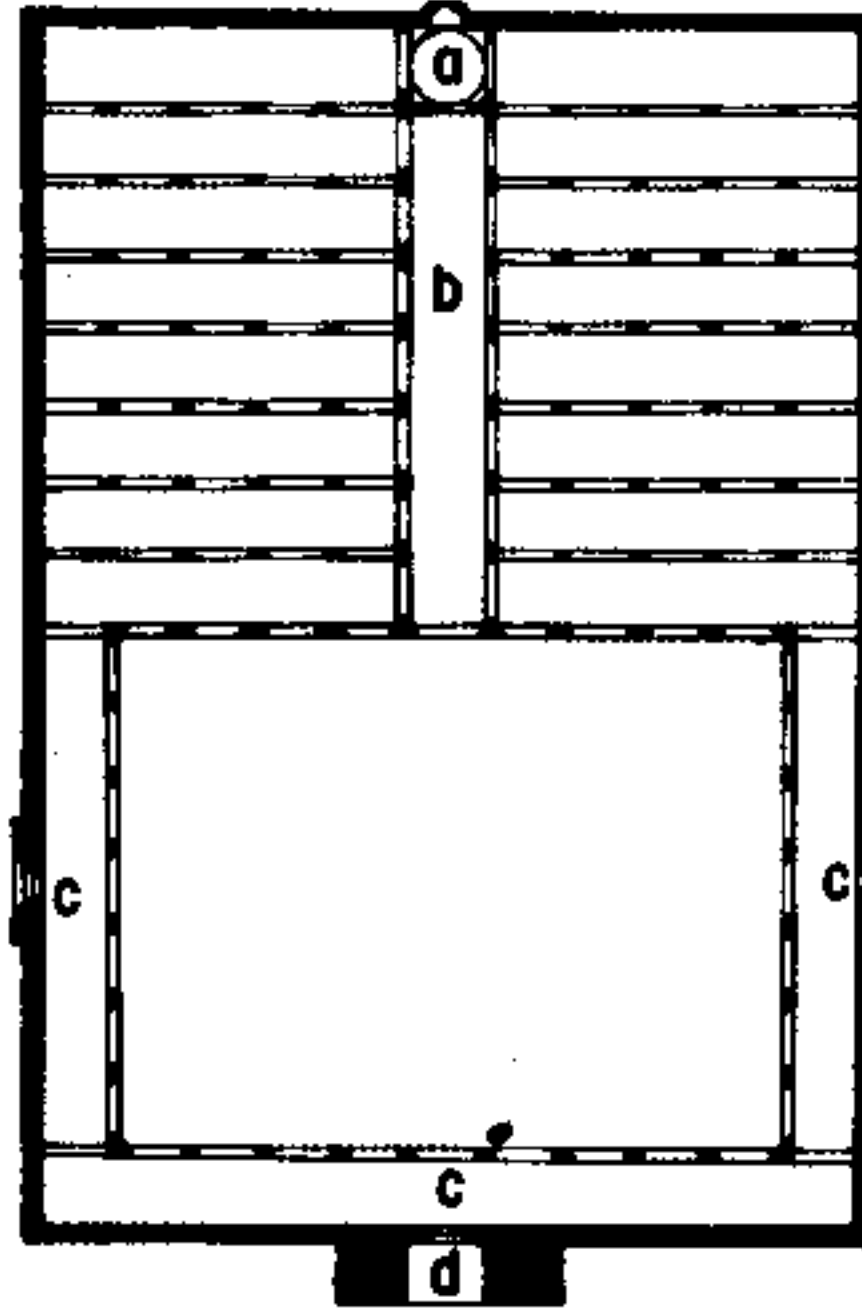
(a) بولاق : المغافر . (b) بولاق : العرب . (c) بولاق : مَطْوِيَّة .

^١ جامع القرافة المعروف بـ «جامع الأولياء» ، يقع في الطرف الجنوبي للقرافة الكبرى عند الحد الجنوبي الشرقي للقسطاط قبلي عين الصيرة ، شاهد منه علي مبارك في نهاية القرن التاسع عشر بعض جذرائه ، وصار هو وما حوله مقابر على صورة حوش كبير اشتهر بـ «حوش الأولياء» و«حوش أبي علي» . ويقع بجواره من الجهة البحرية الأطلال المعروفة بـ «الحضرة الشريفة» المسجلة بالآثار برقم ٤٧٤ . (راجع ، (Fu'ad Sayyid, A., op.cit., p. 646

^٢ الحسن بن عبد العزيز الفارسي المحتسب هو المشرف على بناء الجامع لا مهندس الجامع كما ظنَّ بعض الباحثين ، فكانت مهمته مثل مهمة «شاذ القماير» أو «ناظر العماراة» في العصر المملوكي .

ويوجد في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة نقشٌ على الحجر كُتِبَ في منطقة إسطنبول عتتر نحو سنة ١٩٣٠ ،

بأنواع الأصباغ من صنعة البصريين وبني المعلم المزوقين شيوخ الكتامي والنازوك .



مُخَطَّط افتراضي لجامع القرافة (عن J. M. Bloom)

وكان قبالة الباب السابع من هذه الأبواب قنطرة قوس مزوقة، في منحني حافتيها شاذروان مدرج بدرج، وآلات سود وبيض وحمير وخصر وزرق وصفير. إذا تطلع إليها من وقف في سهم قوسها، شائلا رأسه إليها، ظن أن المدرج المزوق كأنه خشب كالمقرنص. وإذا أتى إلى أحد قطري القوس نصف الدائرة، وقف عند أول القوس منها ورفع رأسه، رأى ذلك الذي توهمته مسطحًا لا ثنؤ فيه، وهذه من أفسح الصنائع عند المزوقين. وكانت هذه القنطرة من صنعة بني المعلم، وكان الصنائع يأتون إليها ليعملوا مثلها فما يقدرُونَ^١.

وقد جرى مثل ذلك للقصير وابن عزي في أيام اليازوري، سيد الوزراء الحسن بن علي ابن عبد الرحمن، وكان كثيرًا ما يُحرض بينهما، ويُغري بعضهما على بعض، لأنه كان أحب ما إليه

^١ حاول جوناثان بلوم، اعتمادًا على وصف القضاعي - الذي أوردته القريري هنا - أن يعيد تصور جامع القرافة (The Mosque of the Qarâfa in Cairo), *Muqarnas* 4 (1987), pp. 7-20، ولكنه وقع في العديد من الأخطاء نتيجة

للصحيفات الموجودة في طبعة بولاق جعلته يُقدِّم تخطيطًا افتراضيًا للجامع لا يجعل له مقدنة وإنما منور علوي بنوافذ. (راجع، Ragib, Y., «La mosquée d'al-Qarâfa et Jonathan M. Bloom», *Arabica* (XLI (1994), pp. 419-21).

كِتَابٌ مُصَوِّرٌ أَوْ النَّظَرُ إِلَى صُورَةٍ أَوْ تَزْوِيقٍ. وَلَمَّا اسْتَدْعَى ابْنَ عَزِيزٍ مِنَ الْعِرَاقِ فَأَفْسَدَهُ، وَكَانَ قَدْ أَتَى بِهِ فِي مُحَارَبَةِ الْقَصِيرِ، لِأَنَّ الْقَصِيرَ كَانَ يَشْتَطُّ فِي أُجْرَتِهِ وَيَلْحَقُهُ عُجْبٌ فِي صَنْعَتِهِ، وَهُوَ حَقِيقٌ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ فِي عَمَلِ الصُّورَةِ كَابِنٌ مُثْقَلَةٌ فِي الْخَطِّ، وَابْنُ عَزِيزٍ كَابِنُ الْبُتُوبِ. وَقَدْ أَمَعَنَ شَرْحَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ الْمَوْلُفِ فِيهِ، وَهُوَ «طَبَقَاتُ الْمَصُورِينَ» الْمَنْعُوتُ بِ«ضَوْءِ النَّبْرَاسِ وَأَنْسِ الْجَلَّاسِ فِي أَخْبَارِ الْمَزُوقِينَ مِنَ النَّاسِ»^١.

وَكَانَ الْيَازُورِيُّ قَدْ أَحْضَرَ بِمَجْلِسِهِ الْقَصِيرَ وَابْنَ عَزِيزٍ، فَقَالَ ابْنُ عَزِيزٍ: أَنَا أَصَوِّرُ صُورَةَ إِذَا رَأَاهَا النَّاطِرُ ظَنَّ أَنَّهَا خَارِجَةٌ مِنَ الْحَائِطِ. فَقَالَ الْقَصِيرُ: لَكِنِ أَنَا أَصَوِّرُهَا إِذَا نَظَرَهَا النَّاطِرُ ظَنَّ أَنَّهَا دَاخِلَةٌ فِي الْحَائِطِ. فَقَالُوا: هَذَا أَعْجَبُ. فَأَمَرَهُمَا أَنْ يَصْنَعَا مَا وَعَدَا بِهِ. فَصَوَّرَا صُورَةَ رَاقِصَتَيْنِ فِي صُورَةٍ حِينَتَيْنِ مَذْهُونَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ، هَذِهِ تُرَى كَأَنَّهَا دَاخِلَةٌ فِي الْحَائِطِ، وَتِلْكَ تُرَى كَأَنَّهَا خَارِجَةٌ مِنَ الْحَائِطِ. فَصَوَّرَ الْقَصِيرُ رَاقِصَةً بِيضَ فِي صُورَةٍ حِينِيَّةٍ دُهْنُهَا أَسْوَدٌ كَأَنَّهَا دَاخِلَةٌ فِي صُورَةِ الْحِينِيَّةِ، وَصَوَّرَ ابْنُ عَزِيزٍ رَاقِصَةً بِيضَ فِي صُورَةٍ صَفْرَاءَ كَأَنَّهَا بَارِزَةٌ مِنَ الْحِينِيَّةِ. فَاسْتَحْسَنَ الْيَازُورِيُّ ذَلِكَ، وَخَلَعَ عَلَيْهِمَا، وَوَهَبَهُمَا كَثِيرًا مِنَ الذَّهَبِ.

وَكَانَ بَدَارُ الثُّعْمَانَ بِالْقَرَّافَةِ^٢، مِنْ عَمَلِ الْكُتَّامِيِّ، صُورَةُ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي الْجُبِّ وَهُوَ عُرْيَانٌ وَالْجُبُّ كُلُّهُ أَسْوَدٌ، إِذَا نَظَرَهُ الْإِنْسَانُ ظَنَّ أَنَّ جِسْمَهُ نَابٍ^٣ مِنْ دُهْنٍ لَوْ أَنَّ الْجُبَّ. وَكَانَ هَذَا الْجَامِعُ مِنْ مَحَاسِنِ الْبِنَاءِ، وَكَانَ بَنُو الْجَوْهَرِيِّ يَعْظُونَ بِهَذَا الْجَامِعِ عَلَى كُرْسِيِّ فِي الثَّلَاثَةِ أَشْهُرٍ، فَتَمُرُّ لَهُمْ مَجَالِسُ مُبْجَلَةٌ تَرُوقُ وَتَشُوقُ، وَيَقُومُ خَادِمُهُمْ زَهْرُ الْبَانِ - وَهُوَ شَيْخُ

(a) بولاق: باب.

Wiet, G., «L'Exposition d'art persan à Londres», Syria (1932), pp. 202-3; Hautecoeur, L. & Wiet, G., Les mosquées du Caire, pp. 179-80 محمد حسن: كنوز الفاطميين ٩٠-٩٣ وانظر كذلك James, D., Qur'ans of the Mamluks, London - (Alexandria Press 1988).

^٢ دار الثعمان بالقرافة الكبرى. كانت تقع أمام مسجد تاج الملوك بالقرافة، الذي لم يُحَدِّدْهُ المَقْرِيزِيُّ بِأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ. (فيما يلي ٨٦٧).

^١ للأسف الشديد فقد هذا الكتاب الآن ولم يصل إلينا منه شيء مُقْتَبَعًا لَدَى أَحَدٍ مِنَ الْمَوْلُفِينَ الْمَتَأَخِّرِينَ سِوَى مَا نَقَلَهُ المَقْرِيزِيُّ هُنَا. وَوَضَحَ مِنْ عِنْوَانِ هَذَا الْكِتَابِ انْتِشَارَ الْمَصُورِينَ وَالْمَزُوقِينَ وَالْمُزْمَكِينَ الَّذِي دَعَا إِلَى تَأْلِيفِ كِتَابٍ فِي طَبَقَاتِهِمْ لَا نَعْرِفُ لِلْأَسْفِ اسْمَ مُؤَلِّفِهِ وَالْفَتْرَةَ الَّتِي أَلْفَ فِيهَا. وَلَاشَكُّ أَنَّهُ تَنَاوَلَ فِيهِ أَسْمَاءَ الْمَصُورِينَ وَالْمَزُوقِينَ الَّذِينَ صَوَّرُوا وَزَيَّنُوا كَذَلِكَ الْمَخْطُوطَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَقَوَاعِمْ وَتَحْوَاتِيمِ الْمَصَاحِفِ الشَّرِيفَةِ (frontispice). وَقَدْ لَقَّتْ وَجُودَ مِثْلِ هَذَا الْكِتَابِ انْتِبَاهَ الْعَدِيدِ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَالْبَاحِثِينَ الْعَرَبِ. (رَاجِعْ،

كبير - ومعه زنجلة ، إذا تَوَسَّطَ أَحَدُهُمْ فِي الْوَعْظِ ، ويقول :

[الكامل]

تَصَدَّقِي^(a) لَا تَأْمَنِي أَنْ تَسْأَلِي فَإِذَا سَأَلْتَ عَرَفْتِ ذُلَّ السَّائِلِ

وَيَدُورُ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، فَيُلْقَى لَهُ فِي الزُّنْجَلَةِ مَا يَسْرَهُ اللهُ تَعَالَى ، فَإِذَا فَرَغَ مِنَ التُّطَوَّافِ ، وَضَعَ الزُّنْجَلَةَ أَمَامَ الشَّيْخِ ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْ وَعْظِهِ فَرَّقَ عَلَى الْفُقَرَاءِ مَا قَسِمَ لَهُمْ ، وَأَخَذَ الشَّيْخُ مَا قَسِمَ لَهُ وَهُوَ الْبَاقِي ، وَنَزَلَ عَنِ الْكُرْسِيِّ .

وكان / جماعة من الرؤساء يلزمون النوم بهذا الجامع ، ويجلسون به في ليالي الصيف للحدث في القصر في صحنه ، وفي الشتاء ينامون عند المنبر ، وكان يحصل لقيمه القاضي أبي حفص الأشوية^(b) والحلوى وغير ذلك .

- ١٠ قال الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة : حدثني الأمير أبو علي تاج الملك جوهر ، المعروف بالشمس الجيوشي ، قال : اجتمعنا ليلة الجمعة جماعة من الأمراء بنو معز الدولة وصالح وحاتم وراجح وأولادهم وعلمانهم ، وجماعة ممن يلوذ بنا كابن الموقفي القاضي ابن داود وأبي المجد بن الصيرفي أبي الفضل روزبة وأبي الحسن الرضيع . فعملنا سباطا وجلسنا ، واشتدعينا بمن في الجامع وأبي حفص فأكلنا ، ورفقنا الباقي إلى بيت الشيخ أبي حفص قيم الجامع ، ثم تحدثنا ونمنا . وكانت ليلة باردة ، فینما عند المنبر . وإذا إنسان نصف الليل ، بمن نام في هذا الجامع من عابري السبيل ، قد قام قائما وهو يلطم على رأسه ، ويصيح : وامالاه ، وامالاه ! فقلنا له : ويترك ! ما شأنك ، وما الذي ذهاك ، و من سرقك ، وما سرق لك ؟ فقال : يا سيدي أنا رجل من أهل طرا ، يقال لي أبو كبريت^(c) الحاوي ، أمسى علي الليل ونمت عندكم ، وأكلت من خبزكم - وسع الله عليكم - ولي الجمعة أجمع في سلتي من نواحي طرا ، والحوي الكبير والجبل ، كل غريبة من الحيات والأفاعي ما لم يقدر عليه قط حاو غيري ، وقد انفتحت الساعة السئلة ، وخرجت الأفاعي وأنا نائم لم أشعر . فقلت له : إيش تقول ؟ فقال : إي والله ، يا للنجيدات ! فقلنا : يا عدو الله أهلكتنا ومعنا صبيان وأطفال . ثم إننا نبهنا الناس ، وهربنا إلى المنبر وطلعنا وازدحمتنا فيه ، ومنا من طلع على قواعد العمود فتسلق وبقي واقفا .

(a) بولاق : وتصدقي . (b) بولاق : الأشوية . (c) بولاق : كبريت .

وأخذ ذلك الحاوي يُحسّس ، وفي يده كنف الحيات ، ويقول : قَبَضْتُ الرَّقْطَاءَ ثُمَّ يَفْتَحُ الشُّلَّةَ وَيَضَعُ فِيهَا ، ثُمَّ يَقُولُ : قَبَضْتُ أُمَّ قَرْزَيْنِ وَيَفْتَحُ وَيَضَعُ فِيهَا ، ويقول : قَبَضْتُ الْفُلَانِي وَالْفُلَانِيَّةَ مِنَ الثَّعَالِينِ وَالْحَيَّاتِ - وهم معه بأسماء - ويقول : أَبُو زُعَيْرَةَ ، أَبُو تَلَيْسٍ وَنَحْنُ نَقُولُ : إِيه ! إِلَى أَنْ قَالَ : بَسْ أَنْزِلُوا مَا بَقِيَ عَلَيَّ هَمًّا ، مَا بَقِيَ يَهُمُّكُمْ كَبِيرُ شَيْءٍ . قلنا : كيف ؟ قال : مَا بَقِيَ إِلَّا الْبُرَاءُ وَأُمَّ رَاسِينَ ، أَنْزِلُوا فَمَا عَلَيْكُمْ مِنْهُمَا . قلنا : كَذَا ، عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، لَا نَزَلْنَا لِلصُّبْحِ ، فَالْمُغْرُورُ مِنْ تَغْرِهِ .

وصبنا بالقاضي أَبِي حَفْصِ الْقَيْمِ ، فَأَوْقَدَ الشُّمْعَةَ ، وَلَبَسَ صِيَاغَاتِ الْخَطِيبِ خَوْفًا عَلَى رَجْلَيْهِ وَجَاءَ فَتَزَلْنَا فِي الضُّوءِ ، وَطَلَعْنَا الْمِثْدَنَةَ فَمِنَّا إِلَى بَكْرَةَ ، وَتَفَرَّقَ شَمَلْنَا بَعْدَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ . وَجَمَعَ الْقَاضِي الْقَيْمِ عِيَالَهُ ثَانِي يَوْمٍ ، وَأَدْخَلُوا عَصِيًا تَحْتَ الْمِثْبَرِ وَسَعْفًا ، وَشَالُوا الْحُضْرَ ، فَلَمْ يَظْهَرْ لَهُمْ شَيْءٌ وَبَلَغَ الْحَدِيثَ وَالِي الْقَرَّافَةَ ابْنَ شُعْلَةَ الْكُتَامِي ، فَأَخَذَ الْحَاوِي ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى جَمَعَ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : مَا أُخْلِيهِ إِلَّا إِلَى السُّلْطَانِ وَكَانَ الْوَزِيرُ إِذْ ذَاكَ يَانِسُ الْأَرْمَنِي ^١ .

وهذه الْقَضِيَّةُ تُشَبِّهُ قَضِيَّةَ جَرَّتْ لَجَعْفَرِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الْفُرَاتِ وَزَيْرِ مِصْرَ - الْمَعْرُوفِ بِابْنِ جِنْدَابَةَ - وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَهْوَى النَّظْرَ إِلَى الْحَيَّاتِ وَالْأَفَاعِي وَالْعَقَارِبِ وَأُمَّ أَرْبَعَةَ وَأَرْبَعِينَ وَمَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى مِنَ الْحَشْرَاتِ ، وَكَانَ فِي دَارِهِ قَاعَةٌ لَطِيفَةٌ مُرَحِّمَةٌ فِيهَا سِلْلُ الْحَيَّاتِ ، وَلَهَا قَيْمٌ فَرَّاشٌ حَاوٍ مِنَ الْحَوَاةِ ، وَمَعَهُ مُسْتَخْدَمُونَ بِرَسْمِ الْخِدْمَةِ وَنَقْلِ السُّلَالِ وَحَطُّهَا . وَكَانَ كُلُّ حَاوٍ فِي مِصْرَ وَأَعْمَالِهَا يَصِيدُ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَيَّاتِ ، وَيَتَنَاهَوْنَ ^(أ) فِي ذَوَاتِ الْعَجَبِ مِنْ أَجْنَاسِهَا وَفِي الْكِبَارِ وَفِي الْغَرِيبَةِ الْمَنْظَرِ . وَكَانَ الْوَزِيرُ يُثَبِّهُمُ عَلَى ذَلِكَ أَوْفَى ثَوَابٍ ، وَيَبْدُلُ لَهُمُ الْجَمَلَ حَتَّى يَجْتَهِدُوا فِي تَحْصِيلِهَا ، وَكَانَ لَهُ وَقْتُ يَجْلِسُ فِيهِ عَلَى دِكَّةٍ مُرْتَفِعَةٍ ، وَيَدْخُلُ الْمُسْتَخْدَمُونَ وَالْحَوَاةُ ، فَيُخْرِجُونَ مَا فِي السُّلْلِ وَيَطْرَحُونَهُ عَلَى ذَلِكَ الرَّخَامِ وَيُحَرِّشُونَ بَيْنَ الْهَوَامِ ، وَهُوَ يَتَعَجَّبُ مِنْ ذَلِكَ وَيَسْتَحْسِنُهُ . فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنْفَذَ رُقْعَةً إِلَى الشَّيْخِ الْجَلِيلِ ابْنِ الْمُدَبِّرِ الْكَاتِبِ - وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ كُتَّابِ أَيَّامِهِ وَدِيْوَانِهِ ، وَكَانَ عَزِيزًا عِنْدَهُ وَكَانَ يَسْكُنُ إِلَى جِوَارِ دَارِ ابْنِ الْفُرَاتِ - يَقُولُ لَهُ فِيهَا :

(أ) بولاق : يتباهون .

^١ تولى الوزير أمير الجيوش سيف الإسلام أبي الفتح يانيس الحافظي الوزارة لمدة تسعة أشهر للخليفة الحافظ لدين الله ، قبل وفاته في ١٦ ذي الحجة سنة ٥٢٦/١١٣٢ م . (انظر فيما تقدم ٤٨:٣ - ٤٩) ، فكون هذه الحادثة قد تمت في سنة ٥٢٦/١١٣٢ م .

« نُشِعِرُ الشَّيْخَ الْجَلِيلَ - أَدَامَ اللهُ سَلَامَتَهُ - أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ عَرَضَ عَلَيْنَا الْحَوَاةُ الْحَشْرَاتِ الْجَارِي بِهَا الْعَادَاتِ ، وَانْسَابَ إِلَى دَارِهِ مِنْهَا الْحَيْةُ الْبِثْرَاءُ وَذَاتُ الْقَرْنَيْنِ وَالْعَقْرَبَانِ الْكَبِيرِ وَأَبُو صُوفَةَ ، وَمَا حَصَلُوا لَنَا إِلَّا بَعْدَ عَنَاءٍ وَمَشَقَّةٍ ، وَبِجُمْلَةٍ بَدَلْنَاهَا لِلْحَوَاةِ ، وَنَحْنُ نَأْمُرُ الشَّيْخَ - وَفَّقَهُ اللهُ - بِالتَّقَدُّمِ إِلَى حَاشِيَتِهِ وَصِيبَتِهِ بِصَوْنٍ مَا وَجَدَ مِنْهَا ، إِلَى أَنْ تَنْفُذَ الْحَوَاةُ لِأَخْذِهَا وَرَدَّهَا إِلَى سِلَّلِهَا » .

٥ فلَمَّا وَقَفَ ابْنُ الْمَدْبُرِّ عَلَى الرَّقْعَةِ قَلَبَهَا ، وَكَتَبَ فِي ذَيْلِهَا : « أَتَانِي أَمْرٌ سَيِّدُنَا الْوَزِيرِ - خَلَّدَ اللهُ نِعْمَتَهُ وَحَرَسَ مُدَّتَهُ - بِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ الْحَشْرَاتِ ، وَالَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ، أَنَّ الطَّلَاقَ يَلْزَمُهُ ثَلَاثًا إِنْ بَاتَ هُوَ وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ فِي الدَّارِ ، وَالسَّلَامُ » .

١٠ وفي سنة ست عشرة خمس مائة أَمَرَ الْوَزِيرُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ فَاتِكِ الْمَنْعُوتِ بِالْأَجَلِ الْمَأْمُونِ الْبَطَّائِحِيِّ وَكَيْلَهُ أبا الْبَرَكَاتِ مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بَرَمَ شَعْبِ هَذَا الْجَامِعِ ، وَأَنْ يُعَمَّرَ بِجَانِبِهِ طَاحُونًا لِلْسَّبِيلِ ، وَيَتَتَاعَ لَهَا الدُّوَابَ ، وَيَتَخَيَّرَ مِنَ الصَّالِحِينَ السَّاكِنِينَ بِالْقَرَاةِ مَنْ يَجْعَلُهُ أَمِينًا عَلَيْهَا ، وَيُطَلِّقَ لَهُ مَا يَكْفِيهِ مَعَ عَلْفِ الدُّوَابِّ وَجَمِيعِ الْمُؤْنِ ، وَيَشْتَرِطَ عَلَيْهِ أَنْ يُوَاسِيَ بَيْنَ الضُّعَفَاءِ ، وَيَحْمِلَ عَنْهُمْ كُلْفَةَ طَخْنِ أَقْوَاتِهِمْ ، وَيُوَدِّي الْأَمَانَةَ فِيهَا ^١ .

١٥ ولم يَزَلْ هَذَا الْجَامِعُ عَلَى عِمَارَتِهِ إِلَى أَنْ اخْتَرَقَ فِي السَّنَةِ الَّتِي اخْتَرَقَ فِيهَا جَامِعُ عَمْرُو ابْنِ الْعَاصِ سَنَةَ أَرْبَعٍ / وَسِتِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، عِنْدَ ^٥ نُزُولِ مِرْيِ [Amaury] مَلِكِ الْفِرَنْجِ عَلَى الْقَاهِرَةِ وَحِصَارِهَا ، كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ عِنْدَ ذِكْرِ خَرَابِ الْفُسْطَاطِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ^٢ . وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى إِخْرَاقَ هَذَا الْجَامِعِ ابْنُ شُمَاقَةَ بِإِشَارَةِ الْأَسْتَاذِ مُؤْتَمِنِ الْخِلَافَةِ جَوْهَرَ ، وَهُوَ الَّذِي أَمَرَ الْمَذْكُورَ بِحَرْيْقِ جَامِعِ عَمْرُو بِمِصْرَ ، وَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : لَعَلَّا يُخْطَبُ فِيهِ لِبَنِي الْعَبَّاسِ . وَلَمْ يَتَّقِ مِنْ هَذَا الْجَامِعِ بَعْدَ حَرْيْقِهِ سِوَى الْمِحْرَابِ الْأَخْضَرِ .

(a) ساقطة من بولاق .

منها ، وَيَجْعَلُ عَلَى كُلِّ مَشْهَدٍ لَوْحًا مِنْ رُخَامٍ عَلَيْهِ اسْمُهُ وَتَارِيخُ تَجْدِيدِهِ ، فَمَدَّحَهُ الشُّعْرَاءُ فَصَالِدٌ عِنْدَ فَرَاغِ الْعِمَارَةِ . (ابْنِ مِيسَرٍ : أَخْبَارُ مِصْرَ ٩١ ، ابْنِ دِقْمَاقٍ : الْإِنْتِصَارُ ٤ : ١٢١ ؛ الْمُقْرِيزِيِّ : اتِّعَاطُ الْخِنْفَا ٣ : ٨١ ، الْمُقْفِيُّ الْكَبِيرُ ٦ : ٤٩٣ ؛ Wiet, G., CIA Égypte II, pp. 169-70 .)

^٢ فيما تقدم ٢ : ١٤٢ - ١٤٦ .

^١ كَانَ ذَلِكَ فِي إِطَارِ عَمَلِيَّةِ تَجْدِيدِ الْمَشَاهِدِ الْمَوْجُودَةِ بَيْنَ الْجَبَلِ وَالْقَرَاةِ ، حَيْثُ يَذْكَرُ ابْنُ مَيْسَرٍ فِي خَوَادِثِ سَنَةِ ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م ، أَنَّهُ « فِي رَيْبِ الْأَوَّلِ أَمَرَ الْمَأْمُونُ [الْبَطَّائِحِيُّ] وَكَيْلَهُ الشَّيْخَ أبا الْبَرَكَاتِ مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَسَاجِدِ التَّشْتَعَةِ الَّتِي بَيْنَ الْجَبَلِ وَالْقَرَاةِ ، وَأُولَئِهَا مَشْهَدُ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ وَأَخْرَهَا مَشْهَدُ السَّيِّدَةِ كَلْثُومَ ، وَيَجْدُدَ عِمَارَتَهَا وَيُضْلِحَ مَا تَهْتَدَمُ

وكان مؤذن هذا الجامع في أيام المُستَنصِرِ ابن بَقَاءِ المُحدِّثِ ابن بَنَّتِ عبد الغني بن سعيد الحافظ .

ثم جُدِّدَتِ عِمَارَةُ هذا الجامع بعد حَرِيقِهِ ، وأدركته لما كانت القِرَافَةُ الكُبْرَى عَامِرَةً بِسُكْنَى السُّودَانِ التُّكَارِرَةِ ، وهو مَقْصُودٌ لِلبَرَكَةِ . فَلَمَّا كَانَتِ الحَوَادِثُ وَالْحِجْنَ فِي سَنَةِ سِتِّ وثمان مائة قَلَّ السَّاكِنُ بِالقِرَافَةِ ، وصارَ هذا الجامعُ طَوَلَ الأَيَّامِ مَغْلُوقًا ، ورُبَّمَا أُقِيمَتِ فِيهِ الجُمُعَةُ .

جامع الجيزة

بَنَاهُ مُحَمَّدُ بن عبد الله الحَازِنُ^١ فِي المَحْرَمِ سَنَةِ خَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ بِأَمْرِ الأَمِيرِ عَلِيِّ بن عبد الله ابن الإخشيدي . فَتَقَدَّمَ كَافُورٌ إِلَى الحَازِنِ بِبِنَائِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ هَدَمَهُ النَّيْلُ ، وَسَقَطَ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَعَمِلَ لَهُ مُسْتَغَلًّا . وَكَانَ النَّاسُ قَبْلَ ذَلِكَ بِالْجِيزَةِ يُصَلُّونَ الجُمُعَةَ فِي مَسْجِدِ هَمْدَانَ ، وَهُوَ مَسْجِدُ مُرَاجِقٍ^٢ بن عامر بن بَكِيلٍ ، وَقِيلَ إِنَّ عُقْبَةَ بن عامر فِي إِمْرَتِهِ عَلَى مِصْرَ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْمَعُوا فِيهِ .

قال التَّمِيمِي: وَشَارَفَ بِنَاءَ جَامِعِ الجِيزَةِ مَعَ أَبِي بَكْرِ الحَازِنِ أَبُو الحَسَنِ بن أَبِي جَعْفَرِ الطُّحَاوِيِّ ، وَاحْتَاجُوا إِلَى عُمْدٍ لِلجَامِعِ ، فَمَضَى الحَازِنُ فِي اللَّيْلِ إِلَى كَنِيسَةٍ بِأَعْمَالِ الجِيزَةِ ، فَقَلَعَ عُمْدَهَا وَنَصَبَ بَدَلَهَا أَرْكَانًا ، وَحَمَلَ العُمْدَ إِلَى الجَامِعِ ، فَتَرَكَ أَبُو الحَسَنِ بن الطُّحَاوِيِّ الصَّلَاةَ فِيهِ مُذَ ذَاكَ تَوَرُّعًا .

قال التَّمِيمِي: وَقَدْ كَانَ - يَعْنِي ابن الطُّحَاوِيِّ - يُصَلِّي فِي جَامِعِ القُسْطَاطِ القَدِيمِ ، وَبَعْضُ عُمْدِهِ أَوْ أَكْثَرُهَا وَرِخَائِمُهُ مِنْ كَنَائِسِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ وَأَرْيَافِ مِصْرَ ، وَبَعْضُهُ بِنَاءُ قُرَّةَ بن شَرِيكَ عَامِلِ الوَلِيدِ بن عبد الملك^٢ .

(a) بولاق : مزاحف .

^١ أبو بكر محمد بن عبد الله الحازن ومثولي الصناعة ، المتوفى لخمس تحلّون من ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وثلاث مائة . (المقرئبي : المفنى الكبير ٦ : ١٣٧-١٣٨) .
^٢ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٢٧ (نفس النص) ، وبقية الخبر عند ابن دقماق : ثم جُدِّدَهُ الأفضَلُ أمير الجيوش فِي سَنَةِ [بياض] . وَكَانَ مَوْضِعُ هَذَا المَسْجِدِ بَرَاخًا فَأَرَادُوا أَنْ يَبْنُوا فِيهِ مُسْتَغَلًّا فَكَبَّرَ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الجِيزَةِ وَخَاطَبُوا فِيهِ كَافُورَ بِنَائِهِ مَسْجِدًا ، وَابِلَهُ أَعْلَمُ .

جامع منجك

[أثر رقم ١٣٨]

هذا الجامع يُعرف موضعه بالثغرة^١ تحت قلعة الجبل خارج باب الوزير. أنشأه الأمير الوزير^(a) سيف الدين منجك اليوسفي في مدة وزارته بديار مصر في سنة إحدى وخمسين وسبع مائة، وصنع فيه صهريجًا فصار يُعرف إلى اليوم بـ «صهريج منجك»^٢، ورُتب فيه صوفية، وقرّر لهم في كل يوم طعامًا ولحمًا وخبزًا، وفي كل شهر مغلوّمًا، وجعل فيه منبرًا، ورُتب فيه خطيبًا يُصلي بالناس فيه صلاة الجمعة.

وجعل على هذا الموضع عدة أوقاف، منها ناحية بلقينة بالغربية^٣، وكانت مرصدة برسم الحاشية، فقومت بخمسة وعشرين ألف دينار، فاشترها من بيت المال

(a) ساقطة من بولاق.

الزاهرة ١١: ١٣١، ١٣٤)، مُقلدًا في ذلك الأمراء بشتاك الناصري وقوصون الشاقي وشيخو القمري. وقد تحوّرت الآن هذه الخانقاه وزالت تمامًا. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٦٣هـ^٢؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ٢٨٠-٢٨١؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٩٩٩-١٠١٤).

والثغرة هي المنطقة الواقعة بين شارع باب الوزير وشارع باب الوداع بالخطابة بخري قلعة الجبل.

^٢ ما يزال هذا الصهريج (خزان ماء) باقيا إلى الآن في وسط الجامع وتقلوه فسقية من الرخام في وسطها فتحة الصهريج. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢١٧هـ^٢).

^٣ بلقينة: قرية من خوف مصر من كوزة بنا (بنا أبو صير) يقال لها البوب. (ياقوت: معجم البلدان ١: ٤٨٩). وهي الآن إحدى قرى مركز المحلة الكبرى بمحافظة الغربية. (محمد رمزي: القاموس الجغرافي ٢/٢: ١٩).

^١ ما يزال جامع منجك اليوسفي قائمًا داخل دزب المنشكية المتفرع من باب الوداع بالخطابة بخري قلعة الجبل، ويُسميه العامة جامع المنشكية. بدأ في عمارته الأمير منجك اليوسفي سنة ١٣٤٩/٧٥٠م، وأتمه سنة ٧٥١/١٣٥٠م، ويوجد على منبره سطران بالخط الشيخ الملوكي تُفيد الفراغ منه سنة ١٣٤٩/٧٥٠م نصهما:

«بسم الله الرحمن الرحيم - الآيات ١-٣ سورة الفتح - وكان الفراغ في شهر سنة خمسين وسبع مائة» (van Berchem, M., CIA Égypte I, n° 152; Wiet, G., RCEA XVI, n° 6089). ومقدّنة هذا الجامع من المآذن البديعة، وكان الجزء العلوي منها قد تهدم فأعادت لجنة حفظ الآثار العربية بناءها سنة ١٩٤١، كما قامت اللجنة بترميم وإصلاح خشوات منبر الجامع.

والجامع منقصل عن مقدّنته التي تبعد عنه بنحو أربعة أمتار، وأيضًا عن ميضائه التي كانت ضمن بناء الخانقاه التي أنشأها الأمير منجك تجاه الجامع. (أبو المحاسن: النجوم

وجعلها وقفًا على هذا المكان^١.

الأمير سيف الدين اليوسفي^٢ - لما امتنع أحمد ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون بالكرك، وقام في مملكة مصر بعده أخوه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل، وكان من محاصرته بالكرك ما كان إلى أن أخذ فتوجه إليه وقطع رأسه، وأخضرها إلى مصر - وكان حينئذ أحد السلاخ دارية - فأعطى إمرة بديار مصر، وتنقل في الدول إلى أن كانت سلطنة الملك المظفر حاجي ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، فأخرجته من مصر إلى دمشق، وجعله حاجبًا بها موضع ابن طغريل. فلما قتل الملك المظفر، وأقيم بعده أخوه الملك الناصر حسن، أقيم الأمير سيف الدين بيتغا روس^٣ في نيابة السلطنة بديار مصر - وكان أخا منجك - فاستدعاه من دمشق، وحضر إلى القاهرة في ثامن شوال سنة ثمان وأربعين وسبع مائة، فرسم له بإمرة مقدمة ألف، وخلع عليه خلع الوزارة؛ فاستقر وزيرًا وأستاذًا، وخرج في دسب الوزارة والأمراء في خدمته من القصر إلى قاعة الصاحب بالقلعة، فجلس بالشباك، ونفذ أمور الدولة. ثم اجتمع بالأمراء^٤، وقرأ عليهم أوراقًا تتضمن ما على الدولة من المضروف، ووفر من جامكية الممالك مبلغ ستين ألف دزهم في الشهر، وقطع كثيرًا من جوامك الخدم والجواري والبيوتات السلطانية، ونقص رواتب الدور من زوجات السلطان وجواريه، وقطع رواتب المغاني^٥.

وعرض الإسطنبول السلطاني، وقطع منه عدة أميرآخورية وسراخورية^٦ وشواس وغلمان، ووفر من راتب الشعير نحو الخمسين إزدبًا في كل يوم، وقطع جميع الكلابزية وكانوا خمسين جوقة،

(a) بولاق: يلبغا روس. (b) بولاق: الأمراء. (c) بولاق: الأغاني.

^١ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢١٧.

^٢ راجع ترجمة الأمير الوزير سيف الدين منجك اليوسفي الناصري، المتوفى سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م، والمدفون في تربته التي أنشأها عند جامع وخانقاه تجاه القلعة، عند المقرزي: درر العقود الفريدة ٣: ٤٢٠-٤٢٦، السلوك ٣: ٢٤٧ ابن حجر: الدرر الكامنة ٥: ١٣٠-١٣٢، أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١٣٣-١٣٤، الدليل الشافي ١٧٤٣: ابن إياس: بدائع الزهور ١/٢: ١٤٨-١٤٩.

^٣ الأمير آخور. سبق التعريف به فيما تقدم ٣: ٣١٢هـ. أما السراخور فهو الذي يتخذت على غلف الدواب من الخيل وغيرها. وهو مركب من لفظين فارسيين: أحدهما «سرا» ومعناه الكبير، والثاني «خور» ومعناه الغلف، فيكون المعنى: كبير الغلف، أي كبير الجماعة الذين يتولون غلف الدواب. والعامة يقولون «سراخوري» بإثبات باء التثنية في آخره ولا وجه له، وأضاف القلقشندي أن متشددي الكتاب كانوا يتدلون الرء فيه لا كما يقولون =

وأبقى منهم جوقتين ، ووفّر جماعة من الأسرى والعنّالين والمُستخدّمين في العمائر ، وأبطل العِمارة من بيت السلطان . وكانت الحوائج خاناه تحتاج في كل يوم إلى أحد وعشرين ألف درهم نفقة ، فاقتطع منها مبلغ ثلاثة آلاف درهم ، وبقي مَصروفها في اليوم ثمانية عشر ألف درهم نفقة .

وشرع يُنكث على الدواوين ، ويخط على القاضي موفّق الدين ناظر الدولة ، وعلى القاضي

علم الدين بن زُبور ناظر الخواص ، ورسم ألا يستقرّ في المعاملات سوى شاهد واحد وعامل وشاهد

بغير معلوم ، وأغلظ على الكتاب والدواوين وهُددهم وتوعّدتهم فخافوه واجتمع بعضهم ببعض ،

واشتوروا / في أمرهم ، وانفقوا على مال يتوزعونّه بينهم على قدر حال كل منهم ، وجبّوه

وحملوه إلى منجك سراً . فلم يمض من استقراره في الوزارة شهر حتى صار الكتاب وأزباب

الدواوين أجبّاءه وأخلاءه ، وتمكّنوا منه أعظم ما كانوا قبل وزارته ، وحسّنوا له أخذ الأموال .

فطلب ولاية الأقاليم ، وقرض^(a) على آقبا والي القرية ، وضربه^(b) وألزمه بحمل خمس مائة

ألف درهم نفقة ، وولّى عوضه أسندمر^(c) القلنجقي ، ثم صرفه وولّى بدله قطليجا تملوك بكتمر ،

واستقرّ بأسندمر^(c) القلنجقي في ولاية القاهرة ، وأضاف له التحدث في الجهات ، وولّى البحيرة^(d)

لرجل من جهته ، وولّى قوص لآخر ، وأوقع الخوطة على موجود إسماعيل الواقدي متولّي قوص ،

وأخذ جميع خواصه^(e) ، وولّى طغاي كشف الوجه القبلي عوضاً عن علاء الدين عليّ ابن

الكوراني ، وولّى ابن المروق قوص وأعمالها ، وولّى مجد الدين موسى الهذباني الأشمونين

عوضاً عن ابن الأزكشي .

وتسامعت الولاية وأزباب الأشغال^(f) بأن الوزير فتح باب الأخذ على الولايات ، فهيرع الناس

إليه من جهات مصر والشام وحلب وقصدوا بابه ، ورثب عنده جماعة برسم قضاء الأشغال ،

فأتاهم أصحاب الحوائج .

وكان السلطان صغيراً ، حظّه من السلطنة أن يجلس بالإيوان يومين في الأسبوع ، ويجتمع

أهل الحل والعقد مع سائر الأمراء فيه ، فإذا انقضت خدمة الإيوان خرج الأمير منكلي بغا الفخري

(a) بولاق : وقبض . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : أستدمر . (d) بولاق : البحرية . (e) بولاق :

خواصه . (f) بولاق : الأعمال .

والأمير بيغرا والأمير بيغنا تتر والمجدي وأزلان وغيرهم من الأمراء، ويدخل إلى القصر الأمير بيغنا روس نائب السلطنة والأمير سيف الدين منجك الوزير والأمير سيف الدين شيخو العمري والأمير ألبينا المظفري والأمير طنيرق^(a) ١، ويتفق الحال بينهم على ما يرووه.

هذا والوزير أخو النائب^(b) متمكن تمكننا زائدا، وقدم من دمشق جماعة للشعي عند الوزير في وظائف - منهم ابن السلغوس، وصلاح الدين بن المؤيد، وابن الأجل، وابن عبد الحق - وتحدثوا مع ابن الأطروش محتسب القاهرة في أغراضهم، فسعى لهم حتى تفرروا فيما عثوا.

ولما دخلت سنة تسع وأربعين، عرف الوزير السلطان والأمراء أنه لما ولي الوزارة لم يجد في الأهراء ولا في بيت المال شيئا، وسأل أن يكون هذا بمحض من الحكام. فرسم للقضاة بكشف ذلك، فركبوا إلى الأهراء بمصر وإلى بيت المال بقلعة الجبل، وقد حضر الدواوين وسائر المباشرين، وأشهدوا عليهم أن الأمير منجك لما باشر الوزارة لم يكن بالأهراء ولا بيت المال قدح غلة ولا دينار ولا درهم، وقرئت المحاضر على السلطان والأمراء.

فلما كان بعد ذلك توقف أمر الدولة على الوزير، فشكا إلى الأمراء من كثرة الرواتب. فاتفق الرأي على قطع نحو ستين سواقا، فقطعهم ووفر لحومهم وعليقهم وسائر ما باسمهم من الكساوى وغيرها. وقطع من العرب الركابة والنجابة، ومن أبواب الوظائف في بيت السلطان ومن الكتاب والمباشرين، ما جملة في اليوم أحد عشر ألف درهم.

وفتح باب المقايضات بإقطاعات الأجناد، وباب التزول عن الإقطاعات بالمال، فحصل من ذلك مالا كثيرا، وحكم على أخيه نائب السلطنة بسبب ذلك، وصار الجندي يبيع إقطاعه لكل من أراد سواء كان المنزول له جنديا أو عاميا، وبلغ ثمن الإقطاع من عشرين ألف درهم إلى ما دونها.

وأخذ يسعى أن تضاف وظيفة نظير الخاص إلى الوزارة، وأكثر من الخط على ناظر الخاص، فاخترس ابن زنبور منه، وشرع في^(c) إيقان أمره^(c) مع الأمير شيخو. فمنع شيخو منجك من التحدث في الخاص وخرج عليه، فسق ذلك على منجك، وافترقا عن غير رضا.

(a) بولاق : طيرق . (b) درر العقود : هذا ومنجك أخو النائب . (c-c) بولاق : إبعاده مرة بعد مرة .

١ الأمير طنيرق رأس نوبة كبير، نائب حلب . (المقرزي : السلوك ٢ : ٨٢٣، ٨٢٨).

فَتَغَيَّرَ بَيْتُهَا رُوسَ النَّائِبِ عَلَى شَيْخِ رِعَايَةِ لِأَخِيهِ ، وَسَأَلَ أَنْ يُعْفَى مِنَ النَّيَابَةِ ، وَيُعْفَى مِنْجَكَ مِنَ الْوَزَارَةِ .^(a) وَتَعْتَبَتْ تَعْتَبًا كَثِيرًا ، فَاتَّفَقَ الْحَالُ عَلَى عَزْلِ مِنْجَكَ مِنَ الْوَزَارَةِ^(a) وَاسْتِقْرَارِهِ فِي الْأَسْتَاذَارِيَّةِ وَالتَّحَدُّثِ فِي عَمَلِ حَفْرِ الْبَحْرِ ، وَأَنْ يَسْتَقِرَّ أَسْنَدُ^(b) الْعَمْرِي - الْمَعْرُوفِ بِرِشْلَانِ يَصُلُّ^(c) - فِي الْوَزَارَةِ . فَطُلِبَ ، وَكَانَ قَدْ حَضَرَ مِنَ الْكَشْفِ ، وَأَلْبَسَ خِلْعَ الْوَزَارَةِ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ .

وَكَانَ عَزْلُ مِنْجَكَ^(d) مِنَ الْوَزَارَةِ فِي ثَلَاثِ رَجَبِ الْأَوَّلِ الْمَذْكُورِ ، وَتَوَلَّى أَمْرَ شَدِّ الْبَحْرِ . فَجَبِيَ مِنَ الْأَجْنَادِ مِنْ كُلِّ مِائَةِ دِينَارٍ دِرْهَمًا ، وَمِنَ التُّجَّارِ وَالْمُتَعَشِّينَ فِي مِصْرَ وَالْقَاهِرَةَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ إِلَى خَمْسَةِ دَرَاهِمٍ إِلَى دَرَاهِمٍ ، وَمِنَ أَصْحَابِ الْأَمْثَالِ وَالذُّورِ فِي مِصْرَ وَالْقَاهِرَةَ : عَلَى كُلِّ قَاعَةٍ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمٍ ، وَعَلَى كُلِّ طَبَقَةٍ دَرَاهِمَيْنِ ، وَعَلَى كُلِّ مَخْزَنِ أَوْ إِسْطَبَلٍ دِرْهَمًا . وَجَعَلَ الْمُسْتَخْرَجَ فِي خَانَ مَشْرُورٍ بِالْقَاهِرَةِ ، وَالْمُشِيدَ عَلَى الْمُسْتَخْرَجِ الْأَمِيرَ بَيْتَكَ ، فَجَبِيَ مَالٌ كَثِيرٌ .

وَأَمَّا أَسْنَدُ^(b) فَإِنَّ أَحْوَالَ الدَّوْلَةِ تَوَقَّفَتْ فِي أَيَّامِهِ ، فَسَأَلَ فِي الْإِعْفَاءِ فَأُعْفِيَ ، وَأُعِيدَ مِنْجَكَ إِلَى الْوَزَارَةِ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَقَدْ تَمَنَّعَ تَمَنَّعًا كَثِيرًا . وَلَمَّا عَادَ إِلَى الْوَزَارَةِ فَتَحَ بَابَ الْوِلَايَاتِ بِالْمَالِ ، فَقَصَدَهُ النَّاسُ وَسَعَوْا عِنْدَهُ ، فَوَلَّى وَعَزَلَ ، وَأَخَذَ فِي ذَلِكَ مَالًا كَثِيرًا . فَيُقَالُ إِنَّهُ أَخَذَ مِنَ الْأَمِيرِ مَازَانَ لَمَّا نَقَلَهُ مِنَ الْمُتَوَفِّيَةِ إِلَى الْغُرَيْبَةِ ، وَمِنَ ابْنِ الْعَيْتَابِيِّ^(e) لَمَّا نَقَلَهُ مِنَ الْأَشْمُونِيِّينَ إِلَى الْبَهْتَسَاوِيَّةِ ، وَمِنَ ابْنِ سَلْمَانَ لَمَّا وُلَاهُ مُتُوفٍ ، سِتَّةَ آلَافِ دِينَارٍ وَوَفَّرَ إِقْطَاعَ شَادِ الدَّوَاوِينِ ، وَجَعَلَهُ بِاسْمِ الْمَمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ وَوَفَّرَ / جَوَامِكُهُمْ وَرَوَاتِبَهُمْ . وَشَرَعَ أَوْبَاشُ النَّاسِ فِي السُّعْيِ عِنْدَهُ فِي الْوِظَائِفِ وَالْمِبَاشَرَاتِ بِمَالٍ ، وَأَتَوْهُ مِنَ الْبِلَادِ ، فَقَضَى أَسْغَالَهُمْ ، وَ لَمْ يَرُدَّ أَحَدًا طَلَبَ شَيْئًا .

وَوَقَعَ فِي أَيَّامِهِ الْفَنَاءُ الْعَظِيمُ ، فَانْحَلَّتْ إِقْطَاعَاتُ كَثِيرَةٍ ، فَاقْتَضَى رَأْيُ الْوَزِيرِ أَنْ يُوفَّرَ الْجَوَامِكُ وَالرَّوَاتِبُ الَّتِي لِلْحَاشِيَّةِ ، وَكَتَبَ لِسَائِرِ أَرْبَابِ الْوِظَائِفِ وَأَصْحَابِ الْأَسْغَالِ وَالْمَمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ مِثَالَاتٍ بِقَدْرِ جَوَامِكِ كُلِّ مِنْهُمْ ، وَكَذَلِكَ لِأَرْبَابِ الصَّدَقَاتِ . فَأَخَذَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَقْبَاطِ وَمِنَ الْكُتَّابِ وَمِنَ الْمُوقَعِينَ إِقْطَاعَاتٍ فِي نَظِيرِ جَوَامِكِهِمْ ، وَتَوَفَّرَ فِي الدَّوْلَةِ مَالٌ كَثِيرٌ عَنِ الْجَوَامِكِ وَالرَّوَاتِبِ .

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : أسندمر . (c) بولاق : بصل . (d) بولاق : وكان منجك قد عزل . (e) بولاق :

فلما دخلت سنة خمسين رَسَمَ الوَزِيرُ مَنجَكَ مُتَوَلِّي القَاهِرَةَ^١ بَطَلِبِ أَصْحَابِ الأَرْبَاعِ^٢، وَكِتَابَةَ جَمِيعِ أَمْلاكِ الحَارَاتِ والأَرْقَةِ وسَائِرِ أخطاطِ مصر والقَاهِرَةِ، ومعرفة أَسماءِ سُكَّانِهَا والفَحْصِ عن أَرْبَابِهَا، لِيُعْرَفَ من تَوَقَّرَ عنه مِلْكُ بَمَوْتِهِ في الفَنَاءِ. فَطَلَبُوا الجَمِيعَ وَأَمَعَنُوا في النُّظَرِ، فَكَانَ يُوجَدُ في الحَازَةِ الوَاحِدَةِ والزُّقَاقِ الوَاحِدِ ما يَزِيدُ على عَشْرِينَ دَارًا خَالِيَةً لا يُعْرَفُ أَرْبَابُهَا، فَخَتَّمُوا على ما وَجَدُوهُ من ذَلِكَ، وَمِنَ الفَنَادِقِ والحَانَاتِ والمَخَارِيزِ حَتَّى يَحْضُرَ أَرْبَابُهَا.

وَفِي شَعْبَانَ عَزَلَ وُلاةَ الأَعْمَالِ، وَأَحْضَرَهُمْ إلى القَاهِرَةِ ووَلَّى غَيْرَهُمْ، وَأَضَافَ إلى كُلِّ وَائِلٍ كَشَفَ الجُشُورَ الَّتِي فِي عَمَلِهِ، وَضَمِنَ الفَأْرَ^(a) سَائِرَ جِهَاتِ القَاهِرَةِ ومصر، بِحَيْثُ إِنَّهُ لا يَتَحَدَّثُ أَحَدٌ مَعَهُ مِنَ المُقَدِّمِينَ والدُّوَاوِينَ والشَّادِينَ، وَزَادَ في المُعَامَلَاتِ ثَلَاثَ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. وَخُلِعَ عَلَيْهِ وَنُوْدِيَ لَهُ بِمِصرَ والقَاهِرَةَ، فَاشْتَدَّ ظُلْمُهُ وَعَسَفُهُ، وَكَثُرَتْ حَوَادِثُهُ^٣.

فَلَمَّا كَانَتْ لِيَالِي عِيدِ الفِطْرِ، عَرَفَ الوَزِيرُ الأَمْرَاءَ أَنَّ سِمَاطَ العِيدِ يَنْصَرِفُ عَلَيْهِ جُمْلَةً وَلا يَنْتَفِعُ بِهِ أَحَدٌ، فَأَبْطَلَهُ وَلَمْ يُعْمَلْ تِلْكَ السَّنَةَ.

وَفِي ذِي القَعْدَةِ تَوَقَّفَ حَالُ الدَّوْلَةِ، وَوَقَّفَ مَمَالِكُ السُّلْطَانِ وسَائِرِ المُعَامِلِينَ والحَوَائِجِ كَاشِيَةً، وَأَنْزَعَجَ السُّلْطَانُ والأَمْرَاءُ بِسَبَبِ ذَلِكَ على الوَزِيرِ فَاحْتَجَّ بِكثرةِ الكُلْفِ وَطَلَبَ المُؤَفَّقَ نَاطِرَ الدَّوْلَةِ فَقَالَ: إِنَّ الإِنْعَامَاتِ قَدْ كَثُرَتْ، وَالكُلْفُ تَزَايَدَتْ، وَقَدْ كَانَتْ الحَوَائِجُ خَانَاهُ فِي أَيَّامِ المَلِكِ

(a) بولاق : الناس .

^١ يوجد ابتداءً من هذا الموضع سقط في نسخة باريس يستور إلى أثناء صفحة ٤٦٣ فيما يلي .
^٢ صاحب الربع ج. أصحاب الأرباع، ويقال أيضا أصحاب الأرباع والحارات. هم المشرفون على كل قطاع سكني أو حارة في المدينة، يعرفون المقيمين في كل ربيع أو حارة وكانوا يقومون أيضا بالإشراف على عمليات إصلاح الشوارع التي كانت واجبة على ملاك المباني التي تحدها. وكان هذا الموظف مع أعوانه أول من يتحرر كون عندما يهدد النظام العام. (ابن الطوير: نزهة المقلتين ٢٥؛ القلقشندي: صبح الأعشى ١٠: ٣٥١؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٨٥: ٥).

^٣ الفأر، هو ناصر الدين المعروف بفأر الشقوف، كان إمام السلطان يوصلي به وناظر المشهد النفيسي، ثم شجن في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون وكُتِبَ على قَبْرِهِ: مُخَلَّدٌ بَعْدَما صَوَدِرَ وَضُرِبَ بِالمِقَارِعِ لِقُبْحِ سِيرَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ مَسْجُورًا إلى أن أُفْرِجَ عَنْهُ في جَمَلَةِ المَحَايِسِ في أَيَّامِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلِ، ثُمَّ اتَّصَلَ بِالوَزِيرِ مَنجَكَ اليوسفي فاستماله وجعله على ضَمَانِ جِهَاتِ القَاهِرَةِ ومِصرَ بِأَجْمَعِهَا، فزادَ في المُعَامَلَاتِ، أَيِ الأَمْوَالِ المُقَرَّرَةِ على التِجارِ وذَوِي التِيسارِ وَأَرْبَابِ القَقَارِ، ثَلَاثَ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ في السَّنَةِ. (المقريزي: السلوك ٦٦: ٢، ٨٠٦).

الناصر محمد بن قلاوون في اليوم يتصرف فيها مبلغ ثلاثة عشر ألف درهم ، واليوم يتصرف فيها اثنان وعشرون ألف درهم . فكُتبت أوراقٌ بمتحصل الدولة ومضروفها وبمتحصل الخاص ومضروفه . فجاءت أوراق الدولة وبتحصلها عشرة آلاف ألف درهم ، وكلفتها أربعة عشر ألف ألف درهم وست مائة ألف درهم . ووُجد الإنعام من الخاص والجيش ، بما خرج من البلاد زيادةً على إقطاعات الأمراء ، فكان زيادةً على عشرين ألف دينار ، سوى جملة من الغلال ، وأن الذي استجد على الدولة من حين وفاة الملك الناصر في ذي الحجة سنة إحدى وأربعين إلى مستهل المحرم سنة خمسين وسبع مائة .

وكانت جملة الإنعامات والإقطاعات بتواحي الصعيد والفيوم وبلاد الملك والوجه البحري وما أعطي من الرزق للخدام والجواري ، سبع مائة ألف ألف وألف ألف وست مائة ألف مئة بأسماء أربابها من أمير وخدام وجارية .

وكانت النساء قد أسرفن في عمل القمصان والبغالطيق ، حتى كان يفضل من القميص كثير على الأرض ، وسعة الكم ثلاثة أذرع - ويسميه « البهطلية » - وكان يُغرم على القميص ألف درهم وأكثر ، وبلغ إزار المرأة إلى ألف درهم ، وبلغ الخف والسرْموزة إلى خمس مائة درهم وما دونها إلى مائة درهم^١ ؛ فأمر الوزير متجك بقطع أكمام النساء ، وأحرق بهن ، وأمر الوالي بتسبع ذلك ، ونودي بجمع النساء من عمل ذلك ، وقبض على جماعةٍ منهن ، ورُكب على سور القاهرة صور نساءٍ عليهن تلك القمصان بهيمة نساءٍ قد قُتلن عُقوبةً على ذلك ، فأنكفن عن لباسها . ومنع الأساكفة من عمل الأخفاف المُمَنة ، ونودي في القيايسر : من باع إزار حرير حل^٢ ماله للسلطان ، فنودي على إزار ثمنه سبع مائة وعشرون درهمًا فبلغ ثمانين درهمًا ، ولم يجسر أحد أن يشتريه . وبألف الوزير في الفحص عن ذلك ، حتى كشف دكاكين غسالي الثياب ، وقطع ما وجد من ذلك . فامتنع النساء من لبس ما أخذته من تلك المنكرات .

ولما عظم ضرر الفأر الضامين^٣ كثرت شكاية الناس فيه ، فلم يسمع فيه الوزير قولًا ، وقام في أمره الأمير مغلطاي أمير آخور ، فاستوحش منه الوزير^٤ .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : أيضًا من .

^٢ راجع كذلك ، المقريري : السلوك ٢ : ٨١٤ ، ٨١٥ ،

^١ راجع ، Mayer, L. A., *Mamluk Costume*, pp.

٨٢٣ ، ٨٢٩ ، ٨٤٩ .

.69, 74

وَاتَّفَقَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ حَجَّ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ مُقَدِّمَ الدَّوْلَةِ فِي تَجْمَلٍ^(a) كَثِيرَ بَلَّغَ عَلِيْقُ جِمَالِهِ فِي
اليوم مائتي غليقة. ولما قَدِمَ فِي المَحْرَمِ مع الحَاجِ، أَهْدَى لِلنَّائِبِ وَلِلوَزِيرِ وَلِلأَمِيرِ طَازِ وَلِلأَمِيرِ
صَرَوَعْتُمُشَ هَدَايَا جَلِيلَةَ، وَلَمْ يُهْدِ لِلأَمِيرِ شَيْخُو وَلَا لِلأَمِيرِ مُعْلَطَايَ شَيْعًا. ثُمَّ لَمَّا عَابَ النَّاسُ عَلَيْهِ
ذَلِكَ أَهْدَى بَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ لِلأَمِيرِ شَيْخُو هَدِيَّةً، فَرَدَّهَا عَلَيْهِ.

٥ ثُمَّ إِنَّهُ أُتِكَرَ عَلَى الوَزِيرِ فِي مَجْلِسِ السُّلْطَانِ مَا يَفْعَلُهُ وُلاةُ البِرِّ، وَمَا عَلَيْهِ مُقَدِّمِ الدَّوْلَةِ مِنْ كَثْرَةِ
المَالِ، وَأَغْلَظَ فِي القَوْلِ. فَرَسَمَ بَعْرَ لِ الوُلاةِ، وَالقَبْضَ عَلَى المُقَدِّمِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ وَابْنَ عَمِّهِ
المُقَدِّمِ أَحْمَدِ بْنِ زَيْدٍ، فَلَمْ يَسْعَ الوَزِيرُ غَيْرَ الشُّكُوتِ.

فَلَمَّا كَانَ فِي رَابِعِ عَشْرِينَ سِتْوَالِ سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ، قُبِضَ عَلَى الوَزِيرِ مَنجَكٍ وَقُبِدَ،
وَوَقَعَتِ الحَوَاطَةُ عَلَى سَائِرِ حَوَاصِلِهِ، فَوُجِدَتْ لَهُ زَرْدَخَانَاهُ حَمَلٌ خَمْسِينَ جَمَلًا، وَلَمْ يَظْهَرَ مِنْ
التَّقْدِ / كَثِيرٌ مَالٍ فَأَمَرَ بِعُقُوبَتِهِ. فَلَمَّا خُوفَ أَقْرَبَ بَصَنْدُوقٍ فِيهِ جَوْهَرٌ، وَقَالَ: سَائِرُ مَا كَانَ يَتَخَصَّلُ
لِي مِنَ التَّقْدِ كُنْتُ أَشْتَرِي بِهِ أُمَّلَاكًا وَضِيَاعًا وَأَصْنَافَ المَتَاجِرِ. فَأُحِيطَ بِسَائِرِ أَمْوَالِهِ وَحُمِلَ إِلَى
الإِسْكَندَرِيَّةِ مُقَيَّدًا، وَاسْتَقَرَّ الأَمِيرُ بَلْبَانَ السُّنَانِيِّ نَائِبَ البِيرَةِ أَسْتَاذًا رَا عِوَضَ مَنجَكٍ بَعْدَ حُضُورِهِ
مِنْهَا، وَأُضِيْفَتِ الوِزَارَةُ إِلَى القَاضِي عِلْمِ الدِّينِ بْنِ زُنْبُورِ نَاضِرِ الخَاصِّ.

١٠ فَلَمْ يَزَلْ مَنجَكٌ مَسْجُونًا بِالإِسْكَندَرِيَّةِ إِلَى أَنْ خُلِعَ المَلِكُ النَّاصِرُ حَسَنٌ، وَأُقِيمَ بَدَلُهُ فِي المَمْلَكَةِ
أَخُوهُ المَلِكُ الصَّالِحُ صَالِحٌ، فَأَمَرَ بِالإِفْرَاجِ عَنِ الأَمِيرِ شَيْخُو وَالأَمِيرِ مَنجَكٍ، فَحَضَرَ إِلَى القَاهِرَةِ
فِي رَجَبِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ. وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الأَمِيرُ مَنجَكٌ بِالقَاهِرَةِ، بَعَثَ إِلَيْهِ الأَمِيرُ شَيْخُو خَمْسَ
رَعُوسٍ خَيْلٍ وَأَلْفِي دِينَارٍ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ جَمِيعَ الأَمْرَاءِ بِالتَّقَادُمِ.

١٥ وَأَقَامَ بَطْطَالًا^١ يَجْلِسُ عَلَى حَصِيرٍ فَوْقَهُ ثَوْبٌ سَرْجٍ عَتِيقٌ، وَكَلَّمَا أَتَاهُ أَحَدٌ مِنَ الأَمْرَاءِ يَتَكِي
وَيَتَوَجَّعُ وَيَقُولُ: «أُخِذَ جَمِيعُ مَالِي حَتَّى صِرْتُ عَلَى الحَصِيرِ». ثُمَّ كَتَبَ فَتَوَى تَتَضَمَّنُ أَنَّ رَجُلًا
مَسْجُونًا فِي قَيْدٍ، هُدِّدَ بِالقَتْلِ إِنْ لَمْ يَبِيعَ أُمَّلَاكَهُ، وَأَنَّهُ خَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ القَتْلَ فَوَكَّلَ فِي بَيْعِهَا.
فَكَتَبَ لَهُ الفُقَهَاءُ «لَا يَصِحُّ بَيْعُ المَكْرَهِ». وَدَارَ عَلَى الأَمْرَاءِ، وَمَا زَالَ بِهِمْ حَتَّى تَحَدَّثُوا لَهُ مَعَ

(a) بولاق: محمل.

^١ البطالون من الأمراء والأجناد هم العاطلون من أعمال الدولة ووظائفها وإقطاعاتها، نتيجة غضب السلطان أو كبير السن، أو اضطرارًا إلى الاعتكاف والاختفاء، أو مجرد حب الأثرواء والائتعاد. (المقريزي: السلوك ١: ٥٧٣هـ).

السلطان في رد أملاكه عليه . فعارضهم الأمير صرعتمش ، ثم رضي أن يرُد عليه من أملاكه ما أنعم به السلطان على ممالئكه . فاسترد عدة أملاك ، وأقام إلى أن قام بيبيغا روس بحلب ، فاختفى منجك وطلب فلم يوجد ، وأطلق النداء عليه بالقاهرة ومصر ، وهدد من أخفاه ، وألزم عربان العائد باقتفاء أثره ، فلم يوقف له على خبر ، وكبس عليه عدة أماكن بالقاهرة ومصر ، وقُتس عليه حتى في داخل الصهرنج الذي بجاميعه فأغيا أمره .

وأدرك السلطان السفر لحرب بيبيغا روس^(a) ، فشرع في ذلك إلى يوم الخميس رابع شعبان ، فخرج الأمير طاز بمن معه .

وفي يوم الاثنين سابعه عرض الأمير شيخو والأمير صرعتمش أطلابهما ، وقد وصل الأمير طاز إلى بلتيس ، فحضر إليه من أخبره أنه رأى بعض أصحاب منجك ، فسير إليه وأخضره وقتشه ، فوجد معه كتاب منجك إلى أخيه بيبيغا روس^(a) ، وفيه أنه مختفٍ عند الحسام الصقري^(b) أستاذاره . فبعث الكتاب إلى الأمير شيخو ، فوفاه والأطلاب خارجة ، فاستدعى بالحسام وسأله فأنكره ، فعاقبه الأمير صرعتمش فلم يعترف .

فركب إلى بيت الحسام بجوار الجامع الأزهر وهجمه ، فإذا بمنجك ومعه مملوك ، فكثفه وسار به مشهورًا بين الناس - وقد هرعوا من كل مكان - إلى القلعة ، فسجن بالإسكندرية إلى أن شفح فيه الأمير شيخو ، فأفرج عنه في ربيع الأول سنة خمس وخمسين ، ورسم أن يتوجه إلى صفد بطالا . فسار إليها من غير أن يتغير إلى القاهرة .

فلما خلع الملك الصالح صالح ، وأعيد السلطان حسن في سؤال منها ، نقل منجك من صفد ، وأنعم عليه بنبابة طرابلس عوضًا عن أتمش الناصري ، فسار إليها ، وأقام بها إلى أن قبض على الأمير طاز نائب حلب في سنة تسع وخمسين ، فولي منجك عوضًا عنه .

ولم يزل بحلب إلى أن فر منها في سنة ستين فلم يعرف له خبر ، وعوقب بسببه خلق كثير . ثم قبض عليه بدمشق في سنة إحدى وستين ، فحبل إلى مصر ، وعليه بشت صوف عسلي وعلى رأسه مئزر صوف ، فلم يؤاخذ السلطان ، وأعطاه إمرة طبخاناها ببلاد الشام ، وجعله طرخاناها^١

(a) بولاق : بليغا روس . (b) بولاق : الصفدي .

^١ الطرخان . الأمير المتقاعد طوعًا دون أن يكون مفضولًا عليه .

يُقيم حيث شاء من البلاد الإسلامية ، وكتب بذلك .

فلما قُتِلَ السُّلْطَانُ حَسَنَ ، وأُقيم من بعده في المملكة الملك المنصور محمد بن المظفر حاجي في جمادى الأولى سنة اثنتين وستين ، خامر الأمير يتدمر نائب الشام على الأمير يلبغا العمري القائم بتدبير دولة الملك المنصور ، ووافق جماعة من الأمراء منهم الأمير منجك ، فخرج الأمير يلبغا بالمنصور والعساكر من قلعة الجبل إلى البلاد الشامية ، فوافى دمشق . فمشى^(a) الناس بينه وبين الأمير يتدمر حتى تم الصلح ، وحلف الأمير يلبغا أنه لا يؤذي يتدمر ولا منجك ، فنزلا من قلعة دمشق ، وقيدهما وبعث بهما إلى الإسكندرية فسجنا بها ، إلى أن خلع الأمير يلبغا المنصور ، وأقام بدله الملك الأشرف شعبان بن حسين ، وقُتِلَ الأمير يلبغا ، فأفرج الملك الأشرف عن منجك ، وولاه نيابة السلطنة بدمشق عوضاً عن الأمير أمير^(b) علي المازديني^(c) في جمادى الأولى سنة تسع وستين .

فلم يزل في نيابة دمشق إلى أن حضر إلى السلطان زائراً في سنة سبعين بتقادماً كثيرة جليلة ، وعاد إلى دمشق ، وأقام بها إلى أن استدعاه السلطان في سنة خمس وسبعين إلى مصر ، وفوض إليه نيابة السلطنة بديار مصر ، وعمله أتاك العساكر ، وجعل تدبير المملكة إليه ، وأن يخرج الأمريات^(d) بالبلاد الشامية ، وأن يولي ولاية أقاليم مصر والكشاف ، ويخرج الإقطاعات بمصر من عبزة ست مائة دينار إلى ما دونها . وكانت عادة الثواب قبلة ألا يخرج من الإقطاعات إلا ما عبرته أربع مائة دينار فما دونها . فعمل النيابة على قالب جائر وحرمة وإفرة إلى أن مات ختف أنفه في يوم الخميس التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ست وسبعين وسبع مائة ، وله من العمر ثيف وستون سنة^(e) ، وشهد جنازته سائر الأعيان ، ودفن بثوبته المجاورة لجامعه هذا^١ .

(a) بولاق : ومشى . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : المارداني . (d) بولاق : الأمهات . (e) درر العقود : وقد ناهز السبعين .

^١ ثوبته منجك . ما زالت موجودة ويوجد على الجوانب الأربعة للتركيبة الرخامية التي تغلونها النص التالي :
«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآياتان ٢٥٥ ، ٢٥٦ سورة البقرة - هذا قبور المقر الأشرف العالي المؤلوي الشيفي منجك كافل الممالك الشريفة الإسلامية . توفي يوم الخميس بعد العشر تاسع عشرين شهر ذي الحجة الحرام سنة ست وسبعين وسبع مائة ، ودفن بكرة يوم الجمعة سلخ شهر ذي الحجة غفر الله له ولن ترحم عليه» . (van Berchem, M., CIA Égypte I, n° 158; Kallus, L., RCEA . (XVII n° 776 002 .

وله سيوى «الجامع» المذكور من الآثار بديار مصر «خان منجك» في القاهرة^١، و«دار منجك» برأس سويقة العزى بالقرب من مدرسة السلطان حسن^٢، وله بالبلاد الشامية عدة آثار من خانات وغيرها، رجمه الله. [وقد أنجبت أولاده وماليكه وصاروا أمراء]^٣.

الجامع الأخضر

هذا الجامع خارج القاهرة بخط فم الخور، عُرف بذلك لأن بابه وقبته فيهما نقوش وكتابات خضراء، والذي أنشأه الأمير^(b) [ملكتمر الشيخوني]^(c) خازن دار الأمير شيخو العمري^(b)^٣.

(a) إضافة من درر العقود. (b) إضافة من مسودة الخطط. (c) زيادة من ابن إياس.

السيدي الشندي المالكي الهمامي القوامي النظامي القضدي
الذخري الثصيري الكفيلي الرعيمي المقدمي الإسفهنسلاوي
عمدة الملوك اختيار السلاطين الشيفي سيف الدين منجك
الصلاح دار الملكي المظفري أدام الله له السعادة وتلقه في
الدائرن الإراةة. (van Berchem, M., *CIA Égypte I*,
n° 532; Wiet, G., *RCEA XVI*, n° 6048).

ويوجد على البوابة رنك الأمير منجك وهو سيف على
جانبي المدخل. (ابن الفرات: تاريخ ٢/٩: ٢٤٧،
٢٥٩ المقريزي: السلوك ٤: ٧٩٧؛ أبو المحاسن: النجوم
الزاهرة ١١: ١٣٣هـ، ١٢: ٢٧٥هـ؛ محمد حسام الدين
إسماعيل: أربع بيوت مملوكية من الوثائق العثمانية،
حوليات إسلامية *An. Isl.* ٢٤ (١٩٨٨)، ٨٨-٩٩
عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٩١٧-
٩٢٦).

وهذا الجزء الباقي من الدار الآن في غاية من الإهمال
ويستختم كمنقلب للقمامة!
^٣ هذا الجامع هو نفسه الجامع الذي ذكره أبو المحاسن -

^١ لم يُفرد المقرئ «خان منجك» بمدخل مستقل،
ولكنه تبعاً للأوصاف الواردة في الخطط، كان مجاوراً لخان
الخليلي في قلب القاهرة الفاطمية. (فيما تقدم ٢: ٢٤٧،
٣٥٤: ٥، ١٠٢: ٨، ١٢٠: ١٣).

^٢ دار منجك اليوسفي السلاح دار. ما زالت بقايا هذه
الدار موجودة إلى الآن بأول شارع سوق السلاح (سويقة
العزى) على يسار الداخل فيه من جهة جامع السلطان حسن
وشارع القلعة (محمد علي سابقاً) ومسجلة بالآثار برقم
٢٤٧. وآلت هذه الدار في نهاية القرن التاسع الهجري إلى
ملك تمزقنا الظاهري الدوادار، وكان في مواجهتها دار
قطلوئقا الكركي التي زالت الآن. والمتبقي من دار منجك هو
بوابتها الحجرية المنشأة سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، وما يُصِلُّ بها
من عقود صغيرة. وهي مدخل فنم كيب حول عقيد سقفه
اسم المنشي وألقابه في شريط بالخط النسخ المملوكي نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بإنشاء هذا المكان المبارك
المقر الأشرف العالي المؤلفي الأميري الكبير المحترمي
المخدومي المجاهدي المرابطي المناصري المؤيدي المنصوري

جامع البكجري

هذا الجامع بحجر البكجري قريباً من الدُّكَّة ، تَعَطَّلَت الصَّلَاةُ فِيهِ مِنْذُ خَرِبَتْ تِلْكَ الْجِيَهَاتُ .

جامع السُّرُوجِي

(a)

هذا الجامع بحجر

جامع كُزْجِي

هذا الجامع بحجر آقوش .

جامع الفاخري

هذا الجامع بشوَيْقَةَ الخَادِمِ أنشأه^(b) الطَّوَّاشِي شِهَابُ الدِّينِ فَاخِرُ المَنْصُورِي مُقَدِّمُ المَالِيكِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَمَاتَ فِي سَابِعِ ذِي الحِجَّةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِ مَائَةٍ^(c) . وَكَانَ ذَا مَهَابَةٍ وَأَخْلَاقِي حَسَنَةٍ ، مَعَ سَطْوَةٍ شَدِيدَةٍ^(١) .

« وَلَهُم بَلْبَانُ الفَاخِرِي » : الأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ ، نَقِيبُ الجُيُوشِ ، مَاتَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مَائَةٍ ، وَوَلِيَ نِقَابَةَ الجَيْشِ بَعْدَ طَبِيزَسِ الوَازِرِي ، وَكَانَ جَوَادًا عَارِفًا بِأَمْرِ الأَجْنَادِ ، خَيْرًا كَثِيرَ التَّرَفِ .

(a) بياض في التسخ . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق والنسخ : وثمان مائة ، وهو سبق قلم .

= ابن ثغري بؤدي باسم «جامع ملكنثر الشيوخوني» من محاسن الزمان . (بدائع الزهور ٢/١ : ٧١) المقرئ : بطريق بولاق . (النجوم الزاهرة ١٦ : ٣١٤) ، الذي ذكر ابن إياس في حوادث سنة ٥٧٦٩هـ / ١٣٦٨م ، الإنعام على صاحبه الأمير ملكنثر الشيوخوني خازن دار الأتابكي شيخو بتقدمة ألف . ثم أضاف : «والأمير ملكنثر هذا هو الذي أنشأ الجامع الأخضر الذي بالقزوب من قم الخور، وكان

^١ راجع ، ابن حجر : الدرر الكامنة ٣ : ٢٩٩ ؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٨ : ٣٦٧ .

^a ساطلمش الفاخري أنعم عليه بإمرة عشرة عوضاً عن سنجر الأسندمري بحكم وفاته في ثالث عشر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وسبع مائة، ومات في ثالث ذي الحجة منها^a.

جامع ابن عبد الظاهر

هذا الجامع بالقرافة الصغرى، قبلي قبر الليث بن سعد، كان موضعه يُعرف بالحنّاق^١. أنشأه القاضي فتح الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر الجذامي السعدي الرّوحي^٢، من ولد روح بن زنباع الجذامي، بجوار قبر أبيه. وأوّل ما أقيمت به الخطبة في يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة ثلاث وثمانين وست مائة، وكان يوماً مشهوداً لكثرة من حضر من الأعيان.

وُلد بالقاهرة في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وست مائة، وسمِع من ابن عبد الظاهر^{١٠} الجمّيزي وغيره، وحدث وكتب في الإنشاء، وساد في دولة المنصور قلاوون بعقله ورأيه وهنّته، وتقدّم على والده القاضي محيي الدين - وهو ماهر في الإنشاء والكتابة - بحيث كان من جملة من يُصرّفهم بأمره ونهيه، وكان الملك المنصور يعتمد عليه ويثق به.

ولما ولي القاضي فخر الدين بن لقمان الوزارة، قال له الملك المنصور: من يلي عوضك كتابة السّر؟ فقال: القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر، فولاه كتابة السّر عوضاً عن ابن لقمان، وتمكّن من السلطان وحظي عنده، حتى إن الوزير فخر الدين بن لقمان ناوّل السلطان كتاباً، فأحضر ابن

(a-a) إضافة من هامش نسخة آياصوفيا.

^١ اندثر الآن هذا الجامع وزالت معالمه بسبب ما أُقيم على أرضه من المقابر، وكان واقعاً بجبّانة الإمام الليث بالقرب من تربة الفخر الفارسي بالقرافة الصغرى جنوب القاهرة. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢١٠هـ^٢).

^٢ فتح الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر صاحب ديوان الإنشاء ومؤتمن المملكة بالديار المصرية، هو ابن القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر صاحب كتاب «الرؤضة البهية الزاهرة في خطط المعرّية القاهرة». توفي في حياة أبيه سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م بقلعة دمشق ودُفن بسفح قاسيون، وقُجع فيه والده. (الصفدي: الوافي بالوفيات ٣: ٣٦٦-٣٦٨؛ أبو المحاسن: الدليل الشافي ٦٤٢-٦٤٣).

عبد الظاهر لقراءته على عادته ، فلما أخذ الكتاب من السلطان ، أمر الوزير أن يتأخر حتى يقرأه ، فتأخر الوزير . ثم إن ابن لقمان صُرف عن الوزارة ، وأعيد إلى ديوان الإنشاء ، فتأدب معه . فلما ولي وزارة الملك الأشرف خليل بن قلاوون شمس الدين بن السلغوس ، قال لفتح الدين : اغرض علي كل ما تكتبه . فقال : لا سبيل لك إلى ذلك ، ولا يطالع على أسرار السلطان إلا هو ، فإن اختزتم وإلا عيّنوا عوّضي . فلما بلغ السلطان ذلك قال : صدق .

ولم يزل على حاله إلى أن مات - وأبوه حي - بدمشق في النصف من شهر رمضان سنة إحدى وتسعين وسبع مائة . فوجد في تركته قصيدة مرثية قد عملها في رفيقه تاج الدين أحمد ابن سعيد بن محمد بن الأثير ، لما مرض وطال مرضه ، فاتفق أن عوفي ابن الأثير ، ولم يتأخر ابن عبد الظاهر بعد عافيته سوى ليالي يسيرة ومرض ومات . فرثاه ابن الأثير بعد موته ، وولي وظيفة كتابة السرّ عوّضا عنه .

ولم يكن ابن عبد الظاهر مجيدا في صناعة الإنشاء ، إلا أنه دبر الديوان وبأسره أحسن مباشرة ، ومن شعره :

[الكامل]

إن شئت تنظرنني وتنظرن حالتي فأنظرن إذا هبّ التسيم قبولا
فتراه مثلي رقة ولطافة ولأجل قلبك لا أقول عليلا
فهو الرسول إليك مني لئنتي كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

/ولم يزل هذا الجامع عامرا إلى أن حدثت الحين في سنة ست وثمان مائة ، واختلت القرافة فتلاشى^(a) لخراب ما حوله ، وهو اليوم قائم على أصوله .

جامع بساتين الوزير

التي على بركة الحبش

٢

(a) ساقطة من بولاق .

^٢ فيما تقدم ٣ : ٥٢٣ : ٢ .

^١ عند الصفدي ، مضدر الثقل ، قبل هذه العبارة : قال قُطب الدين اليونيني : لما توفي فتح الدين وجد في أوراقه .

جامع الخندق

هذا الجامع بناحية الخندق خارج القاهرة ، ولم يزل عامراً بعمارة الخندق . فلما خربت مساكن الخندق تلاشى أمره ، ونقلت منه الجمعة ، وبقي معطلاً إلى شعبان سنة خمس عشرة وثمان مائة . فأخذ الأمير طوغان الحسني الدوادار عمده الرخام وسقوفه ، وترك جدرانته ومنارته وهي باقية ، وعمًا قليل تذثر كما دثر غيرها بما حولها^١ .

جامع جزيرة الفيصل

٢

جامع الطواشي

هذا الجامع خارج القاهرة فيما بين باب الشفوية وباب البحر ، أنشأه الطواشي جوهر الشحزني اللالا ، وهو من خدام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ثم إنه تأمّر في تاسع عشرين شهر رجب سنة خمس وأربعين وسبع مائة^٣ .

جامع كراي

هذا الجامع بالزيتاينة خارج القاهرة عمّره الأمير سيف الدين كراي المنصوري في سنة إحدى وسبع مائة ، لكثرة ما كان هناك من السكان . فلما خربت تلك الأماكن تعطل هذا

^١ فيما تقدم ٢٤٠؛ علي مبارك ٤: ٢٢٧ (١١٠) .
^٢ فيما تقدم ٣: ٥٩٣ : ٨ .
^٣ جامع الطواشي . سناه أبو المحاسن : النجوم الزاهرة

٢٠٩:٩ «جامع جوهر الشحزني القريب من باب الشفوية» .
 وأنشئ هذا الجامع سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م كما هو مثبت على لوحة رخامية كانت على باب الجامع تحمل النص التالي :
 «بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك من فضل الله الفقير إلى الله جوهر الشحزني اللالا الملكي

الصالحى ، وكان ابتداءه في شهر رجب الفرد ومنتهاه في شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وسبع مائة» . (Wiet, G., RCEA XV, n° 5957) .
 ووّرّد ذكر هذا الجامع في خريطة القاهرة التي رسمها علماء الحملة الفرنسية (D 10, 145) باسم «جامع الطواشي» ، وكان يوجد بشارع الطواشي وغير مستجل كآثر ، فتم هدمه وأقيم في موضعه جامع جديد وثبت النقش التاريخي للجامع الأصلي فوق مدخل الجامع الجديد .

الجامع، وهو الآن قائم وجميع ما حوله دائر، وعمًا قليل يذثر^١.

جامع القلعة

[الر رقم ١٤٣]

هذا الجامع بقلعة الجبل، أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ثمان عشرة وسبع مائة^٢. وكان أولًا مكانه جامع قديم، وبجواره المطبخ السلطاني والحوائج خاناه والطشت خاناه

القاشاني الأخضر الملون، وقد سقطت هذه القبلة على المحراب والمنتبر في عصر السلطان الأشرف قايتباي سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٨م فأعاد بناءها كما جدد قايتباي منبر الجامع وجعله من الرخام الملون بعد أن كان من الخشب. (ابن إياس: بدائع الزهور ٣: ٢٤٥).

والجامع بني مرتين في عهد الناصر محمد بن قلاوون: الأولى سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م وتخلّف عنها نص تأسيسي من أربعة أسطر بالخط الشخ المملوكي على لوح من الحجر الكلسي نصه:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَمَرَ بِإِنشَاءِ هَذَا الْجَامِعِ الْمُبَارَكِ الشَّعِيدِ، لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى، سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ، نَاصِرِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، مُحَمَّدِ بْنِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الشَّهِيدِ قَلَاوُونَ الصَّالِحِي فِي شَهْرِ سَنَةِ ثَمَانِيَةِ عَشْرٍ وَسَبْعِ مِائَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ». (van Berchem, M., *CIA Égypte I*, n° 5398; Wiet, G., *RCEA XIV*, n° 112).

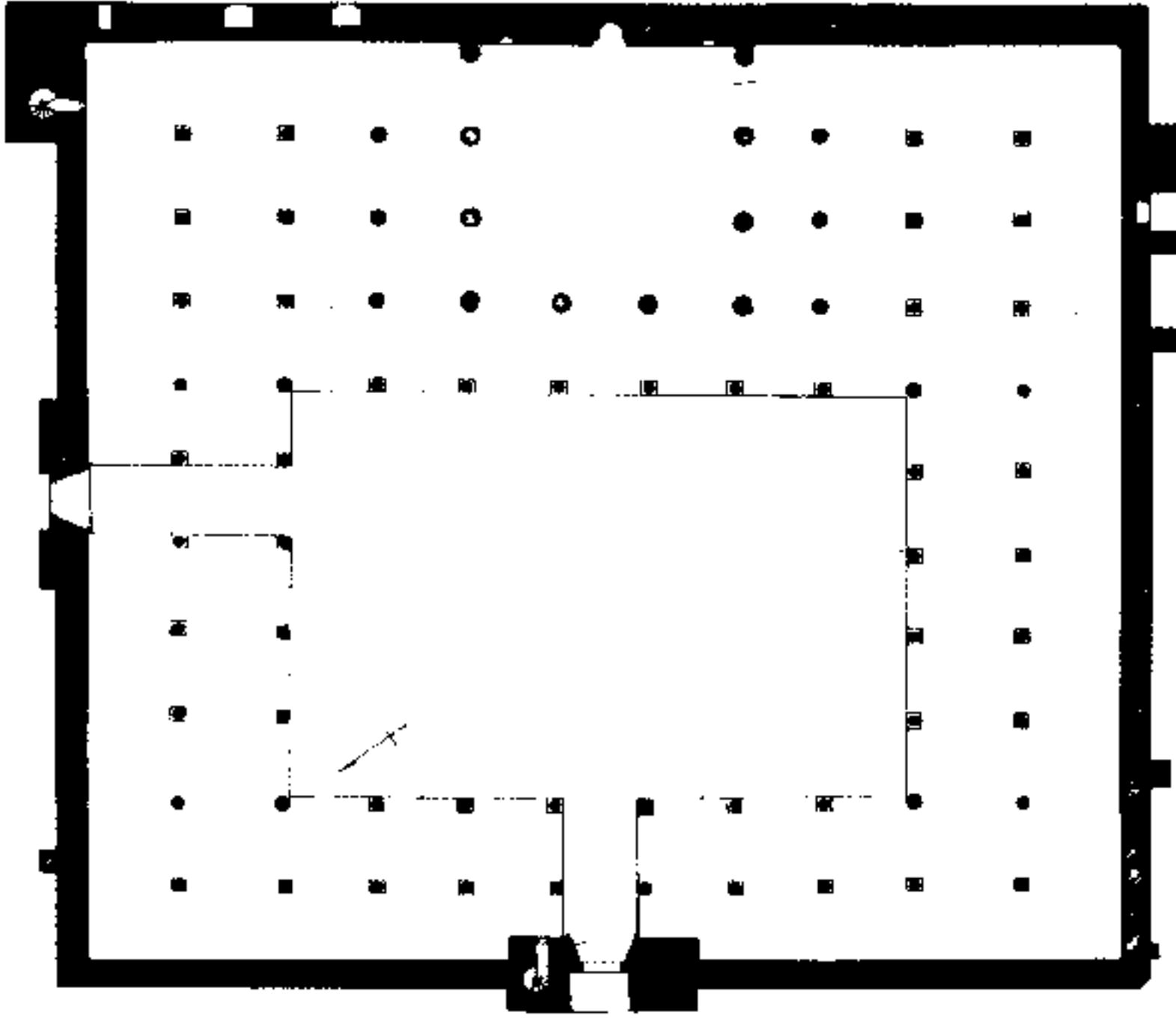
وبقاء هذا النص يدل على أن ما قام به الناصر محمد في سنة ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م هو تجديد إيوان القبلة والقبلة التي تطلوه فقط، ولم يُعد بناء الجامع بأكمله، حيث يُوجد شريط من الخشب المحفور في قاعدة القبة أعلى المحراب يحمل النص التالي:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآية ٧٦ سورة الحج، والآية ١٨ سورة التوبة - بما أمر بإنشائه مولانا السلطان الملك الناصر ابن مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك =

١ جامع كراي. سناه أبو المحاسن: «جامع الأمير كراي المنصوري بأخر الحسينية». (النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٠)، وكان هذا الجامع عامرًا حتى القرن العاشر الهجري فقد كان مقيمًا فيه الشيخ محمد العجيمي، المتوفى سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م (ابن إياس: بدائع الزهور ٣: ٢٩٢: ٧). وذكر علي باشا مبارك أن آثار هذا الجامع قد زالت بالكلية في وقته وموضعه كيمانًا في خارج باب المنصر (الخطط التوفيقية ٥: ٢١٢). ولكن محمد رمزي حدّد مكان هذا الجامع بالجامع المعروف الآن باسم جامع الكومي - نسبة إلى الشيخ علي الكومي المدفون فيه - الواقع في شارع الولاية الصغرى بقسم الولاية، والذي جددته في سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م رجل يعرف بمحمد حسين البيومي (الخطط التوفيقية ٥: ٢١٦-٢١٧ (٩٥)، ثم جددته ديوان الأوقاف سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٠).

٢ جامع القلعة. ذكر ابن أبيك أن الناصر محمد أحضر لهذا الجامع أعمدة عظيمة كانت منسوبة بمدينة الأشمونين بالوجه القبلي كانت في البريا التي بمدينة الأشمونين، نقلها الأمير سيف الدين أروس بغا الناصري وسخر لذلك عددًا كبيرًا من المهندسين والقتالين والحجارين (كنز الدرر ٩: ٣٨٢-٣٨٣). والجامع مبني على طراز المساجد الجامعة: صحن مكشوف مُحيط به أربعة إيوانات ذات أزوقة أكبرها إيوان القبلة. وكان يغلو إيوان القبلة قبة شاهقة عُرفت بالقبلة الخضراء لأنها كانت مكسوة ببلطات من

والفراش خاناه، فهدم الجميع وأدخلهم في هذا الجامع، وعمّره أحسن عمارة، وعمِل فيه من الرخام الفاخر الملون شيئا كثيرا، وعمّر فيه قبة جليلة، وجعل عليه مقصورة من حديد بديعة الصنعة، وفي صدر الجامع مقصورة من حديد أيضا برسم صلاة السلطان.



مخطّط جامع الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة (عن Meinecke)

النجوم الزاهرة ٩: ٥٦، ١٨٠، ١٩٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٤٤٨؛ Watson, C. M., «The Mosque of Sultan Nasir Mohammed Ebn Kalaoun in the Citadel of Cairo», *JRAS* (1886), pp. 477-83; Casanova P., *Citadelle du Caire*, pp. 620-25 (الترجمة العربية ١١٦-١٢٠)؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ١٣١-١٣٩؛ Behrens-Abousief, D., *The Citadel of Cairo* pp. 33-34; Rabbat, N., *The Citadel of Cairo*, pp. 225-28؛ أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٢٥٣-٢٧٧؛ وفيما تقدم ٣: ٦٨١-٦٨٢؛ ولشافع بن علي، المتوفى سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م، كتاب إفاضة أبي الحُلل على جامع قلعة الجبل (الصفدي: الوافي بالوفيات ١٦: ٨٠) لم يصل إلينا.

= المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون، تغمّده الله برحمته، وذلك في سنة خمسٍ و[ثلاثين وسبع مائة]. (van Berchem, M., *CIA Egypte I*, n° 119; Wiet,) . (G; *RCEA XV*, n° 5666)

وكان هذا الجامع طوال القصر المملوكي بمثابة جامع القصر الخاص حتى بناء جامع محمد علي باشا. (راجع، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٨٠-٨١؛ النويري: نهاية الأرب ٣٢: ٢٨٣؛ الشجاعى: تاريخ الملك الناصر ١١٣، ١١٥-١١٦؛ اليوسفي: نزهة الناظر ٢٤٠-٢٤١؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٩: ٢٩٣، ٣٨٢-٣٨٣، ٣٨٨؛ الفلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٧٠-٣٧١؛ المقرئزي: السلوك ٢: ١٨٤، ٣٨٠؛ أبا المحاسن:

فلَمَّا تَمَّ بِنَاؤُهُ جَلَسَ فِيهِ السُّلْطَانُ بِنَفْسِهِ ، وَاسْتَدْعَى جَمِيعَ الْمُؤَدِّينَ بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ ، وَسَائِرَ
الْخُطْبَاءِ وَالْقُرَّاءِ ، وَأَمَرَ الْخُطْبَاءَ فَخَطَبَ كُلُّ مِنْهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَامَ الْمُؤَدِّونَ فَأَذَّنُوا وَقَرَأَ الْقُرَّاءُ ،
فَاخْتَارَ الْخَطِيبَ جَمَالَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْقَسْطَلَانِي - خَطِيبَ جَامِعِ عَمْرٍو -
وَجَعَلَهُ خَطِيبًا بِهَذَا الْجَامِعِ ، وَاخْتَارَ عَشْرِينَ مُؤَدِّيًا رَتَّبَهُمْ فِيهِ ، وَجَعَلَ بِهِ قُرَّاءَ وَدَرَسًا وَقَارِيًّا
مُصْحَفٍ ، وَجَعَلَ لَهُ مِنَ الْأَوْقَافِ مَا يَفْضُلُ عَنْ مَصَارِفِهِ ^١ .

فَجَاءَ مِنْ أَجْلِ جَوَامِعِ مِصْرَ وَأَعْظَمِهَا ، وَبِهِ إِلَى الْيَوْمِ يُصَلِّي سُلْطَانُ مِصْرَ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ ،
وَالَّذِي يَخْطُبُ فِيهِ وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ الْجُمُعَةَ قَاضِي الْقَضَاةِ الشَّافِعِي ^٢ .

جَامِعُ قُوصُونِ

[أثر رقم ٢٩٣]

هذا الجامع خارج ^١ باب القرافة تجاه خانقاه قوصون ^٢ ، أنشأه الأمير سيف الدين قوصون ^٣ ،
وعمر بجانيه حمامًا ، فعمرت تلك الجهة من القرافة بجماعة الخانقاه والجامع ، وهو باقٍ إلى
يَوْمِنَا ^٥ .

(a) بولاق والنسخ: داخل، والمثبت من السلوك ٢: ٥٤٥، وهو الصواب.

على الذين يُبدلونهم . بتاريخ سنة ثلاثين وسبع مائة .
^٢ أضاف ابن أبي الشرور البكري : «قلت : وفي زمننا
الآن في أيام العيدين : الفِطْرَةَ والأَضْحَى ، يطلع وزير مصر يوم
العيد وأمامه جميع الجاويشية والمتفرقة وأمرأة الجراكسة
وأغاوات البلكات وجميع الصناجق الذين في ذلك الأوان
وهم مُشاة أمامه إلى أن يذهب إلى هذا الجامع فيصلي فيه
صلاة العيد ، ويأتي هو وجميع من ذكر ويجلس على الشماط
هو وهم يأكلون ، وبعد ذلك يتفرقون كلُّ أحدٍ إلى منزله .
(قطف الأزهار ٢٣٩ و) .

= وقامت لجنة حفظ الآثار العربية بإصلاح وتزميم الجامع
عام ١٩٤٧ ، حيث أعادت بناء القبة الكبيرة التي بالإيوان
الشرقي وأصلحت منارته وسقفه .
^١ وصل إلينا المصحف الذي وقَّه السلطان الناصر
محمد بن قلاوون على جامع القلعة ، وهو محفوظ بدار
الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٤ مصاحف ، ونص
وقفيته :

«أوقف هذا المصحف الشريف مولانا السلطان المالك
الملك الناصر محمد بن مولانا السلطان سيف الدين
قلاوون ، سقى الله عهدهما ، وجعل مقره بالجامع الكبير
بالقلعة المنصورة وشرط ألا يخرج من المسجد المذكور بوجه
ما وقفنا صحيحًا شرعيًا ، ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ

^٣ انظر خانقاه قوصون فيما يلي ٧٧٨ - ٧٨٢ .

^٤ انظر ترجمة قوصون فيما تقدم ٢٢٤ - ٢٢٦ .

^٥ مجهول : تاريخ سلاطين المماليك ٢٠٣ ، ٢٢٦ =

جامع كوم الرّيش

هذا الجامع عمّره^a دُولات شاه^١.

جامع الجزيرة الوسطى

أنشأه الطّواشيّ مثقال، خادم تذكّار ابنة الملك الظّاهر بيبرس، وهو عامرٌ إلى يومنا

هذا^٢.

(a) بولاق : عمارة .

الذي لم يتبق منه سوى مثذنته القبليّة وقطعة من جدار القبلة، وهو بالقرب من جامع مسيح باشا الذي يُطلَق عليه الآن : جامع المُسبِّح (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٢٠٧:٩ هـ ٢٠٧ هـ^٢ محمد أبو العمام : الميثاق القبليّة وما حولها من الآثار خارج باب القرافة بالقاهرة، حوليات إسلامية *An. Isl.* (2000) XXXIV، ٥٣-٨٩).

^١ سناه أبو المحاسن : جامع دَوْلَة شاه تملوك القلاهي بكوم الرّيش (النجوم الزاهرة ٢٠٣:٩)، وذكر المقرئبي أنّه أُنزك بكوم الرّيش سوقاً عامراً بالمعاش، وحنّامًا وجامعين تقام بهما الجُمعة...، ومنازة لا يُقدر الواصف أن يُعبّر عن حُسينها لما اشتملت عليه من كلّ معنى رائق بهيج. ثم تحزّب كلّ ذلك في أعقاب الحين التي حدّثت سنة ٨٠٦ هـ. (فيما تقدم ٤٣٠:٣).

^٢ سناه أبو المحاسن : جامع بنت الملك الظّاهر بالجزيرة المُستَجْدَة المعروفة بالوسطانية. (النجوم الزاهرة ٢٠٦:٩). وحدّد محمد بك رمزي مكان هذا الجامع بالجامع القائم في منطقة الجزيرة المعروف بجامع الجزيرة، والذي تجدد أكثر من مرّة، والواقع عند مطلع كوبري أكتوبر في شارع الجزيرة بجوار المسئلة المصرية القديمة.

= المقرئبي : السلوك ٢: ٥٤٥؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٢٠٧:٩.

وذكر مؤلّف «تاريخ سلاطين المماليك» أنّ الجامع الذي أنشأه الأمير سيف الدين قوضون خارج باب القرافة بجوار الخانقاه التي أنشأها فرغت عمارته في أواخر سنة ٧٣٩ هـ/ ١٣٣٩ م، وأن أصله جامعًا لطيفًا أنشأه جماعة فقراء أغجم سنة ٧٢٣ هـ/ ١٣٢٣ م فهدمه الأمير قوضون سنة ٧٣٨ هـ/ ١٣٣٨ م وبني عوضه هذا الجامع. (تاريخ سلاطين المماليك ٢٠٣)، وبذا يكون الجامع قد أنشئ بعد إنشاء الخانقاه بثلاثة أعوام حيث أنشأ الخانقاه عام ٧٣٦ هـ. وأقيم الجامع تجاه الخانقاه من جهة الجنوب الغربي. وقد أشارت خريطة القاهرة التي رسمها علماء الحملة إلى هذا الجامع باسم جامع السلطان قيشون [2, X-3] وكان مُبطلًا على الطريق الرئيس المسمّى الآن بشارع القرافة الكبرى. وكان مُصنَّمًا على تخطيط المساجد الجامعة : صحنٌ مكشوف تطلُّ عليه أربعة إيوانات ذات أزوقة، وتُعايدل مساحته مساحة الجامع النَّاصري بالقلعة وكذلك جامع المارديني المُشيد في الفترة نفسها. وسجّلت بعض الرسوم التي عُملت في مطلع القرن التاسع عشر وبعض الصُّور الفوتوغرافية التي أُخذت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بقايا هذا الجامع

جامع ابن صارم

هذا الجامع بخط بولاق خارج القاهرة . أنشأه محمد بن صارم شيخ بولاق فيما بين بولاق وباب البحر^١ .

جامع الكيمختي

هذا الجامع يُعرف اليوم بجامع الجنينة^٢ ، وهو بجانب موضع الكيمخت^٣ على شاطئ الخليج من جملة أرض / الطبالة . كان موضعه داراً اشتراها معلم الكيمخت ، وكان يُعرف بالحتموي ، وعملها جامعاً . فضمن المعلم^٤ بعده رجل يُعرف بالرومي ، فوقف عليه مواضع ، وجدد له مقذنة في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمان مائة ، ووسع في الجامع قطعة كانت منشراً . وكان قبل ذلك قد جدد عمارته شخص يُعرف بالفقيه زين الدين ربحان بعد سنة تسعين وسبع مائة ، وعمر بجانبه مساكن ، وهو الآن عامر بعمارة ما حوله .

جامع الست مشككة

[أثر رقم ٢٥٢]

هذا الجامع بالقرب من قنطرة آق سنقر التي على الخليج الكبير خارج القاهرة^٤ . أنشأه الست مشككة ، جارية الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأقيمت فيه الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة

(a) بولاق : المعلم .

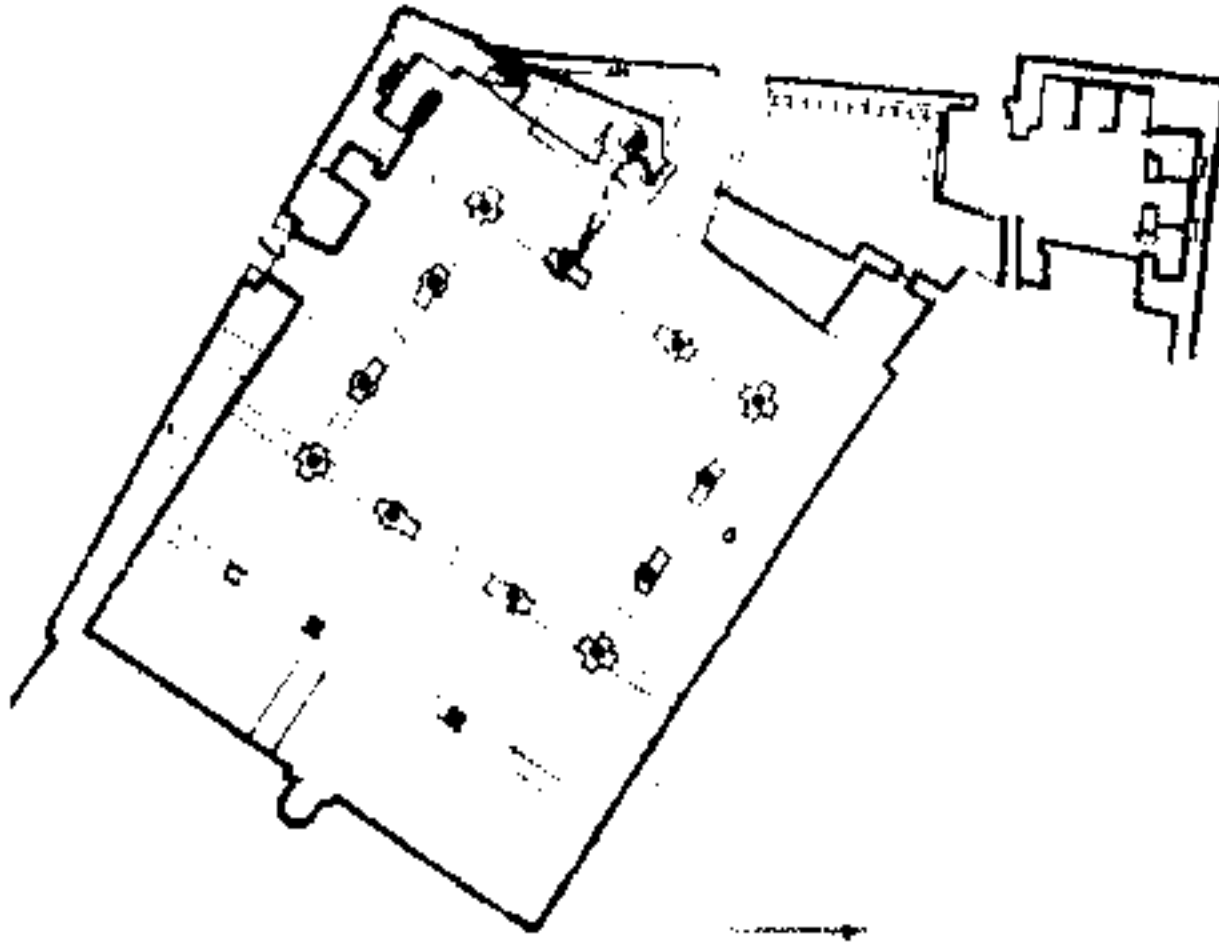
^٣ الكيمخت . فارسي ، يعني نوعاً من الجلد (Dozy, R., Suppl. Diet. Ar. II, 514).

^٤ لا يزال جامع الست مشككة (حذق) قائماً إلى الآن بسيكة شوقي مشككة المتفرعة من شارع مجلس الشعب غربي شارع بورسعيد . وبأعلى مدخله على لوحة من الرخام كتابة تاريخية تُفيد الفراغ من بناء الجامع سنة ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م ، نصها :

^١ حدّد محمد بك رمزي مكان هذا الجامع بالجامع المعروف بجامع الشيخ عطية بدزب نصر بولاق . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٣٣٣) .

^٢ يقع هذا الجامع خارج باب الشريعة قرب جامعي الدشوطي والعدوي ، وسماه علي باشا مبارك «جامع المغاربة» . (الخطط التوفيقية ٣ : ٢٧٣ (٧٦) ، ٧٧ : ٥ . (١٢١) .

إحدى وأربعين وسبع مائة. وقد ذكّرت مشكّة هذه عند ذكر الأحكار^١.



مُخَطَّط جامع الست مشكّة (عن اللجنة)

جامع ابن الفلك

هذا الجامع بشوَيْقَة الجُمَيْزَة من الحُسَيْنِيَّة خارج القَاهِرَة ، أنشأه مُظَفَّر الدِّين^(a) بن الفلك^٢.

(a) بياض في أياصوفيا وباريس.

١٩٧:٩ هـ^١ ، ٢٠٩ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٢٦٢-٢٦٣ (١١٥) ؛ Abd al-Râziq, A., «Trois fondations féminines dans l'Égypte mamlouke», *REI* 41 (1973), pp. 97-111; Williams, C., «The Mosque of Sitt Hadaq», *Muqarnas* XI (1994), pp. 55-64 ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٧١١:٢-٧٣٢.

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَمَرْتُ بِإِنشَاءِ هَذَا الْجَامِعِ الْمُبَارَكِ الْفَقِيرَةَ إِلَى اللَّهِ ، الْحَاجَّةُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ ، الزَّائِرَةُ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، الشَّرِيفِ الرَّفِيعِ حَدَقِ الْمَعْرُوفَةِ بِسِتِّ مَشَكَّةِ النَّاصِرِيَّةِ فِي شَهُورِ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ . (van Berchem, M., *CIA Égypte* I, n° 134; Wiet, G., *RCEA* XV, n° 5798).

^١ فيما تقدم ٣:٣٨٦-٣٨٧ . ولا يترك النصُّ التأسيسي المذكور في الهامش السابق أي مجالٍ للشكِّ في أنَّ الستَّ حَدَقِ هي نفسها الستَّ مشكّة . (راجع مناقشة ذلك فيما تقدم ٣:٣٨٦ هـ^٧).

كما تُوجَدُ كِتَابَةٌ أُخْرَى أَعْلَى بَابِ الْمَنِيرِ ، نَصُّهَا : «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ . وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ هَذَا الْجَامِعِ الْمُبَارَكِ فِي شَهُورِ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ . (van Berchem, M., *CIA Égypte* I, n° 135; Wiet, G., *RCEA* XV, n° 5799).

^٢ ويُعْرَفُ أَيْضًا بِجَامِعِ الْمُظَفَّرِ ، وَسُوقَةِ الْجُمَيْزَةِ كَانَتْ قَدِيمًا جَزْءًا مِنْ شَارِعِ الشُّبُومِي بِالْحُسَيْنِيَّةِ ؛ لِذَا فَقَدْ حَدَّدَ =

وراجع كذلك ، أبا المحاسن : النجوم الزاهرة

جامع الشكروني

هذا الجامع في ناحية بولاق الشكروني ، وهذه الناحية من جملة قرى الجيزة ، كانت تُعرف بمئنة بولاق ، ثم عُرفت ببولاق الشكروني ؛ فإنه كان نزل بها الشيخ أبو محمد يوسف بن عبد الله الشكروني ، وكان يُعتقد فيه الخير ، وجُرِّبَتْ بركة دُعائه ، وحكيت عنه كرامات كثيرة ؛ منها أن امرأة نخرجت من مدينة مصر تريد البحر ، فأخذ السودان ابنها ، وساروا به في مركب ، وفتحوا القلع ، فجزت السفينة ، وتعلقت المرأة بالشيخ تستغيث به ، فخرج من مكانه حتى وقف على شاطئ النيل ، ودعا الله سبحانه وتعالى ، فسكن الريح ووقفت السفينة عن السير ، فنادى من في المركب يطلب منهم الصبي ، فدفعوه إليه وناولوه لأمه .

وكان بمصر رجل دباغ أتاه عفص ، فأخذه منه أصحاب السلطان ، فأتى إلى الشيخ وشكا إليه ضرورته ، فدعا ربه ، فرد الله عليه عفصه بسؤال أصحاب السلطان له في ذلك .

وكان يُقال له : لِمَ لا تسكن المدينة ؟ فيقول : إني أشم رائحة كريهة إذا دخلتها . ويُقال إنه كان في خلافة العزيز بن المعز ، وإن الشريف محمد بن أسعد الجواني جمع له جزءا في مناقبه . ولما مات بُني عليه قبة ، وعُمِلَ بجانبه جامع جدده ووسعه الأمير محسن الشهابي مُقدّم المماليك ، وولي تقديم المماليك عوضا عن الطواشي عنبر السخرتي أول صفر سنة ثلاث وأربعين وسبع مائة ، ومات في ^(a)

ثم إن النيل مال على ناحية بولاق هذه فيما بعد سنة تسعين وسبع مائة ، وأخذ منها قطعة عظيمة كانت كلها مساكن . فخاف أهل البلد أن يأخذ ضريح الشيخ والجامع لقربهما منه ، فنقلوا الضريح والجامع إلى داخل البلد ، وهو باقٍ إلى يومنا هذا ^١ .

(a) بياض في أباصوفيا وباريس .

إصلاحات بداخله في سنة ١٩٣٩ ، وبالجامع ضريح سيدي علي البيومي . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٩ هـ^١) .
١ بولاق الشكروني . والصواب في شكلها بلاق بكسر أولها لأن أصلها المصري Bilaq وهي كلمة مصرية قديمة معناها المرساة والمؤزدة ، وأطلق هذا الاسم على بولاق هذه =

= محمد بك رمزي مكان جامع المظفر بالمكان الذي أقيم عليه الآن الجامع المعروف باسم «جامع البيومي» في الشارع الذي يحمل اسمه . وهذا الجامع جدده عثمان آغا الوكيل تابع الحاج بشير آغا دار الشعادة في سنة ١١٨٠ هـ/١٧٦٦ م كما هو مكتوب بأعلى بابه . وأجزت فيه وزارة الأوقاف

جامع البرقية

هذا الجامع بالقرب من باب البرقية بالقاهرة. عمّره الأمير مُغلطاي الفخري أخو الأمير أُلّاس الحَاجِب، وكَمُلَ في المحرم سنة ثلاثين وسبع مائة. وكان ظالماً عَشُوقاً مُتَكَبِّراً جَبَّاراً، وَقُبِضَ عليه مع أخيه أُلّاس في سنة أربع وثلاثين وسبع مائة، وقُتِلَ معه^١.

جامع الحراني

هذا الجامع بالقرافة الصُغرى في بحري الشافعي، عمّره ناصرُ الدّين بن الحراني الشرايبي في سنة تسع وعشرين وسبع مائة^٢.

جامع بركة

هذا الجامع بالقرب من جامع ابن طولون، يُعرف خُطّه بِحَدْرَةِ ابن قَمِيحَة. عمّره شَخْصٌ من الجنيد يُعرف بِبِرْكَة، كان يُباشِرُ أستاذارية الأُمراء، وماتَ بعد سنة إحدى وثمان مائة^٣.

بشارع الأزهر. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ١٤٢:٥ (٦٠)؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٢٠٥:٩ هـ^١؛ Raymond, A., «Les constructions de l'émir 'Abd al-Rahmân Kathuda au Caire», *An. Isl. XI* (1972), p. 241؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١٧٠٩:٤-١٧٥١).

^٢ اندثر الآن هذا الجامع ودخلت أرضه في المقابر الواقعة بحري جامع الإمام الشافعي. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ١٧٢:٤ (٨٢)؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٢٠٣:٩ هـ^٥).

^٣ كان هذا الجامع مازال موجوداً حتى نهاية القرن التاسع عشر، وشاهده علي باشا مبارك. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ١٣٦:٤ (٦٥)).

= غرب النيل لأنها كانت المؤزدة قبل إنشاء مدينة الجيزة. وما زال ضريح الشيخ التكروري في مكانه الذي نُقِلَ إليه في البلد القديم التي يدلُّ عليها المنطقة الواقعة بين مبنى وزارة الزراعة والمتحف الزراعي عند نهاية كوبري أكتوبر بالجيزة. (محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ٩:٣/٢-١٠).

^١ جامع البرقية. هو الجامع الذي حلَّ محلُّه الجامع المعروف بجامع العُزْبِ نسبةً إلى الشيخ محمد العُزْبِ المدفون بجواره، جدّده الأمير عبد الرحمن كَثُخدا في سنة ١١٦٨ هـ/١٧٥٤ م، بقول الجبّوتي: «وأنشأ عند باب البرقية المعروف بالعُزْبِ جامعاً وصهريجاً وحوضاً وسقايةً ومكتباً ورُتّب فيه تدرّيشاً» (عجائب الآثار ٧:٢). وما زالت بقايا هذا الجامع موجودة داخل حرم جامعة الأزهر الموجودة الآن

جامع بركة الرطلي

هذا الجامع كان يُعرف مَوْضِعُهُ بِبِرْكَةِ الْفُؤُولِ مِنْ جَمَلَةِ أَرْضِ الطَّبَّالَةِ ، فَلَمَّا عُمِّرَتْ بِرُكَّةِ الرَّطْلِيِّ ، كَمَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ ^١ ، أُنشِئَ هَذَا الْجَامِعُ . وَكَانَ ضَيْقًا قَصِيرَ السَّقْفِ ، وَفِيهِ قُبَّةٌ تَحْتَهَا قَبْرُ يُزَارُ ، وَهُوَ قَبْرُ الشَّيْخِ خَلِيلِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ ، خَادِمِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَالِ ، / وَتُوفِيَ فِي الْحَرَمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ^٢ . فَلَمَّا سَكَنَ الْوَزِيرُ الصَّاحِبُ سَعْدُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَرَكَةِ الْبَشِيرِيِّ ^٣ بِجَوَارِهَا الْجَامِعَ ، هَدَمَهُ وَوَسَّعَ فِيهِ وَبَنَاهُ هَذَا الْبِنَاءَ فِي سَنَةِ أَرْبَعِ عَشَرَ وَثَمَانِ مِائَةٍ .

وَوُلِدَ الْبَشِيرِيُّ فِي سَابِعِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ سِتِّ وَسِتِّينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، وَتَنَقَّلَ فِي الْخِدْمِ الدِّيَوَانِيَةِ حَتَّى وُلِيَ نَظَرَ الدَّوْلَةِ إِلَى أَنْ قُتِلَ الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ يُوسُفُ الْأَسْتَاذَارُ ، فَاسْتَقَرَّ بَعْدَهُ فِي الْوِزَارَةِ بِسَفَارَةِ فَتْحِ الدِّينِ فَتَحَ اللَّهُ كَاتِبَ السَّرِّ ، فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ رَابِعِ عَشْرِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَثَمَانِ مِائَةٍ ؛ فَبَاشَرَ الْوِزَارَةَ بِضَبْطٍ جَيِّدٍ لِمَعْرِفَتِهِ الْحِسَابِ وَالكِتَابَةِ ، إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ أَيَّامَ مِحْنِ الْاِحْتِاجِ فِيهَا إِلَى وَضْعِ يَدِهِ وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ بِأَنْوَاعِ الظُّلْمِ . فَلَمَّا قُتِلَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ فَرَجَ ، وَاسْتَبَدَّ الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ شَيْخًا ، صَرَفَهُ عَنِ الْوِزَارَةِ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ خَامِسِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، ^a وَوُلِيَ مَوْضِعَهُ تَاجُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ الْهَيْصَمِ وَصَادَرَهُ حَتَّى اِحْتِاجَ إِلَى مَسْأَلَةِ النَّاسِ ، فَأَعَانَهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ . وَمَا زَالَ فِي مَنْزِلِهِ مُنْقَطِعًا حَتَّى مَاتَ مِنْ مَرَضٍ طَوِيلٍ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ رَابِعِ عَشْرِ صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَثَمَانِ مِائَةٍ ^a ، وَدُفِنَ بِالْقَرَّافَةِ .

وهذا الجامع عامرٌ بعمارة ما حوله .

(a-a) هذه العبارة ساقطة من بولاق .

^١ فيما تقدم ٣: ٥٤٠-٥٤١ .

^٢ كان الجامع موجودًا حتى نهاية القرن التاسع عشر ،
وسمَّاه علي باشا مبارك «جامع الحريشي» ، وذكر أنه كان يقع
في بركة الرطلي بين دار الأمير سليم باشا السلخدار ودار
الأمير حسين باشا الخازندار . (الخطط التوفيقية ٣: ٢٦٤-٢٦٥)
(٧٢) ، ٤: ١٧٢ (٨٢) .

^٣ راجع ترجمة الوزير سعد الدين البشيري ، وكان
معدودًا من رؤساء الأقباط ، كذلك عند المقرئ: السلوك
٤: ٣٣٩ ؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤: ١٣٧ ، المنهل
الصابي ١: ٦٠ ؛ السخاوي: الضوء اللامع ١: ٣٣ .

١٠

١٥

ورُبَّمَا كَانَ هَذَا الْجَامِعُ هُوَ نَفْسُهُ الْجَامِعُ الَّذِي جَدَّدَهُ

جامع الصوّة

هذا الجامع فيما بين الطَّبْلَخَانَاهِ السُّلْطَانِيَّةِ وَبَابِ القَلْعَةِ المعروف بِبَابِ المَدْرَجِ^١ على رأس الصوّة^٢. أنشأه الأمير الكبير شَيْخُ المَحْمُودِي لما قَدِمَ من دِمَشْقَ بعد قَتْلِ المَلِكِ النَّاصِرِ فَرَجَ، وإِقَامَةِ الخَلِيفَةِ أمير المؤمنين المُسْتَعِين بالله العَبَّاسِي ابن محمد في سنة خمس عشرة وثمان مائة، وَسَكَنَ بالإسْطَبْلِ السُّلْطَانِي، فَشَرَعَ فِي بِنَاءِ دَارٍ يَسْكُنُهَا. فَلَمَّا اسْتَبَدَّتْ بِسُلْطَانِيَّةِ مِصْرَ وتَلَقَّبَ بِالمَلِكِ المُوَيْدِ اسْتَعْنَى عن هذه الدار - وكانت لم تكْمَلْ - فَعَمِلَهَا جَامِعًا وَخَانِقَاهُ، وَصَارَتِ الجُمُعَةُ تُقَامُ بِهِ^٣.

جامع الحوش

هذا الجامع في داخل قَلْعَةِ الجَبَلِ بِالحُوشِ السُّلْطَانِي. أنشأه السُّلْطَانُ المَلِكُ النَّاصِرُ فَرَجُ ابن بَرْقُوقِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَثَمَانِ مِائَةٍ، فَصَارَ يُصَلِّي فِيهِ الخُدَّامُ وَأَوْلَادُ المَلُوكِ من أَوْلَادِ المَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بنِ قَلَاوُونَ إِلَى أَنْ قُتِلَ النَّاصِرُ فَرَجُ^٤.

جامع الإسطبل

هذا الجامع في الإِسْطَبْلِ السُّلْطَانِي من قَلْعَةِ الجَبَلِ. عَمَّرَهُ (a)

(a) بياض في النسخ.

^١ انظر عن هذه المواضع، فيما تقدم ٣: ٦٥١، ٦٨٨.
^٢ الصوّة. اسم يُطَلَقُ على المنطقة المرتفعة الواقعة في الجهة الشمالية من قَلْعَةِ الجَبَلِ، فيما بينها وبين مَسْجِدِ الرِّفَاعِي وَتَوَسَّطَهَا الطَّرِيقُ المعروف بِسِكَّةِ المَحَجَّرِ. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٤٣، ١٢: ١٨٦).
^٣ ابن إياس: بدائع الزهور ٢: ٣٨، وفيما يلي ٦٧٢.
^٤ أطلق عليه ابن إياس «الجامع الصغير داخل الحوش السلطاني». (بدائع الزهور ١/٢: ٨٢٢، ٣: ٣٤٨، ٤: ٢٣٥، ٢٨٢، ٤٩٣: ٥). وهو الجامع نفسه الذي تشير إليه خريطة القلعة التي رسمها علماء الحملة الفرنسية باسم «جامع الدهيشة»، إذ إن قاعة الدهيشة كانت على مقربة من هذا الحوش (فيما تقدم ٣: ٦٨٠)، وتوجد حُجَّةُ الوَقْفِ الخاصَّةُ بهذا الجامع في دار الوثائق القومية بالقاهرة برقم ١١/٦٦ وهي مؤرخة في ٧ محرم سنة ٨١٢هـ، ويمكن أن يكون هذا الجامع قد حلَّ محلُّه المسجد الذي أنشأه أحمد كَثُخْدَا العَزْبِ سنة ١١٠٩هـ/١٦٧٩م داخل منطقة باب العزب، والمسجل بالآثار برقم ١٤٥؛ راجع دراسة صالح لمعي مصطفى: الوثائق والعمارة - دراسة في العمارة =

جامع ابنة التركماني

هذا الجامع بالمقس خارج القاهرة

جامع [يونس] ^(a)

هذا الجامع بخط السبع سقايات، فيما بين القاهرة ومصر، يطل على بركة قازون ^٢.

أنشأه

(b)

جامع الباسطي

هذا الجامع في بولاق خارج القاهرة، أذكرت موضعه، وهو مطل على النيل طول السنة.

أنشأه شخص من عرض الفقهاء يُعرف ^(b) في سنة سبع عشرة وثمان مائة ^٣.

جامع الحنفي

هذا الجامع خارج القاهرة ^٤، أنشأه الشيخ شمس الدين محمد بن حسن بن علي الحنفي ^٤ في

سنة سبع عشرة وثمان مائة.

(a) ياض في النسخ، وعلى هامش أباصوفيا: قال كاتبه، أي التاسخ: مسجد مشهور عندنا بجامع يونس، وانظر فيما

تقدم ٦:٦. (b) ياض في النسخ.

وسوقة اللالا غرب الخليج المصري الكبير. وأذكر علي باشا مبارك الجامع القديم، وذكر أن له ثلاثة أبواب أشهرها المفتوح، على الشارع يعلوه شباك من الخشب الخراط دقيق الصنعة، وبجواره على يسار الداخل مدفن الشيخ عمر شاه والشيخ عمر الركني ومكتب لتعليم الأطفال وسبيل؛ والبابان الآخران عن يسار المصلى يفتحان على درج أبي طيبي. وأعمدة الجامع من الرخام وأرضه مفروشة بالحجر النحيت وقيلته بالقاشاني وبجوارها زنار خشب مكتوب عليه: وجدد هذا المسجد =

= الإسلامية في العصر المملوكي الجركسي: الجامع الأبيض بالحوش السلطاني بقلعة القاهرة، بيروت ١٩٨٠.

^١ فيما تقدم ٥:٣.

^٢ انظر فيما تقدم ٦:٦.

^٣ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤: ١٣٤؛ وهو غير الجامع الذي أنشأه عبد الباسط بن خليل الدمشقي بخط الكافوري (فيما يلي ٣٥١).

^٤ كان هذا الجامع يقع بخط الحنفي بين سوق ميشكة

جامع ابن الرّفعة

هذا الجامع خارج القاهرة بحكّر الزُّهري ، أنشأه الشيخ فخر الدّين عبد المحسن بن الرّفعة ، ابن أبي المجد العدوي^٢ .

جامع الإسماعيلي

[أثر رقم ٢٥٣]

أنشأه الأمير أزغون الإسماعيلي على البركة الناصرية ، في شعبان سنة ثمان وأربعين وسبع مائة^٣ .

١٥ : ٥٠٠ ؛ العيني : عقد الجمان (تحقيق القرموط) ٦١٢ -
٦١٣ ؛ السخاوي : التبر المسبوك ٨٤ - ٨٥ ؛ الشعراني :
الطبقات الكبرى ٢ : ٨١ - ٩٢ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية
٤ : ٢٠٦ - ٢٠٩ (١٠٠ - ١٠٢) .

^٢ تحرب هذا الجامع من قديم وحلّ محلّه الجامع المعروف
الآن بجامع قواديس ، الواقع في حارة قواديس في مدخلها من
جهة شارع جامع عابدين . (المقريري : السلوك ٢ : ٣٣٩ ؛
علي مبارك : الخطط التوفيقية ٣ : ٢١٢ (٥٣) ، ٩٦ : ٤
(٤٥) ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٢٩٠ هـ^٤) .

^٣ لا يزال جامع أزغون الإسماعيلي موجودًا بشارع
الجامع الإسماعيلي المتفرّع من شارع تحيرت بالناصرية ،
ولكن لم يبق من عمارته الأصلية سوى واجهته الجنوبية
الشرقية التي توجد عليها كتابة تاريخية ، نصّها :

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أنشأ هذا الجامع المبارك
العبد الفقير إلى الله تعالى الراجي [...] القدوم عليه أزغون
الإسماعيلي اللّالا الملكي المظفّر . وكان القراع من ذلك
في شهر شعبان المكرّم سنة ثمان وأربعين وسبع مائة» .
(van Berchem, M., *CIA Égypte I*, n° 140; Wiet,)
= (G., *RCEA XVI*, n° 6043 .

= من فضل الله تعالى الأمير سليمان أفندي تابع أفندينا محمد
علي باشا في شهر رمضان سنة ألف ومائتين وسبعة وثلاثين
(١٨٢٢م) ، وبأعلى القبلة حجراً أحمر عليه كتابة عسيرة
القرائة . (الخطط التوفيقية ٣ : ٣٣٨ (٩٢) ، ٢٠٥ : ٤ (٩٩) -
١٠٠) .

وقد أزيل هذا الجامع القديم وأقيم في موضعه جامع
صنّم أنشأه في سنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م الخديو عبّاس
حلمي الثاني ، ويقع الآن بشارع الحنفي بالناصرية ، وهو
مبنى على طراز الجوامع المملوكية كسائر الجوامع المنشأة في
زمن الخديو عبّاس حلمي الثاني . (انظر كذلك ، عاصم
محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٥ : ٧٤١ - ٧٥٩) .

^١ شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن حسن بن علي
الثّيمي البكري الشاذلي الحنفي ، متصوّفٍ اشتهر باسم
السلطان الحنفي ، وتوفي سنة ٨٤٧هـ / ١٤٤٣م . كان
مَحْظُوظًا من الملوك ولهم فيه اعتقادٌ ومحبةٌ . قال أبو المحاسن :
«صحبّ الوالد سنين كثيرة ثم الملك الظاهر ططر ، ونالته منه
السعادة في أيام سلطنته واجتمعت به غير مرّة وانتفعت
بمجالسته . وكان الناس فيه على قسمين : ما بين مُتغالي إلى
الغاية ، وما بين مُشكِرٍ إلى النهاية . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة

جامع الزاهد

[أثر رقم ٨٣]

هذا الجامع بخط المفس خارج القاهرة^١، كان موضعه كوم تراب، فنقله الشيخ المعتقد أحمد ابن سليمان^(a) المعروف بالزاهد^٢، وأنشأ موضعه هذا الجامع، فكمل في شهر رمضان سنة ثمان عشرة وثمان مائة، وهدم بسببه عدة / مساجد قد خربت ما حولها، وبني بأنقاضها هذا الجامع. وكان ساكنًا مشهورًا بالخير، يعظ الناس بالجامع الأزهر وغيره، ولطائف من الناس فيه عقيدة حسنة، ولم يسمع عنه إلا خير. مات يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الأول سنة تسع عشرة وثمان مائة أيام الطاعون، ودفن بجامعه.

جامع ابن المغربي

هذا الجامع بالقرب من بركة قزموط مطل على الخليج الناصري، أنشأه صلاح الدين يوسف ابن المغربي رئيس الأطباء بديار مصر، وبني بجانبه قبة دفن فيها، وعمل به درسًا وقراءً ومبنيًا

(a) بياض في النسخ والمثبت من المصادر.

= وراجع كذلك علي مبارك: الخطط التوفيقية ٣: ٣٤٨-٣٤٩ (٩٦)، ٤: ١١٤ (٥٤-٥٥)، سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ٢٢٩-٢٣٤؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٩٢٧-٩٤٢. ومُنشئ هذا الجامع غير الأمير أزغون الكاملي الذي ترجم له المقرئ في ما تقدم ٣: ٢٣٩-٢٤٠. وانظر عن البركة الناصرية، فيما تقدم ٣: ٥٤٩-٥٥٠. ^١ ابن إياس: بدائع الزهور ٢: ٢٧؛ ويقع جامع الزاهد في شارع سوق الزلط المتفرع من ميدان باب الشريعة على يمين الذهاب إلى باب البحر. ووصفه علي مبارك بأن به اثنا عشر عمودًا من الرخام وتسعة من الزلط غير عمودي الجراب، وأربعة أعمدة عليها الدكة، وبه منبر وخطبة وله مطهرة

وساقية ومنازة، وله أوقاف ذات ريع. (الخطط التوفيقية ٥: ١٣ (٢)؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٤: ٩٤؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٣: ٢٩١-٣٠٢). ولم يتبق من الجامع الأصلي سوى مدخله والمذنة التي نقلوه والتي أضيفت إليها قمته في العصر العثماني. (محمد الجهيني: أحياء القاهرة القديمة وآثارها الإسلامية «حي باب البحر»، ٥٩، ٢٣٠-٢٣٣).

^٢ راجع ترجمة الشيخ أحمد بن سليمان المعروف بالزاهد، المتوفى سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م أو ٨٢٢هـ/١٤١٩م، عند السخاوي: تحفة الأحياء ٢٧؛ الشعراني: الطبقات الكبرى ٢: ١١١-١١٤؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ١٣-١٥ (٢-٣).

يُخْطَبُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ . وَكَانَ عَامِرًا بَعْمَارَةً مَا حَوْلَهُ ، فَلَمَّا خَرِبَ خُطُّ بِرُكَّةٍ قَزْمُوطٍ تَعَطَّلَ ، وَهُوَ آيِلٌ إِلَى أَنْ يُنْقَضَ وَيُبَاعَ كَمَا بَيَّعَتْ أَنْقَاضُ غَيْرِهِ ^١ .

جامع الفخري

[أثر رقم ١٨٤]

هذا الجامع بجوار دار الذهب - التي عُرفَت بدار بهادر الأعرس - المجاورة لقبو الذهب من خُطِّ بَيْنَ الشُّورَيْنِ فيما بين باب^(a) الخُوخَةِ وبابِ سَعَادَةِ ^٢ ، وَيَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ أَيْضًا مِنْ دَرْبِ الْعَدَّاسِ الْمَجَاوِرِ لِحَازَةِ الْوَزِيرِيَّةِ ^٣ .

(a) ساقطة من بولاق .

هذه المَدْرَسَةُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَالنَّاسُ فِي الصَّلَاةِ وَتَجْلِسُ فِي مَكَانٍ هُنَاكَ ؛ فَإِذَا كَانَ النَّاسُ فِي السُّجُودِ الْأُولَى مِنَ الرُّكْعَةِ الْأُولَى مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ تَمُرُّ بَيْنَ الصَّفِّينِ وَتَذْهَبُ فَيَتَبَشَّرُ لَهَا الزُّوْجُ وَقَدْ جَرَّبُوا ذَلِكَ . (الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم أحمد عبد المجيد هريدي، القاهرة ١٩٨٦، ٢٨٤) .

وطرأ على الجامع (المَدْرَسَةُ) تَخْرُوبٌ فِي فتراتٍ متتاليةٍ بِمَا أَدَّى إِلَى إِضْلَاحِهِ وَتَرْمِيمِهِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَنَاسِبَةٍ ، أَهَمُّهَا سَنَةُ ١٢٦٨هـ/١٨٥١م ، عَلَى يَدِ السَّيِّدَةِ وَالِدَةِ حَسَنِ بَيْكٍ نَجَلٍ عَزِيزٍ مِصْرَ الْقَاهِرَةَ الْجَاحِ مُحَمَّدٍ عَلِيِّ بَاشَا (van Berchem, M., CIA Égypte I, n° 229) ، وَ١٣١٣هـ/١٨٩٥م ، وَفِي عَامِ ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .

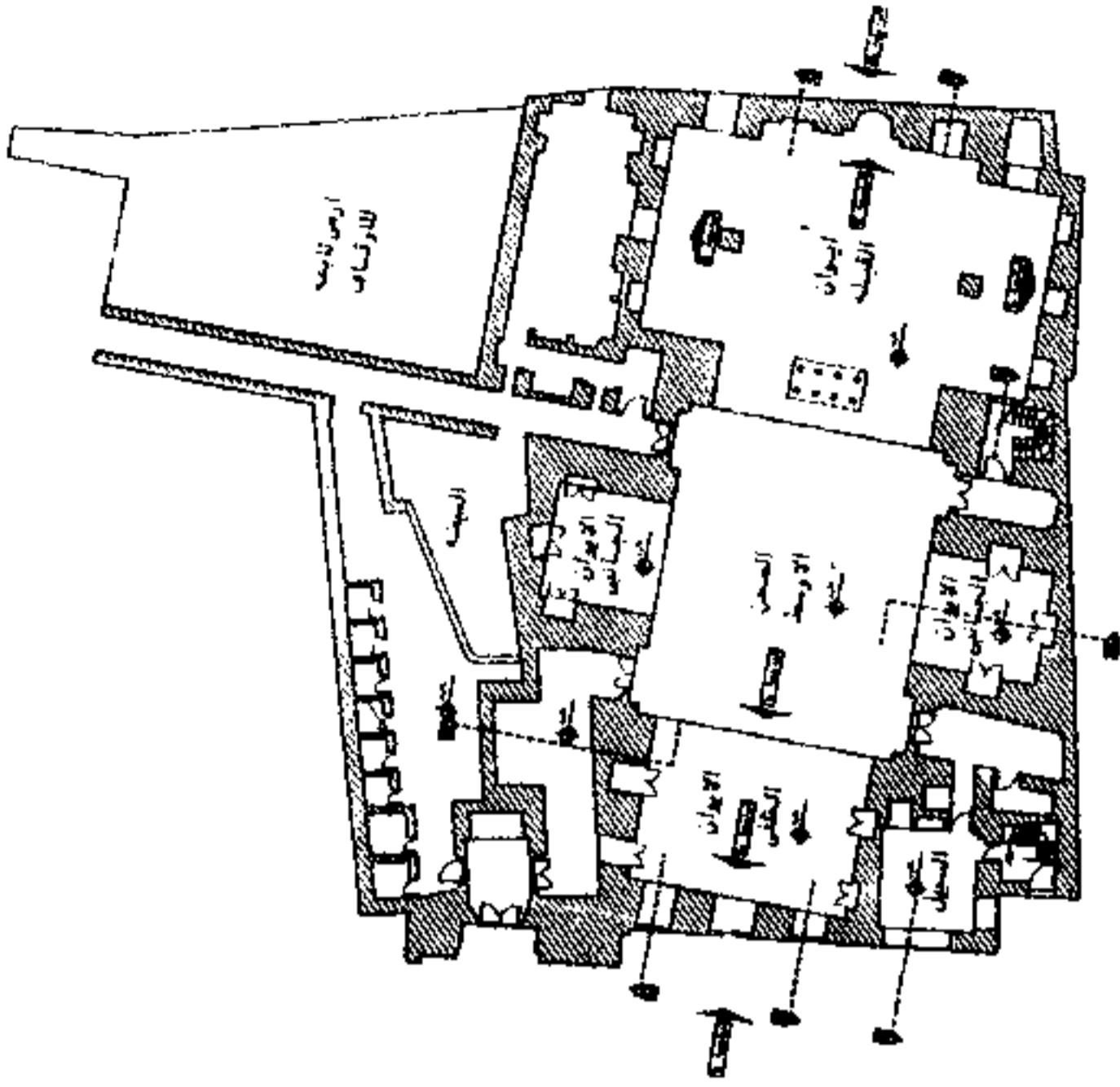
(راجع، علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤: ١٤٠-١٤١ (٦٧)؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ٢١٥-٢١٧؛ محمد محمد الكحلوي: منشأة الأمير عبد الغني الفخري «جامع البنات» بشارع بورسعيد - دراسة معمارية فنية، رسالة ماجستير بآثار القاهرة ١٩٨١؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٣: ٣٤٧-٣٨٤) .

^١ ابن حجر: إنباء الفجر ١: ١٠١، وانظر فيما يلي ٥٦٩-٥٧٠ .

^٢ فيما تقدم ٢٠٦:٣-٢٠٧ .

^٣ يقع جامع الفخري بشارع بورسعيد شمال محكمة جنوب القاهرة الابتدائية، بينها وبين شارع الأزهر. ورغم أن المقريري وأبا المحاسن ذكراه باسم «الجامع»، إلا أن وثيقة نسخة كتاب «الانتصار لواسطة عقد الأمصار» لابن دُفْمَاقِ التي كانت بالجامع كتب عليها: «أن المقرير الكرمي العالي المولوي الفخري فخر الدين عبد الغني بن أبي الفرج أوقف هذا الكتاب بمَدْرَسَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْفَخْرِيَّةِ بِخُطِّ بَيْنَ الشُّورَيْنِ» . (فيما تقدم ١: ٥٨) . ويبدو أنها كانت مثل جامع السلطان حسن، جامع به مَدْرَسَةُ، وتخطيطها على نمط تخطيط المدارس: صحنٌ فسيحٌ مكشوفٌ فُرِشَتْ أَرْضِيَّتُهُ بِالرُّخَامِ الْمَلُونِ، يَحِيطُ بِهِ أَرْبَعَةُ إِيوَانَاتٍ أَكْبَرَهَا الْإِيوَانُ الشَّرْقِيُّ .

وسُمِّيَ الْجَامِعُ (المَدْرَسَةُ) بِاسْمِ «جَامِعِ الْبَنَاتِ» مِنْذُ قَبْلِ الْقَرْنِ الْحَادِي عَشَرَ الْهَجْرِيِّ / السَّابِعِ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ، فَقَدْ ذَكَرَ الرَّحَالَةُ عَبْدُ الْغَنِيِّ النَّابُلْسِيُّ - الَّذِي زَارَ مِصْرَ سَنَةَ ١١٠٥هـ/١٦٩٣م - أَنَّ أَهْلَ مِصْرٍ يَعْرِفُونَ هَذِهِ الْمَدْرَسَةَ بِجَامِعِ الْبَنَاتِ لِأَنَّ الْبِنْتَ الَّتِي لَا يَتَبَشَّرُ لَهَا زَوْجٌ تَأْتِي إِلَى



مخطط جامع الفخري (عن المجلس الأعلى للآثار)

أنشأه الأمير فخر الدين عبد الغني ابن الأمير تاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج الأستادار^١ في سنة إحدى وعشرين وثمان مائة، وخطب فيه يوم الجمعة ثامن عشرين شعبان من السنة المذكورة، وعمل فيه عدة دروس. وأول من خطب فيه الشيخ ناصر الدين محمد بن عبد الوهاب ابن محمد البارنباري الشافعي^٢، ثم تركه تنزهًا عنه.

وفي يوم الأحد ثامن شهر رمضان جلس فيه الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الدائم البرهماوي الشافعي للتدريس^٣، وأضيف إليه مشيخة التصوف، وقرر قاضي القضاة شمس الدين

^٢ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم ابن موسى البرهماوي الشافعي، المتوفى ببیت المقدس سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٨م. (المقريزي: درر العقود الفريدة ٣: ١٥٥-١٥٦، السلوك ٤: ٧٨٨؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٣: ١٤١٤؛ السخاوي: الضوء اللامع ٧: ٢٨٠-٢٨٢).

^٣ انظر ترجمة ناصر الدين محمد بن عبد الوهاب ابن محمد البارنباري الشافعي، المتوفى سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م، عند المقريزي: درر العقود الفريدة ٣: ٣٨١ (وفيه: ٥ ونقم

^١ انظر ترجمة الأمير عبد الغني الفخري، المتوفى سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م، كذلك عند، الفاسي: العقد الثمين ٥: ٤٦٩؛ المقريزي: درر العقود الفريدة ٢: ٣٠٤-٣١١، السلوك ٤: ٤٧٥؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٣: ١٨٢، ذيل الدرر الكامنة ٢٦٣-٢٦٤؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤: ١٥٢-١٥٤، المنهل الصافي ٧: ٣١٤-٣١٨؛ الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان ٢: ٤٣٢؛ السخاوي: الضوء اللامع ٤: ٢٤٨-٢٥٠ (وهو ينقل عن درر العقود للمقريزي)؛ وفيما تقدم ٣: ١٣٦هـ^٢.

محمد الدُّيرِي المقدسي الحنفي^١ في تدريس الحنفيَّة ، وفي تدريس المالكية قاضي القضاة جمال الدين عبد الله بن مقداد المالكي^٢ ، وحضَّر البيروماوي وظيفَةَ التَّصَوُّف بعد عُصُومِهِ^٣ . فمات الأميرُ فَخْرُ الدِّين في نِصْفِ شَوَّالِ مِنْهَا ولم يَكْمُلْ ، فَدُفِنَ هناك .

الجامع المؤيَّدي

[الترقيم ١٩٠]

هذا الجامع بجوار باب زويلة من داخله ، كان موضعه خزانة شمائل حيث يُسَجَّنُ أزيابُ الجرائم ، وقيسارية سنقر الأشقر ، ودزب الصفيرة ، وقيسارية بهاء الدين أرسلان^٣ . أنشأه السلطان الملك المؤيَّد أبو النصر شيخ الحمودي الظاهري^٤ .

(a) بولاق : يعد عصر يومه .

السخاوي : الضوء اللامع ٥ : (٧١) .

^٣ انظر عنها فيما تقدم ٣ : ٦٠٠ ، ٢٨٨ ، ١٢٤ على التوالي .

^٤ الجامع المؤيَّدي . يقع هذا الجامع داخل باب زويلة وملاصق له ، وهو فخْرُ العمارة المملوكية الجركسية ، يحتل مكانة جامع ومدرسة السلطان حسن في العمارة المملوكية البحرية . وقد لفت هذا الجامع كذلك انتباه المؤرخين والرحالة ، فإلى جانب عبارات المقرئ التي تُعبِّر عن اقتبائه بعمارة الجامع وفخامته التي حضَّرَ بنفسه مراحل بنائه ودزب به ، نجد السخاوي يصفه بقوله : « قيل إنه لم يُعَمَّر في الإسلام أكثر منه زخرفة ولا أحسن تزجيماً بعد الجامع الأموي » (الضوء اللامع ٣ : ٣١٠) ، كما يُزوي أنَّ السلطان سليم العثماني قال عند زيارته للجامع : « هذه عمارة الملوك » (الإسحافي : أخبار الأول فيمن تصرَّف في مصر من أزياب الدول ، المطبعة العثمانية ١٣١٥ هـ ، ١٢١) .

وقد وصلت إلينا حجة وقف السلطان المؤيَّد شيخ للجامع (نشر جزئياً منها علي مبارك في الخطط التوفيقية =

= الرجل كان ، تَرَدَّدَ إليَّ سنين) ، السلوك ٤ : ٨١٣ ؛ ابن حجر : إنباء الغمر ٣ : ٤٣٠ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ١٥ : ١٥٣ ، الدليل الشافعي ٦٥١ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ٨ : ١٣٨ .

والبارئباري نسبة إلى بارئبار إحدى قرى مركز دكرنس بمحافظة الدقهلية . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢ / ٢٣٣-٢٣٢) .

^١ قاضي القضاة شمس الدين محمد بن عبد الله بن سعد ابن أبي بكر بن مُصْلِحِ الدُّيرِي - نسبة إلى دِيرِ بجوار قرية مردانا بلس - المقدسي الحنفي ، المتوفى سنة ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م . (راجع عنه ، المقرئ : درر العقود الفريدة ٣ : ٤٣٠ - ٤٣١ ، السلوك ٤ : ٦٧٥ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٥ : ١٢٤ ، الدليل الشافعي ٦٤٦ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ٨ : ٨٨) .

^٢ جمال الدين عبد الله بن مقداد بن إسماعيل الأقفهسي المالكي ، المتوفى سنة ٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م . (المقرئ : درر العقود الفريدة ٢ : ٣٣٢ ؛ ابن حجر : إنباء الغمر ٣ : ٢٢٩ ؛

فهو الجامع الجامع لمحاسن البنيان ، الشاهد بفخامة أركانه وضخامة بُنيانه أن مُنشئه سيّد ملوك الزمان . يَحْتَقِرُ النَّاطِرُ له عند مُشاهدته عَرْشَ بَلْقِيسَ وإِيوانَ كِشْرَى أنوشروان ، وَيَسْتَضْمِرُ من تَأَمَّلَ بَدِيعَ أُسْطُوَانِهِ الخَوَزَنْقَ وَقَصْرَ غَمْدَانَ ، وَيَعْجَبُ من عَرَفَ أَوْلِيَتَهُ من تَبْدِيلِ الأَبْدَالِ ، وَتَنَقَّلَ الأُمُورِ من حَالٍ إلى حَالٍ ، بَيْنَا هو سِجْنٌ تُزْهَقُ فِيهِ النُّفُوسُ وَيُضَامُ المَجْهُودُ ، إِذْ صَارَ مَدَارِسَ آيَاتٍ ، وَمَوْضِعَ عِبَادَاتٍ ، وَمَحَلَّ سُجُودٍ فَاللهُ يُعَمِّرُهُ بِبَقَاءِ مُنْشِيهِ ، وَيُعْلِي كَلِمَةَ الإِيمَانِ بِدَوَامِ مُلْكِ بَنِيهِ^(a) .

(a) بولاق : بانيه .

الجامع قبل منتصف القرن التاسع عشر ، لم يكن قد تبقى منه سوى الإيوان الشرقي . (Coste P., *Architecture arabe ou Monuments du Kaire*, Paris 1839, Planche XXVII).

واهتمت لجنة حفظ الآثار العربية في نهاية القرن التاسع عشر بالجامع وتداركته وقامت بالمحافظة على البقايا الأثرية الموجودة منه .

(راجع ، المقريري : السلوك ٤ : ٣٢٠ ، ٣٤٧ ، ٣٩٥ العيني : عقد الجمان (نشرة القرموط) ١٠٨ : أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٤ : ٣٠-٣١ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٩٢ ، ١٠٩ ، ١١٣ : ابن إياس : بدائع الزهور ٢ : ٢٠ ، ٢٧ ، ٣٤ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥ : ٢٨٣-٢٩٢ (١٢٤-١٢٨) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ٢٠٧-٢١٤ إبراهيم شيوخ : من روائع العمارة بالقاهرة المملوكية : جامع الملك المؤيد (٨١٨-٨٢٢هـ/١٤١٥-١٤١٩م) ، بحث غير منشور مقدم إلى الندوة الدولية لألفية القاهرة ١٩٦٩ سعاد ماهر : مساجد مصر ٩٥ : ٩٥-١٠١ Fahmy 'Abd al-'Alim, «Mosque of the Mamluk Sultan Muayyad Sheikh», *IAS II* (1980), pp. 147-81 شيخ ، القاهرة - المجلس الأعلى للآثار ١٩٩٤ : عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٣ : ٣٠٣-٣٣٢).

= (٢٨٦:٥-٢٩٢) (١٢٥-١٢٨) . كما نَشَرَهَا فهمي عبد العليم في آخر كتابه : جامع المؤيد شيخ . وهي تُوضِّح العَرَضَ من إنشاء الجامع بأنه «وَقَفَّهُ مَسْجِدًا لله تَعَالَى تُقَامُ فِيهِ الصَّلَوَاتُ وَأُوامِرُ الله وَالجُمُعُ والجماعات ... وصار حكمه حكم المساجد الجوامع ... وأما الأواوين ... فإنه وَقَفَهَا وَجَعَلَهَا مُعَدَّةً لإقامة الصلوات فيها ولجلوس المُدْرِّسِينَ وطلبهم والصوفية فيها على العادة» .

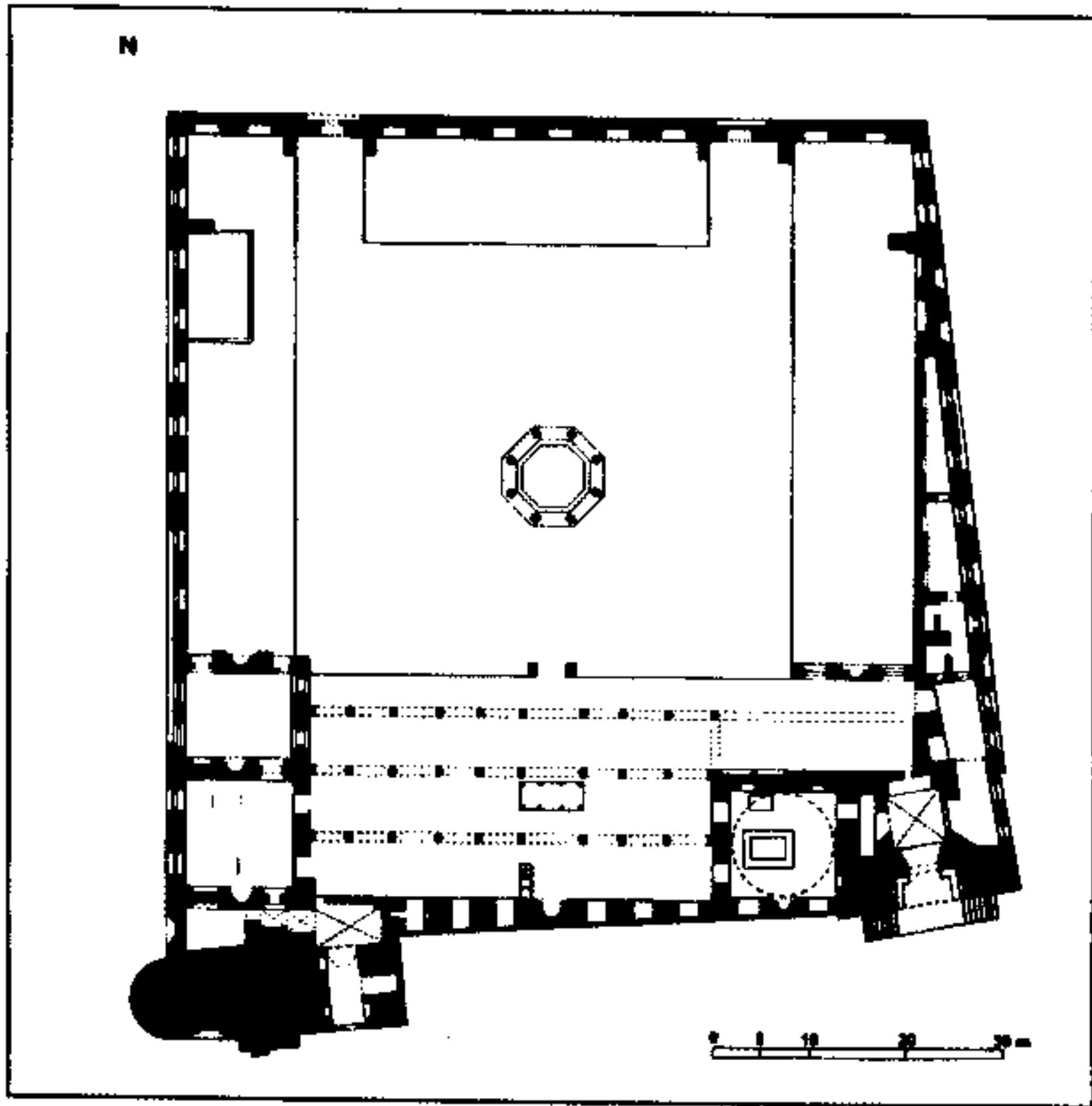
ويُتَضَحُّ من وَصْفِ الوَقْفِيَّةِ للجامع أنه يتكوَّن من صَحْنٍ أوسط كبير مكشوف يتوسطه مِضَاةٌ عليها قُبَّةٌ ، ويحيط بالصحن إيوانات أربعة أكبرها وأعمقها إيوان القِبْلَةِ المكوَّن من ثلاثة أَرْوَاقَةٍ ، بينما تتكوَّن الإيوانات الثلاث الأخرى من رَوَاقِيْن . وكانت الإيوانات الأربعة مسقوفة بسقوف خشبية مُدَهَّبَةٌ . وكان للجامع أربعة أبواب ، يفتح الباب الرئيس في واجهة المسجد المُطَّلَّة الآن على شارع المعز لدين الله ، ويقع الثاني في الزاوية الشمالية للجامع ، والثالث في الزاوية الغربية للجامع ، ويقع الباب الرابع شمال غرب الباب الثالث . وكان للجامع ثلاثة مآذن : اثنتان مركبتان فوق بُرْجِي باب زَوِيَلَةَ ، والثالثة فوق الإيوان المقابل لإيوان القِبْلَةِ ، وهي أصغرهما ؛ فُقِدَت الآن .

وقد تعرَّض الجامع للكثير من التخريب أدى إلى تدمير أجزاء منه في سنتي ١٠٧٦هـ/١٦٦٥م ، و ١١٠٢هـ/ ١٦٩٠م ، وعندما سجَّلَ باسكال كوست Pascal Coste

[الكامل]

هِمُّ الْمُلُوكِ إِذَا أَرَادُوا ذِكْرَهَا مِنْ بَعْدِهِمْ فَبِأَلْسِنِ الْبُيَّانِ
أَوْ مَا تَرَى الْهَرَمِيِّينَ قَدْ بَقِيَا وَكَمْ مَلِكٌ مَحَاهُ حَوَادِثُ الْأَزْمَانِ
إِنَّ الْبِنَاءَ إِذَا تَعَاظَمَ قَدْرُهُ أَضْحَى يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ

وأول ما ابتدئ به في أمر هذا الجامع : أن رُسم ، في رابع شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة
وثمان مائة ، بانتقال سكان قيسارية سُقَّر الأشقر التي كانت تجاه قيسارية الفاضل^١ ، ثم نزل
جماعة من أزباب الدولة في خامسه من قلعة الجبل ، وابتدئ في الهدم في القيسارية المذكورة وما
يُجاورها ، فهدمت الدور التي كانت هناك في دَرَبِ الصُّفيرة ، وهدمت خزانة شمائل فوجد بها
من رَمِّ القنلى ورغوسهم شيء كثير ، وأُفرد لنقل ما نخرج من التراب عدَّة من الجمال والحَمير
بلغت علائقهم في كل يوم خمس مائة عليقة .



مخطط الجامع المؤيدي الحالي (عن اللجنة)

^١ فيما تقدم ٣: ٢٨٨ ، ٢٩٤ .

وكان السبب في اختيار هذا المكان دون غيره ، أن السلطان حيس في خزانة شمائل هذه ، أيام تغلب الأمير منطاش وقبضه على الممالك الظاهرية ، فقاى في ليلة من البق والبراغيث شدايد ، فتذر لله تعالى إن تيسر له ملك مصر أن يجعل هذه البقعة مسجدا لله عز وجل ، ومدرسا لأهل العلم ، فاختار لذلك هذه البقعة وفاء لتذره .

وفي رابع جمادى الآخرة كان ائبداء حفر الأساس ، وفي خامس صفر سنة تسع عشرة وثمان مائة وقع الشروع في البناء . واستقر فيه بضع وثلاثون بناء ومائة فاعل ، ووفيت لهم ولباشريهم أجورهم من غير أن يكلف أحد في العمل فوق طاقته ، ولا سخر فيه أحد بالقهر ، فاستمر العمل إلى يوم الخميس / سابع عشر ربيع الأول ، فأشهد عليه السلطان أنه وقف هذا مسجدا لله تعالى ، ووقف عليه عدة مواضع بديار مصر وبلاد الشام . وتردد زكوب السلطان إلى هذه العماراة عدة مرار .

وفي شعبان طليت عمد الرخام وألواح الرخام لهذا الجامع ، فأخذت من الدور والمساجد وغيرها .

وفي يوم الخميس سابع عشرين شوال نقل باب مدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاوون والتثور النحاس المكفت ، إلى هذه العماراة ، وقد اشتراهما السلطان بخمس مائة دينار . وهذا الباب هو الباب^(a) الذي عمل لهذا الجامع ، وهذا الثور هو الثور المعلق تجاه المجراب^١ . وكان الملك الظاهر برقوق قد سد باب مدرسة السلطان حسن^(b) ، وقطع البسطة التي كانت قدامه كما تقدم ، فبقي مضراعا الباب والسد من ورائهما حتى نقل مع الثور الذي كان معلقا هناك^٢ . وفي ثامن عشرينه دفت ابنة صغيرة للسلطان في موضع القبة الغربية من هذا الجامع ، وهي ثاني ميت دفن بها .

وانعقدت جملة ما صرف في هذه العماراة ، إلى سلخ ذي الحجة سنة تسع عشرة ، على أربعين ألف دينار .

(a) ساقطة من بولاق . (b) جميع النسخ : مدرسة حسن .

^١ فيما تقدم ٢٨٣ .
^٢ أضاف ابن إياس إلى ذلك : « وأخذ العمود الشمالي من جامع قوصون الذي بالقرب من زقاق حلب (فيما ٢٠:٢) .
تقدم (٣٠٧:٢) ، ونقلت أشياء كثيرة من أعتاب ورخام من مساجد بمصر العتيقة وغيرها . (بدائع الزهور

ثم نَزَلَ السُّلْطَانُ فِي عِشْرِينَ مُحَرَّمٍ إِلَى هَذِهِ الْعِمَارَةِ ، وَدَخَلَ خِزَانَةَ الْكُتُبِ الَّتِي عُمِلَتْ هُنَا ، وَقَدْ حَمَلَ إِلَيْهَا كُتُبًا كَثِيرَةً فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ كَانَتْ بَقْلَعَةَ الْجَبَلِ وَقَدَّمَ لَهُ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الْبَارِزِيُّ ، كَاتِبُ السُّرِّ ، خَمْسَ مِائَةِ مُجَلَّدٍ قِيمَتُهَا أَلْفُ دِينَارٍ ، فَأَقْرَأَ ذَلِكَ بِالْخِزَانَةِ ، وَأَنْعَمَ عَلَيَّ ابْنُ الْبَارِزِيِّ بِأَنْ يَكُونَ خَطِيْبًا وَخَازِنَ الْكُتُبِ هُوَ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ^١ .

٥ وفي سابع عشر شهر ربيع الآخر منها سَقَطَ عَشْرَةٌ مِنَ الْفَعْلَةِ : مَاتَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ ، وَحُمِلَ سِتَّةٌ بِأَسْوَأِ حَالٍ .

وفي يوم الجمعة ثاني جمادى الأولى أُقِيمَتِ الْجُمُعَةُ بِهِ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنْهُ سِوَى الْإِيوَانِ الْقِبْلِيِّ ، وَخَطَبَ وَصَلَّى بِالنَّاسِ عَزُّ الدِّينِ عَبْدِ السَّلَامِ الْمُقَدَّسِيُّ - أَحَدُ نُوَّابِ الْقَضَاةِ الشَّافِعِيَّةِ - نِيَابَةً عَنِ ابْنِ الْبَارِزِيِّ كَاتِبِ السُّرِّ .

١٠ وفي يوم السبت خامس شهر رَمَضَانَ مِنْهَا ابْتَدَى بِهَدْمِ مَلِكٍ بِجِوَارِ رَبِيعِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْتْرُوسَ ، بِمَا اشْتَرَاهُ الْأَمِيرُ فَخْرُ الدِّينِ عَبْدِ الْغَنِيِّ بْنِ أَبِي الْفَرَجِ الْأُسْتَاذَارِ ، لِيَعْمَلَ مَيْضَاةً ، وَاسْتَمَرَ الْعَمَلُ هُنَاكَ . وَلاَزَمَ الْأَمِيرُ فَخْرُ الدِّينِ الْإِقَامَةَ بِنَفْسِهِ ، وَاسْتَعْمَلَ مَمَالِيكَهُ وَالزَّامَةَ فِيهِ ، وَجَدَّ فِي الْعَمَلِ كُلِّ يَوْمٍ ، فَكَمَلَتْ فِي سَلْخِهِ بَعْدَ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا . وَوَقَعَ الشُّرُوعُ فِي بِنَاءِ خَوَانِيَتٍ عَلَى بَابِهَا مِنْ جِهَةِ تَحْتِ الرَّبِيعِ ، وَيَغْلُوهَا طِبَاقٌ .

١٥ وَبَلَغَتِ النَّفَقَةُ عَلَى الْجَامِعِ إِلَى أَخْرِيَاتِ شَهْرِ رَمَضَانَ هَذَا ، سِوَى عِمَارَةِ الْأَمِيرِ فَخْرِ الدِّينِ الْمَذْكُورِ ، زِيَادَةً عَلَى سَبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . وَتَرَدَّدَ السُّلْطَانُ إِلَى النَّظَرِ فِي هَذَا الْجَامِعِ غَيْرَ مَرَّةٍ .

فَلَمَّا كَانَ فِي أَثْنَاءِ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ ، ظَهَرَ بِالْمِثْدَنَةِ الَّتِي أُنْشِئَتْ عَلَى بَدَنَةِ بَابِ زَوِيلَةَ الَّتِي تَلِي الْجَامِعَ اعْوِجَاجٌ إِلَى جِهَةِ دَارِ التُّفَّاحِ ، فَكَتَبَ مَحْضَرٌ بِجَمَاعَةِ الْمُهَنْدِسِينَ أَنَّهَا مَسْتَحِقَّةٌ الْهَدْمِ ، وَغُرِضَ عَلَى السُّلْطَانِ ، فَرَسَمَ بِهَدْمِهَا . فَوَقَعَ الشُّرُوعُ فِي الْهَدْمِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ رَابِعِ

٢٠ عِشْرِينَ ، وَاسْتَمَرَ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، فَسَقَطَ يَوْمَ الْخَمِيسِ سَادِسَ عِشْرِينَ مِنْهَا حَجَرٌ هَدَمَ مَلِكًا تَجَاهَ بَابِ

^١ جاء في وثيقة وقف السلطان المؤيد شيخ على الجامع فيما يخص خزانة الكتب : «وَيُرْتَبُ [خَطِيبُ الْجَامِعِ] رَجُلًا أَمِينًا حَافِظًا يَكُونُ خَازِنَ الْكُتُبِ بِالْجَامِعِ الْمَذْكُورِ يَتَوَلَّى حِفْظَ ذَلِكَ وَضَعًا وَمَا فِيهِ إِضْلَاحٌ مِنْ بَعْضٍ وَغَيْرِهِ كَالْعَادَةِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ ، وَأَنْ لَا يُخْرِجَ مِنَ الْجَامِعِ الْمَذْكُورِ كِتَابًا ... مُطْلَقًا ...»

وانظر عن بعض مقتنيات خزانة الكتب المؤيدية (فيما تقدم ٤٤:٢-٤٥)؛ واللوحة المرفقة لظهيرية كتاب «مسالك الأبصار في ممالك الأبصار» لابن فضل الله العنبري .

وَحَدَّدَتِ الْوَثِيقَةُ اسْمَ مُتَوَلَّى الْخِطَابَةِ وَخِزَانَةَ الْكُتُبِ وَهُوَ الْإِمَامُ

زَوِيلَةَ هَلَكَ تَحْتَهُ رَجُلٌ ، فَغُلِقَ بَابُ زَوِيلَةَ خَوْفًا عَلَى الْمَارَّةِ مِنْ يَوْمِ السَّبْتِ إِلَى آخِرِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَادِسَ عَشْرِينَ جُمَادَى الْأُولَى مُدَّةَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا ، وَلَمْ يُعْهَدْ وَقُوعُ مِثْلِ هَذَا قَطُّ مِنْذُ بُنِيَتِ الْقَاهِرَةُ .
وَقَالَ أَدْبَاءُ الْعَصْرِ فِي سُقُوطِ الْمِثْدَنَةِ الْمَذْكُورَةِ شِعْرًا كَثِيرًا ، مِنْهُ مَا قَالَه حَافِظُ الْوَقْتِ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حَجْرٍ الشَّافِعِيِّ :

[الطول]

لِجَامِعِ مَوْلَانَا الْمُؤَيَّدِ زَوْنَقُ مَنَارَتُهُ تَزْهُو مِنَ الْحُسْنِ وَالزَّيْنِ
تَقُولُ وَقَدْ مَالَتْ عَلَيْهِمْ تَمَهَّلُوا فَلَيْسَ عَلَى جِشْمِي أَضْرٌ مِنَ الْعَيْنِ

فَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّهُ فِي قَوْلِهِ بِالْعَيْنِ قَصْدُ التَّوْرِيَةِ لِتَخْدِيمِ فِي الْعَيْنِ الَّتِي تُصِيبُ الْأَشْيَاءَ فَتُتْلَفُهَا ، وَفِي الشَّيْخِ بَدْرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الْعِتَابِيِّ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ لَهُ الْعَيْنِي أَيْضًا . فَقَالَ الْمَذْكُورُ يُعَارِضُهُ :

[البيط]

مَنَارَةٌ كَعَرُوسِ الْحُسْنِ إِذْ جَلِيَّتْ وَهَدْمُهَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَالْقَدْرِ
قَالُوا أَصِيبَتْ بِعَيْنٍ ، قُلْتُ ذَا غَلَطُ مَا أَوْجَبَ الْهَدْمَ إِلَّا خِشَّةُ الْحَجْرِ

يُعَرِّضُ بِالشَّهَابِ ابْنَ حَجْرٍ . وَكُلُّ مِنْهُمَا لَمْ يُصِيبِ الْعَرِضُ ، فَإِنَّ الْعَيْنِي بَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدًا نَاضِرَ الْأَخْبَاسِ ، وَالشَّيْخَ شِهَابَ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنَ حَجْرٍ ، كُلُّ مِنْهُمَا لَيْسَ لَهُ فِي الْمِثْدَنَةِ تَعَلُّقٌ حَتَّى تَخْدُمَ التَّوْرِيَةَ ، وَأَقْعَدَ مِنْهُمَا بِالتَّوْرِيَةِ مَنْ قَالَ :

[الطول]

عَلَى الْبُرْجِ مِنْ بَابِ زَوِيلَةَ أُسْسَتْ مَنَارَةٌ بَيْتِ اللَّهِ وَالْمَعْهَدِ الْمُنْجِي
فَأَخْلَى بِهَا الْبُرْجُ الدَّعِينُ أَمَالَهَا أَلَا فَاصْرُخُوا يَا قَوْمِ بِاللُّغْنِ لِلْبُرْجِ

وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِي وَوَلِيَّ تَدْبِيرِ أَمْرِ الْجَامِعِ الْمُؤَيَّدِي هَذَا ، وَوَلِيَّ نَظَرِ عِمَارَتِهِ ، بَهَاءُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْبُرْجِيِّ ، فَخَدَمَتِ التَّوْرِيَةُ فِي الْبُرْجِيِّ كَمَا تَرَى . وَتَدَاوَلَ هَذَا النَّاسُ ، فَقَالَ آخِرُ :

[الطول]

عَتَبْنَا عَلَى مَيْلِ الْمَنَارِ زَوِيلَةَ وَقُلْنَا تَرَكْتِ النَّاسَ بِالْمَيْلِ فِي هَرْجِ
فَقَالَ قَرِينِي بُرْجُ نَخْسِ أَمَالِنِي فَلَا بَارَكَ الرَّحْمَنُ فِي ذَلِكَ الْبُرْجِ

وَقَالَ الْأَدِيبُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ كَمَالِ الْجَوْجَرِيِّ أَحَدَ الشُّهُودِ :

[البيط]

مَنَارَةٌ لِقَوَابِ اللَّهِ قَدْ بُنِيَتْ فَكَيْفَ هُدَّتْ فَقَالُوا نُوضِعُ الْحَبْرَا
أَصَابَتْ الْعَيْنُ أَحْجَارًا بِهَا انْفَلَقَتْ وَنَظَرَةُ الْعَيْنِ قَالُوا تَفْلِقُ الْحَجْرَا

وَقَالَ آخِرُ :

[السريع]

مَنَارَةٌ قَدْ هُدِمَتْ بِالْقَضَا وَالنَّاسُ فِي هَزَجٍ وَفِي زَهَجٍ
أَمَالَهَا الْبُرُوجُ فَمَالَتْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْبُرُوجِ^١

وفي ثالث جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين ، استقرَّ الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو الْقَضَلِ أَحْمَدُ ابن علي بن حَجَرٍ فِي تَدْرِيسِ الشَّافِعِيَّةِ ، وَالشَّيْخُ يَحْيَى بن محمد بن أحمد العجيبى البجائى المغربى فِي تَدْرِيسِ المَالِكِيَّةِ ، وَعِزُّ الدِّينِ عبد العزيز بن علي بن الفخر البغدادي فِي تَدْرِيسِ الحَنَابِلَةِ ، وَخَلِيعَ عَلَيْهِم بِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ . فَدَرَسَ ابْنُ حَجَرٍ بِالْمِحْرَابِ فِي يَوْمِ الخَمِيسِ ثَالِثَ عَشَرَ ، وَنَزَلَ السُّلْطَانُ وَأَقْبَلَ لِيَحْضُرَ عِنْدَهُ وَهُوَ فِي إِقَاءِ الدُّرْسِ ، وَمَنْعَهُ مِنَ الْقِيَامِ لَهُ فَلَمْ يَقُمْ وَاسْتَمَرَ فِيمَا هُوَ بِصَدَدِهِ ، وَجَلَسَ السُّلْطَانُ عِنْدَهُ مِائَةً . ثُمَّ دَرَسَ يَحْيَى المَغْرِبِي فِي يَوْمِ الخَمِيسِ خَامِسَ عَشْرَةَ ، وَدَرَسَ فِيهِ أَيْضًا الفَخْرُ البَغْدَادِي ، وَحَضَرَ مَعَهُمَا قُضَاةُ القُضَاةِ وَالْمَشَايِخُ .

وفي سابع عشره استقرَّ بَدْرُ الدِّينِ محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العنتابى ناظر الأعباس فِي تَدْرِيسِ الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ ، وَاسْتَقَرَّ شَمْسُ الدِّينِ محمد بن يحيى فِي تَدْرِيسِ القِرَاءَاتِ السَّبْعِ . وَفِي يَوْمِ الجُمُعَةِ حَادِي عَشْرِينَ سُؤَالَ مِنْهَا ، نَزَلَ السُّلْطَانُ إِلَى هَذَا الجَامِعِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ إِلَى المُبَاشِرِينَ مِنْ أَمْسِهِ بِتَهِيَّةِ السَّمَاطِ العَظِيمِ لِلْمُدَّةِ فِيهِ ، وَالشُّكْرِ الكَثِيرِ لثَمَلِ البِرْكَاتِ الَّتِي بِالصُّخْنِ مِنَ الشُّكْرِ المَذَابِ ، وَالْحَلْوَى الكَثِيرَةِ فَهَيَّ ذَلِكُ كُلُّهُ . وَجَلَسَ السُّلْطَانُ بِبِرْكَاتِ النَّهَارِ بِالقُرْبِ مِنَ البِرْكَاتِ فِي الصُّخْنِ عَلَى تَحْتِ ، وَاسْتَقَرَّ الصُّخْنُ الفُقَهَاءَ ، فَقَرَّرَ مِنْ وَقَعِ اخْتِيَارِهِ عَلَيْهِ فِي الدُّرُوسِ . وَمُنْذُ السَّمَاطِ العَظِيمِ بِأَنْوَاعِ المِطَاعِمِ ، وَمِلَّتِ البِرْكَاتُ بِالشُّكْرِ المَذَابِ ، فَأَكَلَ النَّاسُ وَنَهَبُوا ، وَارْتَوَوْا مِنَ الشُّكْرِ المَذَابِ ، وَحَمَلُوا مِنْهُ وَمِنِ الحَلْوَى مَا قَدَّرُوا عَلَيْهِ .

ثُمَّ طَلَبَ قَاضِي القُضَاةِ شَمْسُ الدِّينِ محمد بن سعد الدُّيرِي الحَنَفِي ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ كَامِلِيَّةَ صُوفٍ بِفَرُو سَمُورٍ ، وَاسْتَقَرَّ فِي مَشِيخَةِ التُّصُوفِ وَتَدْرِيسِ الحَنَفِيَّةِ ، وَجَلَسَ بِالْمِحْرَابِ وَالسُّلْطَانُ عَنْ يَمِينِهِ ، وَيَلِيهِ ابْنُهُ المِقَامُ الصَّارِمِي إِبْرَاهِيمَ ، وَعَنْ يَسَارِهِ قُضَاةُ القُضَاةِ وَمَشَايِخُ العِلْمِ ، وَحَضَرَ أَمْرَاءُ الدَّوْلَةِ وَمُبَاشِرُوهَا ؛ فَالْقَى دَرْسًا مُفِيدًا إِلَى أَنْ قَرَبَ وَقْتُ الصَّلَاةِ ، فَدَعَا بِفَضْلِ المَجْلِسِ . ثُمَّ حَضَرَتِ الصَّلَاةُ ، فَصَعِدَ نَاصِرُ الدِّينِ محمد بن البارزِي كَاتِبُ السُّرِّ المُنْبَرِ ، فَخَطَبَ وَصَلَّى ، ثُمَّ

^١ انظر كذلك ، أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٤ : ٣٥ - زويلة الكتابة التاريخية التالية :

١٧٦ عبد الغني النابلسي : الحقيقة والحجاز ٢٢٨ - ٢٢٩ . وعمل هذه المذنة المباركة التقيد الفقير إلى الله تعالى

^٢ يوجد على المذنة الشرقية فوق البذنة اليمنى لباب محمد القزاز . وكان الفراغ أول رجب سنة اثنتين =

خَلَعَ عَلَيْهِ وَاسْتَقَرَّ خَطِيبًا وَخَازِنَ الْكُتُبِ ، وَخَلَعَ عَلَى شَهَابِ الدِّينِ أَحْمَدَ الْأَذْرَعِيَّ الْإِمَامَ ، وَاسْتَقَرَّ فِي إِمَامَةِ الْخَمْسِ . وَرَكِبَ السُّلْطَانُ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا .

وَلَمَّا مَاتَ الْمُقَامُ الصَّارِمِي إِبْرَاهِيمَ ابْنَ السُّلْطَانِ دُفِنَ بِالْقُبَّةِ الشَّرْقِيَّةِ ، وَنَزَلَ السُّلْطَانُ حَتَّى شَهِدَ دَفْنَهُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ثَانِي عَشْرِينَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ ، وَأَقَامَ حَتَّى صَلَّى بِهِ الْخَطِيبُ مُحَمَّدُ الْبَارِزِي كَاتِبُ السَّرِّ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ ، بَعْدَمَا خَطَبَ خُطْبَةً بَلِيغَةً ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْقَلْعَةِ . وَأَقَامَ الْقُرَاءَ عَلَى قَبْرِهِ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ أُسْبُوعًا ، وَالْأَمْرَاءُ وَسَائِرُ أَهْلِ الدَّوْلَةِ يَتَرَدَّدُونَ إِلَيْهِ ، وَكَانَتْ لِيَالِي مَشْهُودَةً .

وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ آخِرِهِ ، اسْتَقَرَّ فِي نَظَرِ الْجَامِعِ الْمَذْكُورِ الْأَمِيرُ مُقْبِلُ الدَّوَادَارِ ، وَكَاتَبَ السَّرَّ ابْنَ الْبَارِزِي . فَتَزَلَا إِلَيْهِ جَمِيعًا ، وَتَفَقَّدَا أَحْوَالَهُ ، وَنَظَرَا فِي أُمُورِهِ . فَلَمَّا مَاتَ ابْنُ الْبَارِزِي فِي ثَامِنِ شَوَّالٍ مِنْهَا ، انْفَرَدَ الْأَمِيرُ مُقْبِلُ بِالتَّحَدُّثِ ، إِلَى أَنْ مَاتَ السُّلْطَانُ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ثَامِنِ الْمَحْرَمِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، فَدُفِنَ بِالْقُبَّةِ الشَّرْقِيَّةِ ، وَلَمْ تَكُنْ عُصْرَتُ ، فَشُرِعَ فِي عِمَارَتِهَا حَتَّى كَمُلَتْ فِي شَهْرِ ذِي الْقِعْدَةِ مِنْهَا . وَكَذَلِكَ الدَّرَجُ الَّتِي يُصْعَدُ مِنْهَا إِلَى بَابِ هَذَا الْجَامِعِ مِنْ دَاخِلِ بَابِ زَوِيلَةَ لَمْ تُعْمَلْ إِلَّا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْهَا ، وَبَقِيَتْ بَقَايَا كَثِيرَةً مِنْ حُقُوقِ هَذَا الْجَامِعِ لَمْ تُعْمَلْ : مِنْهَا الْقُبَّةُ الَّتِي تُقَابِلُ الْقُبَّةَ الْمَدْفُونِ تَحْتَهَا السُّلْطَانُ ، وَالْبَيْوتُ الْمُعَدَّةُ لِسُكْنِ الصُّوفِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَأُفْرِدَ لِعِمَارَتِهَا نَحْوًا مِنْ عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . وَاسْتَقَرَّ نَظَرُ هَذَا الْجَامِعِ بَعْدَ مَوْتِ السُّلْطَانِ بِيَدِ كَاتِبِ السَّرِّ ^١ .

= وعشرين وثمان مائة» .

^١ لم يذكر المقرئ هنا ، أو في الفصل الذي عقده لذكر

الحمامات ، «حمام المؤيد» التي أنشأها السلطان المؤيد شيخ وقت إنشاء الجامع . وما تزال هذه الحمام موجودة خلف الجامع بحارة الإشرافية ، ومسجلة بالآثار برقم ٤١٠ ، ولها بابان أحدهما بشارع تحت الربع والثاني من حارة الإشرافية .

(علي مبارك : الخطط التوفيقية ٢٠٦:٦ (٧١) ، Pauty, E., ؛ *Les hammams du Caire*, p. 56 ؛ عاصم محمد رزق :

أطلس العمارة الإسلامية ٣:٤٣٩-٤٥٠) .

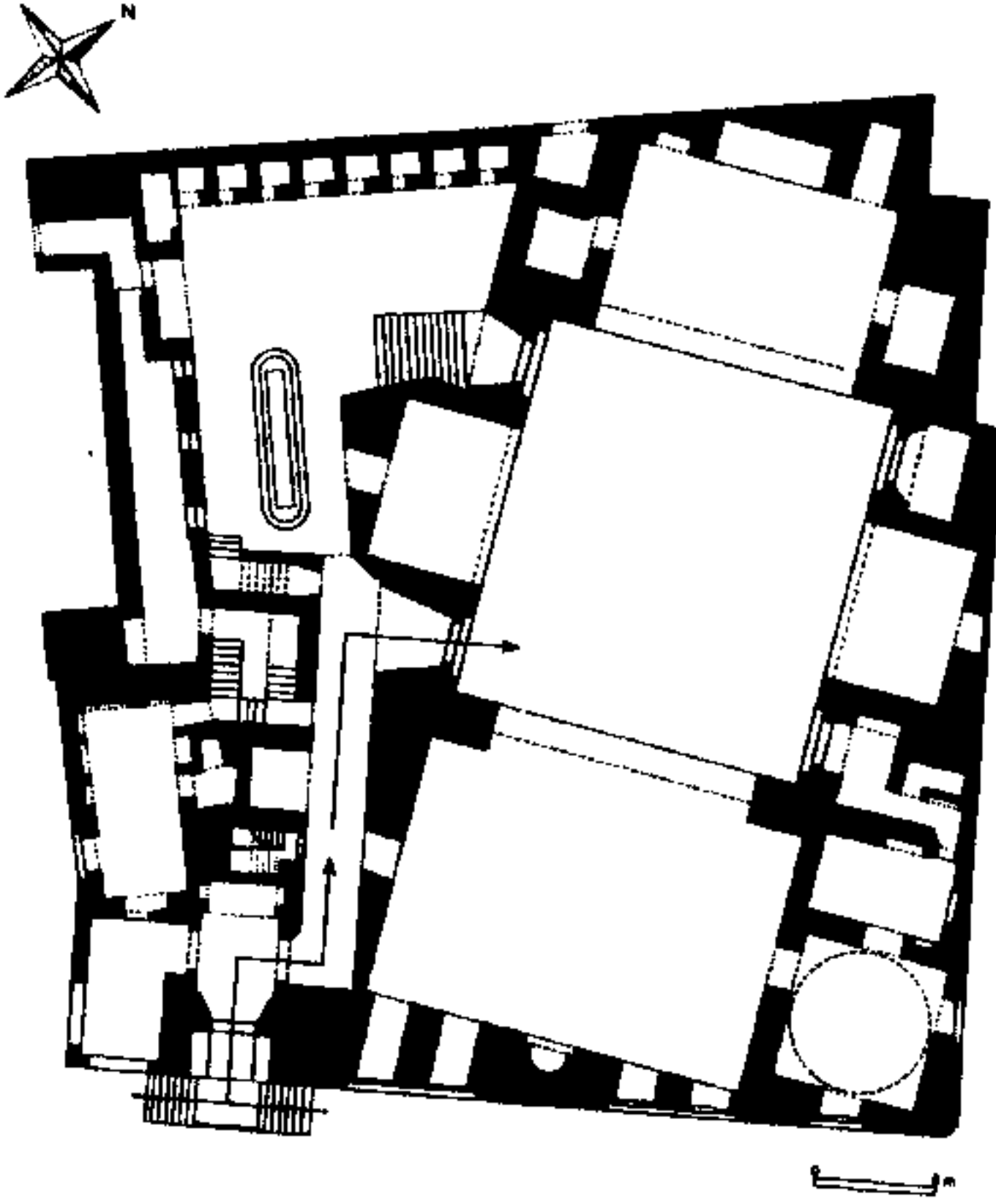
وعلى المدينة الغربية : «أمر بإنشاء هذين المنارتين المباركتين سيّدنا ومولانا السلطان المالك الملك المؤيد أبو النصر شيخ عز نصره ، وذلك في نظر العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن القزار ، والفراع في شهر شعبان المعظم قُدْرُهُ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ» . (van Berchem, M., *CIA Égypte I*, n° 236, 237 ؛ حسن عبد الوهاب :

تاريخ المساجد الأثرية ٢١٣) .

الجامع الأشرفي

[أثر رقم ١٧٥]

هذا الجامع فيما بين المدرسة الشيوية وقيسارية العنبر، كان موضعه حوائت تعلوها رباغ، ومن ورائها ساحات كانت قياسر بعضها وقفت على المدرسة القطبية. فابتدأ الهدم فيها، بعدما استبدلت غيرها، أول شهر رجب سنة / ست وعشرين وثمان مائة، وبني مكانها. فلما كمل^١ الإيوان القبلي، أقيمت به الجمعة في سابع جمادى الأولى سنة سبع وعشرين، وخطب به الحموي الواعظ وقد ولي الخطابة المذكورة^١.



مخطط الجامع الأشرفي (عن اللجنة)

(a) بولاق : عُمر.

^١ المدرسة الشيوية. حل محلها الآن الجامع المعروف بجامع الشيخ مطهر في شارع المعز لدين الله (فيما يلي ٤٦٠-٤٦١)، =

الجامع الباسطي

[الرقم ٦٠]

هذا الجامع بخط الكافوري من القاهرة. كان موضعه من جملة أراضي البشتان، ثم صار بما اختط كما تقدم ذكره^١. فأنشأه القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الدمشقي^٢،

برسباي بمدينة القاهرة، رسالة ماجستير بكلية الآثار - جامعة القاهرة ١٩٧٧؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٣: ٤٥١-٤٨٤).

^١ فيما تقدم ٣: ٧٢-٧٣.

^٢ القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الدمشقي، نشأ بدمشق وأصله بالأمر شيخ حين كان نائباً بدمشق، وقدم معه إلى الديار المصرية بعد مقتل الناصر فرج سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م، فولاه نظراً الخزانة والكتابة، وظل فيها مدة اشترى في أثناءها دار تكيك (فيما تقدم ٣: ١٧٩) فأصلحها وكملها وجعلها سكناً له، وعمر تجاهها مدرسته، وتوفي عبد الباسط بن خليل سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م ودُفِنَ بقرية بالصخراء، وهو أيضاً صاحب القيسارية المعروفة به برأس الخراطين من القاهرة (فيما تقدم ٣: ٣٠٣).

راجع، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٥: ٥٥٢-٥٥٤، المنهل الصافي ٧: ١٣٦-١٤٣؛ الشخاوي: الضوء اللامع ٤: ٢٤-٢٧ وهو أول من تسمى بعد الباسط!

ودار تكيك التي اشتراها القاضي عبد الباسط (فيما تقدم ٣: ١٧٩) هي القصر الذي آل نحو منتصف القرن التاسع عشر إلى والي مصر عباس باشا الأول، فأنشأه إنشاءً جديداً وأطلق عليها «سراي الإلهامية» على لقب ابنه إبراهيم إلهامي، واشتهرت كذلك باسم «دار الخرنفش»، إلى أن أنعم بها الخديو إسماعيل باشا على السيد علي البكري نقيب الأشراف عندما أخذت داره الموجودة بحارة الشيخ عبد الحق المتفرعة من شارع العسماوي، وُقِّت تنظيم =

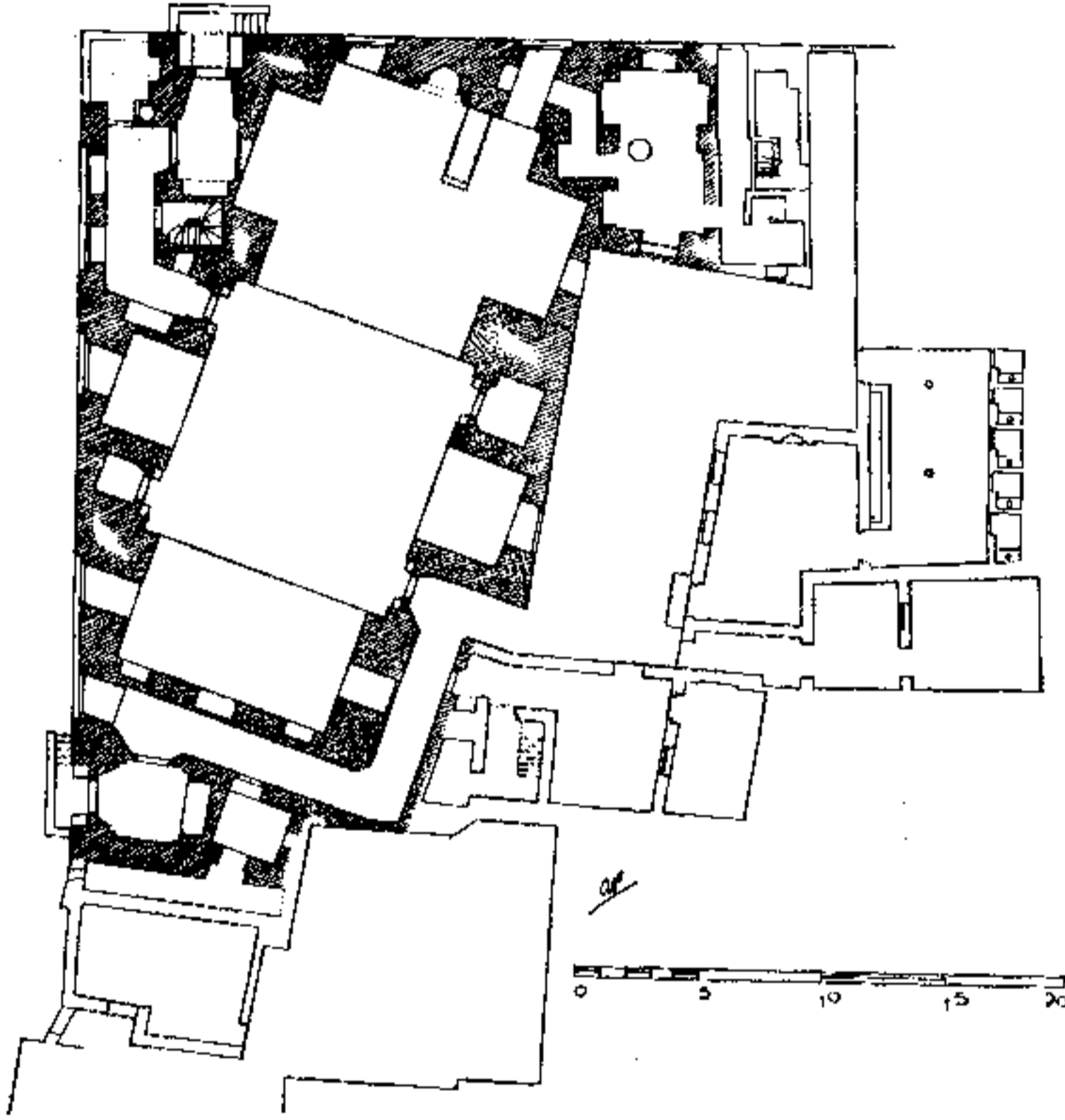
= وقيسارية العنبر هي المكان المعروف الآن بالتزريعة.

وما يزال «الجامع الأشرفي» قائماً إلى الآن بشارع المعز لدين الله (الأشرفية سابقاً) في المنطقة الواقعة بين شارع جوهر القائد شمالاً وشارع الأزهر جنوباً. ويوجد على واجهة الجامع كتابة تاريخية، نصها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآيات ١-٣ سورة الفتح -
أنشأ هذه المدرسة المباركة سيّدنا ومولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النضر برسباي، تخلصه الله ملكه بمحمد وآله يارب العالمين، وذلك بتظير القيد الفقير إلى الله تعالى عبد الباسط ناظر الجيوش المنصورة، غفر الله له وللمسلمين، في مدة أولها شهر شعبان سنة ست وعشرين وثمان مائة وآخرها سلخ جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وثمان مائة. (van Berchem, M., CIA, Égypte I, n° 242). والجامع مبني على نظام المدارس المتعايدة، فهو جامع - مدرسة - مثل جامع السلطان حسن (فيما تقدم ٢٦٩)، وعبد الباسط الذي تولى نظراً عمارة الجامع هو صاحب الجامع الآتي ذكره.

(راجع، المقرئ: السلوك ٤: ٦٣٦، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤: ٢٦٤؛ ابن إياس: بدائع الزهور ٢: ٨٦، ١١٠٩؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ١١٠ (٣٣-٤٠)، ٤: ١١٩-١٢٠ (٥٧)؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ٢٢١-٢٢٤؛ Darrag, A., L'Égypte sous le règne de Barsbay, pp. 406-9؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٤: ١٠٢-١١٧؛ محمد عبد الستار عبد المقصود: الآثار الباقية للسلطان الأشرف

ناظر الجيوش، في سنة اثنتين وعشرين وثمان مائة، ولم يُسخر أحدًا في عمله، بل وفي لهم أجورهم. حتى كمل في أحسن هندام، وأكيس قالب، وأبدع زي، تزاح النفس لرؤيته، وتتهج عند مشاهدته، فهو الجامع الزاهر، والمعبد الباهي الباهر^١.



مُحَطَّط الجامع الباسطي (عن Meinecke)

جمادى الآخرة [سنة ٨٢٣هـ] أُخِدَّتْ مُجْمَعَةً بِالْمَدْرَسَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا زَيْنُ الدِّينِ عَبْدِ البَاسِطِ - ناظر الخزانة - جوار منزله، وَأَذِنَ لَهُ السُّلْطَانُ فِي إِقَامَتِهَا، فَأَقِيمَتْ. (إنباء الغمر ٢٢٦:٣).

ويوجد بواجهة المدرسة - الجامع الشرقية بأفريز الواجهة الغلوي كتاباً تاريخية نصها:
«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآية ١٨ سورة التوبة - أنشأ هذه المدرسة المباركة بما أنعم الله تعالى على الفقير إلى رحمة ربه القدير عبد الباسط بن خليل الشافعي ناظر الكسوة الشريفة والخزانة السلطانية المؤيدية أبو النصر»

= منطقة الأزبكية. وقد زالت هذه الدار في أواخر خمسينات القرن العشرين وحلَّ عوضها مجموعة من المساكن. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٣: ١٣٥-١٣٦ (٢٦)).

^١ الجامع الباسطي (المدرسة الباسطية). مازال الجامع موجوداً في سكة الخرنفش المتفرعة من شارع الخرنفش بحي الجمالية. وواضح من نص لابن حجر العسقلاني أن المدرسة أنشئت قبل التاريخ المذكور في نص المقرئ (كما هو موضح في النص الإنشائي)، وأن ما تم في سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م هو إحداث حُطْبِيَّةٍ بِالْمَدْرَسَةِ، يقول النص: «وفي

ابتدئ فيه إقامة الجمعة في يوم الجمعة الثاني من صفر سنة ثلاث وعشرين، ورُتّب في خطابه فتح الدين أحمد بن محمد بن النقّاش، أحد شهود الحوائت وموقعي القضاة، ثم رُتّب به صوفيّة، ووليّ مشيخة التصوّف عزّ الدين عبد السلام بن داود بن عثمان القدسي الشافعيّ أحد نواب الحكم، فكان ابتداء حضورهم بعد عصر يوم السبت أوّل شهر رجب منها. وأجرى للفقراء الصوفية الخبز في كلّ يوم، والمعلوم في كلّ شهر، وبتى لهم مساكن، وحفر صهريجاً يملأ من ماء النيل، ويسبّل في كلّ يوم، فعمّ خيرُه، وكثُر نفعُه^(a).

..

ثمّ تجدد في بولاق «جامع ابن الجاي» و«جامع ابن السنيني»، وتجدد في مصر «جامع الحسّانات» بخطّ دار النحاس، وفي حكر الصّبان «الجامع المعروف بالمستجد» و«جامع الفتح»، وفي حارة الفقراء «جامع عبد اللطيف الطواشي الشافعي»^(b).
وتجدد في خارج القاهرة بسويقة صفيّة «جامع ابن دزهم ونصف»^١.

(a) بولاق: فعمّ نفعه، وكثُر خيرُه. (b) بولاق: الساقى.

عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ٢٠٢-٢٠٦؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٣: ٤١١-٤٣٨).
^١ هذا الفضل الذي أوجز فيه المقرئ الحديث عن الجوامع التي بُيّت بعد العقْد الثاني من القرن التاسع الهجري والأماكن التي استُجدت بها خطبة، كتبه المقرئ في آخريات حياته وبعد عودته من الجاورة بمكة بين سنتي ٨٣٤هـ/١٤٣٠م - ٨٣٩هـ/١٤٣٥م (فيما تقدم ١: ٣٦).
ويدو أنّه كان في شكل طائرة أو إلحاق بشخته، فهو يحمل تواريخ متأخرة آخرها رابع ذي الحجة سنة ٨٤٣هـ/٥ مايو سنة ١٤٤٠م، أي قبل وفاته بعامين، (وانظر فيما تقدم ١٨: ٢٥٤).

- شيخ - خلد الله ملكه - تقبلها الله تعالى وجعلها خالصة لوجهه الكريم. وكان ابتداء عمارتها في شهر جمادى الأولى سنة ثلاث عشر وثمان مائة وآخرها في شهر جمادى الأولى سنة ثلاثة وعشرين وثمان مائة. (van Berchem, M., CIA Égypte I, n° 240؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ٢٠٣).

كذا جاء في النصّ الإنشائي وفيه نظر لأنّ تاريخ البدء في العمارة لا يستقيم وتاريخ المنشئ لأنّ قدومه إلى مصر كان مع المؤيد شيخ بعد مقتل الناصر فرج سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م؟

(راجع، علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ١٠٧، ٤٤)؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٢٩هـ؛ حسن

^٢ ذكر ابن إياس هذا الجامع باسم مدرّسة الشّ =

^a وبخط سُويقة القيمري «جامع منكلي بُغا»^١ أستاذ الخليلي وأستاذ السلطان^a؛ وفي خط معدية فريج^٢ «جامع كزل بُغا»^٣، وفي رأس دزب النيدي

(a-a) ساقطة من بولاق .

القنطرة وكذلك سبكة قنطرة الذي كَفَر وما على جانبيها من المباني مع زدم الخليج المصري سنة ١٨٩٩م وتوسيع شارع الخليج المصري (شارع بورسعيد الآن) .

وأما سبب تسمية هذه القنطرة بهذا الاسم فقد أرجعه محمد بك رمزي - كما رواه له بعض كبار السن المقيمين بالمنطقة - إلى أن رجلاً ظلَّ في خدمة أحد البكوات الجراكسة نحو ثلاثين عامًا وفي أحد الأيام - وكان ذلك في عهد الوالي عباس الأول - غضب هذا البك على خادمه من جراء تهمة لَقَّفتها عليه سيدته فطرده في الحال ، فخرج الرجل حزينا إلى الحد الذي أصيب معه بذهول أفقده عقله ، وعاش أكثر من عشر سنوات بجوار هذه القنطرة يُسب كل شيء ويَتَلَفُظ بعبارات تنطوي على الكُفر بالله ، فاشتهر بين الناس بكُفْره وعُرِفَت القنطرة باسم «قنطرة اللي كُفر» . واشتبهَ رمزي بك ما يذهب إليه بعض الباحثين من نسبتها إلى القائد الفرنسي Cafarelli وتحريف العائمة لاسمه . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١: ٧٧-٧٨هـ)^١ ؛ وانظر تعليق تيمور باشا وآخرين على خطط علي مبارك : الخطط التوفيقية ٣: ٨٤-٨٨) .

^٣ جامع كزل بُغا . ترجم الشخاوي لكزل بُغا صاحب هذا الجامع فقال : «وخدم عند فيروز الشافي ثم توجه للعبادة والتلاوة ونهى جامعا على الخليج الحاكمي بالقرب من شق الثقبان وقنطرة سُقر وانقطع به . مات في أيام الظاهر جفمق (٨٤٢-٨٥٧هـ) . (الضوء اللامع ٦: ٢٢٧) .

وهذا الجامع حلَّ محله الجامع المعروف الآن باسم مسجد كريم الدين الخلوتي (مسجل بالآثار برقم ٤١٤) الواقع في شارع البرموني المتفرع من شارع بورسعيد جنوب شارع الشيخ زحان . ودلَّ على ذلك ما ذكره الرحالة عبد الغني التابلسي حيث زار «جامع الخلوتي» وذكر من بين =

= تخديجة ابنة الدزهم ونصف التي بالقرب من جامع التوكماني عند طاحون السندر (فيما تقدم ٢٥٥) ، وأضاف ابن إياس أن أصل هذه المدرسة قاعة إنشاء ابن الدزهم ونصف ، ثم بدأ لابنته تخديجة أن يجعلها مدرسة ، فأنشأت بها الحراب وجعلت بها مئذنة وجعلت بها خلوي للصفوة وجعلت بها منبرًا ، ثم إنها أوقفت عليها جميع جهاتها الخلفة عن والدها ، فجاءت من محامين الزمان . (بدائع الزهور ٥: ٣٣٦) . وورد هذا الجامع على خريطة القاهرة التي رسمها علماء الحملة الفرنسية باسم «جامع دزهم ونصف» بناحية باب البحر [E 11 - 221] .

ويُرجح علي مبارك أن مدرسة الست تخديجة هي الجامع الذي عُرف بجامع الشيخ شهاب الدين علي يمتة من سلك في سوق الزلط إلى جامع الزاهد . (الخطط التوفيقية ٣: ٢٦٨ (٧٤)) .

^١ لم أقف على تحديد لهذا الجامع .

^٢ معدية فريج . كانت تقع في الخليج المصري بين قنطرة باب الخلق وقنطرة آق سُقر (فيما تقدم ٣: ٤٩٢-٤٩٣) ، وفيما يلي (٨١٠) . وحلَّ محلُّ هذه المعدية سنة ١١٧٥هـ / ١٧٦١م «القنطرة الجديدة» التي بناها الأمير عبد الرحمن كَنُخدا القازدغلي لتوصُّل إلى سكنه بحارة عابدين (المعروفة الآن بسبكة رحيبة عابدين) ، للمرور عليها بين داره وبين المدينة (المجرتي : عجائب الآثار ٢: ٩) .

ووردت بهذا الاسم على خريطة القاهرة التي رسمها علماء الحملة الفرنسية [O-9, 28] . وهي القنطرة نفسها التي عُرفت في أثناء القرن التاسع عشر بـ «قنطرة الذي كُفر» . وقد أُطلقت مُصلحة التنظيم اسم «سبكة قنطرة الذي كُفر» على الطريق التي كانت تُوصُّل بين هذه القنطرة وبين شارع دزب الجمايز تجاه سبكة رحيبة عابدين . واختفت معالم هذه

«جامع حارس الطير»^(a) ، وفي شويقة عُصفور «جامع القاضي أمين الدين» بجانب زاوية الفقيه المعتقد أبي عبد الله محمد الفازقاني بُني في سنة اثنتين وثلاثين وثمان مائة ، وبُحِطُّ البراذعيين ورأس حارة الحمزيين^(b) «جامع الحاج محمد» - المعروف بالمسكين مهتار - ناظر الخاص .
وتجدد في المراغة «جامع الشيخ أبي بكر المعروف» ، بناه الحاج أحمد القمّاح . وأقيمت خطبة بـ «خانكاه الأمير جانبك الأشرفي» خارج باب زويلة^١ ، وتوفي يوم الخميس سابع عشرين ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وثمان مائة^٢ . وبُحِطُّ باب اللوق «جامع مُقدّم السقائين» قريباً من جامع الست نصيرة ، وبُحِطُّ تحت الربع خارج باب زويلة جامع^٤ .

(a) في جميع النسخ : حارس طير ١ (b) بولاق : الحرمين .

van Berchem, M., CIA) سنة ثلاثين وثمان مائة . (Égypte I, n° 248 .

(راجع ، المقرئزي : السلوك ٤ : ٧٤٦ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٤ : ٣٠٩ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٤ : ١٥٣ (٧٢) ؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ٢١٨ - ٢٢٠ ؛ محمد عبد الرحمن فهمي : أعمال جاني بك المعمارية - دراسة أثرية ، رسالة ماجستير - كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٨٨ ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمرة الإسلامية ٣ : ٤٨٥ - ٥٠٦) .

^٣ الأمير سيف الدين حانبك الأشرفي الدوادار ، أحد مماليك السلطان الأشرف بوسباي ، توفي مقتولاً سنة ٨٣١هـ / ١٤٢٧م ، ودُفِنَ أولاً بمدرسته ثم نُقِلَ إلى تربة السلطان الموجودة بشارع قبّة الأشرف بقرافة المماليك الشرقية (مسجلة بالآثار برقم ١٢٢) . (راجع ، المقرئزي : درر العقود الفريدة ١ : ٥٧١ - ٥٧٢ ؛ ابن حجر : إنباء الغمر ٣ : ٤٠٨ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠ : ١٤٨ ، المنهل الصافي ٤ : ٢٣٢ - ٢٣٥ ؛ الصيرفي : نزهة النفوس ٣ : ١٣٨ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ٣ : ٥٤ - ٥٥ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ٢ : ١١٨) .

^٤ ربما كان الجامع الذي ذكره المقرئزي (فيما يلي ٧١١) باسم مسجد رشيد الدين البهائي ، والذي جددته السيدة فاطمة سُفراً سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م والمسجل بالآثار برقم ١٩٥ .

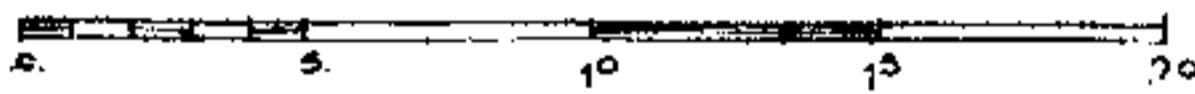
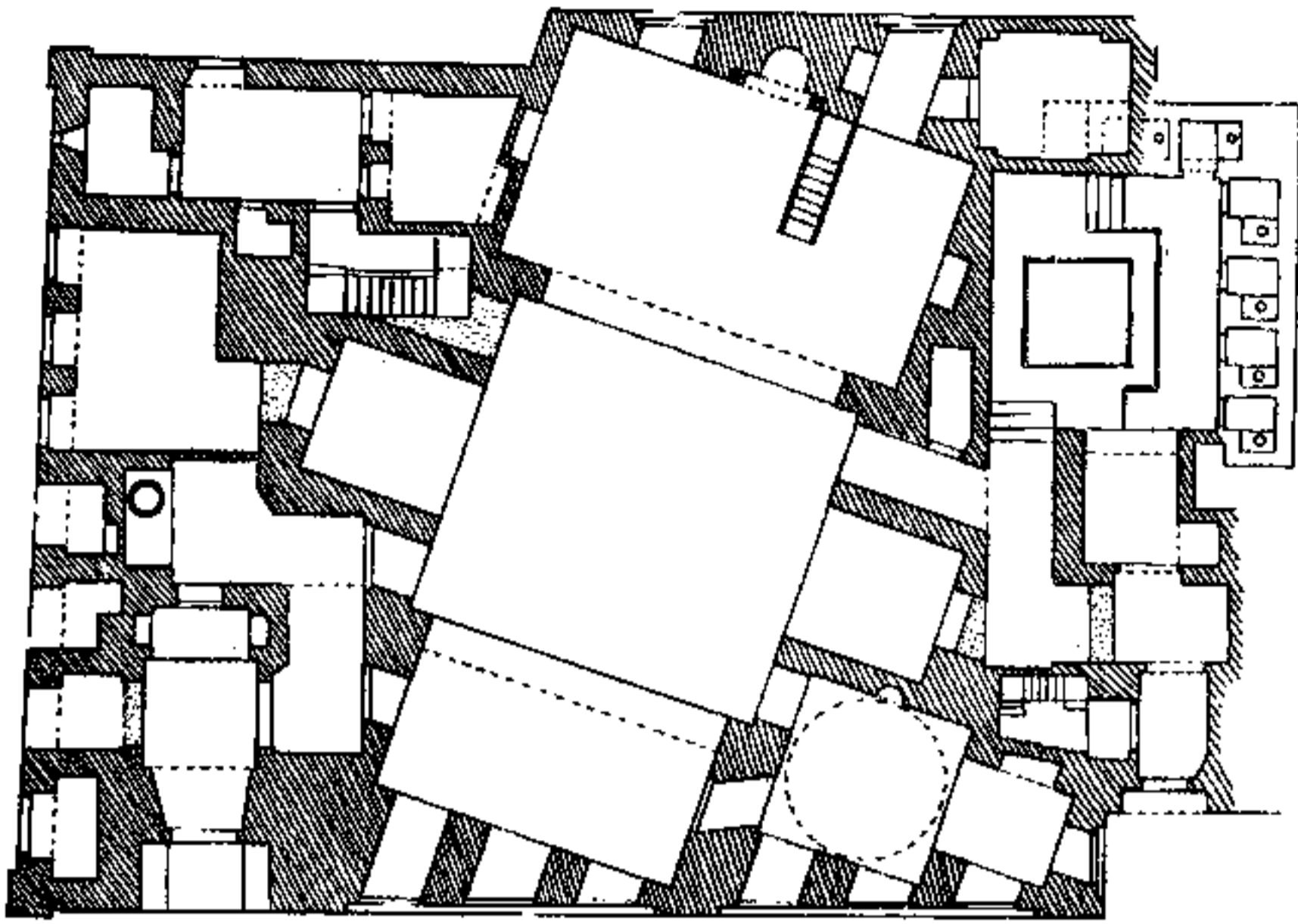
= المدفونين فيه الشيخ كريم الدين والملقب بكوز البغا (الحقيقة والمجاز ٢٤٦) .

وقد تجدّد هذا الجامع في سنة ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م ، ولم يتبق من الجامع القديم الذي أنشأه كُزَلُ بُغَا إلا الجزء الأسفل من المنارة حتى الدوّزة الأولى . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٤ : ٢٢٦ - ٢٢٧) ؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١ : ٣٤٢ - ٣٤٣ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٥ : ١٤١ - ١٤٥) .

^١ جامع حارس الطير : أنشأه الأمير سيف الدين أسنبغا حارس الطير ، كان يقع بدرب الجماميز بجوار زاوية الكردي ، وذكر علي باشا مبارك أنّ له منارة وبجواره ثلاث حوانيت موقوفة عليه وشعائره مقامة . (الخطط التوفيقية ٣ : ٩٢ (١٠) ، ٤ : ١٦٧ (٧٩) . وقد زال الآن هذا الجامع .

^٢ جامع (خانقاه) جانبك الأشرفي بحُطِّ القرييين خارج باب زويلة . يقع الآن بشارع المقرئلين على يسار الدّاهب من باب زويلة إلى الشروجية وشارع محمد علي (مسجل بالآثار برقم ١١٩) ويعرف باسم «جامع الجنبكية» ، أنشأه الأمير سيف الدين جانبك الأشرفي سنة ٨٣٠هـ / ١٤٢٦م كما هو مثبت على شريط بالخط الشيخ المملوكي ، نصّه :

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآية ٣٠ سورة فصلت - أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك المُقَرَّبِ الأشرف الشيفي جاني بك الدوادار الملكي الأشرفي عز نصره بتاريخ شهر رجب



مخطط جامع الأمير جاني بك (عن اللجنة)

وتجدد بالصُخراء، قريبتا من تربة الظاهر بزقوق، حُطبت في «تربة السلطان الملك الأشرف برسبای الدقمای»^١.

وتجدد في آخر سويقة أمير الجيوش بالقاهرة جامع أنشأه الفقير المعتقد محمد العمري، وأقيمت به الجمعة في يوم الجمعة رابع ذي الحجة سنة ثلاث وأربعين وثمان مائة قبل أن يكمل^٢. وتجدد

١ وراجع، أحمد دراج: حجة وقف الأشرف برسبای ٤٥-٤٨، ٤٥٨ ابن إياس: بدائع الزهور ٢: ١٨٨، ١٨٩؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١: ٢٢٥-٢٢٨؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٣: ٥٨٩-٦١٦.

٢ جامع العمري. كان يقع بطرف سوق أمير الجيوش بالقرب من حوطة المغازلي، قال الشخاوي: «كانت الحطة مفتقرة إليه» (الضوء اللامع ٨: ٢٣٩)، بينما ذكر شيخه ابن حجر في ترجمة العمري أنه «عمّر في وسط سوق أمير الجيوش جامعًا، فعاب عليه أهل العلم ذلك، وأنه كان ممن راسله بتوك إقامة الجمعة فيه فلم يقبل، واعتذر بأن الفقراء طلبوا منه ذلك، وعجل بالصلاة فيه بمجرد فراغ الجهة القبليّة، =

تقع تربة السلطان الملك الأشرف برسبای بالتربة من خانقاه فرج بن بزقوق (فيما يلي ٧٥١) بشارع قبة الأشرف في القرافة الشرقية المعروفة بصخراء قايتبای شرق طريق صلاح سالم ومسجلة بالآثار برقم ١٢١. وهي في الأصل خانقاه للصوفية وحوش كبير دُفن به الأشرف برسبای وأقاربه وبعض العلماء، وفرغ من بنائها سنة ٨٣٥هـ/١٤٣٢م كما هو مثبت على جانبي المدخل الرئيس حيث يوجد النص التالي: «بسم الله الرحمن الرحيم. أنشأ هذه الخانقاه المقام الشريف مولانا السلطان الملك الأشرف سلطان الإسلام والمسلمين أبو النصر برسبای عز نصرته. وكان الفراغ من ذلك في شهر ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وثمان مائة». (van Berchem, M., CIA Égypte I, n° 250)

في زاوية الشيخ أبي العباس البصير، التي عند قنطرة الخزق، خطبة. وتجدد بحذرة^٥ الكماجين من أراضي اللوق، خطبة بزاوية مطلة على غيط العدة.

وتجدد بالصخراء خطبة في «تربة الأمير شبل الدولة»^٦ كأفور الزمام^١، وتوفي في خامس عشر ربيع الآخر سنة ثلاثين وثمان مائة^٢. وتجدد بخط الكافوري خطبة أخذتها بنو وفاء في جامع لطيف جدًا^٣. وتجدد ب«مدرسة ابن البقري»، من القاهرة أيضًا، خطبة في أيام المؤيد شيخ.

(a) بولاق: في حذرة. (b) بولاق: مشير الدولة.

وكان يحبها حبًا عظيمًا ويغضب ممن يسميها تربة. وكان لا يزال يُزخرفها ويُجدد ما تلف من الزخرفة. (المنهل الصافي ١١٢:٩-١١٣).

^٢ الأمير شبل الدولة كأفور الصرعشمسي الطواشي الرومي الزمام، من عتقاء الأمير منكلي بقا الشمسي الذي ملكه بعد مقتل الأمير صرعشمس الأشرفي سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م، وتوفي كأفور الزمام سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م وقد قارب الثمانين سنة. (راجع، المقرئ: السلوك ٧٦٠:٤-٧٦١؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٣:٣٩٥؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٥:١٤٣؛ المنهل الصافي ١١٢:٩-١١٣؛ الصيرفي: نزهة النفوس ٣:١٦٦؛ السخاوي: الضوء اللامع ٦:٢٢٦).

^٣ ذكر ابن حجر عند حديثه على مدرسة عبد الباسط الدمشقي، أن بجوارها بنحو سبعة أبيات مكان تقام فيه الجمعة عند ابن وفا. (إنباء الغمر ٣:٢٢٦). وقد ظل هذا المكان موجودًا باسم زاوية علي وفا على ناصية عطفة الرباط المتفرعة من شارع الشغراني الجواني، إلى أن أزيلت في الربع الأخير للقرن العشرين وتجدد مكانها منزل حديث يحمل رقم ٦ بشارع الشغراني الجواني.

^٤ المدرسة البقرية كانت في الزقاق الذي تجاه الجامع الحاكمي المجاور للمنيبر، ويتوصل من هذا الزقاق إلى ناحية العطوف. (فيما يلي ٥٦٦).

= وأتفق أن شخصًا من أهل الشوق المذكور، يقال له بلبل، تبرع من ماله لعمارة المقدنة، ومات الشيخ [سنة ٨٤٩هـ/ ١٤٤٦م] وغالب عمارة الجامع لم تكمل، (إنباء الغمر ٤:٢٤٣). وقد تم بناء هذا الجامع ابنه الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر في سنة ٨٩٩هـ/ ١٤٩٤م، كما يؤخذ من بعض النقوش التي كانت بالجامع (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥:١٤٤ (٦١))، ودفن به بعد وفاته سنة ٩٠٥هـ/ ١٥٠٠م (ابن إياس: بدائع الزهور ٣:٤٢٥ الذي ذكر أن الجامع بالقرب من باب القوس، يعني قوس باب القنطرة).

وكان هذا الجامع موجودًا في شارع أمير الجيوش الجواني (مروجوش) على يمين الداهب إلى ميدان باب الشعرية عند تقاطعه مع الدرب المعروف بدرب القفري. وذكر علي مبارك أنه يشتمل على إيوانين وثلاثين عمودًا وله منارة ومنافع تامة. (الخطط التوفيقية ٣:١٢٧-١٢٨ (٢٣)، ٥:١٤٢ (٦٠)).

وقد تحزب هذا الجامع وهدم في النصف الأول من القرن العشرين ونقل منبره وكرسی المصحف الذي كان موجودًا به إلى خانقاه الأشرف بزيباي بقرافة المماليك. (حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١:٢٢٧).

^١ تربة كأفور الزمام. قال أبو المحاسن في ترجمته: «أنشأ تربة بالصخراء معروفة به وعمر عليها أموالًا كثيرة، وجعل فيها خطبة، وقرز فيها صوفية، ووقف عليها عدة أوقاف،

وتجدد بحارة الديلم خطبة في «مدرسة» أنشأها الطواشي شبل الدولة^a المذكور^١. وتجدد عند قنطرة قدادار خطبة أنشأها شاكر البتاء، وخطبة بالقرب منها في جامع أنشأه الحاج إبراهيم البرددار الشهير بالحمصاني، أحد الفقراء الأحمدي السطوحية، في حدود الثلاثين وثمان مائة.

(a) بولاق : مشير الدولة .

ورغم أن النص الإنشائي يصف المبنى بالجامع، إلا أن تخطيطه جاء على أساس تخطيط المدارس، أي تخطيط متعدد يشتمل على صحن يفتح عليه أربع إيوانات، كما أن وصف المقريري وأبي المحاسن وغيرهما له واضح بأنه مدرسة.

وهذا الجامع - المدرسة غير مدرسة حارة الديلم التي ذكرها المقريري في المبيضة ولم يتزوج لها. (فيما يلي ٥٠٥)، والتي ظل علي باشا مبارك وجاستون فيت أنها هي مدرسة كافور الزمام.

راجع، علي مبارك: الخطط النوفيقية ٤: ٢٣٤-٢٣٥
Wiet, G., «La Mosquée de Kâfûr au Caire» in *Studies in Islamic Art and Architecture in Honour of Professor K.A.C. Creswell*, Cairo - AUC 1965, pp. 260-69
الإسلامية ٣: ٣٣٣-٣٤٦).

^١ وتعرف بـ«مدرسة كافور الزمام». مازالت موجودة بحارة نحوش قدم المتفرعة من شارع المعز لدين الله بالقورية ومسجلة بالآثار برقم ١٠٧. ويوجد بالمدرسة ثلاث كتابات تاريخية تحدد تاريخ بنائها، الأول على جانبي المدخل، والثاني شريط بدائر أعلى حائط الصحن، وشريط ثالث بأعلى الواجهة الخارجية؛ ويحمل الشريط الأخير، وهو بالنسخ المملوكي بحروف كبيرة، النص التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم . - الآية ٣٧ سورة النور - أمر بإنشاء هذا الجامع والشيل المبارك المقر الكريم المؤلفي الأميري الكبير المحترمي الخدمي المجاهدي المرابطي المشاغري المؤيدي الشبلي شبل الدولة كافور زمام الأدر الشريف وشيخ شيوخ الشادة الخدام بالحرم الشريف النبوي على ساكنه أفضل الصلاة والسلام والرحمة . وكان الفراغ من عمارة هذا المكان المبارك في شهر رجب الفرد سنة تسع وعشرين وثمان مائة من الهجرة النبوية أحسن الله عاقبتها أمين يارب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

ذكر مذاهب أهل مضر ونخلهم منذ افتتح عمرو بن العاص - رضي الله عنه -

أرض مضر إلى أن صاروا إلى اعتقاد مذاهب الأئمة الأربعة^١ رحمهم الله تعالى

وما كان من الأحداث في ذلك

اعلم أن الله - عز وجل - لما بعث « نبينا محمداً » ﷺ رسولاً إلى كافة الناس جميعاً -
 عزبهم وعجبهم - وهم كلهم أهل شرك وعبادة لغير الله تعالى إلا بقايا من أهل الكتاب ، كان
 من أمره ﷺ مع قريش ما كان حتى هاجر من مكة إلى المدينة . فكانت الصحابة - رضوان الله
 عليهم - حوله ﷺ يجتمعون إليه في كل وقت مع ما كانوا فيه من صنك المعيشة وقلة القوت .
 فمنهم من كان يخترق في الأسواق ، ومنهم من كان يقوم على نخله ، ويحضر رسول الله ﷺ
 في كل وقت منهم طائفة عندما يجد أذنى فراغ مما هم بسبيله من طلب القوت . فإذا سئل رسول
 الله ﷺ عن مسألة أو حكم بحكم ، أو أمر بشيء ، أو فعل شيئاً ، وعاه من حصر عنده من
 الصحابة ، وفات من غاب عنه علم ذلك ، ألا ترى أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قد
 خفي عليه / ما عمله جمل بن مالك بن النابغة - رجل من الأعراب من هذيل - في دية الجنين ،
 وخفي عليه ؟

وكان يفتي في زمن النبي ﷺ من الصحابة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن ابن
 عوف ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وأبو موسى
 الأشعري وسلمان الفارسي ، رضي الله عنهم .

فلما مات رسول الله ﷺ ، واستخلف « أبو بكر الصديق » - رضي الله عنه -
 تفرقت الصحابة - رضي الله عنهم - : فمنهم من خرج لقتال مسيلمة وأهل الردة ، ومنهم من
 خرج لجهاد^(b) أهل الشام ، ومنهم من خرج لقتال أهل العراق ، وبقي من الصحابة بالمدينة مع أبي
 بكر - رضي الله عنه - عدة . فكانت القضية إذا نزلت بأبي بكر - رضي الله عنه - قضى فيها بما
 عنده من العلم بكتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ ، فإن لم يكن عنده فيها علم من كتاب الله ولا

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : لقتال .

من سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، سَأَلَ مَنْ بِحَضْرَتِهِ مِنَ الصُّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - عَنِ ذَلِكَ، فَإِنْ وَجَدَ عِنْدَهُمْ عِلْمًا مِنْ ذَلِكَ رَجَعَ إِلَيْهِ وَإِلَّا اجْتَهَدَ فِي الْحُكْمِ.

وَلَمَّا مَاتَ أَبُو بَكْرٍ وَوَلِيَ أَمْرَ الْأُمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَتَبَحَّتِ الْأَمْصَارُ وَزَادَ تَفَرُّقُ الصُّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - فِيمَا افْتَتَحُوهُ مِنَ الْأَقْطَارِ. فَكَانَتِ الْحُكُومَةُ تَنْزِلُ بِالْمَدِينَةِ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ، فَإِنْ كَانَ عِنْدَ الصُّحَابَةِ الْحَاضِرِينَ لَهَا فِي ذَلِكَ أَثَرٌ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَكِيمٌ بِهِ، وَإِلَّا اجْتَهَدَ أَمِيرُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ^(a) فِي ذَلِكَ. وَقَدْ يَكُونُ فِي تِلْكَ الْقَضِيَّةِ حُكْمٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، مَوْجُودٌ عِنْدَ صَاحِبِ آخَرَ^(b) فِي بَلَدٍ آخَرَ^(b).

وَقَدْ حَضَرَ الْمَدَنِيَّ مَا لَمْ يَحْضُرِ الْمِصْرِيَّ، وَحَضَرَ الْمِصْرِيَّ مَا لَمْ يَحْضُرِ الشَّامِيَّ، وَحَضَرَ الشَّامِيَّ مَا لَمْ يَحْضُرِ الْبَصْرِيَّ، وَحَضَرَ الْبَصْرِيَّ مَا لَمْ يَحْضُرِ الْكُوفِيَّ، وَحَضَرَ الْكُوفِيَّ مَا لَمْ يَحْضُرِ الْمَدَنِيَّ؛ كُلُّ هَذَا مَوْجُودٌ فِي الْآثَارِ، وَفِيمَا عَلِمَ مِنْ مَغِيبِ بَعْضِ الصُّحَابَةِ عَنِ مَجْلِسِ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ وَحُضُورِ غَيْرِهِ، ثُمَّ مَغِيبِ الَّذِي حَضَرَ أَمْسَ وَحُضُورِ الَّذِي غَابَ، فَيُدْرِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا حَضَرَ، وَيَقْوُوهُ مَا غَابَ عَنْهُ. فَمَضَى «الصُّحَابَةُ» - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - عَلَى مَا ذَكَرْنَا، ثُمَّ خَلَفَ بَعْدَهُمُ التَّابِعُونَ الْآخِذُونَ عَنْهُمْ.

وَكُلُّ طَبَقَةٍ مِنَ «التَّابِعِينَ» فِي الْبِلَادِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا، فَإِنَّمَا تَفَقَّهُوا مَعَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُمْ مِنَ الصُّحَابَةِ، فَكَانُوا لَا يَتَعَدُّونَ فِتَاوِيهِمْ إِلَّا الْيَسِيرَ مِمَّا بَلَغَهُمْ عَنْ غَيْرِ مَنْ كَانَ فِي بِلَادِهِمْ مِنَ الصُّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - : كَاتِبَاعُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ - فِي الْأَكْثَرِ - فَتَاوَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَاتِّبَاعُ أَهْلِ الْكُوفَةِ - فِي الْأَكْثَرِ - فَتَاوَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَاتِّبَاعُ أَهْلِ مَكَّةَ فِي الْأَكْثَرِ فَتَاوَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَاتِّبَاعُ أَهْلِ مِصْرٍ - فِي الْأَكْثَرِ - فَتَاوَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ثُمَّ أَتَى مِنْ بَعْدِ التَّابِعِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - «فُقَهَاءُ الْأَمْصَارِ» - كَأَبِي حَنِيفَةَ، وَسُفْيَانَ، وَابْنَ أَبِي لَيْلَى بِالْكُوفَةِ، وَابْنَ جُرَيْجٍ بِمَكَّةَ، وَمَالِكَ وَابْنَ الْمَاجِشُونَ بِالْمَدِينَةِ، وَعُثْمَانَ الْبَتِّيَّ وَسُورَ بِالْبَصْرَةِ، وَالْأَوْزَاعِيَّ بِالشَّامِ، وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ بِمِصْرٍ - فَجَرُّوا عَلَى تِلْكَ الطَّرِيقِ مِنْ أَخِذِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَنِ التَّابِعِينَ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ فِيمَا كَانَ عِنْدَهُمْ، وَاجْتِهَادِهِمْ

(a) بولاق : البلدة . (b-b) ساقطة من بولاق .

فيما لم يجدوا عندهم وهو موجودٌ عند غيرهم^١.

مَزاہِبُ وأما مذاهب أهل مصر، فقال أبو سعيد بن يونس: إنَّ عُبيد بن مِخْمَرَ
أهلِ مِصْرَ المعافري^٢ - يكنى أبا أمية: رجُلٌ من أصحابِ النَّبِيِّ ﷺ، شهد فتح مصر
و^(b) زوى عنه أبو قبيلى - يُقالُ إنَّه كان أوَّلَ من أقرَأ القرآنَ بمصر^٣.

وذكر أبو عمر الكندي، أن أبا ميسرة عبد الرحمن بن ميسرة، مؤلى الملامس الحضرمي،
كان فقيهاً عفيفاً شريفاً، وُلِدَ سنة عشر ومائة، وكان أوَّلَ النَّاسِ إقراءً بمصر بحرفٍ نافع قبل
الخمسين ومائة، وتوفي سنة ثمانٍ وثمانين ومائة^٤.

وذكر عن أبي قبيلى وغيره أن يزيد بن أبي حبيب أوَّلَ من نَشَرَ العِلْمَ بمصر في الحلال والحرام -
وفي رواية ابن يونس: ومسائل الفقه - وكانوا قبلَ ذلك إنما يتحدَّثون في الفتن والتزغيب^٥.

(a) بولاق: المغافري. (b) الواو ساقطة من بولاق.

والكلام في الحلال والحرام، توفي سنة ١٢٨هـ/٧٤٦م.
(راجع، ابن يونس: تاريخ (تاريخ المصريين) ٥٠٩ - ١٥١٠
الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦: ٣١ - ٣٣ ابن حجر: تهذيب
التهذيب ١١: ٣١٨)؛ السيوطي: حسن المحاضرة
١: ٢٩٩).

أقول: كان الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة بن غنبة
المصري، المتوفى سنة ١٧٤هـ/٧٩٠م، هما الحجفة
والمرجعية الفقهية للمصريين. وقد وصلت إلينا «صحيفة»
عبد الله بن لهيعة مكتوبة على البردي، ويتناول الجزء
المحفوظ منها الأحاديث الخاصة بيوم القيامة. (راجع،
Becker, C.H., *Papyrie Schott-Reinhardt*,
Heidelberg 1906, I, p. 9; Sezgin, F., *GAS* 1, p.
94; Khoury, R. G., «L'importance d'Ibn Lahî'a
et de son papyrus conservé à Heidelberg dans la
tradition musulmane du deuxième siècle de
l'hégire», *Arabica*, XXII (1975), pp. 6-14; id.,
«Abd Allâh Ibn Lahî'a (97-174/ 715-790): Juge
et grand maître de l'école égyptienne, avec
l'édition critique de l'unique rouleau de

^١ سأشير هنا فقط إلى فقيه مصر أبي الحارث الليث ابن
سعد بن عبد الرحمن الفهمي المصري، مؤلى عبد الرحمن
ابن خالد بن مسافر، المتوفى سنة ١٧٥هـ/٧٩١م، الذي قال
فيه الشافعي: «الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم
يقوموا به». راجع عنه، ابن يونس: تاريخ ابن يونس المصري
(تاريخ المصريين) ٤١٨ - ٤٢٠؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى
٧: ٥١٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤: ١٢٧ - ١٣٢؛
الذهبي: سير أعلام النبلاء ٨: ١٢٢ - ١٤٥؛ الصفدي:
الوافي بالوفيات ٢٤: ٤١٢ - ٤١٣؛ ابن حجر: تهذيب
التهذيب ٨: ٤٥٩ - ٤٦٥؛ *Merad, A., El² art. al-*
Layth b Sa'd III, pp. 716-17؛ وفيما يلي ٢: ٤٦٣.

^٢ ابن يونس: تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين)
٣٣٢.

^٣ في كتاب «الموالي» (فيما يلي ٣٧١)، وانظر ابن
يونس: تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين) ٣١٦.

^٤ أبو رجاء يزيد بن أبي حبيب الأزدي مؤلهم المصري،
كان مفتي أهل مصر في أيامه، وهو أوَّل من أظهر العلم بمصر

وعن عَوْنِ بْنِ سُلَيْمٍ^(a) الحَضْرَمِيِّ ، قال : كان عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قد جَعَلَ الْفُتْيَا بِمِصْرَ إِلَى ثَلَاثَةِ رِجَالٍ : رَجُلَانِ مِنَ الْمُوَالِيِّ ، وَرَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ ؛ فَأَمَّا الْعَرَبِيُّ فَجَعْفَرُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَأَمَّا الْمُؤَلِّيَانِ فَيَزِيدُ ابْنُ أَبِي حَبِيبٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، فَكَأَنَّ الْعَرَبَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : مَا ذَنْبِي إِنْ كَانَتِ الْمُوَالِيُّ تَسْمُوا بِأَنْفُسِهَا ضِعْدًا وَأَنْتُمْ لَا تَسْمُونَ .

وعن ابن أبي قُدَيْدٍ : كَانَتِ الْبَيْعَةُ إِذَا جَاءَتْ لِلْخَلِيفَةِ ، أَوَّلُ مَنْ يُبَايِعُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ ، ثُمَّ النَّاسُ بَعْدَ .

وقال أبو سعيد بن يُونُسَ فِي «تَارِيخِ مِصْرَ» عَنْ حَيَوَةَ بْنِ شَرِيحٍ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى حُسَيْنِ ابْنِ سُفْيَانَ بْنِ مَاتِعِ الْأَصْبَحِيِّ وَهُوَ يَقُولُ : فَعَلَّ اللَّهُ بِفُلَانٍ ، فَقُلْتُ : مَا لَهُ ؟ فَقَالَ : عَمَدٌ إِلَى كِتَابَيْنِ كَانَ سُفْيَانُ سَمِعَهُمَا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَبِالْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : أَحَدُهُمَا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي كَذَا ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي (b) كَذَا ؛ وَالْآخَرُ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَخْدَاثِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَأَخَذَهُمَا فَرَمَى بِهِمَا بَيْنَ الْحَوَلَةِ وَالرَّبَابِ . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ بْنُ يُونُسَ : يَعْنِي بِقَوْلِهِ «الْحَوَلَةُ وَالرَّبَابُ» / مَرْكَبَتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ مِنْ سُفْنِ الْجَيْشِ ، كَانَا يَكُونَانِ عِنْدَ رَأْسِ الْجَيْشِ ، مِمَّا يَلِي الْفُسْطَاطَ ، يَجُوزُ مِنْ تَحْتَهُمَا - لِكِبْرَهُمَا - الْمَرَائِبُ^١ .

وَذَكَرَ أَبُو عُمَرَ الْكِنْدِيُّ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ عُثْمَانَ بْنَ عَتِيقٍ ، مَوْلَى غَافِقٍ ، أَوَّلُ مَنْ رَحَلَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ إِلَى الْعِرَاقِ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ ، تُوْفِيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ . انْتَهَى^٢ .

وَكَانَ خَالَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَمْصَارِ ، فِي أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ . ثُمَّ كَثُرَ التَّرْحُلُ إِلَى الْآفَاقِ وَتَدَاخَلَ النَّاسُ وَالتَّقَوَّا ، وَانْتَدَبَ أَقْوَامٌ لَجَمْعِ الْحَدِيثِ

(a) بولاق : سليمان . (b) في : ساقطة من بولاق .

الوافي بالوفيات ١٧: ٤١٥-٤١٦؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب ٥: ٣٧٣-٣٧٩؛ Rosenthal, F., *El*² art. *Ibn Lahi*^a III, pp. 877-78.

papyrus arabe conservé à Heidelberg, Codices Arabici Antiqui, vol IV, Otto Harrassowitz, Wiesbaden 1986، وعلى الأخص الصفحات ٢٤٣-

(٣٠٨) .

^١ ابن يونس : تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين)

١٢٩ .

وانظر ترجمة ابن لهيعة عند، ابن سعد: الطبقات

^٢ في كتاب «الموالي». وانظر كذلك، Fu'ad Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 569-70.

الكبرى ٧: ٥١٦؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣: ٣٨-

٣٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٨: ١٠-٢٨؛ الصفدي:

النَّبوي وتقييده . فكان أوَّل من دَوَّن العِلْمَ محمدُ بنُ شِهَابِ الزُّهري ، وكان أوَّل من صَنَّفَ ويؤب سَعِيدُ بنُ أَبِي عَرُوبَةَ^(a) والرَّبيعُ بنُ صَبِيحٍ بالبَصْرَةِ ، وَمَعْمَرُ بنُ رَاشِدٍ باليَمَن ، وابنُ جُرَيْجٍ بِمَكَّةَ ، ثم سَفِيَانُ الثُّورِي بالكُوفَةِ ، وَحَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ بالبَصْرَةِ ، وَالوَلِيدُ بنُ مُسْلِمٍ بالشَّام ، وَجَرِيرُ ابنِ عبدِ الحَمِيدِ بالرَّيِّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ المُبَارَكِ بَمَرْوٍ وَخُرَاسَانَ ، وَهَشِيمُ بنُ بَشِيرٍ بِوَابِسَط . وَتَفَرَّدَ بالكُوفَةِ أَبُو بَكْرٍ بنُ أَبِي شَيْبَةَ بِتَكْثِيرِ الأَبْوَابِ وَجَوَدَةِ التَّصْنِيفِ وَحُسْنِ التَّأْلِيفِ^١ .

فَوَصَلَتْ أَحَادِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ البِلَادِ البَعِيدَةِ إِلَى مَنْ لَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ ، وَقَامَتِ الحُجَّةُ عَلَى مَنْ بَلَغَهُ شَيْءٌ مِنْهَا ، وَجُمِعَتِ الأحَادِيثُ المُبَيَّنَةُ لِصِحَّةِ أَحَدِ التَّأْوِيلَاتِ المَتَأَوَّلَةِ مِنَ الأحَادِيثِ ، وَعُرِفَ الصَّحِيحُ مِنَ السَّقِيمِ ، وَزَيَّفَ الاجْتِهَادِ المُوَدِّي إِلَى خِلَافِ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَآلِي تَرْكِ عَمَلِهِ ، وَسَقَطَ العُدْرُ عَمَّنْ خَالَفَ مَا بَلَغَهُ مِنَ السُّنَنِ بِبُلُوغِهِ إِلَيْهِ وَقِيَامِ الحُجَّةِ عَلَيْهِ .

وَعَلَى هَذَا الطَّرِيقِ كَانَ الصُّحَابَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَكَثِيرٌ مِنَ التَّابِعِينَ يَزُحَلُونَ فِي طَلَبِ الحَدِيثِ الوَاحِدِ الأَيَّامِ الكَثِيرَةِ ، يَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْ نَظَرٍ فِي كُتُبِ الحَدِيثِ ، وَعَرَفَ سِيَرِ الصُّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ^٢ .

فَلَمَّا قَامَ هَارُونَ الرَّشِيدُ فِي الخِلَافَةِ ، وَوَلَّى القَضَاءَ أَبَا يُوسُفَ يَعْقُوبَ بنَ إِبْرَاهِيمَ^٣ - أَحَدَ أَصْحَابِ أَبِي حَنيفَةَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى - بَعْدَ سِنَةِ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ . فَلَمْ يُقَلِّدْ بِلَادَ العِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَالشَّامَ وَمِضَرَ إِلَّا مِنْ أَشَارَ بِهِ القَاضِي أَبُو يُوسُفَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَاعْتَنَى بِهِ .

وَكَذَلِكَ لَمَّا قَامَ بِالأَنْدَلُسِ الحَكَمُ المُرْتَضَى بنُ هِشَامِ بنِ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ مُعَاوِيَةَ بنِ هِشَامِ ابنِ عبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ بنِ الحَكَمِ^٤ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَتَلَقَّبَ بِالمُنْتَصِرِ فِي سِنَةِ ثَمَانِينَ وَمِائَةٍ ، اخْتَصَّ بِحَيِّ

(a) بولاق : سعيد بن عروبة .

١ وتلميذه وأوَّل من نَشَرَ مَدَنِيهِ ، المَتوفى سِنَةَ ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م .

(وكَيْع : أخبار القضاة ٣ : ٢٥٤ - ٢٦٤ ، الخطيب البغدادي :

تاريخ بغداد ١٤ : ٢٦٢ - ٢٦٦ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان

٦ : ٣٧٨ - ٣٩٠ ؛ القرشي : الجواهر المضية ٣ : ٦١١ -

٦١٢ (Sezgin, F., GASI, 419-21) .

١ راجع أيضًا ، الذهبي : تاريخ الإسلام (نشرة حسام

الدِّينِ القُدسي) ٦ : ٥ - ٦ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة

١ : ٣١٥ .

٢ راجع حول هذا الموضوع ، Sezgin, F., GASI, pp. 55-58

(الترجمة العربية ١ : ١١٩ - ١٢٣) .

٣ راجع ترجمة الحَكَمِ بنِ هِشَامِ الرُّبَيْضِيِّ صَاحِبِ

أبو يُوسُفَ يَعْقُوبَ بنِ إِبْرَاهِيمَ بنِ حَبِيبِ بنِ حُنَيْسِ

الأَنْدَلُسِ ، المَتوفى سِنَةَ ٢٠٦ هـ / ٨٠٢ م ، عِنْدَ ، ابنِ الأَبَار : =

الأنصاري الكوفي البغدادي ، صَاحِبِ الإِمَامِ أَبِي حَنيفَةَ

ابن يحيى بن كثير الأندلسي^١ - و كان حَجَّ و سَمِعَ « الموطأ » من مالك إلا أبواباً ، و حَمَلَ عن ابن وهب و عن ابن القاسم وغيره علماً كثيراً ، و عادَ إلى الأندلس ، فنال من الرياسة و الحرمة ما لم يتلّه غيره ، و عادَتِ الفُتيا إليه ، و انتهتِ السُلطانُ و العائمةُ إلى بابِه - فلم يُقلد ، في سائر أعمالِ الأندلس ، قاضٍ إلا بإشارته و اعينته . فصاروا على رأي مالك ، بعدما كانوا على رأي الأوزاعي .

وقد كان مذهب الإمام مالك أدخله إلى الأندلس زياد بن عبد الرحمن - الذي يُقال له شَبَطون^٢ - قبل يحيى بن يحيى ، وهو أول من أدخل مذهب مالك إلى الأندلس . وكانت إفريقية الغالب عليها السُنن والآثار ، إلى أن قدم عبد الله بن فرج أبو محمد الفارسي ، بمذهب أبي حنيفة ، ثم غلب أسد بن الفرات بن سنان ، قاضي إفريقية ، بمذهب أبي حنيفة^٣ .

ثم لما ولي سَعْنون بن سعيد التُّنُوخي قضاة إفريقية بعد ذلك ، نشرَ فيهم مذهب مالك ، و صارَ القضاة في أصحاب سَعْنون دُولاً يتصاولون على الدنيا تصاول الفحول على الشول . إلى

وانظر ترجمة شَبَطون عند ، ابن الفرضي : تاريخ علماء

الأندلس ١٥٤-١٥٦ ؛ القاضي عياض : ترتيب المدارك

٢: ٣٤٩-٣٥١ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٩: ٣١١-

٣١٢ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٥: ١٦-١٧ .

^٣ حاشية بخط المؤلف : هأسد بن الفرات بن سنان الفقيه

أبو عبد الله قاضي إفريقية مؤلف بني سليم ، صاحب الكُتب

في فقه مالك التي تُعرف بالأسديّة . وُلدَ سنة أربع وأربعين ،

ومائة ومات في ربيع الآخرة سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وهو

مُحاصرٌ سرقُوسية من قِبَل زيادة الله بن الأغلب .

وراجع ترجمة أسد بن الفرات عند ، المالكي : رياض

النفوس ١: ٢٥٤-٢٧٣ ؛ القاضي عياض : ترتيب المدارك

٢: ٤٦٥ ؛ الدباغ : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان

٢: ٣-٢ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٠: ٢٢٥-٢٢٨ ؛

الصفدي : الوافي بالوفيات ٩: ١٦ ؛ Marçais, G. *El*² art.

Asad ibn al-Furât I, p. 706; Sezgin, F., *GAS I*,

p. 467 (الترجمة العربية ١/٣: ١٤٥-١٤٦) .

^٤ عبد السلام بن سعيد بن حبيب التُّنُوخي ، الملقب =

= الحلة السراء ١: ٤٣-٥٠ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء

٨: ٢٢٥-٢٣١ ، ٩: ٥٢١ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات

١٣: ١١٧-١١٩ .

^١ أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن وشلاس ابن

شلال اللبثي المضمودي الأندلسي القرطبي ، المتوفى سنة

٢٣٤هـ/٨٤٨م ، انظر ترجمته عند ، ابن الفرضي : تاريخ

علماء الأندلس ٢: ١٧٩-١٨١ ؛ القاضي عياض : ترتيب

المدارك ٢: ٥٣٤-٥٤٧ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان

٦: ١٤٣-١٤٦ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٨: ٥١٩-

٥٢٥ .

^٢ حاشية بخط المؤلف : زياد بن عبد الرحمن بن زهير

ابن ناشرة بن لوزان بن حي بن أخطب بن ربه بن عمرو ابن

الحارث بن وائل بن راشد بن جزيلة بن لحم بن عدي ابن

أشرس بن شبيب بن الشكون ، يُعرف بشَبَطون ، أندلسي

توفي بها سنة ثلاث وتسعين ومائة . كان فقيه الأندلس على

مذهب مالك ، وهو أول من أدخل مذهب مالك الأندلس

وكانوا قبله على مذهب الأوزاعي .

أن تَوَلَّى القَضَاءَ بها بنو هاشم - وكانوا مالِكِيَّة - فتَوَارَثُوا القَضَاءَ كما تَوَارَثَ الضِّيَاعُ ، ثم إنَّ المِعْرُ ابن باديس حَمَلَ جَمِيعَ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةِ عَلَى التَّمَسُّكِ بِمَذْهَبِ مالِكٍ وَتَرَكَ ما عَدَاهُ مِنَ المَذاهِبِ ، فَرَجَعَ أَهْلُ إِفْرِيقِيَّةِ وَأَهْلُ الأَنْدَلُسِ كُلُّهُمُ إِلَى مَذْهَبِ مالِكٍ إِلَى اليَوْمِ ، رَغْبَةً فيما عِنْدَ السُّلْطَانِ وَحِرْصًا عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا ، إِذْ كانَ القَضَاءُ والإِفْتَاءُ فِي جَمِيعِ تِلْكَ المُدُنِ وَسائِرِ القُرَى ، لا يَكُونُ إِلاَّ لِمَنْ تَسَمَّى بِالْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ مالِكٍ ، فَاضْطُرَّتِ العَامَّةُ إِلَى أَحْكامِهِمْ وَفَتاواهُمْ ، فَفَسَّاهَا هُنَاكَ فَشَرًّا طَبَّقَ تِلْكَ الأَقْطَارُ ١ .

كما فَسَّاهَا مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ بِبِلادِ المَشْرِقِ ، حَيْثُ إِنَّ أبا حَامِدَ (أ) أَحْمَدَ بنَ مُحَمَّدَ بنِ أَحْمَدَ (a) الإِسْفرائِينِي ٢ ، لَمَّا تَمَكَّنَ مِنَ الدَّوْلَةِ فِي أَيَّامِ الخَلِيفَةِ القَادرِ باللهِ أَبِي العَبَّاسِ أَحْمَدَ ، قَرَّرَ مَعَهُ اسْتِخْلَافَ أَبِي العَبَّاسِ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ البَاوَزْدِيِّ (b) الشَّافِعِي ، عَنِ أَبِي مُحَمَّدِ بنِ الأَكْفَانِي الحَنْفِي قَاضِي بَغْدادَ ، فَأُجِيبَ إِلَيْهِ بِغَيْرِ رِضا الأَكْفَانِي . وَكَتَبَ أَبُو حَامِدٍ إِلَى السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ ابنِ سُبُكْتِكِينِ وَأَهْلِ خُرَاسانَ أَنَّ الخَلِيفَةَ نَقَلَ القَضَاءَ عَنِ الشَّافِعِيَّةِ . فَاشْتَهَرَ ذَلِكَ بِخُرَاسانَ ، وَصَارَ أَهْلُ بَغْدادَ حِزْبَيْنِ .

وَقَدِيمَ عَقِيبِ (c) ذَلِكَ أَبُو العَلَاءِ صَاعِدِ بنِ مُحَمَّدَ ، قَاضِي نَيْسابورَ وَرئيسَ الحَنْفِيَّةِ بِخُرَاسانَ ، فَاتَاهَا الحَنْفِيَّةُ ، فَتَارَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَصْحابِ أَبِي حَامِدٍ فِتْنَةٌ ارْتَفَعَتْ أَمْرُهَا إِلَى السُّلْطَانِ .

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : البارزي . (c) بولاق : بعد .

خاص ، ابن عذاري : البيان المغرب ١ : ٢٦٧ ، ٢٧٣ - ٢٧٤ ، ٢٧٨ - ٢٧٩ ؛ Idris, H.R., *La Berbérie Orientale sous les Zirides X^e-XII^e siècles*, Paris 1962, pp. 142-203 ؛ أمين فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ١٨٩ - ١٩١ .

٢ أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإِسْفرائِينِي ، شيخ الشَّافِعِيَّةِ بِبَغْدادَ ، المتوفى سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٦ م . (الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٤ : ٣٦٨ - ٣٧٠ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ : ٧٢ - ٧٤ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٧ : ١٩٣ - ١٩٧ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٧ : ٣٥٧ - ٣٥٨) .

= بسَحْنُون (اسم طائر حديد بالمغرب يُسَمُّونَهُ سَحْنُونًا لِحِدَّةِ ذَهَبِهِ وَذَكَائِهِ) ، المتوفى سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م . (المالكي : رياض النفوس ١ : ٣٤٥ - ٣٧٥ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣ : ١٨٠ - ١٨٢ ؛ القاضي عياض : ترتيب المدارك ٢ : ٥٨٥ - ٦٢٦ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٢ : ٦٣ - ٦٩ ؛ الدبَّاع : معالم الإيمان ٢ : ٧٧ - ١٠٤ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٨ : ٤٢٥ - ٤٢٦ ؛ Sezgin, F., *GASI*, 468-71 (الترجمة العربية ٣/١ : ١٤٨ - ١٥٤) ؛ Talbi, (M., *El² art. Sahnûn VIII*, pp. 872-75) .

١ راجع حَوْلَ قَطْعِ المِعْرُ بنِ باديسِ دَعْوَةَ الفاطميين ، وَعَوْدَتَهُ إِلَى مَذاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالمَذْهَبِ المَالِكِيِّ بِوَجْهِ

فَجَمَعَ الخَلِيفَةُ القَادِرُ الأَشْرَافَ والقُضَاةَ، وأَخْرَجَ إليهم رِسَالَةً تَتَضَمَّنُ: أَنَّ الإِسْفَرَايِينِي أَدْخَلَ على أمير المؤمنين مَدَاخِلَ أَوْهَمَهُ فِيهَا التُّضَخُ وَ الشَّفَقَةُ والأَمَانَةُ، وَكَانَتْ على أَصُولِ الدُّخْلِ والخِيَانَةِ. فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَمْرُهُ، وَوَضَّحَ عِنْدَهُ نُحْبُثُ اعْتِقَادِهِ، فِيمَا سَأَلَ فِيهِ مِنْ تَقْلِيدِ البَاوَزْدِيِّ^(a) الحُكْمَ بِالحَضْرَةِ، مِنْ الفَسَادِ وَالفِتْنَةِ وَالعُدُولِ بِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ أَسْلَافُهُ مِنْ إِثَارِ الحَنْفِيَّةِ وَتَقْلِيدِهِمْ وَاسْتِعْمَالِهِمْ، صَرَفَ البَاوَزْدِيُّ^(a) وَأَعَادَ الأَمْرَ إِلَى حَقِّهِ، وَأَجْرَاهُ على قَدِيمٍ / رَسْمِهِ، وَحَمَلَ الحَنْفِيَّيْنَ على مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ^(b) العِنَايَةِ وَالحِرَاسَةِ وَالإِعْزَازِ وَالكِرَامَةِ^(b)، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِأَنْ لَا يَلْقُوا أَبَا حَامِدٍ، وَلَا يَقْضُوا لَهُ حَقًّا، وَلَا يَزِدُّوا عَلَيْهِ سَلَامًا. وَخَلَعَ على أَبِي مُحَمَّدٍ الأَكْفَانِي، وَانْقَطَعَ أَبُو حَامِدٍ عَنِ دَارِ الخِلَافَةِ، وَظَهَرَ التَّسَخُّطُ عَلَيْهِ وَالأَنْحِرَافُ عَنْهُ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، وَاتَّصَلَ بِلَادِ الشَّامِ وَمِصْرَ.

١٠. وَأَوَّلُ مِنْ قَدِيمٍ يَعْلَمُ مَالِكًا إِلَى مِصْرَ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ أَبُو^(c) يَحْيَى، مَوْلَى جُمَحٍ، وَكَانَ فَقِيهًا، رَوَى عَنْهُ اللَّيْثُ وَابْنُ وَهْبٍ وَرِشْدِينُ^(d) بْنُ سَعْدٍ، وَتَوَفَّى بِالإِسْكَانْدَرِيَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ. ثُمَّ نَشَرَهُ بِمِصْرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ القَاسِمِ، فَاشْتَهَرَ مَذْهَبُ مَالِكٍ بِمِصْرَ أَكْثَرَ مِنْ مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ، لِتَوَفُّرِ أَصْحَابِ مَالِكٍ بِمِصْرَ. وَلَمْ يَكُنْ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ - رَحِمَهُ اللهُ - يُعْرَفُ بِمِصْرَ. قَالَ ابْنُ يُونُسَ: وَقَدِيمٌ إِسْمَاعِيلُ بْنُ اليَتَسَعِ الكُوفِيُّ قَاضِيًا بَعْدَ ابْنِ لَهِيْعَةَ، وَكَانَ مِنْ خَيْرِ قُضَاتِنَا، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يَذْهَبُ إِلَى قَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَلَمْ يَكُنْ أَهْلُ مِصْرَ يَعْرِفُونَ مَذْهَبَ أَبِي حَنِيفَةَ، وَكَانَ مَذْهَبُهُ إِبْطَالُ الأَحْبَاسِ، فَتَقَلَّ أَمْرُهُ على أَهْلِ مِصْرَ، وَسَمِّيَ بِهِ^١.

١٥. وَلَمْ يَزَلْ مَذْهَبُ مَالِكٍ مُشْتَهَرًا بِمِصْرَ حَتَّى قَدِيمَ الشَّافِعِيِّ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ إِلَى مِصْرَ، مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ العَبَّاسِ بْنِ مُوسَى بْنِ عِيْسَى بْنِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ. فَصَحِبْتَهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَغْيَانِهَا - كَتَبْتِي عَبْدَ الحُكْمِ، وَالرَّبِيعَ ابْنَ سَلِيمَانَ، وَأَبِي إِبرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يَحْيَى المَزْنِي، وَأَبِي يَعْقُوبَ يُوسُفَ بْنِ يَحْيَى البَوَيْطِي - وَكَتَبُوا عَنِ الشَّافِعِيِّ مَا أَلْفَهُ، وَعَمِلُوا بِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ. وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ مَذْهَبِهِ يَقْوَى بِمِصْرَ، وَذِكْرُهُ يَنْتَشِرُ^٢.

(a) بولاق: البارزي. (b-b) بولاق: من العناية والكرامة والحرمة. (c) بولاق: بن. (d) بولاق: رشيد.

^١ ابن يونس: تاريخ (تاريخ الغرباء) ٣٨-٣٩ ابن حجر: رفع الإصر ٨٩.
^٢ الإمام محمد بن إدريس الشافعي، أخذ الأئمة الأربعة عند أهل السنة، المتوفى بمصر سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م. وهو مؤسس علم أصول الفقه بكتابه الشهير «الرسالة»، نشره أحمد محمد شاكر بالقاهرة سنة ١٩٣٩. وجاء مذهبُه =

قال أبو عمر الكندي في كتاب «أمرأء مصر»: ولم يزل أهل مصر على الجهر بالتشملة في الجامع العتيق إلى سنة ثلاث وخمسين ومائتين^١. قال: ومنع أزوجوز^٢، صاحب شرطة مزاجم ابن خاقان أمير مصر، من الجهر بالتشملة في الصلوات بالمسجد الجامع، وأمر الحسين بن الربيع إمام المسجد الجامع بتزكها، وذلك في رجب سنة ثلاث وستين ومائتين. ولم يزل أهل مصر على الجهر بها في المسجد الجامع منذ الإسلام إلى أن منع منها أزوجوز^٣.

قال: وأمر أن تُصلى التراويح في شهر رمضان خمس تراويح، ولم يزل أهل مصر يصلون سبّ تراويح، حتى جعلها أزوجوز^٤ خمسا في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين، ومنع من التثويب^٥، وأمر بالأذان يوم الجمعة في مؤخر المسجد، وأمر بالتغليس^٦ بصلاة الصبح، وذلك أنهم أسفروا بها^٧.

وما زال مذهب مالك ومذهب الشافعي - رحمهما الله تعالى - يعمل بهما أهل مصر، ويؤلى القضاء من كان يذهب إليهما أو إلى مذهب أبي حنيفة - رحمه الله - إلى أن قدم القائد جوهر من بلاد إفريقية، في سنة ثمان وخمسين وثلاث مائة، بجيوش مولاة المعز لدين الله أبي تميم معذ، وبنى مدينة القاهرة؛ فمن حينئذ فشا بديار مصر مذهب الشيعة، وعمل به في القضاء والفتيا، وأنكر ما خالفه، ولم يتق مذهب سواه.

(a) بولاق: أرجون.

القاهرة ١٩٤٥؛ ومحمد أبو زهرة: الشافعي - حياته وعصره، آراؤه وفتاويه، القاهرة ١٩٤٥؛ El² Chaumont, art. *al-Shâfi'i* IX, pp. 187-91; id., El² art. *al-Shâfi'iyya* IX, pp. 191-95؛ وفيما يلي (٩١٤-٩٠٩).

^١ فيما تقدم ٢: ٧٩.

^٢ الكندي: ولاية مصر ٢٣٦؛ وفيما تقدم ٢: ٧٩.

^٣ التثويب: تكرير الأذان.

^٤ التغليس: أي يصلوا في الغلس وهي ظلمة آخر الليل.

^٥ الكندي: ولاية مصر ٢٣٦؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٢: ٣٣٧-٣٣٨، وأسفروا بها أي صلوا في الضوء؛ وفيما تقدم ٢: ٧٩.

= الفقهى وسطا بين المذاهب، حيث أخذ بالقرآن والسننة وأخذ بالإجماع في المسائل التي جرى العمل بها في كافة بلاد الإسلام، كما ذهب كذلك إلى تعميم استعمال القياس وإعمال الرأي. (راجع، ابن أبي حاتم: آداب الشافعي ومناقبه، القاهرة ١٩٥٣؛ البيهقي: مناقب الشافعي، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة ١٩٧١؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢: ٥٦-٧٣؛ المقرئ: المقفى الكبير ٥: ٣٠٩-٤١٩) (ترجمة مطولة ولكنها مبتورة في آخرها)؛ وانظر قائمة بمصادر ترجمته ومؤلفاته وأماكن وجودها عند Sezgin, F., GAS I, pp. 484-90 (الترجمة العربية ١/ ٣: ١٧٩-١٩١)، ومصطفى عبد الرازق: الإمام الشافعي،

وقد كان التَّشْيِيعُ بِأَرْضِ مِصْرٍ مَعْرُوفًا قَبْلَ ذَلِكَ ؛ قَالَ أَبُو عَمَرَ الْكِنْدِيُّ فِي « كِتَابِ الْمَوَالِي » عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ لَهَيْعَةَ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ : « نَشَأَتْ بِمِصْرٍ وَهِيَ عَلَوِيَّةٌ ، فَتَلَبَّسَتْهَا عُثْمَانِيَّةٌ » .

- وكان ابتداء التشيع في الإسلام أن رجلاً من اليهود ، في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أسلم ، فقيل له عبد الله بن سبأ ، وعرف بابن السؤداء ، وصار يتنقل من الحجاز إلى أمصار المسلمين يريد إضلالهم فلم يطق ذلك ؛ فرجع إلى كيد الإسلام وأهله ، ونزل البصرة في سنة ثلاث وثلاثين ، فجعل يطرح على أهلها مسائل ولا يصرح . فأقبل عليه جماعة ومالوا إليه ، وأعجبوا بقوله . فبلغ ذلك عبد الله بن عامر - وهو يومئذ على البصرة - فأرسل إليه ، فلما حضر عنده سأله : ما أنت ؟ فقال : رجل من أهل الكتاب ، رغبت في الإسلام وفي جوارك . فقال : ما شيء بلغني عنك ؟ أخرج عني . فخرج حتى نزل الكوفة ، فأخرج منها ، فسار إلى مِصْرٍ واستقر بها ، وقال في الناس العجب ممن يصدق أن عيسى يرجع ، ويكذب أن محمداً يرجع .^١
- وتحدث في الرجعة حتى قبلت منه ، فقال بعد ذلك : إنه كان لكل نبي وصي ، وعلي بن أبي طالب وصي محمد ﷺ ، فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ في أن علي بن أبي طالب وصيه في الخلافة على أمته . واعلموا أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق ، فانهضوا في هذا الأمر ، وابدأوا بالطعن على أمرائكم ، فأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تشتملوا به الناس . وبث دعاته ، وكاتب من مال إليه من أهل الأمصار وكاتبوه ، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم ، وصاروا يكتبون إلى الأمصار كتباً يضعونها في عيب ولاتهم ، فيكتب أهل كل مِصْرٍ منهم إلى أهل المِصْرِ الآخر بما يضعون حتى ملأوا بذلك الأرض إذاعة .

المجمع العلمي العراقي ٥ (١٩٥٨) ، ٦٦ - ١٠٠ ؛ مرتضى العسكري : عبد الله بن سبأ ، بحث وتحقيق فيما كتبه المؤرخون والمستشرقون عن ابن سبأ وقصص إسلامية أخرى منذ القرن الثاني الهجري حتى اليوم ، القاهرة ١٣٨١ هـ ؛ Hodgson, M. G., S., *El' art. 'Abd Allâh b. Saba'* I, pp. 52-53 ، عبد العزيز صالح الهلامي : « عبد الله ابن سبأ ، دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفتن » ، حويلات كلية الآداب - جامعة الكويت ، الحولية الثامنة ، الرسالة الخامسة والأربعون ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ٩ - ٩٠ ؛ وفيما يلي ٤٣٥ - ٤٣٦ ، ٤٤٩ .

^١ كُتِبَتْ دراسات كثيرة حول ابن سبأ والسبئية ، شكك أغلبها في الوجود التاريخي لابن سبأ وفي المصادر التي ذكرت أخباره ، وعلى الأخص روايات سيف بن عمر التميمي الأسدي . (راجع ، الأشعري : مقالات الإسلاميين ١٥ ؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ٢٣٣ - ٢٣٦ ؛ Friedlander, I., « Abd Allâh ibn Saba », ZA 23 (1909), pp. 296-327, 24 (1910), pp. 1-46 ؛ جواد علي : عبد الله بن سبأ ، مجلة الرسالة ١٦ (١٩٤٨) ، ٤٩٧ - ٤٩٨ ، ٥٢٣ - ٥٢٥ ، ٥٥٠ - ٥٥١ ، ٥٥٧ - ٥٥٩ ، ٥٨٢ - ٥٨٤ ، ٦٠٩ - ٦١١ ، وأعاد نشرها مع إضافات جديدة في مجلة

وجاء إلى أهل المدينة من جميع الأمصار، فأتوا عثمان - رضي الله عنه - في سنة خمس وثلاثين، وأعلموه ما أرسل به أهل الأمصار من شكوى عمّالهم. فبعث محمد بن مسلمة إلى الكوفة، وأسامة بن زيد إلى البصرة، وعمّار بن ياسر إلى مصر، وعبد الله بن عمر إلى الشام لكشف سيرة العمّال. فرجعوا إلى عثمان، إلا عمّارًا، وقالوا: ما أنكرنا شيئًا. / وتأخر عمّار، فورد الخبر إلى المدينة بأنه قد اشتماله عبد الله ابن السوداء في جماعة. فأمر عثمان عمّاله أن يوافوه بالموايسم، فقدموا عليه واستشاروه، فكل أشار برأي. ثم قدم المدينة بعد الموسم، فكان بينه وبين علي بن أبي طالب كلام فيه بعض الجفاء بسبب إعطائه أقاربه، ورفع له على ما سواهم. وكان المنحرفون عن عثمان قد تواعدوا يومًا يخرجون فيه بأمصاريهم إذا سار عنها الأمراء، فلم يتهمهم الوثوب. وعندما رجع الأمراء من الموسم، تكاتب المخالفون في القدوم إلى المدينة لينظروا فيما يريدون.

وكان أمير مصر من قبل عثمان - رضي الله عنه - عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، فلما خرج في شهر رجب من مصر في سنة خمس وثلاثين، استخلف بعده عقبة بن عامر الجهني في قول الليث بن سعد. وقال يزيد بن أبي حبيب: بل استخلف على مصر السائب بن هشام العامري، وجعل على الخراج سليم بن عثر التميمي.

فانترى محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، في سؤال من السنة المذكورة، وأخرج عقبة بن عامر من الفسطاط، ودعا إلى خلع عثمان - رضي الله عنه - وأسفر البلاد، وخرض على عثمان بكل شيء يقدّر عليه. فكان يكتب الكتاب على لسان أزواج رسول الله - ﷺ - ويأخذ الزواجل فيضمّرها، ويجعل رجالاً على ظهور البيوت ووجوههم إلى وجه الشمس لثلوح وجوههم تلويح المسافر، ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة بمصر، ثم يرسلون رُسلاً يُخبرون بهم الناس ليلقوهم. وقد أمرهم إذا لقيهم الناس أن يقولوا: ليس عندنا خبر، الخبر في الكُتب. فيجيء رسول أولئك الذين دس فيدكر مكانهم، فيلقاهم ابن أبي حذيفة والناس يقولون نتلقى رُسلاً أزواج رسول الله ﷺ - فإذا لقوهم قالوا لهم: ما الخبر؟ قالوا: لا خبر عندنا، عليكم بالمشجد ليقرأ عليكم كُتب^(a) أزواج النبي ﷺ. فيجتمع الناس في المشجد

(a) بولاق: كتاب.

¹ من هنا يتبع المقرئ نصر الكندي في كتاب «ولاة مصر» في الفصل الذي سماه «انتراء محمد بن أبي حذيفة».

اجتماعاً ليس فيه تقصيرٌ، ثم يقوم القارئ بالكتاب فيقول: إنا نشكو إلى الله وإليكم ما عمل في الإسلام، وما صنع في الإسلام. فيقوم أولئك الشيوخ من نواحي المسجد بالبكاء فيبكون، ثم ينزل عن المنبر، ويتفرق الناس بما قرئ عليهم.

فلما رأت ذلك شيعة عثمان - رضي الله عنه - اعتزلوا محمد بن أبي حذيفة، ونابدوه - وهم: معاوية بن حذيج، وخارجة بن حذافة، وئسر بن أبي أرطاة^(b)، ومسلمة بن مخلد، وعمرو ابن قحزم الخولاني، ومقسّم بن بجرّة، وحمرّة بن سرح بن كلال، وأبو الكنود سعد بن مالك الأزدي، وخالد بن ثابت الفهمي - في جمع كثير، وبعثوا سلمة بن مخرمة الشجيبى إلى عثمان ليخبره بأمرهم، وبصنيع ابن أبي حذيفة^(١).

فبعث عثمان - رضي الله عنه - سعد بن أبي وقاص ليصليح أمرهم. فبلغ ذلك ابن أبي حذيفة، فخطب الناس وقال: ألا إن الكذا^(c) والكذا قد بعث إليكم سعد بن مالك ليفلّ جماعتكم، ويشتت كلمتكم، ويوقع التجادل بينكم، فانفروا إليه. فخرج منهم مائة أو نحوها، وقد ضرب فسطاطه وهو قائل، فقلّبوا عليه فسطاطه، وشجوه وسبوه. فركب راحلته، وعاد راجعاً من حيث جاء، وقال: ضربتكم الله بالذلّ والفرقة، وشئت أمركم، وجعلت بأسكم بينكم، ولا أرضاكم بأمر، ولا أرضاه عنكم^(٢).

وأقبل عبد الله بن سعد حتى بلغ جسر القلزم، فإذا بخيل لابن أبي حذيفة، فمنعوه أن يدخل، فقال: ويلكم! دعوني أدخل على مجندي فأعلمهم بما جئت به، فإني قد جئتهم بخير فأبوا أن يدعوه، فقال: والله لو ددت أني دخلت عليهم، فأعلمهم^(d) بما جئت به، ثم مت. فانصرف إلى عسقلان^(٣).

وأجمع محمد بن أبي حذيفة على بعث جيش إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فقال: من يتشرط في هذا البعث. فكثرت عليه من يتشرط، فقال: إنما يكفيننا منكم ست مائة رجل. فتشرط من أهل مصر ست مائة رجل، على كل مائة منهم رئيس، وعلى جماعتهم

(b) بولاق: بسر بن أرطاة. (c) عند الكندي: إلا إن الكذاب كذا وكذا. (d) بولاق: وأعلمهم.

^١ الكندي: ولاية مصر ٣٨-٣٩ وفيما تقدم ٢: ٤٢.

^٢ نفسه ٤٠.

^٣ نفسه ٤٠.

عبد الرحمن بن عُدَيْس البَلَوِي ، وهم : كِنَانَةَ بن بِيْشَر بن سَلْمَانَ^(a) التَّجِيْبِي ، وَعُرْوَةَ بن شَيْبَم^(b) اللَيْثِي ، وأبو عَمْرُو بن بُدَيْل بن وَرْقَاء الخَزَاعِي ، وَسُوْدَانَ بن رُوْمَانَ^(c) الأَصْبَحِي ، وَذَرَعَ بن يَشْكُر النَّافِعِي^١ .

وَشَجَنَ رِجَالٍ من أَهْلِ مِصْرٍ في دُورِهِمْ ، منهم بِيْشَر بن أَبِي أَرْطَاة^(d) وَمُعَاوِيَةَ بن حُدَيْج . فَبَعَثَ ابْنُ أَبِي حُدَيْفَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بن حُدَيْج - وَهُوَ أَرْمَدٌ - لِيُكْرِهَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ كِنَانَةَ ابْنَ بِيْشَر - وَكَانَ رَأْسَ الشَّيْعَةِ الْأُولَى - دَفَعَ عَنْ مُعَاوِيَةَ مَا كَرِهَ^٢ .

ثُمَّ قُتِلَ عُثْمَانُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ^٣ ، فَدَخَلَ الرَّكْبُ إِلَى مِصْرٍ وَهُمْ يَزْتَجِرُونَ :

[الرجز]

خُذْهَا إِلَيْكَ وَاحْذَرْنَا أبا الْحَسَنِ
إِنَّا نُمِرَّ الْحَرْبَ إِمْرَارَ الرَّسَنِ
بِالسَّيْفِ كَيْ تَحْمَدَ نِيرَانَ الْفِتَنِ

فَلَمَّا دَخَلُوا الْمَسْجِدَ صَاحُوا: إِنَّا لَسْنَا قَتَلَةَ عُثْمَانَ ، وَلَكِنْ اللَّهُ قَتَلَهُ . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ شَيْعَةُ عُثْمَانَ ، قَامُوا وَعَقَدُوا لِمُعَاوِيَةَ بن حُدَيْج عَلَيْهِمْ ، وَبَاتَعَوْهُ عَلَى الطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ . فَسَارَ بِهِمْ مُعَاوِيَةُ إِلَى الصُّعَيْدِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ ابْنَ أَبِي حُدَيْفَةَ ، فَالْتَقَوْا بِدِقْنَش^٤ مِنْ كُورَةِ الْبَهْتَسَا ، فَهَزِمَ أَصْحَابُ ابْنِ أَبِي حُدَيْفَةَ ، وَمَضَى مُعَاوِيَةَ حَتَّى بَلَغَ بَرْقَةَ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى / الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ . فَبَعَثَ ابْنَ أَبِي حُدَيْفَةَ بِجَيْشٍ آخَرَ عَلَيْهِمْ قَيْسُ بن حَزْمَلٍ ، فَاقْتَتَلُوا بِحَرْبِنَا أَوَّلَ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ سِتِّ وَثَلَاثِينَ ، فَقُتِلَ قَيْسُ [بِبن حَزْمَلٍ وَابْنِ الْجُثْمَا وَأَصْحَابِهِمَا]^(e) .^٥

(a) بولاق : سليمان . (b) بولاق : سليم . (c) بولاق : ريان ، والكندي : ابن أبي رومان . (d) بولاق : بسر ابن أرتاة . (e) زيادة من ولاية مصر .

^١ الكندي : ولاية مصر ٤٠ - ٤١ وفيما تقدم ٤٣ : ٢ .
^٢ نفسه ٤١ .
^٣ راجع عن الفتن ، فيما تقدم ٤٣ : ٢ هـ .
^٤ دقناش من القرى القديمة ، كانت تقع بين قاي بمركز بني سويف شمالاً وبين البهتسا بمركز بني مزار جنوباً . وقد انْدَثَرَت الآن هذه القرية وأضيف زمامها إلى أراضي ناحية مزوزة ، ويُدَلُّ على مكانها حوض دقناش بأراضي ناحية مزوزة بمركز بيا بمحافظة بني سويف . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي : ١ : ٢٤٧) .
^٥ الكندي : ولاية مصر ٤١ - ٤٢ وفيما تقدم ٤٣ : ٢ .

وسار معاوية بن أبي سفيان إلى مصر، فنزل سلمت من كورة عين شمس في سؤال. فخرج إليه ابن أبي حذيفة في أهل مصر، فمنعوه أن يدخلها. فبعث إليه معاوية: إنا لا نريد قتال أحد، إنما جئنا نسأل القود لعثمان، اذفَعُوا إلينا قاتليه: عبد الرحمن بن عديس وكنانة بن بشر، وهما رأس القوم. فامتنع ابن أبي حذيفة وقال: لو طلبت منا جدًّا أرطب الشرة بعثمان ما دفعناه إليك! فقال معاوية بن أبي سفيان لابن أبي حذيفة: اجعل بيننا وبينكم رهنا، فلا يكون بيننا وبينكم حرب. فقال ابن أبي حذيفة: فإني أرضى بذلك^١.

فاستخلف ابن أبي حذيفة على مصر الحكم بن الصلت بن مخزومة، وخرج في الرهن هو وابن عديس^(a) وكنانة بن بشر وأبو شير بن أبرة وغيرهم من قتلة عثمان. فلما بلغوا لُدَّ سجنهم بها معاوية، وسار إلى دمشق. فهربوا من السجن، غير أبي شير بن أبرة فإنه قال: لا أدخله أسيرا وأخرج منه آبقا، وتبعهم صاحب فلسطين فقتلهم. واتبع عبد الرحمن بن عديس رجلا من الفرس، فقال له عبد الرحمن بن عديس: اتق الله في دمي، فإني بايعت النبي - ﷺ - تحت الشجرة. فقال له: الشجر في الصحراء كثير. فقتله^٢.

وقال محمد بن أبي حذيفة في الليلة التي قتل في صباحها: ^(b) هذه الليلة التي قتل في صباحها^(b) عثمان، فإن يكن القصاص لعثمان فسئقتل في غد^(c). فقتل من الغد. وكان قتل ابن أبي حذيفة وعبد الرحمن بن عديس وكنانة بن بشر ومن كان معهم من الرهن، في ذي الحجة سنة ست وثلاثين^٣.

فلما بلغ علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - مصاب ابن أبي حذيفة، بعث قيس بن سعد ابن عبادة الأنصاري على مصر، وجمع له الخراج والصلاة، فدخلها مستهل شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين، واستمال الخارجية بخربتنا، ودفع إليهم أعطياتهم، ووفد عليه وفدهم فأكرمهم وأحسن إليهم - ومصر يومئذ من جيش علي - رضي الله عنه - إلا أهل خربتنا الخارجين بها.

(a) بولاق: عيسى. (b-b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: من الغد.

^٣ نفسه ٤٣.

^١ الكندي: ولاية مصر ٤٢.

^٢ نفسه ٤٣؛ وفيما تقدم ٢: ٤٣.

فلما ولى عليّ - رضي الله عنه - قيس بن سعد - وكان من ذوي الرأي [والبأس]^(a) - جهد معاوية بن أبي سفيان وعمر بن العاص ، على أن يُخرجاه من مصر ليغلبا على أمرها ، فامتنع عليهما بالدهاء والمكايذة ، فلم يُقدرا على أن يلججا مصر حتى كاد معاوية قيسًا من قبل عليّ - رضي الله عنه^١ .

وكان^(b) معاوية يُحدّث رجالاً من ذوي رأي قريش^(c) فيقول : ما ابتدغت من مكايذة قط أعجب إليّ من مكايذة كذت بها قيس بن سعد حين امتنع مني . قلت لأهل الشام : لا تسبوا قيسًا ولا تدعوا إلى عزوه ، فإن قيسًا لنا شيعة تأتينا كئبه ونصيحته سيرًا ، ألا ترؤن ماذا يفعل بإخوانكم النازلين عنده بخربتنا ؟ يُجري عليهم أعطياتهم وأزراقهم ، ويؤمن سربهم ، ويحسن إلى كل ركب يأتيه منهم .

قال معاوية : وطفت أكتب بذلك إلى شيعتي من أهل العراق ، فسمع بذلك جواسيس عليّ بالعراق ، فأنهاه إليه محمد بن أبي بكر وعبد الله بن جعفر فاتهم قيسًا ، فكتب إليه يأمره بقتال أهل خربتنا ، وبخربتنا يومئذ عشرة آلاف ؛ فأتى قيس أن يقاتلهم ، وكتب إلى عليّ - رضي الله عنه - : « إنهم وجوه أهل مصر وأشرافهم ، وأهل الحفاظ منهم ، وقد رضوا مني أن أوّمن سربهم ، وأجري عليهم أعطياتهم وأزراقهم وقد علمت أن هواهم مع معاوية ، فلست بكائدهم بأمر أهون عليّ وعليك من الذي أفعل بهم وهم أسود العرب منهم : بشر بن أبي أرطاة^(d) ، ومسلمة^(e) ابن مخلد ، ومعاوية بن حديج » . فأتى عليه إلا قتالهم ، فأتى قيس أن يقاتلهم ، وكتب إلى عليّ - رضي الله عنه - : « إن كنت تتهمني فاغزني وابعث غيري »^٢ .

وكتب معاوية - رضي الله عنه - إلى بعض بني أمية بالمدينة : « أن جزى الله قيس بن سعد خيرًا ، فإنه قد كف عن إخواننا من أهل مصر الذين قاتلوا في دم عثمان ، واكتموا ذلك فإني أخاف أن يعزله عليّ إن بلغه ما بينه وبين شيعتنا » . حتى بلغ عليًا - رضي الله عنه - ذلك ، فقال من معه من رؤساء أهل العراق وأهل المدينة : « بدل قيس وتحول » . فقال عليّ : ويحك ! إنه لم

(a) زيادة من ولاية مصر . (b) بولاق : فكان . (c) ولاية مصر : من ذوي الرأي من قريش . (d) بولاق : بن أرطاة . (e) بولاق : سلمة .

^٢ نفسه ٤٥ ؛ وفيما تقدم ٤٢ : ٤٣ - ٤٤ .

^١ الكندي : ولاية مصر ٤٤ .

يَفْعَلُ فِدْعُونِي . قالوا : لَتَعْرِزْهُ فَإِنَّهُ قَدْ بَدَّلَ . فلم يزالوا به حتى كَتَبَ إِلَيْهِ : «إِنِّي قَدْ اخْتَجَجْتُ إِلَى قُرْبِكَ ، فاسْتَخْلِفْ عَلَيَّ عَمَلِكَ وَأَقْدِمْ» . فلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ قَالَ : هذا من مَكْرِ مُعَاوِيَةَ وَلَوْلَا الْكَذِبُ لَمَكَّرْتُ بِهِ مَكْرًا يَدْخُلُ عَلَيْهِ بَيْتَهُ .

فَوَلِيَهَا قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ إِلَى أَنْ عُزِلَ عَنْهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ أَيَّامٍ ، وَصُرِفَ لْخَمْسِ نَحْلُونَ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ سَبْعِ وَثَلَاثِينَ^١ .

ثُمَّ وَلِيَهَا الْأَشْتَرُ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثِ النَّخَعِيِّ مِنْ قِبَلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرَ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَلَّا يَمْنَعَهُ عَلِيٌّ شَيْئًا قَالَ لَهُ : بِحَقِّ جَعْفَرَ ، فَقَالَ لَهُ : أَسْأَلُكَ بِحَقِّ جَعْفَرَ أَلَّا بَعَثْتَ الْأَشْتَرَ إِلَى مِصْرَ ، فَإِنْ ظَهَرْتَ فَهُوَ الَّذِي تُحِبُّ ، وَإِلَّا اسْتَرَحْتَ مِنْهُ .

وَيُقَالُ : كَانَ الْأَشْتَرُ قَدْ ثَقُلَ عَلَى عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَأَبْغَضَهُ وَقَلَاهُ ، فَوَلَّاهُ وَبَعَثَهُ . فَلَمَّا قَدِمَ قُلُومَ مِصْرَ ، لُقِيَ بِمَا يُلْقَى الْعُمَّالُ بِهِ هُنَاكَ ، فَشَرِبَ شَرْبَةً عَسَلٍ فَمَاتَ . فَلَمَّا أُخْبِرَ عَلِيٌّ بِذَلِكَ قَالَ : لِلْيَدِينِ وَلِلْفَمِ^٢ . وَسَمِعَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِمَوْتِ الْأَشْتَرِ فَقَالَ : إِنَّ لِلَّهِ - ^(a)عَزُّ وَجَلُّ^(a) - جُنُودًا مِنْ عَسَلٍ ، أَوْ قَالَ : فِي ^(b)الْعَسَلِ^٣ .

ثُمَّ وَلِيَهَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ / الصُّدِّيقِ مِنْ قِبَلِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَجَمَعَ لَهُ صَلَاتُهَا وَخَرَّاجُهَا . فَدَخَلَهَا لِلنُّصَفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعِ وَثَلَاثِينَ ، فَلَقِيَهُ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ فَقَالَ لَهُ :

«إِنَّهُ لَا يَمْتَنِعُنِي نَصْحِي لَكَ ^(a)وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ^(a) عَزْلُهُ إِتْيَايَ ، وَلَقَدْ عَزَلَنِي عَنْ غَيْرِ وَهْنٍ وَلَا عَجْزٍ ، فَاحْفَظْ مَا أَوْصَيْكَ بِهِ يَدْمُ صَلَاحِ حَالِكَ : دَعِ مُعَاوِيَةَ بْنَ حُدَيْجٍ وَمَسْلَمَةَ بْنَ مَخْلَدٍ وَيُسْرَ بْنَ أَبِي أَرْطَاةَ ، وَمَنْ ضَوَى إِلَيْهِمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ ، وَلَا تَكْفِهِمْ عَنْ رَأْيِهِمْ ، فَإِنْ أَتَوْكَ وَلَمْ يَفْعَلُوا فَأَقْبَلِهِمْ ، وَإِنْ تَخَلَّفُوا عَنْكَ فَلَا تَطْلُبْهُمْ .

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : من .

^٢ لليدين واللفم . دعاء عليه بمعنى كبه الله على فمه .

^٣ الكندي : ولاية مصر ٤٥-٤٦ ، وفيما تقدم ٤٤-٤٤ .

^١ الكندي : ولاية مصر ٤٥-٤٦ ، وفيما تقدم

٤٤-٤٣ : ٢ .

وانظر هذا الحَيِّ من مُضَر فانت أولى بهم مِنِّي : فألن لهم جَنَاحَكَ ،
 وقَرَّب عليهم مكانَكَ ، وارْفَع عنهم حِجَابَكَ . وانظر هذا الحَيِّ من مُدْلِج ،
 فدَعَّهم وما غَلَبوا عليه يَكْفُوا عنكَ شأنهم ، وأنزل الناسَ من بعدُ على قَدْر
 منازلهم ، فإن استطعت أن تعودَ المرَضَى ، وتشهدَ الجنائزَ ، فافْعَلْ ، فإن هذا
 لا يُتْقِصُّكَ ، ولن تَفْعَلْ ، إنك والله ما عَلِمْتُ لَظْهَرُ الخِيَلَاءِ وَتُحِبُّ الرِياسَةَ ،
 وتُسارعُ إلى ما هو ساقِطُ عنكَ . والله مُوَفِّقُكَ .

فَعَمِلَ محمدٌ بِخِلافِ ما أوصاهُ به قَيْسٌ ، فَكَتَبَ^(a) إلى ابنِ حُدَيجٍ والخارجِجَةِ معه يَدْعُوهم إلى
 بَيْعَتِهِ ، فلم يُجِيبوه . فَبَعَثَ إلى دُورِ الخارجِجَةِ فَهَدَمَهَا ، ونَهَبَ أموالَهُم ، وَسَجَنَ ذُراريَهُم ، فنَصَبُوا
 له الحَرْبَ ، وهَمُّوا بالثُّهْوِصِ إليه . فلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ لا قُوَّةَ له بهم أَمَسَكَ عنهم ، ثم صالحَهُم على أن
 يُسَيِّرَهُم إلى مُعاوِيَةَ ، وأن يُنْصَبَ لَهُم جِسْرًا بِنَقِيُوسَ يَجُوزُونَ عليه ، ولا يَدْخُلُونَ الفُسطاطَ .
 ففَعَلُوا ولَحِقُوا بِمُعاوِيَةَ^١ .

فلَمَّا أَجْمَعَ عليٌّ - رضي الله عنه - ومُعاوية على الحَكَمَيْنِ ، أَغْفَلَ عليٌّ أن يَشْتَرِطَ على مُعاوية
 ألا يُقاتِلَ أَهْلَ مصرَ . فلَمَّا انْصَرَفَ عليٌّ إلى العِراقِ ، بَعَثَ مُعاويةَ - رضي الله عنه - عَمْرُو بنَ
 العاصِ - رضي الله عنه - في جُيُوشِ أَهْلِ الشَّامِ إلى مصرَ فاقْتَتَلُوا قِتالًا شَدِيدًا انْهَزَمَ فيه أَهْلُ مصرَ ،
 ودَخَلَ عَمْرُو بِأَهْلِ الشَّامِ الفُسطاطَ . وَتَغَيَّبَ محمدُ بنُ أَبِي بَكْرٍ [في غافِق] ^(b) ، فأقْبَلَ مُعاويةَ ابنَ
 حُدَيجٍ في رَهْطٍ مِمَّنْ يُعِينُهُ على مَنْ كان يَمْشِي في قَتْلِ عُثْمَانَ ، وَطَلَبَ ابنُ أَبِي بَكْرٍ ، فدَلَّتْهُمُ عليه
 امرأَةٌ ، فقال : احْفَظُونِي في أَبِي بَكْرٍ . فقال مُعاويةُ بنُ حُدَيجٍ : قَتَلْتُ ثمانينَ رَجُلًا من قَوْمِي في
 عُثْمَانَ ، وأتركُكَ وأنتَ صاحِبُهُ . فقتَلَهُ ثم جَعَلَهُ في جِيفَةِ حِمَارٍ مَيِّتٍ فأحْرَقَهُ بالنَّارِ^٢ . فكانت
 ولايةُ محمدِ بنِ أَبِي بَكْرٍ خمسةَ أَشْهُرَ ، ومَقْتَلُهُ لأربعِ عَشْرَةَ نَحَلَتْ من صَفَرِ سنةِ ثمانٍ وثلاثينَ^٣ .

(a) بولاق : فبعث . (b) زيادة من ولاية مصر .

^١ الكندي : ولاية مصر ٥٠ - ٥١ .
 دقيانوس المحرِّفين عن نقيوس التي اختفى اسمها من قديم .
 (القاموس الجغرافي ١ : ٤٦٣ - ٤٦٤) .

^٢ الكندي : ولاية مصر ٥١ - ٥٢ ؛ وفيما تقدم ٤٤ : ٢
 وتُعرف هذه الواقعة بـ «يَوْمُ المُسْتَأَةِ» .

^٣ نفسه ٥٤ .

ونقيوس Nikious من المُدُن المصرية القديمة ، وذكر
 محمد بك رمزي أن هذه المدينة زالت الآن وحلَّ محلُّها
 الكوم الأثري الكائن بالجهة البحرية من سكن زاوية رزين
 بمركز مَثُوف المعروف عند الأهالي باسم كوم مانوس أو

ثم وُلِّيَ عمرو بن العاص مصر من بَعْدِهِ فاستَقْبِلَ بولايته هذه الثانية شهر ربيع الأول ، وجعل إليه الصَّلَاةَ والخَرَاجَ - كانت مصر قد جعلها مُعَاوِيَةُ له طُعْمَةً بعد عَطَاءِ جُنْدِهَا والنَّفَقَةَ على مَصْلَحَتِهَا - ثم خَرَجَ إلى الحُكُومَةِ ، واستَخْلَفَ على مصر ابنه عبد الله بن عمرو ، وقيل ^(a) خَارِجَةَ ابن حُدَافَةَ ، ورجَعَ عمرو إلى مصر فأقام بها .

٥ وتعاقد بنو مُلْجَم - عبد الرَّحْمَنِ وقَيْسَ وَيَزِيدَ - على قَتْلِ عَلِيٍّ - رضي الله عنه - وعمرو ومُعَاوِيَةَ - رضي الله عنهما ، و تواعَدُوا على لَيْلَةِ من رَمَضَانَ سنة أربعين ، فَمَضَى كُلُّ مِنْهُم إلى صَاحِبِهِ ^١ .

فلَمَّا قُتِلَ عَلِيٌّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - واستقرَّ الأَمْرُ لمُعَاوِيَةَ ، كانت مصر - جُنْدُهَا وَأَهْلُ شَوْكِيَّتِهَا - « عُثْمَانِيَّةً » ، وكثيرٌ من أَهْلِهَا « عَلَوِيَّةً » .

١٠ فلَمَّا ماتَ مُعَاوِيَةُ وماتَ ابنُه يَزِيدُ بن مُعَاوِيَةَ ، كان على مصر سَعِيدُ بن يَزِيدَ الأَزْدِيُّ على صَلَاتِهَا فلم يَزَلْ أَهْلُ مصر على الشُّتَانِ له ، والإِعْرَاضِ عنه والتَّكْبِيرِ عليه ، منذ وُلَاهُ يَزِيدُ ابن مُعَاوِيَةَ ، حتى ماتَ يَزِيدُ في سنة أربع وستين .

١٥ ودَعَا عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ إلى نفسه ، فقَامَتِ الخَوَارِجُ بمصر في أمره ^٢ ، وأظْهَرُوا دَعْوَتَهُ - وكانوا يَحْسَبُونَهُ على مَذْهَبِهِمْ - وأوفدوا منهم وَقْدًا إليه ، فسَارَ مِنْهُم نحو الألفين من مصر ، وسألوا أن يَتَّبِعَتْ إليهم بأمير يقومون معه ويُوَازِرُونَهُ . وكان كُرَيْبُ بن أْبْرَهَةَ الصَّبَّاحُ ، وغيره من أشرافِ مصر يقولون : ماذا نَرَى من العَجَبِ أن هذه الطَّائِفَةُ المَكْتَمَةَ تأمُرُ فِينَا وتَنْهَى ، ونحن لا نَسْتَطِيعُ أن نَرُدَّ أَمْرَهُمْ . ولَحِقَ بابن الزُّبَيْرِ ناسٌ كثيرٌ من أَهْلِ مصر ^٣ .

(a) بولاق : وقتل .

^١ الكندي : ولاية مصر ٥٤ - ٥٥ .

السلام - : « يَمْرُقُونَ من الدِّينِ مُرْوَقِ الشُّهُمِ من الرِّبِّيَّةِ » ،

وبقوله : « تَقْتَبِلُ طَائِفَتَانِ من أُمَّتِي فَمَرْمُوقٌ بَيْنَهُمَا مَارِقَةٌ بِقَتْلِهَا

أولى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ » ، ثم اسْتَمَرَّ خُرُوجُهُمْ على السُّلَاطِينِ

فَأَكْدُوا الاسمَ ، وهم فِرَقٌ وهم يُسَمُّونَ أَنفُسَهُمْ « الشُّرَاةُ » أي

شَرُّوا أَنفُسَهُمْ بمعنى باعواها لله ولا يسميهم بذلك غيرهم .

^٢ قامَ عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ بِقُوْرَةٍ في مَكَّةَ على الحُكْمِ الأَمْرِيِّ

ودَعَا لِنَفْسِهِ بِالْخِلَافَةِ بعد مَوْتِ يَزِيدَ بن مُعَاوِيَةَ سنة =

^٢ حاشية بخط المؤلف : « إنما قيل لهم «خوارج» لقوله -

عليه السلام - «يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ يَخْفِرُونَ صَلَاتَكُمْ مع

صَلَاتِهِمْ» الحديث . ومعنى قَوْلُهُ : فيكم ، أي عليكم ، كقوله

تعالى : ﴿وَأَصْلِبْتُمْ فِي جُدُوعِ الثُّخْلِ﴾ [الآية ٧١ سورة

طه] أي على جُدُوعِ الثُّخْلِ . وكان خُرُوجُهُمْ ومُرُوقُهُمْ في

زَمَنِ الصُّحَابَةِ ، فسَمُّوا الخَوَارِجَ وسَمُّوا المَارِقَةَ بقوله - عليه

وكان أول من قديم مصر برأي الخوارج مُحجَّر بن الحارث بن قيس المذحجي^١ - وقيل حُجْر ابن عمرو - ويكنى بأبي الوزد، وشهد مع عليّ صفيين، ثم صار من الخوارج، وحضر مع الحرورية النهروان. فخرج وصار إلى مصر برأي الخوارج، أقام بها حتى خرج منها إلى ابن الزبير في إمارة مسلمة بن مخلد الأنصاري على مصر.

فلما مات يزيد بن معاوية، وبويع ابن الزبير بعده بالخلافة، بعث إلى مصر بعد الرخمن ابن جحدم الفهري؛ فقدمها في طائفة من الخوارج، فوثبوا على سعيد بن يزيد، فاعتزلهم. واشتمر ابن جحدم، وكثرت الخوارج بمصر منها ومن قديم من مكة، فأظهروا في مصر «التحكيم»^٢، ودعوا إليه، فاشتتظم الجند ذلك. وبايعه الناس على غل في قلوب ناس من شيعة بني أمية: منهم كريب بن أبرهة، ومقسم بن بجرة، وزباد بن جناطة التميمي، وعابس بن سعيد وغيرهم^٣. فصار أهل مصر حينئذ ثلاث طوائف: علوية، وعثمانية، وخوارج.

فلما بويع مروان بن الحكم بالشام في ذي القعدة سنة أربع وستين، كانت شيعته من أهل مصر مع ابن جحدم، فكاتبوه سراً حتى أتى مصر في أشرف كثيرة، وبعث ابنه عبد العزيز بن مروان في جيش إلى أيلة ليتدخل من هناك مصر^٤.

pp. 46-57.

^١ انظر كذلك، المقرئ: المقفى الكبير ٣: ٢٥٨.
^٢ حاشية بخط المؤلف: «أول من حكم ولفظ بالحكومة» الحجاج بن عبد الله المعروف بالبزك، وهو الذي ضرب معاوية بن أبي سفيان على التيه، وذلك أنه لما سمع بذكر الحكمتين قال: «الحكم في دين الله ولا حكم إلا لله» فسمعه سامع فقال: طعن ولهفة فانتقد، وصار شعار الخوارج من حينئذ «ولا حكم إلا لله» ودعوا إلى القول بالتحكيم. ولما سمع عليّ - رضي الله عنه - قولهم: «لا حكم إلا لله»، قال: كلمة عادلة تراء بها جور، إنما يقولون: لا إمارة ولا بد من إمارة برة أو فاجرة.

^٣ الكندي: ولاة مصر ٦٤-٦٥؛ وفيما تقدم ٤٧: ٢.

^٤ نفسه ٦٥، وفيما تقدم ٤٧: ٢.

= ٦٨٣/٥٦٤ م، وظل كذلك لمدة تسعة أعوام حتى قضى على ثورته الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٥٧٣/٦٩٢ م. (راجع، الطبري: تاريخ ٥: ٥٦٣، ٥٨٢، ٦٢٢، ١٦٦: ٦-١٨٧؛ البلاذري: أنساب الأشراف ٤: ١٢-٦٢، ١٨٨: ٥-٢١٢؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣: ٧١-٧٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣: ٣٦٣-٣٨٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٧: ١٧٢-١٧٨؛ المقرئ: المقفى الكبير ٤: ٣٥١-٣٨٤؛ قلهوزن، ي: تاريخ الدولة العربية ١٣٧-١٩؛ Gibb, H. A. R., *El*², art. "Abd Alláb b. al-Zubayr I", pp. 56-57؛ إبراهيم بيضون: الحجاز والدولة الإسلامية، بيروت ١٩٨٣، ٢٩١-٣٤٨؛ عبد الشافي عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، القاهرة ١٩٨٤، ٤٩٤-٥٠٦؛ Hawting, G. R., *The First Dynasty of Islam. The Umayyad Caliphate 661-750*, London 2000,

وَأَجْمَعَ ابْنُ جَعْدَمٍ عَلَى حَزْبِهِ وَمَنْعِهِ ، فَحَفَرَ الْخَنْدَقَ فِي شَهْرِ - وَهُوَ الْخَنْدَقُ الَّذِي بِالْقِرَافَةِ ^١ - وَبَعَثَ بِمَرَاكِبٍ فِي الْبَحْرِ لِيُخَالِفَ إِلَى عِيَالَاتِ ^(a) أَهْلِ الشَّامِ ، وَقَطَعَ بَعْثًا فِي الْبَرِّ ، وَجَهَّزَ جَيْشًا آخَرَ إِلَى أَيْلَةَ / لَمَعَ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنَ الْمَسِيرِ مِنْهَا . فَفَرَقَتِ الْمَرَاكِبُ ، وَنَجَّأ بَعْضُهَا ، وَأَنْهَزَمَتِ الْجُيُوشُ . وَنَزَلَ مَرْوَانَ عَيْنَ شَمْسٍ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ ابْنُ جَعْدَمٍ فِي أَهْلِ مِصْرَ ، فَتَحَارَبُوا وَاسْتَحَرَّ الْقَتْلُ ، فَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ^٢ . ثُمَّ إِنَّ كُرَيْبَ بْنَ أَبْرَهَةَ وَعَائِسَ بْنَ سَعِيدٍ وَزِيَادَ بْنَ حُنَاطَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ ابْنَ مَوْهَبِ الْمَعَاوِرِيِّ ، دَخَلُوا فِي الصُّلْحِ بَيْنَ أَهْلِ مِصْرَ وَبَيْنَ مَرْوَانَ فَتَمَّ ، وَدَخَلَ مَرْوَانَ إِلَى الْفُسْطَاطِ لِقُرَّةِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِينَ ^٣ .

وَكَانَتْ وِلَايَةُ ابْنِ جَعْدَمٍ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَوَضَعَ الْعَطَاءَ فَبَايَعَهُ النَّاسُ إِلَّا نَفَرًا مِنَ الْمَعَاوِرِيِّ قَالُوا : لَا نَخْلَعُ بَيْعَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ . فَقَتَلَ مِنْهُمْ ثَمَانِينَ رَجُلًا قَدَّمَهِمْ رَجُلًا رَجُلًا فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ وَهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّا قَدْ بَايَعْنَا ابْنَ الزُّبَيْرِ طَائِعِينَ ، فَلَمْ نَكُنْ لِنَنْكُثِ بَيْعَتَهُ . وَضَرَبَ عُتُقَ الْأَكْدَرِ بْنِ حَمَامٍ ^(b) بْنَ عَامِرٍ ، سَيِّدَ لَحْمٍ وَشَيْخَهَا ^٤ ، وَحَضَرَ هُوَ وَأَبُوهُ فَتَحَ مِصْرَ ، وَكَانَا يَمُنُّنَ تَارًا إِلَى عُثْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَتَنَادَى الْجُنْدُ : قُتِلَ الْأَكْدَرُ . فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ حَتَّى لَبَسَ سِلَاحَهُ ، فَحَضَرَ بَابَ مَرْوَانَ مِنْهُمْ زِيَادَةٌ عَلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا . وَخَشِيَ مَرْوَانَ ، وَأَغْلَقَ بَابَهُ حَتَّى أَتَاهُ كُرَيْبُ بْنُ أَبْرَهَةَ ، وَأَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ ، وَقَالَ لِلْجُنْدِ : انصَرِفُوا ، أَنَا لَهُ جَارٌ . فَمَا عَطَفَ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، وَانصَرَفُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ ، وَكَانَ لِلنُّصُفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ . وَيَوْمَئِذٍ مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَخْرُجَ بِجَنَازَتِهِ إِلَى الْمَقْبَرَةِ لِشَغَبِ الْجُنْدِ عَلَى مَرْوَانَ ^٥ . وَمِنْ حِينئِذٍ غَلَبَتِ الْعُثْمَانِيَّةُ عَلَى مِصْرَ ، فَتَظَاهَرُوا فِيهَا بِسَبِّ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَانكفَّتِ أَلْسِنَةُ الْعَلَوِيَّةِ وَالخَوَارِجِ .

فَلَمَّا كَانَتْ وِلَايَةُ قُرَّةِ بْنِ شَرِيكِ الْعَبَّاسِيِّ عَلَى مِصْرَ مِنْ قِبَلِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي سَنَةِ تِسْعِينَ ، خَرَجَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ . فَتَعَاقَدَتِ الشُّرَاءُ مِنَ الْخَوَارِجِ

(a) عند الكندي : عيال . (b) بولاق : حمام .

^١ انظر خير هذا الخندق ، فيما يلي ٤٥٨ : ٢ .
^٢ الكندي : ولاة مصر ٦٥-٦٦ ، مع تفصيلات كثيرة .
^٣ نفسه ٦٧ ، وفيما يلي ٨٩٦ .
^٤ حاشية بخط المؤلف : «الأكدر بن حمام بن عامر ابن شعب بن يحيىة اللخمي ، شهيد فتح مصر هو وأبوه ، وكان أحد من ألب على عثمان - رضي الله عنه - وولاه معاوية بحر مصر ، وقتله مروان بن الحكم للنصف من جمادى الآخرة سنة خمس وستين» .
^٥ الكندي : ولاة مصر ٦٨ ؛ وفيما تقدم ٤٨ : ٢ .

بالإسكندرية على الفتح به - وكانت عدتهم نحوًا من مائة - فعقدوا لرئيسهم المهاجر بن أبي
المنثري الشجيري، أحد بني فهم، عليهم عند منارة الإسكندرية؛ وبالقراب منهم رجل يكنى أبا
سليمان، فبلغ قرّة ما عزموا عليه. فأتى لهم قبل أن يتفرقوا، فأمر بحبسهم في أضل منارة
الإسكندرية، وأخضر قرّة وجوه الجنود فسألهم فأقروا فقتلهم، ومضى رجل ممن كان يرى رأيهم
إلى أبي سليمان فقتله. فكان يزيد بن أبي حبيب إذا أراد أن يتكلم بشيء فيه تقيّة من السلطان
تلفت وقال: اخذوا أبا سليمان. ثم قال: الناس كلهم من ذلك اليوم أبو سليمان^١.

فلما قام عبد الله بن يحيى - الملقب بطالب الحق - في الحجاز على مزوان بن محمد
الجعدي^٢، قديم إلى مصر داعيته ودعا الناس، فبايع له ناس من نجيب وغيرهم. فبلغ ذلك حسان
ابن عتاهية، صاحب الشرطة، فاستخرجهم، فقتلهم خوثر بن سهيل الباهلي أمير مصر من قبل
مزوان بن محمد^٣.

فلما قتل مزوان، وانقضت أيام بني أمية بيتي العباس في سنة ثلاث وثلاثين ومائة، خمدت
جمرة أصحاب المذهب المزواني - وهم الذين كانوا يسمون علي بن أبي طالب ويتبرأون منه -
وصاروا منذ ظهر بنو العباس يخافون القتل، ويخشون أن يطلع عليهم أحد، إلا طائفة كانت
بناحية الواحات وغيرها، فإنهم أقاموا على مذهب المزوانية دهرًا حتى قتلوا، ولم يبق لهم الآن
بديار مصر وجود ألبتة.

فلما كان في إمارة حميد بن قحطبة على مصر، من قبل أبي جعفر المنصور، قديم إلى مصر
علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن^(ب) بن علي بن أبي طالب داعية لأبيه وعمه،
فذكر ذلك لحميد فقال: هذا كذب. ودس إليه أن تغيب، ثم بعث إليه من الغد - فلم يجده،

(a) النص في ولاة مصر للكندي: مصدر الثقل: ثم قال يوما من ذلك: الناس كلهم أبو سليمان. (b) بولاق:

الحسين.

١ الكندي: ولاة مصر ٨٥. مروج الذهب ٤: ٨٢؛ أبا الفرج الأصفهاني: الأغاني

٢ عبد الله بن يحيى الكندي الإباضي، المعروف بطالب

الحق تخرج باليمن سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م، وأقام فترة في

٣ الكندي: ولاة مصر ١١٤.

٤ ٢٣: ٢٢٤-٢٢٥؛ النويري: نهاية الأرب ٢١: ٥٣٥-

٥ ٧٤٧م. (راجع، الطبري: تاريخ ٧: ٣٤٨؛ المسعودي:

١ الكندي: ولاة مصر ٨٥.

٢ عبد الله بن يحيى الكندي الإباضي، المعروف بطالب

الحق تخرج باليمن سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م، وأقام فترة في

٣ الكندي: ولاة مصر ١١٤.

٤ ٢٣: ٢٢٤-٢٢٥؛ النويري: نهاية الأرب ٢١: ٥٣٥-

٥ ٧٤٧م. (راجع، الطبري: تاريخ ٧: ٣٤٨؛ المسعودي:

فَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ، فَعَزَلَ حَمِيدًا، وَسَخِطَ عَلَيْهِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةَ ١.

- وَوَلِيَّ يَزِيدَ بْنَ حَاتِمِ بْنِ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ، فَظَهَرَتْ دَعْوَةُ بَنِي حَسَنٍ بْنِ عَلِيٍّ بِبَصْرَ، وَتَكَلَّمَ النَّاسُ بِهَا، وَبَايَعَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ لِعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - وَهُوَ أَوَّلُ عَلَوِيٍّ قَدِيمٍ مِصْرَ - وَقَامَ بِأَمْرِ دَعْوَتِهِ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ حُبَيْشِ الصَّدْفِيِّ. وَكَانَ جَدُّهُ رَبِيعَةَ بْنُ حُبَيْشٍ مِنْ خَاصَّةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَشِيعَتِهِ، وَحَضَرَ الدَّارَ فِي قَتْلِ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَاسْتَشَارَ خَالِدٌ أَصْحَابَهُ الَّذِينَ بَايَعُوا لَهُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ أَنْ يُبَيِّتَ يَزِيدَ بْنَ حَاتِمِ فِي الْعَسْكَرِ - وَكَانَ الْأَمْرَاءُ قَدْ صَارُوا، مِنْذُ قَدِمَتْ عَسَاكِرُ بَنِي الْعَبَّاسِ، يَنْزِلُونَ فِي الْعَسْكَرِ الَّذِي يُنْبِئُ خَارِجَ الْقُسْطَاطِ مِنْ شِمَالِهِ كَمَا ذَكَرَ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ٢ - وَأَشَارَ عَلَيْهِ آخَرُونَ أَنْ يَحُوزَ بَيْتَ الْمَالِ، وَأَنْ يَكُونَ خُرُوجُهُمْ فِي الْجَامِعِ. فَكَرِهَ خَالِدٌ أَنْ يُبَيِّتَ يَزِيدَ بْنَ حَاتِمِ، وَخَشِيَ عَلَى الْيَمَانِيَةِ. وَخَرَجَ مِنْهُمْ رَجُلٌ [مِنَ الصَّدْفِ] ٣ قَدْ شَهِدَ أَمْرَهُمْ حَتَّى أَتَى إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ابْنِ حُدَيْجٍ - وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْقُسْطَاطِ - فَخَبَّرَهُ أَنَّهَا لَيْلَةُ يَخْرُجُونَ. فَمَضَى عَبْدُ اللَّهِ إِلَى ٤ يَزِيدِ ابْنِ حَاتِمِ وَهُوَ بِالْعَسْكَرِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا كَانَ لِعَشْرِ مِنْ شَوَالِ سَنَةِ خَمْسِينَ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةَ، فَانْهَزَمُوا ٥.

- ١٥ ثُمَّ قَدِمَتِ الْخُطَبَاءُ بِرَأْسِ إِبْرَاهِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ، فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ، إِلَى مِصْرَ وَنَصَبُوهُ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، وَقَامَتِ الْخُطَبَاءُ فَذَكَرُوا أَمْرَهُ. وَحَمِلَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ، وَقِيلَ لَهُ / اخْتَفَى عِنْدَ عَشَامَةَ بْنِ عَمْرٍو بِقَرْيَةِ طُوَّةٍ ٦، فَمَرِضَ بِهَا وَمَاتَ فَقُبِرَ هُنَاكَ. وَحَمِلَ عَشَامَةُ إِلَى الْعِرَاقِ، فَجُحِسَ إِلَى أَنْ رَدَّهُ الْمُهَدِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ إِلَى مِصْرَ ٧.

(a) زيادة من ولاية مصر، مصدر الثقل. (b) بولاق: بن. (c) بولاق: طرة.

١ الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه.

١ الكندي: ولاية مصر ١٣٢-١٣٣.

٢ كان خرج بمصر في أيام المنصور سنة ١٤٥، فلما ظهر عليه

٢ فيما تقدم ٥٦:٢.

يزيد بن حاتم، أخفاه عَشَامَةُ بن عمر المعافري في هذه القرية

٣ الكندي: ولاية مصر ١٣٣-١٣٤.

وزوجه ابنته، إلى أن مات ودُفِنَ بِهَا. (معجم البلدان

٤ قال ياقوت الحموي في مادة طُوخ: وطُوخ الخَيْل: قرية

٤: ٤٦؛ وفيما يلي (٧٢٢).

أخرى بالصعيد في غربي النيل، يقال لها طُوخ بَيْتِ يَمُونِ،

٥ الكندي: ولاية مصر ١٣٦.

ويقال لها طُوَّةُ أَيْضًا، وبها قَبْرُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ

وما زالت شيعته علي بمصر إلى أن ورد كتاب المتوكل على الله إلى مصر، يأمر فيه بإخراج آل أبي طالب من مصر إلى العراق. فأخرجهم إسحاق بن يحيى الخثلي أمير مصر، وفرق فيهم الأموال ليتحملوا بها، وأعطى كل رجل ثلاثين دينارًا، والمرأة خمسة عشر دينارًا. فخرجوا لعشر خلون من رجب سنة ست وثلاثين ومائتين، وقدموا العراق، فأخرجوا إلى المدينة في شوال منها^١.

واستتر من كان بمصر على رأي العلوية، حتى إن يزيد بن عبد الله أمير مصر ضرب رجلًا من الجند في شيء وجب عليه، فأقسم عليه بحق الحسن والحسين إلا عفا عنه، فزاده ثلاثين درة. ورفع ذلك صاحب البريد إلى المتوكل، فورد الكتاب على يزيد بضرب ذلك الجندي مائة سوط، فضربها وحمل بعد ذلك إلى العراق في شوال سنة ثلاث وأربعين ومائتين^٢.

وتبع يزيد الروافض فحملهم إلى العراق، ودل في شعبان على رجل يقال له محمد بن علي ابن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، [يُعرف بأبي حذري]^(a)، أنه بويغ له، فأحرق الموضع الذي كان به، وأخذَه فأقر على جمع من الناس بايقوه، فضرب بعضهم بالسياط، وأخرج العلوي هو وجمع من آل أبي طالب إلى العراق في شهر رمضان [سنة سبع وأربعين]^(a)^٣.

ومات المتوكل في شوال، فقام من بعده ابنه محمد المنتصر^(b)، فورد كتابه إلى مصر: بالأ يقبل علوي ضيعة، ولا يركب فرسًا، ولا يسافر من القسطنطين إلى طرف من أطرافها، وأن يمتنعوا من اتخاذ العبيد إلا العبد الواحد. ومن كان بينه وبين أحد من الطالبين خصومة من سائر الناس، قبل قول خصمه فيه، و لم يطالب بيئته، وكتب إلى العمال بذلك^٤.

ومات المنتصر^(b) في ربيع الآخر [سنة ثمان وأربعين ومائتين]^(a)، وقام المستعين، فأخرج يزيد ستة رجال من الطالبين إلى العراق في رمضان سنة خمسين ومائتين،

(a) زيادة من ولاية مصر، مصدر الثقل. (b) بولاق: المستنصر.

^٣ نفسه ٢٢٩.

^١ الكندي: ولاية مصر ٢٢٣-٢٢٤.

^٤ نفسه ٢٣٠.

^٢ نفسه ٢٢٩.

ثم أُخْرِجَ ثمانية منهم في رَجَبِ سنة إحدى وخمسين^١.

وَأَخْرَجَ جَابِرُ بْنُ الْوَلِيدِ الْمُدَلِجِيُّ بِأَرْضِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سنة اثنتين وخمسين، واجْتَمَعَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ بَنِي مُدَلِجٍ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ^{(أ) بْنِ مَرْزِدَةَ^(ب)} بِجَيْشٍ مِنَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، فَهَزَمَهُمْ وَظَفِرَ بِمَا مَعَهُمْ، وَقَوِيَ أَمْرُهُ، وَأَتَاهُ النَّاسُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَضَوَى إِلَيْهِ كُلُّ مَنْ يُوسَى إِلَيْهِ بِشِدَّةٍ وَنَجْدَةٍ، فَكَانَ مِنْ أَتَاهِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَرِيْسِيُّ - وَكَانَ لِصَبَا^(ب) خَبِيثًا - وَلَحِقَ بِهِ جُرَيْجُ النَّصْرَانِيِّ، وَكَانَ مِنْ شِرَارِ النَّصَارَى وَأَوْلَى بِأَسْبَابِهِمْ. وَلَحِقَ بِهِ أَبُو حَزْمَلَةَ فَرَجَ التُّوبِيِّ - وَكَانَ فَاتِكًا - فَعَقَدَ لَهُ جَابِرٌ عَلَى سَنَهُورٍ، وَسَخَا، وَشَرْقِيَّونَ، وَبَنَاءَ. فَمَضَى أَبُو حَزْمَلَةَ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ، فَأَخْرَجَ الْعُمَالُ، وَجَبَّتِ الْخَرَاجُ. وَلَحِقَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - الَّذِي يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْأَرْقَطِ - فَقَوَّذَهُ أَبُو حَزْمَلَةَ وَضَمَّ إِلَيْهِ الْأَغْرَابَ، وَوَلَّاهُ بَنَاءَ وَبُوصَيْرَ وَسَمْنُودَ^٢.

فَبَعَثَ يَزِيدُ أَمِيرُ مِصْرَ بِجَمْعٍ مِنَ الْأَثْرَاكِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ، فَقَاتَلَهُمْ ابْنُ الْأَرْقَطِ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ. ثُمَّ تَبَثُّوا لَهُ، فَأَنْهَزَمَ وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ كَثِيرٌ، وَأُسِرَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ. وَلَحِقَ ابْنُ الْأَرْقَطِ بِأَبِي حَزْمَلَةَ فِي شَرْقِيَّونَ، فَصَارَ إِلَى عَشْكَرِ يَزِيدَ، فَأَنْهَزَمَ أَبُو حَزْمَلَةَ، وَقَدِمَ مُزَاحِمُ بْنُ خَاقَانَ مِنَ الْعِرَاقِ فِي جَيْشٍ، فَحَارَبَ أَبَا حَزْمَلَةَ حَتَّى أُسِرَ فِي رَمَضَانَ^٣.

وَاسْتَأْمَنَ ابْنُ الْأَرْقَطِ، فَأُخِذَ وَأَخْرِجَ إِلَى الْعِرَاقِ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سنة ثلاثٍ وخمسين ومائتين، فَقَرَّ مِنْهُمْ، ثُمَّ ظَفِرَ بِهِ وَحُبِسَ، ثُمَّ حُمِلَ إِلَى الْعِرَاقِ فِي صَفْرِ سنة خمسٍ وخمسين ومائتين بَكْتَابٍ وَرَدَّ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ طُولُونٍ. وَمَاتَ أَبُو حَزْمَلَةَ فِي الشَّجَنِ لِأَرْبَعِ بَقِينَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سنة ثلاثٍ وخمسين، وَأُخِذَ جَابِرٌ بَعْدَ خُرُوبِ، وَحُمِلَ إِلَى الْعِرَاقِ فِي رَجَبِ سنة أربعٍ وخمسين^٤.

وَخَرَجَ فِي إِمْرَةِ أَرْجُوزَ^(ج) التُّزْكِيُّ رَجُلٌ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ يُقَالُ لَهُ بُغَا الْأَكْبَرُ - وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَبَاطَبَا بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَسَنِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ - بِالصَّعِيدِ، فَحَارَبَهُ أَصْحَابُ أَرْجُوزَ^(ج)، وَقَرَّ مِنْهُمْ فَمَاتَ^٥.

(a-a) ساقطة من بولاق. (b) ولاية مصر: رجلاً. (c) بولاق: أرجون، وولاية مصر: أرجور.

^١ الكندي: ولاية مصر ٢٣٠.

^٢ نفسه ٢٣١-٢٣٢.

^٣ نفسه ٢٣٢-٢٣٣ (والنص عنه الكندي ملء).

^٤ نفسه ٢٣٤.

^٥ نفسه ٢٣٨.

ثم خَرَجَ بُغَا الأَصْفَر - وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا - فيما بين الإسكندرية وبزقة [في موضع يُقال له الكنائس]^(a)، في جمادى الأولى سنة خمس وخمسين ومائتين - والأمير يومئذ أحمد بن طولون - وسار في جمع إلى الصعيد، فقتل في الحرب، وأُتي برأيه إلى الفسطاط في شعبان^١.

وخرَجَ ابن الصوفي العلوي بالصعيد - وهو إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد ابن عمر بن علي بن أبي طالب - ودخل إسنا في ذي القعدة سنة خمس وخمسين، ونهبها وقتل أهلها. فبعث إليه ابن طولون بجيش فحاربوه، فهزَمَهم في ربيع الأول سنة ست وخمسين بهو، فبعث ابن طولون إليه بجيش آخر، فالتقيا بإخميم في ربيع الآخر، فانهزم ابن الصوفي، وترك جميع ما معه، وقتلت رجالته.

فأقام ابن الصوفي بالوَّاح سنتين، ثم خرج إلى الأشمونيين في المحرم سنة سبع وخمسين، وسار إلى أسوان لمحاربة أبي عبد الرحمن العمري، فظفر به العمري وبجميع جيشه، وقتل منهم مقتلة عظيمة، ولحق ابن الصوفي بأسوان فقطع لأهلها ثلاث مائة ألف نخلة. فبعث إليه ابن طولون بعثا، فاضطرب أمره مع أصحابه فتركهم ومضى إلى عيذاب فركب البحر إلى مكة، فقبض عليه بها وحمل إلى ابن طولون فسجنه ثم أطلقه، / فصار إلى المدينة ومات بها^٢.

وفي إمارة هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون، أنكر رجل من أهل مصر أن يكون أحد خيرا من أهل البيت، فوثبت إليه العائمة، فضرب بالسياط يوم الجمعة في جمادى الأولى سنة خمس وثمانين ومائتين^٣.

وفي إمارة ذكا الأغور على مصر، كتبت على أبواب الجامع العتيق ذكر الصحابة والقرآن [بما لا يليق]^(b)، فرضيه جمع من الناس، وكرهه آخرون. فاجتمع الناس في رمضان سنة خمس وثلاث مائة إلى دار ذكا يتشكرونه على ما أذن لهم فيه، فوثب الجنود بالناس، فنهب قَوْمَ وجرح

(a) زيادة من ولاية مصر، مصدر النقل. (b) زيادة من ولاية مصر، مصدر الثقل.

^١ الكندي: ولاية مصر ٢٣٩. ^٢ نفسه ٢٤٠-٢٤١. ^٣ نفسه ٢٦٧، وسأها الكندي: فتنة ابن قريش.

آخرون ، ومحي ما كُتِبَ على أبواب الجامع ، ونُهَبَ النَّاسُ في المسجد والأسواق ، وأفطر الجُنْدُ يومئذٍ^١ .

وما زال أمرُ الشيعة يقوى بمصر ، إلى أن دخلت سنة خمسين وثلاث مائة ، ففي يوم عاشوراء كانت مُنازعةً بين الجُنْدِ وبين جماعة من الرعية عند قبر كلثوم العلوية ، بسبب ذكر السلف والنوح ، قُتِلَ فيها جماعة من الفريقين . وتعصب السودان على الرعية ، فكانوا إذا لقوا أحدا قالوا له : مَنْ خالك ؟ فإن لم يقل معاوية وإلا بطشوا به وشلحوه . ثم كثر القول : معاوية خال علي^٢ .

وكان على باب الجامع العتيق شيخان من العامة يُناديان في كل يوم الجمعة في وجوه الناس من الخاص والعام - معاوية خالي وخال المؤمنين ، وكاتب الوحي ، ورديف رسول الله ﷺ ، وكان هذا أحسن ما يقولونه وإلا فقد كانوا يقولون : معاوية خال علي من هاهنا - ويُشيرون إلى أضل الأذن - ويلقون أبا جعفر مُسلِّماً الحسيني ، فيقولون له ذلك في وجهه ، وكان بمصر أشود يصيح دائماً : معاوية خال علي ، فقُتِلَ بيتي أيام القائد جوهر .

ولما ورد الخبر بقيام بني حسن بمكة ، ومحاربتهم الحاج ونهبهم ، خرج خلق من المصريين في سؤال ، فلقوا كافر الإخشيد بالمدان ظاهر مدينة مصر ، وضجوا وصاحوا : معاوية خال علي ، وسألوه أن يتعت لئصرة الحاج علي الطالبيين .

وفي شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وثلاث مائة ، أخذ رجل - يُعرف بابن أبي الليث الملقب - يُنسب إلى التشيع ، فضرب مائتي سوط ودرّة ، ثم ضرب في سؤال خمس مائة سوط ودرّة ، وجعل في عنقه غلّ وحيس ، وكان يتفقد في كل يوم لئلا يُخفف عنه ، ويصق في وجهه ، فمات في محبسه فحُمِلَ لئلا وُدِنَ . فمضت جماعة إلى قبره لينبشوه ، وبلغوا إلى القبر ، فمنعهم جماعة من الإخشيدية والكافورية ، فأبوا وقالوا : هذا قبر رافضي . فثار فتنة ، وضرب جماعة ، ونهبوا كثيراً حتى تفرق الناس .

وفي سنة ست وخمسين ، كُتِبَ في صفر على المساجد ذكر الصحابة والتفضيل . فأمر الأستاذ كافر الإخشيد بإزالته ، فحدثه جماعة في إعادة ذكر الصحابة على المساجد ، فقال : ما أُحدث في أيامي ما لم يكن ، وما كان في أيام غيري فلا أزيله ، وما كُتِبَ في أيامي أزيله . ثم أمر من طاف وأزاله من المساجد كلها .

^١ الكندي : ولاة مصر ٢٩٢ ، وفيما تقدم ٢ : ١١٦ . ^٢ المقرئ : اتعاظ الحنفا ١ : ١٤٦ .

ولما دَخَلَ جَوْهَرُ الْقَائِدِ بِعَسَاكِرِ الْمُعِزِّ لَدِينِ اللَّهِ إِلَى مِصْرَ، وَبَنَى الْقَاهِرَةَ، أَظْهَرَ مَذْهَبَ الشُّيعَةِ، وَأَذَّنَ فِي جَمِيعِ الْمَسَاجِدِ الْجَامِعَةِ وَغَيْرِهَا: «حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ»، وَأُعْلِنَ بِتَفْضِيلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَى غَيْرِهِ، وَجُهِرَ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَعَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَفَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ. فَشَكَا إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ أَمْرَ عَجُوزٍ عَمِيَاءَ تُنْشِدُ فِي الطَّرِيقِ، فَأَمَرَ بِهَا فَجُيِسَتْ. فَسُرَّ الرَّعِيَّةُ بِذَلِكَ، وَنَادَوْا بِذِكْرِ الصُّحَابَةِ، وَنَادَوْا: مُعَاوِيَةُ خَالُ عَلِيٍّ وَخَالُ الْمُؤْمِنِينَ. فَأُرْسِلَ جَوْهَرٌ حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ رَجُلًا إِلَى الْجَامِعِ، فَنَادَى: أَيُّهَا النَّاسُ أَقْبِلُوا الْقَوْلَ وَدَعُوا الْقُضُولَ، فَإِنَّمَا حَبَسْنَا الْعَجُوزَ صِيَانَةً لَهَا، فَلَا يَنْطَقَرُ أَحَدٌ إِلَّا حَلَّتْ بِهِ الْعُقُوبَةُ الْمَوْجِعَةُ؛ ثُمَّ أَطْلَقَ الْعَجُوزَ. وَفِي رَيْبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِينَ، عَزَّرَ سَلِيمَانُ بْنُ عَزَّةَ^(a) الْمُحْتَسِبِ جَمَاعَةً مِنَ الصِّيَارِفَةِ فَشَعَبُوا وَصَاحُوا: مُعَاوِيَةُ خَالُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. فَهَمَّ جَوْهَرٌ أَنْ يَحْرِقَ رَحْبَةَ الصِّيَارِفَةِ، لَكِنْ خَشِيَ عَلَى الْجَامِعِ^١.

وَأَمَرَ الْإِمَامَ بِجَامِعِ مِصْرَ أَنْ يَجْهَرَ بِالْبَشْمَلَةِ فِي الصَّلَاةِ - وَكَانُوا لَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ - وَزَيْدٌ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ الْقُنُوتِ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ، وَأَمَرَ فِي الْمَوَارِيثِ بِالرُّدِّ عَلَى ذَوِي الْأَرْحَامِ، وَالْأَيْرُثُ مَعَ الْبِنْتِ أَخٍ وَلَا أُخْتٍ وَلَا عَمٍّ وَلَا جَدٍّ وَلَا ابْنَ أَخٍ وَلَا ابْنَ عَمَّةٍ^(b)، وَلَا يَرِثُ مَعَ الْوَالِدِ الذَّكَرُ أَوْ الْأُنْثَى إِلَّا الزَّوْجُ أَوْ الزَّوْجَةُ وَالْأَبْوَانُ وَالْجَدَّةُ، وَلَا يَرِثُ مَعَ الْأُمِّ إِلَّا مَنْ يَرِثُ مَعَ الْوَالِدِ^٢.

وَخَاطَبَ أَبُو الطَّاهِرِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ قَاضِيَ مِصْرَ الْقَائِدِ جَوْهَرًا فِي بِنْتِ وَأَخٍ، وَأَنَّهُ كَانَ حَكَمَ قَدِيمًا لِلْبِنْتِ بِالنِّصْفِ، وَلِلْأَخِ بِالْبَاقِي. فَقَالَ: لَا أَفْعَلُ. فَلَمَّا أَلْحَ عَلَيْهِ، قَالَ: يَا قَاضِي، هَذَا عِدَاوَةٌ لِفَاطِمَةَ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - فَأَمْسَكَ أَبُو الطَّاهِرِ، وَلَمْ يُرَاجِعْهُ بَعْدُ فِي ذَلِكَ^٣.

وَصَارَ صَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ وَالْفِطْرُ عَلَى حِسَابِ لَهُمْ. فَأَشَارَ الشُّهُودُ عَلَى الْقَاضِيِ أَبِي الطَّاهِرِ أَلَّا يَطْلُبَ الْهِلَالَ، لِأَنَّ الصَّوْمَ وَالْفِطْرَ عَلَى الرَّؤْيِيَةِ قَدْ زَالَ. فَانْقَطَعَ طَلَبُ الْهِلَالِ مِنْ مِصْرَ، وَصَامَ الْقَاضِيُ وَغَيْرُهُ مَعَ الْقَائِدِ جَوْهَرَ كَمَا يَصُومُ، وَأَفْطَرُوا كَمَا يُفْطِرُ^٤.

(a) بولاق: عروة. (b) بولاق: عم.

المقريري: اتعاظ الحنفا ٢: ١٣٢.

١ عن نظام الميراث عند الفاطميين راجع، القاضي

النعمان: دعائم الإسلام ٢: ٣٧٩-٣٨٠؛ المقريري: اتعاظ

الحنفا ٣: ٨٩؛ Fyze, A.A.A., «The Fatimid Law of

٢ عن نظام الميراث عند الفاطميين راجع، القاضي

النعمان: دعائم الإسلام ٢: ٣٧٩-٣٨٠؛ المقريري: اتعاظ

الحنفا ٣: ٨٩؛ Fyze, A.A.A., «The Fatimid Law of

٣ قارن، ابن حجر: رفع الإصر ١٩٩-٢٠٠.

٤ المقريري: اتعاظ الحنفا ١: ١١٦، المقفى الكبير =

ولمَّا دَخَلَ الْمُعْزُّ لَدِينِ اللَّهِ إِلَى مِصْرَ ، وَنَزَلَ بِقَصْرِهِ مِنَ الْقَاهِرَةِ الْمُعْزِّيَّةِ ، أَمَرَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، فَكُتِبَ عَلَى سَائِرِ الْأَمَاكِينِ بِمَدِينَةِ مِصْرَ « خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ / أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ »^١ .

٣٤١:٢

وَفِي صَفَرِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، حَضَرَ^(a) عَلِيُّ بْنُ النُّعْمَانَ الْقَاضِي بِجَامِعِ الْقَاهِرَةِ - الْمَعْرُوفِ بِالْجَامِعِ الْأَزْهَرِ - وَأَمَلَى مُخْتَصَرَ أَبِيهِ فِي الْفِقْهِ عَنِ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَيُعْرَفُ هَذَا الْمُخْتَصَرُ بِـ « الْاِقْتِصَارِ » ، وَكَانَ جَمْعًا عَظِيمًا ، وَأَثَبَتْ أَسْمَاءُ الْحَاضِرِينَ^٢ .

وَلَمَّا تَوَلَّى يَعْقُوبُ بْنُ كِلْسِ الْوَزَارَةَ لِلْعَزِيزِ بِاللَّهِ نِزَارُ بْنُ الْمُعْزِّ ، رَتَّبَ فِي دَارِهِ الْعُلَمَاءَ مِنَ الْأَدْبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ ، وَأَجْرَى لَجَمِيعِهِمُ الْأَرْزَاقَ ، وَأَلَّفَ كِتَابًا فِي الْفِقْهِ ، وَنَصَبَ لَهُ مَجْلِسًا - وَهُوَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ - يَجْتَمِعُ فِيهِ الْفُقَهَاءُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَأَهْلُ الْجَدَلِ ، وَيُجْرَى^(b) بَيْنَهُمُ الْمَنَاطِرَاتُ^٣ .

وَكَانَ يَجْلِسُ أَيْضًا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، فَيَقْرَأُ مُصَنَّفَاتِهِ عَلَى النَّاسِ بِنَفْسِهِ ، وَيَحْضُرُ عِنْدَهُ الْقَضَاةُ وَالْفُقَهَاءُ وَالْقُرَّاءُ وَالنُّحَاةُ وَأَصْحَابُ الْحَدِيثِ ، وَوُجُوهُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالشُّهُودِ ، فَإِذَا انْقَضَى الْمَجْلِسُ مِنَ الْقِرَاءَةِ ، قَامَ الشُّعْرَاءُ لِإِنْشَادِ مَدَائِحِهِمْ فِيهِ ، وَجَعَلَ لِلْفُقَهَاءِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْأَطْعَمَةَ^٤ .

وَأَلَّفَ كِتَابًا فِي الْفِقْهِ يَتَضَمَّنُ مَا سَمِعَهُ مِنَ الْمُعْزِّ لَدِينِ اللَّهِ وَمِنْ ابْنِهِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ ، وَهُوَ مُبَوَّبٌ عَلَى أَبْوَابِ الْفِقْهِ^٥ ، يَكُونُ قَدْرُهُ مِثْلَ نِصْفِ « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » مَلَكَتُهُ وَوَقَفَتْ عَلَيْهِ ، وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى فِقْهِ الطَّائِفَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ . وَكَانَ يَجْلِسُ لِقِرَاءَةِ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى النَّاسِ بِنَفْسِهِ ، وَيَبَيِّنُ يَدِيهِ خَوَاصَّ النَّاسِ وَعَوَامَّهُمْ ، وَسَائِرُ الْفُقَهَاءِ وَالْقَضَاةُ وَالْأَدْبَاءُ وَأَفْتَى النَّاسَ بِهِ ، وَدَرَسُوا فِيهِ بِالْجَامِعِ الْعَتِيقِ .

وَأَجْرَى الْعَزِيزُ بِاللَّهِ لَجَمَاعَةٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ ، يَحْضُرُونَ مَجْلِسَ الْوَزِيرِ وَيُلَازِمُونَهُ ، أَرْزَاقًا تَكْفِيهِمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، وَأَمَرَ لَهُمْ بِنَاءِ دَارٍ إِلَى جَانِبِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ تَحَلَّقُوا فِيهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ إِلَى أَنْ تُصَلَّى صَلَاةُ الْعَصْرِ . وَكَانَ لَهُمْ مِنْ مَالِ الْوَزِيرِ أَيْضًا صِلَةٌ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، وَعِدَّتُهُمْ^٦ .

(a) بولاق : جلس . (b) بولاق : تجرى .

وصدّر عن المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق سنة ١٩٥٧ .

= ٣ : ١٠١ ؛ وفيما تقدم ٢ : ٢٨٧ .

^٣ فيما تقدم ٣ : ١٦ .

^١ المقرئزي : اتعاظ الحنفا ١ : ١٣٥ .

^٥ فيما تقدم ٣ : ١٧ .

^٤ فيما تقدم ٣ : ١٦ .

^٢ نفسه ١ : ٢٢٧ . وكتاب « الاقتصار » ، نشره د. ميرزا ،

خمسة وثلاثون رجلاً ، ونخلع عليهم العزيرُ بالله في يوم عيد الفِطْرِ ، و حملهم على بغال^١ .
وفي سنة اثنتين وسبعين وثلاث مائة ، أمر العزيرُ بن المعزِّ بقطع صلاة التراويح من جميع البلاد
المصرية .

وفي سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة ضربَ رجلٌ بمصر وطيف به المدينة ، من أجل أنه وجدَ
عنده « كتابُ الموطأ » لمالك بن أنس - رحمه الله^٢ .

وفي شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وثلاث مائة ، جلس القاضي محمد بن النعمان على
كرسي بالقصر في القاهرة لقراءة علوم أهل البيت على الرسم المتقدم له ولأخيه بمصر ولأبيه
بالمغرب ، فمات في الزحمة أحد عشر رجلاً^٣ .

وفي جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وثلاث مائة ، قبض على رجلٍ من أهل الشام سُئِلَ
عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقال : لا أعرفه . فاعتقله قاضي القضاة

الحسن بن محمد^٤ بن النعمان ، قاضي أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله على القاهرة المعزية ومصر
والشامات والحرمين والمغرب ، وبعث إليه وهو في السجن أربعة من الشهود وسأله ، فأقره بالنبي
ﷺ وأنه نبي مُرسَل ، وسُئِلَ عن علي بن أبي طالب فقال : لا أعرفه . فأمر قائد القواد الحسين ابن
جواهر بإحضاره ، فخلا به ورفق في القول له ، فلم يرجع عن إنكاره معرفة علي بن أبي طالب .
فطوى الحاكم بأمره ، فأمر بضرب عنقه ، ف ضربَ عنقه و صلب^٥ .

وفي سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة ، قبض على ثلاثة عشر رجلاً ، وضربوا وشهروا على
الجمال وحبسوا ثلاثة أيام من أجل أنهم صلوا صلاة الضحى .

وفي محرم^٦ سنة خمس وتسعين وثلاث مائة ، قُرئ سجلٌ في الجوامع بمصر والقاهرة
والجزيرة : بأن تلبس النصارى واليهود الغيار والزنار ، وغيارهم السواد غيار العاصين العباسيين ،
وأن يشدوا الزنار . وفيه قذع^٧ (b) وفحش في حق أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما^٨ .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : وقوع .

^٤ نفسه ٢ : ٣٩ .

^٥ نفسه ٢ : ٥٣ .

^١ فيما تقدم ٩٥ .

^٢ المقرئ : اتعاظ الحنفا ١ : ٢٧٣ .

^٣ نفسه ١ : ٢٨٥ ، وفيما تقدم ٢ : ٣٠٥ .

وقرئ سجل آخر فيه منع الناس من أكل الملوخية المحببة كانت لمعاوية بن أبي سفيان ، ومنعهم من أكل البقلة المسماة بالجزجير المنسوبة لعائشة - رضي الله عنها ، ومن المتوكلة المنسوبة إلى المتوكل ، والمنع من عجين الخبز بالرجل ، والمنع من أكل الدليس ، ومن ذبح البقر إلا إذا عاهة - ما عدا أيام النحر فإنه يُذبح فيها البقر فقط - والوعيد للنخاسين متى باعوا عبداً أو أمةً لذمي .
 ٥ وقرئ سجل آخر بأن يؤذن بصلاة^(a) الظهر في أول الساعة السابعة ، ويؤذن بصلاة^(b) العصر في أول الساعة التاسعة^١ .

وقرئ أيضاً سجل بالمنع من عمل الفقاع ويتبعه في الأشواق ، لما يؤثر عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - من كراهية شرب الفقاع ، وضرب في الطرقات والأشواق بالحرس^(b) ، وتودي ألا يدخل الحمام أحد إلا بمئزر ، ولا تكشف امرأة وجهها في طريق ولا خلف جنازة ولا تتبرج ، ولا يباع شيء من السمك بغير قشر ، ولا يضطاده أحد من الصيادين . وقبض على جماعة
 ١٠ وجدوا في الحمام بغير مئزر ، فضربوا وشهروا^٢ .

وكتب في صفر من هذه السنة على سائر المساجد وعلى الجامع العتيق بمصر من ظاهره وباطنه من جميع جوانبه ، وعلى أبواب الحوانيت والحجر ، وعلى المقابر والصخرات ، سب السلف ولعنهم ، ونقش ذلك ولون بالأصباغ والذهب ، وعمل ذلك على أبواب الدور والقياسير ، وأكره
 ١٥ الناس على ذلك .

وتسارع الناس إلى الدخول في الدعوة ، فجلس لهم قاضي القضاة عبد العزيز بن محمد ابن
 ٣٤٢:٢ الثعمان ، فقدموا من سائر النواحي والضياح . فكان للرجال يوم الأحد ، وللنساء يوم الأربعاء ، وللأشراف وذوي الأقدار يوم الثلاثاء . وازدحم الناس على الدخول في الدعوة فمات عدة من الرجال والنساء .

ولما وصلت قافلة الحاج ، مرّ بهم من سب العامة وبطشهم ما لا يوصف . فإنهم أرادوا حمل
 ٢٠ الحاج على سب السلف فأبوا ، فحلّ بهم مكروه شديد^٣ .

(a) بولاق : لصلاة . (b) بولاق : الحرس .

^٣ نفسه ٢ : ٥٤ .

^١ المقرئ : اتعاط الحنفا ٢ : ٥٣ .

^٢ نفسه ٢ : ٥٣ - ٥٤ .

وفي جمادى الآخرة من هذه السنة، فُتِحَتْ « دَارُ الْحِكْمَةِ بِالْقَاهِرَةِ »، وَجَلَسَ فِيهَا الْقُرَاءُ، وَحُمِلَتْ الْكُتُبُ إِلَيْهَا مِنْ خَزَائِنِ الْقُصُورِ، وَدَخَلَ النَّاسُ إِلَيْهَا، وَجَلَسَ فِيهَا الْقُرَاءُ وَالْفُقَهَاءُ وَالْمُنْتَجِمُونَ وَالنُّحَاةُ وَأَصْحَابُ اللُّغَةِ وَالْأَطِبَّاءُ، وَحَصَلَ فِيهَا مِنَ الْكُتُبِ فِي سَائِرِ الْعُلُومِ مَا لَمْ يُرْ مِثْلَهُ مُجْتَمِعًا، وَأُجْرِيَ عَلَى مَنْ فِيهَا مِنَ الْخُدَّامِ وَالْفُقَهَاءِ الْأَرْزَاقِ السَّنِيَّةِ، وَجُعِلَ فِيهَا مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالْأَقْلَامِ وَالْمَحَابِرِ وَالْوَرَقِ^١.

وفي يوم عاشوراء سنة ست وتسعين وثلاث مائة، كان من اجْتِمَاعِ النَّاسِ مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ، وَأُعْلِنَ بِسَبِّ السَّلَفِ فِيهِ. فَقَبِضَ عَلَى رَجُلٍ تُودِي عَلَيْهِ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ سَبَّ عَائِشَةَ وَزَوْجَهَا ﷺ، وَمَعَهُ مِنَ الرَّعَاعِ مَا لَا يَقَعُ عَلَيْهِ حَضْرًا، وَهُمْ يَسُبُّونَ السَّلَفَ، فَلَمَّا تَمَّ النَّدَاءُ عَلَيْهِ ضُرِبَ عُنُقُهُ^٢.

وَاسْتَهَلَ شَهْرُ رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، فَخَرَجَ أَمْرُ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَنْ يُورَخَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ^٣.

وفي سنة سبع وتسعين وثلاث مائة، قُبِضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِمَّنْ يَعْمَلُ الْفُقَاعَ، وَمِنَ السَّمَّاكِينَ وَمِنَ الطُّبَّاحِينَ. وَكُتِبَتْ الْحَمَامَاتُ فَأُخِذَ عِدَّةٌ مِمَّنْ وَجِدَ بغيرِ مِئْزَرٍ، فَضُرِبَ الْجَمِيعُ لِمُخَالَفَتِهِمُ الْأَمْرَ، وَشَهِرُوا^٤.

وفي تاسع ربيع الآخر، أَمَرَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ بِمَحْوِ مَا كُتِبَ عَلَى الْمَسَاجِدِ وَغَيْرِهَا مِنْ سَبِّ السَّلَفِ، وَطَافَ مُتَوَلِّي الشُّرُطَةِ وَالزَّمَّ كُلَّ أَحَدٍ بِمَحْوِ مَا كُتِبَ^(a) مِنْ ذَلِكَ.

ثُمَّ قُرِئَ سِجِلٌ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ: بِالْأَلْفِ يَحْمَلُ شَيْءٌ مِنَ التَّبِيدِ وَالْمِئْزَرِ، وَلَا يَتَّظَاهَرُ بِهِ، وَلَا بِشَيْءٍ مِنَ الْفُقَاعِ وَالذَّلِينِسِ وَالسَّمَكِ الَّذِي لَا قِشْرَ لَهُ وَالتُّرْمِيسِ الْمُعْفَنِ^(b) ^٥.

وَقُرِئَ سِجِلٌ فِي رَمَضَانَ عَلَى سَائِرِ الْمَنَابِرِ بِأَنَّهُ: يَصُومُ الصَّائِمُونَ عَلَى حِسَابِهِمْ وَيُفْطِرُونَ، وَلَا يُعَارِضُ أَهْلَ الرُّؤْيَةِ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ صَائِمُونَ وَمُفْطِرُونَ. صَلَاةُ الْخَمْسِينَ لِلَّذِينَ بِمَا^(c) جَاءَهُمْ فِيهَا

(a) بولاق: ما كتب على المساجد. (b) بولاق: العفن. (c) بولاق: صلاة الخمس الدين فيما.

^١ المقرئ: اتعاظ الحنفا ٢: ٥٦؛ وفيما تقدم ٢: ٥٠٢ -

^٣ نفسه ٢: ٦٧.

^٤ نفسه ٢: ٦٩.

^٥ نفسه ٢: ٧٧.

^٢ نفسه ٢: ٦٧.

يُصَلُّونَ ، وَصَلَاةُ الضُّحَى وَصَلَاةُ التَّرَاوِيحِ لَا مَانِعَ لَهُمْ مِنْهَا ، وَلَا هُمْ عَنْهَا يُدْفَعُونَ . يُحْتَمَسُ فِي التَّكْبِيرِ عَلَى الْجَنَائِزِ الْمُخْتَمَسُونَ ، وَلَا يُمْتَنَعُ مِنَ التَّرْبِيعِ عَلَيْهَا الْمُرْتَبِعُونَ . يُؤْذَنُ بِـ « حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ » الْمُؤْذِنُونَ ، وَلَا يُؤْذَى مَنْ بِهَا لَا يُؤْذَنُونَ . وَلَا يُسَبُّ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ ، وَلَا يُحْتَسَبُ عَلَى الْوَاصِفِ فِيهِمْ بِمَا وَصَفَ ، وَالْحَالِفُ مِنْهُمْ بِمَا حَلَفَ . لِكُلِّ مُسْلِمٍ مُجْتَهِدٍ فِي دِينِهِ اجْتِهَادُهُ ^(a) ، وَإِلَى اللَّهِ رَبِّهِ مَعَادُهُ ، عِنْدَهُ كِتَابُهُ وَعَلَيْهِ حِسَابُهُ ^١ .

وَفِي صَفَرٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ مِائَةٍ ، شَهْرَ جَمَاعَةَ بَعْدَمَا ضُرِبُوا بِسَبَبِ بَيْعِ الْفُقَّاعِ وَالْمُلُوحِيَّةِ وَالِدَالِينِسِ وَالتَّرْمِيسِ ^٢ .

وَفِي تَاسِعِ عَشْرِ شَهْرِ شَوَّالٍ ، أَمَرَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ بِرَفْعِ ^(b) مَا كَانَ يُؤْخَذُ مِنَ الْخُمْسِ وَالزَّكَاةِ وَالْفِطْرَةِ وَالتَّجْوِيءِ ، وَأَبْطَلَ قِرَاءَةَ مَجَالِسِ الْحِكْمَةِ فِي الْقَضْرِ ، وَأَمَرَ بِرَدِّ التَّثْوِيبِ فِي الْأَذَانِ ، وَأَذَنَ لِلنَّاسِ فِي صَلَاةِ الضُّحَى وَصَلَاةِ الْقُنُوتِ ^(c) ، وَأَمَرَ الْمُؤْذِنِينَ بِأَسْرِهِمْ فِي الْأَذَانِ بِأَلَّا يَقُولُوا : « حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ » وَأَنْ يَقُولُوا فِي الْأَذَانِ لِلْفَجْرِ « الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ » ^٣ .

ثُمَّ أَمَرَ فِي ثَانِي عَشْرِينَ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعٍ مِائَةٍ بِإِعَادَةِ قَوْلِ « حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ » فِي الْأَذَانِ ، وَقَطَعَ التَّثْوِيبَ ، وَتَرَكَ قَوْلَهُمْ : « الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ » ، وَمَنَعَ مِنَ صَلَاةِ الضُّحَى وَصَلَاةِ التَّرَاوِيحِ ، وَفَتَحَ بَابَ الدَّعْوَةِ ، وَأَعِيدَتِ قِرَاءَةُ الْمَجَالِسِ بِالْقَضْرِ عَلَى مَا كَانَتْ . وَكَانَ يَمْنَعُ مِنَ ذَلِكَ وَالْإِذْنِ فِيهِ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ ^٤ .

وَضُرِبَ فِي جُمَادَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ جَمَاعَةٌ وَشُهِرُوا بِسَبَبِ بَيْعِ الْمُلُوحِيَّةِ ، وَالسَّمَكِ الَّذِي لَا قَشْرَ لَهُ ، وَشُرِبَ الْمُسْكِرَاتِ ، وَتُبِّعَ الشُّكَارَى فَضُيِّقَ عَلَيْهِمْ ^٥ .

وَفِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ سَابِعِ عَشْرِينَ شَعْبَانَ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعٍ مِائَةٍ ، وَقَعَ قَاضِي الْقَضَاةِ مَالِكُ ابْنِ سَعِيدِ الْفَارَقِيِّ إِلَى سَائِرِ الشُّهُودِ وَالْأَمْنَاءِ ، بِخُرُوجِ الْأَمْرِ الْمُعْظَمِ بِأَنْ يَكُونَ الصُّومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَالْعِيدُ يَوْمَ الْأَحَدِ ^٦ .

(a) بولاق : واجتهاده . (b) في اتعاظ الخنفا : بإبطال . (c) بولاق : التراويح .

^١ المقرئزي : اتعاظ الخنفا ٢ : ٧٨ ، وفيما تقدم ١٤٠ .

^٢ نفسه ٢ : ٨١ .

^٣ نفسه ٢ : ٨٢ .

^٤ نفسه ٢ : ٨٦ .

^٥ نفسه ٢ : ٨٦ .

^٦ نفسه ٢ : ٨٧ .

وفي شعبان سنة اثنتين وأربع مائة، قُرئَ سِجْلٌ يُشَدِّدُ فِيهِ التَّنْكِيرَ عَلَى بَيْعِ الْمُلُوحِيَّةِ وَالْفُقَّاعِ وَالسَّمَكِ الَّذِي لَا قِشْرَ لَهُ، وَمَنَعَ النِّسَاءَ مِنَ الْاجْتِمَاعِ فِي الْمَأْتَمِ وَمِنَ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَأَحْرَقَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الزَّيْبَ الَّذِي فِي مَخَازِنِ الثُّجَارِ، وَأَحْرَقَ مَا وُجِدَ مِنَ الشُّطْرَنْجِ، وَجَمَعَ صَيَّادِي السَّمَكِ وَحَلَفَهُمْ بِالْإِيمَانِ الْمُؤَكَّدَةِ أَلَّا يَضْطَادُوا سَمَكًا بِغَيْرِ قِشْرٍ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ^١.

وَأَحْرَقَ فِي خَمْسَةِ عَشْرَ يَوْمًا أَلْفَيْنِ وَثَمَانِ مِائَةٍ وَأَرْبَعِينَ قِطْعَةً زَيْبٍ: بَلَغَ ثَمَنُ التَّفَقَّةِ عَلَيْهَا خَمْسَ مِائَةِ دِينَارٍ^(a)^٢.

وَمَنَعَ مِنَ بَيْعِ الْعِنَبِ إِلَّا أَرْبَعَةَ أَزْطَالٍ فِيهَا دُونَهَا، وَمَنَعَ مِنَ اغْتِصَارِهِ، وَطَرَحَ عِنَبًا كَثِيرًا فِي الطَّرِيقَاتِ وَأَمَرَ بِدَوْسِهِ. فَاثْتَمَعَ النَّاسُ مِنَ التَّظَاهُرِ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِنَبِ فِي الْأَشْوَاقِ، وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ فِيهِ، وَغُرِّقَ مِنْهُ مَا حُمِلَ فِي النَّيْلِ^٣.

وَأَخْصَى مَا بِالْحِيْزَةِ مِنَ الْكُرُومِ، فَقَطِطَ مَا عَلَيْهَا مِنَ الْعِنَبِ، وَطَرَحَ بِأَجْمَعِهِ^(b) تَحْتَ أَزْجَلِ الْبَقَرِ لِتَدْوِسَهُ، وَقُعِلَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي جِهَاتٍ كَثِيرَةٍ^٤.

وُحْتِمَ عَلَى مَخَازِنِ الْعَسَلِ، وَغُرِّقَ مِنْهُ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ / خَمْسَةَ آلَافِ جِرَّةٍ وَإِحْدَى وَخَمْسِينَ جِرَّةً فِيهَا الْعَسَلُ، وَغُرِّقَ مِنْ عَسَلِ النَّحْلِ قَنْدَرٌ إِحْدَى وَخَمْسِينَ زَيْرًا^٥.

وَفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ، اشْتَدَّ الْإِنْكَارُ عَلَى النَّاسِ بِسَبَبِ بَيْعِ الْفُقَّاعِ وَالزَّيْبِ وَالسَّمَكِ الَّذِي لَا قِشْرَ لَهُ، وَقُبِضَ عَلَى جَمَاعَةٍ وَجِدَ عِنْدَهُمْ زَيْبٌ فَضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ وَسُجِنَتْ عِدَّةٌ مِنْهُمْ وَأُطْلِقُوا^٦.

وَفِي شَوَّالٍ اغْتَقِلَ رَجُلٌ، ثُمَّ شَهَرَ وَنُودِيَ عَلَيْهِ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ سَبَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَيُثِيرُ الْفِتْنَ. فَاجْتَمَعَ خَلْقٌ كَثِيرٌ بِيَابِ الْقَصْرِ، فَاسْتَعَاثُوا: لَا طَاقَةَ لَنَا بِمُخَالَفَةِ الْمَصْرِيِّينَ، وَلَا بِمُخَالَفَةِ الْحَشَوِيَّةِ مِنَ الْعَوَامِّ، وَلَا صَبْرَ لَنَا عَلَى مَا جَرَى، وَكَتَبُوا قِصَصًا. فَضَرْفُوا، وَوَعِدُوا بِالْمَجِيءِ فِي

(a) فِي اتِّعَازِ الْخِنْفَا: خَمْسَةُ آلَافِ دِينَارٍ. (b) بَوْلَاقٍ: مَا جَمَعَهُ مِنْ ذَلِكَ.

^٤ نَفْسُهُ ٢: ٩١.

^٥ نَفْسُهُ ٢: ٩٣.

^٦ نَفْسُهُ ٢: ٩٥.

^١ الْمَقْرِيْزِيُّ: اتِّعَازِ الْخِنْفَا ٢: ٩٠.

^٢ نَفْسُهُ ٢: ٩٠.

^٣ نَفْسُهُ ٢: ٩١.

عَد . فبات كثيرٌ منهم بباب القصر ، واجتمعوا من الغد فصاحوا وضجوا . فخرج إليهم قائد القواد عَيْنٌ^(a) فنهاهم ، وأمرهم عن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أن يمضوا إلى معاشهم . فأنصرفوا إلى قاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقي وشكوا إليه ، فتبرم من ذلك ، فمضوا وفيهم من يسب السلف ، ويعرض بالناس . فقرأ سجل في القصر بالترحم على السلف من الصحابة ، والنهي عن الخوض في ذلك . وركب مرةً فرأى لَوْحًا على قيسارية فيه سب السلف ، فأنكره ، وما زال واقفًا حتى قلع ، وضرب بالجزس^(b) في سائر طُرقات مصر والقاهرة .

وقرئ سجل بتبع الألواح المنصوبة على سائر أبواب القياسر والحوانيت والدور والخانات والأرباع ، المشتملة على ذكر الصحابة والسلف الصالح - رحمهم الله - بالسب واللعن ، وقلع ذلك وكسره وتقفية أثره ، ومحو ما على الحيطان من هذه الكتابة ، وإزالة جميعها من سائر الجهات حتى لا يرى لها أثر في جدار ولا نقش في لوح ، وحذر فيه من المخالفة ، وهدد بالعقوبة . ثم انتقص ذلك كله ، وعاد الأمر إلى ما كان عليه .^١

إلى أن قتل الخليفة الأمير بأحكام الله أبو علي منصور بن المستعلي بالله أبي القاسم أحمد ابن المستنصر بالله أبي تميم معد ، وثار أبو علي أحمد الملقب كتيفات - بن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش ، واستولى على الوزارة في سنة أربع وعشرين وخمس مائة وسجن الحافظ لدين الله أبا الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسم محمد ابن الخليفة المستنصر بالله ، وأعلن بمذهب الإمامية ، والدعوة للإمام المنتظر ، وضرب دراهم نقشها « الله الصمد . الإمام محمد »^٢ .

ورتب في سنة خمس وعشرين أربعة قضاة : اثنان : أحدهما إمامي والآخر إسماعيلي ، واثنان : أحدهما مالكي والآخر شافعي ، فحكّم كل منهما بمذهبه ، وورث على مقتضاه ، وأسقط ذكر إسماعيل بن جعفر الصادق ، وأبطل من الأذان « حي على خير العمل » وقولهم : « محمد وعلي خير البشر »^٣ . فلما قتل في المحرم سنة ست وعشرين ، عاد الأمر إلى ما كان عليه من مذهب الإسماعيلية .

(a) بولاق : عين . (b) بولاق : الحرس .

^١ المقرئزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٩٨ .
^٢ ابن ميسر : أخبار مصر ١١٥ - ١١٦ ؛ النويري : نهاية
 انظر فيما تقدم ٢ : ٣٤٩ ، وهذا المجلد ٢٠١ ؛ الأرب ٢٨ : ٢٩٧ ، المقرئزي : المقفى الكبير ١ : ٣٩٧ ،
 المقرئزي : اتعاظ الحنفا ٣ : ١٤٠ - ١٤١ .
 ٣٩٥ ، اتعاظ الحنفا ٣ : ١٤٢ ، ١٤٣ ؛ ابن حجر : رفع =

وما برح حتى قَدِمَت عَسَاكِرُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ نُورِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ زَنْكِي مِنْ دِمَشْقٍ عَلَيْهَا أَسَدُ الدِّينِ شَيْزُكُوهُ، وَوَلِيَّ وَزَارَةَ مِصْرَ لِلْخَلِيفَةِ الْعَاضِدِ لِدِينِ اللَّهِ أَبِي مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْأَمِيرِ يُوسُفَ ابْنِ الْحَافِظِ لِدِينِ اللَّهِ، وَمَاتَ . فَقَامَ فِي الْوَزَارَةِ بَعْدَهُ ابْنُ أُخِيهِ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسَ مِائَةَ، وَشَرَعَ فِي تَغْيِيرِ الدُّوَلَةِ وَإِزَالَتِهَا، وَحَجَرَ عَلَى الْعَاضِدِ، وَأَوْقَعَ بِأَمْرٍ الدُّوَلَةَ وَعَسَاكِرَهَا، وَأَنْشَأَ بِمَدِينَةِ مِصْرَ مَدْرَسَةً لِلْفُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ وَمَدْرَسَةً لِلْفُقَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ، وَصَرَفَ قُضَاةَ مِصْرَ الشِّيْعَةَ كُلَّهُمْ، وَفَوَّضَ الْقَضَاءَ لَصَدْرِ الدِّينِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ دِرْبَاسِ الْمَارَانِيِّ الشَّافِعِيِّ^١، فَلَمْ يَسْتَنْبِ عَنْهُ فِي إِقْلِيمِ مِصْرَ إِلَّا مَنْ كَانَ شَافِعِيًّا الْمَذْهَبِ . فَتَظَاهَرَ النَّاسُ مِنْ حَيْثُذِ بِمَذْهَبِي^(a) مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ، وَاخْتَفَى مَذْهَبُ الشِّيْعَةِ وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَالْإِمَامِيَّةِ حَتَّى فُقِدَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ^(b) .

وَكذَلِكَ كَانَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْعَادِلُ نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمَادِ الدِّينِ زَنْكِي بْنِ آقِ سُنْقُرٍ حَتْفِيًّا فِيهِ تَعَصَّبَ . فَنَشَرَ مَذْهَبَ أَبِي حَنِيفَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِبِلَادِ الشَّامِ، وَمِنْهُ كَثُرَتِ الْحَنْفِيَّةُ بِمِصْرَ، وَقَدِمَ إِلَيْهَا أَيْضًا عِدَّةٌ مِنْ بِلَادِ الشَّرْقِ، وَبَنَى لَهُمُ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفَ بْنُ أَيُّوبَ «الْمَدْرَسَةَ الشِّيْوْفِيَّةَ» بِالْقَاهِرَةِ^٢، وَمَا زَالَ مَذْهَبُهُمْ يَنْتَشِرُ وَيَقْوَى، وَفُقَهَاؤُهُمْ تَكْثُرُ بِمِصْرَ وَالشَّامِ مِنْ حَيْثُذِ .

وَأَمَّا «الْعَقَائِدُ» فَإِنَّ السُّلْطَانَ صَلَاحَ الدِّينِ حَمَلَ الْكَافَّةَ عَلَى عَقِيدَةِ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ ابْنِ إِسْمَاعِيلِ الْأَشْعَرِيِّ، تَلْمِيزًا لِأَبِي عَلِيِّ الْجُبَّائِيِّ^٤، وَشَرَطَ ذَلِكَ فِي أَوْقَافِهِ الَّتِي بَدِيَارَ مِصْرَ:

(a) بولاق: مجذهب. (b) بولاق: من أرض مصر كلها.

٧: ٤٤٧، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١: ٤٧٤-٤٧٦؛
المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٣١٩، السلوك ١: ١٧٠؛ ابن
حجر: رفع الإصر ٢٥٢-٢٥٤؛ أبو المحاسن: النجوم
الزاهرة ٥: ٣٨٥-٣٨٦؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/
٢٣٣.

٢ فيما تقدم ٢: ٢٠٥.

٣ فيما يلي ٤٦٠-٤٦١.

٤ انظر فيما يلي ٤٣٩-٤٤٦.

الإصر ١٦٢؛ Allouche, A., «The Establishment of Four Chief Judgeships in Fatimid Egypt», *JAOS* 105 (1985), pp. 317-20 وانظر فيما تقدم ٢٠١
تقرير الظاهر بيبس لأربعة قضاة على المذاهب الشيعية الأربعة
سنة ١٢٦٥/٥٦٦٦م.

١ أبو شامة: الروضتين ١: ٤٨٦؛ المنذري: التكملة
لوفيات النقلة ٢: ١٥٦؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان
٣: ٢٤٢-٢٤٣؛ ابن واصل: مفرج الكروب ١: ١٩٨؛
النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٣٦٤؛ ابن أيبك: كنز الدرر

كالمدرسة الناصرية بجوار قبر الإمام الشافعي من القرافة، والمدرسة الناصرية التي عُرفت بالشريفة بجوار جامع عمرو بن العاص بمصر، والمدرسة المعروفة بالقمحية بمصر، وخانكاه سعيد الشعداء بالقاهرة^١.

فاستمر الحال على « عقيدة الأشعري » بديار مصر وبلاد الشام وأرض الحجاز واليمن، وبلاد المغرب أيضا لإذخال محمد بن تومرت رأي الأشعري إليها. حتى إنه صار هذا الاعتقاد بسائر هذه البلاد، بحيث إن من خالفه ضرب عنقه، والأمر على ذلك إلى اليوم.

ولم يكن في الدولة الأيوبية بمصر كثير ذكر لمذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل، ثم اشتهر مذهب أبي حنيفة وأحمد ابن حنبل في آخرها.

فلما كانت / سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقداري، ولي بمصر والقاهرة أربعة قضاة وهم شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي^٢. فاستمر ذلك من سنة خمس وستين وست مائة، حتى لم يبق في مجموع أمصار الإسلام مذهب يُعرف من مذاهب أهل الإسلام سوى هذه المذاهب الأربعة وعقيدة الأشعري.

وعملت لأهلها المدارس والخوانك والزوايا والربط في سائر ممالك الإسلام، وعودي من تمذهب بغيرها وأنكر عليه. ولم يؤل قاض، ولا قبلت شهادة أحد، ولا قدم للخطابة والإمامة والتدريس أحد، ما لم يكن مقلدا لأحد هذه المذاهب. وأفتى فقهاء هذه الأمصار في طول هذه المدة بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ما عداها؛ والعمل على هذا إلى اليوم.



وإذ قد بينا الحال في سبب اختلاف الأمة منذ توفي رسول الله ﷺ، إلى أن استقر العمل على مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل - رحمة الله عليهم - فلنذكر اختلاف عقائد أهل الإسلام منذ كان، إلى أن التزم الناس عقيدة الشيخ أبي الحسن الأشعري، رحمه الله ورَضِي عنه.

^٢ انظر فيما تقدم ٢٠١.

^١ فيما يلي ٤٥٤، ٤٥٥، ٦٣١، ٧٢٧.

ذِكْرُ فِرْقِ الْخَلِيقَةِ وَاخْتِلَافِ عَقَائِدِهَا وَتَبَايُهِهَا

اعْلَمَ أَنَّ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِي أُصُولِ الدِّيَانَاتِ قِسْمَانِ ، هُمَا : مَنْ خَالَفَ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ ، وَمَنْ أَقْرَبَ بِهَا .

فَأَمَّا « الْمُخَالِفُونَ لِمِلَّةِ الْإِسْلَامِ » فَهَمُ عَشْرُ طَوَائِفٍ :

الأولى : الدَّهْرِيَّةُ .

والثَّانِيَّةُ : أَصْحَابُ الْعَنَاصِرِ .

والثَّالِثَةُ : الشَّنَوِيَّةُ وَهَمُ الْمَجُوسُ ، وَيَقُولُونَ بِأَصْلَيْنِ هُمَا النُّورُ وَالظُّلْمَةُ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ النُّورَ هُوَ يَزْدَادُ وَالظُّلْمَةَ هُوَ أَهْرَمُنْ ، وَيَقْرَءُونَ بِنُبُوَّةِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَهَمُ ثَمَانِ فِرْقٍ :

« الْكِيَوْمَرِيَّةُ » أَصْحَابُ كِيَوْمَرْتِ الَّذِي يُقَالُ إِنَّهُ آدَمُ . وَ« الزَّرَوَانِيَّةُ » أَصْحَابُ زَرَوَانَ الْكَبِيرِ .

وَ« الزَّرَادِشْتِيَّةُ » أَصْحَابُ زَرَادِشْتِ بْنِ بِيورَسْتِ الْحَكِيمِ . وَ« الشَّنَوِيَّةُ » أَصْحَابُ الْاِثْنَيْنِ الْأَزْلِيِّينِ .

وَ« الْمَانَوِيَّةُ » أَصْحَابُ مَانِي الْحَكِيمِ . وَ« الْمَزْدَكِيَّةُ » أَصْحَابُ مَزْدَكِ^(a) الْخَارِجِيِّ . وَ« الدَّيْصَانِيَّةُ »

أَصْحَابُ دَيْصَانَ^(b) الْقَائِلِ بِالْأَصْلَيْنِ الْقَدِيمَيْنِ . وَ« الْقَرْقُونِيَّةُ » الْقَائِلُونَ بِالْأَصْلَيْنِ ، وَأَنَّ الشَّرَّ خَرَجَ

عَلَى أَبِيهِ ، وَأَنَّهُ تَوَلَّدَ مِنْ فِكْرَةٍ فَكَّرَهَا فِي نَفْسِهِ ، فَلَمَّا خَرَجَ عَلَى أَبِيهِ - الَّذِي هُوَ الْإِلَهَ بِزَعْمِهِمْ -

عَجَزَ عَنْهُ ، ثُمَّ وَقَعَ الصُّلْحُ بَيْنَهُمَا عَلَى يَدِ الثُّدَمَانَ وَهَمُ الْمَلَائِكَةُ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ بِالتَّنَاسُخِ ،

وَمِنْهُمْ مَنْ يُنْكِرُ الشَّرَائِعَ وَالْأَنْبِيَاءَ ، وَيُحْكَمُونَ الْعُقُولَ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ النُّفُوسَ الْعُلُويَّةَ تُفِيضُ عَلَيْهِمْ

الْفَضَائِلَ .

وَالطَّائِفَةُ الرَّابِعَةُ : الطَّبَائِعِيُّونَ .

وَالطَّائِفَةُ الْخَامِسَةُ : « الصَّابِغَةُ » الْقَائِلُونَ بِالْهَيْكَلِ وَالْأَرْبَابِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَصْنَامِ الْأَرْضِيَّةِ وَإِنْكَارِ

النُّبُوتِ ، وَهَمُ أَصْنَافٌ ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحَقِّقَاءِ مُنَاطَرَاتٌ وَمُحْرُوبٌ مُهْلِكَةٌ ، وَتَوَلَّدَتْ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ

الْحِكْمَةُ الْمَلَطِيَّةُ ، وَمِنْهُمْ أَصْحَابُ الرُّوحَانِيَّاتِ ، وَهَمُ عِبَادُ الْكَوَاكِبِ وَأَصْنََامِهَا الَّتِي عَمِلَتْ عَلَى

تَمَثُّلِهَا^١ .

(a) بولاق : مزرك والمزركية . (b) جميع النسخ : البيصانية ... بيصان ، وهو خطأ .

^١ راجع عن الصَّابِغَةِ ، Fahd, T., *El² art. al-Sâbi'a VIII*, pp. 694-98 وما ذكر من مراجع .

« والحُنفَاءُ » هم القائلون بأنَّ الرُّوحانيات منها ما وُجودُها بالقُوَّة ، ومنها ما وُجودُها بالفعل ، فما هو بالقُوَّة يَحْتَاجُ إلى مَنْ يُوجِدُه بالفعل ، ويُقَرُّون بنبوَّة إبراهيم وأَنَّهُ مِنْهُمْ ^١ . وهم طوائِفُ : « الكاظمَة » أصحابُ كاظمِ بنِ تَارِح ، ومن قولِه : إنَّ الحَقَّ في الجَمْعِ بين شَرِيعَةِ إِدْرِيسَ وشَرِيعَةِ نُوحَ وشَرِيعَةِ إِبراهيمَ - عليهمُ السَّلَامُ . ومنهم « البِيدَانِيَّة » أصحابُ بَيْدَانَ الأَصْغَر ، ومن قولِه : اِعْتِقَادُ نُبوَّةِ مَنْ يَفْهَمُ عَالَمَ الرُّوحِ ، وَأَنَّ النُّبوَّةَ من أَسْرَارِ الإلهية . ومنهم « القُنْطَارِيَّة » أصحابُ قُنْطَارِ بنِ أَرْفَخْشَد ، ويُقَرُّ بنبوَّةِ نُوحِ .

ومن فِرْقِ الصَّابِغَةِ « أصحابُ الهياكل » ، وَيَرَوْنَ أَنَّ الشَّمْسَ إلهَ كُلِّ إله . و « الحَرَائِيَّة » ومن قولِهِم : المَعْبُودُ وَاحِدٌ بِالذَّاتِ ، وَكَثِيرٌ بِالأَشْخَاصِ فِي رَأْيِ العَيْنِ ، وَهِيَ : المَذَبُّرَاتُ السَّبْعُ مِنَ الكَوَاكِبِ ، والأَرْضِيَّةِ الجَزْئِيَّةِ ، وَالعَالِمَةِ الفَاضِلَةِ .

وَالطَّائِفَةُ السَّادِسَةُ : اليَهُودُ .

وَالسَّابِعَةُ : النُّصَارَى .

وَالثَّامِنَةُ : أَهْلُ الهِنْدِ القَائِلُونَ بِعِبَادَةِ الأَصْنَامِ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا مَوْضُوعَةٌ قَبْلَ آدَمَ . وَلَهُمْ حِكْمٌ عَقْلِيَّةٌ وَأَحْكَامٌ وَضَعَهَا السَّلْمُ أَعْظَمَ حُكْمِهِمْ ، وَالْمُهَنْدَمَ قَبْلَهُ ، وَالبَرَاهِمَةَ قَبْلَ ذَلِكَ ؛ فَالبَرَاهِمَةُ أَصْحَابُ بَرَهَامِ أَوَّلَ مَنْ أَنْكَرَ نُبوَّةَ البَشَرِ ^٢ .

١٥ ومنهم « البَرْدَةُ » : زُهَّادٌ عُبَّادٌ رَجَالُ الرُّمَادِ الَّذِينَ يَهْجُرُونَ اللَّدَاتِ الطَّبِيعِيَّةَ ، وَأَصْحَابُ الرِّيَاضَةِ الثَّامَّةِ ، وَأَصْحَابُ التَّنَاسُخِ . وَهَمُ أَقْسَامُ : أَصْحَابُ الرُّوحَانِيَّاتِ ^(a) ، وَالتَّهَادِرِيَّةِ ، وَالتَّنَاسُوتِيَّةِ ، وَالبَاهِرِيَّةِ ، وَالكَابِلِيَّةِ أَهْلُ الجَبَلِ ، وَمِنْهُمْ الطَّبِيسِيُّونَ ، أَصْحَابُ الرِّيَاضَةِ الفَاعِلَةِ ، حَتَّى إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ حَتَّى يُسَلِّطَهَا عَلَى جَسَدِهِ ، فَيَضَعِدُ فِي الهَوَاءِ عَلَى قَدْرِ قُوَّتِهِ تَلَكَ ^(b) .

وَفِي الهُنُودِ ^(c) : عُبَّادُ النَّارِ ، وَعُبَّادُ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ وَالنُّجُومِ ، وَعُبَّادُ الأَوْثَانِ .

٢٠ وَالطَّائِفَةُ الثَّاسِعَةُ : الزَّنَادِقَةُ ، وَهَمُ طَوَائِفُ مِنْهُمْ القَرَامِطَةُ .

(a) بولاق : الروحانية . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : اليهود .

العربية في مجلة الأبحاث ١٣ (١٩٦٠) ، (٢٥-٤٢) .

^٢ راجع عن البراهمة ، البيروني : آثار البلاد ٥١ - ٥٢ ؛ Rahmân, F., *El*² art. *Barâhima* III, pp. 1062-63.

^١ راجع عن الحنفاء ، Glidden, H.W., «The Development of the Meaning of the Koranic *Hanif*», *JPOS* XIX (1939), pp. 1-3; Montgomery, Watt, W., *El*² art. *Hanif* III, pp. 169-170 (نقل إلى

والعاشرة: الفلاسيقة أصحاب الفلَسفة. وهذه الكلمة معناها مَحَبَّةُ الْحِكْمَةِ^(a)، فإن «فيلو» مُحِبٌّ، و«سوفيا» حِكْمَةٌ، والحِكْمَةُ قَوْلِيَّةٌ وَفِعْلِيَّةٌ، وَعِلْمُ الْحُكَمَاءِ انْحَصَرَ فِي أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ: الطَّبِيعِي، وَالْمَدَنِي، وَالرِّيَاضِي، وَالإِلَهِي. والمجموع ينصرف إلى: عِلْمُ مَا، وَعِلْمُ كَيْفٍ، وَعِلْمُ كَمٍّ. فالعِلْمُ الَّذِي يُطَلَّبُ فِيهِ مَا هِيَ^(b) الْأَشْيَاءُ هُوَ الإِلَهِي، وَالَّذِي يُطَلَّبُ فِيهِ كَيْفِيَّاتُ الْأَشْيَاءِ هُوَ الطَّبِيعِي، وَالَّذِي يُطَلَّبُ فِيهِ كَمِّيَّاتُ الْأَشْيَاءِ / هُوَ الرِّيَاضِي^١.

وَوَضَعَ بَعْدَ ذَلِكَ أَرِسْطُو صَنْعَةَ الْمُنْطِقِ، وَكَانَتْ بِالْقُوَّةِ فِي كَلَامِ الْقَدَمَاءِ، فَأَظْهَرَهَا فِي تَرْتِيبِهِ. وَاسْمُ الْفَلَاسِيفَةِ يُطَلَّقُ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْهِنْدِ - وَهُمْ الطَّبِيسِيونَ وَالتَّبْرَاهِمَةَ - وَلَهُمْ رِيَاضَةٌ شَدِيدَةٌ، وَيَنْكُرُونَ التُّبُوَّةَ أَصْلًا^٢. وَيُطَلَّقُ أَيْضًا عَلَى الْعَرَبِ بِوَجْهِ انْقِصَافٍ، وَحِكْمَتُهُمْ تَرْجِعُ إِلَى أَفْكَارِهِمْ وَإِلَى مُمَاطَلَةِ طَبِيعِيَّةٍ، وَيَقْرُونَ بِالتَّبَوَاتِ، وَهُمْ أَوْعَفُ النَّاسِ فِي الْعُلُومِ^٣.

وَمِنَ الْفَلَاسِيفَةِ حُكَمَاءُ الرُّومِ وَهُمْ طَبَقَاتٌ: فَمِنْهُمْ أُسَاطِينُ الْحِكْمَةِ وَهُمْ أَقَدَمُهُمْ، وَمِنْهُمْ الْمَشَاعِرُونَ، وَأَصْحَابُ الرُّوَاقِ، وَأَصْحَابُ أَرِسْطُو، وَفَلَاسِيفَةُ الْإِسْلَامِ^٤.

فَمِنَ فَلَاسِيفَةِ الرُّومِ: الْحُكَمَاءُ السَّبْعَةُ أُسَاطِينُ الْحِكْمَةِ - أَهْلُ مَلَطِيَّةٍ وَقُونِيَّةٍ - وَهُمْ: تَالِيسُ الْمَلَطِي، وَإِنْكَسَاغُورِسُ، وَإِنْكَيْسِمَانِسُ وَإِنْبَادُقْلَيْسُ، وَفِيثَاغُورِسُ، وَسُقْرَاطُ، وَأَفْلَاطُونُ. وَدُونَ هَؤُلَاءِ: فُلُوطَرُخَيْسُ، وَبُقْرَاطُ وَدِيمُقْرَاطَيْسُ، وَالشُّعْرَاءُ، وَالتُّشَابُّ^(c)^٥.

وَمِنْهُمْ حُكَمَاءُ الْأُصُولِ مِنَ الْقَدَمَاءِ، وَلَهُمُ الْقَوْلُ بِالسِّيَمَاءِ، وَلَهُمُ أَسْرَارُ الْخَوَاصِّ وَالْحَيْلِ وَالْكَيْمِيَاءِ وَالْأَسْمَاءُ الْفَعَّالَةَ وَالْحُرُوفِ، وَلَهُمُ عُلُومٌ تُوَافِقُ عُلُومَ الْهِنْدِ وَعُلُومَ الْيُونَانِيِّينَ. وَليْسَ مِنْ مَوْضُوعِ كِتَابِنَا هَذَا ذِكْرُ تَرَاجِمِهِمْ، فَلِذَلِكَ تَرَكْنَاهَا^٦.

الْقِسْمُ الثَّانِي: «فِرْقُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ» الَّذِينَ عَنَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ فِرْقَةً: اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ هَالِكَةٌ، وَوَأَحَدَةٌ نَاجِيَةٌ». وَهَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ

(a) بولاق: كلمة فيلسوف معناها مُحِبُّ الْحِكْمَةِ. (b) بولاق: ماهيات. (c) بولاق: وأسر والنساس.

^١ الشهرستاني: الملل والنحل ٢: ٦٢.

^٢ نفسه ٢: ٢٥٨.

^٣ نفسه ٢: ٢٤٢.

^٤ نفسه ٢: ٦٤.

^٥ نفسه ٢: ٦٥.

^٦ تناول هذا الموضوع بالتفصيل الشهرستاني: الملل والنحل ٢: ٦٢-١٢٧، وما أورده المقرئ هنا هو تلخيص لما ذكره الشهرستاني مَصَدَّرُ الثَّقَلِ.

وابن ماجه ، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « افترقت اليهود على إحدى (أو اثنتين وسبعين) فرقة ، وتفرقت النصارى على إحدى (أو اثنتين وسبعين) فرقة ، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة » . قال البيهقي : حسن صحيح .

وأخرج الحاكم وابن حبان في « صحيحه » بنحوه . فأخرج في « المستدرک » من طريق الفضل ابن موسى ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، وقال : هذا حديث كثير في الأصول . وقد روي عن سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، وعوف بن مالك ، عن رسول الله ﷺ . وقد احتج مسلم بمحمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، واتفقا جميعا على الاحتجاج بالفضل بن موسى ، وهو ثقة ^١ .

واعلم أن فرق المسلمين خمس : « أهل السنة » و « المرجئة » ، و « المعتزلة » ، و « الشيعة » ، و « الخوارج » . وقد افترقت كل فرقة منها على فرق : فكثر افتراق أهل السنة في الفتيا ، وتبذير يسيرة من الاعتقادات . وبقية الفرق الأربع : منها ما^(٢) يخالف أهل السنة الخلاف البعيد ، ومنها من يخالفهم الخلاف القريب .

فأقرب « فرق المرجئة » من قال : الإيمان إنما هو التصديق بالقلب واللسان معا فقط ، وإن الأعمال إنما هي فرائض الإيمان وشرائعه فقط ، وأبعدهم أصحاب جهنم بن صفوان ومحمد ابن كرام .

وأقرب « فرق المعتزلة » أصحاب الحسين النجار وبشر بن غياث المرسي ، وأبعدهم أصحاب أبي الهذيل العلاف .

وأقرب « مذاهب الشيعة » أصحاب الحسن بن صالح بن حي ، وأبعدهم الإمامية . وأما الغالية فليسا مسلمين ، ولكنهم أهل ردة وشرك .

وأقرب « فرق الخوارج » أصحاب عبد الله بن يزيد الإباضي ، وأبعدهم الأزارقة . وأما البطيخية ومن جحد شيئا من القرآن ، أو فارق الإجماع من العجاردة وغيرهم ، فكفار بإجماع الأمة . وقد انحصرت الفرق الهالكة في عشر طوائف :

(a) بولاق : من .

^١ راجع مناقشة هذا الحديث وأسانيده عند البغدادي : الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة

الفرقة الأولى

المعتزلة^١

الغلاة في نفي الصفات الإلهية ، القائلون بالعدل والتوحيد ، وأن المعارف كلها عقلية حصولا ووجوبًا قبل الشروع بعده ، وأكثرهم على أن الإمامة بالاختيار . وهم عشرون فرقة:

إحداها : « الواصليَّة » ، أصحاب واصل بن عطاء أبي حذيفة الغزالي - مؤلى بني ضبة ، وقيل مؤلى بني مخزوم - ^(a) وُلِدَ بالمدينة سنة ثمانين ، ونشأ بالبصرة ، ولقي أبا هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية ، ولازم مجلس الحسن بن أبي ^(b) الحسن ^(c) البصري ، وأكثر من الجلوس بشوق الغزالي ليُعرف النساء المتعففات ، فيصرف إليهن صدقته ، فليل له الغزالي من أجل ذلك .

وكان طويل العنق جدًا ، حتى عابه عمرو بن عبيد بذلك ، فقال : مَنْ هذه عنقه لا خير عنده . فلما برع واصل قال عمرو : رُبما أخطأت الفراسة . وكان يُلثغ بالراء ، ومع ذلك فكان فصيحًا لِسِنًا مُقْتَدِرًا على الكلام قد أخذ بجوامعِهِ ، فلذلك أمكنه أن أسقط حروف الراء من كلامه ، واجتنب الحروف صعب جدًا ، سيما ^(d) مثل الراء ؛ لكثرة استعمالها .

(a-a) هذه الفقرة حتى نهاية العلامة في الصفحة التالية ، موجودة في هامش نسختي ميونخ وآياصوفيا . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : الحسين . (d) بولاق : لاسيما .

سيد ، ومنها : «المعني في أبواب التوحيد والعدل» للقاضي عبد الجبار بن أحمد و«فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة» له أيضا ، و«مقالات الإسلاميين» لأبي القاسم البلخي ، و«شرح الأصول الخمسة» لابن مانكديم ، إضافة إلى الفصل الذي عقده ابن النديم في «الفهرست» والشهرستاني في «الميل والنحل» والأشعري في «مقالات الإسلاميين» .

ومن الدراسات الحديثة كتاب زهدي حسن جار الله : المعتزلة ، القاهرة ١٩٤٧ (الذي مازال يحتفظ ببعض قيمته) ؛ أحمد محمود صبحي : المعتزلة ، الإسكندرية - منشأة المعارف ١٩٧٥ ؛ El² Mu'tazila ، Gimaret, D., VII, pp. 785-95 ، وما ذكر من مراجع .

^١ المعتزلة . إحدى أهم الفرق الكلامية ، نشأت في البصرة في النصف الأول من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي على يد واصل بن عطاء ، المتوفى سنة ١٣١هـ / ٧٤٨م . ويتعدون أصحاب النزعة العقلية في الإسلام . ويقوم مذهبهم على أصول خمسة هي : التوحيد ، والعدل ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والوعد والوعيد . وظل تأثيرهم قائما حتى انتشر المذهب الأشعري وتبناه السلاجقة الشيعة في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .

وقد تطوّرت دراسة تاريخ المعتزلة في النصف قرن الأخير بفضل ظهور مصادر جديدة بأقلام شيوخ الاعتزال ، كشف عنها في اليمن سنة ١٩٥١-١٩٥٢ والذي المرحوم فؤاد

وله رسالة طويلة لم يذُكر فيها حرف الرّاء، أحد بدائع الكلام، وكان لكثرة صمته يُظنُّ به الخرس، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة. وله كتاب «المنزلة بين المنزلتين»، وكتاب «الفُتيا»، وكتاب «التوحيد»، وعنه أخذ جماعة، وأخباره كثيرة^(a)، ويُقال لهم أيضًا «الحسنيّة» نسبة إلى الحسن البصري.

وأخذ واصل العلم عن أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وخالفه في الإمامة. واعتزّله يَدُورُ على أربع قواعد هي: «نفي الصفات»، و «القول بالقدر»، و «القول بمنزلة بين منزلتين»، وأوجب الخلود في النار على من ارتكب كبيرة.

فلما بلغ الحسن البصري عنه / هذا، قال: هؤلاء اعتزلوا، فسُموا من حينئذ «المُعْتَرِزَةُ». وقيل إن تسميتهم بذلك حدثت بعد الحسن، وذلك أن عمرو بن عُبيد لما مات الحسن، وجلس قنادة مجلسه، اعتزّله في نفرٍ معه، فسماهم قنادة «المُعْتَرِزَةُ».

القاعدة الرابعة: القول بأن إحدى الطائفتين من أصحاب الجمل و صيفين مخطئة لا بعينها. وكان في خلافه هشام بن عبد الملك.

والثانية: «العمروية»، أصحاب عمرو بن عُبيد^(b)، ومن قوله: ترك قول علي بن أبي طالب وطلحة والزبير - رضي الله عنهم. وقال ابن قتيبة^(c): اعتزل عمرو بن عُبيد وأصحابه الحسن، فسُموا المُعْتَرِزَةُ.

والثالثة: «الهُدَيْلِيَّة»: أتباع أبي الهذيل محمد بن الهذيل العلاف شيخ المُعْتَرِزَةُ، أخذ عن عثمان بن خالد الطويل، عن واصل بن عطاء، ونظر في الفلسفة، ووافقهم في كثير، وقال: جميع الطاعات من الفرائض والنوافل إيمان.

وانفرد بعشر مسائل وهي: أن علم الله وقدرته وحياته هي ذاته، وأثبت إرادات لا محل لها يكون الباري مُريدًا بها^(d). وقال: بعض كلام الله لا في محل وهو قوله كُنْ، وبعضه في محل كالأمر والنهي. وقال في أمور الآخرة كمدّهب الجبرية. وقال: تنتهي مقدورات الله حتى لا يُقدِر على إحداث شيء، ولا على إفناء شيء، ولا إحياء^(e) ولا إماتة^(f)، وتقطع حركات أهل الجنة والنار، ويصيرون إلى سُكونٍ دائم.

(a) نهاية الفقرة التي بدأت في الصفحة السابقة. (b) ساقط من بولاق. (c) بولاق: ابن منبه. (d) بولاق:

لها. (e) بولاق: إحياء شيء. (f) بولاق: إماتة شيء.

وقال : الاستيلاء عَرَضٌ من الأعراض نحو السلامة والصحة^(a)، وقرق بين أفعال^(b) القلوب وأعمال الجوارح . وقال : تجب معرفة الله قبل وُزود السمع ، وأن المرء المقتول إن لم يُقتل مات في ذلك الوقت ، ولا يُزاد العمر^(c) ولا ينقص بخلاف الرزق . وقال : إرادة الله عين المراد ، والحجة لا تقوم فيما غاب إلا بخبر عشرين .

والرابعة : « النظامية » ، أتباع إبراهيم بن سيار النظام - بتشديد الظاء المعجمة - زعيم المعتزلة ، وأحد السفهاء . انفرد بعدة مسائل ، وهي قوله : إن الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي ، وأنها غير مقدورة لله . وقال : ليس لله إرادة ، وأفعال العباد كلها حركات ، والنفس والروح هو الإنسان ، والبدن إنما هو آلة فقط ، وإن كل ما جاوز محل^(d) القدرة من الفعل فهو من الله وهو فعله .

وأنكر الجوهر الفرد ، وأحدث القول بالطفرة ، وقال : الجوهر مؤلف من أعراض اجتمعت ، وزعم أن الله خلق الموجودات دفعة واحدة^(d) على ما هي عليه ، وأن الإعجاز في القرآن من حيث الإخبار عن الغيب فقط ، وأنكر أن يكون الإجماع حجة ، وطعن في الصحابة - رضي الله عنهم - وقال - قبحه الله - : أبو هريرة أكذب الناس ، وزعم أنه ضرب فاطمة ابنة رسول الله ﷺ .

ومنع ميراث العترة ، وأوجب معرفة الله بالفكر قبل وُزود الشرع ، وحرم نكاح الموالي العربيات ، وقال : لا تجوز صلاة التراويح ، ونهى عن ميقات الحج ، وكذب بانثيقات القمر ، وأحال رؤية الجن ، وزعم أن من سرق مائتي درهم فما دونها لم يفسق ، وأن الطلاق بالكناية لا يقع وإن كان بينة ، وأن من نام مضطجعا لا ينتقض وضوؤه ما لم يخرج منه الحدث ، وقال : لا يلزم قضاء الصلوات إذا فاتت .

والخامسة : « الأسوارية » ، أتباع أبي علي عمرو بن قائد الأسواري ، القائل : إن الله تعالى لا يقدر أن يفعل ما علم أنه لا يفعله .

والسادسة : « الإشكافية » ، أتباع أبي جعفر محمد بن عبد الله الإشكافي ، ومن قوله : إن الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء ، ويقدر على ظلم الأطفال والمجانين ، وأنه لا يقال إن الله خالق المعازيف والطنابير ، وإن كان هو الذي خلق أجسامها .

(a) بولاق : الصحة . (b) بولاق : أعمال . (c) بولاق : العلم . (d) ساقطة من بولاق .

والسابعة «الجعفرية» ، أتباع جعفر بن حزم بن ميسرة . ومن قوله : إن في فساق هذه الأمة من هو شر من اليهود والنصارى والمجوس ، وأسقط الحد عن شارب الخمر ، وزعم أن الصغائر من الذنوب تُوجب تخليد فاعلها في النار ، وأن رجلاً لو بعث رسولا إلى امرأة ليخطبها ، فجاءته فوطئها من غير عقد لم يكن عليه حد ، ويكون وطؤه إيّاها طلاقاً لها .

- ٥ والثامنة : «البشرية» ، أتباع بشر بن المعتير ، ومن قوله : اللون والطعم^(a) والرائحة والإذراكات كلها من السمع^(b) والبصر وغير ذلك^(c) ، يجوز أن تحصل متولدة ، وصرف الاستطاعة إلى سلامة البنية والجوارح وقال : لو عذب الله الطفل الصغير لكان ظالماً وهو يقدر على ذلك ، وقال : إرادة الله من جملة أفعاله ، ثم هي تنقسم إلى صفة فعل وصفة ذات ، وقال باللطف المحزون ، وأن الله لم يخلقه لأن ذلك يُوجب عليه الثواب ، وأن التوبة الأولى متوقفة على الثانية ، وأنها لا تنفع إلا بعدم الوقوع في الذي وقع فيه ، فإن وقع لم تنفعه الأولى^(d) .

- ١٠ والتاسعة : «المزدرية» ، أتباع أبي موسى عيسى بن صبيح - المعروف بالمزدار - تلميذ بشر ابن المعتير . وكان زاهداً ، وقيل له راهب المعتزلة ، وانفرد بمسائل منها : قوله : إن الله قادر على أن يكذب ويظلم^(d) ولا يطعن ذلك في الربوبية ، وجوز وقوع الفعل الواحد من فاعلين على سبيل التولد ، وزعم أن القرآن مما يُقدر عليه ، وأن بلاغته وفصاحته لا تُعجز الناس ، بل يقدر على الإتيان بمثلها وأحسن منها . وهو أضل المعتزلة في القول بـ «خلق القرآن» ، وقال : من أجاز رؤية الله بالأبصار بلا كيف فهو كافر ، والشاك في كفره كافر أيضاً .

- ١٥ والعاشر : «الهشامية» ، أتباع هشام بن عمرو الفوطي الذي يُبالغ في القدر ، ولا ينسب إلى الله فعلاً من الأفعال . / حتى إنه أنكر أن يكون الله هو الذي ألف بين قلوب المؤمنين ، وأنه يُحب الإيمان للمؤمنين ، وأنه أضل الكافرين . وعاند ما في القرآن من ذلك ، وقال : لا تنعقد الإمامة في زمن الفتن واختلاف الناس ، وإن الجنة والنار غير مخلوقتين ، ومنع أن يقال حسبنا الله ونعم الوكيل ، وقال : لأن الوكيل دون الموكل .

وقال : لو أسبغ أحد الوضوء ، ودخل في الصلاة بينة القرية لله والعزم على إتمامها ، ورَكَع وسجد مخلصاً في ذلك كله ، إلا أن الله علم أنه يقطعها في آخرها ، فإن أول صلاته يكون^(e)

(a) بولاق : الطعم واللون . (b-b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : لم تنفعه التوبة الأولى . (d) بولاق : يظلم

ويكذب . (e) ساقطة من بولاق .

مَعْصِيَةٍ . وَمَنْعَ أَنْ يَكُونَ الْبَحْرُ انْفَلَقَ لِمُوسَى ، وَأَنَّ عَصَاهُ انْقَلَبَتْ حَيَّةً ، وَأَنَّ عَيْسَى أَخِيَا الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأَنَّ الْقَمَرَ انشَقَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ . وَأَنْكَرَ كَثِيرًا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَوَاتَرَتْ ، كَحَضْرِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَقَتْلِهِ بِالْغَلْبَةِ ، وَقَالَ إِنَّمَا جَاءَهُ شِرْذِمَةٌ قَلِيلَةٌ فَشَكَّرُوا عُثْمَالَ ، ثُمَّ دَخَلُوا عَلَيْهِ وَقَتَلُوهُ فَلَا يُدْرَى قَاتِلَهُ .

وقال : إِنَّ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - مَا جَاءُوا لِلْقِتَالِ فِي حَرْبِ الْجَمَلِ ، وَإِنَّمَا بَرَزُوا لِلْمُشَاوَرَةِ ، وَتَقَاتَلَ أَتْبَاعُ الْفَرِيقَيْنِ فِي نَاحِيَةٍ أُخْرَى . وَإِنَّ الْأُمَّةَ إِذَا اجْتَمَعَتْ كَلَّمَهَا ، وَتَرَكَتِ الظُّلْمَ وَالْفَسَادَ ، اخْتِاجَتْ إِلَى إِمَامٍ يَسْوِسُهَا ، فَأَمَّا إِذَا عَصَتْ وَفَجَّرَتْ وَقَتَلَتْ وَالِيهَا فَلَا تَنْعِقُدُ الْإِمَامَةَ لِأَحَدٍ . وَبَنَى عَلَى ذَلِكَ أَنَّ إِمَامَةَ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَمْ تَنْعِقُدْ ^(a) مِنْ أَجْلِ ^(a) أَنَّهَا كَانَتْ فِي حَالِ الْفِتْنَةِ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ - وَهُوَ أَيْضًا مَذْهَبُ الْأَصَمِّ - وَوَأَصِلَ بِنَ عَطَاءٍ ، وَعَمَرُوهُ بِنَ عُبَيْدٍ - وَأَنْكَرَ افْتِضَاضَ الْأَبْكَارِ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَنْكَرَ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ فِي الْإِنْسَانِ ، وَإِنَّمَا يُوسْوِسُ لَهُ مِنْ خَارِجٍ ، وَاللَّهُ يُوَصِّلُ وَسْوَسَتَهُ إِلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ . وَقَالَ : لَا يُقَالُ خَلَقَ اللَّهُ الْكَافِرَ لِأَنَّهُ اسْمُ الْعَبْدِ وَالْكَفْرُ جَمِيعًا ، وَأَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ : الضَّارُّ النَّافِعُ .

والْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : « الْحَائِطِيَّة » ، أَتْبَاعُ أَحْمَدَ بْنِ حَائِطٍ ، أَحَدُ أَصْحَابِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَيَّارِ النَّظَّامِ ، وَهُوَ يَدْعُ شَنِيعَةَ : مِنْهَا أَنَّ لِلخَلْقِ إِلَهَيْنِ : أَحَدُهُمَا خَالِقٌ وَهُوَ الْإِلَهِ الْقَدِيمُ ، وَالْآخَرُ مَخْلُوقٌ وَهُوَ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ . وَزَعَمَ أَنَّ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُحَاسِبُ الخَلْقَ فِي الْآخِرَةِ ، وَأَنَّهُ الْمَعْنَى بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ [الآية ٢١٠ سورة البقرة] . وَزَعَمَ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ، أَنْ مَعْنَاهُ خَلَقَهُ إِيَّاهُ عَلَى صُورَةِ نَفْسِهِ ، وَأَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبُّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ) ، إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ عَيْسَى .

وَزَعَمَ أَنَّ فِي الدُّوَابِّ وَالطُّيُورِ وَالْحَشَرَاتِ ، حَتَّى الْبَقَّ وَالْبَعُوضَ وَالذُّبَابَ ، أَنْبِيَاءَ ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [الآية ٢٤ سورة فاطر] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَهَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الآية ٣٨ سورة الأنعام] ، وَلِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَّمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا » .

(a-a) ساقطة من بولاق ، وعوضها : لأنها .

وَذَهَبَ مَعَ ذَلِكَ إِلَى الْقَوْلِ بِالتَّنَاسُخِ ، وَزَعَمَ أَنَّ اللَّهَ ابْتَدَأَ الْخَلْقَ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنَّمَا خَرَجَ مَنْ خَرَجَ مِنْهَا بِالْمَعْصِيَةِ . وَطَعَنَ فِي النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَجْلِ تَعَدُّدِ نِكَاحِهِ ، وَقَالَ : إِنَّ أَبَا ذَرٍّ الْغِفَارِيَّ أَنْسَكَ وَأَزْهَدُ مِنْهُ ، قَبَّحَهُ اللَّهُ . وَزَعَمَ أَنَّ كُلَّ مَنْ نَالَ خَيْرًا فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا هُوَ بِعَمَلٍ كَانَ مِنْهُ ، وَمَنْ نَالَ مَرَضًا أَوْ آفَةً فَبِذَنْبٍ كَانَ مِنْهُ . وَزَعَمَ أَنَّ رُوحَ اللَّهِ تَنَاسَخَتْ فِي الْأُمَّةِ .

٥ والثَّانِيَةُ عَشْرَةٌ : « الْحَمَارِيَّة » ، أَتْبَاعُ قَوْمٍ مِنْ مُعْتَرِلَةِ عَشْرٍ مُكْرَمٍ . وَمَنْ مَذْهَبُهُمْ أَنَّ الْمَسْخُوحَ إِنْسَانٌ كَافِرٌ مُعْتَقِدُ الْكُفْرِ ، وَأَنَّ النَّظَرَ أَوْجِبَ الْمَعْرِفَةَ وَهُوَ لَا فَاعِلَ لَهُ ، وَكَذَلِكَ الْجِمَاعُ أَوْجِبَ الْوَلَدَ فَشَكَ فِي خَالِقِ الْوَلَدِ ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَخْلُقُ أَنْوَاعًا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ بِطَرِيقِ التَّعْفِينِ . وَزَعَمُوا أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُقَدِّرَ اللَّهُ الْعَبْدَ عَلَى خَلْقِ الْحَيَاةِ وَالْقُدْرَةِ .

١٠ والثَّلَاثَةُ عَشْرَةٌ : « الْمُعْمَرِيَّة » ، أَتْبَاعُ مَعْمَرِ بْنِ عَبَادِ السَّلْمِيِّ ^١ ، وَهُوَ أَعْظَمُ الْقَدْرِيَّةِ غُلُوبًا ، وَبَالَغَ فِي رَفْعِ الصُّفَاتِ وَالْقَدْرِ ^(a) بِالْجُمْلَةِ ، وَانْفَرَدَ بِمَسَائِلَ مِنْهَا : أَنَّ الْإِنْسَانَ يُدَبِّرُ الْجَسَدَ وَلَيْسَ بِحَالٍ فِيهِ ، وَلَا ذِي لَوْنٍ وَتَأْلِيفٍ وَحَرَكَةٍ ، وَلَا حَالٍ وَلَا مُتَمَكِّنٍ ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ شَيْءٌ غَيْرُ هَذَا الْجَسَدِ ، وَهُوَ حَيٌّ عَالِمٌ قَادِرٌ مُخْتَارٌ ، وَلَيْسَ هُوَ بِمُتَحَرِّكٍ ، وَلَا سَاكِنٍ ، وَلَا مُتَلَوِّنٌ ، وَلَا يَرَى ، وَلَا يَلْمَسُ ، وَلَا يَحُلُّ مَوْضِعًا ، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ . فَوَصَّفَ الْإِنْسَانَ ^(b) بِصِفَةِ إِيَّاهُ ^(b) عِنْدَهُ ، فَإِنَّ مُدَبِّرَ الْعَالَمِ مَوْضُوفٌ عِنْدَهُ كَذَلِكَ .

١٥ وَزَعَمَ أَنَّ الْإِنْسَانَ مُنْعَمٌ فِي الْحَيَاةِ ، وَمُؤَزَّرٌ فِي النَّارِ ، وَلَيْسَ هُوَ فِي الْجَنَّةِ وَلَا فِي النَّارِ حَالًا وَلَا مُتَمَكِّنًا . وَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ غَيْرَ الْأَجْسَامِ ، وَأَنَّ ^(c) الْأَعْرَاضَ تَابِعَةٌ لَهَا مَتَوْلِدَةٌ مِنْهَا ، وَأَنَّ الْأَعْرَاضَ لَا تَتَنَاهَى فِي كُلِّ نَوْعٍ ، وَأَنَّ الْإِرَادَةَ مِنَ اللَّهِ لِلشَّيْءِ غَيْرِ اللَّهِ وَغَيْرِ خَلْقِهِ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِقَدِيمٍ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أُخِذَ مِنْ : قَدَّمَ يَقْدُمُ فَهُوَ قَدِيمٌ .

٢٠ والرَّابِعَةُ عَشْرَةٌ : « الثُّمَامِيَّة » ، أَتْبَاعُ ثُمَامَةَ بْنِ أَشْرَسِ الثُّمَيْرِيِّ ^٢ . وَجَمَعَ بَيْنَ التَّقَائِضِ ، وَقَالَ : الْعُلُومُ كُلُّهَا ضَرُورِيَّةٌ ، فَكُلُّ مَنْ لَمْ يُضْطَرْ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ فَلَيْسَ بِأَمُورٍ بِهَا ، وَهُوَ كَالْبَهَائِمِ

(a) بولاق : القدرة . (b-b) بولاق : بوصف الإلهية . (c) ساقطة من بولاق .

^١ حاشية بخط المؤلف : « معمر بن عباد ، أبو عمرو وقيل أبو المعتمر السلمي ، من بني سليم سكن البصرة ثم انتقل إلى بغداد وله مناظرة مع النظام ، وهجا بشر بن المعتمر . مات سنة خمس عشرة ومائتين . »
^٢ حاشية بخط المؤلف : « ثمامة بن أشرس أبو بشر الثميري من جيلة متكلمي المعتزلة وبلغاء الكتاب ، خدم الرشيد وبلغ من المأمون منزلة جليلة . مات . »
 توفي ثمامة بن أشرس سنة ٢١٣هـ / ٨٢٨م . =

وتخوها . وزعم أن اليهود والنصارى والزنادقة يصيرون يوم القيامة ثرابًا كالبهائم ، ولا ثواب لهم ولا عقاب ألبتة ، لأنهم غير مأمورين ، إذ هم غير مضطرين إلى معرفة الله . وزعم أن الأفعال متولدة كلها^(a) لا فاعل لها ، وأن الاستطاعة هي السلامة وصحة الجوارح ، وأن العقل هو الذي يُحسن ويُقبح ، فتجب معرفة الله قبل ورود الشروع ، / وأن لا يفعل للإنسان إلا الإرادة وما عداها فهو حدث .

والخامسة عشرة : « الجاحظية » ، أتباع أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ^١ ، وله مسائل تميز بها عن أصحابه : منها أن المعارف كلها ضرورية ، وليس شيء من ذلك من أفعال العباد ، وإنما هي طبيعية ، وليس للعباد كسب سوى الإرادة ، وأن العباد لا يُخلدون في النار بل يصيرون في^(b) طبيعتها ، وأن الله لا يُدخل أحدًا النار ، وإنما النار تُحدث^(c) أهلها بنفسها وطبيعتها ، وأن القرآن المنزل من قبيل الأجساد ، ويمكن أن يصير مرة رجلًا ومرة حيوانًا ، وأن الله لا يُريد المعاصي ، وأنه لا يُرى ، وأن الله يريد ، بمعنى^(d) لا يغلط ولا يصح في حقه الشهو فقط ، وأنه يستحيل العدم على الجواهر من الأجسام .

والسادسة عشرة : « الخياطية » ، أصحاب أبي الحسين بن أبي عمرو الخياط^٢ ، شيخ أبي القاسم الكوفي ، من معتزلة بغداد . زعم أن المعدوم شيء ، وأنه في العدم جسم إن كان في حدوثة جسمًا ، وعرض إن كان في حدوثة عرضًا .

(a) بولاق : كلها متولدة . (b) بولاق : من . (c) بولاق : تجذب . (d) بولاق : بمعنى أنه .

^٢ حاشية بخط المؤلف : « أبو الحسين عبد الرحيم بن أبي عمرو محمد بن عثمان الخياط من معتزلة بغداد ، كان رئيسًا مُقدّمًا عالمًا بالكلام فقيهاً صاحب حديث واسع الحفظ لمذاهب المتكلمين يتقدم سائر البغداديين ، ومن أهل الدين والورع والعلم تلغ من العلم ما جاوز فيه نظراءه ، وتقدم كثيرًا ممن سلف ، وكُتبه بعيدة من السقط ، إمامًا في الفرائض قد كتب في الحديث وجالس الفقهاء . »

لم نعرف تاريخ وفاته على التدقيق ، راجع القاضي عبد الجبار : فضل الاعتزال ٢٩٦-٢٩٧ ؛ الخطيب البغدادي : ١١ : ٨٧ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٤ : ٢٧٤ =

= (القاضي عبد الجبار : فضل الاعتزال ٢٧٢-٢٧٧ ؛ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٧ : ١٤٥) .

^١ أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ الأديب المشهور المتوفى سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م . (القاضي عبد الجبار : فضل الاعتزال ٢٧٥-٢٧٧ ؛ ابن النديم : الفهرست ٢٠٨-٢١٢ ؛ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٢ : ٢١٢-٢٢٠ ؛ ياقوت : معجم الأدباء ١٦ : ٧٤-١١٤ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ١١ : ٥٢٦-٥٣٠ ؛ طه الحاجري : الجاحظ - حياته وآثاره ، القاهرة ١٩٦٩ ؛ Pellat, Ch., *Al-Gâhiz et le milieu Basrien*, Paris 1953 .

والشَّابِعة عَشْرَة : « الكَفِيَّة » ، أَتْبَاعُ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ بَلْخِي ، المعروف بالكفبي ^١ ، من مُعْتَزِلَة بَغْدَاد . انفراد بأشياء ، منها : إِرَادَة ^٢ الله لَيْسَتْ صِفَة قَائِمَة بِذَاتِهِ ، ولا هو مُرِيدٌ ^٣ لذَاتِهِ ، ولا إِرَادَتُهُ حَادِثَةٌ فِي مَحَلٍّ ، وَأَمَّا يَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى الْعِلْمِ فَقَطْ ، وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ يَرْجِعُ إِلَى ذَلِكَ أَيْضًا . وَأَنْكَرَ الرُّؤْيِيَّةَ ، وَقَالَ : إِذَا قُلْنَا إِنَّهُ يَرَى الْمَرْئِيَّاتِ ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى عِلْمِهِ بِهَا وَتَمْيِيزِهَا قَبْلَ أَنْ تُوجَدَ .

والثَّامِنَة عَشْرَة : « الْجُبَّائِيَّة » ، أَتْبَاعُ أَبِي عَلِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْجُبَّائِيِّ ^٢ ، من مُعْتَزِلَة البَصْرَة ، تَفَرَّدَ بِمَقَالَاتٍ مِنْهَا : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَمَّى مُطِيعًا لِلْعَبْدِ إِذَا فَعَلَ مَا أَرَادَ الْعَبْدُ مِنْهُ ، وَأَنَّ اللَّهَ مُحِبٌّ لِلنِّسَاءِ بِخَلْقِ الْوَلَدِ فِيهِنَّ ، وَأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ عَرَضٌ يَوْجَدُ فِي أَمَكْنَةِ كَثِيرَةٍ ، وَفِي مَكَانٍ بَعْدَ مَكَانٍ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعَدَّمَ عَنْ ^٣ مَكَانِهِ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ يَخْدُثُ فِي الثَّانِي . وَكَانَ يَقِفُ فِي فَضْلِ عَلِيِّ

(a) بولاق : أن إرادة . (b) بولاق : مدير . (c) بولاق : من .

وثلاثين ومائتين وهو من مُعْتَزِلَة البَصْرَة ، وهو الذي ذُكِرَ الكَلَامَ وَسَهْلَهُ وَيَسَّرَ مَا صَعُبَ مِنْهُ . وَإِلَيْهِ انْتَهتْ رِيَاةُ الْمُعْتَزِلَة فِي زَمَانِهِ لَا يُدَافِعُهُ أَحَدٌ عَنْ ذَلِكَ ، أَخَذَ عَنْ أَبِي يَعْقُوبَ يَوْسُفَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ الشُّحَامِ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِ مِائَةٍ فَذُفِنَ بِجُبِّي . وَلَهُ خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ مُصَنَّفًا . وَابْنُهُ أَبُو هَاشِمٍ عَبْدِ السَّلَامِ قَدِيمَ بَغْدَادَ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةِ وَثَلَاثِ مِائَةٍ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِ مِائَةٍ ، وَكَانَ ذَكِيًّا حَسَنَ الْفَهْمِ نَاقِبَ الْفِطْنَةِ صَانِعًا لِلْكَلامِ مُفْتَدِرًا عَلَيْهِ قِيَمًا بِهِ ، لَهُ مُصَنَّفَاتٌ .

(راجع ، ابن النديم : الفهرست ٢٢٢ ؛ القاضي عبد الجبار : فضل الاعتزال ٢٨٧-٢٩٣ ، ٣٠٤-٣٠٨ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣ : ١٨٣-١٨٤ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١١ : ٥٥-٥٦ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٤ : ٧٤-٧٥ ، ١٨ : ٤٣٤-٤٣٥ ؛ Sezgin F. ، GAS I, pp. 621-22, 623-24 ؛ وعليه فهمي خشيم : الجبائيان ، أبو علي وأبو هاشم ، طرابلس - دار الفكر . (١٩٦٨) .

= مقدمة نيرج لكتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحقه ، القاهرة ١٩٢٥ .

^١ حاشية بخط المؤلف : «أبو القاسم عبد الله بن أحمد ابن محمود البلخي يُعرف بالكفبي ، عالم مُتَكَلِّمٍ رَئِيسُ أَهْلِ زَمَانِهِ ، كَتَبَ لِأَحْمَدَ بْنِ سَهْلِ أَحَدِ قُوَادِ نَضْرَ بْنِ أَحْمَدَ لَمَّا قَامَ بِبَيْسَابُورِ ، فَلَمَّا ظَفِرَ بِأَحْمَدَ أَخَذَ الْكَفْبِيَّ وَالْمُتَكَلِّمَ ، فَأَمَرَ أَحْمَدَ ابْنَ عَيْسَى بِإِشْخَاصِهِ إِلَى بَغْدَادَ ، فَأَشْخَصَ إِلَيْهَا فِي وَزَارَةِ حَامِدِ بْنِ الْقَبَّاسِ ، فَعَظَّمَ وَرَفَعَ . وَتَوَفَّى أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ تِسْعِ عَشْرَةِ وَثَلَاثِ مِائَةٍ ، وَلَهُ عِدَّةٌ مُصَنَّفَاتٍ .

(راجع ترجمته عند ، ابن النديم : الفهرست ٩ : ٢٢ ؛ القاضي عبد الجبار : فضل الاعتزال ٢٩٧-٢٩٨ ؛ الخطيب : البغدادي : تاريخ بغداد ٩ : ٣٨٤ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣ : ٤٥ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٤ : ٣١٣ ، ١٥ : ٢٥٥-٢٥٦ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٧ : ٢٥-٢٧ ؛ مقدمة فؤاد سيد لنشرة فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة) .

^٢ حاشية بخط المؤلف : أبو علي محمد بن عبد الوهاب ابن سَلام بن يزيد بن أبي الشَّكْنِ الْجُبَّائِيِّ . وَوُلِدَ سَنَةَ خَمْسِ

على أبي بكر، وفضل أبي بكر على علي، ومع ذلك يقول: إن أبا بكر خير من عمر وعثمان، ولا يقول إن عليًا خير من عمر وعثمان.

والتاسعة عشرة: «البهشمية»، أتباع أبي هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي. وانفرد بيدع في مقالاته، منها: القول باستحقاق الذم من غير ذنب. فزعم أن القادر منا يجوز أن يخلو عن الفعل والتوك، وأن القادر المأمور المنهي إذا لم يفعل فعلًا ولا ترك، ويكون عاصيًا مستحق العقاب والذم لا على الفعل لأنه لم يفعل ما أمر به، وأن الله يعذب الكافرين والعصاة لا على فعل مكتسب ولا^(a) محدث منه.

وقال: التوبة لا تصح من قبيح، مع الإضرار على قبيح آخر يعمل^(b) أو يعتقد قبيحًا وإن كان حسنًا، وإن التوبة لا تصح مع الإضرار على منع حسنة واجبة عليه، وإن توبة الزاني بعد ضعفه عن الجماع لا تصح. وزعم أن الطهارة غير واجبة، وإنما أمر العبد بالصلاة في حال كونه متطهرًا، وأن الطهارة تجزئ بالماء المغصوب، ولا تجزئ^(c) في الأرض المغصوبة. وزعم أن الزنج والتوك والهتود قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن. وقال أبو علي وابنه أبو هاشم: الإيمان هو الطاعات المفروضات^(d).

والفرقة العشرون من المعتزلة: «الشيطنية»، أتباع محمد بن نعيمان - المعروف بشيطان الطاق^١ - وهو من الروافض. شارك كلاً من المعتزلة والروافض في بدعهم، وقلمًا يوجد معتزلي إلا وهو رافضي إلا قليلاً منهم. وانفرد بطائفة وهي^(e) أن الله لا يعلم الشيء إلا ما قدره وأراده، وأما قبل تقديره فيستحيل أن يعلم، ولو كان عالمًا بأفعال عباده لاستحال أن يمتحنهم ويخسرهم^(f).

وللمعتزلة أسماء أخرى^(g) منها: الثنوية؛ سُموا بذلك لقولهم: الخير من الله، والشّر من العبد. ومنهم الكيسانية، والمناكية، والأحمدية، والوهيمية، والمبترية، والواسطية، والواردية؛ سُموا بذلك لقولهم: لا يدخل المؤمنون النار وإنما يردون عليها، ومن أدخل النار لا يخرج منها قط. ومنهم الحرورية لقولهم: الكعب^(h) لا تحرق إلا مرة، والمفنية القائلون بقاء الجنة والنار، والواقفية

(a) بولاق: ولا على. (b) بولاق: يعلمه. (c) بولاق: ولا تجزئ الصلاة. (d) بولاق: المفروضة. (e) النسخ: وهو. (f) بولاق: ويختبرهم. (g) ساقطة من بولاق. (h) بولاق: الكفار.

القائلون بالوقف في خلق القرآن . ومنهم اللَّفْظِيَّة القائلون ألفاظ القرآن غير مخلوقة ، والمُتَرَقَّة القائلون : الله تعالى^(a) بكل مكان ، والقبريَّة القائلون : إنكار عذاب القبر .

الفرقة الثانية

المشبهة

- ٥ وهم يغفلون في إثبات صفات الله تعالى ، ضدَّ المُعْتَزَلَة ، وهم سبغ فرق :
 الهشامية : أتباع هشام بن الحكم ، ويقال لهم أيضًا الحكيمية ، ومن قولهم : الإله تعالى كنور السبيكة الصافية يتلأأ من جوانبه . ويؤمنون مقاتيل بن سليمان بأنه قال : هو لحم ودم على صورة الإنسان ، وهو طويل عريض عميق ، وأن طوله مثل عرضه ، وعرضه مثل عمقه ، وهو ذو لون وطعم ورائحة ، وهو سبعة أشبارٍ بشبر نفسه . ولم يصح هذا القول عن مقاتيل .
- ١٠ والجولقية : أتباع هشام بن سالم الجولقي ، وهو من الرافضة أيضًا . ومن شنيع أقواله : إن الله تعالى على صورة الإنسان ، نصفه الأعلى مجوف ، ونصفه الأسفل مُصمت ، وله شعر أسود ، وليس بلحم ودم ، بل هو نور ساطع ، وله خمس حواس كحواس الإنسان ، ويد ورجل وقم وعين وأذن وشعر / أسود ، إلا الفرج واللحية .
- والبيانية : أتباع بيان بن سَمعان ، القائل : هو على صورة الإنسان ، ويهلك كله إلا وجهه ؛
 لظاهر الآية : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [الآية ٨٨ سورة القصص] .
- ١٥ والمغيرية : أتباع مغيرة بن سعيد العجلي ، وهو أيضًا من الروافض . ومن شنائعه قوله : إن أعضاء معبودهم على صورة حروف الهجاء ، فالألف على صورة قدميه . وزعم أنه رجل من نور على رأسه تاج من نور ، وزعم أن الله كتب بأصبعه أعمال العباد من طاعة ومعصية ، ونظر فيهما وغضب من معاصيهم فغرق ، فاجتمع من عرقه بحران عذب ومالح ، وزعم أنه بكل مكان لا يخلو عنه مكان .
- والمنهالية : أصحاب منهال بن ميمون .
 والزراية : أتباع زرار بن أعين .

(a) ساقطة من بولاق .

والْيُونُسِيَّة: أَتْبَاعُ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَمِّي، وَكُلُّهُمْ مِنَ الرَّوَافِضِ. وَسَيَأْتِي ذِكْرَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَمِنْهُمْ أَيْضًا: السَّايِيَّة، وَالشَّايِكِيَّة، وَالْعَمَلِيَّة وَالْمُسْتَشْنِيَّة، وَالْبِدْعِيَّة، وَالْحَشْرِيَّة^(a)، وَالْأَثْرِيَّة. وَمِنْهُمْ الْكَرَامِيَّة: أَتْبَاعُ مُحَمَّدِ بْنِ كَرَامِ السَّجِسْتَانِيِّ^١، وَهُمْ طَوَائِفٌ: الْهَيْضِيَّة، وَالْإِسْحَاقِيَّة، وَالْجُنْدِيَّة وَغَيْرَ ذَلِكَ. إِلَّا أَنَّهُمْ يُعَدُّونَ فِرْقَةً وَاحِدَةً لِأَنَّ بَعْضَهُمْ لَا يُكْفَرُ بَعْضًا وَكُلُّهُمْ مُجَسِّمَةٌ، إِلَّا أَنَّ فِيهِمْ مَنْ قَالَ: هُوَ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: هُوَ أَجْزَاءٌ مُؤْتَلِفَةٌ، وَلَهُ جِهَاتٌ وَنَهَايَاتٌ.

وَمَنْ قَوْلِ «الْكَرَامِيَّة»: إِنَّ الْإِيمَانَ هُوَ قَوْلٌ مُفْرَدٌ، وَهُوَ قَوْلُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَسَوَاءٌ اعْتَقَدَ أَوْ لَا. وَزَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ جِسْمٌ، وَلَهُ حَدٌّ وَنَهَايَةٌ مِنْ جِهَةِ السُّفْلِ، وَتَجُوزُ عَلَيْهِ مُلَاقَاةُ الْأَجْسَامِ الَّتِي تَحْتَهُ، وَأَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ وَالْعَرْشُ مُمَاسٌ لَهُ، وَأَنَّهُ مَحَلُّ الْحَوَادِثِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْإِرَادَةِ وَالْإِذْرَاكَاتِ وَالْمَزِيَّاتِ وَالْمَسْمُوعَاتِ، وَأَنَّ اللَّهَ لَوْ عَلِمَ أَحَدًا مِنْ عِبَادِهِ لَا يُؤْمِنُ بِهِ لَكَانَ خَلْقُهُ إِيَّاهُمْ عَبَثًا، وَأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَغْزِلَ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَيَجُوزُ عِنْدَهُمْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ كُلِّ ذَنْبٍ لَا يَجِبُ حَدًّا وَلَا يُسْقِطُ عَدَالَةً، وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَى اللَّهِ تَوَاتُرُ الرُّسُلِ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَأَنَّ عَلِيًّا وَمُعَاوِيَةَ كَانَا إِمَامَيْنِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، إِلَّا أَنَّ عَلِيًّا كَانَ عَلَى الشُّنَّةِ وَمُعَاوِيَةَ عَلَى خِلَافِهَا.

وَانْفَرَدَ ابْنُ كَرَامٍ فِي الْفِقْهِ بِأَشْيَاءَ، مِنْهَا: أَنَّ الْمُسَافِرَ يَكْفِيهِ مِنْ صَلَاةِ الْخَوْفِ تَكْبِيرَتَانِ، وَأَجَازَ الصَّلَاةَ فِي ثَوْبٍ مُسْتَفْرَقٍ فِي النَّجَاسَةِ. وَزَعَمَ أَنَّ الصَّلَاةَ وَالصُّوْمَ وَالزَّكَاةَ وَالْحَجَّ وَسَائِرَ الْعِبَادَاتِ تَصِحُّ بِغَيْرِ نِيَّةٍ، وَتَكْفِي نِيَّةَ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ النِّيَّةَ تَجِبُ فِي النَّوَافِلِ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ الْخُرُوجُ مِنَ الصَّلَاةِ

(a) بولاق: العشرية.

٥٢٤؛ ابن حجر: لسان الميزان ٣٥٣:٥-٣٥٦؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ٢٤؛ وفيما يلي (٤٣٧).

راجع كذلك الشهرستاني: الملل والنحل ١: ٩٩-

١٠٤؛ الأشعري: مقالات الإسلاميين ١٤١؛

Bosworth, C.E., *El*² art. *Karāmiyya* IV, pp. 694-96.

^١ توفي أبو عبد الله محمد بن كرام السجستاني سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م، واختلف العلماء في ضبط كرام، والأكثر أنفقوا على أنه بفتح الكاف وتشديد الراء (ابن الأثير: اللباب ٣: ٣٢؛ ابن حجر: لسان الميزان ٥: ٣٥٣؛ وانظر ترجمة ابن كرام عند الصفدي: الوافي بالوفيات ٤: ٣٧٥-٣٧٧؛ سیر أعلام النبلاء ١١: ٥٢٣-

بالأكل والشرب والجماع عمدًا ثم البناء عليها . وزعم بعض الكرامية أن الله علمين : أحدهما يعلم به جميع المعلومات ، والآخر يعلم به العلم الأول .

الفرقة الثالثة

القُدْرَةُ

٥ الغلاة في إثبات القُدْرَة للعبد في إثبات الخلق والإيجاد ، وأنه لا يحتاج في ذلك إلى معاونة من جهة الله تعالى .

الفرقة الرابعة

المُجْبِرَةُ

الغلاة في نفي استيطاعة العبد قبل الفعل وبعده ومعه ، ونفي الاختيار له ، ونفي الكسب ^١ .

١٠ وهاتان الفِرقتان مُتضادتان ، ثم افتُرقت المُجْبِرَةُ على ثلاثِ فِرَق :

الجهمية : أتباع جهم بن صفوان الترمذي ، مؤلى راسب ، وقُتل في آخر دولة بني أمية . وهو ينفي الصفات الإلهية كلها ، ويقول : لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه ، وأن الإنسان لا يقدر على شيء ، ولا يوصف بالقُدْرَة ولا الاستيطاعة ، وأن الجنة والنار يفتنان وتقطع حركات أهلها ، وأن من عرف الله ولم ينطق بالإيمان لم يكفر ؛ لأن العلم لا يزول بالصمت ، وهو مؤمن مع ذلك ^٢ .

١٥ وقد كفره المعتزلة في نفي الاستيطاعة ، وكفره أهل السنة بنفي الصفات وخلق القرآن ونفي الرؤية . وانفرد بجواز الخروج على السلطان الجائر ، وزعم أن علم الله حادث لا بصفة يوصف بها غيره . والبكرية : أتباع بكر ، ابن أخت عبد الواحد ^٣ ، وهو يوافق النظام في أن الإنسان هو الروح ، ويؤمن أن الباري تعالى يرى في القيامة في صورة يخلقها ويكلم الناس منها ، وأن صاحب الكبيرة

الفرق ٢١١ - ٢١٢ : *El*² art. Montgomerywatt, W., *Djahm b. Safwân, Djahmiyya II*, pp. 398-99.

^١ راجع عن المجبرة *El*² Montgomery watt, W., art. *Djabriyya II*, p. 375.

^٣ راجع ، الإسفراييني : التبصير في الدين ١٠٩ - ١١٠ ، الأشعري : مقالات الإسلاميين ٢٨٦ - ٢٨٧ ، -

^٢ راجع ، الإسفراييني : التبصير في الدين ١٠٧ ، الشهرستاني : الملل والنحل ١ : ٨٦ ، البغدادي : الفرق بين

مُنَافِقٌ فِي الدَّزَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، وَحَالَهُ أَسْوَأُ مِنْ حَالِ الكَافِرِ. وَحَرَّمَ أَكْلَ الثُّومِ وَالبَصَلِ، وَأَوْجَبَ الوُضُوءَ مِنْ قَرْقَرَةِ البَطْنِ.

والضَّرَارِيَّةُ: أَتْبَاعُ ضِرَارِ بنِ عُمَرَ. وَانْفَرَدَ بِأَشْيَاءَ مِنْهَا: أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُرَى فِي القِيَامَةِ بِحَاسَّةٍ زَائِدَةٍ سَادِسَةً، وَأَنكَرَ قِرَاءَةَ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَشَكَّ فِي دِينِ عَامَّةِ المُسْلِمِينَ وَقَالَ: لَعَلَّهُمْ كُفَّارٌ، وَزَعَمَ أَنَّ الجِثْمَ أُعْرَاضُ مَجْتَمَعَةٍ كَمَا قَالَتِ التَّجَارِيَةُ^١.

وَمِنْ جَمَلَةِ المَجْبِرَةِ البَطِّيخِيَّةِ أَتْبَاعُ إِسْمَاعِيلِ البَطِّيخِيِّ، وَالصَّبَّاحِيَّةِ أَتْبَاعُ أَبِي صَبَّاحِ بنِ مَعْمَرٍ، وَالفِكْرِيَّةِ، وَالخَوْفِيَّةِ.

الفِرْقَةُ الخَامِسَةُ

المُرْجِيَّةُ

الإِرْجَاءُ إِذَا مُشْتَقٌّ مِنَ الرَّجَاءِ؛ لِأَنَّ المُرْجِيَّةَ يَرْجُونَ لِأَصْحَابِ المَعَاصِي الثَّوَابَ مِنَ اللهِ تَعَالَى، فيَقُولُونَ: لَا يَضُرُّ مَعَ الإِيمَانِ مَعْصِيَةٌ، كَمَا أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ مَعَ الكُفْرِ طَاعَةٌ. أَوْ يَكُونُ مُشْتَقًّا مِنَ الإِرْجَاءِ، وَهُوَ التَّأخِيرُ، لِأَنَّهُمْ أَخَّرُوا مُحْكَمَ أَصْحَابِ الكِبَائِرِ إِلَى الآخِرَةِ^٢.

وَحَقِيقَةُ المُرْجِيَّةِ أَنَّهُمُ الغُلَاةُ فِي إِثْبَاتِ الوَعْدِ / وَالرَّجَاءِ، وَنَفْيِ الوَعِيدِ وَالخَوْفِ عَنِ المُؤْمِنِينَ. وَهُمْ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ جَمَعُوا بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالقَدَرِ، وَهُمْ غَيْلَانٌ^٣ وَأَبُو شَمِيرٍ مِنْ بَنِي حَنِيْفَةَ. وَصِنْفٌ جَمَعُوا بَيْنَ الإِرْجَاءِ وَالجَبْرِ، مِثْلَ جَهْمِ بنِ صَفْوَانَ. وَصِنْفٌ قَالَ بِالإِرْجَاءِ المُخَصَّصِ.

وَهُمْ أَرْبَعُ فِرْقٍ:

al-Irgâ' des Hasan b. Muhammad b. al-Hanafiyya», *Arabica XXI* (1974), pp. 20-52; Madelung W., *El² art. Murdji'a VII*, pp. 605-7.

^٣ حاشية بخط المؤلف: «غيلان بن مشليم أبو مروان، أخذ عن الربيع بن حطان والوضيئين... بن عطاء وهما من أهل اليمن، وهو أول من تكلم في الأرض، وكان يكتب لبني أمية وهو من مواليتهم وكان فصيحاً واعظاً، وهو وعبد الحميد ابن يحيى طرقاً للناس طريق البلاغة في الترسُّل والمواعظ، وضرته هشام وقطع يديه ورجليه فمات في سنة...».

= البغدادي: الفرق بين الفرق ٢١٢-٢١٣.

^١ راجع الإسفراييني: التبصير في الدين ١٠٥-١٠٦؛ الأشعري: مقالات الإسلاميين ٢٨١-٢٨٢؛ البغدادي: الفرق بين الفرق ٢١٣-٢١٤.

^٢ راجع عن المُرْجِيَّةِ، الأشعري: مقالات الإسلاميين ١٣٢-١٥٤، الإسفراييني: التبصير في الدين ٩٧-٩٩؛ البغدادي: الفرق بين الفرق ٢٠٢-٢٠٧؛ الشهرستاني: الملل والنحل ١٢٥-١٣٠. van Ess, J. «Das Kitâb

- اليونانية : أتباع يونس بن عمرو ، وهو غير يونس بن عبد الرحمن القمي الرافضي . زعم أن الإيمان معرفة الله والخضوع له ، والمحبة ، والإقرار بأنه واحد ليس كمثله شيء .
- والغسانية : أتباع غسان بن أبان الكوفي ، المنكر نبوة عيسى عليه السلام ، وتلمذ لحمد ابن الحسن الشيباني ، ومذهبه في الإيمان كمذهب يونس ؛ إلا أنه يقول : كل خصلة من خصال الإيمان تُسمى بعض الإيمان ، ويونس يقول : كل خصلة ليست بإيمان ولا بعض إيمان .
- وزعم غسان أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص . وعند أبي حنيفة ، رحمه الله ، الإيمان معرفة بالقلب وإقراراً باللسان ، فلا يزيد ولا ينقص كقرص الشمس .
- والثوبانية : أتباع ثوبان المري ، ثم الخارجي المعتزلي ، وكان يقال له جامع النقائص ، هاجر الخصائص . ومن قوله : الإيمان هو المعرفة والإقرار ، والإيمان فعل ما يجب في العقل فغله . فأوجب الإيمان بالعقل قبل وزود الشرع ، وفارق الغسانية واليونانية في ذلك .
- والتومنية : أتباع أبي معاذ التومني الفيلسوف . زعم أن من ترك فريضة لا يقال له فاسق على الإطلاق ، ولكن ترك الفريضة فسق . وزعم أن هذه الخصال التي تكون جملتها إيماناً ، فواحدة ليست بإيمان ولا بعض إيمان ، وأن من قتل نبياً كفر لا لأجل القتل ، بل لاستخفافه به وبغضه له .
- ومن فرق المزجعة : المريسية أتباع بشر بن غياث المريسي^١ . كان عراقي المذهب في الفقه ، تلميذاً للقاضي أبي يوسف يعقوب الحضرمي ، وقال بنفي الصفات وخلق القرآن ، فأكفرته الصفاتية بذلك . وزعم أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ، ولا استطاعة مع الفعل ، فأكفرته المعتزلة بذلك . وزعم أن الإيمان هو التصديق بالقلب ، وهو مذهب ابن الريوندي .
- ولما ناظره الشافعي في مسألة خلق القرآن ونفي الصفات ، قال له : نصفك كافر لقولك بخلق القرآن ونفي الصفات ، ونصفك مؤمن لقولك بالقضاء والقدر وخلق اكتساب العباد . وبشر معدود من المعتزلة لنفيه الصفات ، وقوله بخلق القرآن .

^١ حاشية بخط المؤلف : «بشر بن غياث أبو عبد الرحمن المريسي مولى زائد بن الخطاب ، وقيل مولى بني تهذ ، توفي سنة ثمان عشر أو تسع عشر ومائتين . وله نحو عشرين

مصحفاً ، وله شعر ، وكان يندم ويتورع ، وله قدر عند الخلفاء والملوك ، وكان يشرب الثبيرة .

ومن فرق المُرْجِئة: الصَّالِحِيَّة أَتْبَاعُ صَالِحِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ صَالِحٍ، وَالْمَحْدَرِيَّة أَتْبَاعُ جَحْدَرِ بْنِ مُحَمَّدِ التَّمِيمِيِّ، وَالزُّيَادِيَّة أَتْبَاعُ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادِ الْكُوفِيِّ، وَالشُّبَيْبِيَّة أَتْبَاعُ مُحَمَّدِ بْنِ شُبَيْبٍ، وَالنَّاقِضِيَّة، وَالْبَهْشَمِيَّة.

ومن المُرْجِئة جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَيْمَّةِ: كَسَعِيدِ بْنِ مُجَبِّيرٍ، وَطَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ، وَعَمْرٍو بْنِ مُرَّةٍ، وَمُحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ، وَعَمْرٍو بْنِ ذَرٍّ، وَحَمَّادِ بْنِ سَلِيمَانَ، وَأَبِي مُقَاتِلٍ. وَخَالَفُوا الْقَدْرِيَّةَ وَالخَوَارِجَ وَالْمُرْجِئةَ فِي أَنَّهُمْ لَمْ يُكْفُرُوا بِالْكَبَائِرِ، وَلَا حَكَمُوا بِتَخْلِيدِ مُرْتَكِبِهَا فِي النَّارِ، وَلَا سَبُّوا أَحَدًا مِنَ الصُّحَابَةِ، وَلَا وَقَعُوا فِيهِمْ.

وَأَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الْإِرْجَاءَ أَبُو مُحَمَّدِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ - الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْحَنْفِيَّةِ - بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَتَكَلَّمَ فِيهِ ^١. وَصَارَتِ الْمُرْجِئةُ بَعْدَهُ أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ: الْأَوَّلُ مُرْجِئةُ الْخَوَارِجِ، الثَّانِي مُرْجِئةُ الْقَدْرِيَّةِ، الثَّلَاثُ مُرْجِئةُ الْجَبْرِيَّةِ، الرَّابِعُ مُرْجِئةُ الصَّالِحِيَّةِ.

وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ يَكْتُبُ كُتُبَهُ إِلَى الْأَمْصَارِ يَدْعُو إِلَى الْإِرْجَاءِ. إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُؤَخِّرِ الْعَمَلَ عَنِ الْإِيمَانِ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ، بَلْ قَالَ: أَدَاءُ الطَّاعَاتِ وَتَرْكُ الْمَعَاصِي لَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ، ^(أ) وَأَنَّ الْإِيمَانَ ^(ب) لَا يَزُولُ بِزَوَالِهَا.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الْإِرْجَاءَ بِالْبَصْرَةِ حَسَّانُ بْنُ يِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزْنِيِّ ^٢. وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَ الْإِرْجَاءَ أَبُو سَلَمَةَ ^(ب) الشُّمَّانُ، وَمَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَمِائَةً.

الْفِرْقَةُ السَّادِسَةُ

الْحُرُورِيَّةُ

الْعَلَاةُ فِي إِثْبَاتِ الْوَعِيدِ وَالخَوْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَالتَّخْلِيدِ فِي النَّارِ مَعَ وُجُودِ الْإِيمَانِ. وَهِيَ قَوْمٌ مِنَ التَّوَابِيعِ الْخَوَارِجِ، وَهِيَ مُضَادُّونَ الْمُرْجِئةِ فِي النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ^٣.

(a-a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: سلت.

^٢ ابن قتيبة: المعارف ٢٩٨.

^٣ الحرورية نسبة إلى حروراء (لا حروراء كما يذكر =

^١ Madelung, W., «The Early Murji'a in Khurâsân and Transoxania and the Spread of Hanafism», *Der Islam* LIX (1982), pp. 32-39.

ومن مفرداتهم أن من ارتكب كبيرة فهو مُشرك؛ ومذهب عامة الخوارج أنه كافر وليس بمُشرك، وقال بعضهم: هو مُنافق في الذك الأسفل من النار. فعند الحزورية أن الاسم يتغير بارتكاب الكبيرة الواحدة، فلا يُسمى مؤمناً بل كافراً مُشركاً، والحكم فيه أنه يُخلد في النار، واتفقوا على أن الإيمان هو اجتناب كل معصية.

- وقيل لهم الحزورية؛ لأنهم خرجوا إلى خوزاء لقتال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وعدتهم اثنا عشر ألفاً، ثم سار علي - رضي الله عنه - إليهم وناظرهم، ثم قاتلهم وهم أربعة آلاف، فانضم إليهم جماعة حتى بلغوا اثني عشر ألفاً.

الفِرقة السابعة

التجارية

- ١٠ أتباع الحسن بن محمد بن عبد الله التجار، أبي عبد الله. كان حائكاً، وقيل إنه كان يعمل الموازين، وأنه كان من أهل قم، كان من مجلة^(a) الحجرة ومكلمهم، وله مع النظام عدة مناظرات: منها أنه ناظره مرة، فلما لم يلحن بحجته رفسه النظام، وقال له: قم أخزي الله من يسبك إلى شيء من العلم والفهم. / فانصرف مخموماً، واعتل حتى مات^(b) في.
- وهم أكثر معتزلة الزي وجهاتها، وهم يوافقون أهل السنة في مسألة القضاء والقدر، واكتساب العباد، وفي الوعد والوعيد، وإمامة أبي بكر - رضي الله عنه - ويوافقون المعتزلة في نفي الصفات، وخلق القرآن، وفي الرؤية، وهم ثلاث فرق: البرغوثية، والزعفرانية، والمستدركة^١.

٣٥١:٢

(a) بولاق: جملة. (b-b) ساقطة من بولاق.

^١ راجع عن التجارية، الأشعري: مقالات الإسلاميين ١٢٧؛ الإسفراييني: التبصير في الدين ١٠١-١٠٣؛ البغدادي: الفرق بين الفرق ٢٠٧-٢١١؛ الشهرستاني: الملل والنحل ١: ٨١-٨٢.

= ياقوت) إحدى كور مدينة الكوفة (راجع، النوبختي: فرق الشيعة ٦، ١٤-١٥؛ الأشعري: مقالات الإسلاميين ١٢٧-١٢٨؛ *El² art. Harûrâ'* Veccia Vaglieri, L., (III, pp. 242-43).

الفِرْقَةُ الثَّامِنَةُ الْجَهْمِيَّةُ

أَتْبَاعُ جَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ^١، وَهُمْ يُوَافِقُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ فِي مَسْأَلَةِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ مَعَ مِثْلِ إِلَى الْجَبْرِ، وَيَنْفُونَ الصُّفَاتِ وَالرُّؤْيِيَّةَ، وَيَقُولُونَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ. وَهُمْ فِرْقَةٌ عَظِيمَةٌ عِدَادُهُمْ فِي الْمُعْطَلَةِ الْمَجْبُورَةِ.

الفِرْقَةُ التَّاسِعَةُ الرَّوَافِضُ

الْعُلَاةُ فِي حُبِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَبُغْضِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَائِشَةَ وَمُعَاوِيَةَ فِي آخِرِينَ مِنَ الصُّحَابَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. وَسُمُّوا رَافِضَةً لِأَنَّ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - امْتَنَعَ مِنْ لَعْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَقَالَ: هُمَا وَزَيْرَا جَدِّي مُحَمَّدٌ ﷺ فَرَفَضُوا رَأْيَهُ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لِأَنَّهُمْ رَفَضُوا رَأْيَ الصُّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - حَيْثُ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^٢.

١٩٦٠؛ الأشعري: مقالات الإسلاميين ٢٧٩-٢٨٠؛
الإسفرائيني: التبصير في الدين ١٠٧-١٠٨؛ البغدادي:
الفرق بين الفرق ٢١١-٢١٢؛ الشهرستاني: الملل والنحل
١: ٧٩-٨١؛ El² art. Montgomery Watt, W.,
Djahmiyya II, pp. 398-99.

٢ راجع عن الرافضة (الروافض) ، الذين رَفَضُوا إمامة أبي
بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَهُمْ كُلُّ الشَّيْخَةِ عِدا الزَّيْدِيَّةِ، الأشعري:
مقالات الإسلاميين ١٦-٦٤؛ الإسفرائيني: التبصير في
الدين ٢٧-٤٣؛ البغدادي: الفرق بين الفرق ٣٧-٧٢؛
الشهرستاني: الملل والنحل ١: ١٤٤-١٦٩؛ نشوان
الحميري: الحور العين ١٥٤-١٧٠، ١٧٨-١٨٩؛
Montgomery Watt, W., «The Rafidites.
Preliminary Study», Oriens 16 (1963), pp. 110-
121; Kohlberg, E., El² art. Rafida/Rawâfid VIII,
pp. 400-2.

١ حاشية بخط المؤلف: «جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ أَبُو مُحَرِّزٍ،
كَاتِبُ الْحَارِثِ بْنِ سُرَيْجِ الثَّمِيمِيِّ الْقَائِمِ بِخُرَاسَانَ أَيَّامَ نَضْرَ
ابْنِ سَيَّارٍ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ يَزِيدَ خَرَجَ مَعَ الْحَارِثِ بْنِ سُرَيْجِ
يَتَّحِلُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَقُتِلَ فِي آخِرِ مُلْكِ
بَنِي أُمَيَّةَ. لَهُ أَرْبَعُ مَصْنُوعَاتٍ وَتَوَلَّى قَتْلَهُ سَلْمُ بْنُ أَحْوَزَ بْنِ أَرَبْدِ
ابْنِ مُحَرِّزِ بْنِ لَاطِي بْنِ سَحِيرِ بْنِ خِيَابِ بْنِ حَخْبَةَ بْنِ كَامِيَةَ
بَعْدَمَا أَسْرَهُ فَضْرَبَ عُنُقَهُ صَبْرًا».

أقول: قُتِلَ سَنَةَ ١٢٨ هـ/٧٤٦ م، راجع، الطبري:
تاريخ ٧: ٣٣٠-٣٣٢؛ الشهرستاني: الملل والنحل ١: ٧٩-
٨١؛ الذهبي: ميزان الاعتدال ١: ٤٢٦، سير أعلام النبلاء
٢٦٦: ٢٧-٢٦؛ El² art. Montgomery Watt W.,
Djahm b. Safwân II, p. 398.

وراجع عن الجهمية، أحمد بن حنبل: الرد على الزنادقة
والجهمية، القاهرة د.ت؛ أبو سعيد الدارمي: كتاب الرد
على الجهمية، نشره G. Vitestam في ليدن سنة

وقد اختلف الناس في الإمام بعد رسول الله ﷺ : فذهب الجمهور إلى أنه أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه . وقال العباسية والريونديّة^(a) أتباع أبي هريرة الريوندي^(b) - وقيل أتباع أبي العباس الريوندي^(b) - هو العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - لأنه العم والوارث ، فهو أحق من ابن العم . وقال العثمانية وبنو أمية : هو عثمان بن عفان ، رضي الله تعالى عنه . وذهب آخرون إلى غير ذلك . وقال الرافضة : هو علي بن أبي طالب .

ثم اختلفوا في الإمامة اختلافا كثيرا حتى بلغت فرقتهم ثلاث مائة فرقة^(١) ، والمشهور منها عشرون فرقة أمثلها^(c) : «الزيدية» و«الصباحية» ؛ لإقرارهم^(d) بإمامة أبي بكر - رضي الله عنه - وأنه^(e) لا نص في إمامة علي - رضي الله عنه - واختلفوا في إمامة عثمان - رضي الله عنه : فأنكرها بعضهم ، وأقر بعضهم أنه الإمام بعد عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، لكن قالوا : علي أفضل من أبي بكر ، وإمامة المقضول جائزة .

وقال الغلاة : الإمام^(c) هو علي بالنص ، ثم الحسن وبعده الحسين ، وصار بعد الحسين الأمر شورى . وقال بعضهم : لم يرد النص إلا بإمامة علي فقط ، وقال آخرون : نص على علي بالوصف لا بالعين والاسم ، وقال بعضهم : قد جاء النص على إمامة اثني عشر آخريهم المهدي المنتظر .

وفرقتهم العشرون هي :

«الإمامية» - وهم مختلفون في الإمامة بعد رسول الله ﷺ . فزعم أكثرهم أن الإمامة في علي بن أبي طالب وأولاده بنص النبي ﷺ ، وأن الصحابة كلهم قد ارتدوا إلا عليا وابنيه الحسن والحسين وأبا ذر الغفاري وسلمان الفارسي وطائفة يسيرة . وأول من تكلم في مذهب الإمامية علي بن إسماعيل بن هيثم^(f) الثمار ، وكان من أصحاب علي بن أبي طالب^(٢) .

(a) بولاق : الربوبية . (b) بولاق : الربوبدي . (c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : أقروا . (e) بولاق : ورأوا أنه . (f) بولاق : هيثم .

^١ راجع في الخلاف حول الإمامة ، الأشعري : مقالات *Imâma III*, pp. 1192-98.

^٢ راجع عن الإمامية ، الشهرستاني : الملل والنحل الإسلاميين ١-٥٥ ؛ نشوان الحميري : الحور العين ١٥٠- -
Madelung, W., *El* ² art. : ٢١٢-٢١٥ ؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ٥٣-٧١ .

وَذَهَبَتْ « الْقَطْعِيَّة » مِنْهُمْ إِلَى أَنَّ الْإِمَامَةَ فِي عَلِيِّ ، ثُمَّ فِي الْحَسَنِ ، ثُمَّ فِي الْحُسَيْنِ ، ثُمَّ فِي عَلِيِّ ابْنِ الْحُسَيْنِ ، ثُمَّ فِي مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، ثُمَّ فِي جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ فِي مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ ، ثُمَّ فِي عَلِيِّ بْنِ مُوسَى . وَقَطَعُوا الْإِمَامَةَ عَلَيْهِ ، فَسُمُّوا « الْقَطْعِيَّة » لِذَلِكَ ، وَلَمْ يُثَبِّتُوا (a) إِمَامَةَ مُحَمَّدِ (b) ابْنِ عَلِيٍّ (b) بْنِ مُوسَى وَلَا إِمَامَةَ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى .^١

وَقَالَتْ « النَّاوَوِيَّة » : جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ لَمْ يَمُتْ ، وَهُوَ حَيٌّ يُنْتَظَرُ .^٢

وَقَالَتْ « الْمُبَارَكِيَّة » أَتْبَاعُ مُبَارَكٍ : الْإِمَامُ بَعْدَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ جَعْفَرٍ ، ثُمَّ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ .^٣

وَقَالَتْ « الشُّمَيْطِيَّة » أَتْبَاعُ يَحْيَى بْنِ شُمَيْطِ الْأَحْمَسِيِّ - كَانَ مَعَ الْمُخْتَارِ قَائِدًا مِنْ قُوَّادِهِ ، فَأَنْفَذَهُ أَمِيرًا عَلَى جَيْشِ الْبَصْرَةِ يُقَاتِلُ مُضْعَبَ بْنِ الزُّبَيْرِ فَقُتِلَ بِالْمَذَارِ - الْإِمَامَةُ بَعْدَ جَعْفَرِ فِي ابْنِهِ مُحَمَّدٍ وَأَوْلَادِهِ .^٤

وَقَالَتْ « الْمَعْمَرِيَّة » أَتْبَاعُ مَعْمَرٍ : الْإِمَامَةُ بَعْدَ جَعْفَرِ فِي ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ وَأَوْلَادِهِ . وَيُقَالُ لَهُمْ « الْقَطْعِيَّة » (c) ، لِأَنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ كَانَ أَقْطَحَ (d) الرَّجُلِينَ .^٥

وَقَالَتْ « الْوَاقِفِيَّة » : الْإِمَامُ بَعْدَ جَعْفَرِ ابْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ ، وَهُوَ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ ، وَهُوَ الْإِمَامُ الْمُنتَظَرُ . وَسُمُّوا « الْوَاقِفِيَّة » لِوُقُوفِهِمْ عَلَى إِمَامَةِ مُوسَى .^٦

وَقَالَتْ « الزُّرَّارِيَّة » أَتْبَاعُ زُرَّارَةَ بْنِ أَعْيَنٍ : الْإِمَامُ بَعْدَ جَعْفَرِ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ ، إِلَّا أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ مَسَائِلَ فَلَمْ يُمَكِّنْهُ الْجَوَابَ عَنْهَا ، فَادَّعَى إِمَامَةَ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ .^٧

وَقَالَتْ « الْمُفْضَلِيَّة » أَتْبَاعُ الْمُفْضَلِ بْنِ عَمْرٍو : الْإِمَامُ بَعْدَ جَعْفَرِ ابْنِهِ مُوسَى ، وَأَنَّهُ مَاتَ فَانْتَقَلَتْ الْإِمَامَةُ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى .^٨

(a) بولاق : يكتبوا . (b-b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : الفطحية . (d) بولاق : أفتح .

^١ الأشعري : مقالات الإسلاميين ١٧-١٨ ، ٣٠-
^٢ البغدادي : الفرق بين الفرق ٦٤-٦٥ .
^٣ نفسه ٢٦-٢٧ .
^٤ نفسه ٢٧ ، وهو فيه يحيى بن أبي شميطة ؛ نشوان الحميري : الحور العين ١٦٣ .
^٥ الأشعري : مقالات الإسلاميين ٢٧-٢٨ ، وفيه «القمارية» واسم رئيسهم عمَّار .
^٦ نفسه ٢٨ .
^٧ نفسه ٢٨ .
^٨ نفسه ٢٩ ، وهو فيه : الْمُفْضَلُ بْنُ عَمْرٍو ، ويدعون كذلك «الموسائية» لقولهم بإمامة موسى بن جعفر .

وقالت «المفوضة» من الإمامية: إن الله تعالى خلق محمدًا، ﷺ، وفوض إليه خلق العالم وتديره. وقال بعضهم: بل فوض ذلك إلى علي بن أبي طالب.

والفرقة الثانية من فرق الروافض:

الكيسانية - أتباع كيسان مولى علي بن أبي طالب، وأخذ عن محمد ابن الحنفية - وقيل بل كيسان اسم المختار بن عبيد الثقفي الذي قام لأخذ ثأر الحسين - رضي الله عنه - زعموا أن الإمام بعد علي ابنه محمد ابن الحنفية، لأنه أعطاه الراية يوم الجمل، ولأن الحسين أوصى إليه عند خروجه إلى الكوفة^١.

ثم اختلفوا في الإمام بعد ابن الحنفية، فقال بعضهم: رجع الأمر بعده إلى أولاد الحسن والحسين، وقيل بل انتقل إلى أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية. وقالت الكرية أتباع أبي كرب بأن ابن الحنفية حي لم يموت، وهو الإمام المنتظر. ومن قول الكيسانية أن البدا جائز على الله، وهو كفر صريح.

والفرقة الثالثة:

الخطابية - أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي ثور - وقيل محمد بن أبي يزيد - الأجدع. ومذهبه العلوي في جعفر بن محمد الصادق، وهو أيضًا من المشبهة، وأتباعه خمسون فرقة، وكلهم متفقون على أن الأئمة - مثل علي وأولاده - كلهم أنبياء، وأنه لا بُدَّ من رسولين لكل أمة: أحدهما ناطق، والآخر صامت، فكان محمد ناطقًا، وعلي صامتًا، وأن جعفر بن محمد الصادق كان نبيًا، ثم انتقلت النبوة إلى أبي الخطاب الأجدع، وجوزوا كلهم شهادة الزور لموافقهم، وزعموا أنهم عالمون بما هو كائن إلى يوم القيامة^٢.

^١ Madelung, W., *El*² art. *Kaysâniyya* IV, ١٩٧٤ pp. 869-71.

^٢ راجع عن الخطابية، الأشعري: مقالات الإسلاميين

١٠-١٣؛ نشوان الحميري: الحور العين ١٦٦-١٧٠؛

Madelung, W., *El*² art. *Khatabiyya* IV, pp. 1163-64.

^١ راجع عن الكيسانية، الأشعري: مقالات الإسلاميين

١٨-٢٣؛ البغدادي: الفرق بين الفرق ٣٨-٥٣؛

الشهرستاني: الملل والنحل ١: ١٣١-١٣٧؛ نشوان

الحميري: الحور العين ١٥٧-١٦٢؛ وداد القاضي:

الكيسانية في التاريخ والأدب، بيروت - دار الثقافة

وقالت «المعمرية» منهم: الإمام بعد أبي الخطاب رجل اسمه معمر^(a)، وزعموا أن الدنيا لا تنفى، وأن الجنة هي ما يصيبه الإنسان من الخير في الدنيا، والنار ضد ذلك. وأباحوا شرب الخمر والزنى وسائر المحرمات، ودأبوا بتزك الصلاة، وقالوا بالتناسخ، وأن الناس لا يؤثون وإنما ترفع أرواحهم إلى غيرهم.

وقالت «البريغية» منهم: إن جعفر بن محمد إله، وليس هو الذي يراه الناس وإنما تشبهه على الناس، وزعموا أن كل مؤمن يوحى إليه، وأن منهم من هو خير من جبريل وميكائيل ومحمد ﷺ، وزعموا أنهم يرون أمواتهم بكره وعشياً.

وقالت «العميرية» منهم، أتباع عمير بن بيان العجلي، مثل ذلك كله، وخالفوهم في أن الناس لا يؤثون.

واقترقت «الخطابية» بعد قتل أبي الخطاب فرقا: منها فرقة زعمت أن الإمام بعد أبي الخطاب، عمير بن بيان العجلي، ومقاتلهم كمقالة البريغية، إلا أن هؤلاء اعترفوا بموتهم، ونصبوا خيمة على كناسة الكوفة بجمعون فيها على عبادة جعفر الصادق. فبلغ ذلك يزيد ابن عمير، فصلب عمير بن بيان في كناسة الكوفة.

ومن فرقهم «المفضلية» أتباع مفضل الصيرفي. زعم أن جعفر بن محمد إله، فطرده ولغته. وزعمت «الخطابية» بأجمعها أن جعفر بن محمد الصادق أودعهم جلدًا يقال له «جفر» فيه كل ما يحتاجون إليه من علم الغيب وتفسير القرآن. وزعموا - لعنتهم الله - أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً﴾ [الآية ٦٧ سورة البقرة] معناه عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - وأن الخمر والميسر: أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - وأن الجبت والطاغوت: معاوية بن أبي سفيان وعمرو ابن العاص، رضي الله عنهما.

والفرقة الرابعة:

الزيدية - أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - القائلون بإمامته وإمامة من اجتمع فيه ست خصال: العلم، والزهد، والشجاعة، وأن يكون من أولاد فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - حسنياً أو حسينياً، ومنهم من زاد صباحة الوجه، وألا يكون فيه آفة. وهم يوافقون المعتزلة في أصولهم كلها إلا في مسألة الإمامة. وأخذ

(a) بولاق: مصر.

مَذْهَبُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ، وَكَانَ يُفْضِلُ عَلِيًّا عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مَعَ الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِمَا^١.

وَهُمْ أَزْبَعُ فِرْقٍ :

« الْجَارُودِيَّةُ » أَتْبَاعُ أَبِي الْجَارُودِ، وَيَكْنَى أَبُو النَّجْمِ، زِيَادُ بْنُ الْمُثَنِّرِ الْعَبْدِيُّ. زَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَصَّ عَلَى إِمَامَةِ عَلِيٍّ بِالْوَصْفِ لَا بِالتَّسْمِيَةِ، وَأَنَّ النَّاسَ كَفَرُوا بِتَرْكِهِمْ مُبَايَعَةَ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَأَوْلَادِهِمَا.

و« الْجَرِيرِيَّةُ » أَتْبَاعُ سَلِيمِ بْنِ جَرِيرٍ، وَمِنْ قَوْلِهِ: لَمْ يَكْفُرِ النَّاسُ بِتَرْكِهِمْ مُبَايَعَةَ عَلِيٍّ، بَلْ أَخْطَأُوا بِتَرْكِ الْأَفْضَلِ وَهُوَ عَلِيٌّ، وَكَفَرُوا الْجَارُودِيَّةَ بِتَكْفِيرِهِمُ الصُّحَابَةَ، إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ بِالْأَخْذَاتِ الَّتِي أَخَذَتْهَا، وَقَالُوا: لَمْ يَنْصُ عَلِيٌّ عَلَى إِمَامَةِ أَحَدٍ، وَصَارَ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ سُورَى. وَمِنْهُمْ « الْبُثْرِيَّةُ » أَتْبَاعُ الْحَسَنِ بْنِ صَالِحِ بْنِ كَثِيرِ الْأَبْتَرِ. وَقَوْلُهُمْ: إِنَّ عَلِيًّا أَفْضَلُ وَأَوْلَى بِالْإِمَامَةِ، غَيْرَ أَنَّ أَبِي بَكْرٍ كَانَ إِمَامًا، وَلَمْ تَكُنْ إِمَامَتُهُ خَطَأً وَلَا كُفْرًا، بَلْ تَرَكَ عَلِيٌّ الْإِمَامَةَ لَهُ، وَأَمَّا عُثْمَانُ فَيَتَوَقَّفُ فِيهِ.

وَمِنْهُمْ « الْيَعْقُوبِيَّةُ » أَتْبَاعُ يُعْقُوبِ. وَهُمْ يَقُولُونَ بِإِمَامَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَيَتَبَرَّأُونَ مِمَّنْ تَبَرَّأَ مِنْهُمَا، وَيُنْكِرُونَ رَجْعَةَ الْأَمْوَاتِ إِلَى الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَتَبَرَّأُونَ مِمَّنْ دَانَ بِهَا، إِلَّا أَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى تَفْضِيلِ عَلِيٍّ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، مِنْ غَيْرِ تَفْسِيحِهِمَا وَلَا تَكْفِيرِهِمَا وَلَا لَعْنِهِمَا، وَلَا الطُّغْنَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الصُّحَابَةِ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

الْفِرْقَةُ الْخَامِسَةُ: « السَّبْيِيَّةُ » أَتْبَاعُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأٍ الَّذِي قَالَ شَفَاهَا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: أَنْتَ الْإِلَهَ. وَكَانَ مِنَ الْيَهُودِ، وَيَقُولُ فِي يُوشَعَ بْنِ نُونٍ مِثْلَ قَوْلِهِ ذَلِكَ فِي عَلِيٍّ، وَزَعَمَ أَنَّ عَلِيًّا لَمْ

ibn Ibrâhîm und die Glaubenslehre der Zaiditen, Berlin 1965; Sezgin, F., *GASI*, pp. 561-63; *El*² art. *Zayd b. 'Alî XI*, *El*² art. *Zaydiyya XI*, sous presse. فضيلة عبد الأمير الشامي: تاريخ الفرقة الزيدية بين القرنين الثاني والثالث للهجرة، النجف ١٩٧٤؛ أحمد محمود صبحي: الزيدية، الإسكندرية - منشأة المعارف ١٩٨٠؛ أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري، القاهرة ١٩٨٧، ٢١١-٢٢٧؛ وفيما يلي ٨٢٨-٨٣٧.

^١ عن الزيدية، أتباع الإمام زيد بن علي والذين يُعدُّون الفرقة السياسية الوحيدة بين الشيعة، حيث ناز الإمام زيد على الأمويين سنة ١٢٢هـ/٧٤٠م، راجع الأشعري: مقالات الإسلاميين ٦٥-٧٥؛ المسعودي: مروج الذهب ٤: ٤٥؛ البغدادي: الفرق بين الفرق ٣٠-٣٧؛ الشهرستاني: الملل والنحل ١: ١٣٧-١٤٣؛ نشوان الحميري: الحور العين ١٥٥-١٥٧، ١٨٤-١٨٩؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٥: ٣٥-٣٦؛ Madelung, W., *Der Imam al-Qâsim*

يُقْتَل ، وأنه حتى لم يمُت ، وأنه في السحاب ، وأن الرعد صوته والبرق سوطه ، وأنه ينزل إلى الأرض بعد حين ، قبحه الله ^١ .

والفرقة السادسة : « الكاملية » أتباع أبي كامل . أكفر جميع الصحابة بتزكيتهم بيعة علي ، وكفر عليًا بتزكيتهم ، وقال بتناسخ الأنوار الإلهية في الأئمة .

والفرقة السابعة : « البيانية » أتباع بيان بن سَمْعان . زعم أن روح الإله حل في الأنبياء ، ثم في علي ، وبعده في محمد ابن الحنفية ، ثم في ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد ، ثم حل بعد أبي هاشم في بيان بن سَمْعان ، يعني نفسه ، / لعنه الله .

والفرقة الثامنة : « المغيرة » أتباع مغيرة بن سعيد العجلي ، مولى خالد بن عبد الله ، طلب الإمامة لنفسه بعد محمد بن عبد الله بن الحسن ، فخرج على خالد بن عبد الله القسري بالكوفة في عشرين رجلًا فقطعوا به ، فقال خالد : أطعموني ماء ، وهو على المنبر ، فعير بذلك .

والمغيرة هذا قال بالتشبيه الفاجس ، وادعى النبوة ، وزعم أن مغيرته علمه بالاسم الأعظم ، وأنه يحيى الموتى ، وزعم أن الله لما أراد أن يخلق العالم كتب بأصبعه أعمال عباده ، فعضب من معاصيهم فغرق ، فاجتمع من غرقه بخران : أحدهما مالح والآخر عذب ، فخلق من البحر العذب الشيعة ، وخلق الكفرة من البحر المالح . وزعم أن المهدي يخرج وهو محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

والفرقة التاسعة : « الهشامية » ، وهم صئفان : أحدهما أتباع هشام بن الحكم ^٢ ، والثاني أتباع هشام الجولقي . وهما يقولان : لا تجوز المغصية على الإمام ، وتجوز على الأنبياء ، وأن محمدًا عصى ربه في أخذ الفداء من أسرى بدر ، كذبًا لعنهما الله . وهما أيضًا مع ذلك من المشبهة .

^١ انظر عن السبئية ، فيما تقدم ٣٧١ هـ .
^٢ حاشية بخط المؤلف : « هشام بن الحكم ، أبو محمد مولى بني شيان ، كوفي تحول إلى بغداد ، وكان من أصحاب جعفر الصادق ومن متكلمي الشيعة ممن فسّر الكلام في الإمامة وهذب المذهب بالنظر ، وكان حاذقًا بصناعة الكلام حاضِر الجواب ، سُئل عن معاوية أشهد بدرًا ؟ قال : نعم من ذاك الجانب . وكان مُتَعَطِّفًا إلى يحيى بن خالد البرمكي والقائم بمجالس كلامه . توفي بعد نكبة البرامكة بقليل مُسْتَبْرَأً وله خمس وثلاثون مُصَنَّفًا . »

١٠
١٥

والفرقة العاشرة: «الزُرارية» أتباع زُرارة بن أعين^١، أخذ الغلاة في الرّفص، ويزعم مع ذلك أن الله تعالى لم يكن في الأزل عالماً ولا قادراً حتى اكتسب لنفسه جميع ذلك، قَبَّحه الله.

والفرقة الحادية عشرة: «الجنّاحية» أتباع عبد الله بن معاوية ذي الجناحين ابن أبي طالب. وزعم أنه إله، وأن العلم يثبت في قلبه كما تثبت الكمأة، وأن روح الإله دارت في الأنبياء كما كانت في علي وأولاده، ثم صارت فيه.

ومذهبهم استئصال الخمر والميتة ونكاح المحارم، وأنكروا القيامة، وتأولوا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية ٩٣ سورة المائدة]، وزعموا أن كل ما في القرآن من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير، كناية عن قوم يلزم بعضهم، مثل أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية، وكل ما في القرآن من الفرائض التي أمر الله بها كناية عن من يلزم موالاتهم، مثل علي والحسن والحسين وأولادهم.

والثانية عشرة: «المنصورية» أتباع أبي منصور العجلي، أخذ الغلاة المشبهة، زعم أن الإمامة انتقلت إليه بعد محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأنه عرج به إلى السماء بعد انتقال الإمامة إليه، وأن معبوده مسح بيده على رأسه، وقال له: يا بُنَيَّ بَلِّغْ عَنِّي آيَةَ الْكَيْسَفِ السَّقِيطِ مِنَ السَّمَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سِحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ [الآية ٤٤ سورة الطور]. وزعم أن أهل الجنة قوم تجب موالاتهم مثل علي بن أبي طالب وأولاده، وأن أهل النار قوم تجب معاداتهم مثل أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية، رضي الله عنهم.

والثالثة عشرة: «الفرايئة». زعموا - لعنهم الله - أن جبريل أخطأ، فإنه أُرْسِلَ إلى علي ابن أبي طالب فجاء إلى محمد ﷺ، وجعلوا شعارهم إذا اجتمعوا أن يقولوا: «العنوا صاحب الرّيش» - يعنون جبريل عليه السلام - وعليهم اللعنة.

^١ حاشية بخط المؤلف: «زُرارة بن أعين بن ميسس، واسم زُرارة عبد ربه وزُرارة لقب له. وكان أبوه أعين عبداً رومياً لرجل من بني شيبان تعلم القرآن، ثم اعتقه. وكان

سينس راهباً في بلد الروم. وزرارة أكثر رجال الشيعة فقهاً وحديثاً ومعرفةً بالإسلام والشيعة».

والرابعة عشرة: «الذميمة» (بفتح الذال المعجمة) زعموا - أخزاهم الله - أن علي بن أبي طالب بعثه الله نبيًا، وأنه بعث محمدًا ﷺ ليظهر أمره، فادعى النبوة لنفسه، وأرضى عليًا بأن زوجه ابنته وموآله. ومنهم العلويانية أتباع عليان بن ذراع السدوسي - وقيل الأسدي - كان يفضل عليًا على النبي ﷺ، ويَزعم أن عليًا بعث محمدًا. وكان - لعنه الله - يذم النبي ﷺ، لزعمه أن محمدًا بعث ليُدعو إلى علي، فدعا إلى نفسه.

ومن العلويانية من يقول بالهية محمد وعلي جميعًا، ويُقدّمون محمدًا في الإلهية، ويُقال لهم الميمية. ومنهم من قال بالهية خمسة - وهم أصحاب الكساء: محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين - وقالوا: خمستهم شيء واحد، والروح حالة فيهم بالسوية لا فضل لواحد منهم على الآخر، وكرهوا أن يقولوا «فاطمة» بالهاء، فقالوا «فاطم» . قال بعضهم:

[الطويل]

توليت بعد الله في الدين خمسة نبيًا، وسبطيه، وشيخًا، وفاطما

والخامسة عشرة: «اليونسية» أتباع يونس بن عبد الله القمي، أخذ الغلاة المشبهة.

^{a)} ومنهم «الخريجة»، أتباع عبد الله بن الحارث، واسم الحارث سلمة بن مسعود بن خالد ابن أصرم. وهو من بني الطمخ بن الخرب بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مزع، وكان غالبًا كافرًا أوجب على أصحابه سبع عشرة صلاة كل يوم وليلة، في كل صلاة خمس عشرة ركعة، ثم تاب باختياره ورجع إلى قول الصفرية من الخوارج، فبرى منه أصحابه لما تاب وبقوا على كفرهم^a.

والسادسة عشر: «الرزامية» أتباع رزام بن سابق. زعم أن الإمامة انتقلت بعد علي ابن أبي طالب إلى ابنه محمد بن الحنفية، ثم إلى ابنه أبي هاشم، ثم إلى علي ابن عبد الله بن عباس بالوصية، ثم إلى ابنه محمد بن علي، فأوصى بها محمد إلى أبي العباس عبد الله بن محمد السفاح، الظالم المتردد في المذاهب، الجاهل بحقوق أهل البيت.

(a-a) هذه الفقرة ساقطة من بولاق.

والسابعة عشرة: «الشيطانية» أتباع محمد بن النعمان شيطان الطاق^١. وقد شارك المعتزلة والرافضة في جميع بدعهم^(a)، وانفرد بأعظم الكفر - قاتله الله - وهو أنه زعم أن الله لا يعلم الشيء حتى يُقدِّره، وقبل ذلك يستحيل علمه.

والثامنة عشرة: «البنسليمية» وهم من الراوندية زعموا أن الإمامة، بعد رسول الله ﷺ، صارت في علي وأولاده الحسن والحسين / ومحمد ابن الحنفية، ثم في أبي هاشم عبد الله ابن محمد ابن الحنفية، وانتقلت منه إلى علي بن عبد الله بن عباس بوصيته إليه، ثم إلى أبي العباس السفاح، ثم إلى أبي سلمة صاحب دولة بني العباس.

وقام بناحية كيش، فيما وراء النهر، رجل من أهل مزو أعور - يُقال له هاشم - ادعى أن أبا سلمة كان إليها انتقل إليه روح الله، ثم انتقل إليه بعده. فانتشرت دعوته هناك، واحتجبت عن أصحابه، واتخذ له وجهًا من ذهب، فعرف بالمصيغ. ثم إن أصحابه طلبوا رؤيته، فوعدهم أن يريهم نفسه إن لم يحترقوا، وعمل تجاه مرآة مخرقة تعكس شعاع الشمس. فلما دخلوا عليه احترق بعضهم، ورجع الباقون وقد فتوا، واعتقدوا أنه إله لا تُدركه الأبصار، ونادوا في حروبهم بالهيته.

(a) بولاق: مذهبيهم.

القدرية والخوارج والعمامة والشيعة، فالناجي من الفرق في الآخرة الشيعة. ومن رأيه ورأي هشام الإمساك عن الكلام في الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [الآية ٤٢ سورة النجم] - أي إذا بلغ الكلام إلى الله تعالى فأمسكوا، قالا: فلذلك أمسكنا عن القول في الله والتفكير فيه. وقيل له: وَيَحْكُ! أما استحييت أما اتقيت الله أن تقول في «كتاب الإمامة»: إن الله لم يقل قط في القرآن: ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [الآية ٤٠ سورة التوبة] فضحك طويلاً. وكانت وفاته في حدود الثمانين ومائة، ومن شعره:

[الطويل]

ولا تك في حب الأجلاء مُفرطاً

وإن أنت أبغضت البغيض فأجمل

فإنك لا تدري متى أنت مبغض

صديقك أو تغدر عدوك فاعقل

^١ حاشية بخط المؤلف: «هو أبو جعفر محمد بن علي ابن النعمان الكوفي المعتزلي الشيعي الصيرفي المعروف بـ «شيطان الطاق» من أجل أنه كان صيرفياً بطاق الحامل من بغداد، فاختلف هو وصيرفي في نقد دزهم فعليه فقال مَبْجُحًا: أنا شيطان الطاق، فعَلَبَ عليه هذا الاسم. والرافضة تُجلُّه وتُسميه ميمون الطاق. وله قصة مع أبي حنيفة رحمه الله، وله شعر جيد. قال بشر بن بُرد: شيطان الطاق أشعر مني. ومذهبه أن الإمامة لم تنزل إلى موسى بن جعفر، فلما مات موسى قطع الإمامة، ووافق هشام بن الحكم في قوله: إن الله تعالى يعلم الأشياء بعد وقوعها ولا يعلم أنها ستقع، وزعم أن الله تعالى على صورة إنسان لقوله - عليه السلام -: «إن الله خلق آدم على صورة الرحمن، لكنه ليس بجسم». وله كتب عديدة منها: «كتاب أفعل لم فعلت» و«كتاب أفعل لا تفعل»، وعنده أن كبار الفرق أربعة:

والتاسعة عشرة : « الجعفرية » (a)

والعشرون : « الصبائية » ، وهم والزيدية أمثل الشيعة ، فإنهم يقولون بإمامة أبي بكر ، وأنه لا نص في إمامة علي ، مع أنه عندهم أفضل وأبو بكر مفضول .

ومن فرق الروافض : « الحلوية » (b) ، و « الشاعية » ، و « الشريكية » يزعمون أن علياً شريك محمد ﷺ ، و « التناسخية » القائلون إن الأزواج تناسخ ، و « اللاغية » (c) ، و « المخطئة » الذين يزعمون أن جبريل أخطأ ، و « الإسحاقية » ، و « الخلفية » الذين يقولون : لا تجوز الصلاة خلف غير الإمام ، و « الرجعية » القائلون : سيرجع علي بن أبي طالب وينتقم من أعدائه ، و « المتربصية » الذين يتربصون بخروج المهدي ، و « الأمرية » ، و « الجبئية » ، و « الجلالية » ، و « الكرنبية » أتباع أبي كرنب الضير ، و « الحزنية » أتباع عبد الله بن عمرو الحزني .

الفرقة العاشرة

الخارج

ويقال لهم « التواصب » ، و « الحرورية » - ينسبوا إلى حروراء : موضع خرج فيه أولهم علي رضي الله عنه - وهم الغلاة في حب أبي بكر وعمر وبغض علي بن أبي طالب - رضوان الله عليهم أجمعين - ولا أجهل منهم ، فإنهم القاسطون المارقون . خرجوا على علي رضي الله عنه - وانقضوا عنه بالجملة وتبرأوا منه ، ومنهم من صجبه ، ومنهم من كان في زمنه . وهم جماعة قد دون الناس أخبارهم ، وهم عشرون فرقة :

الأولى : « الحكمية » ، ويقال : « المحكمة » (d) ؛ لأنهم خرجوا على علي رضي الله عنه - في صفين ، وقالوا : « لا حكم إلا لله ، ولا حكم للرجال » ، وانحازوا عنه إلى حروراء ، ثم إلى النهروان . وسبب ذلك أنهم حملوه على التحاكم إلى من حكم بكتاب الله ، فلما رضي بذلك - وكانت قضية الحكمين : أبي موسى الأشعري وهو عبد الله بن قيس ، وعمرو بن العاص ، غضبوا من ذلك ونابدوا علياً ، وقالوا في شعارهم : « لا حكم إلا لله ولرسوله » . وكان إمامهم في التحكيم عبد الله بن الكواء .

(a) يياض في آياصوفيا . (b) بولاق : الحلوية . (c) بولاق : اللاعنة . (d) بولاق : يقال لهم الحكمية .

والثانية : « الأزارقة » أتباع أبي راشد نافع بن الأزرق بن قيس بن نهار بن إنسان بن أسد ابن صبرة بن ذهل بن الدول بن حنيفة ، (a) كان أول من حَكَمَ عُرْوَةَ بن أَدِيَةَ ، وقيل بل أول من حَكَمَ رَجُلًا يقال له سَعْدٌ من بني مُحَارِبِ بن خَصَفَةَ بن قَيْسِ غِيلَانَ ، ولم يختلفوا في اجتماعهم على عبد الله بن الراسبي (a) الحارج بالبصرة في أيام عبد الله بن الزبير^١ . وهم على التبري من عثمان وعلي والطعن عليهما ، وأن دار مخالفيهم دار كُفْرٍ ، وأن من أقام بدار الكُفْرِ فهو كافر ، وأن أطفال مخالفيهم في النار وَيَجَلُّ قَتْلُهُمْ . وأنكروا رَجْمَ الزَّانِي ، وقالوا : من قَذَفَ مُحَصَّنَةً حُدًّا ، ومن قَذَفَ مُحَصَّنًا لَا يُحَدِّدُ ، وَيُقَطِّعُ الشَّارِقُ فِي القَلِيلِ والكثير .

والثالثة : « التَّجَدَّات » - ولم يُقَلَّ فيهم التَّجَدِّيَّةُ لِيُفَرِّقَ بينهم وبين من انتسب إلى بلاد نجد - فإنهم أتباع نجدة بن عويمر ، وهو عامر الحنفي الحارج باليمامة ، وكان رأسًا ذا مقالة مُفْرَدَةً ، وتسمى بأمر المؤمنين ، وبعث عَطِيَّةَ بن الأسود إلى سجستان ، فأظهر مذهبَه بمزوء ، فعرفت أتباعه بالعطويَّة .

ومذهبهم أن الدين أمران : أحدهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ، وتحريم دماء المسلمين وأموالهم . والثاني : الإقرار بما جاء من عند الله تعالى جملةً ، وما سوى ذلك من التحريم والتخليل وسائر الشرائع فإنَّ النَّاسَ يُعَذُّرُونَ بجهلها ، وأنه لا يَأْتُمُّ المَجْتَهِدُ إذا أخطأ ، وأنَّ من خاف (b) أن يُعَذَّبَ المَجْتَهِدُ فقد كفر . واشتخلوا دماء أهل الذمة في دار التَّيِّبَةِ ، وقالوا من نَظَرَ نَظْرَةَ مُحَرَّمَةٍ ، أن كَذَبَ كَذِبَةً ، أو أَصَرَ على صَغِيرَةٍ ولم يَثْب منها ، فهو كافر . ومن زنى أو سرق أو شرب خمرًا من غير أن يُصِرَّ على ذلك ، فهو مؤمن غير كافر .

والرابعة : « الصُّفْرِيَّة » أتباع زياد بن الأصفر^٢ ، ويقال أتباع الثُّعْمَانَ بن صُفْرٍ ، وقيل : بل نُسِبُوا إلى عبد الله بن صَفَّارٍ ، وهو أحد بني مُقَاعِسٍ ، وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : خالف .

^١ حاشية بخط المؤلف : « نافع بن الأزرق أبو راشد ، رجل من بني حنيفة أحد أعلام الحوارج ، ومن كان مع نجدة ابن عامر وأبي فدئك ، فأحدثت البراءة والمحنة وقيل في السر ، فخالف في ذلك أصحابه من أهل الثهزوان ومن بعدهم ، وفارقت الحوارج كلهم ، فسُموا « أهل الوقوف » لأنهم وقفوا عند الشبهة حتى يستبينوا . وخرج نافع بمن معه بأرض الأهواز وبقر النساء وقتل الصبيان وسبى آخر سنة أربع وستين ، وقُتِلَ في الحزب . »

^٢ حاشية بخط المؤلف : « قال ابن الأثيري : الصواب في الفِرْقَةِ من الحوارج : الصُّفْرِيَّةُ بكسر الصاد . »

^٢ حاشية بخط المؤلف : « نافع بن الأزرق أبو راشد ، رجل من بني حنيفة أحد أعلام الحوارج ، ومن كان مع نجدة ابن عامر وأبي فدئك ، فأحدثت البراءة والمحنة وقيل في السر ، فخالف في ذلك أصحابه من أهل الثهزوان ومن بعدهم ، وفارقت الحوارج كلهم ، فسُموا « أهل الوقوف » لأنهم وقفوا

ابن زَيْد مَنَاةَ بن تَمِيم بن أَدَّ بن طابِخَةَ بن إِيَّاس بن مُضَر بن نِزار ، وقيل عبد الله الصَّفَّار من بني صَوَيْمِر ابن مُقَاعِس ، وقيل سُمُوا بذلك لَصُفْرَةِ عِلَّتِهِمْ ، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الصُّفْرِيَّةَ بِكسر الصَّاد . وقد وافق الصُّفْرِيَّةَ الأزارِقَةَ في جميعِ بَدْعِهِمْ ، إلا في قَتْلِ الأَطْفَالِ . ويقال للصُّفْرِيَّةِ أيضًا الزِّيَادِيَّةُ ، ويُقالُ لَهُمْ أيضًا التُّكَّارُ من أَجْلِ أَنَّهُمْ يُبَغِضُونَ^a نِصْفَ عَلِيِّ وَتُلَّتْ عُثْمَانُ وَسُدُّسُ عَائِشَةَ - رضي الله عنهم .

والخامسة : « العَجَارِدَةُ » أتباعُ عبد الكريم بن عَجْرَد .

والسادسة : « المَيْمُونِيَّةُ » أتباعُ مَيْمُون بن عِمْران ، وهم طائِفَةٌ من العَجَارِدَةِ وافقوا الأزارِقَةَ إلا في شَيْئَيْنِ : أَحَدُهُمَا قَوْلُهُمْ : تَجِبُ البَرَاءَةُ من الأَطْفَالِ حتى يَتَلْعَوْا وَيَصِفُوا الإسلامَ ؛ والثاني استِخْلَالُ أموالِ المخالِفينَ لَهُمْ . فلم تَسْتَجِلْ المَيْمُونِيَّةُ مالَ أَحَدٍ خالفَهُمْ ما لم يُقْتَلِ المَالِكُ ، فإذا قُتِلَ صارَ مالُهُ فَيْئًا إلا أَنَّهُمْ / ازدادُوا كُفْرًا على كُفْرِهِمْ ، وأجازُوا نِكَاحَ بَنَاتِ البَنَاتِ وَبَنَاتِ البَنِينَ ، وَبَنَاتِ أولادِ الإخوةِ وَبَنَاتِ أولادِ الأخواتِ فَقَط .

والسابعة : « الشُعَيْبِيَّةُ » وهم طائِفَةٌ من العَجَارِدَةِ وافقوا المَيْمُونِيَّةَ في جميعِ بَدْعِهِمْ ، إلا في الاستِطَاعَةِ والمَشِيئَةِ ، فَإِنَّ المَيْمُونِيَّةَ مالت إلى القَدْرِيَّةِ^١ .

والثامنة : « الحَمْزِيَّةُ » أتباعُ حَمْزَةَ بن أَدْرَك^b الشَّارِي^c ، الخارج بِخُرَاسَانَ في خِلافةِ هارون ابن محمد الرَّشِيدِ ، وَكَثُرَ عَيْبُهُ وَفَسَادُهُ ، ثم فَضَّ جُمُوعَ عَيْسَى بن عَلِيِّ عامِلِ خُرَاسَانَ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، فأنهَزَمَ مِنْهُ عَيْسَى إلى كَابِلَ ، وآلَ أَمْرُ حَمْزَةَ إلى أن غَرِقَ في كَرْمانِ بَوَادِي هُنَاكَ ، فَعَرِفَتْ أَصْحَابُهُ بِالحَمْزِيَّةِ .

وكان يقول بالقَدْرِ ، فَكَفَّرَتْهُ الأزارِقَةُ بِذلك ، وقال : أَطْفَالُ المُشْرِكِينَ في النَّارِ ، فَكَفَّرَتْهُ القَدْرِيَّةُ بِذلك . وكان لا يَسْتَجِلُّ عَنَائِمَ أعدائِهِ ، بل يَأْمُرُ بِأَحْرَاقِ جَمِيعِ ما يَغْنَمُهُ مِنْهُمْ^٢ .

(a) بولاق : ينقصون . (b) كذا عند الشهرستاني وفي سائر المصادر : ابن أكر . (c) بولاق : الشامي .

^١ الأشعري : مقالات الإسلاميين ٩٤-٩٥ ، نفسه ٩٣-٩٤ ؛ نفسه ٣٣ ؛ نفسه ١ : ١٢٩ ؛ الإسفرايني : التبصير في الدين ٣٢ ؛ الشهرستاني : الملل ، نفسه ٩٨-٩٩ .
^٢ نفسه ٩٣-٩٤ ؛ نفسه ٣٣ ؛ نفسه ١ : ١٢٩ ؛ والنحل ١ : ١٣١ ؛ البغدادي : الفرق بين الفرق ٩٥ .

والتاسعة: «الحازمية»^(a)، وهم فرقة من العجاردة قالوا في القدر والمشقة كقول أهل السنة، وخالفوا الخوارج في الولاية والعداوة فقالوا: لم يزل الله تعالى مجيباً لأوليائه ومبغضاً لأعدائه^١.

والعاشرة: «المعلومية»، مع «المجهولية» تباينا في مسألتين: إحداهما: قالت المعلومية: من لم يعرف الله تعالى بجميع أسمائه فهو كافر، وقالت المجهولية: لا يكون كافراً. والثانية: وافقت المعلومية أهل السنة في مسألة القدر والمشقة، والمجهولية وافقت القدرية في ذلك^٢.

والحادية عشرة: «الصلبية» أتباع عثمان بن أبي الصلت، وهم طائفة من العجاردة انفردوا بقولهم: من أسلم توليناه لكن نتبرأ من أطفاله، لأنه ليس للأطفال إسلام حتى يتلغوا.

والثانية عشرة والثالثة عشرة: «الأخنسية»^(b) و«المعبدية»، وهما فرقتان من الثعالبة أتباع ثعلبة ابن عامر. وكان ثعلبة هذا مع عبد الكريم بن عجرد، ثم اختلفا في الأطفال، فقال عبد الكريم: نتبرأ منهم قبل البلوغ، وقال ثعلبة: لا نتبرأ منهم بل نقول: نتولى الصغار. فلم تزل الثعالبة على هذا إلى أن خرج رجل عرف بالأحنس، فقال: نتوقف عن جميع من في دار التقيّة، إلا من عرفنا منه إيماناً فإننا نتولاه، ومن عرفنا منه كُفراً تبرأنا منه، ولا يجوز أن نبدأ أحداً بقتال، فتبرأت منه الثعالبة، وسمّوه بالأحنس، لأنه حنّس منهم، أي رجع عنهم.

ثم خرجت فرقة من الثعالبة، قيل لها «المعبدية» أتباع معبد، فخالفت الثعالبة في أخذ الزكاة من العبيد والبهائم، وكفرت كل فرقة منهما الأخرى^٣.

والرابعة عشرة: «الشيانية» أتباع شيان بن سلمة، الخارج في أيام أبي مسلم الخراساني القائم بدعوة الخلفاء العبّاسيين، وكان معه، فتبرأت منه الثعالبة لمعاونته لأبي مسلم. وهو أول من أظهر القول بالتشبيه، تعالى الله عن ذلك^٤.

(a) بولاق: الحازمية. (b) بولاق: الأحسنية.

^١ الأشعري: مقالات الإسلاميين ٩٦؛ الإسفراييني: التبصير في الدين ٣٢، البغدادي: الفرق بين الفرق ٩٤. الشهرستاني: الملل والنحل ١: ١٣٢.

^٢ نفسه ٩٦-٩٧؛ نفسه ٣٣؛ نفسه ٩٧.

^٣ نفسه ٩٧-٩٩؛ نفسه ٣٣؛ نفسه ١٠١؛

^٤ نفسه ٩٨-٩٩؛ نفسه ٧٤؛ نفسه ١٠٢؛ نفسه ١: ١٣٢.

والخامسة عشرة: « الشيبية » أتباع شبيب بن يزيد بن أبي نعيم، الخارج في خلافة عبد الملك ابن مزوان، وصاحب الحروب العظيمة مع الحجاج بن يوسف الثقفي. وهم على ما كانت عليه الحكيمية الأولى؛ إلا أنهم انفردوا عن الخوارج بجواز إمامة المرأة وخلافتها. واشتخلف شبيب هذا أمه غزالة، فدخلت الكوفة، وقامت خطيبة، وصلى الصبح بالمسجد الجامع، فقرأت في الركعة الأولى بالبصرة، وفي الثانية بآل عمران؛ وأخبار شبيب طويلة^١.

والسادسة عشرة: « الرشيدية » أتباع رشيد، ويقال لهم أيضا « العشرية » من أجل أنهم كانوا يأخذون نصف العشر مما سقت الأنهار. فقال لهم زياد بن عبد الرحمن: يجب فيه العشر، فبرأت كل فرقة من الأخرى وكفرتها بذلك.

والسابعة عشرة: « المكرمية » أتباع أبي المكرم، ومن قوله: تارك الصلاة كافر، وليس كفره لتارك الصلاة لكن لجهله بالله. وكذا قوله في سائر الكباير^٢.

والثامنة عشرة: « الحفصية » أتباع حفص بن المقدم، أحد أصحاب عبد الله بن إباض. تفرد بقوله: من عرف الله تعالى، وكفر بما سواه من رسول وغيره، فهو كافر وليس بمشرك. فأنكر ذلك الإباضية وقالوا: بل هو مشرك^٣.

والثانية عشرة: « الإباضية » أتباع عبد الله بن إباض من بني مقاعس، واسمه الحارث ابن عمرو - ويقال: بل يُنسبون إلى « أباض » - بضم الهمزة - وهي قرية بالعرض من اليمامة نزل بها نجدة بن عامر - وخرج عبد الله بن إباض في أيام مزوان وكان من غلاة المحكمة^٤.

^١ الأشعري: مقالات الإسلاميين ١٢٣-١٢٤، ١٠٥؛ نفسه ١: ١٣٥.

^٢ الإسفراييني: التبصير في الدين ٣٥؛ البغدادي: الفرق بين الفرق ١٠٩-١١٣.

^٣ نفسه ٩٩-١٠٠، نفسه ٣٤؛ نفسه ١٠٣، الشهرستاني: الملل والنحل ١: ١٣٣.

^٤ نفسه ١٠٢-١٠٣؛ نفسه ٣٤؛ نفسه ١٠٤ - الشهرستاني: الملل والنحل ١: ١٣٣، الأشعري: مقالات الإسلاميين ١٢٢-١٢١؛ نشوان الحميري: الحور العين ١٧٣-١٧٥؛ علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ ١-٣، ١٩٦٤، Lewicki, *El² art. Ibâdiyya III*, pp. 669-82.

والفرقة العشرون: «اليزيدية» أتباع يزيد بن أبي أنيسة، وكان إباحيًا، فانفرد يدعة قبيحة، وهي أن الله تعالى سيبعث رسولاً من العجم، وينزل عليه كتاباً جملة واحدة ينسخ به شريعة محمد ﷺ^١.

ومن فرق الخوارج أيضاً: الحارثية، والأصومية أتباع يحيى بن أضم، والبيهسية أتباع أبي البيهس الهيصم بن خالد، من بني سعيد بن ضبة: كان في زمن الحجاج، وقُتل بالمدينة وصلب، واليعقوبية أتباع يعقوب بن علي الكوفي.

ومن فرقهم: الفضلية أتباع فضل بن عبد الله، والشمواخية أتباع عبد الله بن شموخ^a، والضحاكية أتباع الضحاك.

والخوارج يُقال لهم الشراة: واحدهم شاري، مشتق من شرى الرجل إذا لَج، أو معناه يشتري / بالشرا، أو من قول الخوارج: شرينا أنفسنا لدين الله، فنحن لذلك شراة. وقيل إنه من قولهم: شارثته أي لاحتجته ومارثته، وقيل: شرى الرجل غضباً: إذا استطار غضباً، وقيل لهم هذا لشدة غضبهم على المسلمين^٢.

٣٥٦:٢

(a) بولاق: سمرخ.

^١ البغدادي: الفرق بين الفرق ١٠٤.

السياسية الدينية في صدر الإسلام: الخوارج والشيعة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، القاهرة ١٩٥٦، Levi Della Vida, G., *El² art. Kharidjites IV*, pp. 1106-9 وما ذكر من مراجع.

^٢ يُقد كتاب «الكامل» للمبرّد، المتوفى سنة ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م، أهمّ مصدر لتاريخ الخوارج حيث تجد فيه، دون نتائج أو ترتيب، النصوص التاريخية والأدبية الأكثر وفرة عن الخوارج، وانظر كذلك يوليوس فلهاوزن: أحزاب المعارضة

ذِكْرُ أَحْوالِ فِي عَقَائِدِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنْذَ ابْتِدَاءِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى أَنْ انْتَشَرَ مَذْهَبُ الْأَشْعَرِيَّةِ

اعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا بَعَثَ مِنَ الْعَرَبِ نَبِيَّهٗ مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولًا إِلَى النَّاسِ جَمِيعًا ، وَصَفَ لَهُمْ رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ عَلَى قَلْبِهِ ﷺ وَالرُّوحِ الْأَمِينِ ، وَبِمَا أَوْحَى إِلَيْهِ رَبُّهُ تَعَالَى . فَلَمْ يَسْأَلْهُ ﷺ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ بِأَسْرِهِمْ - قَرُوبِهِمْ وَبَدْوِيَّتِهِمْ - عَنْ مَعْنَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، كَمَا كَانُوا يَسْأَلُونَهُ ﷺ عَنْ أَمْرِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ يَمَّا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شُبْحَانَهُ أَمْرٌ وَنَهْيٌ ، وَكَمَا سَأَلُوهُ ﷺ عَنْ أَحْوالِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ . إِذْ لَوْ سَأَلَهُ إِنْسَانٌ مِنْهُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ ، لَنُقِلَ كَمَا نُقِلَتِ الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ عَنْهُ ﷺ فِي أَحْكامِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَفِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ ، وَأَحْوالِ الْقِيَامَةِ وَالْمَلَاجِمِ وَالْفِتَنِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ يَمَّا تَضَمَّتْهُ كُتُبُ الْحَدِيثِ مَعَاجِمُهَا وَمَسَانِيدُهَا وَجَوَامِعُهَا .

وَمَنْ أَمَعَنَ النَّظَرَ فِي دَوَابِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ ، وَوَقَفَ عَلَى الْآثَارِ السَّلَفِيَّةِ ، عَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ قَطُّ ، مِنْ طَرِيقٍ صَحِيحٍ وَلَا سَقِيمٍ ، عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ وَكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ - أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ مَعْنَى شَيْءٍ يَمَّا وَصَفَ بِهِ^(a) الرَّبُّ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، بَلْ كُلُّهُمْ فَهَمُّوا مَعْنَى ذَلِكَ ، وَسَكَنُوا عَنِ الْكَلَامِ فِي الصِّفَاتِ ، نَعَمْ ، وَلَا فَرَقَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَيْنَ كَوْنِهَا صِفَةً ذَاتًا أَوْ صِفَةً فِعْلًا . وَإِنَّمَا أَثْبَتُوا لَهُ تَعَالَى صِفَاتٍ أَرْزَلِيَّةً مِنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْحَيَاةِ وَالْإِرَادَةِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلامِ وَالْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ وَالْجُودِ وَالْإِنْعَامِ وَالْعِزِّ وَالْعَظَمَةَ ، وَسَأَقُوا الْكَلَامَ سَوَاقًا وَاحِدًا . وَهَكَذَا أَثْبَتُوا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - مَا أَطْلَقَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةَ مِنَ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، مَعَ نَفْيِ مُمَائِلَةِ الْخَلْقِ . فَأَثْبَتُوا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - بِلا تَشْبِيهِ ، وَنَزَّهُوا مِنْ غَيْرِ تَعْطِيلٍ ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ مَعَ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَى تَأْوِيلِ شَيْءٍ مِنْ هَذَا ، وَرَأَوْا بِأَجْمَعِهِمْ إِجْرَاءَ الصِّفَاتِ كَمَا وَرَدَتْ .

(a) ساقطة من بولاق .

ولم يكن عند أحدٍ منهم ما يَسْتَدِيلُ به على وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وعلى إِبْتِهَاتِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، سِوَى كِتَابِ اللَّهِ ، وَلَا عَرَفَ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَيْئًا مِنَ الطُّرُقِ الْكَلَامِيَّةِ وَلَا مَسَائِلِ الْفَلَسَفَةِ . فَمَضَى عَصْرُ الصُّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - عَلَى هَذَا ، إِلَى أَنْ حَدَّثَ فِي زَمَانِهِمُ الْقَوْلُ بِالْقَدْرِ ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أَنْفٌ : أَي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُقَدِّرْ عَلَى خَلْقِهِ شَيْئًا مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ .

- ٥ وكان أوَّلُ مَنْ قَالَ بِالْقَدْرِ فِي الْإِسْلَامِ مَعْبُدُ بْنُ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ ، وَكَانَ يُجَالِسُ الْحَسَنَ بْنَ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيَّ ، فَتَكَلَّمَ فِي الْقَدْرِ بِالْبَصْرَةِ ، وَسَلَكَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ مَسْلَكَهُ لَمَّا رَأَوْا عَمْرُو بْنَ عُبَيْدٍ يَتَّبِعُهُ . وَأَخَذَ مَعْبُدٌ هَذَا الرَّأْيَ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَسَاوِرَةِ يُقَالُ لَهُ أَبُو يُونُسَ سَنَسُوِيَهُ ، وَيُعْرَفُ بِالْأَسْوَارِيِّ . فَلَمَّا عَظُمَتِ الْفِتْنَةُ بِهِ ، عَذَّبَهُ الْحَجَّاجُ وَصَلَبَهُ بِأَمْرِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ سَنَةَ ثَمَانِينَ . وَلَمَّا بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - مَقَالَةَ مَعْبُدٍ فِي الْقَدْرِ تَبَرَّأَ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ .
- ١٠ واقتدى بمَعْبُدٍ فِي بَدْعَتِهِ هَذِهِ جَمَاعَةٌ ، وَأَخَذَ السَّلَفُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - فِي ذَمِّ الْقَدَرِيَّةِ ، وَحَذَرُوا مِنْهُمْ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ . وَكَانَ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ قَاضِيًا يَرَى الْقَدَرَ ، وَكَانَ يَأْتِي هُوَ وَمَعْبُدُ الْجُهَنِيُّ إِلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : إِنَّ هَؤُلَاءِ يَشْفِكُونَ الدَّمَاءَ ، وَيَقُولُونَ : إِنَّمَا تَجْرِي أَعْمَالُنَا عَلَى قَدْرِ اللَّهِ . فَقَالَ : كَذَبَ أَعْدَاءُ اللَّهِ فَطَعَنَ عَلَيْهِ بِهَذَا وَمِثْلِهِ .

- وَحَدَّثَ أَيْضًا فِي زَمَنِ الصُّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - « مَذْهَبُ الْخَوَارِجِ » ، وَصَرَّحُوا بِالتَّكْفِيرِ بِالذَّنْبِ ، وَالخُرُوجِ عَلَى الْإِمَامِ وَقِتَالِهِ . فَنَظَرَهُمُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فَلَمْ يَزِجِعُوا إِلَى الْحَقِّ ، وَقَاتَلَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَقَتَلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي كُتُبِ الْأَخْبَارِ .

- وَدَخَلَ فِي دَعْوَةِ الْخَوَارِجِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَرُمِيَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَيْمَّةِ الْإِسْلَامِ بِأَنَّهُمْ يَذْهَبُونَ إِلَى مَذْهَبِهِمْ ، وَعُدَّ مِنْهُمْ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ زُوَاةِ الْحَدِيثِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ أَهْلِهِ .

- ٢٠ وَحَدَّثَ أَيْضًا فِي زَمَنِ الصُّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - « مَذْهَبُ الشَّيْخِ لَعْلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ » - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَالْعُلُوُّ فِيهِ . فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ أَنْكَرَهُ ، وَحَرَقَ بِالنَّارِ جَمَاعَةً مِمَّنْ غَلَا فِيهِ ، وَأَنْشَدَ :
[الرجز]

لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا أَجْجَحْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قُنْبُرًا

وَقَامَ فِي زَمَانِهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ بْنُ سَبَّأٍ - الْمَعْرُوفُ بِابْنِ السُّوْدَاءِ السَّبَّيِّ - وَأَخَذَتْ الْقَوْلَ بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيِّ بِالْإِمَامَةِ مِنْ بَعْدِهِ ، فَهُوَ وَصِيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَخَلِيفَتُهُ عَلَى أُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ بِالنَّصِّ . وَأَخَذَتْ الْقَوْلَ بِرِجْعَةِ عَلِيِّ بَعْدَ مَوْتِهِ إِلَى الدُّنْيَا ، وَبِرِجْعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيْضًا . / وَزَعَمَ أَنَّ عَلِيًّا لَمْ يُقْتَلْ ، وَأَنَّهُ حَيٌّ ، وَأَنَّ فِيهِ الْجُزْءَ الْإِلَهِيَّ ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي

يَجِيءُ فِي السَّحَابِ ، وَأَنَّ الرَّعْدَ صَوْتُهُ وَالتَّبْرُقَ سَوْتُهُ ، وَأَنَّهُ لَا بَدَأَ أَنْ يَنْزِلَ إِلَى الْأَرْضِ فَيَمْلَأُهَا عَذْلًا
كَمَا مِلَّتْ جَوْرًا .

ومن ابن سبأ هذا تَشَعَّبَتْ أَصْنَافُ الْغُلَاةِ مِنَ الرَّافِضَةِ ، وَصَارُوا يَقُولُونَ بِالْوَقْفِ - يَعْثُونَ أَنَّ
الإِمَامَةَ مَوْقُوفَةٌ عَلَى أَنَسِ مُعَيَّنِينَ - : كَقَوْلِ « الإِمَامِيَّةِ » بِأَنَّهَا فِي الْأَيْمَةِ الْاِثْنِي عَشَرَ ، وَقَوْلِ
« الإِسْمَاعِيلِيَّةِ » بِأَنَّهَا فِي وَدِّ إِسْمَاعِيلِ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ . وَعنه أَيْضًا أَخَذُوا الْقَوْلَ بِغَيْبَةِ الإِمَامِ ،
وَالْقَوْلَ بِرَجْعَتِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَى الدُّنْيَا ، كَمَا تَعْتَقِدُهُ الإِمَامِيَّةُ إِلَى الْيَوْمِ فِي صَاحِبِ السُّرْدَابِ ، وَهُوَ
الْقَوْلُ بِتَنَاسُخِ الْأَرْوَاحِ . وَعنه أَيْضًا الْقَوْلُ بِأَنَّ الْجُزْءَ الإِلَهِيَّ يَجَلُّ فِي الْأَيْمَةِ بَعْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ ، وَأَنَّهُمْ بِذَلِكَ اسْتَحَقُّوا الإِمَامَةَ بِطَرِيقِ الْوُجُوبِ ، كَمَا اسْتَحَقَّ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - سُجُودَ
الْمَلَائِكَةِ ، وَعَلَى هَذَا الرَّأْيِ كَانَ اعْتِقَادُ دُعَاةِ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ بِبِلَادِ مِصْرَ .

وَابْنُ سَبَأٍ هَذَا هُوَ الَّذِي أَثَارَ فِتْنَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حَتَّى قُتِلَ - كَمَا
ذَكَرَ فِي تَرْجُمَةِ ابْنِ سَبَأٍ مِنْ كِتَابِ « التَّارِيخِ الْكَبِيرِ الْمُقْفِيُّ »^١ - وَكَانَ لَهُ عِدَّةٌ أَتْبَاعٍ فِي عَامَّةِ
الْأَمْصَارِ ، وَأَصْحَابٌ كَثِيرُونَ فِي مُعْظَمِ الْأَقْطَارِ . فَكَثُرَتْ لَذَلِكَ الشَّيْعَةُ ، وَصَارُوا ضِدًّا لِلْخَوَارِجِ ،
وَمَا زَالَ أَمْرُهُمْ يَقْوَى وَعَدَدُهُمْ يَكْثُرُ .

ثُمَّ حَدَّثَ بَعْدَ عَضْرِ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - « مَذْهَبُ جَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ » بِبِلَادِ الْمَشْرِقِ^٢ ،
فَعَظُمَتِ الْفِتْنَةُ بِهِ . فَإِنَّهُ نَفَى أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ تَعَالَى صِفَةٌ ، وَأَوْرَدَ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ سُكُوكًا أَثَرَتْ فِي
الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ آثَارًا قَبِيحَةً تَوَلَّدَ عَنْهَا بَلَاءٌ كَبِيرٌ . وَكَانَ قُبَيْلَ الْمِائَةِ مِنْ سَنِي الْهِجْرَةِ ، فَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ
عَلَى أَقْوَالِهِ الَّتِي تُؤَوَّلُ إِلَى التَّعْطِيلِ . فَأَكْبَرُ أَهْلُ الْإِسْلَامِ بِدَعْوَتِهِ ، وَتَمَالَّثُوا عَلَى إِنْكَارِهَا وَتَضْلِيلِ
أَهْلِهَا ، وَحَذَرُوا مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَعَادَوْهُمْ فِي اللَّهِ ، وَذَمُّوا مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِمْ ، وَكَتَبُوا فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ مَا
هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ أَهْلِهِ .

وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ حَدَّثَ « مَذْهَبُ الْاِعْتِرَالِ » ، مِنْدُ زَمَنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ - رَحِمَهُ
اللَّهُ - بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ مِنْ سَنِي الْهِجْرَةِ ، وَصَنَّفُوا فِيهِ مَسَائِلَ فِي الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ ، وَإثْبَاتِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ ،

^١ لم أقف على ترجمة عبد الله بن سبأ في العبادلة فيما
وصل إلينا من كتاب «المقفي الكبير»؛ فواضح من ترتيب
نسخة باريس - التي تشتمل على تراجم العبادلة - اختلاط
كرواساتها وشقوق بعضها الآخر، خاصة بين عبد الله بن زُرَيْرِ
الغافقي وعبد الله بن عبد الحليم .

^٢ حاشية بخط المؤلف : «جهم بن صفوان مولى راسب ،
كان بخراسان فلما قام مزوان بن محمد الحمار بالأمر
واختلفت الحارث بن سُرَيْجٍ ونُضْر بن سبأ ، صار جهم مع
الحارث فلما اقتتلا أيسر جهم وقُتِلَ فِي رَجَبِ سَنَةِ ثَمَانٍ
وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ . وَانظُرْ فِيْمَا تَقْدِمُ ٤١٨ .

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَخْلُقُ الشَّرَّ، وَجَهَرُوا بِأَنَّ اللَّهَ لَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ، وَأَنْكَرُوا عَذَابَ الْقَبْرِ عَلَى الْبَدَنِ، وَأَعْلَنُوا بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ مُخَدَّثٌ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِهِمْ^١. فَتَبِعَهُمْ خَلَائِقُ فِي بَدْعِهِمْ، وَأَكْثَرُوا مِنَ التُّصْنِيفِ فِي نُصْرَةِ مَذْهَبِهِمْ بِالطَّرِيقِ الْجَدَلِيَّةِ. فَتَهَى أَيْمَةُ الْإِسْلَامِ عَنْ مَذْهَبِهِمْ، وَذَمُّوا عِلْمَ الْكَلَامِ، وَهَجَرُوا مِنْ يَتَنَحَلَهُ. وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ الْمُعْتَزِلَةِ يَتَّقَى، وَأَتْبَاعُهُمْ تَكْتُمُ، وَمَذْهَبُهُمْ يَنْتَشِرُ فِي الْأَرْضِ.

٥
ثم حَدَّثَ «مَذْهَبُ التَّجْسِيمِ» الْمُضَادُّ لِمَذْهَبِ الْإِعْتِزَالِ. وَظَهَرَ مُحَمَّدُ بْنُ كَرَامِ بْنِ عِرَافِ بْنِ نُحْرَايَةَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ السُّجِسْتَانِي، زَعِيمُ الطَّائِفَةِ الْكُرَّامِيَّةِ، بَعْدَ الْمَائَتَيْنِ مِنْ سِنِي الْهَجْرَةِ، وَأَثْبَتَ الصُّفَاتِ حَتَّى انْتَهَى فِيهَا إِلَى التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ، وَحَجَّ وَقَدِمَ الشَّامَ، وَمَاتَ بَرْغُو فِي صَفَرِ سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ، فَدُفِنَ بِالْقُدْسِ. وَكَانَ هُنَاكَ مِنْ أَصْحَابِهِ زِيَادَةٌ عَلَى عَشْرِينَ أَلْفًا عَلَى التَّعْبُدِ وَالتَّقَشُّفِ، سِوَى مَنْ كَانَ مِنْهُمْ بِيَلَادِ الْمَشْرِقِ وَهُمْ لَا يُخَصَّوْنَ لِكَثْرَتِهِمْ، وَكَانَ إِمَامًا لَطَائِفِي الشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَفِيَّةِ. وَكَانَتْ بَيْنَ الْكُرَّامِيَّةِ بِالْمَشْرِقِ وَبَيْنَ الْمُعْتَزِلَةِ مُنَازَعَاتٌ، وَمُنَاكَرَاتٌ، وَفِتْنٌ كَثِيرَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ أَرْزَمَاتُهَا.

١٠
هَذَا وَأَمْرُ الشَّيْعَةِ يَفْشُو فِي النَّاسِ، حَتَّى حَدَّثَ «مَذْهَبُ الْقَرَامِطَةِ» الْمُنْسَوْبِينَ إِلَى حَمْدَانَ الْأَشْعَثِ، الْمَعْرُوفِ بِقَرَمَطٍ مِنْ أَجْلِ قِصْرِ قَامَتِهِ وَقِصْرِ رَجْلِيهِ وَتَقَارُبِ خَطْوِهِ. وَكَانَ ابْتِدَاءُ أَمْرِ قَرَمَطٍ هَذَا فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ، وَكَانَ ظُهُورُهُ بِسَوَادِ الْكُوفَةِ، فَاشْتَهَرَ مَذْهَبُهُ بِالْعِرَاقِ. ١٥
وَقَامَ مِنَ الْقَرَامِطَةِ بِيَلَادِ الشَّامِ صَاحِبُ الْحَالِ وَالْمُدُّرُ وَالْمَطْوِقُ. وَقَامَ بِالْبَحْرَيْنِ مِنْهُمْ أَبُو سَعِيدِ الْجَنَابِيِّ مِنْ أَهْلِ جَنَابَةِ، وَعَظُمَتِ دَوْلَتُهُ وَدَوْلَةُ بَنِيهِ مِنْ بَعْدِهِ، حَتَّى أَوْقَعُوا بِعَسَاكِرِ بَغْدَادِ، وَأَخَافُوا خُلَفَاءَ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَفَرَضُوا الْأَمْوَالَ الَّتِي تُحْمَلُ إِلَيْهِمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ عَلَى أَهْلِ بَغْدَادِ وَخُرَاسَانَ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَالْيَمَنِ، وَغَزَوْا بَغْدَادَ وَالشَّامَ وَمِصْرَ وَالْحِجَازَ، وَانْتَشَرَتْ دُعَائِهِمْ بِأَقْطَارِ الْأَرْضِ^٢. ٢٠
فَدَخَلَ جَمَاعَاتٌ مِنَ النَّاسِ فِي دَعْوَتِهِمْ، وَمَالُوا إِلَى قَوْلِهِمْ الَّذِي سَمَّوْهُ «عِلْمَ الْبَاطِنِ». وَهُوَ

^٢ انظر عن الكُرَّامِيَّةِ، فيما تقدم ٤١٢.

^٣ الْقَرَامِطَةُ فِي الْأَضَلِّ مِنْ دُعَاةِ الْإِسْمَاعِيلِيِّينَ ثُمَّ انْفَصَلُوا عَنْهُمْ بَعْدَ أَنْ لَاحَظَ حَمْدَانَ قَرَمَطٌ فِي سَنَةِ ٢٨٦هـ/٨٩٩م بَعْضَ التَّغْيِيرَاتِ فِي التَّغْلِيمَاتِ الْمَكْتُوبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ رِئَاسَةِ الدَّعْوَةِ فِي سَلْمِيَّةِ، حَيْثُ كَانَتْ تَعَكْسُ تَحْوِيلَاتِ هَائِمَةٍ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِاعْتِقَادِ الْإِمَامَةِ، حَيْثُ أَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ (الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ فِيمَا بَعْدَ) فِي الدَّعْوَةِ لِنَفْسِهِ =

^١ وَهُوَ مَوْضُوعُ كِتَابِ «الْمَغْنِي فِي أَبْوَابِ التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ» لِقَاضِي الْقَضَاةِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ أَحْمَدَ الْهَمْدَانِيِّ أَحَدِ رُؤَسَاءِ الْمُعْتَزِلَةِ، الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٤١٥هـ/١٠٢٤م. وَيَقَعُ هَذَا الْكِتَابُ فِي عَشْرِينَ مُجَلَّدًا كَشَفَ وَالَّذِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَثْنَاءَ زِيَارَتِهِ لِلْيَمَنِ سَنَةَ ١٩٥١-١٩٥٢ عَنْ نَسْخَةٍ مِنْهُ تَنْقُصُ الْمَجَلَّدَاتِ ١، ٢، ٣، ١٧، ١٨، ١٩. وَقَدْ طُبِعَ هَذَا الْكِتَابُ فِي الْقَاهِرَةِ فِي سِلْسَلَةِ تَرَاثِنَا بَيْنَ سَنَتَيْ ١٩٦٠-١٩٦٦.

تأويل شرائع الإسلام وصرفها عن ظواهرها إلى أمور زعموها من عند أنفسهم، وتأويل آيات القرآن ودعواهم فيها تأويلاً بعيداً، انتحلوا القول به يدعاً ابتدعوها بأهوائهم، فضلوا وأضلوا عالماً كثيراً.

هذا وقد كان المأمون عبد الله بن هارون الرشيد، سابع خلفاء بني العباس ببغداد، لما شغف بالعلوم القديمة، بعث إلى بلاد الروم من عرب له كتب الفلاسفة، وأتاه بها في أعوام بضع عشرة ومائتين من سني الهجرة^١، فانتشرت مذاهب الفلاسفة في الناس، واشتهرت كتبهم بعامة الأمصار، وأقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها، وأكثروا من النظر فيها والتصفح لها. فأنجز على الإسلام وأهله من علوم الفلاسفة ما لا يوصف من البلاء والمحنة في الدين، وعظم بالفلسفة ضلال أهل البدع، وزادتهم كفراً إلى كفرهم.

فلما قامت «دولة بني بويه» ببغداد في سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة، واستمروا إلى / سنة ٣٥٨:٢ سبع وثلاثين وأربع مائة، وأظهروا «مذهب التشيع» قويت بهم الشيعة، وكتبوا على أبواب المساجد في سنة إحدى وخمسين وثلاث مائة «لعن الله معاوية بن أبي سفيان، ولعن من أعضب فاطمة، ومن منع الحسن أن يدفن عند جدّه، ومن نفى أبا ذر الغفاري، ومن أخرج العباس من الشورى». فلما كان الليل حكه بعض الناس، فأشار الوزير المهلب أن يكتب بإذن أمير الدولة «لعن الله الظالمين لأهل البيت» ولا يذكر أحد في اللعن غير معاوية، ففعل ذلك. وكثرت ببغداد الفتنة بين الشيعة والسنة، وجهر الشيعة في الأذان بـ «حي على خير العمل» في الكرخ. وفتنا مذهب الاعتزال بالعراق وخراسان وما وراء النهر، وذهب إليه جماعة من مشاهير الفقهاء^٢.

٣٠٣، ٣٠٤، ٤١٩؛ ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكام، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة - المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٥٥، ٦٥؛ رشيد الجميلي: حركة الترجمة والنقل في المشرق الإسلامي في القرنين الأول والثاني للهجرة، جامعة قاريونس د.ت.

^٢ تمثل الدولة البويهية - التي امتد نفوذها على الهضبة الإيرانية ثم على العراق في الفترة بين السيطرة العربية في صدر الإسلام والدولة الأموية ثم الوجود التركي السلجوقي في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي - مرحلة الوجود الفارسي. وهي دولة ذات أصول ديلمية =

= وإمامة أشلافه الزعماء المركزيين الذين نظموا وقادوا الحركة الإسماعيلية بدلاً من إعلان مهدي محمد بن إسماعيل التي كانت الدعوة تُمهّد لها. (راجع، Madelung, W., *El*², art. *Karmatī IV*, pp. 687-92; id., «The Fatimide and the Qarmatis of Bahrayn», in Daftary, F. (ed.), *Mediaeval Isma'ili History and Thought*, Cambridge 1996, pp. 21-73; Daftary, F., «A Major Schisme in the Early Isma'ili Movement», *SI* 77 (1999), pp. 123-39 سهيل زكار: أخبار القرامطة، دمشق - دار حسان ١٩٨٢).

^١ راجع حول هذا الموضوع، ابن النديم: الفهرست

وَقَوِيَّ مَعَ ذَلِكَ أَمْرُ الْخُلَفَاءِ الْفَاعِلِينَ بِإِفْرِيْقِيَّةِ وَبِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَجَهَّزُوا بِ «مَذْهَبِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ»، وَبَثُّوا دُعَاتِهِمْ بِأَرْضِ مِصْرَ، فَاسْتَجَابَ لَهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِهَا، ثُمَّ مَلَكَوْهَا سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، وَبَعَثُوا بِعَسَاكِرِهِمْ إِلَى الشَّامِ. فَانْتَشَرَتْ «مَذَاهِبُ الرَّافِضَةِ» فِي عَامَّةِ بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَمِصْرَ وَالشَّامِ وَدِيَارِ بَكْرٍ وَالْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةَ وَبَغْدَادَ وَجَمِيعَ الْعِرَاقِ وَبِلَادِ خُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ، مَعَ بِلَادِ الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَالْبَحْرَيْنِ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنَ الْفِتَنِ وَالْحُرُوبِ وَالْمَقَاتِلِ مَا لَا يُمَكِّنُ حَضْرَهُ لِكَثْرَتِهِ^١.

وَاسْتَهْرَتْ مَذَاهِبُ الْفِرَقِ مِنَ الْقَدْرِيَّةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْكَرَامِيَّةِ وَالْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ وَالْقَرَامِطَةَ وَالْبَاطِنِيَّةَ حَتَّى مَلَأَتْ الْأَرْضَ. وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ نَظَرَ فِي الْفَلَسَفَةِ، وَسَلَكَ مِنْ طُرُقِهَا مَا وَقَعَ عَلَيْهِ اخْتِيَارُهُ، فَلَمْ يَبْقَ مِصْرٌ مِنَ الْأَمْصَارِ، وَلَا قَطْرٌ مِنَ الْأَقْطَارِ، إِلَّا وَفِيهِ طَوَائِفٌ كَثِيرَةٌ مِمَّنْ ذَكَرْنَا.

وَكَانَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الْأَشْعَرِيِّ قَدْ أَخَذَ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْجُبَّائِيِّ، وَلَازَمَهُ عِدَّةٌ أَعْوَامَ. ثُمَّ بَدَأَ لَهُ فَتْرَكَ مَذْهَبَ الْإِعْتِزَالِ، وَسَلَكَ طَرِيقَ أَبِي مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ كُؤَلَابٍ^٢، وَنَسَجَ عَلَى قَوَائِينِهِ فِي الصِّفَاتِ وَالْقَدْرِ، وَقَالَ بِالْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ، وَتَرَكَ الْقَوْلَ بِالتَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ الْعَقْلِيِّينَ، وَمَا قِيلَ فِي مَسَائِلِ الصَّلَاحِ وَالْأَصْلَاحِ، وَأَثَبَتْ أَنَّ الْعَقْلَ لَا يُوجِبُ الْمَعَارِفَ قَبْلَ الشَّرْعِ، وَأَنَّ الْعُلُومَ وَإِنْ حَصَلَتْ بِالْعَقْلِ فَلَا تَجِبُ بِهِ وَلَا يَجِبُ الْبَحْثُ عَنْهَا إِلَّا بِالسَّمْعِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَأَنَّ النَّبَوَاتَ مِنَ الْجَائِزَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْوَاجِبَاتِ الشَّمْعِيَّةِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِهِ الَّتِي هِيَ مَوْضُوعُ أُصُولِ الدِّينِ^٣.

هشام ابن عمرو القوطي يقول إنه نضراني بهذا القول ويثمه أنه أخذ هذا من بعض النصارى. ومن تصانيفه كتاب «الصفات» وكتاب «خلق الأفعال» وكتاب «الرد على المعتزلة»، وهم يعدونه من نابتة الحشوية. وتوفي في حدود الأربعين ومائتين.

^٣ المذهب الأشعري، نسبة إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ويقال لأصحابه الأشاعرة والأشعرية)، يمثل مذهبنا وسطاً بين موقف المعتزلة العقلي المتطرف وموقف أهل السلف من المحدثين. ورأى الأشعري الأخذ بقول أصحاب الحديث وأهل السنة، ويُعد الأشعري بهذا المذهب، هو ومعاصره =

= شيعية المذهب فرضت سيطرتها على مركز الخلافة العباسية في بغداد في الفترة بين سنتي ٣٣٤هـ/٩٤٥م - ٤٤٧هـ/١٠٥٥م. (راجع، Mufizullah Kabir, *The Buwayhid Dynasty of Bagdad*, Calcutta 1964; Busse, H., *Chalif und Grosskenig. Die Buyiden in Iraq (945 - 1055)*, Beirut 1969; Cahen, Cl., *El*² (art. *Buwayhides ou Bûyides I*, pp. 1390-97).

^١ انظر فيما تقدم ١٧٦:٢ - ٢٠٦.

^٢ حاشية بخط المؤلف: «عبد الله بن محمد بن سعيد ابن كؤلاب، من قوله: كلام الله هو الله، فلذلك كان أبو سهل عباد بن سليمان بن علي البصري المعتزلي أحد أصحاب

وَحَقِيقَةُ «مَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ» - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّهُ سَلَكَ طَرِيقًا بَيْنَ النَّفْيِ الَّذِي
مَذْهَبُ الْأَشْعَرِيِّ هُوَ مَذْهَبُ الْإِعْتِزَالِ ، وَبَيْنَ الْإِثْبَاتِ الَّذِي هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ التَّجْسِيمِ ، وَنَظَرَ
 عَلَى قَوْلِهِ هَذَا ، وَاحْتَجَّ لِمَذْهَبِهِ . فَمَالَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ ، وَعَمَلُوا عَلَى رَأْيِهِ : مِنْهُمْ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ
 ابْنِ الطُّيْبِ الْبَاقِلَانِيُّ الْمَالِكِيُّ ، وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ قَوَزَكَ ، وَالشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ
 مُحَمَّدِ بْنِ مَهْرَانَ الْإِسْفَرَايِينِيُّ ، وَالشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ يَوْسُفَ الشُّيرَازِيِّ ، وَالشَّيْخُ
 أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْغَزَالِيِّ ، وَأَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ أَحْمَدَ
 الشَّهْرِشْتَانِيِّ ، وَالْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْحَسَنِ الرَّازِيِّ ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ يَطُولُ ذِكْرُهُ .
 وَنَصَرُوا مَذْهَبَهُ ، وَنَظَرُوا عَلَيْهِ ، وَجَادَلُوا فِيهِ ، وَاسْتَدَلُّوا لَهُ فِي مُصَنَّفَاتٍ لَا تَكَادُ تُحْصَرُ . فَانْتَشَرَ
 «مَذْهَبُ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ» فِي الْعِرَاقِ مِنْ نَحْوِ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَانْتَقَلَ مِنْهُ إِلَى الشَّامِ .
 فَلَمَّا مَلَكَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ يَوْسُفُ بْنُ أَيُّوبَ دِيَارَ مِصْرَ ، كَانَ هُوَ وَقَاضِيهِ
 صَدْرُ الدِّينِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَيْسَى بْنِ دِرْبَاسِ الْمَارَانِيِّ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ ، قَدْ نَشَأَ عَلَيْهِ مِنْذُ كَانَا فِي
 خِدْمَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ نُورِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ زَنْكِي بَدِمَشَقَ ، وَحَفِظَ صَلَاحُ الدِّينِ فِي صِبَاهِ
 «عَقِيدَةً» أَلْفَهَا لَهُ قُطْبُ الدِّينِ أَبُو الْعَالِي مَشْعُودُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَشْعُودِ النَّيْسَابُورِيِّ ، وَصَارَ
 يُحْفَظُهَا صِغَارَ أَوْلَادِهِ ، فَلِذَلِكَ عَقَدُوا الْخَنَاصِرَ وَشَدُّوا الْبِنَانَ عَلَى مَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ ، وَحَمَلُوا فِي
 أَيَّامِ دَوْلَتِهِمْ كَافَّةَ النَّاسِ عَلَى التِّزَامِهِ . فَتَمَادَى الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ جَمِيعَ أَيَّامِ الْمُلُوكِ مِنْ بَنِي أَيُّوبَ ، ثُمَّ
 فِي أَيَّامِ مَوَالِيهِمُ الْمُلُوكِ مِنَ الْأَتْرَاقِ .

وَاتَّفَقَ مَعَ ذَلِكَ تَوَجُّهُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ تُومَرْتِ^١ ، أَحَدِ رِجَالِ الْمَغْرِبِ ، إِلَى الْعِرَاقِ ،
 وَأَخَذَ عَنْ أَبِي حَامِدِ الْغَزَالِيِّ مَذْهَبَ الْأَشْعَرِيِّ . فَلَمَّا عَادَ إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ ، وَقَامَ فِي الْمَصَامِدَةِ

Watt, W., *El² art. al-Ash'ari & al-Ash'ariyya I*, pp. 715-16, 717-18؛ جلال محمد موسى: نشأة الأشعرية وتطورها، بيروت - دار الكتاب اللبناني ١٩٧٥؛ أحمد محمود صبحي: الأشاعرة، الإسكندرية - منشأة المعارف (١٩٧٨).

^١ الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت، مهدي الموحدين، بدأ رحلته إلى الشرق نحو سنة ٥٠١هـ/ ١١٠٧م وعاد إلى المغرب بعد أربعة عشر عامًا حيث بايعه الموحدون سنة ٥١٤هـ أو ٥١٥هـ، وتوفي سنة ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م. (راجع، ابن القطان: نظم الجمان ٦١-١٤٢=

= أبو منصور المائريدي، مؤسسًا علم الكلام الشنّي. ونجح مذهب الأشعري في الانتشار والإحلال محل آراء المعتزلة التي أخذت في الانزواء في القرنين الخامس والسادس للهجرة ووجد مكانه في المدارس المشهورة بفضل مساندة السلاجقة الشنّيين الذين أرادوا ضرب مذاهب الفاطميين الشيعة في مصر والشام. (راجع، Richard, J. MacCarthy, *The Theology of al-Ash'ari*, Beyrouth 1953; Makdisi, G., «Ash'ari and the Ash'arites in Islamic Religious History», *SI* XVII (1962), pp. 37-80, XVIII (1963), pp. 19-39; Montgomery

يُفَقَّهُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمْ ، وَضَعَ لَهُمْ «عَقِيدَةَ» لَقَفَهَا عَنْهُمُ ، ثُمَّ مَاتَ . فَخَلَفَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ ابْنُ عَلِيِّ الْقَيْسِيِّ^١ ، وَتَلَقَّبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَغَلَبَ عَلَى مَمَالِكِ الْمَغْرِبِ هُوَ وَأَوْلَادُهُ مِنْ بَعْدِهِ مُدَّةَ سِنِينَ ، وَتَسَمَّوْا بِـ «الْمُوَحَّدِينَ» ؛ فَلِذَلِكَ صَارَتْ دَوْلَةُ الْمُوَحَّدِينَ بِيَلَادِ الْمَغْرِبِ تَسْتَبِيحُ دِمَاءَ مَنْ خَالَفَ عَقِيدَةَ ابْنِ تُوْمَرْتٍ ، إِذْ هُوَ عِنْدَهُمُ الْإِمَامُ الْمَعْلُومُ الْمَهْدِيُّ الْمَغْضُومُ ، فَكَمْ أَرَأَقُوا بِسَبَبِ ذَلِكَ مِنْ دِمَاءٍ خَلَائِقَ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ .

فَكَانَ هَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي اشْتِهَارِ «مَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ» وَانْتِشَارِهِ فِي أَمْصَارِ الْإِسْلَامِ ، بِحَيْثُ نَسِيَ غَيْرُهُ مِنَ الْمَذَاهِبِ وَجُهَلْ ؛ حَتَّى لَمْ يَبْقَ الْيَوْمَ مَذْهَبٌ يُخَالِفُهُ ، إِلَّا أَنْ / يَكُونُ مَذْهَبُ الْحَنَابِلَةِ ، أَتْبَاعِ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ حَنْبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ لَا يَرَوْنَ تَأْوِيلَ مَا وَرَدَ مِنَ الصُّفَاتِ .

١٠ إِلَى أَنْ كَانَ بَعْدَ السَّبْعِ مِائَةَ مِنْ سِنِي الْهِجْرَةِ ، اشْتَهَرَ بِدِمَشْقَ وَأَعْمَالِهَا تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيِّ ، فَتَصَدَّى لِلانْتِصَارِ لِمَذْهَبِ السَّلَفِ ، وَبَالَغَ فِي الرَّدِّ عَلَى مَذْهَبِ الْأَشَاعِرَةِ ، وَصَدَعَ بِالنُّكْرِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الرَّافِضَةِ وَعَلَى الصُّوفِيَّةِ ؛ فَانْفَرَقَ النَّاسُ فِيهِ فَرِيقَانِ :

١٥ فَرِيقٌ يَقْتَدِي بِهِ ، وَيُعَوِّلُ عَلَى أَقْوَالِهِ ، وَيَعْمَلُ بِرَأْيِهِ ، وَيَرَى أَنَّهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ وَأَجَلُ حُقُوظِ أَهْلِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ . وَفَرِيقٌ يُبَدِّعُهُ وَيُضَلِّلُهُ ، وَيُزْرِي عَلَيْهِ بِإِثْبَاتِهِ الصُّفَاتِ ، وَيَتَّقِدُ عَلَيْهِ مَسَائِلَ : مِنْهَا مَا

^١ راجع أخبار عبد المؤمن بن علي القيسي ، المتوفى سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٣م ، عند المراكشي : المعجب ٢٨٤ - ٣٠٣ ، ٣٢٧ - ٣٤٤ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣ : ٢٣٧ - ٢٤١ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢٠ : ٣٦٦ - ٣٧٥ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٩ : ٢٣٣ - ٢٣٨ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ٣٦٣ - ٣٦٤ . وراجع عن الموحَّدين ودولتهم ، جوزيف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحَّدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٥٨ ؛ محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحَّدين في المغرب والأندلس ، القاهرة ١٩٦٤ ؛ مراجع عقيلة الغنای : سقوط دولة الموحَّدين ، بنغازي ١٩٧٥ ، Shatzmiller, M., *El*² art. *al-Muwahhîdûn* VII, pp. 803-8.

= ابن الأثير : الكامل ١٠ : ٥٦٩ - ٥٨٢ ؛ المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ٢٤٥ - ٢٦٤ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥ : ٤٥ - ٥٥ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٩ : ٥٣٩ - ٥٥٣ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٣ : ٣٢٣ - ٣٢٨ ؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٦ : ١٠٩ - ١١٧ ؛ ابن خلدون : العبر ٦ : ٢٢٥ - ٢٢٩ ؛ Hopkins, J.F.P., *El*² art. *Ibn Tûmart III*, pp. 983-84 .

وَأَلَّفَ ابْنُ تُوْمَرْتٍ لِأَتْبَاعِهِ كِتَابَ «التَّوْحِيدِ» بِاللُّسَانِ الْبَرْبَرِيِّ وَهُوَ سَبْعَةُ أَصْرَابٍ عِدَّةُ أَيَّامِ الْجُمُعَةِ (نَظْمُ الْجَمَانِ ١٢٩) . وَنُشِرَتْ «عَقِيدَةُ ابْنِ تُوْمَرْتٍ» الْمَعْرُوفَةُ بِـ «عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ» بِعِنَايَةِ J.D. Luciani فِي الْجَزَائِرِ سَنَةَ ١٩٠٣ ؛ وَفِي الْقَاهِرَةِ بِتَصْحِيحِ مَحْيِي الدِّينِ صَبْرِي الْكُرْدِيِّ سَنَةَ ١٩٣٠ .

له فيه سلف ، ومنها ما زعموا أنه حرق فيه الإجماع ولم يكن له سلف . وكانت له ولهم خطوب كثيرة ، وحسابه وحسابهم على الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، وله إلى وقتنا هذا عدة أتباع بالشام وقليل بمصر^١ .

هذا وبين « الأشاعرة » و « الماتريدية » ، أتباع أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي^٢ ، وهم طائفة الفقهاء الحنيفة مقلدوا الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت وصاحبه أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الحضرمي ومحمد بن الحسن الشيباني - رضي الله عنهم - من الخلاف في العقائد ما هو مشهور في موضعه . وهو إذا تبع يتبع بضع عشرة مسألة ، كان بسببها في أول الأمر تبائن وتناقض ، وقدح كل منهم في عقيدة الآخر ، إلا أن الأمر آل أخيراً إلى الإغضاء ، والله الحمد .

فهذا - أعزك الله - بيان ما كانت عليه عقائد الأمة - من ابتداء الأمر إلى وقتنا هذا - قد فصلت فيه ما أجمله أهل الأخبار ، وأجملت ما فصلوا . فدونك ، طالب العلم ، تناول ما قد بذلت فيه جهدي ، وأطلت بسببه سهري وكدي في تصفح دواوين الإسلام وكُتب الأخبار . فقد وصل إليك صفوا ، ونلت عفواً بلا تكلف مشقة ولا بذل مجهود ، ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [الآية ١١ سورة إبراهيم] .

62, id., *Essai sur les doctrines sociales et politiques d'Ibn Taymiyya*, Le Caire IFAO . (1939; id., *El² art. Ibn Taymiyya III*, pp. 976-79 .

^٢ أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي ، المتوفى سنة ٥٣٣٣هـ / ١١٤٥م ، مؤسس مدرسة الكلام الشنبي الثانية بعد الأشعرية وهو حنفي الفروع بعكس الأشعري الذي كان شافعي الفروع ، والخلاف بين الأشعرية والماتريدية اختلاف عرضي في ثلاث عشرة مسألة . وفي حين اعترف الماتريدي بحرية الإرادة عند الإنسان وفقاً للقاعدة التي وضعها الإمام أبو حنيفة ، دافع الأشعري على الأخص عن القول بعدم تقييد إرادة الله . (راجع ، القرشي : الجواهر المضية ٣ : ٣٦٠ -

٣٦١ - *Madelung, W., El² art. al-Mâturidi & al-Mâturidiyya VI*, pp. 836-39; Sezgin, F., *GAS I*, . (pp. 604-6

^١ شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ، المتوفى سنة ١٣٢٨هـ / ١٣٢٨م ، عالم عصره ذو التصانيف العديدة ، وهو أصل مذاهب السلفيين التي تبناها فيما بعد الوهابيون الذين نشرها أغلب مؤلفاته وفتاويه . (راجع ، الصفدي : أعيان العصر ١ : ٢٣٣ - ٢٥٣ ، الوافي بالوفيات ٧ : ١٥ - ٣٣ ؛ ابن شاکر : فوات الوفيات ١ : ٧٤ - ٨٠ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٤ : ١٣٥ - ١٤٠ ؛ المقرئ : المقفى الكبير ١ : ٤٥٤ - ٤٧٩ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ١ : ١٥٤ - ١٧٠ ؛ ابن قيم الجوزية : أسماء مؤلفات ابن تيمية ، دمشق ١٩٥٣ ؛ محمد عزيز شمس وعلي بن محمد العمران : الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية ، مكة المكرمة ٢٠٠٠ ؛ Laoust, H., «La biographie d'Ibn Taymiyya d'après Ibn Kathir», *BEO IX* (1943), pp. 115-

أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل ابن
 أبو الحسن الأشعري عبد الله بن موسى ابن بلال بن أبي بريدة عامر بن أبي موسى - واسمه عبد
 الله بن قيس - الأشعري البصري : وُلِدَ سنة ست وستين ومائتين ، وقيل سنة سبعين ، وتوفي ببغداد
 سنة بضِعِ وثلاثين وثلاث مائة ، وقيل سنة أربع وعشرين وثلاث مائة^١ .

٥ سَمِعَ زَكْرِيَا السَّاجِي ، وَأَبَا خَلِيفَةَ الْجَمْحِي ، وَسَهْلَ بْنَ نُوحٍ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ يَعْقُوبَ الْمُقْرِي ،
 وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ خَلْفِ الضُّبِّيِّ الْمِصْرِي . وَرَوَى عَنْهُمْ فِي تَفْسِيرِهِ كَثِيرًا ، وَتَلَمَذَ لَزَوْجِ أُمِّهِ أَبِي
 عَلِيٍّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْجُبَّائِيِّ ، وَاقْتَدَى بِرَأْيِهِ فِي الْأَعْتِزَالِ عِدَّةَ سِنِينَ حَتَّى صَارَ مِنْ أُمَّةِ
 الْمُعْتَزِلَةِ ، ثُمَّ رَجَعَ عَنِ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ مِنْ آرَاءِ الْمُعْتَزِلَةِ .

١٠ وَصَعِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِجَامِعِ الْبَصْرَةِ كُرْسِيًّا ، وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي ، وَمَنْ
 لَمْ يَعْرِفَنِي فَأَنَا أُعْرِفُهُ بِنَفْسِي . أَنَا فَلَانُ ابْنِ فَلَانٍ ، كُنْتُ أَقُولُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُرَى
 بِالْأَبْصَارِ ، وَإِنَّ أَفْعَالَ الشَّرِّ أَنَا أَفْعَلُهَا . وَأَنَا تَائِبٌ مُقْلَعٌ ، مُعْتَقِدٌ الرَّدَّ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ ، مُبَيِّنٌ لِفَضَائِحِهِمْ
 وَمَعَايِبِهِمْ .

١٥ وَأَخَذَ مِنْ حِينْتِهِ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ ، وَسَلَّكَ بَعْضَ طَرِيقِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ
 ابْنِ كِلَابِ الْقَطَّانِ^٢ ، وَبَنَى عَلَى قَوَاعِيدِهِ ، وَصَنَّفَ خَمْسَةَ وَخَمْسِينَ تَصْنِيفًا : مِنْهَا كِتَابُ
 «اللَّمَعِ» ، وَكِتَابُ «الْمَوْجِزِ» ، وَكِتَابُ «إِبْطَاحِ الْبُرْهَانِ» ، وَكِتَابُ «التَّيْبِينَ عَلَى أُصُولِ
 الدِّينِ» ، وَكِتَابُ «الشَّرْحِ وَالتَّفْصِيلِ فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الْإِفْكَ وَالتَّضْلِيلِ» ، وَكِتَابُ
 «الْإِبَانَةِ» ، وَكِتَابُ «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» يُقَالُ إِنَّهُ فِي سَبْعِينَ مَجْلَدًا^٣ . وَكَانَتْ غَلَّتُهُ مِنْ ضَيْعَةِ
 وَقَفِّهَا بِلَالُ بْنُ أَبِي بُرَيْدَةَ عَلَى عَقْبِهِ ، وَكَانَتْ نَفَقَتُهُ فِي السَّنَةِ سَبْعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا ، وَكَانَتْ فِيهِ
 دُعَابَةٌ وَمَرْحٌ كَثِيرٌ .

٢٠ وَقَالَ مَسْعُودُ بْنُ شَيْبَةَ فِي «كِتَابِ التَّعْلِيمِ» : كَانَ حَتْفِي الْمَذْهَبِ ، مُعْتَزِلِي الْكَلَامِ ، لِأَنَّهُ كَانَ
 رَبِيبَ أَبِي عَلِيٍّ الْجُبَّائِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي رَبَّاهُ وَعَلَّمَهُ الْكَلَامَ . وَذَكَرَ الْخَطِيبُ أَنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ أَيَّامَ
 الْجُمُعَاتِ فِي حَلْقَةِ أَبِي إِسْحَاقَ الْمُرُوزِي الْفَقِيهِ فِي جَامِعِ الْمَنْصُورِ .

Montgomery Watt, W., *El*² art. ٣٤٧:٣ - ٤٤٤٤ .
al-Ash'ari, pp. 715-16 ، وفيما تقدم ٤٣٩ - ٤٤٠ .

^٢ انظر فيما تقدم ٤٣٩ هـ .

^٣ راجع Sezgin F., *GAS*, pp. 602-4 .

^١ انظر ترجمة أبي الحسن الأشعري أيضًا عند الخطيب
 البغدادي : تاريخ بغداد ١١ : ٣٤٦ - ٣٤٧ ؛ ابن خلكان :
 وفيات الأعيان ٣ : ٢٨٤ - ٢٨٦ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء
 ١٥ : ٨٥ - ٩٠ ؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى

وعن أبي بكر بن الصيتر في : كان المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الأشعري ،
فحجزهم في أقماع السماسيم .

وجملة عقيدته : أن الله تعالى عالم بعلم ، قادر بقدر ، حي بحياة ، مريد بإرادة ، متكلم
بكلام ، سميع بسمع ، بصير ببصر ، وأن صفاته أزلية قائمة بذاته تعالى ، لا يقال هي هو ولا هي
غيره ، ولا لا هي هو ولا غيره ، وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات ، وقدرته واحدة تتعلق
بجميع ما يصح وجوده ، وإرادته واحدة تتعلق بجميع ما يقبل الاختصاص ، وكلامه واحد : هو
أمر ونهي ، وخبر واستخبار ، ووعد ووعد .

وهذه الوجوه راجعة إلى اعتبارات في كلامه لا إلى نفس الكلام ، والألفاظ المنزلة على لسان
الملائكة إلى الأنبياء دلالات على الكلام الأزلي . فالمدلول - وهو القرآن المقروء - قديم أزلي ،
والدلالة - وهي العبارات ، وهي القراءة - مخلوقة محدثة .

قال : وفرق بين القراءة والمقروء ، والتلاوة والمثلو . كما فرق بين الذكر والمذكور ، قال :
والكلام معنى قائم بالنفس ، والعبارة دالة على ما في النفس ، وإنما تسمى العبارة كلاماً مجازاً .

قال : وأراد الله تعالى جميع الكائنات : خيرها وشرها ونفعها وضرها . ومال / في كلامه إلى
جواز تكليف ما لا يطاق ، لقوله : إن الاستطاعة مع الفعل ، وهو مكلف بالفعل قبله ، وهو غير
مستطيع قبله ، على مذهبه ، قال : وجميع أفعال العباد مخلوقة مبدعة من الله تعالى ، مكتسبة
للعبد ، والكسب عبارة عن الفعل القائم بمحل قدرة العبد .

قال : والخالق هو الله تعالى حقيقة ، لا يُشاركه في الخلق غيره ، فأخص وصفه هو القدرة
والاختراع ، وهذا تفسير اسمه الباري .

قال : وكل موجود يصح أن يرى ، والله تعالى موجود ، فيصح أن يرى ، وقد صح السمع بأن
المؤمنين يرونه في الدار الآخرة في الكتاب والسنة ، ولا يجوز أن يرى في مكان ولا صورة مقابلة
واتصال شعاع ، فإن ذلك كله محال . وماهية الرؤية له فيها أريان : أحدهما أنه علم مخصوص
يتعلق بالوجود دون العدم ، والثاني أنه إدراك وراء العلم . وأثبت السمع والبصر صفتين أزليتين ،
هما إدراك وراء العلم . وأثبت اليدين والوجه صفات خبرية ، ورد السمع بها فيجب الاعتراف
به .

وخالف المعتزلة في الوعد والوعيد ، والسمع والعقل من كل وجه . وقال : الإيمان هو التصديق
بالقلب ، والقول باللسان . والعمل بالأركان فروع الإيمان : فمن صدق بالقلب ، أي أقر بوحدانية

الله تعالى ، واعتترف بالرسول تصديقاً لهم فيما جاءوا به ، فهو مؤمن . وصاحب الكبيرة إذا خرج من الدنيا من غير توبة ، حكمه إلى الله : إما أن يغفر له برحمته أو يشفع له رسول الله ﷺ ، وإما أن يعذبه بعذبه ، ثم يذخه الجنة برحمته ، ولا يدخل في النار مؤمناً .

قال : ولا أقول إنه يجب على الله سبحانه قبول توبته بحكم العقل ، لأنه هو الموجب لا يجب عليه شيء أصلاً ، بل قد ورد السمع بقبول توبة التائبين ، وإجابة دعوة المضطرين . وهو المالك لخلقهم يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، فلو أدخل الخلائق بأجمعهم النار لم يكن جوراً ، ولو أدخلهم الجنة لم يكن حيفاً ، ولا يتصور منه ظلم ، ولا ينسب إليه جور ؛ لأنه الملك المطلق . والواجبات كلها سمعية ، فلا يوجب العقل شيئاً أثبت ، ولا يقتضي تحسناً ولا تقييماً . فمعرفة الله تعالى ، وشكر المنعم ، وإثابة الطائع ، وعقاب العاصي ، كل ذلك بحسب السمع دون العقل . ولا يجب على الله شيء : لا صلاح ولا أصلح ولا ألطف ، بل الثواب والصلاح واللطف والنعم ، كلها تفضل من الله تعالى . ولا يرجع إليه تعالى نفع ولا ضرر ، فلا ينتفع بشكر شاكر ، ولا يتضرر بكفر كافر ، بل يتعالى ويتقدس عن ذلك .

وبعث الرسول جائزاً لا واجب ولا مستحيل . فإذا بعث الله تعالى الرسول ، وأيده بالمعجزة الخارقة للعادة ، وتحدى ودعا الناس ، وجب الإصغاء إليه ، والاشتماع منه ، والامتناع لأوامره ، والانتهاج عن نواهيه . وكرامات الأولياء حق ، والإيمان بما جاء في القرآن والسنة من الإخبار عن الأمور الغائبة عنّا - مثل اللوح والقلم ، والعرش والكورسي ، والجنة والنار - حق وصدق .

وكذلك الإخبار عن الأمور التي ستقع في الآخرة : مثل سؤال القبر ، والثواب والعقاب فيه ، والحشر والمعاد ، والميزان والضراط ، وانقسام فريق في الجنة وفريق في السعير ، كل ذلك حق وصدق يجب الإيمان والاعتراف به . والإمامة تثبت بالاتفاق والاختيار دون النص والتعيين على واحد معين ، والأئمة مترتبون في الفضل ترتبهم في الإمامة .

قال : ولا أقول في عائشة وطلحة والزبير ، - رضي الله عنهم - إلا أنهم رجعوا عن الخطأ . وأقول : إن طلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة ، وأقول في معاوية وعمرو بن العاص : إنهما بغيا على الإمام الحق علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - فقاتلهم مقاتلة أهل البغي . وأقول : إن أهل النهروان الشراة هم المارقون عن الدين ، وإن علياً - رضي الله عنه - كان على الحق في جميع أحواله ، والحق معه حيث دار .

فهذه جُملةٌ من أصولِ عقيدته التي عليها الآن جماهيرُ أهلِ الأُمصار الإسلامية، والتي من جَهرٍ بخلافها أريقَ دمه .

والأشاعرةُ يُسمَّون « الصُّفاتيَّة » لإثباتهم صفاتِ الله تعالى القديمة، ثم افترقوا في الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة - كالاشتواء، والتزول، والأضبع واليَد، والقَدَم، والصورة، والجَنب، والمجبيء - على فِرقتين: فِرقةٌ تُؤوِّلُ جميعَ ذلك على وجوهٍ محتملة اللفظ. وفِرقةٌ لم يتعرَّضوا للتأويل، ولا صاروا إلى التَّشبيه، ويُقالُ لهؤلاء « الأشعرية الأثرية »^(a).

فصارَ للمسلمين في ذلك خمسةُ أقوال: أخذها: اعتقادُ ما يُفهمُ مثله من اللُّغة، وثانيها: السُّكوت عنها مُطلقاً، وثالثها: السُّكوت عنها بعد نفي إرادة الظاهر، ورابعها: حملها على المجاز، وخامسها: حملها على الاشتراك. ولكلِّ فريقٍ أدلةٌ وحجاجٌ تضمَّنتها كُتبُ أصولِ الدين، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [الآيات ١١٨، ١١٩ سورة هود]، ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية ١١٣ سورة البقرة].

فصل

اعلم أن الله سبحانه طلب من الخلق معرفته بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الآية ٥٦ سورة الذاريات] قال ابن عباس وغيره: يعرفون. فخلق تعالى الخلق، وتعرَّفَ إليهم بالسنة الشرائع المنزلة، فعرَّفَه من عرَّفَه سبحانه منهم على ما عرَّفَهُم فيما تعرَّفَ به إليهم. وقد كان الناس، قبل إنزال الشرائع بيعة الرُّسل - عليهم السلام - علمهم / بالله تعالى إنما هو بطريق التَّنزيه له عن سماتِ الحدوث، وعن التُّركيب، وعن الافتقار، ويصفونه سبحانه بالافتقار المطلق. وهذا التَّنزيه هو المشهور عقلاً، ولا يتعداه عقل أضلاً.

فلما أنزل الله شريعته على رسوله مُحَمَّد ﷺ، وأكمل دينه، كان سبيلُ العارف بالله أن يجمع في معرفته بالله بين معرفتين: إحداهما المعرفة التي تقتضيها الأدلة العقلية، والأخرى المعرفة التي جاءت بها الإخبارات الإلهية، وأن يزدَّ علم ذلك إلى الله تعالى، ويؤمن به وبكل ما جاءت به الشريعة على الوجه الذي أراده الله تعالى، من غير تأويلٍ بفكره، ولا تحكُّم فيه برأيه.

(a) بولاق: الأسرية.

وذلك أن الشرائع إنما أنزلها الله تعالى لعدم اشتغال العقول البشرية بإدراك حقائق الأشياء على ما هي عليه في علم الله . وأنى لها ذلك وقد تقيدت بما عندها من إطلاق ما هنالك ؟ فإن وهبها علماً بمرايه من الأوضاع الشرعية ، ومنحها الاطلاع على حكمه في ذلك كان من فضله تعالى . فلا يضيف العارف هذه المنة إلى فكره ، فإن تنزيهه لربه تعالى بفكره يجب أن يكون مطابقاً لما أنزله سبحانه على لسان رسوله ﷺ من الكتاب والسنة . وإلا فهو تعالى منزّه عن تنزيه عقول البشر بأفكارها ، فإنها مقيدة بأوطارها ، فتزيهها كذلك مقيد بحسبها وبموجب أحكامها وآثارها - إلا إذا خلت عن الهوى ، فإنها حينئذ يكشف الله لها الغطاء عن بصايرها ، ويهديها إلى الحق . فتزهره تعالى عن التنزيهات العرفية بالأفكار العادية .

وقد أجمع المسلمون قاطبةً على جواز رواية الأحاديث الواردة في الصفات ونقلها وتبليغها ، من غير خلاف بينهم في ذلك . ثم أجمع أهل الحق منهم على أن هذه الأحاديث مضرورة عن احتمال مشابهة الخلق ، لقول الله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الآية ١١ سورة الشورى] ولقول الله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الآيات ١-٤ سورة الإخلاص] وهذه السورة يُقال لها : سورة الإخلاص . وقد عظم رسول الله ﷺ شأنها ، ورغب أئمة في تلاوتها حتى جعلها تعدل ثلث القرآن من أجل أنها شاهدة بتزيه الله تعالى ، وعدم الشبه والمثل له سبحانه . وسُميت «سورة الإخلاص» ، لاشتغالها على إخلاص التوحيد لله عن أن يشوبه مئيل إلى تشبيهه بالخلق . وأما الكاف التي في قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فإنها زائدة . وقد تقرر أن الكاف والمثل في كلام العرب أتيا للتشبيه ، فجمعهما الله تعالى ، ثم نفى بهما عنه ذلك .

فإذا ثبت إجماع المسلمين على جواز رواية هذه الأحاديث ونقلها ، مع إجماعهم على أنها مضرورة عن التشبيه ، لم يبق في تعظيم الله تعالى بذكرها إلا نفى التغطيل ، لكون أعداء المرسلين سموا ربهم سبحانه أسماء نفوا فيها صفاته الغلا . فقال قوم من الكفار : هو طبيعة ، وقال آخرون منهم : هو علة ، إلى غير ذلك من إلحادهم في أسمائه سبحانه . فقال رسول الله ﷺ هذه الأحاديث المشتمة على ذكر صفات الله الغلا ، ونقلها عنه أصحابه البررة ، ثم نقلها عنهم أئمة المسلمين . حتى انتهت إلينا ، وكل منهم يزويها بصفتها من غير تأويل لشيء منها ، مع علمنا أنهم كانوا يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الآية ١١ سورة الشورى] ففهمنا من ذلك أن الله تعالى أراد - بما نطق به رسوله ﷺ من هذه الأحاديث ، وتناولها

عنه الصحابة - رضي الله عنهم - وبلغوها لأُمَّته - أن يُعصَ بها في مخلوق الكافرين ، وأن يكون ذكرها نكتاً في قلوب كل ضال معطلٍ مُبتدِع يَقْفُو أثر المُبتدِعَة من أهل الطبائع وعُباد العِلل .
فلذلك وَصَفَ اللهُ تعالى نفسه الكريمة بها في كتابه ، وَوَصَفَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أيضاً بما صَحَّ عنه وثبت .

٥ فدل على أن المؤمن إذا اعتقد أن الله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ، وأنه أحد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، كان ذكره لهذه الأحاديث تمكين الإثبات ، وشجاً في مخلوق المعطلة . وقد قال الشافعي ، رحمه الله : « الإثبات أمكن » ، نقله الخطابي . ولم يبلغنا عن أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم أنهم أولوا هذه الأحاديث .

والذي يمنع من تأويلها إجلال الله تعالى عن أن تُضرب له الأمثال ، وأنه إذا نزل القرآن بصفة من صفات الله تعالى ، كقوله سبحانه : ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية ١٠ سورة الفتح] ، فإن نفس

١٠ تلاوة هذا يفهم منها السامع المعنى المراد به ، وكذا قوله تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [الآية ٦٤

سورة المائدة] عند حكايته تعالى عن اليهود نسبتهم إياه إلى البخل ، فقال تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ

مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [الآية ٦٤ سورة المائدة] ، فإن نفس تلاوة هذا مُبَيَّنَة للمعنى المقصود .

وأيضاً فإن تأويل هذه الأحاديث يحتاج أن يضرب لله تعالى فيها المثل ، نحو قولهم في قوله

١٥ تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [الآية ٥ سورة طه] : الاستواء : الاستيلاء ، كقولك

« استوى الأمير على البلد » . وأنشدوا : « قد استوى بشر على العراق » فلزمهم تشبيه الباري تعالى

ببشر .

وأهل الإثبات تزهوا بجلال الله عن أن يُشبهوه بالأجسام حقيقة ولا مجازاً ، وعلموا - مع ذلك

- أن هذا النطق يشتمل على كلمات متداولة بين الخالق وخالقه ، وتخرجوا أن يقولوا مُشْتَرَكَة ، لأن

٢٠ الله / تعالى لا شريك له . ولذلك لم يتأول السلف شيئاً من أحاديث الصفات ، مع علمنا قطعاً

أنها عندهم مضرورة عمّا يسبق إليه ظنون الجهال من مشابهتها لصفات المخلوقين .

وتأمل تجد الله تعالى لما ذكر المخلوقات المتولدة من الذكر والأنثى في قوله سبحانه : ﴿جَعَلَ

لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ﴾ [الآية ١١ سورة الشورى] ، علم سبحانه ما

يخطر بقلوب الخلق فقال عز من قائل : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .

٢٥ واعلم أن السبب في خروج أكثر الطوائف عن ديانة الإسلام : أن الفرس كانت من سعة

الملك ، وعلو اليد على جميع الأمم ، وجلالة الخطر في أنفسها ، بحيث إنهم كانوا يُسمون

أنفسهم الأحرار والأبناء^(a)، وكانوا يُعدّون سائر الناس عبيداً لهم . فلما امتسحتوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب - وكانت العرب عند الفرس أقل الأمم خطراً - تعاظمتهم الأُمم ، وتضاعفت لديهم المصيبة - وراموا كَيْدَ الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى ، وفي كل ذلك يُظهر الله تعالى الحق .

وكان من قاصبيهم شُفاد وأشليس^(b) والمقلع^(c) وبابك وغيرهم ، وقبل هؤلاء رام ذلك عمار - الملقب خدأشا - وأبو مُسلم السروح ، فرأوا أن كَيْدَهُ على الحيلة أنجح ، فأظهروا قوَمَ منهم الإسلام ، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله ﷺ واشتيتشاع ظلم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن طريق الهدى .

فقومٌ أدخلوهم إلى القول بأن رجلاً يُنتظر ، يُدعى المهدي ، عنده حقيقة الدين ، إذ لا يجوز أن يُخذل الدين عن كُفَّارٍ ، إذ نسبوا أصحاب رسول الله ﷺ إلى الكفر . وقومٌ خرجوا إلى القول بادعاء النبوة لقوم سئوهم به . وقومٌ سلكوا بهم إلى القول بالحلول ، وسقوط الشرائع . وآخرون تلاعبوا بهم ، فأوجبوا عليهم خمسين صلاة في كل يوم وليلة . وآخرون قالوا : بل هي سبع عشرة صلاة ، في كل صلاة خمس عشرة ركعة . وهو قول عبد الله بن عمرو بن الحارث الكندي قبل أن يصير خارجياً صُفْرِيًّا .

وقد أظهر عبد الله بن سبأ الحميري اليهودي الإسلام ليكيدهم أهلَه ، فكان هو أصل إثارة الناس على عثمان بن عفان - رضي الله عنه . أخرج علي - رضي الله عنه - منهم طوائف أعلتوا بإلهيته . ومن هذه الأصول حدثت الإسماعيلية والقرامطة .

والحق الذي لا ريب فيه أن دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه ، وجوهه لا سِرٌّ تحته ، وهو كله لازمٌ لكل أحد لا مُسامحة فيه . ولم يكتم رسول الله ﷺ من الشريعة ولا كلمة ، ولا أطلع أحد من الناس به ، من زوجة أو ولد عم ، على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم . ولا كان عنده ﷺ سِرٌّ ، ولا رمز ، ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم إليه . ولو كتم شيئاً لما بلغ كما أمر ، ومن قال هذا فهو كافِرٌ بإجماع الأمة .

وأصل كل بدعة في الدين البُعد عن كلام السلف ، والانحراف عن اعتقاد الصدر الأول ؛ حتى بالغ القدر فجعل العبد خالقاً لأفعاله ، وبالغ الجبري في مُقابلته فسلب عنه الفعل والاختيار ، وبالغ المعطل في التنزيه فسلب عن الله تعالى صفات الجلال ونُعمت الكمال ، وبالغ

(a) بولاق : الأسياد . (b) بولاق : أنيس . (c) بولاق : المفتح .

المُشَبَّه في مُقَابَلَتِهِ فَجَعَلَهُ كوَاحِدٍ مِنَ الْبَشَرِ، وَبَالَغَ الْمُزْجِي فِي سَلْبِ الْعِقَابِ، وَبَالَغَ الْمُعْتَزِلِي فِي التَّخْلِيدِ فِي الْعَذَابِ، وَبَالَغَ النَّاصِبِي فِي دَفْعِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ الْإِمَامَةِ، وَبَالَغَتِ الْغُلَاةُ حَتَّى جَعَلُوهُ إِلَهًا، وَبَالَغَ الشُّنِّي فِي تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَبَالَغَ الرَّافِضِي فِي تَأْخِيرِهِ حَتَّى كَفَّرَهُ.

وَمَيْدَانُ الظَّنِّ وَاسِعٌ، وَحُكْمُ الوَهْمِ غَالِبٌ. فَتَعَارَضَتِ الظُّنُونُ، وَكَثُرَتِ الْأَوْهَامُ، وَبَلَغَ كُلُّ فَرِيقٍ فِي الشَّرِّ وَالْعِنَادِ وَالْبَغْيِ وَالْفَسَادِ إِلَى أَقْصَى غَايَةٍ وَأَبْعَدِ نِهَايَةٍ، وَتَبَاعَضُوا وَتَلَاعَثُوا، وَاسْتَحَلُّوا الْأَمْوَالَ، وَاسْتَبَاحُوا الدِّمَاءَ، وَانْتَصَرُوا بِالْذُّوْلِ، وَاسْتَعَانُوا بِالْمُلُوكِ. فَلَوْ كَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا بَالَغَ فِي أَمْرٍ، نَازَعَ الْآخَرَ فِي الْقُرْبِ مِنْهُ - فَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَتَعَدُّ عَنِ الظَّنِّ كَثِيرًا، وَلَا يَنْتَهِي فِي الْمُنَازَعَةِ إِلَى الطَّرْفِ الْآخَرَ مِنْ طَرَفِي التَّقَابُلِ - لَكِنَّهُمْ أَبَوْا إِلَّا مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ مِنَ التَّدَابُرِ وَالتَّقَاطُعِ ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [الآيتان ١١٨، ١١٩ سورة هود].

المواظبة والاعتبار

في ذكر الخطب والأشكال

لنفي الدين أحمد بن علي بن عبد الفادر المقريزي

٧٦٦ - ٨٤٥ هـ

١٣٦٥ - ١٤٤٢ م

حَقَّقَهُ وَكَتَبَ مُقَدِّمَتَهُ وَحَوَاشِيَهُ وَوَضَعَ فَهْرَسَهُ

الدكتور أيمن فؤاد سيّد

المجلد الرابع

٢



مؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي - لندن

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

ذِكْرُ الْمَدَارِسِ

قال ابن سيده : دَرَسَ الْكِتَابَ يَدْرُسُهُ دَرَسًا وَدِرَاسَةً ، وَدَارَسَهُ مِنْ ذَلِكَ ، كَأَنَّهُ عَادَدَهُ حَتَّى اتَّقَادَ لِحِفْظِهِ ، وَقَدْ قُرِئَ بِهِمَا ﴿وَلْيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ وَ (دَارَسْتَ) . [وقيل : دَرَسْتَ : قرأت كُتِبَ أَهْلُ الْكِتَابِ ، وَدَارَسْتَ] ذَاكَرْتَهُمْ ، وَحَكِي دَرَسْتَ أَي قُرَيْتَ ، وَقُرَيْتَ : (درست) وَ (دَرَسْتَ) ، أَي هَذِهِ أَخْبَارٌ قَدْ عَفَتْ وَامْتَحَتْ ، وَدَرَسْتَ أَشَدُّ مَبَالِغَةً ، وَالِدِّرَاسُ الْمُدَارَسَةُ .

وقال ابن جني : وَدَرَسْتُهُ إِيَّاهُ وَأَدَرَسْتُهُ ، وَمَنْ الشَّاذُّ قِرَاءَةَ ابْنِ حَيَوَةَ : (وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرِسُونَ) [من الآية ٧٩ سورة آل عمران] . وَالْمِدْرَاسُ ^(a) : الْمَوْضِعُ الَّذِي يُدْرَسُ فِيهِ ^١ .

وقد ذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ قَدِمَ مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ مُضْعَبِ بْنِ عَمِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَقِيلَ قَدِيمٌ بَعْدَ بَدْرِ بَيْسِيرٍ - فَتَزَلَّ دَارَ الْقُرَاءَةِ ^٢ .

١٠ ولما أَرَادَ الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَصِدُ بِاللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُؤَقِّقِ بِاللَّهِ أَبِي أَحْمَدَ طَلْحَةَ بْنَ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ جَعْفَرَ ، بِنَاءَ قَصْرِهِ / فِي الشَّمَّاسِيَّةِ بِبَغْدَادَ ، اسْتَرَادَ فِي الذَّرْعِ بَعْدَ أَنْ فَرَّغَ مِنْ تَقْدِيرِ مَا أَرَادَ . فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ ، فَذَكَرَ أَنَّهُ يُرِيدُهُ لِيَبْنِيَ فِيهِ دُورًا وَمَسَاكِينَ وَمَقَاصِيرَ ، يُرْتَّبُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ رُؤَسَاءُ كُلِّ صِنَاعَةٍ وَمَذَهَبٍ مِنْ مَذَاهِبِ الْعُلُومِ النَّظَرِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ ، وَيُجْرِي عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ الشَّيْئِيَّةَ ، لِيَقْصِدَ كُلٌّ مِنْ اخْتَارَ عِلْمًا أَوْ صِنَاعَةً رَئِيسَ مَا يَخْتَارُهُ فَيَأْخُذَ عَنْهُ .

١٥ وَالْمَدَارِسُ بِمَّا حَدَّثَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ تَكُنْ تُعْرَفُ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ وَلَا التَّابِعِينَ ، وَإِنَّمَا حَدَّثَ عَمَلُهَا بَعْدَ الْأَرْبَعِ مِائَةِ مِنْ سِنِي الْهَجْرَةِ . وَأَوَّلُ مَنْ حَفِظَ عَنْهُ أَنَّهُ بَنَى مَدْرَسَةً فِي الْإِسْلَامِ أَهْلُ نَيْسَابُورٍ فَبُنِيَتْ بِهَا الْمَدْرَسَةُ الْبَيْهَقِيَّةُ ، وَبَنَى بِهَا أَيْضًا الْأَمِيرُ نَضْرُ بْنُ شَبْكُوكِ بْنِ أَخُو السُّلْطَانِ

(a) بولاق : المدرس .

^١ ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ٢٩٦ . مخزومة بن نوفل .

^٢ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤ : ٢٠٥ وفيه : وهي دار

محمود بن سُبُكْتُكِين مَدْرَسَةً ، وَبَنَى بِهَا أَيْضًا الْمَدْرَسَةَ السُّعْدِيَّةَ^(a) ، وَبَنَى بِهَا أَيْضًا مَدْرَسَةً رَابِعَةً . وَأَشْهَرُ مَا بُنِيَ فِي الْقَدِيمِ « الْمَدْرَسَةُ النَّظَامِيَّةُ » بِبَغْدَادِ ، لِأَنَّهَا أَوَّلُ مَدْرَسَةٍ قُرِّرَ بِهَا لِلْفُقَهَاءِ مَعَالِيمٌ^١ ، وَهِيَ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْوَزِيرِ نِظَامِ الْمَلِكِ أَبِي عَلِيِّ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْعَبَّاسِ الطُّوسِيِّ ، وَزَيْرِ مَلِكِ شَاهِ بْنِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ بْنِ دَاوُدَ بْنِ مِيكَالَ بْنِ سُلْجُوقِ^٢ فِي مَدِينَةِ بَغْدَادِ . وَشَرَعَ فِي بِنَائِهَا فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعٍ مِائَةٍ ، وَفَرَّغَتْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعٍ مِائَةٍ ، وَدَرَسَ فِيهَا الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ الشُّيرَازِيُّ الْفَيْزُورْزَابَادِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ « التَّنْبِيهِ فِي الْفِقْهِ » عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ - عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللَّهِ^(b) فَاقْتَدَى النَّاسُ بِهِ مِنْ حَيْثُذِي فِي بِلَادِ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَفِي بِلَادِ الْجَزِيرَةِ وَدِيَارِ بَكْرٍ .

وَأَمَّا مِصْرُ فَإِنَّهَا كَانَتْ حَيْثُذِي بِيَدِ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ ، وَمَذْهَبُهُمْ مُخَالِفٌ لِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ ، وَأَمَّا هُمْ شِيعَةٌ إِسْمَاعِيلِيَّةٌ كَمَا تَقَدَّمَ .

وَأَوَّلُ مَا عُرِفَ إِقَامَةُ دَرَسٍ مِنْ قِبَلِ السُّلْطَانِ بِمَعْلُومِ جَارٍ لَطَائِفِيَّةٍ مِنَ النَّاسِ بِدِيَارِ مِصْرٍ فِي خِلَافَةِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ نِزَارِ بْنِ الْمُعِزِّ وَوَزَارَةِ يَعْقُوبِ^(c) بْنِ يُونُسَ^(c) بْنِ كِلْسٍ ؛ فَعَمِلَ ذَلِكَ بِالْجَامِعِ الْأَزْهَرِ - كَمَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ^٣ - ثُمَّ عَمِلَ فِي دَارِ الْوَزِيرِ يَعْقُوبِ بْنِ كِلْسٍ مَجْلِسٌ يَحْضُرُهُ الْفُقَهَاءُ ، فَكَانَ يَتْرَأُ فِيهِ كِتَابَ فِقْهِهِ عَلَى مَذْهَبِهِمْ ، وَعَمِلَ أَيْضًا مَجْلِسٌ بِجَامِعِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ مِنْ مَدِينَةِ قُسْطَاطِ مِصْرَ لِقِرَاءَةِ كِتَابِ الْوَزِيرِ . ثُمَّ بَنَى الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو عَلِيٍّ مَنصُورَ ابْنِ الْعَزِيزِ دَارَ الْعِلْمِ بِالْقَاهِرَةِ ، كَمَا ذَكَرَ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^١ .

(a) بولاق : السعيدية . (b) بولاق : رضي الله عنه ورحمه . (c-c) ساقطة من بولاق .

BSOAS XXIV (1961), pp. 1-56; id., «Madrasa and University in the Middle Age», SI XXXII (1970), pp. 255-64; id., *The Rise of Colleges, Institution of Learning in Islam and the West*, Edinburgh 1981; عماد عبد السلام رؤوف : مدارس بغداد في العصر العباسي ، بغداد ١٩٦٦ .

^٢ انظر مراجع ترجمة الوزير نظام الملك ، فيما تقدم ٢٥٦:١ هـ .

^٣ فيما تقدم ٩٥ .

^١ عن المَدْرَسَةِ النَّظَامِيَّةِ انظر Talas, A., *La madrasa Nizâmiyya et son histoire*, Paris 1939; مصطفي جواد : «المدرسة النظامية ببغداد» ، سومر ٩ (١٩٥٣) ، ٣١٣-٣٤٢ .

وعن المدارس في بغداد والمشرق الإسلامي عموماً راجع ، Massignon, L., «Les Medresehs de Bagdad», BIFAO VII (1910), pp. 77-86; Pedersen, I. & Makdisi, G., *El² art. Madrasa* V, pp. 119-44; Makdisi, G., «Muslim Institution of Learning in Eleventh-Century Baghdad»,

فلما انقرضت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، أُبطل مذهب الشيعة من ديار مصر، وأقام بها مذهب الإمام الشافعي ومذهب الإمام مالك، واقتدى بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكي. فإنه بنى بدمشق وحلب وأعمالهما عدة مدارس للشافعية والحنفية، وبنى لكل من الطائفتين مدرسة بمدينة مصر.

٥. وأول مدرسة أُخِدت بديار مصر «المدرسة الناصرية» بجوار الجامع العتيق بمصر^٢، ثم «المدرسة القمحية» المجاورة للجامع أيضًا، ثم «المدرسة الشيوفية» التي بالقاهرة. ثم اقتدى بالسلطان صلاح الدين - في بناء المدارس بالقاهرة ومصر وغيرهما من أعمال مصر وبالبلاد الشامية والجزيرية^(a) - أولاده وأمرأؤه. ثم حذا حذوهم من ملك مصر بعدهم من ملوك الترك وأمرائهم وأتباعهم إلى يومنا هذا. وسأذكر ما بديار مصر من المدارس^٣، وأعرف بحال من بناها، على ما اعتدته في هذا الكتاب من التوسط دون الإشهاب، وبالله أستعين.

(a) بولاق: الجزيرة.

مصر ٥٩٠ - ٥٩٤ Fu'ād Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte*, pp. 569-88 وانظر المقدمة.

^٣ راجع حؤول مدارس مصر والقاهرة، تاريخها ووصفها وتخطيطها، Creswell, K.A.C., «The Origin of the Cruciform Plan of Cairene Medrasas», *BIFAO* XXI (1923), pp. 1-54; id., *MAE* II, pp. 104-34 أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها، العصر الأيوبي، القاهرة ١٩٦٩، «خصائص عمارة القاهرة في العصر الأيوبي»، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ١: ١٦٣-١٩٢، Kessler, C., «Funerary Architecture within the City», *CIHC*, pp. 257-67; Lapidus, I. M., «Ayyubid Religions Policy and the Development of the Schools of Law in Cairo», *CIHC*, pp. 279-86; عباس حلمي كامل: «المدارس الإسلامية ودور العلم وعمارتهما الأثرية - نشأتها وتاريخها وتخطيط عمارتها»، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة ٣/٣ (١٣٩٧هـ)، ١٥١-١٧٢؛ محمد مصطفى نجيب: «نظرة جديدة على النظام

^١ فيما تقدم ٢: ٥٠٢ - ٥٠٨.

^٢ هذا الحكم غير صحيح فقد شهدت الإسكندرية، في فترة الإصلاح الشفي التي بدأها الوزيران الفاطميان الشنيان رضوان بن ولحشي والعاذل بن الشلار، نشأة أول مدرستين شفيين في مصر: «المدرسة الحافظية» المعروفة بـ «المدرسة القوقية» لتدريس المذهب المالكي سنة ٥٣٢هـ/١١٣٨م، ومدرسة العادل بن الشلار التي أنشأها سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م لتدريس المذهب الشافعي. (راجع، Leiser, G., *The Restoration of Sunnisme in Egypt: Madrasa and Mudarrisûn 495-676/1101-1249*, Ph. D. Thesis - University of Pennsylvania 1976; id., «The 'Madrasa' and The Islamization of the Middle East - The Case of Egypt», *JARCE* XXII (1985), pp. 29-47; id., «Notes in the Madrasa in Medieval Islamic Society», *MW* 76 (1986), pp. 16-23)؛ أمين فؤاد سيد: «المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي» في كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٩٢، ٨٧-١٣٦، الدولة الفاطمية في

المدرسة الناصرية

بجوار الجامع العتيق من مدينة مصر من قبله

هذه المدرسة عُرفت أولاً بـ «المدرسة الناصرية»^١، ثم عُرفت بابن زين الثُّجَّار - وهو أبو العباس أحمد بن المظفر بن الحسين الدمشقي المعروف بابن زين الثُّجَّار^٢، أخذ أعيان الشافعية، دُرِّسَ بهذه المدرسة مُدَّةً طويلة، ومات في ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وخمسة مائة^٣. ثم عُرفت بـ «المدرسة الشريفة»، وهي إلى الآن تُعرف بذلك، وكان مَوْضِعُهَا يُقالُ له الشُّرْطَةُ.

وذكر الكندي أنها حِطَّةٌ قَيْسُ بن سَعْدِ بن عُبَادَةَ الأنصاري، وعُرفت بدار الفُلُّل. وقال ابن عبد الحكم: كانت فضاءً قبل ذلك. وقيل كانت هي والدار التي إلى جانبها لنافع بن عبد الله ابن قيس الفهري، فأخذها منه قيس بن سعد. وسُميت دار الفُلُّل لأن أسامة بن زيد التَّوْخِي، صاحب الخراج بمصر، ائْتَمَعَ من موسى بن وَرْدَانَ فُلُّلاً بعشرين ألف دينار ليهديه إلى صاحب الروم، فحزَّنة فيها^٤. ولما فرغ عيسى بن يزيد الجلودي من بناء زيادة الجامع، بنى هذه الدار شُرْطَةً في سنة ثلاث عشرة ومائتين، ثم صارت سِجِّناً يُعرف بالمعونة؛ فهَدَمَهَا السُّلْطَانُ صلاح الدين

^١ انظر كذلك، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦: ٢٠٦ - ٢٠٧؛ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٩٣؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ٣٨٥، ٦: ٥٤-٥٥.

والمدرسة الناصرية التي أُقيمت مكان دار المعونة بمصر، هي نفسها المدرسة المعروفة بالمدرسة الشريفة التي كانت بجانب جامع عمرو من جهته الشرقية. وقد زالت هذه المدرسة الآن وبدل على مكانها الأرض الفضاء الواقعة في الجنوب الشرقي من جامع عمرو. (ابن دقماق: الانتصار ٤: ٩٣؛ المقرئ: اتعاظ الخفا ٣: ٣١٩؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ٣٨٥، ٦: ٥٥.)

^٢ انظر ترجمة ابن زين الثُّجَّار، المتوفى سنة ٥٩١هـ/ ١١٩٥م، عند المقرئ: المقفى الكبير ١: ٦٦٤.

^٣ وتعرف بدار الزلاية.

^٤ ابن عبد الحكم: فتوح مصر ٩٨، ٩٩.

= المعماري للمدارس المتعامدة وتطوره خلال العصر المملوكي الجركسي ٧٨٤: ٩٢٢هـ - ١٣٨٢: ١٥١٧م، مجلة كلية الآثار - جامعة القاهرة ٢ (١٩٧٨)، ١٩ - ٣٠؛ حسن الباشا: «دراسة جديدة في نشأة الطراز المعماري للمدرسة المصرية ذات التخطيط المتعامد»، مجلة كلية الآثار - جامعة القاهرة ٣ (١٩٨٩)، ٤٣ - ٨٠؛ Golvin, L., *La Madrasa médiévale*, Paris - Édisud 1995, pp. 97-154، وفي هذا الكتاب الأخير يجمع Golvin العديد من مخططات المدارس المتفرقة في العديد من الدراسات، كما أعاد رسم بعضها أو رسمها بنفسه إذا لم تكن قد رُفِعت من قبل؛ وعن مدارس العصر الأيوبي راجع كذلك MacKenzie, N. D., *Ayyubid Cairo. A Topographical Study*, Cairo AUC 1992؛ عفاف ضبيرة: «المدارس في العصر الأيوبي»، في كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، ١٣٧ - ٢٠٠.

يوسف بن أيوب ، في أول المحرم سنة ست وستين وخمسة مائة ، وأنشأها مدرسة برسم الفقهاء الشافعية - وكان حينئذ يتولى وزارة مصر للخليفة العاضد ، وكان هذا من أعظم ما نزل بالدولة - وهي أول مدرسة عملت بديار مصر^١ . ولما كملت وقف عليها الصاغة - وكانت بجوارها - وقد خربت ، وبقي منها شيء يسير قرأت عليها اسم / الخليفة العزيز بالله ، ووقف عليها أيضا قرية تُعرف (a)

٣٦٤:٢

وأول من ولي التدريس بها ابن زين الثجار فعرفت به ، ثم درس بها بعده ابن قطيطة ابن الوزان ، ثم من بعده كمال الدين أحمد بن شيخ الشيوخ ، وبعده الشريف القاضي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد الحنفي - قاضي العسكر الأزموي - فعرفت به ، وقيل لها « المدرسة الشريفة » من عهده إلى اليوم . ولولا ما يتناوله الفقهاء من المعلوم بها لخربت ، فإن الكيمان ملاصقة لها بعدما كان حولها أعمر موضع في الدنيا . وقد ذكر حبس المعتونة عند ذكر السجون من هذا الكتاب^٢ .

المدرسة القمحية

هذه المدرسة بجوار الجامع العتيق بمصر ، كان موضعها يُعرف بدار الغزل - وهو قيسارية يُباع فيها الغزل - فهدمها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وأنشأ موضعها مدرسة للفقهاء المالكية ، وكان الشروع فيها للنصف من المحرم سنة ست وستين وخمسة مائة ، ووقف عليها قيسارية الوراقين وعلوها بمصر ، وضيعة بالفيوم تُعرف بالخبوشية ، ورُتب فيها أربعة من المدرسين عند كل مدرس عدة من الطلبة^٣ .

وهذه المدرسة أجل مدرسة للفقهاء المالكية ، ويتحصل لهم من ضيعتهم التي بالفيوم قنخ يُفروق فيهم ، فلذلك صارت لا تُعرف إلا بالمدرسة القمحية إلى اليوم^٤ . وقد أحاط

(a) بياض في الأصول .

^١ أضاف في اتعاظ الحنفا (٣: ٣١٩) : وهي أول مدرسة عُمرت بمصر لإلقاء العلم ، وانظر ٤٥٣ هـ^١ .

الحنفا ٣: ٣١٩ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥: ٣٨٥ . وقد زالت الآن هذه المدرسة ، ويبدل على مكانها الآن الفضاء الواقع في الجهة الشرقية من جامع عمرو .

^٢ فيما تقدم ٣: ٥٩٧-٥٩٨ .

^٤ ولي ابن خلدون تدريس هذه المدرسة سنة ٧٨٦ هـ .

^٣ ابن دقماق : الانتصار ٤: ٩٥ ، المقرئ : اتعاظ

بها الخراب، ولولا ما يُحصّل منها للفقهاء لذرّت .

وفي شعبان سنة خمس وعشرين وثمان مائة، أخرج السلطان الملك الأشرف برسباني الدقماقي ناحيتي الأعلام والحنبوشية - وكانتا من وقف السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب على هذه المدرسة - وأنعم بهما على مملوكين من ممالئكه ليكونا إقطاعاً لهما^١.

مدرسة يازكوج

هذه المدرسة بسوق الغزل في مدينة مصر، وهي مدرسة معلقة بناها (a) ٢ .

مدرسة ابن الأرسوفي

هذه المدرسة كانت بالبزازين التي تجاور حطّ النخالين بمصر، عُرفت بابن الأرسوفي التاجر العسقلاني، وكان بناؤها في سنة سبعين وخمس مائة، وهو عفيف الدين عبد الله بن محمد الأرسوفي، مات بمصر في يوم الاثنين حادي عشرين ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وخمس مائة^٣.

مدرسة منازل العزّ

هذه المدرسة كانت من دور الخلفاء الفاطميين، بنتها أم الخليفة العزيز بالله بن المعزّ، وعُرفت بمنازل العزّ، وكانت تُشرف على النيل، وصارت معدة لثروة الخلفاء. وممن سكنها ناصر الدولة

(a) بياض في النسخ .

الحسين الأنصاري الشافعي خطيب جامع مصر إلى حين وفاته إلى رحمة الله تعالى، ثم درّس بها الفقيه ظهير الدين جعفر ابن يحيى القرشي الترمثي إلى حين وفاته، ثم درّس بها الفقيه فتح الدين إبراهيم بن الحسن الأنصاري إلى حين سفره قاضياً بالواحات، ثم درّس بها الفقيه سديد الدين عبد الباري الشقطي، ثم أخوه ظهير الدين، ثم أخوه عماد الدين. وهي الآن . (الانتصار ٤ : ٩٥، وانظر فيما يلي ٤٦٥) .

^٣ قارن ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٩٨ .

= (ابن خلدون : التعريف ٢٥٣ - ٢٥٤، ٢٧٩ - ٢٨٠ : المقريزي : السلوك ٣ : ٥١٣) .

^١ المقريزي : السلوك ٤ : ٦١٦، ووُردت هذه الفقرة في هامش نسخة آياصوفيا .

^٢ سَمّاها ابن دقماق «المدرسة الأزكشية»، وأضاف : «هذه المدرسة هي المعلقة بمصر بسوق الغزل بناها الأمير يازكوج لما بنى الرُبْعَيْنِ المتقابلين اللذين أحدهما سفلها . وهي مدرسة مباركة درّس بها الفقيه العالم أبو الطاهر محمد ابن

حسين بن حمدان إلي أن قُتِلَ ، وكان بجانبها حَمَامٌ يُعْرَفُ بِحَمَامِ الذَّهَبِ مِنْ جَمَلَةِ حُقُوقِهَا ، وهي باقية ^١ .

فَلَمَّا زَالَتِ الدَّوْلَةُ الفَاطِمِيَّةُ عَلَى يَدِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ ، أُنزِلَ فِي مَنَازِلِ الْعِزِّ الْمَلِكِ الْمُظْفَّرِ تَقِيَّ الدِّينِ عُمَرَ بْنِ شَاهِنشَاهِ بْنِ أَيُّوبَ ، فَتَكَنَّا مُدَّةً . ثُمَّ إِنَّهُ اشْتَرَاهَا وَالْحَمَامَ وَالْإِسْطَبْلَ الْمُجَاوِرَ لَهَا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ سَنَةِ سِتِّ وَسِتِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ ، وَأَنْشَأَ قُنْدُقَيْنِ بِمِصْرَ بِحُطِّ الْمَلَّاحِينَ ، وَأَنْشَأَ رَبْعًا بِجَوَارِ أَحَدِ الْقُنْدُقَيْنِ ، وَاشْتَرَى جَزِيرَةَ مِصْرَ الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالرَّوْضَةِ .

فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ إِلَى الشَّامِ ، وَقَفَ مَنَازِلَ الْعِزِّ عَلَى فُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ ^٢ ، وَوَقَفَ عَلَيْهَا الْحَمَامَ وَمَا حَوْلَهَا ، وَعَمَّرَ الْإِسْطَبْلَ قُنْدُقًا عُرِفَ بِقُنْدُقِ التُّخْلَةِ وَوَقَفَهُ عَلَيْهَا ، وَوَقَفَ عَلَيْهَا الرَّوْضَةَ .

وَدَرَّسَ بِهَا شِهَابُ الدِّينِ الطُّوسِي ، وَقَاضِي الْقَضَاةِ عِمَادُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَبْدِ الْعَلِيِّ الشُّكْرِيِّ ، وَعِدَّةٌ مِنَ الْأَعْيَانِ . وَهِيَ الْآنَ عَامِرَةٌ بِعِمَارَةِ مَا حَوْلَهَا .

الملك المظفر تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو سَعِيدِ عُمَرَ بْنِ نُورِ الدِّينِ شَاهِنشَاهِ بْنِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ بْنِ شَاذِي ابْنِ مَرْوَانَ ^٣ هُوَ ابْنُ أَخِي السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ ، قَدِمَ إِلَى

القَاهِرَةَ فِي ، وَاسْتَنَابَهُ السُّلْطَانُ عَلَى دِمَشْقَ فِي الْحَرَمِ سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ ، ثُمَّ نَقَلَهُ إِلَى نِيَابَةِ حَمَاةَ ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ سِنْجَارًا لَمَّا أَخَذَهَا فِي ثَانِي رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ فَأَقَامَ بِهَا .

وَلَحِقَ السُّلْطَانُ عَلَى حَلَبَ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ فِي سَابِعِ صَفَرِ سَنَةِ تِسْعِ وَسَبْعِينَ ، فَأَقَامَ إِلَى أَنْ بَعَثَهُ إِلَى الْقَاهِرَةِ نَائِبًا عَنْهُ بِدِيَارِ مِصْرَ - عِوَضًا عَنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرَ بْنِ أَيُّوبَ - فَقَدِمَهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ

^١ الكاتب : خريدة القصر (بداية قسم شعراء الشام) ٨٠ -

^١ فيما تقدم ٥٧٦: ٢ ، ٦١٢ .

١١٢ ؛ المنذري : التكملة لوفيات النقلة ١٥٩: ١ - ١٦٠ ؛

^٢ ابن دقماق : الانتصار ٩٣: ٤ - ٩٤ ؛ المقرئزي :

ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤٥٦: ٣ - ٤٥٨ ؛ الذهبي : سير

اتعاظ الحنفا ٣: ٣٢٠ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة

أعلام النبلاء ٢١: ٢٠٢ - ٢٠٣ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات

٣٨٦: ٥ .

٢٢: ٤٨٤ - ٤٨٧ ؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى

وخل محل المدرسة الثموية الآن الجامع المعروف بجامع

٧: ٢٤٢ - ٢٤٧ ؛ المقرئزي : السلوك ١: ١٠٧ ؛ أبي

شهاب الدين أحمد المرحومي بشارع المرحومي بمصر

المحاسن : النجوم الزاهرة ٦: ١١٣ - ١١٤ .

القديمة . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥: ٣٨٦هـ) .

^٣ انظر ترجمة المظفر تقي الدين عمر أيضًا عند ، العماد

سنة تسع وسبعين ، وأنعم عليه بالفقوم وأعمالها مع القبايات^١ وبوش^٢ ، وأبقى عليه مدينة حماة . ثم خرج بعساكر مصر إلى السلطان ، وهو بدمشق ، في سنة ثمانين لأجل أخذ الكرك من الفيح فسار إليها وحصرها مدة ، ثم رجع مع السلطان إلى دمشق ، وعاد إلى القاهرة في شعبان ، وقد أقام السلطان على تملكة مصر / ابنه الملك العزيز عثمان ، وجعل الملك المظفر كافلاً له وقائماً بتدبير دولته ، فلم يزل على ذلك إلى جمادى الأولى سنة اثنين وثمانين ، فصرف السلطان أخاه الملك العادل عن حلب وأعطاه نيابة مصر ؛ فغضب الملك المظفر ، وعبر بأصحابه إلى الجزيرة يريد المسير إلى بلاد المغرب واللحاق بعلامة بهاء الدين قراقوش التقيوي . فبلغ السلطان ذلك فكتب إليه ، ولم يزل به حتى زال ما به وسار إلى السلطان ، فقدم عليه دمشق في ثالث عشرين شعبان ، فأقره على حماة والمعدة ومنبج وأضاف إليه مئافارقين ، فليحق به أصحابه ما خلا مملوكه زين الدين بوزيا ، فإنه سار إلى بلاد المغرب .

وكانت له في أرض مصر وبلاد الشام أخبار وقصص ، وعرفت له مواقف عديدة في الحرب مع الفيح ، وآثار في المصافات . وله في أبواب البر أفعال حسنة ، وله بمدينة الفيوم مدرستان : إحداهما للشافعية ، والأخرى للمالكية . وبنى مدرسة بمدينة الرها ، وسمع الحديث من السلفي وابن عوف .

وكان عنده فضل وأدب ، وله شعر حسن ، وكان جواداً شجاعاً مقداماً ، شديد البأس ، عظيم الهمة ، كثير الإحسان . ومات في نواحي خلاط ليلة الجمعة تاسع شهر رمضان سنة سبع وثمانين وخمس مائة ، ونقل إلى حماة ، فدفن بها في تربة بناها على قبره ابنه الملك المنصور محمد .

مدرسة العادل

هذه المدرسة بخط الساحل بجوار الربع العادلي من مدينة مصر الذي وقف على الشافعي^(a) . عمرها الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فدرس بها

(a) عند ابن دقماق : الوقف على مصالح قبة الإمام الشافعي .

^١ القبايات . من القرى القديمة أحد أعمال البهنساوية
بمركز مغاغة محافظة المنيا . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/٣: ٢٤٥) .
^٢ بوش . من القرى القديمة تقع غربي النيل بمسافة ثلاثة كيلومترات ، وهي من قرى مركز بني سويف بمحافظة بني سويف . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/٣: ١٥٨) .

قاضي القضاة تقي الدين أبو علي الحسين بن شرف الدين أبي الفضل عبد الرحيم ابن الفقيه جلال الدين أبي محمد عبد الله بن نجم بن شاس بن يزار بن عشاير بن عبد الله بن محمد بن شاس ، فعرفت به ، وقيل لها مدرسة ابن شاس إلى اليوم وهي عامرة ، وعُرفَ حُطَّها بالقشاشين ، وهي للمالكية^١ .

مَدْرَسَةُ ابْنِ رَشِيْقٍ

- ٥ هذه المدرسة للمالكية ، وهي بخط حمام الرئيس^(a) من مدينة مصر . كان الكائِم من طوائف التكرور ، لما وصلوا إلى مصر في سنة بضع وأربعين وست مائة قاصدين الحج ، دفعوا للقاضي علم الدين بن رشيق مالا بناها به ، ودرّس بها فعرفت به ، وصار لها في بلاد التكرور سمعة عظيمة ، وكانوا يبعثون إليها في غالب السنين المال^٢ .

المَدْرَسَةُ الْفَائِزِيَّةُ

- ١٠ هذه المدرسة في مصر بخط^(b) أنشأها الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد ابن وهيب الفائزي ، قبل وزارته ، في سنة ست وثلاثين وست مائة . ودرّس بها القاضي محيي الدين عبد الله ابن قاضي القضاة شرف الدين محمد بن عيّن الدولة ، ثم قاضي القضاة صدر الدين مؤهوب الجزري ، وهي للشافعية^٣ .

المَدْرَسَةُ الْقُطَيْبِيَّةُ الْعَتِيْقَةُ^(c)

- ١٥ هذه المدرسة بالقاهرة ، في حُطَّ سُوَيْقَةَ الصَّاحِبِ بَدَاخِلِ دَرْبِ الْحَرِيرِيِّ ، كانت هي والمدرسة السيفية^(d) دارًا واحدة^(d) من حقوق دار الدياج التي تقدّم ذكرها^٤ . وأنشأ هذه المدرسة الأمير

(a) بولاق : حمام الريش . (b) بياض بالأصول . (c) إضافة من المَسْوَدَةِ . (d-d) إضافة من المَسْوَدَةِ .

^١ راجع ، ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٩٨ ، ونصه الشيخ رضي الدين القسطنطيني ثم الفقيه تاج الدين ابن فرصة ثم الشيخ رشيد الدين بن سيمرة . (الانتصار ٤ : ٩٢) .

^٢ نفسه ٤ : ٩٦ . وانظر عن الوزير شرف الدين أبو القاسم هبة الله ابن

^٣ بعد ذلك عند ابن دقماق : ثم الفقيه وجيه الدين

البيهقي ثم زين الدين الفارقي ثم الفقيه علم الدين الشمتودي ثم

صاعد الفائزي ، فيما تقدم ٣ : ٢٩٧-٢٩٩ .

^٤ فيما تقدم ٢ : ٥١٩-٥٢٠ .

قُطِبَ الدِّينُ فَنَاحُشُرُو بْنُ بُلَيْلٍ^(a) بْنُ شُجَاعِ الْهَدَبَانِيِّ^(b) الْكُرْدِيِّ أَحَدَ أَمْرَاءِ السُّلْطَانِ صِلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ^(b) فِي سَنَةِ سَبْعِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ، وَجَعَلَهَا وَقْفًا عَلَى الْفُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ. ^(b) وَكَانَتْ هِيَ وَمَدْرَسَةُ سَيْفِ الْإِسْلَامِ دَارًا وَاحِدَةً وَهُمَا مِنْ جَمَلَةِ دَارِ الْوَزِيرِ أَبِي الْفَرَجِ يَعْقُوبَ بْنِ يُوسُفَ ابْنِ كِلْسٍ وَزَيْرِ الْإِمَامِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ. وَذَكَرَ ابْنُ الطُّوَيْرِ فِي كِتَابِهِ أَنَّ الْوَزِيرَ أَبَا الْفَرَجِ [يَعْقُوبَ بْنَ يُوسُفَ بْنِ كِلْسٍ] لَمَّا تَوَفَّى دُفِنَ فِي قُبَّةٍ فِي دَارِهِ مَوْضِعَ الْمَدْرَسَةِ الْقُطَيْبِيَّةِ^(b).

الْمَدْرَسَةُ السِّيُوفِيَّةُ

هَذِهِ الْمَدْرَسَةُ بِالْقَاهِرَةِ، وَهِيَ مِنْ جَمَلَةِ دَارِ الْوَزِيرِ الْمَأْمُونِ الْبَطَائِحِيِّ^(b) وَزَيْرِ الْأَمِيرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ ثُمَّ عُرِفَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَكَنِ الْوَزِيرِ عَبَّاسِ وَزَيْرِ الظَّاهِرِ بِأَمْرِ اللَّهِ^(b)، وَقَفَّهَا السُّلْطَانُ السَّيِّدُ الْأَجَلُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صِلَاحُ الدِّينِ أَبُو الْمُظَفَّرِ يُوسُفَ بْنَ أَيُّوبَ عَلَى الْحَنَفِيَّةِ، وَقَرَّرَ فِي تَدْرِيسِهَا الشَّيْخَ مَجْدُ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْحُتْنِيِّ^(c)، وَرَتَّبَ لَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ أَحَدَ عَشَرَ دِينَارًا، وَبَاقِيَ رِيعِ الْوَقْفِ يَضْرَفُهُ عَلَى مَا يَرَاهُ لَطَلِبَةَ الْحَنَفِيَّةِ الْمَقْرُرِينَ عِنْدَهُ عَلَى قَدْرِ طَبَقَاتِهِمْ، وَجَعَلَ النَّظَرَ لِلْحُتْنِيِّ^(c)، وَ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى مَنْ لَهُ النَّظَرُ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ.

وَعُرِفَتْ بِالْمَدْرَسَةِ السِّيُوفِيَّةِ مِنْ أَجْلِ أَنَّ سُوقَ السِّيُوفِيِّينَ حِينئِذٍ كَانَ^(d) عَلَى بَابِهَا، وَهِيَ الْآنَ تَجَاهَ سُوقِ الصُّنَادِقِيِّينَ. وَقَدْ وَهَبَهُ الْقَاضِي مُخَيِّ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي كِتَابِ «الرَّوْضَةِ [الْبَهِيَّةِ]^(e) الزَّاهِرَةِ فِي خِطَطِ الْمُعَزِّةِ الْقَاهِرَةِ»: مَدْرَسَةُ السِّيُوفِيِّينَ^(f)، وَهِيَ لِلْحَنَفِيَّةِ، وَقَفَّهَا عِزُّ الدِّينِ فَرْخُشَاهُ قَرِيبَ صِلَاحِ الدِّينِ^٣.

(a) بولاق: بلبل. (b-b) إضافة من المسوذة. (c) بولاق: الجبتي. (d) بولاق: كان حينئذ. (e) زيادة اقتضاها السياق. (f) بولاق: مدرسة السيوفية.

^٢ مَجْدُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحُتْنِيُّ، المتوفى سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م. (القرشي: الجواهر المضية ٣: ٣٤٨-٣٤٩ وفيه أنه أول من درّس بها).

^٣ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٨٨. وعِزُّ الدِّينِ فَرْخُشَاهُ هُوَ فَرْخُشَاهُ بْنُ شَاهِنْشَاهِ بْنِ أَيُّوبَ أَخُو تَقِيِّ الدِّينِ عَمْرِو صَاحِبِ حَمَاهُ وَابْنِ أُخِي السُّلْطَانِ صِلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ ابْنِ أَيُّوبَ، وَكَانَ صَاحِبَ تَغْلِبِكَ، وَتَوَفَّى سَنَةَ =

^١ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٩٠، وفيه: «وهي قريب من البندقانيين»، وقارن ابن خلكان: وفیات الأعيان ٧: ١٥٣-١٩٠. وقد درست هذه المدرسة الآن وعُلِّمَ محلُّها - كما حققه محمد بك رمزي - الدار وقف التلاوي رقم ١٠ بحارة الملقبي (درب الحريري سابقًا) المتفرعة من سبكة اللبودية بالحماوي. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٦: ١٦٦هـ).

(a) قال المؤلف: الذي ذكره جماعة من المؤرخين المصريين أن واقف هذه المدرسة السلطان

صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولم يذكر أحد منهم أن واقفها عز الدين المذكور، سوى القاضي

مُحبي الدين. ولا أدري كيف وقع له هذه الوهم، فإني رأيتُ كتابَ وقفها عند مدرّسها سيّدنا

قاضي القضاة مجد الدين إسماعيل الحنفي أخرجه لي وقرأته وفيه أن واقفها السلطان صلاح

الدين/ يوسف المذكور وعليه خطه: «الحمد لله ربنا وبه توفيقى»^(b)، وتاريخه تاسع عشر^(c) شعبان سنة اثنتين وسبعين وخمسة مائة^(a).

٣٦٦:٢

ووقف على مُستحقّيها اثنين وثلاثين حائوتًا، بخط سويقة أمير الجيوش وباب الفتوح وحارة

برجوان، وذكر في آخر كتاب وقفها: أن الواقف أذن لمن حضر مجلسه من العُدول في الشهادة

والقضاء على لفظه بما تضمّنه المشطور، فشهدوا بذلك، وأثبتوا شهادتهم آخره، وحكم حاكم

المسلمين على صحة هذا الوقف بعدما خاصم رجل من أهل هذا الوقف في ذلك، وأفضاه. لكنه

لم يذكر في الكتاب إشجال القاضي بثبوته، بل ذكر رسم شهادة الشهود على الواقف، وهم: علي بن إبراهيم بن نجّار بن غنائم الأنصاري الدمشقي، والقاسم بن يحيى بن عبد الله بن قاسم

الشهرزوري، وعبد الله بن عمر بن عبد الله الشافعي، وعبد الرحمن بن علي بن عبد العزيز ابن

قرئش الخزومي، وموسى بن جكو بن مؤسك الهدباني، في آخرين.

وهذه المدرسة هي أول مدرسة وقفت على الحنفية بديار مصر، وهي باقية بأيديهم^٢.

ووقف على مُستحقّيها اثنين وثلاثين حائوتًا، بخط سويقة أمير الجيوش وباب الفتوح وحارة

برجوان، وذكر في آخر كتاب وقفها: أن الواقف أذن لمن حضر مجلسه من العُدول في الشهادة

والقضاء على لفظه بما تضمّنه المشطور، فشهدوا بذلك، وأثبتوا شهادتهم آخره، وحكم حاكم

المسلمين على صحة هذا الوقف بعدما خاصم رجل من أهل هذا الوقف في ذلك، وأفضاه. لكنه

(a-a) هذا النص من المُستوَدّة عوضًا عن نص المبيضة. (b) المبيضة: «الحمد لله وبه توفيقى». (c) بولاق: عشرين.

١٠ = ١١٨٢/٥٧٨ م. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٢٦:٦-٢٧، ٩٣).

١ نص المبيضة: «وما أدري كيف وقع له هذا الوهم؟ فإن كتاب وقفها موجود قد وقفت عليه ولخصت منه ما ذكرته، وفيه أن واقفها السلطان صلاح الدين وخطه على كتاب الوقف ونصه «الحمد لله وبه توفيقى». وتاريخ هذا الكتاب تاسع عشر شعبان سنة اثنتين وسبعين وخمسة مائة.

٢ المقرئ: مُستوَدّة الخطوط ٨٢ ظ.

٣ حل محل هذه المدرسة الآن الجامع المعروف بجامع الشيخ مُطهر، الواقع بشارع المعز لدين الله (أول شارع

الجزدجية سابقًا) على يسار الداخل إليه من جهة شارع الشبكة الجديدة (جوهر القائد). وهذا الجامع (المسجل في الآثار برقم

٤٠٠) بناه الأمير عبد الرحمن كتحدا سنة ١١٥٧/١٧٤٤ م وعرف باسم الشيخ مُطهر؛ لوجود ضريح زجاج علي باشا مبارك أنه ضريح الشيخ عز الدين بن أبي العز. وكان الجامع أكبر من حجمه الحالي فعند فتح شارع الشبكة الجديدة اقتطع منه قسم من جهته الجنوبية وأعيد تعمير ما بقي منه. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ٢٩٠؛ الجبرتي: عجائب الآثار ٢: ٤، ٨-

٩؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ٢٦٥-٢٦٦ (١١٦)،

١٩:٦ (٨)؛ وفيما يلي ٧١٠ مسجد الحليين.

المَدْرَسَةُ الْفَاضِلِيَّةُ

هذه المدرسة بدزب ملوخيا من القاهرة^١، بناها القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني^(a) كاتب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ووزيره، وهي^(a) بجوار داره في سنة ثمانين وخمس مائة، ووقفها على طائفتي الفقهاء الشافعية والمالكية، وجعل فيها قاعة للإقراء: أقرأ فيها الإمام أبو محمد الشاطبي ناظم «الشاطبية»^٢ ثم تلميذه أبو عبد الله محمد بن عمر القرطبي، ثم الشيخ علي بن موسى الدهان وغيرهم. ورثت لتدريس فقه المذهبين الفقيه أبا القاسم عبد الرحمن بن سلامة الإسكندراني^٣.

ووقف بهذه المدرسة جُملة عظيمة من الكتب في سائر العلوم، يُقال إنها كانت مائة ألف مجلدة، وقد ذهبت كلها^(b). وكان أضل ذهابها أن الطلبة التي كانت بها لما وقع الغلاء بمصر في سنة أربع وتسعين وست مائة، والسلطان يومئذ الملك العادل كتبنا المنصوري، مسهم الضر، فصاروا يبيعون كل مجلد برغيف خبز حتى ذهب معظم ما كان فيها من الكتب، ثم تداولت أيدي الفقهاء عليها بالعارية فتفرقت.

وبها إلى الآن «مصحف قرآن» كبير القدر جدًا، مكتوب بالخط الأول الذي يُعرف بالكوفي، تُسميه الناس «مصحف عثمان بن عفان» - ويُقال إن القاضي الفاضل اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وهو في خزانة مفردة له بجانب المحراب من غريبه. ^(c) وقد رأيتُ أنا هذا المصحف المذكور مرارًا وعليه هيئة وجلالة^(c) ^٤.

(a-a) إضافة من المُسَوِّدَة . (b) المَسْوَدَة : وقد ذهب معظمها . (c-c) إضافة من مسودة الخطط ٨٣ ظ ؛ وفي المَبْيُضَة عَوَضًا عن ذلك : وعليه مهابة وجلالة .

الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٤ : ١٤٦ - ١٤٨ .

^١ انظره فيما تقدم ٣ : ١١١ .

^٣ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٨٨ ؛ وانظر ترجمة عبد الرحمن بن سلامة الإسكندراني عند الصفدي : الوافي بالوفيات ١٨ : ٣٤٦ .

^٢ الشاطبية . قصيدة في علم القراءات ، تُعرف أيضًا بـ «جزز الأمانى ووجه التهاني» ، نظمتها الإمام أبو محمد القاسم بن قيرة بن خلف بن أحمد الرعيتي الشاطبي ، المتوفى سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م . (ياقوت : معجم الأدباء ١٦ : ٢٩٣ - ٢٩٦ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤ : ٧١ - ٧٣ ؛

^٤ انظر فيما تقدم ٣٣ .

والى بجانب هذه المدرسة كُتِبَ السَّبِيل بِرِسْم الأَيْتَام . وكانت هذه المدرسة من أعظم مدارس القاهرة وأجلها ، وقد تلاشت لخراب ما حوّلها .

القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد ، القاضي الفاضل محيي الدين أبو علي ، ابن القاضي الأشرف اللخمي العسقلاني البيساني المصري الشافعي^١ - كان أبوه يتقلد قضاء مدينة ييسان ، فلهذا نُسبوا إليها .

وكانت ولادته بمدينة عسقلان في خامس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسة مائة . ثم قديم القاهرة ، وخدم الموفق يوسف بن محمد بن الخلال ، صاحب ديوان الإنشاء في أيام الحافظ لدين الله ، وعنه أخذ صناعة الإنشاء ، ثم خدم بالإسكندرية مدة . فلما قام بوزارة مصر العادل رزك بن الصالح طلائع بن رزك ، خرج أمره إلى والي الإسكندرية بتسييره إلى الباب ، فلما حضر استخذه بحضرته وبين يديه في ديوان الجيش . فلما مات الموفق بن الخلال في سنة ست وستين وخمسة مائة - وكان القاضي الفاضل ينوب عنه في ديوان الإنشاء - عينه الكامل بن شاور ، وسعى له عند أبيه الوزير شاور بن مجير ، فأقره عوضاً عن ابن الخلال في ديوان الإنشاء .

فلما ملك أسد الدين شيركوه احتاج إلى كاتب ، فأخضره وأعجبه إثقانه وسمته ونصحه فاستكتبه ، إلى أن ملك صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فاستخلصه وحسن اعتقاده فيه ، فاستعان به على ما أراد من إزالة الدولة الفاطمية حتى تم مراده ، فجعله وزيره ومشيريه بحيث كان لا يصدر أمر إلا عن مشورته ، ولا يُنفذ شيئاً إلا عن رأيه ، ولا يحكم في قضية إلا بتدبيره . فلما مات صلاح الدين استمر على ما كان عليه عند والده الملك العزيز عثمان ، في المكانة والرفعة وتقلد الأمر .

فلما مات العزيز ، وقام من بعده ابنه الملك المنصور بالملك ، ودبر أمره عمه الأفضل ، كان معهما على حاله ، إلى أن وصل الملك العادل أبو بكر بن أيوب من الشام لأخذ ديار مصر ، وخرج

^١ انظر ترجمة القاضي الفاضل عند ، العماد الكاتب : خريدة القصر (قسم مصر) ٣٥:١ - ٥٤ ؛ الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ٦٢٠ - ٦٢٨ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٥٨:٣ - ١٦٣ ؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ١٦٦:٧ - ١٦٧ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٣٣٥:١٨ - ٣٣٥:١٨ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ١٥٦:٦ - ١٥٨ .

وللدكتور أحمد أحمد بدوي : القاضي الفاضل - دراسة ونماذج ، القاهرة - مكتبة نهضة مصر د.ت ؛ ونشر ديوانه في جزأين صدرا في القاهرة في سلسلة تراثنا سنة ١٩٦١ م ، كما نشرت فتحة النبراي (إنشاءات القاضي الفاضل) ، القاهرة ١٩٨٠ ؛ وانظر كذلك Cahen, Cl., *El² art. al-Kâdi* ١٩٨٠ .

al-Fâdil IV, pp. 392-93.

الأفضل لِقِتَالِهِ ، فماتَ مَنكُوبًا أُخِوجَ ما كان إلى الموتِ عند تَوَلُّي الإقبَالِ وإقبَالِ الإذبارِ في سحرِ يومِ الأربَعاءِ سابعِ عشرِ ربيعِ الآخرِ سنة ستِّ وتسعين وخمسة مائةٍ ، ودُفِنَ بِتُرْبَتِهِ من القَرافةِ الصُّغرى^١ .

قال ابنُ خَلكان : وَزَرَ لِلسُّلطانِ [الملك] صلاحِ الدِّينِ يُوسُفِ بنِ أَيُّوبَ ، وَتَمَكَّنَ مِنْهُ غايةَ التَمَكُّنِ ، وَبَرَزَ في صِناعَةِ الإنشاءِ ، وَفاقَ المُتقدِّمِينَ ، / وله فيهِ الغرائبُ مع الإكثارِ . أَخبرني أَحَدُ المُضَلَّاءِ الثَّقَاتِ المُطَّلِعِينَ على حَقِيقَةِ أمرِهِ ، أَنَّ مُسَوِّداتِ رَسائِلِهِ في المجلِّداتِ والتَّعليقاتِ في الأوراقِ إذا جُمِعَت ما تَقْصُرُ عن مائةِ [مجلد] ، وَهو مُجيدٌ في أَكثَرِها^٢ .

وقال عبد اللطيف البغدادي : دَخَلنا عَلَيْهِ فرأيتُ شَيْخًا ضَميلًا كُلَّهُ رَأْسٌ وَقَلْبٌ ، وَهو يَكُتِبُ وَيُثَمِّلِي على اثْنين ، وَوَجْهُهُ وَشَفَتاهُ تَلعبُ ألوانَ الحركاتِ لِقُوَّةِ جِرْصِهِ في إخراجِ الكلامِ ، وَكانَهُ يَكُتِبُ بِجَمَلَةٍ أَعْضائِهِ^٣ .

وَكانَ لَهُ عَراِمٌ في الكِتابَةِ وَتَحْصِيلِ الكُتُبِ ، وَكانَ لَهُ الدِّينَ وَالعَفاةَ وَالتَّقَى ، وَالْمُواظَبَةَ على أَوْرادِ اللَّيْلِ ، وَالصِّيَامَ وَقِراءَةَ الْقُرْآنِ ، وَكانَ قَليلَ اللَّذاتِ ، كَثيرَ الحَسَناتِ ، دائِمَ التَّهَجُّدِ ، وَيَشْتَغِلُ بِعُلُومِ الأَدبِ وَتَفْسيرِ الْقُرْآنِ . غيرَ أَنَّهُ كانَ خَفيفَ البِضاعَةِ مِنَ النُّحُو ، وَلَكن قُوَّةَ الدَّرايةِ تُوجِبُ لَهُ قِلَّةَ اللَّحْنِ وَكانَ لا يَكاذُ يُضَيِّعُ مِنْ زَمانِهِ شَيْئًا إلا في طاعَةِ ، وَكَتَبَ في الإنشاءِ ما لَم يَكُتِبْهُ غيرُهُ . وَحَكَى لي ابنُ القَطْبانِ - أَحَدُ كُتَّابِهِ - قال : لَمَّا خَطَبَ صَلاحُ الدِّينِ بِمِصرَ لِلإمامِ المُسْتَضِيِّ بِأَمْرِ اللَّهِ ، تَقَدَّمَ إلى القاضِي الفاضِلِ بِأَنَّ يُكَاتِبَ الدِّيوانَ العَزيزَ وَمُلوكَ الشَّرْقِ . وَلَم يَكُن يَعرِفُ خِطابَهُمَ واضْطِلاحَهُمَ ، فَأوَعَرَ إلى العِمامِ الكاتِبِ أَنَّ يَكُتِبَ فَكَتَبَ وَاحْتَقَلَ ، وَجاءَ بِها مَفْضُوضَةً ليقْرأها الفاضِلُ مُتَبَجِّحًا بِها ، فَقال : لا أحتاجُ أَنَّ أَقِفَ عَلَيْها ، وَأَمَرَ بِحَثْمِها وَتَسليمِها إلى الثُّجَّابِ ، وَالعِمامُ يُنصِرُ .

قال : ثُمَّ أَمَرَنِي أَنَّ أَلْحَقَ الثُّجَّابِ بِبَلْبَيسَ ، وَأَنَّ أَفْضَلَ الكُتُبِ ، وَأَكْثَبَ صُدُورِها وَنِهايَتِها ، فَفَعَلْتُ وَرَجَعْتُ بِها إِلَيْهِ . فَكَتَبَ على حَذُورِها وَعَرَضَها على السُّلطانِ ، فَارْتَضَها ، وَأَمَرَ بِإِرسالِها إلى أَرزَابِها مع الثُّجَّابِ .

المقريري على سيرة الإمام عبد اللطيف البغدادي - مضمّن

^١ الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ٦٢٠ .

الثقل - بخطه . (فيما تقدم ٣: ٣٣٥) .

^٢ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣: ١٥٨-١٥٩ .

^٣ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ٢: ٢٠٥ . ووَقَّف

وكان مُتَقَلِّلاً في مَطْعَمِهِ وَمَتَكَبِّحاً وَمَلْبَسِيهِ ، ولباسه البياض لا يبلغ جميع ما عليه دينارين ، ويركب معه غلاماً وركابياً ، ولا يُمكن أحداً أن يضحكه ، ويُكثر زيارة القبور وتشييع الجنائز وعبادة المرضى ، وله معروف معروف^٥ في السر والعلانية ، وأكثر أوقاته يُفطر بعدما يتهور الليل .

وكان ضعيف البنية ، رقيق الصورة ، له خدبة يُعطىها الطيلسان وكان فيه سوء خلق يكمد به في نفسه ، ولا يضر أحداً به . ولأصحاب الأدب عنده نفاق ، يُحسِن إليهم ولا يمين عليهم ، ويُؤثر أرباب البيوت والعرباء ، ولم يكن له انتقام من أعدائه إلا بالإحسان إليهم أو بالإعراض عنهم . وكان دخله في كل سنة من إقطاع وربع وضياع خمسين ألف دينار ، سوى متاجره لليهند والمغرب وغيرهما .

وكان يفتي الكتب من كل فن ، ويحطبها من كل جهة ، وله نساخ لا يفترون ومجلدون لا يعطلون ؛ قال لي بعض من يخدمه في الكتب ، إن عددها قد بلغ مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً ، وهذا قبل موته بعشرين سنة .

وحكى لي ابن صورة الكُتبي أن ابنه القاضي الأشرف التمس مني أن أطلب له نسخة «الحماسة» ليقراها ، فأعلمت القاضي الفاضل ، فاستحضر من الخادم «الحماسات» ، فأحضر له خمسين وثلاثين نسخة ، وصار ينفق نسخة نسخة ويقول : هذه بخط فلان ، وهذه عليها خط فلان^١ ، حتى أتى على الجميع وقال : ليس فيها ما يصلح للصبيان ، وأمرني أن أشتري له نسخة بدينار .

المدرسة الأزكشية

هذه المدرسة بالقاهرة على رأس السوق الذي كان يُعرف بالخزوقيين ، ويُعرف اليوم بسوق أمير الجيوش^(ب) مما يلي خان الرواسين على يسرة السالك إلى باب القنطرة^(ب) . بناها الأمير سيف الدين أيازكوج الأسدي - مملوك أسد الدين شيركوه ، وأحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف

(a) ساقطة من بولاق . (b-b) إضافة من نسخة الخطط .

^١ انظر عن اهتمام العلماء المسلمين بالكتب التي بخطوط مؤلفيها أو عليها خطوط العلماء . (أمين فؤاد : الكتاب العربي

^٢ انظر فيما تقدم ٣ : ٣٣٥ .

ابن أيوب - وجعلها وقفًا على الفقهاء من الحنفية فقط في سنة اثنتين وتسعين وخمسة مائة^١. وكان الأمير^(a) أيازكوج رأس الأمراء الأسيديّة بديار مصر في أيام السلطان صلاح الدين وأيام ابنه الملك العزيز عثمان، وكان الأمير فخر الدين جهازكس رأس الصلاحية. ولم يزل على ذلك إلى أن مات في يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمسة مائة، ودُفن بسفح المقطم، بالقرب من رباط الأمير فخر الدين بن قزل^٢.

المدرسة الفخرية

هذه المدرسة بالقاهرة، فيما بين سويقة الصاحب ودرب القداس. عمّرها الأمير الكبير فخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل^(b) (بن عبد الله^(b) الياروقي^(c))، أستاذ دار الملك الكامل محمد ابن العادل^(b) وأكبر أمراءه^(b). وكان الفراغ منها في سنة اثنتين وعشرين وست مائة، وكان موضعها أخيرًا يُعرف بدار الأمير حسام الدين سياروخ^(d) بن أرتق شاذ الدواوين.

ومولّد الأمير فخر الدين في سنة إحدى وخمسين وخمسة مائة بحلب، وتنقل في الخدم حتى صار أحد الأمراء بديار مصر، وتقدم في أيام الملك الكامل، وصار أستاذاره، وإليه أمر المملكة وتديرها، إلى أن سافر السلطان من القاهرة يريد بلاد المشرق فمات بحران بعد مرض طويل في ثامن عشر ذي الحجة سنة تسع وعشرين وست مائة^٣.

وكان خيرًا كثير الصدقة، يتفقّد أرباب البيوت. وله من الآثار، سوى هذه المدرسة، المسجد الذي تجاهها، وله أيضًا رباط بالقرافة، / وإلى جانبه كتاب سبيل، وبني بمكة رباطًا^٤.

٣٦٨:٢

(a) إضافة من المخطوطة (b-b) إضافة من مخطوطة الخطط .. (c) بولاق: البارومي. (d) بولاق: ساروخ.

^١ ذكرها ابن عبد الظاهر باسم «مدرسة أيازكوج» (٢٤).
^٢ (الروضة البهية ٨٧). وأطلق عليها ابن حجر اسم «المدرسة الأزكوجية» (الدرر الكامنة ١: ٣٨١)، وانظر كذلك ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١١٤: المقفى الكبير ٣: ٣٦٨، ١٠: ٧٤٧، ٩: ٥٤: ٢؛ وفيما تقدم ٤٥٦.
^٣ انظر عن فخر الدين بن قزل، فيما تقدم المقريزي: مخطوطة الخطط ٨٢ و.
^٤ المقريزي: مخطوطة الخطط ٨٣؛ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٨٧.
 وحل محل هذه المدرسة الزاوية المعروفة بزاوية جنتبلاط بسوق مزجوش (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٢، ٦٤

المدرسة الشيفية

هذه المدرسة بالقاهرة، ^(a) قُرب البُنْدُقانيين بجوار حُوخَة سُوق الجِوَار وهي على يَمَنَة السَّالِك من البُنْدُقانيين إلى حُط طَوَاحِين المُلْحِين ^(a)، ومَوْضِعُهَا من جَمَلَة دَارِ الدِّيَابِج . قال ابنُ عبد الظَّاهِر : كانت دارًا وهي من المَدْرَسَة القُطَيْبِيَّة ، فسَكَنَهَا شَيْخُ الشُّيُوخ - يعني صَدْر الدِّين مُحَمَّد بن حَمَوَيْه - وَتَبَّتْ فِي وَزَارَة صَفِي الدِّين عبد الله بن عَلِيّ بن شُكْر أَنْ سَيْفَ الإِسْلَام وَقَفَهَا وَوَلَّى فِيهَا عِمَادَ الدِّين وَوَلَدَ القَاضِي صَدْر الدِّين ^١، يعني ابن دِرْبَاس . وَسَيْفُ الإِسْلَام هَذَا اسْمُهُ طُغْتَكِين ابن أَيُّوب ^٢ .

ظهير الدين سيف الإسلام الملك المعز بن نجم الدين أيوب بن شاذي بن **طغتكين** مزوان الأيوبي ^٣ . سَيَّرَهُ أَخُوهُ صَلاَحُ الدِّين يُوسُفُ بن أَيُّوبِ إلى بِلَادِ اليَمَنِ في سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، فَمَلَكَهَا وَاسْتَوْلَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِهَا . وَكَانَ شُجَاعًا كَرِيمًا ، مَشْكُورًا السَّيْرَةَ ، حَسَنَ السِّيَاسَةِ . قَصَدَهُ النَّاسُ مِنْ البِلَادِ الشَّاسِعَةِ يَسْتَمْطِرُونَ إِحْسَانَهُ وَبِرَّهُ . وَسَارَ إِلَيْهِ شَرَفُ الدِّينِ بن عُثَيْنٍ ، وَمَدَّحَهُ بَعْدَهُ قَصَائِدَ بَدِيعَةٍ ، فَأَجْزَلَ صِلَاتَهُ ، وَأَكْثَرَ مِنَ الإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَاکْتَسَبَ مِنْ جِهَتِهِ مَالًا وَافِرًا . وَخَرَجَ مِنَ اليَمَنِ . فَلَمَّا قَدِمَ إِلَى مِصْرَ - وَالسُّلْطَانُ إِذْ ذَاكَ الْمَلِكُ العَزِيزُ عُثْمَانُ بن صَلاَحِ الدِّينِ - أَلْزَمَهُ أَرْبَابُ دِيْوَانِ الرِّكَاءِ بِدَفْعِ زَكَاةٍ مَا مَعَهُ مِنَ المَتَجَرِّ ، فَعَمِلَ ^٤ :

(a-a) إضافة من مُسَوِّدَة الخَطَط .

^١ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٩٠ وسماها: «مدرسة» المقريزي: المقفى الكبير ٤: ١٤-١٥؛ بامحرمة: تاريخ ثغر سيف الإسلام .

^٢ المقريزي: مُسَوِّدَة الخَطَط ٨٤ و٩٠؛ وفيما تقدم ٤٥٩ .

^٣ راجع ترجمة الملك طغتكين الأيوبي أيضًا عند ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢: ٥٢٣-٥٢٥؛ ابن واصل: مفرج الكروب ٢: ١٠٥، ٣: ٧٢، ٣٤٩؛ ابن أليك: كنز الدرر ٧: ٧٠، ٧٢، ٧٣، ١٣١-١٣٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١: ٣٣٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٦: ٤٥١ .

^٤ البيتان في ديوان ابن عنين ٢٢٣، ووفيات الأعيان ٢: ٥٢٤، والوافي بالوفيات ١٦: ٤٥١ .

[البسيط]

ما كُلُّ مَنْ يَتَسَمَّى بِالْعَزِيزِ لَهَا أَهْلٌ، وَلَا كُلُّ بَرَقِي سُحْبُهُ غَدَقَةٌ
 بَيْنَ الْعَزِيزَيْنِ فَرَقٌ فِي فَعَالِيهِمَا: هَذَا يُعْطَى، وَهَذَا يَأْخُذُ الصَّدَقَةَ
 وَتُوفِّي سَيِّفُ الْإِسْلَامِ فِي شَوَّالِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ بِالْمَنْصُورَةِ^١، وَهِيَ مَدِينَةٌ
 بِالْيَمَنِ اخْتَطَّهَا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^٢.

الْمَدْرَسَةُ الْعَاشُورِيَّةُ

هَذِهِ الْمَدْرَسَةُ بِحَارَةِ زَوَيْلَةَ مِنَ الْقَاهِرَةِ، بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَدْرَسَةِ الْقُطَيْبِيَّةِ الْجَدِيدَةِ وَرَحْبَةَ كوكاي^(a).
 قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ: كَانَتْ دَارَ الْيَهُودِيِّ ابْنِ جَمِيعِ الطَّبِيبِ، وَكَانَ يَكْتُبُ لِقَرَأُوشَ، فَاشْتَرَتْهَا
 مِنْهُ السُّتُّ عَاشُورَاءَ بِنْتِ سَيَارُوجَ^(b) الْأَسَدِيِّ - زَوْجَةِ الْأَمِيرِ أَيَّازِ كُوجِ الْأَسَدِيِّ - وَوَقَفَتْهَا عَلَى
 الْحَنَفِيَّةِ، وَكَانَتْ مِنَ الدُّورِ الْحَسَنَةِ^٣.
 وَقَدْ تَلَاثَتْ هَذِهِ الْمَدْرَسَةُ، وَصَارَتْ طُولَ الْأَيَّامِ مَعْلُوقَةً لَا تُفْتَحُ إِلَّا قَلِيلًا، فَإِنَّهَا فِي زُقَاقٍ لَا
 يَسْكُنُهُ إِلَّا الْيَهُودُ وَمَنْ يَقْرُبُ مِنْهُمْ فِي النَّسَبِ.

الْمَدْرَسَةُ الْقُطَيْبِيَّةُ

هَذِهِ الْمَدْرَسَةُ فِي أَوَّلِ حَارَةِ زَوَيْلَةَ بِرَحْبَةَ كوكاي^٤. عُرِفَتْ بِالسُّتِّ الْجَلِيلَةِ الْكَبِيرِي عِصْمَةَ
 الدِّينِ مُؤَنَسَةَ خَاتُونِ الْمَعْرُوفَةِ بـ «دَارِ إِقْبَالِ الْعَلَامِيِّ»، ابْنَةِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ، وَشَقِيقَةَ
 الْمَلِكِ الْأَفْضَلِ قُطْبِ الدِّينِ أَحْمَدَ وَإِلَيْهِ نُسِبَتْ. وَكَانَتْ وِلَادَتُهَا فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِّ مِائَةٍ،
 وَوَفَاتُهَا لَيْلَةَ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ.

(a) الْمَسْجُودَةُ: وَدَارُ كوكاي وَرَحْبَةُ كوكاي. (b) بُولَاق: سَارُوح.

^١ الْمَنْصُورَةُ: بَلَدَةٌ بِالْيَمَنِ بَيْنَ الْجَنْدِ وَنَقِيلِ الْحَمْرَاءِ، وَهِيَ
 نَحْرَبَةُ الْآنَ شَرْقَ مَدِينَةِ الْقَاعِدَةِ وَشَمَالَ الْجَنْدِ (إِسْمَاعِيلِ
 الْأَكْمُوعِ: الْبِلْدَانِ الْيَمَانِيَّةِ عِنْدَ يَاقُوتِ الْحَمُويِّ، الْكُويْتِ
 ١٩٨٥، ٢٦٤-٢٦٥).
^٢ اعْتَمَدَ الْقُرَيْزِيُّ فِي تَرْجُمَتِهِ لَطَفَتَيْنِ عَلَى مَا أوردَهُ ابْنَ
 خَلِّكَانَ.
^٣ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ: الرُّوضَةُ الْبَهِيَّةُ ٨٩.
^٤ انظُرْ فِيمَا تَقَدَّمَ ٣: ١٥٨.

وكانت قد سمعت الحديث، وخرج لها الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد الظاهري «أحاديث ثمانيات» حدثت بها. وكانت عاقلة ذينة فصيحة، لها أدب وصدقات كثيرة. وتزكت مالا جزيلا، وأوصت ببناء مدرسة يجعل فيها فقهاء وقراء، ويشتري لها وقف يغل. فبقيت هذه المدرسة، وجعل فيها درس للشافعية ودرس للحنفية، وقراء. وهي إلى اليوم عامرة^١.

المدرسة الخزوبية

هذه المدرسة على شاطئ النيل من مدينة مصر، أنشأها تاج الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد بن علي الخزوبي، لما أنشأ بيتا كبيرا مقابل بيت أخيه عز الدين قبيلته على شاطئ النيل، وجعل فيه هذه المدرسة. وهي اللطف من مدرسة أخيه، وبجنبها مكتب سبيل، ووقف عليها أوقافا، وجعل بها مدرسا حديث فقط، ومات بمكة في آخر المحرم سنة خمس وثمانين وسبع مائة^٢.

مدرسة المحلي

هذه المدرسة على شاطئ النيل، داخل صناعة التمر، ظاهر مدينة مصر^٣. أنشأها رئيس التجار بزهان الدين إبراهيم بن عمر بن علي المحلي ابن بنت العلامة شمس الدين محمد بن اللبان، وينتهي في نسبه إلى طلحة بن عبيد الله أحد العشرة رضي الله عنهم. وجعل هذه المدرسة بجوار داره التي عمرها في مدة سبع سنين، وأنفق في بنائها زيادة على / خمسين ألف دينار، وجعل بجوارها مكتب سبيل، لكن لم يجعل بها مدرسا ولا طالبة^٤. وتوفي يوم ثاني عشرين ربيع الأول سنة ست وثمان مائة عن مال عظيم، أخذ منه السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق مائة ألف دينار، وكان مولده سنة خمس وأربعين وسبع مائة. ولم يكن ميشكور السيرة في الديانة^٥.

^١ أعاد المقرئ ذكر المدرسة القطيعة، فيما يلي

^٣ انظر فيما تقدم ٣: ٢٥٨.

٣٩١: ٢.

^٢ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٩٩: ١٠، وفيه أنها قبلي

^٤ المقرئ: درر العقود الفريدة ١: ١١٠: ١١ وفيه فأحرقت

هذه الدار جميعها سنة ست وثلاثين [وثمان مائة] وسلمت المدرسة.

المدرسة العزبة التي أنشأها أخوه عز الدين بن صلاح الدين ابن الخزوبي؛ وانظر كذلك المقرئ: درر العقود الفريدة

^٥ انظر ترجمة بزهان الدين إبراهيم المحلي عند،

المقرئ: درر العقود الفريدة ١: ١٠٩-١١١ (وفيه: =

٢٢٩: ٣.

وله من المآثر تجديدُ جامع عمرو بن العاص ، فإنه كان قد تداعى إلى الشُّقُوط ، فقام بعمارته حتى عادَ قَرِيْبًا مِمَّا كان عليه ، شَكَرَ اللهُ له ذلك ^١ .

المدرسة الفاروقية

[أثر رقم ١٩٣]

هذه المدرسة بأبها شارع في سويقة حارة الوزيرية من القاهرة ، فُتِحَتْ في يوم الاثنين رابع جمادى الأولى سنة ست وسبعين وست مائة ^٢ . وبها دُرُسٌ للطائفة الشافعية ، ودُرُسٌ للطائفة الحنفية ، ^(a) وبها دُرُسٌ حديث ^(a) . أنشأها الأمير شمس الدين آق سنقر الفاروق السلاج دار ، كان تملوكًا للأمير نجم الدين أمير حاجب ، ثم انتقل إلى الملك الظاهر بيبرس ، فترقى عنده في الخدم حتى صارَ أحدَ الأُمراءِ الأكابر ، وولاه الأستاذارية ، وناب عنه بديار مصر مدةً غيبته ، وقدمه على العساكر غير مرّة ، وفتح له بلاد النوبة . وكان وسيماً جسيماً ، شجاعاً مقداماً حازماً ، صاحب دِرايةٍ بالأُمور ، وخبرةٍ بالأحوال والتصرفات ، مدبراً للدول ، كثير البر والصدقة .

ولما مات الملك الظاهر وقام من بعده في ملك مصر ابنه الملك السعيد بركة خان ، ولأه نيابة السلطنة بديار مصر بعد موت الأمير بدر الدين بيلبك الخازندار ، فأظهر الحزم ، وضم إليه طائفة : منهم شمس الدين أقوش ، وقطليجا الرومي ، وسيف الدين قليج البغدادي ، وسيف الدين بيجو البغدادي ، وسيف الدين شعبان أمير شكار ، وبكتمر السلاج دار .

(a-a) إضافة من المستودة .

سعادة على رأس سيكة النبوية خلف مبنى محكمة باب الخلق الابتدائية ، وتعرف الآن بجامع محمد أغا أو جامع الحبشلي ، نسبة إلى محمد أغا الحبشلي ، كتحدا مُستحفظان مصر ، الذي جدّد الجامع سنة ١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م .

^٣ وأول من دُرُس بها من الحنفية نجم الدين أبو الظاهر إسحاق بن علي بن يحيى شيخ الحنفة في وقته ، المتوفى سنة ٧١١هـ / ١٣١١م . (القرشي : الجواهر المضية ١: ٣٦٨ - ٣٦٩ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ١: ٣٨١) .

= وهو آخر من أذركناه من رؤساء التجار ، وكان من أصحاب أبي وصحبه مدةً وأضافني بمنزله وهو أحد دور الدنيا المشهورة) . المففى الكبير ١: ٢٤٦؛ السخاوي : الضوء اللامع ١: ١١٢؛ ابن إمام : بدائع الزهور ١/٢ : ٦٩١ .

^١ وذلك في سنة أربع وثمان مائة (المقرئزي : درر العقود الفريدة ١: ١١٠؛ وفيما تقدم ٢٧) .

^٢ المقرئزي : مسودة الخطط ٨٩و؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧: ٢٦٢؛ ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ٣٦٠ .

ولا تزال هذه المدرسة موجودة إلى الآن بشارع دزب

وكانت الخاصيّة تَكَرُّهُ، فاتفقوا مع ممالك يَلْبِك الخازندار على القَبْضِ عليه، وتحدّثوا مع الملك السعيد في ذلك، وما زالوا به حتى قَبَضُوا عليه بمُساعدَةِ الأمير سيف الدين كُونْدَك الشاقّي لهم، وكان قد رُئِيَ مع السعيد في المكتب، فلم يَشْعُر وهو قاعدٌ بباب القلعة من القلعة، إلا وقد سُجِبَ وضربَ ونُتِفَت لِحْيَتُهُ وجُرَّ - وقد ارتكَبَ في إهانته أمرٌ شنيعٌ - إلى البُرج فشجِنَ به ليالي قليلة، ثم أُخْرِجَ منه مَيِّتًا في أثناء سنة ستِّ وسبعين وست مائة، وجُهِلَ قَبْرُهُ.

المدرسة المهديّة

هذه المدرسة خارج باب زويلة^١، من حُطِّ حارة حَلَب، بجوار حَمَام قماري، بناها الحكيم مُهذَّبُ الدّين أبو سعيد محمد بن عَلَمُ الدّين بن أبي الوَحْش بن أبي الحَيَّر بن أبي سليمان بن أبي حَلِيقَةَ، رَئِيسَ الأَطِبَّاءِ^٢.

كان جدُّه الرّشيد أبو الوَحْش نصرانيًّا مُتَقَدِّمًا في صِناعَةِ الطُّبِّ، فأَسْلَمَ ابنُه عَلَمُ الدّين في حَيَاتِهِ، وكان لا يُولَدُ له وَلَدٌ فيعيش، فرأت أمُّه، وهي حاملٌ به، قائلاً يقول: هَيِّمُوا له حَلَقَةَ فِصَّةٍ قد تُصَدِّقُ بوزنها، وساعة يُوضَع من بَطْنِ أمِّه تُثَقِّبُ أذُنُهُ وتُوضَع فيها الحَلَقَةُ، ففعلت ذلك فعاش، فعاهدت أمُّه أباه ألا يَقْلَعُها من أذُنِهِ، فكبر وجاءته أولادٌ وكلُّهم يمُوت، فولد له ابنه مُهذَّبُ الدّين أبو سعيد، فعَمِلَ له حَلَقَةَ فعاش^٣.

وكان سَبَبُ اشْتِهَارِهِ بأبي حَلِيقَةَ: أن الملكَ الكاملَ محمد بن العادل أمرَ بعضَ خُدّامِهِ أن يَسْتَدْعِيَ بالرّشيد الطّبيب من الباب - وكان جماعةً من الأَطِبَّاءِ بالباب - فقال الخادِمُ: مَنْ هو منهم؟ فقال السُّلطانُ: أبو حَلِيقَةَ. فخرَجَ فاستدعاه بذلك، فاشتهرَ بهذا الاسم. ومات الرّشيدُ في سنة ستِّ وسبعين وست مائة.

^١ يُدُلُّ على موضع المدرسة المهديّة الآن، التَّحِيَّة (١٦)؛ وفيما يلي ٥٩٨.

^٢ ترجم المقرئ لوالده في المقفى الكبير ٣: ١٤. الخلوّية الواقعة داخل عَطْفَةَ مُراد بأولِ الحلمية. (علي

^٣ أعادَ المقرئ ذكر هذه المدرسة فيما يلي ٥٩٨. مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ١٤٨ (٤٠)، ٤١: ٦.

المدرسة الخزوية

[أثر رقم ٥٣٢]

هذه المدرسة بظاهر مدينة مصر، تجاه المقياس بخط كُرسي الجِسر، أنشأها كبير الخرابية^(a) بدر الدين محمد بن محمد بن علي الخزوي - بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء المهملة وضمها ثم واوا ساكنة بعدها باء مؤخدة، ثم ياء آخر الحروف - التاجر في مطابخ السكر وفي غيرها بعد سنة خمسين وسبع مائة^١. وجعل مدرس الفقه بها الشيخ بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن ابن عقيل، والمعيد الشيخ سراج الدين عمر البلقيني. ومات سنة اثنتين وستين وسبع مائة.

وأنشأ أيضا ربتين بخط دار النحاس من مصر على شاطئ النيل، وربتين مقابل المقياس بالقرب من مدرسته.

ولبدر الدين هذا أخ من أبيه أسن منه، يقال له صلاح الدين أحمد بن محمد بن علي الخزوي، عاش بعد أخيه، وأنجب في أولاده وأذرك لهم أولادا نجباء. وكان أولا قليل المال، ثم تمول وأنشأ تربة كبيرة بالقرافة، فيما بين تربة الإمام الشافعي وتربة الليث بن سعد، مقابل الشروطين، وجددها حفيده نور الدين علي بن عز الدين محمد بن صلاح الدين وأضاف إليها مطهرة حسنة، ومات سنة تسع وستين وسبع مائة^٢.

وشرط بدر الدين في مدرسته ألا يلي بها أحد من العجم وظيفه / من الوظائف، فقال في كل وظيفة منها: ويكون من العرب دون العجم. وكانت له مكارم، تجهز مرة ابن عقيل إلى الحج بنحو خمس مائة دينار.

(a) بولاق: الخرابية.

^١ أصل هذا المسجد الشريف للشيخ نور الدين الخزوي، ثم بعد الخراب والاندثار جددتها وجعلها جامعا بخطبة، القيد الفقير قيومجي أحمد كتحدا عزبان، وسألتكم الفاتحة سنة ١١١٥. (Wiet, G., *Inscriptions his torique*) .
 (sur pierre, pp. 111-12 n° 145)

^٢ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٩٩، المقرئ: درر العقود الفريدة ٣: ٢٢٨.

^٢ حل محلها الآن جامع القبوة الواقع في شارع القبوة بمصر القديمة. جدد في سنة ١١١٥هـ/١٧٠٣م. يذلل على ذلك كتاب تاريخية نضها:

المَدْرَسَةُ الخَزَوِيَّةُ

وهذه المَدْرَسَةُ بِخَطِّ الشُّونِ ، قِبَلِي دار النُّحَاسِ من ظَاهِرِ مَدِينَةِ مِصْرٍ أنشأها عِزُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ ابنِ صَلاحِ الدِّينِ أَحْمَدُ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيِّ الخَزَوِيِّ ، وهي أكبرُ من مَدْرَسَةِ عَمِّهِ بَدْرِ الدِّينِ ، إلاَّ أَنَّهُ ماتَ سنةَ سِتِّ وسبعينَ وسبعَ مائةٍ قبلَ اسْتِيفاءِ ما أَرادَ أَنْ يَجْعَلَ فيها ، فليسَ لها مُدْرَسٌ ولا طَلَبَةٌ . ومَوْلِدُهُ سنةَ سِتِّ عشرةَ وسبعَ مائةٍ ، ونَشَأَ في دُنْيَا عَرِيضَةَ ^١ .

المَدْرَسَةُ الصَّاحِبِيَّةُ البَهَائِيَّةُ

هذه المَدْرَسَةُ كانتَ بِرُقاقِ القَناديلِ ^٢ من مَدِينَةِ مِصْرٍ قُرْبَ الجامِعِ العَتِيقِ ^٣ ، أنشأها الوَزيزُ الصَّاحِبُ بَهَاءُ الدِّينِ عَلِيُّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ سَلِيمِ بنِ جِنَّا في سنةِ أربَعٍ وخمسينَ وسِتِّ مائةٍ .

وكانَ إِذْ ذاكَ رُقاقُ القَناديلِ أَعْمَرَ أَخْطاطِ مِصْرٍ ، وإِنَّمَا قِيلَ لَهُ رُقاقُ القَناديلِ من أَجْلِ أَنَّهُ كانَ سَكَنَ الأَشْرَافِ ، وكانتَ أَبْوابُ الدُّورِ يُعَلَّقُ على كُلِّ بابٍ مِنْها قِنْدِيلٌ ، قالَ القُضاعيُّ : ويُقالُ إِنَّهُ كانَ بهِ مائةٌ قِنْدِيلٍ تُوقَدُ كُلُّ ليلَةٍ على أَبْوابِ الأَكابِرِ .

جامع عمرو يقع في وسط سوق مصر، بحيث تُحيط به الأشواق من جهاته الأربع وتفتح عليها أبوابه. ويقع سوق القناديل على الجانب الشمالي للجامع، ثم أضاف أنه «لا يُعرف سوقٌ مثله في أي بلدٍ، وفيه كُلُّ ما في العالم من طرائف...» (سفرنامه ١٠٣).

^٣ واضحٌ ممَّا وَرَدَ في آخرِ ترجمةِ الصَّاحِبِ بهاءِ الدِّينِ ابنِ جِنَّا ، أَنَّ هذهَ المَدْرَسَةَ هُدِمَتْ في أَخْرياتِ سنةِ سِتِّ عشرةَ وأوائِلِ سنةِ ثمانِي عشرةَ وثمانَ مائةٍ؛ هَدَمَها ، في أَيَّامِ السُّلطانِ المُؤَيَّدِ شَيْخِ ، الأميرِ تاجِ الدِّينِ الشُّوبَكِيِّ الدَّمَشْقِيِّ واليِ القاهِرَةِ ومِصْرٍ ومُتَوَلِّي جِشْبَةِ البَلَدَيْنِ وشَدَّ العمائرِ السُّلْطانيةِ . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧ : ٢٤١ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٦ : ٢٠ (٨-٩) .

^١ المقرئزي : درر العقود الفريدة ٣ : ٢٢٨ ؛ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٩٩ .

وذكر علي باشا مبارك أن الباقي من هذه المدرسة الضريح المعروف بـضريح سيدي شاهين المغربي ، الكائن على يَشْرَةِ السَّالِكِ في طريقِ مِصْرِ القَدِيمَةِ بقربِ بَيْتِ السُّنَّةِ الباروديةِ من الجِهةِ القَبْلِيَّةِ . (الخطط التوفيقية ٦ : ١٥-١٦ (٧) .

^٢ جَذَبَ ثِراءُ أَشواقِ المُسْتَطاطِ وعلى الأخصُّ رُقاقُ القَناديلِ في القَصرِ الفاطمي انتباهَ الرُحالةِ والجغرافيين ؛ يقولُ الجغرافي والرحالة المُقَدِّسي البِشاري - الذي زار مِصْرَ في نِهايةِ القَرْنِ الرَّابِعِ الهجري - : إِنَّ جامِعَ عَمْرٍو وما حوله من أَشواقٍ هو أَعْمَرُ مَوْضِعٍ بِمِصْرٍ «ورُقاقُ القَناديلِ عن يساره وما أَذْرَكَ ما رُقاقُ القَناديلِ» (أحسن التقاسيم ١٩٩) . أمَّا الرِحلةُ الفارسيَّةُ ناصرِ خُشْرُو - بعدَ ذلكَ بنحوِ خمسينَ سنةً - فيقولُ : إِنَّ

هذا هو علي بن محمد بن سليم - بفتح السين المهملة وكسر اللام ، ثم ياء
وابن حنّا آخر الحروف بعدها ميم - ابن حنّا - بحاء مهملة مكسورة ، ثم نون مشددة
مفتوحة بعدها ألف - الوزير الصّاحب بهاء الدين ^١ ، وُلِدَ بمصر في سنة ثلاث وست مائة ،
وتنقلت به الأحوال في كِتَابَةِ الدّواوين إلى أن وُلِيَ المناصب الجليّة ، واشتهرت كفايته ، وعُرِفَتْ
في الدّولة نَهَضَتُهُ وِدْرَايَتُهُ ، فاستوزرهُ السُّلطانُ الملكُ الظَّاهِرُ رُكْنُ الدِّينِ بَيْبُزَسُ البُنْدُقَدَارِيُّ في ثامن
شهر ربيع الأوّل سنة تسع وخمسين وست مائة ، بعد القَبْضِ على الصّاحِبِ زَيْنِ الدِّينِ يَعْقُوبِ
ابن الزُّبَيْرِ ، وفَوَّضَ إليه تَدْيِيرَ المملكةِ وأمورَ الدّولةِ كلّها ، فنزَلَ من قلعة الجبلِ بِخَلْعِ الوِزارَةِ - ومعه
الأميرُ سَيْفُ الدِّينِ بَلْبَانُ الرُّومِيُّ الدّوادارُ ، وجميعُ الأعيانِ والأكابرِ - إلى دارِهِ .

واستبَدَّ بجميعِ التّصرفاتِ ، وأظهرَ عن حزمٍ وعزمٍ وجوْدَةٍ رأيٍ . وقامَ بأعباءِ الدّولةِ من ولاياتِ
العُمالِ وعزَلَهُم ، من غيرِ مُشاوَرَةِ السُّلطانِ ولا اعتِراضِ أحدٍ عليه ، فصارَ مزجَعُ جميعِ الأمورِ
ومضدَرها عنه ، ومنتشأُ ولاياتِ الخططِ والأعمالِ من قَلَمِهِ ، وزوالها عن أربابها لا يصدُرُ إلا من
قَبْلِهِ . وما زالَ على ذلك طوْلَ الأيّامِ الظَّاهِرِيَّةِ .

فلَمَّا قامَ الملكُ السَّعيدُ بَرَكةَ خانٍ بأمرِ المملكةِ بعدَ موْتِ أبيه الملكِ الظَّاهِرِ ، أقرّه على ما كان
عليه في حياةِ والديه ، فدبّرَ الأمورَ وساسَ الأحوالَ ، وما تعرّضَ له أحدٌ بَعْدَاوَةٍ ولا سُوءٍ ، مع كثرةِ
من كان يُناوئُهُ من الأمراءِ وغيرِهِم ، إلا وصدّه اللهُ عنه ، ولم يَجِدْ ما يتعلّقُ به عليه ولا ما يتلغّ به
مَقْصوده منه .

وكان عطاؤه واسِعًا ، وصِلاتُهُ وكُلْفُهُ للأمراءِ والأعيانِ ، ومن يُلُوذُ به ويتعلّقُ بخدمته ، تَخْرُجُ
عن الحدِّ في الكثرةِ ، وتتجاوزُ القَدْرَ في السَّعةِ مع حُسنِ ظَنِّ بالفُقراءِ ، وصدقِ العقيدةِ في أهلِ
الخَيْرِ والصّلاحِ ، والقيامِ بمعونتِهِم ، وتفقدِ أحوالِهِم ، وقضاءِ أشغالِهِم ، والمبادرةِ إلى امْتِثالِ
أوامرِهِم ، والعِفَّةِ عن الأموالِ - حتى إنّه لم يَقْبَلْ من أحدٍ في وِزارَتِهِ هَدِيَّةً ، إلا أن تكونَ هَدِيَّةً فقيرِ
أو شَيْخٍ مُعْتَقَدٍ يتبركُ بما يصلُ من أثرِهِ - وكثرةِ الصَّدَقاتِ في السِّرِّ والعلانيةِ .

وكان يَسْتَعِينُ على ما التزمَهُ من المَبْرَاتِ ولِزَمِهِ من الكُلْفِ بالمتاجرِ ، وقد مدَّحَهُ عِدَّةٌ من
النَّاسِ ، فقَبِلَ مَدِيحَهُم وأجْزَلَ جَوَائِزَهُم . وما أحسنَ قولَ الرُّشيدِ الفارقي فيه :

^١ انظر ترجمة الوزير الصّاحب بهاء الدين بن حنّا عند ، ٢: ٢٠٧؛ أبي المحاسن : النجوم ٧: ٢٨٥ ، المنهل الصافي

الصفدي : الوافي ٢٢: ٣٠-٣١ ابن الفرات : تاريخ ٨: ١٥٠-١٥١ .

٧: ١٢٥ المقرئزي : السلوك ١: ٦٤٩ العيني : عقد الجمال

[السيط]

وقائل قال لي نبه لنا عمرا فقلت إن عليا قد تنبه لي
ما لي إذا كنت محتاجا إلى عمر من حاجة فليتم حسبي انتباه علي
وقول سعد الدين بن مزوان الفارقي في كتاب الدرر المختص به أيضا :

[السريع]

يتم عليا فهو بحر الندى وناده في المضلع المضل
فرقده بحر علي مجذب ووقده مفض إلى مفصل
يشرع أن يسيل نداء وهل أشرع من سئل أتى من علي

إلا أنه أخذت في وزارته حوادث عظيمة ، وقاس أراضي الأملاك بمصر والقاهرة ، وأخذ عليها
مالا ، وصادر أرباب الأموال وعاقبهم حتى مات كثير منهم تحت العقوبة ، واشتخرج جوالي
الذمة مضاعفة .

ورزى بفقده ولديه : الصاحب فخر الدين محمد ، والصاحب زين الدين ، فعوضه الله عنهما
بأولادهما ، فما منهم إلا نجيب صدر / رئيس فاضل مذكور . وما مات حتى صار جد جد ، وهو
على المكانة وافز الحزمة ، في ليلة الجمعة مستهل ذي الحجة سنة سبع وسبعين وست مائة ، ودفن
بثربته من قرافة مصر .

ووزر من بعده الصاحب بزهان الدين الخضر بن حسن بن علي السنجاري ، وكان بينه وبين
ابن جتا عداوة ظاهرة وباطنة ، وحقود بارزة وكامنة . فأوقع الخوطة على الصاحب تاج الدين
محمد بن جتا بدمشق ، وكان مع الملك السعيد بها ، وأخذ خطة بمائة ألف دينار ، وجهزه على
البريد إلى مصر ليشتخرج منه ومن أخيه زين الدين أحمد وابن عمه عز الدين تكملة ثلاث مائة
ألف دينار ، وأحيط بأسبابه ومن يلود به من أصحابه ومعارفه وغلمانته ، وطولبوا بالمال .

وأول من درس بهذه المدرسة الصاحب فخر الدين محمد ، ابن بانيها الوزير الصاحب بهاء
الدين ، إلى أن مات يوم الاثنين حادي عشرين شعبان سنة ثمان وستين وست مائة . فوليتها من
بعده ابنه محيي الدين أحمد بن محمد ، إلى أن توفي يوم الأحد ثامن شعبان سنة اثنتين وسبعين
وست مائة . فدرس فيها بعده الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين محمد ابن
الصاحب بهاء الدين إلى أن مات في يوم الأربعاء سابع صفر سنة أربع وسبع مائة . فدرس بها
ولده الصاحب شرف الدين . وتوارثها أبناء الصاحب ، يلون نظرها إلى أن كان آخرهم صاحبنا
الرئيس شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن الصاحب بهاء

الدِّين^١ وليها بعد أبيه عزّ الدين ، ووليها عزّ الدين بعد بدر الدين أحمد بن محمد بن محمد ابن الصّاحب بهاء الدين . فلما مات صاحبنا شمس الدين محمد بن الصّاحب لليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وثمان مائة ، وُضِعَ بعضُ نوابِ القضاة يده على ما بقي لها من وقف .

وأقامت هذه المدرسةُ مُدَّةَ أعوامٍ معطلةً من ذكر الله وإقام الصلاة ، لا يأويها أحدٌ لخراب ما حولها ، وبها شخصٌ يبيتُ بها كي لا يُشرقَ ما بها من أبوابٍ ورُخام . وكان لها خزانةٌ كُتِبَ جليلاً ، فنقلها شمس الدين محمد بن الصّاحب وصارت تحت يده إلى أن مات ، فتفرقت في أيدي الناس ، وكان قد عزّم على نقلها إلى شاطئ النيل بمصر ، فمات قبل ذلك .

ولما كان في سنة اثنتي عشرة وثمان مائة أخذ الملك الناصرُ فرج بن برقوق عمداً الرخام التي كانت بهذه المدرسة - وكانت كثيرة العدد ، جليلاً القدر - وعملَ بدلها دعائم تحمّل السقوف ؛ إلى أن كانت أيام الملك المؤيد شيخ ، وولي الأمير تاج الدين الشوبكي الدمشقي ولاية القاهرة ومصر وجنبة البلدَيْن وشدّ العمائر السلطانية ، فهدمَ هذه المدرسة في أخريات سنة سبع عشرة وأوائل سنة ثمان عشرة وثمان مائة . وكانت من أجل مدارس الدنيا ، وأعظم مدرسة بمصر يتنافس الناس من طلبية العلم في التّنزل^(a) بها ، ويتشاحنون في سكنى بيوتها ، حتى يصير البيت الواحد من بيوتها يتمكّن فيه الاثنان من طلبية العلم والثلاثة ؛ ثم تلاشى أمرها حتى هُدمت ، وسيجهد عن قريب موضعها ؛ والله عاقبة الأمور .

المدرسة الصّاحبية

هذه المدرسة بالقاهرة في شويقة الصّاحب ، كان موضعها من جملة دار الوزير يعقوب ابن كلس ، ومن جملة دار الدياج . أنشأها الصّاحب صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر ،

(a) بولاق : النزول .

^١ انظر ترجمة شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد حجر : إنباء الغمر ٢ : ٤٧٥ ، ذيل الدرر الكامنة ٢١١ : أبو المحاسن : المنهل الصافي ٩ : ٨٨ ؛ الصيرفي : نزهة النفوس عند المقرئزي : درر العقود الفريدة ٣ : ٢٠٥ - ٢٠٦ ؛ ابن

٢ : ٢٧٨ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ٧ : ٨٨ .

وجعلها وقفًا على المالكية، وبها دُرُسُ نَحْوِ وَخِزَانَةُ كُتُبٍ، وما زالت بيد أولاده.

فلما كان في شعبان سنة ثمان وخمسين وسبع مائة، جددَ عمارتها القاضي عَلَمُ الدين إبراهيم ابن عبد اللطيف بن إبراهيم - المعروف بابن الزبير - ناظر الدولة في أيام الملك الناصر حسن ابن محمد بن قلاوون، واشتجِدُ فيها مِنْبَرًا، فصار يُصَلِّي بها الجمعة إلى يومنا هذا، ولم يكن قبل ذلك بها مِنْبَرٌ، ولا تُصَلِّي فيها الجمعة^١.

عبد الله بن علي بن الحسين بن عبد الخالق بن الحسين بن الحسن بن منصور بن إبراهيم ابن عمار بن منصور بن علي، صفى الدين أبو محمد الشيبى الدميرى المالكي -

المعروف بابن سُكْر^٢ - وُلِدَ بناحية دَمِيرَةَ، إحدَى قَرْيِ مِصرِ البَحْرِيَّةِ، في تاسعِ صَفَرِ سنة ثمان وأربعين وخمس مائة، ومات أبوه، فتزوَّجت أمه بالقاضي الوزير الأعزَّ فخر الدين مقدم، ابن القاضي الأجل أبي العباس أحمد بن سُكْرِ المالكي، فربَّاه ونوَّه باسمه لأنه كان ابن عمه، فعرفَ به وقيل له ابن سُكْر.

وسَمِعَ صفى الدين من الفقيه أبي الطاهر إسماعيل بن مكى بن عوف، وأبي الطيب عبد المنعم ابن يحيى وغيره، وحدث بالقاهرة ودمشق، وتفقه على مذهب مالك، وبرع فيه، وصنَّفَ كتابًا في الفقه كان كلُّ من حفظه نالَ منه حظًا وافيرًا، وقصدَ بذلك أن يتشبهه بالوزير عون الدين ابن هُبَيْرَةَ^{(a) وزير العراق} ٣.

(a-a) إضافة من المسوَّدة.

^١ كانت المدرسة الصاحبية تقع بين المدرسة الزمامية (جامع الداودي) وبين المدرسة الفخرية (جامع أبي سعيد جقمق) في آخر دُورِ سَعَادَةَ. ذكر علي باشا مبارك أنه بنيت في موضعها الزاوية المعرفة بزاوية بَيْرَم (الخطط التوفيقية ٥٧:٦ (٢١)). بينما ذكر محمد بك رمزي أن هذه المدرسة قد اندثرت واستولى على أرضها أصحابُ الدور المجاورة لها ولم يبق من آثارها إلا بعض جُدران قُبَّةٍ قديمة لعلها موضع القُبَّة التي دُفِنَ تحتها الوزير الفاطمي يعقوب بن كلس. وتشغل مكان هذه المدرسة الآن منزلان متجاوران رقم ٨ بشارع الوزير (السلطان) الصاحب (وهو الذي كان يعرف قديمًا باسم سوقة الصاحب وكان فيه باب المدرسة)، ورقم ٤ بزقاق سَعَادَةَ بقطعة السُّت بصرم بشارع دُورِ سَعَادَةَ. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٦: ٢٨٠-٢٨١ هـ^٣).

^٢ انظر ترجمته كذلك عند المنذري: التكملة لوفيات النقلة ٣: ١٥٧-١٥٨؛ أبي شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع ١٤٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٢: ٢٩٤-٢٩٥؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٧: ٣٢٧-٣٣٠؛ المقرئ: المقفى الكبير ٤: ٥٩٥-٦٠٢؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٦: ٢٦٣.

^٣ الوزير عون الدين يحيى بن هُبَيْرَةَ وزير المقتدى لأمر الله -

كانت بداية أمره أنه لما سلم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أمر الأسطول لأخيه الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وأقرده له من الأبواب الديوانية الزكاة بمصر والحبس الجيوشي بالبريين والتطرون والحراج^(a) وما معه من ثمن القروط وساحل السنط والمراكب الديوانية وأشنى وطندي^١ ، استخدم العادل في مباشرة ديوان هذه المعاملة الصفي بن شكر هذا ، وكان ذلك / في سنة سبع وثمانين وخمسة مائة .

ومن حينئذ اشتهر ذكره ، وتخصص بالملك العادل ، فلما استقل بمملكة مصر في سنة ست وتسعين وخمسة مائة ، عظم قدره ، ثم استوزره بعد الصنيفة ابن النجار ، فحلَّ عنده محلَّ الوزراء الكبار والعلماء المشاورين ، وباشر الوزارة بسطوة وجبروت وتعاضم ، وصادر كتاب الدولة واستصفي أموالهم . ففر منه القاضي الأشرف ابن القاضي الفاضل إلى بغداد ، واستشفع بالخليفة الناصر ، وأحضر كتابه إلى الملك العادل يشفع فيه . وهرب منه القاضي علم الدين إسماعيل ابن أبي الحجاج صاحب ديوان الجيش ، والقاضي الأشعد أسعد بن مماتي صاحب ديوان المال ، والتجأ إلى الملك الظاهر بحلب ، فأقاما عنده حتى ماتا .

وصادر بني حمدان ، وبني الحباب ، وبني الجليس ، وأكابر الكتاب والسلطان لا يعارضه في شيء . ومع ذلك فكان يكثر التعصب على السلطان ، ويتجنى عليه وهو يحتمله ، إلى أن غضب في سنة سبع وست مائة ، وحلف أنه ما بقي يخدم ، فلم يحتمله ، وولى الوزارة عوضاً عنه القاضي الأعز فخر الدين مقدم بن شكر ، وأخرجه من مصر بجميع أمواله ومخزومه وغلمانه ، وكان نقله على ثلاثين جملًا ، وأخذ أعداؤه في إغراء السلطان به ، وحسنوا له أن يأخذ ماله ، فأتى عليهم ، ولم يأخذ منه شيئاً .

(a) بولاق : الحراج .

= العباسي ، المتوفى سنة ١١٥٦/٥٦٠ م (ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦: ٢٣٠-٢٤٤) .
 ١ هناك مدينتان باسم أشنى (أو أشنين) وطندي (أو طندي) . الأولى من كفور البتون من أعمال المنوفية بالوجه البحري . وقد احتفظت طندي باسمها ، أما أشنى فلأنها كانت من توابع طندي فقد عرفت من العهد العثماني بكفر طندي (علي مبارك : الخطط التوفيقية ١٣: ١٢٤-١٢٤) ؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/ ٣: ٢٤٣ ، ٢٤٩) .
 محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/٢: ١٩٢) .
 والثانية من أعمال البهنسا بصعيد مصر ، وكانت تعرفان بالعروستين لحسنهما ، وهي الآن بمركز مغاغة بمحافظة المنيا . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ١٣: ١٢٤-١٢٨) ؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/ ٣: ٢٤٣ ، ٢٤٩) .

وصار إلى آمد ، فأقام بها عند ابن أرتق إلى أن مات الملك العادل في سنة خمس^(a) وست مائة فطلبه الملك الكامل محمد ابن الملك العادل لما استبد بسُلطنة ديار مصر بعد أبيه ، وهو في نوبة قتال الفرج على دمياط ، حين رأى أن الضرورة داعية لحضوره بعدما كان يُعاديهِ . فقدم عليه في ذي القعدة منها ، وهو بالمنزلة العادلية قريباً من دمياط ؛ فتلقاه وأكرمه ، وحادثه فيما نزل به من موت أبيه ، ومحاربة الفرج ، ومخالفة الأمير عماد الدين أحمد بن المشطوب ، واضطراب أرض مصر بثورة الغزيان وكثرة خلافهم . فشجعه ، وتكفل له بتحصيل المال وتدير الأمور . وسار إلى القاهرة ، فوضع يده في مصادرات أرباب الأموال بمصر والقاهرة من الكتاب والتجار ، وقرز على الأملاك مالا ، وأحدث حوادث كثيرة ، وجمع مالا عظيماً أمده به السلطان . فكثرت تمكنه منه ، وقويت يده ، وتوفرت مهابته بحيث إنه لما انقضت نوبة دمياط ، وعاد الملك الكامل إلى قلعة الجبل ، كان ينزل إليه ، ويجلس عنده بمنظرته التي كانت على الخليج ، ويتحدث معه في مهمات الدولة . ولم ينزل على ذلك إلى أن مات بالقاهرة ، وهو وزير ، في يوم الجمعة ثامن شعبان سنة اثنتين وعشرين وست مائة .

وكان بعيد الغور ، جماً للمال ضابطاً له من الإنفاق في غير واجب ، قد ملأت هيبته الصدور ، وانقاد له على الرغم والرضا الجمهور ، وأحمد جمرات الرجال ، وأضرم رماداً لم يخطر إيقاده على بال . وتلغ عند الملك الكامل بحيث إنه بعث إليه بابنيه الملك الصالح نجم الدين أيوب والملك العادل أبي بكر ، ليزوراه في يوم عيد ، فقاما على رأسه قياماً ، وأنشد زكي الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن وهيب القوصي^١ قصيدة ، زاد فيها حين رأى الملكين قياماً على رأسه .

[الكامل]

لَوْ لَمْ تَقُمْ فِي اللَّهِ^(b) حَقَّ قِيَامِهِ مَا كُنْتَ تَقَعُدُ وَالْمُلُوكُ قِيَامُ

وقطع في وزارته الأرزاق ، وكانت جملتها أربع مائة ألف دينار في السنة ، وتسارع أرباب الحوائج والأطماع ومن كان يخافه إلى بابيه ، وملأوا طرقاته وهو يهينهم ، ولا يحفل بشيخ منهم وهو عالم ، وأوقع بالروساء وأرباب البيوت ، حتى اشتأصل شأفتهم عن آخرهم ، وقدم الأراذل في مناصبهم .

(a) بولاق : خمسين . (b) بولاق : لله .

^١ انظر ترجمة ابن وهيب القوصي ، المتوفى سنة ٦٣١هـ / الأدفي : الطالع السعيد ٢٨٧-٢٨٩ ؛ الصفي : الوافي ١٢٣٣م ، عند المنذري : التكملة لوفيات النقلة ٣ : ٣٧٧ ؛ بالوفيات ١٨ : ٣٠٥-٣٠٨ .

وكان جلدًا قويًا، حلَّ به مرَّةً دوسنطاريا قوية وأزمنت، فيئس منه الأطباء، وعندما اشتدَّ به الوجع وأشرف على الهلاك، استدعى بعشرة من وجوه الكتاب كانوا في حبسه، وقال: أنتم في راحة وأنا في الألم، كلاً والله! واشتخض المعاصير وآلات العذاب وعذبهم، فصاروا يضرخون من العذاب، وهو يضرخ من الألم طول الليل إلى الصبح، وبعد ثلاثة أيام ركب.

وكان يقول كثيرًا: لم يبق في قلبي حشرة إلا كَوْنُ أَنْ^a البيساني لم تتمرغ شيبته على عتباتي - يعني القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني فإنه مات قبل وزارته - وكان دُرِّي اللُّون تغلوه حُمرة، ومع ذلك فكان طلق المحيَّا، حلو اللسان، حسن الهيئة، صاحب ذكاء، مع هوج وخبث، في طيش ورغوة مُفْرِطَة، وحقد لا تحبو ناره، ينتقم ويظن أنه لم ينتقم فيعود.

وكان لا يتألم عن عدوه، ولا يقبل معذرة أحد، ويتخذ الرؤساء كلهم أعداءه، ولا يرضى لعدوه بدون الهلاك والاشتبصال، ولا يزحم أحدًا إذا انتقم منه، ولا يُيالي بعاقبة، وكان له لأهله كلمة يرونها ويعملون بها كما يُعمل بالأقوال الإلهية وهي «إذا كنت دُقمًا فلا تكن وِتدًا»، وكان الواحد منهم يُعيدُها في اليوم مرَّات، ويجعلها حُجَّةً عند انتقامه.

وكان قد استولى على الملك العادل ظاهرًا وباطنًا، ولا يُمكن أحدًا من الوصول إليه حتى الطبيب والحاجب والفراش عليهم عُيون له، لا يتكلم أحدٌ منهم فضل كلمة خوفًا منه وكان أكبر أغراضه إبادة أرباب البيوت، ومحو آثارهم، وهدم ديارهم، وتقريب الأسقاط وشراء الفقهاء. وكان لا يأخذ من مال السلطان فلسًا ولا ألف دينار، ويظهر أمانة مُفْرِطَة، فإذا لاح له مال عظيم احتجبه؛ وبلغ إقطاعه في السنة مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار.

وكان قد عمي، فأخذ يُظهر جلدًا عظيمًا وعدم استيكانة إذا حضر إليه الأمراء والأكابر، وجلسوا على خوانه، يقول قَدُمُوا اللُّون الفلاني للأمير فلان والصدر فلان، والقاضي فلان، وهو يتني أمره في معرفة مكان المشار إليه برُموزٍ ومقدمات يُكابر فيها دوائر الزمان^b ويروم رُجوع الفأيت حتى دخل في خبر كان^b.

وكان يتشبهه في ترسله بالقاضي الفاضل، وفي محاضراته بالوزير عون الدين بن هُبَيْرَة حتى اشتهر عنه ذلك ولم يكن فيه أهلية هذا، ولكنه كان من ذهابة الرجال. وكان إذا لحظ شخصًا لا يقنع له إلا بكثرة الغنى ونهاية الرفعة، وإذا غضب على أحد لا يقنع في شأنه إلا بمحو أثره من

(a) ساقطة من بولاق. (b-b) إضافة من المسوذة.

الوجود، وكان كثيرا ما يُنشد :

[البسيط]

إذا وتوت^a امرأ فاحذر عداوته من يزرع الشوك لم يحصد به عينا

ويُنشد كثيرا :

[الطويل]

تودُ عدوي ثم تزعم أنني صديقك ، إن الرأي منك^b لعازب

وأخذه مرة مريض من حمى قوية ، وحدث به النافض وهو في مجلس السلطان يتفقد الأشغال ، فما تأثر ، ولا ألقى جنبه إلى الأرض حتى ذهبت وهو كذلك .

وكان يتعزّر على الملوك الجبابرة ، وتقف الرؤساء على بابِه من نصف الليل ومعهم المشاعلُ والشمع ،

وعند الصبح يركب فلا يراه ولا يرونه ، لأنه إما أن يرفع رأسه إلى السماء تيهًا ، وإما أن يعرج إلى طريق غير التي هم بها ، وإما أن يأمر الجنادرة التي في ركابه بضرب الناس وطردهم من طريقه ، ويكون الرجل قد وقف على بابِه طول الليل ، إما من أوله أو من نصفه بغلمانِه ودوابِه ، فيطرد عنه ولا يراه .

وكان له بوابٌ يأخذ من الناس مالا كثيرا ، ومع ذلك يهينهم إهانة مفرطة ، وعليه للصاحب

في كل يوم خمسة دنانير ، منها ديناران يرسم الفقاع ، وثلاثة دنانير يرسم الحلوى وكشوة غلمانِه ، ونفقاته عليه أيضا ، ومع ذلك اقتنى عقارا وقرى .

ولما كان بعد موت الصاحب ، قديم من بغداد رسول الخليفة الظاهر - وهو محيي الدين أبو

المظفر بن الجوزي - ومعه خلعته الخليفة للملك الكامل ، وخلع لأولاده ، وخلعة للصاحب صفي الدين ، فلبسها فخر الدين سليمان كاتب الإنشاء .

وقبض الملك الكامل على أولاده : تاج الدين يوسف وعز الدين محمد وحبسهما ، وأوقع

الحوطة على سائر موجوده . رحمة الله وعفا عنه .

المدرسة الشريفة

هذه المدرسة بدرب كركامة ، على رأس حارة الجوزرية من القاهرة^c وخطط طواحين الملحيين ،

وهي بالقرب من المدرسة الكهارية على يسرة السالك منها إلى خطط طواحين الملحيين^c ، وقفاها

(a) بولاق : حقرت . (b) بولاق : عنك . (c-c) إضافة من المسودة .

الأمير الكبير الشريف فخر الدين أبو منصور^(a) إسماعيل بن حصن الدولة فخر العرب ثعلب ابن يعقوب بن مسلم بن أبي جميل دحية بن جعفر بن موسى بن إبراهيم بن إسماعيل بن جعفر ابن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الجعفري الزينبي، أمير الحاج والزائرين وأحد أمراء مصر في الدولة الأيوبية^(b)، وتمت في سنة اثنتي عشرة وست مائة، وهي من مدارس الفقهاء الشافعية^١.

قال ابن عبد الظاهر^(c) في «الخطط»^(c): وجرى له في وقفها حكاية مع الفقيه ضياء الدين ابن الوراق. وذلك أن الملك العادل سيف الدين أبا بكر - يعني ابن أيوب - لما ملك مصر^(d) - وكان دخلها على أنه نائب للملك المنصور محمد بن العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف، فقوي عليه، وقصد الاستبداد بالملك - فأحضر الناس للحلف، وكان من جملتهم الفقيه ضياء الدين ابن الوراق، فلما شرع الناس في الحلف، قال الفقيه ضياء الدين: ما هذا الحلف؟ بالأمس حلقتم للمنصور، فإن كانت تلك الأيمان باطلة فهذه باطلة، وإن كانت تلك صحيحة فهذه باطلة. فقال الصاحب صفي الدين بن شكر للعادل: أفسد عليك الأمور هذا الفقيه - وكان الفقيه لم يحضر إلى ابن شكر ولا يسلم عليه - فأمر العادل بالحوطة على جميع موجود الفقيه وأملاكه وماله واعتقاله بالرصد مرسمًا عليه فيه، لأنه كان مسجده، فأقام مدة سنين على هذه الصورة.

فلما كان في بعض الأيام وجد عدة من المترسمين، فحضر إلى دار الوزارة بالقاهرة. فبلغ العادل حضوره فخرج إليه، فقال له الفقيه: اعلم أنني والله لا حاللتك ولا أبرأتك، أنت تتقدمني إلى الله في هذه المدة، وأنا بعدك أطالبك بين يدي الله، وتركه وعاد إلى مكانيه. فحضر الشريف

(a) بولاق: أبو نصر. (b) في المسودة: أحد أمراء السلطان الملك العادل الكبير سيف الدين أبي بكر بن أيوب. (c-c) إضافة من المسودة. (d) في الروضة البهية: لما كان أتابك المنصور بن العزيز.

^١ ظلت هذه المدرسة قائمة على رأس حارة الجوزرية ٤٨ (١٨).

وانظر ما كتبه أندريه ريمون عن الشيخ أحمد بن عبد السلام المغربي شاهيندر تجار القاهرة مُجدد المدرسة Raymond, A., «Ahmad ibn Abd al-Safân . Un Shâh Bandar des Tuggâr au Caire à la fin du XVIII^e siècle», *An. Isl.* VII (1967), pp. 91-95.

قرب الفخامين بالغورية، ولما تخرت جدها السيد أحمد ابن الشيخ عبد السلام المغربي سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٩م وعُيِّن معلمها وجعلها زاوية للصلاة، ثم عُرفت بزاوية ابن العربي نسبة إلى الشيخ المحدث علي بن العربي الفاسي المصري الشهير بالسقاط، المتوفى سنة ١١٨٣هـ/١٧٦٩م، والذي دُفِن بها. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ١٩:٦ (٨)، ٤٧-

فَخَرَّ الدِّينَ بنَ ثَعْلَبِ إلى المَلِكِ العَادِلِ ، فَوَجَدَهُ مُتَأَلِّمًا حَزِينًا ، فَسَأَلَهُ ، فَعَرَّفَهُ ، فَقَالَ : يَا مَوْلَانَا ، وَلِمَ تَجْرِبُ^(a) الشَّمَّ فِي نَفْسِكَ ؟ فَقَالَ : خُذْ كُلَّ مَا وَقَعَتِ الحَوَاطَةُ عَلَيْهِ لَه^(b) ، وَكُلَّ مَا اسْتُخْرِجَ مِنْ أُجْرَةِ أَمْلَاكِهِ ، وَطَيَّبْ خَاطِرَهُ .

وَأَمَّا الفَقِيهَ ضِيَاءَ الدِّينِ ، فَإِنَّهُ أَصْبَحَ ، وَحَضَرَتْ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الطُّلَبَةِ / لِلقِرَاءَةِ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : رَأَيْتُ البَارِحَةَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ : يَكُونُ فَرَجُكَ عَلَى يَدِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي صَاحِبِ النَّسَبِ . فَهَمَّ^(c) فِي الحَدِيثِ ، وَإِذَا بَغْبِرَةٌ ثَارَتْ مِنْ جِهَةِ القَرَأَةِ ، فَأَنْكَشَفَتْ عَنِ الشَّرِيفِ ابْنِ ثَعْلَبِ وَمَعَهُ المَوْجُودُ كُلُّهُ . فَلَمَّا حَضَرَ عَرَّفَهُ الجَمَاعَةُ المَنَامَ ، فَقَالَ : يَا سَيِّدِي اسْهَدْ عَلَيَّ أَنْ جَمِيعَ مَا أَمْلَكُهُ وَقَفَّ وَصَدَقَةٌ ، شَكَرًا لِهَذِهِ الرُّؤْيَا .

وَخَرَجَ عَنْ كُلِّ مَا يَمْلُكُهُ ، وَكَانَ مِنْ جَمَلَةِ ذَلِكَ المَدْرَسَةِ الشَّرِيفِيَّةِ لِأَنَّهَا كَانَتْ سَكَنَهُ^(d) ، وَوَقَفَّ عَلَيْهَا أَمْلَاكُهُ ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ فِي غَيْرِهَا .

وَلَمْ يُحَالِلِ الفَقِيهَ المَلِكِ العَادِلِ ، وَمَاتَ المَلِكُ العَادِلُ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَمَاتَ الفَقِيهُ بَعْدَهُ بِمُدَّةٍ^(e) ، وَمَاتَ الشَّرِيفُ إِسْمَاعِيلُ بنَ ثَعْلَبِ بِالقَاهِرَةِ فِي سَابِعِ عَشَرَ رَجَبِ سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةَ وَسِتِّ مِائَةٍ^٢ .

(a) بولاق : مجرد . (b) له ، ساقطة من بولاق . (c) بولاق : فينما هم . (d) بولاق : مسكنه . (e) يياض في آياصوفيا .

ابن أبي حميد الجعفري الرضيني . وكان الفراغ منها في رجب سنة ثلاث عشرة وست مائة ، رحمه الله (van Berchem, M. CIA Égypte I, n° 58; Wiet, G., RCEA X, n° 3789 .

وراجع ، ابن الزيات : الكواكب السيارة ٢١٧ : ١ ، ٣٢٠ : ٢ ؛ Creswell, K.A.C., MAE II, pp. 77-80 ؛ أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ٣٦ : ٢ - ٣٧ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ١٩٢ : ٢ - ١٩٧ ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ١ : ٩٩٥ - ١٠٠٤ .

^١ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٩١ - ٩٢ .
^٢ ما تزال بقايا ضريح الشريف ابن ثعلب (متدخل وإيوان مقبب) قائمة بالقرب من قبعة الإمام الشافعي بشوارع سيدي عتبة ومسجلة بالآثار برقم ٢٨٢ ، وتعرف بـ «مشهد الثعالية» وإيوان الثعالية» ، وعليها كتابة تاريخية نصها :

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . - الآية ١٠ سورة الفرقان -
أَمَرَ بِإِنشَاءِ هَذِهِ التُّرْبَةِ المَبَارَكَةِ لِنَفْسِهِ الشَّرِيفِ السَّيِّدِ الأَمِيرِ الحَسِبِ الشَّيْبِ فَخْرِ الدِّينِ أَمِيرِ الحَاجِ والحَزْمَتَيْنِ ذُو الفَخْرَيْنِ نَسِيبِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ أَبُو مَنصُورِ إِسْمَاعِيلِ ابْنِ الشَّرِيفِ الأَجَلِّ حِضْنِ الدِّينِ ثَعْلَبِ بنِ يَعْقُوبِ بنِ مُسْلِمِ

المَدْرَسَةُ الصَّالِحِيَّةُ

[أثر رقم ٣٨]

هذه المَدْرَسَةُ بِحُطِّ بَيْنَ القَصْرَيْنِ مِنَ القَاهِرَةِ^١. كَانَ مَوْضِعُهَا مِنْ جُمْلَةِ القَصْرِ الكَبِيرِ الشَّرْقِيِّ، فَبَنَى فِيهِ المَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ^(a) بِنَ الكَامِلِ مُحَمَّدِ بْنِ العَادِلِ أَبِي بَكْرِ ابْنِ أَيُّوبِ^(a) هَاتَيْنِ المَدْرَسَتَيْنِ، فَابْتَدَأَ بِهِدْمَ مَوْضِعِ هَذِهِ المَدَارِسِ فِي قِطْعَةٍ مِنَ القَصْرِ، فِي ثَالِثِ عَشَرَ ذِي الحِجَّةِ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، وَذَلِكَ أَسَاسَ المَدَارِسِ فِي رَابِعِ عَشَرَ رَجَبِ الأَخْرِ سَنَةِ أَرْبَعِينَ^٢، وَرَتَّبَ فِيهَا دُرُوسًا أَرْبَعَةً لِلفُقَهَاءِ المُتَنَمِّينِ إِلَى المَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ^٣. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمِلَ بِدِيَارِ مِصْرَ دُرُوسًا أَرْبَعَةً فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ^(b).

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) واحد : ساقط من بولاق .

Hampikian, N., «Restoration of the Mausoleum of al-Sâlih Najm al-Dîn Ayyûb», in *The Restoration and Conservation of Islamic Monuments in Egypt* (ed. Jere Bacharach), Cairo 1995, pp. 46-58; id., «Restoration of the Minaret of al-Sâlihiyya madrasa in Cairo», *Erhalten historisch bedeutsamer Bauwerke 14*, Universität Karlsruhe 1996, pp. 175-80; id., *Complex of al-Salihiyya, Transformations through Time and a Proposal for the Future* (in press); Korn, L., «The Façade of as-Sâlih Ayyûb's Madrasa and the Style of Ayyûbid Architecture in Cairo», in *Egypt and Syria in the Fatimid, Ayyubid and Mamluke Eras*, U. Vermeulen and J. Van Steenbergen (eds.), Leuven 2001, pp. 101-21.

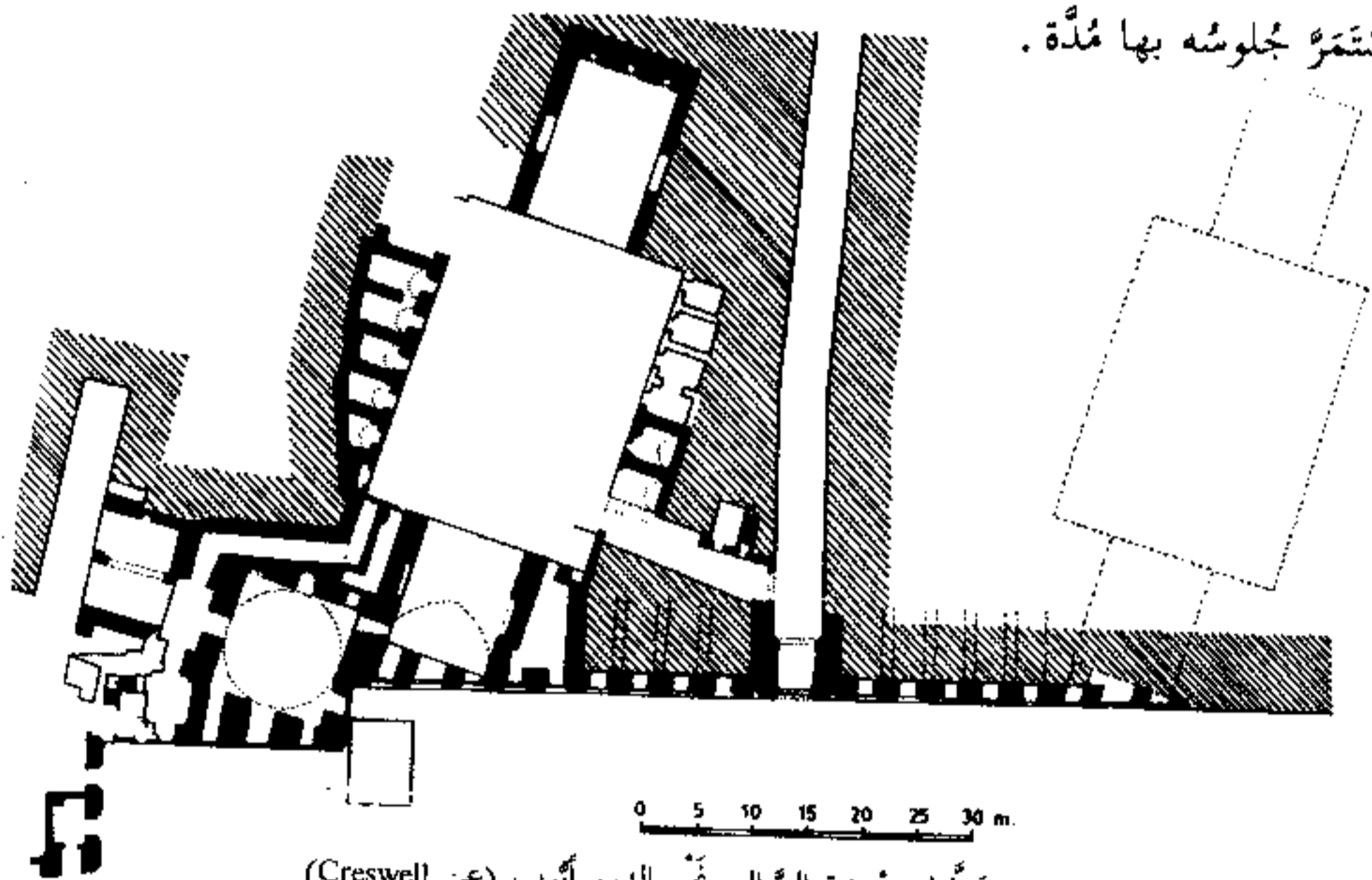
^١ فِي تَارِيخِ بَطَارِكَةِ الكَنِيسَةِ ٢/٤: ١١٩: رَسَمَ أَنَّ يُعْمَرُ مَدْرَسَةً بِالقَاهِرَةِ قُدَّامِ الصَّاعَةِ فِي المَوْضِعِ الَّذِي كَانَ يَسْكُنُ فِيهِ التِّيَابِطِرَةَ قُدَّامِ القَصْرِ وَشَرَعَ فِي ذَلِكَ وَنَقَلَ التِّيَابِطِرَةَ مِنْ هُنَاكَ فَتَحَوَّلُوا إِلَى نَاحِيَةِ بَابِ البَحْرِ إِلَى صَوْبِ الرُّسْنِ المَخْلُوقِ وَهَذَا ذَلِكَ الجَانِبِ مِنَ القَصْرِ وَهُوَ مَا يَلِي بَابَ الرُّهُومَةِ إِلَى بَحْرِي طُولَ مِائَةِ ذِرَاعٍ بِالعَمَلِ فِي مِثْلِهَا فِي العَرُوضِ وَاهْتَمَّ بِذَلِكَ .
^٢ يُوجَدُ بِالمَدْرَسَةِ عَلَى لَوْحَةٍ مِنَ الرُّسْنِ كِتَابَةٌ تَارِيخِيَّةٌ =

^١ مَا زَالَتْ بِقَايَا المَدَارِسِ الصَّالِحِيَّةِ مَوْجُودَةً فِي شَارِعِ المِعْرَ لَدِينِ اللَّهِ فِي مَوَاجِهَةِ مَجْمُوعَةِ قَلَاوُونَ، وَهِيَ أَوَّلُ مَدْرَسَةٍ يُدْرَسُ فِيهَا فِقْهُ المَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ فِي القَاهِرَةِ، وَلَكِنْ تَخْطِيطُهَا لَمْ يَكُنْ تَخْطِيطًا مُتَعَامِدًا مِثْلَ مَدَارِسِ العَصْرِ المَمْلُوكِيِّ، وَأَمَّا كَانَتْ مَبْنَى مُسْتَطِيلًا غَيْرَ مُتَسَاوِي الأَضْلَاحِ، وَتَحْتَلُّ قَاعَاتُ المَدَارِسِ جَانِبِي هَذَا المُسْتَطِيلِ فِي كُلِّ جَانِبٍ قَاعَاتَانِ. وَقَدْ انْتَدَرَتْ أبنِيَّةُ هَذِهِ المَدَارِسِ الدَّاخِلِيَّةِ وَتَبَقِيَ مِنْهَا إِبْرَاقُ الفُقَهَاءِ المَالِكِيَّةِ المَجَاوِرِ لِقُبَّةِ المَلِكِ الصَّالِحِ، وَبِوَابَةِ المَدَارِسِ وَوَاجِهَتِهَا الشَّمَالِيَّةِ وَمَعْدَنَتُهَا القَائِمَةُ فَوْقَ البِوَابَةِ الرَّئِيسَةِ، وَتَرْتَفِعُ قِمَمُهَا عَنِ السَّطْحِ الأَرْضِ ٣٢ مِترًا بَنِيَتْ كُلُّهَا مِنَ الأَجْمَرِ، بَيْنَمَا بُنِيَتْ الوَاجِهَةُ مِنَ الحِجَازَةِ المَصْقُولَةِ. (رَاجِعْ لِتَفَاصِيلِ أَكْثَرِ عَنِ تَخْطِيطِ المَدْرَسَةِ وَعِنَاصِرِهَا المَعْمَارِيَّةِ Herz Bey, M., «Mosquée et tombeau du sultan Saleh Negm el-Din Ayyoub», *BIE* quatrième série 5 (1904), pp. 25-31; Patricolo, A., «La double madrasah et le tombeau de Saleh Nagm ad-Din Ayyoub», *Comité de conservation, exercice 1915-19*, pp. 43-44; Creswell, K.A.C., *MAE* II, pp. 94-100
أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها ٢: ٦٠-٧٥؛
Golvin, L., *La Madrasa médiévale*, pp. 105-8;

وَدَخَلَ فِي هَذِهِ الْمَدَارِسِ بَابَ الْقَصْرِ الْمَعْرُوفِ بِبَابِ الزُّهُومَةِ ، وَمَوْضِعُهُ قَاعَةُ شَيْخِ الْحَنَابِلَةِ الْآنَ ^(a) بِالْمَدْرَسَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهَا ^(a) ، ثُمَّ اخْتِطَّ مَا وَرَاءَ هَاتَيْنِ الْمَدْرَسَتَيْنِ ^(b) فِي سَنَةِ بَضْعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَجُعِلَ جِوَارُ ذَلِكَ لِلْمَدْرَسَةِ الصَّالِحِيَّةِ .

وَأَوَّلُ مَنْ دَرَسَ بِهَا مِنَ الْحَنَابِلَةِ قَاضِي الْقَضَاةِ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعِمَادِ إِبْرَاهِيمَ ابْنَ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ سُورُورِ الْمُقَدِّسِيِّ الصَّالِحِيِّ الْحَنْبَلِيِّ ^(c) ^١ .

وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ ثَالِثِ عَشْرِينَ شَوَّالِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ أَقَامَ الْمَلِكُ الْمُعِزُّ عِزُّ الدِّينِ أَيْتِكُ التُّرْكُمَانِي ، الْأَمِيرَ عَلَاءَ الدِّينِ أَيْدَكِينَ الْبُنْدُقْدَارِ الصَّالِحِيِّ فِي نِيَابَةِ السَّلْطَنَةِ بِدِيَارِ مِصْرَ ، فَوَاطَبَ الْجُلُوسَ بِالْمَدْرَسَةِ ^(d) الصَّالِحِيَّةِ هَذِهِ مَعَ نُوَابِ دَارِ الْعَدْلِ ، وَانْتَصَبَ لِكَشْفِ الْمَظَالِمِ ، وَاسْتَمَرَ جُلُوسُهُ بِهَا مُدَّةً .



مُخَطَّطُ مَدْرَسَةِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ (عَنْ CRESWELL)

(a-a) إضافة من المستوذة . (b) بولاق : هذه المدارس . (c) بولاق : الحنبلي الصالح . (d) بولاق : المدارس .

المباركة ائبغاء مرؤضة] الله تعالى وطلبتا لجزيل ثوابه مؤلانا
السلطان الأعظم الملك الصالح نجم الدين سلطان الإسلام
والمسلمين أبو الفتح أيوب بن السلطان الملك الكامل محمد
ابن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب خليل أمير
المؤمنين أعز الله سلطانه ونصر أوليائه وأغوانه . (van
Berchem, M., CIA Égypte I, n° 64; Wiet, G.,
RCEA XIII, n° 4219) .

^١ المتوفى سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م . (اليونيني : ذيل =

= تؤكد هذا التاريخ ، نصها :

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَمَرَ بِإِنشَاءِ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ
المباركة مؤلانا السلطان الأعظم الملك الصالح نجم الدين ابن
محمد بن أبي بكر بن أيوب ، فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ
وَسِتِّ مِائَةٍ . (van Berchem, M., CIA Égypte I, n°
65; Wiet, G., RCEA XIII, n° 4218) . كما يوجد
أيضاً شريط بالخط النسخ الأيوبي يحمل النص الآتي :

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . [أَمَرَ بِإِنشَاءِ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ

ثم إن الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان ابن الملك الظاهر بيبرس وقف الصاغة التي تجاهها وأماكن بالقاهرة وبمدينة المحلة الغربية، وقطع أراضي جزائر بالأعمال الجيزية والإطفيحية، على مدرسين أربعة عند كل مدرس معيدان وعدة طلبته، وما يحتاج إليه من أئمة ومؤذنين وقومة وغير ذلك، وثبت وقف ذلك على^(a) قاضي القضاة تقي الدين محمد ابن الحسين بن رزين الشافعي، ونفذه قاضي القضاة شمس الدين أبو البركات محمد ابن هبة الله بن شكر المالكي، وذلك في سنة سبع وسبعين وست مائة، وهي جارية في وقفها إلى اليوم.

فلما كان^(b) يوم الجمعة حادي عشرين ربيع الأول سنة ثلاثين وسبع مائة، رتب الأمير جمال الدين آقوش - المعروف بنائب الكرك^١ - جمال الدين الغزالي خطيباً بإيوان الشافعية من هذه المدرسة، وجعل له في كل شهر خمسين درهماً، ووقف عليه وعلى مؤذنين وفقاً جارياً، فاستمرت الخطبة هناك إلى يومنا^(c) ٢.

(a) بولاق : على يد . (b) بولاق : كان في . (c) بولاق : يومنا هذا .

وجاءت هذه الحاشية في نسختي باريس وميونخ مسبقة
بالعبارة التالية : «ووجد بخط مولانا قاضي القضاة ابن حجر
على هامش نسخة المصنف المنقول منها ما نصه» ، ثم ختم
النقل بعبارة : انتهى ما ذكره .

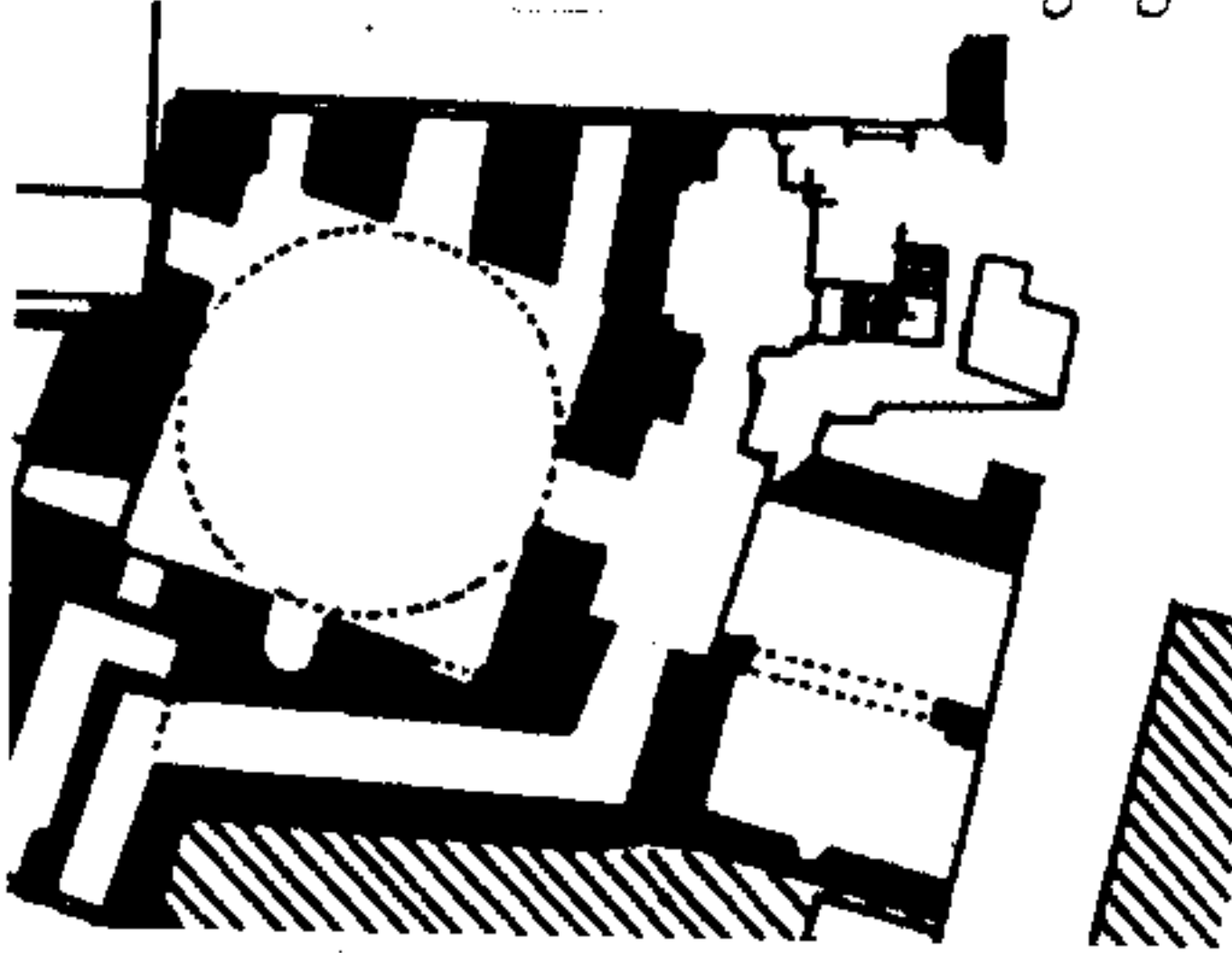
وذكر النويري والمؤلف المجهول صاحب تاريخ سلاطين
المماليك أنه ترتب في المدرسة الصالحة بالقاهرة خطبة وصلاة
جمعة ، وأن أول جمعة ضليت فيها يوم الجمعة حادي عشرين ربيع
الأول سنة ثلاثين وسبع مائة ، رتب ذلك الأمير جمال الدين آقوش
نائب الكرك وأوقف على ذلك وقفاً من ماله على الحكر الذي
بالحسنية المعروف به . (النويري : نهاية الأرب ٣٣ : ٣٠١ -
٣٠٢ ؛ مجهول : تاريخ سلاطين المماليك ٢٢٦ ؛ المقرئ :
السلوك ٢ : ٣١٧) .

= مرآة الزمان ٣ : ٢٨٠ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٢ : ٩ ؛
ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ٢ : ٢٩٤ ؛ ابن حجر : رفع
الإصر ٣٤١ - ٣٤٢) .

^١ انظر ترجمة الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك ،
فيما تقدم ٣ : ١٨١ .

^٢ حاشية بخط المؤلف : «قرأت بخط الشيخ تقي الدين
الشبكي في مصنفه الذي يتعلق بمنع تعدد الجمعة في البلد
الواحد : خرجت من القاهرة ولا يُخطب بها إلا في الجامعين
الأزهر والحاكم ، ثم بلغني أن الجمعة أقيمت بالمدرسة
الصالحية . ومن المعلوم أن خروج الشيخ من مصر كان بعد
التاريخ المعين هنا بمدة» .

هذه القبة بجوار المدرسة الصالحية ، كان موضعها قاعة شيخ المالكية (a) ،
قبة الصالح بنتها عظمة الدين والددة خليل شجر الدر لأجل مولاها الملك الصالح نجم
الدين أيوب عندما مات^١ - وهو على مقاتلة الفرنج بناحية المنصورة - في ليلة النصف من شعبان
سنة سبع وأربعين وست مائة ، فكتمت زوجته شجر الدر موته خوفاً من الفرنج ، ولم تعلم أحداً
بذلك (b) سوى الأمير فخر الدين بن يوسف بن شيخ الشيوخ والطواشي جمال الدين محسن
فقط ، فكتما موته عن كل أحد .



مخطط القبة الصالحية

وبقيت أمور الدولة على حالها ، وشجر الدر تُخرج المناسير والتواقيع والكتب وعليها علامة
بخط خادم يُقال له سهيل ، فلا يشك أحد في أنه خط السلطان . وأشاعت أن السلطان مستمر
المرض ولا يمكن الوصول إليه ، فلم يجسر أحد أن يتفوه بموت السلطان إلى أن أنقذت إلى حصن
كيفا ، وأحضرت الملك المعظم ثوران شاه بن الصالح .

(a) في المستودع : كانت بيت مدرس المالكية بالمدارس الصالحية . (b) بولاق : بذلك أحداً .

١-٢٩٦:٣٥١؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٦:٣١٩-
٣٧٩؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١:٢٧٩؛
Humphreys, R.S., *El art. al-Sâlih Nadjm al-Dîn*
Ayyûb VIII, pp. 1023-24؛ ولمحمد محمد أمين : السلطان
الملك الصالح نجم الدين أيوب (١٢٤٠-١٢٤٩هـ) ، رسالة
ماجستير بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٦٨ م .

١ راجع ، Creswell, K.A.C., *MAEII*, pp. 100-
103؛ أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ٢:٤١-
٤٥ . وراجع كذلك ترجمة الصالح نجم الدين أيوب عند ، ابن
واصل : مفرج الكروب المجلد الخامس حتى عام ٦٤٥هـ/
١٢٤٨م وراجع بقية الحوادث في نسخة باريس رقم ١٧٠٣؛
الصفدي : الوافي بالوفيات ١٠:٥٥-٥٨؛ المقرئ : السلوك

وأما الملك الصَّالِحُ فَإِنَّ شَجَرَ الدَّرِّ أَحْضَرْتَهُ فِي حَرَّاقَةَ مِنَ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قَلْعَةِ الرُّوْضَةِ تَجَاهَ مَدِينَةِ مِصْرَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْعُرَ بِهِ أَحَدٌ، إِلَّا مِنْ ائْتَمَّتْهُ عَلَى ذَلِكَ . فَوُضِعَ فِي قَاعَةٍ مِنْ قَاعَاتِ قَلْعَةِ الرُّوْضَةِ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، فَنُقِلَ إِلَى هَذِهِ الْقُبَّةِ بَعْدَمَا كَانَتْ شَجَرُ الدَّرِّ قَدْ عَمَّرَتْهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ^١.

وَحَلَعَتْ نَفْسَهَا مِنْ سُلْطَنَةِ مِصْرَ وَنَزَلَتْ عَنْهَا لِرُؤُوحِهَا عِزُّ الدِّينِ أَيْتِكَ قَبْلَ نَقْلِهِ^٢، فَنَقَلَهُ الْمَلِكُ^(a) الْمُعِزُّ أَيْتِكَ، وَنَزَلَ وَمَعَهُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ مُوسَى ابْنُ الْمَلِكِ الْمَسْعُودِ. وَسَائِرُ الْمَمَالِكِ الْبَحْرِيَّةِ وَالْجَمْدَارِيَّةِ وَالْأَمْرَاءِ، مِنْ قَلْعَةِ الْجَبَلِ إِلَى قَلْعَةِ الرُّوْضَةِ. وَأُخْرِجَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ فِي تَابُوتٍ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَسَائِرُ الْأَمْرَاءِ وَأَهْلُ الدَّوْلَةِ قَدْ لَبَسُوا الْبِيَاضَ حُزْنًا عَلَيْهِ، وَقَطَعَ الْمَمَالِكُ شُعُورَ رُءُوسِهِمْ، وَسَارُوا بِهِ إِلَى هَذِهِ الْقُبَّةِ. فَدُفِنَ لَيْلَةَ السَّبْتِ.

١٠ /فَأَصْبَحَ السُّلْطَانَانِ، فَزَلَا^(b) إِلَى الْقُبَّةِ، وَحَضَرَ الْقُضَاةُ وَسَائِرُ الْمَمَالِكِ وَأَهْلُ الدَّوْلَةِ وَكَافَّةُ النَّاسِ، وَغُلِقَتْ الْأَسْوَاقُ بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ، وَعَمِلَ عَزَاءٌ لِلْمَلِكِ الصَّالِحِ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ بِالذُّفُوفِ مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، آخِرُهَا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَوُضِعَ عِنْدَ الْقَبْرِ سَنَاجِقُ السُّلْطَانِ وَبُقَعَجْتُهُ وَتُرُكَاشُهُ وَقَوْسُهُ، وَرُتِبَ عِنْدَهُ الْقُرَّاءُ عَلَى مَا سَرَّطَتْ شَجَرُ الدَّرِّ فِي كِتَابٍ وَقَفَّهَا، وَجَعَلَتْ النَّظَرَ فِيهَا لِلصَّاحِبِ بِنَهَاءِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ حِنَّا وَذُرِّيَّتِهِ، وَهِيَ بِيَدِهِمْ إِلَى الْيَوْمِ.

٣٧٥:٢

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : ونزلا .

الله تعالى وهو بمنزلة المنصورة تجاه الفرج المخذولين مصافحا للصفاح بتخره مواجها للكفاح بوجهه وصدره ، أملا ثواب الله بمرابطته واجتهاده ، عاملا بقوله تعالى - الآية ٧٧ سورة الحج - أوفده الله الجنة العلية وأورده أنهارها الجارية ، وذلك ليلة النصف من شعبان سنة سبع وأربعين وست مائة . (van Berchem, M., *CIA Égypte I*, n° 66; Wiet, G., *RCEA XIII*, n° 4298 .)

كما يوجد على الضريح شريط من الخشب المنقوش (bois sculpté) يحمل النص التالي :

«هذه القبة تربة الفقير إلى رحمة الله تعالى وغفرانه السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن السلطان =

^١ انظر فيما تقدم ١: ٥٩٨-٥٩٩.

^٢ فيما تقدم ٣: ٧٦٥-٧٦٦.

^٣ توجد بالقبة على لوحة من الرخام قياس ١٨٠x٨٠ أربعة أسطر بالخط الشخ الأيوبي الجميل تحمل الكتابة التاريخية التالية :

«بسم الله الرحمن الرحيم - الآية ٦٩ سورة العنكبوت - هذه التربة المباركة بها ضريح مولانا السلطان الملك الصالح السيد العالم العادل المجاهد المرابط المشاعر ، نجم الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، سيد ملوك المجاهدين ، وارث الملك عن آباءه الأكرمين ، أبي الفتح أيوب ابن السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبي المعالي محمد بن أبي بكر ابن أيوب . توفي إلى رحمة

وما أحسن قول الأديب جمال الدين أبي المظفر عبد الرحمن بن أبي سعد^(a) محمد بن محمد ابن عمر بن أبي القاسم بن بَحْمَش الواسطي - المعروف بابن السنينيرة الشاعر^١ - لما مرَّ هو والأمير نور الدين^(b) ابن صاحب^(b) تكريت بالقاهرة بين القصرين ، ونظر إلى تربة الملك الصالح هذه وقد دُفِنَ بقاعة شيخ المالكية ، فأنشد :

[الطويل]

بَنَيْتَ لأَرْبابِ العُلُومِ مَدَارِسًا لَتَنجُو بِهَا مِنْ هَوْلِ يَوْمِ المَهَالِكِ
وَصَافَتْ عَلَيْكَ الأَرْضُ لَمْ تَلَقْ مَنزِلًا تَحِلُّ بِهِ إِلاَّ إِلَى جَنِبِ مالِكِ

وذلك أن هذه القبّة التي فيها قبر الملك الصالح ، مجاورة لإيوان الفقهاء المالكية المنتمين إلى الإمام مالك بن أنس - رضي الله عنه - فقصد الثوريّة بمالك الإمام المشهور ومالك خازن الثار ، أعادنا الله منها .

المدرسة الكامليّة

[أثر رقم ٤٢٨]

هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة ، وتُعرف بـ « دار الحديث الكامليّة »^١ ، أنشأها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شاذي ابن

(a) بولاق : أبي سعيد . (b-b) ساقطة من بولاق .

^١ هذه المدرسة - التي يُطلق عليها العامّة اسم «جامع الكامليّة» - تقع في شارع المعز لدين الله ، إلى الشمال من المدرسة الظاهرية الجديدة (الظاهرية بزقوق) ، وكانت حتى نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين عامرة مقامة الشعائر ، يقول علي مبارك في وصف الجامع : «وهو جامع ملوكي عاير بالأذان والصلوات والجمعة والجماعة ومنافعه لم تزل تامة» وانقطعت منه فقط دروس الحديث .

وقد ضاعت تقريرا المباني الأولى لهذه المدرسة بما فيها إيوانها الكبير ، وترجع واجهتها الحالية إلى القرن الثاني عشر الهجري ، حيث جدّد بعض هذه المدرسة الأمير حسن كتحدا مستحفظان الشغراوي في سنة ١١٦٦هـ/١٧٥٢م .

= الملك الكامل ناصر الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب . توفي إلى رحمة الله مجاهدا بالمتنصرة في نصف شعبان سنة سبع وأربعين وست مائة . (van Berchem, M., CIA Égypte I, n° Wiet, G., RCEA XIII, n° 4299).

^١ توفي ابن السنينيرة الشاعر سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م ؟ كما وُرد في جميع ترجماته (ابن الشعار الموصلية : عقود الجمان ٤٦٦:٣ (نشرة فؤاد سركين ١٩٩٠) ؛ ابن خليكان : وفيات الأعيان ١:٢١٥-٢١٦ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٨:٢٦٢-٢٦٤ ؛ ابن شاعر : فوات الوفيات ٢:٢٩٨-٣٠٠) ، فتكون إشارة المقريري هنا غير دقيقة !

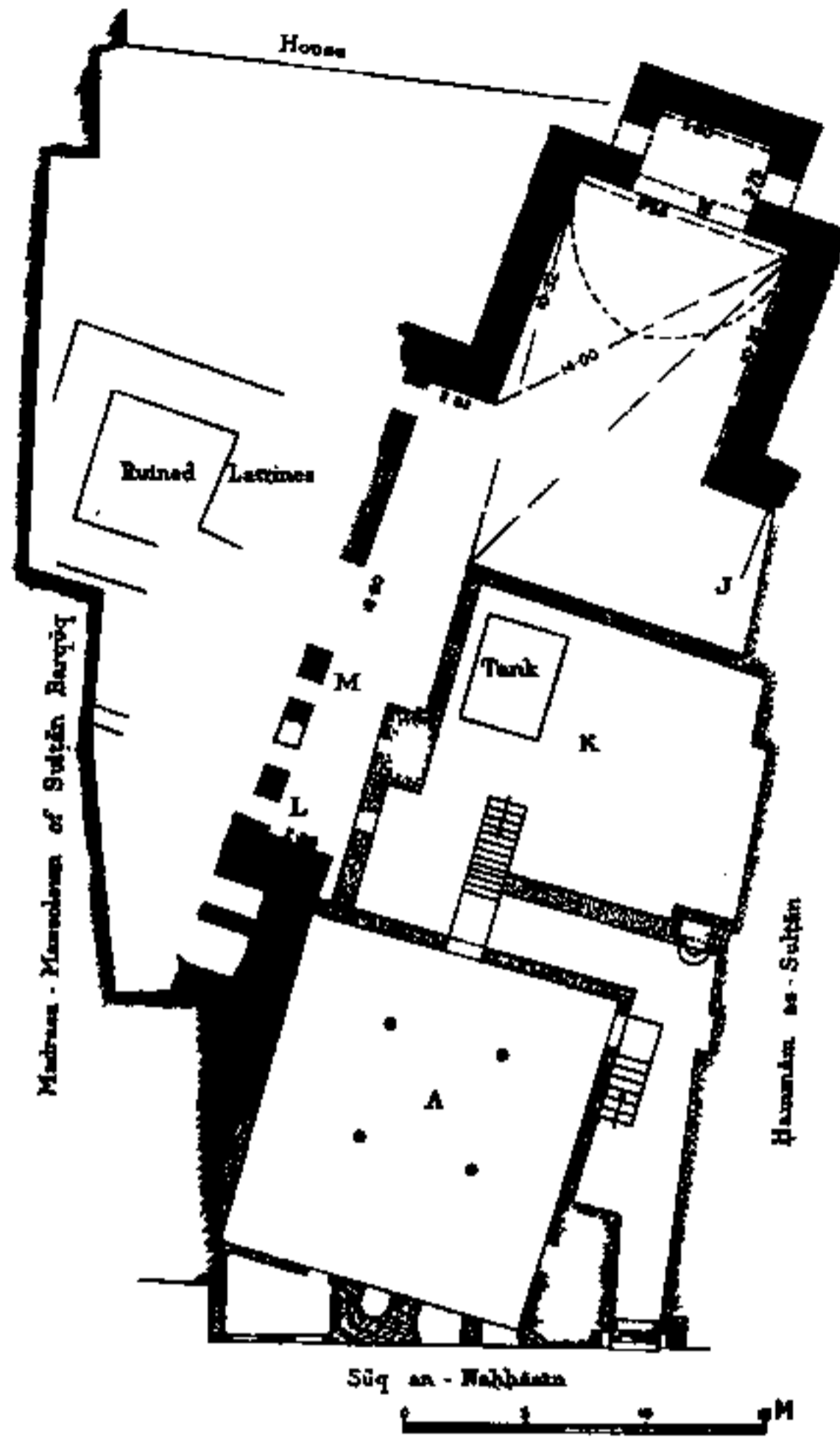
مزوان ، في سنة اثنتين وعشرين وست مائة ، وهي ثاني دار عملت للحديث^١ ؛ فإن أول من بنى داراً حديثاً^٢ على وجه الأرض الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق ؛ ثم بنى الكامل هذه الدار ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوي ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية ، ووقف عليها الرثبع الذي بجوارها على باب الخرنشف ويمتد إلى الدرب المقابل للجامع الأقمر . وهذا الرثبع من إنشاء الملك الكامل ، وكان موضعه من جملة القصر الغربي ، ثم صار موضعاً يسكنه القماحون . وكان موضع المدرسة سوقاً للرقيق وداراً تعرف بابن كشتول .

وأول من ولي تدريس الكاملية : الحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية ، ثم أخوه أبو عمرو عثمان بن الحسن بن علي بن دحية ، ثم الحافظ عبد العظيم المنذري ، ثم الرشيد العطار . وما برحت بيد أعيان الفقهاء ، إلى أن كانت الحوادث والمحن منذ سنة ست وثمان مائة فتلاشت كما تلاشى غيرها ، وولي تدريسها صبي لا يشارك الأناسي إلا بالصورة ، ولا يمتاز عن البهيمة إلا بالنطق ، واستمر فيها ذهراً لا يُدرُس بها ، حتى نسيت أو كادت تُنسى ذروشها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ناصر الدين أبو المعالي محمد ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد
ابن نجم الدين أيوب بن شاذي بن مزوان الكردي الأيوبي ، خامس ملوك
بني أيوب الأكراد بديار مصر ، وُلد في خامس عشرين ربيع الأول سنة ست وسبعين وخمس
مائة ، وخلف أباه الملك العادل على بلاد الشروق .

(a) ساقطة من بولاق .

= كما يدل على ذلك لوح يحمل ثلاثة أسطر بالخط النسخ العثماني نصها :
«أحي هذه المدرسة الكاملية دار الحديث بعد الاندراست وأعادها محكمة البناء والأساس الأمير حسن كتحدا مستحفظان الشعراوي ، صانه الله من المساوي وكان له وقاية في الدارين وسببا في الجمع بين الحسنيين سنة ١١٦٦هـ . (van Berchem, M., CIA Égypte I, n°61) .
وتأثرت المباني الباقية من هذه المدرسة بشدة بزلزال أكتوبر سنة ١٩٩٢ ، وهي الآن في حالة متخربة .
^١ راجع ترجمة الملك الكامل محمد عند ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥ : ٧٩-٩٢ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب : المجلدان الرابع والخامس ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١ : ١٩٣-١٩٧ ؛ المقرئ : السلوك ١ : ١٩٤-٢٦١ ؛ أبي الحسن : النجوم الزاهرة ٦ : ٢٢٧-٣٠٢ ، ابن إياس : بدائع الزهور ١ / Gottschalk, H.L., *al-Malik al-Kamil von Egypten und seine Zeit*, Wiesbaden 1958; id., *El art. al-Malik al-Kamil* IV, pp. 543-44.



مُخَطَّط دار الحديث الكاملية (عن Creswell)

فلما استولى على مملكة مصر، قَدِمَ الملكُ الكاملُ إلى القاهرة في سنة ستِّ وتسعين وخمس مائة، ونَصَّبَه أبوه نائِبًا عنه بديار مصر وأَقَطَعَه الشَّرْقِيَّةَ، وجَعَلَه وِليَّ عَهْدِهِ، وحَلَّفَ له الأُمراءَ وأَسَكَنَهُ قَلْعَةَ الجَبَلِ، وسَكَنَ العادِلُ في دارِ الوِزارَةِ بالقاهرة، وصارَ يَتَحَكَّمُ بديار مصر مُدَّةَ غِيَبَةِ الملكِ العادِلِ ببلاد الشام وغيرها بمفرده.

٣٨٩:٢٢-٣٩٥؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٢:٤٥١-
٤٥٥؛ أبا الحسن: النجوم الزاهرة ٦:٢٩٥؛ مقدمة إبراهيم
الإيباري لكتاب المطرب من أشعار أهل المغرب، القاهرة
١٩٥٤.

^١ أبو الخطَّابِ عُمر بن الحَسَنِ بن علي بن دِحْيَةَ الدَّانِي ثم
الشَّيْبِي، المتوفى سنة ١٢٣٣هـ/١٢٣٥م، راجع عنه ابن
خلكان: وفيات الأعيان ٣:٤٤٨-٤٥٠؛ أبا شامة: ذيل
الروضتين ١٦٣؛ ابن واصل: مفرج الكروب ٥:٥٢، ٥٩-
٦٠، ١٦٢-١٦٣، ١٦٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء

فلما مات الملك العادل ببلاد الشام، استقل الملك الكامل بمملكة مصر في جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وست مائة، وهو على محاربة الفرج بالمنزلة العادلية قريباً من دمياط، وقد ملكوا البرّ الغربي، فثبت لقتالهم مع ما حدث من الوهن بموت السلطان.

وثارت العربان بتواحي أرض مصر، وكثر خلافهم، واشتدّ ضررهم. وقام الأمير عماد الدين أحمد ابن الأمير سيف الدين أبي الحسين عليّ بن أحمد الهكاري المعروف بابن المشطوب - وكان أجلّ الأمراء الأكابر، وله لفيق من الأكراد الهكارية - يريد خلع الملك الكامل وتمليك أخيه الملك الفائز إبراهيم بن العادل، ووافق على ذلك كثير من الأمراء. فلم يجد الكامل بُداً من الرّحيل في الليل جريدة، وسار من العادلية إلى أشموم طنّاح فنزل بها، وأصبح العسكر بغير سلطان. فركب كل واحد هواه، ولم يُعرج واحد منهم على آخر، وتركوا أثقالهم وسائر ما معهم. فاغتتم الفرج الفرصة وعبروا إلى برّ دمياط، واشتولوا على جميع ما تركه المسلمون، وكان شيئاً عظيماً.

وهمّ الملك الكامل بمفارقة أرض مصر، ثم إن الله تعالى ثبته، ولحقت^(a) به العساكر، وبعد يومين قديم عليه أخوه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق بأشموم فاشتدّ غضبه بأخيه، وأخرج ابن المشطوب من العسكر إلى الشام، ثم أخرج الفائز إبراهيم [بن الملك العادل]^(b) إلى الملوك الأيوبية بالشام والشرق يستنفرهم / لجهاد الفرج.

وكتب الملك الكامل إلى أخيه الملك الأشرف موسى^(c) يستحثه على الحضور، وصدّر المكاتبة بهذه الأبيات:

[الكامل]

يا مُسْعِدِي إن كنت حقاً مُسْعِفِي	فأنهضُ بغير تَلَبُّثٍ وتوقُّفِ
واحثثُ قلوبك مرقلاً أو موجفاً	بتجشُّمٍ في سيرها وتَعْشِفِ
وأطو المنازل ما استطعت ولا تُبِخْ	إلّا على باب المليك الأشرفِ
واقِرِ السّلامِ عليه من عبْدٍ له	مُتَوَقِّعٍ لِقُدومِهِ مُتَشَوِّفِ
وإذا وصلت إلى حَمَاهُ فقلْ له	عني بحُسنِ تَوْصِلي وتَلَطُّفِ
إن تأت عبْدَكَ عن قَلِيلٍ تَلْفَهُ	ما بين كلِّ مُهْنِدٍ ومُثَقِّفِ
أو تُبْطِ عن إنجاده فليقاؤه	بك في القيامة في عِراضِ الموقِفِ

٢٠

(a) أصل المصنف والنسخ: وتلاحقت. (b) زيادة من المصادر للتوضيح. (c) في النسخ: شاه أرمن؟

وَجَدَّ الكَامِلُ فِي قِتَالِ الفِرْنَجِ ، وَأَمَرَ بِالتَّغْيِيرِ فِي دِيَارِ مِصْرَ ، وَأَتَتْهُ المُلُوكُ مِنَ الأَطْرَافِ . فَقَدَّرَ اللهُ أَخَذَ الفِرْنَجُ لِدِمْيَاطَ بَعْدَمَا حَاصَرُوهَا سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا وَاثْنَيْ عَشْرِينَ يَوْمًا ، وَوَضَعُوا السَّيْفَ فِي أَهْلِهَا . فَرَحَلَ الكَامِلُ مِنْ أَشْمُومٍ وَنَزَلَ بِالمَنْصُورَةِ ، وَبَعَثَ يَسْتَنْفِرُ النَّاسَ ، وَقَوِيَ الفِرْنَجُ حَتَّى بَلَغَتْ عِدَّتُهُمْ نَحْوَ المَائَتِي أَلْفِ رَاجِلٍ وَعَشْرَةَ أَلْفِ فَارِسٍ .

- ٥ وَقَدِمَ عَامَّةُ أَهْلِ أَرْضِ مِصْرَ ، وَأَتَتِ النَّجْدَاتُ مِنَ البِلَادِ الشَّامِيَةِ وَغَيْرِهَا ، فَصَارَ المَسْلَمُونَ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ إِلَى الغَايَةِ ، بَلَغَتْ عِدَّةُ فُرْسَانِهِمْ خَاصَّةً نَحْوَ الأَرْبَعِينَ أَلْفًا . وَكَانَتْ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ خُطُوبٌ آتَتْ إِلَى وَقُوعِ الصُّلْحِ ، وَتَسَلَّمَ المَسْلَمُونَ مَدِينَةَ دِمْيَاطَ فِي تَاسِعِ عَشَرَ رَجَبِ سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، بَعْدَمَا أَقَامَتِ يَدُ الفِرْنَجِ سَنَةً وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا تَنْقُصُ سِتَّةَ أَيَّامٍ ، وَسَارَ الفِرْنَجُ إِلَى بِلَادِهِمْ . وَعَادَ السُّلْطَانُ إِلَى قَلْعَةِ الجَبَلِ ، وَأَخْرَجَ كَثِيرًا مِنَ الأَمْرَاءِ الذِّينِ وَافَقُوا ابْنَ المَشْطُوبِ مِنَ القَاهِرَةِ إِلَى الشَّامِ وَفَرَّقَ أَخْبَارَهُمْ عَلَى مَمَالِيكِهِ ثُمَّ تَخَوَّفَ مِنْ أَمْرَائِهِ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَعَشْرِينَ بِمَيْلِهِمْ إِلَى أَخِيهِ المَلِكِ المَعْظَمِ فَقَبِضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ ، وَكَاتَبَ أَخَاهُ المَلِكَ الأَشْرَفَ فِي مُوَافَقَتِهِ عَلَى المَعْظَمِ . فَقَوِيَتِ الوَحْشَةُ بَيْنَ الكَامِلِ وَالمَعْظَمِ ، وَاسْتَدَّ خَوْفُ الكَامِلِ مِنْ عَسْكَرِهِ ، وَهَمَّ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ القَاهِرَةِ لِقِتَالِ المَعْظَمِ ، فَلَمْ يَجْسُرْ عَلَى ذَلِكَ .

- ١٠ وَقَدِمَ الأَشْرَفُ إِلَى القَاهِرَةِ ، فَسَرَّ بِهِ سُرُورًا كَثِيرًا وَتَحَالَفَا عَلَى المِعَاضِدَةِ ، وَسَافَرَ مِنَ القَاهِرَةِ فَمَالَ مَعَ المَعْظَمِ فَتَحَيَّرَ الكَامِلُ مِنْ أَمْرِهِ ، وَبَعَثَ إِلَى مَلِكِ الفِرْنَجِ يَسْتَدْعِيهِ إِلَى عَكَا وَوَعَدَهُ بِأَنْ يُمَكِّنَهُ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ ، وَقَصَدَ بِذَلِكَ إِشْعَالَ^a سِرِّ أَخِيهِ المَعْظَمِ . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ المَعْظَمَ خَطَبَ لِلسُّلْطَانِ جَلَالِ الدِّينِ الخُوَازِمِي ، وَبَعَثَ يَسْتَنْجِدُهُ عَلَى الكَامِلِ ، وَأَبْطَلَ الخُطْبَةَ لِلكَامِلِ . فَخَرَجَ الكَامِلُ مِنَ القَاهِرَةِ يُرِيدُ مُحَارَبَتَهُ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ وَسَارَ إِلَى العَبَّاسَةِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى قَلْعَةِ الجَبَلِ وَقَبِضَ عَلَى عِدَّةٍ مِنَ الأَمْرَاءِ وَمَمَالِيكِ أَبِيهِ لِمَكَاتِبَتِهِمُ المَعْظَمِ ، وَأَنْفَقَ فِي العَسْكَرِ . فَاتَّفَقَ مَوْتُ المَلِكِ المَعْظَمِ فِي سَلْخِ ذِي القَعْدَةِ وَقِيَامِ ابْنِهِ المَلِكِ النَّاصِرِ دَاوُدَ بِسُلْطَنَةِ دِمَشْقَ ، وَطَلَبَهُ مِنَ الكَامِلِ المُوادَعَةَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيئَةً وَسَنْجَقًا سُلْطَانِيًّا ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَنْزِلَ لَهُ عَنِ قَلْعَةِ الشُّوبَكِ ، فَامْتَنَعَ النَّاصِرُ مِنْ ذَلِكَ ، فَوَقَعَتِ المُنَافَرَةُ بَيْنَهُمَا .

وَعَهَدَ المَلِكُ الكَامِلُ إِلَى ابْنِهِ المَلِكِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ ، وَأَرْكَبَهُ بِشَعَارِ السُّلْطَنَةِ ، وَأَنْزَلَهُ بِدَارِ الوِزَارَةِ ، وَخَرَجَ مِنَ القَاهِرَةِ فِي العَسَاكِرِ يُرِيدُ دِمَشْقَ ، فَأَخَذَ نَابُلُسَ وَالقُدْسَ . فَخَرَجَ النَّاصِرُ

(a) بولاق : أن يشغل .

داود من دمشق ومعه عمه الأشرف ، وسارا إلى الملك^(a) الكايل يطلبها منه الصلح . فلما بلغ ذلك الكايل رحل من نابلس يريد القاهرة ، فقديهما الناصر والأشرف ، وأقام بها الناصر ، وسار الأشرف والمجاهد إلى الكايل ، فأذركاه بتل العجول^(b) ، فأكرمهما وقرّر مع الأشرف انتراع دمشق من الناصر وإعطائها للأشرف ، على أن يكون للكايل ما بين عقبة فيق إلى القاهرة ، وللأشرف من دمشق إلى عقبة فيق^(c) ، وأن يُغير^(d) بجماعة من ملوك بني أيوب .

فاتفق قُدوم الإنبرطور^(e) ملك الفرنج^(e) إلى عكا باستدعاء الملك الكايل له ، فتحير الكايل في أمره لعجزه عن محاربتة وأخذ يلاطفه . وشرع الفرنج في عمارة صيدا - وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج وشورها خراب - فلما بلغ الناصر موافقة الأشرف للكايل ، عاد من نابلس إلى دمشق واستعد للحرب . فسار إليه الأشرف من تل العجول^(b) ، وحاصره بدمشق .

وأقام الكايل بتل العجول^(b) وقد تورط مع الفرنج ، فلم يجد بُدًا من إعطائهم القدس ، على ألا يُجدد سورته ، وأن تبقى الصخرة والأقصى مع المسلمين ، ويكون حكم قرى القدس إلى المسلمين ، وأن القرى التي فيما بين عكا ويافا وبين لُد والقدس للفرنج . واتفقت الهدنة على ذلك لمدة عشر سنين وخمسة أشهر وأربعين يومًا ، أولها ثامن عشر^(a) ربيع الأول سنة ست وعشرين .

ونودي في القدس بخروج المسلمين منه وتسليمه إلى الفرنج . فكان أمرًا مهولًا من شدة البكاء والصراخ ، وخرجوا بأجمعهم فصاروا إلى مخيم الكايل وأذنوا على بابيه في غير وقت الأذان ؛ فشق عليه ذلك وأخذ منهم الشثور والقناديل^(f) الفضة والآلات وزجرهم ، وقيل لهم امضوا إلى^(a) حيث شئتم . فعظم هذا على المسلمين ، وكثر الإنكار على الملك الكايل ، وشنت المقالة^(g) فيه .

وعاد الإنبرطور إلى بلاده بعدما دخل إلى القدس ، وكان مسيره في آخر جمادى الآخرة سنة ست وعشرين . وسير الكايل إلى الآفاق بشكين قلوب المسلمين وانزعاجهم لأخذ الفرنج القدس ، ورحل من تل العجول^(b) يريد دمشق ، والأشرف على محاصرتها ، فجدد في القتال .

واشتد الأمر على الناصر إلى أن ترامى في الليل على الملك الكايل ، فأكرمه وأعادته إلى قلعة دمشق ، وبعث من تسلمها منه ، وعوضه عن دمشق الكرك والشوبك والصلت والبلقاء والأغوار ونابلس وأعمال القدس ، ثم ترك الشوبك للكايل مع عدة مما ذكر .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : تل العجوز . (c) بولاق : أفيق . (d) بولاق : يعين . (e-e) ساقطة من

بولاق . (f) بولاق : قناديل . (g) بولاق : المقالة .

وتَسَلَّمَ الكَايِلُ دِمَشْقَ فِي أَوَّلِ شَعْبَانَ وَأَعْطَاهَا لِلأَشْرَفِ ، وَأَخَذَ مِنْهُ مَا مَعَهُ مِنْ بِلَادِ الشَّرْقِ وَهِيَ : حَرَانَ وَالرُّهَا وَسَرُوجَ وَغَيْرَ ذَلِكَ . ثُمَّ سَارَ الكَايِلُ فَأَخَذَ حَمَاهُ ، وَتَوَجَّهَ مِنْهَا فَقَطَعَ الْفُرَاتَ ، وَمَضَى ^(a) إِلَى جَعْبَرِ وَالرُّقَّةِ ، وَدَخَلَ حَرَانَ وَالرُّهَا وَرَتَّبَ أُمُورَهَا ، وَأَتَتْهُ الرُّشُلُ مِنْ مَازَدِينَ وَآمِدَ وَالْمُؤَصِّلِ وَأَزْبِلَ وَغَيْرَ ذَلِكَ ، وَأُقِيمَتَ لَهُ الْخُطْبَةُ بِمَازَدِينَ ، وَبَعَثَ يَسْتَدْعِي عَسَاكِرَ الشَّامِ لِقِتَالِ الْخَوَازِمِيِّ وَهُوَ بِخَلَاطِ .

٥
ثُمَّ رَحَلَ الكَايِلُ مِنْ حَرَانَ لِأُمُورٍ حَدَثَتْ وَسَارَ إِلَى مِصْرَ ، فَدَخَلَهَا فِي شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ سَبْعِ وَعِشْرِينَ وَقَدْ تَغَيَّرَ عَلَى وَوَلِيهِ الْمَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبَ ، وَخَلَعَهُ مِنْ وِلَايَةِ الْعَهْدِ وَعَهَّدَ إِلَى ابْنِهِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مِصْرَ وَحَفَرَ بَحْرَ النَّيْلِ فِيمَا بَيْنَ الْمِقْيَاسِ وَبَرِّ مِصْرَ ، وَعَمِلَ فِيهِ بِنَفْسِهِ وَاسْتَعْمَلَ فِيهِ الْمُلُوكَ مِنْ أَهْلِهِ وَالْأَمْرَاءِ وَالْجُنْدِ . فَصَارَ الْمَاءُ دَائِمًا فِيمَا بَيْنَ مِصْرَ وَالْمِقْيَاسِ ، وَانْكَشَفَ الْبَرُّ فِيمَا بَيْنَ الْمِقْيَاسِ وَالْحِيْزَةِ فِي أَيَّامِ اخْتِرَاقِ النَّيْلِ .

١٠
وَخَرَجَ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ^(b) سَنَةِ تِسْعِ وَعِشْرِينَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى دِيَارِ مِصْرَ ابْنَهُ الْعَادِلَ وَأَسْكَنَهُ قَلْعَةَ الْجَبَلِ ، وَأَخَذَ الصَّالِحَ مَعَهُ . فَدَخَلَ دِمَشْقَ مِنْ طَرِيقِ الْكَرْكِ ، وَخَرَجَ مِنْهَا لِقِتَالِ التُّرِّ ، وَجَعَلَ ابْنَهُ الصَّالِحَ عَلَى مُقَدَّمَتِهِ ، فَسَارَ إِلَى حَرَانَ ، فَرَحَلَ التُّرُّ عَنْ خَلَاطِ . ثُمَّ خَرَجَ ^(c) إِلَى الرُّهَا ، وَسَارَ إِلَى آمِدَ وَنَازَلَهَا حَتَّى أَخَذَهَا ، وَأَنْعَمَ عَلَى ابْنِهِ الصَّالِحِ بِحِصْنِ كَيْفَا وَبَعَثَهُ إِلَيْهِ ، وَعَادَ إِلَى مِصْرَ فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ فَقَبِضَ عَلَى عِدَّةٍ مِنَ الْأَمْرَاءِ .

١٥
ثُمَّ خَرَجَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ إِلَى دِمَشْقَ ، وَسَارَ مِنْهَا وَدَخَلَ الدَّرْبَنْدَ ، وَقَدْ أَعْجَبَتْهُ كَثْرَةُ عَسَاكِرِهِ فَإِنَّهُ اجْتَمَعَ مَعَهُ ثَمَانِيَةَ عَشْرٍ طَلَبًا لثَمَانِيَةَ عَشْرِ مَلِكًا ، وَقَالَ : هَذِهِ الْعَسَاكِرُ لَمْ تَجْتَمِعْ لِأَخِيذٍ مِنْ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ ، وَنَزَلَ عَلَى النَّهْرِ الْأَزْرَقِ بِأَوَّلِ بَلَدِ الرُّومِ ، وَقَدْ نَزَلَتْ عَسَاكِرُ الرُّومِ ، وَأَخَذَتْ عَلَيْهِ رَأْسَ الدَّرْبَنْدِ وَمَنْعُوهُ ، فَتَحَيَّرَ لِقَلَّةِ الْأَقْوَاتِ عِنْدَهُ ، وَلاِخْتِلَافِ مُلُوكِ بَنِي أَيُّوبَ عَلَيْهِ ، وَرَحَلَ إِلَى مِصْرَ وَقَدْ فَسَدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَشْرَفِ وَغَيْرِهِ .

٢٠
وَأَخَذَ مَلِكُ الرُّومِ الرُّهَا وَحَرَانَ بِالسَّيْفِ . فَتَجَهَّزَ الْمَلِكُ ^(d) الكَايِلُ وَخَرَجَ مِنَ الْقَاهِرَةِ بِعَسَاكِرِهِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ ، وَسَارَ إِلَى الرُّهَا وَنَازَلَهَا حَتَّى أَخَذَهَا وَهَدَمَ قَلْعَتَهَا ، وَأَخَذَ حَرَانَ بَعْدَ قِتَالٍ شَدِيدٍ ، وَبَعَثَ بِمَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الرُّومِ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي الْقَيْوُدِ - وَكَانُوا زِيَادَةً عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ نَفْسٍ

(a) بولاق : ثم سار . (b) بولاق : آخر جمادى الآخرة . (c) بولاق : رحل . (d) ساقطة من بولاق .

- ثم خَرَّب دُنَيْسِر^(a) وعادَ إلى دِمَشْق، وسارَ منها إلى القَاهِرَة ، فدَخَلَهَا في سنة أربع وثلاثين .
 ثم خَرَجَ في سنة خمسٍ وثلاثين ، ونَزَلَ على دِمَشْق وقد ائْتَنَعَتْ عليه ، فضايَقَهَا حتى أَخَذَهَا
 من أخيه الملك الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلِ ، وَعَوَّضَهُ عنها بَعْلَبَك وبُصْرَى وغيرها في تاسع عشر جُمادى
 الأولى ، ونَزَلَ بِالْقَلْعَةِ ، وَشَرَعَ^(b) يتجهَّز لأخذِ حَلَب . وقد حَدَّثَ^(c) به زُكَّامٌ ، فدَخَلَ في ائْتِدَائِهِ
 الحَمَّام ، فاندَفَعَتِ المِوَادُّ إلى مَعِدَّتِهِ فَتَوَرَّم ، وثارت به حُمَّى ، فنَهَاهُ الأَطِبَّاءُ عن القِيءِ ، وحَدَّرُوهُ
 منه ، فلم يَصْبِرْ وَتَقَيَّأ ، فماتَ لَوَقْتِهِ في آخِرِ نَهَارِ الأربَعاءِ حادِي عَشْرِينَ رَجَبِ سنة خمسٍ وثلاثين
 وست مائة عن ستين سنة . منها مُلْكُهُ أرضَ مصرَ نحو أربعين سنة ، اسْتَبَدَّ فيها بعدَ مَوْتِ أبيه مُدَّةَ
 عشرين سنةً وخمسة وأربعين يوماً .

وكان يُحِبُّ العِلْمَ وأَهْلَهُ ، ويؤَثِّرُ مُجالَسَتَهُمْ ، وشُغِفَ بِسَمَاعِ الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ وحَدَّثَ ، وبنى
 دارَ الحَدِيثِ الكَامِلِيَّةَ بِالقَاهِرَةِ . وكان يُناظِرُ العُلَمَاءَ وَيَمْتَحِنُهُمْ بِمَسَائِلَ غَرِيبَةٍ من فِقْهِ ونَحْوِ ، فمَنْ
 أَجَابَ عنها حَظِيَّي عِنْدَهُ . وكان يبيتُ عِنْدَهُ بِقَلْعَةِ الجَبَلِ عِدَّةً من أَهْلِ العِلْمِ ، على أُسْرَةٍ بِجَانِبِ
 سَرِيرِهِ لِيَسَامِرُوهُ . وكان لِلأَدبِ والعِلْمِ^(d) عِنْدَهُ نَفَاقٌ ، فَقَصَّدَهُ النَّاسُ لذلِكَ ، وصارَ يُطَلِّقُ الأَرْزاقَ
 الدَّارَةَ لِمَن يَقصده لهذا .

وكان مُهابًا حازِمًا ، سَدِيدَ الرَّأْيِ ، حَسَنَ التَّدْبِيرِ ، عَفِيفًا عن الدُّمَاءِ . وكان يُباشِرُ أُمُورَ مَمْلَكَتِهِ
 بِنَفْسِهِ من غيرِ اعْتِمادٍ على وِزِيرٍ ولا غَيْرِهِ ، ولم يَسْتَتَوِزِرْ بِعَدِ الصَّاحِبِ صَفِيِّ الدِّينِ عبدِ اللهِ ابنِ
 عليِّ بنِ شُكْرٍ أَحَدًا ، وإِنَّمَا كان يَتَتَدَبُّ من يَخْتارُهُ لِتَدْبِيرِ الأَشْغالِ ، وَيُحْضِرُ عِنْدَهُ الدَّوَّابِينَ ،
 وَيُحَاسِبُهُمْ بِنَفْسِهِ .

وَإِذَا ابْتَدَأَتْ زِيادَةُ النَّيْلِ خَرَجَ ، وَكَشَفَ الجُسُورَ ، وَرَتَّبَ الأَمْرَاءَ لَعَمَلِهَا . فَإِذَا انْتَهَى عَمَلُ
 الجُسُورِ خَرَجَ ثانياً / وَتَفَقَّدها^(e) ، فَإِن وَقَفَ فِيها على نَحْلٍ عاقِبَ مُتَوَلِّئِها أَشَدَّ العُقُوبَةِ . فَعَمَّرَتْ
 أرضُ مصرَ في أَيَّامِهِ عِمارةً جَيِّدَةً .

وكان يُخْرِجُ من زَكواتِ الأَمْوالِ التي تُجَبَّى من النَّاسِ سَهْمِي الفُقَرَاءِ والمَساكِينِ ، وَيُعَيِّنُ
 مَصْرِفَ ذلِكَ لِمسْتَحِقِّهِ شَرَعًا ، وَيُقَرِّرُ^(f) مِنْهُ مَعالِمَ الفُقَهَاءِ والصُّلَحاءِ . وكان يجلسُ كُلَّ ليلَةٍ
 جُمُعَةً مَجْلِسًا لأَهْلِ العِلْمِ ، فيجتمعونُ عِنْدَهُ لِلْمُناظَرَةِ . وكان كَثِيرَ السِّيَاسَةِ حَسَنَ المُدارَةِ ،

(a) بولاق : ثم خرج إلى دنيسر . (b) بولاق : أخذ . (c) بولاق : نزل . (d) بولاق : للعلم والأدب . (e) بولاق :

تفقدتها بنفسه . (f) بولاق : ويفرز .

وأقام على كل طريق خُفراءً لحفظ المسافرين؛ إلا أنه كان مُعزماً بجمع المال،
مُجتهداً في تحصيله، وأحدث في البلاد حوادث سَمَّها «الحقوق» لم تُعرف
قبله.

ومن شعره قوله:

٥ [البسيط]

إذا تحققتُم ما عند صاحِبِكُم من العَرامِ فذاك القَدْرُ يَكفِيهِ
أنتم سَكَنْتُم فُؤادي وهو مَنزِلِكُم وصاحِبُ البَيْتِ أَدْرَى بالذي فيه

وقال له الطَّيِّبُ عَلَمُ الدِّينِ أَبُو النَّصْرِ جِرْجَسُ بْنُ أَبِي حَلِيقَةَ^١، في اليوم الذي مات فيه: كيف
نَوْمُ السُّلْطَانِ فِي لَيْلَتِهِ؟ فَأَنْشَدَ:

١٠ [الخفيف]

يا خَلِيلِي خَبْرَانِي بِصِدْقِي كَيْفَ طَعْمُ الكَرَى فَإِنِّي نَسِيْتُ
^(a)فمات من يَوْمِهِ^(a) وَدُفِنَ أَوْلًا بِقَلْعَةِ دِمَشْقَ، ثم نُقِلَ إِلَى جَوَارِ جَامِعِ بَنِي أُمَيَّةَ وَقَبْرُهُ
هناك.

المدرسة الصيرمية

١٥ هذه المدرسة من داخل باب الجمَلُون الصَّغِيرِ بِالقُرْبِ مِنْ رَأْسِ سُوَيْقَةَ أمير الجيوش، فيما بينها
وبين الجامع الحاكمي بجوار الزيادة. بناها الأمير جمال الدين سونج^(b) ابن صيرم، أخذ أمراء
السُّلْطَانِ المَلِكِ الكَامِلِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ^٢، وتوفي في تاسع عشر صفر سنة ست
وثلاثين وست مائة.

(a-a) ساقطة من بولاق. (b) هذا الضبط بخط المقرئ في المَسْوَدَةِ، وفي بولاق والنسخ: شويخ.

^١ انظر عن أطباء أسرة أبي حَلِيقَةَ فيما تقدم ٤٧١، وفيما
يلي ٥٩٨، وانظر ترجمة عَلَمِ الدِّينِ أَبِي النَّصْرِ جِرْجَسِ بْنِ
مِيخَائِيلِ بْنِ الفَارِسِ القَيْطِيِّ المِصْرِيِّ، المتوفى بعد سنة
١٢٨٤/٥٦٨٤م، عند المقرئ: المقفى الكبير ٣: ١٤.
^٢ المقرئ: مَسْوَدَةُ الخَطِّطِ ٨٥ ظ؛ ابن عبد الظاهر:
الروضة البهية ٨٦. وحل مكان المدرسة الآن زاوية صغيرة
تُعرف بزواية سوق الصُّبَيْيَّةِ. (علي مبارك: الخطط التوفيقية
٢٢: ٦ (٩)).

المَدْرَسَةُ الْمَسْرُورِيَّةُ

هذه المَدْرَسَةُ بِالْقَاهِرَةِ دَاخِلَ دَرْبِ شَمْسِ الدَّوْلَةِ^١، كَانَتْ دَارَ (أ) الطَّوَّاشِي الأَمِيرِ^(أ) شَمْسِ الخَوَاصِّ مَسْرُورٍ أَحَدِ خُدَّامِ القَصْرِ^٢، فَجُعِلَتْ مَدْرَسَةً بَعْدَ وَفَاتِهِ بِوَصِيَّتِهِ، وَأَنْ يُوقَفَ الفُنْدُقُ الصَّغِيرُ عَلَيْهَا. وَكَانَ بِنَاؤُهَا مِنْ ثَمَنِ ضَيْعَةٍ بِالشَّامِ كَانَتْ بِيَدِهِ أُبِيَعَتْ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَتَوَلَّى ذَلِكَ القَاضِي كَمَالُ الدِّينِ خِضْرٍ وَدَرَسَ بِهَا^(ب) ٣.

وَكَانَ مَسْرُورٌ مِمَّنْ اخْتَصَّ بِالسُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ، فَقَدَّمَهُ عَلَى خَلْقَتِهِ، وَلَمْ يَزَلْ مُقَدِّمًا إِلَى الأَيَّامِ الكَامِلِيَّةِ، فَانْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَزِمَ دَارَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ وَدُفِنَ بِالقَرَّافَةِ إِلَى جَانِبِ مَسْجِدِهِ وَصَهْرِيحِهِ^(ج)، وَكَانَ لَهُ بَرٌّ وَإِحْسَانٌ وَمَعْرُوفٌ. وَمِنْ آثَارِهِ بِالْقَاهِرَةِ فُنْدُقٌ يُعْرَفُ اليَوْمَ بِخَانَ مَسْرُورٍ^(د) وَفُنْدُقٌ آخَرَ يُعْرَفُ بِخَانَ مَسْرُورِ الصَّغِيرِ^(د)، وَ لَهُ رَنْعٌ بِالشَّارِعِ^(هـ) الأَعْظَمِ مَوْقُوفٌ عَلَى ذَلِكَ وَغَيْرِهِ بِخَطِّ السَّقَطِيَّينَ، رَجِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(هـ) ٤.

المَدْرَسَةُ القُوصِيَّةُ

هذه المَدْرَسَةُ بِالْقَاهِرَةِ فِي دَرْبِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بِالقُرْبِ مِنْ دَرْبِ مُلُوحِيَا^(هـ)، لَيْسَ لَهَا وَقْفٌ بِالدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ^(هـ). أَنشأها الأَمِيرُ^(ف) الكُرْدِيُّ وَالي قُوصَ^٦،^(هـ) وَقِيلَ إِنَّ لَهَا وَقْفًا بِالشَّامِ، هَكَذَا ذَكَرَهَا القَاضِي وَلَمْ يَذْكُرْ اسْمَ وَاقِفِهَا^(هـ).

(a-a) إضافة من المَسْوَدَةِ، وفي النسخ الأَمِيرِ، واللفظان ساقطان من بولاق. (b) بولاق: فيها. (c) إضافة من المَسْوَدَةِ. (d-d) ساقطة من بولاق. (e-e) إضافة من المَسْوَدَةِ. (f) بياض بآياصوفيا.

^١ انظر عن دَرْبِ شَمْسِ الدَّوْلَةِ، فيما تقدم ١٠٨:٣ - ٢٥، وكذلك ٥٧، ٩٠.

^٢ انظر فيما تقدم ٣٠٤:٣ - ٣٠٥.

^٣ انظر عن الطَّوَّاشِي شَمْسِ الخَوَاصِّ مَسْرُورٍ، فيما تقدم ١٣٠:٣ - ١٣١.

^٤ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٩٢؛ المقرئ: ٣٠٤:٣ - ٣٠٥.

^٥ هذا النَّصُّ - كما في المَسْوَدَةِ - منقول من «خِطَطُ» ابن عبد الظاهر، قارن مع الروضة البهية Garcin, J.-Cl., *Un centre musulman de la Haute-Égypte médiévale: Qûs*, p. 353.

المدرسة الخنفيّة (a)

بحارة الديلم^١

(b) لها وَقَفَ يسير، كذا قال القاضي محيي الدين ولم يَرِدْ على هذا التَّعْرِيفِ شيئًا (b).

المدرسة الظاهرية العتيقة (a)

[أثر رقم ٣٧]

هذه المدرسة بالقاهرة من جملة حُطَّ بَيْنَ القَصْرَيْنِ، كان مَوْضِعُهَا من القَصْرِ الكَبِيرِ يُعْرَفُ بقاعة الخيم، وقد تقدّم ذكرها في أخبار القصر^٢. ومَّا دَخَلَ في هذه المدرسة بابُ الذهب المذكور في أبواب القصر^٣.

فلَمَّا أَوْقَعَ الملكُ الظاهرُ بَيْتْرَسَ البندُقداري الحَوَظَةَ على القُصُورِ والمناظر - كما تقدّم ذكره^{١١} - نَزَلَ القاضي كمالُ الدين طاهر ابن الفقيه نصر وَكَيْلُ بَيْتِ المالِ، وَقَوْمُ قَاعَةِ الخيمِ هذه، وابتاعها الشيخُ شمسُ الدين محمد بن العِمادِ إبراهيم المقدسي شيخُ الحنايَلةِ ومُدْرِسُ المدرسة الصالحية النُجمية، (b) وقد وَقَفْتُ أنا على كِتَابِ التَّقْوِيمِ والمبايعة^(b)؛ ثم باعها المذكور للسلطان، فأمرَ بهذمها وبناء مَوْضِعِهَا مَدْرَسَةً^٤.

فابتدئَ بعمارَتِهَا في ثاني ربيع الآخر سنة ستين وست مائة، وقَرِعَ منها في سنة اثنتين وستين وست مائة^٥. ولم يَقَعِ الشُّرُوعُ في بنائها حتى رَتَّبَ السلطانُ وَقَفَهَا - وكان بالشام - فكَتَبَ بما

(a) هذا الضبط بخط المقرئ في المَسْوَدَةِ. (b-b) إضافة من المَسْوَدَةِ.

^١ هذه المدرسة ظنَّها علي مبارك وجاستون فييت، مدرسة كافر الزمام التي بنيت بحارة الديلم سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م والتي ما تزال موجودة بها ومسجلة بالآثار برقم ١٠٧. (انظر فيما تقدم ٣٦٠).

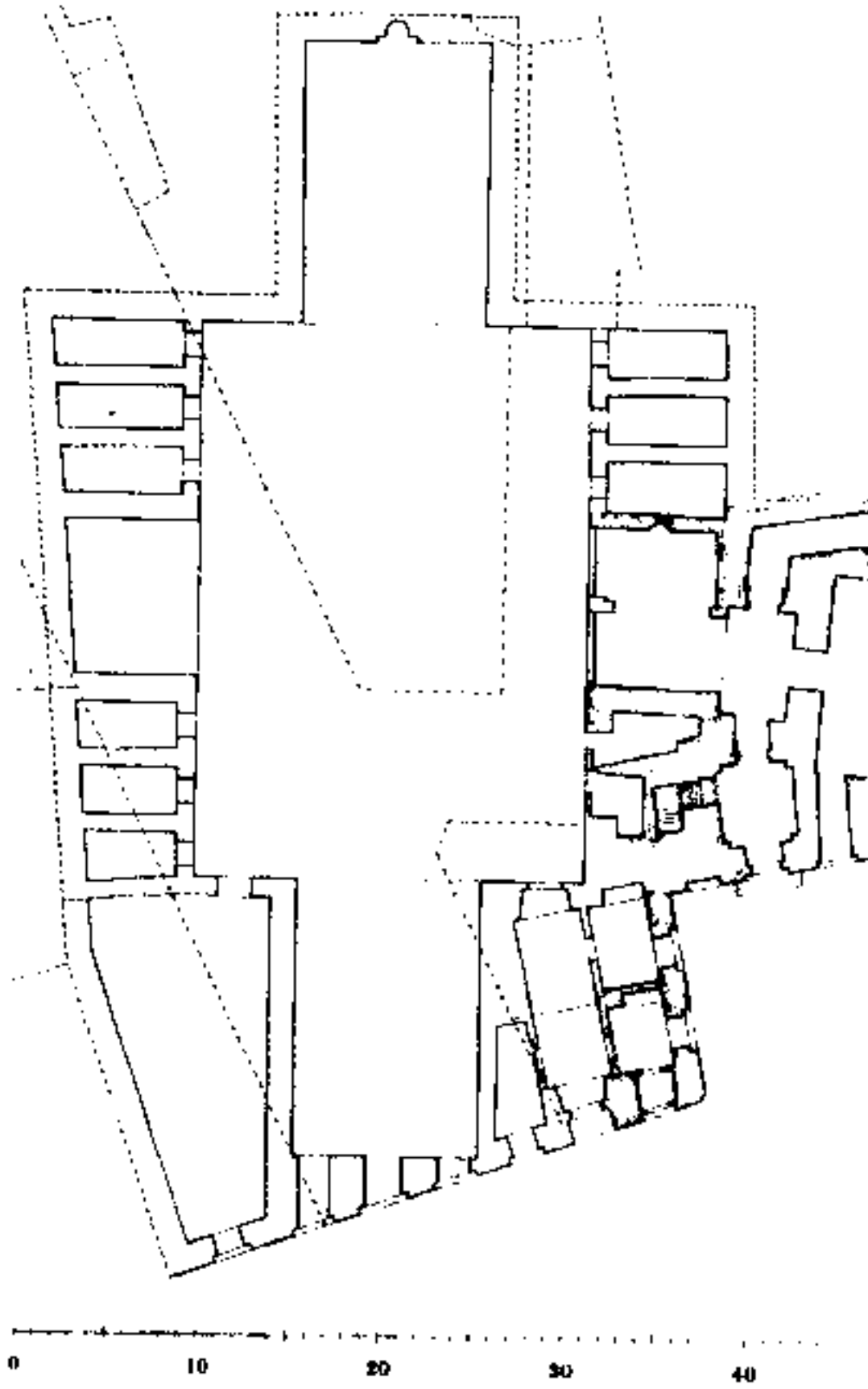
^٢ فيما تقدم ٢: ٣٤٣.

^٣ فيما تقدم ٢: ٤٢١-٤٢٢.

^٤ فيما تقدم ٢: ٢٨٦-٢٨٧، ٦١٠-٦١١.

^٥ بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَمَرَ بِإِنشَاءِ هذه المدرسة المباركة السعيدة مَوْلانا السلطان الأعظم الملك الظاهر السعيد الأجل العالم العايل المجاهد المرابط المؤيد المتصور رُكْنِ الدُّنْيَا والدين سلطان الإسلام والمسلمين سيِّدُ الملوك والسلاطين =

رَبَّهٖ إِلَى الْأَمِيرِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ يَعْغُمُورٍ، / وَأَنْ لَا يَسْتَعْمَلَ فِيهَا أَحَدًا بِغَيْرِ أَجْرَةٍ، وَلَا يُتَقَصَّ مِنْ أَجْرَتِهِ شَيْئًا^١.



مُخَطَّطُ الْمَدْرَسَةِ الظَّاهِرِيَّةِ الْعَتِيقَةِ (عَنْ MEINECKE)

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْأَحَدِ خَامِسَ صَفَرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، اجْتَمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِهَا - وَقَدْ فُرِعَ مِنْهَا - وَحَضَرَ الْقُرَّاءُ وَجَلَسَ أَهْلُ الدُّرُوسِ كُلُّ طَائِفَةٍ فِي إِيْوَانٍ: الشَّافِعِيَّةُ بِالْإِيْوَانِ الْقِبْلِيِّ وَمُدْرُسُهُمُ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ رَزِينِ الْحَمَوِيِّ، وَالْحَنَفِيَّةُ بِالْإِيْوَانِ الْبَحْرِيِّ وَمُدْرُسُهُمُ الصَّدْرُ مَجْدُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الصَّاحِبِ كَمَالِ الدِّينِ عُمَرَ بْنِ الْعَدِيمِ الْحَلَبِيِّ، وَأَهْلُ الْحَدِيثِ بِالْإِيْوَانِ الشَّرْقِيِّ وَمُدْرُسُهُمُ الشَّيْخُ شَرْفُ الدِّينِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ابْنِ

Berchem, M., *CIA Égypte I*, n° 74; Wiet, G., *RCEA XII*, n° 4485. لم يبق منه الآن سوى أوله وآخره فقط.

^١ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٩٠.

= مَالِكُ رِقَابِ الْأُمِّ سَيِّدُ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ أَبُو الْفَتْحِ بَيْتُوسَ قَسِيمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَعَزَّ اللَّهُ أَحْكَامَهُ وَأَدَامَ أَيَّامَهُ وَنَشَرَ فِي الْخَافِقِينَ بِالنُّصْرِ وَالنَّائِدِ الْوَيْتَةَ وَأَعْلَامَهُ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ سَنَةِ سِتِّينَ وَسِتِّ مِائَةٍ. (van)

خَلَفَ ^(a) بن أبي الحسن بن خِضْر بن مُوسَى ^(a) الدُّمِيَّاطِي ، والقُرَاءُ بالقِرَاءَات السَّبْع فِي الإِيوَانِ
الْعَرَبِيِّ وَشَيْخَهُمُ الْفَقِيهُ كِمَالُ الدِّينِ الْحَلَبِيِّ وَقَرَّرُوا كُلَّهُمُ الدُّرُوسَ وَتَنَاطَرُوا فِي عُلُومِهِمْ ، ثُمَّ مُدَّتْ
الْأَسْبِطَةُ لَهُمْ فَأَكَلُوا ^١ ، وَقَامَ الْأَدِيبُ أَبُو الْحُسَيْنِ الْجَزَارِيُّ ^٢ فَأَنْشَدَ ^٣ :

[الطويل]

أَلَا هَكَذَا يَتَنِي الْمَدَارِسَ مَنْ بَنَى
لَقَدْ ظَهَرَتْ لِلظَّاهِرِ الْمَلِكِ هِمَّةٌ
تَجَمَّعَ فِيهَا كُلُّ حُسْنٍ مُفَرَّقٍ
وَمُذْ جَاوَزَتْ قَبْرَ الشَّهِيدِ فَنَفْسُهُ الدُّ
وَمَا هِيَ إِلَّا جَنَّةُ الْخَلْدِ أُزْلِفَتْ

وقال السَّراجُ الوَرَّاقُ ^٤ أَيْضًا قَصِيدَةً مِنْهَا ^٥ :

[الطويل]

مَلِيكَ لَهُ فِي الْعِلْمِ حُبٌّ وَأَهْلُهُ
فَشَيْدَهَا لِلْعِلْمِ مَدْرَسَةٌ غَدَا
وَلَا تَذْكُرُنَّ يَوْمًا نِظَامِيَّةً لَهَا
وَلَا تَذْكُرُنَّ مَلِيكًا فَبَيْبِرسَ مَالِكٌ
وَلَمَّا بَنَاهَا زَعَزَعَتْ كُلُّ بَيْعَةٍ
وَقَدْ بَرَزَتْ كَالرُّوْضِ فِي الْحُسْنِ أَنْبَاتُ
أَلَمْ تَرَ مِخْرَابًا كَأَنَّ أَزْهَارًا

وقال الشُّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ الْحَشَّابِ ^٦ :

(a-a) إضافة من المُتَوَدِّعَةِ .

الجمان ١ : ٣٨٤ .

^١ ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ١٨٤ .

^٤ انظر عن سراج الدين عمر بن محمد بن حسن ،
المتوفى سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م ، فيما تقدم ١٨٧هـ ^٢ .

^٢ جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى
ابن محمد الجزاري ، شاعر مصري كان جزائريًا بقسطنطينية مصر
واجتمع به ابن سعيد المغربي صاحب كتاب «المغرب» غير مرة
أثناء زيارته للقسطنطينية . (انظر فيما تقدم ١ : ٢٨٥هـ ^٢) .

^٥ الأبيات عند ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر
١٨٤ - ١٨٥ .

^٣ الأبيات عند ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ١٨٥ ؛

^٦ العيني : عقد الجمان ١ : ٣٨٣ .

بيرس الدواداري : زبدة الفكرة ٨٦ - ٨٧ ؛ العيني : عقد

[الكامل]

قَصَدَ الْمُلُوكَ حِمَاكَ وَالْخُلَفَاءَ
أَنْتَ الَّذِي أَمْرَاؤُهُ بَيْنَ الْوَرَى
مَلِكٌ تَزَيَّنْتَ الْمَمَالِكُ بِأَسْمِهِ
وَتَرَفَّقْتَ لِعُلَاهُ خَيْرُ مَدَارِسِ
تَبْقَى كَمَا يَبْقَى الزَّمَانُ وَمُلْكُهُ
كَمْ لِلْفِرْجِ وَلِلتَّارِ بِبَابِ
وَطَرِيقُهُ لِبِلَادِهِمْ مَوْطُوءَةٌ
دَامَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَدَامَ مُخَلَّدًا

فَافْخَرِ فَإِنَّ مَحَلَّكَ الْجُوزَاءُ
مِثْلَ الْمُلُوكِ وَجُنْدُهُ أَمْرَاءُ
وَتَجَمَّلْتَ بِمَدِيحِهِ الْفُصْحَاءُ
حَلَّتْ بِهَا الْعُلَمَاءُ وَالْفُضَّلَاءُ
بَاقٍ لَهُ وَالْحَاسِدِيهِ فَنَاءُ
رُسُلٌ مُنَاهَا الْعَفْوُ وَالْإِعْفَاءُ
وَطَرِيقُهُمْ لِبِلَادِهِ عَذْرَاءُ
مَا أَقْبَلَ الْإِضْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ

فَلَمَّا فَرَعَ هَوْلَاءِ الثَّلَاثَةَ مِنْ إِنْشَادِهِمْ ، أُفِيضَتْ عَلَيْهِمُ الْخَلِجُ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا .^١

وَجَعَلَ بِهَا خِزَانَةَ كُتُبٍ تَشْتَمِلُ عَلَى أُمَّهَاتِ الْكُتُبِ فِي سَائِرِ الْعُلُومِ ، وَبَنَى بِجَانِبِهَا مَكْتَبًا لِتَعْلِيمِ
أَيُّتَامِ الْمُسْلِمِينَ كِتَابَ اللَّهِ الْعَزِيزِ^٢ وَأَجْرَى لَهُمُ الْجِرَايَاتِ وَالْكَشُورَةَ ، وَأَوْقَفَ عَلَيْهَا رُبْعَ السُّلْطَانِ
خَارِجَ بَابِ زَوَيْلَةَ ، فِيمَا بَيْنَ بَابِ زَوَيْلَةَ وَبَابِ الْفَرَجِ ، وَيُعْرَفُ ذَلِكَ الْخُطَّ الْيَوْمَ بِهِ ، فَيُقَالُ « خُطُّ
تَحْتِ الرُّبْعِ » . وَكَانَ رُبْعًا كَبِيرًا لَكِنَّهُ خَرِبَ مِنْهُ عِدَّةٌ دُورٍ فَلَمْ تُعْمَرَ^٣ . وَتَحْتَ هَذَا الرُّبْعِ عِدَّةٌ
حَوَانِيَتٌ هِيَ الْيَوْمَ^٤ مِنْ أَجْلِ الْأَسْوَاقِ ، وَلِلنَّاسِ فِي سُكْنَاهَا رَغْبَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَيَتَنَافَسُونَ فِيهَا تَنَافُسًا

(a) بولاق : تعالى . (b) بولاق : الآن .

شداد : تاريخ الملك الظاهر ٣٤٤ ؛ وانظر كذلك وثيقة الظاهر
بيرس البندقداري (محكمة ١٢٦) وما اقتطعه منها عبد
اللطيف إبراهيم : الوثائق في خدمة الآثار «العصر المملوكي» ،
٢٢١-٢٢٢ ؛ وعاطف عبد الدايم عبد الحي : شارع تحت
الرُّبْعِ منذ نشأته وحتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري -
دراسة أثرية حضارية ، رسالة ماجستير بكلية الآثار - جامعة
القاهرة (١٩٩٧) .

ويتدلُّ على موضع رُبْعِ السُّلْطَانِ الْآنَ مجموعة المباني
الواقعة تجاه تَكِيَّةِ وَزَاوِيَةِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمِ الْكُلْشَنِيِّ بِشَارِعِ
تَحْتِ الرُّبْعِ عَلَى يَمِينِ الْخَارِجِ مِنْ بَابِ زَوَيْلَةَ . (أبو المحاسن :
النجوم الزاهرة ٩ : ٦٦٦ هـ) .

^١ عبد الظاهر : الروض الزاهر ١٨٤-١٨٥ ؛ بيرس
المنصوري : زبدة الفكرة ٨٦ .

^٢ قَدَّمَ لَنَا ابْنُ شَدَادٍ وَضَفًا تَفْصِيْلًا لِرُبْعِ السُّلْطَانِ الظَّاهِرِ
بَيْبَرَسٍ يَقُولُ : « وَأَنْشَأَ [أَي السُّلْطَانِ الظَّاهِرِ بَيْبَرَسٍ] بِظَاهِرِ
الْقَاهِرَةِ بِمِا يَلِي بَابَ الْخَرْقِ رُبْعًا طَوِيلًا كَأَنَّهُ طَرَازٌ يَشْتَمِلُ عَلَى
قَيْسَارِيَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا كِبْرَى وَفِيهَا سُفْلُهُ حَوَانِيَتٌ يَغْلُوهَا طِبَاقٌ ،
وَيَغْلُو الطَّبَاقُ طِبَاقٌ أُخْرَى ، تَكُونُ عِدَّةُ الْحَوَانِيَتِ الشَّارِعَةَ
ثَمَانِيَةً وَثَلَاثِينَ حَانُوتًا ، وَعِدَّةُ الْحَوَانِيَتِ الَّتِي بِالْقَيْسَارِيَتَيْنِ مِائَةً
وَثَلَاثَةَ عَشْرٍ حَانُوتًا ، وَفِي الْمَشِيِّ إِلَى بَابِ الْفَرَجِ مِنَ الرُّبْعِ
الْمَذْكُورِ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ حَانُوتًا يَجْمَعُهَا صَفَّانٌ ، وَعِدَّةُ الطَّبَاقِ
الْعُلُوبِيَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ مِائَةٌ مَنَزِلٌ وَثَمَانِيَةٌ مَنَازِلٌ ، وَوَقَّفَ ثُلُثَهُ عَلَى
وَلَدِهِ الْمَلِكِ الشَّعِيدِ - عَزَّ نَصْرُهُ - وَثُلُثَيْهِ عَلَى مَدْرَسَتِهِ » . (ابن

يرتفعون فيه إلى الحكام^١.

وهذه المدرسة من أجل مدارس القاهرة، إلا أنها قد تقدم عهداً فرثت، وبها إلى الآن بقية صالحة، ونظرها تارة يكون بيد الحنفية، وأحياناً بيد الشافعية، ويُنازع في نظرها أولاد الظاهر فيدفعون عنه، والله عاقبة الأمور^٢.

الجديد بشارع مراد بالجيزة (شارع شارل دي جول الآن).
ويوجد بأعلى هذا الباب وأسفله شريطان من المعدن
مكتوب عليهما:

«الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبو الفتح بيبرس آدم
الله أيمانه وأعز أحكامه سنة ٦٦١». (van Berchem,
M., *CIA Égypte I*, n° 75; Wiet, G., *RCEA XII*,
n° 4501). ويُعد هذا النص أقدم نموذج وصل إلينا كُتِب
فيه التاريخ بالأرقام في الآثار الإسلامية.

راجع عن هذه المدرسة، ابن عبد الظاهر: *الروض الزاهر*
٩٠؛ النويري: *نهاية الأرب* ٣٠: ٩٣-٩٤؛ بيبرس
المنصوري: *زبدة الفكرة* ٨٦؛ ابن أيبك: *كنز الدرر*
٨: ١٠٣؛ القلقشندي: *صبح الأعشى* ٣: ٣٦٢، ٤٣١؛
المقريزي: *السلوك* ١: ٥٠٤، ٦٣٨؛ العيني: *عقد الجمان*
١: ٣٨٢-٣٨٤؛ أبا المحاسن: *النجوم الزاهرة* ٧: ١٢٠،
٢١٣، *المنهل الصافي* ٣: ٤٦٥-٤٦٦؛ السيوطي: *حسن*
المحاضرة ٢: ٢٦٤؛ ابن إياس: *بدائع الزهور* ١/١: ٣١٢،
٣٤٠؛ وانظر أيضاً *The Works of Sultan Baibars al-Bunduqdâri in Egypt*,
BIFAO XXVI (1926), pp. 131-43; id., *MAE II*,
pp. 143-47؛ سعاد ماهر: *مساجد مصر* ٣: ١٨-٣١؛
Golvin, L., *La Madrasa médiévale*, pp. 108-9؛
حسني محمد نوبصر: «دراسة لأجزاء هامة من بقايا
مدرسة الظاهر بيبرس البندقداري بالقاهرة»، *مجلة كلية*
الآثار - جامعة القاهرة ٧ (١٩٩٦)، ١-٤٠؛ عاصم
محمد رزق: *أطلس العمارة الإسلامية* ٢: ٢٣-٣٨.

^١ انظر فيما تقدم ٣: ٣٠٠-٣٠١.

^٢ المدرسة الظاهرية العتيقة (تميزاً لها عن المدرسة
الظاهرية المنتجدة التي أنشأها الظاهر برفوق)، أول مدرسة
ذات تخطيط متعامد في مصر، إلا أنها لم يُدرّس بها الفقه
على المذاهب الأربعة فقط، كما هو مُتبع في نظام المدارس،
يقول ابن شداد: «تتضمن على أربعة أرواق: الإيوان القبلي
يُدرّس فيه مذهب الإمام الشافعي - رضي الله عنه - والإيوان
الذي تجاهه وله على الطريق شبايك يُدرّس فيه مذهب الإمام
أبي حنيفة، والإيوان الذي على يمينه الداخل يُقرأ فيه بكرة
الشعب ويُشغّل بالقراءات الشعب، وفي الإيوان الذي
يقابله يشغّل فيه بالحديث النبوي، وبها من البيوت
المعدّة لسكنى الطلبة. وبني إلى جانبها مكتبا للسبيل
يُعلّم فيه الأيتام القرآن، يُصعد إليه بدرج، ولكل صبي
يقرأ فيه في اليوم خبّز وفي السنة كُشوتان وعُدّتهم.
وبني فيما بين المدرسة وبينه مئذنة ما أخوج الناس إليها
تتضمن على [بياض] بيتاً وفي وسطها [بياض]». (تاريخ
الملك الظاهر ٣٤٤-٣٤٥).

وظلت هذه المدرسة قائمة في منطقة بين القصرين
بشارع المعز لدين الله أمام مجموعة قلاوون الشهيرة،
وسُجّلت رسمتها أحد لوحات دافيد روبر *David Robert*
قَبِل أن تُهدم، سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م، من أجل فتح
شارع بيت القاضي الذي اخترق مبانيها، ولم يتبق منها
سوى جزءٍ مُتخرب سُجّل بالآثار برقم ٣٧؛ كما نُقل
مضراعاً باب المدرسة الحشيان إلى السفارة الفرنسية أولاً في
مقرها القديم محلّ عمارة الإيمويليا ثم نقلته معها إلى مقرها

المدرسة المنصورية

[أثر رقم ٤٣]

هذه المدرسة من داخل باب المارستان الكبير المنصوري بخط يمين القصرين بالقاهرة^١. أنشأها هي والقبة / التي تجاهها والمارستان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي التركي .^(a) وكان قد أخذ الدار القطيعة وجعلها هذا المارستان الموجود الآن ، ثم بنى المدرسة والقبة في وجه المارستان المذكور^(a) ، ورُتّب بالمدرسة^(b) دُرُوسًا أربعة لطوائف الفقهاء الأربعة^(a) وتضدير قراءات^(a) ، ورُتّب بالقبة دُرُوسًا للحديث النبوي ودُرُوسًا لتفسير القرآن العظيم وميعادًا ،^(a) وجعل بالبيمارستان دُرُوس الطب^(a) ، وكانت هذه التدريس لا يليها إلا أجل الفقهاء المعتبرين ، ثم هي اليوم كما قيل :

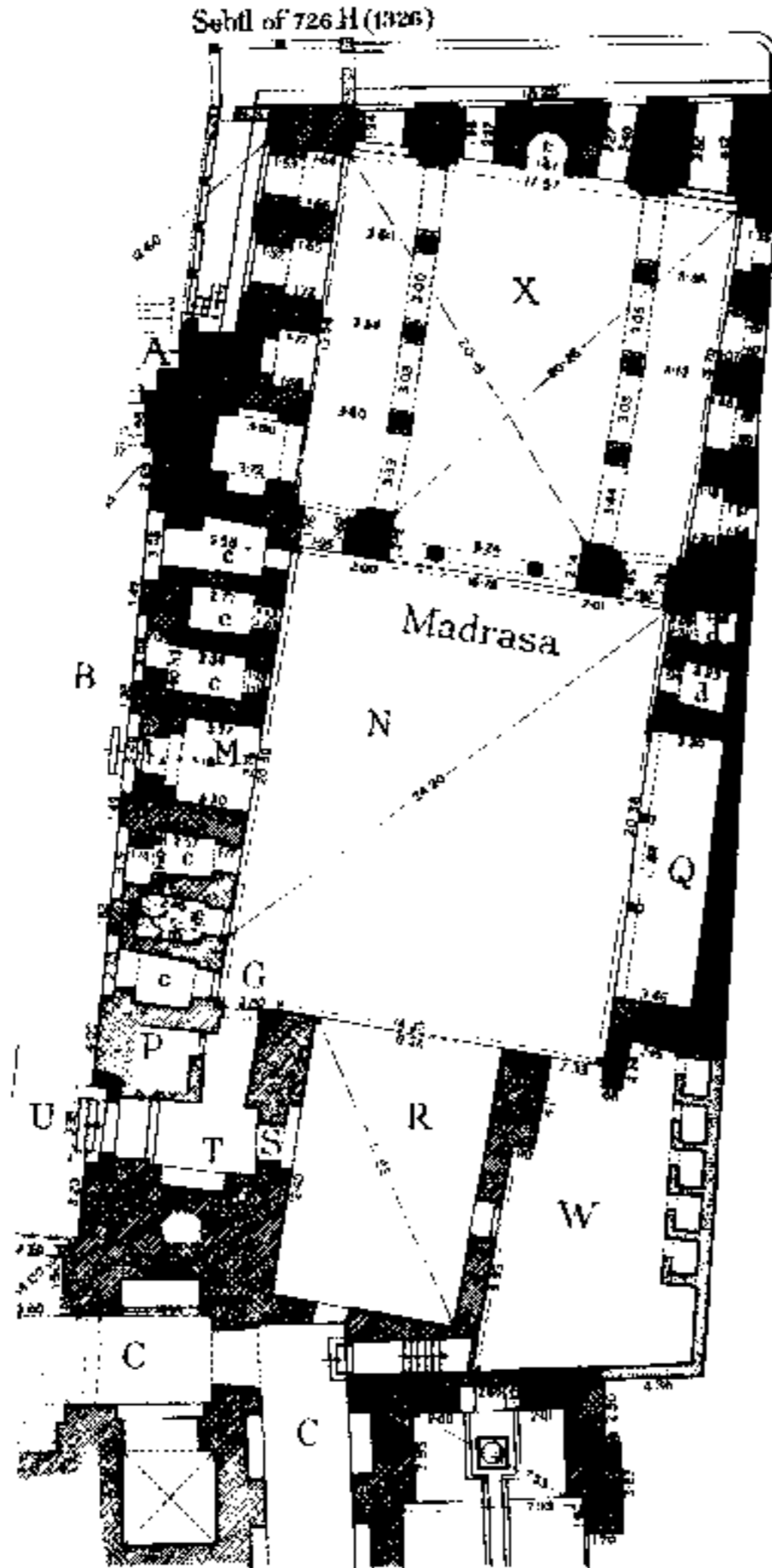
[الطويل]

١٠ تَصَدَّرَ لِلتَّدْرِيسِ كُلُّ مُهَوِّسٍ بَلِيدٍ يُسَمَّى بِالْفَقِيهِ الْمُدْرِسِ
فَحَقَّقَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَمَثَّلُوا بَيْتِ قَدِيمِ شَاعٍ فِي كُلِّ مَجْلِسِ
لَقَدْ هَزَلَتْ حَتَّى بَدَأَ مِنْ هُزَالِهَا كَلَاهَا وَحَتَّى سَامَهَا كُلُّ مُفْلِسِ

^(a) وكان الشاذ على عماره ذلك الأمير علم الدين سينجر الشجاعى المنصوري الوزير مدبر الممالك الإسلامية ، وظهر من اهتمامه بذلك ما لم يُسمع بمثله^٢ . وكان الابتداء في العمارة في^(a) (c)

(a-a) إضافة من مسوودة الخطط . (b) بولاق والنسخ : بها . (c) بياض بالمسوودة .

^١ انظر فيما يلي ٦٩٢ .
وكان البيمارستان السبب في إنشاء هذه المجموعة لذلك غلب اسم البيمارستان عليها .
^٢ ما تزال هذه المجموعة (المارستان والقبة والمدرسة) قائمة في شارع المغز لدين الله في مواجهة شارع بيت القاضي . وتعد من روائع العمارة المملوكية البحرية في القاهرة . وكان البدء في عمارتها في شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣هـ / ١٢٨٣م ، والفرغ منها في جمادى الأولى سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٤م ، أي أن البيمارستان والقبة والمدرسة اشتغرت بناؤها أربعة عشر شهرا ، فيوجد فوق المدخل الرئيس للمجموعة - الذي يؤدي بالداخل منه إلى - «القبة» على يمين الداخل و«المدرسة» و«البيمارستان» على يسار الداخل - كتابة تاريخية بالخط النسخ المملوكي ، نصها :
«أمر بإنشاء هذه القبة الشريفة المعظمة والمدرسة المباركة والبيمارستان المبارك مؤلانا السلطان الأعظم الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي . وكان ابتداء عمارة ذلك في ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وست مائة ، والفرغ منه في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وست =



مُخَطَّط المَدْرَسَة المَنْصُورِيَة (عن Creswell)

Hamburg 1919; Creswell, K.A.C., *MAE* II, 190-212؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١١٤-١٢٣؛ محمد سيف النصر أبو الفتوح: «مدرسة السلطان المنصور قلاوون بالتحاسين بالقاهرة - دراسة أثرية في ضوء وثيقة جديدة»، مجلة كلية الآداب - جامعة صنعاء (١٩٨٤)، ٧٧-١٢٩؛ سعاد ماهر: مساجد مصر (١٩٨٤)، ٣: ٦٩-٧٤؛ Golvin, L., *La Madrasa médiévale*, pp. 109-12؛ محمد حمزة الحداد: السلطان المنصور قلاوون ١٦٠-١٨٢؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١٢٩:٢-١٦٧.

van Berchem, M., *CIA Égypte* I, n° 86;) . مائة = *CIA*؛ Wiet, G., *RCEA* XIII, n° 4844؛ وانظر كذلك *CIA* (I, n° 82-85; *RCEA* XIII, n° 4845-53).

وراجع كذلك، ابن عبد الظاهر: تشریف الأيام ٥٥-٥٧؛ شافع بن علي: الفضل المأثور ١٦٨-١٧٠؛ النويري: نهاية الأرب ٣١: ١١٢؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٨: ٩-١١؛ المقرئزي: السلوك ١: ٧١٦؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٣٢٥؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ٢٢٦-٢٢٨ (٩٩-١٠٠)؛ Herz, M., *Die Baugruppe des Sultans Qalā'ūn in Kairo*,

هذه القبة تجاه المدرسة المنصورية، وهما جميعًا من داخل باب
القبة المنصورية المارستان المنصوري، وهي من أعظم المباني الملوكية وأجلها قدرًا وبها
قبر تضمن الملك المنصور سيف الدين قلاوون، وابنه الملك الناصر محمد بن قلاوون،
والملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن محمد بن قلاوون^١.

وبها قاعة جليلة في وسطها فسقية يصل إليها الماء من فوارة بديعة الزي، وسائر هذه القاعة
مفروش بالرخام الملون. وهذه القاعة معدة لإقامة الخدام الملوكية، الذين يعرفون اليوم في الدولة
التركية بـ « الطواشيية » واحدهم طواشي، وهذه لفظة تركية أصلها بلغتهم « طابوشي »، فتلاعبت
بها العامة وقالت: طواشي وهو الخصي^٢.

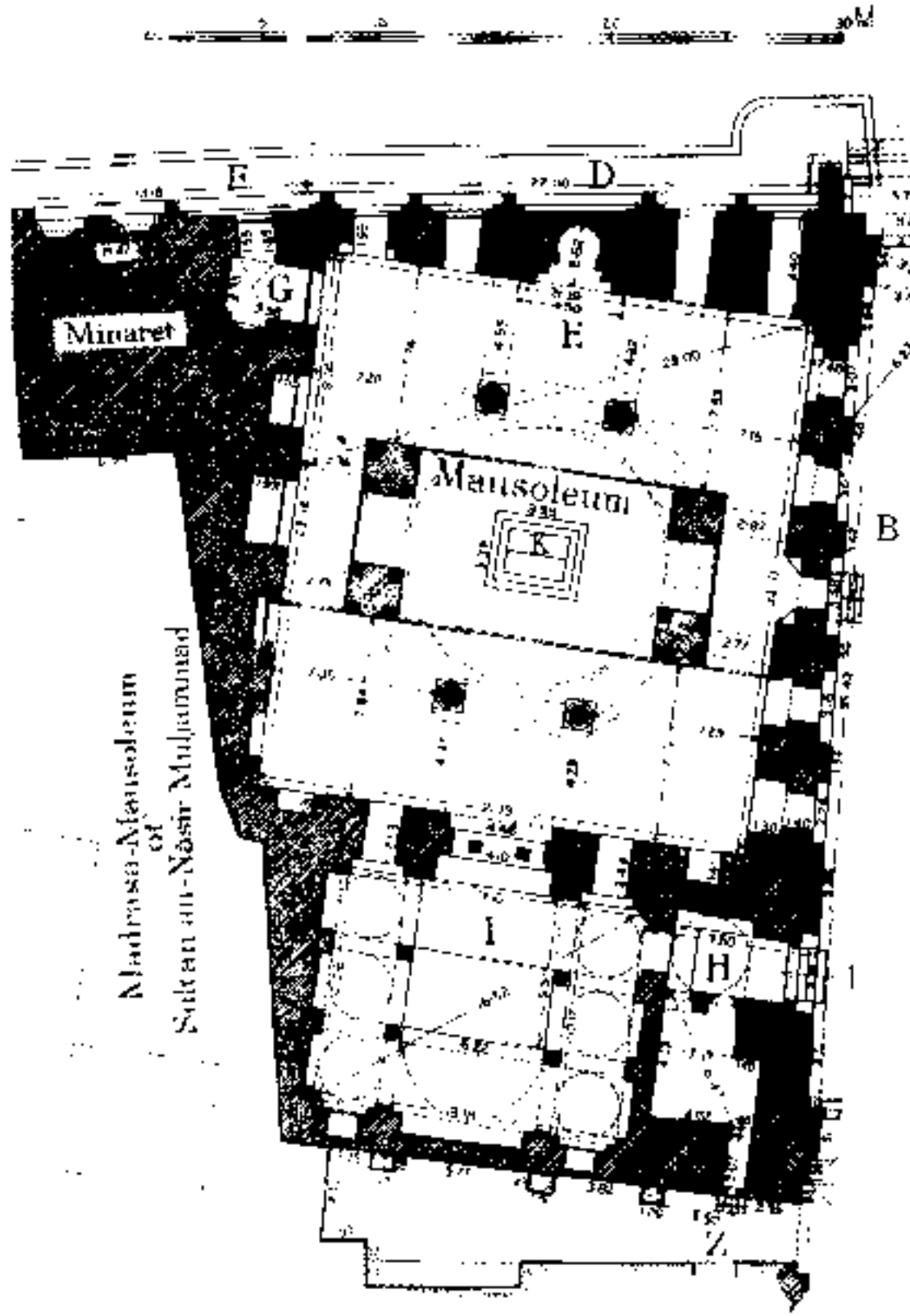
ولهؤلاء الخدام في كل يوم ما يكفيهم من الخبز النقي واللحم المطبوخ، وفي كل شهر من
المعاليم الوافرة ما فيه غنية لهم. وأدركتهم ولهم حزمة وافرة، وكلمة نافذة، وجانب مزعي،
ويعد شيخهم من أغنيان الناس يجلس على مرتبة، وبقية الخدام في مجالسهم لا يترحون في
عبادة. وكان يستقر في وظائف هذه الخدمة أكابر خدام السلطان، ويقيمون عنهم ثوابًا يواظبون
الإقامة بالقبة، ويرؤن - مع سعة أحوالهم، وكثرة أموالهم - من تمام فخرهم وكمال سيادتهم،
انتماءهم إلى خدمة القبة المنصورية، ثم تلاشى الحال بالنسبة إلى ما كان، والخدام بهذه القاعة
إلى اليوم^٣.

١ إسلامية ٣ (١٩٨٨)، ٤٧-٤٦؛ محمد حمزة الحداد:
السلطان المنصور قلاوون ١٤٠-١٥٩.

٢ انظر معنى لفظ طواشي في العصر الأموي. (فيما تقدم
١: ٢٣٢هـ)؛ وانظر كذلك الظاهري: زبدة كشف
الممالك ١٢٢.

٣ انظر كذلك فيما يلي ٧٠١: ١٢-١٦.

١ راجع عن القبة المراجع المذكورة في الهامش السابق،
وأضف إليها، Meinecke, M., «Das Mausoleum des
Qalâ'ûn in Kairo Untersuchungen zur Genese
der mamlukischen Architekterkoration»,
MDAIK 27 (1971), pp. 47-80
«دراسة جديدة على ضريح المنصور قلاوون بالنحاسين
(٦٨٣-٦٨٤هـ/١٢٨٤-١٢٨٥م)»، دراسات آثارية



مُخَطَّط القُبَّة المنصورية (عن Creswell)

وقصد الملوك بإقامة الخدام في هذه القاعة ، التي يتوصل إلى القبة منها ، إقامة ناموس الملك بعد الموت كما كان في مدة الحياة ، وهم إلى اليوم لا يمكنون أحدا من الدخول إلى القبة إلا من كان من أهلها .

ولله در يحيى بن حكم البكري الجباني المغربي - الملقب بالغزال لجماله - حيث يقول :

[الوافر]

أرى أهل الثراء إذا توفوا بنوا تلك المقابر بالصخور
أبوا إلا مباحة وتيها على الفقراء حتى في القبور

وفي هذه القبة دروس للفقهاء على المذاهب الأربعة ، وتعرف بدروس وقف الصالح . وذلك أن الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن محمد بن قلاوون قصد عمارة مدرسة ، فاخترته المنيئة دون بلوغ غرضه . فقام الأمير أزغون العلاني ، زوج أمه ، في وقف قرية تعرف بدهمشا الحمام من الأعمال الشرقية ، عن أم الملك الصالح . فأثبتته بطريق الوكالة عنها ، ورث ما كان الملك الصالح

إسماعيل قرّزه في حياته لو أنشأ مدرسةً ، وجعل ذلك الأمير أزغون مرتباً لمن يقوم به في القبة المنصورية . وهو وقفٌ جليلٌ يتحصّل منه في كل سنة نحو الأربعة آلاف دينار ذهباً . ثم لما كانت الحوادثُ وخربت الناحيةُ المذكورة ، تلاشى أمرُ وقفِ الصّالح وفيه إلى اليوم بقية . وكان لا يلي تدريسُ دُرُوسِهِ إِلَّا قُضَاةُ الْقُضَاةِ ، فوليه الآن الصّبيانُ ومن لا يُؤهل - لو كانت الإنصافُ - له .

وفي هذه القبة أيضاً قراءٌ يتناوبون القراءة بالشّبايك المطلة على الشارع طول الليل والنهار ، وهم من جهة ثلاثة أوقاف : فطائفة من جهة وقف الملك الصّالح إسماعيل ، وطائفة من جهة الوقف السّيفي وهو منسوبٌ إلى الملك المنصور سيف الدين أبي بكر ابن الملك الناصر محمد ابن قلاوون^١ .

وبهذه القبة إمامٌ راتبٌ يُصلي بالخدّام والقراء وغيرهم الصلوات الخمس ، ويُفتح له بابٌ فيما بين القبة والحجّراب يدخل منه من يصلي من الناس ، ثم يُغلق بعد انقضاء الصلاة . وبهذه القبة خزانةٌ جليّةٌ ، كان فيها عدّة أحمالٍ من الكُتب في أنواع العلوم ممّا وقفه الملك المنصور وغيره ، وقد ذهب معظمُ هذه الكُتب ، وتفرّق في أيدي الناس^٢ .

وفي هذه القبة خزانةٌ بها ثيابُ الملوك^٣ المقبورين بها ، ولهم قرّاشٌ معلومٌ بمعلومٍ لتعهدهم ، ويوضع ما يتحصّل من مالٍ أوقافٍ المارستان بهذه القبة تحت أيدي الخدّام .

وكانت العادةُ أنّه إذا أمر السلطانُ أحداً من أمراء مصر والشّام ، فإنّه ينزل من قلعة الجبل وعليه الشّريفُ والشّربوشُ ، وتوقد له القاهرةُ ، فيمرُّ إلى المدرسة الصّالحية بين القصرين ، وعمل ذلك

(a) ساقطة من بولاق . (b-b) إضافة من المسوّدق.

^١ ولم يذكر المقرئ وجه الوقف الثالث .
^٢ وصف النويري - قبل المقرئ بنحو مائة عام - هذه الخزانة وكتبها بقوله : «وبخزانة كتبها من الختمات الشريفة والزبعت المنسوبة الخط وكُتب التفسير والحديث والفقّه واللغة والطب والأديب ودواوين الشعراء شيء كثير» ، كما رُتّب لخازن كتبها في كل شهر أربعون يوماً . (نهاية الأرب (١١١:٣١) .

ووصل إلينا من بين كتب هذه الخزانة ، الجزء الأول من كتاب «أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها وأيامها» للوزير الحسين بن علي ابن الحسين المغربي الكاتب ، المتوفى سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م ، وهذه النسخة محفوظة الآن في المكتبة العامة بمدينة بورصة التركية ، وجاء على ظهرتها : «هذا الكتاب من الكتب الموقوفة المخزونة في خزانة القبة المنصورية بمصر المحروسة =

من عهد سلطنة الميرز أيتك ومن بعده . فتقيل ذلك (b) في دولة بني قلاوون (b) إلى القبة المنصورية ، وصار الأمير يخلف عند القبر المذكور ويحضر تحليفه / حاجب (a) الحجاب ، وتمد أسبطة جليلة بهذه القبة ، ثم يتصرف الأمير ، ويجلس له في طول شارع القاهرة إلى القلعة المغاني (b) لتزفه في نزوله وضغوده . وكان هذا من جملة متنزهات القاهرة ، وقد بطل ذلك منذ انقضت دولة بني قلاوون .

ومن جملة أخبار هذه القبة أنه لما كان في يوم الخميس مستهل المحرم سنة تسعين وست مائة ، بعث الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون بجملة مال تصدق به في هذه القبة ، ثم أمر بنقل آية من القلعة . فخرج سائر الأمراء ونائب السلطنة الأمير بيدرا بدر الدين ، والوزير صاحب شمس الدين محمد بن السلغوس التنوخي وحضروا بعد صلاة العشاء الآخرة ، ومشوا بأجمعهم قدام تابوت الملك المنصور إلى الجامع الأزهر ، فوجدوا (c) القضاة ومشايخ الصوفية (d) والقراء قد اجتمعوا لذلك (d) . فتقدم قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد وصلى على الجنازة ، وخرج الجميع أمامها إلى القبة المنصورية حتى دُفن فيها ، وذلك في ليلة الجمعة ثاني المحرم ، وقيل عاشره . ثم عاد الوزير والنائب من الدهليز خارج القاهرة إلى القبة المنصورية لعمل مجتمع بسبب قراءة ختم شريفة (e) (d) عند قبر الملك المنصور (d) في ليلة الجمعة ثامن عشرين صفر منها ، وحضر المشايخ والقراء والقضاة في جمع مؤفور ، وفرق في الفقراء صدقات جزيلة ، ومدت أسبطة كثيرة ، وتفركت الناس أطعمتها حتى امتلأت الأيدي بها ، وكانت إحدى الليالي الغر كثر الدعاء فيها للسلطان وعساكر الإسلام بالنصر على أعداء الملة ، وحضر الملك الأشرف بكرة يوم الجمعة إلى القبة المنصورية ، وفرق مالا كثيرا .

وكان الملك الأشرف قد برز يريد المسير لجهاد الفرنج وأخذ مدينة عكا ، فسار لذلك وعاد في

(a) بولاق : صاحب . (b) بولاق : أهل الأغاني . (c) بولاق : فحضر فيه . (d-d) إضافة من المستودة . (e) بولاق : كريمة .

= للملك المنصور قلاوون رحمه الله سبحانه ... ؛ وقطعة من كتاب «جمهرة نسب قریش» للزبير بن بكار محفوظة في مكتبة كوبريلي بإستانبول برقم ١١٤١ كتب في أعلى ظهرتها فوق عنوان الكتاب : «وقف لله سبحانه ومقره

بالقبة المنصورية» . (أمين فؤاد : الكتاب العربي المخطوط ٢٤٩-٢٥٠) .
 العيني : عقد الجمان ٣ : ٥١ ، ٥٢ .

تَكَرَّرَ أَثْنَاءَ الطَّبْعِ السَّطْرُ الْأَوَّلُ فِي صَفْحَةِ ٥٢٤ فِي آخِرِ صَفْحَةِ ٥٢٣ مِمَّا أَدَّى
إِلَى ضِيَاعِ السَّطْرِ الْأَوَّلِ فِي صَفْحَةِ ٥٢٣ ، وَهُوَ :
العشرين من شعبان - وقد فَتَحَ اللهُ لَهُ مَدِينَةَ عَمَّا عَنَوَةَ بِالسَّيْفِ ، وَخَرَّبَ
أَسْوَارَهَا - وَكَانَ عُبُورُهُ

١١:٨٤٢ وَأَمْتَعَ أَمِيرٌ^(b) الْمُؤْمِنِينَ

إلى القاهرة من باب النضر وقد زينت القاهرة زينة عظيمة^١. فعندما حاذي باب المارستان نزل إلى القبة المنصورية - وقد غصت بالقضاة والأعيان والقراء والمشايخ والفقهاء - فتلقوه كلهم بالدعاء حتى جلس فأخذ القراء في القراءة، وقام نجم الدين محمد بن فتح الدين محمد بن عبد الله ابن مهلهل بن غياث بن نضر - المعروف بابن العنبري الواعظ^٢ - وصعد منبراً نصب له فجلس عليه، وافتتح ينشد قصيدة تشتمل على ذكر الجهاد وما فيه من الأجر، فلم يسعد فيها بحظ، وذلك أنه

افتتحها بقوله :

[الكامل]

رُزِّ وَالِدَيْكَ وَقَفَّ عَلَى قَبْرَيْهِمَا فَكَأَنِّي بِكَ قَدْ نُقِلْتُ إِلَيْهِمَا

- (a) وكان السلطان عنده ذكاء وفهم لمعاني الشعر^a، فعندما سمع الأشرف هذا البيت تطير منه، ونهض قائماً وهو يتسبب الأمير بيدرا نائب السلطنة لشدة حنقه، وقال له (b): ما وجد هذا شيئاً يقوله سوى هذا البيت! فأخذ بيدرا في تسكين حنقه والاعتذار له عن ابن العنبري بأنه قد انفرد في هذا الوقت بحسن الوعظ، ولا نظير له فيه، إلا أنه لم يُرزق سعادة في هذا الوقت^١. فلم يضع السلطان إلى قوله وسار، فانفض المجلس على غير شيء، وصعد السلطان إلى قلعة الجبل.
- ثم بعد أيام سأل السلطان عن وقف المارستان، وأحب أن يجد له وقفاً من بلاد عكا التي افتتحها بسيفه، فاستدعى السلطان^b القضاة، وشاورهم فيما هم به من ذلك. فرغبوه فيه، وحثوه على المبادرة إليه. فعين أربع ضياع من ضياع عكا وصور ليقفها على مصالح المدرسة والقبة المنصورية، وما تحتاج إليه من ثمن زيت وشمع ومصايح وبسط وكلفة الشاقية، وعلى خمسين مقرناً يرتبون لقراءة القرآن الكريم بالقبة، وإمام راتب يصلي بالناس الصلوات الخمس في مخراب القبة، وستة خدام يقيمون بالقبة، وهي: الكابرة، وتل الشيوخ، وكردانة وضواحيها من عكا، ومن ساحل صور معركة وصدفنين - وكتب بذلك كتاب وقف، وجعل النظر في ذلك
- لوزيره الصاحب شمس الدين محمد بن السلحومس.

(a-a) إضافة من المسودة. (b) ساقطة من بولاق.

^١ المقرزي: السلوك ١: ٧٦٤؛ العيني: عقد الجمان ٥٦٣-٥٦٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٥.

^٢ حاشية بخط المؤلف: «ابن العنبري هذا أخذ الوعظ سادس شعبان سنة تسع وسبع مائة».

لوزيره الصّاحب شمس الدّين محمد بن السّلعوس .

فلما تمّ ذلك ، تقدّم بعمل مُجتمَع بالقُبّة لقراءة ختمة شريفة ، وذلك ليلة الاثنين رابع ذي القعدة سنة تسعين وست مائة . فاجتمع القراء والوعاظ والمشايخ والفقهاء والقضاة لذلك ، وتخلع على عامّة أرباب الوظائف والوعاظ ، وفُرقت في النَّاسِ صدقات جمة . وعمل مهمّ عظيم احتفل فيه الوزير احتفالاً زائداً ، وبات الأمير بدر الدّين بيّدرًا نائب السّلطنة والأمير الوزير شمس الدّين محمد بن السّلعوس بالقبّة . وحضّر السّلطان ومعه الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد وعليه سواده ، فخطب الخليفة خطبة بليغة حرّض فيها على أخذ العراق من التتار . فلما فرغ من المهمّ ، أفاض السّلطان على الوزير تشريفًا سنيًا . وفي يوم الخميس حادي عشر ربيع الأوّل سنة إحدى وتسعين وست مائة ، اجتمع القراء والوعاظ والفقهاء والأعيان بالقبّة المنصورية لقراءة ختمة شريفة ، ونزل السّلطان الملك الأشرف وتصدّق بمال كثير^١ .

وأخِر من نزل إلى القبّة المنصورية من ملوك بني قلاوون ، السّلطان الملك الناصر حسن ابن محمد بن قلاوون في سنة إحدى وستين وسبع مائة ، وحضّر عنده بالقبّة مشايخ العِلْم ، وبحثوا في العِلْم ، وزار قبر أبيه وجدّه ، ثم خرج فنظر في أمر المرّضى بالمارستان ، وتوجّه إلى قلعة الجبل^٢ .

المدرسة الناصرية

[أثر رقم ٤٤]

هذه المدرسة بجوار القبّة المنصورية من شرفها^٣ ، كان موضعها حمامًا ، فأمر السّلطان الملك العادل زين الدّين كئبغا المنصوري بإنشاء مدرسة موضعها فابتدى في عملها ووضع أساسها ،

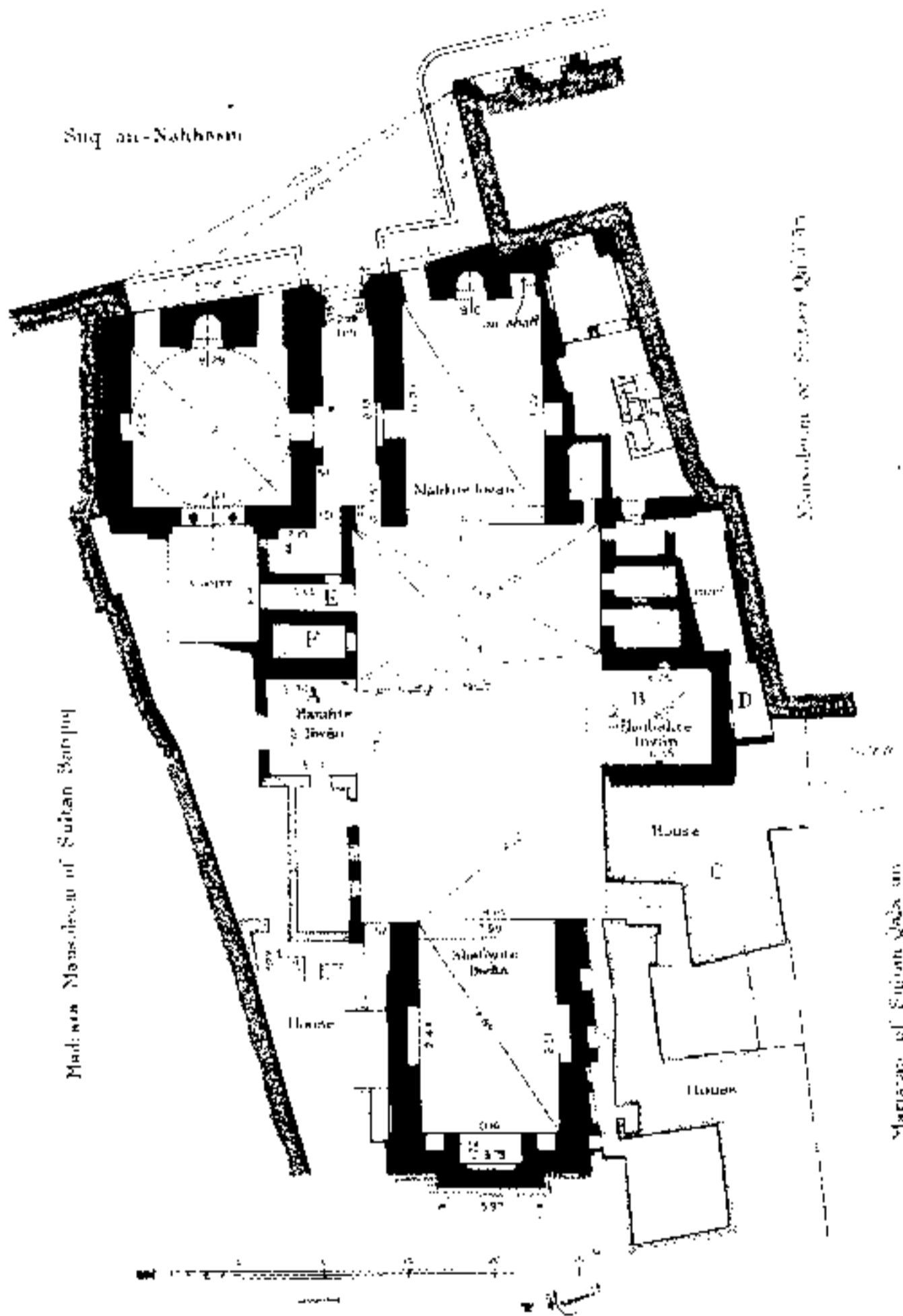
(راجع ، النويري : نهاية الأرب ٣٢ : ٦٠-٧٤ (حيث ذكر ملخص ما تضمّنه كتاب وقف المدرسة) ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٦٧ ؛ المقرئزي : السلوك ١ : ٩٥١ ؛ العيني : عقد الجمان ٤ : ٢٩٧-٢٩٩ ؛ أبا الحسن : النجوم الزاهرة ٨ : ٢٠٨ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٢ : ٨٩ (١٣) ، Herz, M., «La mosquée (madrasah) de sultan Muhammad al-Nasser», *CR de comitié XVIII (1901)*, pp. 148-49; Creswell, K.A.C., *MAE II*, pp. 234-39

^١ المقرئزي : السلوك ١ : ٧٧٧ .

^٢ نفسه ٣ : ٥٢ .

^٣ لا تزال المدرسة الناصرية موجودة إلى الآن في شارع المعز لدين الله بين القبّة المنصورية والمدرسة الظاهرية برفوق ، تحتفظ بيواتها الرخامية ذات الطراز القوطي (انظر الصورة) ، ومعذنتها القائمة فوق مدخلها المغشاة بالزخارف الجصية (انظر الصورة) . أمّا مبنى المدرسة نفسه فلم يتبق منه إلا الإيوان الشرقي بمحرابه الجصي النادر ، والإيوان الغربي .

وارْتَفَع بناؤها عن الأرض إلى نحو الطراز المذَّهَّب الذي بظاهيرها، فكان من تحْلِيه ما كان ٣. فلمَّا عاد السُّلطانُ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قلاوون إلى مملكة مصر (a) في المرَّة الثانية^a في سنة ثمانٍ وتسعين وست مائة أمرَ بِإتمامها، فكَمَلت في سنة ثلاثٍ وسبع مائة ٢.



مُحَطَّط مَدْرَسَةُ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ (عن Creswell)

(a-a) إضافة من المُتَوَدِّعِ.

International d'Archéologie islamique, R.P. Gayraud (ed.), Le Caire IFAO 1998, pp. 423-426؛ عاصم محمد رزق: *أطلس العمارة الإسلامية* ٢: ٢٣٣-٢٥١.

^١ المقريري: السلوك ١: ٩٥١-٩٥٢.

^٢ يَدُلُّ على ذلك لَوْحٌ من الرُّخام على أُسْكُفَّةِ الباب =

ماهر: مساجد مصر ٣: ١١٧-١٣٠؛ علي محمود سليمان المليجي: عمائر الناصر محمد الدينية في مصر، رسالة ماجستير بكلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٧٥؛ Golvin, L., *La Madrasa médiévale*, pp. 113-16; Speiser, Ph., «Recherches archéologiques dans le Caire fatimide: Les éléments d'un Puzzle», *Colloque*

وهي من أجل مباني القاهرة ، وبابها من أعجب ما عملته أيدي بني آدم ، فإنه ^(a) قِطْعَةٌ واحدة^a من الرخام الأبيض البديع الزي الفائق الصنعة ، ونُقِلَ إلى القاهرة من مدينة عكا . وذلك أن الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، لما فتح عكا عنوة في سابع عشر جمادى الأولى سنة تسعين وست مائة ، أقام الأمير عَلم الدين سنجر الشجاعى لهدم أسوارها وتخریب كنائسها . فوجد هذه البوابة على باب كنيسة من كنائس عكا ، وهي من رخام ، قواعدها وأعضاؤها وعمودها ، كل ذلك مُتَّصِلٌ ببعضه ببعض ، فحمل الجميع إلى القاهرة ، وأقام عنده إلى أن قتل الملك الأشرف^١ . وتمادى الحال على هذا أيام سلطنة الملك الناصر محمد الأولى ، فلما خلع وتملك كتبغا أخذ دار الأمير سيف الدين بلبان الرشيدي ليعملها مدرسة ، فدل على هذه البوابة ، فأخذها من ورثة الأمير بيدرا - فإنها كانت قد انتقلت إليه - وعملها كتبغا على باب هذه المدرسة .

فلما خلع من الملك ، وأقيم الناصر محمد ، اشترى هذه المدرسة قبل إتمامها والإشهاد بوقفها ، وولي شراؤها وصيه قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكي ، وأنشأ بجوار هذه المدرسة من داخل بابها قبة جليظة ، لكنها دون قبة أبيه ، ولما كملت نقل إليها أمه بنت سكبای ابن قراجين^٢ .

ووقف على هذه المدرسة قيسارية أمير علي بخط الشرايشيين من القاهرة^٣ ، والرَّبع الذي يغلوها - وكان يُعرف بالدهيشة - ووقف عليها أيضا حوانيت بخط باب الزهومة من

(a-a) إضافة من المسوِّدة .

وما تم في سنة ١٣٠٣/٧٠٣ م هو ترميم معذنة المدرسة المنصورية -الذي تأثر بزلزال سنة ١٣٠٢/٧٠٢ م .

(راجع ، van Berchem, M., *CIA Égypte I*, n° (88-91; Wiet, G., *RCEA XIII*, n° 5160-62, 66 .

^١ المقريري: السلوك ١: ٩٥١؛ العيني: عقد الجمان ٣: ٦٣ .

^٢ وكانت مدفونة في الثوبة المجاورة للمشهد الحسيني . (نفسه ١: ٩٥١؛ نفسه ٤: ٢٩٨؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٢٠٨) .

^٣ انظر عنها فيما تقدم ٣: ٢٨٨ .

= الخارجي للمدرسة عليه سطران من السبخ المملوكي ،
نصهما :

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَمَرَ بِإِنشَاءِ هَذِهِ الْقُبَّةِ الشَّرِيفَةِ
وَالْمَدْرَسَةِ الْمُبَارَكَةِ السُّلْطَانِ الْأَجَلِّ الْمَلِكِ النَّاصِرِ نَاصِرِ الدُّنْيَا
وَالدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ سَيْفِ الدِّينِ
قَلَاوُونَ الصَّالِحِي ، قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ وَنَوَّرَ صَرِيحَهُ ، وَذَلِكَ
فِي شَهْرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ .» (van
Berchem, M., *CIA Égypte I*, n° 109; Wiet, G.,
RCEA XIII, n° 5059 .

القاهرة، ودار الطعم خارج مدينة دمشق^١.

فلما مات ابنه أنوك، من الخائون طغاي، في يوم الجمعة سابع عشر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وسبع مائة وعمره ثمانين سنة، دفنه بهذه القبة، وعمل عليها وقفًا يختص بها. وهو باقٍ إلى اليوم يُصْرَفُ لِقْرَاءٍ وغير ذلك.

وأول من رُتِبَ في تَدْرِيسِ الْمَدْرَسَةِ النَّاصِرِيَّةِ مِنَ الْمُدْرَسِينَ قَاضِي الْقَضَاةِ زَيْنُ الدِّينِ عَلِيِّ ابْنِ مَخْلُوفِ الْمَالِكِيِّ^٢ لِيُدْرَسَ فِيهِ الْمَالِكِيَّةُ بِالْإِيوَانِ الْكَبِيرِ الْقِبْلِيِّ، وَقَاضِي الْقَضَاةِ شَرْفُ الدِّينِ عَبْدِ الْغَنِيِّ الْحَرَائِيِّ^٣ لِيُدْرَسَ فِيهِ الْحَنَابِلَةُ بِالْإِيوَانِ الْغَرْبِيِّ، وَقَاضِي الْقَضَاةِ أَحْمَدُ بْنُ السَّرُوجِيِّ الْحَنْفِيِّ لِيُدْرَسَ فِيهِ الْحَنْفِيَّةُ بِالْإِيوَانِ الشَّرْقِيِّ، وَالشَّيْخُ صَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُرْحَلِ - الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْوَكِيلِ - الشَّافِعِيُّ لِيُدْرَسَ فِيهِ الشَّافِعِيَّةُ بِالْإِيوَانِ الْبَحْرِيِّ. وَقَرَّرَ عِنْدَ كُلِّ مُدْرَسٍ مِنْهُمْ عِدَّةٌ مِنَ الطَّلَبَةِ وَأَجْرَى عَلَيْهِمُ الْمَعَالِيمَ، وَرَتَّبَ بِهَا إِمَامًا يُؤَمُّ بِالنَّاسِ فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَجَعَلَ بِهَا خِزَانَةً كُتِبَ جَلِيلَةً.

وَأَدْرَكَتْ هَذِهِ الْمَدْرَسَةُ وَهِيَ مُحْتَرَمَةٌ إِلَى الْغَايَةِ يَجْلِسُ بِدَهْلِيْزِهَا عِدَّةٌ مِنَ الطَّوَائِفِ، وَلَا يُمَكِّنُ غَرِيبٌ أَنْ يَضَعَدَ إِلَيْهَا. وَكَانَ يُفْرَقُ بِهَا عَلَى الطَّلَبَةِ وَالْقُرَاءِ وَسَائِرِ أَرْبَابِ الْوِزَائِفِ بِهَا الشُّكْرُ فِي كُلِّ شَهْرٍ، لِكُلِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ نَصِيبٌ، وَيُفْرَقُ عَلَيْهِمْ لِحُومِ الْأَضَاحِيِّ فِي كُلِّ سَنَةٍ. وَقَدْ بَطُلَ ذَلِكَ، وَذَهَبَ مَا كَانَ لَهَا مِنَ النَّامُوسِ، وَهِيَ الْيَوْمَ عَامِرَةٌ مِنْ أَجْلِ الْمَدَارِسِ.

^١ المقرئزي: السلوك ١: ٩٥١-٩٥٢ حيث فصل الحديث عنها وهي بالإضافة إلى ما ذكر هنا: الحقام المعروفة بالقاهرة بجوار المدرسة الشيفية ودار أم السلطان وحماما الشيخ خضر بظاهر القاهرة بخط بُشتان ابن صيرم والجامع الظاهري.

^٢ زَيْنُ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ مَخْلُوفِ بْنِ شَاهِينَ بْنِ مُسْلِمِ النُّوَيْرِيِّ الْمَالِكِيِّ، الْمَتَوَفَى سَنَةَ ٧١٨هـ/١٣١٨م. (الصفدي: أعيان العصر ٣: ٥٤٣-٥٤٥، الوافي بالوفيات ٢٢: ١٨٩-١٩٠؛ المقرئزي: السلوك ٢: ١٨٨؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٣: ٢٠٢، رفع الإصر ٢٨٠-٢٨١؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٤٢؛ المنهل الصافي ٨: ٢١٤).

^٣ شَرْفُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدِ عَبْدِ الْغَنِيِّ بْنِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ

الْحَرَائِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، الْمَتَوَفَى سَنَةَ ٧٠٩هـ/١٣٠٩م. (المقرئزي: السلوك ٢: ١٨٤؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٤٩٨-٤٩٩؛ رفع الإصر ٢٥٠-٢٥١؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٢٢٨، المنهل الصافي ٧: ٣١٨-٣١٩).

^٤ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْغَنِيِّ ابْنِ أَبِي إِسْحَاقِ السَّرُوجِيِّ الْحَنْفِيِّ، الْمَتَوَفَى سَنَةَ ٧١٠هـ/١٣١٠م. (ابن حبيب: تذكرة النبيه ٢: ٣٢؛ القرشي: الجواهر المضية ١: ١٢٣-١٢٩؛ المقرئزي: المقفى الكبير ١: ٣٤٨-٣٥٠؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٩٦-٩٧، رفع الإصر ٤١-٤٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢١٢، المنهل الصافي ١: ٢٠١-٢٠٦؛ الغزي: الطبقات السنوية ١: ٢٨٤-٢٨٦).

المدرسة الحجازية

[أثر رقم ٣٦]

هذه المدرسة برحبة باب العيد من القاهرة، بجوار قصر الحجازية، كان موضعها بابًا من أبواب القصر يُعرف بباب الزمرد^١. أنشأتها الست الجليلة الكبرى خوند تتر الحجازية ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، زوجة الأمير ملكتمر الحجازي^٢، وبه عُرفت. وجعلت بهذه المدرسة درسًا للفقهاء الشافعية قررت فيه شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين عمر ابن رسلان البلقيني^٣، ودرسًا للفقهاء المالكية، وجعلت بها منبرًا يُخطب عليه يوم الجمعة^٤، ورُتبت لها إمامًا راتبًا يقيم بالناس الصلوات الخمس، وجعلت بها خزانة كُتب. وأنشأت بجوارها قبة من داخلها تُدفن تحتها، ورُتبت بشباك هذه القبة عدّة قراء يتناوبون قراءة القرآن الكريم ليلاً ونهارًا، وأنشأت بها منارًا عاليًا من حجارة ليؤذن عليه. وجعلت بجوار المدرسة

^٢ الأمير سيف الدين ملكتمر بن عبد الله الحجازي زوج خوند تتر الحجازية، توفي قتيلاً في تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٨م. (ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ٩٨-٩٩؛ المقرئ: السلوك ٢: ٧٥٥؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٨٤؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٥: ١٢٧).

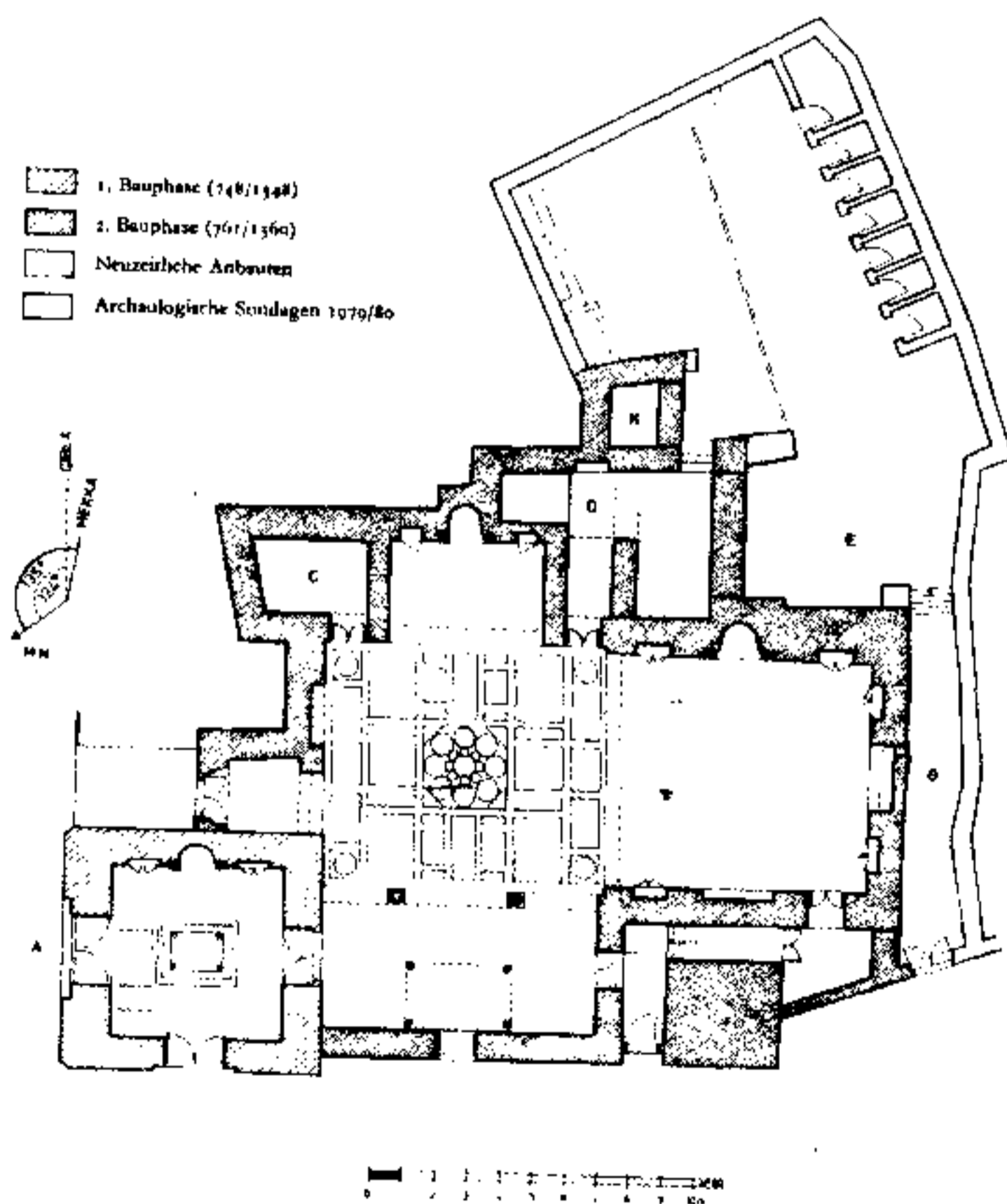
^٣ تزوج المقرئ لشيخه شيخ الإسلام سراج الدين عمر ابن رسلان البلقيني، المتوفى سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م، وقال: وهو أجل من أخذت عنه العلم وسمعت عليه الحديث، مع اختصاصي به، رحمه الله ورضي عنه. (درر العقود الفريدة ٢: ٤٣١-٤٣٦ وعلى الأخص ص ٤٣٤، السلوك ٣: ١١٠٨؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٢: ٢٤٥-٢٤٧؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٣: ٢٩-٣٠، المنهل الصافي ٨: ٢٨٥-٢٨٨؛ السخاوي: الضوء اللامع ٦: ١٠٠-١٠٥).

^٤ انظر عن هذا المنبر دراسة نعمت محمد أبو بكر: «منبر جامع الست تتر الحجازية»، دراسات أثرية إسلامية ١ (١٩٨٧)، ١٤٣-١٦٩.

^١ انظر فيما تقدم ٢: ٣٤٤، ٤٢٩، ٣: ٢٣١-٢٣٢. ولا تزال المدرسة الحجازية قائمة إلى الآن وتعرف بـ«جامع الحجازية» بتطقة القفاصين من شارع حبس الرخبة بقسم الجمالية. (رجع، المقرئ: السلوك ٢: ٧٤٨؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٣٨؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ١٢، ٦: ٦٦-٦٧؛ «Un collège féminin dans l'Égypte mamluke», *JEA* (1978), pp. 15-25؛ وعن أعمال الترميم التي تمت بالمدرسة بين سنتي ١٩٧٩-١٩٨٠ انظر، Speiser, Ph., «Restaurierungsarbeiten in der islamischen Kairo», *MDAIK* 38 (1982), pp. 365-73, id., «Recherches archéologiques dans le Caire fatimide: Les éléments d'un Puzzle», *Colloque International d'Archéologie islamique*, R.-P. Gayraud (ed.), La Caire - IFAO 1998, pp. 420-23; Gayraud, R.-P., «Céramique trouvées lors de la restauration de la madrasa Tatar al-Higaziyya (Le Caire), *An. Isl.*, XXII (1986), pp. 35-49؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ١١٨٣-١٢١٧).

مَكْتَبًا لِلسَّبِيل ، فِيهِ عِدَّةٌ مِنْ أَيْتَامِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَهُمْ مُؤَدَّبٌ يَعْلَمُهُمُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ، وَيَجْرِي عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ لِكُلِّ مِنْهُمْ أَرْغِفَةٌ مِنَ الْخُبْزِ النَّقِيِّ وَمَبْلَغٌ مِنَ الْقُلُوسِ ، وَيُقَامُ لِكُلِّ مِنْهُمْ بِكُسُوتَيِ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . وَجَعَلَتْ عَلَى هَذِهِ الْجِهَاتِ عِدَّةٌ أَوْقَافٍ جَلِيلَةٍ يُصْرَفُ مِنْهَا لِأَرْبَابِ الْوِظَائِفِ الْمَعَالِيمِ السَّنِيَّةِ . وَكَانَ يُفَرَّقُ فِيهِمْ كُلَّ سَنَةٍ ، أَيَّامَ عِيدِ الْفِطْرِ ، الْكَعْكَ وَالْحُشْكَنَانِكِ ، وَفِي عِيدِ الْأُضْحَى اللَّحْمَ ، وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ يُطَبَخُ لَهُمُ الطَّعَامُ . وَقَدْ بَطَلَ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَبْقَ غَيْرَ الْمَعْلُومِ فِي كُلِّ شَهْرٍ .

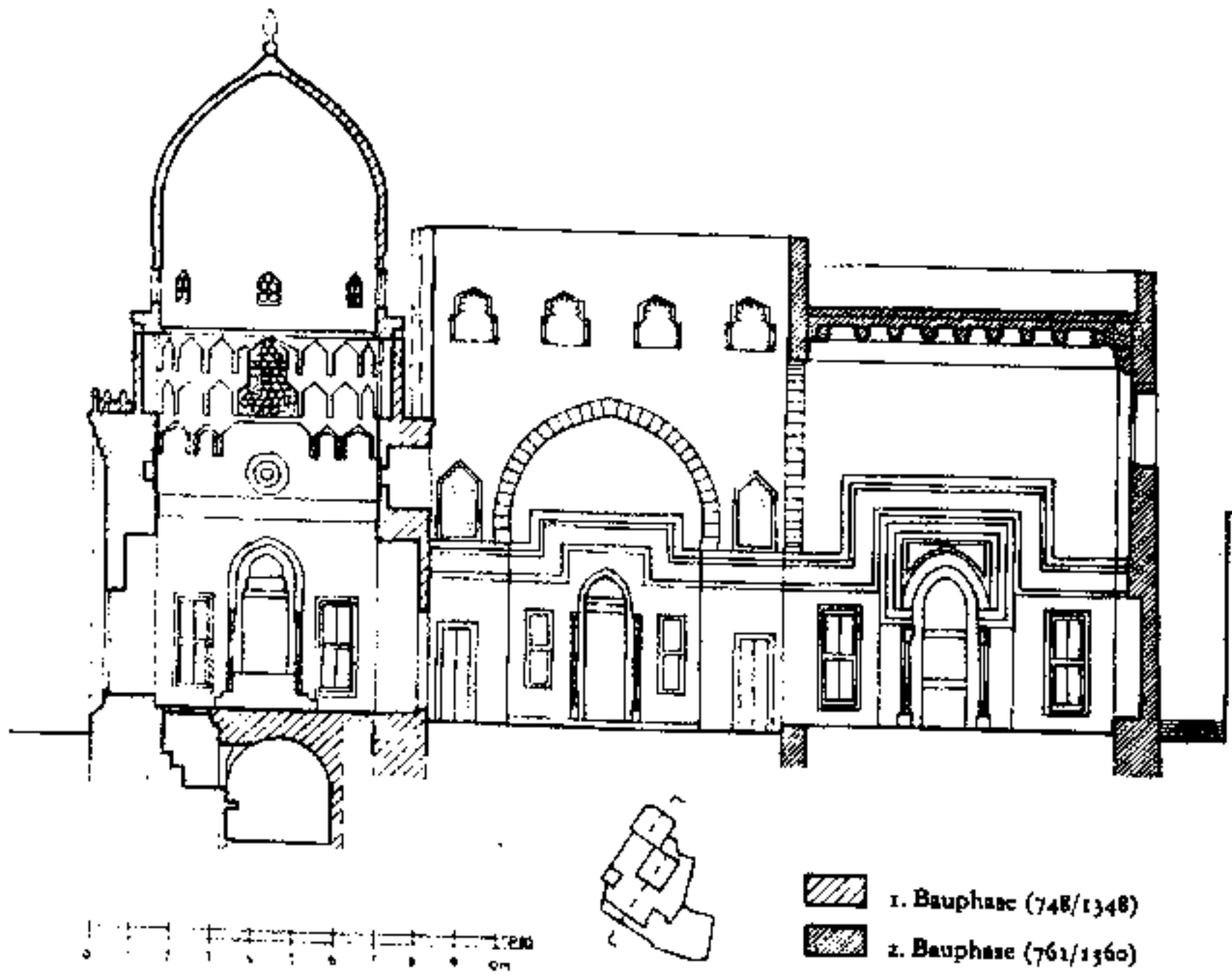
وهي من المدارس الكنيسة ، وعهدي بها محترمة إلى الغاية ، / يجلس بها عدة من الطواشيعة ، ولا يمكنون أحدًا من عبور القبعة التي فيها قبر خوند الحجازية إلا القراء فقط وقت قراءتهم خاصة . واتفق مرة أن شخصًا من القراء كان في نفسه شيء من أحد رفقائه ، فأتى إلى كبير الطواشيعة بهذه القبعة ، وقال له : إن فلانًا دخل اليوم إلى القبعة وهو بغير سراويل . فعضبت الطواشيعة من هذا القول ، وعد ذلك ذنبًا عظيمًا وفعلاً مخدورًا ، وطلب ذلك المقرئ ، وأمر به فضرب بين يديه ، وصار يقول له : تدخل على خوند بغير سراويل ! وهم بإخراجه من وظيفة القراءة لولا ما حصل من شفاعة الناس فيه .



مُحَطَّط الْمَدْرَسَةِ الْحِجَازِيَّةِ (عَنْ Ph. Speiser)

وكان لا يلي نظر هذه المدرسة إلا الأمراء الأكابر، ثم صار يليها الخدام وغيرهم. وكان إنشاؤها في سنة إحدى وستين وسبع مائة^١.

ولما ولي الأمير جمال الدين يوسف البجاسي وظيفة أستاذية السلطان الملك الناصر فرج ابن برفوق، وعمّر بجانب هذه المدرسة داره ثم مدرسته، صار يحبس في المدرسة الحجازية من يُصادره أو يُعاقبه، حتى امتلأت بالمسجونين والأعوان المرسمين عليهم، فزالت تلك الأبهة وذهب ذلك التأموس. واقتدى بجمال الدين من سكن بعده من الأستادارية في داره، وجعلوا هذه المدرسة سجنًا، ومع ذلك فهي من أبهج مدارس القاهرة إلى الآن.



مخطط رأسي للمدرسة الحجازية (عن Ph. Speiser)

المرحوم الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى
تعمدهم الله برحمته. وكان الفراغ من ذلك سلخ شهر
رمضان سنة إحدى وستين وسبع مائة للهجرة النبوية
عليه أفضل الصلاة والسلام والرحمة. (van
Berchem, M., *CIA Égypte I*, n° 165; Wiet,
- (G., *RCEA XVI*, n° 6332

^١ يدل على ذلك لوح من الرخام على مدخل المدرسة به
خمسة أسطر بالخط الشنخ المملوكي نصها:
«بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بإنشاء هذه المدرسة
الباركة من فضل الله وجزيل نعمته طالبة لرضوانه الأدر
المصونة تتر نخاتون الحجازية كريمة المقام الشريف الملكي
الناصرى ناصر الدنيا والدين حسن بن السلطان الشهيد

المدرسة الطيبرية

[أثر رقم ٩٧]

هذه المدرسة بجوار الجامع الأزهر من القاهرة، وهي عزيبه مما يلي الجهة البحرية^(a). أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس الخازنداري نقيب الجيوش كان^(b)، وجعلها مسجدًا لله تعالى زيادةً في الجامع الأزهر^(c) على ما رأته في كتاب وقفيها^(c). وقرّر بها درسًا للشافعية^(d)، وأنشأ بجوارها مئذنة^(e) والفسيحة التي داخل المقصورة الخشب محل بابها^(c) وحوض ماء سبيل ترده الدواب^١.

وتأثّق في رخامها وتذهيب سُقوفها، حتى جاءت في أبدع زبي وأحسن قالب وأبهج ترتيب، لما فيها من إتقان العمل وجودة الصناعة، بحيث إنه لم يقدر أحد على محاكاة ما فيها من صناعة الرخام، فإن جميعه أشكال المحاريب^٢، وتلعت النقطة عليها جملة كثيرة، وانتهت عمارتها

(a) في المئذنة: من بحريه مما يلي الغربي. (b) كان، إضافة من المئذنة. (c-c) إضافة من المئذنة. (d) بولاق: للفقهاء الشافعية.

الكبير الذي أنشأه عبد الرحمن كتحدا والمعروف الآن باسم «باب المؤننين» (لأنّ الحلاقين كانوا يجلسون في دهليزه قديماً لحلاقة شعر طلبة العلم بالأزهر فاشتهر بذلك). (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٩٩ هـ؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤: ٣٧، (١٤)، ٤٤، (١٨)، ٢٢: ٦ (٩)؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ٥٦-٥٧، Creswell, K.A.C., EMA II, pp. 253-54؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٢٠١: ٢٠٢-٢٠١؛ Raymond, A., «Les constructions de l'émir Abd al-Rahmân Kathudâ au Caire», An. Isl. XI (1972), p. 239؛ سومن سعد علي الشامي: دراسة أثرية معمارية لظاهرة إلحاق المدارس بالجامع الأزهر في العصر المملوكي، رسالة ماجستير بكلية الآثار - جامعة القاهرة ١٩٩٤؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ١٥٣-١٥٤.

^٢ علّق المرحوم حسن عبد الوهاب على هذا الوصف =

^١ عندما جدّد الأمير عبد الرحمن كتحدا القازدغلي الجامع الأزهر سنة ١١٦٧ هـ/١٧٥٤ م «بنى المدرسة الطيبرية وأنشأها نشوةً جديدًا، وجعلها مع المدرسة الآقيناوية المقابلة لها (فيما يلي ٥٤٠) من داخل الباب الكبير الذي أنشأه خارجهما جهة القبو المؤصل للمشهد الحسيني وخان الجراكسة، وهو عبارة عن بائين عظيمين، كل باب بمصراعين وعلى يمينهما منارة وفوقه مكتب أيضًا، وبداخله على يمين الشالك بظاهر الطيبرية مئذنة وأنشأ لها ساقية لخصوص إجراء الماء إليها، وبداخل باب المئذنة دَرَج يُضَعَد منه للمنارة ورواق البغدادين والهنود. فجاء هذا الباب وما بداخله من الطيبرية والآقيناوية والأزوقّة من أحسن المباني في العظم والوجاهة والفخامة» (الجبرتي: عجائب الآثار ٧: ٢).

وتقع المدرسة الطيبرية الآن على يمين الداخل من الباب

في سنة تسع وسبع مائة . ولها بُسُطٌ تُفْرَشُ في يوم الجمعة كلها منقوشة بأشكال المحارِبِ أيضًا ^(a) ووقَّفها عليها وهي باقية بها إلى الآن ^(a)، وفيها خِزَانَةٌ كُتِبَ ، ولها إمام راتب .

بن عبد الله الوزيري ^١ - كان في ملك الأمير بدر الدين يلبك مملوك الخازن دار الظاهري نائب السلطنة ، ثم انتقل إلى الأمير بدر الدين بيدرا ، وتقل في خدمته حتى صار نائب الصبيبة ، ورأى منامًا للمنصور لاجين يدلُّ على أنه يصير سلطانًا مصر ، وذلك قبل أن يتقلد السلطنة وهو نائب الشام ، فوعده إن صارت إليه السلطنة أن يُقدِّمه ويُنَّوه به .

فلما تملك لاجين استدعاه وولاه نقابة الجيش بديار مصر - عوضًا عن بلبان الفاجري - في سنة سبع وتسعين وست مائة . فباشَرَ النِّقَابَةَ مُباشِرَةً مشكورةً إلى الغاية ، من إقامة الحرمة وأداء الأمانة والعفة المفرطة ، بحيث إنه ما عُرف عنه أنه قبل من أحد هديَّةً ألبتة ، مع التزام الديانة والمواظبة على فعل الخير والغنى الواسع .

وله من الآثار الجميلة الجامع والخانقاه بأراضي بُشتان الخشاب ^٢ المطلَّة على النيل خارج القاهرة ، فيما بينها وبين مصر بجوار المنشأة . وهو أول من عمَّر في أراضي بُشتان الخشاب ، وقد تقدَّم ذكر ذلك ، ومن آثاره أيضًا هذه المدرسة البدیعة الرِّيِّ ، وله على كل من هذه الأماكن أوقافٌ جليلة .

ولم يزل في نقابة الجيش إلى أن مات في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وسبع مائة ، ودُفِنَ في مكانٍ بمدرسته هذه ، وقبره بها إلى وقتنا هذا .

(a-a) إضافة من المسوَّدة .

مذهبة . (تاريخ المساجد الأثرية ٥٧) .

^١ راجع ترجمة الأمير طيِّبُزُس الوزيري ، المتوفى سنة ٧١٩هـ/١٣٢٩م ، عند الصفدي : الوافي بالوفيات ٦: ٥٠٨-٥٠٩ ؛ المقريري : المفصَّل الكبير ٤: ١١-١٢ ؛ السلوك ٢: ١٩٩ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢: ٣٣٠ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٢٤٦ .

^٢ فيما تقدم ٢: ٣٠٤ .

= بقوله : «كشَفَ لنا هذا الوُصْفُ عن عبقرية المقريري في الناحية الفنية ، فإنَّ صناعة الرخام في مخراب هذه المدرسة من أدق ما وُجِدَ من نوعها وأندرَه ، فالجزء الأسفل منه مكوَّن من طاقات مُقرنَّصة محمولة على عمُد رخامية صغيرة لها تيجان رخامية أيضًا ؛ وتواشَّحها من رُخام مدقوق به فُرُوع زخرفية بارزة ، وباقي المخراب من رُخام أبيض لُبَّسَتْ فيه ألوان الرخام بأشكال زخرفية ، ولحُيَّت تواشَّحُه وأغلاهُ بفسيفساء

ووجد له من بعده مال كثير جداً ، وأوصى إلى الأمير علاء الدين علي الكوراني ، وجعل الناظر علي وصيته الأمير أرغون نائب السلطنة .
واتفق أنه لما فرغ من بناء هذه المدرسة أحضر إليه مباشرة حساب مصروفها ، فلما قدم إليه استدعى بطشت فيه ماء ، وغسل أوراق الحساب بأشرفها من غير أن يقف على شيء منها ، وقال : شيء خرجنا عنه لله تعالى لا نحاسب عليه .
ولهذه المدرسة شبائك في جدار الجامع تُشرف عليه ، ويتوصل من بعضها إليه ، وما عمل ذلك حتى استفتى الفقهاء فيه ، فأفتوه بجواز فعله ، وقد تداولت أيدي نظار الشوء على أوقاف طبرس هذا ، فخرّب أكثرها ، وخرّب الجامع والخانقاه ، وبقيت هذه المدرسة عمّرها الله بذكره .

المدرسة الأقبغاوية

[أثر رقم ٩٧]

هذه المدرسة بجوار الجامع الأزهر ، على يسرة من يدخل إليه من باب الكبير البحري ، وهي تُشرف بشبايك على الجامع مُركبة في جداره ، فصارت تجاه المدرسة الطبرسية . كان موضعها دار الأمير الكبير عز الدين أيّدمر الحلبي نائب السلطنة في أيام الملك الظاهر بيبرس ، وميضأة للجامع ، فأنشأها الأمير علاء الدين آقبغا عبد الواحد / أستاذ السلطان^(a) الملك الناصر محمد ابن قلاوون ، وجعل بجوارها قبة ومئذنة من حجر منحوت^(b) ، وذلك في سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة^(c) .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : حجارة منحوتة . (c-c) إضافة من المسودة .

العالية الملكي الناصري . وكان ابتداء العمل المبارك في سنة تسع وثلاثين وسبع مائة .
«بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذه القبة المباركة المقرة الأشرف العالي المؤلوي الأميري الشيفي آقبغا الأوحدي الملكي الناصري . وكان الفراغ منه في المحرم سنة أربعين وسبع مائة .
«بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذه الميأذنة =

^١ تبعاً للكتابة التاريخية الموجودة في التجويف العلوي لباب المدرسة وعلى القبة ودائر الميأذنة ، فإن عمارة هذه المدرسة بدأت سنة ٥٧٣٩هـ / ١٣٣٩م ، وفرغ منها سنة ٥٧٤٠هـ / ١٣٤٠م ، ونص هذه الكتابة على التوالي :
«بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنما يعمّر مساجد الله من أمر بالله واليوم الآخر﴾ . أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة المقرة الأشرف العالي الشيفي آقبغا الأوحدي أستاذ الأذر

وهي^(a) أول مئذنة عُمِلت بديار مصر من الحجر بعد المنصورية^١، وإنما كانت قبل ذلك تُبنى بالآجر، بناها هي والمدرسة المعلم ابن الشئوفي رئيس المهندسين في الأيام الناصرية، وهو الذي تولى بناء جامع المازديني خارج باب زويلة، وبني مئذنته أيضًا.

وهي مدرسة مُظلمة ليس عليها من بهجة المساجد ولا أنس بيوت العبادات شيء ألبتة. وذلك أن آقبا عبد الواحد اغتصب أرض هذه المدرسة، بأن أقرض ورثة أيدمر الحلي مالا وأمهل حتى تصرفوا فيه، ثم أعسفهم في الطلب وأجأهم إلى أن أعطوه الدار التي لهم^(b)، فهدمها وبني موضعها هذه المدرسة. وأضاف إلى اغتصابه البقعة أمثال ذلك من الظلم، فبناها بأنواع من الغضب والعسف، وأخذ قطعة من سور الجامع حتى ساوى بها المدرسة الطيبرسية، وحشر لعملها الصنائع من البنائين والتجارين والحجارين والمرحمين والفعلة^(c) الذين كانوا في عمائر السلطان^(d)، وقرَّر مع الجميع أن يعمل كل منهم فيها يومًا في كل أسبوع بغير أجر. فكان يجتمع فيها كل^(d) أسبوع سائر الصنائع الموجودين بالقاهرة ومصر، فيجدون في العمل نهارهم كله بغير أجر، وعليهم مملوك من مماليكه ولأه شد العماره، لم ير الناس أظلم منه ولا أعنى ولا أشد.

(a) نص المسودة: وسيعت من يذكر أن مأذنتها. (b) دارهم. (c-c) إضافة من المسودة. (d) بولاق: في كل.

النجوم الزاهرة ٩: ١٤٣ هـ^١، علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤٥: ٤٦-٤٨ (١٨-١٩)؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المدارس الأثرية ٥٧-٥٨، Raymond, A., *op.cit.*, p. 239. وانتقلت المكتبة الأزهرية الآن إلى مبنى مستقل أنشئ في حديقة الخالدين بالدراسة يقع بين مبنى مشيخة الأزهر ومبنى دار الإفتاء. والمتبقي الآن من مباني المدرسة الأصلية مدخلها وواجهة القبلة ومخرباتها، ومخرب المدرسة والمنارة التي أكملت إدارة حفظ الآثار العربية قمتها سنة ١٩٤٥ م.

^١ النص في المسودة: «وسيعت من يذكر أن مئذنتها أول مئذنة بنيت بالحجر بالقاهرة».

وهذه المعلومة غير دقيقة فهناك ما ذُن كثيرة بنيت بالحجر قبلها مثل مئذنة جامع ابن طولون ومئذنتي جامع الحاكم بأمر الله.

= المباركة المقر الكريم العالي المؤلفي الأميري الأجلي الشئفي آقبا الأوحدي أستاذ الدار العالية الملكي الناصري، وذلك في سنة أربعين [وسبع مائة]». (van Berchem, M., *CIA Égypte I*, n° 125, 126, 127; Wiet, G., *RCEA XV*, n° 5773, 5791, 5800).

راجع، الشجاعي: تاريخ الملك الناصر ٢٧-٢٨؛ المقريري: السلوك ٢: ٤٥٥-٤٥٦؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٤٣-١٤٤.

وفي سنة ١١٦٧ هـ/١٧٥٣ م ألحقها الأمير عبد الرحمن كئخد الفارذغلي بالجامع الأزهر هي والمدرسة الطيبرسية، فأصبحت داخل بابه العزبي المعروف بباب المزئين على يسار الداخل منه. وفي أيام الخديو عباس حلمي الثاني (١٨٩٢-١٩١٤ م) وقع تعديل في مبانيها الداخلية ومجعلت مكتبة عاتمة للجامع الأزهر. (أبو المحاسن:

بأسًا ، ولا أقسى قلبًا ولا أكثر عنتًا . فلقبي العُمَالُ منه مَشَقَّاتٌ لا تُوصَفُ ، وجاءَ مُناسِبًا لمولاه .
 وحَمَلَ مع هذا إلى هذه العِمَارَةِ سائِرَ ما يُحْتَاجُ إليه من الأُمَّتِعةِ وأصْنَافِ الآلاتِ ، وأنواعِ
 الاحتِياجَاتِ من الحَجَرِ والخَشَبِ والرُّخامِ والدُّهَانِ وغيره ، من غير أن يَدْفَعَ في شيءٍ منه ثمنًا
 ألبتَّةَ ، وإِنَّمَا كان يأخُذُ ذلكَ إمَّا بطريقِ الغُصْبِ من النَّاسِ ، أو على سبيلِ الخِيارَةِ من عَمَائِرِ
 السُّلْطَانِ ، فَإِنَّه كان من جملة ما بيده شدَّةُ العَمَائِرِ السُّلْطَانِيَّةِ .

وناسِبَ هذه الأفعالُ أَنه ما عُرِفَ عنه قَطُّ أَنه نَزَلَ إلى هذه العِمَارَةِ إِلَّا وَضَرَ بَ فيها من الصُّنَاعِ
 عِدَّةً ضَرْبًا مُؤَلِّمًا ، فيصيرُ ذلكَ الضُّرْبُ زيادَةً على عَمَلِهِ بغيرِ أَجْرَةٍ ، فيقالُ فيه : كَمَلْتَ خِصَالِكَ
 هذه بقماري . فلَمَّا فَرَّغَ من بِنائِها ، جَمَعَ فيها سائِرَ الفُقَهَاءِ وَجَمِيعَ القُضَاةِ .

وكان الشَّرِيفُ شَرَفُ الدِّينِ عَلِيِّ بنِ شِهابِ الدِّينِ الحَسِينِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ الحَسِينِ - نَقِيبُ
 الأَشْرَافِ ومُخْتَسِبُ القَاهِرَةِ حينئذٍ - يُؤَمِّلُ أن يكونَ مُدْرِسَها ، وسَعَى عنده في ذلكَ ، فَعَمِلَ
 بُسْطًا على قِياسِها بَلَغَ ثمنها ستة آلافِ دِرْهَمِ فِضَّةٍ ، ورشاهُ بها ففَرِشَتْ هناكَ . ولَمَّا تَكَامَلَ حُضُورُ
 النَّاسِ بالمُدْرَسَةِ - وفي الذَّهْنِ أَنَّ الشَّرِيفَ يَلِي التَّدْرِيسَ ، وعُرِفَ أَنه هو الذي أَحْضَرَ البُسْطَ التي
 قد فَرِشَتْ - قالَ الأميرُ أَقْبِغا لَمَنْ حَضَرَ : لا أُولِي في هذه الأيَّامِ أَحَدًا ، وقامَ ففَتَرَقَ النَّاسُ .

وقرَّرَ فيها دَرَسًا لِلشَّافِعِيَّةِ وَلِي تَدْرِيسَهُ (a) ودَرَسًا لِلحَنَفِيَّةِ وَلِي تَدْرِيسَهُ (a) ،
 وجَعَلَ فيها عِدَّةً من الصُّوفِيَّةِ ولَهُم شَيْخٌ ، وقرَّرَ بها طائِفَةً من القُرَّاءِ يقرؤون القرآنَ بِشُباكِها ،
 وجَعَلَ لها إمامًا رايًا ومؤدِّنًا وفَراشينَ وَقَوَمَةً ومُباشِرِينَ ، وجَعَلَ النُّظَرَ للقاضي الشَّافِعِيِّ بديارِ
 مِصرَ ، وشرَطَ في كِتابِ وَفِّه أن لا (b) يَلِي النُّظَرَ أَحَدٌ من ذرِّيَتِهِ ، ووَقَّفَ على هذه الجِهاَتِ
 حِوانيتَ خارِجَ بابِ زَويلَه بِحُطِّ تَحْتِ الرُّبْعِ ، وقريةً بِالوَجْهِ القِبْلِيِّ .

وهذه المَدْرَسَةُ عامِرَةٌ إلى يومنا هذا ، إِلَّا أَنه تَعَطَّلَ منها المِئْضَةُ ، وأُضِيفَتْ إلى مِئْضَةِ الجَامِعِ
 لِتَغْلِبَ بعضَ الأَمْرَاءِ - بمِواطاةِ بعضِ النُّظَّارِ - على بِرِّ السَّاقِيَّةِ التي كانتَ بِرِسمِها .

الأميرُ علاءُ الدِّينِ^١ - أَحْضَرَهُ إلى القَاهِرَةِ التَّاجِرُ عبدُ الواحِدِ بنِ بَدالِ ،
 أَقْبِغا عبدَ الواحِدِ فاشْتَرَاهُ مِنْهُ المَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بنُ قِلاوونَ وَلَقَّبَهُ بِاسمِ تاجِرِهِ الذي
 أَحْضَرَهُ ، فَحَظِي عِنْدَهُ وَعَمِلَهُ شادَّ العَمَائِرِ ، فَهَضَّ فيها نَهْضَةً أُعْجِبَتْ بِهِ السُّلْطَانُ وَعَظَّمَهُ حَتَّى

(a) بياض في آياصوفيا وميونخ . (b) بولاق : ألا .

^١ انظر ترجمة الأمير آقباغا عبد الواحد كذلك عند ، الصفدي : أعيان العصر ١ : ٥٤٨ - ٥٤٩ ؛ ابن حجر : الدرر =

عَمِلَهُ أَشْتَادَارُ السُّلْطَانِ بَعْدَ الْأَمِيرِ مُغْلَطَايِ الْجَمَالِيِّ ، فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ،
وَوَلَاهُ مُقَدِّمَ الْمَمَالِيكِ فَقَوِيَّتْ حُرْمَتُهُ وَعَظُمَتْ مَهَابَتُهُ ، حَتَّى صَارَ سَائِرُ مَنْ فِي بَيْتِ السُّلْطَانِ يَخَافُهُ
وَيَخْشَاهُ .

وَمَا بَرِحَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ مَاتَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ ، وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ أَبُو بَكْرٍ ،
فَقَبِضَ عَلَيْهِ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ سَلَخِ الْمَحْرَمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، وَأَمْسَكَ أَيْضًا وَلَدَيْهِ ^١ ،
وَأَحْيَطَ بِمَالِهِ وَسَائِرِ أَمْثَالِكِهِ ، وَرَسَمَ عَلَيْهِ الْأَمِيرَ طَيْبِغَا الْمَجْدِيِّ ، وَبِيعَ مَوْجُودَهُ مِنَ الْخَيْلِ وَالْجِمَالِ
وَالْجَوَارِي وَالْقُمَاشِ وَالْأَسْلِحَةِ وَالْأَوَانِي ، فَظَهَرَ لَهُ شَيْءٌ عَظِيمٌ إِلَى الْغَايَةِ : مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أُبِيعَ بِقَلْعَةِ
الْجَبَلِ - وَبِهَا كَانَتْ تُعْمَلُ خَلَقَاتٌ مَبِيعَةٌ - سَرَاوِيلَ امْرَأَتِهِ بِمَبْلَغِ مِائَتِي أَلْفِ دَرَاهِمٍ فِضَّةً : عَنْهَا نَحْوُ
عَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ ذَهَبٍ ، وَبِيعَ لَهُ أَيْضًا قُبْقَابٌ وَسَارْمُودَةٌ ^٢ وَخُفٌّ نِسَائِيٍّ بِمَبْلَغِ خَمْسَةِ وَسَبْعِينَ
أَلْفِ دَرَاهِمٍ فِضَّةً : عَنْهَا زِيَادَةٌ عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، وَأُبِيعَتْ بِذَلِكَ مَقَانِعٌ بِمِائَةِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ .

وَكَثُرَتِ الْمِرَافَعَاتُ عَلَيْهِ مِنَ التُّجَّارِ وَغَيْرِهِمْ ، فَبَعَثَ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ شَاذَ الدَّوَاوِينِ يَعْرِفُهُ أَنَّهُ أَقْسَمَ
بِثُبُوتِ الشُّهِيدِ - يَعْنِي أَبَاهُ - أَنَّهُ مَتَى لَمْ يُعْطَ هَؤُلَاءِ حَقَّهُمْ ، وَإِلَّا سَمَّرْتُكَ عَلَى جَمَلٍ وَدُفْتُ بِكَ
الْمَدِينَةَ ، فَشَرَعَ أَقْبَعًا فِي اسْتِزْوَاجِهِمْ وَأَعْطَاهُمْ نَحْوَ الْمِائَتِي أَلْفِ دَرَاهِمٍ فِضَّةً . ثُمَّ نَزَلَ إِلَيْهِ الْوَزِيرُ نَجْمُ
الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ شِرْوِينِ ^(أ) - الْمَعْرُوفُ بِوَزِيرِ بَغْدَادَ - وَمَعَهُ الْحَاجُّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ صَابِرِ مُقَدِّمِ الدَّوَلَةِ ،
لِمَطَالَبَتِهِ بِالْمَالِ ، فَأَخَذَا مِنْهُ لَوْلُؤًا وَجَوَاهِرًا / نَفِيسَةً ، وَصَعِدَا بِهَا إِلَى السُّلْطَانِ .

وَكَانَ سَبَبُ هَذِهِ التُّكْبَةِ أَنَّهُ كَانَ قَدْ تَحَكَّمَ فِي سَائِرِ ^(ب) أُمُورِ الدَّوَلَةِ السُّلْطَانِيَّةِ وَأَرْبَابِ الْأَشْغَالِ ،
أَعْلَاهُمْ وَأَدْنَاهُمْ ، مِمَّا اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الْوِزَائِفِ ، وَكَانَ عِنْدَهُ فَرَّاشٌ غَضِبَ عَلَيْهِ وَأَوْجَعَهُ ضَرْبًا ،
فَانصَرَفَ مِنْ عِنْدِهِ ، وَخَدَّمَ فِي دَارِ الْأَمِيرِ أَبِي بَكْرٍ وَوَلَدِ السُّلْطَانِ ، فَبَعَثَ أَقْبَعًا يَسْتَدْعِي بِالْفَرَّاشِ
إِلَيْهِ ، فَمَنَعَهُ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَعَ أَحَدِ مَمَالِيكِهِ يَقُولُ لَهُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَهْبِئَنِي هَذَا الْغُلَامَ ، وَلَا
تُسْوِشْ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ الْمَمْلُوكُ الرِّسَالَةَ ، اسْتَدَّ حَنْقَهُ وَسَبَّهَ سَبًّا فَاجِحًا ، وَقَالَ لَهُ : قُلْ لِأَسْتَاذِكَ

(a) بولاق : سرور . (b) ساقطة من بولاق .

^٢ سارموده ، شارمودة . نوع من النعال التي تخلع عند
دخول المنزل . (Mayer L. A., op.cit., 72, 74) ، وفيما
تقدم (٢٩٢:٢) .

= الكامنة ٤١٨:١ - ٤١٩ ؛ المقرئ : المفضى الكبير ٢: ٢٥٩ -
٢٦١ ؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٢: ٤٨٠ - ٤٨٢ .

^١ ناصر الدين محمد وشهاب الدين أحمد (أعيان العصر

يُسَيِّرُ الْفَرَّاشَ وَهُوَ جَيِّدٌ لَهُ . وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ اتَّفَقَ أَنَّ الْأَمِيرَ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ مِنْ خِدْمَةِ السُّلْطَانِ إِلَى بَيْتِهِ ، فَإِذَا الْأَمِيرُ آقْبَغَا قَدْ بَطَّحَ مَمْلُوكًا وَضَرَبَهُ ، فَوَقَّفَ أَبُو بَكْرٍ بِنَفْسِهِ ، وَسَأَلَ آقْبَغَا فِي الْعَفْوِ عَنِ الْمَمْلُوكِ ، وَشَفَعَ فِيهِ ، فَلَمْ يَلْتَمِثْ آقْبَغَا إِلَيْهِ ، وَلَا نَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ ، فَخَجَلُ أَبُو بَكْرٍ مِنَ النَّاسِ - لِكَوْنِهِ وَقَفَ قَائِمًا بَيْنَ يَدَيْ آقْبَغَا وَشَفَعَ عِنْدَهُ ، فَلَمْ يَقُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ لَوْ قُوفِهِ ، بَلْ اسْتَمَرَّ قَاعِدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَاقِفٌ عَلَى رِجْلَيْهِ ، وَلَا قِيلَ مَعَ ذَلِكَ شَفَاعَتَهُ - وَمَضَى وَفِي نَفْسِهِ مِنْهُ حَقٌّ كَبِيرٌ .

فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ مَمْلُوكُهُ ، وَبَلَّغَهُ كَلَامَ آقْبَغَا بِسَبَبِ هَذَا الْفَرَّاشِ ، أَكَّدَ ذَلِكَ عِنْدَهُ مَا كَانَ مِنَ الْإِخْتِنَةِ ، وَأَخَذَ فِي نَفْسِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ أَبُوهُ الْمَلِكُ التَّاصِرُ ، وَعَهْدُ إِلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَكَانَ قَدْ التَّزَمَ أَنَّهُ إِنْ مَلَكَهُ اللَّهُ لِيَصَادِرَنَّ آقْبَغَا . ، وَلِيضْرِبَهُ بِالْمَقَارِعِ ، وَقَالَ لِلْفَرَّاشِ : اقْعُدْ فِي بَيْتِي ، وَإِذَا حَضَرَ أَحَدٌ لِأَخْذِكَ عَرَفْتُ مَا أَعْمَلُ مَعَهُ . وَأَخَذَ آقْبَغَا يَتَرَقَّبُ الْفَرَّاشَ ، وَأَقَامَ أَنْاسًا لِلْقَبْضِ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَتَّهَيْأ لَهُ مَسْكُهُ .

فَلَمَّا أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، اسْتَدْعَى الْأَمِيرَ قُوضُونَ - وَكَانَ هُوَ الْقَائِمُ حِينَئِذٍ بِتَدْيِيرِ أُمُورِ الدَّوْلَةِ - وَعَرَفَهُ مَا التَّزَمَهُ مِنَ الْقَبْضِ عَلَى آقْبَغَا ، وَأَخَذَ مَالَهُ وَضَرَبَهُ بِالْمَقَارِعِ ، وَذَكَرَ لَهُ وَلِعِدَّةٍ مِنَ الْأَمْرَاءِ مَا جَزَى لَهُ مِنْهُ . وَكَانَ لِقُوضُونَ بِآقْبَغَا عِنَايَةً ، فَقَالَ لِلْسُّلْطَانِ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، يَرْسِمُ السُّلْطَانُ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ وَمُطَابَلَتِهِ بِالْمَالِ ، فَإِذَا فَرَّغَ مَالَهُ يَفْعَلُ السُّلْطَانُ مَا يَخْتَارُهُ .

وَأَرَادَ بِذَلِكَ تَطَاوُلَ الْمُدَّةِ فِي أَمْرِ آقْبَغَا . فَقَبْضَ عَلَيْهِ ، وَوَكَّلَ بِهِ رَسُلَ ابْنِ صَابِرٍ ، حَتَّى إِثْنَهُ بَاتَ لَيْلَةً قُبِضَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْكُلَ شَيْئًا . وَفِي صَبِيحَةِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ تَحَدَّثَ الْأَمْرَاءُ مَعَ السُّلْطَانِ فِي نُزُولِهِ إِلَى دَارِهِ مُحْتَفِظًا بِهِ ، حَتَّى يَتَصَرَّفَ فِي مَالِهِ ، وَيَحْمِلُهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ . فَنَزَلَ مَعَ الْمَجْدِيِّ ، وَبَاعَ مَا يَمْلِكُهُ ، وَأَوْرَدَ الْمَالَ .

فَلَمَّا قُبِضَ عَلَى الْحَاجِّ إِبْرَاهِيمَ بْنِ صَابِرٍ ، وَأَقِيمَ ابْنَ شَمْسٍ مَوْضِعَهُ ، أَرْسَلَهُ السُّلْطَانُ إِلَى بَيْتِ آقْبَغَا لِيَعْضُرَهُ وَيَضْرِبَهُ بِالْمَقَارِعِ وَيُعَذِّبَهُ . فَبَلَغَ ذَلِكَ الْأَمِيرَ قُوضُونَ ، فَمَنَعَ مِنْهُ ، وَشَنَّعَ عَلَى السُّلْطَانِ كَوْنَهُ أَمَرَ بِضْرَبِهِ بِالْمَقَارِعِ ، وَأَمَرَ بِمُراجعتِهِ . فَحَنَقَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَطْلَقَ لِسَانَهُ عَلَى الْأَمِيرِ قُوضُونَ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ مِنْ حَضْرَتِهِ مِنَ الْأَمْرَاءِ حَتَّى سَكَتَ عَلَى مَضْضٍ .

وَكَانَ قُوضُونَ يُدَبِّرُ فِي انْتِقَاضِ دَوْلَةِ أَبِي بَكْرٍ إِلَى أَنْ خَلَعَهُ ، وَأَقَامَ بَعْدَهُ أَخَاهُ الْمَلِكَ الْأَشْرَفَ كُجُكَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ قَلَاوُونَ ، وَعُمُرُهُ نَحْوَ السَّبْعِ سِنِينَ ، وَتَحَكَّمُ فِي الدَّوْلَةِ . فَأَخْرَجَ آقْبَغَا هُوَ وَوَلَدُهُ مِنَ الْقَاهِرَةِ ، وَجَعَلَهُ مِنْ جَمَلَةِ أَمْرَاءِ الدَّوْلَةِ بِالشَّامِ . فَسَارَ مِنَ الْقَاهِرَةِ فِي تَاسِعِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، عَلَى حَيِّزِ الْأَمِيرِ مَسْعُودِ بْنِ خَطِيرِ بَدِمَشَقَ ، وَمَعَهُ عِيَالُهُ فَأَقَامَ بِهَا ،

إلى أن كانت فِتْنَةُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ قَلَاوُونَ ، وَعِصْيَانُهُ بِالكَرْكِ عَلَى أَخِيهِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ عِمَادِ الدِّينِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ قَلَاوُونَ ، فَاتَّهَمَ أَقْبَعًا بِأَنَّهُ بَعَثَ مَمْلُوكًا مِنْ مَمَالِكِهِ إِلَى الْكَرْكِ ، وَأَنَّ النَّاصِرَ أَحْمَدَ نَحَلَ عَلَيْهِ ، وَضَرَبَتْ الْبَشَائِرُ بِقَلْعَةِ الْكَرْكِ ، وَأَشَاعَ أَنَّ أَمْرَاءَ الشَّامِ قَدْ دَخَلُوا فِي طَاعَتِهِ وَحَلَفُوا لَهُ ، وَأَنَّ أَقْبَعًا قَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ مِنْ مَمْلُوكِهِ يَبْشُرُهُ بِذَلِكَ .

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ كِتَابُ عَشَافِ أَخِي شَطَا بِذَلِكَ ، وَصَلَ فِي وَقْتِ وُزُودِهِ كِتَابُ نَائِبِ الشَّامِ الْأَمِيرِ طُقُزْدَمَرٍ ، يُخْبِرُ فِيهِ بِأَنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَمْرَاءِ الشَّامِ قَدْ كَاتَبُوا أَحْمَدَ بِالكَرْكِ وَكَاتَبْتَهُمْ ، وَقَدْ قَبِضَ عَلَيْهِمْ ، وَمِنْ جَمَلَتِهِمْ أَقْبَعًا عَبْدُ الْوَاحِدِ . فَرَسَمَ بِحَمَلِهِ مُقَيَّدًا ، فَحَمِلَ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَقُتِلَ بِهَا فِي آخِرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعٍ مِائَةٍ .

وَكَانَ مِنَ الظُّلْمِ وَالطَّمَعِ وَالتُّعَاطُمِ عَلَى جَانِبٍ كَبِيرٍ ، وَجَمَعَ مِنَ الْأَمْوَالِ شَيْئًا كَثِيرًا وَأَقَامَ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ لَتَسْبِغِ أَوْلَادِ الْأَمْرَاءِ ، وَتَعَرَّفَ أَحْوَالَ مَنْ افْتَقَرَ مِنْهُمْ أَوْ اخْتَجَّ إِلَى شَيْءٍ ، فَلَا يَزَالُونَ بِهِ حَتَّى يُعْطَوْهُ مَا لَا عَلَى سَبِيلِ الْقَرْضِ بِفَائِدَةٍ جَزِيلَةٍ إِلَى أَجَلٍ ، فَإِذَا اسْتَحِقَّ الْمَالُ أُعْسَفَهُ فِي الطَّلَبِ ، وَالْجَاهُ إِلَى يَبِيعَ مَا لَهُ مِنَ الْأَمْلاكِ ، وَحَلَّهَا إِنْ كَانَتْ وَقْفًا بِعِنَايَتِهِ بِهِ ، وَعَيَّنَ لِعَمَلِ هَذِهِ الْحَيْلِ شَخْصًا يُعْرَفُ بِابْنِ الْقَاهِرِيِّ ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ لِأَحَدٍ مِنَ الْقُضَاةِ فِي شِرَاءِ مَلِكٍ أَوْ حَلِّ وَقْفٍ ، لَا يَقْدِرُ عَلَى مُخَالَفَتِهِ ، وَلَا يَجِدُ بُدًّا مِنْ مُوَافَقَتِهِ .

وَمِنْ غَرِيبٍ مَا يُحْكِي عَنْ طَمَعِ أَقْبَعًا أَنَّ مُشِيدَ الْحَاشِيَّةِ دَخَلَ عَلَيْهِ ، وَفِي أَضْبَعِهِ خَاتَمَ بَقْصٍ أَحْمَرَ مِنْ زُجَاجٍ لَهُ بَرِيقٌ ، فَقَالَ لَهُ أَقْبَعًا : إِيْشْ هُوَ هَذَا الْخَاتَمُ ؟ فَأَخَذَ يُعْظِّمُهُ ، وَيَذْكُرُ^(a) أَنَّهُ مِنْ تَرِكَةَ أَبِيهِ . فَقَالَ : بَكْمِ حَسْبُوهَ عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ : بِمَبْلَغِ^(b) أَرْبَعِ مِائَةِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : أَرِنِيهِ . فَنَاوَلَهُ إِيَّاهُ ، فَأَخَذَهُ وَتَشَاغَلَ عَنْهُ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : وَاللَّهِ فَضِيحَةٌ أَنْ سَنَاخُذَ خَاتَمَكَ ، وَلَكِنْ نَخُذْهُ أَنْتَ وَهَاتِ^(c) الْأَرْبَعِ مِائَةِ دِرْهَمِ^(c) ثَمَنَهُ ! وَدَفَعَهُ إِلَيْهِ ، وَأَلْزَمَهُ بِأَحْضَارِ الْأَرْبَعِ مِائَةِ دِرْهَمِ فَمَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ / أَحْضَرَهَا إِلَيْهِ . فَعَاقَبَهُ اللَّهُ بِذَهَابِ مَالِهِ وَغَيْرِهِ ، وَمَوْتِهِ غَرِيبًا .

(a) بولاق : ذكر . (b) ساقطة من بولاق . (c-c) ساقطة من بولاق .

المدرسة الحسامية

[أثر رقم ٥٩٠]

هذه المدرسة بخطط المشطاح من القاهرة، قريباً من حارة الوزيرية، بناها الأمير حسام الدين طرُنطاي المنصوري، نائب السلطنة بديار مصر^(a)، إلى جانب داره، وجعلها يرسم الفقهاء الشافعية، وهي في وقتنا هذا تجاه سوق الرقيق^(b)، ويُسلك منها إلى درب العُداس وإلى حارة الوزيرية وإلى سويقة الصاحب وباب الخوخة وغير ذلك^١.

وكان بجانيها طبقة الخياط، فطلبت منه بثلاثة أمثال ثمنها فلم يبعها، وقيل لطرُنطاي: لو طلبته لاستعجيا منك. فلم يطلبه، وتركه وطبقته، وقال: لا أشوش عليه.

بن عبد الله، الأمير حسام الدين المنصوري^٢. رباه الملك المنصور قلاوون صغيراً، ورّقه في خدمه إلى أن تقلد سلطنة مصر، فجعله نائب السلطنة بديار مصر. عوّضا عن الأمير عز الدين أيتك الأفرم الصالحي، ونخلع عليه في يوم الخميس رابع عشر رَمضان سنة ثمان وسبعين وست مائة، فباشر ذلك مباشرة حسنة، إلى أن كانت سنة خمس وثمانين، فخرج من القاهرة بالعساكر إلى الكرك - وفيها الملك المسعود نجم الدين خضر،

طرُنطاي

(a) المُسوّدة: نائب السلطان الملك المنصور قلاوون بالديار المصرية. (b) المُسوّدة: سوق الجوّاري بالوزيرية.

الزاهرة ٧: ٣٨٤؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ١٣-١٤ (٦)؛ Creswell, K.A.C., MAEII, p. 218، سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ٧٥-٧٧؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ١٩١-٢٠١.

^٢ راجع ترجمة حسام الدين طرُنطاي عند، الصغدي: أعيان العصر ٢: ٥٧٩-٥٨١، الوافي بالوفيات ٦: ١٦-٤٢٩-٤٣٠؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ١: ١٣٦؛ المقرئزي: السلوك ١: ٧٥٧؛ العيني: عقد الجمان ٣: ٢٦؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٣٨٣، النهل الصافي ٦: ٣٨٦-٣٨٨.

^١ المقرئزي: مُسوّدة الخطط ٨٨ و.

ولم يتبق من هذه المدرسة سوى القبة المدفون فيها الأمير حسام الدين طرُنطاي وتقع في حارة أبي الفضل المتفرعة من حارة الصاوي بدرب سعادة. ويوجد على تركيبة التربة ثلاثة أسطر بالخط النسخ المملوكي تحمل النص التالي: «بسم الله الرحمن الرحيم. - الآيتان ٢٦-٢٧ سورة الرحمن - هذا قبر العبد الفقير إلى الله تعالى الأمير الأجل حسام الدين طرُنطاي الملكي المنصوري. وذلك توفي يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر ذو [كذا] القعدة سنة تسعة وثمانين وست مائة». (Wiet, G., RCEAXIII, n° 4917). وراجع كذلك، المقرئزي: السلوك ١: ٧٥٧؛ أبا المحاسن: النجوم

وأخوه بدر الدين سلاميش ، ابنا الملك الظاهر بيبرس - في رابع المحرم وسار إليها . فوافاه الأمير بدر الدين ^(a) الصواني بعساكر دمشق في ألفي فارس ونازلا الكرك وقطعا الميرة عنها ، واستفسدا رجال الكرك حتى أخذوا خضرا وسلاميش بالأمان في خامس صفر ، وتسلم الأمير عز الدين أيتك الموصلي نائب الشوبك مدينة الكرك واستقر في نيابة السلطنة بها ، وبعت الأمير طرنتاي بالبشارة إلى قلعة الجبل فوصل البريد بذلك في ثامن صفر .

ثم قدم بابني الظاهر ، فخرج السلطان إلى لقائه في ثاني عشر ربيع الأول وأكرم الأمير طرنتاي ورفع قدره ، ثم بعته إلى أخذ صهيون - وبها سُنقر الأشقر - فسار بالعساكر من القاهرة في سنة ست وثمانين ، ونازلها وحصرها حتى نزل إليه سُنقر بالأمان ، وسلم إليه قلعة صهيون ، وسار به إلى القاهرة ، فخرج السلطان إلى لقائه وأكرمه .

ولم يزل على مكانته إلى أن مات الملك المنصور وقام في السلطنة بعده ابنه الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون ، فقبض عليه في يوم السبت ثالث عشر ذي القعدة سنة تسع وثمانين ، وغويب حتى مات يوم الاثنين خامس عشره بقلعة الجبل ، وبقي ثمانية أيام بعد قتله مطروحا بحبس القلعة . ثم أخرج في ليلة الجمعة سادس عشرين ذي القعدة وقد لف في حصير ، وحمل على جنوبه إلى زاوية الشيخ أبي الشعود بالقرافة ^١ ، فغسله الشيخ عمر الشعودي شيخ الزاوية ، وكفنه من ماله ودفنه خارج الزاوية ليلا ، وبقي هناك إلى سلطنة العادل كئبغا ، فأمر بنقل جثته إلى تربته التي أنشأها بمدرسته هذه .

وكان سبب القبض عليه وقتله أن الملك الأشرف كان يكرهه كراهة شديدة ، فإنه كان يطرح جانبه في أيام أبيه ، ويغض منه ويهين نوابه ، ويؤذي من يخدمه ؛ لأنه كان يميل إلى أخيه الملك الصالح علاء الدين علي بن قلاوون . فلما مات الملك الصالح علي وانتقلت ولاية العهد إلى الأشرف خليل بن قلاوون ، مال إليه من كان ينحرف عنه في حياة أخيه إلا طرنتاي ، فإنه ازداد

(a) بياض بنسختي ميونخ وآياصوفيا .

^١ تقع زاوية أبي الشعود بن أبي العشائر بجبانة سيدي علي أبي الوفا الواقعة تحت الجبل المقطم شرقي جبانة الإمام الليث وفي الشمال الغربي لجامع الشادات الوفائية على بعد مائتي متر منه ، ولا يزال يوجد من مبانيها بقايا بابها والحائط

الشمالي الشرقي والحائط الذي فيه المحراب . (ابن الزيات : الكواكب السيارة ٣١٦ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣٨٤:٧ هـ ، ١ ، ٢٨٣:٨) .

تماديًا في الإغراض عنه ، وجرى على عادته في أذى من يُنسب إليه ، وأغرى الملك المنصور بشمس الدين محمد بن السلغوس - ناظر ديوان الأشرف - حتى ضربه ، وصرفه عن مباشرة ديوانه . والأشرف مع ذلك يتأكد حنقه عليه ، ولا يجد بُدًا من الصبر إلى أن صار له الأمر بعد أبيه ، ووقف الأمير طرنتاي بين يديه في نيابة السلطنة على عادته ، وهو منحرف عنه لما أسلفه من الإساءة عليه . وأخذ الأشرف في التذير عليه إلى أن نُقل له عنه أنه يتحدث سرًا في إفساد نظام المملكة وإخراج الملك عنه ، وأنه قصد أن يقتل السلطان وهو راكب في الميدان الأسود الذي تحت قلعة الجبل عند ما يقرب من باب الإسطبل ، فلم يحتمل ذلك .

وعندها سیر أربعة ميادين - والأمير طرنتاي ومن وافقه عند باب سارية - حتى انتهى إلى رأس الميدان ، وقرب من باب الإسطبل ، وفي الظن أنه يعطف إلى باب سارية ليكمل التشير على العادة ، فعطف إلى جهة القلعة ، وأسرع ودخل من باب الإسطبل . فبادر الأمير طرنتاي عندما عطف السلطان ، وساق فيمن معه ليدركوه ، ففاتهم وصار بالإسطبل فيمن خف معه من خواصه . وما هو إلا أن نزل الأشرف من الركوب ، فاستدعى بالأمير طرنتاي ، فمَنَعَه الأمير زين الدين كتبغا المنصوري من الدخول إليه ، وحذره منه وقال له : والله إنني أخاف عليك منه ، فلا تدخل عليه إلا في غضبة تعلم أنهم يمنعونك منه إن وقع أمر تكرهه . فلم يرجع إليه ، وغره أن أحدًا لا يجسر عليه لمهابته في القلوب ومكانته من الدولة ، وأن الأشرف لا يديره بالقبض عليه ، وقال لكتبغا : والله لو كنت نائمًا ما جسر خليل ينبهني . وقام ومشى إلى السلطان ودخل ومعه كتبغا ، فلما وقف على عادته ، بادر إليه جماعة قد أعدهم السلطان / وقبضوا عليه ، فأخذهم اللكم من كل جانب والسلطان يُعدُّ ذنوبه ، ويذكر له إساءته ويسبّه . فقال له : يا خوند ، هذا جميعه قد عملته معك ، وقدمت الموت بين يدي ، ولكن والله لتندم من بعدي . هذا والأيدي تتناوب عليه ، حتى إن بعض الخاصكية قلع عينه وشجب إلى السجن . فخرج كتبغا وهو يقول : إيش أعمل ؟ ويكررها . فأدركه الطلب ، وقبض عليه أيضًا ، ثم آل أمر كتبغا بعد ذلك إلى أن ولي سلطنة مصر . وأوقع الأشرف الخوطة على أموال طرنتاي ، وبعث إلى داره الأمير علم الدين سينجر الشجاعي . فوجد له من العين ست مائة ألف دينار ، ومن الفضة سبعة عشر ألف رطل ومائة رطل مصري عنها زيادة على مائة وسبعين قنطارًا فضة سوى الأواني ، ومن الغدد والأسلحة والأقمشة والآلات والخيل والماليك ما يتعدُّ إحصاء قيمته ، ومن الغلات والأموال شيء كثير جدًا ، ووجد له من البضائع والأموال المستقرة على اسمه ، والودائع والمقارضات ، والقيود والأعمال ، والأبقار والأغنام ، والرقيق وغير ذلك ، شيء يجعل وصفه ، هذا سوى ما أخفاه

مباشروه بمصر والشام . فلما حُمِلت أمواله إلى الأشرف جعل يُقلِّبها ويقول :

[مجزوء الكامل]

مَنْ عَاشَ بَعْدَ عَدُوِّهِ يَوْمًا فَقَدْ بَلَغَ الْمَتَى

واتَّفَقَ بَعْدَ مَوْتِ طُرُنطَايَ أَنَّ ابْنَهُ سَأَلَ الدُّخُولَ عَلَى السُّلْطَانِ الْأَشْرَفِ ، فَأُذِنَ لَهُ . فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، جَعَلَ الْمُنْدِيلَ عَلَى وَجْهِهِ - وَكَانَ أَعْمَى - ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ وَبَكَى ، وَقَالَ : شَيْءٌ لِلَّهِ ! وَذَكَرَ أَنَّ لِأَهْلِهِ أَيَّامًا مَا عِنْدَهُمْ مَا يَأْكُلُونَهُ ؛ فَرَقَّ لَهُ وَأَفْرَجَ عَنْ أَمْلَاكِ طُرُنطَايَ ، وَقَالَ : تَبَلَّغُوا بِرَبِيعِهَا . فَسُبْحَانَ مَنْ بِيَدِهِ الْقَبْضُ وَالْبَسْطُ .

الْمَدْرَسَةُ الْمَنْكُوتْمَرِيَّةُ

[أثر رقم ٨]

هذه المدرسة بحارة بهاء الدين من القاهرة^١ ، بناها بجوار داره الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامي ، نائب السلطنة بديار مصر^(a) ،^(b) في تسعين وست مائة ، وعمل بها ديرًا للمالكية قرَّر فيه الشيخ شمس الدين محمد بن أبي القاسم

(a) في المُسَوِّدَة : نائب السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين . (b-b) إضافة من المُسَوِّدَة .

(١٩٨:٧) . وتُعرف هذه المدرسة الآن بـ «جامع المزهرية» بالحسنيَّة على يَمِّنة السالك من باب الفتوح إلى شارع البغالة تجاه حارة البزازرة . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥: ٢٦١ (١١٤) ، وعند تجديد هذه المدرسة نُقِلَ إليها باب المدرسة المنكوتمرية ويوجد على عضادتيه كتابة تاريخية نصها :

«مما عمِلَ يرشم الجناح الكريم العالي المؤلوي الإسفهلاري سيف الدين منكوتمر المنصوري ، أعزَّ أنصاره وضاعف اقتدازه» . (Wiet, G., RCEA XIII, n° 5062) .

وانظر كذلك ، عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٣٠٩-٣١٨ .

^١ المدرسة المنكوتمرية . وصفها ابن كثير بأنها «داخل باب القنطرة» (البداية والنهاية ١٣: ٣٥٢) ، وقال علي باشا مبارك ، في نهاية القرن التاسع عشر ، إنها «بحارة بين السيارج على يَمِّنة السالك من رأس الحارة إلى ضريح الأستاذ البلقيني ، وهي متخرَّبة لم يبق إلا جانبها القبلي الذي به الباب والشبابيك وإلى جانبها ضريح مُتَّصِلٌ بها وسورها الغربي مُتَّصِلٌ بالمساكن . (الخطط التوفيقية ٦: ٤٠-١٥) . وتُعرف الآن بجامع ابن حجر ويحمل رقم ١٣ بشارع بين السيارج . وكان تدرَّس الدين محمد بن أبي بكر بن محمد ابن مُزهر الأنصاري قد شرَّع ، في نهاية القرن التاسع الهجري ، في بناء مدرسة بالقرب من شوَيْقَة اللين ، قال السخاوي : «كانت الخطة - فيما بلغني - مفتقرة إليها» . (الضوء اللامع

ابن عبد السلام بن جميل الثونسي المالكي^١، ودرّسًا للحنفية درّس فيه (a) ٢،
 وجعلَ فيها خِزَانَةَ كُتُبٍ، وجعلَ عليها وَقْفًا ببلاد الشّام. وهي اليوم بيد قضاة الحنفيّة يتولّون
 نظَرَهَا، وأمرها مُتلاشٍ، وهي من المدارس الحسنة.

هو أخذَ ممالِك الملك المنصور حسام الدّين لاجين المنصوري، ترقى في
 خِدمته واختصَّ به اختصاصًا زائدًا، إلى أن ولي مملكة مصر بعد كُتُبنا في

مَنكوتمر

سنة ستّ وتسعين وستّ مائة، فجعله أحدَ الأُمراء بديار مصر، ثم خلعَ عليه خِلاع نيابة السُلطنة -
 عَوْضًا عن الأمير شمس الدّين قراسنقر المنصوري - يوم الأربعاء النصف من ذي القعدة. فخرَج
 سائر الأُمراء في خِدمته إلى دار النّيابة، وباشَرَ النّيابة بتعاظُم كثير، وأعطى المنصبَ حقّه من
 الحُرمة الوافرة والمهابة التي تخرُج عن الحدّ، وتصرفَ في سائر أمور الدّولة من غير أن يُعارضه
 السُلطان في شيءٍ ألبتّة، وبلغت عبْرَةُ إقطاعه في السنة زيادةً على مائة ألف دينار.

ولمّا عمِلَ الملكُ المنصور الرّوك، المعروف بـ «الرّوك الحسامي»^٣، فوّضَ تفرقة مِثالات إقطاعات
 الأجناد له، فجلَسَ في سُبّاك دار النّيابة بقلعة الجبل، ووقَفَ الحُجّاب بين يديه، وأعطى لكلِّ تَقْدِمةٍ
 مِثالات، فلم يجسر أحدٌ أن يتحدّث في زيادة ولا نُقصان، خوفاً من سوء خُلُقِه وشِدّة حُمقِه.

وبقي أيامًا في تفرقة المِثالات، والنّاس على خوْفٍ شديد فإنّ أقلَّ الإقطاعات كان في أيّام
 الملك المنصور قلاوون عشرة آلاف درهم في السنة، وأكثره ثلاثين ألف درهم، فرجع في الرّوك
 الحسامي أكثر إقطاعات الحلقة إلى مَبْلَغ عشرين ألف درهم وما دونها. فشقَّ ذلك على الأجناد
 وتقدّم طائفةٌ منهم ورموا مِثالاتهم التي فرقت عليهم؛ لأنّ الواحد منهم وجد مِثاله بحق النّصف

(a) بياض في ميونخ وآباصوفيا.

^١ حاشية بخطّ المؤلّف: «مات ليلة الثلاثاء حادي

عشرين صفر سنة خمسٍ وسبع مائة ودُفِنَ بالقراقة، ومولده
 في سنة تسع وثلاثين وستّ مائة».

^٢ ذكر القرشي في ترجمة فخر الدّين أبي القاسم بن نصر

الله بن فخر الدّولة بن يحيى الدمشقي، المتوفى سنة ٧٠٨هـ /

١٣٠٨م، أنّه درّس بالمنكوتمرية، وأنّه أوّل مُدرّس بها بتولية

^٣ راجع ترجمة منكوتمر الحسامي، المتوفى سنة ٦٩٨هـ /

١٢٩٨م، عند، الصفدي: أعيان العصر: ٥: ٤٥٥-٤٥٦

أبي الحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ١٠٠-١٠٥، ١٨٨، الدليل
 الشافي ٢: ٧٤٦.

^٤ انظر عنه فيما تقدم ١: ٢٣٦-٢٣٧.

مما كان له قبل الزوك ، وقالوا لمنكوتمر : إما أن تُعطونا ما يقوم بكلفنا ، وإلا فخذوا أخباركم ونحن نخدم الأمراء أو نصير بطالين . فعضب منكوتمر وأحرق بهم ، وتقدم إلى الحجاب فضربوهم وأخذوا شيوخهم ، وأودعوهم السجون . وأخذ يخاطب الأمراء بفحش ، ويقول : أيما قواد شكنا من خبره ، ويقول نقول للسلطان ، فعلت به وفعلت ، إيش يقول للسلطان ؟ إن رضي يخدم وإلا إلى لعنة الله . فشق ذلك على الأمراء ، وأسروا له الشر .

ثم إنه لم يزل بالسلطان حتى قبض على الأمير بدر الدين يتسري ، وحسن له إخراج أكابر الأمراء من مصر ، فجردهم إلى سبيس ، وأصبح وقد خلا له الجو ، فلم يرض بذلك حتى تحدث مع خوشداشيتة بأنه لا بد أن يُنشئ له دولة جديدة ، ويخرج طنجي وكوجي من مصر .

ثم إنه جهز حمدان بن صلغاي إلى حلب في صورة أنه يستعجل العساكر من سبيس ، وقرّر معه القبض على عدة من الأمراء ، وأمر عدة / أمراء جعلهم له غدة وذخرا ، وتقدم إلى الصاحب فخر الدين الخليلي بأن يعمل أوراقا تتضمن أسماء أزباب الرواتب ليقطع أكثرها .

فلم تدخل سنة ثمان وتسعين ، حتى استوحشت خواطر الناس بمصر والشام من منكوتمر ، وزاد حتى أراد السلطان أن يبعث بالأمير طغي إلى نيابة طرابلس ، فتصل طغي من ذلك فلم يُغفه السلطان منه وألح منكوتمر في إخراجهم ، وأغلظ للأمير كوجي في القول وخط على سلال ويبيزس الجاشنكير أنظارهم وغض منهم . وكان كوجي شرس الأخلاق ، ضيق العطن ، سريع الغضب ، فهم غير مرة بالفك بمنكوتمر ، وطنجي يسكن غضبه .

فبلغ السلطان فساد قلوب الأمراء والعسكر فبعث قاضي القضاة حسام الدين الحسن بن أحمد ابن الحسن الرومي الحنفي إلى منكوتمر يُحدثه في ذلك ويُرجعه عما هو فيه ، فلم يلتفت إلى قوله وقال : « أنا ما لي حاجة بالنيابة ، أريد أخرج مع الفقراء » . فلما بلغ السلطان عنه ذلك استدعاه ،

وطيب خاطرته ، ووعدته بسفر طنجي بعد أيام ، ثم القبض على كوجي بعده ، فنقل هذا للأمراء فتحالفوا وقتلوا السلطان ، كما قد ذكر في خبره ^١ وأول من بلغه خبر مقتل السلطان الأمير منكوتمر ، فقام إلى شبك النياحة بالقلعة فرأى باب القلة وقد انفتح ، وخرج الأمراء ، والشموغ تُقد ، والضجة قد ارتفعت ، فقال : والله قد فعلوها . وأمر فغلقت أبواب دار النياحة ، وألبس مماليكه آلة الحرب . فبعث الأمراء إليه بالأمير الحسام أستاذار ، فعرفه بمقتل السلطان ، وتلطف به حتى نزل وهو مشدود الوسط بمنديل ، وسار به إلى باب القلة والأمير طنجي قد جلس في مرتبة

النّيابة . فتقدّم إلى طُنْجِي وَقَبْلَ يَدِهِ ، فقامَ إليه وأجْلَسَهُ بجانبه . وقامَ الأَمْرَاءُ في أمرٍ مَنكُوتُمُرٍ يَشْفَعُونَ فيه ، فأمرَ به إلى الجُبِّ وأنزَلوه فيه . وعندما اسْتَقَرَّ به أُذْلِيَتْ له القُفَّةُ التي نَزَلَ فيها ، وتَصايحوا عليه بالصُّغُودِ ، فَطَلَعَ عليهم . وإذا كُرْجِي قد وَقَفَ على رأسِ الجُبِّ في عِدَّةٍ من الممالِكِ السُّلْطَانِيَةِ ، فَأَخَذَ يَسُوبُ مَنكُوتُمُرَ ويُهَيِّنُهُ ، وَضَرَبَهُ بِلُتِّ أَلْقَاهِ ، وَذَبَحَهُ بيده على الجُبِّ ، وَتَرَكَه وانصَرَفَ ؛ فكان بين قَتْلِ أُسْتَاذِهِ وَقَتْلِهِ سَاعَةٌ من الليل ، وذلك في ليلة الجُمُعَةِ عاشرَ ربيعِ الأوَّلِ سنة ثمانٍ وتسعين (a وست مائة^a) .

المَدْرَسَةُ القَرَانِيَّةُ

[أثر رقم ٣١]

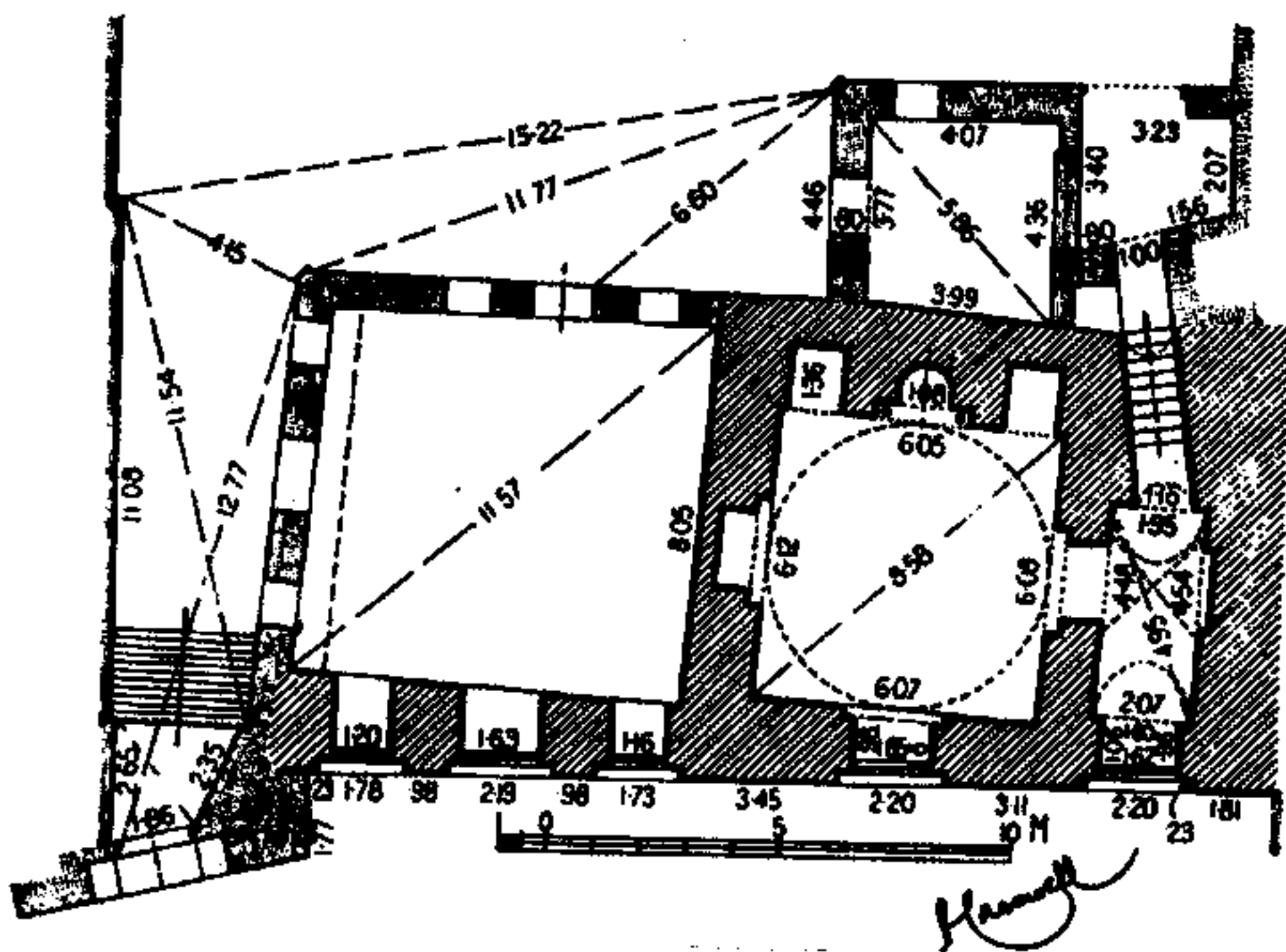
هذه المَدْرَسَةُ تَجَاهَ الخانقاهِ الصُّلَاحِيَّةِ^(b) سَعِيدِ الشُّعْدَاءِ^(c) ، فيما بين رَحْبَةِ بابِ العيدِ وبابِ النَّصْرِ^١ ، كان مَوْضِعُهَا ومَوْضِعُ الرَّبِيعِ الذي بجانبها الغربي مع خانقاهِ بَيْبُوسَ وما في صَفْها إلى حَمَامِ الأَعْمَسِ وبابِ الجُوَانِيَةِ ، كُلُّ ذلك من دارِ الوِزَارَةِ الكُبْرَى التي تقدّم ذكرها^(d) .^٢ أنشأها الأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ قَرَانِيَّ المَنصُورِي نائِبَ السُّلْطَانَةِ في^(e) سنة سبع مائة .^(f) وكان قد أَخَذَ نَقْضَ هذه الدَّارِ - التي هي دارِ الوِزَارَةِ - فَبَنَى بها هذه المَدْرَسَةَ^(f) ، وَبَنَى بجوارِ بابِها مَسْجِدًا مُعَلَّقًا ومَكْتَبًا لإِقْرَاءِ أَيْتَامِ المُسْلِمِينَ كِتَابَ اللهِ العَزِيزِ ، وَجَعَلَ بهذه المَدْرَسَةَ دُرُوسًا^(g) للفقهاء ، وَوَقَفَ على ذلك دارَهُ التي بِحَارَةِ بَهَاءِ الدِّينِ وَغَيْرِهَا . ولم يَزَلْ نَظَرُ هذه المَدْرَسَةَ بيدِ ذُرِّيَةِ الواقِفِ إلى سنة خمس عشرة وثمان مائة ، ثم انقَرَضُوا .

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : خانقاه الصلاح . (c) المسودة : قبالة الخانقاه الصلاحية سعيد الشعداء ، وهي بجوار خانقاه بيبوس . (d) المسودة : التي كانت للخلفاء . (e) ساقطة من بولاق . (f-f) إضافة من المسودة . (g) بولاق : درسًا .

van Berchem, M., *CIA Égypte I*, pp. ٣٣٢ : ٩-١٥٥-٥٦; Wiet, G., *RCEA XIII*, n° 5029; Creswell, K.A.C., *MAE II*, pp. 240-42 ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٢ : ٢٠٩ (٦٩) ، ٣٣ : ٦ ، ٣٤ (١٣-١٤) ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٢ : ٣١٩-٣٣٧ .

^٢ فيما تقدم ٢ : ٤٤٠ .

^١ المَدْرَسَةُ القَرَانِيَّةُ . تَحَرَّبَت الآن هذه المَدْرَسَةُ ، وكان علي باشا مبارك عندما كان ناظرًا على ديوان المدارس والأوقاف قد عَمَّرَ في بعضِ منها مَكْتَبًا لتعليم الأولاد . والأطلالُ المتبقية من المَدْرَسَةِ في شارعِ الجمالية جنوب خانقاهِ بَيْبُوسِ الجاشنكير مسجلة برقم ٣١ . (راجع ، المقريري : السلوك ٢ : ٥٥٨ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة



مخطط المدرسة القرشقرية

وهي من المدارس المليحة، وكُنَّا نَعَهْدُ البريدية إذا قَدِمُوا من الشَّام وغيرها لا يَنْزِلُونَ إِلَّا في هذه المدرسة حتى يتهيأ سَفَرُهُمْ، وقد بَطَلَ ذلك من سنة تسعين وسبع مائة.

بن عبد الله، الأمير شمس الدين الجوكندار المنصوري^١. صار إلى الملك قرشقر المنصور قلاوون، وترقى في خدمته إلى أن وُلَّاه نيابة السلطنة بحلب في شعبان سنة اثنتين وثمانين وست مائة عوضًا عن الأمير علم الدين سنجر الباشقردي، فلم يزل فيها إلى أن مات الملك المنصور، وقام من بعده ابنه الملك الأشرف خليل بن قلاوون^(a) فأمره على ولاية حلب. وعمر في ولايته قلعة حلب فلم تتم إلا في أيام الملك الأشرف خليل بن قلاوون^(a). فلما توجه الأشرف إلى فتح قلعة الروم، عاد بعد فتحها إلى حلب، وعزل قرشقر عن نيابتها، وولّى

(a-a) ساقطة من بولاق.

^١ انظر أيضًا، الصقدي: أعيان العصر ٤: ٨٧-١٠٠، المقريزي: السلوك ٢: ٣٠٥، ٥٥٤-٥٥٨ ابن الوافي بالوفيات ٢٤: ٢١٢-٢٢٢، ابن أبيك: كثر الدرر حجر: الدرر الكامنة ٣: ٣٣٠، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٣٤٩، ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٨: ٢٣٢-٢٣٣، المنهل الصافي ٩: ٤٧-٤٨.

عوضه الأمير سيف الدين بلبان الطباخي ، وذلك في أوائل شعبان سنة إحدى وتسعين ، وكانت ولايته على حلب تسع سنين .

فلما خرج السلطان من مدينة حلب ، خرج في خدمته ، وتوجه مع الأمير بدر الدين بيدرا - نائب السلطنة بديار مصر - في عدة من الأمراء لقتال أهل جبال كسروان . فلما عاد سار مع السلطان من دمشق إلى القاهرة ، ولم يزل بها إلى أن ثار الأمير بيدرا على الأشرف ، فتوجه معه وأعان على قتله . فلما قتل بيدرا فر قراشقر ولاجين في نصف المحرم سنة ثلاث وتسعين وست مائة ، واختفيا بالقاهرة ، إلى أن استقر الأمر للملك الناصر محمد بن قلاوون ، وقام في نيابة السلطنة وتدير الدولة الأمير زين الدين كئبغا ، فظهر في يوم عيد الفطر . وكانا عند فرارهما ، يوم قتل بيدرا ، أطلعا الأمير بنخاص^a الزينبي - تملك الأمير كئبغا نائب السلطنة - على حالهما ، فأعلم أستاذه بأمرهما ، وتلطف به حتى تحدث في شأنهما مع السلطان ، فعفا عنهما .

ثم تحدث مع الأمير بكتاش الفخري إلى أن ضمن له التحدث مع الأمراء ، وسعى في الصلح بينهما / وبين الأمراء والمماليك حتى زالت الوحشة ، وظهر من بيت الأمير كئبغا ، فأخضرها بين يدي السلطان ، وقبلا الأرض ، وأفيضت عليهما التشاريف ، وجعلها أمراء على عاداتهما ، ونزلا إلى دورهما ، فحمل إليهما الأمراء ما جرت العادة به من التقادوم .

فلم يزل قراشقر على إمرته إلى أن خلع الملك الناصر محمد بن قلاوون من السلطنة ، وقام من بعده الملك العادل زين الدين كئبغا ، فاستمر على حاله إلى أن ثار الأمير حسام الدين لاجين ، نائب السلطنة بديار مصر ، على الملك العادل كئبغا بمنزله العوجاء من طريق دمشق . فركب معه قراشقر وغيره من الأمراء إلى أن فر كئبغا ، واستمر الأمر لحسام الدين لاجين ، وتلقب بـ « الملك المنصور » .

فلما استقر بقلعة الجبل ، خلع على الأمير قراشقر ، وجعله نائب السلطنة بديار مصر في صفر سنة ست وتسعين وست مائة . فباشر النيابة إلى يوم الثلاثاء للنصف من ذي القعدة فقبض عليه ، وأحيط بموجوده وخواصه ونوابه ودواوينه بديار مصر والشام ، وضيق عليه ، واستقر في نيابة السلطنة بعده الأمير منكوتر .

وعد السلطان من أسباب القبض عليه إشرافه في الطمع ، وكثرة الحمايات ، وتحصيل الأموال على سائر الوجوه ، مع كثرة ما وقع من شكايه الناس من مماليكه ، ومن كاتيه شرف الدين

(a) بولاق : يخاص .

يَعْقُوب ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ تَحَكَّمَ فِي بَيْتِهِ تَحَكُّمًا زَائِدًا ، وَعَظُمَت نِعْمَتُهُ ، وَكَثُرَت سَعَادَتُهُ ، وَأَسْرَفَ فِي اتِّخَاذِ الْمَمَالِكِ وَالْخَدَمِ ، وَانْتَهَكَ فِي اللَّعِبِ الْكَثِيرِ ، وَتَعَدَّى طَوْرَهُ ، وَقَرَأْتُ فِيهِ لَا يَسْمَعُ فِيهِ كَلَامًا . وَحَدَّثَهُ السُّلْطَانُ بِسَبَبِهِ ، وَأَغْلَظَ فِي الْقَوْلِ ، وَأَلْزَمَهُ بَضْرِبَهُ وَتَأْدِيبَهُ أَوْ إِخْرَاجَهُ مِنْ عِنْدِهِ ، فَلَمْ يَعْثَبْ بِذَلِكَ .

وما زال قَرَأْتُ فِي الْاِغْتِقَالِ إِلَى أَنْ قُتِلَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ لَاجِنِ ، وَأُعِيدَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ ابْنُ قَلَاوُونَ إِلَى السُّلْطَانَةِ ، فَأَفْرَجَ عَنْهُ وَعَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَمْرَاءِ ، وَرَسَمَ لَهُ بِنِيَابَةِ الصَّبِيئَةِ . فَخَرَجَ إِلَيْهَا ، ثُمَّ نُقِلَ مِنْهَا إِلَى نِيَابَةِ حَمَاهُ بَعْدَ مَوْتِ صَاحِبِهَا الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ تَقِيَّ الدِّينِ مُحَمَّدٍ ، بِسِفَارَةِ الْأَمِيرِ بَيْبُزَسِ الْجَاشَنْكِيرِ وَالْأَمِيرِ سَلَارِ . ثُمَّ نُقِلَ مِنْ نِيَابَةِ حَمَاهُ بَعْدَ مُلَاقَاةِ التُّرِكِ إِلَى نِيَابَةِ حَلَبِ . وَاسْتَقَرَّ عَوَضَهُ فِي نِيَابَةِ حَمَاهُ الْأَمِيرُ زَيْنُ الدِّينِ كَثْبَغَا ، الَّذِي تَوَلَّى سُلْطَانَةَ مِصْرَ وَالشَّامِ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَشَهِدَ وَقْعَةَ شَقْحَبِ مَعَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ .

ولم يَزَلْ عَلَى نِيَابَةِ حَلَبِ إِلَى أَنْ خُلِعَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ ، وَتَسَلَّطَنَ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ بَيْبُزَسُ الْجَاشَنْكِيرُ ، وَكَانَ^(a) النَّاصِرُ فِي الْكَرْكِ ، فَلَمَّا تَحَرَّكَ لَطَلَبَ الْمَلِكُ وَاسْتَدْعَى نُوَابَ الْمَمَالِكِ ، أَجَابَهُ قَرَأْتُ ، وَأَعَانَهُ بِرَأْيِهِ وَتَدْبِيرِهِ ، ثُمَّ حَضَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ بِدِمَشْقَ ، وَقَدَّمَ لَهُ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَسَارَ مَعَهُ إِلَى مِصْرَ حَتَّى جَلَسَ عَلَى تَحْتِ مُلْكِهِ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ ، فَوَلَّاهُ نِيَابَةَ دِمَشْقَ ، عَوَضًا عَنِ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ الْأَفْرَمِ ، فِي شَوَّالِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِ مِائَةٍ . وَخَرَجَ إِلَيْهَا ، فَسَارَ إِلَى غَزَّةَ فِي عِدَّةٍ مِنَ النَّوَابِ ، وَقَبَضُوا عَلَى الْمُظْفَرِ بَيْبُزَسِ الْجَاشَنْكِيرِ ، وَسَارَ بِهِ هُوَ وَالْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ الْحَاجُّ بَهَادُرُ إِلَى الْخَطَاةِ ، فَتَلَقَّاهُمُ الْأَمِيرُ أَسْنَدْمُرُ كُرْجِي ، فَتَسَلَّمَ مِنْهُمْ بَيْبُزَسُ ، وَقَبَّلَهُ وَأَرْكَبَهُ بَغْلًا ، وَأَمَرَ قَرَأْتُ وَالْحَاجَّ بَهَادُرَ بِالسَّيْرِ إِلَى مِصْرَ . فَشَقَّ عَلَى قَرَأْتُ تَقْيِيدَ بَيْبُزَسِ ، وَتَوَهَّمُ الشَّرَّ مِنَ النَّاصِرِ ، وَانْزَعَجَ لِذَلِكَ انْزِعَاجًا كَبِيرًا ، وَأَلْقَى كَلْوَتَهُ عَنْ رَأْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَقَالَ : ^(b) «لَعَنَ اللَّهُ الدُّنْيَا^(b) ، يَا لَيْتَنَا مُتْنَا وَلَا رَأَيْنَا هَذَا الْيَوْمَ» ، فَتَرَجَّلَ مَنْ حَضَرَ مِنَ الْأَمْرَاءِ ، وَرَفَعُوا كَلْوَتَهُ وَوَضَعُوهَا عَلَى رَأْسِهِ .

وَرَجَعَ مِنْ قَوْرِهِ ، وَمَعَهُ الْحَاجُّ بَهَادُرُ ، إِلَى نَاحِيَةِ الشَّامِ ، وَقَدْ نَدِمَ عَلَى تَسْلِيمِ^(c) الْمُظْفَرِ بَيْبُزَسِ ، فَجَدَّ فِي سَيْرِهِ إِلَى أَنْ عَبَرَ دِمَشْقَ . وَفِي نَفْسِ السُّلْطَانِ مِنْهُ كَوْنُهُ لَمْ يَحْضُرْ مَعَ بَيْبُزَسِ ، وَكَانَ قَدْ أَرَادَ الْقَبْضَ عَلَيْهِ ، فَبَعَثَ الْأَمِيرَ نَوْغَايَ الْقَبْجَاقِيَّ أَمِيرًا بِالشَّامِ لِيَكُونَ لَهُ عَيْنًا عَلَى الْأَمِيرِ قَرَأْتُ ،

(a) بولاق : صاحب . (b-b) في بولاق : لفرشه الدنيا فانية . (c) بولاق : تشيع .

فَقَطِنَ قَرَّاشِيَّةً لذلِكَ وَشَرَعَ نَوغَايَ يَتَحَدَّثُ فِي حَقِّ قَرَّاشِيَّةٍ بِمَا لَا يَلِيْقُ ، حَتَّى ثَقُلَ عَلَيْهِ مُقَامُهُ ، فَقبَضَ عَلَيْهِ بِأَمْرِ السُّلْطَنَةِ ، وَسَجَنَ بِقَلْعَةِ دِمَشْقَ .

ثُمَّ إِنَّ السُّلْطَانَ صَرَفَهُ عَنِ نِيَابَةِ دِمَشْقَ ، وَوَلَّاهُ نِيَابَةَ حَلَبَ بِسؤالِهِ ، وَذلِكَ فِي المَحْرَمِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَسَبْعَ مِائَةٍ وَكَتَبَ السُّلْطَانُ إِلَى عِدَّةٍ مِنَ الأَمْرَاءِ بِالقَبْضِ عَلَيْهِ مَعَ الأَمِيرِ أَرْغُونَ الدَّوَادَارَ ، فَلَمْ يَتِمَّكَنَ مِنَ التَّحَدُّثِ فِي ذلِكَ لكَثْرَةِ مَا ضَبَطَ قَرَّاشِيَّةُ أُمُورَهُ ، وَلازَمَهُ عِنْدَ قُدُومِهِ عَلَيْهِ بِتَقْلِيدِ نِيَابَةِ حَلَبَ ، بِحَيْثُ لَمْ يَتِمَّكَنَ أَرْغُونَ مِنَ الحَرَكَةِ إِلَى مَكَانٍ إِلا وَقَرَّاشِيَّةً مَعَهُ .

فَكَثَرَ الحَدِيثُ بِدِمَشْقَ أَنَّ أَرْغُونَ إِتْمَا حَضَرَ لِمَسْكَ قَرَّاشِيَّةً ، حَتَّى بَلَغَ ذلِكَ الأَمْرَاءَ ، وَسَمِعَهُ قَرَّاشِيَّةً فَاسْتَدْعَى بِالأَمْرَاءِ ، وَحَضَرَ الأَمِيرُ أَرْغُونَ ، فَقَالَ قَرَّاشِيَّةً بَلَغَنِي كَذَا ، وَهَا أَنَا أَقُولُ إِنْ كَانَ حَضَرَ مَعَكَ مَرْسُومٌ بِالقَبْضِ عَلَيَّ فَلَا حَاجَةَ إِلَى فِتْنَةٍ ، أَنَا طَائِعُ السُّلْطَانَ ، وَهَذَا سَيُفِي خُذَهُ ، وَمَدَّ يَدَهُ وَحَلَّ سَيْفَهُ مِنَ وَسَطِهِ . فَقَالَ أَرْغُونَ ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ هَذَا الكَلَامَ مَكِيدَةٌ ، وَأَنَّ قَرَّاشِيَّةً لَا يُمَكِّنُ مِنَ نَفْسِهِ : إِنِّي لَمْ أَحْضُرْ إِلا بِتَقْلِيدِ الأَمِيرِ نِيَابَةَ حَلَبَ بِمَرْسُومِ السُّلْطَانَ وَسؤالِ الأَمِيرِ ، وَحاشَا لِلَّهِ أَنَّ السُّلْطَانَ يَذْكَرُ فِي حَقِّ الأَمِيرِ شَيْئًا مِنْ هَذَا . فَقَالَ قَرَّاشِيَّةً : غَدًا تَرْكَبُ وَتَسَافِرُ .

وَانْفَضَّ المَجْلِسَ . فَبَعَثَ إِلَى الأَمْرَاءِ أَلا يَرْكَبُ أَحَدٌ مِنْهُمْ لَوْدَاعِهِ ، وَلَا يَخْرُجُ ، وَفَرَّقَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الحَوَائِصِ وَمِنَ الدَّرَاهِمِ عَلَى مَمَالِيكِهِ لِيَتَجَمَّلُوا بِهِ عَلَى / أَوْسَاطِهِمْ ، وَأَمَرَهُمْ بِالاخْتِرَاسِ ، وَقَدَّمَ غِلْمَانَهُ وَخَوَاشِيَهُ فِي اللَّيْلِ وَرَكِبَ وَقَتَ الصُّبْحِ فِي طَلَبِ عَظِيمٍ - وَكَانَتْ عِدَّةُ مَمَالِيكِهِ سِتِّ مِائَةٍ مَمْلُوكٍ قَدْ جَعَلَهُمْ حَوْلهُ ثَلَاثَ حَلَقَاتٍ - وَأَرْكَبَ أَرْغُونَ إِلَى جَانِبِهِ .

وَسَارَ عَلَى غَيْرِ المَجَادَّةِ حَتَّى قَارَبَ حَلَبَ ، ثُمَّ عَبَّرَهَا فِي العَشْرِينَ مِنَ المَحْرَمِ ، وَأَعَادَ أَرْغُونَ بَعْدَمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَخِلْعَةٍ وَخَيْلٍ وَتُحَفَ ، وَأَقَامَ بِمَدِينَةِ حَلَبَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، وَشَرَعَ يَتَعَمَّلُ الحِيلَةَ فِي الخَلَاصِ ، وَصَادَقَ العُرْبَانَ ، وَاخْتَصَّ بِالأَمِيرِ حُجْسَامِ الدِّينِ مَهْنِيًّا أَمِيرَ العَرَبِ وَبَابِنَهُ مُوسَى وَأَقَدَمَهُ إِلَى حَلَبَ ، وَأَوْقَفَهُ عَلَى كُتُبِ السُّلْطَانَ إِلَيْهِ بِالقَبْضِ عَلَيْهِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذلِكَ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَفْسَدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ السُّلْطَانَ .

ثُمَّ إِنَّهُ بَعَثَ يَسْتَأْذِنُ السُّلْطَانَ فِي الحَجِّ ، فَأَعْجَبَ السُّلْطَانَ ذلِكَ ، وَظَنَّ أَنَّهُ بِسَفَرِهِ يَسِّمُ لَهُ التَّذْيِيرَ عَلَيْهِ لِمَا كَانَ فِيهِ مِنَ الإِخْتِرَازِ الكَبِيرِ ، وَأَذِنَ لَهُ فِي السَّفَرِ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِأَلْفِي دِينَارٍ مِصْرِيَّةً ، فَخَرَجَ مِنْ حَلَبَ وَمَعَهُ أَرْبَعُ مِائَةِ مَمْلُوكٍ مُعَدَّةً بِالقَرَسِ وَالجَنْبِ وَالهُجْنِ ، وَسَارَ حَتَّى قَارَبَ الكَرَكَ ، فَبَلَغَهُ أَنَّ السُّلْطَانَ كَتَبَ إِلَى التُّوَابِ ، وَأَخْرَجَ عَسْكَرًا مِنْ مِصْرَ إِلَيْهِ .

فرجع من طريق السماوة إلى حلب ، وبها الأمير سيف الدين قزطاي نائب الغيبة ، فمنعه من العبور إلى المدينة ، ولم يمكن أحداً من ممالك قراستنقر أن يخرج إليه - وكانت مكاتبة السلطان قد قدمت عليه بذلك - فرحل حينئذ إلى مهنا أمير العرب واستجار به ، فأكرمه وبعث إلى السلطان يشفع فيه فلم يجد السلطان بُداً من قبول شفاعته مهناً ، وخير قراستنقر فيما يريد ، ثم أخرج عسكرًا من مصر والشام لقتال مهناً وأخذ قراستنقر .

فبلغه ذلك فاختبر على نفسه وكتب إلى السلطان يسأله في صرخد ، وقصد بذلك المطاولة ، فأجابته إلى ذلك ، ومكثه من أخذ حواصله التي بحلب ، وأعطى مملوكه ألف دينار ، فلما قدم عليه لم يطمن وعبر إلى بلاد الشرق في سنة اثني عشرة وسبع مائة في عدة من الأمراء يريد خربندا فلما وصل إلى الرخبة ، بعث بابنه فرج - ومعه شيء من أثقاله وخيوله وأمواله - إلى السلطان بمصر ليعتذر من قصده خربندا ، ورحل بمن معه إلى مازدين . فتلقاه المغل ، وقام له ثواب خربندا بالإقامات إلى أن قرب من الأردن^١ . فركب خربندا إليه ، وتلقاه وأكرمه ومن معه وأنزلهم منزلاً يليق بهم ، وأعطى قراستنقر المراغة من عمل أذربيجان ، وأعطى الأمير جمال الدين أقوش الأفرم همدان وذلك في أوائل سنة اثني عشرة وسبع مائة . فلم يزل هناك إلى أن مات خربندا ، وقام من بعده أبو سعيد بركة بن خربندا . فسق ذلك على السلطان ، وأعمل الحيلة في قتل قراستنقر والأفرم ، وسير إليهما الفداوية . فجزت بينهم خطوب كثيرة ، ومات قراستنقر بالإسهال ببلد المراغة في سنة ثمان وعشرين وسبع مائة ، يوم السبت سابع عشرين شوال ، قبل موت السلطان بيسير^٢ .

فلما بلغ السلطان موته في حادي عشر ذي القعدة عند ورود الخبر إليه ، قال : ما كنت أشتي يموت إلا من تحت سيفي ، وأكون قد قدزت عليه وبلغت مقصودي منه . وذلك أنه كان قد جهز إليه عددًا كثيرًا من الفداوية ، قتل منهم بسببه مائة وعشرون فداويًا بالسيف سوى من قُيد ، ولم يوقف له على خبر .

وكان قراستنقر جسيمًا جليلاً ، صاحب رأي وتدبير ومعرفة ، وبشاشة وجه ، وسماحة نفس ، وكرم زائد ، بحيث لا يشكك على أحد شيئًا ، مع حُسن الشاكلة ، وعظم المهابة ، والسعادة

^٢ جاء هنا على هامش نسخة آياصوفيا : «قول المؤلف

قبل موت السلطان بيسير وهم ، فإن وفاة السلطان في سنة إحدى وأربعين وسبع مائة ، فليتأمل . وهي ملاحظة في موضعها .

^١ حاشية بخط المؤلف : «الأردن محلة السلطان إذا نزل

في موضع ، فيأخذ الأمراء والخواتين منازلهم ، وينصب به مساجد جامعة وأشواق يوجد بها كل ما في المدن الكبار حتى يكون للخاطفات أشواق ومخلات» .

الطائلة ، وتلقت عدة تماليكه ست مائة مملوك ، ما منهم إلا من له نعمة ظاهرة وسعادة وافرة . وله من الآثار بالقاهرة هذه المدرسة ، ودار جليلة بحارة بهاء الدين فيها كان سكنه ^١ .

المدرسة الغزنوية

هذه المدرسة برأس الموضع المعروف بشويقة أمير الجيوش ، تجاه المدرسة اليازكوجية ^(a) ^٢ . بناها الأمير محسّم الدين قايماز النجمي ، تملكه نجم الدين أيوب والد الملوك ، وأقام بها الشيخ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن يوسف بن علي بن محمد الغزنوي البغدادي المقرئ الفقيه الحنفي ^٣ ، ودرس بها ، فعرفت به ؛ وكان إمامًا في الفقه ^(b) ، وسمع على الحافظ السلفي وغيره ، وقرأ بنفسه ، وسكن مصر آخر عمره . وكان فاضلاً حسن الطريقة متديناً ، وحدث بالقاهرة بكتاب « الجامع » لعبد الرزاق بن همام ، فزواه عنه جماعة ، وجمع كتاباً في الشيب والعمر ، وقرأ عليه أبو الحسن السخاوي وأبو عمرو بن الحاجب .

ومولده ببغداد في ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وخمسة مائة ، وتوفي بالقاهرة يوم الاثنين النصف من ربيع الأول سنة تسع وتسعين وخمسة مائة . وهي من مدارس الحنيفة .

المدرسة البوبكرية ^(c)

[أثر رقم ١٨٥]

هذه المدرسة بجوار دزب العُداس ^(d) قريباً من حارة الوزيرية بالقاهرة . بناها الأمير سيف الدين أسنبغا ابن الأمير / سيف الدين بكتمر البوبكري ^(e) الناصري ، ووقفها على الفقهاء الحنيفة ، وبني

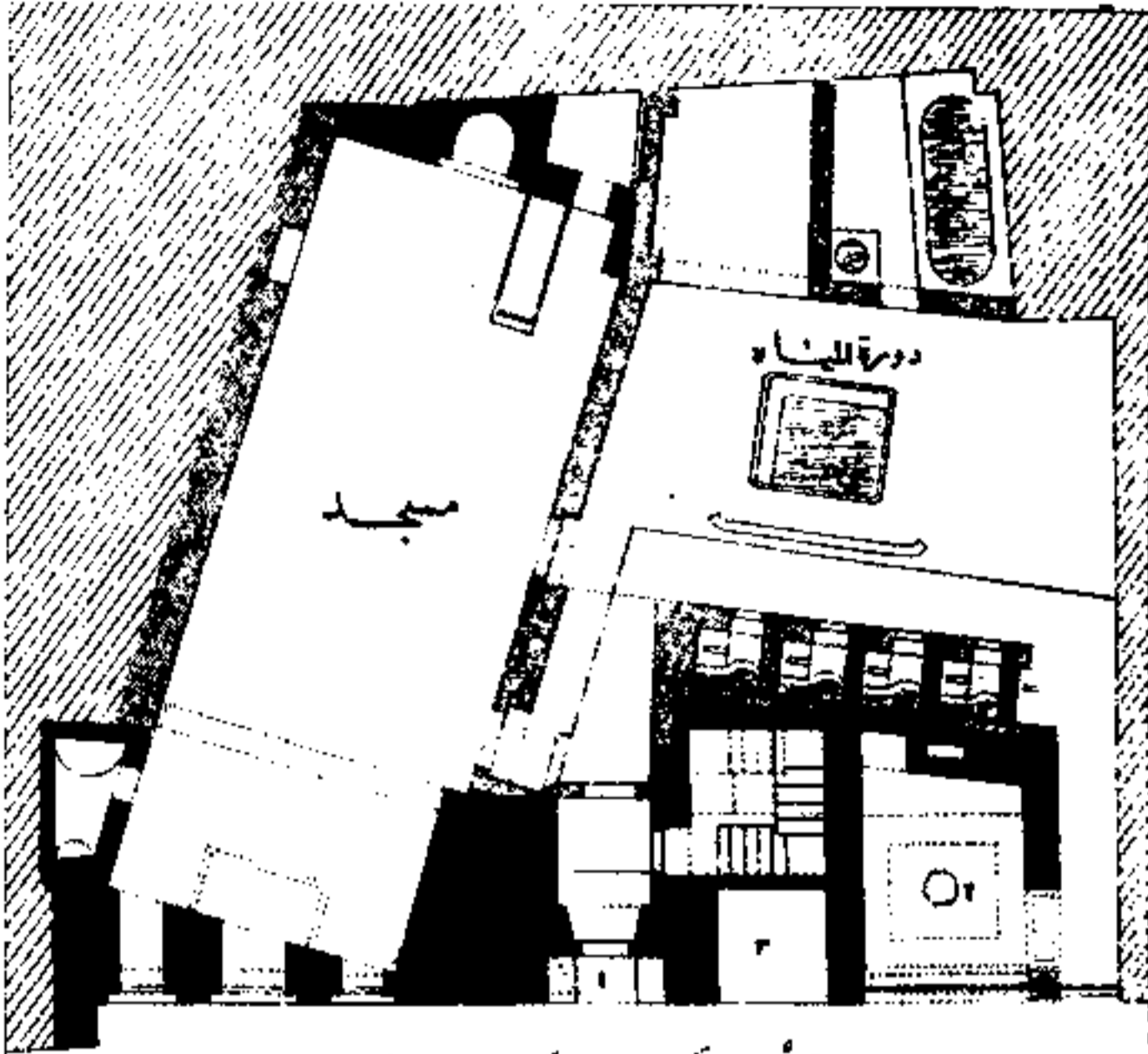
(a) المسوذة : قبالة مدرسة أيازكوج التي بأول سويقة أمير الجيوش الآن . (b) في المسوذة : في فقه الحنيفة . (c) المسوذة : المدرسة الأوبكرية . (d) بولاق : دزب العباسي . (e) المسوذة : الأوبكري .

^١ انظر فيما تقدم ٣ : ١٧١ . ^٢ راجع ، القرشي : الجواهر المضية ١ : ٣٥٥ ، ويبدو

^٣ وتُعرف أيضاً بالمدرسة الأزكشية . (فيما تقدم أن هناك سقطاً في نسخة الجواهر أدى إلى تداخل

ترجمتين مقاً .

بجانبيها حوض ماءٍ للسبيل وسقايةً ومكتبةً للأيتام، وذلك في سنة اثنتين وسبعين وسبع مائة^١،
وبنى قبالتها جامعًا فمات قبل إتمامه^٢.



مُخَطَّطُ الْمَدْرَسَةِ الْبُوهَرِيَّةِ (عَنِ اللَّجْنَةِ)

وكان يسكن دار بذر الدين الأمير طرُنطاي المجاورة للمدرسة الحسّامية تجاه سوق الجوّاري،
فلذلك أنشأ هذه المدرسة بهذا المكان لقربه منه. ثم لما كان سنة خمس عشرة وثمان مائة جُددَ
بهذه المدرسة منبرًا وصار يُقامُ بها الجمعة^٣.

ولا تزال هذه المدرسة باقية بشارع دُزب سعادة وتُعرف
بجامع سنوآغا (تحريف اسم أسنبغا) ومشهورة عند العامة
باسم «جامع الشوقاوي» (نسبة إلى أحد خطباء الجامع
واسمه الشيخ محمد الشوقاوي الذي مكث يخطب فيه
مدةً طويلة)، جددتها سنة ١٢٧١هـ/١٨٥٤م السيدة والدة
حسين بك بن محمد علي باشا. (علي مبارك: الخطط
التوفيقية ٥: ٥٣ (٢٠-٢١)؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة
١١: ١٤٠هـ^١؛ معاد ماهر: مساجد مصر ٤: ٢٣-٣٠؛
عاصم محمد رزق: أطللس العمارة الإسلامية ٢: ١٣٢١-
١٣٤٠).

^١ المقريري: السلوك ٣: ٢٥٨؛ أبو المحاسن: النجوم
الزاهرة ٩: ١٤٠.

ويوجد أعلى النافذة الموجودة فوق المدخل الرئيس
للجامع لُوح رخامي عليه الكتابة التاريخية التالية:
«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أنشأ هذه المدرسة المباركة
العبدُ الفقير إلى الله الأمير سيفُ الدين أسنبغا بن بكتنغر
الأبوبكري، وذلك سنة اثنتين وسبعين وسبع مائة».
(Kallus, L., RCEA XVII, n° 772 004).

^٢ ليس لهذا الجامع الآن أي أثر.

^٣ المقريري: مُسَوِّدَةُ الْخَطَطِ ٨٨و.

(b) ١ .

أَسْبَغَا بن بَكْتَمُر البَوْبَكْرِي^(a) الأميرالْمَدْرَسَةُ الْبَقْرِيَّةُ^(c)

[أثر رقم ١٨]

هذه الْمَدْرَسَةُ فِي الزُّقَاقِ الَّذِي تَجَاهُ بَابِ الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ الْمَجَاوِرِ لِلْمِنْبَرِ ، وَيَتَوَصَّلُ مِنْ هَذَا الزُّقَاقِ إِلَى نَاحِيَةِ الْعُطُوفِ^(d) .

بَنَاهَا الرَّئِيسُ^(e) شَمْسُ الدِّينِ شَاكِرُ بنِ غَزَّيْلٍ (تَصْغِيرُ غَزَالٍ) - الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبَقْرِيِّ - أَحَدُ مَسَالِمَةِ الْقِبْطِ وَنَاطِرِ الذَّخِيرَةِ السُّلْطَانِيَّةِ^(f) أَيَّامَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ حَسَنَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ قَلَاوُونَ^(g) ؛ وَهُوَ نَحَالُ الْوَزِيرِ الصَّاحِبِ سَعْدِ الدِّينِ نَصْرِ اللَّهِ بنِ الْبَقْرِيِّ^٢ . وَأَصْلُهُ مِنْ قَرْيَةٍ تُعْرَفُ بِدَارِ الْبَقْرِ^٣ ،

(a) ساقطة من بولاق . (b) بياض بآياصوفيا وميونخ . (c) الْمُسَوَّدَةُ : مَدْرَسَةُ ابْنِ الْبَقْرِيِّ . (d) الْعِبَارَةُ فِي الْمُسَوَّدَةِ : هِيَ فِي الزُّقَاقِ الْمَقَابِلُ لِبَابِ الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ دَاخِلَ بَابِ النَّصْرِ الْمَتَوَصِّلِ مِنْهُ إِلَى الْعُطُوفِ . (e) الْمُسَوَّدَةُ : الْقَاضِي . (f) إِضَافَةٌ مِنْ الْمُسَوَّدَةِ . (g) فِي الْمُسَوَّدَةِ : فِي أَيَّامِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ شُعْبَانَ بنِ حَسَنِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ قَلَاوُونَ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . - الْآيَاتَانِ ٤٥-٤٦ سُورَةُ الْحِجْرِ - أَمَرَ بِإِنشَاءِ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْمُبَارَكَةِ ابْتِغَاءً لَوَجْهِ اللَّهِ وَطَلْبًا لِرِضْوَانِهِ ، الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى شَمْسُ الدِّينِ شَاكِرُ بنِ غَزَّيْلٍ ، وَذَلِكَ بِتَارِيخِ عَامِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ . (Wiet, G., RCEA XV, n° 5992) . وَتُعْرَفُ الْمَدْرَسَةُ الْآنَ بِاسْمِ «جَامِعِ الْبَقْرِيِّ» ، وَتَقَعُ بِحَاوِزَةِ الْعُطُوفِ الْمَتَفَرِّعَةِ مِنْ شَارِعِ بَابِ النَّصْرِ بِالْجَمَالِيَّةِ ، وَسَمَّاهَا عَلِيٌّ مَبَارَكُ : «زَاوِيَةُ الْبَقْرِيِّ» . (المقريزي : السلوك ٣: ٢٢٢٩ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥٤: ٦ (٢٠) ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١: ١٢٨ هـ^١ ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٨٥١-٨٦٩) .

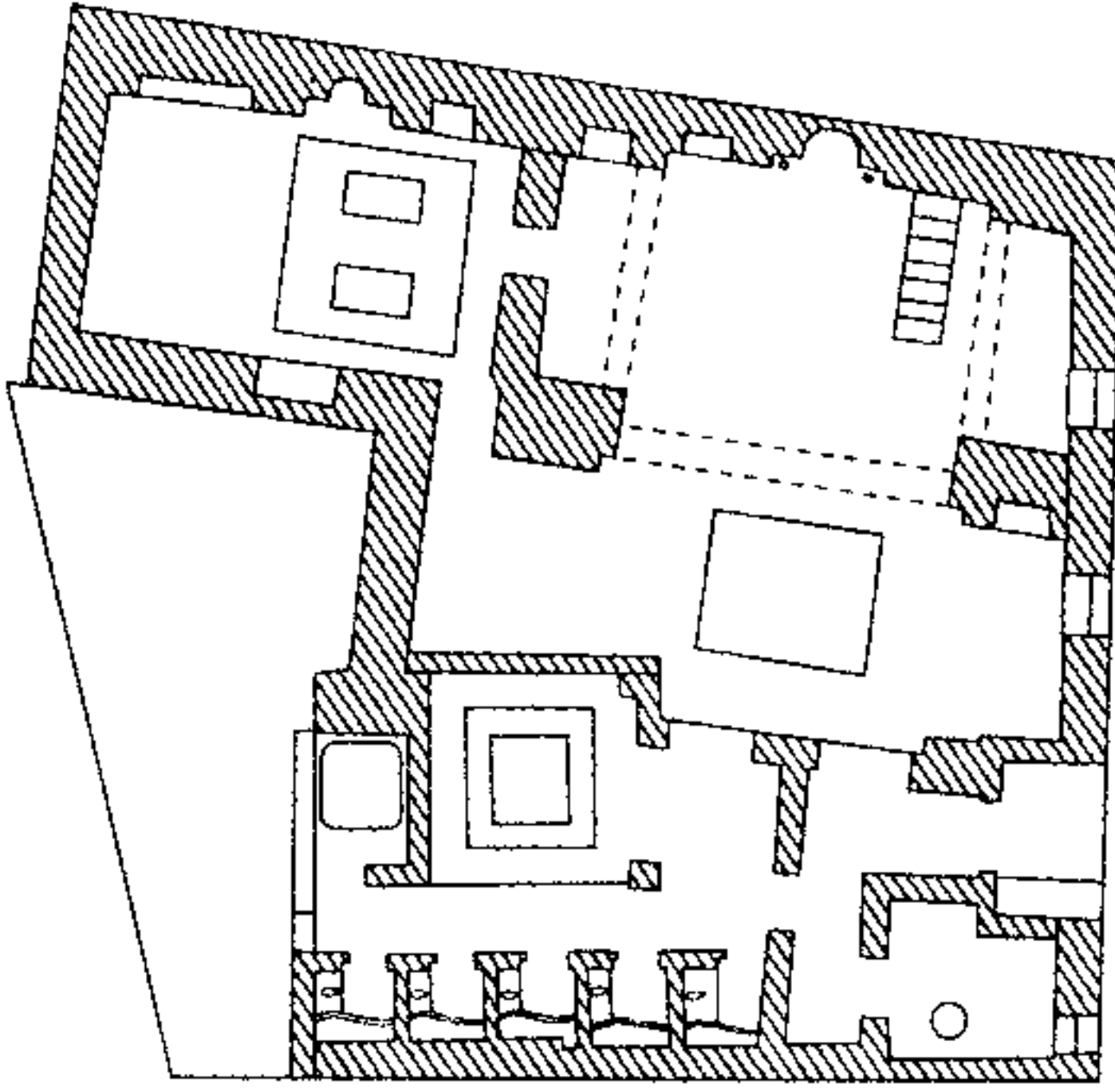
٣ حَاشِيَةٌ بِخَطِّ الْمَوْلَفِ : « قَالَ يَاقُوتُ : دَارُ الْبَقْرِ ، قَرْيَتَانِ بِبَصْرَ ، إِحْدَاهُمَا دَارُ الْبَقْرِ الْقَبِيلِيَّةِ مِنْ كُورِ الْغَرِيَّةِ ، وَثَانِيَتُهُمَا دَارُ الْبَقْرِ الْبَحْرِيَّةِ مِنْ كُورِ الْغَرِيَّةِ [أَيْضًا] » . (النَّصُّ عِنْدَ يَاقُوتَ : الْمَشْرُوكُ وَضَعًا وَالْمَفْتَرَقُ صَفْحًا ١٦٨) . =

١ جَاءَ هُنَا عَلَى هَامِشِ نُسخَةِ آياصوفيا : وَقَالَ كَاتِبُهُ فَقِيرٌ رَحِمَهُ رَبُّهُ مُحَمَّدٌ : أَسْبَغَا بنِ بَكْتَمُرِ الْبَوْبَكْرِيِّ تَنَقَّلَ فِي الْإِمْرَةِ حَتَّى أُعْطِيَ تَقْدِيمَةً فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بنِ قَلَاوُونَ فَلَمَّا مَاتَ قُبِضَ عَلَيْهِ وَشُجِنَ بِسُكَنْدَرِيَّةِ ، ثُمَّ أُفْرِجَ عَنْهُ فِي دَوْلَةِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلِ ، ثُمَّ وَلِيَ نِيَابَةَ حَلَبَ بَعْدَ طَيْبِنَا الْكَاتِبِ فَبَاشَرَهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ نُقِلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ أَمِيرًا كَبِيرًا ، وَكَانَ كَثِيرَ السُّكُونِ لَيْتِنِ الْجَنَابِ ، وَمَاتَ فِي سِنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ وَقَدْ نَيْفَ عَلَى السَّبْعِينَ .

رَاجِعْ أَيْضًا ، ابْنِ حَجَرَ : الدَّرَرُ الْكَامِنَةُ ١: ٤١٢ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ١٤٠ ؛ المنهل الصافي ٢: ٤٣٦ .

٢ صَاحِبُ دَارِ ابْنِ الْبَقْرِيِّ الْوَاقِعَةِ فِي أَوَّلِ نَحْطِ حَاوِزَةِ الْجُرَّانِيَّةِ . (فِيمَا تَقَدَّمَ ٣: ٢١١) . وَأُنشِئَتْ هَذِهِ الْمَدْرَسَةُ سِنَةَ ٧٤٦ هـ/١٣٤٦ م ، كَمَا هُوَ ثَابِتٌ بِالْكِتَابَةِ التَّارِيخِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ عَلَى عِضَادَةِ الْبَابِ ، وَنَصَّهَا :

إحدى قرى الغربية ، نشأ على دين النصارى ، وعرف الحِسَاب ، وباشر الخراج إلى أن أقدمه الأمير شرف الدين بن الأزكشي - أستاذار السلطان ومشير الدولة في أيام الناصر حسن - فأسلم على يديه ، وخاطبه بالقاضي شمس الدين ، وخالع عليه ، واستقر به في نظر الذخيرة السلطانية - وكان نظرها حينئذ من الرتب الجليلة - وأضاف إليه نظر الأوقاف والأملاك السلطانية ، ورثته مستوفيا بمدرسة الناصر حسن .



مخطط المدرسة البقرية (عن اللجنة)

فشكرت طريقته ، وحمدت سيرته ، وأظهر سيادة وحشمة ، وقرب أهل العلم من الفقهاء ، وتفضل بأنواع من البر . وأنشأ هذه المدرسة في أبداع قالب وأبهج ترتيب ، و جعل بها درسا للفقهاء الشافعية ، وقرّر في تدريسها شيخنا سراج الدين عمر بن علي الأنصاري المعروف بابن الملن الشافعي ، ورتب فيها ميعادا وجعل شيخه صاحبنا الشيخ كمال الدين بن موسى الدميري الشافعي ، وجعل إمام الصلوات بها المقرئ الفاضل زين الدين أبا بكر بن الشهاب أحمد النحوي . وكان الناس يزحلون إليه في شهر رمضان لسماع قراءته في صلاة التراويح ،

١٠

= وتدل عليهما الآن القريتان التي تسمى إحداهما بـ «الجابرية» ، والأخرى بـ «العامرية» ، من قرى مركز المحلة الكبرى بمحافظة الغربية .

لشجاً صوته، وطيب نغمته، وحسن أدائه، ومعرفته بالقراءات السبع والعشر والشواذ. ولم يزل ابن البقرى على حال الشيادة والكرامة إلى أن مرض مرض موته، فأبعد عنه من يلوذ به من النصارى، وأحضر الكمال الدميري وغيره من أهل الخير. فما زالوا عنده حتى مات وهو يشهد شهادة الإسلام في سنة ست وسبعين^(a) وسبع مائة، ودفن بمدرسته هذه، وقبره بها تحت قبّة في غاية الحسن، وولي نظر الأخيرة بعده أبو غالب. ^(b) وهذه المدرسة قبالة دار شمس الدين المذكور^(b).

ثم استجد في هذه المدرسة منبر، وأقيمت بها الجمعة في تاسع جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وثمان مائة بإشارة علم الدين داود الكونز كاتب السرا.

المدرسة القطبية الجديدة^(c)

هذه المدرسة بأول حارة زويلة مما يلي الخرنشف في رحة كوكاي، عُرفت بالسّت الجليّة الكبرى^(d) عصمة الدين مؤنسة خاتون القطبية المعروفة بدار إقبال العلّائي ابنة السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب بن شاذي. وكان وقفها في سنة خمس وست مائة، وبها درس للفقهاء الشافعية، وتصدّر قراءات وفقهاء يقرأون. ^(b) وهي بالقرب من المدرسة العاشورية^(b) ٢.

مدرسة ابن المغربي

هذه المدرسة بأخر دزب الصقلية، فيما بين سويقة المشعودي وحارة زويلة^(d). بناها صلاح الدين يوسف بن عبد الله^(e) ابن المغربي^٣ رئيس الأطباء ^(b) بالديار المصرية^(b) تجاه

(a) المسوّدة: خمس وسبعين. (b-b) إضافة من مسوّدة الخطط. (c) إضافة من المسوّدة. (d) المسوّدة: مدرسة ابن المغربي صلاح الدين بحارة زويلة في آخر دزب الصقلية قبالة دار صلاح الدين المذكور. (e) بياض في آياصوفيا وميونخ، والتبت من إنباء الغمر.

^١ المقرزي: السلوك ٤: ٦١١، وفيه أن ذلك كان سنة ٨٢٥هـ وذلك لقربها من داره التي يسكنها.

^٢ جاء هنا على هامش نسخة آياصوفيا: قال كاتبه: هذه المدرسة - أعني القطبية - ذكرها المؤلف فيما مضى بعد ذكره يوسف بن عبد الله بن المغربي مات في جمادى الآخرة =

المدرسة العاشورية من هذا الكتاب، فليُنظر هناك لتعلم أنّها كُرّرت. (انظر فيما تقدم ٤٦٨).

^٣ جاء هنا على هامش نسخة آياصوفيا: «قال كاتبه:

داره، ^(a) وهو الذي بنى جامع ابن المغربي الذي على شاطئ الخليج الناصري بقرب بركة قزموط ^١. وتوفي صلاح الدين المذكور قبل إتمامها فغلقت وهي إلى الآن كذلك ^٢. وكان قد دُفِنَ بها ثم نُقِلَ إلى قُبَيْهِ التي بجانب جامع المذكور فدُفِنَ فيها، فلم تزل إلى أن هدمتها بعض ذُرَيْتِه وباع حجارتها في سنة أربع عشرة وثمان مائة، وبقي مكانها كوم تُراب ^(a) [ثم] صار موضعها طاحونة.

المَدْرَسَةُ البَدْرِيَّةُ ^(b)

[الرّقم ٢٢]

هذه المَدْرَسَةُ بِرَحْبَةِ الأَيْدُمَرِيِّ ^٣ بالقُربِ من بابِ قَصْرِ الشُّوكِ فيما بينه وبين المَشْهَدِ الحُسَيْنِيِّ ^٤، بناها الأميرُ بَيْدَمُرُ البَدْرِيُّ ^(c) الأَيْدُمَرِيُّ ^(e) في سنة [خَمْسِ وَأَرْبَعِينَ] ^(f) وسبع مائة ^(e).

المَدْرَسَةُ البَدْرِيَّةُ

هذه المَدْرَسَةُ بجوار بابِ سِرِّ المَدْرَسَةِ الصَّالِحِيَّةِ النُّجُمِيَّةِ، كان موضعها من جملة تَرْبَةِ القَصْرِ

(a-a) هذه العبارة من المَسْوَدَةِ عوضًا عن عبارة المَبِيضَةِ. (b) بولاق: البدرية. (c) بولاق: بيدر. (d) بولاق البدرية. (e-e) إضافة من المَسْوَدَةِ، وبعدها بياض أربعة أسطر. (f) زيادة من المصادر.

= سنة ستِّ وسبعين وسبع مائة.

^١ فيما تقدم ٣٣٠-٣٣١؛ ابن حجر: إنباء الغمر ١٠١:١ وفيه: وهو صاحبُ الجامع الذي يقابل الخليج الحاكمي بالقرب من باب الخُوخَةِ بالقاهرة، وهو وصف ينطبق أكثر على المَدْرَسَةِ لا الجامع.

^٢ توفي صلاح الدين يُوسُفُ بن المغربي في جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦هـ/١٣٧٥هـ. (ابن حجر: إنباء الغمر ١٠١:١).

^٣ انظر عن رَحْبَةِ الأَيْدُمَرِيِّ، فيما تقدم ٣: ١٥١.

^٤ هذه المَدْرَسَةُ سماها المقرئ في السلوك (٢: ٧٥٤): «المَدْرَسَةُ الأَيْدُمَرِيَّةُ»، وسماها أبو المحاسن في النجوم الزاهرة (١٠: ١٨٠): «المَدْرَسَةُ البَيْدُمَرِيَّةُ». ولا تزال هذه المَدْرَسَةُ موجودة إلى الآن وتُعرف بـ «جامع البهلوان» أو «جامع أَيْدُمُر»

عند ذكر رَحْبَةِ البَدْرِيِّ.

البهلوان» بشارع أم الغلام على رأس حازة الجمادية بالقرب من المَشْهَدِ الحُسَيْنِيِّ. ويرجع تاريخ بنائها إلى عام ٧٤٥هـ/١٣٤٤م. وكانت تُعرف بالحاج داود اللُّبَّانِ المُتَكَلِّمِ عليها وصاحب الدُّكَّانِ المجاور لها. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ١١٦-١١٧ (٤٢)؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٨٠-١٨١هـ^٢؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٨٧١-٨٩٤؛ van Berchem, M., CIA (Égypte I, p. 125).

وتوفي الأمير بَيْدَمُرُ البَدْرِيُّ صاحب المَدْرَسَةِ مقتولًا بغزوة في أوائل جمادى الآخرة سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٨م. (المقرئ: السلوك ٢: ٧٥٤).

^٥ دَكَرَ المقرئ اسم بَيْدَمُرٍ كاملاً (فيما تقدم ٣: ١٥٢) عند ذكر رَحْبَةِ البَدْرِيِّ.

التي تقدم ذكرها^(a) ١، فتبش شخص من الناس يُعرف بناصر الدين محمد بن محمد بن محمد ابن بُدَيْر العبَّاسي ما هنالك من قبور الخلفاء، وأنشأ هذه المدرسة في سنة ثمان وخمسين وسبع مائة، وعمل فيها درس فقه للفقهاء الشافعية درس فيه شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين عمر ابن رسلان ابن نصير البلقيني، وهي مدرسة صغيرة لا يكاد يصعد إليها أحد.

٥. والعبَّاسي هذا من قرية بطرف الرمل يقال لها العبَّاسة^(b)، وله في مدينة بلبيس مدرسة، وقد تلاست بعدما كانت عامرة مليحة.

المدرسة الملكية

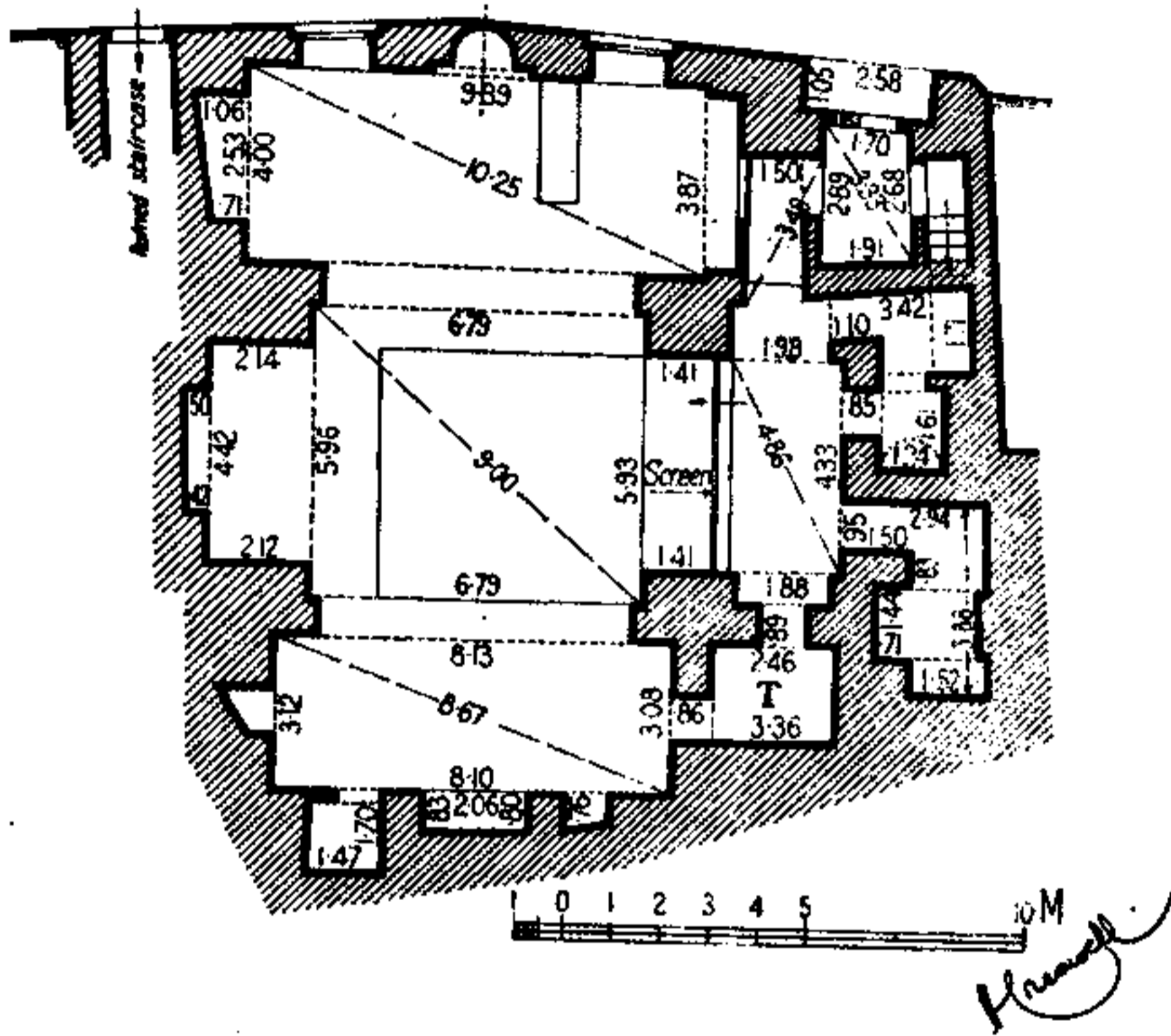
[أثر رقم ٢٤]

١٠. هذه المدرسة بخط المشهد الحسيني من القاهرة، بناها الأمير الحاج سيف الدين آل ملك الجوكندار^٢ تجاه داره، وعمل فيها درساً للفقهاء الشافعية وجزارة كتب معتبرة، وجعل لها عدة أوقاف،^(c) وكان مكانها يُعرف بدار ابن كزيمون صهر الملك الصالح^(d).

١٥. ^(d) وكان من المماليك المنصورية قلاوون وتنقل حتى صار نائب السلطنة بالديار المصرية، وكان أكبر أمراء المشورة ويعتمد عليه الملك الناصر محمد في أكثر أموره، وكان جماًعاً للمال كثير الخير بنى هذه المدرسة والجامع الذي يُعرف به في الحسينية وعدة مساجد، وحفر بطريق الحجاز آباراً، وهدم جزارة البُنود وكان هدمها فتحاً في الإسلام. وقتله الملك الكامل شعبان ابن محمد بن قلاوون بالإسكندرية في سنة سبع وأربعين وسبع مائة، فلما عاين القتل توَضَّأ وصلَّى وأعطى للدين حَضْرُوا لقتله ذهباً وترحب بهم وأوصاهم بالتَرْفُق به وقال: إِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، ثم تَمَدَّدَ وَغَطَّى وَجْهَهُ وَأَعْلَنَ بِالشَّهَادَتَيْنِ فَقَرَّ فَوْه حَتَّى مَاتَ، رحمه الله فلقد كان خيراً^(d).

(a) العبارة في المَسْوَدَة: داخل القصر عند باب سِرِّ الصَّالِحِيَّةِ، هي من حقوق القصر الكبير قصر الخلفاء، وقيل إنها بنيت فوق قبور الخلفاء الفاطميين. (b) العبارة في المَسْوَدَة: من أهل العبَّاسة القرية المشهورة بالأعمال الشرقية. (c-c) هذه العبارة من المَسْوَدَة، ووَزِدَتْ محرقة في المَبْيُضَة في آخر الخبر بالصيغة التالية: «ثم صار موضع هذه المدرسة داراً تُعرف بدار ابن كزيمون صهر الملك الصالح»؟ (d-d) هذه الفقرة إضافة من مَسْوَدَة الخطط.

وهي إلى الآن من المدارس المشهورة^١، وموضِعُها من جملة رَحْبَةِ قَصْرِ الشُّوك، وقد تقدّم ذكرها عند ذكر الرَّحَاب من هذا الكتاب^٢.



مُخَطَّط المَدْرَسَةِ المَلِكِيَّة (عن Creswell)

ولا تزال المَدْرَسَةُ المَلِكِيَّة قائمة إلى اليوم باسم جامع الجوكندار، بشارع أمِّ العُلام بالجمالية، وتسميته العائمة زاوية الشَّيخِ حَالِوْمَة، وهو رجل مغربي طالت خدمته للجامع فحرف به. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٦٩-٧٠ (٢٦)؛ أبو الحسن: اللجم الزاهرة ٩: ٣٣٣ (استدراك لحدك روي)؛ Creswell, K.A.C., MAEII, pp. 270-72؛ عاصم رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٤٩١-٥٠٥).

^٢ فيما تقدم ٣: ١٤٩-١٥٠.

^١ أُتَشِفَّت هذه المدرسة سنة ١٣١٩/٥٧١٩م كما هو مثبت في الكتابة التاريخية الموجودة على عضادتي الباب، ونصّها: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أنشأ هذا المشيّد المبارك [العَبْدُ الفَقِيرُ إلى] الله تعالى آلَ مَلِكِ الجوكندار النَّاصِرِي الرَّاجِي عَفْوِ اللَّهِ تَعَالَى ومَغْفِرَتِهِ بتأريخ سنة تسعة عشر و سبع مائة للهجرة النبوية على صاحبها السَّلام». (van Berchem, M., CIA Égypte I, n° 115; Wiet, G., RCEA XIV, n° 5408).

المدرسة الجمالية

[أثر رقم ٢٦]

هذه المدرسة بجوار^(a) دَرْبِ رَاشِدٍ من القاهرة، على باب الزُّقاق المعروف قديمًا بدَرْبِ سَيْفِ الدُّوْلَةِ نَادِرٍ^(b) قبالة دار الأمير مُغْلَطَايِ الجمالي^(b) ١، بناها الأميرُ الوَزِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ مُغْلَطَايِ الجمالي^(b) وكان وَزِيرَ السُّلْطَانِ المَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ وَأَسْتَاذِدَارِهِ وَجُمِعَتْ لَهُ هَاتَانِ الوَظِيفَتَانِ^(b) - وَجَعَلَهَا مَدْرَسَةً لِلْحَنَفِيَّةِ وَخَانِقَاءَ لِلصُّوفِيَّةِ^(c) ٢. وَوَلِيَ تَدْرِيسَهَا وَمَشِيخَةَ التَّصَوُّفِ بِهَا: الشَّيْخُ عَلَاءُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ عُثْمَانَ التُّرْكُمَانِي الحَنَفِي ٣، وَتَدَاوَلَهَا ابْنُهُ قَاضِي القَضَاةِ جَمَالُ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ التُّرْكُمَانِي الحَنَفِي ٤، وَابْنُهُ قَاضِي القَضَاةِ صَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ

(a) المُسَوَّدَةُ: بالقرب من . (b-b) إضافة من المُسَوَّدَةُ . (c) المُسَوَّدَةُ: وَجَعَلَهَا مَدْرَسَةً وَخَانِقَاءَ وَوَقَّفَهَا عَلَى الحَنَفِيَّةِ .

باسم «زاوية الجمالي» وفيه أنها واقعة بين حارة الفراخنة وقصر الشوك من خط المشهد الحسيني؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ١٨٠-٨٤؛ عاصم محمد رزق: خانقاوات الصوفية في مصر ١: ٢٥٨-٢٧٤، أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٥٧٩-٥٩٤؛ وفيما يلي ٧٤٣.

٣ قاضي القضاة علاء الدين أبو الحسن علي بن عثمان ابن إبراهيم بن مصطفى المارديني الحنفي المعروف بالترُّكُمَانِي، المتوفى سنة ١٣٤٩/٧٥٠ م. (القرشي: الجواهر المضية ٢: ٥٨١-٥٨٧؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ١٣٤؛ المقرئبي: السلوك ٢: ٨١٣؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٣: ١٥٦-١٥٧؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٤٦-٢٤٧، المنهل الصافي ٨: ١٢٠-١٢١).

٤ المتوفى سنة ٧٦٩/١٣٦٨ م، انظر ترجمته عند، القرشي: الجواهر المضية ٢: ٣١٦-٣١٨؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ٣١٦؛ المقرئبي: المقفى الكبير ٤: ٦١٥-٦١٦؛ السلوك ٣: ١٦٦؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٣٨١؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٩٩، المنهل =

١ انظر فيما تقدم ٣: ١٣٠-١٣١.

٢ أنشئت هذه المدرسة سنة ٧٣٠/١٣٣٠ م، وتقع الآن بقاياها بشارع قصر الشوق بحي الجمالية، وتعرف باسم «زاوية مُغْلَطَايِ الجمالي»، ويمتدُّ بطول واجهتها الرئيسة، وهي الواجهة البحرية، وعلى يسار المدخل شريط من الكتابة بالخط النسخ المملوكي البارز، نُصِّبَهَا:

«- الآيات ٣٧-٣٨ سورة النور - أمرٌ بإنشاء هذه الخانقاه المباركة الشعيذة من قواضيل إنعام الله وجزيل عطائه، المقرُّ الكريمُ العاليُ المؤلويُّ الأميريُّ الأجلِّيُّ الكبيرُ المُخْتَرَمِيُّ الخُدوميُّ الإِسْفِيهْسَلاريُّ العلامِيُّ عُمْدَةُ المُلُوكِ والسُّلْطَانِيْنِ مُغْلَطَايِ أَسْتَاذُ الدَّارِ العَالِيَةِ المَلِكِيِّ النَّاصِرِيِّ. وَكَانَ القَرَاغُ فِي شَهْرِ ربيع [... سنة ثلاثين وسبع مائة] .» (Wiet, G., RCEA XIV, n° 5581).

راجع كذلك، مجهول المؤلف: تاريخ سلاطين المماليك ١٨٤؛ المقرئبي: السلوك ٢: ٣٢٣، ٣٤١، ٣٥٤، وفيه أنه عمّر المدرسة بجوار داره؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٩٨؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٦٢-٦٣ (٢٣)

الثركماني الحنفي^١، ثم قريتهم حميد الدين حماد، وهي الآن بيد ابن حميد الدين المذكور. وكان شأن هذه المدرسة كبيراً يسكنها أكابر فقهاء الحنيفة، وتعد من أجل مدارس القاهرة، ولها عدة أوقاف بالقاهرة وظواهرها وفي البلاد الشامية. وقد تلاشى أمر هذه المدرسة لسوء ولاة أمرها وتخريبهم أوقافها، وتعطل منها حضور الدرس والتصوف، وصارت منزلاً يسكنه أخلاط ممن يتسبب إلى اسم الفقه، وقرب الخراب منها، وكان بناؤها في سنة ثلاثين وسبع مائة.

بن عبد الله الجمالي، الأمير علاء الدين^٢ - عُرف بخز، وهي بالتركية عبارة عن الديك^(a) بالعربية - اشتراه الملك الناصر محمد بن قلاوون، ونقله وهو شاب من الجامكية إلى الإمرة على إقطاع الأمير صارم الدين إبراهيم الإبراهيمي، نقيب المماليك السلطانية - المعروف بوزير أمه^(b) - في صفر سنة ثمان عشرة وسبع مائة، وصار السلطان يتتدبه في التوجه إلى المهمات الخاصة به، ويطلع على سيره. ثم بعثه أمير الركب إلى الحجاز في هذه السنة. فقبض على الشريف أسد الدين زميئة ابن أبي نمي صاحب مكة، وأخضره إلى قلعة الجبل في ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وسبع مائة مع الركب. فأنكر عليه السلطان سرعة دخوله، لما أصاب الحاج من المشقة في الإشرع بهم.

ثم إنه جعل أستاذار السلطان، لما قبض على القاضي كريم الدين عبد الكريم ابن المعلم هبة الله ناظر الخواص، عند وصوله من دمشق بعد سفره إليها لإحضار شمس الدين غبريال. فيوم حضر خلع عليه وجعل أستاذاراً عوضاً عن الأمير سيف الدين بكتمر العلاني، وذلك في جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة.

ثم أضاف إليه الوزارة، وخلع عليه في يوم الخميس ثامن رمضان سنة أربع وعشرين، عوضاً عن الصاحب أمين الملك عبد الله بن الغنم، بعدما استعفى من الوزارة واعتذر بأنه رجل غثمي،

(a) بولاق: الدين. (b) بولاق: الإمرة.

^٢ راجع ترجمة مُغلطاي الجمالي عند، مجهول المؤلف: الصافي ١٠٦:٧ - ١٠٨.

^١ المتوفى سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٥م، انظر ترجمته عند

المقريزي: درر العقود الفريدة ٣: ٢٥٤-٢٥٥، السلوك

٣: ٢٤٦؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٤: ٩٦-٩٧، إنباء الغمر

١: ٩٤؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١٣٠.

الزاهرة ٩: ٢٩١-٢٩٢.

٢ راجع ترجمة مُغلطاي الجمالي عند، مجهول المؤلف:

تاريخ سلاطين المماليك ١٨٤؛ الصفدي: أعيان العصر

٤٣١:٥ - ٤٣٢؛ المقريزي: السلوك ٢: ٣٥٣-٣٥٤؛ ابن

حجر: الدرر الكامنة ٤: ٣٥٥-٣٥٦؛ أبي المحاسن: النجوم

الزاهرة ٩: ٢٩١-٢٩٢.

فلم يُعْفِه السُّلْطَانُ ، وقال : أنا أَخْلِي من يُبَايِسُ معك ، ويُعْرِفُك ما تَعْمَل . وَطَلَبَ شَمْسُ الدِّينِ عُثْرِيَالُ نَاطِرَ دِمَشْقَ مِنْهَا ، وَجَعَلَهُ نَاطِرَ الدَّوْلَةِ رَفِيقًا لِلْوَزِيرِ الْجَمَالِيِّ .

فَرَفَعَتْ قِصَّةُ إِلَى السُّلْطَانِ ، وَهُوَ فِي القَصْرِ مِنَ القَلْعَةِ ، فِيهَا الحَطُّ عَلَى السُّلْطَانِ بِسَبَبِ تَوَلِيَةِ الْجَمَالِيِّ الوِزَارَةَ وَأُمَّاسَ حَاجِبًا ، وَأَنَّهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ أَضَاعَ أَوْضَاعَ المَمْلَكَةِ وَأَهَانَهَا ، وَفَرَّطَ فِي أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَالجَيْشِ ، وَأَنَّ هَذَا لَمْ يَفْعَلْهُ أَحَدٌ مِنَ المُلُوكِ « فَقَدْ وَوَلِيَّتِ الحِجَابَةَ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ يَحْكُمُ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ بِالْعَرَبِيِّ ، وَلَا يَعْرِفُ الأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ . وَوَلِيَّتِ الوِزَارَةَ وَالأُسْتَاذِيَّةَ لِشَابٍّ لَا يَعْرِفُ يَكْتُبُ اسْمَهُ ، وَلَا يَعْرِفُ مَا يُقَالُ لَهُ ، لَا يَتَصَرَّفُ فِي أُمُورِ المَمْلَكَةِ ، وَلَا فِي الأَمْوَالِ الدِّيوانِيَّةِ ، إِلَّا أَرْبَابُ الأَقْلَامِ ، فَإِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ المَالَ وَيُحِيلُونَ عَلَى الوَازِرِ » .

فَلَمَّا وَقَفَ السُّلْطَانُ عَلَيْهَا ، أَوْقَفَ عَلَيْهَا القَاضِي فَخْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ فَضْلِ اللهِ - المَعْرُوفُ بِالفَخْرِ نَاطِرَ الجَيْشِ - فَقَالَ : هَذِهِ وَرَقَةٌ الكُتَابِ البَطَالِينِ مِمَّنْ انْقَطَعَ / رِزْقُهُ وَكَثُرَ حَسَدُهُ . وَقَرَّرَ مَعَ السُّلْطَانِ أَنْ يَلْزِمَ الوَازِرَ نَاطِرَ الدَّوْلَةِ وَنَاطِرَ الخَوَاصِّ بِإِحْضَارِ أَوْرَاقٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَشْتَمِلُ عَلَى أَصْلِ الحَاصِلِ ، وَمَا مُحْمِلٍ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ البِلَادِ وَالجِهَاتِ وَمَا صُرِفَ ، وَأَنَّهُ لَا يُصْرَفُ لِأَحَدٍ شَيْءٌ أَلْبَثَ إِلَّا بِأَمْرِ السُّلْطَانِ وَعِلْمِهِ .

فَلَمَّا حَضَرَ الوَازِرُ الْجَمَالِيَّ ، أَنْكَرَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّ الدَّوَابِينَ تَلْعَبُ بِكَ . وَأَمَرَ فَأَحْضَرَ التَّاجَ إِسْحَاقَ وَعُثْرِيَالُ وَمَعْجِدَ الدِّينِ بْنِ لُفَيْتِهِ^(a) ، وَقَرَّرَ مَعَهُمْ أَنْ يُحْضِرُوا آخِرَ كُلِّ يَوْمٍ أَوْرَاقًا بِالحَاصِلِ وَالمُصْرُوفِ ، وَقَدْ فَصَّلَتْ بِأَسْمَاءِ مَا يُحْتَاجُ إِلَى صَرْفِهِ وَإِلَى شِرَائِهِ وَيَبِيعِهِ . فَصَارُوا يُحْضِرُونَ كُلَّ يَوْمٍ الأَوْرَاقَ إِلَى السُّلْطَانِ ، وَتُقْرَأُ عَلَيْهِ ، فَيُصْرَفُ مَا يَخْتَارُ ، وَيُوقَفُ مَا يُرِيدُ . وَرَسَمَ أَيْضًا أَنَّ مَالَ الجِيزَةِ كُلَّهُ يُحْمَلُ إِلَى السُّلْطَانِ ، وَلَا يُصْرَفُ مِنْهُ شَيْءٌ .

ثُمَّ لَمَّا كَانَتِ الفِتْنَةُ بِشَرْ الإِسْكَانْدَرِيَّةِ بَيْنَ أَهْلِهَا وَبَيْنَ الفَرِجِ ، وَغَضِبَ السُّلْطَانُ عَلَى أَهْلِ الإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، بَعَثَ بِالْجَمَالِيِّ إِلَيْهَا . فَسَارَ مِنَ القَاهِرَةِ فِي أَثْنَاءِ رَجَبِ سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعٍ مِائَةٍ ، وَدَخَلَ إِلَيْهَا ، فَجَلَسَ بِالخُمْسِ ، وَاسْتَدْعَى بِوُجُوهِ النَّاسِ^(b) ، وَقَبِضَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ العَامَّةِ ، وَوَسَطَ بَعْضَهُمْ ، وَقَطَعَ أَيْدِي جَمَاعَةٍ وَأَرْجُلَهُمْ ، وَضَادَرَ أَرْبَابَ الأَمْوَالِ حَتَّى لَمْ يَدَعْ أَحَدًا لَهُ ثَرْوَةٌ حَتَّى أَلْزَمَهُ بِمَالٍ كَثِيرٍ . فَبَاعَ النَّاسُ حَتَّى ثِيَابَ نِسَائِهِمْ فِي هَذِهِ المُصَادَرَةِ . وَأَخَذَ مِنَ الشُّجَارِ شَيْئًا كَثِيرًا ، مَعَ تَرْفُقِهِ بِالنَّاسِ فِيمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنَ الكُتُبِ بِتَفْكِ الدَّمَاءِ ، وَأَخَذَ الأَمْوَالِ .

(a) بولاق : لعيبة . (b) بولاق : أهل البلد .

ثم أحضر العُدَد التي كانت بالثغر مُرَصَّدة برسم الجهاد، فبلغت ستة آلاف عُدَّة، ووضَعها في حَاصِل، وختَم عليه. وخرَج من الإسكندرية بعد عشرين يَوْمًا، وقد سفَكَ دِماء كثيرة، وأخذ منها مائتي ألف دينار للسلطان، وعادَ إلى القاهرة، فلم يزل على حاله إلى أن صُرفَ عن الوزارة في يوم الأحد ثاني شَوال سنة ثمانٍ وعشرين. ورُسم أن تُوفَّرَ وظيفَةَ الوزارة من ولاية وزير، فلم يستقرَّ أحدٌ في الوزارة، وبقي الجمالي على وظيفَةِ الأستادارية.

وكان سببُ عزله عن الوزارة توقُّفَ حال الدولة، وقلة الواصِل إليها. فعمل عليه الفخر ناظر الجيش والتاج إسحاق، بسبب تقديمه لمحمد بن لُقَيْتة، فإنه كان قد اشتقرَّ في نظر الدولة والصُّحبة والبيوت، وتحكَّم في الوزير وتسلَّم قيادته. فكُتبت مُرافعات في الوزير، وأنه أخذَ مالا كثيرا من مال الجيزة، فخرَج الأميرُ أَيْتُمُش المجدِي بالكشف عليه، وهَمَّ السلطانُ بإيقاع الحوَطة به. فقامَ في حقِّه الأميرُ بكتُمُر الساقِي حتى عُفِيَ عنه، وقُبِضَ على كثير من الدواوين.

ثم إنَّه سافرَ إلى الحِجَاز، فلما عادَ توفي بسطحِ عَقْبَةِ أَيْلَة، في يوم الأحد سابع عشر المحرم سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائة، فصُبرَ وحُمِلَ إلى القاهرة، ودُفِنَ بهذه الخانقاه في يوم الخميس حادي عشرين المحرم المذكور، بعدما صُلِّيَ عليه بالجامع الحاكِمِي. ووَلَّى السلطانُ بعده الأستادارية الأميرَ آقْبغا عبد الواحد. وكان يُتوبُ عن الجمالي في الأستادارية ألطنقُش مَمْلوك الأفرم، نقله إليها من ولاية الشَّرْقِيَّة.

وكان الجمالي حَسَن الطَّباع، يميلُ إلى الخَيْر مع كثرة الحِشمة، ومما شُكِرَ عليه في وزارته أنه لم يَتَحَلَّ على أحدٍ بولاية مُباشرة، وأنشأ ناسًا كثيرًا، وقصِدَ من سائر الأعمال. وكان يُقبل الهدايا ويحب التَّقادُم، فحلت له الدنيا وجمَع منها شيئًا كثيرًا. وكان إذا أخذَ من أحدٍ شيئًا على ولاية، لا يَغزله حتى يَعرِفَ أنه قد اكتسب قَدْرًا ما وَزَنَه له ولو أكثرَ عليه في السَّعي، فإذا عَرَفَ أنه أخذَ ما عَرَمَه عَزَلَه ووَلَّى غيره، ولم يُعرَفَ عنه أنه صادَرَ أحدًا ولا احتَلَسَ مالا. وكانت أيامه قَليلة الشَّرِّ، إلا أنه كان يَغزِلُ ويُوَلِّي بالمال فترايَدُ النَّاسُ في المناصب، وكان له عَقِبٌ بالقاهرة غير صالحين ولا مُصلِحين.

المدرسة الفارسية

هذه المدرسة بخط الفهّادين^١ بأول العُطوفية بالقاهرة، كان موضعها كنيسة تُعرف بكنيسة الفهّادين. فلما كانت واقعة النَّصارى في سنة ست وخمسين^(a) وسبع مائة، هدمها الأمير فارس الدين البكي - قريب الأمير سيف الدين آل ملك الجوكندار - وبني^(b) في موضعها^(b) هذه المدرسة - (أثابه الله الجنة^(b)) - ووقف عليها وقفًا يقوم بما تحتاج إليه^٢.

المدرسة السابقية

[أثر رقم ٤٥]

هذه المدرسة داخل قصر الخلفاء الفاطميين من جُملة القصر الكبير الشرقي الذي كان دار الخلافة، ويتَّوَصَّل إلى هذه المدرسة الآن من (الزُّقاق المقابل^(c) لحمام البيسري بخط بين القصرين، وكان يتَّوَصَّل إليها أيضًا من باب القصر المعروف بباب الرِّيح - وهو الباب المظلم الذي في آخر^(d) الرُّكن المخلَّق - وموضعه الآن قيسارية الأمير جمال الدين يوسف الأستادار^٣.

(a) المُسَوِّدة: خمس وخمسين. (b-b) إضافة من المُسَوِّدة. (c-c) من المُسَوِّدة، وفي النسخ: من تجاه حمام. (d-d) من المُسَوِّدة، وفي النسخ: بباب الرِّيح من خط الركن المخلَّق.

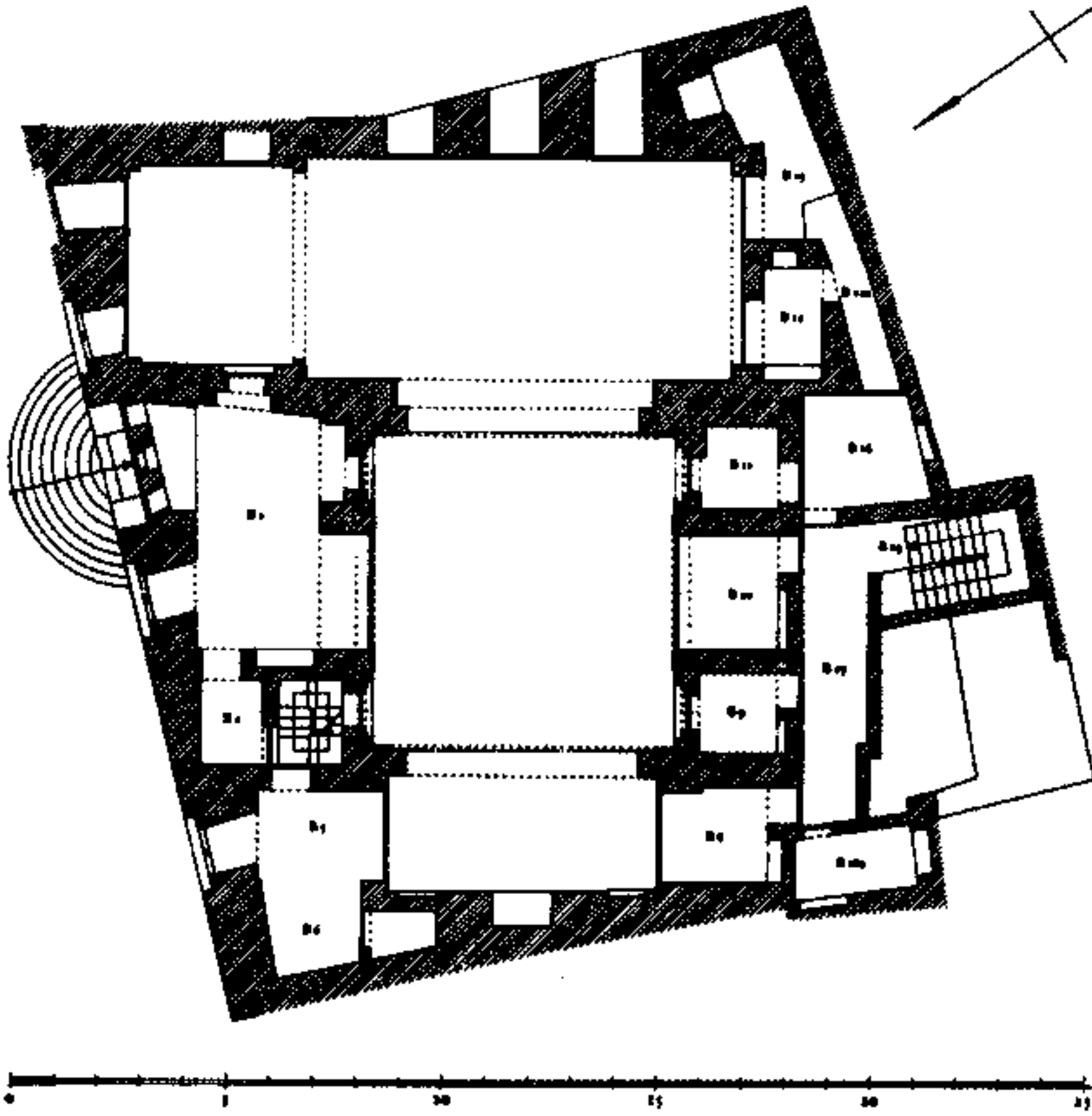
مُقال» و«جامع دُزب قِزْمِز» في حالة مُتخربة منذ فترة طويلة، حتى تمَّ ترميمها وإصلاحها بواسطة المعهد الألماني للآثار بالقاهرة في سبعينيات القرن العشرين. وهي مدرسة مُعلَّقة يُصعدُ إليها بعشر درجات، ويؤمُّ تحتها طريقٌ تُوصِّل بين دُزب قِزْمِز ومِيدان يَت القاضي، وعلى جانبي تلك الطريق قاعاتُ بأسفل المدرسة. وعُتبتُ باب المدرسة السفلية قطعة من الجرانيت الأسود عليها كتابةٌ مصرية قديمة. وتوجد بأعلى مدخل المدرسة كتابةٌ تاريخية تحمل النصَّ التالي:

«أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة العبدُ الفقيرُ إلى الله سابق الدين مُقدِّم الممالك غفرَ الله له» (van Berchem, M., CIA Égypte I, n° 166; Kalus, L., RCEA = (XVII, n° 763 001

^١ انظر عند خط الفهّادين (فيما تقدم ٣: ١٠٣)، وهو الخطُّ الواقع فيما بين الجوانية والمناخ.

^٢ حلُّ مكان «المدرسة الفارسية» الآن، الزاوية المعروفة بـ «زاوية الأربعين» الواقعة داخل عطفة الزاوية المتفرعة من دُزب الزاوية التي يتَّوَصَّل إليها من حارة المبيضة المتفرعة من شارع الجمالية أمام جامع سعيد الشَّهداء. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١١٤هـ).

^٣ كانت هذه المدرسة تقع في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي داخل خطِّ أمير سلاح الذي أصبح يُطلق عليه منذ هذا التاريخ وإلى الآن «دُزب قِزْمِز» (انظر فيما تقدم ٣: ٩٤). وكانت المدرسة التي تُعرف الآن باسم «جامع



مُخَطَّط المَدْرَسَةِ السَّابِقِيَّةِ (عن Meinecke)

بَنَى هَذِهِ المَدْرَسَةَ الطَّوَّاشِي الأَمِيرُ سَابِقُ الدِّينِ مِثْقَالُ الأَنُوكِيِّ مُقَدِّمُ المَمَالِيكِ السُّلْطَانِيَّةِ الأَشْرَفِيَّةِ^١،

Anûkî und die Sanierung des Darb Qirmiz in Kairo, Mainz 1980.؛ عاصم محمد رزق: أطلس

العِمَارَةِ الإِسْلَامِيَّةِ ٢: ١٢١٩-١٢٤٠).

^١ الأَمِيرُ سَابِقُ الدِّينِ مِثْقَالُ الأَنُوكِيِّ الطَّوَّاشِي الحَبَشِيُّ، مُقَدِّمُ المَمَالِيكِ السُّلْطَانِيَّةِ. أَصْلُهُ مِنْ خُدَّامِ أَنُوكِ ابْنِ السُّلْطَانِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ، المَتَوَفَى سَنَةَ ٧٧٦هـ/١٣٧٥م. (المَقْرِيزِيُّ: السُّلُوكُ ٣: ٢٤٧؛ ابْنُ حَجَرٍ: الدَّرَرُ الكَامِنَةُ ٣: ٣٦٣، إِبْنَاءُ العَمْرِ ١: ١٠٠؛ أَبُو المَحَاسَنِ: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١١: ١٣٥، المَنْهَلُ الصَّافِي ٩: ١٩٦-١٩٧).

= وَقَدْ جَعَلَ عَلِيٌّ مَبَارَكٌ وَمُحَمَّدٌ رَمَزِيٌّ تَارِيخَ إِنْشَاءِ المَدْرَسَةِ سَنَةَ ٧٦٣هـ/١٣٦٢م، رَغْمَ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِي النُّصِّ الإِنْشَائِيِّ. (رَاجِعِ، المَقْرِيزِيُّ: السُّلُوكُ ٣: ٢٤٧؛ أبا المَحَاسَنِ: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١١: ١٣٥؛ عَلِيٌّ مَبَارَكٌ: المَخَطُّطُ التَّوْفِيقِيُّ ٢: ٩٠، (١٣)، ٤: ٢٣١، (١١١)، ٦: ١٧؛ (٧)؛ سَعَادٌ مَاهِرٌ: مَسَاجِدُ مِصْرَ ٣: ٣٢١-٣٢٨؛ Meinecke, M., *Die Madrasa des Amirs Mitqâl in Kairo, Mainz 1976*; id., *Die Restaurierung der Madrasa des Amirs Sâbiq al-Dîn Mitqâl al-*

و^(a) لما كملت في سنة اثنتين وسبعين وسبع مائة^(a) جعل بها دَرَسًا للفقهاء الشافعية قرّر في تدرّيسه شيخنا شيخ الشيوخ سراج الدين عمر بن علي الأنصاري المعروف بابن / الملقّن الشافعي^١، وجعل فيها تصدير قراءات وخرزاة كتب وكتّابًا يقرأ فيه أئام المسلمين،^(a) ووليّ تصديرها لشيخنا فخر الدين إمام الجامع الأزهر^(a)، وبني بينها وبين داره - التي تُعرف بقصر سابق الدين - حوض ماءٍ للسبيل هدّمه الأمير جمال الدين يوسف الأستادار لما بني داره المجاورة لهذه المدرّسة.

ووليّ سابق الدين تقدّمة الممالك بعد الطواشي شرف الدين مختص الطقتمري في صفر سنة ثلاث وستين وسبع مائة، ثم تنكّر عليه الأمير يلْبغا الخاصكي القائم بدولة الملك الأشرف شعبان بن حسين وضربه ست مائة عصا وسجنه، ونفاه إلى أسوان في آخر شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين، فلم يكن غير قليل حتى قتل الأمير يلْبغا، فاستدعى الأشرف سابق الدين من قوص، وصرف ظهير الدين مختارًا - المعروف بشاذزوان - عن التقدّمة وأعادّه إليها، فاستمرّ إلى أن مات سنة ست وسبعين وسبع مائة^٢.

المدرّسة القيسرانية

هذه المدرّسة بجوار المدرّسة الصّاحبية، بشويقة الصّاحب، فيما بينها وبين باب الخوخة^٣. كانت دارًا يسكنها القاضي الرئيس شمس الدين محمد بن إبراهيم القيسراني، أخذ موقعي

(a-a) إضافة من المتوّدة.

١ سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد

الأنصاري الأندلسي الأضل المصري المؤلد والدار والوفاة،

٢ المقريزي: السلوك ٣: ٢٤٧؛ أبو المحاسن: النجوم

المعروف بابن الملقّن وابن التّحوي، المتوفى سنة ٨٠٤هـ /

الزاهرة ١١: ١٣٥.

١٤٠١م. قال المقريزي: «دفن على أبيه بحوش الصّوفيّة

٣ كانت المدرّسة الصّاحبية (فيما تقدم ٤٧٦) تقع على

خارج باب التّضر. كان من أعذب الناس ألفاظًا وأحسنهم

يسار الدّاخل في شويقة الصّاحب التي خلّ محلها، قبل

خُلِقًا وأجملهم صورةً وأفكهم محاضرةً، صحبته عدّة سنين

توسيع شارع بورسعيد، شارع اللّبودية وشارع الشّيطان

وأخذت عنه كثيرًا من مزيواته ومصنّفاته. (درر العقود

الصّاحب، في الناصية التي كان يتلاقى فيها هذا الشّارع

الفريدة ٢: ٢٤٩ - ٤٣١؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٢: ٢١٦ -

بشارع حخّام الثلاث، حيث يوجد على يمينه موقع =

٢١٨، ذيل الدرر الكامنة ١٢١ - ١٢٣، السخاوي: الضوء

الدست بالقاهرة، فوقفها قبل موته مدرسة وذلك في ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وسبع مائة، وتوفي سنة اثنتين وخمسين وسبع مائة^١.

وكان حشماً كبيراً الهمة، سعى بالأمير سيف الدين بهادر الدرداشي في كتابة السّر بالقاهرة مكان علاء الدين علي بن فضل الله العمري، فلم يتم ذلك، ومات الأمير بهادر، فأنحط جانيه، وكانت دنياه واسعة جداً، وله عدة تماليك يتوصل بهم إلى السعي في أغراضه عند أمراء الدولة، وكان يُنسب إلى شح كبير.

المدرسة الزمامية

[أثر رقم ١٧٧]

هذه المدرسة بخط رأس البندقيين من القاهرة، فيما بين البندقيين وسويقة الصاحب^٢. بناها الأمير الطواشي زين الدين مقبل الرومي، زمام الأدر الشريف للسلطان الظاهر برفوق^٣ في سنة سبع وتسعين وسبع مائة، وجعل بها درساً وصوفيةً ومبناً يُخطب عليه في كل جمعة،^(a) ورُتب فيها درس حديث قرر فيه شيخنا زين الدين عبد الرحيم المعروف بالعراقي المحدث الحافظ^(a).

(a-a) إضافة من المصوّدة.

عُمد بل سقفه على بوائكه، كان يُعرف بـ «جامع الخصي» فتخرّب حتى عمّره رجل مغربي سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م يعرف بالحاج مصطفى، وزخرفه وأنفق في تغميره مالا جسيماً فُعرف به. ويعرف الآن باسم جامع الدوايدي ويقع في حارة شرف الدين بالحجازي. (راجع، المقرئ: السلوك ٣: ٦٦؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٣: ١٦٨؛ ابن لإياس: بدائع الزهور ٢/١: ٧٨٩؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ٢٧٧ (١٢٢))؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٣: ١١٣-١٢١؛ وانظر كذلك van Berchem, M., *CIA Egypte I*, n° 200-201.

^٣ توفي الأمير الطواشي زين الدين مقبل الظاهري المعروف بالرومي زمام الدار السلطاني في أول ذي الحجة سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م. (انظر الإحالات المذكورة في الهامش السابق).

= المدرسة الصّاحبية. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٦: ٢٨٠هـ). وقد اقتضى فتح شارع الأزهر سنة ١٩٣٠ بموجب المرسوم الصادر في ٢٦ يوتية سنة ١٩٢٣ إزالة كثير من المباني ومن بينها الدار التي حلت محل المدرسة القيسرانية التي كانت تقع بخري المدرسة الصّاحبية بينها وبين باب الخوخة وزال كل أثر لها الآن. (المقرئ: السلوك ٢: ٨٥٧؛ علي مبارك الخطط التوفيقية ٦: ٣٥-٣٦ (١٤)؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٥٢هـ).

^١ المقرئ: السلوك ٢: ٨٥٧.

^٢ ذكر علي مبارك أن هذه المدرسة حل محلها الجامع المعروف بـ «جامع المغربي» الواقع في حارة شرف الدين، على يمين الذهاب من درب سعادة إلى الحجازي، وهو جامعٌ بغير

وبينها وبين المدرسة الصاحبية دون مدى الصوت ، فيسمع كل من مُصلي الموضعين^(a) تكبير الآخر . وهذا وأنظاره بالقاهرة من شنيع ما حدث في غير موضع ، ولا قوة إلا بالله على إزالة هذه المبتدعات .

المدرسة الصغرية

٥. ^(b)المجاورة لدار القاضي محب الدين ناظر الجيش^(b) فيما بين البندقيين وطواحين الملحيين ، ويُعرف حُطها بيتت محب الدين ناظر الجيوش ، ويُعرف أيضًا بحُط بين العواميد . ^(b)وهي الآن مُغلقة^(b) بنتها الست أيدكين زوجة الأمير سيف الدين بكجا الناصري في سنة إحدى وخمسين وسبع مائة . ^(b)وهي تجاه الفندق المعروف بالعكر والإسطبل الذي خلف ظهر الدار الكبرى المعروفة بدار كئبغا^(b) .

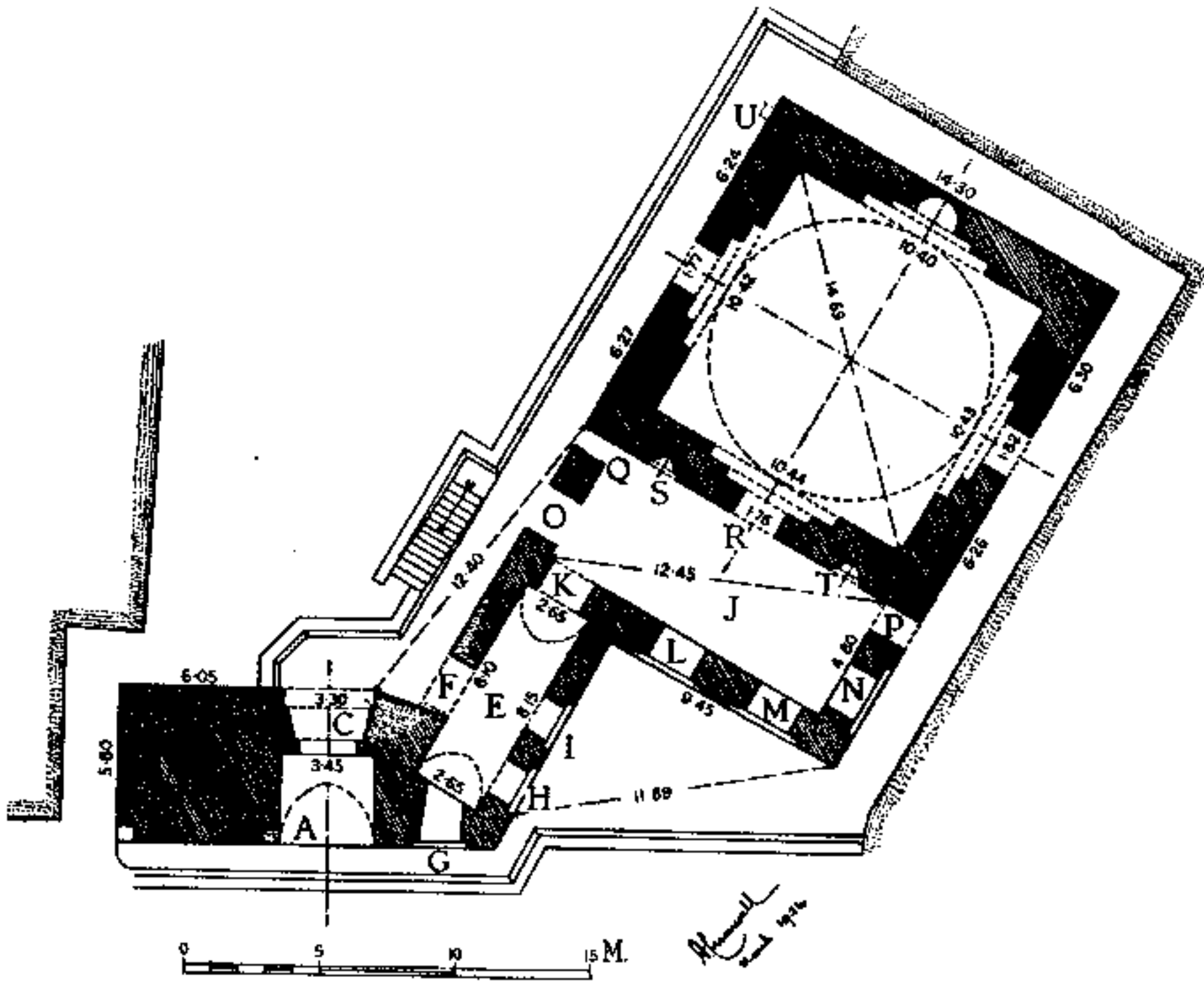
تربة الصالح علي^(c)

[أثر رقم ٢٧٤]

١٥. هذه التربة^(d) بجوار المدرسة الأشرفية^١ بالقرب من المشهد النفيسي فيما بين القاهرة ومصر ، موضعها من جملة ما كان بُستانا . أنشأها السلطان^(e) الملك المنصور قلاوون ^(b)ونجزت عمارتها^(b) على يد الأمير علم الدين سنجر الشجاع في سنة اثنتين وثمانين وست مائة برسم أم الملك الصالح علاء الدين علي بن الملك المنصور قلاوون . فلما كمل بناؤها نزل إليها الملك المنصور^{١٥} ومعه ابنه الصالح علي ، وتصدقًا عند قبرها بمال جزيل ، ورُتب لها وقفًا حسنًا على قراء وفقهاء وغير ذلك . وكانت وفاتها في سادس عشر شوال سنة ثلاث وثمانين وست مائة^٢ .

(a) بولاق : كل من صلى بالموضعين . (b-b) إضافة من المسودة . (c) بولاق : مدرسة تربة أم السلطان ، وسائر النسخ : تربة الصالح ، والمثبت من المسودة . (d) بولاق والنسخ : المدرسة . (e) إضافة من المسودة .

^١ انظر عن المدرسة الأشرفية فيما تقدم ٣: ٧٧٣هـ ،^٣ (الانتصار ٤: ١٢٥) ، والتي دُفن بها في سنة ٦٨٧هـ /
وفيما يلي ٦٧٣ .
^٢ هي التربة التي سَعها ابن دُقمق «التربة الخائونية» أبيه ، ثم دُفنت بها ابنته خاتون أرملة الملك السعيد محمد =



مُخَطَّطُ نَزْوَةِ فَاطِمَةَ نَحَاتُون (أُمِّ الصَّالِحِ) (عن Creswell)

مَدْرَسَةُ ابْنِ عَرَّامٍ

هذه المَدْرَسَةُ بجوار جَامِعِ أَمِيرِ مُحْسِنِينَ بِحَكْرِ جَوْهَرِ الثُّوبِيِّ مِنْ بَرِّ الْخَلِيْجِ الْعَرَبِيِّ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ^١. أَنْشَأَهَا^٢ الْأَمِيرُ صَالِحُ الدِّينِ خَلِيلُ بْنُ عَرَّامٍ، وَكَانَ مِنْ فَضْلَاءِ النَّاسِ، تَوَلَّى نِيَابَةَ

١٠٥؛ وفيما تقدم ٣: ٣٠٧).

١ انظر موضع جامع الأمير حسين، فيما تقدم ٢١٤-٢١٦.
٢ هذه المَدْرَسَةُ هي المَدْرَسَةُ التي كانت تُعْرَفُ بِجَامِعِ الْمُؤَصِّفِيِّ، لِأَنَّهُ نَزَلَ بِهَا فِي أَوَائِلِ الْقَرْنِ الْعَاشِرِ الْهَجْرِيِّ الشَّيْخُ الْعَالِمُ الزَّاهِدُ نُوْرُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ خَلِيلِ الْمُؤَصِّفِيِّ. وَأَتَّخَذَهَا زَاوِيَةً لَهُ بِسَبَبِ تَعَطُّلِهَا. وَلَمَّا مَاتَ سَنَةَ ٩٣٥هـ/١٥٢٩م دُفِنَ بِهَا. وَكَانَتْ مَدْرَسَةً لِابْنِ عَرَّامٍ (بِجَامِعِ الْمُؤَصِّفِيِّ) تَجَاوَرُ جَامِعَ الْأَمِيرِ حُسَيْنٍ مِنْ جِهَتِهِ الشَّرْقِيَّةِ، وَقَدْ تَخَرَّبَتْ الْآنَ. (المقريزي: السلوك ٣: ٣٩٨؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١٨٥؛ علي مبارك: الخيطة التوفيقية ٣: ٢١٩-٢٢٠ (٥٦)، ١: ٦-٢ (٢)).

= بَرَكَةُ خَانَ، ثُمَّ دُفِنَ بِهَا فِي سَنَةِ ٧٤٦هـ/١٣٤٥م الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ، كَمَا دُفِنَ بِهَا فِي سَنَةِ ٧٦١هـ/١٣٦٠م الْمَلِكُ الصَّالِحُ صَالِحُ ابْنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ. (راجع، ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٠٤، تشریف الأيام والعصور ٢٨٩؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٢٧٢-٢٧٣؛ المقريزي: مُسَوِّدَةُ الْمَوَاعِظِ وَالْإِعْتِبَارِ ٤٢٧؛ العيني: عقد الجمان ٢: ٣٠٨؛ علي مبارك الخيطة التوفيقية ٦: ١٠ (٥)؛ Creswell, K.A.C., MAEII, pp. 180-85؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ٤٤-٥١؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٩١-

الإسكندرية، وكتب تاريخًا، وشارك في علوم^١. فلما قُتِلَ الأمير بركة بسجن الإسكندرية، نارت ممالكه على الأمير الكبير بزقوق حنقًا لقتله. فأنكر الأمير بزقوق قتله، وبعث الأمير يونس الثوروزي ذواداره لكشف ذلك، فنبش عنه قبره، فإذا فيه ضربات عدة إحداهن في رأسه، فأتهم ابن عزام بقتله من غير إذن له في ذلك. فأخرج بركة من قبره - وكان بشابه من غير غسل ولا كفن - وغسله وكفنه.

وأحضَرَ بابن عزام معه، فسجنَ بخزانة شمائل داخل باب زويلة من القاهرة، ثم عُصِرَ، وأُخْرِجَ يوم الخميس خامس عشر رَجَب سنة اثنتين وثمانين وسبع مائة من خزانة شمائل، وأمرَ به فُسِّمَ عزيانًا بعد ما ضربَ عند باب القلعة / بالمقارع ستة وثمانين شيتًا^(a) بحضرة الأمير^(b) قَطْلُوا قَتْمَر أمير جائدار^(b) والأمير مامور حاجب الحُجَاب. فلما أُنْزِلَ من القلعة، وهو مُسَمَّرٌ على الجمَل، أنشد:

[مجزوء الرمل]

لَكَ قَلْبِي تُحِلُّهُ^(c) فَمِ يَ لِمَ تُحِلُّهُ
لَكَ مِنْ قَلْبِي الْمَكَ نَ فِ لِمَ لَا تُحِلُّهُ
قَالَ إِنْ كُنْتَ مَالِكًا فَلَسِي الْأَمْرُ كُلُّهُ

وما هو إلا أن وَقَفَ بشوق الخيل تحت القلعة، وإذا بممالك بركة تراكت^(d) عليه تضربه بسيوفها حتى تَقَطَّعَ قِطْعًا، وحز رأسه وعلق على باب زويلة، وتلاعبت أيديهم به فأخذَ واحِدَ أُذُنِهِ، وأخذَ آخَرَ رِجْلِهِ، واشتوى آخِرَ قِطْعَةٍ من لحمه ولاكها، ثم جَمِعَ ما وَجَدَ منه، ودَفِنَ بِمَدْرَسَتِهِ هذه. فقال في ذلك صَاحِبُنَا الأديبُ شهابُ الدِّينِ أحمدُ بنُ العَطَّارِ^٢:

(a) ساقطة من بولاق. (b-b) في بولاق: قتلودمر الحازندار. (c) بولاق: نخله. (d) بولاق: قد أكت.

^١ توفي الأمير صلاح الدين خليل بن عزام، نائب الإسكندرية، سنة ٥٧٨٣/١٣٨١ م. (راجع ترجمته عند، المقرئ: السلوك ٣: ٣٩٦-٣٩٨، ٤٠٨؛ ابن حجر: إنباء الغمر ١: ٢٢٣؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١٨٣-١٨٧، المنهل الصافي ٥: ٢٦٣-٢٦٨) وفيه أنه صنّف تاريخًا في عشرة أجزاء؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/٢ (٢٨١). وإلى هذا الموضع انتهى ذكر مدرسة ابن عزام في المسوِّدة، ثم أضاف المقرئ: «وله قصّة تُذَكِّرُها في التبييض

^٢ شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي ابن العطار الدنيسري المصري الأديب الشاعر، المتوفى سنة ٥٧٩٤/١٣٩٢ م. (المقرئ: درر العقود الفريدة ١: ٢٠٣-٢٠٦، السلوك ٣: ٧٧٦؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٢٠٦-٣٠٨، إنباء الغمر ١: ٤٤١؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٢: ١٢٨، المنهل الصافي ٢: ١٧٧-١٧٩).

[الوافر]

بَدَتِ أَجْزَاءُ ابْنِ عُرَامٍ خَلِيلٍ مُقَطَّعَةٌ مِنَ الضَّرْبِ الثَّقِيلِ
وَأَبَدَتِ أَبْحُرَ الشُّعْرِ المَرَاثِي مُحَرَّرَةٌ بِتَقْطِيعِ الخَلِيلِ

مَدْرَسَةُ مُحَمَّدِ الأَسْتَاذِ دار^(a)

[أثر رقم ١١٧]

^(b) هي المَدْرَسَةُ المُسْتَجَدَّةُ التي بالموازين خارج بابِ زَوِيَلَةَ^١ قُبَالَةَ دارِ القُرْدُمِيَّةِ ، ^(c) يُشْبِهُ أَنْ مَوْضِعَهَا كان في القديم من جملة الحارة التي كانت تُعْرَفُ بِالمَنْصُورَةِ^(c) . وكان الأمير جمال الدين محمود بن علي أستاذ دار السلطان الملك الظاهر سيف الدين بَرْقُوق قد استأجر من السُّتِّ حَوْنَدُ المعروفة بالقُرْدُمِيَّةِ ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون دار القُرْدُمِيَّةِ^٢ ، وهي دار الأمير أَلْجَاي الدَّوَادار النَّاصِرِي وأصلح ما تَشَعَّثَ منها وَرَحَّمَهَا ، ثم سَكَنَهَا وَبَنَى قُبَالَتِهَا مَدْرَسَتَهُ هذه وَبَنَى القُبَّةَ التي دُفِنَ فِيهَا إلى جانبها وَبَنَى فِي عُلُوِّ المَدْرَسَةِ ساباطاً ومدَّه إلى أن وَصَلَهُ بِدارِ القُرْدُمِيَّةِ المذكورة ، وَسَدَّ بابَ رُقاقِ القاعة فكان في مَوْضِعِ القُبَّةِ ، وَفَتَحَ لِلرُّقاقِ المذكور باباً من شرقي المَدْرَسَةِ^٣ . وكانت عمارَةُ هذه المَدْرَسَةِ في سنة سبعٍ وتسعينٍ وسبعٍ مائة^٤ ، وتُوفِي وَلَمْ

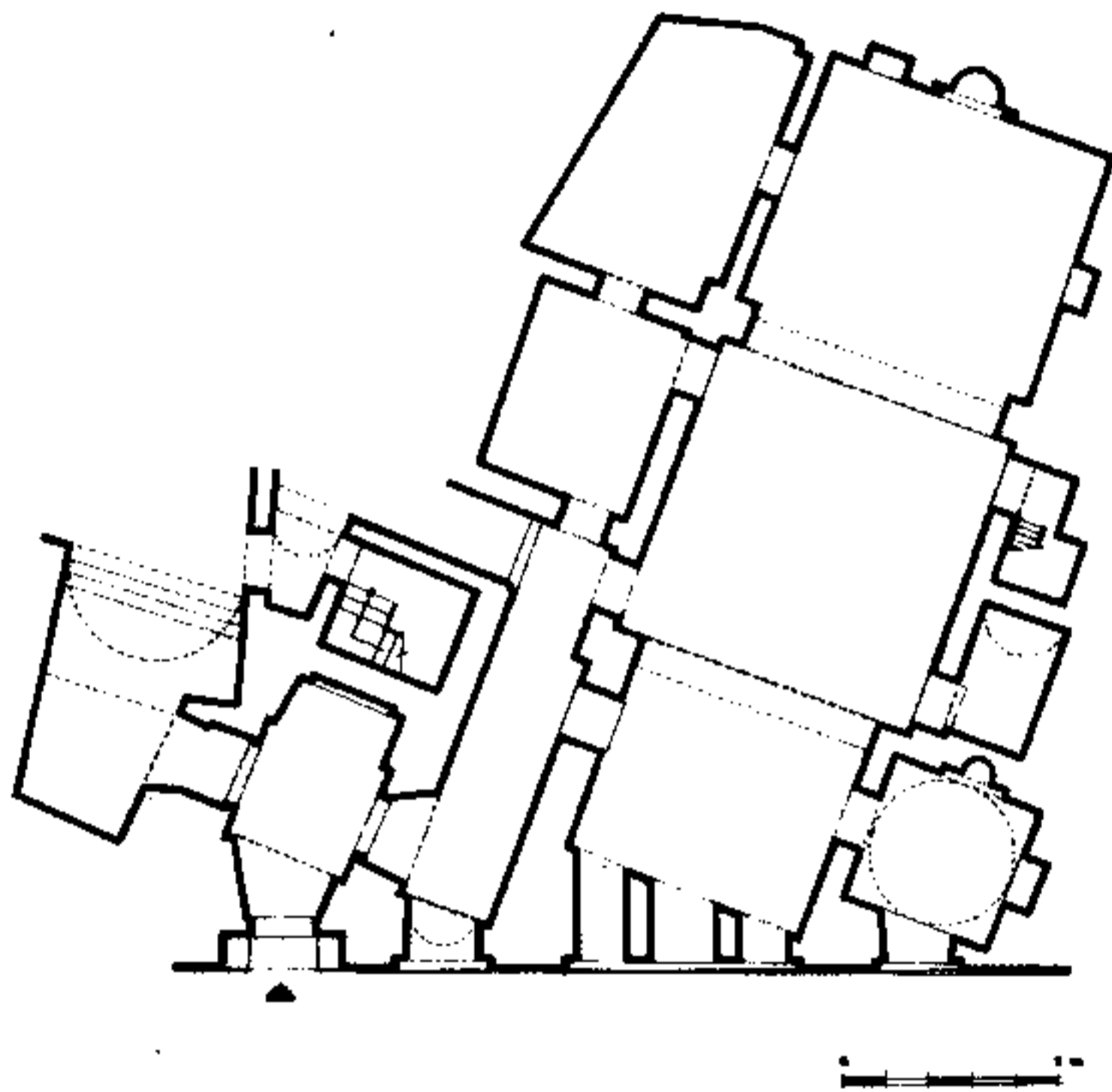
(a) العنوان في المبيضة : المدرسة المحمودية . (b-b) كل هذه الفقرة وحتى نهاية القوس في صفحة ٥٩٢ من المسوَّدة عوضاً عن ما وَرَدَ في المبيضة . (c-c) هذه العبارة من المبيضة .

^١ حاشية بخط المؤلف : «وشرط في كتابٍ وقفيها أن يكون بها مُدْرَسٌ حَتْفِي المَذْهَبِ ، وأن لا يُقْرَأَ بِهَا إلا من يكون عربي الأصل لا عجميه ، وكذلك جميع من بها من أصحابِ الوُظَايفِ» .

^٢ انظر عن دار القُرْدُمِيَّةِ ، فيما تقدم ٣: ٢١٧-٢١٨ . وما تزال بقاياها قائمةً بأخر قَصْبَةِ رِضْوَانِ تجاه المدرسة المحمودية (جامع محمود الكردي) وكانت تعرف بدار الأمير رِضْوَانِ بيك آخر من سكنها والذي نُسِبَتْ إليه قَصْبَةُ رِضْوَانِ . وهو الأمير رِضْوَانِ بيك الغفاري الذي تولى إمارة الحج عدَّة سنين وكان وافر الحُرْمَةِ ، وهو الذي عَمَّرَ القَصْبَةَ المعروفة به خارج بابِ زَوِيَلَةَ عند بيته والتي خُصِّصَتْ لبيع

^٣ فيما يلي ٦٥٦ .
^٤ لا تزال مَدْرَسَةُ جمال الدين محمود الأَسْتَاذِ قائمةً في آخر شارع قَصْبَةِ رِضْوَانِ من أوَّلِ الحَيِّمِيَّةِ بين عَطْفَةِ رُقاقِ المِشْكِ وَجامعِ إِبْنالِ علي يسار المتجه من بابِ زَوِيَلَةَ إلى المِغْرِبِلِينَ والشُّرُوجِيَّةِ . (راجع ، المقرئ : السلوك ٣ : ٨٨٥ =

يُرْتَب بها دَرْسًا ولا غيره ؛ ولعَمري ما كان عاجزًا عن ذلك ولكنه كان قد صَرَفَ هِمَّتَهُ وَأَخَذَ
نَفْسَهُ فِي تَحْصِيلِ الْمَالِ وَمُبَاشَرَةِ الْوِظِيْفَةِ الَّتِي بِيَدِهِ ، وَلَمْ يُجِدْ ذَلِكَ عَلَيْهِ نَفْعًا بَلْ جَلَبَ إِلَيْهِ ضَرَرًا
فِيَّانَهُ قُبِضَ عَلَيْهِ فِي سَنَةِ (a) وَاعْتُقِلَ بِخِزَانَةِ سَمَائِلَ إِلَى أَنْ تَوَفَّى بِهَا وَدُفِنَ فِي الْقُبَّةِ
الْمَذْكُورَةِ . وَأُخِذَ مِنْ أَمْوَالِهِ - عَلَى مَا يُقَالُ - ثَلَاثَةُ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ وَضُرِبَ وَأُهِنَ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ
تَاسِعِ رَجَبِ سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ (b) .



مُخَطَّطُ مَدْرَسَةِ مَحْمُودِ الْأَشْتَادَارِ (عَنْ صَالِحِ لَمْعِي)

وَعَمِلَ فِيهَا خِزَانَةٌ كُتُبٌ لَا يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِدِيَارِ مِصْرَ وَلَا الشَّامِ مِثْلَهَا^١ ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى
الْيَوْمِ لَا يَخْرُجُ لِأَحَدٍ مِنْهَا كِتَابٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْمَدْرَسَةِ ، وَبِهَذِهِ الْخِزَانَةِ كُتُبُ الْإِسْلَامِ مِنْ

(a) بياض في المسوِّدة . (b) نهاية القوس الذي بدأ في صفحة ٥٩٠ .

= السخاوي : تحفة الأحياب ١٠٥ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٣ : ٩٧-١١٢ .
١/٢ : ٣٢٣ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٢ : ٣٤ (٣٤) ،
هنا على هامش نسخة آياصوفيا : «قُلْتُ : هِيَ كُتُبُ
ابن جماعة التي اشتراها بعد موته ، وهي كثيرة جدًا ، =
٢٤٩-٢٥٠ (١٠٩) ، ٣٧ : ٦ (١٥) ؛ عاصم محمد

كل فن . وهذه المدرسة من أحسن مدارس مصر .

بن علي بن أضر عينه - الأمير جمال الدين الأستاذار . ولي شد باب رشيد
بالإسكندرية مدة ، وكانت واقعة الفرج بها في سنة سبع وستين وسبع مائة
وهو مُشيد ، فيقال إن ماله الذي وجد له حصله يومئذ ، ثم إنه سار إلى القاهرة^١ .

فلما كانت أيام الظاهر برفوق خدَم أستاذارًا عند الأمير سودون باق ، ثم استقر شاد الدواوين
إلى أن مات الأمير بهادر المنجكي أستاذار السلطان ، فاستقر عوضًا عنه في وظيفة الأستاذارية يوم
الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة سنة تسعين وسبع مائة ، ثم خلع عليه في يوم الخميس خامسه
واستقر مشير الدولة ؛ فصار يتحدث في دواوين السلطنة الثلاثة ، وهي : الديوان المفرد الذي
يتحدث فيه الأستاذار ، وديوان الوزارة ويعرف بالدولة ، وديوان الخاص المتعلق بنظر الخواص .
وعظم أمره ونفذت كلمته لتصرفه في سائر أمور المملكة .

١٢٨؛ وانظر ترجمة برهان الدين ابن جماعة كذلك عند
المقرئزي : درر العقود الفريدة ١: ٨٥-٩٢ وفيه : «وقد
قرأت عليه غير مرة واستفدت منه ، وكان صديقًا لأبي ،
وسمع علي جدتي لأبي زينب بنت الكمال كتاب «الموطأ»
علي ما أخبرني بذلك من لفظه رحمه الله وعقر له ،
السلوك ٣: ٥٨٦؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ١١: ٣١٤ ،
المنهل الصافي ١: ٩٧-٩٩ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة
١: ٣٩-٤٠ ، إنباء الغمر ١: ٣٥٥ ؛ الصيرفي : نزهة النفوس
١: ١٧٩) .

وقد خرجت كُتُب هذه المكتبة في أعقاب الفتح
العثماني لمصر واستقرت في خزائن كتب إستانبول المختلفة ،
وعليها جميعًا نص وقيمة جمال الدين محمود الأستاذار .
(أمين فؤاد : الكتاب العربي المخطوط ٢٥٥-٢٥٧ ، وانظر
الأممذج المرفق) .

١ انظر ترجمة جمال الدين محمود الأستاذار عند
المقرئزي : السلوك ٣: ٨٨٥ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة
٥: ٩٧-٩٨ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ١٢: ١٥٩-
١٦٠ ؛ الصيرفي : نزهة النفوس ١: ٤٥٤ .

= قاله محمد .

أقول : هذه المكتبة كانت أحد أنفس مكتبات القاهرة
جمعتها القاضي زهران الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن
عبد الرحيم بن محمد بن جماعة الكيناني الحموي
المقدسي ، المتوفى سنة ١٣٨٨/٥٧٩٠ م . قال عنه ابن
حجر : «تخلف من الكتب النفيسة ما يعز اجتماع مثله لأنه
كان مُقرمًا بها ، فكان يشتري التسخة من الكتاب التي إليها
النتهي في الحشن ، ثم يقع له ذلك الكتاب بخط مُصنّفه
فيشتريه فلا يترك الأولى ، إلى أن اقتنى بخطوط المُصنّفين ما
لا يُعبر عنه كثرة» . (إنباء الغمر ١: ٣٥٥) . واشترى جمال
الدين محمود الأستاذار مكتبته من تركته بعد موته ووقفها
على مدرسته ، وشرط أن لا يخرج منها شيء من مدرسته .
وزعم أن ابن حجر يذكر أن مجموع كتب هذه الخزانة
كان نحو أربعة آلاف مجلدة ، فلم يتبق منها في نهاية القرن
التاسع عشر - عندما جمعت الكتب الموجودة في المدارس
والمساجد لتضم إلى الكُتُب الخديوية - سوى ثمانية
وخمسين كتابًا فقط . (فؤاد سيد : نصان قديمان في إعارة
الكتب) ، مجلة معهد المخطوطات العربية ٢ (١٩٥٨) ،

فلما زالت دولة الملك الظاهر برفوق بحضور الأمير يلْبغا النَّاصري نائب حلب ، في يوم الاثنين
خامس جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وسبع مائة ، بعساكر الشام إلى القاهرة واختفى
الظاهر ثم أمسكه ، هرب هو وولده فنهبت دُورُه .

ثم إنه ظهر من الاستتار في يوم الخميس ثامن جمادى الآخرة ، وقدم للأمير يلْبغا النَّاصري مالا
كثيرا ، فقبض عليه وقيدته وسجنه بقلعة الجبل . وأقيم بدله في الأستادارية الأمير علاء الدين آقْبغا
الجوهري .

فلما زالت دولة يلْبغا النَّاصري بقيام الأمير منطاش عليه ، قبض على آقْبغا الجوهري فيمن قبض
عليه من الأمراء ، وأفرج عن الأمير محمود في يوم الاثنين ثامن شهر رمضان ، وألبسه قباء مطرزا
بذهب ، وأنزله إلى داره . ثم قبض عليه ، وشجن بجزاة الخاص في يوم الأحد سادس عشر ذي
الحجة ، في عدة من الأمراء والمماليك ، عند عزم منطاش على السفر لحرب برفوق عند خروجه
من الكرك ومسيره إلى دمشق . فكانت جملة ما حملة الأمير محمود من الذهب العين للأمير
يلْبغا النَّاصري وللأمير منطاش ، ثمانية وخمسين قنطارا من الذهب المصري ، منها ثمانية عشر
قنطارا في ليلة واحدة .

فلم يزل في الاعتقال إلى أن خرج المماليك مع الأمير بوطا ، في ليلة الخميس ثاني صفر سنة
اثنين وتسعين وسبع مائة ، فخرج معهم ، وأقام بمنزله إلى أن عاد الملك الظاهر برفوق إلى المملكة
في رابع عشر صفر ، فخلع عليه ، واستقر أستاذار السلطان على عادته في يوم الاثنين تاسع
عشرين جمادى الأولى من السنة المذكورة عوضا عن الأمير قرقماس الطشتمري بعد وفاته . ثم
خلع على ولده الأمير ناصر الدين محمد بن محمود في يوم الخميس ثاني عشرين صفر سنة أربع
وتسعين وسبع مائة ، واستقر نائب السلطنة بثغر الإسكندرية عوضا عن الأمير الطنبغا المعلم ،
فقويت حزمة الأمير محمود ونفذت كلمته إلي يوم الاثنين حادي عشر رجب من السنة
المذكورة . فثار عليه المماليك السلطانية بسبب تأخر كشوتهم ، وزموا من أعلى القلعة بالحجارة ،
/وأحاطوا به وضربوه يريدون قتله ، لولا أن الله أغاثه بوصول الخبر إلى الأمير الكبير أيتمش -
وكان يسكن قريبا من القلعة - فركب بنفسه وساق حتى أدركه ، وفرق عنه المماليك وسار به إلى
منزله حتى سكنت الفتنة ، ثم شيعه إلى داره .

فكانت هذه الواقعة مبدأ انحلال أمره ؛ فإن السلطان صرفه عن الأستادارية وولى الأمير الوزير
رُكن الدين عمر بن قايماز في يوم الخميس رابع عشره ، وخلع على الأمير محمود قباء بطرزي ذهب

واستقر على إمرته . ثم صُرف ابن قايماز عن الأستادارية ، وأعيد محمود في يوم الاثنين خامس عشر رمضان ، وأنعم على ابن قايماز بإمرة طبليخاناه ، فجدد بثغر الإسكندرية دار ضرب عمل فيها فلوس ناقصة الوزن ، ومن حينئذ احتل حال الفلوس بديار مصر .

ثم لما خرج الملك الظاهر إلى البلاد الشامية في سنة ست وتسعين ، سار في ركابه ، ثم حضر إلى القاهرة في يوم الأربعاء سابع صفر سنة سبع وتسعين وسبع مائة ، قبل حضور السلطان ، وكان دخوله يومًا مشهودًا . فلما عاد السلطان إلى قلعة الجبل ، حدث منه تغير على الأمير محمود في يوم السبت ثالث عشرين ربيع الأول ، وهم بالإيقاع به . فلما صار إلى داره ، بعث إليه الأمير علاء الدين علي بن الطبلاوي يطلب منه خمس مائة ألف دينار ، وإن توقف يحيط به ويضربه بالمقارع ، فنزل إليه ، وقرّر الحال على مائة وخمسين ألف دينار . فطلع على العادة إلى القلعة في يوم الاثنين خامس عشرينه ، فسبّه المماليك السلطانية ورجموه ، ثم إن السلطان غضب عليه ، وضربه في يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر بسبب تأخر النفقة ، وأخذ أمره يتحل .

فولى السلطان الأمير صلاح الدين محمدًا ابن الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير تنكز أستاذارية الأملاك السلطانية في يوم الاثنين خامس رجب ، وولى علاء الدين علي بن الطبلاوي في رمضان التحدث في دار الضرب بالقاهرة والإسكندرية ، والتحدث في المنجر السلطاني . فوقع بينه وبين الأمير محمود كلام كثير ، ورافعه ابن الطبلاوي بحضرة السلطان ، وخرج عليه من دار الضرب ستة آلاف درهم فضة .

فألزم السلطان محمودًا بحمل مبلغ مائة وخمسين ألف دينار فحملها ، وخلع عليه عند تكملة حملها في يوم الأحد تاسع عشرين رمضان ، وخلع أيضًا على ولده الأمير ناصر الدين ، وعلى كاتبه سعد الدين إبراهيم بن غراب الإسكندراني ، وعلى الأمير علاء الدين علي بن الطبلاوي . ثم إن محمودًا وعك بدنه ، فنزل إليه السلطان في يوم الاثنين ثالث عشر ذي القعدة يعوده ، فقدم له عدة تقادم ، قبل بعضها ورد بعضها ، وتحدث الناس أنه اشتقلها .

فلما كان يوم السبت سادس صفر سنة ثمان وتسعين ، بعث السلطان إلى الأمير محمود الطواشي شاهين الحسني ، فأخذ زوجته وكاتبه سعد الدين إبراهيم بن غراب ، وأخذ مالا وقماشًا على حمالين وصار بهما إلى القلعة ، هذا ومحمود مريض مُلازم الفراش . ثم عاد من يومه وأخذ الأمير ناصر الدين محمد بن محمود ، وحمله إلى القلعة .

ثم نزل ابن عُراب ومعه الأمير ألي باي الخازندار في يوم الأحد سابعه ، وأخذنا من ذخيرة بدار محمود خمسين ألف دينار . وفي يوم الخميس حادي عشره ، صُرف محمود عن الأشتادارية ، واستقرَّ عَوْضَه الأميرُ سيفُ الدين قَطْلُوبَك العَلَاثِي أستاذَ دار الأمير الكبير أَيْتَمُش ، وقُرِّرَ سَعْدُ الدِّين ابن عُراب ناظرَ الدِّيوان المُفْرَد ، فاجتمع مع ابن الطُّبْلاوي على عداوة محمود والسَّغِي في إهْلَاكِه ، وسلَّم ابن محمود إلى ابن الطُّبْلاوي في تاسع عشر ربيع الأول لِيَسْتَخْلِصَ منه مائة ألف دينار .

ونزل الطُّواشي صَنْدَل المَنْجَكِي والطُّواشي شاهين الحَسَنِي في ثالثِ عشرينه ومعهما ابنُ الطُّبْلاوي ، فأخذنا من خربة خلف مدرسة محمود زيرين كبيرين وخمسة أزيار صغارًا ووجد فيها ألف ألف درهم فضة ، فحُمِلت إلى القلعة ، ووجد أيضًا بهذه الخربة جرتان : في إحداهما ستة آلاف دينار ، وفي الأخرى أربعة آلاف درهم فضة وخمسة مائة درهم ، وقُبِضَ على مُباشري محمود ومُباشري ولده ، وعُوقِبَ محمود .

ثم أوقعت الحوطة على موجود محمود في يوم الخميس سابع جمادى الأولى ، ورسم عليه ابن الطُّبْلاوي في داره ، وأخذ ممالئكه وأتباعه ، ولم يدع عنده غير ثلاثة ممالئك صغار ، وظهرت أموال محمود شيئًا بعد شيء . ثم سلَّم إلى الأمير فرج شاد الدواوين في خامس جمادى الآخرة ، فنقله إلى داره وعاقبه وعصره في ليلته ثم نُقِلَ في شعبان إلى دار ابن الطُّبْلاوي ، فضرَّبه وسعَّطه وعصره ، فلم يعترف بشيء .

ولحكي عنه أنه قال : لو عرفتُ أنني أعاقب ما اعترفتُ بشيء من المال . وظهر منه في هذه الحجة ثباتٌ وجلدٌ وصبرٌ ، مع قوَّة نفسٍ وعدم خضوع ، حتى إنه كان يسبُّ ابن الطُّبْلاوي إذا دخل إليه ، ولا يرفع له قدرًا . ثم إن السلطان استدعاه إلى ما بين يديه يوم السبت أول صفر سنة تسع وتسعين ، وحضر سعد الدين بن عُراب ، فشافهه بكلِّ سوءٍ ، ورافعه في وجهه حتى اشتغضب السلطان على محمود ، وأمر بمعاقبته حتى يموت . فأنزل إلى بيت الأمير حسام الدين حسين ، ابن أخت العرس^a شاد الدواوين - وكان أستاذَ دار محمود - فلم يزل عنده في العقوبة . إلى أن نُقِلَ من داره إلى خزانة / شمائل في ليلة الجمعة ثالث جمادى الأولى ، وهو مريضٌ ، فمات بها في ليلة الأحد تاسع رجب سنة تسع وتسعين وسبع مائة ، ودُفِنَ من الغد بمدرسته ، وقد أناف على الستين سنة .

(a) بولاق : الفرس .

وكان كثير الصلاة والعبادة، مواظبًا على قيام الليل. إلا أنه كان شحيحًا مسيئًا، شرها في الأموال، ذهبي^(a) الناس منه في رماية البضائع بدواه^(b)، إذا نُسبت إلى ما حدث من بعده كانت عاقبة ونعمة، وأكثر من ضرب الفلوس بديار مصر حتى فسَدَ بكثرتها حال إقليم مصر^١.

وكان جُملة ما حَمَلَ من ماله، بعد نكته هذه، مائة قِنطار ذهبًا وأربعين قِنطارًا: عنها ألف ألف دينار وأربع مائة ألف دينار عَيْنًا، وألف ألف دِرْهَم فِضَّة. وأُخِذَ له من البضائع والغلال والقنود والأعمال ما قيمته ألف ألف دِرْهَم وأزيد^(c).

المدرسة المهديّة

هذه المدرسة بخارة حلب خارج القاهرة عند حَمَام قَماري^٢، بناها الحكيم مُهَدَّبُ الدِّين مُحَمَّد بن أبي الوَحْش - المعروف بابن أبي حَلِيقة (تصغير حَلِقة)^٣ - رئيس الأطباء كان بالديار المصرية^(d)، وليّ رياسة الأطباء في حادي عشر رَمَضان سنة أربع وثمانين وست مائة، واستقرَّ يُدْرَس الطِّب بالمارِستان المنصوري.

المدرسة السعدية

[أثر رقم ٢٦٣]

هذه المدرسة خارج القاهرة بقُرب حَدرة البقر على الشَّارع المسلوك فيه من حَوْض ابن هَنَس إلى الصَّلبيّة^٤، وهي فيما بين قَلعة الجبل وبزكة الفيل. كان مَوْضِعُهَا يُعْرَف بِحُطِّ بُشْتان سَيْف الإسلام، وهي الآن في ظَهْر إسْطَبَل الأمير قُوصُون^(e) المقابل لباب السِّلْسيلة من

(a) بولاق: رمى. (b) بولاق: بدواة. (c) بولاق: وأكثر. (d) بولاق: رئيس الأطباء بديار مصر، والمثبت من المُسَوِّدة. (e) بولاق، والنسخ: بيت قوصون، والمثبت من المُسَوِّدة، وانظر فيما تقدم ٣: ٢٧٥.

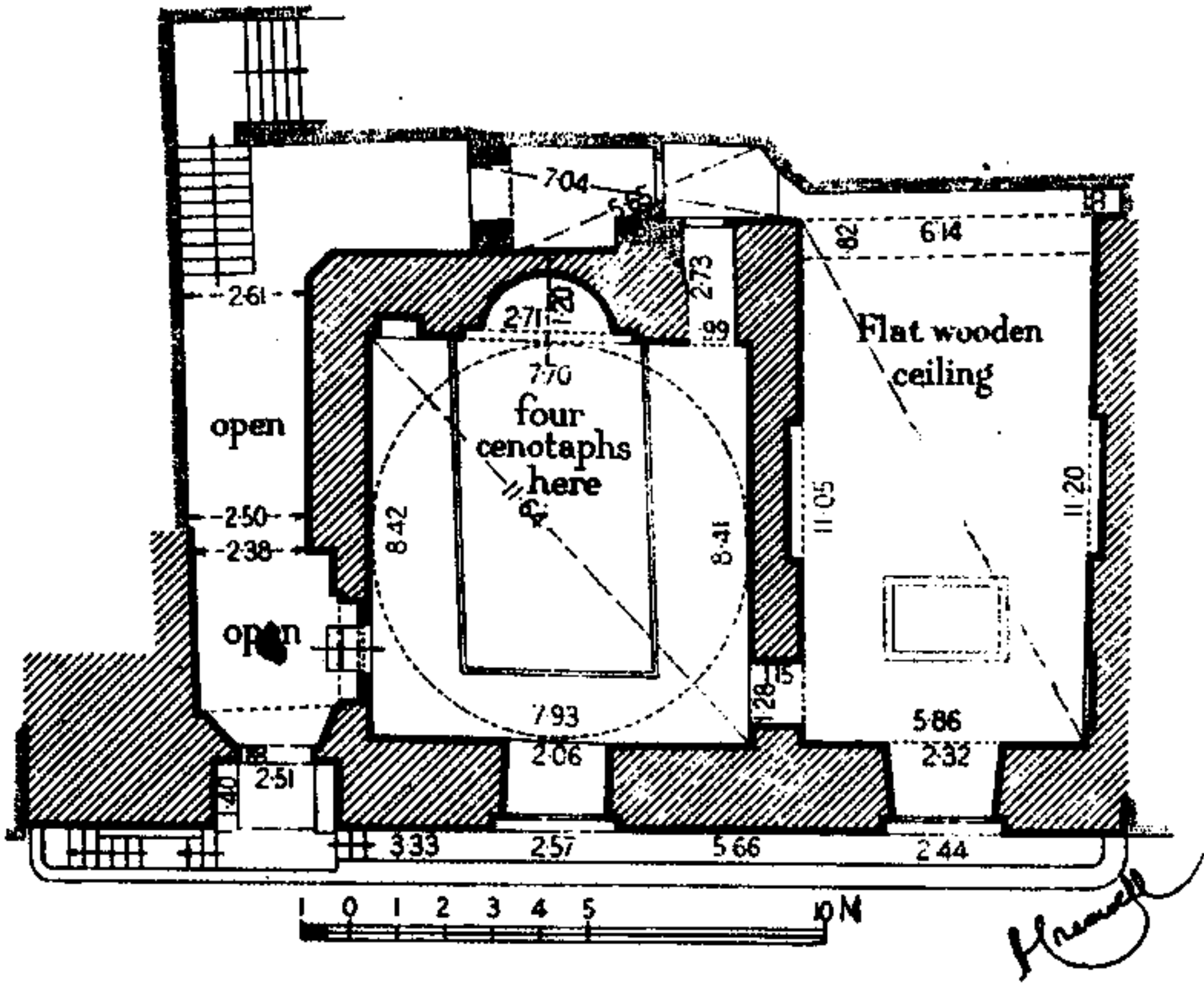
^٣ انظر فيما تقدم ٤٧١.

^١ انظر كذلك فيما يلي ٧٥٦.

^٢ كانت هذه المدرسة موجودة في نهاية القرن التاسع عشر داخل عَطْفَة مُراد بك بأول شارع الحلمية وتُعرَف بـ «تِكِيَّة الخَلوتية». (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ١٤٨ ابن طولون.

(٤٠)، ٤١: ٦ (١٦)؛ وفيما تقدم ٤٧١.

قَلْعَةُ الْجَبَلِ (a) بجوار بابِ سِرِّ الإسْطَبَلِ المذكور^(a) ١. بناها الأميرُ شَمْسُ الدِّينِ سُتْقَرُ الشَّعْدِي، نَقِيْبُ المَمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ، في سنة خمس عشرة وسبع مائة، وبَنَى بها أيضًا رِبَاطًا للنِّسَاءِ ٢.



مُخَطَّطُ مَدْرَسَةِ سُتْقَرِ الشَّعْدِي وَقَبَّةِ حَسَنِ صَدَقَةَ (التُّكْيَةِ المَوْلَوِيَّةِ) (عن Creswell)

وكان شديد الرغبة في العمائر مُجِبًّا للزَّراعة كثير المالِ ظاهر الغنى . وهو الذي عمَّر القَرْيَةَ التي

(a-a) إضافة من المستوذة .

٢ يوجد شريط من الكتابة بالحِطِّ الشَّيْخِ المَمْلُوكِيِّ على جوانب تابوت خشبي كان بالمَدْرَسَةِ يُدَلُّ على ذلك، =

١ انظر عن نَيْتِ (إِسْطَبَلِ) قَوْضُونِ، فيما تقدم

تُعرف اليوم بالتحريرية من أعمال الغزيرية، وكانت إقطاعه^١. ثم إنه أُخرج من مصر بسبب نزاع وقع بينه وبين الأمير قوضون في أرض أخذها منه، فسار إلى طرابلس وبها مات في سنة ثمان وعشرين وسبع مائة.

المدرسة الطنجية (a)

هذه المدرسة بخط حذرة البقر أيضا، أنشأها الأمير سيف الدين طنجي (b) الأشرفي، ولها وقف جيد (c)^٢.

(a) بولاق: الطنجية. (b) بولاق: طنجي. (c) يوجد هنا بياض في الأصل، كما جاء على هامش نسخة ميونخ.

= نَصُه :

للدراويش المولوية، وقد اهتم بترميم هذه المدرسة - التي لم يكن مسجلا منها سوى واجهتها ومنارتها - المهندس الإيطالي جوزيبي فانفوني، وهي تعد من أدق أعمال ترميم آثار القاهرة الإسلامية. (راجع، ابن إلياس: بدائع الزهور ١/١: ٢٤، ٤٥٨؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ١٧-١٨ (٨)؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٣٣٣؛ وCreswell, K.A.C., MAE II, pp. 267-69؛ أعمال الترميم التي تمت بالمدرسة راجع، Fanfoni, G., «The Mawlawiyya and the Madrasa of Sunqur Sa'di with the Mausoleum of Hasan Sadaqa», A.A.R.P. XVI (1980), pp. 62-65, Fanfoni, G., «Il complesso architettonico dei dervisci mewlewi in Cairo», RSO LVII (1983), pp. 77-92; id., «An Underlying Geometrical Design of the Samâ'-Hana in Cairo», An.Isl. XXIV (1988), pp. 207-32؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٤٦٣-٤٧٨؛ ويُعدُّ ماهر سعيد عَوْض الله رسالة ماجستير بكلية الآثار - جامعة القاهرة موضوعها: «التكية المولوية - دراسة أثرية حضارية».

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَمَرَ بِإِنشَاءِ هَذَا الْمَكَانِ الْمُبَارَكِ الْأَمِيرُ الْأَجَلُّ الْكَبِيرُ الْمُحْتَرَمُ الْمُخْدُومُ الْمُجَاهِدُ الْمُرَابِطُ الْمَثَابِرُ الْمُؤَيَّدُ الْمُظَفَّرُ الْمُتَّصِرُ عُقْدَةُ الْمُلُوكِ اخْتِيَارُ السُّلَاطِينِ، الْمُقَدَّمِيُّ الْإِسْفَهْسَلَارِيُّ الْعَوْفِيُّ الشُّبُّدِيُّ الْمُتَّعَمِيُّ الْمُفْضَلِيُّ الْأَعْرَظِيُّ الْأَخْطَبِيُّ الْأَوْحَدِيُّ الْأَثِيرِيُّ الْأَمْجَدِيُّ الْأَكْمَلِيُّ الظُّهَيْرِيُّ الْكَفِيلِيُّ الْمَعِينِيُّ الشُّنْدِيُّ الْوَرَعِيُّ الرَّعِيمِيُّ الرَّزْنِيُّ الدُّخْرِيُّ الْعَالِمِيُّ الْعَامِلِيُّ الزَّاهِدِيُّ الْعَيْثِيُّ الْهُمَامِيُّ مُقَدَّمُ الْأَمْرَاءِ الْمَمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ الشُّنْسِيِّ شَنْسُ الدِّينِ سُقْتَرُ الشُّغْدِيِّ الْمَلِكِيِّ النَّاصِرِيِّ، أَدَامَ اللَّهُ سَعَادَتَهُ». (van Berchem, M., CIA) . (Égypte I, n° 529, Wiet, G., RCEA XIV, n° 5355)

ويوجد كذلك داخل المدرسة ضريح الشيخ حسن صدقة، ويوجد على ضريحه ثلاثة أسطر بالخط النسخ المملوكي تدلُّ على ذلك، نَصُّهَا :

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - آيَةُ ٢٦ سُورَةِ الرَّحْمَنِ - هَذَا ضَرِيحُ الشُّيْخِ الشُّبُّدِيِّ الشُّرَيْفِ الْوَرَعِ الزَّاهِدِ الْعَابِدِ الشُّيْخِ صَدَقَةَ، تَعَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ. وَذَلِكَ بِتَارِيخِ مُسْتَهَلِّ سَنَةِ خَمْسَةِ عَشَرَ (كذا) وَسَبْعِ مِائَةٍ». (van Berchem, M., CIA Égypte I, n° 530; Wiet, G., RCEA XIV, n° 5354)

^١ انظر فيما تقدم ١: ٦١٣، ٦٧٦؛ وراجع ترجمة سُقْتَرُ الشُّغْدِيِّ عِنْدَ ابْنِ حَجَرٍ: الدرر الكامنة ٢: ٢٧٣.

^٢ تُعرف الآن بزاوية الشيخ عبد الله والست ملكة =

وقد تحوّلت هذه المدرسة في العصر العثماني إلى تكية

طنجي

الأمير سيف الدين^١ - كان من جملة مماليك الملك الأشرف خليل ابن قلاوون، ترقى في خدمته حتى صار من جملة أمراء ديار مصر. فلما قتل الملك الأشرف، قام طنجي في المماليك الأشرفية، وحارب الأمير بيدرا، المتولي لقتل الأشرف، حتى أخذه وقتله.

- ٥ فلما أقيم الملك الناصر محمد بن قلاوون في المملكة، بعد قتل بيدرا، صار طنجي من أكابر الأمراء، واستمر على ذلك بعد خلع الملك الناصر بكتبغا مدة أيامه؛ إلى أن خلع الملك العادل كتبغا، وقام في سلطنة مصر الملك المنصور لاجين، وولي مملوكه الأمير سيف الدين منكوتر نيابة السلطنة بديار مصر، فأخذ يواجش أمراء الدولة بشيء تصرفه.
- ١٠ واتفق أن طنجي حج في سنة سبع وتسعين وست مائة، فقرر منكوتر مع المنصور أنه إذا قدم من الحج يخرج به إلى طرابلس، ويقبض على أخيه الأمير سيف الدين كزجي. فعندما قدم طنجي من الحجاز، في صفر سنة ثمان وتسعين وست مائة، رسم له نيابة طرابلس، فثقل عليه ذلك، وسعى بإخوته الأشرفية حتى أعفاه السلطان من السفر.
- ١٥ فسخط منكوتر، وأبى إلا سفر طنجي، وبعث إليه يلزمه بالسفر - وكان لاجين متقادا لمكوتر لا يخالفه في شيء - فتواعد طنجي وكزجي مع جماعة من المماليك، وقتلوا لاجين. وتولى قتله كزجي وخرج، فإذا طنجي في انتظاره على باب القلعة من قلعة الجبل، فسره بذلك، وأمر بإحضار من بالقلعة من الأمراء - وكانوا حينئذ يبيتون بالقلعة دائماً - وقتل منكوتر في تلك الليلة، وعزم على أنه يتسلطن، ويقيم كزجي في نيابة السلطنة، فخذله الأمراء.

= بشارع الحلمية رقم ٧، جددها علي باشا مبارك عند تجديد داره المجاورة لها سنة ١٢٨١هـ/١٨٦٤م وبداخلها ضريح سيف الدين طنجي. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ١٤٦-١٤٧، ٣٩) ١٠٢: ٦ (٣٧)؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١٢: ٩.

١ وهو صاحب الربع المعروف بـ «ربع طنجي» الذي كانت بقاياها قائمة في المنطقة الواقعة بين زاوية الشيخ عبد الله (المدرسة الطنجية) وجامع ألماس بالحلمية الجديدة، ومسجلة بالآثار برقم ٢٨٧. ويوجد ضريحه داخل الزاوية المعروفة بزاوية عبد الله المذكورة في الهامش السابق.

١ راجع ترجمة الأمير سيف الدين طنجي - بالطاء المهملة والعين المعجمة والجيم - المتوفى مقتولاً سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م، عند الصفدي: أعيان العصر ٢: ٦٠٤-٦٠٥، الوافي بالوفيات ١٦: ٤٥٢-٤٥٣؛ التويري: نهاية الأرب ٣١: ٣٦٥-٣٦٦ (وهو فيه طنجي بالقاف)؛ ابن أيبك:

وكان الأمير بَدْرُ الدِّين بَكْتاش الفَخْرِي أمير سلاح قد خَرَجَ في غَزَاةٍ وَقَرَّبَ حُضُورَهُ ، فاستمهلوه بما يُريد إلى أن يَحْضُرَ ، فَأَخْرَجَ سُلْطَنَتَهُ ، وبقي الأُمَرَاءُ في كُلِّ يَوْمٍ يَحْضُرُونَ مَعَهُ فِي بَابِ القَلْعَةِ ، وَيَجْلِسُ فِي مَجْلِسِ النِّيَابَةِ والأُمَرَاءُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ، وَيُمَدُّ سِمَاطُ السُّلْطَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا حَضَرَ أميرُ سِلَاحِ بَن مَعَهُ مِنَ الأُمَرَاءِ ، نَزَلَ طُغْجِي والأُمَرَاءُ إِلَى لِقَائِهِمْ بَعْدَمَا امْتَنَعَ امْتِنَاعًا كَثِيرًا ، وَتَرَكَ كُرْجِي يَحْفَظُ القَلْعَةَ بِن مَعَهُ مِنَ المَمَالِيكِ الأَشْرَفِيَّةِ . وَقَدْ نَوَى طُغْجِي الشَّرَّ للأُمَرَاءِ الَّذِينَ قَدْ خَرَجَ إِلَى لِقَائِهِمْ ، وَعَرَفَ ذَلِكَ الأُمَرَاءُ المُقِيمُونَ عِنْدَهُ فِي القَلْعَةِ ، فَاسْتَعَدُّوا لَهُ ، وَسَارَ هُوَ والأُمَرَاءُ إِلَى أَنْ لَقُوا الأَمِيرَ بَكْتاشَ ، / وَمَعَهُ مِنَ الأَشْرَفِيَّةِ أَرْبَعُ مِائَةِ فَارِسٍ تَحْفَظُهُ حَتَّى يَعُودَ مِنَ اللِّقَاءِ إِلَى القَلْعَةِ .

فَعِنْدَمَا وَاوَاهُ بِقُبَّةِ النُّصْرِ وَتَعَانَقَا ، أَعْلَمَهُ بِقَتْلِ السُّلْطَانِ ، فَشَقَّ عَلَيْهِ . وَلِلوَقْتِ جَرَّدَ الأُمَرَاءُ سِيُوفَهُمْ ، وَارْتَفَعَتِ الضُّجَّةُ ، فَسَاقَ طُغْجِي مِنَ الحَلْقَةِ والأُمَرَاءُ وَرَاءَهُ إِلَى أَنْ أَدْرَكَهُ قَرَأُوشِ الظَّاهِرِيِّ ، وَضَرَبَهُ بِسَيْفِ أَلْقَاهُ عَنِ فَرَسِهِ إِلَى الأَرْضِ مَيِّتًا ، فَفَرَّ كُرْجِي ، ثُمَّ أُخِذَ وَقُتِلَ ، وَحُمِلَ طُغْجِي فِي مَرْبَلَةٍ مِنْ مَزَابِلِ الحَمَامَاتِ عَلَى حِمَارٍ إِلَى مَدْرَسَتِهِ هَذِهِ ، فَدُفِنَ بِهَا ، وَقَبْرُهُ هُنَاكَ إِلَى اليَوْمِ .

وَكَانَ قَتْلُهُ فِي يَوْمِ الخَمِيسِ سَادِسَ عَشَرَ رَبِيعِ الأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، بَعْدَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ مِنْ قَتْلِ لَاجِينَ وَمُنْكَوْتُمُرٍ .

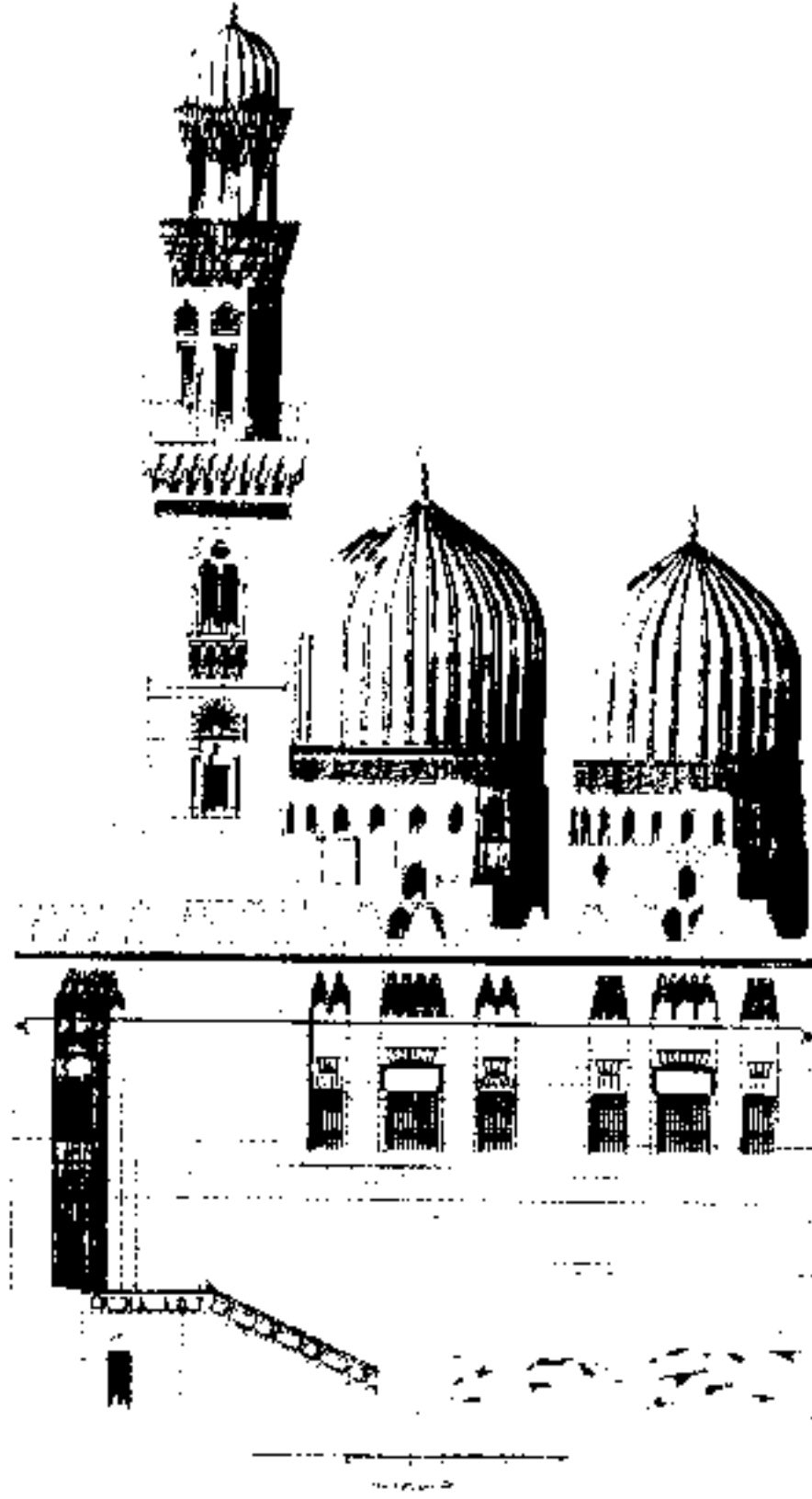
المَدْرَسَةُ الجَاوِلِيَّةُ

[أثر رقم ٢٢١]

هَذِهِ المَدْرَسَةُ بِجِوَارِ الكَبْشِ ، فِيمَا بَيْنَ القَاهِرَةِ وَمِصْرٍ^١ . أَنشأَهَا الأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ سِنَجِرُ الجَاوِلِيِّ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِ مِائَةٍ^(أ) ، وَعَمِلَ بِهَا دَرْسًا وَصُوفِيَّةً ، وَلِهَذَا اليَوْمُ^(ب) عِدَّةُ أَوْقَافٍ .

(أ) فِي المَسْوَدَةِ وَجَمِيعِ النُّسخِ : ثَلَاثٌ وَعِشْرِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، وَمَا أَثْبَتَهُ هُوَ التَّارِيخُ الصَّحِيحُ . (ب) بُولَاقُ : وَلِهَا إِلَى هَذِهِ الأَيَّامِ .

^١ لَا تَزَالُ هَذِهِ المَدْرَسَةُ - الَّتِي تُعْرَفُ بِ«جَامِعِ الجَاوِلِيِّ» وَبِ«الجَامِعِ المُعَلَّقِ» - قَائِمَةً فِي شَارِعِ عَبْدِ المَجِيدِ اللُّبَّانِ (مِرَاسِينَا سَابِقًا) الأَخِذُ مِنَ السَّيِّدَةِ زَيْنَبِ إِلَى صَلِيْبَةِ ابْنِ طُولُونٍ وَمِيدَانِ صَلَاحِ الدِّينِ . وَهِيَ مَبْنِيَةٌ عَلَى رُتُوبَةٍ عَالِيَةٍ . وَيَرَى المَرْحُومَ حَسَنَ عَبْدِ الوَهَّابِ أَنَّ تَصْمِيمَ هَذِهِ المَدْرَسَةِ شَازَ عَنِ تَصْمِيمِ المَسَاجِدِ وَالمَدَارِسِ ، فَلَا هُوَ تَصْمِيمٌ مَسْجِدٍ وَلَا هُوَ تَصْمِيمٌ =



رَسْمٌ لِلوَجْهَةِ الرَّئِيسَةِ لِلْمَدْرَسَةِ الْجَاوِلِيَّةِ (عَنِ اللِّجْنَةِ)

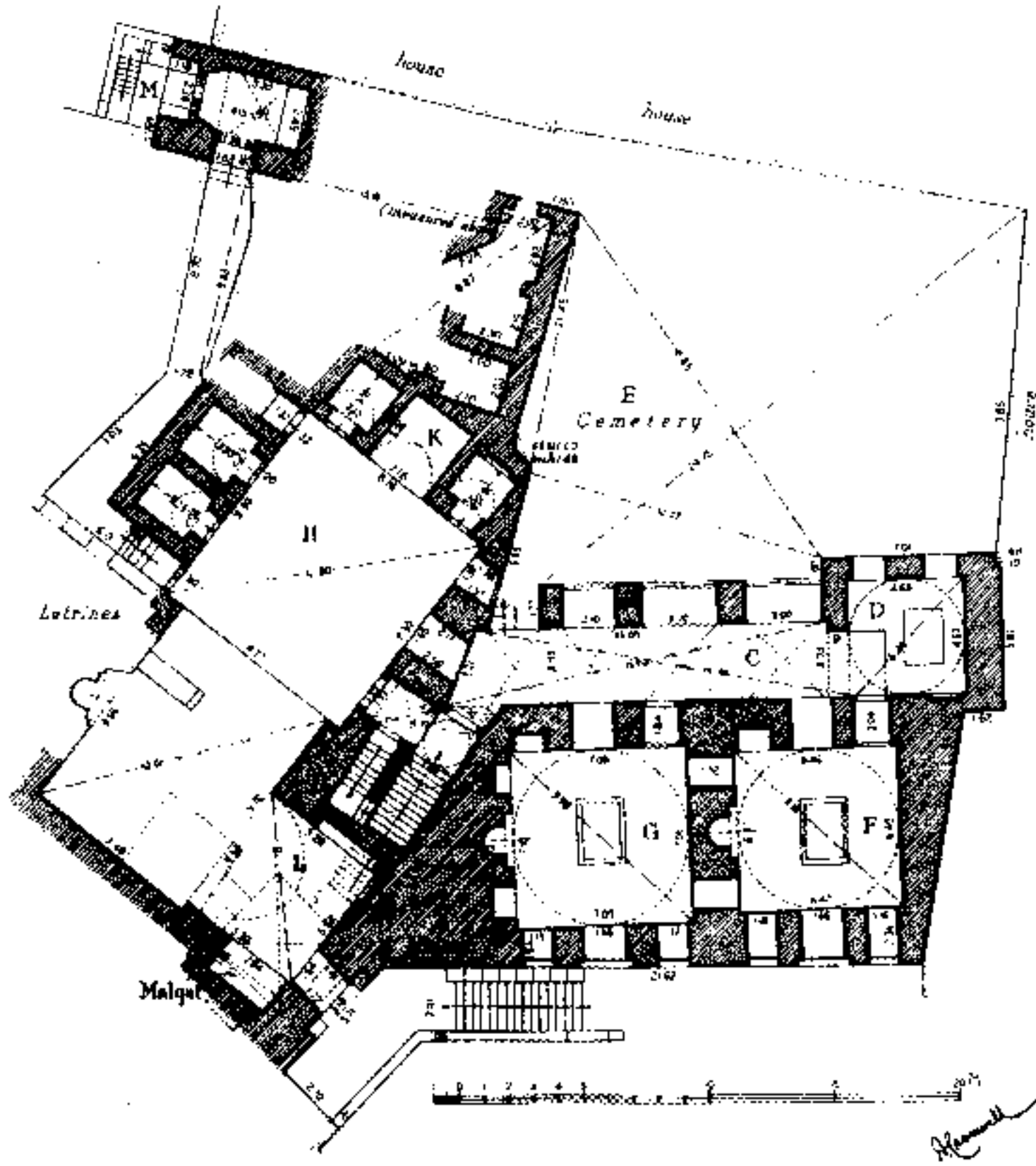
«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآية ٢٦ سورة الرحمن - هذه تَرْبُوعَةُ الْعَبْدِ الْفَقِيرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سَيِّفِ الدِّينِ سَلَارِ نَائِبِ السُّلْطَنَةِ الْمُعْظَمَةِ الْمَلِكِيِّ النَّاصِرِيِّ الْمَنْصُورِيِّ، الْمُسْتَغْفِرِ مِنْ ذَنْبِهِ، الرَّاجِي عَفْوَ رَبِّهِ رَجِمَ اللَّهُ مِنْ دَعَا لَهُ بِالرَّحْمَةِ وَالْجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ. عُجِّلَ هَذَا الْمَكَانَ الْمُبَارَكُ فِي شَهْرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعٍ مِائَةٍ.»

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآية ٢٦ سورة الرحمن - هذه تَرْبُوعَةُ الْعَبْدِ الْفَقِيرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْمُسْتَغْفِرِ مِنْ ذَنْبِهِ الرَّاجِي عَفْوَ رَبِّهِ سَيِّجَرِ الْجَاوِلِيِّ أَسْتَاذِ الدَّارِ الْعَالِيَةِ الْمَلِكِيِّ النَّاصِرِيِّ الْمَنْصُورِيِّ رَجِمَ اللَّهُ مِنْ دَعَا لَهُ بِالرَّحْمَةِ فِي شَهْرِ سَنَةِ [ثَلَاثٍ وَسَبْعٍ مِائَةٍ]». (van Berchem, M., *CIA*, Égypte I, n^{os} 105-107; Wiet, G., *RCEA* XIII, n^{os} 5163-65).

= مَدْرَسَةٌ، بَلْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَى تَضْمِينِ الْخَوَانِقِ لِتَفَاصِيلِهِ الْمَعْمَارِيَّةِ.

وَنَصُّ الْقَرِيزِيِّ فِي الْمَسْوُودَةِ وَسَائِرِ النُّسخِ يَذْكَرُ أَنَّهَا أُثْبِتَتْ فِي سَنَةِ ٧٢٣هـ/١٣٢٣م، غَيْرَ أَنَّ اللَّوْحَتَيْنِ التَّذْكَارِيَتَيْنِ الْمُثْبَتَيْنِ بِأَعْلَى بَابِ الْمَدْرَسَةِ وَعَلَى بَابِ تَرْبُوعَةِ الْأَمِيرِ سَلَارِ - الَّذِي دُفِنَ بَعْدَ وَفَاتِهِ سَنَةِ ٧١٠هـ/١٣١٠م فِي تَرْبُوعَتِهِ عَلَى الْكَبِشِ بِجَوَارِ الْمَدْرَسَةِ - لَا تَدَّعِ مَجَالًا لِلشُّكِّ فِي أَنَّهَا أُثْبِتَتْ سَنَةِ ٧٠٣هـ/١٣٠٣م. الْكِتَابَةُ الْأُولَى أَعْلَى بَابِ الْوَجْهَةِ الشَّمَالِيَّةِ، وَنَصُّهَا:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآية ١٨ سورة التوبة - عُجِّلَ هَذَا الْمَكَانَ فِي شَهْرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعٍ مِائَةٍ.»
وَالْكِتَابَةُ الثَّانِيَّةُ فَوْقَ الْبَابِ الْمُؤَدِّي إِلَى مَدْفَنِ الْأَمِيرِينَ، وَنَصُّهَا:



مُحَطَّط مدرسة سلاّر وسنجر الجاؤلي (عن Creswell)

بن عبد الله - الأمير عَلَمُ الدِّينِ الجاؤلي ، كان تَمْلُوكِ جاؤلي ، أَحَدُ أَمْرَاءِ
 الملك الظَّاهِرِ بَيْبَرْسٍ^١ ، و انْتَقَلَ بعد مَوْتِ الأميرِ جاؤلي إلى بَيْتِ قَلاوون ،
 وَخَرَجَ في أَيَّامِ الأَشْرَفِ خَلِيلِ بنِ قَلاوون إلى الكَرْكِ ، واستقرَّ في جملة البَحْرِيَّةِ بها إلى أَيَّامِ العادلِ

الجاؤلي جَدَّدَ المَدْرَسَةَ في سنة ٧٢٣هـ . وقد أعاد المقرَّبِيُّ
 ذكر هذه المَدْرَسَةَ مَرَّةً أُخْرَى عند ذكر الخَوَانِقِ (فيما يلي
 ٧٦٥).

^١ راجع ترجمة الأمير عَلَمِ الدِّينِ سِنْجَرِ الجاؤلي ، المتوفى
 سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م ، عند الصَّفدي : أعيان العصر
 ٢: ٤٦٧-٤٧٠ ، الوافي بالوفيات ١٥: ٤٨٢-٤٨٤ ؛
 المقرَّبِيُّ : السلوك ٢: ٦٧٤ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة
 ٢: ٢٦٦-٢٦٨ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠: ١٠٩-
 ١١٠ ، المنهل الصافي ٦: ٧٤-٧٦ .

= وراجع عن تاريخ المدرسة وتخطيطها ، المقرَّبِيُّ : السلوك
 ٢: ٦٧٤ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ١٩ ؛ علي مبارك :
 الخطط التوفيقية ٤: ١٥٥-١٥٦ (٧٤) ، ٦: ١٤٢ (٥٠) ؛
 حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١٢٤-١٣٠ ؛
 Creswell, K.A.C., MAEII, pp. 242-45 ، سعاد ماهر :
 مساجد مصر ٣: ١٤٠-١٥١ ؛ عاصم محمد رزق : أطلس
 العمارة الإسلامية ٢: ٣٤٩-٣٦٦ .

وأزال السخاوي في (تحفة الأحياب ١١١) هذا الألباس
 في نَصِّ المقرَّبِيِّ ، حيث ذكر أن الأمير عَلَمِ الدِّينِ سِنْجَرِ

كثبغا، فحضر من عند نائب الكرك ومعه حوائج خاناه فرفعه كثبغا وأقامه على الحوشخاناه السلطانية. وصحب الأمير سلاز وواخاه، فتقدم في الخدمة، وبقي أستاذًا صغيرًا في أيام بيبرس وسلاز، فصار يدخل على السلطان الملك الناصر ويخرج، ويراعى مصالحه في أمر الطعام ويتقرب إليه.

٥ فلما حضر من الكرك، جهزه إلى غزة نائبًا في جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وسبع مائة، عوضًا عن الأمير سيف الدين قطلوأقتمر صهر الجالقي^(a) بعد إمساكه، وأضاف إليه مع غزة الساحل والقدس وبلد الخليل وجبل نابلس، وأعطاه إقطاعًا كبيرًا، بحيث كان للواحد من ممالিকে إقطاع يعمل عشرين ألفًا وخمسة وعشرين ألفًا.

١٠ وعمل نيابة غزة على القالب الجائر إلى أن وقعت بينه وبين الأمير تئكز، نائب الشام، بسبب دار كانت له تجاه جامع تئكز خارج دمشق من شمالها، أراد تئكز أن يتنازعها منه فأبى عليه. فكتب فيه إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون، فأمسكه في ثامن عشرين شعبان سنة عشرين وسبع مائة، واعتقله نحوًا من ثمان سنين، ثم أفرج عنه في سنة تسع وعشرين، وأعطاه إمرة أربعين. ثم بعد مدة أعطاه إمرة مائة، وقدمه على ألف، وجعله من أمراء المشورة.

١٥ فلم يزل على هذا إلى أن مات الملك الناصر، فتولى غسله ودفنه. فلما ولي الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون سلطنة مصر، أخرجته إلى نيابة حماه، فأقام بها مدة ثلاثة أشهر. ثم نقله إلى نيابة غزة، فحضر إليها وأقام بها نحو ثلاثة أشهر أيضًا. ثم أحضره إلى القاهرة وقرره على ما كان عليه، وولي نظر المارستان بعد نائب الكرك عندما أخرج إلى نيابة طرابلس.

٢٠ ثم توجه لحصار الناصر أحمد بن الناصر^(b) محمد بن قلاوون، وهو ممتنع في الكرك، فأشرف عليه في بعض الأيام الناصر أحمد من قلعة الكرك، وسبه وشيخه. فقال له الجاولي: نعم أنا شيخ نحس، ولكن الساعة ترى حالك مع الشيخ النحس. ونقل المنجنيق إلى مكان يعرفه ورعى به، فلم يخطئ القلعة وهدم منها جانبًا، وطلع بالعسكر وأمسك أحمد وذبح صبرًا، وبعث برأسه إلى الصالح إسماعيل. وعاد إلى مصر فلم يزل على حاله إلى أن مات في منزله بالكبش، يوم الخميس تاسع رمضان سنة خمس وأربعين وسبع مائة، ودفن بمدرسته. وكانت جنازته حافلة إلى الغاية.

(a) بولاق: عبد الخالق. (b) ساقطة من بولاق.

وكان^(a) قد سَمِعَ الحديثَ ورَوَى ، وصَنَّفَ شَرْحًا كبيرًا على «مَسْنَدِ الشَّافِعِيِّ - رضي الله عنه^(b) - ، وأفتى في آخر عمره على مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ ، وَكَتَبَ نَحْطَهُ على فِتَاوَى عديدة . وكان خبيرًا بالأُمُور ، عارِفًا بسياسة المُلُك ، كُفُوًا لما وَلِيَهُ من الثِّيَابَات وغيرها ، لا يزال يذُكَّر أصحابه في غَيْبَتِهِمْ عنه ، وَيُكْرِمُهُمْ إذا حَضَرُوا عنده ، وانتَفَعَ به جَمَاعَةٌ من الكُتَّاب والعُلَمَاء والأُمَرَاء^(a) والأكابر .

وله من الآثارِ الفاضلة^(c) جامعٌ بمدينة عَزَّة في غاية الحُسْن^١ ، وله بها أيضًا حَمَّامٌ مَلِيحٌ ، ومَدْرَسَةٌ للفقهاءِ الشَّافِعِيَّةِ ، وَخَانٌ للسَّبِيلِ .

وهو الذي مَدَّنَ عَزَّةَ ، وَبَنَى بها أيضًا مارِشَتَانَا ، وَوَقَفَ عليه عن الملكِ النَّاصِرِ أَوْقَافًا جَلِيلَةً ، وَجَعَلَ نَظَرَهُ لِنُؤَابِ عَزَّةَ ، وَعَمَّرَ بها أيضًا المَيْدَانَ والقَصْرَ ، وَبَنَى بَيْلِدَ الخَلِيلِ - عليه السَّلَام - بِجامِعًا سَقَفَهُ مِنْه حَجَرٌ نَقْرٌ ، وَعَمَّرَ^(d) الخَانَ العَظِيمَ بِقَاقُونِ ، وَالخَانَ بِقَرِيَةِ الكَتِيبَةِ ، والقَنَاطِرِ بِغَابَةِ أَرْشُوفِ ، وَخَانَ سَلَارِ^(e) فِي حَمْرَاءِ بَيْسَانَ ، وَدَارًا بِالقُرْبِ مِنْ بَابِ النَّصْرِ دَاخِلَ القَاهِرَةِ^٢ ، وَدَارًا بِجَوَارِ مَدْرَسَتِهِ على الكَبْشِ . وَسَائِرُ عَمَائِرِهِ ظَرِيفَةٌ أُنِيقَةٌ مُحْكَمَةٌ مُثَقَّنَةٌ مَلِيحَةٌ . وَكَانَ يَنْتَمِي إِلَى الأميرِ سَلَارِ وَيَحْمِلُ رَنَكَهُ^(f) .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : رحمه الله . (c) بولاق : الجميلة الفاضلة . (d) بولاق : عمل . (e) بولاق : أرسلان . (f) بولاق : يجلب ذكره .

١ يُعرَفُ بِجامِعِ سِنَجِرِ الجاؤلي الموجود بمدينة عَزَّةَ للساحلية والجبليَّة بِغَزَّةِ المحروسة ، أَعَزَّ اللهُ أَنْصارَهُ بِتَأْرِيخِ ذِي الحِجَّةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ ...» . Mayer, L. A., «Arabic» . (Inscriptions of Gaza», JPOS XI (1931), p. 147 .

٢ وراجع كذلك ، محمود علي خليل عطا الله : نيابة عَزَّةَ فِي العَهْدِ المملوكي ، بيروت - دار الآفاق الجديدة ١٩٨٦ ، ٢٢٨ - ٢٢٩ .

٢ تُعرَفُ بِدارِ الجاؤلي ، فيما تقدم ٣ : ٢١٠ .

١ يُعرَفُ بِجامِعِ سِنَجِرِ الجاؤلي الموجود بمدينة عَزَّةَ بِجامِعِ الشَّنْعَةِ ، وهي تسمية لا يُعرَفُ مَصْدَرُها . ويقع الجامعُ فِي حَيِّ التُّجَّارِينِ (حارة الزَّيْتُونِ) ، وعليه كتابَةٌ تاريخيةٌ من سَطْرَيْنِ بِالخَطِّ النَّسَخِ المملوكي ، نَصُّها :

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآيَةُ ١٨ سُوْرَةِ التَّوْبَةِ - أَمَرَ بِإِنْشَاءِ هَذَا الجَامِعِ المَبَارِكِ ائْتِغَاءً مَرَضَاتِ اللهِ وَأَتْبَاعِ سُنَّةِ رَسُوْلِ اللهِ ، العَبْدِ الفَقِيرِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سِنَجِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الجاؤلي المَلِكِي النَّاصِرِي نائِبِ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بالأَعْمَالِ

المدرسة الفاروقانية

هذه المدرسة خارج باب زويلة من القاهرة فيما بين حذرة البقر وصليبة جامع ابن طولون، وهي الآن بجوار حمام الفاروقاني تجاه^(a) الثروة والخانقاه^(a) البندقدارية^١. بناها والحمام المجاور لها الأمير زكن الدين بيبرس الفاروقاني^٢، وهو غير الفاروقاني المنسوب إليه المدرسة الفاروقانية بحارة الوزيرية من القاهرة^٣،^(a) فإن ذلك اسمه آق سنقر، وهذا اسمه بيبرس^(a).

المدرسة البشيرية

[أثر رقم ٢٦٩]

هذه المدرسة خارج القاهرة بجكر الخازن المطل على بركة الفيل^٤، كان موضعها مسجدًا يُعرف بمسجد سنقر السعدي الذي بنى المدرسة السعدية^(b). فهدمه الأمير الطواشي سعد الدين بشير الجمدار الناصري^(c)، وبنى موضعه^(d) هذه المدرسة في سنة

(a-a) إضافة من المسوذة . (b) بعد ذلك في المسوذة : فيما أظن . (c) بعد ذلك في المسوذة : وهو الذي كان تجديد الجامع الأزهر على يده ، وذلك قبل أن يسكن بالقرب من الجامع الأزهر . (d) في المسوذة : فجذده ورخمه وزخرقه وجعل به خزانة للكتب ووقف عليه وقوفًا جيدة ، وذلك في سنة إحدى وسبعين وسبع مائة .

^٢ جاء على هامش نسخة أبيصوفيا : « وقال كاتبه : هو بيبرس الفاروقاني نائب قلعة دمشق ، كان شيخًا طويلاً خبيرًا ذنبًا ، مات في جمادى الأولى سنة خمس وأربعين وسبع مائة » .
^٣ فيما تقدم ٤٧٠ .

^٤ انظر عن جكر الخازن ، فيما تقدم ٤٤٨ : ٣ - ٤٤٩ ، وأضف إلى ما ذكر هناك أن جكر الخازن تحرف اسمه إلى جكر الخاديم ودرج الخاديم (بالبدال المهملة بدل الزاي المعجمة) كما وجد علي باشا مبارك ذلك في كُتب أملاك هذه الخطة ، وهو الموضع الذي يُعرف الآن بشارع نور الظلام بالحلمية . (الخطط التوفيقية ٢ : ٣٣٥ (١٢٦) ، ٦ : ٨ - ٩ (٥)) .

^١ انظر عن المدرسة (الخانقاه) البندقدارية المعروفة الآن بـ «زاوية الآبار» ، فيما يلي ٧٥٦ . ولم يُخصص المقريري أي مدخل لذكر حمام الفاروقاني في الفصل الذي عقده لذكر الحمامات . ورجع جورج سالمون G. Salmon أن حمام الفاروقاني هو الحمام الذي كان يُعرف بحمام الألفي داخل حارة الألفي بشارع الصليبية . وقد حل محل المدرسة الفاروقانية الآن جامع حديث يُعرف بـ «جامع علي نور الدين الفاروقاني» يقع على ناصيتي شارع محمد كريم (فراقول المنشية سابقًا) وشارع السيوفية . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٢ : ١٨١ - ١٨٢ (٥٨ - ٥٩) ، ٦ : ١٨٩ (٦٦) ؛ Salmon, G., *La topographie du Caire* .

إحدى وستين وسبع مائة، وجعلَ بها خِزَانَةً كُتِبَ، وهي من المدارس اللطيفة^١.

المدرسة المهتمندرية

[أثر رقم ١١٥]

هذه المدرسة خارج باب زويلة فيما بين جامع الصالح وقلعة الجبل، يُعرف حُطُّها اليوم بخط جامع المازديني خارج الدُّرْبِ الأحمر، وهي تجاه مُصَلَّى الأموات على يَمَنَّة من سَلَك من الدُّرْبِ الأحمر طالِبًا جامع المازديني، ولها بابٌ آخر من^٢ حازة اليانسيَّة^٣. بناها الأمير شهابُ الدين أحمد بن أقوش العزيزي المهتمندار ونقيب الجيوش كان^٤ في سنة خمس وعشرين وسبع مائة، وجعلها مدرسة وخانقاه^٥، وجعلَ طَلَبَةَ دَرَسِهَا من الفقهاء الحنفيَّة، وبَنَى إلى جانبها القيسارية والرُّبْع الموجودين الآن.

(a) بولاق: في . (b) إضافة من المسوِّدة .

سلاطين الماليك ٢٢٧؛ الشجاعى: تاريخ الملك الناصر ١١٧؛ المقرئى: السلوك ٢: ١٩٤؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٤١، ١٢٣ (٤٤)؛ K.A.C., MAE II, pp. 273-74؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ١٨٨-١٨٥؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٥٣٣-٥٥٢).

^٣ يُؤكِّدُ هذا التاريخ شريطُ من الكتابة بالخطِّ التُّشَخُّ المملوكي، نَصُّه:

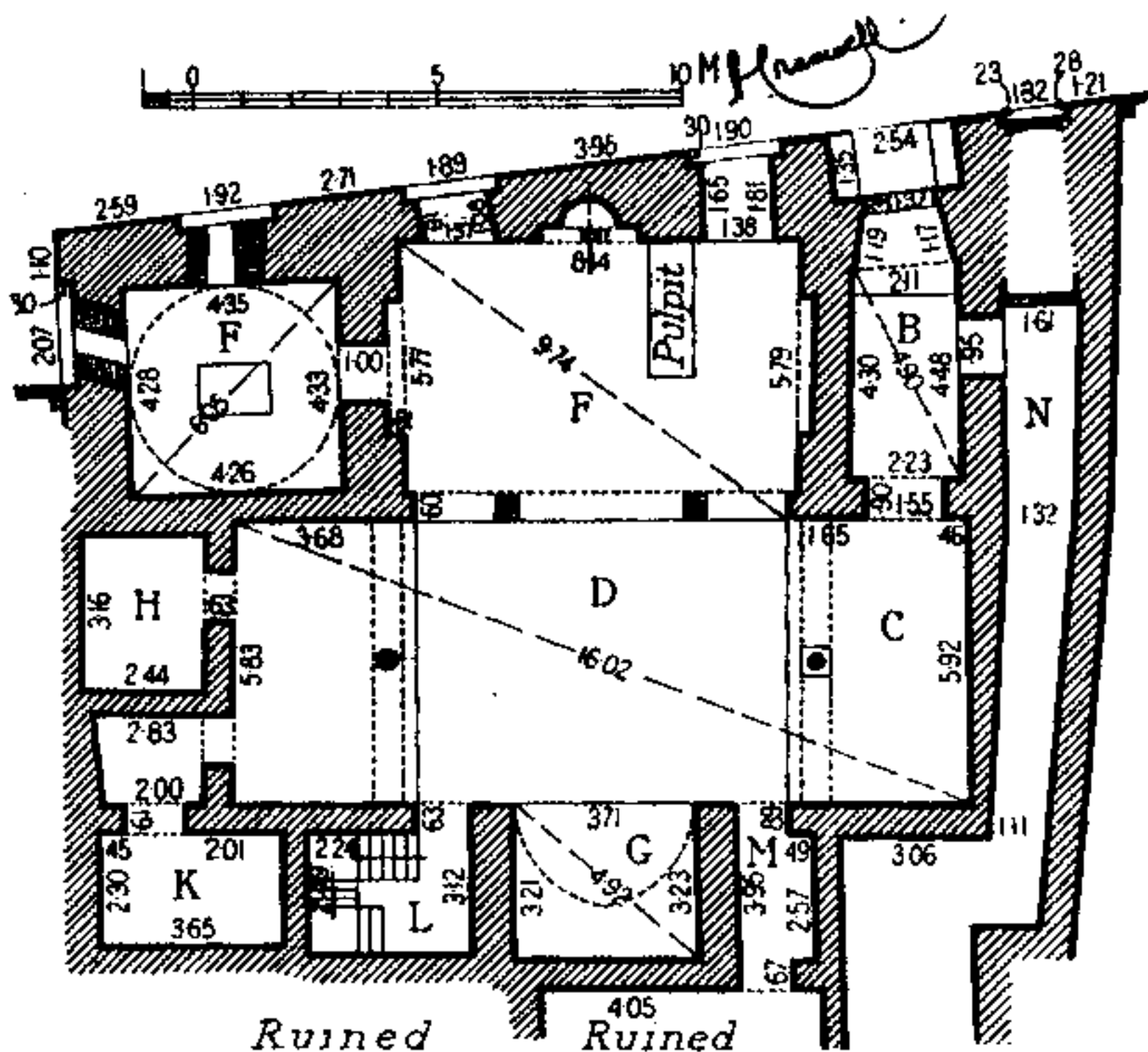
«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآية ٢٥٦ سورة البقرة - أمرَ ببناء هذه الثَّوْبَةِ والمسْجِدِ المَبَارَكِ من خَالِصِ مَالِهِ بِمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَطَبِخِهِ لِمَجَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ وَالذَّارِ الْآخِرَةِ وَالرَّغْبَةِ فِي عِمَارَةِ بِيوتِ اللَّهِ وَأَدَاءِ فَرِيضِهِ وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ وَمُدَاوَمَةِ ذِكْرِهِ، الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَحْمَدُ الْمُهْتَمَنْدَارُ وَنَقِيبُ نَقَبَاءِ الْجِيُوشِ الْمَنْصُورَةِ النَّاصِرِيَّةِ، إِذْ يَقُولُ تَقْدُسَ وَتَعَالَى - الآيات ٣٦-٣٨ سورة النور - وذلك في شهر المحرم سنة خمس وعشرين وسبع مائة، صَلَّى اللَّهُ =

^١ ما تزال بقايا المدرسة التبشيرية قائمة بشارع ثور الظلام بالحلمية الجديدة، ويوجد بدائر الإيوان الباقي منها شريطٌ بالخطِّ الكوفي مُتَّبَقٌ منه النُّصُّ التالي:

«... الْعَبْدُ الْفَقِيرُ بِشِيرِ الْجَمْدَارِ النَّاصِرِيِّ بِتَأْرِيخِ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحْرَمِ أَفْتِيحَ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَسَبْعَ مِائَةَ» . (Wiet, G., RCEA XVI, n° 6331). وانظر السخاوي: تحفة الأحباب ١١٠؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٨-٩ (٥)؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ١١٧١-١١٨١.

أما دارُ الأمير بشير الجمدار فكانت بخطَّ الأبارين بجوار الجامع الأزهر (فيما تقدم ٢: ٢٧٦).

^٢ ما تزال المدرسة المهتمندرية (التي ذكرها المقرئى مرةً أخرى (فيما يلي ٧٤٤) باسم «الخانقاه المهتمندرية» قائمةً في شارع البجانة على يسار الخارج من باب زويلة بين جامعي المازديني وقجماس الإسحاقى (أبي حريية)، وتعرف بـ «جامع المهتمندار». (راجع، مجهول: تاريخ



مُخَطَّط المدرسة المهتدارية (عن Creswell)

مَدْرَسَةُ أُلجَاي (a)

[أثر رقم ١٣١]

هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل (b)، كان موضعها وما حولها مقبرة، ويُعرف الآن خطها بخط شويقة العزي (1). أنشأها الأمير الكبير سيف الدين أُلجاي اليوسفي (c) في

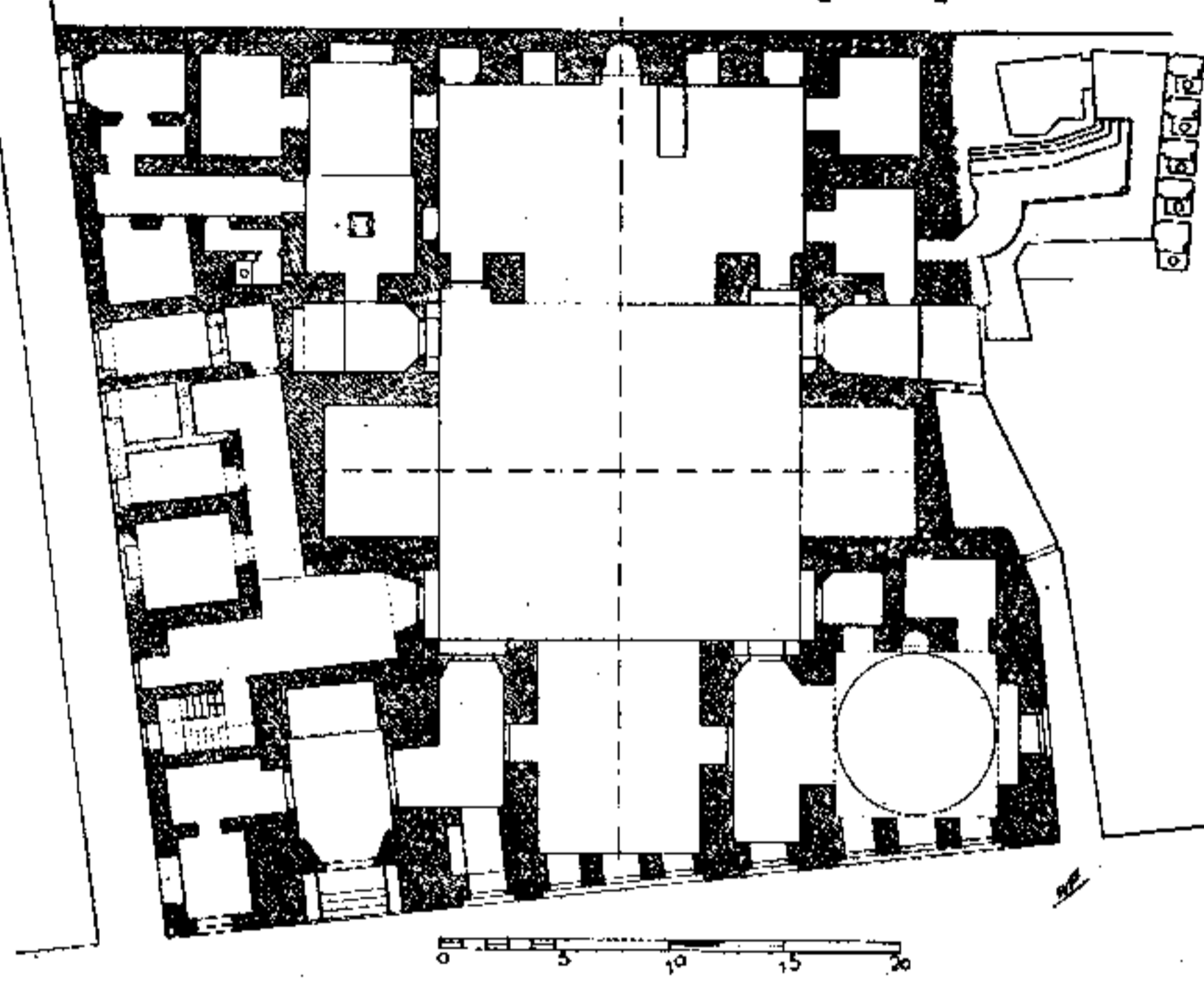
(a) المسوودة: مدرسة أُلجاي بالقبانة؟ (b) في المسوودة: وهي المدرسة المقابلة لمدرسة أم السلطان يفصل بينهما الشارع المسلوک إلى قلعة الجبل، وهو تحديد غريب! (c) إضافة من المسوودة.

السلطان، وأنه يفصل بينهما الشارع المسلوک إلى قلعة الجبل! ثم صوّب موضعها في المبيضة، أو أنه لم تكن هناك وقت إنشائها أي مبانٍ بينها وبين شارع باب الوزير؟ ولا تزال مدرسة أُلجاي قائمة في أول شارع شوق =

= على محمد وآله. (Berchem, M., *CIA Égypte I*, n° 116; Wiet, G., *RCEA XIV*, n° 5503)

1 من الغريب أن المقريري أخطأ في تحديد موضع مدرسة أُلجاي في المسوودة، فذكر أنها بالقبانة في مقابلة مدرسة أم

سنة ثمانٍ وستين وسبع مائة^١، وجعلَ بها دَرَسًا للفقهاء الشافعية ودَرَسًا للفقهاء الحنفية وخرزانة كُتُب، وأقامَ بها منبرًا يُخطب عليه يوم الجمعة. وهي من المدارس المعتمدة الجليلة، ودُرِّسَ بها شيخنا جلال الدين البتاني الحنفي، وكانت سكنه.



مخططُ مَدْرَسَةِ الْجَيِّ الْيُوسُفِيِّ (عن اللجنة)

الجمال: مدرسة ومسجد أُلجاي اليوسفي - دراسة معمارية، رسالة ماجستير بكلية الآثار - جامعة القاهرة ١٩٩١؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ١٣٥٣-١٣٧٥.

^١ هذا التاريخ مخالفٌ للتاريخ الموجود بالفعل على باب المدرسة، إلا إذا كان هذا تاريخ المدرسة الأخرى التي أشار إليها المقرئ في المسودة بشارع التبانة؟ والتاريخ المثبت على عِضادتي مدخل المدرسة يفيد أن الفراغ منها كان في شهر رَجَب سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٣م، ونصه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآية ١٨ سورة التوبة - صدق الله العظيم. أمر بإنشاء هذا الجامع والمدرسة المباركة الموقرة الأشرف العالي المولوي الأميري الشيفي أُلجاي =

= السلاج من جهة جامع ومدرسة السلطان حسن، وتُعرف بجامع أُلجاي اليوسفي وجامع الشايس نسبةً إلى الأمير علاء الدين علي بن أحمد الطيبرسي المعروف بابن الشايس الذي تولَّى نظارة هذا الجامع بعد وفاة منشئه فخرٍ به. وقبة هذه المدرسة قبة شاهقة مُصلَّعة تَضليعًا حلزونيًا بعد الأول من نوعه (انظر الصورة)، وله نموذج ثانٍ في قبة أَيْمُش البجاسي مع تنوع بسيط في مبدأ التَضليع. (المقرئ: السلوك ٣: ٢١٤؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٢٠٤-٢٠٥؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/٢: ١٢٠؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤: ١٥١ (٧١-٧٢)؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١٨٨-١٩١؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ٣١٣-٣١٦؛ ملحت مسعد

بن عبد الله اليوسفي : الأمير سيف الدين^١ تنقل في الخدم حتى صار من جملة
 الأمراء بديار مصر . فلما قام الأمير أسندمر الناصري بأمر الدولة ، بعد قتل
 الأمير يلبيغا الخاصكي العمري ، في شوال سنة ثمان وستين وسبع مائة ، / قبض على أُلجاي في عدة
 من الأمراء ، وقيدهم وبعث بهم إلى الإسكندرية ، فسجنوا إلى عاشر صفر سنة تسع وستين .
 فأفرج الملك الأشرف شعبان بن حسين عنه ، وأعطاه إمرة مائة وتقدمة ألف ، وجعله أمير سلاح
 بزياني ، ثم جعله أمير سلاح أتابك العساكر وناظر المارستان المنصوري عوضاً عن الأمير منكلي بغا
 الشمسي في سنة أربع وسبعين وسبع مائة . وتزوج بخوند بركة أم السلطان الملك الأشرف ،
 فعظم قدره ، واشتهر ذكره ، وتحكم في الدولة تحكماً زائداً إلى يوم الثلاثاء سادس المحرم سنة
 خمس وسبعين وسبع مائة . فركب يريد محاربة السلطان بسبب طلبه ميراث أم السلطان بعد
 موتها ، فركب السلطان وأمرأوه . وبات الفريقان ليلة الأربعاء على الاستعداد للقتال إلى بكرة
 نهار الأربعاء ، فوقع أُلجاي مع أمراء السلطان إحدى عشرة وقعة ، انكسر في آخرها أُلجاي ، وفر
 إلى جهة بركة الحبش ، وصعد من الجبل وخرج^a من عند الجبل الأحمر إلى قبّة النصر ، ووقف
 هناك . فاشتد على السلطان ، فبعث إليه خلعة بناية حماه ، فقال : لا أتوجه إلا ومعني ممالكي
 كلهم وجميع أموالهم ، فلم يوافقهم السلطان على ذلك ، وبات الفريقان على الحرب ، فتسلل أكثر
 ممالك أُلجاي في الليل إلى السلطان .

وعندما طلع النهار يوم الخميس ، بعث السلطان عساكره لمحاربة أُلجاي بقبة النصر ، فلم
 يقاتلهم ، وولى منهزماً - والطلب وراءه - إلى ناحية الخرقانية بشاطئ النيل قريباً من قلوب . فتخيّر
 وقد أدركه العسكر ، فألقى نفسه بفريسه في البحر يريد النجاة إلى البر الغربي ، فغرق بفريسه ، ثم

(a) ساقطة من بولاق .

Berchem, M., *CIA Égypte I*, n° 187, 188;
 . (Kallus, L., *RCEA XVII*, n° 774001, 774002

^١ راجع ترجمة أُلجاي اليوسفي كذلك عند ، المقريري :
 السلوك ٣ : ٢٣٠ ؛ ابن حجر : إنباء الغمر ١ : ٦٤ ؛ وبيض له في
 الدرر الكامنة ١ : ٤٣٣ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة
 ١١ : ١٢٩ ، المنهل الصافي ٣ : ٤٠ - ٤٤ ؛ ابن إياس : بدائع
 الزهور ١ / ٢ : ١٣٤ .

= أتابك العساكر المنصورة الملكي الأشرفي - أعز الله نصرته
 - بتاريخ شهر رجب سنة أربع وسبعين وسبع مائة .
 وكذلك الكتابة الموجودة أعلى الباب الرئيس ، ونصها :
 «بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذا الجامع
 والمدرسة المباركة المقرة الأشرف أُلجاي أتابك العساكر
 المنصورة الملكي الأشرفي - عفر الله له وجميع المسلمين -
 بتاريخ شهر رجب سنة أربع وسبعين وسبع مائة . (van

خَلَصَ الْفَرَسُ وَهَلَكَ الْجَائِي ، فَوَقَعَ النَّدَاءُ بِالْقَاهِرَةِ وَظَوَاهِرِهَا عَلَى إِخْضَارِ تَمَالِيكِهِ ، فَأُمْسِكَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً .

وَبَعَثَ السُّلْطَانُ الْعَطَّاسِينَ إِلَى الْبَحْرِ تَتَطَلَّبُهُ ، فَتَتَّبِعُوهُ حَتَّى أَخْرَجُوهُ إِلَى الْبَرِّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ تَاسِعِ الْمَحْرَمِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ . فَحُمِلَ فِي تَائِبٍ عَلَى لِيَادِ أَحْمَرَ إِلَى مَدْرَسَتِهِ هَذِهِ ، وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ وَدُفِنَ بِهَا . وَكَانَ مُهَابًا جَبَّارًا عَسُوفًا عَتِيًّا ، تَحَدَّثَ فِي الْأَوْقَافِ ، فَشَدَّدَ عَلَى الْفُقَهَاءِ وَأَهَانَ جَمَاعَةً مِنْهُمْ ، وَكَانَ مَعْرُوفًا بِالْإِقْدَامِ وَالشُّجَاعَةِ .

مَدْرَسَةُ أُمِّ السُّلْطَانِ

بِالْتَّبَانَةِ^(a)

[أثر رقم ١٢٥]

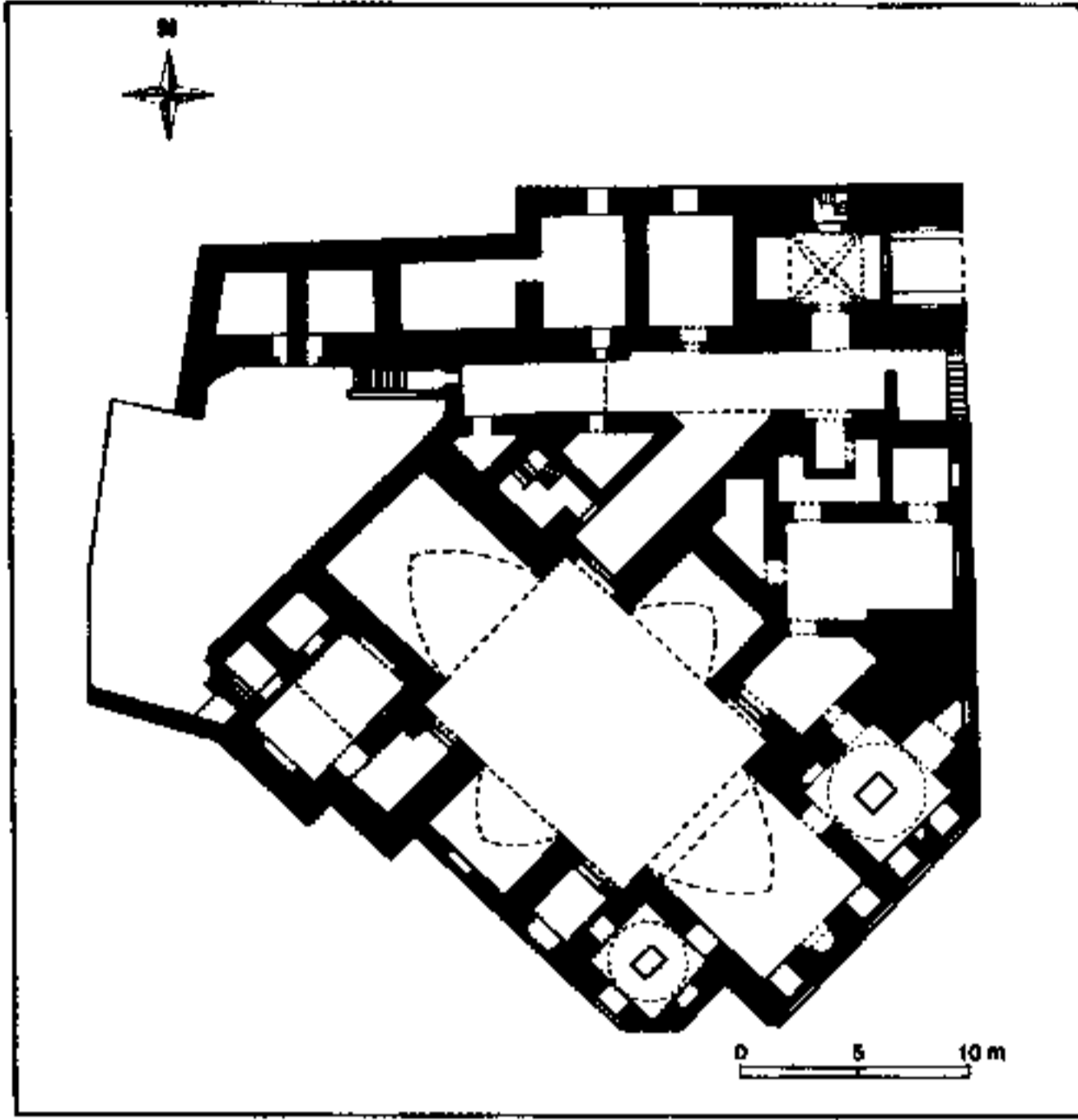
هَذِهِ الْمَدْرَسَةُ خَارِجَ بَابِ زَوَيْلَةَ بِالْقُرْبِ مِنْ قَلْعَةِ الْجَبَلِ ، يُعْرَفُ حُطُّهَا الْآنَ بِـ «التَّبَانَةِ»^(١) ، وَمَوْضِعُهَا كَانَ قَدِيمًا مَقْبَرَةً لِأَهْلِ / الْقَاهِرَةِ . أَنْشَأَهَا السُّتُّ الْجَلِيلَةُ الْكَبِيرِيُّ خَوْنَد^(b) بَرَكَةً ، أُمُّ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ شَعْبَانَ بْنِ حَسِينٍ^(٢) ، فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، وَعَمِلَتْ بِهَا دَرَسًا لِلشَّافِعِيَّةِ وَدَرَسًا لِلْحَنَفِيَّةِ ، وَعَلَى بَابِهَا حَوْضٌ مَاءٍ لِلسَّبِيلِ^(c) وَمَكْتَبًا لِلْأَيْتَامِ . وَهِيَ مِنْ

(a) إضافة من المستوذة . (b) ساقطة من بولاق . (c-c) ساقطة من بولاق .

^١ كان حُطُّ التَّبَانَةِ يشتمل على المنطقة الممتدة من باب الوزير إلى الدَّرْبِ الْأَحْمَرِ ، ويتوسطها الآن شارع باب الوزير وشارع التَّبَانَةِ ، وأصبح شارع التَّبَانَةِ يُطْلَقُ الْآنَ عَلَى الطَّرِيقِ الْمَمْتَدَّةِ مِنْ شَارِعِ بَابِ الْوَزِيرِ عِنْدَ تَلَاقِهِ بِشَارِعِ التَّبَوِيَّةِ وَسُوقِ السَّلَاحِ إِلَى شَارِعِ الدَّرْبِ الْأَحْمَرِ . وَعُرِفَ بِحُطِّ التَّبَانَةِ لِأَنَّهُ كَانَتْ فِيهِ أَسْوَاقُ التَّبَنِ الْلازِمِ لِمُؤُونَةِ دَوَابِ الْقَاهِرَةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠ : ١٨٠ هـ) .

^٢ ما تزال هذه الْمَدْرَسَةُ قَائِمَةً فِي شَارِعِ بَابِ الْوَزِيرِ وَتُعْرَفُ بِـ «جَامِعِ أُمِّ السُّلْطَانِ» ، وَالْمَدْخَلُ الرَّئِيسُ لِهَذِهِ الْمَدْرَسَةِ مِنْ أَحْقَلِ مَدَائِجِلِ الْمَدَارِسِ الْمَمْلُوكِيَّةِ زُخْرُفًا وَأَنْدَرِيهَا تَضْمِيمًا ، وَهُوَ مَدْخَلٌ مَرْتَفِعٌ بِهِ مَكْسَلَتَانِ ، وَعَقْدُهُ مِنْ أَجْمَلٍ وَأَبْدَعُ الْعُقُودِ الْمَلُونَةِ مِنَ الْمَقَرَّنَاتِ ذَاتِ الدَّوَالِي الْمَذْهَبِ ، تُحِيطُ بِهِ كِتَابَةٌ كُوفِيَّةٌ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى آيَةِ الْكُرْسِيِّ . وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْمَدَائِجِلِ مَتَأَثِّرٌ بِالْعِمَارِ الشَّلْجُوقِيَّةِ الَّتِي تُعْنَى بِزُخْرُفَةِ الْمَدَائِجِلِ . وَلِلْمَدْرَسَةِ أَرْبَعَةُ إِبْرَانَاتٍ مُتَعَامِدَةٌ يَتَوَسَّطُهَا صَخْرٌ مَكشُوفٌ ، وَقَدْ حُلِّيَ مَقْفُ الْإِبْرَانِ الْقِبْلِيِّ بِنُقُوشِ زُرْقَاءَ وَمَذْهَبِ . وَيَكْتَفِ الْإِبْرَانِ الشَّرْقِي قُبْتَانِ : حُصِّصَتْ الْقِبْلِيَّةُ لِلدُّعْنِ السُّلْطَانِ شَعْبَانَ ، كَمَا دُفِنَ فِيهَا أَيْضًا ابْنُ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ حَاجِي الْمَتُوفِيِّ سَنَةِ ٨١٤ هـ / ١٤١١ م ، وَأَعِدَّتِ الْقُبَّةُ الْبَحْرِيَّةُ لِلدُّعْنِ خَوْنَدِ بَرَكَةِ الَّتِي دُفِنَتْ مَعَهَا ابْنَتُهَا خَوْنَدُ زَهْرَةَ الْمَتُوفَاةِ سَنَةِ ٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م . (راجع ، المقرئزي : السلوك ٣ : ١٩٠ ، ١٩٣ ، ٢١٠ ، ٢٨٢ ؛ أبا المحاسن : النجوم =

المدارس الجليلة (أ) حسنة الرخام والبناء (أ)، وفيها دُفِنَ ابنها الملك الأشرف بعد قتله^١.



مخطط مدرسة أم السلطان (عن Meinecke)

(a-a) ساقطة من بولاق.

بإنشاء هذه المدرسة المباركة لوالدته مؤلانا السلطان المالك الملك الأشرف شعبان بن المرحوم حسين سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمُشركين محيي العدل في العالمين مُظهِر الحق بالبراهين حامي حوزة الدين سيّد الملوك والسلاطين، قسيم أمير المؤمنين، قاهر الخوارج والمتنمردين، كثر الغزاة والمجاهدين، مُنصِف المظلومين من الظالمين، دُخِر الأرامل والمحتاجين، صَاحِب الديار المصرية والشامية والحُصُون الإسماعيلية والثُغُور السكندرية والقلاع الساحلية والأقطار الحجازية والأعمال الفراتية، ناصر الملة المحمدية، أعزَّ الله أنصاره، وذلك في شهر سنة سبعين وسبع مائة للهجرة المحمدية، وصَلَّى اللهُ على سيدنا محمد وآله. (van Berchem, M., *CIA Égypte I*, n° 178; (Kallus, L., *RCEA XVII*, n° 770 005

= الزاهرة ١١: ٥٩ هـ؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/ ٢: ١١٥، ١٨٢؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ١٢٦-٦٠ (٦١-٦٠)؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١٨٢-١٨٧؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ٢٩٨-٣٠٧؛ Fernandes, L., *The Madrasa of Umm al-Sultan* - *Sha'ban*, Thesis AUC 1976, n° 317؛ مرفت محمد عيسى: مدرسة أم السلطان شعبان، رسالة ماجستير بكلية الآثار - جامعة القاهرة ١٩٧٧؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ١٢٩١-١٣١٠).

^١ يُدَلُّ على ذلك شريط من الكتابة أعلى المدخل أسفل مُقَرَّنات التاج يحمل النص التالي، الذي جعل إنشاء المدرسة سنة ٧٧٠ هـ لا سنة ٧٧١ هـ كما يذكر المقرئزي:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآية ١٨ سورة التوبة - أَمَرَ

السُّتُ الْجَلِيلَةَ خَوْنَد ، أم الملك الأشرف شُعبان بن حُسَيْن^١ . كانت أُمَّةً مُؤَلَّدَةً ،
بَرَكَ فَلَمَّا أُقِيمَ ابْنُهَا فِي مَمْلَكَةِ مِصْرَ ، عَظُمَ شَأْنُهَا ، وَحَجَّتْ فِي سَنَةِ سَبْعِينَ وَسَبْعٍ
 مِائَةً بِتَحْمَلٍ كَثِيرٍ وَبَدَخٍ^٢ زَائِدٍ ، وَعَلَى مَحْفَتِهَا الْعَصَائِبُ السُّلْطَانِيَّةُ وَالْكُوسَاتُ تَدُقُّ مَعَهَا . وَسَارَ
 فِي خِدْمَتِهَا مِنَ الْأَمْرَاءِ الْمُقَدَّمِينَ : بَشْتَاكُ الْعُمَرِيِّ رَأْسُ نَوْبَةٍ ، وَبِهَادِرُ الْجَمَالِيِّ ، وَمِائَةٌ مَمْلُوكٍ مِنْ
 الْمَمَالِيكِ السُّلْطَانِيَّةِ أَرْبَابِ الْوِظَائِفِ . وَمِنْ جَمَلَةٍ مَا كَانَ مَعَهَا قِطَارُ جِمَالٍ مُحْمَلَةٌ مَحَايِرَ ، قَدْ
 زُرِعَ فِيهَا الْبَقْلُ وَالْخَضْرَاوَاتُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ بِمَا يَجِلُّ وَصَفُهُ^٣ .

فَلَمَّا عَادَتْ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَسَبْعٍ مِائَةً ، خَرَجَ السُّلْطَانُ بِعَسَاكِرِهِ إِلَى لِقَائِهَا ، وَسَارَ إِلَى
 الْبُؤَيْبِ فِي سَادِسِ عَشْرِ الْحَرَمِ . وَتَزَوَّجَتْ بِالْأَمِيرِ الْكَبِيرِ الْجَيِّ الْيُوسُفِيِّ وَبِهَا طَالَ وَاسْتَطَالَ .
 مَاتَتْ فِي^٤ يَوْمٍ^(b) ثَانِي عَشْرِينَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعٍ مِائَةٍ .

وَكَانَتْ خَيْرَةً عَفِيفَةً ، لَهَا بَرٌّ كَثِيرٌ وَمَعْرُوفٌ مَعْرُوفٌ ، تَحَدَّثَ النَّاسُ بِحَبِّهَا عِدَّةَ سِنِينَ لَمَّا كَانَ
 لَهَا مِنَ الْأَفْعَالِ الْجَمِيلَةِ فِي تِلْكَ الْمَشَاهِدِ الْكَرِيمَةِ ، وَكَانَ لَهَا اعْتِقَادٌ فِي أَهْلِ الْخَيْرِ ، وَمَحَبَّةٌ فِي
 الصَّالِحِينَ ، وَقَبْرُهَا مَوْجُودٌ بِقُبَّةِ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ . وَأَسِيفَ السُّلْطَانِ عَلَى فَقْدِهَا ، وَوَجَدَ وَجْدًا كَثِيرًا
 لِكثْرَةِ حُبِّهِ لَهَا .

وَاتَّفَقَ أَنَّهَا لَمَّا مَاتَتْ أَنْشَدَ الْأَدِيبُ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْأَعْرَجُ السَّعْدِيُّ :

فِي ثَانِي عَشْرِينَ مِنْ ذِي قَعْدَةٍ^٥ كَانَتْ صَبِيحَةً مَوْتِ أُمِّ الْأَشْرَفِ
 فَاللَّهُ يَزْحَمُهَا وَيُعْظِمُ أَجْرَهُ وَيَكُونُ فِي عَاشُورَا مَوْتِ الْيُوسُفِيِّ

(a) بولاق : برج . (b-b) ساقطة من بولاق .

١ إياس : بدائع الزهور ١/٢ : ١١٤ - ١١٥ .

٢ المصادر المذكورة في الهامش السابق وأضف إليها ،

الجزيري : درر الفرائد المنظمة ٢ : ١٩٠٨ - Behrens -
 Abouseif, D., «The Mahmal Legend and the
 Pilgrimage of the Ladies of the Mamluk Court»,
 MSR I (1997), pp. 87-96.

٣ في السلوك ٣ : ٢١١ ، والنجوم الزاهرة ١١ : ٦٠ : في
 مستهل العشر من ذي الحجة .

وَرَغِمَ أَنْ هَذَا النَّصُّ وَغَيْرُهُ مِنَ النَّصُوصِ الْمَوْجُودَةِ فِي
 أَنْحَاءِ الْمَدْرَسَةِ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْأَشْرَفَ شُعبَانَ قَدْ أَنْشَأَهَا
 لَوَالِدَتِهِ ، فَالْأَرْجَحُ - تَبَعًا لِرَوَايَةِ الْمُقْرِيزِيِّ وَنَظَرًا لِصِفَرِ سِيْنِ
 السُّلْطَانِ أَنَّ وَالِدَتَهُ هِيَ الْمُنْشِئَةُ لَهَا وَكُتِبَ اسْمُهُ عَلَيْهَا .
 ١ راجع ترجمة السُّيْدَةِ خَوْنَدِ بَرَكَ وَأَخْبَارَهَا عِنْدَ ،
 الْمُقْرِيزِيِّ : السُّلُوكِ ٣ : ٢١٠ ؛ ابْنِ حَجَرٍ : إِبْنَاءُ الْغَمْرِ ١ : ٤١ ،
 الدَّررُ الْكَامِنَةُ ٢ : ٦ - ٧ ؛ أَبِي الْخَمَّاسِنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ
 ١١ : ٥٨ - ٥٩ ، ١٢٥ ، الْمَنْهَلُ الصَّافِي ٣ : ٣٥٥ - ٣٥٧ ؛ ابْنِ

فكان كما قال . وعرق أُلجاي اليوسفي ، كما تقدم ذكره ، في يوم عاشوراء^١ .

المدرسة الأيتيمشية

[أثر رقم ٢٥٠]

هذه المدرسة خارج القاهرة داخل باب الوزير تحت قلعة الجبل برأس التبتانة^(a) . أنشأها الأمير الكبير سيف الدين أيتيمش الجاسي^(b) ثم الظاهري^(c) (أتابك العساكر^(c)) في سنة خمس وثمانين وسبع مائة ، وجعل بها درس فقهِ للحنفية ، وبني بجانبها فندقًا كبيرًا يغلوه ربيع ، ومن ورائها خارج باب الوزير حوض ماءٍ للسبيل^(c) ومصلّى الأموات ، وبني أيضًا إلى جانب المدرسة المذكورة فندقًا^(c) وربعا كبيرًا^(d) ، وهي مدرسة ظريفة .

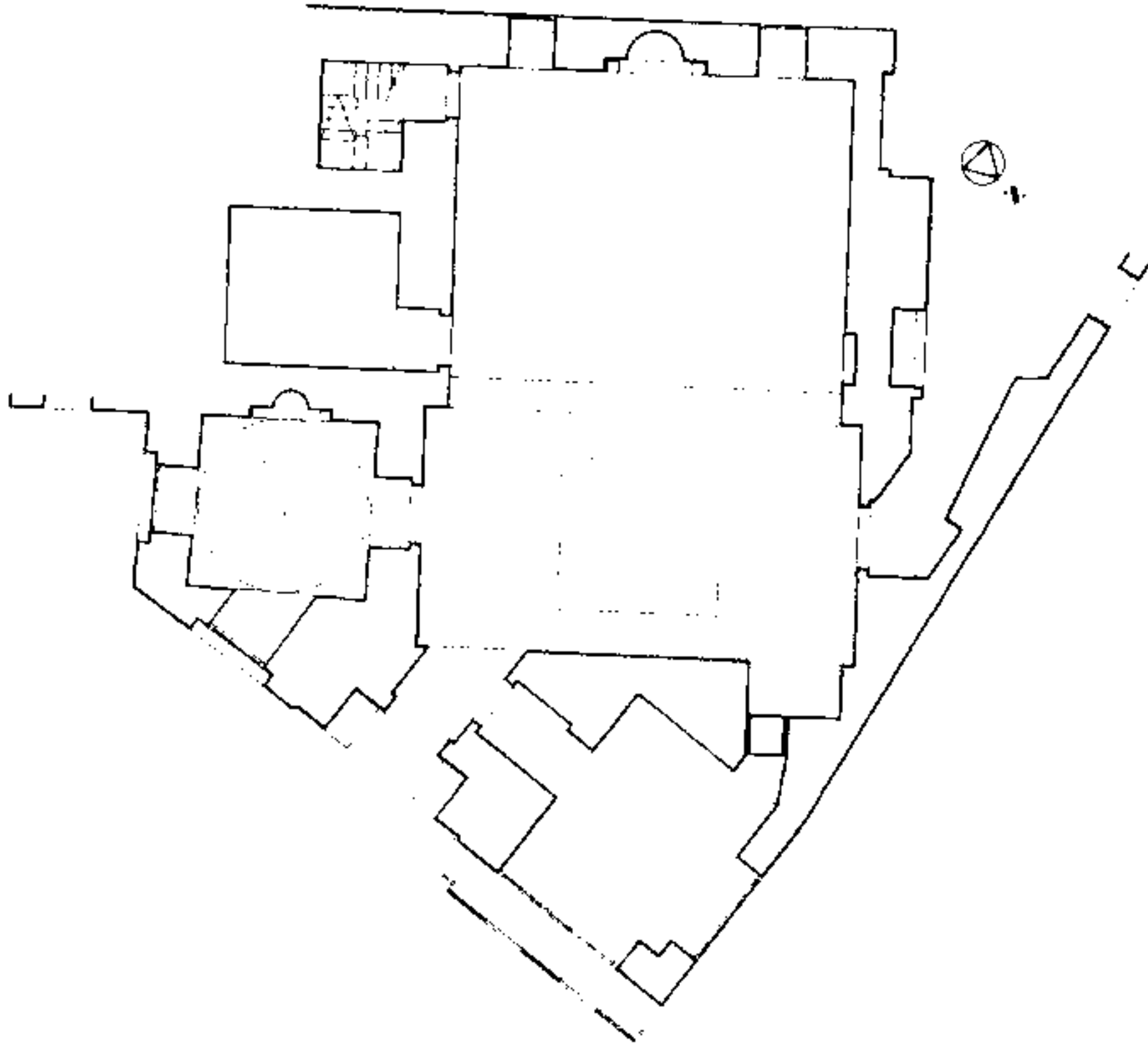
بن عبد الله ، الأمير الكبير سيف الدين الجاسي ثم الظاهري ، كان أحد المماليك اليتيمشية^(e) .^٣

أيتيمش

(a) العبارة في المسودة : داخل باب الوزير بالتبتانة بقرب قلعة الجبل . (b) في آياصوفيا وميونخ : الجاشي . (c-c) إضافة من المسودة . (d) ساقطة من بولاق . (e) بعد ذلك على هامش نسخة ميونخ : بياض في الأصل نحو صفحة .

حجر : إنباء العمر ١ : ٢٧٥ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١ / ٢ : ٥٦٠ ، ٥٨٢ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٤ : ١٣١ (٦٣) ؛ أحمد محمد أحمد : منشآت الأمير أيتيمش الجاسي بباب الوزير - دراسة معمارية أثرية ، رسالة دكتوراه بكلية الآثار - جامعة القاهرة ١٩٩٤ ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٣ : ٢١-٣٤ .
٣ راجع ترجمة الأمير أيتيمش الجاسي ، المتوفى سنة ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ م ، كذلك عند ، المقريري : السلوك ٣ : ٥٠٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ؛ ابن حجر : إنباء العمر ٢ : ١١٨ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ١١ : ٢٣٧ ، ١٢ : ١٨٤-١٨٩ ، ١٣ : ١٢-١٣ ؛ المنهل الصافي ٣ : ١٤٣-١٥١ ؛ الصيرفي : نزهة النفوس ٢ : ٦٢ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ٢ : ٣٢٤ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١ / ٢ : ٥٥٨-٥٦٠ .

١ في السلوك ٣ : ٢١١ : «أنشدني البيتين المذكورين صاحِبنا صارمُ الدين إبراهيم بن دُقماق ، قال : أنشدنيهما الأديبُ شهابُ الدين أحمد الأعرج السُعدي» .
٢ ما تزال هذه المدرسة - المعروفة الآن بـ «جامع أيتيمش» - قائمة بشارع المحجر عند تلاقيه بشارع باب الوزير ، وفوق مدخلها كتابة تاريخية نصها :
«أمر بإنشاء هذه التربة المباركة العبدُ الفقيرُ إلى الله تعالى أيتيمش الجاشي [كذا] رأس نوبة الظاهري في سنة خمس وثمانين وسبع مائة» . (van Berchem, M., CIA) Égypte I, n° 190; Kallus, L., RCEA XVIII, n° 785 002 .
وراجع كذلك ، المقريري : السلوك ٣ : ٥٠٢ ، ٩٨٨ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ١١ : ١٦٨ ، ١٢ : ١٨٩ ؛ ابن



مُخَطَّطُ الْمَدْرَسَةِ الْأَيْمَشِيَّةِ (عَنْ صَالِحِ الْمَعِي)

الْمَدْرَسَةُ الْمَجْدِيَّةُ الْخَلِيلِيَّةُ

هذه الْمَدْرَسَةُ بِمِصْرَ يُعْرَفُ مَوْضِعُهَا بِدَرْبِ الْبَلَاطِ^(أ) ، عَمَّرَهَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ مَجْدُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ أَمِينِ الدِّينِ أَبِي عَلِيِّ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمِ الْخَلِيلِيِّ الدَّارِيِّ ، فَتَمَّتْ فِي شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَقَرَّرَ فِيهَا مُدَرِّسًا شَافِعِيًّا وَمُعِيدَيْنِ وَعَشْرِينَ تَفَرُّا طَلَبَةً ، وَإِمَامًا رَاتِبًا وَمُؤَدِّنًا ، وَقَيِّمًا لِكُنْسِهَا وَقَرَشِهَا وَوَقُودَ مَصَابِيحِهَا وَإِدَارَةَ سَاقِيَتِهَا ، وَإِجْرَاءِ^(ب) الْمَاءِ إِلَى فَنَاقِيَتِهَا .

(أ) بولاق : البلاد . (ب) بولاق : أجرى .

^١ زُبَّما يَكُونُ الْمَقْصُودُ زُقَاقَ الْبَلَاطِ الَّذِي كَانَتْ تَفْتَحُ عَلَيْهِ الْأَبْوَابُ الْغَرْبِيَّةَ لِلْجَامِعِ الْعَتِيقِ .

ووقف عليها غيظاً بناحية بارنبار من أعمال المزاحمتين ، وبُستانا بمحلة الأمير من المزاحمية الغربية ، وغيظاً بناحية نطوبس ، ورُبَع غيظ بظاهر ثغر رشيد ، وبُستانا ونصف بُستان بناحية بَلْقَس ، ورباعاً بمدينة مصر^١ .

ومجد الدين هذا هو والد الصاحب الوزير فخر الدين عمر بن الخليلي . ودرّس بهذه المدرسة الصاحب فخر الدين إلى حين وفاته . وتوفي مجد الدين بدمشق في ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثمانين وست مائة ، وكان مشهوراً بالصلاح^٢ .

المدرسة الناصرية

بالقرافة

هذه المدرسة بجوار قبّة الإمام محمد بن إدريس الشافعي - رضي الله عنه - من قرافة مصر^٣ . أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ورثب بها مدرّساً يُدرّس الفقه على مذهب الشافعي ، وجعل له في كل شهر من المعلوم عن التدريس أربعين ديناراً مُعاملة صرف كل دينار ثلاثة عشر درهماً وثلاث درهم ، وعن معلوم النظر في أوقاف المدرسة عشرة دنانير ، ورثب له من الخبز في كل يوم ستين رطلاً بالمصري وراويتين من ماء النيل ، وجعل فيها مُعيدتين وعدة من الطلبة^٤ . ووقف عليها حمّاماً بجوارها ، وفُزناً تجاهها ، وحوانيت بظاهرها ، والجزيرة التي يُقال لها جزيرة الفييل ببخر النيل خارج القاهرة .

١ مكان المدرسة الصلاحية (الناصرية) (عجائب الآثار ٢: ٨) .
وبذلك تكون «المدرسة الصلاحية» قد حل محلها الآن «جامع الإمام الشافعي» . ثم أمر بتجديد المسجد في سنة ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م خديو مصر محمد توفيق باشا على طراز المدارس المملوكية . (أبو شامة : الروضتين ١: ٦٨٨؛ المقرئزي : السلوك ١: ٦٣ ، ٢٦١) (والتعليق الوارد بهامش الصفحة غير صواب) ؛ العيني : عقد الجمان (العصر الأيوبي) ١: ٢٤٥ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٦: ٥٤ - ٥٥ ؛ السيوطي : حسن المحاضرة ٢: ٢٥٧ - ٢٥٩ ؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١٠٧ - ١٠٨) .

وتخلف من المدرسة الصلاحية كتابة تاريخية بالخط -

١ ابن دقماق : الانتصار ٤: ٩٦ (ونصّه أكثر تفصيلاً) .
٢ انظر ترجمة مجد الدين الخليلي الداري كذلك عند ، الصفدي : الوافي بالوفيات ١٨: ٤٧٣ . وهو أيضاً صاحب «الرباط المجدي» الذي كان يقع بدير الطين (ابن دقماق : الانتصار ٤: ١٠٢) .

٣ انظر قبّة الإمام الشافعي ، فيما يلي ٩٠٩ - ٩١٤ .
٤ هذه المدرسة حل محلها ، في منتصف القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، المسجد الذي عمّره الأمير عبد الرحمن كئُخدا القارذغلي سنة ١١٧٦هـ / ١٧٦٢م ، يقول الجبّرتي وهو يُعدّد منشآت الأمير : «وعمّر المسجد بجوار ضريح الإمام الشافعي - رضي الله عنه - في

ووليّ تدرّيسها جماعة من الأكابر والأعيان ؛ ثم نخلت من مُدَرِّسٍ ثلاثين سنة ، واكتُفِيَ فيها بالمعيدين وهم عشرة أنفس . فلمّا كانت سنة ثمانٍ وسبعين وستّ مائة^١ ، / وليّ تدرّيسها قاضي القضاة تقيّ الدّين محمد بن رزّين الحموي بعد عزّله من وظيفة القضاء ، وقُرّر له نصف المعلوم . فلمّا ماتَ وليها الشّيخُ تقيّ الدّين بن دقيق العيد برُبع المعلوم . فلمّا وليّ الصّاحبُ بُرّهان الدّين الخضر السّنجاري التّدرّيس^٢ ، قُرّر له المعلوم الشّاهد به كتابُ الوقف .

المدرسة المساميتة

هذه المدرسة بمدينة مصر في حُطّ الشّيوّريين^٣ ، أنشأها كبيرُ التّجار ناصرُ الدّين محمد ابن مُسَلّم - بضم الميم وفتح السين المهملة وتشديد اللام - البالسي الأصل ، ابن بنت كبير التّجار شمس الدّين محمد بن يسير - بفتح الياء آخر الحروف وكسر السين المهملة ، ثم ياء آخر الحروف بعدها راء - [الكارمي]^(a) ، ومات في سنة ستّ وسبعين وسبع مائة قبل أن تتم^٤ ، فوصّى بتكملتيتها

(a) زيارة ضرورية من المصادر .

الصفدي : الوافي بالوفيات ٣: ١٨-١٩ ؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٨: ٤٦-٤٨ ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ١: ٥٩ ، ٦٥ ؛ المقرّبي : السلوك ١: ٦٥٧ ، ابن حجر : رفع الإصر ٣٥٦ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٧: ٣٥٣ .

^٢ المقرّبي : السلوك ١: ٧١٣ .

^٣ ابن دقماق : الانتصار ٤: ٩٩ وفيه : «أوصى بعماريتها من بعده وأرضد لها ستة عشر ألف دينار فعمرت وجاءت من أحسن المدارس ، لم يكن بمصر مدرسة أحسن بناء منها» ؛ المقرّبي : المقفى الكبير ٧: ٢٥٨ .

^٤ انظر ترجمة محمد بن مُسَلّم التاجر الكارمي ، المتوفى سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٥م ، عند ، المقرّبي : المقفى الكبير ٧: ٢٥٧-٢٥٨ ، السلوك ٣: ٢٤٦ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٥: ٢٦ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ١١: ١٣٢ ، الدليل الشافي ٢: ٧٠٥ .

= الشّخ الأيوبي ، محفوظة الآن في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، نصّها :

«بُنيت هذه المدرسة باشتدعاء الشّخ الفقيه الإمام ال... الزّاهد نجم الدّين رُكن الإسلام قُدوة الأنام مُفتي الفرق ، أبو البركات بن الموقّ الخبوشاني - أدام الله توفيقه - لفقهاء أصحاب الشّافعي - رضوان الله عليه - الموصوفين بالأصولية الموحّدة الأشعريّة على الحشوية وغيرهم من المبتدعة ، وذلك في شهر رَمضان سنة خمسٍ وسبعين وخمس مائة» . (Wiet, G., RCEA IX, n° 3339) .

كما تبقى منها كذلك بمصرعان مُعشّيان بالنحاس محفوظان أيضًا بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة . (حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١٠٨) .

^١ قاضي القضاة تقيّ الدّين أبو عبد الله محمد بن الحسين ابن رزّين بن موسى بن عيسى بن موسى العامري الحموي ، المتوفى سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م . (راجع ترجمته عند ،

وأفرد لها مالا، ووقف عليها دورا وأرضا بناحية قلوب، وشرط أن يكون فيها مدرس مالكي ومدرس شافعي ومؤدب أطفال وغير ذلك. فكمّلها مولاة ووصيه الكبير كافور الخصي الرومي بعد وفاة أستاذه، وهي الآن عامرة.

- وتلغ ابن مسلم هذا من وفور المال وعظم السعادة ما لم يتلغه أحد ممن أدر كناه، بحيث إنه جاء نصيب أحد أولاده نحو مائتي ألف دينار مصرية، وكان كثير الصدقات على الفقراء، مقتيرا على نفسه إلى الغاية، وله أيضا مطهرة عظيمة بالقرب من جامع عمرو بن العاص ونفعها كبير، وله أيضا دار جليلة على ساحل النيل بمصر. وكان أبوه تاجرا سفارا بعدما كان حمالا، فصاهر ابن بسير، ورزق محمدا هذا من ابنته، فنشأ على صيانة، ورزق الحظ الوافر في التجارة وفي العبيد. فكان يبعث أحدهم بمال عظيم إلى الهند، ويبعث آخر بمثل ذلك إلى بلاد الشكروور، ويبعث آخر إلى بلاد الحبشة، ويبعث عدة آخرين إلى عدة جهات من الأرض، فما منهم من يعود إلا وقد تضاعفت فوائده ماله أضعافا مضاعفة.

مَدْرَسَةُ إِيْنَال

[أثر رقم ١١٨]

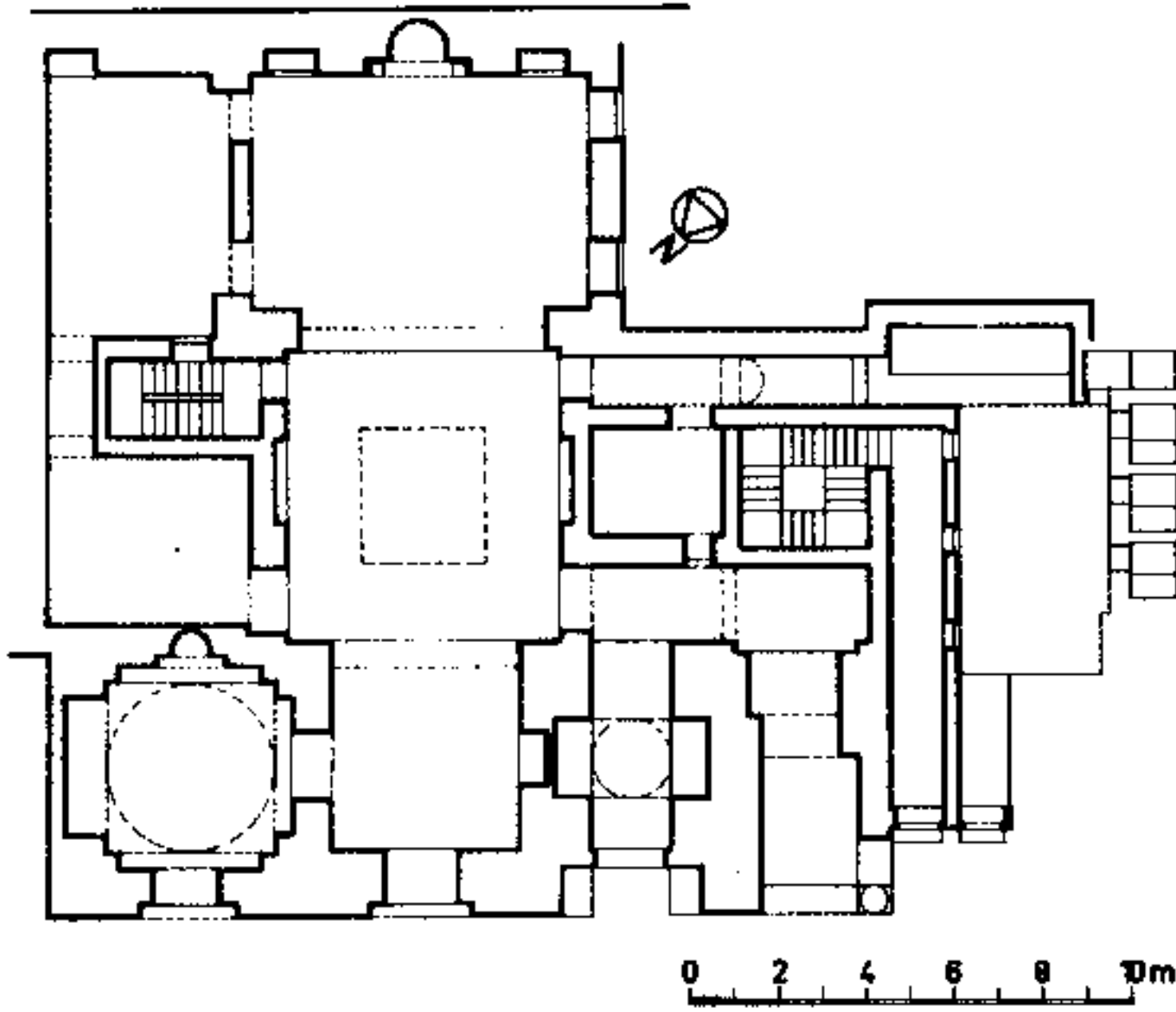
- هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من باب حارة الهلالية بخط القماحين^(a). كان موضعها في القديم من حقوق حارة المنصورة، أوصى بعماريتها الأمير الكبير سيف الدين إينال اليوسفي، أحد المماليك التلغاوية، فابتدأ بعملها في سنة أربع وتسعين، وفرغت في سنة خمس وتسعين وسبع مائة^١.

(a) في المسودة: هي المدرسة اللطيفة التي بالقماحين بالشارع بالقرب من باب حارة اليانسية (؟) وهو الأضوب.

«أنشأ هـ[هذا السبيل المبارك من فضل الله تعالى المقرّ
المرحوم الشيفي إينال الأتابكي الملكي الظاهري - تغمّده الله
برحمته - بتاريخ شهر ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وسبع
مائة». (van Berchem, M., *CIA Égypte I*, 199 bis; Kallus, L., *RCEA XVIII*, n° 795 005).

^١ لا تزال مدرسة الأمير إينال اليوسفي قائمة بشارع قصبة
رضوان بالحبيبية خارج باب زويلة بجوار جامع محمود الكردي
(مدرسة جمال الدين محمود الأستادار، فيما تقدم ٥٩٠ -
٥٩٤) وتعرف بـ «جامع إينال»، على يسار المتجه إلى المعزبلين
والشروجية. وتوجد كتابة تاريخية منقوشة على أشكفة المئذنة
الواقعة على يمين مدخل المدرسة تحمل النص التالي:

وراجع عن المدرسة، أبا المحاسن: المنهل الصافي =



مُحَطَّط مَدْرَسَةُ إِبْنِ نَسَال (عن صالح لمعي)

ولم يَعْمَلْ فِيهَا سِوَى قُرَّاءٍ يَتَنَاقَشُونَ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ عَلَى قَبْرِهِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا مَاتَ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ رَابِعِ عَشْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، دُفِنَ خَارِجَ بَابِ النَّصْرِ حَتَّى انْتَهَتْ عِمَارَةُ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ ، فَنُقِلَ إِلَيْهَا وَدُفِنَ فِيهَا .

هذا وَلِيَّ نِيَابَةِ حَلَبَ ، وَصَارَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ أَتَابِكُ الْعَسَاكِرِ بِدِيَارِ مِصْرَ حَتَّى مَاتَ . وَكَانَتْ جَنَازَتُهُ كَثِيرَةَ الْجَمْعِ مَشَى فِيهَا السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بَرْقُوقُ وَالْعَسَاكِرُ^١ .

إِبْنُ نَسَال

٣ : ١٩٤ ؛ السخاوي : تحفة الأحاب ١٠٥ ؛ ابن إياس :
 بدائع الزهور ٢/١ : ٤٥٢ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية
 ٢ : ١٣٣ (٣٤) ، ٤ : ١٣١ (٦٣) ؛ عاصم محمد رزق :
 إنباء الغمر ١ : ٤٤١ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة
 ١٢ : ١٢٨ - ١٢٩ ، المنهل الصافي ٣ : ١٨٩ - ١٩٤ ؛
 الصيرفي : نزهة النفوس ١ : ٣٥١ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور
 ٢/١ : ٤٥٢ .

أطلس العمارة الإسلامية ٣ : ٧١ - ٩٦ .
^١ راجع ترجمة الأمير سيف الدين إبنال اليوسفي الشيفي
 اليكباوي ، المتوفى سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩٢م ، عند ابن الفرات :
 تاريخ الدول والملوك ٩/٢ : ٣١٨ ؛ المقرئزي : السلوك
 ٣ : ٧٦٦ ، ٧٧٦ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ١ : ٤٤٦٢ ،
 وإبنال معناه باللغة التركية : شعاع القمر ، إي :
 القمر ، ونال : الشعاع . (أبو المحاسن : المنهل الصافي
 ٣ : ١٩٤) .

مَدْرَسَةُ الْأَمِيرِ جَمَالِ الدِّينِ الْأُسْتَاذِ

[أثر رقم ٣٥]

هذه المَدْرَسَةُ بِرَحْبَةِ بابِ العيد من القَاهِرَةِ ، كان مَوْضِعُهَا قَيْسَارِيَّةً يَغْلُوها طِباقٌ كُلُّها وَقَفَّ فَأَخَذَها وَهَدَمَها^١ ، وابتدأ بِشَقِّ الأساسِ في يومِ السَّبْتِ خَامِسِ جُمادى الأولى سنة عَشْرِ وثمان مائة ، وَجَمَعَ لها الآلات من الأَحْجارِ والأَخْشابِ والرُّخامِ وغير ذلك .

وكان بِمَدْرَسَةِ الملكِ الْأَشْرَفِ شَعْبان بنِ حَسِينِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ قَلاوون ، التي كانت بالصُّوَّةِ تِجَاهَ الطَّبْلَخاناه من قَلْعَةِ الجَبَلِ ، بَقِيَّةً من حاصِلِها^٢ فيها شَبابِكُ من نُحاسٍ مُكَفَّتٍ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَأَبوابٌ مُصَفَّحَةٌ بالنُّحاسِ البَدِيعِ الصَّنِيعَةِ المُكَفَّتِ ، ومن المَصاحِفِ وَكُتُبِ الحَدِيثِ^٣ وَالْفِيقِ وغيره من أنواعِ العُلُومِ جَمَلَةٌ . فاشْتَرى ذلك من الملكِ الصَّالِحِ المَنْصُورِ حاجي بن الْأَشْرَفِ بِمِبلَغِ سِتِّ مائة دِينَارٍ - وكانت قِيمَتُها عَشْرَاتِ أمثالِ ذلك - وَنَقَلَهَا إلى دارِهِ^٤ . فكان مِمَّا فيها عَشْرَةٌ مَصاحِفٍ ، طُولُ كُلِّ مُصَحَفٍ منها أَرْبَعَةٌ أَشْبارٍ إلى خَمسةٍ في عَرَضٍ يَقرب من ذلك ، أَحَدُها بِخَطِّ ياقُوتٍ وَأَخْرَ بِخَطِّ ابنِ البَرِّوَابِ ، وَباقيها بِخَطِّ مَنسُوبَةٍ^٥ ، ولها جُلُودٌ في غَايَةِ الحُسْنِ مَعْمُولَةٌ في أَكياسِ الحَرِيرِ الأَطْلَسِ ؛ ومن الكُتُبِ النَّفِيسَةِ عَشْرَةٌ أَحْمالِ جَمِيعُها مَكْتُوبٌ في أوَّلِهِ الإِشْهادُ على الملكِ الْأَشْرَفِ بِوَقْفِ ذلك ، وَمَقَرَّهُ في مَدْرَسَتِهِ^٤ .

(a) بولاق : داخلها . (b) بولاق : الكتب في الحديث .

^٤ لا تزال مَدْرَسَةُ جمالِ الدِّينِ الْأُسْتَاذِ قائِمةً بِشارِعِ الثُّغْبَكشِيَّةِ وَناصِيَةِ شارِعِ حَبْسِ الرُّحْبَةِ بِالجمالية ، وتُعرف بِ«جامعِ الجمالي» و«الجامعِ المُعَلَّقِ» لأنَّهُ يُصْعَدُ إليه بِسَلْمٍ ذي جناحِينِ بِكُلِّ جَناحٍ سِتُّ دَرَجاتٍ . وَتُخَطِّطُ المَدْرَسَةُ على طِرازِ المدارسِ المُتعامِدةِ : صَخْنٌ أوسطٌ مَكشُوفٌ تُحِيطُ به أَرْبَعَةٌ أواوِينِ . وللمَدْرَسَةِ واجهتان : الواجِهةُ البَحرِيَّةُ - وهي الواجِهةُ الرَئِيسَةُ - تُطلُّ على شارِعِ الثُّغْبَكشِيَّةِ ، والواجِهةُ القِبْلِيَّةُ وتُطلُّ على شارِعِ حَبْسِ الرُّحْبَةِ .

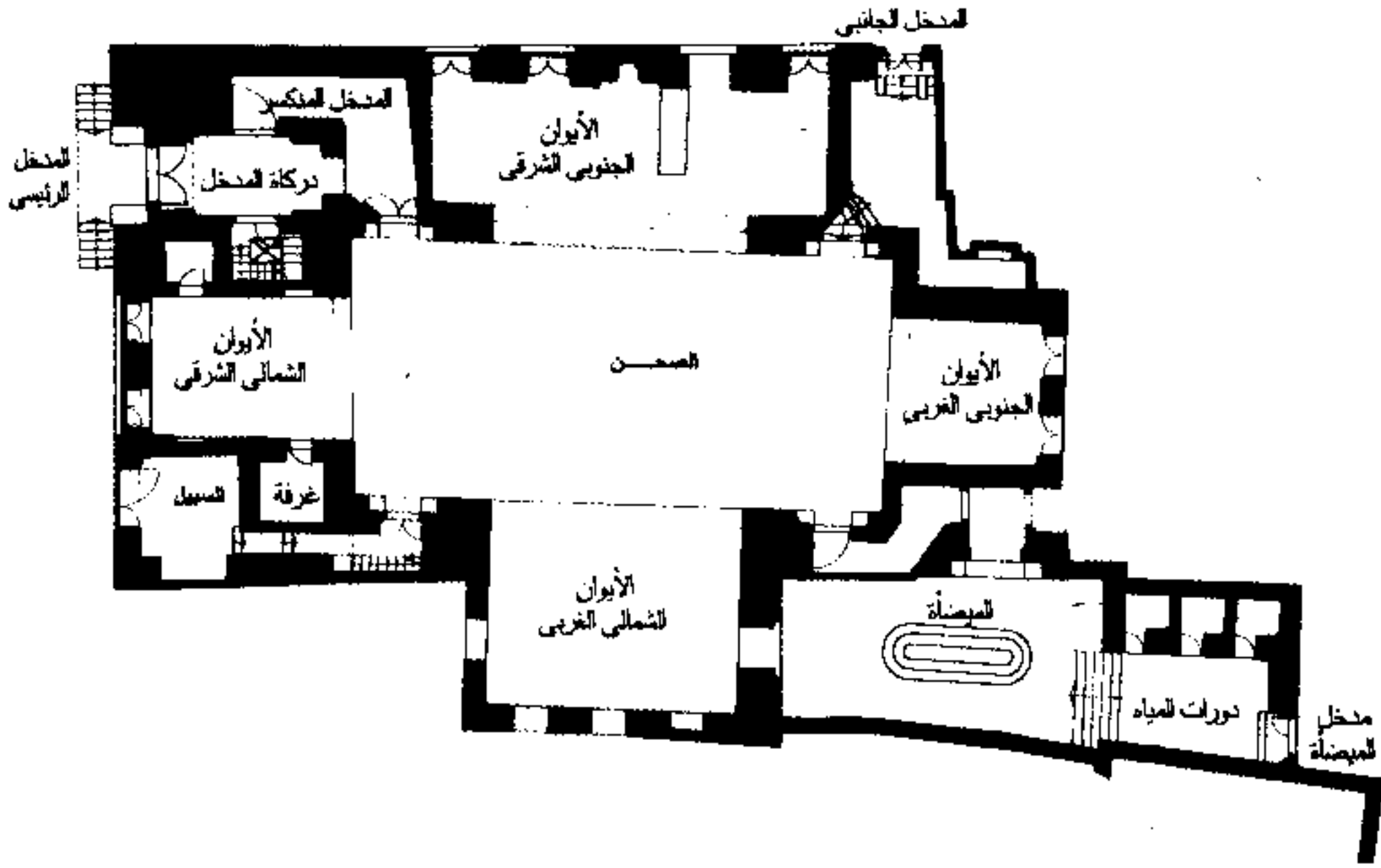
ويوجد بأعلى دائرِ الصَّخْنِ كِتابَةٌ تاريخِيَّةٌ بِالخطِّ الثُلُثِ

المملوكي ، نَصُّها :

^١ انظر عن رَحْبَةِ بابِ العيد ، فيما تقدم ٣ : ١٤٩ ، وأشار المقرِيزي في أكثر من موضعٍ إلى القَيْساريةِ المُستَجدَّةِ بِرَحْبَةِ بابِ العيد التي هَدَمَها جمالُ الدِّينِ الْأُسْتَاذِ من أَجْلِ بِناءِ مَدْرَسَتِهِ ، ولكنهُ لم يُفْردها بِمَدْخَلٍ مُستَقِلٍّ في الفِضْلِ الذي عَقَدَهُ لذكْرِ القِياسِ .

^٢ انظر فيما يلي ٦٦٢-٦٦٦ ، المَدْرَسَةُ الْأَشْرَفِيَّةُ شَعْبان .

^٣ انظر عن المَصاحِفِ التي كَتَبَها كُلٌّ من عليِّ بنِ هِلالِ ابنِ البَرِّوَابِ وَياقُوتِ المُسْتَفْصِمِي ، والمَصاحِفِ المَكْتُوبَةِ بِخَطِّ مَنسُوبَةٍ ، أيمن فُؤاد : الكِتابُ العَرَبِيُّ المَخْطُوطُ ٥٧-٦٥ ، ٣٠٧-٣١٣ .



مخطط مدرسة جمال الدين الأستادار (عن المجلس الأعلى للآثار)

فلما كان يوم الخميس ثالث شهر رجب سنة إحدى عشرة وثمان مائة، وقد انتهت عمارتها، جمع بها الأمير جمال الدين القضاة والأعيان، وأجلس الشيخ همام الدين محمد بن أحمد الخوارزمي الشافعي على سجادة المشيخة، وعمله شيخ التصوف ومدرس الشافعية، ومد سماطاً جليلاً أكل عليه كل من حضر، وملا البركة التي بوسط المدرسة ماء قد أذيب فيه سكر مزج بماء اللبمون، وكان يوماً مشهوداً.

= «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآيات ١-١١ سورة ▽ الخطط التوثيقية ٢١٩:٢ (٧٤)، ٢٧٥:٥-٢٧٦ الجُمعة - وَقَفْتُ هذه المدرسة المباركة [...] الله - وكان الفراغ من عمارتها في شهر ربيع الأول عام إحدى عشرة وثمان مائة، وصلى الله على سيدنا محمد». (van Berchem, M., *CIA Égypte I*, n° 204).

والنظر لتأثر المدرسة بزلزال أكتوبر سنة ١٩٩٢، فقد قام المجلس الأعلى للآثار بالقاهرة بأعمال ترميم وتجديد شاملة للمدرسة، وافتُتحت في نهاية عام ٢٠٠٢.

راجع، المقرئ: السلوك ٤: ٦١، ١٧٥-١٧٦، ٣٥٣، ٣٧٦، درر العقود الفريدة ٣: ٥٦٤؛ ابن إياس: بدائع الزهور ٢/١: ٧٨٥، ٧٩٢، ٨١١؛ علي مبارك:

وَقَرَّرَ فِي تَدْرِيسِ الْحَنْفِيَّةِ بَدْرَ الدِّينِ / مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ بِالشَّيْخِ زَادَةَ الْخَزْرِيَّانِي ^١، وَفِي تَدْرِيسِ الْمَالِكِيَّةِ شَمْسَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ ^(a) الْبَسَاطِي، وَفِي تَدْرِيسِ الْحَنَابِلَةِ فَتْحَ الدِّينِ أَبِي الْفَتْحِ مُحَمَّدَ بْنَ نَجْمِ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ الْبَاهِي ^(b)، وَفِي تَدْرِيسِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ شَهَابَ الدِّينِ أَحْمَدَ ابْنَ عَلِيِّ بْنِ حَجْرٍ ^٢، وَفِي تَدْرِيسِ التَّفْسِيرِ شَيْخَ الْإِسْلَامِ قَاضِيَ الْقَضَاةِ جَلَالَ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنَ الْبُلْقِينِي. فَكَانَ يَجْلِسُ مِنْ ذَكَرْنَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ إِلَى أَنْ كَانَ آخِرُهُمْ شَيْخَ التَّفْسِيرِ، فَكَانَ مِثْلَ الْخِيَامِ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يَحْضُرُ مَعَهُ، وَيُلْبِسُهُ مَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الْمَلَابِسِ الْفَاجِرَةِ.

وَقَرَّرَ عِنْدَ كُلِّ مِنَ الْمُدْرَسِينَ السِّتَةَ طَائِفَةً مِنَ الطَّلَبَةِ، وَأَجْرَى لِكُلِّ وَاحِدٍ ثَلَاثَةَ أَرْطَالٍ مِنَ الْخُبْزِ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَثَلَاثِينَ دِرْهَمًا فُلُوسًا فِي كُلِّ شَهْرٍ، وَجَعَلَ لِكُلِّ مُدْرَسٍ ثَلَاثَ مِائَةِ دِرْهَمٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ ^٣، وَرَتَّبَ بِهَا إِمَامًا وَقَوْمَةً وَمُؤَدِّينَ وَقَرَّاشِينَ وَمُبَاشِرِينَ، وَأَكْثَرَ مِنْ وَقْفِ الدُّورِ عَلَيْهَا، وَجَعَلَ فَائِضَ وَقْفِهَا مَصْرُوفًا لِلدَّرْسِ. فَجَاءَتْ فِي أَحْسَنِ هِنْدَامٍ وَأَتَمَّ قَالِبٍ وَأَفْخَرِ زِيٍّ وَأَبْدَعَ رُخَامٍ ^(c). إِلَّا أَنَّهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَلَاتِ، وَمَا وَقَفَ عَلَيْهَا، أُخِذَ مِنَ النَّاسِ غَضَبًا، وَعَمِلَ فِيهَا الصُّنَاعُ بِأَبْحَسِ أُجْرَةٍ مَعَ الْعَسْفِ الشَّدِيدِ.

فَلَمَّا قَبِضَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ وَقَتَلَهُ فِي جُمَادَى الْأَوَّلِ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَثَمَانِ مِائَةٍ ^٤ وَاسْتَوْلَى عَلَى أَمْوَالِهِ، حَسَنَ جَمَاعَةً لِلْسُّلْطَانِ أَنْ يَهْدِمَ هَذِهِ الْمَدْرَسَةَ، وَرَغَّبُوهُ فِي رُخَامِهَا فَإِنَّهُ غَايَةً فِي الْحُسْنِ؛ وَأَنْ يَسْتَرْجِعَ أَوْقَافَهَا فَإِنَّ مُتَحَصِّلَهَا كَثِيرٌ، فَمَالَ إِلَى ذَلِكَ وَعَزَمَ عَلَيْهِ. فَكَرِهَ ذَلِكَ ^(d) الرَّئِيسُ فَتَخَّ الدِّينُ فَتَحَ اللَّهُ كَاتِبَ السَّرِّ، وَاسْتَشْفَعَ أَنْ يُهْتَدَى بَيْتُ بَيْتٍ عَلَى اسْمِ اللَّهِ يُعْلَنُ فِيهِ بِالْأَذَانِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَتُقَامُ بِهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ فِي جَمَاعَةٍ عَدِيدَةٍ، وَيَحْضُرُهُ فِي عَصْرِ كُلِّ يَوْمٍ مِائَةٌ وَبِضْعَةٌ عَشْرَ رَجُلًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ فِي وَقْتِ التَّصَوُّفِ، وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ وَيَدْعُونَهُ، وَيَتَحَلَّقُ بِهِ الْفُقَهَاءُ لِتَدْرِيسِ ^(e) تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَحَدِيثِ ^(f) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِقْهِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ، وَيُعَلِّمُ فِيهِ

(a) بياض في آياصوفيا وميونخ. (b) بولاق: الباهلي. (c) بولاق: نظام. (d) بولاق: فكره ذلك للسلطان. (e) بولاق: لدرس. (f) بولاق: وتفسير حديث.

^١ توفي سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م، (الصيرفي: نزهة النفوس الحافظ المشهور.

(٣٧٣:٢). ^٣ المقرئزي: السلوك ٤: ٧٨.

^٢ هو شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني

أَيُّنَا الْمُسْلِمِينَ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَيُجْرَى عَلَى أَهْلِهِ^(a) الْمَذْكُورِينَ الْأَرْزَاقَ^(b) (من الخبز^(b)) فِي كُلِّ يَوْمٍ وَمِنَ الْمَالِ فِي كُلِّ شَهْرٍ . وَرَأَى أَنَّ إِزَالََةَ مِثْلِ هَذَا وَصَمَّةً فِي الدِّينِ ، فَتَجَرَّدَ لَهُ ، وَمَا زَالَ بِالسُّلْطَانِ يُرْعَبُهُ فِي إِتْقَائِهَا - عَلَى أَنْ يُزَالَ مِنْهَا اسْمُ جَمَالِ الدِّينِ وَتُنَسَبَ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ مِنَ الْغَبْنِ^(c) هَدَمَ مِثْلَهَا وَنَحْوَ ذَلِكَ - حَتَّى رَجَعَ إِلَى قَوْلِهِ ، وَفَوَّضَ أَمْرَهَا إِلَيْهِ ، فَدَبَّرَ ذَلِكَ أَحْسَنَ تَدْبِيرٍ .

وَهُوَ أَنَّ مَوْضِعَ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ كَانَ وَقَفًا عَلَى بَعْضِ الثَّرَبِ ، فَاسْتَبَدَلَ بِهِ جَمَالُ الدِّينِ^١ أَرْضًا مِنْ جَمَلَةِ أَرْضِي الْخَرَّاجِ بِالْجِيزِيَّةِ^(d) ، وَحَكَمَ لَهُ قَاضِي الْقَضَاةِ كَمَالُ الدِّينِ عُمَرُ بْنُ الْعَدِيمِ الْخَنْفِيُّ^(e) (بِصِحَّةِ الْاسْتِبْدَالِ^(b)) ، وَهَدَمَ الْبِنَاءَ وَبَنَى مَوْضِعَهُ هَذِهِ الْمَدْرَسَةَ ، وَتَسَلَّمَ مُتَوَلِّي مَوْضِعِهَا الْأَرْضِ الْمُسْتَبَدَلَ بِهَا ، إِلَى أَنْ قُتِلَ جَمَالُ الدِّينِ وَأُحِيطَ بِأَمْوَالِهِ ، دَخَلَ فِيمَا أُحِيطَ بِهِ هَذِهِ الْأَرْضُ الْمُسْتَبَدَلَ بِهَا .

وَادَّعَى السُّلْطَانُ أَنَّ جَمَالَ الدِّينِ افْتَاتَ عَلَيْهِ فِي أَخْذِ هَذِهِ الْأَرْضِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَأْذَنَ فِي بَيْعِهَا مِنْ يَتِّهِ الْمَالِ . فَأَفْتَى حَيْثُ قَاضِي الْقَضَاةِ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الْمَدْنِيُّ^(f) الْمَالِكِيَّ بِأَنَّ بِنَاءَ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ - الَّذِي وَقَفَهُ جَمَالُ الدِّينِ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي لَمْ يَمْلِكْهَا بِوَجْهِ صَاحِبِهَا - لَا يَصِحُّ ، وَأَنَّهُ بَاقٍ عَلَى مِلْكِهِ إِلَى حِينِ مَوْتِهِ .

فَتَدَبَّ عِنْدَ ذَلِكَ شُهُودَ الْقِيَمَةِ إِلَى تَقْوِيمِ بِنَاءِ الْمَدْرَسَةِ ، فَقَوَّمُوهَا بِاِثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ ذَهَبًا ، وَأَثْبَتُوا مَحْضَرَ الْقِيَمَةِ عَلَى بَعْضِ الْقَضَاةِ . فَحَمَلَ الْمَبْلَغَ إِلَى أَوْلَادِهِ^(g) جَمَالَ الدِّينِ حَتَّى تَسَلَّمُوهُ

(a) بولاق : هؤلاء . (b-b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : الفتن . (d) بولاق : الجيزة . (e) ساقطة من بولاق . (f) بولاق : محمد شمس الدين المدني . (g) بولاق : أولاده .

^١ انظر ترجمة جمال الدين يوسف بن أحمد الأستادار الجاسي البيري، المتوفى سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م، عند المقرئ: السلوك ٤: ١١٣-١١٤، ١٢٩ (وفيه: «وقد بسطت ترجمته في «التاريخ الكبير المقفى» وفي كتاب «دُرر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة»)، درر العقود الفريدة ٣: ٥٦٢-٥٧٢ (وفيه: «وكانت بيني وبينه صُحبةٌ مُدَّةَ سنين ولنا اجتماعات في المسامرة أول الليل بالمدْرسة المُتَابِعية...»); ابن حجر: إنباء الغمر ٢: ٤٤٥-٤٤٨، ذيل الدرر الكامنة ٢٠٥؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١٣: ١٧٥، الدليل الشافعي ٧٩٦-

^٢ انظر ترجمة قاضي القضاة كمال الدين عمر ابن إبراهيم بن العديم الخنفي فيما تقدم ٢: ٢٩٦هـ^٢؛ وعن الاستبدال انظر فيما تقدم ٣: ٢٠١هـ^١ وأضف إلى ما ذكر من مراجع، جمال الخولي: الاستبدال واغتصاب الأوقاف - دراسة وثائقية، الإسكندرية - دار الثقافة العلمية ٢٠٠١.

وباغوا بناء المدرسة للسلطان ، ثم استردَّ السلطان منهم المبلغ المذكور ، وأشهدَ عليه أنه وقفَ أرضَ هذه المدرسة بعدما استبدلَ بها ، وحكمَ حاكمَ حنفي بصحة الاستبدال .

ثم وقفَ البناء الذي اشتراه وحكمَ بصحته أيضًا ، ثم استدعى بكتابٍ وقفَ جمال الدين ولخصه ثم مزقه ، وجددَ كتابَ وقفٍ يتضمَّن جميع ما قرره جمال الدين في كتابٍ وقفه من أبوابِ الوظائف ، وما لهم من الخبز في كلِّ يومٍ ومن المعلوم في كلِّ شهرٍ ، وأبطلَ ما كان لأولادِ جمال الدين من فائضِ الوقف .

وأفردَ لهذه المدرسة مما كان جمال الدين جعله وقفًا عليها عدَّة مواضع تقوم بكفاية مصروفها ، وزادَ في أوقافها أرضًا بالجيزة ، وجعلَ ما بقي من أوقافِ جمال الدين على هذه المدرسة : بعضه وقفًا على أولاده ، وبعضه وقفًا على الثرية التي أنشأها على قبر^(١) أبيه الملك الظاهر برفوق خارج باب النصر . وحكمَ قضاة القضاة الأربع^(ب) بصحة هذا الكتاب ، بعدما حكموا بصحة كتاب وقف جمال الدين ، ثم حكموا بطلانه .

فلما تمَّ ذلك مُحي من هذه المدرسة اسمُ جمال الدين ورثته^(١) ، وكتبَ اسمَ السلطان الملك الناصر فرج بدائر صحنها من أعلاه ، وعلى قناديلها وبسطها وشقوفها . ثم نظرَ السلطان في كتبها العلمية الموقوفة بها ، فأقرَّ بها^(ج) منها جملة كتبٍ بظاهر كلِّ سفرٍ منها فضلًا يتضمَّن وقفَ السلطان له ، وحملَ كثيرًا من كتبها إلى قلعة الجبل ، وصارت هذه المدرسة تُعرف بـ «الناصرية» بعدما كان يُقال لها «الجمالية»^(٢) .

ولم تزل على ذلك حتى قُتلَ الناصرُ وقدمَ الأميرُ شيخُ إلى القاهرة ، واستولى على أمورِ الدولة ، فتوصلَ شمسُ الدين محمد ، أخو جمال الدين ، وزوج ابنته شرف الدين أبي بكر بن العجمي ، موقعَ الأستادار بالأمير شيخ ، حتى أحضرَ قضاة القضاة ، وحكمَ الصدر على ابن الأدمي قاضي القضاة الحنفي بردًا / أوقافِ جمال الدين إلى ورثته ، من غير استيفاءِ الشروط في الحكم ، بل تهوَّر فيه وجازف . ولذلك أسبابٌ منها : عناية الأمير شيخ بجمال الدين الأستادار ، فإنه لما انتقل إليه

(a) بولاق : في قبة . (b) بولاق : وحكم القضاة الأربعة . (c) ساقطة من بولاق .

^١ انظر عن الرثك ، فيما تقدم ٣ : ٤٨٨ - ٤٩٠ هـ .^٢ الزهور ٢/١ : ٨٢٧ - ٨٢٨ .

^٢ المقرئ : السلوك ٤ : ١٧٥ - ١٧٦ ؛ ابن إياس : بدائع

إقطاع الأمير بجاس بعد موت الملك الظاهر برفوق ، استقر جمال الدين أستاذاره كما كان أستاذار بجاس ، فخدمه خدمة بالغة ، وخرج الأمير شيخ إلى بلاد الشام واستقر في نيابة طرابلس ثم في نيابة الشام ، وخدمة جمال الدين له ولحاشيته ومن يلوذ به مستمرة .

وأرسل مرة الأمير شيخ من دمشق بصدر الدين بن الأذمي المذكور في الرسالة إلى الملك الناصر ، وجمال الدين حينئذ عزيز مصر ، فأنزله وأكرمه وأنعم عليه وولاه قضاء الحنفية وكتابة السر بدمشق ، وأعادته إليه . وما زال معتنيا بأمر الأمير شيخ ، حتى اتهم بأنه^a قد ماله على السلطان ، فقبض عليه الملك الناصر بسبب ذلك ونكبه .

فلما قتل الناصر ، واستولى الأمير شيخ على الأمور بديار مصر ، ولى قضاء القضاة^b الحنفية بديار مصر لصدر الدين علي بن الأذمي المذكور ، وولى أستاذاره بدر الدين حسن بن محب الدين الطرابلسي أستاذار السلطان . فخدم شرف الدين أبو بكر بن العجمي - زوج ابنة أخي جمال الدين - عنده موقعا وتمكن منه ، فأغراه بفتح الدين فتح الله كاتب السر ، حتى اتخن جراحه عند الملك المؤيد شيخ ، ونكبه بعدما تسلطن . واستعان أيضا بقاضي القضاة صدر الدين ابن الأذمي ، فإنه كان عشيره وصديقه من أيام جمال الدين ، ثم استمال ناصر الدين محمد ابن البارزي ، موقع الأمير الكبير شيخ .

فقام الثلاثة مع شمس الدين ، أخي جمال الدين ، حتى أعيده إلى مشيخة خانكاه بيبرس وغيرها من الوظائف التي أخذت منه عندما قبض عليه الملك الناصر وعاقبه ، وتحدثوا مع الأمير الكبير في رد أوقاف جمال الدين إلى أخيه وأولاده ، فإن الناصر غصبها منهم ، وأخذ أموالهم وديارهم بظلمه إلى أن فقدوا القوت ، ونحو هذا من القول حتى حركوا منه حقدًا كامنًا على الناصر ، وتبهاوا منه غصبيته^c لجمال الدين ؛ هذا وعرض القوم في الباطن تأخير فتح الله^d والإيقاع به ، فإنه ثقل عليهم وجوده معهم . فأمر عند ذلك الأمير الكبير بعقد مجلس حضره قضاة القضاة والأمراء وأهل الدولة ، عنده بالحراقة من باب البليلة^١ ، في يوم السبت تاسع عشرين شهر رجب سنة خمس عشرة ، وتقدم أخو جمال الدين ليدعي على فتح الدين فتح الله

(a) بولاق : حتى إنه اتهم بأنه . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : وعملوا منه عصبية . (d) بولاق : فتح الدين .

^١ انظر فيما تقدم ٣: ٧٨٦هـ .

كاتب السرّ، وكان قد عَلِمَ بذلك، ووَكَّلَ بَدْرَ الدِّينِ حَسَنًا البُرْدِينِي - أَحَدَ نُوَابِ الشَّافِعِيَّةِ - فِي سَمَاعِ الدَّعْوَى وَرَدِّ الْأَجْوِبَةِ .

فَعِنْدَمَا جَلَسَ البُرْدِينِي لِلْمُحَاكَمَةِ مَعَ أَخِي جَمَالِ الدِّينِ، نَهَرَه الأَمِيرُ الكَبِيرُ وَأَقَامَهُ، وَأَمَرَ بِأَنْ يَكُونَ فَتْحُ اللَّهِ هُوَ الَّذِي يَدَّعِي عَلَيْهِ، فَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ جُلُوسِهِ . فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ ادَّعَى عَلَيْهِ أَخُو جَمَالِ الدِّينِ بِأَنَّهُ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى مَدْرَسَةِ أَخِيهِ جَمَالِ الدِّينِ وَأَوْقَافِهِ بِغَيْرِ طَرِيقٍ، بَادِرَ قَاضِي القَضَاةِ صَدْرُ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ الأَدَمِيِّ الحَنَفِيِّ، وَحَكَمَ بِرَفْعِ يَدِهِ وَعَوْدِ أَوْقَافِ جَمَالِ الدِّينِ وَمَدْرَسَتِهِ إِلَى مَا نَصَّ عَلَيْهِ جَمَالُ الدِّينِ، وَنَفَّذَ بَقِيَّةَ القَضَاةِ حُكْمَهُ، وَانْفَضُوا عَلَى ذَلِكَ .

فَاسْتَوَلَى أَخُو جَمَالِ الدِّينِ وَصِهْرُهُ شَرْفُ الدِّينِ عَلَى حَاصِلِ كَبِيرٍ كَانَ قَدْ اجْتَمَعَ بِالمَدْرَسَةِ مِنْ فَاضِلِ رِيْعِهَا وَمِنْ مَالِ بَعْتِهِ المَلِكُ النَّاصِرُ إِلَيْهَا، وَفَرَّقُوهُ، حَتَّى كَتَبُوا كِتَابًا اخْتَرَعُوهُ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، جَعَلُوهُ كِتَابَ وَقْفٍ لِلْمَدْرَسَةِ، زَادُوا فِيهِ : أَنَّ جَمَالَ الدِّينِ اشْتَرَطَ النُّظَرَ عَلَى المَدْرَسَةِ لِأَخِيهِ شَمْسِ الدِّينِ المَذْكُورِ وَذُرِّيَّتِهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَفَّقُوهُ بِشَهَادَةِ قَوْمٍ اسْتَمَالُوهُمْ فَمَالُوا . ثُمَّ أَثْبَتُوا هَذَا الكِتَابَ عَلَى قَاضِي القَضَاةِ صَدْرِ الدِّينِ بْنِ الأَدَمِيِّ، وَنَفَّذَهُ بِقِيَّةِ القَضَاةِ .

فَاسْتَمَرَ الأَمْرُ عَلَى هَذَا البُهْتَانِ المَخْتَلَقِ وَالإفْكِ المَفْتَرِي مُدَّةً، ثُمَّ ثَارَ بَعْضُ صُوفِيَّةِ هَذِهِ المَدْرَسَةِ، وَاثْبَتَتْ مَحْضَرًا بِأَنَّ النُّظَرَ لِكَاتِبِ السَّرِّ، فَلَمَّا ثَبَتَ ذَلِكَ، نُزِعَتْ يَدُ أَخِي جَمَالِ الدِّينِ عَنِ التَّصَرُّفِ فِي المَدْرَسَةِ، وَتَوَلَّى نَظَرَهَا نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ البَارِزِيِّ كَاتِبِ السَّرِّ، وَاسْتَمَرَ الأَمْرُ عَلَى هَذَا . فَكَانَتْ قِصَّةُ هَذِهِ المَدْرَسَةِ مِنْ أَعْجَبِ مَا سُمِعَ بِهِ فِي تَنَاقُضِ القَضَاةِ وَحُكْمِهِمْ بِإِبْطَالِ مَا صَحَّحُوهُ، ثُمَّ حُكْمِهِمْ بِتَضْحِيحِ مَا أَبْطَلُوهُ، كُلُّ ذَلِكَ مَيْلًا مَعَ الجَاهِ، وَحِرْصًا عَلَى بَقَاءِ رِئَاسَتِهِمْ ﴿سَكَتَبْ شَهَدَتُهُمْ وَيُسْقَلُونَ﴾ [الآية ١٩ سورة الزخرف] .

المدرسة الصرعشمسية

[الررقم ٣٦٨]

هَذِهِ المَدْرَسَةُ خَارِجُ القَاهِرَةِ بِجَوَارِ جَامِعِ الأَمِيرِ أَبِي العَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونٍ، فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْعَةِ الجَبَلِ^١ . كَانَ مَوْضِعُهَا قَدِيمًا مِنْ جَمَلَةِ قَطَائِعِ ابْنِ طُولُونٍ، ثُمَّ صَارَ عِدَّةَ مَسَاكِينٍ فَأَخَذَهَا الأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ صَرَغَشْمُشِ النَّاصِرِيِّ رَأْسَ نُوبَةِ الثُّوبِ وَهَدَمَهَا، وَابْتَدَأَ فِي بِنَائِ

^١ أي بين الجامع وبين الطريق التي تُوصَلُ إِلَى قَلْعَةِ الجَبَلِ .

المَدْرَسَةُ^١ يوم الخميس^(a) من شهر رَمَضان سنة ستِّ وخمسين وسبع مائة، وانتهت في جُمادى الأولى سنة سبع وخمسين^٢.

وقد جاءت من أبدع المباني وأجلها، وأحسنها قالبًا، وأبهجها. فركب إليها الأمير صرغتمش في يوم الثلاثاء تاسعه وحضر إليه الأمير سيف الدين شيخو العمري مدبر الدولة، والأمير طاشتمر القاسمي حاجب الحُجَّاب، والأمير ثوقتاني الدوادار، وعامة أمراء الدولة، وقضاة القضاة الأربع، ومشايخ العلم.

ورتب مدرّس الفقه بها قوام الدين أمير كاتب بن أمير عمر العميد بن العميد أمير غازي الأتقائي، فألقى القوام الدرس، ثم مدّ سِمَاطَ جليلٍ بالهمة الملوكية، ومِلّت البركة التي بها سُكَّرًا قد أذيب بالماء، فأكل الناس وشربوا، وأبيح ما بقي من ذلك للعامّة فانتهبوه. وجعل الأمير

(a) بولاق: الخميس.

(١٢٠)، ٩٢:٥-٩٣ (٣٨)؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١٦٠-١٦٤؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ٢٦٧-٢٧٥؛ وليد جودة القصاص: «المدرسة الصرغتمشية - دراسة أثرية ومعمارية» رسالة ماجستير بكلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٧٣؛ آمال العمري: «دراسة لزخارف على لوح من الرخام عثر عليه في مدرسة صرغتمش»، مجلة كلية الآثار - جامعة القاهرة ١ (١٩٧٥)، ١٤٣-١٧٦؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ١٠٨٧-١١٢٧).

توجد على جانبي المدخل الرئيس للمدرسة كتابة تاريخية بالخط النسخ المملوكي، نصها:

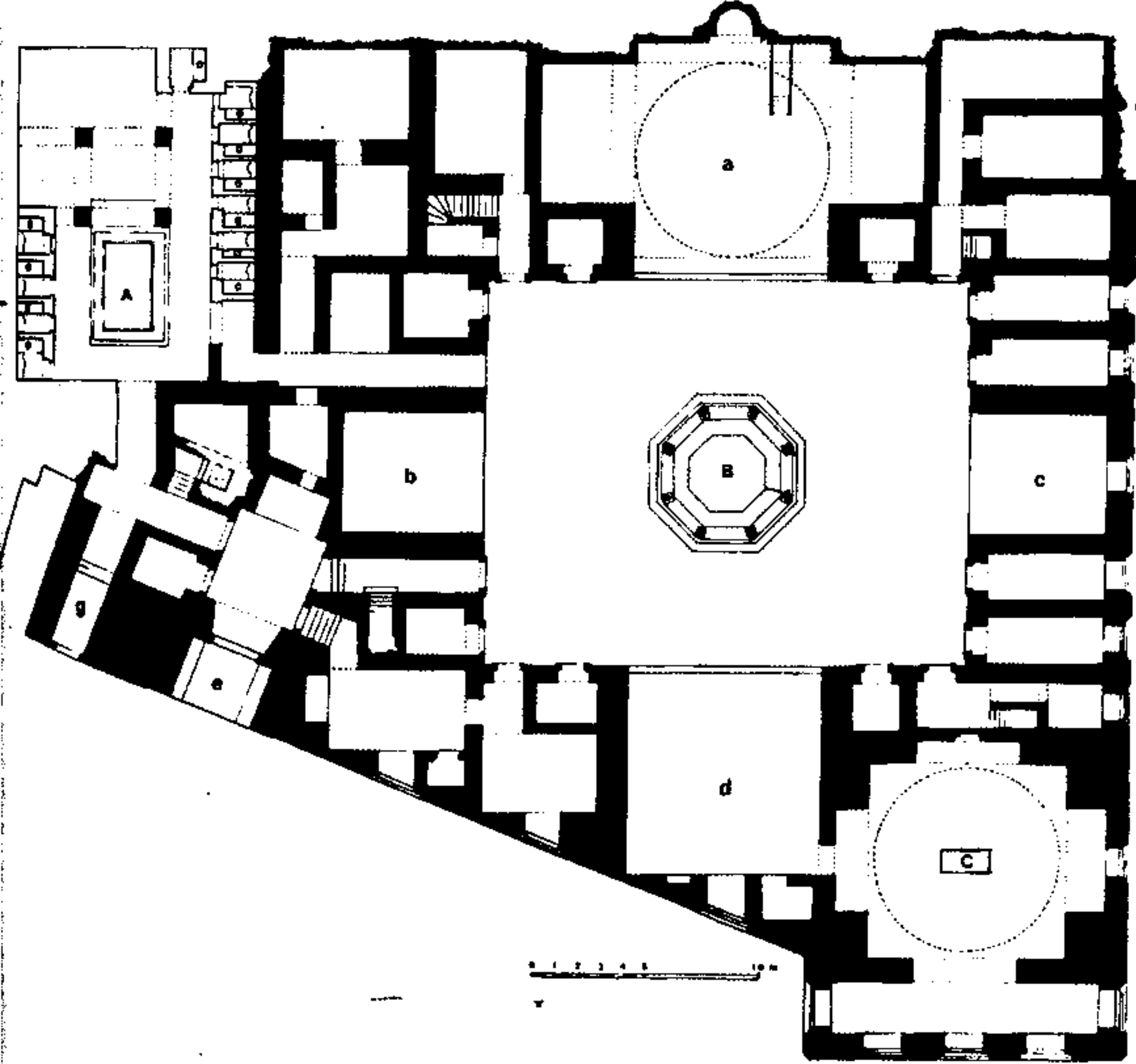
«أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة المقر الأشرف العالي المولوي العالمي العادلي الفاضلي الشيفي صرغتمش رأس نوبة الملكي الناصري [مربي العدا] من أمراء مقوي الضعفاء باني المدارس والمساجد في ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وسبع مائة». (van Berchem, M., *CIA Égypte I*, n° 161; (Wiet, G., *RCEA XVI*, n° 6262).

^١ لا تزال المدرسة الصرغتمشية باقية وتعرف بـ «جامع صرغتمش» بشارع الحضيري بالسيدة زينب بجوار جامع أحمد بن طولون من الجهة البحرية الغربية لضيق الزيادة الغربية للجامع، وبسببها سُدَّ بابان من أبواب هذه الزيادة. وتضم المدرسة على النمط المتعمد: أربعة إيوانات حول صحن مكشوف تتوسطه فسقية حولها ثمانية عمود رخامية، وهذه الفسقية ليست هي الفسقية القديمة. وواضح في عمارة المدرسة وحوود تأثيرات فارسية، وهو ما جعل المرحوم حسن عبد الوهاب يرجح أن مهندسها كان فارسيًا.

وقد قامت لجنة حفظ الآثار العربية بترميم وإصلاح ما تهدم من المدرسة، وبناء القبلة التي فوق الإيوان الشرقي الذي به المجراب. وفي عام ٢٠٠٢ افتتحت المدرسة بعد أعمال صيانة وترميم شاملة قام بها المجلس الأعلى للآثار بالقاهرة نتيجة لتأثرها بزلزال أكتوبر سنة ١٩٩٢.

(راجع، المقريري: السلوك ٣: ٢٢، ٢٨؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٣٢٨، ٣٠٨ هـ؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٥٥٥؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ٣٢٣).

صَرَعْتُمُش هذه المَدْرَسَة وَقَفَّا عَلَى الْفُقَهَاءِ الْحَنْفِيَّةِ الْأَفَاقِيَّةِ ، وَرَتَّبَ بِهَا دَرَسًا لِلْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ ، وَأَجْرَى لَهُمْ جَمِيعًا الْمَعَالِيمَ مِنْ وَقْفِ رَبِّهِ لَهُمْ ^١ .



مُحَطَّط الْمَدْرَسَة الصَّرَعْتُمُشِيَّة (عَنْ Golvin)

^١ وراجع أيضًا المقريري: السلوك ٣: ٢٨، وتوجد وثيقة
وقف الأمير صَرَعْتُمُش بأرشفيف وزارة الأوقاف برقم
٣١٩٥، وانظر كذلك عبد اللطيف إبراهيم: «نصان
جديدان من وثيقة الأمير صَرَعْتُمُش»، مجلة كلية الآداب -
جامعة القاهرة ٢٧-٢٨ (١٩٦٥ - ١٩٦٦)، ١٢١ -
١٥٨، ١٤٣-٢١٠). المقريري: السلوك ٣: ٢٩.

وقال أدباء العصر فيها شِعْرًا كثيرًا ، فقال العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ابن الصائغ الحنفي :

[الطويل]

لِيَهْنِكَ يَا صِرْعَثُمَش مَا بَنَيْتَهُ لِأُخْرَاكَ فِي دُنْيَاكَ مِنْ مُحْسِنِ بُشْيَانِ
بِهِ يَزْدَهِي التُّرْحِيمُ كَالزُّهْرِ بِهَجَّةٍ فَلِلَّهِ مِنْ زَهْرِ اللَّهِ مِنْ بَانِ

وخلع في هذا اليوم على القوام خلعة سنية ، وأزكبه بغلة رائجة ، وأجازته بعشرة آلاف درهم على أبيات مدحه بها في غاية السماجة ، وهي :

[المداركة]

أَرَأَيْتُمْ مِنْ حَوَا الثُّورَا	وَأَتَى قُرْبَنَا وَنَفَى رِيْبَا	١٠
فَبَدَا عَلَمًا وَسَمَا كَرَمًا	وَنَمَا قَدَمًا وَلَقَدْ غَلَبَا	
بَثْقَى وَهُدَى وَنَدَى وَجَدَا	فَعَدَا وَسَدَى وَجَبَى وَحَبَا	
أَبْدَى سَنًا أَحْيَا سُنَّا	حَلَّى زَمْنَا عِنْدَ الْأَرْبَا	
هَذَاكَ صِرْعَثُمَش سَكَبَتْ	أَيَّامَ إِمَارَتِهِ الشُّسْحَبَا	
وَأَزَالَ الْجَذَبَ إِلَى خِضْبِ	وَالضُّنْكَ إِلَى رَغْدِ قَلْبَا	١٥
بِإِعَانَةِ جَبَّارِ رَبِّي	ذِي الْعَرْشِ وَقَدْ بَدَّلَ النَّشْبَا	
مَلِكُ قَطِينٍ رُكْنٌ لَيْسَ	حَسَنَ بَسَنِ رَبِّي الْأَدْبَا	
مَلِكُ الْكُبْرَا مَلِكُ الْأَمْرَا	مَلِكُ الْعُلَمَا مَلِكُ الْأَدْبَا	
بَحْرُ طَامٍ غَيْثٌ هَامٍ	قَدْرٌ سَامٍ حَامِي الْغُرْبَا	
بِبَشَاشَتِهِ وَسَخَاحَتِهِ	وَحَمَاسَتِهِ جَلَّى الْكُرْبَا	
وِدْيَانَتِهِ وَصِيْبَانَتِهِ	وَأَمَانَتِهِ حَازَ الرُّتْبَا	٢٠
أَبْهَى أَضْلًا أَسْنَى نَشْلًا	أُحْظَى خَضْلًا بِلَا الْغُرْبَا	
يَعْمُ الْمَأْوَى مِضْرٌ لَمَّا	سَمَلَتْ قَوْمًا قَبْلًا نُجْبَا	
فَنَمَتْ نُورًا وَسَمَتْ نُورًا	وَعَلَتْ دُرَّرًا وَرَأَتْ طَرْبَا	
نَسَقَتْ دُرَّرًا وَسَقَتْ دُرَّرًا	وَوَعَتْ غُرْرًا وَحَوَتْ أَدْبَا	
وَخَطَابَةَ افْتَحَرَتْ وَعَنْتَ	وَسَمَتْ وَزَرَتْ وَحَوَتْ أَرْبَا	٢٥
تُحَدُّ دُرَّتَنَا ثُمَّ اجْنِ جَنَّا	مِنْهَا وَمِنِّي فَمَعِي طَلْبَا	
مَنْ كَانَ عَنَّا نَسْبِي عَلْنَا	فَأَرَابَ لَنَا نَعِمَتْ نَسْبَا	
كَتُونِ أَبَا لِحَيْفَةَ ث	مِ قَوَامِ الدُّيْنِ بَدَا لَقْبَا	
عَشَ فِي رَجَبٍ تَرَى مِنْ عَجَبِ	مَنْ مُنْتَجِبٍ عَجَبًا عَجَبَا	

صَرْغَتْمُش

النَّاصِرِي - الأَمِيرُ سَيِّفُ الدِّينِ رَأْسُ نَوْبَةِ ^١، جَلَبَتَهُ الخَوَاجَا ^(a) الصَّوَّافِ

في سنة سبعٍ وثلاثينٍ وسبعٍ مائةٍ، واشْتَرَاهُ السُّلْطَانُ المَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ ابْنُ قَلَاوُونِ بِسَمَانِينَ ^(b) أَلْفِ دِرْهَمِ فِضَّةٍ، عَنهَا يَوْمٌ نَحْوُ أَرْبَعَةِ أَلْفِ مِثْقَالِ ذَهَبًا، وَخَلَعَ عَلَيَّ الخَوَاجَا تَشْرِيفًا كَامِلًا بِحِيَاصَةِ ذَهَبٍ، وَكَتَبَ لَهُ تَوْقِيْعًا بِمَسَامِحَةِ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مِنْ مَشْجَرِهِ، فَلَمْ يَغْبَأْ بِهِ السُّلْطَانُ وَصَارَ فِي أَيَّامِهِ مِنْ جَمَلَةِ الجَمْدَارِيَةِ .

وَحُكِيَ عَنِ القَاضِي شَرَفِ الدِّينِ عِبْدِ الوَهَّابِ نَاطِرِ الخَاصِّ، أَنَّ السُّلْطَانَ أَنْعَمَ عَلَيَّ صَرْغَتْمُشِ هَذَا بِعَشْرِ طَاقَاتٍ أُدِيمِ طَائِفِي، فَلَمَّا جَاءَ إِلَى النُّشُو، تَرَدَّدَ إِلَيْهِ مِرَارًا حَتَّى دَفَعَهَا إِلَيْهِ . وَلَمْ يَزَلْ خَامِلَ الذِّكْرِ إِلَى أَنْ كَانَتْ أَيَّامُ المُظَفَّرِ حَاجِي بِنِ مُحَمَّدِ بِنِ قَلَاوُونِ، فَبَعَثَهُ مَسْفِرًا مَعَ الأَمِيرِ فَخْرِ الدِّينِ إِيَّازِ السُّلَاحِ دَارَ، لَمَّا اسْتَقَرَّ فِي نِيَابَةِ حَلَبَ، فَلَمَّا عَادَ مِنْ حَلَبَ تَرَقَّى فِي الخِدْمَةِ، وَتَمَكَّنَ مِنْ ^(c) المُظَفَّرِ، وَتَوَجَّهَ فِي خِدْمَةِ الصَّالِحِ بِنِ مُحَمَّدِ بِنِ قَلَاوُونِ إِلَى دِمَشْقَ فِي نَوْبَةِ بِيْبَغَا رُوسِ ^(d)، وَصَارَ السُّلْطَانُ يَرْجِعُ إِلَى رَأْيِهِ . فَلَمَّا عَادَ مِنْ دِمَشْقَ، أَمْسَكَ / الوَازِرَ عَلَمَ الدِّينِ عِبْدِ اللّهِ بِنِ زُنْبُورِ بِغَيْرِ أَمْرِ السُّلْطَانِ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُ، وَعَارَضَ فِي أَمْرِهِ الأَمِيرَ شَيْخُو والأَمِيرَ طَازَ . وَمِنْ حِينِئِذٍ عَظُمَ، وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى خُلِعَ السُّلْطَانُ المَلِكُ الصَّالِحُ، وَأُعِيدَ النَّاصِرُ حَسَنُ بِنِ مُحَمَّدِ بِنِ قَلَاوُونِ . فَلَمَّا أَخْرَجَ الأَمِيرُ شَيْخُو، انْفَرَدَ صَرْغَتْمُشُ بِتَدْيِيرِ أُمُورِ المَمْلَكَةِ، وَفَحَمَ قَدْرَهُ، وَنَقَذَتْ كَلِمَتُهُ، فَعَزَلَ قُضَاةَ مِصْرَ وَالشَّامِ، وَغَيَّرَ النُّوَابَ بِالمَمَالِيكِ . وَالسُّلْطَانُ يَحْقِذُ عَلَيْهِ، إِلَى أَنْ أَمْسَكَهُ فِي العِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ، وَقَبِضَ مَعَهُ عَلَيَّ الأَمِيرِ طَشْتَمُرِ القَاسِمِيِّ حَاجِبِ الحُجَابِ، وَالأَمِيرِ مَلِكْتَمُرِ المَحْمَدِيِّ وَجَمَاعَةَ، وَحَمَلَهُمْ إِلَى الإِسْكَانْدَرِيَةِ، فَسَجِنُوا بِهَا، وَبِهَا مَاتَ صَرْغَتْمُشُ بَعْدَ شَهْرَيْنِ وَائْتِنِي عَشْرَ يَوْمًا مِنْ سِجْنِهِ فِي ^(e) ذِي الحِجَّةِ سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ .

(a) بياض في آياصوفيا . (b) بولاقي : بماتني . (c) بولاقي : عند . (d) بولاقي : بيلغاروس . (e) بياض في

النسخ .

^١ راجع ترجمة الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري الكامنة ٣٠٥:٢ - ٣٠٦؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة كذلك عند، الصفدي: أعيان العصر ٥٥٥:٢ - ٥٦٠؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ٢١٣:٣؛ الفاسي: العقد الثمين ٤٤٠:٥؛ المقرئ: السلوك ٤٤:٣؛ ابن حجر: الدرر

وكان جميل الصورة، مليح^a الهيئة، يقرأ القرآن الكريم، ويشارك في الفقه على مذهب الحنفيّة، ويبالغ في التعصب لمذهبه، ويقرب العجم ويكرمهم، ويجلّهم إجلالاً زائداً، ويشدو طرفاً من النحو. وكانت أخلاقه شريسةً، ونفسه قويةً، فإذا بحث في الفقه أو اللغة اشتط. ولما تحدّث في الأوقاف وفي البريد، ضاق^b الناس معه، فلم يكن أحدٌ يركب خيل البريد إلا بمزموه. ومنع كل من يركب البريد أن يحمل معه قماشاً ودراهم على خيل البريد، واشتد في أمر الأوقاف، فعمرت في مباشرته. ولما قبض عليه أخذ السلطان أمواله فكانت شيئاً كثيراً^c.

(d) المدرسة القيسرانية

هذه المدرسة خارج باب زويلة بأول الموازين بالشارع الأعظم على رأس زقاق القاعة، وهي مسجد أنشأه الشيخ أبو القاسم بن أبي الحسن القيسراني البراز في سنة^e وست مائة، وجعل به ميعاد الرقائق^f ومكتب أيتام وقراء. وكان لهذا المسجد باب شارح بالموازين وعلو ربع جوهر الثوبي، فهدم ذلك كله الأمير جمال الدين محمود بن علي أستاذ دار السلطان الملك الظاهر سيف الدين برفوق حين عمّر مدرسته التي على رأس زقاق القاعة، وعمّر في موضع ذلك سقاية السبيل، وأراد أن يجعل باباً من داخل زقاق القاعة^١، فلم يفلح بعدها وقبض عليه عقيب ذلك واعتقل بخزانة شمائل إلى أن مات بها. واستمر هذا المسجد خراباً إلى الآن.

وهذا المسجد المذكور يُعرف بـ «المدرسة القيسرانية»، وكانت إمامته بيد الشيخ^e.

مدرسة عمور بن علي المؤذن

هذه المدرسة وجدت ذكرها في كُتب الأملاك القديمة وأنها بخط الموازين، والذي يظهر لي أنها هي «المسجد المعلق» الذي على رأس الزقاق الذي بجوار دار القردمية التي كان يسكنها الأمير جمال الدين محمود الأستاد^٢.

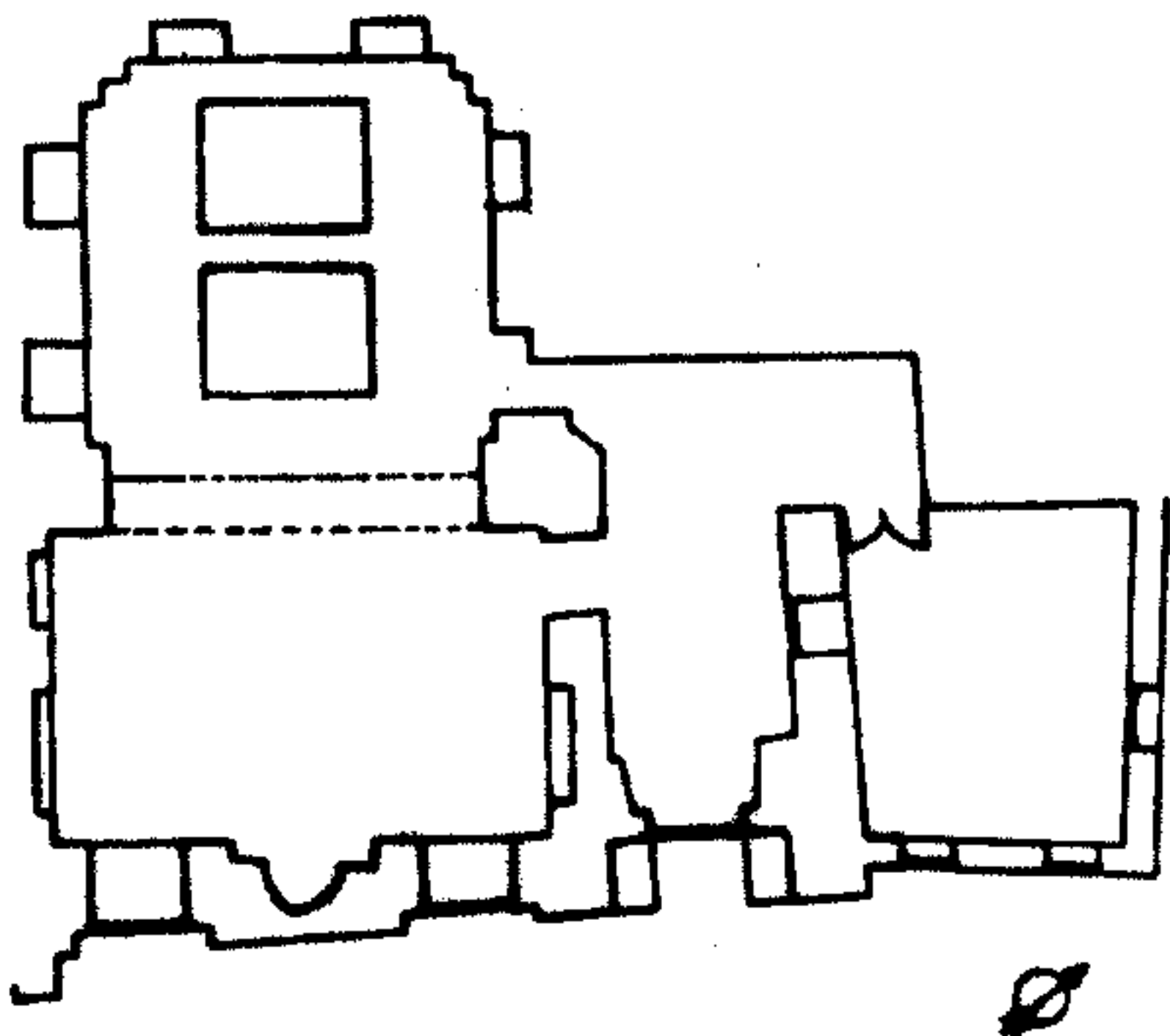
(a) بولاق: مليح الصورة، جميل. (b) بولاق: خاف. (c) في بولاق بعد ذلك: بكل عنه الوصف. (d) من هنا وحتى نهاية القوس فيما يلي صفحة ٦٨٩ إضافة من مسوذة الخطط لا توجد في نسخ الخطط التي رجعت إليها. (e) يياض في المسوذة. (f) كذا في المسوذة.

^١ انظر فيما تقدم ٥٩٠، مدرسة جمال الدين محمود الأستاد. ^٢ انظر فيما تقدم ٢١٧:٣، وهذا المجلد ٥٩٠.

مَدْرَسَةُ [قَطْلُوْبَغَا] الذَّهَبِي

[أثر رقم ٢٤٢]

قُبالة داره ؛ أنشأها الأمير سَيْفُ الدِّينِ قَطْلُوْبَغَا الذَّهَبِي فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ^١ . وَهِيَ



مُخَطَّطُ مَدْرَسَةِ قَطْلُوْبَغَا الذَّهَبِي (عَنِ اللِّجْنَةِ)

سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ [وَسَبْعَ مِائَةٍ] ١ .

van Berchem, M., *CIA Egypte I*, n°151;

. (Wiet, G., *RCEA XVI*, n°6038

وَرَجَعَ دِرَاسَةَ آمَالِ الْعَمَرِيِّ : «مَدْرَسَةُ قَطْلُوْبَغَا

الذَّهَبِي ٧٤٨هـ/١٣٤٧م بِشَارِعِ سُوقِ السَّلَاحِ

بِالْقَاهِرَةِ» ، دِرَاسَاتُ أُثْرِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ ٣ (١٩٨٨) ،

١٧-٤٤١ عَاصِمُ مُحَمَّدُ رِزْقُ : أَطْلَسُ الْعِمَارَةِ

الإِسْلَامِيَّةِ ٢: ٩٤٣-٩٥٤ .

^١ تَقَعُ هَذِهِ الْمَدْرَسَةُ بِشَارِعِ سُوقِ السَّلَاحِ بِالذُّرْبِ الْأَخْمَرِ ، وَلِهَا وَاجِهَةٌ وَاجِدَةٌ رَئِيسَةٌ ، هِيَ الْوَاجِهَةُ الْجَنُوبِيَّةُ الشَّرْقِيَّةُ الْمَشْرِفَةُ عَلَى شَارِعِ سُوقِ السَّلَاحِ ، وَيُوجَدُ بِأَعْلَى الْمَدْخَلِ الرَّئِيسِ لِلْمَدْرَسَةِ شَرِيطٌ بِالخَطِّ التَّشْخِخِ الْمَمْلُوكِيِّ يَشْتَمِلُ عَلَى النَّصِّ الْآتِي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَمَرَ بِأَنْشَاءِ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْمُبَارَكَةِ الْجَنَابِ الْعَالِيِ الْمُؤَلَّوِيِّ الْأَمِيرِيِّ الْكَبِيرِيِّ الشَّيْفِيِّ قَطْلُوْبَغَا الذَّهَبِيِّ الْمَلِكِيِّ الْمُظْفَرِيِّ وَذَلِكَ بِتَارِيخِ شَهْرِ الْحَرَمِ

المدرسة اللطيفة التي بجوار دار ابن آقبغا أص^(a) .^١

مدرسة ابن آقبغا أص

بأول سويقة العزبي متايلى جامع المازرائي^٢

بنها الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير علاء الدين آقبغا أص^٣ أستاذ دار السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون التركي في سنة خمس وستين وسبع مائة، ووقفها على الشافعية، وولي تدريسها الشيخ الإمام ولي الدين المنفلوطي الشافعي، رحمه الله تعالى.

وتوفي الأمير ناصر الدين المذكور^(b).

المدرسة الدوادارية

بسويقة المشبب^٤

بنها الأمير الكبير ركن الدين بيبرس المنصوري الدوادار نائب السلطنة المعظمة بالديار المصرية كان، في سنة ثلاث وسبع مائة، ووقفها على الحنيفة^٥.

(a) بعد ذلك بياض أربعة أسطر. (b) بياض في المسودة.

^٤ يُطلق المقريري اسم «سويقة المشبب» على المنطقة الواقعة بين سويقة العزبي (شارع سوق السلاح الآن) وشارع باب الوزير وسكة الحجر والتي يخترقها شارع القندور، ولم يستخدم هذا الاسم في المبيضة حيث أطلق على المنطقة كلها اسم «سويقة العزبي».

^٥ ذكر المقريري في المقفى الكبير ٢: ٥٣٣، أن ركن الدين بيبرس الدواداري أنشأ بسويقة العزبي خارج باب زويلة مدرسة تُعرف بـ «المدرسة الدوادارية»، كما ذكر أيضًا في السلوك ٢: ٢٦٩، أنه تُنسب إليه «المدرسة الدوادارية» بخط سويقة العزبي خارج القاهرة، وقال أبو المحاسين: إنه =

^١ لم يشر أحد من المؤرخين إلى دار ابن آقبغا أص التي كانت تقع - تبعًا لوصف المقريري - بشارع سوق السلاح قبل تقائه بشارع الثبانة.

^٢ لم يُشر أحد، بخلاف المقريري، إلى هذه المدرسة، ويبدو أنها كانت تقع في المنطقة الواقعة بين شارع سوق السلاح وشارع باب الوزير (؟)

^٣ انظر ترجمة الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير علاء الدين آقبغا أص، المتوفى سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٣م، فيما تقدم ٣: ٢١٢هـ^٢، وأضف إلى المراجع المذكورة هناك: ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٩/٢: ٣٥٦-٣٥٧.

وكان الأمير ركن الدين المذكور من أكابر مماليك [94٧] السلطان الملك المنصور قلاوون وولي
الدوايرية وأعطى إمرة مائة وتقدمة ألف، ثم ولي نيابة السلطنة بالديار المصرية بعد عزل الأمير
بكتمر الجوكندار في سنة ^(a) وسبع مائة في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون،
ثم قبض عليه واعتقل، ثم أفرج عنه واستمر أميراً كبيراً يجلس بالإيوان رأس الميمنة، وبقي
كذلك إلى أن توفي في رمضان سنة خمس وعشرين وسبع مائة عن ثمانين سنة، ودفن
بالمدرسة المذكورة^١.

وصنف تاريخاً كبيراً مشهوراً به^٢ أعانه عليه كاتبه ابن كبر النضراني^٣. وكان حنفيًا أجيرو
بالتقوى والتدريس يلزم الصلاة مع الجماعة ويحیی أكثر ليله بالتهجد ويقضي نهاره
بسماع الحديث النبوي والبحث في العلم، ويخرج زكاة ماله وعشور غلاله، وحج.
وكان لا يسوغ غيبة ولا يرى بالوقعة في أحد، ذا عفة وديانة، ووقف سائر أملاكه على
جهات ير، رحمه الله.

(a) بياض في المسودة.

٨٠، الوافي بالوفيات ١٠: ٣٥٢؛ وابن حبيب: تذكرة النبيه
٢: ١٥٨؛ المقرئ: السلوك ٢: ٢٦٩، المقفى الكبير
٢: ٥٣١-٥٣٤؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٤٤٣؛ أبي
المحسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٦٣-٢٦٤، المنهل الصافي
٣: ٤٤٧-٤٤٨؛ *Ashtor, E., El² art. Baybars al-*
Mansûrî I, p. 1162.

^٢ هو التاريخ المعروف بـ «تذكرة الفكرة في تاريخ الهجرة»،
ويقع في نحو خمسة وعشرين مجلدًا، نُشر منه الجزء الذي
يبدأ بذكر بداية الدولة التركية بالديار المصرية وينتهي
بحوادث سنة ٧٠٩ هـ، مرتين: الأولى بتحقيق زبيدة محمد
عطا (بيروت ١٩٧٦، القاهرة ٢٠٠١)، والثانية بتحقيق
دونالد س. ريتشاردز، في بيروت سنة ١٩٩٨.

^٣ الشيخ المؤمن شمس الرياسة بن الشيخ الأشعد أبي
البركات بن كبر، المتوفى سنة ٧٢٤ هـ/١٣٢٤ م. (Atiya,
(A.S., CE art. Ibn Kabar IV, pp. 1267-68.

= صاحب المدرسة الدوايرية بخط سوتقة العزي خارج
القاهرة. (النجوم الزاهرة ٩: ٢٦٣).

وذكر محمد بك رمزي أن محمد بن محمد الأشكوبي
المعروف بالتي ترمق (أي ذي الست أصابع)، المتوفى سنة
١٠٣٣ هـ/١٦٣٤ م، ذكر صاحب «خلاصة الأثر» أنه دفن
تحت مخراب المدرسة الدوايرية، (ولم أظ على ذلك في
ترجمته الواردة في خلاصة الأثر ٤: ١٧٤)؛ ثم أضاف أنه
لما زار المسجد المعروف بالتي ترمق (الواقع في شارع العندور
المتفرع من شارع سوق السلاح والمسجل في الآثار برقم
١٢٦)، وجد بأعلى مخرابه كتابة باللغة التركية تفيد أن
التي ترمق مدفون تحت مخراب هذا الجامع. وبذلك يكون
جامع التي ترمق قد حل محل المدرسة الدوايرية. (أبو
المحسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٦٣ هـ).

^١ راجع ترجمة تيبوس الدوادار عند، التويري: نهاية
الأرب ٣٣: ١٨٣-١٨٤؛ الصفدي: أعيان العصر ٢: ٧٩-

[95r] المدرسة الأشرفية

المسجدة

هي المدرسة الكبرى التي لم تكمل عمارتها على الصوّة مقابل باب القلعة على رأس سويقة المشبب^١ والتبانة. كان السلطان الشهيد الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون - رحمه الله تعالى - قد أمر بعمارته^٢، وأراد أن يجعلها مضاهية لمدرسة السلطان حسن^٣. فشرع في عمارتها ونقل إليها الرخام المثمن، وبنى بها هذه البوابة - التي هي من الحجارة الصوان العظيمة الجافية - وكانت قد وجدت في بعض المباني القديمة فنقلت إلى القاهرة وجعل الحجر الواحد في الركن الأيمن والحجر الثاني في الركن الأيسر والحجر الثالث عتبة للباب من علوه. وجعل بها قببان وبنى بها الإيوان الكبير وعقد قبره الذي هو أوسع من قبر مدرسة السلطان حسن، وغرم فيها جملة عظيمة من الأموال.

ثم سافر السلطان الملك الأشرف إلى الحجاز الشريف^٤، ورجع من الطريق من عقبة أيلة حين

الملك الأشرفي أبو المظفر شعبان بن حسين ولد المقام الشريف الشهيد المرحوم مولانا السلطان المالك الملك الناصر محمد ابن مولانا السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحى تغلدهما الله برحمته، جميع هذا المصحف الكريم وقرأ صحيفتها شرعياً تقرئاً إلى ربه عز وجل وشرط أن يكون مقره والقراءة فيه بالخانقاه والمدرسة والجامع الأشرفي المعروف بإنشاء المقام الشريف بالصوّة تجاه القلعة المنصورة بالقاهرة المحروسة، وشرط النظر فيه لنفسه أيام حياته ثم بعده للتأخر في أمر الخانقاه بتاريخ شهر الله المحرم سنة ثمان وسبعين وسبع مائة.

وهذا المصحف كتبه علي بن محمد المكتب الأشرفي خامس عشر شهر الله المحرم سنة أربع وسبعين وسبع مائة. (James, D., *Qur'ans of the Mamluks*, p. 232)

^٤ أخلع السلطان، وهو نازل بسيزياقوس في سؤال سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٦م، على الشيخ ضياء الدين القزويني الحنفي باستقراره شيخ شيوخ المدرسة التي أنشأها بالصوّة وقد =

^١ انظر هـ صفحة ٦٥٨.

^٢ بدأ في عمارتها في خامس عشر صفر سنة ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م، وشرع في هدم بيت الأمير شمس الدين سنقر الجمالي ليضيفه إليها، ونقل إليها عمودان عظيمان وجددا في بيت حوئد نكر الحجازية (فيما تقدم ٣: ٢٣١-٢٣٢) عمّة السلطان، وكان المئيد عليها أبنك. (المقريزي: السلوك ٣: ٢٥١؛ ابن حجر: إنباء الفجر ١: ١٠٣؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٦٧؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/ ٢: ١٥٣-١٥٤، ١٨٣).

^٣ ذكر أبو المحاسن أنه ضاهى بها مدرسة عمه السلطان الملك الناصر حسن التي بالرميلة تجاه قلعة الجبل. (النجوم الزاهرة ١٣: ١٢٣).

وتحفظ دار الكتب المصرية (تحت رقم ١٠ مصاحف) بالمصحف الذي وقفه الأشرف شعبان على هذه المدرسة وعليه وثيقة نصها:

«وقف مولانا المقام الأعظم الشريف السلطان المالكى

قَامَتِ المَمَالِيكُ عَلَيْهِ ، وَقُتِلَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ فَرَاغِهَا ، وَغُلِّقَتْ وَشُدَّتْ [ت] أَبْوَابُهَا وَلَمْ تَكْمُلْ إِلَى الْآنِ .

ومن الاتفاقِ العجيبِ في أمرِ هذه المَدْرَسَةِ أَنَّ السُّلْطَانَ المَلِكَ الأَشْرَفَ - رحمه الله تعالى - كان قد أُرْسِلَ إلى الشَّامِ وَأَمَرَ بِعَمَلِ شَبَابِيكِ المَدْرَسَةِ المَذْكُورَةِ وَأَبْوَابِ وَسَلَابِلِ وَتَنَانِيرِ وَآلَاتِ الوُقُودِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَعَمِلَ ذَلِكَ جَمِيعُهُ وَأُرْسِلَ ذَلِكَ إلى القَاهِرَةِ فُجِعِلَ فِي حَاصِلِ إلى جَانِبِ المَدْرَسَةِ إلى أَنْ تَكْمُلَ وَيُجْعَلَ ذَلِكَ بِهَا ، فَاتَّفَقَ أَنَّ [95V] وَقَعَتِ النَّارُ فِي ذَلِكَ وَاحْتَرَقَ جَمِيعُهُ وَذَلِكَ قَبْلَ سَفَرِ السُّلْطَانَ إلى الحِجَازِ ، فَتَطَيَّرَ النَّاسُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ وَعَلِمُوا أَنَّ هَذِهِ المَدْرَسَةَ أَمْرُهَا لَا يَتِمُّ وَكَذَلِكَ السَّفَرِ المَذْكُورِ ، فَسُبْحَانَ الفَعَالِ لِمَا يُرِيدُ ^١ .

قال كَاتِبُهُ : وَفِي سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَمَانِ مِائَةٍ نَقَضَ الأَمِيرُ الوَزِيرُ المُشِيرُ جَمَالُ الدِّينِ يُوسُفُ الأُسْتَاذَارَ بَعْضَ مَا كَانَ بِهَا مِنَ الرِّخَامِ الَّذِي كَانَ عَلَى أَبْوَابِ القَاعَاتِ الأَرْبَعَةِ ، وَعَمِلَ بَعْضَهُ فِي ظَاهِرِ السَّبِيلِ الَّذِي بَنَاهُ لِلْمَلِكِ النَّاصِرِ فَرَجَ تَجَاهَ بَابِ زَوِيلَةَ ^٢ ، وَاشْتَرَى مِنْ حَاجِيِ بْنِ الأَشْرَفِ مَا

برسم نُزُولِ المَاءِ إلى الشَّاذِرَوَانِ «وَيَسْقَلُ ذَلِكَ وَمَا جَاوَرَهُ بِنَاءُ الصُّهْرِيحِ المِينِي فِي تَحْوِمِ الأَرْضِ بِالطُّوبِ الأَجْزِ وَالمُوتَةِ المَحْكَمَةِ المُعَدَّةَ لِاسْتِقْرَارِ المَاءِ بِهِ» . (Lamei Mostafa, S., *Moschee des Farag ibn Barqûq in Kairo*, pp. 45-49) .

والرِّخَامُ الوَارِدُ ذَكَرَهُ فِي هَذَا الوَصْفِ هُوَ الرِّخَامُ الَّذِي نَقَضَهُ الوَزِيرُ جَمَالُ الدِّينِ يُوسُفُ الأُسْتَاذَارَ مِنَ المَدْرَسَةِ الأَشْرَفِيَّةِ وَالَّذِي يُشِيرُ إِلَيْهِ نَصُّ المَقْرِزِيِّ .
وَيُوجَدُ أَعْلَى شَبَاكِ السَّبِيلِ المُعْتَشَى بِحِجَابٍ مِنَ المَصْبُغَاتِ النِّحَاسِيَّةِ لَوُجَّحٍ مِنَ الخَشَبِ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ :
«أَمَرَ بِإِنشَاءِ هَذَا السَّبِيلِ المَبَارِكِ سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا السُّلْطَانَ المَلِكِ النَّاصِرِ فَرَجَ بْنِ بَرْقُوقَ عَزَّ نَصْرُهُ» (van Berchem, *M., CIA Égypte I*, n°226) .

وَلَا يَحْمَلُ هَذَا النُّقْشُ ، أَوْ غَيْرُهُ مِنْ نُقُوشِ الزَّوِيلَةِ ، أَيْةً تَوَارِيخَ ، وَلَكِنْ بِمَا أَنَّ جَمَالَ الدِّينِ الأُسْتَاذَارَ هُوَ الَّذِي تَوَلَّى بِنَاءَهَا ، وَأَنَّهُ تَوَفَّى فِي مَطْلَعِ سَنَةِ ٨١٢هـ / ١٤٠٩م ، فَيَكُونُ تَارِيخُ بِنَاءِ هَذِهِ الزَّوِيلَةِ وَالسَّبِيلِ المَلْحَقِ بِهَا قَبْلَ هَذَا التَّارِيخِ . وَكَانَتْ زَاوِيَةٌ وَسَبِيلٌ النَّاصِرِ فَرَجَ بْنِ بَرْقُوقَ (زَاوِيَةٌ =

= أُشْرَفَتْ عَلَى الفَرَاغِ ، وَأَبْطَلَ هَذَا اللَّقْبَ مِنْ مُتَوَلِّي مَشِيخَةِ خَانِكَاةِ سِيْرِيَاقُوسِ . (المَقْرِزِيُّ : السُّلُوكُ ٣ : ٢٧٣ - ٢٧٤ ، أَمْرُ المَحَاسِنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١١ : ٤٧٠ ، وَفِيمَا بَلِي ٧٢٨ - ٧٢٩ ، ٧٦٨) .

^١ ابن إِيَّاس : بَدَائِعُ الزُّهُورِ ٢/١ : ١٧٠ .

^٢ سَبِيلُ النَّاصِرِ فَرَجَ . مُلَاصِقٌ لِزَاوِيَةِ النَّاصِرِ فَرَجَ المَعْرُوفَةِ بِالدَّهِيْشَةِ الوَاقِعَةِ عِنْدَ تَقَاطُعِ شَارِعِي تَحْتِ الرُّبْعِ وَقَصْبَةِ رِضْوَانَ أَمَامَ بَابِ زَوِيلَةَ ، وَمَسْجِدِ بِالْآثَارِ بِرَقْمِ ٢٠٣ . وَوَصَفَتُهُ حُجَّةٌ وَقَفَّ السُّلْطَانَ فَرَجَ بْنِ بَرْقُوقَ بِأَنَّهُ «خَارِجُ بَابِي زَوِيلَةَ بِرَأْسِ سُوقِ الفُكَّاهِينَ بِالقُرْبِ مِنَ الجَامِعِ الصَّالِحِيِّ بِرَأْسِ الشَّارِعِ الأَعْظَمِ المَقَابِلَةَ لِبابِ زَوِيلَةَ المَذْكُورِ» . وَالسَّبِيلُ مَجَاوِرٌ لِبابِ الزَّوِيلَةِ عِبَارَةً عَنِ «رَوَاقِي مُرْتَبِعِ مَفْرُوشِ الأَرْضِ بِأَصْنَافِ الرِّخَامِ المَلُونِ النَّفِيسِ المُتَمَنَّ بِوزَرَةِ دَائِرَةِ ، بِهَا ألُوحٌ كَبَارٌ مِنَ نَفِيسِ الرِّخَامِ مِنَ السَّمَّاقِيِّ وَالرُّزْزُورِيِّ وَالمَرْسِينِيِّ وَالسُّخْمِ وَالمُذَهَّبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَبِهِ عَلَى البَيْعَةِ شَاذِرَوَانَ مُذَهَّبٌ بِسَلْسَبِيلِ مُذَهَّبٍ ، يَغْلُوهُ قَوْصَرَةٌ مَعْقُودَةٌ بِدَقِّ الرِّخَامِ المَلُونِ وَالقُضُوصِ المَلُونَةِ وَالتَّحَاسِينِ المَدْهَشَةِ وَالمُغْرُوقِ الخَطَامِيِّ ، بِهَا عِدَّةٌ مِنَ السَّبَاعِ المَعْمُولَةِ مِنَ الثُّحَاسِ المَمُوهِ بِالدَّهَبِ المَعْمُولَةِ

بقي بها من شبايك ونحاس وخمس مائة مُجَلَّدَةٌ من الكُتُبِ بمبلغ خمس مائة دينار، وعَمِلَ الشَّبَايِكُ بِمَدْرَسَتِهِ التي أنشأها بِرَحْمَةِ [باب] العيد^١.
ولمَّا كان في سنة أربع عشرة^٢ وثمان مائة هَدَمَهَا النَّاصِرُ فَرَجَ حَتَّى سَوَّاهَا بِالْأَرْضِ، وَأَخَذَ بَعْضَ أَحْجَارِهَا وَرَدَّ أَنْقَاضَهَا بِالرَّمِيْلَةِ وَالصُّوْرَةَ، وَتَنَاهَبَ النَّاسُ كَثِيرًا مِنْ جِجَارَتِهَا وَلَمْ يَدَعْ مِنْهَا سِوَى بَوَابَتِهَا وَيَسِيرًا مِنْهَا، وَقُتِلَ وَهِيَ قَائِمَةٌ لَا يُنْتَفَعُ بِهَا^٣.

مَدْرَسَةُ قَمَارِي الْحَمَوِيِّ

بِالْحَلَايِسَةِ

[الرُّقْمُ ١٢٨]

بَنَاهَا الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قَمَارِي الْحَمَوِيُّ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ (a)^٤.

(a) بعد ذلك بياض خمسة أسطر في المُتَوَدَّة.

٣: ٢٧٣؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٢: ٤٩٢-٤٩٣؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٣: ١٢٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور ٢/١: ٨٠٧، ٨١٣).

٣ حَلَّ مَحَلَّ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْمَارِشْتَانِ الْمُؤَيَّدِي الَّذِي شَيَّدَهُ السُّلْطَانُ الْمُؤَيَّدُ شَيْخُ الْحَمُودِيِّ. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ٣٣٤-٣٣٥؛ وفيما يلي ٧٠٢).

٤ ما تَزَالُ مَدْرَسَةُ قَمَارِي قَائِمَةً عَلَى نَاصِيَتِي عَطْفَةَ عَبْدِ اللَّهِ بَكِّ وَحَارَةَ عَبْدِ اللَّهِ بَكِّ الْمُنْفَرَعَةَ مِنْ شَارِعِ الْمَغْرِبِيِّينَ عَلَى يَسَارِ الْمُنْتَجِهِ مِنْ بَابِ زَوْبَلَةَ إِلَى الشَّرُوجِيَّةِ وَشَارِعِ مُحَمَّدِ عَلِيِّ، وَتُعْرَفُ بِجَامِعِ قَمَارِي وَقُبَّةِ قَمَارِي.

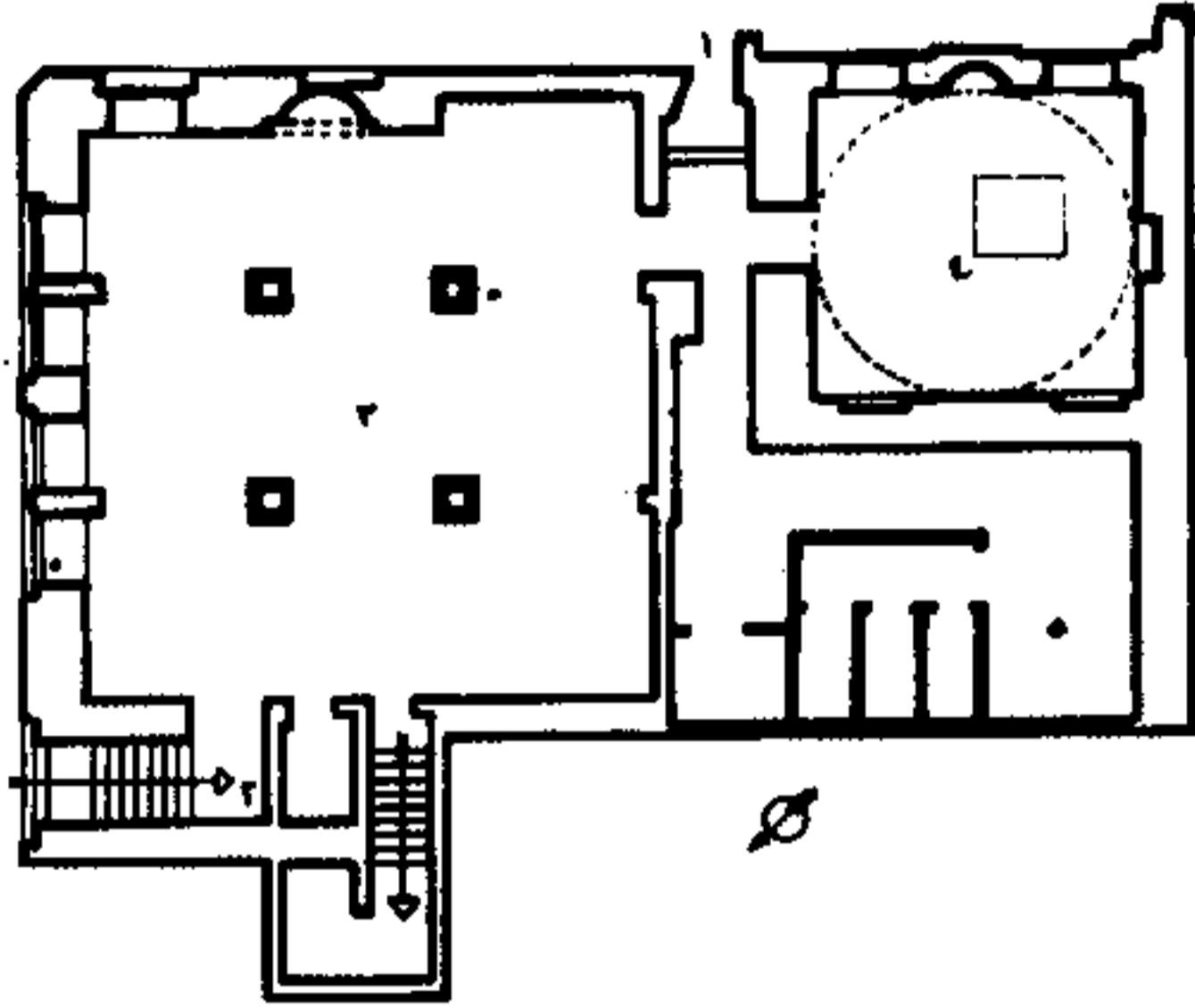
(وانظر كذلك، علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ١٤١؛ (٣٧)، ١٩٨: ٥ (٨٧)؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٦٢٩-٦٣٥).

= (الدَّهِيْشَةُ) بَارِزَةٌ عَنْ خَطِّ التَّنْظِيمِ الْجَدِيدِ لِشَارِعِ تَحْتِ الرَّبِيعِ، فَقَامَتِ لَجْنَةٌ حَفِظَتِ الْآثَارَ الْعَرَبِيَّةَ بِفِكْهَا وَإِعَادَتَهَا إِلَى الْخَلْفِ بِمَا يَنْتَاسِبُ مَعَ خَطِّ التَّنْظِيمِ الْجَدِيدِ سَنَةَ ١٩٢٣، وَمَا زَالِ أَثَرُ صَهْرِيحِ الشَّيْبِلِ مَوْجُودٌ فِي نَهْرِ الطَّرِيقِ يَدُلُّ عَلَى مَوْقِعِ الشَّيْبِلِ الْأَصْلِيِّ.

(راجع، علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ٢٠٣ (٥٠)،
Lamei Mostafa, S., *Moschee des Farag ibn Barqûq in Kairo*, Gluckstadt 1972;
id., «The Cairene: Sabil: Form and Meaning»,
Muqarnas VI (1989), pp. 35, 38-41
رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٣: ٢٣٩-٢٥٨؛ وفيما
تقدم ٢: ٢٦٩).

^١ انظر فيما تقدم ٦٣٦.

^٢ في أوَّلِ جَمَادَى الْأَوَّلِ مِنْهَا (المقريزي: السلوك



مخطط مدرسة قماري الحموي بالهلاية

المدرسة الصارميتية

داخلة في الدرب الذي به داره عند قنطرة آق شنقر^١ وشق الثعبان^٢، بناها الأمير صارم الدين إبراهيم المعروف بشاد العماير السلطانية، وكان من أمراء الطبليخانات بالديار المصرية. وكان بناؤه [96r] لها في سنة ^(a) وسبع مائة ووقفها على الشافعية، وولى تدريسها قاضي القضاة

(a) ياض في المستودة.

^١ انظر موضع قنطرة آق شنقر (قنطرة شنقر)، فيما تقدم .٤٩٢:٣
(علي مبارك: المخطط التوفيقية ٣: ٣٢٠ (٨٧)؛ وفيما تقدم .٣٧٨:٣)

^٢ شق الثعبان. يدل على موضعه الآن الحارة المعروفة بشق الثعبان داخل حارة عابدين التي بداخلها جامع حسين باشا أبي أصيبغ الواقع بين مسجد الشيخ الخلوتي ومسجد الشيخ رمضان؛ وكان في الأصل من أراضي حكر الزهري.

ولقل موضع المدرسة هو القبة المعروفة الآن بقبة إبراهيم الأنصاري، بدرب البيجمنون من شارع بورسعيد بجوار مكتبة خرزوش.

ناصر الدين محمد بن الميلىق الشافعي^١، وذلك قبل أن يلي القضاء^(a).

المدرسة بميدان القمح خارج باب العنطرة

مُنشئها وواقفها الأمير شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن الأمير شجاع الدين نصر ابن يوسف الهكاري الملكي الظاهري الركني، وهي بحضرة باب ميدان القمح الشرقي. وهي وقفت على المشتغلين بمذهب الإمام الشافعي. وجعل بها إماماً شافعي المذهب، وولي تدريسها القاضي كمال الدين أبا محمد عبد الوهاب بن محمد بن فارس بن حسين المزني الشافعي. وتاريخ كتاب الوقف الحادي والعشرين من ربيع الأول سنة أربع وستين وست مائة^٢.

مدرسة الحاجب بكتمر خارج باب النصار

بجوار داره بالتبانيين وسوق الدريس^٣. بناها الأمير سيف الدين بكتمر الحسامي الوزير المعروف بابن الحاجب الناصري في سنة^(b)، وهو أخذ ممالك الملك المنصور قلاوون، تنقل في الدول إلى أن تولى نيابة السلطنة بغزة مدة، ثم أُحضِر إلى الديار المصرية وقلد الوزارة [96v] بها بعد الصاحب فخر الدين عمر بن الخليلي لأنه كان فصيحاً، وله

(a) بعد ذلك بياض ستة أسطر في المسودة. (b) بياض في المسودة.

^١ ناصر الدين محمد بن عبد الدائم بن سلامة الشاذلي ابن بنت الميلىق، وربما قيل له الميلىقي، المتوفى سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٥م. (المقريزي: درر العقود الفريدة ٣: ٣٧-٤١، السلوك ٣: ٨٤٦؛ ابن حجر: رفع الإصر ٣٦٤-٣٦٦، إنباء الغمر ١: ٥٠٣، الدرر الكامنة ٣: ٤٩٤-٤٩٥؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٢٤٧، ١٢: ١٤٦-١٤٨).

^٢ ربما تكون هي نفسها الجامع الذي ذكره المقريزي. (فيما تقدم ٥: ٤)، بين الجوامع الموجودة خارج القاهرة مما يلي النيل، باسم «جامع ميدان القمح»^٤.

^٣ انظر فيما تقدم ٣: ٢٠٧، وكانت له دار أخرى فيما بين الخرنشف وحارة تزجوان، فيما تقدم ٣: ١٧٨.

دُرْبَةً بِالْأُمُور، ثُمَّ نُقِلَ مِنَ الْوِزَارَةِ إِلَى الْحُجُوبِيَّةِ فِي سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَسَبْعَ مِائَةٍ، فَأَقَامَ حَاجِبًا إِلَى ثَامِنِ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدٌ وَاعْتَقَلَهُ إِلَى شَوَّالٍ [سَنَةٍ] خَمْسَ عَشْرَةَ، فَأَفْرَجَ عَنْهُ وَوَلَّاهُ نِيَابَةَ صَفَدٍ فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةَ، فَأَحْضَرَهُ السُّلْطَانُ عَلَى الْبَرِيدِ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِتَقْدِيمَةِ أَلْفٍ بِالْأُيُومِ الْمَصْرِيَّةِ. وَكَانَ فِيهِ تَأَنُّ وَلَهُ أَمْوَالٌ وَمَتَاجِرٌ. وَتُوفِيَ فِي سَنَةِ تِسْعِ وَعِشْرِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ بِالْقَاهِرَةِ وَدُفِنَ بِمَدْرَسَتِهِ خَارِجَ بَابِ النَّصْرِ^١.

مَدْرَسَةُ قَرَايَا

(a)

مَدْرَسَةُ ابْنِ كَرَاي

(b)

المَدْرَسَةُ الشَّمِيسَاطِيَّة

(b) ٢

(a) يَخُصُّ لَهَا أَرْبَعَةَ أَسْطُرٍ. (b) يَخُصُّ لَهَا ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ.

^١ راجع ترجمة الأمير سيف الدين بكتكتر الحاجب، الدرر الكامنة ١٧:٢-١٨؛ أبي المحاسن: النجوم المتوفى سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٨م، عند الصقدي: أعيان العصر ١:٧٠٣-٧٠٦، الوافي بالوفيات ١٠:١٩٠-١٩٢؛ ابن أبيك: كنز الدرر ٩:٣٥٢؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ٢:١٨٣، ١٩٨؛ المقرئ: السلوك ٢:١٣١٤؛ المقفى الكبير ٢:٤٦٦-٤٦٨؛ ابن حجر:

^٢ هذه المدارس الثلاثة يَخُصُّ لَهَا المقرئ ولم يذكر عنها أي شيء.

[97r] المَدْرَسَةُ بِحُطِّ سُوَيْقَةِ مُنْعِمٍ^١

[أثر رقم ١٥١]

أنشأها أولاً الأمير مُقْبِلُ الرُّومِي^٢ أَحَدُ أُمَرَاءِ النَّاصِرِ فَرَجَ ، وَقُتِلَ فِي وَقْعَةِ اللَّجُونِ بَيْنَ النَّاصِرِ
وَالْأَمِيرِ شَيْخِ وَالْأَمِيرِ نَوْرُوزِ فِي الْحَرَمِ سَنَةَ خَمْسِ عَشْرَةَ وَثَمَانِ مِائَةٍ . فَلَمَّا اسْتَبَدَّ الْأَمِيرُ شَيْخُ
بِسُلْطَنَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ - بَعْدَ الْقَبْضِ عَلَى الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَعِينِ بِاللَّهِ - أَقَامَ رِجَالًا جَاءَ مِنْ عِنْدِ النَّاصِرِ
وَالْتَحَقَ بِهِ أَيَّامَ مُخَالَفَتِهِ بِالشَّامِ يُقَالُ لَهُ قَانِيَايَ أَمِيرَ آخُورٍ^٣ فَأَخَذَ الْمَدْرَسَةَ الْمَذْكُورَةَ وَأَكْمَلَهَا وَجَعَلَ
بِهَا مَدْرَسًا حَنْفِيًّا وَمَدْرَسًا شَافِعِيًّا وَعِنْدَ كُلِّ مِنْهَا عِدَّةٌ مِنَ الطَّلَبَةِ ، وَنَصَبَ بِهَا مَنِيْرًا لِلْحُطْبَةِ فِي يَوْمِ
الْجُمُعَةِ وَصَلَّى فِيهَا . وَحَضَرَ الْفُقَهَاءُ بِهَا الدُّرُوسَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةَ وَثَمَانِ مِائَةٍ . ثُمَّ
إِنَّ الْمُؤَيَّدَ شَيْخَ وَوَلَاهُ نِيَابَةَ دِمَشْقَ فَخَرَجَ إِلَيْهَا فِي الْحَرَمِ سَنَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ .

مَدْرَسَةُ أُمِّ أُنُوكِ

بِالصُّمْرَاءِ خَارِجَ بَابِ الْبَرْقِيَّةِ

بَنَتْهَا السُّتُّ حَوْنَدُ طُغَايَ النَّاصِرِيَّةِ الْمَعْرُوفَةَ بِأُمِّ أُنُوكِ ، جِهَةَ السُّلْطَانِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ
الْتُرْكِيِّ . وَهِيَ وَقْفٌ عَلَى الشَّافِعِيَّةِ وَهِيَ بِجِوَارِ تَرْبَتِهَا^٤ .

١ الإسلامية ٣: ٢٧١-٢٨٩).

٢ الأمير مُقْبِلُ الرُّومِي هو صَاحِبُ الْمَدْرَسَةِ الزُّمَامِيَّةِ .
(فيما تقدم ٥٨٤).٣ هو الأمير سَيْفُ الدِّينِ قَانِيَايَ بَايَ الْمُحَمَّدِيِّ الظَّاهِرِيِّ
نَائِبِ الشَّامِ ، الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٨١٨هـ / ١٤١٥هـ . (المقريزي :
السلوك ٤ : ٣٢٨ ؛ ابن حجر : إنباء الغمر ٣ : ٨٢ ؛ أبو
المحسن : النجوم الزاهرة ١٤ : ١٣٥-١٣٦ ، المنهل الصافي
١٤/٩ - ١٨ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ٦ : ١٩٦).

٤ انظر فيما يلي ٧٨٤ (خانقاه أم أنوك).

١ هذه الْمَدْرَسَةُ هِيَ الْمَعْرُوفَةُ الْآنَ بِ«جَامِعِ قَانِيَايَ
الْمُحَمَّدِيِّ» بِأَوَّلِ شَارِعِ شَيْخُونَ عَلَى يَسَارِ الدَّائِجِلِ مِنْ جِهَةِ
مَيْدَانِ صِلَاحِ الدِّينِ عَلَى رَأْسِ قَرْبِ السُّمَّاكِينَ . ذَكَرَ أَبُو
المحسن أَنَّهُ عَمَّرَهَا بِرَأْسِ سُوَيْقَةِ مُنْعِمٍ مِنَ الصُّلَيْبِيَّةِ بِالشَّارِعِ
الْأَعْظَمِ . (النجوم الزاهرة ١٤ : ١٣٥).وكان هذا الجامع قد تخرَّب في نهاية القرن التاسع
عشر ، ونظرًا لأنَّه كان يقع تجاه دار الأمير عبد اللطيف باشا
فقد قام بتجديده في سنة ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م . (علي
مبارك : الخطط التوفيقية ٢ : ٣١٤ (١١٦) ، ٥ : ٢٤٨-
٢٤٩ (١٠٩) ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة

المَدْرَسَةُ بِالصُّوَّةِ

تجاه القلعة بقلعة الجبل

أنشأها الأمير شيخ لما قديم إلى مصر بعد قتل الناصر بدمشق واستقراره أميراً كبيراً ليتوسع بها في مسكنه من الإسطنبول السلطاني ، فلما استبدت بالمملكة بعد القبض على الخليفة المشتعين بالله ، عميل هذه الدار مدرسة ونصب فيها منبراً للخطبة في يوم الجمعة^١ .

[97v] مَدْرَسَةُ ابْنِ غُلَامِهَا

ببولاق

بناها صدقة بن أحمد المعروف بابن غلامها السمسار في الغلال في سنة إحدى وتسعين وسبع مائة^(a) .^٢

مَدْرَسَةُ إِبْرَاهِيمَ الزُّوَيْلِ

بجوار الجامع المازداني

هي المدرسة الصغيرة التي عند قبلة الجامع المذكور ، بناها الحاج إبراهيم بن^(b) .

مَدْرَسَةُ الطَّنْقَشِ

بالتبانة

شارعة على رأس الطريق العظمى على يسار السالك من جامع المازداني إلى القلعة ،

بناها^(b) .

(a) بعد ذلك بياض ثلاثة أسطر في المستودعة . (b) بياض في المستودعة .

^١ هذه المدرسة أنشأها السلطان المؤيد شيخ ، هي تقدم ٣٢٧ «جامع الصوّة» .

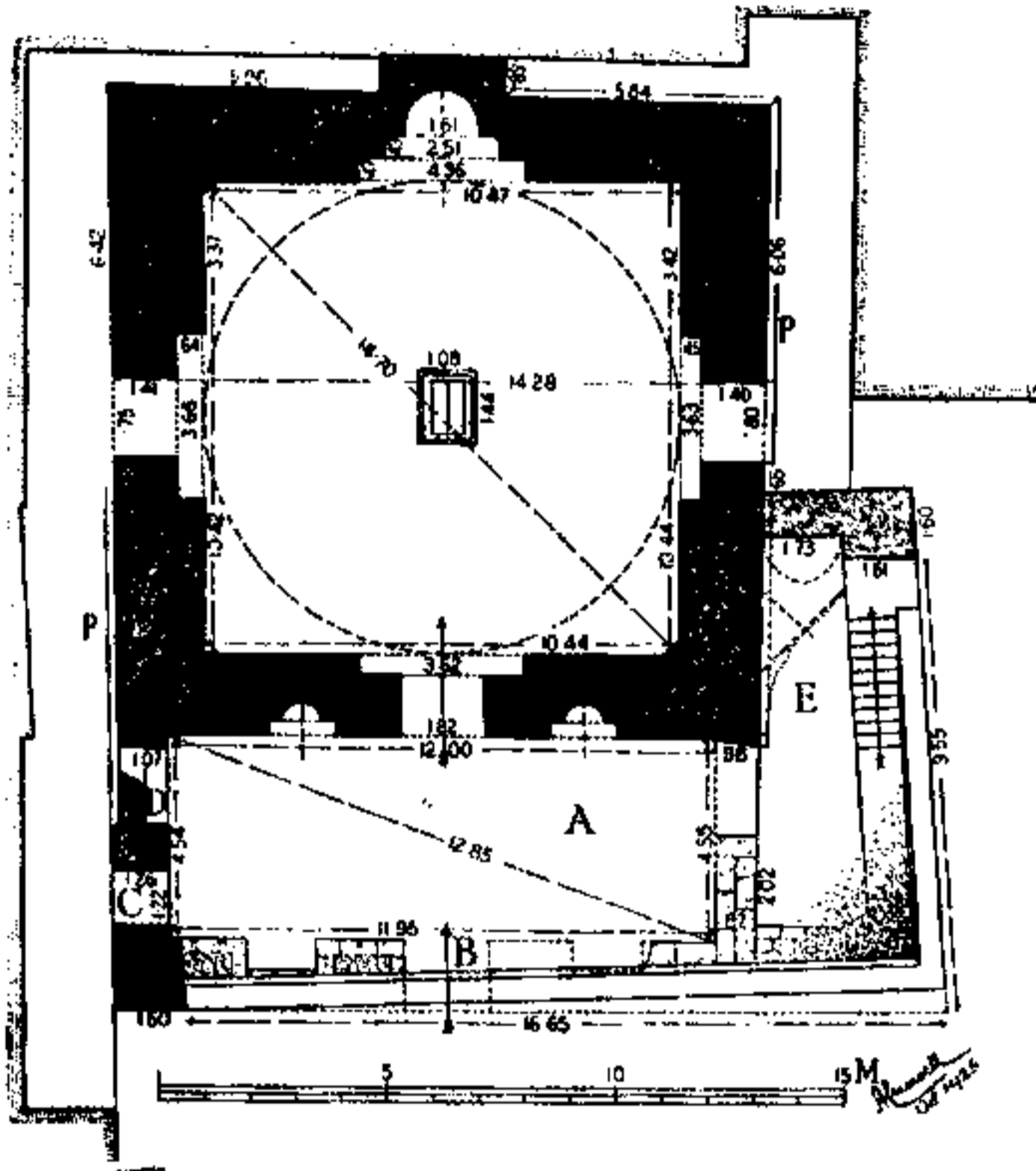
والمارستان المؤيدي ، في موضع المدرسة الأشرفية على الصوّة ^٢ شيد ابن غلامها كذلك جامعاً بخط الزينية . (فيما

تجاه القلعة . (ابن إياس : بدائع الزهور ٢: ٣٨) ، وانظر فيما تقدم ٥: ١٢) .

المدرسة الأشرفية

[أثر رقم ٢٧٥]

بناها السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن السلطان الملك المنصور قلاوون بقرب
 المشهد النفيسي في سنة (a) وتسعين وست مائة، ونقل إليها من تروجة قتيلاً ودُفِنَ بها.
 وكان قتله ثالث عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وست مائة^١.



مُخَطَّط قُبَّةِ الأَشْرَفِ (عن Creswell)

(a) بياض في المَسْوَدَةِ.

^١ لا تزال قُبَّةُ الأَشْرَفِ المُلحَقَةُ بِالمَدْرَسَةِ وَالمَشْتَمَلَةُ عَلَى قَبْرِ المَنْشِيِّ قَائِمَةٌ بِشَارِعِ الأَشْرَفِ إِلَى الشَّمَالِ مِنَ المَشْهَدِ النفيسي، وَعَلَيْهَا كِتَابَةٌ تَارِيخِيَّةٌ تُفِيدُ أَنَّ الأَشْرَفَ خَلِيلَ أَمْرَ بِإِنْشَائِهَا فِي شَهْرِ سَبْعِ وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، وَهُوَ =

مَدْرَسَةُ أَبِي غَالِبِ

هذه المَدْرَسَةُ خارج بابِ الخُوخَةِ بجوار المَسْجِدِ القَدِيمِ الذي هو مَسْجِدُ المَأْمُونِ ابن البَطَّائِحِيِّ^١. بَنَى هذه المَدْرَسَةَ بجوارِ داره القاضي تاجُ الدِّينِ أبو غَالِبِ الكَلْبِشَاوِيِّ القِبْطِيِّ

^١ فيما يلي ٧١٧ (مَسْجِدُ بابِ الخُوخَةِ)؛ ابنِ إِبَاسٍ: بدائعُ الزهور ١٦٣:٢/١ (وفيه أنَّها تجاه بابِ الخُوخَةِ)؛ السخاوي: التبر المسبوك: ٣١٥ (نشرة دار الكتب المصرية) (وفيه أنَّها ببابِ الخُوخَةِ بالقربِ من قنطرة الموشكي ومجاورةً للمَدْرَسَةِ الرَّئِيسِيَّةِ). أقول: إنَّ المَدْرَسَةَ الرَّئِيسِيَّةَ - المعروفةَ بجامع القاضي يحيى زَيْنِ الدِّينِ والقائمة إلى الآن في وَسَطِ شارع بورسعيد عند تقاطعه مع شارع الأزهر (مسجلة بالآثار برقم ١٨٢) - حُلَّتْ في سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م محلُّ مَسْجِدِ بابِ الخُوخَةِ الذي كان يُعرَفُ كذلك بمَسْجِدِ المَأْمُونِ البَطَّائِحِيِّ. وقد توَصَّلَ محمد بك رمزي إلى أنَّ مَدْرَسَةَ أَبِي غَالِبِ هي التي حُلَّتْ محلَّها الجامعُ الذي كان يُعرَفُ بجامع الحِيفِنِيِّ بشارع بجامع البَنَاتِ. وهذا الجامعُ جدِّدُه الأميرُ عبد الرَّحْمَنِ كَنُخْدَا في سنة ١١٧٢هـ/١٧٥٨م، وعُرِفَ بجامع الحِيفِنِيِّ أو الحِيفِنَاوِيِّ نسبةً إلى الشيخ محمد بن سالم الحِيفِنَاوِيِّ الشَّافِعِيِّ الخَلَوْتِيِّ، لأنَّ داره كانت تجاور هذا الجامع. وكان هذا الجامعُ من الجوامع المعلقة يرتفع عن سطح الأرض بعلَّةٍ دَرَجَاتٍ، وجدِّدُه ديوانُ عُثْمَانَ الأوقاف في سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤: ٢٠٩-٩٩)؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١٤١-١٤٢هـ^٣. ومع توسيع شارع الخليج المصري (شارع بورسعيد الآن) في منتصف القرن العشرين أُزيلَ صَفُّ المبانِي الذي كان يطلُّ على الخليج، وأزيلَ معه بجامع الحِيفِنِيِّ (مَدْرَسَةُ أَبِي غَالِبِ) وكان مسجلاً بالآثار برقم ٤٥١، ولم يبق من المبانِي التي كانت في هذا الصَّفِّ سوى: جامع يُوْسُفِ الحَيْنِ في مَيْدَانِ بابِ الخَلْقِ، وجامع القاضي يحيى زَيْنِ الدِّينِ عند تقاطع شارع الأزهر مع شارع بورسعيد.

= مازال وَلِيُّ عَهْدِ أبيه، ونَصُّ الكتابة:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَمَرَ يَأْنِشَاءُ هَذِهِ القُبَّةَ الشَّرِيفَةَ مَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا السُّلْطَانُ المَلِكُ الأَشْرَفُ العَالِمُ العَادِلُ المَجَاهِدُ المُرَابِطُ المِثَابُ المُوَيْدُ المَظْفَرُ المَنْصُورُ [صلاً] حِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ [سَقَطَ نَحْوَ مِترٍ مِنَ الكِتَابَةِ] قَاتِلُ الكُفْرَةِ وَالمُشْرِكِينَ، قَاهِرُ الخَوَارِجِ وَالمُتَمَرِّدِينَ، مُبِيدُ الطُّغَاةِ وَالمَارِقِينَ، مَحْيِي القَدْلِ فِي العَالَمِينَ مُنْصِفُ المَظْلُومِينَ مِنَ الظَّالِمِينَ، كَثْرُ الفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ كَهْفُ الصُّعْفَاءِ وَالمُنْقَطِعِينَ، نَاصِرُ الحَقِّ بِالبَرَاهِينِ، مَحْيِي بِلَّةِ سَيِّدِ المُزْسَلِينَ، حَامِي خُوَزَةِ الدِّينِ، أَبُو الفَتْحِ خَلِيلُ ابْنِ مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا السُّلْطَانِ الأَعْظَمِ المَلِكِ المَنْصُورِ سُلْطَانِ القَرْبِ وَالعَجَمِ مَالِكِ رِقَابِ الأُمَمِ سُلْطَانِ الشَّامِ وَاليَمَنِ مَلِكِ البَحْرَيْنِ خَادِمِ الحَزَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ صَاحِبِ القِبْلَتَيْنِ، مَلِكِ الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ وَالجِهَاتِ الحِجَازِيَّةِ وَالبِلَادِ الشَّامِيَّةِ وَالأَعْمَالِ القُرَاتِيَّةِ وَالدِّيَارِ البَكْرِيَّةِ، أُوْحِدَ المُلُوكِ العِصْرِيَّةِ يَهْلَوَانِ جِهَانِ قَدِ [سَيِّفِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ سُلْطَانِ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ قَاتِلِ الكُفْرَةِ وَالمُشْرِكِينَ، قَاهِرُ الخَوَارِجِ وَالمُتَمَرِّدِينَ قِلَاوُونَ الصَّالِحِي قَسِيمِ أميرِ المُؤْمِنِينَ، أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ وَحَرَسَ أُنْعَامَهُ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ سَنَةِ سَبْعِ وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ. (van Berchem, M., CIA Égypte I, n°95; Wiet, G., RCEA XIII, n°4895).

راجع كذلك، ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٨: ١٦٨؛ ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٢٤-١٢٥؛ المقرئ: السلوك ١: ٧٦٩؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٢٥٠هـ^١؛ Creswell, K.A.C., MAE II, pp. 214-18؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٣: ٨٢-٨٨؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ١٧٧-١٩٠؛ وفيما تقدم ٣: ٧٧٣هـ^٣.

المصري الكاتب ناظر الذخيرة السلطانية وصاحب ديوان المقرّ العالي الأمير الكبير سيف الدين أرغون شاه [98٧] الأشرفي ، وبنى إلى جانبها الحوض ومكتب السبيل وولى تدريسها الشيخ علاء الدين الأقفهسي الشافعي وتصدير القراءات لشيخنا فخر الدين البلبتسي الشافعي إمام الجامع الأزهر وذلك في سنة ^(a) وسبعين وسبع مائة . وكان أبو غالب المذكور مشهوراً بخير ودين وعفة ، وفيه عقل وسكون ، وحج إلى بيت الله الحرام ^(b) .^١

المدرسة البلقينية

بناها شيخنا شيخ الإسلام أبو حفص عمر بن رسلان سراج الدين البلقيني مجتهد العصر في ^(a) .^٢

المدرسة الشريفة

بحارة بهاء الدين

كانت قاعة يسكنها الشريف شهاب الدين الحسن بن محمد المعروف بابن قاضي العسكر ، ثم جعلها مدرسة للشافعية ، وجعل بها تصدير قراءات ^(c) .^٣

(a) بياض في المسودة . (b) بعد ذلك بياض سطران في المسودة . (c) بياض خمسة أسطر في المسودة .

^١ توفي تاج الدين أبو غالب الكلّبشاوي ، ناظر الذخيرة الشريفة ، في منتصف شوال سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٦م . (المقريزي : السلوك ٣ : ٢٦٢ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١ : ١٤١-١٤٢ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/٢ : ١٦٣) .
^٢ كانت تجاه داره بحارة بهاء الدين بالقرب من باب القنطرة . (ابن الفرات : تاريخ الدول ١/٩ : ١٧٨ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١ : ٣٨٩ ، ١٤ : ٢٣٧ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/٢ : ٦٧٤ ؛ وفيما تقدم ٣ : ١٧٢) .
^٣ ذكر ابن إياس هذه المدرسة ونسبها إلى الشريف شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن محمد بن الحسين ابن محمد ، المعروف بابن أبي الركب نقيب الأشراف بالقاهرة ، المتوفى سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م . (بدائع الزهور ١/١ : ٥٩٠) .

المَدْرَسَةُ النَّابُلُسِيَّةُ

لم يَدُكِّرْهَا ابنُ عبدِ الظَّاهِرِ . هذه المَدْرَسَةُ [99r] بِالرُّقَاقِ الْمُقَابِلِ لِبَابِ الْخَانِقَاهِ الصَّلَاحِيَّةِ سَعِيدِ الشُّعْدَاءِ ^١ ، أَوْقَفَهَا عَلَّمَ الدِّينَ إِبْرَاهِيمَ بنَ خَالِدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ السَّلْمِ الْقُرَشِيِّ النَّابُلُسِيِّ الشَّافِعِيِّ الْعَدْلِ ، عَلَى الْفُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَهُوَ وَالِدُ الْقَاضِيِ عِلَّاءِ الدِّينِ عُثْمَانَ بنِ النَّابُلُسِيِّ نَاطِرِ الدَّوَاوِينِ ^٢ . وَهِيَ دَارُ الْأَمِيرِ عَلَّمَ الدِّينِ كُرْجِيِّ الْأَسَدِيِّ ^(a) .

المَدْرَسَةُ الْكُهَّارِيَّةُ

هِيَ الْمَدْرَسَةُ الَّتِي بِالْقُرْبِ مِنَ الْجَوْذَرِيَّةِ ، وَهِيَ عَلَى يَمِينِ السَّالِكِ مِنَ الْفَخَّامِينَ وَالغَضَّارِينَ إِلَى طَوَاحِينِ الْمَلْحِيِّينَ ^٣ ، وَهِيَ دَارُ الشَّيْخِ عَدِيِّ الْمَلِكِ أَبِي الْبَرَكَاتِ بنِ عُثْمَانَ وَكَيْلِ الْمَأْمُونِ ابنِ الْبَطَّائِحِيِّ - وَسَيَأْتِي ذِكْرُ ذَلِكَ فِي الْآدْرَءِ - ثُمَّ تَنَقَّلَتْ إِلَى أَنْ مَلَكَتْهَا السُّتُّ الْجَلِيلَةُ كُهَّارِ خَاتُونِ - وَاسْمُهَا حَبِيبَةُ وَكُهَّارُ لَقِبَتْ لَهَا - وَهِيَ ابْنَةُ الْأَمِيرِ جَمَالِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بنِ جَاكِرٍ ، وَكَانَتْ زَوْجَةَ الْأَمِيرِ الْإِسْفَهَنْسَلَارِ الْكَبِيرِ فَخْرِ الدِّينِ عُثْمَانَ بنِ قَزَلِ أَسْتَاذَارِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ مُحَمَّدِ بنِ أَبِي بَكْرِ ابنِ أَيُّوبَ ، [99v] فَوَقَفَتْهَا عَلَى الشَّافِعِيَّةِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَلَمْ يَدُكِّرْهَا ابنُ عبدِ الظَّاهِرِ فِي كِتَابِهِ وَهِيَ مِنْ شَرْطِهِ ^(b) .

(a) بعد ذلك بياض ثلاثة أسطر في المُسَوِّدَةِ . (b) بعد ذلك في المُسَوِّدَةِ بياض خمسة أسطر .

^٤ قَدَّمَ الْمُقْرِزِيُّ فِي الْمُبَيَّضَةِ ذِكْرَ الدُّورِ ، وَلَمْ يَرِدْ بِهَا أَيُّ ذِكْرٍ لِدَارِ الشَّيْخِ عَدِيِّ الْمَلِكِ أَبِي الْبَرَكَاتِ مُحَمَّدِ بنِ عُثْمَانَ وَكَيْلِ الْمَأْمُونِ الْبَطَّائِحِيِّ . (ابن ميسر: أخبار مصر ٩١؛ المقريزي: اتعاظ الخنفا ٣: ٨١، ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٢١) .

^٥ ذَكَرَ الْمُقْرِزِيُّ (فِي مَا تَقَدَّمَ ٣: ١٢٤) أَنَّ دَرْزَبَ كُرْكَامَةَ فِيهِ الْمَدْرَسَةُ الْكُهَّارِيَّةُ بِجَوَارِ حَارَةِ الْجَوْذَرِيَّةِ الْمَسْلُوكِ إِلَيْهِ مِنَ الْفَخَّامِينَ وَالغَضَّارِينَ وَيَتَوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ الشَّرِيفِيَّةِ . وَالْمَدْرَسَةُ الشَّرِيفِيَّةُ لَا تَزَالُ قَائِمَةً بِاسْمِ جَامِعِ نَيْبَرْسِ الْخِطَّاطِ (مَسْجِدُ الْآثَارِ بِرَقْمِ ١٩١) فِي حَارَةِ الْجَوْذَرِيَّةِ بِدَرْزَبِ =

^١ يَدُلُّ عَلَى مَوْضِعِ الْمَدْرَسَةِ النَّابُلُسِيَّةِ ، الزَّوَايَةُ الْمَعْرُوفَةُ الْآنَ بِ«زَاوِيَةِ الْأَرْبَعِينَ» الْوَاقِعَةُ بِدَاخِلِ دَرْزَبِ الْمُبَيَّضَةِ الْمُقَابِلِ لِلْخَانِقَاهِ الصَّلَاحِيَّةِ سَعِيدِ الشُّعْدَاءِ بِالْجَمَالِيَّةِ . (عَلِي مَبَارَكُ: الْخَطَطُ التَّوْفِيقِيَّةُ ٦: ٥٠-٥١ (١٩)؛ وَفِي مَا تَقَدَّمَ ٣: ٢٦٤؛ ٩، ١٧) .

^٢ رَاجِعْ تَرْجُمَةَ عِلَّاءِ الدِّينِ عُثْمَانَ بنِ إِبْرَاهِيمِ النَّابُلُسِيِّ صَاحِبِ كِتَابِ «تَارِيخِ الْفَيُّومِ وَبِلَادِهِ» ، الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٦٦٠ هـ/ ١٢٦١ م ، فِي مَا تَقَدَّمَ ١: ٢٣١ هـ ^٣ .

^٣ انظُرِ الْمُقْرِزِيُّ: السُّلُوكُ ٢: ١٧٠ ، ٢٢٣ ، وَفِي مَا تَقَدَّمَ ٣: ١٢٤ (دَرْزَبُ كُرْكَامَةَ) ، وَفِي مَا يَلِي ١٠٧١ .

[100r] مَدْرَسَةُ مُقْبِلِ الْأَشْقَثَمَرِيِّ

بِحِطِّ الشَّجَانَةِ ١

- بَنَاهَا الطُّوَاشِي مُقْبِلُ الْأَشْقَثَمَرِيِّ ، وَتَمَّتْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عُرَّةَ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانٍ مِائَةٍ ، وَجَعَلَ بِهَا دَرَسًا لِلشَّافِعِيَّةِ وَنَصَبَ فِي تَدْرِيسِهِ بُرْهَانَ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ الْبِيْجُورِي . وَمَاتَ زَيْنُ الدِّينِ مُقْبِلُ الْأَشْقَثَمَرِيِّ وَهُوَ رَأْسُ نَوْبَةِ الْجَمْدَارِيَّةِ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ رَابِعِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةِ وَثَمَانِ مِائَةٍ بِالطَّاعُونَ وَدُفِنَ فِي مَدْرَسَتِهِ . وَكَانَ رُومِيًّا يَحْفَظُ كِتَابَ «الْحَاوِي» فِي الْفِقْهِ وَيُذَكِّرُ الْفُقَهَاءَ مَعَ تَدِّينٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ٢ .

[106v] الْمَدْرَسَةُ الظَّاهِرِيَّةُ

السُّجُودَةُ

[أثر رقم ١٨٧]

- هَذِهِ الْمَدْرَسَةُ مَكَانُهَا مِنْ جَمَلَةِ حُقُوقِ الْقَصْرِ الْغَرْبِيِّ ، وَتَغَيَّرَ مَكَانُهَا بَعْدَ زَوَالِ الدَّوْلَةِ الْفَاعِطِمِيَّةِ عِدَّةَ مِرَارٍ ، وَآخِرَ مَا أُدْرِكُنَاهُ خَانًا كَبِيرًا يُعْرَفُ بِ«خَانِ الرِّكَاءَةِ» وَعُلُوُّهُ رُبْعٌ مُشْرِفٌ عَلَى شَارِعِ بَيْنِ الْقَصْرَيْنِ وَتَحْتَهُ حَوَانِيثٌ يَسْكُنُهَا الصَّيَارِفُ . وَتَنْقُلُ وَقْفَهُ عِدَّةَ مِرَارٍ ، إِلَى أَنْ اسْتَبَدَّ الْمَلِكُ الظَّاهِرِيُّ سَيْفُ الدِّينِ أَبُو سَعِيدِ بَرْقُوقٍ بِمَمْلَكَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَأَحَبَّ إِنْشَاءَ مَكَانٍ لِذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَنَشْرِ الْعِلْمِ ؛ فَوَقَعَ الْاِخْتِيَارُ عَلَى هَذَا الْمَكَانِ ٣ وَجَعَلَ أَمْرَ الْعِمَارَةِ فِيهِ إِلَى الْأَمِيرِ جَهَّازِ كَسِ الْخَلِيلِيِّ

= سعادة ، أمَّا المدرسة الكهربية فقد حل محلها الآن الجامع المعروف بجامع الجودري وزاوية الجودرية بحارة الجودرية المؤصلة إلى جامع بيبوس الخياط . وجمدة هذا الجامع الشيخ أحمد مئة الله المالكي سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٣: ١٧٨ (٤٠) ، ٦٤: ٦ (٢٤) ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٦٧هـ ٣) .

١ أضاف أبو المحاسن والسخاوي (الدليل الشافي ٧٤٠ ؛ الضوء اللامع ١٠: ١٦٧) أنها بخط النجاة خارج القاهرة عند مفرق الطرق .

٢ راجع ترجمة الطواشي مقبل الأشقثمري عند المقرئ : السلوك ٤: ٣٧٧ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ١٤: ١٤٣ ، الدليل الشافي : ٧٤٠ ؛ الصيرفي : نزهة النفوس ٢: ٣٨٠ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ١٠: ١٦٧ .

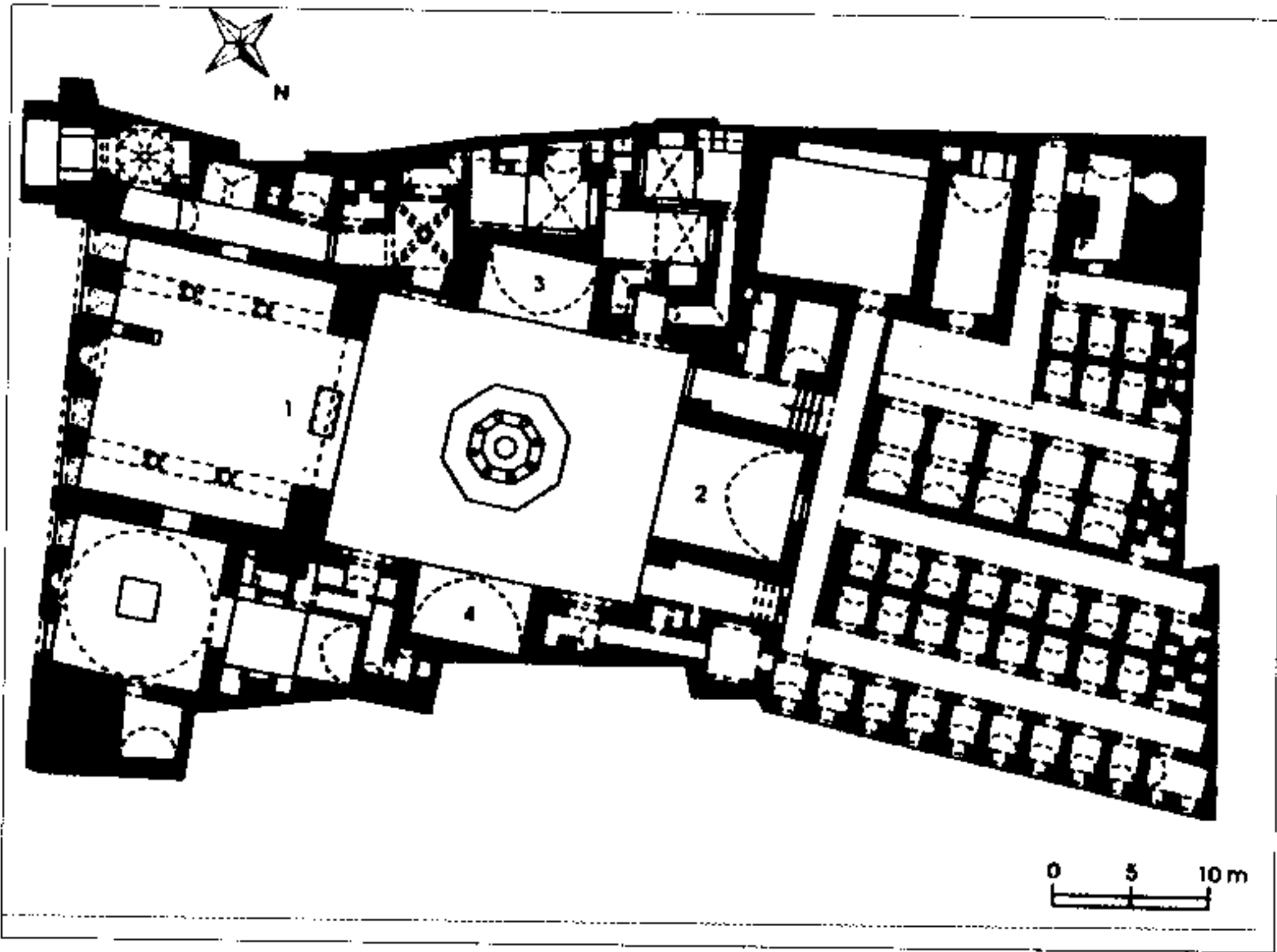
٣ في السلوك ٣: ٥١٩ ، والنجوم الزاهرة ١١: ٢٣٩ =

أمير آخور^١، فشرع في هدم الخان والرَّبْع المذكور في يوم^(a) الرابع والعشرين من شهر رَجَب سنة ست وثمانين وسبع مائة^٢، وانتصب لذلك الأميرُ جهازَ كَس بنَفْسِه ومماليكِه، وساقَ عِدَّةً من الأبقار والجواميس لنقلِ الحِجَارَةِ من الجبلِ على العَجَل، واستعمل الصُّنَاع من الحَجَّارين والبُتَاة والفَعَلَةَ وغيرهم بالأجر ولم يُسَخَّرَ أَحَدًا من النَّاسِ في العَمَل، إلا أَنَّهُ كانَ دَهْقَانًا مُمَاجِكًا عَازِفًا يَحِبُّ القَلْبَ في المعاملة، فَثَقُلَ على العَمَالِ ذلكَ منه^٣.

وسَيَّرَ إلى سواجِلِ البلادِ الشَّامِيَّةِ فَاخْتَمَلَ القِطْعَ العَظِيمَةَ مِنَ الرُّخَامِ المُلَوَّنِ، وَجَدَّ في العَمَلِ حتى تَجَمَّلتَ في أعْظَمِ قَالِبٍ وأتمَّ هِنْدَامَ وَأَضْحَمَ بُنيانِ وَأَجَلَّ مِقْدَارَ وَأَوْسَعَ قَدْرَ كَانَتْهَا تُضَاهِي أَعْمَالَ إِرَمَ وَتَفَخَّرَ على مَصَانِعِ عادَ وَتَسَخَّرَ بمباني العماليقة. فاشتملت على أربعة أو اوين دائرية، بساحة فيها بركة ماء، مفروشة كل هذه الأواوين والساحة بالرخام البديع الزبي الفايح المثلث، وبدائرها كلها الرخام، وبحدائها قبة جليلة شامخة قد أعدت لدفن الأموات، ومن ورائها المساكن الكبيرة لطلبة العلم، والمطبخ لأجل الطعام، والميضة والساقية^٤.

(a) بياض في المسوذة.

- = وبدائع الزهور ١/٢: ٣٤٩، أن السلطان اشتبذل خان الزكاة من ورثة الناصر محمد بن قلاوون بقطعة أرض... وانظر كذلك فيما تقدم ٢: ٢٤٨.
- ^١ انظر عنه، فيما تقدم ٣: ٣١٢ هـ.
- ^٢ راجع، القريري: السلوك ٣: ٥٢٣، ٥٤٣، ٩٤٦، ابن حجر: إنباء الغمر ١: ٢٩٠؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٢٣٩، ١٢: ١١٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/٢: ٢٩٥، ٣٤٩؛ وفيما تقدم ٣: ١٧٣.
- ^٣ ابن إياس: بدائع الزهور ١/٢: ٣٥٠.
- ^٤ ما تزال المدرسة الظاهرية الجديدة (تميزًا لها عن المدرسة الظاهرية العتيقة، التي أنشأها الظاهر بيبرس) قائمة في شارع المعز لدين الله شمال المدرسة الناصرية وفي مواجهة قصر بشتاك. وهي عبارة عن صحن مكشوف تحيط به أربعة إيوانات أهمها إيوان القبلة الذي فرشت أرضيته بالرخام. (راجع، علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٧ (٥)، ١٤٦-١٤٧ (٥١)؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١٩٢-١٩٧؛ سعاد ماهر: مساجد مصر ٤: ٣٧-٤٨؛ Lamei Mostafa, S., *Madrassa, Hanqâh und Mosoleum des Barqûq in Kariro*, Glückstadt 1982؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٣: ٣٥-٧٠، والمصادر المذكورة في هامش ٢ فيما تقدم).
- وهذه الخائقات الملحقة بالمدرسة والواقعة خلفها اندثرت معظم التفاصيل المعمارية الخاصة بها ولم يتبق منها سوى أطلال حوائطها الخارجية ومدخلها المطل على حارة البرقوقية، وانظر فيما يلي ٧٤٣.



مُحَطَّط المَدْرَسَة الظَّاهِرِيَّة المَسْجِدَة (عن صالح لمعي)

[107r] ، ولَمَّا [كان] ^a في ليلة الرابع عشر من جُمادى الآخرة سنة ثمانٍ وثمانين وسبع مائة نُقِلَ إلى القُبَّة من هذه المَدْرَسَة الأميرُ الكبيرُ آنصُ والِد الملك الظَّاهِر بَرْقُوق من تُرْبته خارج باب النَّصْر ودُفِنَ بها ^١.

وفي يوم الخميس ثاني عشر رَجَب نَزَلَ السُّلْطَانُ ومعه أَمْرَاءُ الدَّوْلَة وأَرْبابُ الوِظَائِفِ إلى المَدْرَسَة ، وقد كَمَلت واجْتَمَعَ بها عَامَّةُ القُضَاة وَمَشايخُ العِلْمِ ووُجوهُ النَّاسِ ، ومُدَّ سِيماطٌ عَظِيمٌ أَكَلَه الجَماعَةُ وانْتَهَبْتَهُ النَّاسُ ، ودارت السُّقَاةُ بالأواني المَذابِ فيها الشُّكْرُ بالماءِ ومُلِقت البرِوكَةُ التي بها [بال] شُّكْرُ واللَّيْمون ^٢.

(a) زيادة اقتضاها السياق .

^٢ المقرئزي : السلوك ٣ : ٥٤٦ ، ٥٤٧ ؛ ابن حجر : إنباء الغمر ١ : ٤٣١٣ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١ : ٢٤٣ - ٢٤٤ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١ / ٢ : ٣٧٢ .

^١ المقرئزي : السلوك ٣ : ٥٤٦ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١ : ٢١٨ - ٢١٩ ، وفيه أنه دُفِنَ بِتُورَة الأمير يُونُس الدَّوادار برأس الرُّوضَة خارج باب البَرْقُوقَة من القاهرة .

واستقرت جامع حُطْبِيَّة لإقامة الجمعة بها، وخانقاه ودُروس عِلْم أربعة للفقهِ في المذاهب الأربعة ودُرس تفسير ودُرس حديث ودُرس قراءات. وتقرَّر في مَشِيخَة الخانقاه وتُدريس الحنفيَّة الشَّيخ علاء الدين العلاء بن أحمد بن محمد السَّيرامي إلى أن مات يوم الأحد ثالث جمادى الأولى سنة تسعين وسبع مائة، وفي تدريس التفسير شَيْخ الإسلام سراج الدين عُمَر البلقيني. وجعل لكل من الطَّلَبَة الخُبز واللَّحْم المطبوخ في كلِّ يومٍ والمعلوم من الدَّراهم والصَّابون والزَّيت والحلواء في كلِّ شهرٍ. وجعل لها أوقافاً تزيد عن المقرَّر بها.

وخلَع في هذا اليوم على الأمير جهاز كس الخليلي وأزكبه فرساً بَعْدَة ذهب، وخلَع على المُعلِّم شهاب الدين أحمد الطُّولوني المهنِّيس^١ وأزكب فرساً بَعْدَة ذهب، وعلى خمسة عشر من مماليك الخليلي وأنعم على كلِّ منهم بمئة درهم فضة، وخلَع على بَقِيَّة أكابر الصُّنَّاع والمهنِّسين.

وقال شعراء الوقت فيها شعراً كثيراً؛ فمن ذلك قول شهاب الدين أحمد ابن العطار^٢:

[البيط]

قد أنشأ الظاهر السلطان مدرسته
يكفي الخليلي أن جاءت لدعوته
فاقت على إرم مع سرعة العجل
شم الجبال لها تسعى على عجل

١. (Mostafa, S., *op.cit.*, pp. 76-77)

شهاب الدين أحمد بن الطولوني مهندس المدرسة، هو مهندس ابن مهندس من أسرة اشتغلت بالعمارة وقامت بأعمال معمارية في مصر والحجاز، قال أبو المحاسن: «كان مُعلِّم السلطان ومهندسه وشاد عمائره، ثم تزوج الملك الظاهر بَرَقوق بأخته أو بنته، فقال بمصاهرة السلطان السعادة وأثرى وصار من ذوي الرئاسة، وتوجه إلى عمائر مكة غير مرة آخرها في سنة ٨٠١هـ، وتوفي عند عودته في صفر من هذا العام، ودُفن بالمقبرة من مكة. (المنهل الصافي ٢: ٢٨٣-٢٨٤؛ وانظر كذلك المنهل الصافي ٩: ٢٩٨ ترجمته أو ترجمة أخيه؟)؛ وانظر كذلك ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٩: ٤٧٧: ١١.

٢ ابن حجر: إنباء الغمر ١: ٣١٣، ٣١٤.

= ويدل على تاريخ الانتهاء من بناء المدرسة كتابة تاريخية بأعلى واجهة المدرسة نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم - الآية ٢١ سورة الحديد - أتمز بإنشاء هذه المدرسة المباركة والخانقاه مولانا السلطان الملك الظاهر سيف الدنيا والدين، أبو سعيد بَرَقوق سلطان الإسلام والمسلمين نصرته الغزاة والمجاهدين، حامي حوزة الدين، دُخر الأيتام والمساكين، كَنز الطالبين صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية - عز الله نصرته - وذلك في مباشرة العبد الفقير إلى الله تعالى المُقِرَّ الشَّيخي جزكس الخليلي أمير آخور الملك الظاهر أبو [كذا] سعيد بَرَقوق، أدام الله أمانه بمحمد وآله يارب العالمين. وكان الفراغ في مستهل ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وسبع مائة». (van Berchem, M., *CIA Égypte I*, n°192؛ وانظر كذلك Lamei

[ومن رأى الأعمدة التي بها عَرَفَ الإشارة] (a).
وقوله :

[السريع]

قُلْ لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ الْمُتَضَى هِنَيْتَ بِالْمَدْرَسَةِ الْفَائِقَةَ
تَحَنَّنْتَ حُشَادَكَ قَهْرًا بِهَا فَيَا لَهَا مَدْرَسَةً حَائِقَةَ

[107v] وقال الأديب المعتقد شهاب الدين أحمد بن أبي العباس الشاعر
الدمنهوري :

[البيط]

الظَّاهِرُ الْمَلِكُ الشُّلْطَانُ هَمُّهُ كَادَتْ لِرِفْعَتِهَا تَعْلُو عَلَى زُحَلِ
وَبَعْضُ خُدَّامِهِ طَوْعًا لِحِدْمَتِهِ يَدْعُو الْجِيَالَ فَتَأْتِيهِ عَلَى عَجَلِ

وما زال أمرها مُسْتَقِيمًا وأحوالها مَرَعِيَّةً وتعاليم أربابها اليومية والشهرية جارية إلى أن حَدَثَتْ
الكَوَائِنُ بعد سنة ست وثمان مائة، فَبَطَلَ الطَّعَامُ لِفَلَاءِ الْأَصْنَافِ .

ثم حَسُنَ برأي الملك النَّاصِرِ فَرَجَ أَنْ يُجَدِّدَ لِمَدْرَسَةِ أَبِيهِ وَقْفًا يَسْتَجِدُّهُ، فَجَعَلَ نَاحِيَةَ أَنْبُوبَةَ مِنْ
الْجِيْزَةِ وَقْفًا عَلَيْهَا، وَأَعِيدَ لَهَا الطَّعَامُ إِلَى أَنْ قُتِلَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ فِي سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرَةَ وَثَمَانِ مِائَةٍ،
وَاسْتَوْلَى الْأَمِيرُ شَيْخُ عَلَى الْبِلَادِ وَأَبْطَلَ كَثِيرًا مِنَ الْأَوْقَافِ الْمَسْتَجِدَّةِ أَخْرَجَ أَنْبُوبَةَ عَنْ وَقْفِ
الْمَدْرَسَةِ وَأَقْطَعَهَا لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ .

وَبَرَقُوقُ هَذَا (b) ١ .

[خَانَ الزُّكَاةِ] (c)

وَعَرِفَ هَذَا الْخَانَ بِخَانِ الزُّكَاةِ لِأَنَّهُ (d) لَمَّا انْقَضَتْ دَوْلَةُ بَنِي أَيُّوبَ، وَاسْتَبَدَّ عِزُّ الدِّينِ أَيْتِكَ
الثُّرُكْمَانِي بِمَمْلَكَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَتَلَقَّبَ بِـ «الْمَلِكِ الْمَعِزِّ» وَاسْتَوْرَسَ رَجُلًا مِنَ الدَّوَاوِينِ الْأَقْبَاطِ

(a) زيادة من إنباء الغمر . (b) بياض في المَسْوَدَةِ صَفْحَةٌ وَنِصْفٌ . (c) زيادة اقتضاها الشياق . (d) المَسْوَدَةُ : فَإِنَّهُ .

١ كَتَبَ الْمُقْرِزِي مَدْخَلَ تَرْجُمَةِ الشُّلْطَانِ بَرَقُوقِ وَلَمْ يَتَمَّهُ، وَانظُرْ فِيمَا تَقْدَمُ ٣: ٧٨٠-٧٨١ وَهَذَا صَفْحَةُ ٧٨١ وَمَا ذَكَرَ فِيهِ مِنْ مَصَادِرٍ وَمَرَاجِعٍ؛ وَيَبْضُ الْمُقْرِزِي كَذَلِكَ لِتَرْجُمَةِ بَرَقُوقِ فِي دَرَرِ الْعُقُودِ الْفَرِيدَةِ ١: ٤٥٥، وَأَشَارَ إِلَى ذَلِكَ الشَّخَاوِي حَيْثُ قَالَ: «ذَكَرَهُ الْمُقْرِزِي فِي عُقُودِهِ، وَيَبْضُ لَهُ» (الضوء اللامع ٣: ١٢).

المسألة يُعرف بشرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي^١، فقرّر على الناس أموالاً جباها من التجار ومياسير الناس وأزباب العقارات، ورثب مكوساً وضمانات سمّاه «الحقوق والمعاملات»^٢، منها:

«زكاة الدولة»، وهو أنه: يُعتبر مال الإنسان، ويُؤخذ منه زكاته في العام، ويستقر ذلك المأخوذ منه ضريبة لازمة لا بُدّ من استخراج ذلك منه، فإن نزلت به جائحة أو [ذهب]^(a) ماله لا يُترك له ما كان يُؤخذ منه، ولو مات أخذت تلك الزكاة من ورثته أبداً ما بقوا، سواء بقي المال الموروث معهم أو نفد منهم^٣. وكان مُستخرج هذه الجهة بهذا الخان، فلذلك عُرف بـ «خان الزكاة». وما زال هذا الديوان منذ حدث في سنة خمسين وست مائة إلى أن أبطله الملك المنصور قلاوون في أيام سلطنته، وكان فيه على الخلق من الضر ما لا يمكن شروحه حتى أراح الله منه^(b)^٤.

(a) زيادة اقتضاها السياق. (b) آخر القسم المنقول من مُسوّدة الخِطَط والذي بدأ فيما تقدم صفحة ٦٥٦.

^١ راجع أخبار الوزير صاعد الفائزي، فيما تقدم ^٣ انظر فيما تقدم ١: ٢٨٦.

^٢ ٢٩٧-٢٩٨. ^٤ فيما تقدم ١: ٢٨٦.

^٢ انظر فيما تقدم ١: ٢٨٤، ٣: ٤٠٩، ٧٦٨.

ذِكْرُ الْمَارِسْتَانَاتِ

قال الجوهري في كتاب^(a) «الصحاح»: والمارستان بيت المرضى، معرب عن ابن السكيت^١.

وذكر الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه في كتاب «أخبار مصر»: أن الملك مناقبوش بن أشمون - أحد ملوك القبط الأول بأرض مصر - أول من عمل البيمارستانات لعلاج المرضى، وأودعها العقاقير، ورثب فيها الأطباء، وأجرى عليهم ما يسعهم. ومناقبوش هذا هو الذي بنى مدينة إخميم، وبنى مدينة سترية^٢.

وقال زاهد العلماء أبو سعيد منصور بن عيسى^٣: أول من اخترع المارستان وأوجده بقراط بن أبو إقليدس، وذلك أنه عمل بالقرب من داره - في موضع من بستان كان له - موضعًا مفردًا للمرضى، وجعل فيه خدماً يقومون بمداواتهم، وسماه «أحسدولين»^(b)، أي: مجمع المرضى^٤.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: أصدولين.

١ نصير الدولة بن مرون الذي ألف له ابن بطلان «دعوة الأطباء». وزاهد العلماء هو الذي بنى «بيمارستان ميافارقين». ومن بين مؤلفاته «كتاب البيمارستانات»، لم يصل إلينا. (ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ١: ٢٥٣، ٣٠٩).

٢ الجوهري: الصحاح ٢: ٩٧٥؛ وراجع عن البيمارستانات عمومًا، أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، القاهرة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م؛ Dunlop, D.H., *El art. Bimâristân I*, pp. 1259-61.

٣ انظر فيما تقدم ١: ٣٧٦، ٧٣٦، ٦٤٩.

٤ ورد هذا النص كذلك عند ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ١: ٢٧ (وربما كان هو مصدر النقل؟).

٣ زاهد العلماء، أبو سعيد منصور بن عيسى، كان نصرانيًا نشطوريًا وأخوه مطران نصيين، خدم بصناعة الطب

وأول من بنى المارستان في الإسلام ودار المرضى الوليد بن عبد الملك ، وهو أيضا أول من عمِل دار الضيافة ، وذلك في سنة ثمان وثمانين^١ . وجعل في المارستان الأطباء ، وأجرى لهم الأرزاق ، وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا ، وأجرى عليهم وعلى العُميان الأرزاق .

وقال جامع «السيرة الطولونية» - وقد ذكر بناء جامع ابن طولون - : وعمِل في مؤخره ميضأة وخزانة شراب فيها جميع الشرابات والأدوية ، وعليها خدَم ، وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحديث يحدث للحاضرين للصلاة^٢ .

مارشطان ابن طولون

هذا المارستان موضعه الآن في أرض العسكر - وهي الكيمان والصخراء التي فيها بين جامع ابن طولون وكوم الجارج ، وفيما بين قنطرة السد التي على الخليج ظاهر مدينة مصر ، وبين السور الذي يفصل بين القرافة وبين مصر - وقد دثر هذا المارستان في جملة ما دثر ، ولم يبق له أثر .
قال أبو عمَرَ الكندي في «كتاب الأمراء» : وأمر أحمد بن طولون أيضا ببناء المارستان للمرضى ، فبنى لهم في سنة تسع وخمسين ومائتين^٣ .

وقال جامع «السيرة الطولونية» : وفي سنة إحدى وستين ومائتين ، بنى أحمد بن طولون المارستان ، ولم يكن قبل ذلك بمصر مارستان . ولما فرغ منه حبس عليه دار الديوان ، ودوره إلى الأساكفة ، والقيسارية ، وسوق الرقيق . وشرط في المارستان أن لا يعالج فيه جُندي ولا مملوك ، وعمِل حَمَّامين للمارستان : إحداهما للرجال ، والأخرى للنساء ، وحبسَهُما على المارستان وغيره . وشرط أنه إذا جيء بالعليل تُنزع ثيابه ونفقته ، وتُحفظ عند أمين المارستان ، ثم يُلبس ثيابا ويُفرش له و يُغذى عليه ويُراخ بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يترأ ، فإذا أكل فرُوجا ورغيفا ، أمر بالانصراف ، وأُعطي ماله وثيابه .

وفي سنة اثنتين وستين ومائتين ، كان ما حبسه على المارستان والعين والمسجد في الجبل - الذي يُسمى ثور فزعون - وكان الذي أنفق على المارستان ومشتغله : ستين ألف دينار . وكان يركب بنفسه في كل يوم جمعة ، ويتفقّد خزائن المارستان وما فيها والأطباء ، وينظر إلى المرضى وسائر

^١ انظر الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٧ : ٤٦٣ - ٤٦٤ ،

^٢ انظر فيما تقدم ٦٤ .

^٣ الكندي : ولاة مصر ٢٤٣ .

وفما تقدم ٥ : ٢ .

الأعلاء والمحجوسين من المجانين . فدخَلَ مرَّةً حتى وَقَفَ بالمجانين ، فناداه واحِدٌ منهم مَغْلُولٌ : أيُّها الأمير ، اسْمَعْ كلامي ، ما أنا بِمَجْنُونٌ ، وإنما عَمِلْتَ عليَّ حِيَلَةً ، وفي نفسي شَهْوَةٌ رُمانَةٌ عريشِيَّةٌ أكبر ما يكون ، فأمرَ له بها من ساعتِه ، ففَرِحَ بها وهزَّها في يده ورازَها ، ثم غافل / أحمد ابن طولون ورَمَى بها في صدرِه ، فنَضَحَتْ على ثِيابِه ، ولو تَمَكَّنَتْ منه لَأَتَتْ على صدرِه . فأمرَهم أن يَحْتَفِظُوا به ، ثم لم يُعاوِدَ بَعْدَ النُّظَرِ في المارِستان^١ .

مارِستانُ كافور

بَنَاهُ كافورُ الإخشيدي ، وهو قائِمٌ بتدبيرِ دَوْلَةِ الأمير أبي القاسم أنوجور بن محمد الإخشيدي ، بمدينة مصر في سنة ستٍّ وأربعين وثلاث مائة .

مارِستانُ المعافِر

هذا المارِستانُ كان في خِطَّةِ المعافِر التي مَوْضِعُها ما بين العاير من مدينة مصر وبين مُصَلَّى حَوْلان التي بالقِرافة ، بناه الفتحُ بن خاقان في أيام أمير المؤمنين المتوكِّل على الله ، وقد بادَ أثرُه^٢ .

المارِستانُ الكبيرُ المنصوري

[أثر رقم ٤٣]

هذا المارِستانُ بَخِطُّ بَيْنِ القَصْرَيْنِ من القاهرة . كان قاعةً سِتُّ الملكِ ابنة العزيز بالله نزار ابن المعز لدين الله أبي تميم مَعَدَّةً^٣ ، ثم عُرفَ بدارِ الأمير فخر الدين جَهَّاز كَس ، بعد زوالِ الدَّوْلَةِ الفاطميَّة ، ودارِ مَوْسَك ، ثم عُرفَ بالملك المُفضَّل قُطْبِ الدين أحمد ابن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب ، وصارَ يُقالُ لها «الدَّارُ القُطبيَّة» . ولم تَزَلْ بيدِ ذُرِّيَّتِه إلى أن أَخَذَها الملكُ المنصورُ قلاوون الألفي الصَّالِحِي ، من مُؤنِسَةِ خاتون ، ابنة الملك العادل - المعروفة بالقُطبيَّة - وعُوِضَتْ عن ذلك قَصْرُ الزُّمُردِ بِرُحْبَةِ بابِ العيد ، في ثامنِ عشرين ربيعِ الأوَّلِ سنة اثنتين وثمانين وستِّ مائة ،

^١ هذا النُّصُّ لا يُوجد فيما وصل إلينا من سيرة أحمد بن طولون للتلوي ، وقد أورده ناشرُ الكتاب ومُحقِّقُه في هامش

^٢ فيما تقدم ٢: ٤٩٩ .

^٣ ذكرُ المقرئ (فيما تقدم ٢: ٣٥٠-٣٥١) «المارِستان

بسفارة الأمير عَلم الدين سِنَجِر الشُّجاعي مُدبِّر الممالك ، ورَسَمَ بِعِمَارَتِهَا مَارِسْتَانًا وَقُبَّةً وَمَدْرَسَةً ، فَتَوَلَّى الشُّجاعيُّ أَمْرَ العِمَارَةِ ، وَأَظْهَرَ مِنَ الأَهْتِمَامِ والاختِفَالِ ما لم يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ ، حتَّى تمَّ الغَرَضُ فِي أَسْرَعِ مُدَّةٍ وَهِيَ أَحَدُ عَشَرَ شَهْرًا وَأَيَّامًا . وَكَانَ دَرْعُ هَذِهِ الدَّارِ عَشْرَةَ آلاَفٍ وَسِتِّ مِائَةِ ذِرَاعٍ . وَخَلَّفَتْ سِتُّ المُلْكِ بِهَا ثَمَانِيَةَ آلاَفٍ جَارِيَةٍ ، وَذَخَائِرَ جَلِيلَةٍ مِنْهَا قِطْعَةٌ يَأْقُوتُ أَحْمَرَ زِينَتِهَا عَشْرَةَ مِثْقَالٍ ،^١ (وَعُرِفَتْ هَذِهِ الدَّارُ بِالأَمِيرِ فَخْرِ الدِّينِ جِهَازَكَسَ وَمَوْسَكَ فِي أَيَّامِ الغَزَا ، وَالمَسْجِدُ الَّذِي عَلَى بَابِهَا يُعْرَفُ بِمَوْسَكَ فِيهِ تَصْدِيرٌ لِلقُرْآنِ^٢).

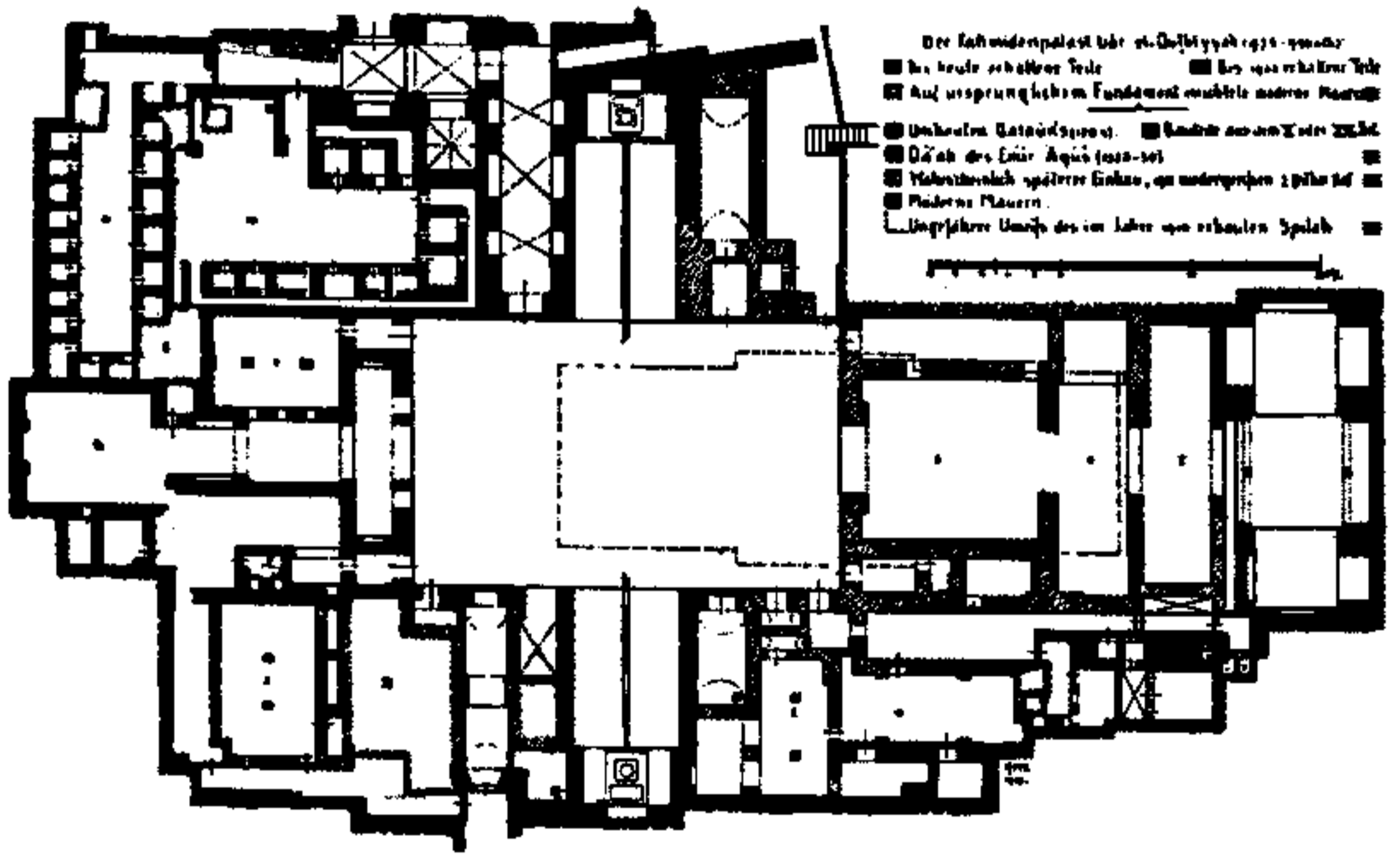
وَكَانَ الشُّرُوعُ فِي بِنَائِهَا مَارِسْتَانًا أَوَّلَ ربيعِ الأخرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ . وَكَانَ سَبَبُ بِنَائِهِ أَنَّ المَلِكَ المَنْصُورَ لَمَّا تَوَجَّهَ وَهُوَ أَمِيرٌ إِلَى غَزَاةِ الرُّومِ ، فِي أَيَّامِ الظَّاهِرِ بَيْبَرْسَ سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، أَصَابَهُ بِدِمَشْقَ قَوْلُنُجٍ عَظِيمٌ ، فَعَالَجَهُ الأَطِبَّاءُ بِأَدْوِيَةٍ أُخِذَتْ لَهُ مِنْ مَارِسْتَانَ نُورِ الدِّينِ الشَّهِيدِ فَبَرَأَ ، وَرَكِبَ حتَّى شَاهَدَ المَارِسْتَانَ فَأَعْجَبَ بِهِ ، وَنَذَرَ إِنْ آتَاهُ اللهُ المُلْكُ أَنْ يَبْنِيَ مَارِسْتَانًا .^٣ وَقَالَ فِي كِتَابِ «سِيرَةِ المَلِكِ المَنْصُورِ قِلاوونَ» ، وَمِنْهُ لَخَّصَتْ^٤ : فَلَمَّا تَسَلَطَنَ ، أَخَذَ فِي عَمَلِ ذَلِكَ ، فَوَقَعَ الاِخْتِيَارُ عَلَى الدَّارِ القُطَيْبِيَّةِ ، وَعَوَّضَ أَهْلَهَا عَنْهَا قَصْرَ الزُّمُرُودِ . وَوَلِيَ الأَمِيرَ عَلمَ

(a-a) إضافة من المسوِّدة .

- ^١ راجع ، ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٦٠ - ٦١ ،
تشریف الأيام والعصور ٥٥ - ٥٧ ، ١٢٦ - ١٢٩ ؛ بيارس
الدوادار ٢٤٨ - ٢٥٠ ؛ شافع بن علي : الفضل المأثور
١٦٦ - ١٧٠ ؛ النويري : نهاية الأرب ٣١ : ١٠٦ - ١١٠ ؛
ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٧ : ٢٣٨ ؛ المقرئزي :
السلوك ١ : ٧١٦ - ٧١٧ ، ٧٢٥ ؛ العيني : عقد الجمان
٢ : ٣٠٨ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٧ : ٣٢٦ - ٣٢٧ ؛ ابن
إلياس : بدائع الزهور ١/١ : ٣٥٣ - ٣٥٤ ، أحمد عيسى :
تاريخ البيمارستانات في الإسلام ٨٣ - ١٧١ ؛ Herz, M.,
«Un bassin en mosaïque de marbre en Maristan
al-Mansouri (Kalaoun)», *CR de Comité XXVIII*
(1910), pp. 141-47 ; Creswell, K.A.C., *MAE II*,
pp. 204-11 ؛ محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة
الاجتماعية في مصر ١٥٧ - ١٧٣ ؛ حياة ناصر الحجبي :
«البيمارستان المنصوري منذ تأسيسه وحتى نهاية القرن الثامن
- الهجري/ الرابع عشر الميلادي» ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية
- جامعة الكويت ٢٩/٨ (١٩٨٨) ؛ محمد حمزة الحداد :
السلطان المنصور قلاوون ١٢١ - ١٣٩ ؛ Northrup, L.,
From Slave to Sultan, pp. 119-20; id.,
«Qalawun's Patronage of the Medical Sciences
in Thirteenth - Century Egypt», *MSR I* (1997),
pp. 119-40.
- ^٢ الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٤٠ ، والقبضة
عنده لا تتعلق ببيت الملك أخت الحاكم بأمر الله وإنما بابته
بيت مصر المتوفاه في مستهل جمادى الآخرة سنة ٤٥٥ هـ/
١٠٦٣ م . وجاء الخبر في المسوِّدة مسبقاً بقوله : «ورأيت في
كتاب «الذخائر» أنها خلقت ...» .
- ^٣ يتفق هذا التلخيص مع ما ورد في كتاب «الفضل
المأثور من سيرة الملك المنصور» لشافع بن علي .

الدين سينجر الشجاعى أمر عمارته ، فأبقى القاعة على حالها ، وعمّلها مارستاناً ، وهي ذات إيوانات أربعة ، بكل إيوان شاذروان^١ ، وبدور قاعتها فسقية يصير إليها من الشاذروانات الماء .

٥ ^a وكانت قبل ذلك داراً من حقوق القصر ، وسكنها أخيراً الأمير قراسنقر المعزى وتحتة موطوءة الملك الصالح نجم الدين خازنداره شجر الدر ، وكانت مؤسرة غنيّة ، فحملها الخوف من قراسنقر المذكور على أن دفنت مالها في الدار المذكورة وماتت^٥ . واتفق أن بعض الفعلة كان يخفر في أساس المدرسة المنصورية ، فوجد حقا أشنان من نحاس ، ووجد رفيقه قمقما نحاسا مخثوما برصاص ، فأخضر ذلك إلى الشجاعى ، فإذا في الحقا فصوص ماس وياقوت وبلخش ولؤلؤ ناصع يدهش الأبصار ، ووجد في القمقم ذهباً - كان جملة ذلك نظير ما عرّم على العمارّة - فحمّله إلى أسعد الدين كوهيا الناصري العدل ، فرفقه إلى السلطان^{١٠} .



مُحَطَّط المارستان المنصوري (عن Herz Pacha)

(a-a) إضافة من المستوذة .

^١ انظر عن الشاذروان ، فيما تقدم ٣ : ٢٠١ - ٢٠٢ هـ . ^٢ شافع بن علي : الفضل المأثور ١٦٩ - ١٧٠ .

ولما نَجَزَتِ العِمَارَةُ ، وَقَفَ عَلَيْهَا المَلِكُ المَنْصُورُ مِنَ الأَمْلَاقِ - بديار مصر وغيرها - ما يُقَارِبُ ألف ألف درهم في كل سنة ؛ وَرَتَّبَ مَصَارِفَ المَارِشْتَانِ والقُبَّةِ والمَدْرَسَةِ وَمَكْتَبِ الأَيْتَامِ . ثم اسْتَدْعَى قَدْحًا مِنْ شَرَابِ المَارِشْتَانِ وشَرَبَهُ وَقَالَ : (أشْهَدُوا عَلَيَّ أَنِّي ^a) قَدْ وَقَفْتُ هَذَا المَارِشْتَانَ ^b عَلَى مَنْ هُوَ مِثْلِي إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي ^c ، وَجَعَلْتُهُ وَقْفًا عَلَى المَلِكِ وَالمَمْلُوكِ وَالجُنُودِ وَالأَمِيرِ وَالكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالحُرِّ وَالعَبْدِ ، الذُّكُورِ وَالإِنَاثِ . وَرَتَّبَ فِيهِ العَقَاقِيرَ وَالأَطِبَّاءَ وَسَائِرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ بَهْمِ مَرَضٍ مِنَ الأَمْرَاضِ .

وَجَعَلَ السُّلْطَانُ فِيهِ فَرَّاشِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ لِخِدْمَةِ المَرَضَى ، وَقَرَّرَ لَهُمُ المَعَالِيمَ ، وَنَصَبَ الأَسِيرَةَ لِلْمَرَضَى ، وَقَرَشَهَا بِجَمِيعِ الفُرُشِ المَحْتَاجِ إِلَيْهَا فِي المَرَضِ ، وَأَفْرَدَ لِكُلِّ طَائِفَةٍ مِنَ المَرَضَى مَوْضِعًا : فَجَعَلَ أَوَاوِينَ المَارِشْتَانَ الأَرْبَعَةَ لِلْمَرَضَى بِالحُمَمِيَّاتِ وَنَحْوِهَا ، وَأَفْرَدَ قَاعَةً لِلرُّمَدَى ، وَقَاعَةً لِلجُرْحَى ، وَقَاعَةً لِمَنْ بِهِ إِسْهَالٌ ، وَقَاعَةً لِلنِّسَاءِ ، وَمَكَانًا لِلْمَبْرُورِينَ يَنْقَسِمُ قَسْمِينَ : قِسْمٌ لِلرِّجَالِ ، وَقِسْمٌ لِلنِّسَاءِ .

وَجَعَلَ المَاءَ يَجْرِي فِي جَمِيعِ هَذِهِ الأَمَاكِنِ ، وَأَفْرَدَ مَكَانًا لِطَبِّخِ الطَّعَامِ وَالأَدْوِيَةِ وَالأَشْرِبَةِ وَمَكَانًا لِتَرْكِيبِ المَعَاجِينِ وَالأَكْحَالِ وَالشِّيَافَاتِ ^١ وَنَحْوِهَا ، وَمَوَاضِعَ تَخْزِنَ فِيهَا الحَوَاصِلَ ، وَجَعَلَ مَكَانًا تُفَرَّقُ فِيهِ الأَشْرِبَةُ وَالأَدْوِيَةُ ، وَمَكَانًا يَجْلِسُ فِيهِ رَئِيسُ الأَطِبَّاءِ لِإِلْقَاءِ دَرَسِ طِبِّ ، وَلَمْ يَخْضُرْ /عِدَّةَ المَرَضَى ، بَلْ جَعَلَهُ سَبِيلًا لِكُلِّ مَنْ يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ غَنِيِّ وَفَقِيرٍ ، وَلَا حَدَدَ مُدَّةَ إِقَامَةِ المَرِيضِ بِهِ ، بَلْ يُرْتَّبُ مِنْهُ لِمَنْ هُوَ مَرِيضٌ بِدَارِهِ سَائِرَ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ .

وَوَكَّلَ الأَمِيرَ عِزَّ الدِّينِ أَيْتِكَ الأَقْرَمَ الصَّالِحِيَّ أَمِيرَ جُنْدَارٍ ^٢ ، فِي وَقْفِ مَا عَيَّنَّهُ مِنَ المَوَاضِعِ وَتَرْتِيبِ أَرْبَابِ الوُظَايِفِ وَغَيْرِهِمْ . وَجَعَلَ النُّظَرَ لِنَفْسِهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ لِأَوْلَادِهِ ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِمْ لِحَاكِمِ المَسْلَمِينَ الشَّافِعِيِّ . فَضَمَّنَ وَقْفَهُ كِتَابًا تَارِيخَهُ ^٣ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ثَالِثَ عَشْرِينَ صَفَرِ سَنَةِ

(a-a) إضافة من المسوِّدة . (b) إضافة من المسوِّدة . (c) بولاق : على مثلي ومن دوني .

^١ الشِّيَافَاتُ : أَدْوِيَةٌ لِلعَيْنِ وَنَحْوِهَا .
^٢ انظر مراجع ترجمة الأمير عز الدين أيتك الأقرم الصالحى النجمي ، المتوفى سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٦م ، فيما يلي ٨٠٤ .
^٣ وَصَلَ إلَيْنَا كِتَابُ وَقْفِ السُّلْطَانِ المَنْصُورِ قَلَاوُونَ عَلَى مَصَالِحِ البِيْمَارِسْتَانِ المَنْصُورِيِّ وَهُوَ مَحْفُوظٌ بِمَجْمُوعَةِ مَحْكَمَةِ الأَحْوَالِ الشَّخْصِيَّةِ بِدَارِ الوَثَائِقِ القَوْمِيَّةِ بِالقَاهِرَةِ ، وَنَشَرَهُ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ أَمِينٌ بِعَنْوَانِ : «وَثَائِقُ وَقْفِ السُّلْطَانِ قَلَاوُونَ عَلَى البِيْمَارِسْتَانِ المَنْصُورِيِّ» فِي نَهَايَةِ الجُزْءِ الأَوَّلِ مِنْ كِتَابِ «تَذَكُّرَةِ النَّبِيِّ» لِابْنِ حَبِيبٍ ، القَاهِرَةِ - دَارِ الكُتُبِ المِصْرِيَّةِ ١٩٧٦ ، ٢٩٥-٣٩٦ .

ثمانين وست مائة^١. ولما قرئ عليه كتاب الوقف، قال للشجاعى: ما رأيتُ خطَّ الأُسعد كاتبى مع خُطوطِ القضاة، أبصر إيش فيه زغل حتى ما كتب عليه. فما زال يقرب لذهنه أن هذا إما لا يكتب عليه إلا قضاة الإسلام حتى فهم ذلك.

فبلغ مَضروفُ الشراب منه في كل يوم خمس مائة رطل سوى السكر. ورثت فيه عدة ما بين أمين ومباشر، وجعل مباشرين للإدارة - وهم الذين يضبطون ما يشتري من الأصناف، وما يُحضّر منها إلى المارستان - ومباشرين لاستخراج مال الوقف، ومباشرين في المطبخ، ومباشرين في عمارة الأوقاف التي تتعلق به.

وقرر في القبة خمسين مقررًا يتناوبون قراءة القرآن ليلاً ونهارًا، ورثت بها إمامًا راتبًا، وجعل بها رئيسًا للمؤذنين عندما يؤذنون فوق منارة ليس في إقليم مصر أجل منها. ورثت بهذه القبة درسًا لتفسير القرآن فيه مدرّس ومُعيدان وثلاثون طالبًا، ودرس حديث نبوي، وجعل بها خزانة كتب^١ وستة خدام طواشيئة لا يزالون بها. ورثت بالمدرسة إمامًا راتبًا، ومُتصدّرًا لإقراء القرآن، ودروسًا أربعة للفقهاء على المذاهب الأربعة. ورثت بمكتب السبيل معلمين يُقرئان الأيتام، ورثت للأيتام رطلين من الخبز في كل يوم لكل يتيم مع كسوة الشتاء والصيف.

فلما ولي الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك نظر المارستان^٢ في سنة ست وعشرين وسبع مائة^٣، أنشأ به قاعة للمرضى، ونحت الحجازة المبنى بها الجدر كلها حتى صارت كأنها جديدة، وجدّد تذهيب الطراز بظاهر المدرسة والقبة، وعمل خيمة^٤ (ذرعها مائة ذراع، نشرها من أول جدار القبة بجوار المدرسة الناصرية إلى آخر حد المدرسة المنصورية بحذاء الصاعّة، لأجل مقاعد الأقباص حتى تظلمهم من حرّ الشمس، وصنع لها حبالًا تمُدُّ بها وقت الحرّ وتُجمع إذا زالت عنهم الشمس، وجعلها مرتفعة في الجو^٥) ونقل أيضًا حوض ماء كان يرسم شرب البهائم من جانب باب المارستان وأبطله لتأذي الناس بتين رائحة ما يجتمع قدامه من الأوساخ، وأنشأ سبيل ماء^٦ (باب المارستان^٦) يشرب منه الناس عوض الحوض المذكور^٧. (وصرف كلفة ذلك كله من ماله، ولم يصرف عليه شيئًا من مال الوقف^٨).

(a-a) إضافة من المسوّدة. (b-b) هذه العبارة من المسوّدة عوضًا عن ما ورد في النسخ وهو: «تظل الأقباص طولها مائة ذراع، قام بذلك من ماله دون مال الوقف».

^١ انظر فيما تقدم ٥١٣.

^٢ هو السبيل المعروف به سبيل الناصر محمد ابن (انظر الصورة).

قلاوون، أقدم أسبلة القاهرة، وهو مسجل بالآثار برقم ٥٦١

وقد تَوَرَّعَ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الدِّيَانَةِ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْمَدْرَسَةِ الْمَنْصُورِيَّةِ وَالْقُبَّةِ، وَعَابُوا الْمَارِشْتَانَ لِكَثْرَةِ عَسْفِ النَّاسِ فِي عَمَلِهِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا وَقَعَ اخْتِيَارُ السُّلْطَانِ عَلَى عَمَلِ الدَّارِ الْقُطَيْبِيَّةِ مَارِسْتَانًا، نَدَبَ الطَّوَّاشِي حُسَامَ الدِّينِ بِلَالًا الْمَغِيثِي لِلْكَلامِ فِي شِرَائِهَا. فَسَاسَ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ حَتَّى أَنْعَمَتْ مُؤَيَسَةُ خَاتُونُ بَيْتِهَا، عَلَى أَنْ تُعَوِّضَ عَنْهَا بِدَارٍ تَلَمَّهَا وَعِيَالِهَا، فَعَوِّضَتْ قَصْرَ الزُّمُرْدِ بِرَحْبَةِ بَابِ الْعِيدِ مَعَ مَبْلَغِ مَالٍ حَمِلَ إِلَيْهَا، وَوَقَعَ الْبَيْعُ عَلَى هَذَا.

فَنَدَبَ السُّلْطَانُ الْأَمِيرَ سِنَجِرَ الشُّجَاعِي لِلْعِمَارَةِ، فَأَخْرَجَ النِّسَاءَ مِنَ الْقُطَيْبِيَّةِ مِنْ غَيْرِ مُهْلَةٍ، وَأَخَذَ ثَلَاثَ مِائَةِ أَسِيرٍ، وَجَمَعَ صُنَّاعَ الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِأَنْ يَعْمَلُوا بِأَجْمَعِهِمْ فِي الدَّارِ الْقُطَيْبِيَّةِ، وَمَنْعَهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا لِأَحَدٍ فِي الْمَدِينَتَيْنِ شُغْلًا، وَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ - وَكَانَ مُهَابًا - فَلَازَمُوا الْعَمَلَ عِنْدَهُ، وَنَقَلَ مِنْ قَلْعَةِ الرَّوَضَةِ مَا اخْتِاجَ إِلَيْهِ مِنَ الْعُمْدِ الصُّوَانِ وَالْعُمْدِ الرَّخَامِ وَالْقَوَاعِدِ وَالْأَعْتَابِ وَالرَّخَامِ الْبَدِيعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ^١. وَصَارَ يَرْكَبُ إِلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ، وَيَتَّقِلُ الْأَنْقَاضَ الْمَذْكُورَةَ عَلَى الْعَجَلِ إِلَى الْمَارِشْتَانَ، وَيَعُودُ إِلَى الْمَارِشْتَانَ، فَيَقِفُ مَعَ الصُّنَّاعِ عَلَى الْأَسَاقِيلِ حَتَّى لَا يَتَوَانَوْا فِي عَمَلِهِمْ. وَأَوْقَفَ مَمَالِيكَهَ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ، فَكَانَ إِذَا مَرَّ أَحَدٌ - وَلَوْ جَلًّا - أَلْزَمُوهُ أَنْ يَرْفَعَ حَجْرًا وَيُلْقِيهِ فِي مَوْضِعِ الْعِمَارَةِ، فَيَنْزِلُ الْجُنْدِيُّ وَالرَّئِيسُ عَنْ فَرَسِهِ حَتَّى يَفْعَلَ ذَلِكَ.

فَتَرَكَ أَكْثَرَ النَّاسِ الْمُرُورَ مِنْ هُنَاكَ، وَرَتَّبُوا - بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْعِمَارَةِ وَتَرْتِيبِ الْوَقْفِ - قُتْيَا صُورَتَهَا: «مَا يَقُولُ أَيْمَةُ الدِّينِ فِي مَوْضِعِ أَخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ كُرْهًا، وَغَمْرٌ بِمُسْتَحْتَبِينَ يَعْسِفُونَ الصُّنَّاعَ، وَأَخْرَبَ مَا عَمَّرَهُ الْغَيْرُ وَنَقَلَ إِلَيْهِ مَا كَانَ فِيهِ فَعَمَّرَ بِهِ؛ هَلْ تَجُوزُ الصَّلَاةُ فِيهِ أَمْ لَا؟». فَكَتَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ: «لَا تَجُوزُ فِيهِ الصَّلَاةُ».

فَمَا زَالَ الْمَجْدُ عَيْسَى بْنُ الْحَشَّابِ حَتَّى أَوْقَفَ الشُّجَاعِي عَلَى ذَلِكَ، فَشَقَّ عَلَيْهِ؛ وَجَمَعَ الْقُضَاةَ وَمَشَايخَ الْعِلْمِ بِالْمَدْرَسَةِ الْمَنْصُورِيَّةِ، وَأَعْلَمَهُمْ بِالْقُتْيَا. فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِشَيْءٍ سِوَى الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْمَرْجَانِيِّ، فَإِنَّهُ قَالَ: «أَنَا أَفْتَيْتُ بِمَنْعِ الصَّلَاةِ فِيهَا، وَأَقُولُ الْآنَ إِنَّهُ يُكْرَهُ الدُّخُولُ مِنْ بَابِهَا، وَنَهَضَ قَائِمًا، فَانْفَضَّ النَّاسُ».

وَاتَّفَقَ أَيْضًا أَنَّ الشُّجَاعِي مَا زَالَ بِالشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْمَرْجَانِيِّ يُلْخِ فِي سُؤَالِهِ أَنْ يَعْمَلَ مِيعَادًا وَعَظْمًا بِالْمَدْرَسَةِ الْمَنْصُورِيَّةِ، حَتَّى أَجَابَ بَعْدَ تَمَنُّعٍ شَدِيدٍ. فَحَضَرَ الشُّجَاعِي وَالْقُضَاةَ، وَأَخَذَ الْمَرْجَانِي فِي ذِكْرِ وِلَاةِ الْأُمُورِ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ وَالْقُضَاةِ، وَذَمَّ مَنْ يَأْخُذُ الْأَرْضِي غَضَبًا وَيَسْتَحْتِ الْعُمَالَ فِي

عمائره ، ويُتَقَصُّ من أجورهم ، وَخَتَمَ بقوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا لَيْتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الآية ٢٧ سورة الفرقان] ، وقام فسأله الشُّجَاعِي الدُّعَاءَ له ، فقال : يا عَلَمَ الدِّينِ / قد دَعَا لك ودَعَا عَلَيْكَ من هو خَيْرٌ مِنِّي ، وَذَكَرَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ ، وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْتَقُّ عَلَيْهِ» . وَانصَرَفَ .

فصار الشُّجَاعِي من ذلك في قَلْبِي ، وَطَلَبَ الشَّيْخُ تَقِيَّ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ دَقِيقِ العِيدِ - وكان له فيه اعتقادٌ حَسَنٌ - وَفَاوَضَهُ في حَدِيثِ النَّاسِ في مَنَعِ الصَّلَاةِ في المَدْرَسَةِ ، وَذَكَرَ له أَنَّ السُّلْطَانَ إِنَّمَا أَرَادَ مُحَاكَاةَ نُورِ الدِّينِ الشَّهِيدِ وَالاقتداءَ به ، لِرَغْبَتِهِ في عَمَلِ الخَيْرِ ، فَوَقَعَ النَّاسُ في القَدْحِ فيه ، وَلَمْ يَقْدَحُوا في نُورِ الدِّينِ . فقال له : إِنَّ نُورَ الدِّينِ أَسْرَ بعضِ مُلُوكِ الفِرَاجِ وَقَصَدَ قَتْلَهُ ، فَفَدَى نَفْسَهُ بِتَسْلِيمِ خَمْسَةِ قِلَاعٍ ، وَخَمْسِ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ حَتَّى أَطْلَقَهُ ، فَمَاتَ في طَرِيقِهِ قَبْلَ وُصُولِهِ مَمْلَكَتِهِ ، وَعَمَّرَ نُورُ الدِّينِ بِذَلِكَ المَالِ مَارِسْتَانَهُ بِدِمَشْقَ من غيرِ مُسْتَحْتِثٍ . فَمَنْ أَيْنَ يا عَلَمَ الدِّينِ تَجِدُ مَالًا مِثْلَ هَذَا المَالِ ، وَسُلْطَانًا مِثْلَ نُورِ الدِّينِ ؟ غَيْرَ أَنَّ السُّلْطَانَ له نِيَّتُهُ ، وَأَرْجُو له الخَيْرَ بِعِمَارَةِ هَذَا المَوْضِعِ . وَأَنْتَ إِنْ كَانَ وَقُوفُكَ في عَمَلِهِ بِنِيَّةِ نَفْعِ النَّاسِ فَلَكَ الأَجْرُ ، وَإِنْ كَانَ لِأَجْلِ أَنْ يَعْلَمَ أَسْتَاذُكَ غُلُوَّ هِمَّتِكَ فَمَا حَصَلَتْ عَلَيَّ شَيْءٌ . فقال الشُّجَاعِي : اللهُ المَطْلِعُ على النِّيَّاتِ . وَقَرَّرَ ابنَ دَقِيقِ العِيدِ في تَدْرِيسِ القُبَّةِ .

قال مؤلفه: إن كان التَّخْرُجُ مِنَ الصَّلَاةِ لِأَجْلِ أَخْذِ الدَّارِ القُطَيْبِيَّةِ مِنْ أَهْلِهَا بِغَيْرِ رِضَاهِمَ ، وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْهَا بِعَشْفٍ ، وَاسْتِعْمَالِ أَنْقَاضِ القَلْعَةِ بِالرَّوْضَةِ ؛ فَلَعَمْرِي مَا تَمْلِكُ بَنِي أَيُّوبَ الدَّارَ القُطَيْبِيَّةَ وَبِنَاؤَهُمْ قَلْعَةَ الرَّوْضَةِ وَإِخْرَاجَهُمْ أَهْلَ القُصُورِ مِنْ قُصُورِهِمُ الَّتِي كَانَتْ بِالقَاهِرَةِ ، وَإِخْرَاجَ سُكَّانِ الرَّوْضَةِ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ ، إِلَّا كَأَخْذِ قِلَاوُونَ الدَّارِ المَذْكُورَةِ وَبِنَائِهَا بِمَا هَدَمَهُ مِنَ القَلْعَةِ المَذْكُورَةِ ، وَإِخْرَاجِ مُؤَنِسَةَ وَعِيَالِهَا مِنَ الدَّارِ القُطَيْبِيَّةِ . وَأَنْتَ إِنْ أَمَعَنْتَ النُّظَرَ وَعَرَفْتَ مَا جَرَى ، تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ مَا القَوْمُ إِلَّا سَارِقٌ مِنْ سَارِقِي ، وَغَاصِبٌ مِنْ غَاصِبِي . وَإِنْ كَانَ التَّخْرُجُ مِنَ الصَّلَاةِ لِأَجْلِ عَشْفِ العُمَّالِ وَتَشْخِيرِ الرُّجَالِ فَشَيْءٌ آخَرَ . بالله عَرَفْتَنِي - فَإِنِّي غَيْرُ عَارِفٍ - مَنْ مِنْهُمْ لَمْ يَسْأَلْكَ في أَعْمَالِهِ هَذَا السَّبِيلَ ؟ غَيْرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ أَظْلَمُ مِنْ بَعْضٍ .

وقد مدَّح غير واحد من الشعراء هذه العِمَارَةَ ، مِنْهُمْ شَرَفُ الدِّينِ البُوصَيْرِي فقال :

^١ انظر كذلك نقد المقرئ لنظام الممالك ، فيما تقدم ٣ : ٦٩٣ ، وأبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٤ : ١٥٤ : ٤ - ٥ .

[الطويل]

ومدرسة ود الخوزنق أنه
مدينة علم والمدارس حولها
تبدت فأخفى الظاهرية نورها
بناء كأن النخل هندس شكله
بناها سعيد في بقاع سعيدة
ومن حيث ما وجهت وجهك نحوها
إذا قام يدعرو الله فيها مؤذنين
لديها حظير والسديد غدير
قري أو نجوم بذهن منير
وليس بظهير للنجوم ظهور
ولانت له كالشمع فيه صخور
بها سعدت قبل المدارس نور
تلقتك منها نضرة وسرور
فما هو إلا للنجوم سيمير

١٠ (وفي سنة سبع وأربعين وسبع مائة بنى الأمير أرغون العلامي، لما ولي نظراً المارستان كتاب الأيتام والحائوت المعد لسبيل الماء تحته على يسرة الداخل من باب المارستان، وجعل لذلك وقفاً استجده.

١٥ وما زال أمر هذا المارستان في زيادة من القوة ووفور من الحرمة، بحيث أنه إذا تأمر أحد من الأمراء - جليلاً كان فيهم أو حقيراً - لا بد أن ينزل من القلعة عندما يُخلع عليه ليخلف عند قبر الملك المنصور بالقبّة من المارستان، ويكون ليوم التخليف اجتماع واهتمام في المآكل والمشرب بقدر محل ذلك الأمير وكبير منزلته وعظم رتبته. ولم ينزل ذلك رسمًا جاريًا وحكمًا ماضيًا إلى أن زالت دولة بني قلاوون.

٢٠ وكان من رسوم هذا المارستان رعاية سكانه وتحديده فلا يُمكن والٍ ولا مُختيب أن يخكم في أحد منهم ولا من التعرض إليهم، وإنما يرجع أمرهم إلى الناظر ولا بد أن يكون أكبر أمراء الدولة، ويليه ناظر آخر من أرباب العمائم يُعد من أكابر رؤساء الدولة - ويُقال لها «الوزارة الصغرى» - إلا أنه منذ ولي الظاهر بزقوق المملكة بطلت أكثر رسومه وانضعت عامة أحواله لاسيما منذ كانت الحوادث والمحجن سنة ست وثمان مائة، وتواترت فتن البلاد الشامية وتغلب عليها المارقون، بطل ما كان يصل إليه من مغللات بلاد الشام وكانت جملة كبيرة، وكثر خراب أوقافه التي بالقاهرة وارتفعت أسعار المبيعات فنقص ما كان به وبطل الخبز الذي كان يُفرق فيه كل يوم على طوائف من أرباب الشر، وبطل ما كان يُصرف منه في كل يوم من السكر وأنواع الأشرية وأصناف العقاقير والأكحال والأدوية والدجاج واللحوم للطوارئ من الناس، وكانت جملة كبيرة^(a)،

(a-a) إضافة من المصوذة.

^aواقْتَصِدَ في مَضْرُوفِهِ وَصَارَ فِيهَا لَا بُدَّ مِنْهُ لِلْمَرْضَى وَأَزْبَابِ الْجَوَامِكِ ، وَمُنِعَ مِنْهُ مَا كَانَ يُضْرَفُ لِلطُّوَارِي إِلاَّ لذي جَاه^a ١ .

المَارِسْتَانُ الْمُؤَيَّدِي

[أثر رقم ٢٥٧]

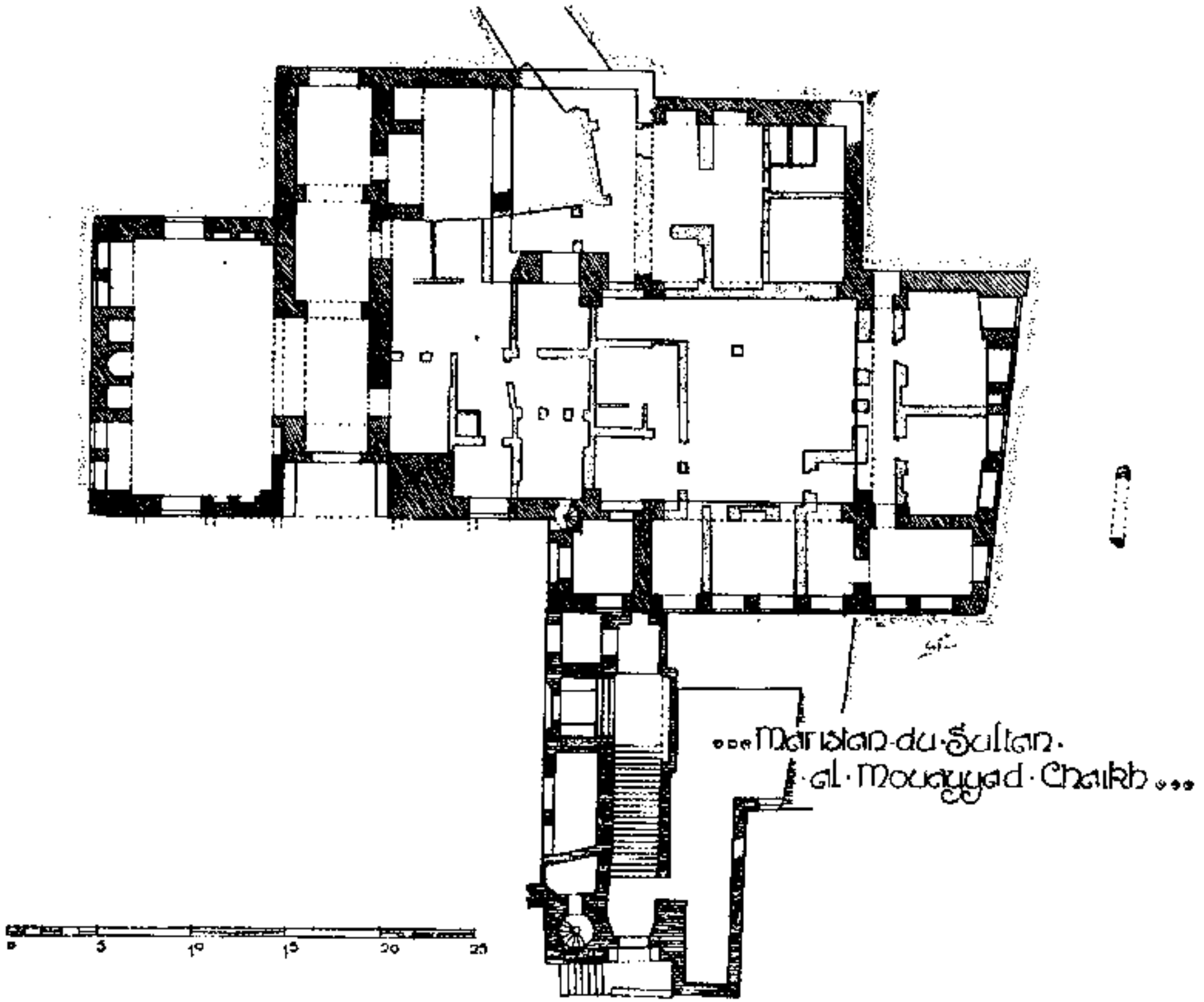
هذا المَارِسْتَانُ فَوْقَ الصُّوَّةِ ، تَجَاهَ طَبْلَخَانَاهِ قَلْعَةِ الْجَبَلِ - حَيْثُ كَانَتْ مَدْرَسَةُ الْأَشْرَفِ شَعْبَانَ ابْنِ حُسَيْنٍ الَّتِي هَدَمَهَا النَّاصِرُ فَرَجُ بْنُ بَرْقُوقٍ ٢ - وَبَابُهُ هُوَ حَيْثُ كَانَ بَابُ الْمَدْرَسَةِ ، إِلاَّ أَنَّهُ ضَيِّقٌ عَمَّا كَانَ . أَنْشَأَهُ الْمُؤَيَّدُ شَيْخٌ فِي مُدَّةٍ أَوَّلَهَا جُمَادَى الْآخِرَةَ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، وَآخِرَهَا رَجَبَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ ، وَنَزَلَ فِيهِ الْمَرْضَى فِي نِصْفِ شَعْبَانَ ، وَعَمِلَتْ مَصَارِفُهُ مِنْ جَمَلَةِ أَوْقَافِ الْجَامِعِ الْمُؤَيَّدِيِّ الْمَجَاوِرِ لِبَابِ زَوَيْلَةَ .

فَلَمَّا مَاتَ الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ فِي ثَامِنِ الْمَحْرَمِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ تَعَطَّلَ قَلِيلًا ، ثُمَّ سَكَنَهُ طَائِفَةٌ مِنْ الْعَجَمِ الْمُسْتَجِدِّينَ فِي رَيْبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْهَا ، وَصَارَ مَنَزِلًا لِلرُّسُلِ الْوَارِدِينَ مِنَ الْبِلَادِ إِلَى السُّلْطَانِ . ثُمَّ عُمِلَ فِيهِ مِثْبَرٌ ، وَرُتِبَ لَهُ خَطِيبٌ وَإِمَامٌ وَمُؤَدِّنُونَ وَبَوَابٌ وَقَوْمَةٌ ، وَأُقِيمَتْ بِهِ الْجُمُعَةُ فِي شَهْرِ رَيْبِيعِ الْآخِرِ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ ٣ . فَاسْتَمَرَ جَامِعًا تُضْرَفُ مَعَالِيمُ أَرْبَابِ وَظَائِفِهِ الْمَذْكُورِينَ مِنْ وَقْفِ الْجَامِعِ الْمُؤَيَّدِيِّ .

(a-a) إضافة من المسوِّدة .

^١ المقرئزي : مسوِّدة الخطط ١٠٥-١٠٦ و .
^٢ انظر فيما تقدم ٢٦٦:٢ هـ ، ٣: ٦٨٨-٦٩١ ، وهذا المجلد ٦٦٦ .
^٣ المقرئزي : السلوك ٤: ٤٥٢ ، ٦١٠ ؛ العيني : عقد الجمان (نشرة القرموط) ١٠٨ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٢: ١٨٦ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ٢: ٣٨ ، ٦٢ ، ٨٣ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥: ٢٨٦ (١٢٦) حيث نشر قسمًا من وقفية المؤيد وفيها تحديد حدوده بأن «حده القبلي ينتهي إلى الصوِّه تجاه القلعة ، والبحري إلى بيت الجناب

الشيخي شتقر المعروف قديمًا بأزغون ، والحده الشرقي إلى ساقية الأشرف وفيه الباب الكبير ومكتب السبيل المعد للأيتام وأحد عشر حائوثًا والسبيل ، والحده الغربي إلى سوق الخيل» ؛ أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ١٧٢-١٧٧ ؛ عبد اللطيف إبراهيم : الوثائق في خدمة الآثار «العصر المملوكي» ، ٢٥٩ ؛ محمد محمد أمين : الأوقاف ١٧٣ ؛ Hampikian, N., *The Bimaristan of al-Mu'ayyad Shaykh and the Area Around*, Ph. D. Thesis AUC 1991 ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٣: ٣٨٥-٤١٠ .



مخطط المارستان المؤيدي (عن لجنة حفظ الآثار)

وضرب الطنابير وعملي القواجش، ومع ذلك ترتبط به الخيول. فكان هذا منذ مات المؤيد إلى هذا الوقت، فطهره الله من تلك الأرجاس وجعله محل عبادة. (السلوك ٦١٠:٤).

أضاف المقرئ في السلوك: «فلما مات - أي المؤيد شيخ - لم يوجد في كتاب الوقف المؤيدي له جهة تصرف، فأخرجت المرصى منه وأغلق، وصار منزلاً للرسل الواردين من جهة الشرق، فبقي حانة خمار يرسم شرب المشكرات

ذِكْرُ الْمَسَاجِدِ

قال ابن سيده: المَسْجِدُ: المَوْضِعُ الذي يُسْجَدُ فيه . وَقَوْلُ ^(a) الزَّجَّاجِ : كُلُّ مَوْضِعٍ يُتَعَبَّدُ فِيهِ فهو مَسْجِدٌ ، أَلَا تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «لَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا» ، وَقَوْلُهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ [الآية ١١٤ من سورة البقرة] . المعنى على هذا المذهب أنه : مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ خَالَفَ قِبْلَةَ الْإِسْلَامِ .

وقد كان حُكْمُهُ أَنْ لَا يَجِيءُ عَلَى «مَفْعِلٍ» ؛ لِأَنَّ حَقَّ اسْمِ الْمَكَانِ وَالْمَصْدَرِ مِنْ فَعَلٍ يَفْعَلُ أَنْ يَجِيءَ عَلَى «مَفْعَلٍ» ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَ الْحُرُوفِ الَّتِي شَدَّتْ فَجَاءَتْ / عَلَى «مَفْعِلٍ» .

قال سيبويه : وَأَمَّا الْمَسْجِدُ فَإِنَّهُمْ جَعَلُوهُ اسْمًا لِلْبَيْتِ ، وَلَمْ يَأْتِ عَلَى «فَعَلٍ يَفْعَلُ» . كَمَا قَالَ فِي الْمُدَّقِ : إِنَّهُ اسْمٌ لِلْجُلْمُودِ ^(b) ، يَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْفِعْلِ ، وَلَوْ كَانَ عَلَى الْفِعْلِ لَقِيلَ مِدَّقٌ لِأَنَّهُ آلَةٌ ، وَالْآلَاتُ تَجِيءُ عَلَى «مِفْعَلٍ» كِمِخْرَزٍ ^(c) وَمِكْنَسٍ وَمِكْنَسَحٍ .

وَالْمَسْجِدَةُ الْخَمْرَةُ الْمَسْجُودِ عَلَيْهَا ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ [الآية ١٨ سورة الجن] قِيلَ هُوَ مَوَاضِعُ الشُّجُودِ مِنَ الْإِنْسَانِ : الْجَبْهَةُ ، وَالْيَدَانِ ، وَالرُّكْبَتَانِ ، وَالرُّجْلَانِ ^١ .

(a) بولاق : وقال . (b) بولاق : الجلود . (c) بولاق : كمخزن .

^١ ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ٧ : ١٨٧ .

وقال الشَّريفُ: مُحَمَّد بن أسعد الجَواني في كتاب «النَّقْط على الخِطَط» عن القاضي أبي عبد الله القُضاعي: إنَّه كان في مصر القُسطاط من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد^١.

وقال المسبَّحي في حوادث سنة ثلاث وأربع مائة: وأحصى أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله المساجد التي لا غلَّة لها، فكانت ثمان مائة مسجد. فأطلق لها في كل شهر من بيت المال تسعة آلاف ومائتين وعشرين دِرْهَمًا. وفي سنة خمس وأربع مائة حبس الحاكم بأمر الله سبع ضياع، منها إطفيح وطوخ، على القراء والمؤذنين بالجوامع، وعلى ملء المصانع والمارستان، وفي ثمن الأكناف^٢.

وذكر ابن المتوج أن عدَّة المساجد بمصر في زمنه أربع مائة وثمانون مسجدًا، ذكرها.

المسجد بجوار دَيْر البغل

قد تقدَّم^٣ في أخبار الكنائس والديارات من هذا الكتاب خبر البغل، وأنه يُعرف بدَيْر القُصير^(a)^٤.

ولما كان في سنة خمس وسبعين وست مائة، خرج جماعة من المسلمين إلى دَيْر البغل، فرأوا آثار محاريب بجوار الدَيْر، فعرفوا الصَّاحب بهاء الدين بن حنا ذلك، فسَيَّر المهندسين لكشف ما ذكر، فعادوا إليه وأخبروه أنه آثار مسجد. فشاوَر الملك الظَّاهر بيبرس، وغمَّره مسجدًا بجانب الدَيْر. وهو عامرٌ إلى الآن وبتُّ به، وهو من أحسنِ مُشرفات مصر، وله وقْفٌ جيِّد ومُرْتبٌ، يقوم به نصارى الدَيْر.

(a) بولاق: دير الفطير.

^١ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ٤٣-٤٤، وفيما تقدم ١٢٣: ٢.

^٢ ستاتي أخبار الكنائس والديارات فيما يلي، ولم تتقدم، راجع حول ترتيب الكتاب المقدمة.

^٣ فيما تقدم ١: ١٩٢: ١٥، وفيما يلي ١٠٢٦.

^٤ المسبَّحي: نصوص ضائعة ٣١، وفيما تقدم ١٧٥.

مسجد ابن الجبّاس

هذا المسجد خارج باب زويلة بالقرب من مُصَلَّى الأموات دون باب اليانسيّة^١، عُرف بالشيخ أبي عبد الله محمد بن عليّ بن أحمد بن محمد بن جَوْشَن، المعروف بابن الجبّاس - بجيم وباء موخّدة بعدها ألف وسين مهملة - القُرشي العُقيلي، الفقيه الشافعيّ المقرئ^٢. كان فاضلاً صالحاً زاهداً عابداً مُقرئاً، كَتَبَ بخطّه كثيراً^(a)، وسمِعَ الحديثَ النبويّ. ومولده يوم السبت سابع عشر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وست مائة بالقاهرة، ووفاته^(b) ٣.

مسجد ابن البتّاء

هذا المسجد داخل باب زويلة، وتُسمّيه العوامُّ سَام بن نُوح النبيّ عليه السلام، وهو من مُختلقاتهم التي لا أصل لها، وإنما يُعرف بـ «مسجد ابن البتّاء»^٤. وسام بن نُوح لعله لم يدخل أرض مصر ألبتّة، فإنَّ الله - سبحانه - لما نجّى نبيّه نُوحاً من الطوفان، خرّج معه من السفينة أولاده الثلاثة، وهم: سَام وحام ويافث. ومن هذه الثلاثة ذراً لله سائر بني آدم، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الآية ٧٧ سورة الصافات]. فقسم نوح الأرض بين أولاده الثلاثة: فصار لسام بن نُوح العراق وفارس إلى الهند، ثم إلى حضرموت وعمّان والبحرين وعالج ويثرب ووبار والدو والذهنا، وسائر أرض اليمن والحجاز. ومن نسله الفرس والشريانيون والعبرانيون والعرب والنبط والعماليق.

(a) بولاق: كتاب. (b) بياض في آياصوفيا وميونخ.

^١ يُرجّح أنّ هذا المسجد هو المكان المعروف الآن بزواية عبّاس الواقعة في شارع الشروحية بالقرب من جامع جنانم الذي أنشأه في سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م الجنابُ الشيفي جَانِم، أخذُ الأمراء العُشراوات وقريب المقر الشيفي يُشَبِّك من مهدي، مكان مُصَلَّى الأموات، وهو أيضاً يقابل باب جامع قُوضون. (السخاوي: تحفة الأحباب ١٠٧-١٠٨؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ١٢٩:٥ (٤٦)).

^٢ راجع ترجمة ابن الجبّاس عند المقرئ في: المقفى الكبير ٢٥٢:٦.

^٣ لم يذكر المقرئ كذلك تاريخ وفاته في المقفى الكبير.

^٤ هو الذي يُعرف الآن باسم «زاوية العقّادين» بجوار سبيل العقّادين بشارع المناخلية (جزء من شارع المعز لدين الله) بالقرب من جامع المؤيد شيخ داخل باب زويلة.

وصار لحام بن نوح الجثوب مما يلي أرض مصر مغرباً إلى المغرب الأقصى ، ومن نسليه الحبشة والزنج ، والقبط سكان مصر وأهل التوبة ، والأفارقة وأهل إفريقية ، وأجناس البربر .

وصار لياث بن نوح بحر الخزر مشرقاً إلى الصين ، ومن نسليه الصقالية والفرنج والروم والقوط ، وأهل الصين واليونانيون والتürk .

٥ (a) وقد بلغني أن هذا المسجد كان كنيسة لليهود القرائيين ، تُعرف بسام بن نوح ، وأن الحاكم بأمر الله أخذ هذه الكنيسة لما هدم الكنائس وجعلها مسجداً . وتزعم اليهود القرائيون الآن بمصر أن سام بن نوح مدفون هنا ، وهم إلى الآن يُحلفون من أسلم منهم بهذا المسجد ، أُخبرني به قاضي اليهود إبراهيم بن فرج الله بن عبد الكافي الداودي العاناني (a) . وليس هذا بأول شيء اختلقته العامة .

١٠ وابن البتاء هذا - هو محمد بن عمر بن أحمد بن جامع بن البتاء ، أبو عبد الله الشافعي المقرئ^١ ؛ سمع من القاضي مجلي وأبي عبد الله الكيزاني^٢ وغيره ، وحدث وأقرأ القرآن ، وانتفع به جماعة وهو منقطع بهذا المسجد .

وكان يُعرف بخطه بين الباتيين ، ثم عُرف بخط الأقباليين ، ثم هو الآن يُعرف بخط الضبيين وباب / القوس .

١٥ ومات ابن البتاء هذا في العشر الأوسط من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين وخمس مائة . وانتفق لي عند هذا المسجد أمرٌ عجيب ، وهو أنني مررتُ من هناك يوماً أغوام بضع وثمانين وسبع مائة - والقاهرة يومئذ لا يمرُّ الإنسان بشارعها حتى يلقي عناءً من شدة ازدحام الناس ، لكثرة مرورهم ركبانا ومشاةً - فعندما حاذيت أول هذا المسجد إذا برجل يمشي أمامي وهو يقول لرفيقه : والله يا أخي ما مررتُ بهذا المكان قط إلا وانقطع نعلي ؛ فوالله ما فرغ من كلامه حتى وطئ شخص ، من كثرة الزحام ، على مؤخر نعليه - وقد مدَّ رجله ليخطو - فانقطع تجاه باب المسجد . فكان هذا من عجائب الأمور وغرائب الاتفاق .

(a-a) وردت هذه العبارة في هامش نسخة ميونخ مسبوقه بقوله : «ووجد بخطه على هامش الأصل» ، وبعد انتهاء العبارة : «انتهى ما ذكره» ؛ ووُردت كذلك في هامش نسخة آياصوفيا .

^١ راجع ترجمة ابن البتاء كذلك عند المنذري : التكملة
^٢ في المقفى : مجلي بن جميع ، وأبي البقاء عمر ابن
محمد المقدسي ، وأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الكيزاني .
لوفيات النقلة ١ : ٢٢١ ؛ المقرئ : المقفى الكبير ٦ : ٤٠٤ .

مسجد الحلبيين

هذا المسجد فيما بين باب الزهومة ودرب شمس الدولة، على يشرة من سلك من حمام خشبية طالبا البندوقيين. بُني على المكان الذي قتل فيه الخليفة الظافر نصر بن عباس الوزير، ودفنه تحت الأرض. فلما قدم طلائع بن رزيك من الأشمونين إلى القاهرة، باستدعاء أهل القصر له ليأخذ بثأر الخليفة، وغلب على الوزارة، استخرج الظافر من هذا الموضع ونقله إلى ثرية القصر، وبني موضعه هذا المسجد وسماه «المشهد»، وعمل له بابين: أحدهما هذا الباب الموجود (بدرج شمس الدولة^a)، والباب الثاني كان يتوصل منه إلى دار المأمون البطائحي - التي هي اليوم مدرسة تُعرف بالشيوية¹ - وقد سُدَّ هذا الباب.

وما برح هذا المسجد يُعرف بالمشهد إلى أن انقطع فيه محمد بن أبي الفضل بن سلطان ابن عمّار بن تمام، أبو عبد الله الحلبي الجعبري المعروف بالخطيب². وكان صالحاً كثير العبادة، زاهداً منقطعاً عن الناس ورعاً، وسمع الحديث وحدث. وكان مولده في شهر رجب سنة أربع وعشرين وست مائة بقلعة جعبر، ووفاته بهذا المسجد - وقد طالَّت إقامته فيه - يوم الاثنين سادس عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسبع مائة، ودُفِنَ بمقابر باب النصر - (ظاهر القاهرة^a) - رحمه الله.

وهذا المسجد من أحسن مساجد القاهرة وأبهجها^(b)³.

(a-a) إضافة من المسوِّدة. (b) العبارة في المسوِّدة: وهو مكان حسن البناء كثير الرخام.

¹ انظر فيما تقدم ٢: ٣٦٥.
² راجع ترجمته عند، المقرئ: المقفى الكبير ٦: ٥٢١؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٤: ٢٥٦.
³ دخل هذا المسجد في أرض المدرسة الشيوية (فيما تقدم ٩٩)، التي حلَّ محلُّها الآن الجامع المعروف بـ«جامع الشيخ مطهر»، الذي عمَّره الأمير عبد الرحمن كئُخذاً القارذغلي سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م، والواقع الآن على يسار

الداخل في شارع المعز لدين الله من جهة شارع جوهر القائد بجوار محلّ السرجاني، ومسجل بالآثار برقم ٤٠. (الجبرتي: عجائب الآثار ٢: ٩؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ٢٦٥ (١١٦)؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٤: ١٦١٩-١٦٤٢). ويقترح صديقي محمد أبو العمام أن مسجد الحلبيين حلَّ موضعه الآن مسجد الجوهري بحارة الجوهري من السكة الجديدة.

مَسْجِدُ الْكَافُورِي

هذا المَسْجِدُ كان في البُيُوتَانِ الْكَافُورِي مِنَ الْقَاهِرَةِ ، بِنَاهُ الْوَزِيرُ الْمَأْمُونُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ ابْنُ فَاتِكِ الْبَطَّائِحِيِّ فِي سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، وَتَوَلَّى عِمَارَتَهُ وَكَيْلَهُ أَبُو الْبَرَكَاتِ مُحَمَّدُ ابْنُ عُثْمَانَ ، وَكَتَبَ اسْمَهُ عَلَيْهِ . وَهُوَ بَاقِي إِلَى الْيَوْمِ بِحُطِّ الْكَافُورِي ، وَيُعْرَفُ هُنَاكَ بِـ «مَسْجِدِ الْخُلَفَاءِ» ، وَفِيهِ نَخْلٌ وَشَجَرٌ ، وَهُوَ مُرْتَحِمٌ زُخَامًا حَسَنًا^(a) .^١

مَسْجِدُ رَشِيدِ الدِّينِ الْبَهَائِيِّ^(b)

هذا المَسْجِدُ خَارِجُ بَابِ زَوَيْلَةَ بِحُطِّ تَحْتِ الرَّبِيعِ ، عَلَى يَمِينِهَا مِنْ سَلَكِ مِنْ دَارِ التُّفَّاحِ يُرِيدُ قَنْطَرَةَ الْخَرْقِ ، بِنَاهُ رَشِيدُ الدِّينِ الْبَهَائِيِّ^٢ .

الْمَسْجِدُ الْمَعْرُوفُ بِزَرْعِ النَّوَى

١٠ هذا المَسْجِدُ خَارِجُ بَابِ زَوَيْلَةَ بِحُطِّ سُوقِ الطُّيُورِ ، عَلَى يَمِينِهَا مِنْ سَلَكِ مِنْ رَأْسِ الْمُنْتَجِبِيَّةِ طَالِبًا جَمَاعِيعِ قُوصُونَ وَالصَّلِيْبِيَّةِ^٣ . وَتَزْعَمُ الْعَامَّةُ أَنَّهُ بُنِيَ عَلَى قَبْرِ رَجُلٍ يُعْرَفُ بِزَرْعِ النَّوَى ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَهَذَا أَيْضًا مِنْ افْتِرَاءِ الْعَامَّةِ الْكَذِبِ ، فَإِنَّ الَّذِينَ أَفْرَدُوا أَسْمَاءَ الصُّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - كَالْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الْبُخَارِيِّ فِي «تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ» ، وَابْنِ

(a) بولاق : برخام حسن . (b-b) إضافة من المُسَوِّدَة .

١ الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ٢٤٧-٢٤٩ ؛ عاصم محمد

رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٣: ١٠١٩-١٠٢٧ ؛ وفيما تقدم (٣٥٦) .

٢ حل محلّه الآن الزاوية المعروفة بـ «زاوية الشيخ بخضر»

الواقعة بشارع الشروجية على رأس دزب الدالي حسين وحارة

عبد الله بك عن يسار السالك إلى شارع محمد علي .

(السخاوي : تحفة الأحياب ١٠٦ ؛ علي مبارك : الخطط

التوفيقية ٦: ٧٢-٧٣ (٢٧) ، ١٣٣ (٤٧) .

١ زال الآن كل أثر لهذا المسجد .

٢ يُرَجَّحُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَسْجِدُ هُوَ الْمَسْجِدُ الْمَعْرُوفُ الْآنَ بِـ «مَسْجِدِ الْمَرْأَةِ» وَبِـ «مَسْجِدِ فَاطِمَةَ سُقْرَاءَ» الْوَاقِعِ بِشَارِعِ تَحْتِ

الرَّبِيعِ عَلَى يَمِينِ الدَّاخِلِ إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ مَيْدَانِ بَابِ الْخَلْقِ ، وَأَنَّ

السُّيُودَةَ فَاطِمَةَ سُقْرَاءَ قَدْ جَدَّدَتْهُ أَوْ أَقَامَتْ فِي مَوْضِعِهِ مَسْجِدًا

جَدِيدًا سَنَةَ ١٨٧٣/١٤٦٨ م . وَجَدَّدَتْ وَزَارَةَ الْأَوْقَافِ

الْمَسْجِدَ سَنَةَ ١٩٠٥ مَعَ الْإِحْتِفَاطِ بِأَجْرَائِهِ الْقَدِيمَةِ وَهِيَ الْبَابُ

الْعُمُومِي وَالْمَنَارَةُ وَالْمُخْرَابُ وَالْمَيْتَرُ . (علي مبارك : الخطط

التوفيقية ٣: ٢٠٥ (٥١) ، ٢٥٨:٥ (١١٣) ؛ حسن عبد

أبي خَيْثَمَةَ ، والحافظ أبي عبد الله بن مُنْذِر ، والحافظ أبي نُعَيْمِ الأَصْفَهَانِي ، والحافظ أبي عُمَرَ ابن عبد البَرِّ ، والفقيه الحافظ أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حَزْم ، لم يذْكر أَحَدٌ منهم صحابيًا يُعرَف بزُرع التَّوْبَى .

وقد ذِكرَ في أخبار القَرَّاقَةِ من هذا الكِتَاب «مَنْ قَبِرَ بِمِصْرَ مِنَ الصَّحَابَةِ» ، وَذِكرَ في أخبارِ مَدِينَةِ قُسْطَاطِ مِصْرَ أَيْضًا «مَنْ دَخَلَ مِصْرَ مِنَ الصَّحَابَةِ» ، وليس هذا منهم .

وهذا إن كان هناك قَبْرٌ فهو لِأَمِينِ الأَمْنَاءِ أَبِي عبدِ اللهِ الحُسَيْنِ بنِ طَاهِرِ الوَزَّانِ . وكان من أمرِهِ أَنَّ الخَلِيفَةَ الحَاكِمَ بِأَمْرِ اللهِ أبا عَلِيٍّ مَنصُورَ بنِ العَزِيزِ باللهِ ، خَلَعَ عَلَيْهِ لِلوَساطَةِ بَيْنِهِ وَبَيْنِ النَّاسِ ، وَالتَّوْقِيعُ^١ عَنِ الحَضْرَةِ ، فِي شَهْرِ رَبيعِ الأَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِ مائَةٍ . وَكان قَبْلَ ذَلِكَ يَتَوَلَّى بَيْتَ المَالِ ، فَاسْتَخْدَمَ فِيهِ أَنحَاهُ أبا الفَتْحِ مَسْعُودًا . وَكان قَدْ ظَفِرَ بِمالٍ يَكُونُ عَشْرَاتِ أُلُوفٍ^٢ وَضِياعَاتٍ وَأَمْتِعةً وَطَرائِفَ وَفَرَشٍ وَغَيرِ ذَلِكَ ، فِي عِدَّةِ أَذْرٍ بِمِصْرَ ، وَجَميعُهُ مِمَّا خَلَفَهُ قَائِدُ القُوادِ الحُسَيْنِ بنِ جَوْهَرَ القائِدِ . فَباعَ المَتاعَ ، وَأضافَ ثَمَنَهُ إِلى العَيْنِ ، فَحَصَلَ مِنْهُ مالٌ كَثيرٌ ، وَطالَعَ بِهِ^٣ الحَاكِمَ بِأَمْرِ اللهِ فَأَمَرَ^٤ بِهِ أَجْمَعَ لورثة / قَائِدِ القُوادِ ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ مِنْهُ لِشَيْءٍ .

وَكَثُرَتْ صِلاتُ الحَاكِمِ وَعَطاؤُهُ وَتَوَقِيعاتُهُ بِما يُطَلِقُ فِي ذَلِكَ . فَاتَّصَلَ بِهِ عَنِ الأَمْنَاءِ بَعْضُ التَّوْقِيفِ ، فَخَرَجَتْ إِليه رُفْعَةٌ بِحَظِّهِ فِي الثَّامِنِ وَالعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِ مائَةٍ ، نُسَخَتْها :

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ :

[السريع]

أَصْبَحْتُ لا أَرْجُو ولا أَتَقِي إِلا إِلَهِي وَلَهُ القَضْلُ
جَدِّي نَبِيِّ وَامامِي أَبِي وَدِينِي الإِخْلاصُ وَالعَدْلُ

ما عِنْدَكم يَنْقَدُ ، وما عِنْدَ اللهِ باقِي ، المَالُ مالُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالخَلِيقُ عِيالُ اللهِ ، وَنَحْنُ أَمْنائُهُ فِي الأَرْضِ ، أَطَلِقَ أَرْزاقَ النَّاسِ وَلا تَقَطَّعْها ، وَالسَّلَامُ .

وَلَمْ يَزَلْ عَلَيَّ ذَلِكَ إِلى أَنْ بَطَلَ أمرُهُ فِي جُمادى الآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ خَمْسِ وَأَرْبَعِ مائَةٍ ، وَذلك أَنَّهُ

(a) بياض في بولاق . (b) ساقطة من بولاق .

^١ حاشية بخط المؤلف : «التَّوْقِيعُ يُعرَفُ اليَوْمَ بِوِظيفَةِ كِتابَةِ السَّرِّ» .

رَكِبَ مع الحَاكِمِ على عَادَتِهِ ، فَلَمَّا حَصَلَ بِحَارَةِ كُنَامَةِ خَارِجِ الْقَاهِرَةِ^١ ، ضَرَبَ رَقَبَتَهُ هُنَاكَ ، وَذَفِنَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَخْمِينًا . وَاسْتَحْضَرَ الْحَاكِمِ جَمَاعَةَ الْكُتَّابِ بَعْدَ قَتْلِهِ ، وَسَأَلَ رُؤَسَاءَ الدَّوَابِنِ عَمَّا يَتَوَلَّاهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، وَأَمَرَهُمْ بِلُزُومِ دَوَابِنِهِمْ وَتَوَفُّرِهِمْ عَلَى الْخِدْمَةِ^٢ .

وَكَانَتْ مُدَّةُ نَظَرِ ابْنِ الْوَزَّانِ فِي الْوَسَاطَةِ وَالتَّوْقِيعِ عَنِ الْحَضْرَةِ - وَهِيَ رُتْبَةُ الْوِزَارَةِ - سَنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا . وَكَانَ تَوْقِيعُهُ عَنِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ :
«الْحَمْدُ لِلَّهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلِي»^٣ .

مَسْجِدُ الذَّخِيرَةِ

هَذَا الْمَسْجِدُ تَحْتَ قَلْعَةِ الْجَبَلِ^(a) بِأَوَّلِ الرَّهْمِيَّةِ تَجَاهَ شَبَايِكِ مَدْرَسَةِ السُّلْطَانِ حَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ قَلَاوُونَ الَّتِي تَلِي بَابَهَا الْكَبِيرَ الَّذِي سَدَّهُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بَرْقُوقُ^٥ . أَنْشَأَهُ ذَخِيرَةُ الْمَلِكِ جَعْفَرُ مُتَوَلِّي الشَّرْطَةِ^٦ .

قَالَ ابْنُ الْمَأْمُونِ فِي «تَارِيخِهِ» : وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ - يَعْنِي سَنَةَ عَشْرِ^(b) وَخَمْسِ مِائَةٍ - اسْتُخْدِمَ ذَخِيرَةُ الْمَلِكِ جَعْفَرُ فِي وِلَايَةِ الْقَاهِرَةِ وَالْحَيْبَةِ بِسَجَلٍ أَنْشَأَهُ ابْنُ الصَّيْرِفِيِّ ، وَجَرَى مِنْ عَسْفِهِ وَظُلْمِهِ

(a) أَضَافَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : فِي سَوَاقِ الْخَيْلِ . (b) فِي بُولَاقٍ : سِتْ عَشْرَةَ ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ نَسَخَتِي مِيُونِخَ وَالْفَاتِحِ ، وَأَضَافَتْ نَسْخَةُ أَيَّاصُوفِيَا «سِتْ» فِي الْهَامِشِ .

^١ انْفَرَدَ ابْنُ دُقْمَاقٍ بِذِكْرِ حَارَتَيْنِ (حِطَّيْنِ) لِكُنَامَةِ : وَاحِدَةٌ دَاخِلَ الْقَاهِرَةِ ، وَهِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُقْرِيزِيُّ (فِي مَا تَقَدَّمَ ٢٨:٣) ، وَالْأُخْرَى ظَاهِرُ الْقَاهِرَةِ خَارِجَ بَابِ الْحَزْقِ يَبْدُو أَنَّهَا هِيَ الْمَقْصُودَةُ فِي النَّصِّ الَّذِي نَقَلَهُ الْمُقْرِيزِيُّ هُنَا عَنْ ابْنِ الصَّيْرِفِيِّ (الْإِتِّصَارُ ٥: ٣٧) وَكَذَلِكَ ابْنُ سَعِيدٍ : النُّجُومُ الزَاهِرَةُ ٦٥؛ الْمُقْرِيزِيُّ : اتِّعَاطُ الْخَنَفَا ٢: ١٠٨) .

^٢ هَذَا النَّصُّ نَقَلَهُ الْمُقْرِيزِيُّ مِنْ ابْنِ الصَّيْرِفِيِّ : الْإِشَارَةُ إِلَى مَنْ نَالَ الْوِزَارَةَ ٥٩ - ٦١ ، وَقَارَنَ أَيْضًا مَعَ الْمُقْرِيزِيِّ : اتِّعَاطُ الْخَنَفَا ٢: ١٠٨؛ أَبِي الْمَحَاسَنِ : النُّجُومُ الزَاهِرَةُ ٥: ٨١ ، ١٨٢ حَيْثُ نَسَبَ الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةَ فِي النَّصِّ ، مَرَّةً إِلَى الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ وَمَرَّةً أُخْرَى إِلَى الْإِمْرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ .

^٣ عَنْ «التَّوْقِيعِ» أَوْ «الْعَلَامَةِ» ، انْظُرْ فِيمَا تَقَدَّمَ ٢: ٣٣٨ هـ^١ .

^٤ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : الرُّوْضَةُ الْبَهِيَّةُ ١٠٠ .

^٥ فِيمَا تَقَدَّمَ ٢٨٢ ، ٣٤٢ .

^٦ ذَخِيرَةُ الْمَلِكِ جَعْفَرُ بْنُ غُلَوَانَ ، ذَكَرَ الْمُقْرِيزِيُّ فِي الْمَقْضَى الْكَبِيرِ ٣: ٣٩ ، أَنَّ الْإِمْرَ بِأَحْكَامِ اللَّهِ وَأَلَاهُ وَوِلَايَةِ الْقَاهِرَةِ وَالْحَيْبَةِ فِي سَنَةِ ٥١٢ هـ / ١١١٨ م ؛ وَفِي اتِّعَاطِ الْخَنَفَا ٣: ٢١ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي سَنَةِ ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م ، وَفِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ لِلنُّوْبَرِيِّ ٢٨: ٢٧٨ أَنَّهُ رُتِبَ فِي وِلَايَةِ الْقَاهِرَةِ وَالْحَيْبَةِ سَنَةَ ٥١١ هـ / ١١١٧ م ؛ وَانْفَرَدَ ابْنُ مَيْسَرٍ فِي أَخْبَارِ مِصْرَ ٦٥ بِالْقَوْلِ بِأَنَّهُ كَانَ عَلَى وِلَايَةِ الْقَاهِرَةِ فِي سَنَةِ ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧ م =

ما هو مشهور، وبنى المسجد الذي ما بين الباب الجديد^١ إلى الجبل الذي هو به معروف. وسُمي «مسجد لا بالله» بحكم أنه كان يقبض الناس من الطريق ويعسفهم، فيحلفونه ويقولون له: «لا بالله»، فيقيدهم ويستعملهم فيه بغير أجر، ولم يعمل فيه منذ أنشأه إلا صنائع مكرهه أو فاعل مقيد. وكتب عليه هذه الأبيات المشهورة:

[الطول]

بني مسجداً لله من غير حله وكان بحمد الله غير موفقي
كمطعمه الأيتام من كد فرجها لك الويل لا تزني ولا تصدقي

وكان قد أبدع في عذاب الجناة وأهل الفساد، وخرج عن محكم الكتاب، فابتهل بالأمراض الخارجة عن المعتاد، ومات بعدما عجل الله له ما قدمه، وتجنب الناس تشييعه والصلاة عليه، وذكر عنه في حالتي غسله وحلوله بقبيره ما يعيد الله كل مسلم من مثله^٢.

وقال ابن عبد الظاهر: مسجد الذخيرة تحت قلعة الجبل، وذكر ما تقدم عن ابن المأمون^٣.

(وعنه المقرئ: اتعاظ الحنفا ٣: ٢١).
وذكر القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٨٣ أنه رأى في بعض سجلات الفاطميين إضافة الحيشة بمصر والقاهرة إلى صاحبي الشرطة بهما أحياناً، ولما كان والي القاهرة قد جمع ابتداءً من القرن السادس الهجري مهام صاحب الشرطة إلى جانب عمله، فتكون إضافة الحيشة إليه أمراً طبيعياً. (راجع، أمين فؤاد: تنظيم العاصمة المصرية وإدارتها في زمن الفاطميين، حوليات إسلامية ٢٤ (١٩٨٨)، ٧-١٢).

^١ حاشية بخط المؤلف: «الباب الجديد أدركت عقده عند رأس المنجية (المتنجية) يُعرف بباب القوس».

^٢ ابن المأمون: أخبار مصر ٤٤٧ المقرئ: المقفى الكبير ٣: ٣٩.

^٣ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٠٠-١٠١.

هدمت أيضاً وبني عوضها الجامع الذي أمرت بإنشائه، في سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م، خوشيار هاتم والدة الخديو إسماعيل باشا وألحقت به مدافن لها ولأسرتها وقبآن للشيخين: علي أبي شبك ويحيى الأنصاري، إلا أن القمل توقف فيه نحو سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م وظل كذلك نحو ربع قرن، إلى أن استعيد القمل فيه سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م وانفتح للصلاة سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م في عهد الخديو عباس حلمي الثاني وصار يُعرف بـ«جامع الرفاعي». (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ١٣١-١٣٢ (٤٦-٤٧) ١ Herz, M., *La mosquée al-Rifā'i au Caire*, Le Caire 1912; حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية al-Asad, M., «The Mosque of al-Rifā'i in Cairo», *Muqarnas* X (1993), pp. 108-124).

وهذا المسجد زال وحل محله «زاوية الرفاعي» التي

مَسْجِدُ رَسْلَان

هذا المَسْجِدُ بِحَارَةِ الْيَانِسِيَّةِ ، عُرِفَ بِالشَّيْخِ الصَّالِحِ رَسْلَانِ ^(a) بْنِ ^(a) لِإِقَامَتِهِ بِهِ ، وَقَدْ كُتِبَتْ عَنْهُ كَرَامَاتٌ ، وَمَاتَ بِهِ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَتَسْعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، وَكَانَ يَتَّقَوْتُ مِنْ أُجْرَةِ نِخَاطَتِهِ لِلثِّيَابِ . ^(a) وَابْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ رَسْلَانِ كَانَ يَخِيطُ الثِّيَابَ وَيَزْوِي عَنْهُ كَرَامَاتَ ^(a) ، وَابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ رَسْلَانِ ، أَبُو الْقَاسِمِ كَانَ فَتِيهًا مُحَدِّثًا مُقَرَّبًا ، مَاتَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ^١ .

مَسْجِدُ ابْنِ الشَّيْخِي

هذا المَسْجِدُ بِأَخْرَبِ ^(b) حُطُّ الكَافُورِيِّ ، يُمَّا يَلِي بَابَ القَنْطَرَةِ وَجِهَةَ الخَلِيجِ ، مُجَاوِزٌ لِدَارِ ابْنِ الشَّيْخِي ، أَنشَأَهُ المِهْتَارُ ^٢ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلَاءِ الدِّينِ عَلِيِّ الشَّيْخِي ، مِهْتَارُ السُّلْطَانِ بِالإِسْطَبْلَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَقَرَّرَ فِيهِ شَيْخَنَا تَقِيَّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ . فَكَانَ يَتَعَمَلُ فِيهِ مِيعَادًا يَجْتَمِعُ النَّاسُ فِيهِ لِسَمَاعِ وَعُظْمِهِ .

وَكَانَ ابْنُ الشَّيْخِي هَذَا حَشِيمًا فَخُورًا خَيْرًا ، يُحِبُّ أَهْلَ العِلْمِ وَالصَّلَاحِ وَيُكْرِمُهُمْ ، وَلَمْ تَرُ بَعْدَهُ فِي رُتْبَتِهِ مِثْلَهُ ، وَمَاتَ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتَسْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ .

(a-a) إضافة من المُتَوَدِّعِ . (b) ساقطة من بولاق .

^٢ المِهْتَارُ . لَقَّبَ يُطَلَّقُ عَلَى كَبِيرِ كُلِّ طَائِفَةٍ مِنْ غُلَمَانِ البُيُوتِ ، كَمِهْتَارِ الشَّرَابِ خَانَاهُ ، وَمِهْتَارِ الطَّنْبَتِ خَانَاهُ ، وَمِهْتَارِ الرُّكَّابِ خَانَاهُ . وَ«مِهْ» بِكسْرِ المِيمِ مَعْنَاهُ بِالفَارْسِيَّةِ الكَبِيرُ ، وَ«تَار» بِمَعْنَى أَفْعَلِ التَّفْضِيلِ ، فَيَكُونُ مَعْنَى المِهْتَارِ : الأَكْبَرُ . (القَلْقَشَنْدِي : صَبِيحِ الأَعْمَشِيِّ ٥ : ٤٧٠) .

^١ المَوْفِقُ بْنُ عِشْمَانَ : مَرشِدُ الزُّوَارِ ٦٣٤ - ٦٣٦ هـ ابْنُ الزُّبَيْرِ : الكَوَاكِبُ السِّيَارَةُ ٣١١ : السَّخَاوِيُّ : تَحْفَةُ الأَحْبَابِ ٤٤٣٧ : عَلِيُّ مَبَارَكٍ : الخَطَطُ التَّوْفِيقِيَّةُ ٧٦:٦ - ٧٧ (٨) ، ١٣٢ (٤٧) .

وَيُعْرَفُ هَذَا المَسْجِدُ الآنَ بِ«زَاوِيَةِ رَسْلَانِ» بِحَارَةِ الْيَانِسِيَّةِ مِنْ جِهَةِ الرُّفَاقِ المَوْصَلِ إِلَى شَارِعِ المَغْرِبِيِّينَ .

مَسْجِدُ يَانِسَ

هذا المسجد كان تجاه باب سعادة خارج القاهرة^١.

قال ابن المأمون في «تاريخه»: وكان الأجل المأمون - يعني الوزير / محمد بن فاتك البطائحي - قد ضم إليه عدة من مماليك الأفضل بن أمير الجيوش من جملتهم يانس ، وجعله مقدما على صبيان مجلسه ، وسلم إليه بيت ماله ، وميَّره في رؤوميه . فلما رأى المذكور في ليلة النصف من شهر رجب - يعني سنة ست عشرة وخميس مائة - ما عمل في المسجد المستجد قبالة باب الخوخة^٢ من الهمة - ووفور الصدقات وملازمة الصلوات ، وما حصل فيه من المشروبات ، كتبت رقة يسأل فيها أن يُفسخ له في بناء مسجد بظاهر باب سعادة ؛ فلم يجيب المأمون إلى ذلك ، وقال له : ما ثم مانع من عمارة المساجد وأرض الله واسعة ، وإنما هذا الساجل فيه معونة للمسلمين وموزدة للسقائين ، وهو مرسى مراكب العلة ، والمضرة في مضايقة المسلمين فيه منه ، ولو لم يكن المسجد المستجد قبالة باب الخوخة مخرسا لما استجد ، حتى إننا لم نخرج عن مساحته^٣ الأولى ، فإن أردت أن تبني قبلي مسجد الريفي ، أو على شاطئ الخليج ، فالطريق ثم سهلة . فقبل الأرض وامثل الأمر .

فلما قبض على المأمون ، وأمر الخليفة يانس المذكور ، ولم يزل ينقله إلى أن استخذه في حجة بابه ، سأله في مثل ذلك ، فلم يجبه إلى أن أخذ الوزارة ، فبتاه في المكان المذكور . وكانت مدته يسيرة ، فتوفي قبل إتمامه وإكماله ، وكماله أولاده بعد وفاته^٤ . انتهى .

وقد تقدم خبر وزارة أبي الفتح ناظر الجيوش يانس الأزمني هذا عند ذكر الحارة اليانيسية من هذا الكتاب^٤ .

(a) بولاق : نخرج بساحته .

^١ عرف هذا المسجد فيما بعد بزاوية الشيخ محمد

المغربي وكان به ضريح يُعرف بهذا الاسم . ثم تهدم بعد مدة

^٢ فيما يلي ٧١٧ .

وبقي الضريح وبنيت عليه قبة واستمر على ذلك إلى نحو سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م ، ثم هدم ودخل محله في الميدان الذي

^٣ ابن المأمون : أخبار مصر ٣٧-٣٨ ؛ المقرئ : مسودة

الخطط ١١٠و .

كان أمام سراي الأمير منصور باشا والتي حل محلها الآن مبنى مديرية أمن القاهرة . (علي مبارك : الخطط التوفيقية

^٤ فيما تقدم ٤٨:٣ - ٤٩ .

مسجد باب الخوخة

هذا المسجد تجاه باب الخوخة بجوار مدرّسة أبي غالب^١، (على شاطئ الخليج وهو باقٍ إلى الآن^٢). قال ابن المأمون في «تاريخه» من حوادث سنة ست عشرة وخمس مائة: ولما سكن المأمون الأجل دار الذهب^٣ وما معها - يعني في أيام النيل للنزهة عند سكن الخليفة الأمير بأحكام الله بقصر اللؤلؤة المطل على الخليج^٤ - رأى قبالة باب الخوخة محرسًا، فاستدعى وكيله وأمره بأن يُزيل المحرس المذكور، ويبنى موضعه مسجدًا. وكان الصناع يعملون فيه ليلاً ونهارًا، حتى إنّه تقطّر بعد ذلك واحتيج إلى تجديده^٥.

المسجد المعروف بمقعد موسى

هذا المسجد بخط الركن المخلّق من القاهرة، تجاه باب الجامع الأقمر المجاور لحوض السبيل، وعلى يمينه من سلك من بين القصرين طاليتا رجة باب العيد. أول من اختطه القائد جوهر عندما وضع القاهرة.

قال ابن عبد الظاهر: ولما بنى القائد جوهر القصر، دخل فيه دَيْر العظام - وهو المكان المعروف الآن بالركن المخلّق، قبالة حوض الجامع الأقمر وقريب دَيْر العظام، والمصريون يقولون بِئر العظمة

(a-a) إضافة من المستوذة.

توسيع شارع الخليج المصري (بور سعيد). وبما أن «مسجد باب الخوخة» كان مجاورًا له وتجاه باب الخوخة، فيكون موضعه الجامع المعروف الآن بجامع القاضي يحيى زهن الدين» الذي أنشأه، في سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م القاضي يحيى بن عبد الرزاق الزيني القبطي الظاهري الأستاذ المعروف بالأشقر وقريب ابن أبي الفرج، المتوفى سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م. (السخاوي: الضوء اللامع ١٠: ٢٣٤؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ٣٣٣ (١٤٦)؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ٢٣٤-٢٣٧).

^١ فيما تقدم ٦٧٦-٦٧٧.

^٢ فيما تقدم ٢٠٦:٣-٢٠٧.

^٣ فيما تقدم ٥٢٨:٢-٥٣٣.

^٤ هو عديّ الملك أبو البركات بن عثمان، وكيل المأمون البطائحي.

^٥ ابن المأمون: أخبار مصر ٥٦.

وسبق أن ذكرت (فيما تقدم ٦٧٦هـ^١) أن «مدرّسة أبي غالب» حل محلها الجامع المعروف بجامع الحفني الذي كان مقابلًا للمدرّسة الفخرية (جامع البنات)، وأنه أُزيل مع

- فكره أن يكون في القصر دَيْرٌ، فنقل العظام التي كانت به والرَّم إلى دَيْرٍ بناه في الخندق؛ لأنه كان يُقال إنها كانت عظام جماعة من الحواريين، وبني مكانها مسجدًا من داخل الشور^١ - يعني سور القصر.

وقال جامع «السيرة الظاهرية ببيروت»: وفي ذي الحجة سنة ستين وست مائة، ظهر بالمسجد الذي بالركن المخلق من القاهرة حجرٌ مكتوب عليه:

«هذا معبد موسى بن عمران عليه السلام»

فجددت عمارته وصار يُعرف بمعبد موسى من حينئذٍ، ووقف عليه رنق بجانيه^٢، وهو باقٍ إلى وقتنا هذا.

مسجد نجم الدين

هذا المسجد ظاهر باب النصر، أنشأه الملك الأفضل نجم الدين أبو سعيد أيوب بن شاذي ابن يعقوب بن مزوان الكردي، والد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وجعل إلى جانيه

^١ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٥٠، المقرزي: مسوذة المواظ ٣٦٥؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٣٤-٣٥. ويوجد مسجد آخر يُعرف بمسجد موسى بناحية الصف بالحيزة، أنشأه الوزير الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي في شعبان سنة ٥١٥هـ/١١٢٠م، وجدده الخليفة الحافظ لدين الله سنة ٥٣١هـ/١١٣٧م، حيث يحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بلوح من الرخام مستقدم من هذا المسجد بجمل نصين أحدهما باسم الأفضل، والثاني باسم الحافظ لدين الله، نصه:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآية ١٨ سورة التوبة [نشأ هذا المسجد المبارك مؤلانا [وسيدنا أبو الميمون عبد المجيد] الإمام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى [آبائه الطاهرين وأبنايته الأكرمين صلاة دائمة إلى يوم الدين. وذلك في شهر سنة أحد وثلاثين وخمس مائة. (CR de comité XXX (1913), pp. 37, 139-)

Wiet, G., *Inscriptions historiques sur*

pierres, pp. 56-57, n°79; Fu'âd Sayyid, A., *La*

(Capitale de l'Égypte, p. 250

^٢ لم أوقف على هذا الخبر في «الروض الزاهر» لابن عبد

خَوْضَ مَاءٍ لِلسَّبِيلِ تَرِدُهُ الدُّوَابُّ فِي سَنَةِ سِتِّ وَسْتِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ^١.

وَنَجْمُ الدِّينِ هَذَا قَدِيمٌ هُوَ وَأَخُوهُ أَسَدُ الدِّينِ شِيرِكُوهُ مِنْ بِلَادِ الْأَكْرَادِ إِلَى بَغْدَادَ، وَخَدَمَ بِهَا، وَتَرَقَّى فِي الخِدْمِ حَتَّى صَارَ بُرْزَدَارًا^٢ بِقَلْعَةِ تَكْرِيتِ وَمَعَهُ أَخُوهُ. ثُمَّ إِنَّهُ انْتَقَلَ عَنْهَا إِلَى خِدْمَةِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ عِمَادِ الدِّينِ أَتَابِكِ زَنْكِي بِالْمَوْصِلِ، فَخَدَمَهُ حَتَّى مَاتَ، فَتَعَلَّقَ بِخِدْمَةِ ابْنِهِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ نُورِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ زَنْكِي، فَرَفَّاهُ وَأَعْطَاهُ بَعْلَبَكَ، وَخَجَّجَ مِنْ دِمَشْقَ سَنَةَ خَمْسِ وَخَمْسِ مِائَةٍ^٣.

فَلَمَّا قَدِمَ ابْنُهُ صَلاَحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ مَعَ عَمِّهِ أَسَدِ الدِّينِ شِيرِكُوهُ، مِنْ عِنْدِ نُورِ الدِّينِ مُحَمَّدِ إِلَى الْقَاهِرَةِ، وَصَارَ إِلَى وَزَارَةِ الْعَاضِدِ بَعْدَ مَوْتِ شِيرِكُوهُ، قَدِمَ عَلَيْهِ أَبُوهُ نَجْمُ الدِّينِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ خَمْسِ وَسْتِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ، وَخَرَجَ الْعَاضِدُ إِلَى لِقَائِهِ، وَأَنْزَلَهُ بِمَنَاطِرِ اللُّؤْلُؤَةِ^٤.

فَلَمَّا اسْتَبَدَّ صَلاَحُ الدِّينِ بِسُلْطَنَةِ مِصْرَ بَعْدَ مَوْتِ الخَلِيفَةِ الْعَاضِدِ، أَقْطَعَ أَبَاهُ نَجْمُ الدِّينِ الْإِسْكََنْدَرِيَّةَ وَالْبُحَيْرَةَ، إِلَى أَنْ مَاتَ بِالْقَاهِرَةِ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ لِثَلَاثِ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَمَانِ وَسْتِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ - وَقِيلَ فِي ثَامِنِ عَشْرِهِ - مِنْ سَقَطَةِ عَنْ ظَهْرِ فَرَسِهِ خَارِجَ بَابِ النُّصْرِ، فَحُمِلَ إِلَى دَارِهِ، فَمَاتَ بَعْدَ أَيَّامٍ^٥.

(a) بولاق : دزدازا .

المُلُوكُ، المتوفى سنة ٥٦٨هـ/١١٧٣م، عند ابن خلكان :
وفيات الأعيان ١: ٢٦٠-٢٦١؛ أبي شامة : الروضتين
١: ٢٥٩؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٠: ٤٧-٥١؛
المقريزي : المقفى الكبير ٢: ٣٧٨-٣٨١؛ أبي المحاسن :
النجوم الزاهرة ٦: ٦٧-٦٨.

^٤ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ٣١٦-٣١٧؛ أبو شامة :
الروضتين ١: ٤٦٣-٤٦٧.

^٥ انظر أبا شامة : الروضتين ١/٢: ٥٣٣-٥٤٢؛ ابن
واصل : مفرج الكروب ١: ٢٣١-٢٣٢.

^١ ذَكَرَ عَلِيٌّ بِأَسْمَاءِ بَارِكٍ أَنَّ هَذَا الْمَسْجِدَ كَانَ مَوْجُودًا فِي
وَقْتِهِ وَبَدَاخِلَهُ ضَرِيحٌ لِرَجُلٍ صَالِحٍ، لِلنَّاسِ فِيهِ اعْتِقَادٌ كَبِيرٌ،
وَيَعْمَلُ لَهُ حَضْرَةٌ كُلُّ يَوْمٍ مُجْمَعَةٌ يَجْتَمِعُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ النِّسَاءِ
صَاحِبَاتِ الْأَمْرَاضِ بِقَضْدِ الشُّفَاءِ مِنْ أَمْرَاضِهِنَّ بِزِيَارَتِهِ
وَحَضُورِ الذِّكْرِ الَّذِي يُعْقَدُ. (الخطط التوفيقية ٦: ١٣٦)
(٤٨).

^٢ حَاشِيَةٌ بِخَطِّ الْمُؤَلِّفِ: «هَذِهِ كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ مَعْنَاهَا
«صَاحِبُ السَّنَارَةِ»، وَأَصْلُهَا: مُرَدَّةُ دَارِهِ، فَبُرْدَةٌ: سِتَارَةٌ،
وَدَارِهِ: كَأَنَّهُ صَاحِبٌ أَوْ حَاكِمٌ.»

^٣ رَاجِعْ تَرْجُمَةَ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبِ الْمَعْرُوفِ بِ«وَالِدِ

وكان خيرا جوادا، متدينا، محيبا لأهل العلم والخير،/ وما مات حتى رأى من أولاده عدة ملوك، وصار يُقال له «أبو الملوك». ومدحه العماذ الأصبهاني بعدة قصائد، ورثاه الفقيه عمارة بقصيدته التي أولها:

[الطويل]

هي الصدمة الأولى فمن بان صبره
على هول ملقاه تعاظم أجره^١

مسجد صواب

هذا المسجد خارج القاهرة بخط الصليبية، عُرف بالطواشي شمس الدين صواب، مُقدم الممالك السلطانية، ومات في ثامن رجب سنة اثنتين وأربعين وست مائة، ودُفن به، وكان خيرا دينا فيه صلاح.

المتجى زجوار المشهد الحسيني

هذا المسجد، أنهى^(a) في مُستهل شهر رجب من^(b) سنة اثنتين وستين وست مائة للملك الظاهر ركن الدين بيبرس - وهو بدار العدل - أن مسجدًا على باب مشهد السيد الحسين - عليه السلام - وإلى جانبه مكان من حقوق القصور^(c)، بيع وحُمِلَ ثمنه للديوان، وهو ستة آلاف درهم. فسأل السلطان عن صورة المسجد وهذا الموضع، وهل كلُّ منهما بمفرده أو عليهما حائط دائر؟ فقبل له: إن بينهما زرب قصب، فأمر برد المبلغ، وأبقى الجميع مسجدا، وأمر بعمارة ذلك مسجدًا لله تعالى^٢.

مسجد الفجل

هذا المسجد بخط بين القصرين، تجاه باب البيسرية^(d)، أصله من مساجد الخلفاء الفاطميين.

(a) بولاق: انتهى. (b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: القصر. (d) بولاق: بيت اليسري.

^١ عمارة اليمنى: النكت العصرية ٢٦٠-٢٦١؛ أبو شامة: الروضتين ٢/١: ٥٠٤؛ ابن واصل: مفرج الكروب ٢٣١:١-٢٣٢. ^٢ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ١٩٧؛ المقرئ: السلوك ١: ٥١١-٥١٢. وهو المسجد الذي حلَّ محلُّه الآن جامع الحسين خلف المشهد.

أنشأه على ما هو عليه الآن الأمير بَشْتَاك لما أَخَذَ قَصْرَ أميرِ سِلاحٍ ودارَ أَقْطَوَانَ السَّاقِي وَأَخَذَ عَشْرَ مَسْجِدًا وَأَرْبَعَةَ مَعَابِدٍ كَانَتْ مِنْ عِمَارَةِ الخُلَفَاءِ، وَأَدْخَلَهَا فِي عِمَارَتِهِ الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِقَصْرِ بَشْتَاكِ، وَلَمْ يَتْرِكْ مِنَ الْمَسَاجِدِ وَالْمَعَابِدِ سِوَى هَذَا الْمَسْجِدِ فَقَطْ، وَيَجْلِسُ فِيهِ بَعْضُ نُوَّابِ القَضَاةِ الْمَالِكِيَةِ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ^١.

٥. وتُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ «مَسْجِدَ الْفِجَلِ»، وَتَزْعُمُ أَنَّ النَّيْلَ الْأَعْظَمَ كَانَ يَمُرُّ بِهَذَا الْمَكَانِ، وَأَنَّ الْفِجَلَ كَانَ يُغْسَلُ مَوْضِعَ هَذَا الْمَسْجِدِ فَعُرِفَ بِذَلِكَ. وَهَذَا الْقَوْلُ كَذِبٌ لَا أَصْلَ لَهُ. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي هَذَا الْكِتَابِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مَوْضِعُ الْقَاهِرَةِ قَبْلَ بِنَائِهَا، وَمَا عَلِمْتُ أَنَّ النَّيْلَ كَانَ يَمُرُّ هُنَاكَ أَبَدًا، وَبَلَّغَنِي أَنَّهُ عُرِفَ بِـ «مَسْجِدِ الْفِجَلِ» مِنْ أَجْلِ أَنَّ الَّذِي كَانَ يَقُومُ بِهِ كَانَ يُعْرَفُ بِالْفِجَلِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

مَسْجِدُ تَبْر

١٠. هَذَا الْمَسْجِدُ خَارِجُ الْقَاهِرَةِ مِمَّا يَلِي الْخَنْدَقَ. عُرِفَ قَدِيمًا بِالْبَيْرِ وَالْجَمِيَّةِ، وَعُرِفَ بِـ «مَسْجِدِ تَبْر»، وَتُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ «مَسْجِدَ التَّبْنِ» وَهُوَ خَطَأً. وَمَوْضِعُهُ خَارِجُ الْقَاهِرَةِ قَرِيبٌ مِنَ الْمَطْرِيَّةِ^٢.

راجع عن المسجد علي مبارك : الخطط التوفيقية ٢: ٩٠ (١٣)، ٦: ١٣٣-١٣٤ (٤٧) ولكنه تخلط بينه وبين المسجد المعروف بمقبة موسى؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ١٥٠ هـ^٣.

^٢ ما زالت بقايا هذا المسجد قائمة في الشمال الغربي لمحة مترو حثامات القبة بالقرب من قصر القبة وتعرف بزواياة محمد التبري، التي أنشأتها السيدة شفق نور والدة الخديو توفيق سنة ١٢٩٤ هـ/١٨٧٦ م. (الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ١٩٩-٢٠٠؛ المقريري : مسودة الخطط ٣٤؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧: ١٩٦ هـ^٣، ١٢: ١٩٨ هـ^٢؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٦: ٥٩ (٢).

وكان خلفاء الفاطميين الأوائل، وخاصة الظاهر لإعزاز دين الله يُكثر من الركوب إليه كما ذكر ذلك المُسَبِّحِي فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٤١٥ هـ. (أخبار مصر - الفهرس ١٣٦).

^١ المقريري ٢: ٥٠٢؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ١٥٠؛ وفيما تقدم ٣: ٢٢٨: ٩.

ولا يزال هذا المسجد موجودًا إلى الآن تحت قصر بَشْتَاكِ بِشَارِعِ الْمَعزِ لَدِينِ اللَّهِ، وَيَدُلُّ عَلَى التَّجْدِيدِ الَّذِي قَامَ بِهِ الْأَمِيرُ بَشْتَاكِ فِي الْمَسْجِدِ ثَلَاثَةُ أَسْطُرٍ بِالْحَطِّ النَّسَخِ الْمَمْلُوكِيِّ عَلَى لَوْحٍ مِنَ الخَشَبِ كُتِبَ عَنْهُ فِي خَزَانَةِ مَدْرَسَةِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ الْمَوَاجِهَةِ لِقَصْرِ بَشْتَاكِ إِلَى الْجَنُوبِ قَلِيلًا، وَنُقِلَتْ إِلَيْهَا فِي تَارِيخِ نَجْمِهِ، وَهِيَ مَحْفُوظَةٌ الْآنَ بِمَتْحَفِ الْفَنِّ الْإِسْلَامِيِّ بِالْقَاهِرَةِ، وَنَصَّهَا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - آيَةُ ١٨ سُورَةِ التَّوْبَةِ - أَمَرَ بِتَجْدِيدِ هَذَا الْمَسْجِدِ الْمُبَارَكِ الْقَبِيضِ الْفَقِيرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الرَّاجِي عَفْوَرِّهَ بَشْتَاكِ النَّاصِرِيِّ. وَكَانَ الْقِرَاعُ مِنْ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَيْبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ. (van Berchem, M., *CIA Égypte I*, n°470; (Wiet, G., *RCEA XV*, n°5680).

قال القضاة: مَسْجِدُ تَبْرُ بِنِي عَلِي رَأْسِ إِبْرَاهِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ^(a) بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^١. أَنْفَذَهُ الْمُتَّصِرُونَ فَسَرَقَهُ أَهْلُ مِصْرَ، وَدَفَنُوهُ هُنَاكَ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، وَيُعْرَفُ بِمَسْجِدِ الْبَيْتِ وَالْحَمِيْزَةِ.

وقال الكندي في كتاب «الأمرء»: ثم قَدِمَتِ الْخُطْبَاءُ إِلَى مِصْرَ بِرَأْسِ إِبْرَاهِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، لِيَتَّصِرَ بِهِ^(b) فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، وَقَامَتِ الْخُطْبَاءُ فَذَكَرُوا أَمْرَهُ^٢.

هذا أَحَدُ الْأَمْرَاءِ الْأَكْبَارِ فِي أَيَّامِ الْأَسْتَاذِ كَافُورِ الْإِخْشِيدِيِّ. فَلَمَّا قَدِمَ جَوْهَرٌ

وتبر

القائد من المغرب بالعساكر، نازَ تَبْرُ الْإِخْشِيدِيِّ هَذَا فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْكَافُورِيَّةِ وَالْإِخْشِيدِيَّةِ وَحَارَبَهُ، فَانْهَزَمَ بِمَنْ مَعَهُ إِلَى أَسْفَلِ الْأَرْضِ. فَبَعَثَ جَوْهَرٌ يَسْتَعِظِفُهُ، فَلَمْ يُجِبْ، وَأَقَامَ عَلَى الْخِلَافِ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ عَشْرًا حَارَبَهُ بِنَاحِيَةِ صَهْرَجَتِ فَانْكَسَرَ، وَصَارَ إِلَى مَدِينَةِ صُورِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى السَّاحْلِ فِي الْبَحْرِ. فَقُبِضَ عَلَيْهِ بِهَا، وَأُدْخِلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ عَلَى فِيلٍ، فَسُجِنَ إِلَى صَفَرِ سَنَةِ سِتِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ. فَاسْتَدَّتْ الْمُطَالِبَةُ عَلَيْهِ، وَضُرِبَ بِالسِّيَاطِ، وَقُبِضَتْ أَمْوَالُهُ، وَحُبِسَ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالْمُطَبَّقِ فِي الْقَيْودِ إِلَى رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْهَا. فَجَرَّحَ نَفْسَهُ، وَأَقَامَ أَيَّامًا مَرِيضًا وَمَاتَ، فَسُلِّخَ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَصُلِبَ عِنْدَ كُرْسِيِّ الْجَيْشِ^(c).

وقال ابنُ عبد الظاهر: إِنَّهُ حُشِي جِلْدُهُ تَبْتًا وَصُلِبَ، فَرُبَّمَا سَمَّتِ الْعَامَّةُ مَسْجِدَهُ بِذَلِكَ لَمَّا ذَكَرْنَاهُ^٤. وَقِيلَ إِنَّ تَبْرًا هَذَا خَادِمُ الدَّوْلَةِ الْمِصْرِيَّةِ، وَقَبْرُهُ بِالْمَسْجِدِ الْمَذْكُورِ،

(a) بولاق: حسين. (b) عند الكندي: فنصبوه. (c) جميع النسخ: كرسي الجبل، والتصويب من المقفى الكبير.

^٢ الكندي: ولاية مصر ١٣٦. وهنا حاشية بخط المؤلف: «ذَكَرَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ ثَابِتِ الْبَغْدَادِيِّ فِي كِتَابِ «الْمُتَّفِقِ وَالْمُفْتَرِقِ» عَنْ إِبْرَاهِيمِ بْنِ سُؤَيْدِ الْحَنْفِيِّ الْكُوفِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا حَنِيفَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَكَانَ لِي مُكْرَمًا أَيَّامَ إِبْرَاهِيمَ، قُلْتُ: أَيُّهُمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ بَعْدَ حَجَّةِ الْإِسْلَامِ، الْخُرُوجُ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ أَوْ الْحَجُّ؟ فَقَالَ: غَزْوَةُ بَعْدَ حَجَّةِ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ مِنْ خَمْسِينَ حَجَّةً».

^٣ المقرئ: المقفى الكبير ٢: ٥٨٥، اتعاط الحنفا ١٢٠: ١.

^٤ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٩٩.

^١ راجع أخبار أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن حسن ابن حسن بن علي بن أبي طالب، المتوفى سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م، المعروف بـ«قتيل باخثري» عند الطبري: تاريخ الأصفهاني: مقاتل الطالبين ٢٠٥-٢٢٢، ٦٤٩، ٨: ٩٥-٩٦، أبي الفرج ٣١٥-٣٨٩؛ المسعودي: مروج الذهب ٤: ١٤٥-١٥١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦: ٢١٨-٢٢٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٦: ٣١-٣٣؛ المقرئ: المقفى الكبير Veccia Vaglieri, L., *El*² art. ٢٢٥-٢١٦: ١ *Ibrâhîm b. Abd Allâh III*, pp. 1008-10.

قال كاتبه^(a): هذا وَهْمٌ، وإنما هو تَبَرُّ الإخشيدى .

مَسْجِدُ الْقُطَيْبَةِ

هذا المَسْجِدُ كان حيث المَدْرَسَةُ المَنْصُورِيَّةُ بَيْنَ القَصْرَيْنِ بالقَاهِرَةِ^(b) .

(c) مَسْجِدُ ابْنِ الْبَابَا بِحَدِ الْخَارِزَمِيِّ

بَنَاهُ الأَمِيرُ بَدْرُ الدِّينِ جَنْكَلِي بنِ البَابَا ، أَحَدُ أكْبَرِ الأَمْراءِ فِي أَيَّامِ السُّلْطَانِ المَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بنِ قَلَاوُونَ ، فِي سَنَةِ (d) خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ^(d) وَسَبْعِ مِائَةٍ بِجَوَارِ دَارِهِ ، وَجَعَلَ فِيهِ دَرْسَ حَدِيثٍ ، وَهُوَ مُسْتَمَرٌّ بِهِ إِلَى الآنَ^١ .

مَسْجِدُ مُرْشِد

قُبَالَةَ بَابِ الحَمَّامِ المَعْرُوفِ الآنَ بِحَمَّامِ الكَوَيْكِ^٢ ، وَيُعْرَفُ قَدِيمًا بِحَمَّامِ عَبَّاسٍ . وَبِهَذَا المَسْجِدِ دَرْسٌ لِلْمَالِكِيَّةِ .

مَسْجِدُ الزِّيَالَعَةِ

عُلُوَّ بَابِ حَارَةِ بَرْجَوَانَ ، عُرِفَ بِإِبْرَاهِيمِ بنِ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيِّ بنِ يُونُسَ ، أَبُو إِسْحَاقَ اليَمَنِيِّ الزِّيَالَعِيِّ المَقْرِيُّ زَيْنُ الدِّينِ . قَرَأَ القِرَاءَاتِ السَّبْعَ عَلَى أَبِي القَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الصَّفْرَاوِيِّ وَأَبِي القَاسِمِ عَيْسَى بنِ عَبْدِ العَزِيزِ ابْنِ عَيْسَى ، وَتَصَدَّرَ بِالْجَامِعِ الظَّافِرِيِّ مُدَّةً ، وَأَعَادَ فِي المَدْرَسَةِ القُطَيْبِيَّةِ بِالبُنْدُقَانِيِّينَ وَكَانَ مُفْتِيًّا وَلَهُ مَعْرِفَةٌ بِالقِرَاءَاتِ وَالنَّحْوِ . وَمَوْلَدُهُ بِزَيْدٍ مِنَ اليَمَنِ فِي سَنَةِ سِتِّ مِائَةٍ تَحْمِينًا ، وَتُوفِيَ بالقَاهِرَةِ لَيْلَةَ الثَّانِي والعَشْرِينَ مِنْ ذِي القِعْدَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، وَكَانَ دُفِنَ [كَذَا] بِهَذَا المَسْجِدِ فَعُرِفَ بِمَسْجِدِ الزِّيَالَعَةِ^(c) .

(a) بولاق : مؤلفه . (b) بالقاهرة : ساقطة من بولاق وجاء عوضها حمارة : والله أعلم . (c-c) هذه الفقرة مضافة من المُنوَّدة ٩٨ و ١٠٠ ظ . (d-d) يياض في المُنوَّدة والمثبت من حسن قاسم .

^١ هذا المسجد حلَّ محلَّه الآن المسجد المعروف بمَسْجِدِ حَسَنِ باشَا طاهره الذي شُيِّدَ سَنَةَ ١٢٢٤هـ / ١٨٠٩م والواقع عند ناصيتي سِكَّةِ بَرْكَةِ الفِيلِ وَحَارَةِ مُحَمَّدِ نَسِيمِ بِالحَلْمِيَّةِ الجَدِيدَةِ . (راجع ، علي ميارك : الخطط التوفيقية ٤ : ١٨١ (٨٧) ؛ van Berchem, M., CIA ؛ Égypte I, n° 448-50 سعاد ماهر : مساجد مصر

٥ : ٢٩٩-٣٠٣ ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٥ : ٥٧-٧٠) .
وانظر ترجمة بَدْرِ الدِّينِ جَنْكَلِي بنِ البَابَا ، مؤسس الجامع الأصلي فيما تقدم ٣ : ٤٧٧ .

^٢ فيما تقدم ٣ : ٢٧٦ .

١ / ذِكْرُ الْخَوَانِكِ

الخَوَانِكُ جَمْعُ خَانِكَاهُ^(أ) بالكاف بعد النون^(ب)، وهي كلمة فارسيَّةٌ معناها : بَيْتٌ^(أ) [أو] دار الصُّوفِيَّةِ ، ثم كَثُرَ اسْتِعْمَالُهَا عَلَى الْأَلْسِنَةِ فَقِيلَ : «خَانِقَاهُ» بالقاف بَدَلًا مِنَ الْكَافِ ؛ وَهَذَا كَمَا اتَّفَقَ فِي لَفْظِ الْمَقْسِ ، فَإِنَّ أَصْلَهُ الْمَقْسُ ثُمَّ قِيلَ الْمَقْسُ ، عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْقَاضِي الْقُضَاعِي فِي كِتَابِ «خَطِّطِ مِصْرَ»^(أ) . وَقِيلَ أَصْلُهَا خَرْنُقَاهُ^(ب) ، أَي الْمَوْضِعُ الَّذِي يَأْكُلُ فِيهِ الْمَلِكُ .

وَالْخَوَانِكُ حَدَّثَتْ فِي الْإِسْلَامِ فِي مُحَدِّدِ الْأَرْبَعِ مِائَةِ مِنْ سَنِي الْهِجْرَةِ ، وَجُعِلَتْ لِتَسْخَلِي الصُّوفِيَّةِ فِيهَا لِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى^١ .

(a-a) إضافة من المُسَوَّدَةِ . (b) بولاق : خونقاه .

Zâwiya in Cairo», *An. Isl.* XVIII (1982), pp. 116-21; id., «Some Aspects of the Zâwiya in Egypt at the Eve of the Ottoman Conquest», *An. Isl.* XIX (1983), pp. 4-17؛ ورسالة سمير عبد المنعم خضري : الأربطة الباقية بالقاهرة خلال العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م ، رسالة ماجستير بكلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٩٨ ؛ طارق المرسي : زوايا القاهرة في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير بكلية الآثار - جامعة القاهرة ٢٠٠٠ ؛ وعن طبيعة الخانقاه والزباط والزوايا في العصر المملوكي انظر Little, D. P., «The Nature of *Khânqâhs*, *Ribats* and *Zâwiyas* under the Mamlûks» in *Islamic Studies presented to Charles Adams*, W. B. Hallaq (and D. P. Little (eds.), Leiden 1992, pp. 91-105 وعن ارتباط إنشاء دور الصوفية بالأوقاف ، راجع محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٢٠٤ - ٢٢٢ .

^١ راجع عن الخوانك (الخوانق) Chabbi, J., *El² art.* *Khânqâh* IV, pp. 1057-58؛ وعن الخوانك (الخوانق) في مصر Fernandes L., *The Evolution of Sûfî Institution in Mamluk Egypt: The Khânqâh*, Berlin 1988؛ دولت عبد الكريم عبد الله : معاهد تزكية النفوس في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي ، القاهرة - مطبعة حسان ١٩٨٠ ؛ عاصم محمد رزق : خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٦٧-٩٢٣هـ / ١١٧١-١٥١٧م) ، ١-٢ ، القاهرة - مكتبة مدبولي ١٩٩٧ .

وعن تغيُّر الوظيفة والشكل في المؤسسات الدينية المملوكية (المدرسة والخانقاه) ، راجع Behrens - Abouseif, D., «Change in Function and Form of Mamluk Religious Institutions», *An. Isl.* XXI (1985), pp. 73-93؛ وانظر كذلك حول الزوايا Fernandes, L., «The

قال الأستاذ عبد الكريم أبو القاسم بن هوازن القشيري، رحمه الله: اعلموا أن المسلمين بعد رسول الله ﷺ، لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى «صحبة رسول الله ﷺ»، إذ لا فضيلة فوقها، فقبل لهم «الصحابة». ولما أدرك أهل العصر الثاني، سُمي من صحب الصحابة «التابعين»، ورأوا ذلك أشرف سمة، ثم قيل لمن بعدهم «أتباع التابعين». ثم اختلف الناس وتباينت المراتب، فقبل لخواص خواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين «الزهاد» و«العباد». ثم ظهرت البدع، وحصل التداعي بين الفرق، فكل فريق ادّعى أن فيه زهادًا. فانفرد خواص أهل السنة - المراعون أنفسهم مع الله، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة - باسم «التصوف»، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة^١.

قال: وهذه التسمية غلبت على هذه الطائفة. فيقال: «رجل صوفي»، وللجماعة: «الصفوية»، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له: «متصوف»، وللجماعة: «المتصوفة». وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق، والأظهر فيه أنه كاللقب. فأما قول من قال إنه من الصوف، وتصوف، إذا لبس الصوف - كما يقال تقمص، إذا لبس القميص - فذلك وجه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف.

ومن قال إنهم يُنسبون إلى صفة مسجد رسول الله ﷺ، فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي. ومن قال إنه من الصفاء، فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة. وقول من قال إنه مشتق من الصف، فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة مع الله تعالى، فالمنى صحيح لكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة من الصف. ثم إن هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظ واشتقاق اشتقاق^٢، والله أعلم.

وقال الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد الشهروردي، رحمه الله: والصوفي يضع الأشياء في مواضعها، ويدير الأوقات والأحوال كلها. بالعلم يقيم الخلق مقامهم، ويقيم أمر الحق مقامه، ويستر ما ينبغي أن يُستر، ويظهر ما ينبغي أن يظهر، ويأتي بالأمر من مواضعها بحضور عقل، وصحة توحيد، وكمال معرفة، ورعاية صدق وإخلاص.

فقوم من المقتونين لبسوا البسة الصوفية لينسبوا إليهم، وما هم منهم بشيء، بل هم في غرور وغلط يتسترون بلبسة الصوفية توقيًا تارة ودعوى أخرى، ويتنهجون مناهج أهل الإباحة،

وَيَزْعُمُونَ أَنَّ ضَمَائِرَهُمْ خَلَصَتْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنَّ هَذَا هُوَ الظَّفَرُ بِالمراد ، والارْتِسَامُ بِمَراسِمِ الشَّرِيعَةِ رُتْبَةُ العَوَامِّ والقاصِرِينَ الأَفْهَامِ ، وهذا هُوَ عَيْنُ الإلْحَادِ والزَّنْدَقَةِ والإِبْعَادِ^١ . والله دُرُّ القَائِلِ :

[البسيط]

تَنَازَعَ النَّاسُ فِي الصُّوفِيِّ وَاجْتَلَفُوا فِيهِ ، وَظَنُّوه مُشْتَقًّا مِنَ الصُّوفِ
وَلَسْتُ أَنْحَلُ هَذَا الأِسْمَ غَيْرَ فَتَى صَافِي وَصُوفِي حَتَّى سُمِّيَ الصُّوفِي

قال كَاتِبُهُ^(a) : ذَهَبَ وَاللهُ مَا هُنَالِكَ ، وَصَارَتِ الصُّوفِيَّةُ كَمَا قَالَ الشَّيْخُ فَتْحُ الدِّينِ مُحَمَّدِ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَيِّدِ النَّاسِ اليَعْمُرِيِّ^٢ :

[الخفيف]

مَا شُرُوطُ الصُّوفِي فِي عَضْرِنَا اليُو مِ سِوَى سِتَّةٍ بِغَيْرِ زِيَادَةٍ
وَهِيَ نَيْكُ العُلُوقِ وَالسُّكْرِ وَالسُّطِّ لَمَةٌ وَالرَّقْصُ وَالغِنَا وَالقِيَادَةُ
وَإِذَا مَا هَذَى وَأَبْدَى اتِّحَادًا وَحُلُولًا مِنْ جَهْلِهِ أَوْ إِعَادَةٍ
وَأَتَى المُتَكَرَّرَاتِ عَقْلًا وَشَرْعًا فَهُوَ شَيْخُ الشُّيُوخِ ذُو السُّجَادَةِ

ثم تَلَاشَى الآنَ حَالُ الصُّوفِيَّةِ وَمَشَايِخُهَا حَتَّى صَارُوا مِنْ سَقَطِ المَتَاعِ ، لَا يُنْسَبُونَ إِلَى عِلْمٍ وَلَا دِيَانَةٍ ، وَإِلَى اللَّهِ المُشْتَكَى^٣ !

وأوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ بَيْتًا لِلعِبَادَةِ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ بْنِ صَبْرَةَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ عَمَدَ إِلَى رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ قَدْ تَفَرَّغُوا لِلعِبَادَةِ - وَلَيْسَ لَهُمْ تِجَارَاتٌ وَلَا عَمَلَاتٌ - فَبَنَى لَهُمْ دُورًا ، وَأَسْكَنَهُمْ فِيهَا ، وَجَعَلَ لَهُمْ مَا يَقُومُ بِمَصَالِحِهِمْ مِنْ مَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ وَمَلْبَسٍ وَغَيْرِهِ . فَجَاءَ يَوْمًا لِيُزَوِّرَهُمْ^(b) فَلَمْ يَجِدْهُمْ^(b) فَسَأَلَ عَنْهُمْ ، فِإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ ، عَامِلُ البَصْرَةِ لِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ -

(a) بولاق : مؤلفه . (b-b) ساقطة من بولاق .

Orientations spirituelles et enjeux culturels, Damas - IFEAD 1995؛ وَنَظَّمَ المَعهدَ العِلْمِيَّ الفِرَنْسِيَّ لِلآثارِ الشَّرْقِيَّةِ بِالقَاهِرَةِ نَدْوَةً دَوْلِيَّةً عَنوانِهَا : هَتَطُّورُ الصُّوفِيَّةِ فِي مِصرِ فِي العِصرِ المِملُوكِي (٢٦-٢٩ مَايو ٢٠٠٣) ، مِتنَشِرُ الأوراقِ المُقَدِّمَةِ إِلَيْهَا ضِمْنَ إِصْدَارَاتِ المَعهدِ .

^١ السهروردي : عوارف المعارف ٦٨ - ٦٩ .

^٢ راجع ترجمة ابن سيّد الناس اليعمري عند الصفدي : الوافي بالوفيات ١ : ٢٨٩ - ٣١١ .

^٣ راجع عن التَّصَوُّفِ فِي العِصرِ المِملُوكِي ، Geoffroy E., *Le soufisme en Égypte et en Syrie sous les derniers Mamelouks et les premiers Ottomans*.

رضي الله عنه - قد دعاهم ، فاتاه ، فقال له : يا ابن عامر ، ما تريد من هؤلاء القوم ؟ قال : أريد أن أقربهم فيتشفعوا فأشفعهم ، ويسألوا فأعطيهم ، ويشيروا علي فأقبل منهم . فقال : لا ، ولا كرامة ! فتأتي إلى قوم قد انقطعوا إلى الله تعالى ، فتدئسهم بدنياك ، وتشرِكهم في أمرِك . حتى إذا ذهبت أديانهم ، أُعْرِضت عنهم ، فطأخوا لا إلى الدنيا ولا إلى الآخرة ، قوموا فارجعوا إلى مواضعكم . فقاموا ، فأمسك ابن عامر ، فما نطق بلفظة . ذكره أبو نعيم .

الخائكااه الصلاحيه

دار سعيد الشعداء روضة الصوفية

[أثر رقم ٤٨٠]

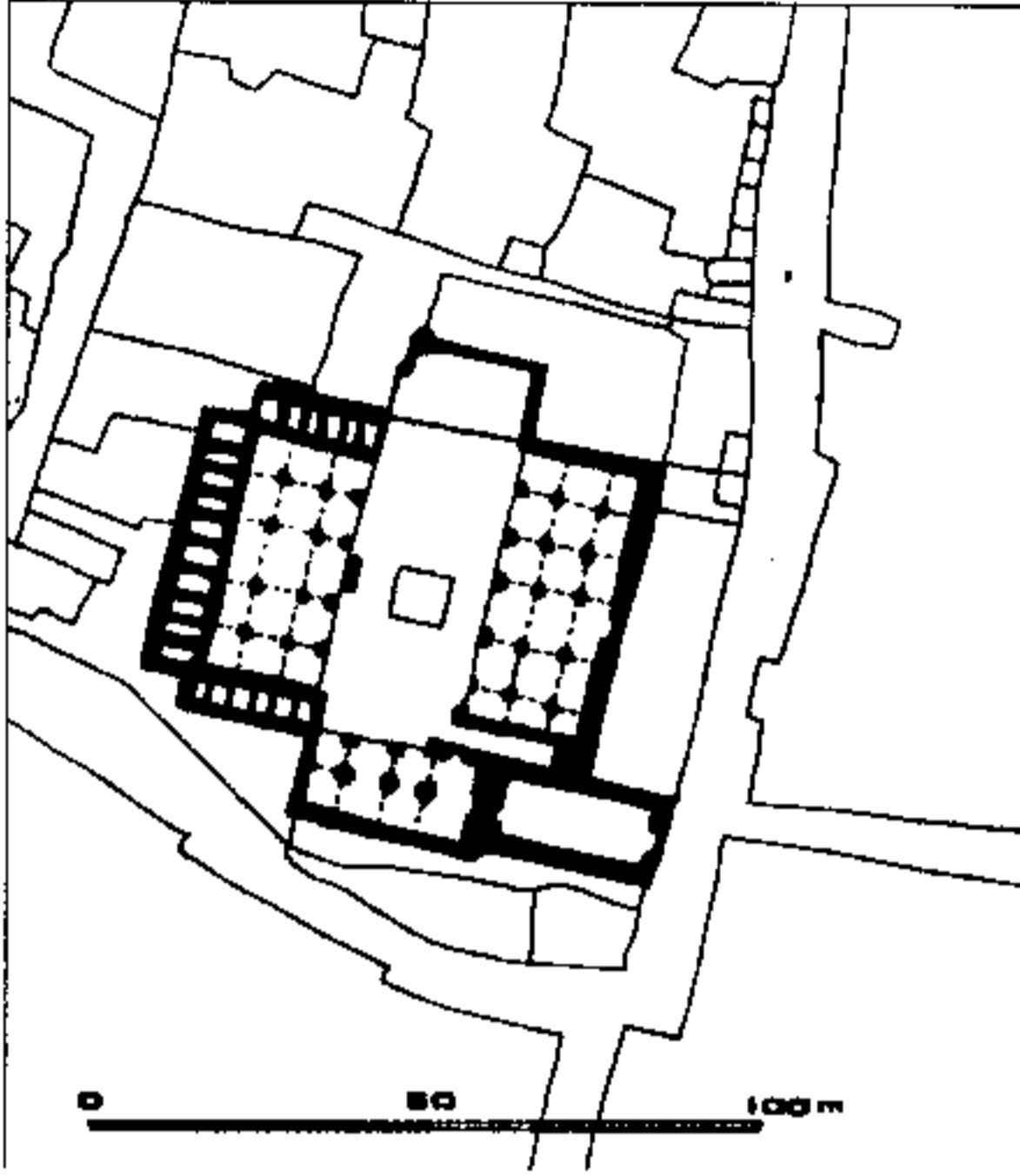
- هذه الخائكااه بخط رَحْبَةٍ باب العيد من القاهره ، كانت أولاً داراً تُعرف في الدولة الفاطمية بدار سعيد الشعداء - وهو الأستاذ قنبر ، ويقال عنبر ، وذكر ابن ميسر أن اسمه بيان ، ولقبه سعيد الشعداء - أخذ الأستاذين المحنكين خدام القصر ، عتيق الخليفة المستنصر . قُتل في سابع شعبان سنة أربع وأربعين وخمس مائة ، ورُمي برأيه من القصر ، ثم صُلبت جثته بباب زويلة من ناحية الخرق^١ . وكانت هذه الدارُ مُقابل دار الوزارة ، فلما كانت وزارة العادل رُزك بن الصالح طلائع ابن رُزك سكنها ، وفتح من دار الوزارة إليها سِرْداباً تحت الأرض ليمرّ فيه . ثم سكنها الوزير شاور ابن مجير في أيام وزارته ، ثم ابنه الكامل^٢ . فلما استبدَّ النَّاصِرُ صلاح الدين يوسف بن أيوب ابن شاذي بمُلك مصر بعد موت الخليفة العاضد ، وغير رؤوم الدولة الفاطمية ، ووضع من قصر الخلافة وأسكن فيه أمراء دولته الأكراد ، عمل هذه الدار يرسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة ، ووقفها عليهم في سنة تسع وستين وخمس مائة ، وولى عليهم شيخاً ، ووقف عليهم بُستانَ الحَبَانِيَّةَ بجوار بركة الفيل خارج القاهره ، وقيسارية الشرب بالقاهره ، وناحية دهمرو من البهنساوية^٣ . وشرط أن من مات من الصوفية وترك عشرين ديناراً فما دونها كانت للفقراء ، ولا

^١ ابن ميسر : أخبار مصر ١٤٤٤ المقريري : اتعاظ الحنفا الكبير ٢ : ٥١٢ .

^٢ ٣ : ٢٠٠ : ومصدر هذا الخبر في المسوودة من ابن عبد الظاهر : ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٤٩ .

^٣ نفسه ٥٠ ، ٥٥ ، ١٣٦ .

يَتَعَرَّضُ لَهَا الدِّيوانُ السُّلْطاني ، ومن أرادَ منهم الشَّفَرُ يُعْطَى تَسْفِيرُهُ . وَرَتَّبَ لِلصُّوفِيَّةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ طَعَامًا وَلَحْمًا وَخُبْزًا ، وَبَنَى لَهُمْ حَمَّامًا بِجِوارِهِمْ ^١ .



مُخَطَّطُ خانقاه سعيد الشَّعْداء (عن Sylvie Denoix)

وكانت أول خانقاه عُمِلت بديار مصر ، وعُرِفَتْ بـ «دُوَيْرَةِ الصُّوفِيَّةِ» ^٢ ، وَنُعِتْ شَيْخُهَا

كبير في العصر المملوكي - من صَخْنٍ مكشوف يُحيطُ به أربعة أواوين ، ويوجد خَلْفَ الإيوان الغربي عشر خَلْوات للصوفية . ولم يَتَّقَ من واجهات هذه الخانقاه إلا الواجهة الشرقية وطولها في الأصل ٢٦ مترًا والتي قُفِدَتْ مُعْظَمُ أجزائها فيما عدا مَدْخَلِها ، وبجواره كذلك حَمَّامٌ كان مُخَصَّصًا لسُكَّانِها من الصوفية كان يعمل في القرن التاسع عشر ويعرف بِحَمَّامِ الجِمالية وله مَدْخَلان : أحدهما من داخل الخانقاه ، والآخر من خارجها . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٢: ٢١٨ (٧٣) ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ١: ٨٦٧-٨٧٢) .

راجع عن الخانقاه تاريخه وتخطيطه ، السيوطي : حسن المحاضرة ٢: ٢٦٠-٢٦١ ؛ علي مبارك : ٤: ٢١١-٢١٢ Fernandes, L., *The Khânqâh*, pp. (١٠٢-١٠٣)

^١ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٥٠ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٣٦٤-٣٦٥ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤: ٥٠-٥١ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١: ٢٤٢-٢٤٣ ؛ Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 258-59.

^٢ كانت دارُ سعيد الشَّعْداء تَقَعُ من جهة تجاه باب القصر الفاطمي الكبير المعروف بباب الرِّيح على يَمِّنة السَّالِكِ من الرُّكنِ المُخَلَّقِ إلى رَحْبَةِ بابِ العيد . (فيما تقدم ٢: ٢٤٨ ، ٣٤٤ ، ٤٢٧ ، ٤٣٤) ، ومن جهة أخرى تجاه دار الوزارة الكبرى التي حُلَّ محلُّها في مطلع القرن الثامن الهجري خانقاه بِيْرَسِ الجاشنكير والمدرسة القراشقرية . وهي تقع الآن بشارع الجِمالية تجاه حازة المَبِيضَةِ على يمين السالك إلى المَشْهَدِ الحُسَيْنِيِّ في المنطقة الواقعة بين الدُّرْبِ الأصْفَرِ وشارع التَّمْبَكْشِيَّةِ . وتتكوَّن هذه الخانقاه - التي أُدْخِلَ عليها تَقْدِيلٌ

- بـ «شئخ الشئوخ»،^(a) وما زال يُنعتُ بذلك إلى أن بئى الناصر محمد بن قلاوون خائكاة سرباقوس فدعا شئخها بشئخ الشئوخ^(a) ١. واستمر ذلك بعده إلى أن كانت الحوادث والمحن منذ سنة ست وثمان مائة، واتضعت الأحوال، وتلاشت الرتب، تَلَقَّبَ كُلُّ شئخ خائكاة بـ «شئخ الشئوخ». وكان سُكَّانُها من الصوفية يُعرفون بالعلم والصلاح، وتزجى بزكَّتهم. وولي مشيختها الأكابر والأعيان - كأولاد شئخ الشئوخ ابن حموئه - مع ما كان لهم من الوزارة والإمارة، وتدير الدولة، وقيادة الجيوش، وتقديم العساكر. ووليها ذو الرياستين الوزير الصاحب قاضي القضاة تقى الدين عبد الرحمن ابن ذي الرياستين الوزير الصاحب قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأغر^(c) والشئخ شمس الدين الأيكي الصوفي المشهور وغيرهما. وممن تولَّاهَا في عصرنا قاضي القضاة جلال الدين جار الله الحنفي والشئخ بزهان الدين إبراهيم الأبناسي الشافعي والحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي وغيرهم. وممن أقامَ بها ممن شاهدناه من أهل الخير والصلاح الشئخ محمد العجمي المعروف بـ «صائم الدهر»، فإنه أقامَ بها ما يُقارب ثلاثين سنة وكان يصوم الدهر ويُفطر كل ليلة على جمص مسلوق بلا زيت إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى. ومن مشايخ القرآن شئخنا فخر الدين البليبيسي إمام الجامع الأزهر وغيره^(c). ونزلَ بها الأكابر من الصوفية.
- وأخبرني الشئخ أحمد بن علي القصار^٢ - رحمه الله - أنه أدرك النَّاسَ في يوم الجمعة يأتون من مصر إلى القاهرة، ليُشاهدوا صوفية خائكاة سعبد الشعءاء، عندما يتوجهون منها إلى صلاة الجمعة بالجامع الحاكي، كي تحضل لهم البركة والخير بمشاهدتهم.
- وكان لهم في يوم الجمعة هيئة فاضلة، وذلك أنه يخرج شئخ الخائكاة منها، وبين يديه خدام الرتبة الشريفة - قد حُمِلت على رأس أكبرهم - والصوفية مُشاة بسكونٍ وخفير إلى باب الجامع

(a-a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: فلقب. (c-c) اكفى المقرزي في المبيضة بقوله: وجماعة من الأعيان، والعبارة المثبتة من المسودة.

٢ الشئخ أحمد بن علي بن عبد الله الثميمي القصار، برع في علم التصوف ومال إلى مذهب أهل الظاهر، وتوفي سنة ١٣٩٧هـ/١٨٠٠م، قال المقرزي: «صحبه سنين ونفقتني الله به نفعا كثيرا». (درر العقود الفريدة

21-25, 119-21؛ عاصم محمد رزق: خائكاوات الصوفية في مصر ١: ١٢٧-١٥٨، أطلس العمارة الإسلامية Sylvie Denoix El² art. Sa'îd al-؛ ٧٣٥:١-٧٥٢. (Su'adâ' VIII, pp. 891-92).

الحاكمي الذي يلي المنبر، فيدخلون إلى مقصورة كانت هناك على يسرة الداخل من الباب المذكور - تُعرف بمقصورة البسملة، فإنه بها إلى اليوم بسملة قد كتبت بحروف كبار - فيصلي الشيخ تحية المسجد تحت سحابة منصوبة له دائماً، وتُصلي الجماعة. ثم يجلسون، وتُفارق عليهم أجزاء الرُبعة، فيقرأون القرآن حتى يؤذن المؤذنون، فتؤخذ الأجزاء منهم، ويشغلون بالترجيع واستماع الخطبة وهم منصتون خاشعون. فإذا قُضيت الصلاة والدعاء بعدها، قام قارئ من قراء الخائقاء، ورفع صوته بقراءة ما تيسر من القرآن، ودعا للسُلطان صلاح الدين ولواقف الجامع ولسائر المسلمين. فإذا فرغ قام الشيخ من مصلاه، وسار من الجامع إلى الخائقاء والصوفيّة معه كما كان توجّههم إلى الجامع؛ فيكون هذا من أجمل عوايد أهل^a القاهرة.

وما برح الأمر على ذلك إلى أن ولي الأمير بلوغا السالمي نظّر الخائقاء المذكورة في يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وسبع مائة، فنزل إليها وأخرج كتاب الوقف، وأراد العمل بما فيه من شروط الواقف؛ فقطع من الصوفيّة المنزّلين بها عشرات ممن له منصب ومن هو مشهور بمال، وزاد الفقراء المجردين - وهم المقيمون بها - في كل يوم رغيفاً من الخبز، فصار لكل مجرد أربعة أرغفة بعدما كانت ثلاثة، ورُتب بالخائقاء وظيفتي ذكر بعد صلاة العشاء الآخرة، وبعد صلاة الصبح. فكثرت التكرير على السالمي ممن أخرجهم، وزاد الأشلاء، فقال بعض أدباء العصر في ذلك:

[الكامل]

يا أهل خائقاء الصلاح أراكم ما بين شاك للزمان وشاتم
يكفيكم ما قد أكلتم باطلاً من وقفها وخرجتم بالسالم

وكان سبب ولاية السالمي نظّر الخائقاء المذكورة، أن العادة كانت قديماً أن الشيخ هو الذي يتحدّث في نظرها. فلما كانت أيام الظاهر بزقوق ولي مشيختها شخص يُعرف بالشيخ محمد البلالي، قديم من البلاد الشامية، وصار للأمير شوذونه الشيخوني - نائب السلطنة بديار مصر - فيه اعتقاد. فلما سعى له في المشيخة، / واستقرّ فيها بتعيينه، سأله أن يتحدّث في النظر إعانة له، فتحدّث.

وكانت عدّة الصوفيّة بها نحو الثلاث مائة رجل: لكل منهم في اليوم ثلاثة أرغفة زنتها ثلاثة أظال خبز، وقطعة لحم زنتها ثلث رطل في مرق، وتعمل لهم الحلوى في كل شهر، ويفرق

(a) ساقطة من بولاق.

فيهم الصّابون ، ويُعطى كلُّ منهم في السنة عن ثَمَنِ كُشْوَةِ قَدْرٍ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا . فنَزَلَ الأمير سُودُونُ عندهم جَمَاعَةً كَثِيرَةً عَجَزَ رِيحُ الوَقْفِ عن القِيَامِ لهم بِجَمِيعِ ما ذَكَرَ ، فَقطِعتِ الحَلْوَى والصّابونُ والكُشْوَةُ .

ثم إنَّ نَاحِيَةَ دَهْمَرٍ شَرِقَتْ في سنة تِسْعٍ وتِسْعِينَ لِقُصُورِ مَاءِ النَّيْلِ ، فَوَقَعَ العَزْمُ على غَلْقِ مَطْبِخِ الخائكاةِ وإِبْطَالِ الطَّعَامِ ، فلمَ تَحْتَمِلِ الصُّوفِيَّةُ ذلكَ ، وَتَكَرَّرَتْ شَكَاؤُهُمُ لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَرَقُوقَ ، فَوَلَّى الأميرُ يَلْبُغَا السَّالِمِي النَّظَرَ ، وَأَمَرَهُ أنْ يَعمَلَ بِشَرْطِ الوَاقِفِ . فلَمَّا نَزَلَ إلى الخائكاةِ وَتَحَدَّثَ فيها ، اجْتَمَعَ بِشَيْخِ الإِسْلَامِ سِرَاجِ الدِّينِ عُمَرَ بنِ رَسْلَانَ البُلْقِينِي ، وَأَوْقَفَهُ على كِتَابِ الوَقْفِ . فَأفْتَاهُ بِالعَمَلِ بِشَرْطِ الوَاقِفِ ، وَهُوَ أنَّ الخائكاةَ تَكُونُ وَقْفًا على الطَّائِفَةِ الصُّوفِيَّةِ الوَارِدِينَ مِنَ البِلَادِ الشَّامِيَّةِ والقَاطِنِينَ بالقَاهِرَةِ ومِصرَ ، فإنَّ لَمْ يُوجَدُوا كَانَتْ على المُقْرَاءِ مِنَ المُفَقَّهَاءِ الشَّامِيَّةِ والمَالِكِيَّةِ الأَشْعَرِيَّةِ الاِعتِقَادَ .

ثم إنَّهُ جَمَعَ القُضَاةَ وشَيْخَ الإِسْلَامِ وَسَائِرَ صُوفِيَّةِ الخائكاةِ بِهَا ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ كِتَابَ الوَقْفِ وَسَأَلَ القُضَاةَ عَنِ حُكْمِ اللهِ فِيهِ . فائْتَدَبَ للكلامِ رَجُلَانِ مِنَ الصُّوفِيَّةِ هُمَا زَيْنُ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ القِمْنِي وشَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ العَبَّادِي الحَنْفِي ، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ ، وَكَثُرَ اللَّغَطُ . فَأشارَ القُضَاةُ على السَّالِمِي أنْ يَعمَلَ بِشَرْطِ الوَاقِفِ ، وَأَنْصَرَفُوا . فَقطَعَ مِنْهُمُ نَحْوَ السِّتِينَ رَجُلًا مِنْهُمُ المَذْكَورَانِ .

فائْتَمَعَضَ العَبَّادِي ، وَغَضِبَ مِنْ ذلكَ ، وَشَنَّ بِأنَّ السَّالِمِي قد كَفَرَ ، وَبَسَطَ لِسَانَهُ بالقَوْلِ فِيهِ ، وَبَدَّتْ مِنْهُ سَمَاجَاتٌ ، فَقبِضَ عَلَيْهِ السَّالِمِي وَهُوَ ماشٍ بالقَاهِرَةِ ، فَاجْتَمَعَ عِدَّةٌ مِنَ الأَعْيَانِ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمَا ، فَبَلَغَ ذلكَ السُّلْطَانُ ، فَأَحْضَرَ القُضَاةَ والمُفَقَّهَاءَ ، وَطَلَبَ العَبَّادِي فِي يَوْمِ الخَمِيسِ ثَامِنِ شَهْرِ رَجَبٍ ، وَادَّعى عَلَيْهِ السَّالِمِي . فَأقْتَضَى الحَالُ تَغْزِيرَهُ ، فَغُزِرَ وَكُثِفَ رَأْسُهُ ، وَأُخْرِجَ مِنَ القَلْعَةِ ماشيًا بَيْنَ يَدَيِ القُضَاةِ وَوَالِيِ القَاهِرَةِ إلى بابِ زَوِيلَةَ ، فَسُجِنَ بِحَبْسِ الدَّيْلَمِ ، ثُمَّ نُقِلَ مِنْهُ إلى حَبْسِ الرُّحْبَةِ .

فلَمَّا كانَ يَوْمُ السَّبْتِ حَادِي عَشْرَةَ ، اسْتُدْعِيَ إلى دارِ قَاضِيِ القُضَاةِ جَمالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ القَيْصَرِي الحَنْفِي ، وَضُرِبَ بِحَضْرَةِ الأميرِ علاءِ الدِّينِ عَلِيِّ بنِ الطُّبْلَاوِيِّ ، وَوَالِيِ القَاهِرَةِ ، نَحْوَ الأَرْبَعِينَ ضَرْبَةً بِالْعَصَا تَحْتَ رِجْلِهِ . ثُمَّ أُعِيدَ إلى الحَبْسِ ، وَأُفْرِجَ عَنْهُ فِي ثَامِنِ عَشْرَةَ بِشَفَاعَةِ شَيْخِ الإِسْلَامِ فِيهِ .

ولَمَّا جَدَّدَ الأميرُ يَلْبُغَا السَّالِمِي الجَامِعَ الأَقْمَرَ ، وَعَمِلَ لَهُ مِئْبَرًا ، وَأُقيمتْ بِهِ الجُمُعَةُ فِي شَهْرِ رَجَبِ

الأول سنة إحدى وثمان مائة^١. ألزم الشيخ بالخائفة والصوفية أن يصلوا الجمعة به. فصاروا يصلون الجمعة فيه إلى أن زالت أيام السلمي، فتركوا الاجتماع بالجامع الأقمري، ولم يعودوا إلى ما كانوا عليه من الاجتماع بالجامع الحاكمي، ونسي ذلك.

ولم يكن بهذه الخائفة معدنة، والذي بنى هذه المئذنة شيخ ولي مشيختها في سنة بضع وثمانين وسبع مائة، يُعرف بشهاب الدين أحمد الأنصاري. وكان الناس يمهرون في صحن الخائفة بينهم، فجدد شخص من الصوفية بها - يُعرف بشهاب الدين أحمد العثماني - هذا الدرائزين، وغرس فيه هذه الأشجار، وجعل عليها وقفًا لمن يتعاهدتها بالخدمة.

الخائفة الركنية ببيروس^(a)

[أثر رقم ٣٦]

هذه الخائفة من جملة دار الوزارة الكبرى، التي تقدم ذكرها عند ذكر القصر من هذا الكتاب^٢، وهي أجمل خائفة بالقاهرة بُنيًا وأوسعها مقدارًا وأتقنها صنعة. بناها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري قبل أن يلي السلطنة وهو أمير، فبدأ في بنائها في سنة ست وسبع مائة، وبنى بجانبها رباطًا كبيرًا يتوصل إليه من داخلها،^(b) ومن باب آخر يُسلك إليه من الزقاق المقابل لخائفة سعيد السعداء^(b)، وجعل بجانب الخائفة قبّة بها قبره. ولهذه القبّة شبائك تُشرف على الشارع المشلوك فيه من رحبة باب العيد إلى باب النصر. من جملتها الشباك الكبير الذي حمّله الأمير أبو الخارث البساسيري من بغداد لما غلب الخليفة القائم العباسي، وأرسل بعمامته وشبائكه الذي كان بدار الخلافة في بغداد وتجلس الخلفاء فيه، وهو هذا الشباك - كما ذكر في أخبار دار الوزارة من هذا الكتاب^٢ - فلما ورد هذا الشباك من بغداد، عمّل بدار الوزارة، واستمر فيها إلى أن عمّر الأمير بيبرس الخائفة المذكورة، فحجّل هذا الشباك بقبة الخائفة، وهو بها إلى يومنا هذا، وإنه لشباك جليل القدر حثيم، يكاد تتبين عليه أبهة الخلافة^٣.

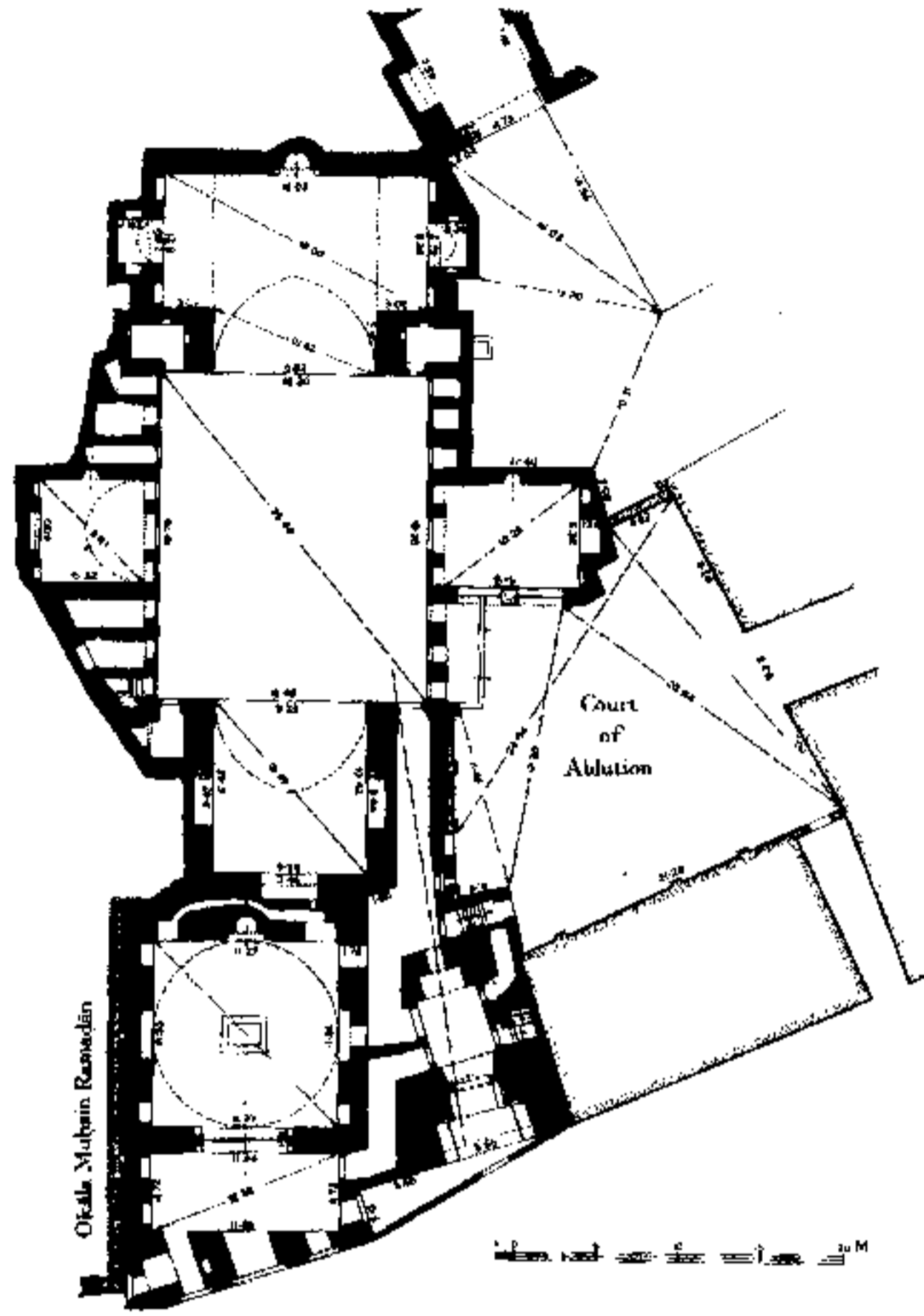
(a) بولاق: خائفة ركن الدين بيبرس. (b-b) ساقطة من بولاق.

^٣ لا تزال هذه الخائفة باقية إلى الآن في شارع الجمالية

^١ فيما تقدم ١٥٢.

في مواجهة الدرب الأصفر، وهي أقدم خائفة باقية في -

^٢ فيما تقدم ٢: ٤٤٠-٤٤١.



مخطوط الخانقاه الرشيكية ببيروت (عن Creswell)

ولما شرع في بنائها رفق بالناس ولاطفهم، ولم يعسف فيها أحداً في بنائها، ولا أكره صانعاً، ولا غصب من آلياتها شيئاً، وإنما اشترى دار الأمير عز الدين الأفرم التي كانت بمدينة مصر، واشترى دار الوزير هبة الله بن صاعد القائري، وأخذ ما كان فيهما من الأنقاض، واشترى أيضاً

٢٥٧٦؛ ابن إياس: بتلخيص الزهور ١/١: ٤١٨-٤١٩؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٤: ١٤٢-١٤٣ (٦٨)؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١٣١-١٣٥؛ Creswell, K.A.C., *MAEII*, pp. 249-53؛ Fernandes, L., «The Foundation of ١١٧٢-١٦٢:٣ Baybars al-Jashankir: Its Waqf, History and Architecture», *Muqarnas IV* (1987), pp. 21-42؛ عاصم محمد رزق: خانقاوات الصوفية في مصر ١: ٢١١-٢٤٦، أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٣٦٧-٣٩٢.

= مدينة القاهرة ذات تخطيط متعايد. ذكر ابن إياس أنه بدأ في بنائها في رغبة باب العيد ومواجهة الدرب الأصغر، في سنة ١٣٠٦/٧٠٥م. وزال الرباط الملحق بها ومكانه الآن الوكالة التي أنشأها سليمان أغا السلاح دار سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م، ولا تزال موجودة بحري الخانقاه وتعرف باسم حوش عطى. (مجهول: تاريخ سلاطين المماليك ٢٢٧، النويري: نهاية الأرب ٣٢: ١٣١-١٣٢؛ مفضل ابن أبي الفضائل: النهج السديد؛ ابن خلدون: التعريف ٣١٢-٣١٣؛ المقرئ: السلوك ٢: ٣٦؛ العيني: عقد الجمان ٤: ٤٢٨-٤٢٩؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ١٧٤هـ،

دار الأتماط التي كانت برأس حارة الجوزيرية من القاهرة ونقضها وما حولها، واشترى أملاكها كانت قد / بُنيت في أرض دار الوزارة من أملاكها بغير إكراهٍ وهدمها . فكان قياس أرض الخانقاه والرباط والقبة نحو فدانٍ وثلاث .

وعندما شرع في بنائها حضر إليه الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير بكتاش الفخري أمير سلاح ، وأراد التقرب لخاطره وعرفه أن بالقصر الذي فيه سكن أبيه مغارة تحت الأرض كبيرة، يُذكر أن فيها ذخيرة من ذخائر الخلفاء الفاطميين ، وأنهم لما فتحوها لم يجدوا بها سوى زخام كثير ، فسدوها ولم يتعرضوا لشيءٍ مما فيها . فسُرَّ بذلك ، وبعث عدَّة من الأمراء فتحوا المكان ، فإذا فيه زخامٌ جليل القدر عظيم الهيئة ، فيه ما لا يوجد مثله لعظيمه ، فنقله من المغارة ، ورخم منه الخانقاه والقبة وداره التي بالقرب من البندقانيين وحارة زويلة ، وفضل منه شيءٌ كثير عهدى أنه مُخْتَرَنٌ بالخانقاه ، وأظنه أنه باقٍ هناك .

ولما كملت في سنة تسع وسبع مائة^١ ، قرَّر بالخانقاه أربع مائة صوفي ، وبالرباط مائة من الجنِّد وأبناء الناس الذين قعد بهم الوقت ، وجعل بها مطبخًا يُفَرَّق على كلِّ منهم في كلِّ يومٍ اللحم والطعام وثلاثة أزغفة من خبز البرِّ ، وجعل لهم الحلوى ، ورَتَّب بالقبة درسًا للحديث النبوي له مُدْرَسٌ وعنده عدَّة من المحدثين ، ورَتَّب القراء بالشباك الكبير يتناوبون القراءة فيه ليلاً ونهارًا ، ووقَّف عليها عدَّة ضياع بدمشق وحمّاه ، ومئنة المخلص بالجيزة من أرض مصر ، وبالصعيد والوجه البحري ، والرَّبع والقيسارية بالقاهرة^٢ .

^١ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآيات ٥١-٥٩ سورة الدخان - وافق الفراع من هذه القبة والخانقاه في شهر رمضان المعظم سنة تسع وسبع مائة . (van Berchem, M., CIA Égypte I, n°188-89; Wiet, G., RCEA . (XIV, n° 5242-43

^١ يُدُلُّ على ذلك كتابان تاريخيتان ، الأولى على الواجهة ونصها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآيات ٣٦-٣٨ سورة النور - أمر بإنشاء هذه الخانقاه السعيدة وقفاً مؤبداً على جماعة الصوفية من قبض الله تعالى وجزيل إحسانه ، راجياً بذلك عفوه وغفرانه ، العبد الفقير إلى الله تعالى [نحو مسافة مترٍ مئتين كتابته عمداً قد تكون : «السلطان الملك المظفر»] ركن الدين بيبرس المنصورى عبد الله والفقير إليه الراجي رحمة يوم القُدوم عليه ضاعف الله ثوابه وزكى أعماله ويسر له أسباب ما تسطَّ إليه من المعروف آماله بمنه وتكريمه وأفضاله ، وصلى الله على سيِّدنا محمد ...» .

^٢ ذَكَرَ ابْنُ إِيَّاسٍ أَنَّهُ لَمَّا كَمُلَتْ عِمَارَةُ هَذِهِ الْخَانِقَاهِ كَتَبَ الشَّيْخُ شَرْفُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ شَرِيفِ بْنِ يُوسُفَ الدُّرُوعِيِّ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الرَّحِيدِ الْكَاتِبِ ، الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٧١١هـ / ١٣١١م ، لِبَيْبَرَسِ الْجَاشَنكِرِ نَحْتَمَةً فِي سَبْعَةِ أَجْزَاءٍ ، وَأَضَافَ الصُّفَّيَّاتِ أَنَّهَا كَتَبَتْ بِلِقِيَّةٍ ذَهَبِيَّةٍ دَخَلَ فِيهَا جَمَلَةٌ مِنَ الذُّعَبِ أَغْطَاهُ لَهُ الْجَاشَنكِرِ بِرِشْمِ اللَّيْقَةِ لَا غَيْرَ أَلْفًا وَسِتِّ مِائَةٍ دِينَارٍ . (بدائع الزهور ١/١: ٤١٨) الوافي بالوفيات =

والثانية على وجه العقد الغربي لقاعدة القبة ، ونصها :

فلما نُخْلِغَ من السُّلْطَنَةِ وَقَبِضَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ وَقَتْلَهُ ، أَمَرَ بِغَلْقِهَا فَغُلِّقَتْ ، وَأَخَذَ سَائِرَ مَا كَانَ مَوْقُوفًا عَلَيْهَا ، وَمَحَا اسْمَهُ مِنَ الطَّرَازِ الَّذِي بظَاهِرِهَا فَوْقَ الشَّبَابِيكِ ، وَأَقَامَتْ نَحْوَ عَشْرِينَ سَنَةً مُعْطَلَةً . ثُمَّ إِنَّهُ أَمَرَ بِفَتْحِهَا فِي أَوَّلِ سَنَةِ سِتِّ وَعَشْرِينَ وَسَبْعِ مِائَةِ فَفُتِّحَتْ ، وَأَعَادَ إِلَيْهَا مَا كَانَ مَوْقُوفًا عَلَيْهَا . وَاسْتَمَرَّتْ إِلَى أَنْ شَرِقَتْ أَرْضِي مِصْرَ لِقُصُورِ مَدِّ النَّيْلِ أَيَّامَ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ شُعْبَانَ بْنِ حُسَيْنٍ فِي سَنَةِ سِتِّ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، فَبَطَلَ طَعَامُهَا ، وَتَعَطَّلَ مَطْبَخُهَا ، وَاسْتَمَرَّ الْخُبْزُ وَمَبْلَغُ سَبْعَةِ دَرَاهِمٍ لِكُلِّ وَاحِدٍ فِي الشَّهْرِ بَدَلَ الطَّعَامِ ، ثُمَّ صَارَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي الشَّهْرِ عَشْرَةُ دَرَاهِمٍ . فَلَمَّا قَصُرَ مَدُّ النَّيْلِ فِي سَنَةِ سِتِّ وَتَسْعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ بَطَلَ الْخُبْزُ أَيْضًا ، وَغُلِقَ الْمَخْبِزُ مِنَ الْخَائِقَاءِ ، وَصَارَ الصُّوفِيَّةُ يَأْخُذُونَ فِي كُلِّ شَهْرٍ مَبْلَغًا مِنَ الْفُلُوسِ مُعَامَلَةً الْقَاهِرَةَ ، وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ .

وقد أَدْرَكْتُهَا وَلَا يُمْكِنُ بَوَائِبُهَا غَيْرَ أَهْلِهَا مِنَ الْعُبُورِ إِلَيْهَا وَالصَّلَاةِ فِيهَا لَمَّا لَهَا فِي النَّفُوسِ مِنَ الْمَهَابَةِ ، وَيَمْتَنِعُ النَّاسُ مِنْ دُخُولِهَا حَتَّى الْفُقَهَاءُ وَالْأَجْنَادُ ، وَكَانَ لَا يَنْزِلُ بِهَا أَمْرُدٌ ، وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْخَيْرِ . وَقَدْ ذَهَبَ مَا هُنَاكَ ، فَتَزَلَّ بِهَا الْيَوْمَ عِدَّةٌ مِنَ الصُّغَارِ وَمِنَ الْأَسَاكِفَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعَامَّةِ ، إِلَّا أَنَّ أَوْقَافَهَا عَامِرَةٌ ، وَأَرْزَاقُهَا دَائِرَةٌ بِحَسَبِ نَقُودِ مِصْرِ .

(«وَمَنْ وَلِيَ مَشِيخَتَهَا فِي عَصْرِنَا الشَّيْخُ ضِيَاءُ الدِّينِ عُبَيْدُ اللَّهِ الْقُرْمِيُّ الشَّافِعِيُّ ، وَقَاضِي الْقُضَاةِ وَلِيُّ الدِّينِ بْنِ خَلْدُونَ الْمَغْرِبِيُّ الْمَالِكِيُّ ، وَالشَّرِيفُ النَّسَابَةُ وَغَيْرِهِمْ»^a).

ومن حُسْنِ بِنَاءِ هَذِهِ الْخَائِقَاءِ [أَنَّهُ] لَمْ يُحْتَجَّ فِيهَا إِلَى مَرْمَّةٍ مِنْذُ بُنِيَتْ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا . وَهِيَ مَبْنِيَةٌ بِالْحَجَرِ ، وَكُلُّهَا عُقُودٌ مُحْكَمَةٌ بَدَلَ الشَّقُوفِ الْحَشَبِ ، وَقَدْ سَمِعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ يَقُولُ : إِنَّهُ لَمْ تُبْنَ خَائِقَاهُ أَحْسَنَ مِنْ بِنَائِهَا .

(a-a) إضافة من المسوِّدة .

D., «Some Observation on the Calligrapher and Illuminators of the Koran of Rukn al-Dîn Baybars al-Jashnagir», *Muqarans II* (1984), pp. 147-57؛ وراجع أيمن فؤاد : الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات ٦٦-٦٧؛ ٣١٣-٣١٦ .

= ٣: ١٥٠-١٥١؛ المقرئبي : المقفى الكبير ٥: (٧٢١) .
ووصل إلينا هذا المصحف المعروف بـ «مصحف بيبرس الجاشنكير» - وهو أقدم مصحف مملوكي وصل إلينا كاملاً - وهو محفوظ الآن في المكتبة البريطانية بلندن برقم Add. 22406-13، ودرسته ديفيد جيمس في مقال بعنوان James,

الملك المظفر زكن الدين بيبرس الجاشنكير المنصور^١ - اشتراه الملك المنصور بيبرس الجاشنكير قلاوون صغيراً، ورقاه في الخدم السلطانية إلى أن جعله أحد الأمراء، وأقامه جاشنكيراً، وعرف بالشجاعة. فلما مات الملك المنصور، خدّم ابنه الملك الأشرف خليلاً إلى أن قتله الأمير بيدرا بناحية تزوجة. فكان أول من ركب على بيدرا في طلب ثأر الملك الأشرف، وكان مهاجراً بين حشداشيتته، فركبوا معه، وكان من نصرتهم على بيدرا وقتله ما قد ذكر في موضعه. فاشتهر ذكره، وصار أستاذًا السلطان في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الثانية، رفيقاً للأمير سلار نائب السلطنة، وبه قويت الطائفة البزجية من المماليك، واشتدّ بأسهم، وصار الملك الناصر تحت حجر بيبرس وسلار إلى أن أيف من ذلك، وصار إلى الكرك.

١٠ فأقيم بيبرس في السلطنة يوم السبت ثالث عشرين شوال سنة ثمان وسبع مائة؛ فاستضعف جانبه، وأنحط قدره، ونقصت مهابته، وتغلب عليه الأمراء والمماليك، واضطربت أمور المملكة لمكان الأمير سلار، وكثرة حاشيته، وميل القلوب إلى الملك الناصر.

وفي أيامه عمّل الجسر من قلوب إلى مدينة دمياط، وهو مسيرة يومين طولاً في عرض أربع قصبات من أعلاه وست قصبات من أسفله، حتى إنه كان يسير عليه ستة من الفرسان معاً بجذاء بعضهم بعضاً^(a). وأبطل سائر الخمرات من الشواجل وغيرها من بلاد الشام، وسامح بما كان من المقرّر عليها للسلطان، وعوّض الأجناد بدله، وكسبت أماكن الرّيب والفواجش بالقاهرة ومصر، وأريقّت الخمر، وضرب أناس كثير في ذلك بالمقارع، وتتبع أماكن الفساد، وبالغ في إزالته، ولم يُراع في ذلك أحدًا من الكتاب ولا من الأمراء. فخفّ المنكر، وخفي الفساد. إلا أن الله أراد

(a) ساقطة من بولاق.

^١ راجع ترجمة المظفر بيبرس الجاشنكير، عند الصفدي: ١١٨؛ المقريري: السلوك ٢: ٤٥-٧١؛ المقفى الكبير أعيان العصر ٢: ٧١-٧٥، الوافي بالوفيات ١٠: ٣٤٨-٣٥٠؛ مجهول: تاريخ سلاطين المماليك ١٣٧-١٤٥؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ٤٠٦-٤١٧؛ النويري: نهاية الأرب ٣٢: ١٣٩-١٤٧؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٩: ١٥٦-١٨٩؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ١: ٢٨٧-٢٩١، ٢: ١٧-١٨٩.

١١٨؛ المقريري: السلوك ٢: ٤٥-٧١؛ المقفى الكبير ٢: ٥٣٤-٥٥٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٣٦-٤٠؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٢٣٢-٢٧٧؛ المنهل الصافي ٣: ٤٦٧-٤٧٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٤٢٣-٤٣١؛ Wiet, G., *El*² art. *Baybars III*, p. 1160.

زوال دولته ، فتولت له نفسه أن يبعث إلى الملك الناصر بالكرك يطلب منه ما خرج به معه من الخيل والماليك ، وحمل الرسول إليه بذلك مشافهةً أغلظ عليه فيها . فحنق من ذلك ، وكاتب نواب الشام وأمرآء مصر في السر يشكو ما حلَّ به ، وترفق بهم وتلطف بهم / فرقوا له ، وامتعضوا لما به . ونزل الناصر من الكرك ، وبزز عنها ، فاضطرب الأمر بمصر ، واختل الحال من بينرس ، وأخذ العسكر يسير من مصر إلى الناصر شيئاً بعد شيء ، وسار الناصر من ظاهر الكرك يريد دمشق في غرة شعبان سنة تسع وسبع مائة . فعندما نزل الكسوة ، خرج الأمراء وعامة أهل دمشق إلى لقاءه ومعهم شعار السلطنة ، ودخلوا به إلى المدينة - وقد فرحوا به فرحاً كثيراً - في ثاني عشر شعبان ، ونزل بالقلعة ، وكاتب النواب ، فقدموا عليه ، وصارت ممالك الشام كلها تحت طاعته ، يُخطب له بها ، ويُجبي إليه مالها .

ثم خرج من دمشق بالعساكر يريد مصر ، وأمر بينرس كل يوم في نقص ، إلى أن كان يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان فترك بينرس المملكة ، ونزل من قلعة الجبل ومعه خواصه إلى جهة باب القرافة ، والعامّة تصيح عليه وتسبّه ، وترجمه بالحجارة - عصيةً للملك الناصر ، وحباً له - حتى سار عن القرافة . ودعا الحرس بالقلعة في يوم الأربعاء للملك الناصر ، فكانت مدة سلطنة بينرس عشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً .

وقدم الملك الناصر إلى قلعة الجبل أول يوم من شوال وجلس على تخت المملكة ، واستولى على السلطنة مرةً ثالثة . ونزل بينرس بإطفيح ، ثم صار منها إلى إخميم ، فلما صار بها تفرق عنه من كان معه من الأمراء والماليك ، فصاروا إلى الملك الناصر ، فتوجه في نفر يسير على طريق السويس يريد بلاد الشام ، فقبض عليه شرقي غزة ، وحمل مقيداً إلى الملك الناصر . فوصل قلعة الجبل يوم الأربعاء ثالث عشر ذي القعدة ، وأوقف بين يدي السلطان ، وقبّل الأرض ، فعنقه ، وعدد عليه ذنوباً ووبّخه ، ثم أمر به فسجن في موضع إلى ليلة الجمعة خامس عشره ، وفيها لحق بربه تعالى ، فحُمِلَ إلى القرافة ودُفِنَ في تربة الفارس أقطاي^١ ، ثم نُقِلَ منها بعد مدة إلى تربة بسفح المقطم فقبر بها زماناً طويلاً ، ثم نُقِلَ منها ثالث مرةً إلى خانقاهه ودُفِنَ بقبتها ، وقبره هناك إلى يومنا هذا . وأذكرُك بالخانقاه المذكورة شيخاً من صوفيّتها أخبرني أنه حضر نقله من تربيته بالقرافة إلى قبة الخانقاه ، وأنه تولى وضعه في مدفنه بنفسه .

^١ ما نزال بقايا تربة الفارس أقطاي موجودة في الجهة الجنوبية لقلعة الجبل على طريق صلاح سالم على يمين المتجه إلى كوبري السيدة عائشة ، ومسجلة بالآثار برقم ٢٧٧ . (راجع ، عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ١٠٧٠:١-١٠٧٨) .

وكان - رحمه الله - خيِّراً عفيفاً ، كثير الحياء ، وافر الحرمة ، جليل القدر ، عظيمًا في النفوس ، مهيب السطوة في أيام إمرته ، فلما تلقب بالسلطنة ووسم باسم الملك ، اتضع قدره ، واستضعف جايته ، وطمع فيه ، وتغلب عليه الأمراء والماليك ، ولم تنجح مقاصده ، ولا سعد في شيء من تذييره إلى أن انقضت أيامه ، وأناخ به جمامه ، غفر الله ذنوبه^(a) .

الخائفة الجمالية

[أثر رقم ٢٦]

هذه الخائفة بالقرب من دزب راشد يُسلك إليها من رَحْبَةِ باب العيد ، بناها الأمير الوزير^(b) علاء الدين^(b) مُغلطاي الجمالي في سنة ثلاثين^(c) وسبع مائة . وقد تقدّم ذكرها عند ذكر المدارس من هذا الكتاب^١ .

الخائفة الظاهرية المشتجة

[أثر رقم ١٨٧]

هذه الخائفة بخط يعين القصرين ، فيما بين المدرسة الناصرية ودار الحديث الكامليّة ، أنشأها الملك الظاهر برقوق في سنة ست وثمانين وسبع مائة . وقد ذكرت عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب^٢ .

^(d) وأن السلطان الملك الظاهر سيف الدين برقوق جعلها جامعًا ومدرسة وخائفة ، ورثب بها صوفية وأقرّ لهم بها الرواتب الواسعة من الخبز والطعام والحلوى والزيت والصابون والكسوة والمعروف من الدراهم في كل شهر خارجًا عن ذلك ، فصارت تضاهي خائفة الأمير شيخو ، رحمه الله^(d) .

(a) بولاق : رحمه الله . (b-b) إضافة من المسوِّدة . (c) بولاق : ثمانين . (d-d) إضافة من المسوِّدة .

^١ فيما تقدم ٥٧٥ - ٥٧٦ . وانظر كذلك عاصم محمد رزق : خائفات الصوفية في

^٢ ذكرت فيما تقدم ٦٨٤ عند ذكر المدارس لا الجوامع ؛ مصر ٤٨٣ : ٢ - ٥٢٦ .

الخائقة الشرايشية

هذه الخائقة فيما بين الجامع الأقمَر وحارة بزجوان ، في آخر المنحَر الذي كان للخلفاء^١ ، وهو يُعرف اليوم بالذُرب الأصفر^٢ ، ويَتوصَّلُ منها إلى الذُرب الأصفر تجاه خائقاه يَبْرَس ، وبابها الأصلي من زُقاقِ ضَيْقِ بوسَطِ شُوقِ حارة بزجوان^(a) .^٣ أنشأها الصُدْرُ الأَجَلُّ نُورُ الدِّينِ عَلِيُّ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَحاسِنِ الشُّرايشي ، وكان من ذوي الغنى واليسار ، صاحب ثراءٍ مُتَّسِعٍ ، وله عِدَّةُ أوقافٍ على جهاتِ البِرِّ والقُرْبَاتِ ، ومات في (b) .

الخائقة المهمندارية

[أثر رقم ١١٥]

هذه الخائقة خارج باب زويلة فيما بين رأس^(c) اليانسية وجامع المازديني^(d) . بناها الأميرُ شهابُ الدِّينِ أحمدُ بنُ آقوش العزيزي ، المهمندار ونقيب الجيوش ، في سنة خمس وعشرين وسبع مائة . وقد ذُكرت في المدارس من هذا الكتاب^٤ .

(a) العبارة في المُسَوِّدة : وهذه الخائقة داخلة في الزُّقاقِ الضَّيِّقِ المظلم الذي على يَمِّنة مَنْ خَرَجَ من سوقِ المحاميرين طالبا إلى حارة بزجوان . (b) بياض في النسخ . (c) بولاق : رأس حارة . (d) العبارة في المُسَوِّدة : عند مُضَلَّى الأُموات خارج باب زويلة والذُرب الأحمر .

^١ أطلق عليها المقرئزي (فيما تقدم ٢: ٢٤٩: ٢٠) الطُّبلاوي ، والثاني بناه الحاج إسماعيل بن إسماعيل شلبي .
^٢ فيما تقدم ٣: ١٣٥ .
^٣ رجَّح علي باشا مبارك أن هذه الخائقة حلَّ محلُّها والأرض المجاورة لها ابتداءً من منتصف القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي ، المنزل المعروف الآن بـ«مَنزِلِ (تيت) الشَّحيمي» (مسجل بالآثار برقم ٣٣٩) ، وهو عبارة عن منزلين أديجا معا : الأولُ بناه الشَّيخُ عبد الوهَّاب

الطُّبلاوي ، والثاني بناه الحاج إسماعيل بن إسماعيل شلبي .
 وغرِفَ المَنزِلُ بعد ذلك بـ«مَنزِلِ الشَّحيمي» نسبةً إلى الشَّيخِ محمد أمين الشَّحيمي ، شَيْخِ رِواقِ الأَثراكِ بالجامع الأزهر ، الذي كان آخِرَ مالِكٍ له . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٢: ٢١٥ (٧٢) ، ٦: ١٤٤-١٤٥ (٥٠) ؛ عاصم محمد رزق : أطلال العمارة الإسلامية ٤: ٨٣٣-٨٧٠) .

^٤ فيما تقدم ٦١٢ .

خَانِقَاهُ بَشْتَاك

/ هذه الخانقاهُ خارج القاهرة على جانِب الخَلِيج من البَرِّ الشَّرْقِي^١، تِجَاه جَامِع بَشْتَاك^(a) مُطَلَّةً على الخَلِيج الكَبِير^(a).^٢ أنشأها الأميرُ سَيِّفُ الدِّينِ بَشْتَاك النَّاصِرِي^٣، وكان فَتَحَها أوَّلَ يَوْمٍ من ذِي الحِجَّةِ سَنَةِ سِتِّ وِثَلَاثِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ، واسْتَقَرَّ في مَشِيخَتِهَا شِهَابُ الدِّينِ^(b) القُدْسِي، وتَقَرَّرَ عنده عِدَّةٌ من الصُّوفِيَّةِ، وأَجْرَى لَهُمُ الخُبْزَ والطَّعَامَ في كُلِّ يَوْمٍ. فاسْتَمَرَ ذلك مُدَّةً ثم بَطَلَ، وصَارَ يُضْرَفُ لأزبَابِهَا عَوَضًا عن ذلك في كُلِّ شَهْرٍ مَبْلَغٌ، وهي عامِرَةٌ إلى وَقْتِنَا هذا. وقد نُسِبَ إليها جَمَاعَةٌ منهم الشَّيْخُ الأديبُ البارِعُ بَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنُ إبراهيم، المعروف بالبَدْرِ البَشْتَاكِي.

خَانِقَاهُ ابْنِ غُرَاب

[الرَّقْمُ ٣١٢]

هذه الخانقاهُ خارج القاهرة على الخَلِيجِ الكَبِيرِ من بَرِّه الشَّرْقِي، بجوار جَامِعِ بَشْتَاك من غَرْبِيه^٤. أنشأها القاضي الأميرُ سَعْدُ الدِّينِ إبراهيم بن عبد الرُّزَّاقِ بن غُرَابِ الإسْكَندَرَانِي

(a-a) إضافة من المُسَوِّدَةِ. (b) بياض بآياصوفيا وميونخ.

^١ حُلُّ محلِّ هذه الخانقاه في النصف الثاني من القرن ٩٩٠:٣ - ١٠١٠.

^٢ خَانِقَاهُ ابْنِ غُرَاب. ما تزال بقايا هذه الخانقاه (إيوان واحد) قائمة عند تقاطع شارع بورسعيد وشارع مصطفى فاضل جنوب المَدْرَسَةِ الخَنْدِويَّةِ وفي مواجهة جامع بَشْتَاك. وعندما أُعيد بناء المنزل الملاصق لهذه الخانقاه في سنة ١٩٠٧ على خطِّ التنظيم الجديد الرَّاجِعِ إلى الوراء، صارت الزَّاوِيَةُ القَبْلِيَّةُ من الخانقاه بلا ساند، قَرِّزَتْ لِحْنَةً حَفِظَ الآثارُ العَرَبِيَّةُ فَكَّ البِنَاءَ كُلَّهُ وأَعَادَتْ بِنَاءَهُ على خطِّ التنظيم الجديد مع إظهار ما خفي من الأشغال المحجوبة بارتفاع أرضية الشارع وإزالة النصف العلوي من الواجهة. وقد أتمت هذا التعديل في سنة ٢٣٦ - ٢٣٨.

^٣ انظر ترجمة الأمير بَشْتَاك النَّاصِرِي، فيما تقدم ٢٣٦ - ٢٣٨.

^٤ انظر ترجمة الأمير بَشْتَاك النَّاصِرِي، فيما تقدم ٢٣٦ - ٢٣٨.

ناظر الخاص وناظر الجيوش وأستاذار السلطان وكاتب السر وأخذ أمراء الألوفا
الأكابر^١.

أسلم جده غراب، وباشر بالإسكندرية حتى ولي نظر الثغر، ونشأ ابنه عبد الرزاق هناك،
فولي أيضا نظر الإسكندرية، وولد له ماجد وإبراهيم. فلما تحكّم الأمير جمال الدين محمود بن
علي في الأموال أيام الملك الظاهر بزقوق، اختص إبراهيم، وحمله إلى القاهرة وهو صبي،
واعتنى به، واشتكتبه في خاص أمواله حتى عرفها. فتتكر محمود عليه لأمر بدا منه في ماله،
وهم به، فبادر إلى الأمير علاء الدين علي بن الطبلاوي، وترامى عليه - وهو يومئذ قد نافس
محمودًا - فأوصله بالسلطان، وأمكنه من سماع كلامه، فملاً أذنه بذكر أموال محمود، ووغر
صدره عليه حتى نكبه، واشتصفي أمواله كما ذكر في خبره عند ذكر مدرسة محمود من هذا
الكتاب^٢.

وما مع ذلك، تقبل الله منه ولطف به في الدارين بمحمد
وآله سنة [.....] (van Berchem, M., CIA). (Égypte I, n°451).

وراجع أيضًا علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٨٥-٨٦
(٢١)، ١٣٩ (٤٩)؛ عاصم محمد رزق: خانقاوات
الصوفية في مصر ٢: ٥٢٧-٥٣٧، أطلس العمارة
الإسلامية ٣: ١٩٥-٢١٠.

^١ سغد الدين إبراهيم بن عبد الرزاق بن غراب، أضله
من أولاد الكتبة الأقباط بالإسكندرية، راجع ترجمته
كذلك عند المقرئ: درر العقود الفريدة ١: ٩٢-١٠٠،
السلوك ٤: ٢٤؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٢: ٣٢٨؛ أبي
الحسن: النجوم الزاهرة ١٣: ١٥٦، المنهل الصافي
١: ١٠٤-١١٢؛ الصيرفي: نزهة النفوس ٢: ٢٢١؛
السخاوي: الضوء اللامع ١: ٦٥-٦٧؛ ابن إياس: بدائع
الزهور ١/٢: ٧٥٥.

^٢ فيما تقدم ٥٩٧.

= «هذه الخانقاه المباركة من إنشاء الأمير سغد الدين
إبراهيم بن عبد الرزاق بن غراب الإسكندراني ناظر الجيوش
المنصورة والخواص الشريفة وكاتب السر على أيام السلطان
الظاهر بزقوق وولده، أنشأها بعد سنة ثمان مائة من
الهجرة. وكانت وجهتها خارجة في الطريق ومن دوم
أسفلها، فهدمتها لجنة حفظ الآثار العربية وأعدت بناءها
على سنته في عصر خديو مصر الأعظم ومليكتها الأنجم
الحاج عباس حلمي الثاني أدام الله أيامه، وذلك في سنة
١٣٢٩ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل السلام
وأذكى التحية». (Lamei Mostafa, S., Madrasa, Hanqâh und Mausoleum des Barqûq in Kairo, p. 104).

ويوجد على عصابة المدخل الأصلي للخانقاه كتابة
تاريخية تنقص من أولها وآخرها، نصها:

«[.....] الله وأخوَجهم إلى عَفوه إبراهيم بن غراب
أستاذار العالية وناظر الجيوش المنصورة والخواص الشريفة



مخطط خانقاه ابن عراب (عن صالح لمعي)

وولي ابن عراب نظر الديوان المفرد في حادي عشر صفر سنة ثمان وتسعين وسبع مائة وعمره عشرون سنة أو نحوها - وهي أول وظيفة وليها - فاختص بابن الطبلاوي ولازمه وملا عينه بكثرة المال. فتحدث له في وظيفة نظر الخاص، عوضاً عن سعد الدين أبي الفرج بن تاج الدين موسى، فوليتها في تاسع عشر ذي القعدة، وعص بمكان ابن الطبلاوي، فعمل عليه عند السلطان حتى غير عليه، وولاه أمره، فقبض عليه في داره وعلى سائر أشباهه في شعبان في سنة ثمان مائة.

ثم أضيف إليه نظر الجيوش، عوضاً عن شرف الدين محمد الدماميني في تاسع ذي القعدة سنة ثمان مائة، فعف عن تناول الرسوم وأظهر من الفخر والحشمة والمكارم أمراً كبيراً. وقدّر الله موت السلطان في شوال سنة إحدى وثمان مائة، بعدما جعله من جملة أوصيائه، فباطن الأمير يشبك الخازندار على إزالة الأمير الكبير أيتمش القائم بدولة الناصر فرج بن برقوق، وعمل لذلك أعمالاً، حتى كانت الحرب - بعد موت السلطان الملك الظاهر - بين الأمير أيتمش وبين الأمير يشبك، في ربيع الأول سنة اثنتين وثمان مائة، التي انتهزم فيها أيتمش وعدة من الأمراء إلى الشام.

وتحكّم الأمير يشبّك ، فاستدعى عند ذلك ابنُ غراب أخاه فخر الدين ماجداً من الإسكندرية ، وهو يلي نظرها ، إلى قلعة الجبل ، وفوضت إليه وزارة الملك الناصر فرج بن بزقوق ، فقاما بسائر أمور الدولة إلى أن ولي الأمير يلبغا السلمي الأستادارية ، فسلك معه عادته من المنافسة ، وسعى به عند الأمير يشبّك حتى قبض عليه ، وتقلد وظيفة الأستادارية عوضاً عن السلمي ، في رابع عشر رجب سنة ثلاث وثمان مائة ، مضافاً إلى نظر الخاص ونظر الجيوش . فلم يُغيّر زي الكتاب ، وصار له ديوان كدواوين الأمراء ، ودُقّت الطبول على بابِه ، وخاطبته الناس وكاتبوه بالأمير ، وصار في ذلك سيرة ملوكية من كثرة العطاء ، وزيادة الأسمطة ، والاتساع في الأمور ، والازدياد من الممالك والخيول ، والاشتكار من الخول والحواشي حتى لم يكن أحدٌ يضاهيه في شيء من أحواله . إلى أن تنازع الأميران بحكم وشودون طاز مع الأمير يشبّك ، فكان هو المتولي كبير تلك الحروب .

ثم إنه خرج من القاهرة مغاضباً لأمراء الدولة ، وصار إلى ناحية تروجة يريد جمع العزبان ومحاربة الدولة ، فلم يتم له ذلك وعاد ، فدخل القاهرة على حين غفلة ، فنزل عند جمال الدين يوسف الأستادار ، فقام بإصلاح أمره مع الأمراء حتى حصل له الغرض ، فظهر واستولى على ما كان عليه ، إلى أن تنكرت رجال الدولة على الملك الناصر فرج ، فقام مع الأمير يشبّك بحرب السلطان إلى أن انهزم الأمير يشبّك بأصحابه إلى الشام ، فخرج معه في سنة تسع وثمان مائة ، وأمدّه ومن معه بالأموال العظيمة حتى صاروا عند الأمير شيخ نائب الشام ، واشتتفر العساكر لقتال الملك الناصر ، وحرّضهم على المسير إلى حربه وخرج من دمشق مع العساكر يريد القاهرة ؛ فكان من وقعة السعيدية ما كان ، على ما هو مذكور في خبر الملك الناصر ، عند ذكر «الخائفاء الناصرية» من هذا الكتاب^١ . فاحتفى الأمير يشبّك وطائفة من الأمراء بالقاهرة ، ولحق ابنُ غراب

^١ لم يرد في المسوّدة أو المبيضة ذكر لد «خائفاء الناصرية» ، ولا ترجمة للسلطان الملك الناصر فرج بن بزقوق ، الأمر الذي يدلُّ مرّة أخرى على أن ما وصل إلينا من كتاب «الخطط» به نقص يتعلّق على الأخصّ بفترة سلطنة الظاهر بزقوق وابنه الناصر فرج . (راجع مناقشة ذلك في المقدمة) . كما أن ترجمة الناصر فرج في كتاب «ذُرر العقود الفريدة» للمقريزي ١٧:٣-١٨ ، جاءت في غاية الاختصار ، على عكس اللغة الثاقبة التي استخدمها المقريزي في ترجمته

للناصر فرج في السلوك ٤: ٢٢٥-٢٢٨ ، والتي اعتمد عليها أبو المحاسن بن تغري بزدی في النجوم الزاهرة ١٣: ١٥١-١٥٣ .

وما تزال «الخائفاء الناصرية» قائمة في قرافة الممالك شرق طريق صلاح سالم ، ومسجلة بالآثار برقم ١٤٩ . وتعدُّ أكبر بناء أثري باقٍ في قرافات مصر حيث تُشغل مساحة قدرها ٧٥٠٠ مترًا مربعًا ، وضمت زفات صفوة من علماء مصر والصالحين . وقد شيدها الناصر فرج بناء على =

بالأمير إينال باي بن قجماس - وهو يومئذ كبير الأمراء / الناصرية - وملاً عينه بالمال . فتوسّط له مع الملك الناصر حتى أمّنه ، وأصبح في داره وجميع الناس على بايه .

ثم تقلّد وظيفة نظير الجيوش ، واختصّ بالسلطان ، وما زال به حتى استرضاه على الأمير يشبك ومن معه من الأمراء ، وظهروا من الاستتار ، وصاروا بقلعة الجبل ، فخلع عليهم السلطان وأمرهم ، وصاروا إلى دورهم . فنقل على ابن غراب مكان فتح الدين فتح الله كاتب السرّ ، فسعى به حتى قبض عليه وولّى مكانه كتابة السرّ ليتمكن من أغراضه .

فلما استقرّ في كتابة السرّ أخذ في نقض دولة الناصر ، إلى أن تمّ له مراده فصارت الدولة كلها على الناصر ، فخلا به ، وخيّل له وحسن له الفرار فانقاد له ، وتراعى عليه ، فأعدّ له رجلين أحدهما من مماليكه ومعهما فرسان ، ووقفأ بهما وراء القلعة . وخرج الناصر وقت القائلة ومعهم تملوك من مماليكه يقال له بيتغوت وركبا الفرسيين ، وسارا إلى ناحية طرا ، ثم عادا مع قاصدي ابن غراب في مركب من المراكب النيلية ليلاً إلى دار ابن غراب ، ونزلا عنده ، وقد خفي ذلك على جميع أهل الدولة .

أبو السعادات فرج بن برفوق ، أدام الله أيامه .
ويجاور الخانقاه سبيل يعلوه كتّاب ، وبواجهته القبلة حوض لشرب الدواب .

راجع ، المقرزي : السلوك ٣ : ٩٣٦-٩٣٧ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٢ : ١٠٣-١٠٤ ؛ حسن عبد الوهاب : «خانقاه فرج بن برفوق وما حولها» في كتاب المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية ، القاهرة ١٩٦١ ، ٢٨٣-٣٠٥ ؛
Lamei Mostafa, S., *Kloster und Mausoleum des Farag ibn Barqûq in Kairo*, Glückstadt 1968 ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٤ : ٥٩-٦٨ ؛ عاصم محمد رزق : خانقاوات الصوفية في مصر ٢ : ٥٣٨-٥٧٩ ، أطلس العمارة الإسلامية ٣ : ١٣١-١٦٠ .

= وصيغة والده الذي أوصى بأن تُعمر له تربة بالصخراء خارج باب النصر تجاه تربة الأمير يونس الدودار وأن يُدفن في لحيد تحت أرجل الفقراء المدفونين بها . (المقرزي : السلوك ٣ : ٩٣٦-٩٣٧ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٢ : ١٠٣-١٠٤) .

ويتكوّن البناء الذي شيّده الناصر فرج من جامع فسيح ، وقبتان إحداهما للظاهر برفوق وأولاده ومن دفن من العلماء والصالحين ، والثانية لأفراد أسرته من السيدات ، و«خانقاه للصوفية» . وأقيمت الخانقاه وملاحقاتها على أرض تكاد تكون مربعة فأصبحت لها أربع وجّهات ، الجنوبية منها تسودها البساطة ، وأفخمها واجهتها الغربية وهي الواجهة الرئيسة التي يتوسّطها منارتان رشيقتان وتفتح فيها المدخل الرئيس للخانقاه الذي حلّي بمقرنصات دقيقة وكتيب على جانبيه :

وعن الكتابات التاريخية بالخانقاه انظر

van Berchem, *M., CIA Égypte I*, n°205-24; Lamei Mostafa, S., *op.cit.*, pp. 130-40, n°556-93.

«بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذه الخانقاه الشريفة السلطان الأعظم مالك رقاينا سيّد ملوك العرب والعجم ، مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين

وقام ابن غراب بتولية عبد العزيز بن برقوق ، وأجلسه على تخت الملك عشاء ، ولقبه بـ «الملك المنصور» ، ودبر الدولة كما أحب مدة سبعين يوماً ، إلى أن أحس من الأمراء بتغيير ، فأخرج الناصر ليلاً ، وجمع عليه عدّة من الأمراء والمماليك ، وركب معه بلامّة الحزب إلى القلعة . فلم يلبث أصحاب المنصور وانهمزوا ، ودخل الناصر إلى القلعة واستولى على المملكة ثانية ، فألقى مقاليد الدولة إلى ابن غراب وفوض إليه ما وراء سريره ، ونظّمه في خاصّته وجعله من أكابر الأمراء ، وناط به بجميع الأمور^١ .

فأصبح مولى نعمة كل من السلطان والأمراء ، يئن عليهم بأنه أبقى لهم مهجهم ، وأعاد إليهم سائر ما كانوا قد سلبوه من ملكهم ، وأمدّهم بماله وقت حاجتهم وفاقتهم إليه ، ويفخر ويتكبر بأنه أقام دولة وأزال دولة ، ثم أزال ما أقام وأقام ما أزال ، من غير حاجة ولا ضرورة ألجأته إلى شيء من ذلك ، وأنه لو شاء أخذ الملك لنفسه .

وترك كتابة السرّ لعلامه وأخذ كتابه فخر الدين بن المزوق ، ترفّعاً عنها واحتقاراً لها ، ولبس هيئة الأمراء - وهي الكلوثة والقباء - وشدّ السيف في وسطه ، وتحوّل من داره التي على بركة الفيل إلى دار بعض الأمراء بحدرة البقر . فغاضبه القضاة ، وكان عند الانتهاء الانحطاط .

ونزل به مرض الموت ، فنال في مرضه من السعادة ما لم يُسمع بمثله لأحد من أبناء جنسه ، وصار الأمير يشبك ومنّ دونه من الأمراء يترددون إليه ، وأكثرهم إذا دخل عليه وقف قائماً على قدميه حتى ينصرف ، إلى أن مات يوم الخميس تاسع عشر شهر رمضان سنة ثمان وثمان مائة ، ولم يبلغ ثلاثين سنة .

وكانت جنازته أحد الأمور العجيبة بمصر ، لكثرة من شهدها من الأمراء والأعيان وسائر أرباب الوظائف ، بحيث استأجر الناس الشقائف والحوانيت لمشاهدتها ، ونزل السلطان للصلاة عليه وصعد إلى القلعة ، فدفن خارج باب المحروق^٢ .

وكان من أحسن الناس شكلاً ، وأحلاهم منظرًا ، وأكثرهم يدًا ، مع تدبّر وتعمّف عن القادورات ، وبسط يد بالصدقات ، إلا أنه كان غدارًا ، لا يتوانى عن طلب عدوّه ، ولا يرضى

^١ فيما تقدم ٣ : ٧٨٢ . قايتباي ومقعد قبة تُنسب خطأ إلى القاضي سعد الدين ابن

^٢ لا يُعرف على وجه التدقيق الموضع الذي دُفن فيه غراب أنشئت في أغلب الظن سنة ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م ولم يُعرف منشؤها . (عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٣ : ١٨٥ - ١٩٤) .

من نكبتة بدون إتلاف النفس . فكم ناطح كئيبًا ، وثل عرشًا ، وعالج جبالًا شامخة ، واقتلع دولا من أصولها الراسخة .

وهو أحد من قام بتخريب إقليم مصر ، فإنه ما زال يرفع سعر الذهب حتى بلغ كل دينار إلى مائتي درهم وخمسين درهمًا من الفلوس ، بعدما كان بنحو خمسة وعشرين درهمًا ، ففسدت بذلك معاملة الإقليم ، وقلت أمواله ، وغلت أسعار المبيعات ، وساءت أحوال الناس ؛ إلى أن زالت البهجة ، وانطوى بساط الرقة ، وكاد الإقليم يدمر - كما ذكر ذلك عند ذكر الأسباب التي نشأ عنها خراب مصر من هذا الكتاب^١ - عفا الله عنه وسامحه ، فلقد قام بمواراة آلاف من الناس الذين هلكوا في زمان المحنة سنة ست وسنة سبع وثمان مائة وتكفينهم ، فلم يتس الله له ذلك ، وستره كما ستر المسلمين : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [الآية ٦٤ سورة مريم] .

الخائفة البندقدارية

[أثر رقم ١٤٦]

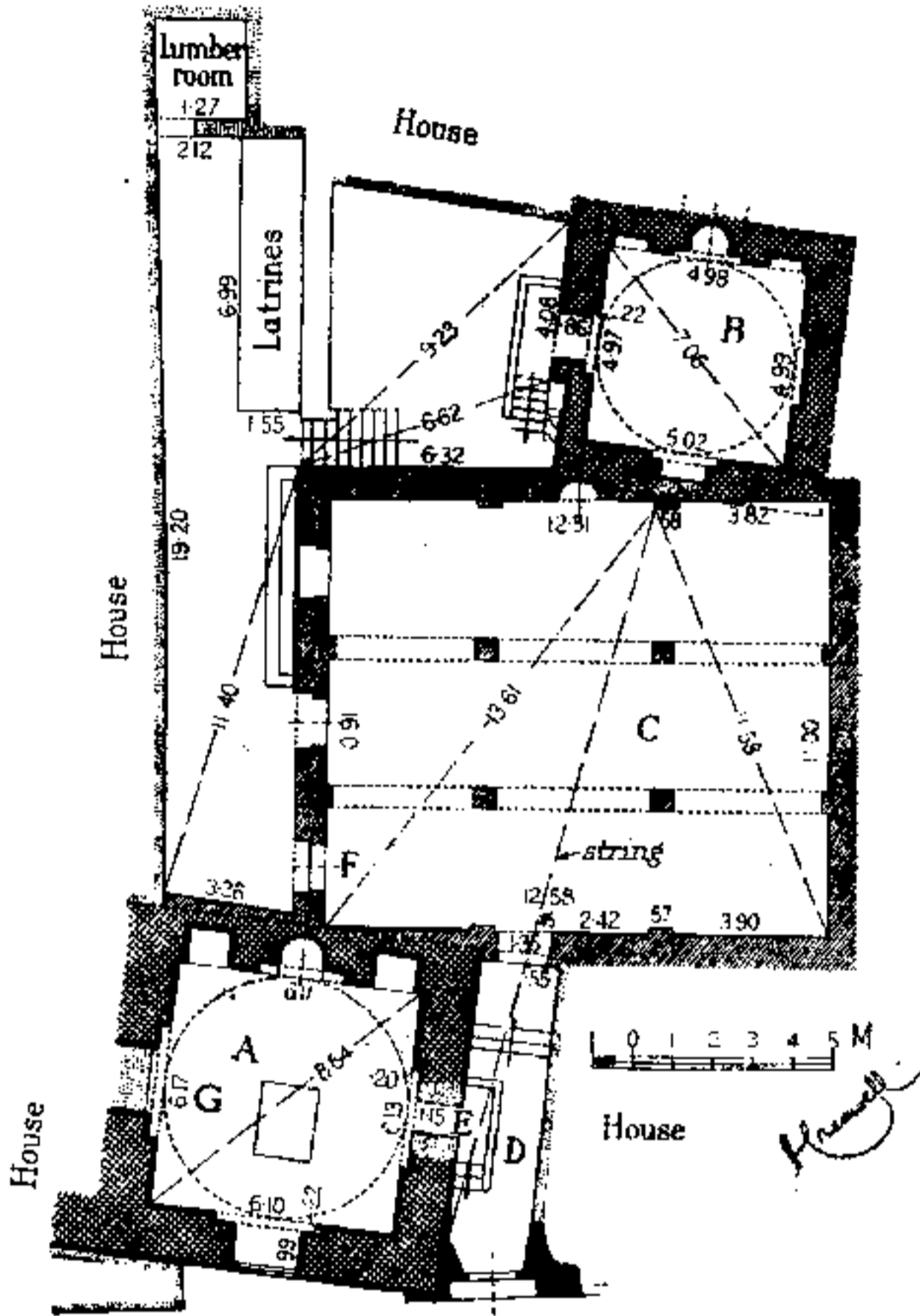
هذه الخائفة بالقرب من الصليبية ، كان موضعها يُعرف قديمًا بدويرة مسعود ، وهي الآن تجاه المدرسة الفارقانية وحمّام الفارقاني^٢ . أنشأها الأمير علاء الدين أيديكين البندقدار^(a) الصالح النجفي ، وجعلها مسجدًا لله تعالى وخائفة ، ^(b) على ما شاهدته في كتاب وقفها^(b) ، ورثب فيها

(a) بولاق : البندقداري . (b-b) إضافة من المسوذة .

^١ راجع مناقشة كتابة المقرئ للفضل المتعلق بالأسباب التي نشأ عنها خراب مصر في المقدمة .
^٢ ما تزال هذه الخائفة موجودة إلى الآن ، وتعرف بـ «زاوية الأبار» بشارع الشيويفية بجوار قصر الأمير طاز (فيما تقدم ٣: ٢٤٠-٢٤٢) . وقد جددتها ديوان الأوقاف في سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م . ويوجد على يسار الداخل من باب الخائفة قبّة أثرية تُشرف على الشارع تحتها قبر الأمير علاء الدين أيديكين ، وكان يوجد بها تابوت خشبي موضوع فوق القبر ، يوجد منه الآن بقايا ملقاة بجوار الجدار ، ويُلقت الأثنياء في هذه القبّة الرخارف الجصية الموجودة حول

ومخربها ، وتوجه داخل الخائفة قبّة أخرى يُرجح أن أيديكين أنشأها لزوجته ، وتتميز بشبايكها وزخارفها الجصية الموجودة بقبّة القبّة والتي تُعد من أدق نماذج الرخارف الجصية التي وصلت إلينا . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧: ٣٦٥هـ) ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٦: ٤٣-٤٤ (١٦-١٧) ؛ Creswell, K.A.C., MAE II, pp. 185-88 ؛ ماهر : مساجد مصر ٣: ٥٢-٥٤ ؛ عاصم محمد رزق : خانقاوات الصوفية في مصر ١: ١٥٩-١٧١ ؛ أطلس العمارة الإسلامية ٢: ١٠٧-١٢٨) .

صُوفِيَّةٌ وَقُرَّاءٌ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ . وَفِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، اسْتَنَابَهُ الْمَلِكُ الْمُعِزُّ أَيْتِكُ ، فَوَاطَبَ الْجُلُوسَ بِالْمَدَارِسِ الصَّالِحِيَّةِ مَعَ نُوَابِ دَارِ الْعَدْلِ .



مُخَطَّطُ الْخَانِقَاهِ الْبُنْدُقْدَارِيَّةِ (زَاوِيَةِ الْأَبَارِ) (عَنْ CRESWELL)

وإلى أيديكم هذا يُنسب الملك الظاهر بيبرس البندقداري ؛ لأنه كان أولاً مملوكه ، ثم انتقل منه إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فعرف بين المماليك البحرية بيبرس البندقداري .

أنشأ هذه القبة المباركة المقر الأشرف الصالح الأميري الكبير المخدمي الملكي المنصوري أيديكم البندقدار بتاريخ ثلاث وثمانين وست مائة . (Wiet, G., RCEA XIII, n°4873)

¹ يدل على هذا التاريخ شريط من الكتابة بالخط التشخي المملوكي على إفريز من الخشب تحت مناطق انتقال القبة ، نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم - الآية ٤٣ سورة الأعراف -

وعاش أيدكين إلى أن صار يبيزوس سلطان مصر، وولاه نيابة السلطنة بحلب في سنة تسع وخمسين وست مائة - وكان الغلاء بها شديدًا - فلم تطل أيامه وفارقها بدمشق، بعد مُحارَبة سنقر الأشقر / والقَبْض عليه، في حادي عشر صفر سنة تسع وخمسين وست مائة، فأقام في النيابة نحو شهر، وصرفه الأمير علاء الدين طييزوس الوزير. فلما خرج السلطان إلى الشام في سنة إحدى وستين وست مائة، وأقام بالطور، أعطاه إمرة بمصر وطبلخاناه في ربيع الآخر منها. ومات في ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وست مائة^١، ودُفِن بِقُبَّةِ هذه الخائِقاء^٢.

خائِقاءُ شَيْخُو

[الرِّقْم ١٥٢]

هذه الخائِقاءُ^(a) بشوَيْقَة مُنْعِم^(a) في حُطِّ الصُّلَيْبَة خارج القاهِرَة تجاه جَمِيعِ شَيْخُو، أنشأها الأمير الكبيرُ سَيْفُ الدِّينِ شَيْخُو العُمَرِيُّ^٣ في سنة ست^(b) وخمسين وسبع مائة،^(a) وجعلها مَدْرَسَةً وخائِقاء^(a). كان مَوْضِعُها من جملة قَطَائِعِ أحمد بن طُولُون، وآخر ما عُرف من خَبْرِهِ أَنَّهُ كان مَساكِنَ لِلنَّاسِ، فاشْتَرَاهَا الأميرُ شَيْخُو من أَرْبابِها، وَهَدَمَهَا في المَحْرَمِ من هذه السَّنَةِ^٤. فكانت

(a-a) إضافة من المُسَوِّدَة . (b) المُسَوِّدَة : سبع .

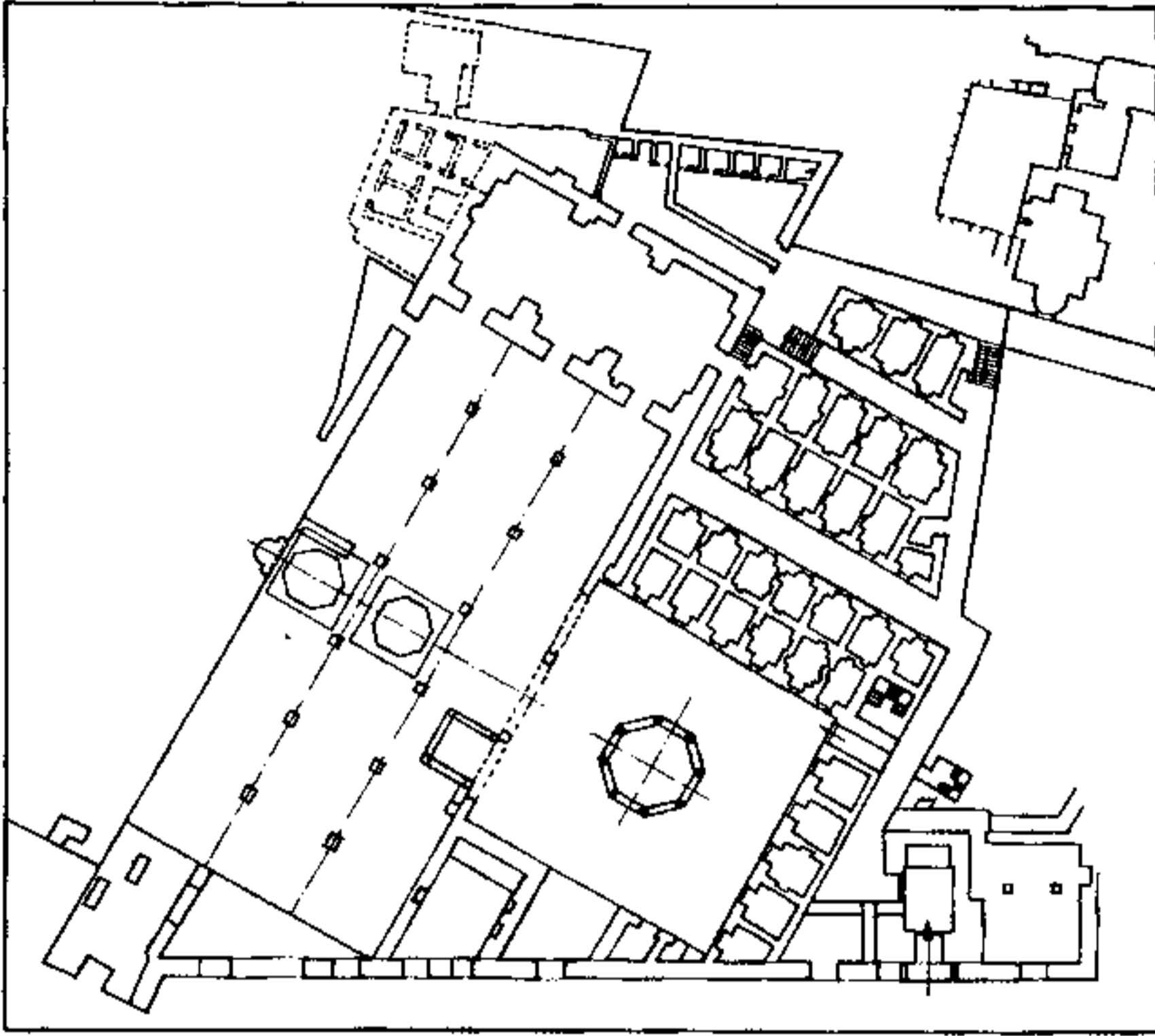
^١ راجع أخبار الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار، المتوفى سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م، عند الصفدي: الوافي بالوفيات ٩: ٤٩١-٤٩٢؛ النويري: نهاية الأرب ٣١: ١٢٨؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٨: ٢٧٦؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٨: ٣٣؛ المقرئ: المقفى الكبير ٢: ٣٤٧، السلوك ١: ٧٣٠؛ العيني: عقد الجمان ٢: ٣٤٦؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٣٦٥، المنهل الصافي ٣: ١٥٣-١٥٤.

^٢ توجد كتابة فوق التركيبة الخشبية التي كانت تقوم فوق الضريح تحمل النص التالي: «الآية ١٨٥ سورة آل عمران - هذا قبر الفقير إلى الله تعالى الراجي عفو الله، الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار الصالح النجيمي بقله الله محل عفو وغفرانه».

^٣ انظر ترجمة الأمير سيف الدين شيخو العمري، فيما تقدم ٢: ٣١٣-٣١٤.

^٤ أضاف المقرئ في السلوك (٣: ١٧): «وشرط على الفقهاء والصوفية أن لا يتزوج منهم إلا طائفة عيبتهم من كل مذنب، وأن يقيم الغراب بالخائِقاء ليلاً ونهاراً. وشرط أن لا يكون فيهم ولا منهم قاض ولا شاهد يتكسب بتحمل الشهادة». «ولم يُسخر في بنائها أحدًا من المُقَيِّدِينَ الذين بالشجون - كما هي عادة أمراء الدولة في عمائرهم - ولا سخر من الناس أحدًا بغير أجره في شيء من أعمال هذه =

مَسَاحَةٌ أَرْضِيهَا زِيَادَةٌ عَلَى فِدَانٍ ، فَاخْتَطَّ فِيهَا الْخَانِقَاهُ وَحَمَّامِينَ وَعِدَّةَ حَوَانِيَتٍ يَغْلُوها يُبَوِّثُ لِسُكْنَى الْعَامَّةِ^١ ، وَرَتَّبَ بِهَا دُرُوسًا عِدَّةً : مِنْهَا أَرْبَعَةٌ دُرُوسٍ لَطَوَائِفِ الْفُقَهَاءِ الْأَرْبَعَةِ - وَهِيَ الشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَفِيَّةُ وَالْمَالِكِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ - وَدَرَسًا لِلْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ ، وَدَرَسًا لِإِقْرَاءِ الْقُرْآنِ بِالرُّوَايَاتِ السَّبْعِ ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَرَسٍ مُدْرَسًا وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الطَّلَبَةِ ، وَشَرَطَ عَلَيْهِمْ حُضُورَ الدَّرْسِ وَحُضُورَ وَظِيْفَةَ التَّصَوُّفِ .



مُخَطَّطُ الْخَانِقَاهِ الشَّيْخُونِيَّةِ (عَنِ اللَّجْنَةِ)

المصرية القديمة في مدينة منيف ، وهدمه الأمير شَيْخُو العَمْرِي بعد سنة ٧٥٠ هـ (فيما تقدم ١: ٣٦٦) وفوق العَتَبِ لَوْحَةٌ تَأْسِيسِيَّةٌ كَتَبَ عَلَيْهَا :

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الْآيَاتَانِ ٣٦ ، ٣٧ سُورَةِ النُّورِ - أَمْرٌ بِإِنشَاءِ هَذَا الْمَكَانِ الْمُبَارَكِ وَالْمَوْطِنِ الَّذِي سَاهَمَ الْعَمَلُ فِيهِ النَّيَّةُ وَشَارَكَ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا وَتَبَارَكَ الْمُعْتَرِفُ مِنْ بَحْرِ نَوَالِهِ الْمُعْتَرِفُ مِنْ أَفْضَالِهِ بِكُلِّ لُطْفٍ =

= الْخَانِقَاهُ بَلْ كَانَتْ تُوقَى لِلْعُثَالِ أَجُورُهُمْ» .

^١ مَا تَزَالُ «الْخَانِقَاهُ الشَّيْخُونِيَّةُ» قَائِمَةً فِي شَارِعِ شَيْخُونٍ فِي مَوَاجِهَةِ جَامِعِهِ (فِي مَا تَقْدَمُ ٢٥٦-٢٦١) ، وَتَشْتَمِلُ عَلَى مَدْخَلٍ ضَخْمٍ خَلْفَهُ ضَخْنٌ مَرْتِعٌ مَكشُوفٌ وَرِوَاقٌ عَرْضِيٌّ كَبِيرٌ فِي الشَّرْقِ وَبَقَايَا مَسَاكِنَ كَانَتْ لِمُصَوِّفِيهَا ، إِضَافَةً إِلَى حَمَّامٍ مَدْخَلُهُ مِنْ دَهْلِيْزِهَا . وَبِأَعْلَى مَدْخَلِهَا عَتَبٌ حَجْرِيٌّ مِنَ الْبَارِزَاتِ الْأَسْوَدِ كَانَتْ أَصْلُهُ فِي الْبَيْتِ الْأَخْضَرِ ، أُخِذَ الْآثَارُ

وأقام شيخنا أكمل الدين محمد بن محمود في مَشِيخَةِ الخانقاه ومُدْرَسِ الحنفيَّة ، وجَعَلَ إليه النَّظَرَ في أوقاف الخانقاه ، وقَرَّرَ في تَدْرِيسِ الشَّافِعِيَّةِ الشَّيْخِ بهاء الدين أحمد بن علي [بن عبد الكافي]^(a) الشُّبكي ، وفي تَدْرِيسِ المَالِكِيَّةِ الشَّيْخِ خَلِيلًا - وهو مُتَجَنِّدُ الشُّكْلِ وله إقْطَاعٌ في الحَلَقَةِ - وفي تَدْرِيسِ الحَنَابِلَةِ قاضي القُضاة مَوْفَّقُ الدِّينِ [عبد الله]^(a) الحَنْبَلِي^(١) ، ورَتَّبَ لكلِّ من الطَّلَبَةِ في اليوم الطَّعامَ واللَّحْمَ والخُبْزَ ، وفي الشهر الحَلْوَى والزَّيْتِ والصَّابُونَ ، ووَقَفَ عليها الأوقافُ الجَلِيلَةُ ؛ فَعَظُمَ قَدْرُهَا ، واشْتَهَرَ في الأَقْطَارِ ذِكْرُهَا ، وتَخَرَّجَ بها كثيرٌ من أَهْلِ العِلْمِ ، وأزْبَتَ في العِمَارَةِ على كُلِّ وَقْفٍ بديار مصر ؛ إلى أن ماتَ الشَّيْخُ أكْمَلُ الدِّينِ في شهر رَمَضانِ سنة ستِّ وثمانين وسبع مائة ، فوَلِيَهَا من بعده جَماعَةٌ .

ولما حَدَّثَتِ الحِجْنَ كانَ بها مَبْلَغٌ كبيرٌ من المالِ الذي فاضَ عن مَضْرُوفِهَا ، فأخَذَهُ المَلِكُ النَّاصِرُ فَرَجَ ، وأخَذَتِ أحوالُها تَتَناقَصُ حتى صارَ المَعْلُومُ يتأخَّرُ صَرْفُهُ لأزْبابِ الوِظائِفِ بها عِدَّةَ أَشْهُرٍ ، وهي إلى اليومِ على ذلك .

(a) زيادة من السلوك للمقريزي .

CIA Égypte I, n°158; Wiet, G., RCEA XVI, (n°6239).

وراجع عن الخانقاه ، التي تُعرف كذلك بالشُّيْخُونِيَّةِ ، أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٧: ١٣١ ، ١٠: ٢٦٩ ، ٣٠٣ ، ١٢: ٦٣ ، ١٣١ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١: ٥٥٧ - ٥٥٨ ، ٥٦٣ ، ٢/١: ٣٥١ - ٣٥٢ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥: ٨٣ - ٨٤ (٣٤ - ٣٥) ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٣: ٢٥٩ - ٢٦٦ ؛ سعاد محمد حسنين : أعمال الأمير شيخو العُمري النَّاصري المِعماريَّة بالقاهرة ، رسالة ماجستير بآداب القاهرة ١٩٧٦ ؛ عاصم محمد رزق : خانقاوات الصوفية في مصر ١: ٣١٥ - ٣٥٦ ، أطلس العمارة الإسلامية ٢: ١٠١ - ١٠٨٥ .

^١ المقريزي : السلوك ٣: ١٨ .

= تدارك الأمير شَيْخُو العُمري النَّاصري عَمَّرَهُ اللهُ ببقائه ونَصْرِهِ وضاعَفَ أسبابَ ثوابه وأجره ، وعَوَّضَهُ بِقُصُورِ الجِنانِ بعد امتدادِ عُمُرِهِ ، وتَقَبَّلَ أعماله الصَّالِحَةَ في سِرِّ القَوْلِ وجَهْرِهِ وجَعَلَهُ خالِصًا لَوَجْهِهِ جائِزًا به على الصُّراطِ المستقيمِ يومِ معاده وحَشْرِهِ . تَقَرَّبَ به إلى اللهُ اِحْتِسَابًا وإيمانًا ، وابْتَغَى به قَوْزًا عند رَبِّهِ وغُفْرانًا . وأوى به كُلُّ أُشْعَثِ أَغْبَرٍ لو أَقْسَمَ على اللهُ لأَبْرَهُ ، فأَوْلَاهُ إِحسانًا ، وجمَعَ به قَوْمًا كفاهم هَمُّ المُوونة فكفاه اللهُ سِرًّا يَوْمَ الفَرعِ الأكبرِ ولقاه أمانًا . يواصلون العَمَلَ بالِعلمِ ويقطعون اللَّيْلَ تَسبيحًا وقرآنًا (كذا) ﴿تَرَاهُمْ رُكْعًا سَاجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ . وكان ابتداءُ الشُّروعِ فيه في شهر ربيعِ الأوَّلِ سنة ستِّ وخمسين وسبع مائة ، والفراغُ منه ومما حواه في شهر شَوَّالٍ من السنة المذكورة . (van Berchem, M.)

الخائفة الجاوية

[أثر رقم ٢٢١]

هذه الخائفة على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش ، فيما بين القاهرة ومصر . أنشأها الأمير علم الدين سنجر الجاوي في سنة ثلاث^a وسبع مائة ، وقد تقدم ذكرها في المدارس^١ .

خائفة الجيعة المظفري

هذه الخائفة بالصخراء^b خارج باب النصر فيما بين قبة النصر وثربة عثمان بن جوشن الشعودي ، أنشأها الأمير سيف الدين الجيعة المظفري ، وكان بها عدة من الفقراء يقيمون بها ، ولهم فيها شيخ ، ويحضرون في كل يوم وظيفة التصوف ، ولهم الطعام والخبز .

وكان بجانبها حوض ماء لشرب الدواب ، وسقاية بها الماء العذب لشرب الناس ، وكتاب يقرأ فيه أطفال المسلمين الأيتام كتاب الله تعالى ويتعلمون الخط ، ولهم في كل يوم الخبز وغيره . وما برحت على ذلك إلى أن أخرج الأمير بزقوق أوقافها فتعطلت ، وأقام بها جماعة من الناس مدة ، ثم تلاشى أمرها . وهي الآن باقية من غير أن يكون فيها سكان ، وقد تعطل حوضها ، وبطل مكتب السبيل^٢ .

المظفري الخاصكي - تقدم في أيام الملك المظفر حاجي ابن الملك الناصر محمد
ابن قلاوون^٣ تقدم كثيرا ، بحيث لم يُشاركه أحد في رتبته . فلما قام الملك
الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في السلطنة ، أقره على رتبته ، وصار أحد أمراء المشورة الذين
يصدر عنهم الأمر والنهي .

(a) النسخ : ثلاث وعشرين . (b) إضافة من المسودة .

^١ فيما تقدم ٦٠٤-٦٠٧ .^٢ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٦ : ١٤٣ (٥٠) .^٣ راجع ترجمة الجيعة المظفري ، المتوفى سنة ٥٧٥٠هـ / ١١٣٠ : ١١٣١ ، المقفى الكبير ٢ : ٢٧٨-٢٨٠ ؛ ابن حجر : =

فلما اختلف أمراء الدولة ، أخرج إلى دمشق في ربيع الأول سنة تسع وأربعين وسبع مائة ، وأقام بدمشق إلى شعبان ، وسار إلى نيابة طرابلس - عوضاً عن الأمير بدر الدين مسعود بن الخطيري - فلم يزل على نيابتها إلى شهر ربيع الأول سنة خمس وسبع مائة . فكتب إلى الأمير أرغون شاه نائب دمشق يستأذنه في الصيد إلى الناعم ، فأذن له ، وسار من طرابلس ، وأقام على بخيرة حمص أياماً يتصيد .

ثم ركب ليلاً بمن معه ، وساق إلى خان لاجين ظاهر دمشق ، فوصله أول النهار ، وأقام به يومه . ثم ركب منه بمن معه ليلاً ، وطرق أرغون شاه وهو بالقصر الأبلق ، وقبض عليه وقتلته في ليلة الخميس ثالث عشرين شهر ربيع الأول ، وأصبح وهو / بسوق الخيل فاستدعى الأمراء وأخرج لهم كتاب السلطان يأمسك أرغون شاه ، فأذعنوا له ، واستولى على أموال أرغون شاه . فلما كان يوم الجمعة رابع عشرينه ، أصبح أرغون شاه مذبحاً ، فأشاع الجيبيغا أن أرغون شاه ذبح نفسه . وفي يوم الثلاثاء أنكر الأمراء أمره ، وثاروا لحربه ، فركب وقاتلهم ، وانتصر عليهم ، وقتل جماعة منهم ، وأخذ الأموال ، وخرج من دمشق وسار إلى طرابلس فأقام بها .

وورد الخبر من مصر إلى دمشق بإنكار كل ما وقع ، والاجتهاد في مسك الجيبيغا . فخرجت عساكر الشام إليه ، ففر من طرابلس ، فأذركه عسكر طرابلس عند بيروت ، وحاربوه حتى قبضوا عليه ، وحمل إلى عسكر دمشق ، فقيّد وسجن بقلعة دمشق في ليلة السبت سادس عشر ربيع الآخر ، هو وفخر الدين إياس ، ثم وسط بمرسوم السلطان تحت قلعة دمشق بحضرة^a عساكر دمشق ، ووسط معه الأمير فخر الدين إياس ، وعلقا على الخشب في ثامن عشر ربيع الآخر سنة خمسين وسبع مائة ، وعمره دون العشرين سنة ، بما طر شاربه وكأنه البدر حسنا والغصن اعتدالاً .

(a) بولاق : بحضور .

الخائقاء الناصرية (a)

بسرياقوس

هذه الخائقاء^١ خارج القاهرة من شماليها ، على نحوٍ بريدٍ منها ، بأول تيه بني إسرائيل بسماسيم بسرياقوس . أنشأها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وذلك أنه لما بنى الميدان والأخوآش في بركة الجب^٢ - كما ذكر في موضعيه من هذا الكتاب عند ذكر بركة الجب^٢ - اتفق أنه ركب على عادته للصييد هناك ، فأخذة ألم عظيم في جوفه كاذ يأتي عليه ، وهو يتجلد ويكثم ما به حتى عجز . فنزل عن الفرس والألم يتزايد به ، فندّر لله إن عافاه الله ليبين في هذا الموضع موضعاً يُعبد الله تعالى فيه ، فحف عنه ما يجده ، وركب فقضى نهمته من الصيد ، وعاد إلى قلعة الجبل ، فلزم الفراش مدة أيام ، ثم عوفي . فركب بنفسه ، ومعه عدة من المهندسين ، واختط على قدر ميل من ناحية بسرياقوس هذه الخائقاء ، وجعل فيها مائة خلوة لمائة صوفي ، وبنى بجانبها مسجداً تقام

(a) التسخ : خائقاء بسرياقوس ، والمثبت من المؤدّة .

الزهور ١/١ : ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٨٥ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ١٢ : ٥١-٥٣ (٢٠-٢١) ؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ٢٢٩ ؛ وتشر محمد أمين : حجتى وقف الخائقاء بسرياقوس والوقف على مصالحها وعلى الصوفية بها ، وهما مؤرختان في جمادى الآخرة سنة ٧٢٥هـ ، وجمادى الأولى سنة ٧٢٦هـ ، في نهاية الجزء الثاني من كتاب «تذكرة النبيه» لابن حبيب ، القاهرة ١٩٨٢ ؛ وانظر كذلك حياة ناصر الحجى : السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده ، مع تحقيق ودراسة وثيقة وقف بسرياقوس ، الكويت ١٩٨٣ ؛ Williams, J.A., «The Khanqah of Siryâqûs: A Mamluk Royal Religious Foundations» in *Quest of an Islamic Humanism: Arabic and Islamic Studies in Memory of Mohamed al-Nowâihî*, Cairo AUC 1984, pp. 108-19.

٢ فيما تقدم ٣ : ٥٤٦ .

١ الخائقاء الناصرية بسرياقوس . كانت تقع في الفضاء المجاور الآن لجامع الملك الأشرف برسباي من الجهة الغربية جنوب مدينة الخائقاء إحدى مذن مركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية على بُعد عشرين كيلومترا شمال شرق مدينة القاهرة . وقد فُقد الآن كل أثر لهذه الخائقاء وتخلّف منها فقط شريط من البرونز يحمل كتابة بالتسخ المملوكي ، نصّها :

«مما عمّل يرشم الخائقاء الشعيذة الملكية الناصرية خلّد الله ملكه» . (Wiet, G., RCEA XV, n°5825) .

وراجع ، النويري : نهاية الأرب ٣٣ : ١٨١-١٨٢ ؛ الشجاعى : تاريخ الملك الناصر ١١٧ ، ١٢٢ ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ٢ : ١٤٩-١٥٠ ؛ المقرئى : السلوك ٢ : ٢٦١-٢٦٢ ، ٤٨٩ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٧٩-٨٠ ، ٨٣-٨٤ ، ١٤٤هـ ؛ ابن إياس : بدائع

به الجمعة، وبنى بها حمامًا ومطبخًا. وكان ذلك في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة. ^(a) وكانت عمارة هذه الخانقاه والقصور والميدان سببًا لحفر الخليج الناصري بظاهر القاهرة ^(a).

فلما كانت سنة خمس وعشرين وسبع مائة، كمل ما أراد من بنائها، وخرج إليها بنفسه ومعه الأمراء والقضاة ومشايخ الخوانك، ومدت هناك أسبطة عظيمة بداخل الخانقاه في يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة. وتصدر قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي لإسماع الحديث التتوي، وقرأ عليه ابنه عز الدين عبد العزيز عشرين حديثًا تساعيًا، وسمع السلطان ذلك، وكان جمعًا مؤفورًا، وأجاز قاضي القضاة الملك الناصر ومن حضر برواية ذلك وجميع ما يجوز له روايته.

وعندما انقضى مجلس السماع، قرّر السلطان في مشيخة هذه الخانكاه الشيخ مجد الدين موسى بن أحمد بن محمود الأقفصرائي ^١، ولقبه بـ «شيخ الشيوخ»؛ فصار يقال له ذلك ولكل من ولي بعده، وكان قبل ذلك لا يُنعت ^(b) بشيخ الشيوخ إلا شيخ خانقاه سعيد السعداء ^٢.

وأحضرت التشاريف السلطانية، فخلع على قاضي القضاة بدر الدين، وعلى ولده عز الدين وعلى قاضي القضاة المالكية، وعلى الشيخ مجد الدين أبي حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقفصرائي شيخ الشيوخ، وعلى الشيخ علاء الدين القونوي شيخ خانقاه سعيد السعداء، وعلى الشيخ قوام الدين أبي محمد عبد المجيد بن أسعد بن محمد الشيرازي شيخ الصوفية بالجامع

(a-a) إضافة من المسوّدة. (b) بولاق: يلقب.

الحنفي باستقراره شيخ شيوخ المدرسة التي أنشأها بالصوة وقد أشرفت على الفراغ، وأبطل هذا اللقب من متولي مشيخة سزياقوس. (السلوك ٣: ٢٧٣-٢٧٤؛ النجوم الزاهرة ٧٠: ١١). ويبدو أن هذا الوضع لم يستمر طويلاً، فلم يتم استكمال بناء المدرسة الأشرفية وتوقف العمل فيها فور وفاة الأشرف شعبان، ولم تلبث أن هدمت تمامًا في العقد الأول للقرن التاسع الهجري. (فيما تقدم). وانظر كذلك، عبد الرحمن أبو راس: شيخ الشيوخ بالديار المصرية في الدولتين الأيوبية والمملوكية، القاهرة ١٩٨٧.

^١ توفي أبو حامد الأقفصرائي سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م، راجع ابن حبيب: تذكرة النبيه ٢: ٣١٨؛ المقرئ: السلوك ٢: ٢٦٢، ٢٨٧، ٥٠٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٥: ١٤٣؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٣٢٤.

^٢ القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٣٨، ١١: ٣٧٠-٣٧٦؛ وفيما تقدم ٧٢٨-٧٢٩. وذكر كل من المقرئ وأبي المحاسن عند حديثهما على «المدرسة الأشرفية المنتجدة» - التي أنشأها الأشرف شعبان بالصوة مقابل باب القلعة سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٦م - أنه أنخلع وهو نازل بسزياقوس في سؤال سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٦م، على الشيخ ضياء الدين القزوي

الجديد الناصري خارج مدينة مصر، وعلى جماعة كثيرة، وخلع على سائر الأمراء وأرباب
الوظائف، وفرق بها ستين ألف ديزم فضة، وعاد إلى قلعة الجبل.

فرغب الناس في السكنى حول هذه الخائفة وبنوا الدور والحوانيت والخانات، حتى صارت
بلدة كبيرة تُعرف بـ «خائفة سيزياقوس»، وتزايد الناس بها حتى أنشئ فيها سوى حمام الخائفة
عدة حمامات. وهي إلى اليوم بلدة عامرة، ولا يؤخذ بها مكس البتة مما يُباع من سائر الأصناف
اختياراً لمكان الخائفة، ويُعمل هناك في يوم الجمعة سوق عظيم، تردُّ الناس إليه من الأماكن
البعيدة، يُباع فيه الخيل والجِمال والحَمير والبقر والغنم والدجاج والإوز وأصناف الغلات وأنواع
الثياب وغير ذلك.

وكانت معالم هذه الخائفة من أسنى معلوم بديار مصر: يُصرف لكل صوفي في اليوم من
لحم الضأن السليخ رطلٌ قد طُبِّخ في طعم شهبي، ومن الخبز النقي أربعة أرطال. ويُصرف له في
كل شهر مبلغ أربعين ديزمًا فضة: عنها ديناران، ورطل حلوى، ورطلان زيتًا من زيت الزيتون،
ومثل ذلك من الصابون. ويُصرف له ثمن كسوة في كل سنة، وتوسعة في كل شهر رمضان وفي
العيدين وفي مواسم رجب وشعبان وعاشوراء وكلما قدمت فاكهة يُصرف له مبلغ لشراؤها.

وبالخائفة خزائن بها السكر والأشربة والأدوية، وبها الطبائعي والجرائحي والكحاح والمُضليح
الشعر. وفي كل رمضان يُفرق / على الصوفية كيزان لشرب الماء، وتبيض لهم قدورهم النحاس،
ويُعطون حتى الأسنان لغسل الأيدي من وضر اللحم، يُصرف ذلك من الوقف لكل منهم.
وبالحمام الحلاق لتدليك أبدانهم وخلق رُغوسهم. فكان المنقطع بها لا يحتاج إلى شيء غيرها،
ويُفرغ للعبادة، ثم استُجدَّ بعد سنة تسعين وسبع مائة بها حمام أخرى برسم النساء.

وما برحت على ما ذكرنا، إلى أن كانت المحن من سنة ست وثمان مائة، فبطل الطعام،
وصار يُصرف لهم في ثمنه مبلغ من نقد مصر، وهي الآن على ذلك. وأدركت من صوفيتها
شخصًا شيخًا، يُعرف بأبي طاهر، ينام أربعين يومًا بلياليها لا يستيقظ فيها البتة، ثم يستيقظ
أربعين يومًا لا ينام في ليالها ولا نهارها، أقام على ذلك عدة أعوام، وخبره مشهور عند أهل
الخائفة، وأخبرني أنه لم يكن في النوم إلا كغيره من الناس، ثم كثر نومه حتى بلغ ما تقدم
ذكره، ومات بهذه الخائفة في نحو سنة ثمان مائة.

ومما قيل في الخائفة وما أنشأه السلطان بها:

[الرجز]

سيز نحو سيزياقوس وانزل بفنا أوجائها إذا النهى والرشد

تَلَقَّ مَحَلًّا لِلشُّرُورِ وَالهِنَا فِيهِ مَقَامٌ لِلثَّقَى وَالرُّهْدِ
نَسِيْمُهُ يَقُولُ فِي مَسِيرِهِ تَنْبِيْهِ يَا عَذْبَاتِ الرُّنْدِ
وَرَوْضَهُ الرِّيَّانُ مِنْ خَلِيْجِهِ يَقُولُ دَعْ ذِكْرَ أَرْضِي نَجْدِ

خَانِقَاهُ أَرْسَلَان

٥ هذه الخانقاه (a على شاطئ النيل^a) فيما بين القاهرة ومصر، من جملة أراضي منشأة المهراني .
أنشأها الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار .

١٠ الأمير بهاء الدين الدوادار الناصري - كان أولاً عند الأمير سلار أيام نيابته
مصر، خصيصاً به حظيّا عنده . فلما قدم الملك الناصر محمد بن قلاوون
من الكرك بعساكر الشام، ونزل بالريدانية ظاهر القاهرة في شهر رمضان سنة تسع وسبع مائة،
أطلع أرسلان على أن جماعة قد اتفقوا على أن يهجموا على السلطان، ويفتكوا به يوم العيد أول
شوال، فجاء إليه وعرفه الحال، وقال له: اخرج الساعة واطع القلعة واملكها . فقام السلطان
وفتح باب سير الدهليز، وخرج من غير الباب، وصعد قلعة الجبل، وجلس على سرير الملك،
فرعى السلطان له هذه المناصحة . ولما أخرج الأمير عز الدين أيّدمر الدوادار من وظيفته، رتب
أرسلان في الدوادارية .

١٥ وكان يكتب خطاً مليحاً، ودربه القاضي علاء الدين بن عبد الظاهر وخرجه وهذبه، فصار
يكتب بخطه إلى كتاب السر عن السلطان في المهمات بعبارة مسددة وافية بالمقصود، واستولى
على السلطان بحيث لم يكن لغيره في أيامه ذكر، ولم يشتهر فخر الدين وكريم الدين بعظمة إلا
بعده، واجتهدا في إبعاده فما قدرا على ذلك .

٢٠ وفي أيام توليته الدوادارية السلطانية، أنشأ هذه الخانقاه على شاطئ النيل . وكان ينزل في كل
ليلة ثلاثاء إليها من القلعة ويبيت بها، ويحتفل الناس للحضور إليها، ويُرسل عن السلطان
إلى مهنا أمير العرب، ونفع الناس نفعاً كبيراً، وقلدهم منّا جسيمة، ومات في ثالث عشرين
شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبع مائة، فوجد في تركته ألف ثوب أطلّس، ونفائس كثيرة،

وعدة توابع ومناشير معلّمة . فانكر السلطان معرفتها ، ونسب إليه اختلاسها ^١ .

وأول من ولي مشيختها تقي الدين أبو البقاء محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الرحيم الشريف الحسيني القنائي الشافعي ، جد الشيخ عبد الرحيم القنائي الصالح المشهور ، وأبوه ضياء الدين جعفر كان فقيها شافعيًا ، وكان أبو البقاء هذا عالمًا عارفًا زاهدًا ، قليل التكلف ، متقللاً من الدنيا ، سمع الحديث وأسمعه . وولد في سن خمس وأربعين وست مائة ، ومات ليلة الاثنين رابع عشر جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وسبع مائة ، ودُفن بالقرافة ^٢ .

فتداول مشيختها القضاة الإخنائية ، إلى أن كانت آخرًا بيد شيخنا قاضي القضاة بدر الدين ^٣ عبد الوهاب بن أحمد الإخنائي ؛ فلما مات في سنة تسع وثمانين وسبع مائة ، تلقاها عنه عز الدين بن الصاحب ، ثم وليها من بعده ابنه شمس الدين محمد بن الصاحب ، رحمه الله .

خائفة بكتمر

هذه الخائفة ^(b) بآخِر القرافة الصغرى ^(b) في سفح الجبل مما يلي بركة الحبش ^٤ ؛ ^(c) أدركناها ومشيختها تعد من المناصب الجليلة ؛ لكثرة ما كان بها من المعلوم في اليوم والشهر من اللحم والطعام والحمام والحلوى ^(c) . أنشأها الأمير بكتمر الشاقي ، وابتدأ الحضور بها في يوم الثلاثاء ثامن

(a) بولاق : صدر الدين . (b-b) في النسخ : بطرف القرافة ، وفي السلوك (٢: ٢٧٣) : بآخِر القرافة مما يلي بركة الحبش ، والمثبت من المصنوعة . (c-c) إضافة من المصنوعة .

^١ راجع ترجمة الأمير بهاء الدين أرسلان الثاصري كذلك عند ، الصفدي : أعيان العصر ١: ٤٤٩-٤٥١ ، الوافي بالوفيات ٨: ٣٤٦-٣٤٧ ؛ المقرئ : المقفى الكبير ٢: ١٧-١٨ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ١: ٣٧٢ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٢٤١ ، المنهل الصافي ٢: ٣٠٠-٣٠٢ .

^٢ راجع ، الصفدي : أعيان العصر ٤: ٣٧٦-٣٧٩ ، الوافي بالوفيات ٢: ٣٠٧-٣٠٨ ؛ الأدفوي : الطالع السعيد ٥: ٥٠٥-٥٠٦ ؛ المقرئ : المقفى الكبير ٥: ٤٩٩-٥٠٠ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٤: ٣٥ ؛ أبي المحاسن : المنهل الصافي ١٠: ٥١١ .

^٣ راجع ، المقرئ : درر العقود الفريدة ٢: ٣٦٩-٣٧٠ ، السلوك ٣: ٤٨٣ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٧: ٣٩٣-٣٩٤ (وهو فيه عبد الوهاب بن محمد) .

^٤ هذه الخائفة كانت بالقرافة الصغرى بجوار مقام سيدي محمد وقا قبلي حوش الملك الظاهر ، ولم تكن بلصقي جبل المقطم وإنما إلى الجنوب في المسافة الواقعة بين جبّة سيدي علي أبي الوفا وناحية البساتين . وما زال مقام سيدي علي أبي الوفا قائمًا ويعرف بـ «مسجد السادات الوفائية» =

شهر رَجَب سنة ستِّ وعشرين وسبع مائة. وأوَّل من استقرَّ في مَشِيخَتِهَا الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّين ^(a) الرُّومِي، ورُتِّبَ له عن مَعْلُومِ المَشِيخَةِ في كُلِّ شَهْرٍ مائة دِرْهَمٍ، وعن مَعْلُومِ الإمامة مبلغ خمسين دِرْهَمًا، ورُتِّبَ معه عشرين صُوفِيًّا: لكلِّ منهم في الشهر مبلغ ثلاثين دِرْهَمًا، فجاءت من أَجْلِ ما بُنِيَ بِمِصر. ورُتِّبَ بها صُوفِيَّةٌ وقُرَّاءٌ، وقَرَّرَ لهم الطَّعَامَ والخُبْزَ في كُلِّ يومٍ، والدَّرَاهِمَ والحَلْوَى والزَّيْتِ والصَّابُونَ في كُلِّ شَهْرٍ، وبَنَى بِجَانِبِهَا حَمَّامًا، وأنشأ / هناك بُسْتَانًا.

فَعُمِّرَتِ تلكَ الخِطَّةُ، وصارَ بها سُوقٌ كَبِيرٌ وعدَّةُ سُكَّانٍ، وتنافسَ النَّاسُ في مَشِيخَتِهَا، إلى أن كانت المِحْنُ من سنة ستِّ وثمان مائة، فَبَطَلَ الطَّعَامُ والخُبْزُ منها، وانتقلَ السُّكَّانُ منها إلى القَاهِرَةِ وغيرها، وخرَّبَتِ الحَمَّامُ والبُسْتَانُ، وصارَ يُصْرَفُ لأزبابٍ وظائِفها مَبْلَغٌ من نَقْدِ مِصر، وأقامَ فيها رَجُلٌ يَحْرُسُهَا، وتمزَّقَ ما كان فيها من الفَرَشِ والآلاتِ الثَّحَاسِ والكُتُبِ والرَّبَعاتِ والقناديلِ الثَّحَاسِ المَكْفُتِ والقناديلِ الرُّجَاجِ المَذْهَبِ، وغير ذلك من الأمتعة والنَّفائِسِ الملوكية، وخرَّبَ ما حوَّلَها لِحُلُوِّهِ من السُّكَّانِ ^١.

الأميرُ سَيِّفُ الدِّينِ [المُظْفَرِيُّ] ^(b)، كان أَحَدَ مَمَالِكِ المَلِكِ المُظْفَرِ بِيْبَرَسِ الجاشنكير. فلَمَّا اسْتَقَرَّ المَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بنُ قَلاوونَ في المملِكة بعد بِيْبَرَسِ، أَخَذَهُ في جُمْلَةٍ من أَحَدَ من مَمَالِكِ بِيْبَرَسِ، ورَقَّاه حتى صارَ أَحَدَ الأَمْرَاءِ الأَكابِرِ، وكتبَ

بِكُتْمَرِ السَّاقِي

(a) بياض بآياصوفيا. (b) زيادة من المقفى الكبير.

^١ هنا على هامش آياصوفيا، والكلام لناسخ التشحة: «أقول: بها إلى الآن رُبْعَةٌ بِحَطِّ كُلِّهِ ذَهَبٌ مُزْمَكٌ بسواد... للشعري، وبها نُقُوشٌ... وعجائب الصنائع...».

وذكر ابنُ إِيَّاسِ أَنَّ بَكْتَمَرَ السَّاقِي «أنشأ بهذه الخائقات حَمَّامًا وفُزُونًا وطاحونًا وساقية وجنيئة... وجعلَ في هذه الخائقات رُبْعَةً شَرِيفَةً مكتوبةً بالذَّهَبِ، مَصْرُوفُهَا ألف دينار، وكانت بِحَطِّ بعضِ الأعاجِمِ». وأضاف: «ولم تزل هذه الرُبْعَةُ مقيمةً بهذه الخائقات والنَّاسُ يتوجهون إليها بسببِ الفُرْجَةِ على هذه الرُبْعَةِ، فإنَّها كانت من محاسن الزَّمان، ولم =

= بشارع الثونسي بسفح المقطم قُزْبِ ضَرِيحِ ابنِ عطاءِ الله السُّكَنْدَرِيِّ ومسجَلِ بالآثار برقم ٦٠٨، أمَّا خائقاته بكتمر الساقِي فقد ائذنت الآن.

راجع كذلك، مجهول: تاريخ سلاطين المماليك ٢٢٧، الشجاعى: تاريخ الملك الناصر ١١٧؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٩: ٣٢٦؛ ابن الزيات: الكواكب السيارة ٣١٩، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٨٤، المنهل الصافي ٣: ٣٩٧؛ ابن إِيَّاسِ: بدائع الزهور ١/١: ٤٦٧.

إلى الأمير تَنْكِيْز، نَائِبِ السُّلْطَنَةِ بِدِمَشْق، بعد أن قَبَضَ عَلَى الأمير سَيْفِ الدِّين طُغَاي الكبير يقول له: هَذَا بَكْتُمُرُ الشَّاقي يَكُونُ لَكَ بَدَلًا مِنْ طُغَاي، اكْتُبْ إِلَيْهِ بِمَا تُرِيدُ مِنْ حَوَائِجِكَ^١. فَعَظُمَ بَكْتُمُرٌ، وَعَلَا مَحَلُّهُ، وَطَارَ ذِكْرُهُ. وَكَانَ السُّلْطَانُ لَا يُفَارِقُهُ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا إِلَّا إِذَا كَانَ فِي الدُّورِ

الملكي النَّاصِرِي، نَفَعَهُ اللهُ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، جَمِيعَ هَذِهِ الرَّبْعَةِ الشَّرِيفَةِ الْمَكْرَمَةِ الْمُعْظَمَةِ وَعِدَّتُهَا ثَلَاثُونَ جِزَاءً عَلَى كَافَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْقِرَاءَةِ وَالْمُطَالَعَةِ وَالنَّقْلِ وَالذِّرَاسَةِ، وَقَفًّا صَحِيحًا شَرْعِيًّا وَجَعَلَ مُسْتَقْرَّمًا بِالْقُبَّةِ الَّتِي بِالثُّبَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِأَنْشَائِهِ بِالقَرَّافَةِ الصُّغْرَى الْمُجَاوِرَةِ لِحُوشِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ، وَجَعَلَ النَّظَرَ فِي ذَلِكَ لِنَفْسِهِ مُدَّةَ حَيَاتِهِ ثُمَّ مِنْ بَعْدِ لِدُرَيْتِهِ وَدُرَيْتِهِ دُرَيْتِهِ وَإِنْ يَغْلُو الْأَرْشَدُ فَالْأَرْشَدُ، فَإِذَا انْقَرَضَتِ الدُّرَيْتُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ يَكُونُ النَّظَرَ فِي ذَلِكَ الْوَقْفِ لِلشَّيْخِ الْمَقِيمِ بِالثُّبَةِ الْمَذْكُورَةِ، يَجْرِي الْحَالُ فِي ذَلِكَ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ. وَشَرَطَ الْوَاقِفُ الْمَذْكُورُ أَنَّ الرَّبْعَةَ الْمَذْكُورَةَ لَا تَخْرُجُ مِنَ الثُّبَةِ الْمَذْكُورَةِ وَلَا تُعَادُ وَلَا تَخْرُجُ إِلَّا لِلْإِصْلَاحِ، فَحَرَامٌ حَرَامٌ عَلَى مَنْ غَيَّرَهُ أَوْ بَدَّلَهُ، ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾. وَقَعَ أَجْزُ الْوَاقِفِ الْمَذْكُورِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ سِتِّ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ.

James, D., *Qur'ans of The Mamluks*, p.)

239؛ أمين فؤاد: الكتاب العربي المخطوط ٣١٨-٣١٩، ٤٣٠-٤٣١.)

^١ راجع ترجمة بَكْتُمُرِ الشَّاقي، المتوفى سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م، عند الصفدي: أعيان العصر ٧٠٩:١-٧١٤ (مصدر النقل)، الوافي بالوفيات ١٠: ١٩٣-١٩٧؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ٢: ٢٣٥؛ المقرئ: المقفى الكبير ٢: ٤٦٨-٤٧٤، السلوك ٢: ٣٦٤؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ١٩؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٣٠٠، المنهل الصافي ٣: ٣٩٠-٣٩٧؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/ ٤٦٤:١.

= نَزَلَ هُنَاكَ إِلَى سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّ مِائَةٍ، فَلَمَّا أَنْشَأَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ قَانُصُوهُ الْغُورِي، مَدْرَسَتَهُ الَّتِي فِي الشَّرَابِشِيِّينَ نَقَلَ هَذِهِ الرَّبْعَةَ إِلَى مَدْرَسَتِهِ، وَهِيَ مَقِيْمَةٌ بِهَا إِلَى الْآنَ. (بدائع الزهور ١/١: ٤٦٧، ٤: ٦٩).

أقول: هذه الرَّبْعَةُ - وَتَقَعُ فِي ثَلَاثِينَ جِزَاءً - كَتَبَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَمْدَانِي، فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ شَهْرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ عَشْرَةٍ وَسَبْعِ مِائَةٍ، بِدَارِ الْخَيْرَاتِ الرَّشِيدِيَّةِ بِهَمْدَانَ؛ وَهِيَ الرَّبْعَةُ الَّتِي أَمَرَ بِكِتَابَتِهَا الْخَانَ الْإِبِلْخَانِي أُولْجَائَتُو (٧٠٣-٧١٦هـ). وَقَدْ نُقِلَتْ هَذِهِ الرَّبْعَةُ مِنْ مَدْرَسَةِ الْغُورِي فِي نَهَايَةِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ إِلَى الْكُتُبْخَانَةِ الْخَدِيوِيَّةِ (دَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ) وَهِيَ مَحْفُوظَةٌ بِهَا تَحْتَ رَقْمٍ ٧٢ مَصَاحِفٍ. وَلَا تَعْلَمُ الْمَلَابِسَاتُ الَّتِي أُدْتُ إِلَى وَصُولِ هَذِهِ الرَّبْعَةِ الَّتِي كُتِبَتْ فِي هَمْدَانَ إِلَى الْأَمِيرِ بَكْتُمُرِ الشَّاقي فِي الْقَاهِرَةِ لِوَقْفِهَا عَلَى تُرْبَتِهِ بِالقَرَّافَةِ الصُّغْرَى فِي سَنَةِ ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م، سِوَى أَنْ تَكُونَ قَدْ وَصَلَتْ إِلَى السُّلْطَانِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ بِأَهْدَاءٍ مِنَ الْإِبِلْخَانِيِّينَ، ثُمَّ أَهْدَاهَا النَّاصِرُ مُحَمَّدٌ إِلَى بَكْتُمُرٍ، فَقَدْ كَانَ مِنَ الْأَمْرَاءِ الْمُفْرِيَيْنَ إِلَى السُّلْطَانِ حَتَّى إِذَا ابْنُهُ أَنْوَكُ تَزَوَّجَ مِنْ ابْنَةِ الْأَمِيرِ بَكْتُمُرِ الشَّاقي. (انظر فيما تقدم ٣: ٢٢٢-٢٢٣، وَحُجَّةٌ وَقَفَ النَّاصِرُ مُحَمَّدٌ عَلَى الْأَمِيرِ بَكْتُمُرِ الشَّاقي وَدُرَيْتِهِ الْمُؤَرَّخَةُ فِي ١٣ مَحْرَمِ سَنَةِ ٧٢١هـ، نَشَرَهَا مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ أَمِينَ فِي نَهَايَةِ الْجِزْرِ الثَّانِي مِنْ كِتَابِ «تَذْكِرَةِ النَّبِيهِ» لِابْنِ حَبِيبٍ، الْقَاهِرَةِ ١٩٨٢م). وَفِيهَا يَلِي نَصُّ وَقْفِيَّةِ بَكْتُمُرِ لِلرَّبْعَةِ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. وَقَفَّ وَحَبَسَ وَسَبَّلَ وَأَبَدَ وَتَصَدَّقَ الْقَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى اللهِ تَعَالَى حِضْنُ الْمُسْلِمِينَ مُلْجَأُ الْقَاصِدِينَ أَبُو سَعِيدِ سَيْفِ الدِّينِ بَكْتُمُرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الشَّاقي

السُلْطَانِيَّة ، ثُمَّ زَوْجَهُ بِجَارِيَتِهِ وَحَظِيَّتِهِ ، فَوَلَدَتْ لِبَكْتَمُرِ ابْنِهِ أَحْمَدَ ، وَصَارَ السُّلْطَانُ لَا يَأْكُلُ إِلَّا فِي بَيْتِ بَكْتَمُرٍ مِمَّا تَطْبَخُهُ لَهُ أُمُّ أَحْمَدَ فِي قَدْرِ مِنْ فِضَّةٍ ، وَيَنَامُ عِنْدَهُمْ ، وَيَقُومُ ، وَاعْتَقَدَ النَّاسُ أَنَّ أَحْمَدَ وَوَلَدَ السُّلْطَانِ لِكثْرَةِ مَا يُطِيلُ حَمْلَهُ وَتَقْبِيلِهِ .

وَلَمَّا شَاعَ ذِكْرُ بَكْتَمُرٍ ، وَتَسَامَعَ النَّاسُ بِهِ ، قَدَّمُوا إِلَيْهِ غَرَائِبَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَأَهْدَوْا إِلَيْهِ كُلَّ نَفِيسٍ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ إِذَا حَمَلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ التُّوَابِ تَقْدِيمَةً لَا بَدَّ أَنْ يُقَدِّمَ لِبَكْتَمُرٍ مِثْلَهَا أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا ، وَالَّذِي يَصِلُ إِلَى السُّلْطَانِ يَهَبُ لَهُ غَالِبَتَهُ . فَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُ ، وَصَارَتْ إِشَارَتُهُ لَا تُرَدُّ ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الدَّوْلَةِ ، وَإِذَا رَكِبَ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَائَتًا عَصَا نَقِيبٍ ، وَعَمَّرَ لَهُ السُّلْطَانُ الْقَصْرَ عَلَى بِرْكَةِ الْفَيْلِ ^١ .

وَلَمَّا مَاتَ بِطَرِيقِ الْحِجَازِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، خَلَّفَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْقُمَاشِ وَالْأُمْتِعَةِ وَالْأَصْنَافِ وَالزُّرْدَخَانَاهِ مَا يَرِيدُ عَلَى الْعَادَةِ وَالْحَدِّ ، وَيَسْتَحْيِي الْعَاقِلُ مِنْ ذِكْرِهِ . فَأَخَذَ السُّلْطَانُ مِنْ خَيْلِهِ أَرْبَعِينَ فَرَسًا ، وَقَالَ : هَذِهِ لِي مَا وَهَبْتُهُ لِإِيَّاهَا . وَبِيعَ الْبَاقِي مِنَ الْخَيْلِ عَلَى مَا أَخَذَهُ الْخَاصُّ بِشَمَنِ بَخْسٍ بِمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ فِضَّةً وَمِائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ وَثَمَانِينَ أَلْفًا دِرْهَمٍ فِضَّةً ، خَارِجًا عَمَّا فِي الْجِشَارَاتِ .

وَأَنْعَمَ السُّلْطَانُ بِالزُّرْدَخَانَاهِ وَالسَّلَاحِ خَانَاهِ الَّتِي لَهُ عَلَى الْأَمِيرِ قُوضُونَ بَعْدَمَا أَخَذَ مِنْهَا سَرَجًا وَاحِدًا وَسَيْفًا : الْقِيَمَةُ عَنْ ذَلِكَ سِتِّ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ . وَأَخَذَ لَهُ السُّلْطَانُ ثَلَاثَةَ صِنَادِيقِ جَوْهَرًا مُثَمَّنًا لَا تُعْلَمُ قِيَمَتُهُ ذَلِكَ .

وَبِيعَ لَهُ مِنَ الصُّينِيِّ وَالْكُتُبِ وَالْحَيْمِ وَالرُّبْعَاتِ وَنُسُخِ الْبُخَارِيِّ ، وَالذُّوَايَاتِ الْفُؤْلَازِ وَالْمُطْعَمَةِ ، وَالْبَضْمِ بِسَقَطِ الذَّهَبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَمِنَ الْوَبْرِ وَالْأَطْلَسِ ، وَأَنْوَاعِ الْقُمَاشِ السَّكَنْدَرِيِّ وَالْبَغْدَادِيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ شَيْءٌ كَثِيرٌ إِلَى الْغَلِيَةِ الْمَفْرُطَةِ . وَدَامَ الْبَيْعُ لَذَلِكَ مُدَّةَ شَهْرٍ .

وَامْتَنَعَ الْقَاضِي شَرْفُ الدِّينِ النَّشُو نَاطِرَ الْخَاصِّ ، مِنْ حُضُورِ الْبَيْعِ ، وَاسْتَعْفَى مِنْ ذَلِكَ ، فَقِيلَ لَهُ : لِأَيِّ شَيْءٍ فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : مَا أَقْدِرُ أَضِيرُ عَلَى غَبْنِ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الْمِائَةَ دِرْهَمَ تُبَاعُ بِدِرْهَمٍ .

^١ فيما تقدم ٣: ٢٢١-٢٢٣ .

ولما خرج مع السلطان إلى الحجاز، خرج بتجمل زائد وجشمه عظيمة، وهو ساقه الناس كلهم، وكان ثقله وحاله^(a) نظير ما للسلطان، ولكن يزيد عليه بالزرزكش وآلات الذهب. ووجد في خزائنه بطريق الحجاز بعد موته خمس مائة تشریف: منها ما هو أطلس بطرز زركش^(b) وحوائص ذهب وكلوات زركش^(b)، وما دون ذلك من خلج أزباب الشيوف وأزباب الأقلام، ووجد معه قيود وجنازير.

وتنكر السلطان له في طريق الحجاز، واستوحش كل منهما من صاحبه. فاتفق أنهم في العود مرض ولده أحمد، ومرض من بعده، فمات ابنه قبله بثلاثة أيام، فحمل في تابوت مغشى بجلد جمل، ولما مات بكتمر دفن مع ولده بنخل، وحث السلطان في المسير. وكان لا ينام في تلك السفرة إلا في بروج خشب، وبكتمر عنده وقوضون على الباب، والأمراء المشايخ كلهم حول البرج بسيوفهم، فلما مات بكتمر، ترك السلطان ذلك، فعلم الناس أن احترازه كان خوفا من بكتمر. ويقال إن السلطان دخل عليه، وهو مريض في درب الحجاز، فقال له: بيني وبينك الله. فقال له: كل من فعل شيئا يلتقيه.

ولما مات صرخت زوجته أم ابنه أحمد، وبكت وأعوذت إلى أن سمعها الناس تتكلم بالقبيح في حق السلطان، من جملته: أنت تقتل مملوكك، أنا ابني إيش كان [بينك وبينه]^(c)؟ فقال لها: بس، تفشرين، هاتي مفاتيح صناديقه، فأنا أعرف كل شيء أعطيته من الجواهر، فرمت بالمفاتيح إليه، فأخذها.

ولما وصل السلطان إلى قلعة الجبل أظهر الحزن والتدامة عليه، وأعطى أخاه قمارى إمرة مائة وتقدمة ألف، وكان يقول: ما بقي يجيئنا مثل بكتمر. وأمر فحملت جثته وجثته ابنه إلى خاتقاه هذه، ودفنتا بقبتها.

وبدت من السلطان أمور منكرة بعد موت بكتمر. فإنه كان يحجر على السلطان، ويمنعه من مظالم كثيرة، وكان يتلطف بالناس، ويقضي حوائجهم، ويشوشهم أحسن سياسة، ولا يخالفه السلطان في شيء، ومع ذلك فلم يكن له حماية ولا رعاية، ولا لغلمانته ذكر، ومن المغرب يغلق باب / إسطنبول.

(a) بولاق: وجماله. (b-b) ساقطة من بولاق. (c) زيادة من المقفى الكبير.

وكان يُمَّا له على السُّلْطَانِ مِنَ الْمُرْتَبِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَخْفِيَّتَانِ ، يَأْخُذُ عَنْهُمَا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ كُلِّ يَوْمٍ سَبْعَ مِائَةِ دَرَاهِمٍ : عَنْ كُلِّ مَخْفِيَّةٍ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ دِرْهَمًا . وَكَانَ السُّلْطَانُ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى أَحَدٍ بِشَيْءٍ أَوْ وَّلَاهُ وَظِيْفَةً ، قَالَ لَهُ : «رُوحَ إِلَى الْأَمِيرِ بَكْتَمُرَ وَبُوسَ يَدَهُ» . وَكَانَ جَيِّدَ الطَّبَاعِ ، حَسَنَ الْأَخْلَاقِ ، لَيِّنَ الْجَانِبِ ، سَهْلَ الْإِنْقِيَادِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

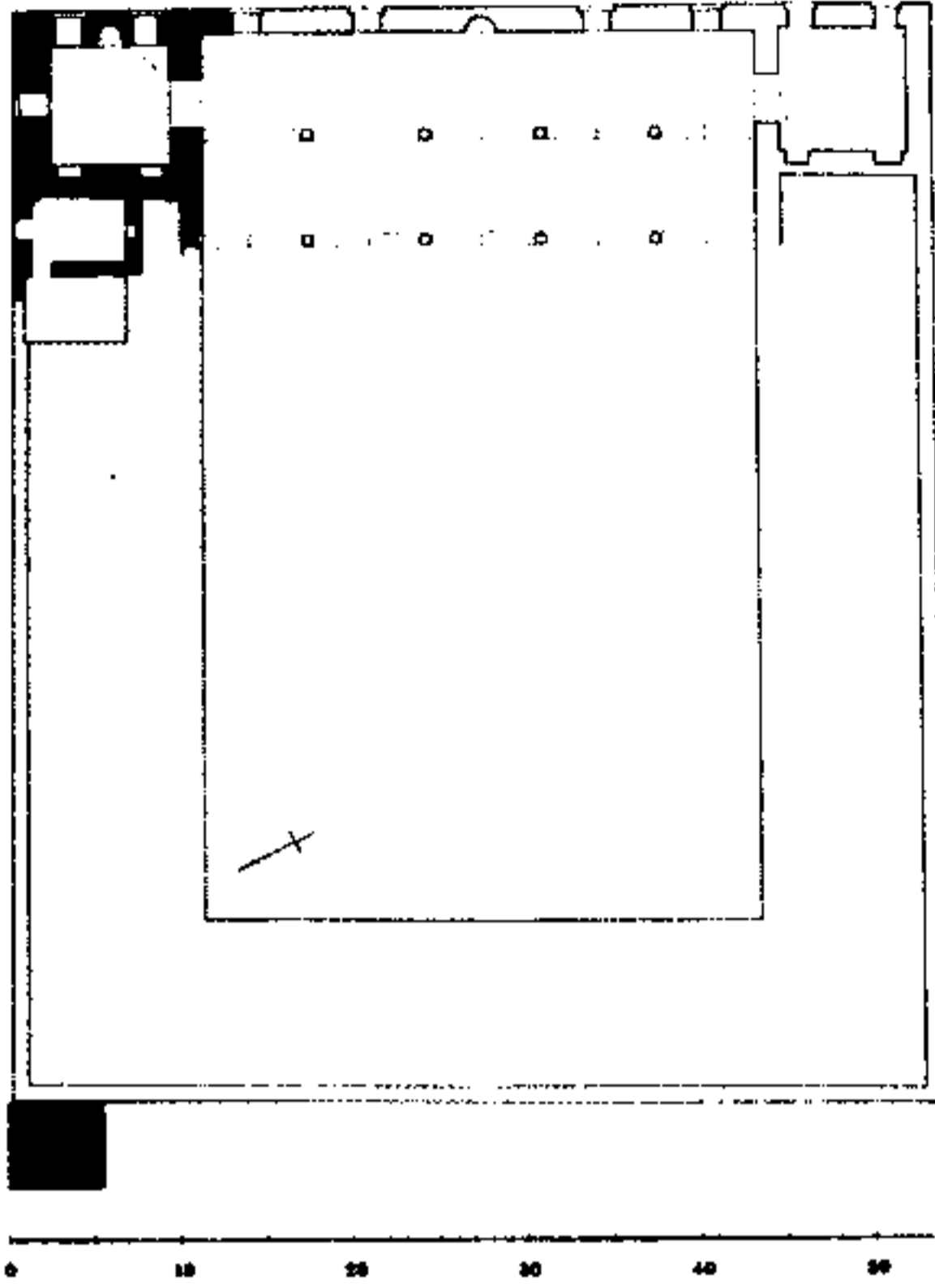
خَانِقَاهُ^(a) قَوْصُون

هَذِهِ الْخَانِقَاهُ^(a) فِي شِمَالِي الْقَرَاةِ ، يُمَّا يَلِي قَلْعَةَ الْجَبَلِ ، تَجَاهَ جَمَاعِيقِ قَوْصُونِ^(b) بِيَابِ الْقَرَاةِ^(b) . أَنْشَأَهَا الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قَوْصُونُ ، وَكَمَّلَتْ عِمَارَتُهَا فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ^٢ ، وَقَرَّرَ فِي مَشِيخَتِهَا الشَّيْخَ شَمْسَ الدِّينِ أَبِي الثَّنَاءِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْقَاسِمِ أَحْمَدَ الْأَصْفَهَانِيَّ ، وَرَتَّبَ لَهُ مَعْلُومًا سَنِيًّا مِنَ الدَّرَاهِمِ وَالْخُبْزِ وَاللَّحْمِ وَالصَّابُونَ وَالزَّيْتِ ، وَسَائِرِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ حَتَّى جَامِكِيَّةِ غُلَامِ بَغْلَتِهِ ، وَاسْتَقَرَّ ذَلِكَ فِي الْوَقْفِ مِنْ بَعْدِهِ لِكُلِّ مَنْ وُلِيَ الْمَشِيخَةَ بِهَا .

وَقَرَّرَ بِهَا جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِنَ الصُّوفِيَّةِ ، وَرَتَّبَ لَهُمُ الطَّعَامَ وَاللَّحْمَ وَالْخُبْزَ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَفِي الشَّهْرِ الْمَعْلُومِ مِنَ الدَّرَاهِمِ وَمِنَ الْخَلْوَى وَالزَّيْتِ وَالصَّابُونَ . وَمَا زَالَتْ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ كَانَتْ الْحِجْرُ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، فَبَطَلَ الطَّعَامُ وَالْخُبْزُ مِنْهَا ، وَصَارَ يُصْرَفُ لِمُسْتَحِقِّيهَا مَالٌ مِنْ تَقْدِ مِصْرَ ، وَتَلَاشَى أَمْرُهَا مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ مِنْ أَعْظَمِ جِهَاتِ الْبِرِّ وَأَكْثَرِهَا نَفْعًا وَخَيْرًا . وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ قَوْصُونِ عِنْدَ ذِكْرِ جَمَاعِهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^٣ .

(a) بولاق : خانقاه . (b-b) إضافة من المسوِّدة .

^١ انظر عن جامع قوصون بالقرافة ، فيما تقدم ٣١٨ .
^٢ يوجد أسفل ودائر مئذنة الخانقاه كتابة تاريخية ، نصها :
 «الآيات ٤١-٤٣ سورة الأحزاب - وذلك بتاريخ سنة سبع
 وثلثين وسبع مائة» . (Wiet, G., RCEA XV, n° 5704) .
 ولم يتبق من هذه الخانقاه إلا قُبُجِهَا الشَّمَالِيَّةُ وَالْمِئذَنَةُ
 الْمَعْرُوفَةُ بِ«الْمِئذَنَةِ الْكَبِيرَةِ» أَوْ «الْوَشْطِيِّ» الْوَاقِعَةُ غَرْبِيَّ مَقَامِ
 جَلَالِ الدِّينِ الشَّيْطَوِيِّ خَارِجَ بَابِ الْقَرَاةِ . (مجهول
 المؤلف : تاريخ سلاطين المماليك ١٩٠-١٩١ ، ٢٢٧ ؛
 المقرئزي : السلوك ٢ : ٣٩٠ ، ٥٩٢ ، ٧٤٨ ؛ أبو المحاسن :
 النجوم الزاهرة ٩ : ٢٠٧ ؛ Ibrâhim, L. A., «The
 Great Hanqâh of the Emir Qawsûn in Cairo»,
 MDAIK 30 (1974), pp. 37-57 ؛ محمد أبو العمام :
 «المئذنة القبلية وما حولها من الآثار خارج باب القرافة
 بالقاهرة» ، حوليات إسلامية An. Isl. ٣٤ (٢٠٠٠) ،
 ٤٥-٨٩ ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية
 ٢ : ٦٨٣-٦٩٠ ، ٦٩١-٦٩٨) .
^٣ فيما تقدم ٢٢٤-٢٢٦ .



مُحَطَّط خَانِكَاه طُرُصُون (عن Meinecke)

خَانِكَاه طُغَاي تَمْر النُّجْمِي (a)

هذه الخانكاه^(b) بالصَّخْرَاءِ خَارِجِ بَابِ الْبَرْقِيَّةِ ، فِيمَا بَيْنَ قَلْعَةِ الْجَبَلِ وَقُبَّةِ النَّصْرِ^١ . أَنشَأَهَا الْأَمِيرُ طُغَاي تَمْر النُّجْمِي فَجَاءَتْ مِنْ الْمَبَانِي الْجَلِيلَةِ ، وَرَتَّبَ بِهَا عِدَّةً مِنَ الصُّوفِيَّةِ ، وَجَعَلَ شَيْخَهُمُ الشَّيْخَ

(a) بولاق : خانقاه طغاي النجمي . (b) بولاق : الخانقاه .

وَحَدَّدَتْ حُجَّةً وَقَفِيَ الْقَاضِي فَتْحُ الدِّينِ فَتَحَ اللَّهُ ابْنَ مُسْتَقْصِمٍ (انظر عنه فيما تقدم ٣: ٢٠٢-٢٠٤) مَوْقِعَ خَانِقَاهِ طُغَاي تَمْر النُّجْمِي بِالْحُدُودِ التَّالِيَةِ : وَالْحَدُّ الْقِبْلِي يَنْتَهِي إِلَى الطَّرِيقِ الْفَاصِلَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجَبَلِ ، وَالْحَدُّ الْبَحْرِي يَنْتَهِي إِلَى الطَّرِيقِ الَّتِي يُتَوَصَّلُ مِنْهَا إِلَى قُبَّةِ النَّصْرِ (فيما تقدم ٣: ٢٠٢-٢٠٤) وَغَيْرَهَا وَفِيهِ بَابُهَا ، وَالْحَدُّ الشَّرْقِي يَنْتَهِي إِلَى الطَّرِيقِ الْفَاصِلَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ تَرْبَةِ الْمُقَرَّرِ الْمَرْحُومِ الشَّيْخِي =

^١ خانقاه طغاي تَمْر النُّجْمِي ، وَتُعْرَفُ أَيْضًا بِ«الْخَانِقَاهِ الدَّوَادِرِيَّةِ» . جَاءَ فِي (النجوم الزاهرة ١٠: ١٨٤) ، وَالْمَنْهَلِ الصَّافِي ٦: ٤١٢ ، أَنَّهَا خَارِجُ بَابِ الْمَحْرُوقِ مِنَ الْقَاهِرَةِ ، وَوَأَقَعَ الْأَمْرَ أَنَّهُ لَا يَوْجَدُ فَرْقٌ كَبِيرٌ فِي التَّحْدِيدِ بَيْنَ خَارِجِ بَابِ الْبَرْقِيَّةِ ، وَخَارِجِ بَابِ الْمَحْرُوقِ ، فَالْمَقْصُودُ بِهَذَا التَّحْدِيدِ عَادَةً هُوَ الْمَنْطِقَةُ الْوَارِثَةُ بِصَخْرَاءِ الْمَمَالِيكِ شَرْقَ طَرِيقِ صِلَاحِ سَالِمِ أَمَامِ حَدَائِقِ أَغَاخَانَ .

بُرهان الدين الرشيدي، وبنى بجانبها حمامًا، وعمرس في قبليها بُستاتًا، وعمِل بجانب الحمام حوض ماءٍ للسبيل ترده الدواب، ووقف على ذلك عدة أوقاف.

ثم إن الحمام والحوض تعطلا مدة، فلما ماتت أُرزباي زوجة القاضي فتح الدين فتح الله كاتب السر في سنة ثمان وثمان مائة، دفنها خارج باب النصر، وأحب أن ينسى على قبرها ويوقف عليها أوقافًا. ثم بدا له فنقلها إلى هذه الخانقاه ودفنها بالقبة التي فيها، وأدار الشاقية، وملا الحوض، ورُتب لقرء هذه الخانقاه معلومًا، وعزم على تجديد ما تشعث من بنائها وإدارة حمامها. ثم بدا له فأنشأ بجانب هذه الخانقاه ثرية، ونقل زوجته مرةً ثالثة إليها، وجعل أملاكه وقفًا على تربيته.

طغاي تَمْر - كان دَوادار الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون^٢، فلما مات الصالح، استقر على حاله في أيام أخوته الملك الكامل شعبان والملك المظفر حاجي. وكان من أحسن الأشكال، وأبدع الوجوه، تقدم في الدول، وصارت له وجهة عظيمة، وخدمته الناس. ولم يزل على حاله إلى أن لعب به أغزلو^٣ فيمن لعب، وأخرجه إلى الشام، وألحقه بمن أخذه من غزة، وذلك في أوائل جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مائة. وطغاي هذا أول دَوادار أخذ إمرة مائة وتقدمة ألف، وذلك في أول دولة المظفر حاجي. ولما كانت واقعة الأمير ملكتمر الحجازي والأمير آق سنقر وعدة من الأمراء، في تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبع مائة، رمى طغايتمر سيفه، وبقي بغير سيف بعض يوم، ثم إن

= طشتمر الشاقية، والحد الغربي ينتهي إلى الطريق». Behrens - Abouseif, D., Fath Allâh and Abû Zakariyya: Physicians under the Mamluks, CAI (n°10 (1987), p. 39

١٦: ٤٤٩-٤٥٠؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ٩٩؛ المقرئزي: السلوك ٢: ٧٥٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٣٢٤؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٨٤، المنهل الصافي ٦: ٤١١-٤١٢.

وبما أن ثرية الأمير طشتمر حُصص أخضر ما تزال قائمة ومسجلة بالآثار برقم ٩٢ بشارع العفيفي بجبانة المجاورين شرقي القاهرة.

^١ انظر عن القاضي فتح الدين فتح الله بن مشتغصم، فيما تقدم ٣: ٢٠٢-٢٠٤.

^٢ انظر ترجمة طغاي تَمْر النجمي كذلك عند، الصفدي: أعيان العصر ٢: ٦٠٣-٦٠٤، الوافي بالوفيات

المُظَفَّرُ أَعْطَاهُ سَيْفَهُ ١. وَاسْتَمَرَّ فِي الدَّوَادِرِيَّةِ نَحْوَ شَهْرٍ، وَأُخْرِجَ هُوَ وَالْأَمِيرُ نَجْمُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الْوَزِيرُ، وَالْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَيْدَمُرُ الْبَدْرِيِّ عَلَى الْهَاجِنِ إِلَى الشَّامِ، فَأَدْرَكَهُمُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ مَنَجَكُ وَقَتَلَهُمْ فِي الطَّرِيقِ.

خَانِكَاهُ أُمِّ أُنُوكِ

[أثر رقم ٨١]

هذه الخانكاه^١ خارج باب البرقيّة بالصّحراء، التي أنشأتها الخاتون طغاي، تجاه تربة الأمير طاشتمر السّاقى^٢، فجاءت من أجل المباني، وجعلت بها صوفيّة وقراء، ووقفت عليها الأوقاف الكثيرة، وقوّرت لكلّ جارية من جواربها مرتبًا يقوم بها^٣.

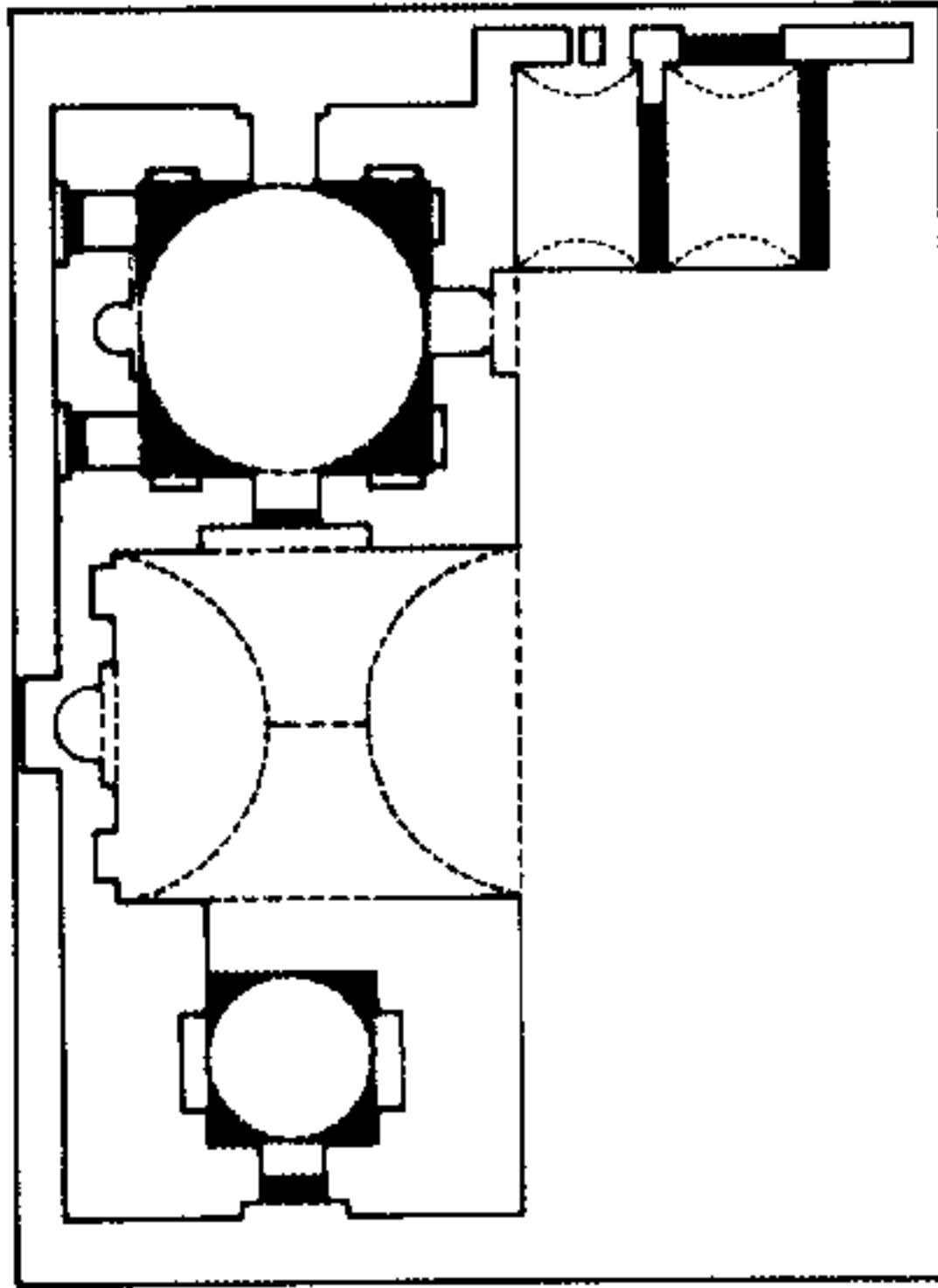
(a) بولاق : خانقاه.

مكانها زاوية وعميل لنفسه بها مدفنًا وعقد عليه قبّة وجعل تحتها مقصورة بداخلها تابوت عال مربع وبنى بجانبها قصرًا ملاصقًا لها يحتوي على أزقة ومساكن ومطبخ. وأضاف الجبّرتي أنّه دخل هذه الخانكاه في أواخر القرن الثاني عشر، فوجد بها روحانية لطيفة وبها مساكن وشكّان قاطنون بها، وفيهم أصحاب الوظائف مثل: المؤذّن والوقاد والكئاس والملاء، وأنّه دخل إلى مدفن الواقعة فشاهد على قبرها تركيبة من الرخام الأبيض وعند رأسها ختمة شريفة كبيرة على كرسي بخط جليل وهي مذهّبة وعليها اسم الواقعة رحمها الله، ثم قال: «فلو أنّ الشيخ الشرفاوي عمّر هذه الخانكاه بدّل هذا الذي ارتكبه من تخريبها لكان له بذلك منقبة ويذكر حسن في حياته ويعدّ ممانته». (عجائب الآثار ٤: ٢٥٩-٢٦٠).

^١ قارن مع الصفدي: أعيان العصر ١: ٥٤٤، ٥٥٦.
^٢ ما تزال تربة الأمير طاشتمر (طشتمر) السّاقى قائمة بشارع الغيفي بجبّانة المجاورين بقرافة المماليك شرقي طريق صلاح سالم، ومسجلة بالآثار برقم ٩٢، وتقع في الطرف الشمالي الشرقي للخانكاه لا تجاهها. (انظر فيما يلي ٩١٩ هـ).

^٣ ما تزال بقايا خانكاه أم أنوك، وهي عبارة عن قبّة تحتها ضريح خوند طغاي والدة الأمير أنوك ابن الملك الناصر محمد ابن قلاوون قائمة، بقرافة المماليك شرقي طريق صلاح سالم. ووصفها الجبّرتي في مطلع القرن التاسع عشر بأنّها خارج باب البرقيّة بالصّحراء على تيمّة السالك إلى وهدة الجبّانة المعروفة بالبنتان وأنّ الفرنسيين، وقت وجودهم بالقاهرة، هدموا منارة هذه الخانكاه وبعض حوائطها الشمالية، وكان الناظر عليها الشيخ عبد الله بن حجازي الشرفاوي شيخ الجامع الأزهر، المتوفى سنة ١٢٢٧ هـ/١٨١٢ م. فأبطل ساقيتها (التي كانت تجاه بابها في علوه يصدّ إليها بمزلقان ويجري الماء منها إلى الخانقاه على حائط به قنطرة يمر من تحتها المارون وتحت الساقية حوض لسقي الدواب)، وبنى

وراجع كذلك المقريري: السلوك ٢: ٧٩٤؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٨٧، ١١: ١٣؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية: Abd ar-Râziq, A., «Trois fondations féminines dans l'Égypte = «mamelouke», REI 41 (1973), pp. 111-26



مُحَطُّ خاتناه أم أنوك (عن اللجنة)

طغاي
 الخَوَندَةُ الكُبْرَى^١ زَوْجَةُ السُّلْطَانِ المَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلاوونَ ، وَأُمُّ
 ابْنِهِ الأَمِيرِ أنوكَ ، كانت من جملة إماءه ، فأعْتَمَهَا وتَزَوَّجَهَا ، ويُقالُ إنَّها
 أُخْتُ الأَمِيرِ أَقْبغا عبد الواحد . وكانت بديعةَ الحُسْنِ ، باهرةَ الجَمالِ ، رأت من السَّعادةِ ما لم يَرَهُ
 غيرُها من نِسائِ الملوِكِ الثُّركِ بمصرَ ، وتَنَعَّمت في مَلاذِّ ما وَصَلَ سِواها لِمَثَلِها ، ولم يَدُمَّ السُّلْطَانُ
 على مَحَبَّةِ امرَأةِ سِواها ، وصارت خَوَندَةَ بعد ابنة تُوكايَ ، وأكبر نِسائه حتى من ابنة الأَمِيرِ تَنكِرَ .
 وحجَّ بها القاضي كَرِيمُ الدُّينِ الكَبيرِ ، واحتفلَ بأمرِها ، وحَمَلَ لها البُقُولَ في مَحائِرِ طِينِ على
 ظُهورِ الجِمالِ ، وأخَذَ لها الأَبْقارَ الحَلَّابَةَ ، فسارت معها طُولَ الطَّرِيقِ لأجلِ اللَّبنِ الطَّرِيِّ وَعَمَلِ

^١ راجع ترجمة خَوَندَةُ طغاي عند ، الصَفدي : أعيان
 العصر ٢: ٥٩٩-٦٠١ (مصدر المقرئزي) ، الوافي بالوفيات
 ١٦: ٤٤٧-٤٤٨ ؛ ابن أَيْك : كنز الدرر ٩: ٣٠٥ ؛
 المقرئزي : السلوك ٢: ٧٩٤ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة
 ٢: ٣٢٢ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٣: ٢٣٨ .

= سعاد ماهر : مساجد مصر ٣: ٢٤٢-٢٤٦ ؛ عاصم
 محمد رزق : خاتقاوات الصوفية في مصر ١: ٢٩١-
 ٣٠٣ ، أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٩٥٥-٩٧٠ ؛ وفيما
 تقدم ٦٧٠ ، «مَدْرَسَةُ أم أنوك بالصُخراء» .

الجُبْنِ ، وكان يُقْلِي لها الجُبْنَ في الغدَاء / والعشاء . وناهيك بمن وَصَلَ إلى مُداوِمَةِ البَقْلِ والجُبْنِ في كُلِّ يوم - وهما أَنْحَسُ ما يُذْكَرُ^(a) - فما عَسَاهُ يكون بعد ذلك ! وكان القاضي كَرِيمُ الدِّينِ والأَمِيرُ مَجْلِسِ وَعِدَّةٍ من الأَمْرَاءِ ، يترَجَّلون عند التَّزولِ ، وَيَمَشُون بين يَدَي مَحْفَتِهَا ، وَيُقَبَّلون الأَرْضَ لها كما يَفْعَلون بالسُّلطانِ . ثم حَجَّ بها الأَمِيرُ بَشْتاك في سنة تَسْعِ وثلاثين وسبع مائة^١ . وكان الأَمِيرُ تَنكِزُ إذا جَهَّزَ من دِمَشقِ تَقْدِمةً إلى السُّلطانِ ، لا بد أن يكون لِحَوْنِدِ طُغايِ منها جُزءٌ وإِفر . فلَمَّا مات السُّلطانُ المَلِكُ النَّاصِرُ ، اسْتَمَرَّتْ عَظَمَتُها من بَعْدِهِ إلى أن ماتت في شهر شَوَّالِ سنة تَسْعِ وأربعين وسبع مائة أَيَّامِ الوَباءِ ، عن ألفِ جاريةٍ وثمانين خادِمًا خَصِيًّا وأموالٍ كثيرةً جدًا .

وكانت عَفيفَةً طَاهِرَةً ، كثيرةً الخَيْرِ والصَّدقاتِ والمعروفِ . جَهَّزَتْ سائِرَ جَواريها ، وجَعَلَتْ على قَبْرِ ابْنِها - بَقْبَةَ المَدْرَسَةِ النَّاصِرِيَّةِ بَيْنَ القَصْرَيْنِ - قُرَاءً ، ووَاقَفَتْ على ذلك وَاقْفًا ، وجَعَلَتْ من جملته خُجْرًا يُفَرِّقُ على الفُقراءِ ، ودُفِنَتْ بهذه الخائِقاها ، وهي من أَعْمَرَ الأَمَكانِ إلى يَوْمِنَا هذا .

خائِقاها^(b) يُوسُفُ

[أثر رقم ١٥٧]

هذه الخائِقاها^(b) من جملة مَيِّدانِ القَبقِ ، بالقربِ من قُبَّةِ النَّصْرِ خارجِ بابِ النَّصْرِ^٢ . أذْرَكْتُ

(a) بولاق : ما يؤكل . (b) بولاق : خائِقاها .

المرحوم الشَّرْفِي أنَسُ ، تَعَمَّدَهُ اللهُ بِرحمته ، والِدُ المَقْرَرِ الأَشْرَفِ العالِي السَّيْفِي بَرَقُوقِ أَتابِكِ العساكرِ عَرَّ نَصْرِهِ .
van Berchem, M., *CIA Égypte I*, n° 189; Kallus.)
(L., *RCEA XII*, n° 783 005 .

فقد دُفِنَ الأَمِيرُ آنَصُ العثماني الجركسي والِدُ السُّلطانِ الظَّاهِرِ بَرَقُوقِ في هذه التُّرْبَةِ عند وفاته سنة ٧٨٣هـ / ١٣٨٢م ، الأمر الذي حدا بالأَمِيرِ يُوسُفِ إلى بناءِ تُّرْبَةٍ ثانية تحت القَلعة ، وإن لم يُقَدَّرْ له أن يُدْفَنَ فيها أيضًا .
راجع ، المقريري : السلوك ٣ : ٦٨٩ ؛ أبا المحاسن =

^١ راجع كذلك «The Behrens - Abouseif, D., *Mahmal Legend and the Pilgrimage of the Ladies of the Mamluk Court*, MSR I (1997), pp. 87-98.

^٢ ما تزال هذه الخائِقاها قائمةً في قرافة الممالِكِ شرق طريق صلاح سالم بجوار خائِقاها فَرَجِ بن بَرَقُوقِ وإلى الشمال منه ، ويوجد أعلى مَدخَلِها على واجهتها الغربية سطران بالخط النسخي المملوكي يحملان النَّصَّ التالي :

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : لَمَّا كان بتاريخ يوم السبت ثامن عشر شَوَّالِ سنة ثلاثٍ وثمانين وسبع مائة ، توفي المَقْرَرُ

مَوْضِعَهَا وَبِهِ عَوَامِيدُ تُعْرَفُ بِعَوَامِيدِ السَّبَاقِ ، وَهِيَ أَوَّلُ مَكَانٍ بُنِيَ هُنَاكَ ^١ .

أَنْشَأَهَا الْأَمِيرُ يُونُسُ الثُّورُوزِيُّ الدَّوَادَارُ ، كَانَ مِنْ مَمَالِيكَ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ جُرْجِي الإِذْرِيْسِيِّ ، أَحَدِ الْأَمْرَاءِ النَّاصِرِيَّةِ وَأَحَدِ عُنُقَاتِهِ ، فَتَرَقَّى فِي الخِدْمِ مِنْ آخِرِ أَيَّامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ ابْنِ قَلَاوُونَ إِلَى أَنْ صَارَ مِنْ جَمَلَةِ الطَّائِفَةِ الْيَلْبُغَاوِيَّةِ . فَلَمَّا قُتِلَ الْأَمِيرُ يَلْبُغَا الْخَاصَكِي ، خَدَمَ بَعْدَهُ الْأَمِيرُ أَسْنَدُمُرُ النَّاصِرِي الْأَتَابِكُ ، وَصَارَ مِنْ جَمَلَةِ دَوَادَارِيَّتِهِ .

وَمَا زَالَ يَتَنَقَّلُ فِي الخِدْمِ إِلَى أَنْ قَامَ الْأَمِيرُ بَرْقُوقُ - بَعْدَ قَتْلِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ شَعْبَانَ - فَكَانَ مِنْ أَعَانِهِ وَقَاتَلَ مَعَهُ ، فَرَعَى لَهُ ذَلِكَ وَرَقَّاهُ إِلَى أَنْ جَعَلَهُ أَمِيرًا مَائَةً مُقَدَّمِ أَلْفٍ ، وَجَعَلَهُ دَوَادَارَهُ لِمَا تَسَلَّطَنَ . فَسَلَّكَ فِي رِيَاسَتِهِ طَرِيقَةً جَلِيلَةً ، وَلَزِمَ حَالَةً جَمِيلَةً : مِنْ كَثْرَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ ، وَإِقَامَةِ النَّامُوسِ الْمَلُوكِيِّ ، وَشِدَّةِ الْمَهَابَةِ ، وَالإِعْرَاضِ عَنِ اللَّعِبِ ، وَمُدَاوِمَةِ الْعُبُوسِ ، وَطُولِ الْجُلُوسِ ، وَقُوَّةِ الْبَطْشِ لِسُرْعَةِ غَضَبِهِ ، وَمَحَبَّةِ الْفُقَرَاءِ ، وَحُضُورِ السَّمَاعِ وَالشُّعْفِ بِهِ ، وَإِكْرَامِ الْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ .

وَأَنْشَأَ بِالْقَاهِرَةِ رُبْعًا وَقَيْسَارِيَّةً بِخَطِّ الْبُنْدُقَانِيِّينَ ، وَتُرْبَةً خَارِجَ بَابِ الْوَزِيرِ تَحْتَ الْقَلْعَةِ ^٢ ، وَأَنْشَأَ بِظَاهِرِ دِمَشْقَ مَدْرَسَةً بِالشَّرَفِ الْأَعْلَى ، وَأَنْشَأَ خَانًا عَظِيمًا خَارِجَ مَدِينَةِ غَزَّةِ . وَجَعَلَ بِجَانِبِ هَذِهِ الْخَانِكَاةِ مَكْتَبًا يَقْرَأُ فِيهِ أَيُّتَامُ الْمُسْلِمِينَ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَبَنَى بِهَا صِهْرِيحًا يُنْقَلُ إِلَيْهِ مَاءُ النَّيْلِ .

وَمَا زَالَ عَلَى وَفُورِ حُرْمَتِهِ وَتَفُؤِذِ كَلِمَتِهِ ، إِلَى أَنْ خَرَجَ الْأَمِيرُ يَلْبُغَا النَّاصِرِي ، نَائِبَ حَلَبَ ، عَلَى الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقِ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَسَبْعَ مَائَةٍ . وَجَهَّزَ السُّلْطَانُ الْأَمِيرَ أَيُّتَمُشَ ، وَالْأَمِيرُ يُونُسُ هَذَا ، وَالْأَمِيرُ جِهَازُ كَسِ الْخَلِيلِي ، وَعِدَّةٌ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْمَمَالِيكِ لِقِتَالِهِ . فَلَقَّوهُ بِدِمَشْقَ وَقَاتَلُوهُ فَهَزَمَهُمْ ، وَقُتِلَ الْخَلِيلِي ، وَفَرَّ أَيُّتَمُشُ إِلَى دِمَشْقَ . وَنَجَّى يُونُسُ بِنَفْسِهِ يُرِيدُ مِصْرَ ، فَأَخَذَهُ الْأَمِيرُ غِيْفَا بْنُ شَطَا أَمِيرُ الْأَمْرَاءِ ، وَقَتَلَهُ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ثَانِي عَشْرِينَ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ إِحْدَى

= النجوم الزاهرة ١١: ٢١٨؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية

١٤٧-١٤٩ (٥١-٥٢)؛ عاصم محمد رزق:

خانقاوات الصوفية في مصر ١: ٣٠٧-٣١٤، أطلس العمارة الإسلامية ٢: ١٣٩٥-١٤٠١.

^١ فيما تقدم ٣: ٣٧٦؛ وفيما يلي ٩٢٠.

^٢ ما تزال تُرْبَةُ يُونُسِ الدَّوَادَارِ الَّتِي أَنْشَأَهَا خَارِجَ بَابِ الْوَزِيرِ تَحْتَ الْقَلْعَةِ ، قَائِمَةٌ بِشَارِعِ بَابِ الْوَدَاعِ الْمَتَفَرِّعِ مِنْ سَبْكَةِ الْحَجَرِ بِالْحَطَّابَةِ ، وَمُسَجَّلَةٌ بِالْآثَارِ بِرَقْمِ ١٣٩ ، وَيُوجَدُ عَلَى

قاعدة قُبْحَهَا كِتَابَةٌ بَارِزَةٌ تَحْمِلُ النَّصَّ التَّالِيَّ :

وَأَمَرَ بِأَنْشَاءِ هَذِهِ التُّرْبَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى

وَجَزِيلِ عَطَائِهِ الْمُقَرَّرِ الْعَالِي الْأَمِيرِي الْكَبِيرِي الْأَجَلِّي الْمُحْتَرَمِي الْخُدُومِي الشَّرَفِي يُونُسِ الثُّورُوزِيِّ الدَّوَادَارِ الْمَلِكِي الظَّاهِرِي .

(Kallus, L., RCEA XVII, n°783 007).

وانظر كذلك عاصم محمد رزق: أطلس العمارة

الإسلامية ٢: ١٣٨٧-١٣٩٤.

وتسعين وسبع مائة ، ولم يُعْرَف له قَبْرٌ بعدما أُعِدَّ لنفسه عِدَّةٌ مَدَافِنٍ في غير ما مَدِينَةٍ من مصر والشَّام^١ .

[109r] ^a قُبَّة كُمُشْبِغَا

هذه التُّرْبَةُ خَارِجُ البَابِ المَحْرُوقِ تَحْتَ الجَبَلِ^٢ ، أَنشأها الأَمِيرُ كُمُشْبِغَا الحَمَوِي - أَحَدُ المَمَالِيكِ اليَلْبُغَاوِيَةِ - تَنَقَّلَ فِي الخِدْمِ حَتَّى صَارَ أَحَدَ الأَمْرَاءِ فِي أَيَّامِ أُسْتَاذِهِ الأَمِيرِ يَلْبُغَا الخَاصِّكِيِّ العَمْرِيِّ ، وَصَارَ بَعْدَهُ مِنَ الأَمْرَاءِ المَقْدُمِينَ وَوَلِيَّ نِيَابَةِ حَلَبَ . وَكَانَتْ لَهُ فِي نُصْرَةِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقِ - عِنْدَ مُحَاصَرَتِهِ لِدمَشْقِ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الكَرْكِ - يَدٌ جَلِيلَةٌ ، ثُمَّ إِنَّهُ انْهَزَمَ عَنْهُ يَوْمَ شَقْحَبِ إِلَى حَلَبَ فَفَارَّ فِيهَا بِخُرُوبٍ عَظِيمَةٍ حَتَّى خَلَصَهَا لِنِظَامِ وَقَفِهِ عَلَيْهِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ ، فَأَعْظَمَ مَقْدَمَهُ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ وَجَعَلَهُ أَمِيرًا كَبِيرًا أَتَابَكَ العَسَاكِرَ . ثُمَّ قَبِضَ عَلَيْهِ بَعْدَ مُدَّةٍ وَسَجَنَهُ بِالإِسْكَنْدَرِيَةِ ، وَمَاتَ بِهَا مَسْجُونًا لِلَيْتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِ مِائَةٍ ، فَلَمْ يَعْشِ بَرْقُوقِ بَعْدَهُ غَيْرَ سَبْعَةِ عَشَرَ يَوْمًا وَمَاتَ . وَكَانَ مِنَ المُتَرْفِينَ المُنْعَمِينَ فِي حَيَاتِهِ ، كَثِيرَ الأَكْلِ نَهْمًا إِلَى الغَايَةِ ، يُحْكِي عَنْهُ فِي ذَلِكَ أُمُورٌ غَرِيبَةٌ^٣ .

(a-a) كلُّ هذه الفقرة إضافة من المُسَوِّدَةِ .

- ^١ انظر ترجمة الأمير شرف الدين يُوسُفِ التُّورُوزِي (التُّورُوزِي) الدُّوَادَارِ كَذَلِكَ عِنْدَ، المَقْرِيزِي: السُّلُوكِ ٣: ٦٨٨-٦٨٩؛ ابن حجر: إنباء الغمر ١: ٣٩٠، الدرر الكامنة ٥: ٢٦٤-٢٦٥؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٣٨٤، الدليل الشافِي ٢: ٨١٠؛ الصيرفي: نزهة النفوس ١: ٢٧٩ .
- ^٢ المَقْرِيزِي: درر العقود الفريدة ٣: ٢٥، السُّلُوكِ ٣: ٩٨٢؛ ابن إِبَاس: بدائع الزهور ١/٢: ٥٥٤، وانظر عن
- البَابِ المَحْرُوقِ فِيمَا تَكْتُمُ ٢: ٢٨١-٢٨٢ .
- ^٣ رَاجِعْ تَرْجَمَةَ كُمُشْبِغَا الحَمَوِي اليَلْبُغَاوِيِ ، المَتَوَفَى سَنَةَ ٨٠١هـ/١٣٩٨م ، عِنْدَ المَقْرِيزِي: السُّلُوكِ ٣: ٩٧٥ ، ٩٨٢ ، دَررِ العُقُودِ الفَرِيدَةِ ٣: ٢٤-٢٥ ؛ ابن حَجَرٍ: إنباء الغمر ٢: ٨١-٨٢ ، ذِيَلِ الدَّررِ الكَامِنَةِ ٧٥-٧٦ ؛ أَبِي المَحَاسِنِ: النُجُومِ الزَاهِرَةِ ١٣: ٩-١٠ ، المُنَهَلِ الصَّافِي ٩: ١٤٢-١٤٦ ؛ الصيرفي: نزهة النفوس ٢: ٢٦-٢٧ ؛ السخاوي: الضوء اللامع ٦: ٢٣٠-٢٣١ .

خانقاه طينيس

هذه الخانقاه من جُملة أراضي بُشتان الخشاب ، فيما بين القاهرة ومصر ، على شاطئ النيل^١ .
أنشأها الأمير علاء الدين طينيس الخازندار نقيب الجيوش ، في سنة سبع وسبع مائة ، بجوار جامع
المقدم ذكره عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب^٢ ، وقرَّر بها عدَّة من الصوفيَّة ، وجعل لهم شيخًا ،
وأجرى لهم المعاليم .

ولم تزل عامرة إلى أن حدثت الحين من سنة ست وثمان مائة ، فابتاع شخص الوكالة والرَّبعين
- المعروفين بزبع بكتمر - والحمامين ، ونقض ذلك فخرَّب الخط ، وصار مخوفًا . فلما كان في
سنة أربع عشرة وثمان مائة ، نُقل الحضور من هذه الخانقاه إلى المدرسة الطينيسية بجوار الجامع
الأزهر^٣ ، وهي الآن بصدد أن تذر وتُمحى آثارها .

خانقاه آقبغا

هذه الخانقاه هي موضع من المدرسة الآقبغوية بجوار الجامع الأزهر ، أفرده الأمير آقبغا عبد
الواحد ، وجعل فيه طائفة يحضرون وظيفه التصوف ، وأقام لهم شيخًا ، وأفرده لهم وقفًا يختص
بهم ، وهي باقية إلى يومنا هذا^٤ . وله أيضًا خانقاه بالقرافة .

الخروبيَّة

/ هذه الخانكاه بساحل الجيزة ، تجاه المقياس ، كانت منظرًا من أعظم الدور وأحسنها^٥ .
أنشأها زكي الدين أبو بكر بن علي الخروبي كبير التجار ، ثم توارثها من بعده أولاد الخروبي
التجار بمصر ، فلم تزل بأيديهم إلى أن نزلها السلطان المؤيد شيخ ، في يوم الاثنين ثاني عشر شهر
رجب الفرد سنة اثنتين وعشرين وثمان مائة ، وأقام بها . فانتضى رأيه أن يجعلها خانكاه ،
فاستدعى بابن الخروبي ليشتريها منه ، فبرع بما يخصه منها ، وصار إليه باقيةا .

^٤ فيما تقدم ٥٤٠ - ٥٤٤ .

^١ الشجاعي : تاريخ الملك الناصر ١١٧ .

^٥ المقرئزي : السلوك ٤ : ٥٠٢ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ .

^٢ فيما تقدم ٢٠٥ .

^٣ فيما تقدم ٥٣٦ - ٥٣٨ .

فتقدّم إلى الأمير سيف الدين أبي بكر بن المزوق^(a) الأستادار بعمليها خائكاها ، وسار منها في يوم الأربعاء سادس عشره ، فأخذ الأمير أبو بكر^(b) في عملها حتى كملت في آخر السنة . واشتقر في مشيختها شمس الدين محمد^(b) بن الحمتى الدمشقي الحنبلي ، وخلع عليه يوم السبت سنة ثلاث وعشرين وثمان مائة ، ورُتّب له في كل يوم عشرة مؤيديه : عنها مبلغ سبعين دزهما فلوسا ، سوى الخبز والسكن ، وقُرّر عنده عشرة من الفقراء ، لكل منهم مع الخبز مؤيدي في كل يوم ، فجاءت من أحسن شيء .

ذِكْرُ الرُّبُطِ

الرُّبُطُ : جَمْعُ رِبَاطٍ ، وَهُوَ دَارٌ يَسْكُنُهَا أَهْلُ طَرِيقِ اللَّهِ .
 قال ابن سيده : الرُّبَاطُ مِنَ الْخَيْلِ : الْخَمْسُ فَمَا فَوْقَهَا ، وَالرِّبَاطُ ، وَالْمُرَابَطَةُ : مُلَازِمَةٌ تُغْرِ الْعَدُوَّ ، وَأَصْلُهُ أَنْ يَرْبُطَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ خَيْلَهُ ، ثُمَّ صَارَ لُزُومُ الشَّعْرِ رِبَاطًا ، وَرُبَّمَا سُمِّيَتِ الْخَيْلُ أَنْفُسُهَا رِبَاطًا . وَالرِّبَاطُ الْمَوَاطَبَةُ عَلَى الْأَمْرِ ، قَالَ الْفَارِسِيُّ : هُوَ ثَانٍ مِنْ لُزُومِ الشَّعْرِ ، وَلُزُومُ الشَّعْرِ ثَانٍ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ [الآية ٢٠٠ سورة آل عمران] ، قِيلَ : مَعْنَاهُ : جَاهِدُوا ، وَقِيلَ : وَاطِبُوا عَلَى مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ .
 وقال أبو حفص الشهروردي في كتاب «عوارف المعارف» : وَأَصْلُ الرِّبَاطِ مَا تُرْبَطُ فِيهِ الْخَيْلُ ، ثُمَّ قِيلَ لِكُلِّ شَيْءٍ يَدْفَعُ أَهْلَهُ عَمَّنْ وَرَاءَهُم رِبَاطٌ ، فَالْجَاهِدُ الْمُرَابِطُ يَدْفَعُ عَمَّنْ وَرَاءَهُ ، وَالْمَقِيمُ فِي الرِّبَاطِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ يَدْفَعُ بِهِ وَبُدْعَائِهِ الْبَلَاءَ عَنِ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ .^١

وروى داود بن صالح ، قال : قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن : يا ابن أخي ، هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ ؟ قُلْتُ : لا . قال : يا ابن أخي ، لم يكن

(a) بولاق : المسروق . (b) بياض في أباصوفيا وميونخ .

^٢ السهروردي : عوارف المعارف ١٠٠ .

^١ ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ٩ : ١٣٤ .

في زمن رسول الله ﷺ غزواً تُربط فيه الخيل، ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة. فالرباط جهاد النفس، والمقيم في الرباط مُرابط مُجاهد نفسه. واجتماع أهل الربط إذا صح على الوجه الموضوع له الربط، وتحقق أهل الربط بحسن المعاملة ورعاية الأوقات وتوقي ما يفسد الأعمال ويصحح الأحوال، عادت البركة على العباد والبلاد.

وشرائط سُكَّانِ الرباط قطع المعاملة مع الخلق، وفتح المعاملة مع الحق، وترك الاكتساب اكتفاءً بكفالة مسبب الأسباب، وحبس النفس عن المخالطات، واجتناب التبعات، ومواصلة الليل والنهار بالعبادة متعوضاً بها عن كل عادة، والاشتغال بحفظ الأوقات، وملازمة الأوراد، وانتظار الصلوات، واجتناب الغفلات، ليكون بذلك مُرابطاً مُجاهداً^١.

والرباط هو بيت الصوفية ومثلهم^(a)، ولكل قوم دار، والرباط دارهم، وقد شابهوا أهل الصفة في ذلك. فالقوم في الرباط مُرابطون مُتفقون على قصد واحد وعزم واحد وأحوال متناسبة، ووضع الرباط لهذا المعنى^٢.

قال كاتبه^(b): ولاتخاذ الربط والزوايا أصل من السنة، وهو أن رسول الله ﷺ اتخذ لفقراء الصحابة، الذين لا يأوون إلى أهل ولا مال، مكاناً من مسجده كانوا مُقيمين به^(c)، عرفوا بأهل الصفة.

(a) في عوارف المعارف: ومضربهم. (b) بولاق: مؤلفه. (c) بولاق: يقيمون فيه.

التنيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٢: ١٩٥، وفيه أن العلماء لم يتفرغوا للفرق بين الخانكاه وبين الزاوية والرباط، وهو المكان المُستجَل للأفعال الصالحة والعبادة. وانظر مقال دونالد ليتل «The Nature of Khanqahs, Ribats and Zawiya under the Mamluks» in Wael B. Hallaq and D. P. Little (eds.), *Islamic Studies presented to Charles J. Adams*, Leiden - Brill 1991, pp. 91-105.

^١ السهروردي: عوارف المعارف ١٠٠-١٠١. ففي الحديث: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا وتزفع به الدرجات». قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «إشباع الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط». (نفسه ١٠١).
^٢ التنيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٢: ١٩٥. السهروردي: عوارف المعارف ١٠٢ وقارن مع

رباط الصاحب

هذا الرباط مُطَّلَّ على بِرْكَةِ الحَبَشِ ، أنشأه الصَّاحِبُ فَخْرُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ ابْنُ الوَازِرِ الصَّاحِبِ بَهَاءِ الدِّينِ أَبِي الحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمِ بْنِ جِنَّا ، وَوَقَفَ عَلَيْهِ أَبُوهُ الصَّاحِبُ بَهَاءُ الدِّينِ بَعْدَ مَوْتِهِ عَقَارًا بِمَدِينَةِ مِصْرَ ، وَشَرَطَ أَنْ يَسْكُنَهُ عَشْرَةٌ مِنَ الفُقَرَاءِ المَجْرُودِينَ غَيْرِ المِتَّاهِلِينَ ، وَذَلِكَ فِي ذِي الحِجَّةِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ . وَهُوَ بَاقٍ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا ، وَليس فِيهِ أَحَدٌ ، وَيَسْتَأْدِي رِيحَ وَقْفِهِ مِنْ لَا يَفْعَلُ بِمِصَالِحِهِ .^٥

رباط الفخري

هذا الرباط خارج باب الفتوح فيما بينه وبين باب القصر، بناه الأمير عز الدين أيتك الفخري^(a) الملكي الظاهري الشعيدي^(a)، أخذ أمراء الملك الظاهر بيبزس .

رباط^(b) البغدادية

هذا الرباط^(d) بداخل الدرب الأصفر، تجاه خانقاه بيبزس، حيث كان المنحرف الذي ذكر عند ذكر القصر من هذا / الكتاب^٢، ومن الناس من يقول «رواق البغدادية»^٣. وهذا الرباط بنته الست الجليلة تذكارة باي خاتون ابنة الملك الظاهر بيبزس، في سنة أربع وثمانين وست مائة، للشيخة الصالحة زينب ابنة أبي البركات، المعروفة ببنت البغدادية، فأنزلتها به ومعها النساء الخيرات. وما برح إلى وقتنا هذا يُعرف سُكَّانُهُ مِنَ النِّسَاءِ بِالخَيْرِ، وَهُوَ دَائِمًا شَيْخَةٌ تَعْظُمُ النِّسَاءَ وَتَذَكُرُهُنَّ وَتُفَقِّهُهُنَّ .

(a-a) إضافة من المستودة . (b) في المستودة وفيما تقدم ٣ : ٤٠١ : رواق .

الأخرى يُطلق عليهما «زاوية الشيخ عثمان الشطوحي» بحارة

^١ ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ٣٦١ .

الدرب الأصفر . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٢٦٦ هـ^٣ ،

^٢ فيما تقدم ٢ : ٤٣١ - ٤٣٢ .

١٢ : ١٤٢ ؛ وانظر كذلك علي مبارك : الخطط التوفيقية

^٣ تحزبت الآن هذا الرباط واعتدى الناس على أرضه ،

٦ : ١٥٣ (٥٣) ؛ وفيما تقدم ٣ : ٤٠١ .

ولم يتخلف منه إلا بقايا قبتين قديمتين تدخل إحداهما في

وآخر من أدرَكنا فيه الشَّيخة الصَّالِحَة ، سَيِّدة نساء زَمَانِهَا ، أُمُّ زَيْنَبِ فَاطِمَةَ بنتِ عَبَّاسِ البَغْدَادِيَّةِ ، توفِّيت في ذي الحِجَّةِ سنة أربع عشرة وسبع مائة ، وقد أنافَت على الثمانين . وكانت فقيهةً وافرةً العِلْمِ ، زَاهِدَةً قَانِعَةً باليسير ، عَابِدَةً وَاِعْظَمَةً ، حَرِيصَةً على النَّفْعِ والتَّذْكِيرِ ، ذاتِ إِخْلَاصٍ وَخَشْيَةٍ وأمرٍ بالمعروف ، انتفعَ بها كثيرٌ من نساءِ دِمَشْقٍ ومصرَ ، وكان لها قَبُولٌ زَائِدٌ ، وَوَقْعٌ في النَّفُوسِ ^٥ .

وصارَ بعدها كلُّ من قامَ بِمَشِيخَةِ هذا الرِّبَاطِ من النِّسَاءِ يُقالُ لها «البَغْدَادِيَّة» . وأدرَكنا الشَّيخة الصَّالِحَة البَغْدَادِيَّة أَقامت به عِدَّةَ سنين على أَحْسَنِ طَرِيقَةٍ ، إلى أن ماتت يوم السبت لثمانِ بقين من جُمادَى الآخرة سنة ستِّ وتسعين وسبع مائة .

وأدرَكنا هذا الرِّبَاطَ ، وتودَّعُ فيه النِّسَاءُ اللَّاتِي طُلَّقْنَ أو هُجِرْنَ ، حتى يَتَزَوَّجْنَ أو يَرْجِعْنَ إلى أزواجهن ، صِيَانَةً لهن لما كان فيه من شِدَّةِ الضُّبْطِ ، وغايةِ الاحتِرازِ ، والمواظبةِ على وَظَائِفِ العِبَادَاتِ . حتى إنَّ خادِمَةَ الفَقِيرَاتِ به كانت لا تَمُكِّنُ أَحَدًا من اسْتِعْمَالِ إِبْرِيْقِ بِيْرَبُوزِ ، وتُؤَدِّبُ من خَرَجَ عن الطَّرِيقِ بما تَراه .

ثم لما فَتَدَّتِ الأَحْوالُ من عَهْدِ مُحَدُوثِ المِحْنِ بعد سنة ستِّ وثمان مائة ^a ، تلاشتْ أُمُورُ هذا الرِّبَاطِ ، وَمَنَعَ مُجَاوِزُوه من سَجْنِ النِّسَاءِ المُعْتَدَاتِ به ، وفيه إلى الآن بقايا من خَيْرِ ، ويلى النَّظَرَ عليه قاضي القُضاة الحَنَفِي . ^{١٥}

رِبَاطُ السَّتِّ كُلِّيَّة ^(b)

هذا الرِّبَاطُ خارجُ دَرْبِ بَطُوطِ ، من جملةِ حِكْرِ سِنَجِرِ اليَمَنِي ، مُلاصِقِ الشُّورِ الحَجَرِ بِخُطِّ سُوقِ الغَنَمِ وَجَامِعِ أَصْلَمِ . وَقَفَّهُ الأَمِيرُ علاءُ الدِّينِ ^(c) بن ^(c) البِرْواناه ^(d) على السَّتِّ كُلِّيَّة ^(b) ، المدعوة دُولاي ، ابنة عبد الله التُّرْتِيَّةِ ، زَوْجِ الأَمِيرِ سَيِّفِ الدِّينِ اليَزَلِي ^(e) السُّلاخدارِ الظَّاهِرِي ، وَجَعَلَهُ مَسْجِدًا ورِبَاطًا ، وَرَتَّبَ فيه ^(c) صُوفِيَّةً و ^(c) إِمَامًا وَمُؤَدِّيًا ، وذلك في ثالِثِ عَشَرَ ^(f) شَوَّالِ سنة ^{٢٠}

(a) العبارة في المُسَوِّدَة : «عند فساد الزمان بعد الثمان مائة» . (b) بولاق : كليلَة . (c-c) من المسودة . (d) بولاق :

البراباه . (e) بولاق : البرلي . (f) بولاق : عشرين .

^١ واضِحٌ أن هذه العبارة ليست على لسان المقرئ ، فالشَّيخة المذكورة توفيت سنة ٧١٤ هـ أي قبل ميلاد المقرئ بأكثر من أربعين عامًا .

أربع وتسعين وست مائة^١.

رباط الخازن

[هذا الرباط^٢] بقرب قبّة الإمام الشافعيّ - رحمة الله عليه - من قرافة مصر . بناه الأمير علّم الدّين سنجر بن عبد الله الخازن ، والي القاهرة ، وفيه دُفن^٣ . وهذا الخازن هو الذي يُنسب إليه حِكْمُ الخازن خارج القاهرة^٤ .

الرباط المعروف برواق ابن سليمان

[الرقم ٢٤٥]

هذا الرواق بحارة الهلائية ، خارج باب زويلة^٥ ، عُرف بأحمد بن سليمان بن أحمد ابن سليمان بن إبراهيم بن أبي المعالي أبي العباس الرّحبي البطائحي الرّفاعي ، شيخ الفقهاء الأحمديّة

(a) زيادة غير موجودة في النسخ .

بالقراءة الصّغرى نظراً للتغيرات الكثيرة التي طرأت على هذه القرافة .

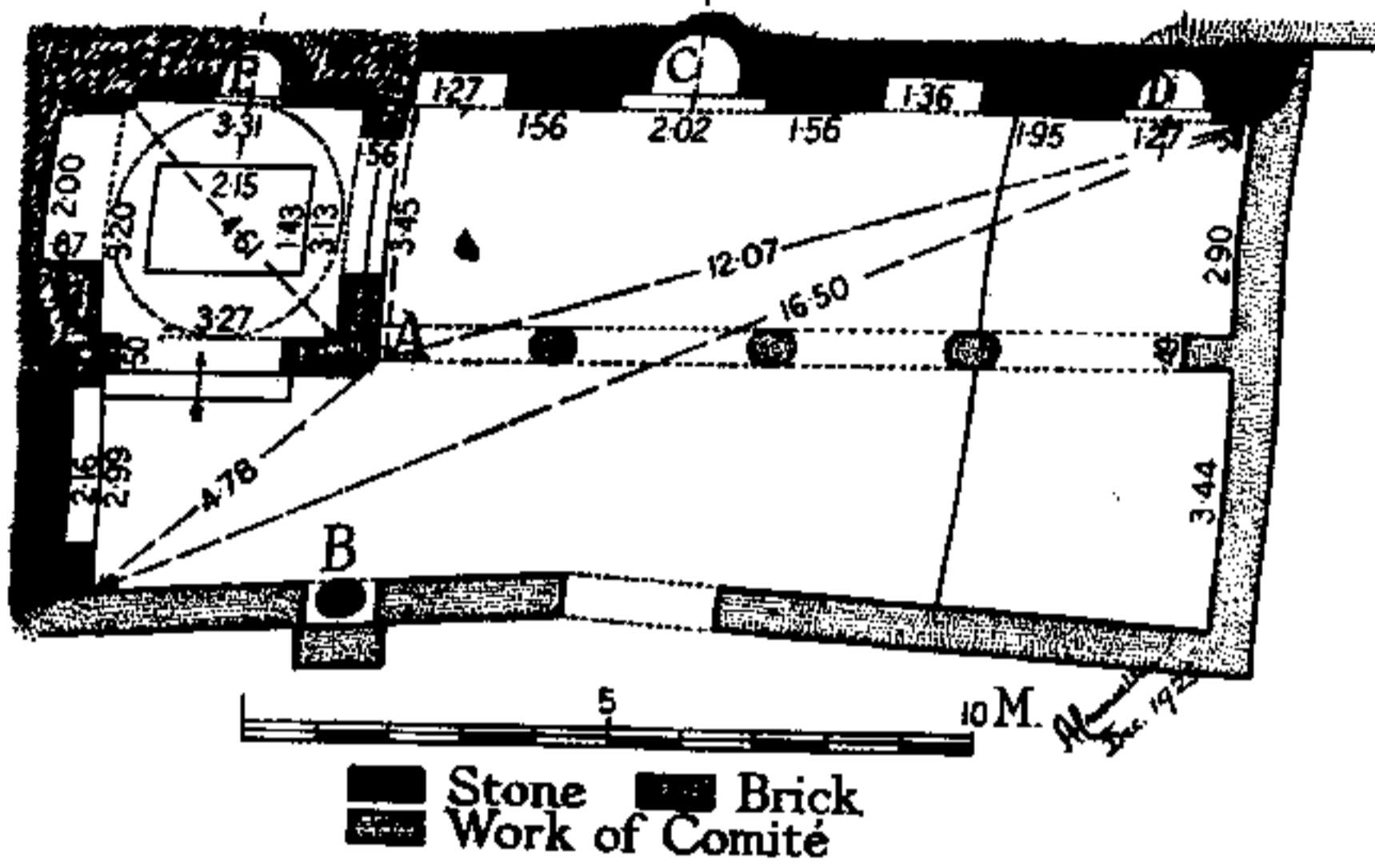
^٣ انظر ترجمة علّم الدّين سنجر الخازن فيما تقدم ٤٤٩:٣ وهـ^١ ، وأضف إلى مصادر الترجمة ، المقرئزي : السلوك ٢:٣٨٧-٣٨٨ .

^٤ ما زال هذا الرباط موجوداً بحارة خلّوات المتفرّعة من شارع شوق السّلاح خلف جامع أُلجاي اليوسفي . (راجع ، علي مبارك : الخطط التوفيقية ٦: ١٥٢ (٥٣) ؛ حسن عبد الوهاب : «رباط أحمد بن سليمان» ، مجلة الهندسة ١٧ (١٩٣٧) ، ١٥٤-١٥٩ ؛ Creswell, K.A.C., M A E II, pp. 220-22 ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ٣: ٨٩-٩٠ ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٢٠٩-٢٢١) .

^١ ذكّر المقرئزي «دَرْبَ بَطُوط» (فيما تقدم ٢: ٢٥٥) عند ذكره لما أذركه من الشور اللّين الذي بناه جوهر القائد ، حيث ذكر أنّه شاهد قطعاً منه فيما بين باب البرقيّة ودَرْبَ بَطُوط قدّمها شخص سنة ٨٠٣ هـ . وما يزال جامع أضلم السّلاح دار قائماً بشارع دَرْبِ شُغْلان عند تلاقيه بشارع فاطمة النبوية بالدَرْبِ الأحمر (فيما تقدم ٢٣٢) . لذلك فقد رَجَّح حسن قاسم أنّه ربّما كان موضع هذا الرباط المسجد المعروف الآن بـ«مسجد الشّيذة فاطمة النبوية» بقرب دَرْبِ شُغْلان بالدَرْبِ الأحمر ، وهذا المسجد جدّده والي مصر عبّاس باشا الأوّل في منتصف القرن التاسع عشر . (علي مبارك : الخطط التوفيقية ٥: ١٥٥-١٥٦ (٢٦٦) ؛ حسن قاسم : المزارات المصرية ٦: ٣٥) .

^٢ المقرئزي : السلوك ٢: ٣٨٨ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٣٠٦ . ومن المتعدّر تعيين مكان تُوْبَةِ سنجر الخازن

الرفاعية بديار مصر . كان عبداً صالحاً ، له قبول عظيم من أمراء الدولة وغيرهم ، ويتّمي إليه كثير من الفقراء الأحمديّة ، ورؤى الحديث عن سبط السلفي وحدث ، وكانت وفاته ليلة الاثنين سادس ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وست مائة بهذا الرواق ^١ .



مخطط رباط أحمد بن سليمان (عن Creswell)

رباط داود بن إبراهيم

بخط بركة الفييل ، بُني في سنة ثلاث وستين وست مائة .

رباط ابن أبي المنصور

هذا الرباط بقرافة مصر ، عُرف بالشيخ صفّي الدّين الحسين بن عليّ بن أبي المنصور الصوفي المالكي ^٢ ، كان من بيت وزارة ، فتجرّد وسلك طريق أهل الله علي يد الشيخ أبي العباس أحمد

^١ توجد على تابوت أحمد بن سليمان ثلاثة أسطر من النسخ المملوكي تحمل النصّ الآتي :
ويشم الله الرحمن الرحيم - الآية ١٨٢ سورة آل عمران - هذا قبر الشيخ الصالح الإمام العالم شيخ مشايخ الإسلام سيدنا محيي الدّين أبا (كذا) العباس أحمد بن سليمان الرفاعي . توفي يوم الاثنين السادس من شهر ذي الحجة سنة تسعين وست مائة . (Wiet, G., RCEA XIII, n°4941). وواضح أن هناك فرق سنة بين التاريخ المثبت على التابوت والتاريخ الذي أورده المقرئ.

^٢ الشيخ صفّي الدّين أبو عبد الله حسين بن علي بن ظافر الأزدي الأنصاري الخزرجي الحُراني المالكي المعروف بابن

أحمد بن سليمان الرفاعي . توفي يوم الاثنين السادس من شهر ذي الحجة سنة تسعين وست مائة . (Wiet, G., RCEA XIII, n°4941). وواضح أن هناك فرق سنة بين التاريخ المثبت على التابوت والتاريخ الذي أورده المقرئ.

ابن أبي بكر الحرّار^(a) الثّجّيبّي المغربي^(b) ^١، وتزوَّج ابنته، وعُرفَ بالبَرَكة، وحكيت عنه كراماتٌ، وصنّف كتابَ «الرّسالة»، ذكّر فيها عدّة من المشايخ ^٢، ورَوَى الحديثَ وحَدَّثَ، وشارك في الفقه وغيره.

وكانت ولادته في ذي القعدة سنة خمس وتسعين وخمسة مائة، ووفاته برباطه هذا، يوم الجمعة ثاني عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وست مائة.

رِبَاطُ الْمُشْتَهَى

/هذا الرِّباطُ بِرَوْضَةِ مِصرَ يطلُّ على النِّيلِ، وكان به الشَّيْخُ المُسَلِّكُ [بهاء الدِّين محمد ابن الكازروني]^(c) ^٣.

ولله ذرُّ شَيْخِنَا العارِفِ الأديبِ شهاب الدِّين أحمد بن أبي العبَّاسِ الشَّاطِرِ الدَّمَنهوري، حيث يقول:

[السريع]

بِرَوْضَةِ المِقْيَاسِ صُوفِيَّةٍ هم مُنِيَّةُ الحَاطِرِ والمُشْتَهَى
لهم على البَحْرِ أَيَادٍ عَلَّتْ وشيخُهم ذاك له المُتَهَى

(a) بولاق: الجزائر. (b) في المقفى الكبير: الأندلسي. (c) بياض في النسخ والمثبت من النجوم الزاهرة.

^٢ نَشَرَهَا دِينِي جريل Denis Gril بعنوان «رسالة صفي الدين بن أبي المنصور»، القاهرة - المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٨٦.

^٣ توفي الشيخ العارف بالله المعتقد المسلك بهاء الدين محمد بن الكازروني في ليلة الأحد خامس عشر ذي الحجة سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٣م، ودُفِنَ بهذا الرِّباطِ (الرَّابِية). وهذا الرِّباطُ أنشأه بهاء الدِّين الكازروني سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٤م بجزيرة الرُّوضَةِ، ولا تزال آثاره باقية إلى اليوم باسم «زاوية الكازروني»، جَدَّدَتْهَا خَوْشِيَار هانم والدة الخديو إسماعيل في سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١٢٥هـ).

= أبي المنصور ابن الوزير جمال الدين أبي الحسين بن جمال الدين أبي المنصور، وُلِدَ في حَرَّان سنة ٥٩٥هـ/١١٩٩م، وتوفي بالقرافة في مصر، ودُفِنَ برباطه سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٢م. (ابن الملقن: طبقات الأولياء ٥٤٠؛ المقرئ: المقفى الكبير ٣: ٥٦٤-٥٦٧).

^١ أبو العبَّاس أحمد الحرّار بن أبي بكر الثّجّيبّي، متَّشَأه بإشبيلية من غَرْب الأندلس، وكان يُنْسَج الحرير السُّقْلَاطون فسمِّي بالحرّار، وصحِبَ بها رجالاتاً، وكان فقيهاً مُحَدِّثاً رَحَلَ إلى مصر وذاع بها صيته، وتوفي سنة ٦١٦هـ/١٢١٨م. (ابن أبي المنصور: رسالة صفي الدين بن أبي المنصور ٣-٢٢؛ المقرئ: المقفى الكبير ١: ٦٧١-٦٨٢).

وقال الإمام العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفي :

[السريع]

يا لَيْلَةَ مَرَّتْ بِنَا مُحَلْوَةً إن رُمْتَ تَشْبِيهَا لَهَا عِبْتَهَا
لا يَبْلُغُ الوَاصِفُ فِي وَصْفِهَا حَدًّا وَلَا يَلْقَى لَهُ مُنْتَهَى
بِثِّ مَعَ المَعْشُوقِ فِي رَوْضَةٍ وَنَلْتُ مِنْ خُرْطُومِهِ المُشْتَهَى

رِبَاطُ الأَثَارِ

هذا الرباط خارج مصر بالقرب من بركة الحبش، مُطَّلٌّ على النيل، ومجاورٌ للبستان المعروف بالمعشوق^١.

قال ابن المتوج: هذا الرباط عمَّره الصَّاحِبُ تاج الدين محمد بن الصَّاحِبِ فخر الدين محمد، وُلِدَ الصَّاحِبُ بهاء الدين علي بن حنَّا، بجوارِ بُسْتَانِ المَعْشُوقِ^٢، ومات - رَحِمَهُ اللهُ - قبل تكملته، ووَصَّى أن يُكْمَلَ من ربيع بُسْتَانِ المَعْشُوقِ، فإذا كَمَلتْ عِمَارَتُهُ يُوقَفَ عليه، ووَصَّى الفقيه عزَّ الدين بن مسكين، فَعَمَّرَ فِيهِ شَيْئًا يَسِيرًا وَأَدْرَكَهُ المَوْتُ إلى رَحْمَةِ اللهِ تعالى، وشرَّع الصَّاحِبُ ناصِرُ الدين محمد وُلِدَ الصَّاحِبِ تاج الدين في تكملته، فَعَمَّرَ فِيهِ شَيْئًا جَيِّدًا^٣. انتهى.

وإنما قيل له «رباط الآثار»، لأنَّ فِيهِ قِطْعَةً خَشَبٍ وَحَدِيدَةٍ^٤ - يُقَالُ إنَّ ذَلِكَ من آثارِ رَسُولِ اللهِ

وهي : قِطْعَةٌ من العنزة (أي الحزبه) وميزود ومخصف وملقط وقطعة من قِصْعَةٍ وَكَحَلْتُ ناظري برؤيتها. (الوافي بالوفيات ٢١٨:١). وراجع كذلك، القلقشندي: صبح الأعشى ٣٤٣:٣.

وقد نقل السلطان الأشرف قانصوه الغوري الآثار النبوية، بعد أن أفتى العلماء بجواز نقلها، وجعلها في مدرسته الموجودة الآن بحي الغورية سنة ٩١٠هـ/١٥٠٤م وأضاف إليها الرُبْعَةَ التي كانت بالخانقاه البكتيرية بالقرافة الصغرى (فيما تقدم ٧٧٢-٧٧٥) (ابن إياس: بدائع الزهور ٦٨:٤). وظلت هذه الآثار بمدرسة الغوري حتى تم نقلها سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٩م إلى المسجد الزينبي، ثم نُقِلَتْ بعد =

^١ انظر عن المعشوق، فيما تقدم ٣: ٥٢٧، وكان يقع على النيل بجوار سكن قرية أثر النبي من الجهة البحرية.

^٢ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٣٨٥.

^٣ ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٠٢، وسماه «الرباط الصَّاحِبِي التَّاجِي».

^٤ شاهد هذه الآثار كل من ابن بطوطة والصقدي، ذكر ابن بطوطة أنها «قِطْعَةٌ من قِصْعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ والميل الذي كان يكتحلُّ به، والإسفي الذي كان يخصفُّ به نعله»، إضافة إلى مُصْحَفِ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - الذي بخطِّ يده (مُتَهَدَّبِ رحلة ابن بطوطة ٣٦)؛ بينما قال الصقدي: «وقد زُرْتُ هذه الآثار في مكانها ورأيتها»

ﷺ - اشترأها الصَّاحِبُ تاجُ الدِّينِ المذكور بمبلغ ستين ألف دِرْهَمٍ فِضَّةً^١ من بَنِي إِبراهيمِ أَهْلِ يَتْبَعُ ، وَذَكَرُوا أَنَّهَا لَمْ تَزَلْ عِنْدَهُمْ مَوْزُونَةً مِنْ وَاحِدٍ إِلَى آخَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَحَمَلَهَا إِلَى هَذَا الرِّبَاطِ ، وَهِيَ بِهِ إِلَى الْيَوْمِ يَتَبَرَّكُ النَّاسُ بِهَا ، وَيَعْتَقِدُونَ النَّفْعَ بِهَا .

وَأَذْرَكْنَا لِهَذَا الرِّبَاطِ بِهَجَّةً ، وَلِلنَّاسِ فِيهِ اجْتِمَاعَاتٌ ، وَلِسُكَّانِهِ عِدَّةٌ مَنَافِعٍ مِمَّنْ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ أَيَّامَ كَانَ مَاءُ النَّيْلِ تَحْتَهُ دَائِمًا . فَلَمَّا انْحَسَرَ الْمَاءُ مِنْ تَجَاهِهِ ، وَحَدَّثَتْ الْحِجْرُ مِنْ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، قَلَّ تَرَدُّدُ النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَفِيهِ إِلَى الْيَوْمِ بَقِيَّةٌ .

وَلَمَّا كَانَتْ أَيَّامَ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ شَعْبَانَ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ، قَرَّرَ فِيهِ دَرَسًا لِلْفُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ ، وَجَعَلَ لَهُ مُدْرِّسًا وَعِنْدَهُ عِدَّةٌ مِنَ الطَّلَبَةِ ، وَلَهُمْ جَارٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ وَقْفٍ وَقَفَهُ عَلَيْهِمْ ، وَهُوَ بَاقٍ أَيْضًا . وَفِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقِ ، وَقَفَ قِطْعَةً أَرْضٍ لِعَمَلِ الْجِسْرِ الْمُتَّصِلِ بِالرِّبَاطِ ، وَبِهَذَا الرِّبَاطِ خِزَانَةٌ كُتِبَ ، وَهُوَ عَامِرٌ بِأَهْلِهِ^٢ .

تاجُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّاحِبِ فَخْرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَزِيرِ الصَّاحِبِ بِهَاءِ الدِّينِ الْوَزِيرِ الصَّاحِبِ عَلِيِّ بْنِ سَلِيمِ بْنِ حِنَّا^٣ . وَوُلِدَ فِي سَابِعِ شَعْبَانَ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَسَمِعَ

والأشرف قانصوه الغوري (Wiet, G., *Inscriptions historiques sur pierre*, pp. 79-80 n° 107) ، ثم زال الرباط الأصلي الذي أنشأه الصَّاحِبُ تاجُ الدِّينِ بْنِ حِنَّا ، وَبُنِيَ مَكَانَهُ فِي الْعَصْرِ الْعُثْمَانِي جَامِعٌ صَغِيرٌ جَدَّدَهُ فِي سَنَةِ ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م الخواججا (أي التاجر) محمود حسن بزرجان ، كما تعرَّضَ لِتَرْمِيمٍ شَامِلٍ سَنَةِ ١٩١٦م ، وَالْجَامِعُ الْحَالِي مَسْجَلٌ بِالْآثَارِ بِرَقْمِ ٣٢٠ . (ابن دقماق : الانتصار ٤: ١٠٢-١٠٣ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ٤: ٦٩ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٦: ١٥٠ (٥٢) ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ١٦١هـ ؛ Mantran, R., «Inscriptions turques ou de l'époque turque du Caire», *An. Isl.* XI (1972), pp. 212-14 الششتاوي : متنزهات القاهرة ٢٥٤-٢٦٧ ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٣٩٣-٤٠٣) .

^٣ انظر ترجمة الصَّاحِبِ تاجُ الدِّينِ بْنِ حِنَّا أَيْضًا عِنْدَ الصَّفْدِيِّ : أعيان العصر ٥: ١١٢-١٢٧ ، الْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ ١: ٢١٧-٢٢٨ ؛ الْمُقْرِيزِي : الْمُقْفَى الْكَبِيرُ ٧: ١١١- =

= ذلك إلى «خزانة الأمتعة» بالقلعة ، ثم نُقِلَتْ إِلَى «دِيْوَانِ الْأَوْقَافِ» سَنَةِ ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م ، وَفِي الْعَامِ التَّالِي نُقِلَتْ إِلَى «قَصْرِ عَابِدِينَ» وَمِنْهُ إِلَى «الْمَشْهَدِ الْحُسَيْنِيِّ» حَيْثُ أَقَامَ لَهَا الْخَدِيوُ عَبَّاسُ حَلَمِي الثَّانِي حِجْرَةً خَاصَّةً بِهَا فِي عَامِ ١٣١١هـ/١٩١٣م مَا تَزَالُ مَوْجُودَةً وَرَاءَ الْجِدَارِ الشَّرْقِيِّ لِلْجَامِعِ ، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ أَرْبَعَةِ صِنَادِيقٍ مِنَ الْفِضَّةِ مَلْفُوفَةٌ فِي قِطْعٍ مِنَ الدِّيَابِجِ الْأَخْضَرِ الْمَطْرُوزِ تَشْمَلُ : الْمَكْحَلَةَ وَالْمِزْوَدَ فِي صِنْدُوقٍ ، وَالْقَمِيصَ فِي صِنْدُوقٍ ، وَالْقَضِيْبَ فِي صِنْدُوقٍ ، إِضَافَةً إِلَى شَعْرَتَيْنِ مِنَ اللَّحْيَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ ! بَيْنَمَا قُفِدَتْ قِطْعَةُ الْعَنْزَةِ وَقِطْعَةُ الْقَضْعَةِ وَالْمُخَصَّفُ وَالْمَلْقَطُ . (أحمد تيمور : الآثار النبوية ، القاهرة - مطبعة دار الكتاب العربي ١٩٥١ ، ٣٨-٤٦) .

^١ عِنْدَ ابْنِ بَطْوَيْطَةَ : بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَعِنْدَ ابْنِ دَقْمَاقٍ : بِمِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

^٢ عُمِّرَ هَذَا الرِّبَاطُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ ، فِإِضَافَةً إِلَى مَا ذَكَرَهُ الْمُقْرِيزِي ، قَامَ بِتَجْدِيدِهِ كَذَلِكَ النَّاصِرُ فَرْجُ بْنُ بَرْقُوقِ

من سبب السِّلْفِي وَحَدَّثَ ، وانتهت إليه رياسة عَصْرِهِ . وكان صَاحِبَ صِيَانَةٍ وَسُؤْدَدٍ وَمَكَارِمٍ
وَشَاكِلَةٍ حَسَنَةٍ وَبَزَّةٍ فَاحِرَةٍ إِلَى الْغَايَةِ . وكان يَتَنَاهَى فِي الْمَطَاعِمِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَنَاحِكِ وَالْمَسَاكِينِ ،
وَيَجُودُ بِالصَّدَقَاتِ الْكَثِيرَةِ ، مع التَّوَاضُعِ وَمَحَبَّةِ الْفُقَرَاءِ وَأَهْلِ الصُّلَاحِ ، والمبالغة في اغْتِقَادِهِمْ .
ونالَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعِزِّ وَالْجَاهِ مَا لَمْ يَرَهُ جَدُّهُ الصَّاحِبُ الْكَبِيرُ بَهَاءِ الدِّينِ ، بحيثُ إِنَّهُ لَمَّا تَقَلَّدَ الْوَزِيرُ
الصَّاحِبُ فَخْرُ الدِّينِ بنِ الْخَلِيلِيِّ الْوَزَارَةَ ، سارَ مِنْ قَلْعَةِ الْجَبَلِ - وَعَلَيْهِ تَشْرِيفُ الْوَزَارَةِ - إِلَى يَتِّبِ
الصَّاحِبِ تاجِ الدِّينِ ، وَقَبَّلَ يَدَهُ وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ انصَرَفَ إِلَى دَارِهِ .

وما زالَ على هذا القَدْرِ مِنْ وُفُورِ الْعِزِّ ، إِلَى أَنْ تَقَلَّدَ الْوَزَارَةَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ رَابِعِ عَشْرِينَ صَفَرِ
سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، بَعْدَ قَتْلِ الْوَزِيرِ الْأَمِيرِ سِنَجَرِ الشُّجَاعِيِّ ، فلم يَنْجُبْ ، وَتَوَقَّفتْ
الأحوالُ فِي أَيَّامِهِ ، حَتَّى احْتِجَّ إِلَى إِحْضَارِ تَقَاوِي النَّوَاحِي الْمُرْصَدَةِ بِهَا لِلتَّخْضِيرِ وَاسْتَهْلَاكِهَا . ثُمَّ
صُرِفَ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ خَامِسِ عَشْرِينَ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، بِفَخْرِ الدِّينِ
عُثْمَانَ بنِ الْخَلِيلِيِّ .

وَأُعِيدَ إِلَى الْوَزَارَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً فلم يَنْجَحْ ، وَعُزِّلَ وَسَلِّمَ مَرَّةً لِلشُّجَاعِيِّ ، فَجَرَّدَهُ مِنْ ثِيَابِهِ ، وَضَرَبَتْهُ
شَيْبًا وَاجِدًا بِالْمِقَارِعِ فَوْقَ قَمِيصِهِ ، ثُمَّ أَفْرَجَ عَنْهُ عَلَى مَالٍ ، وَمَاتَ فِي رَابِعِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ
سَبْعٍ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، وَدُفِنَ فِي تَرْبَتِهِمْ بِالْقَرَّافَةِ ، وَكَانَ لَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ .

وَلِلَّهِ دَرُّ شَيْخِنَا الْأَدِيبِ جَلالِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بنِ حَظِيبِ دَارِيَا الدَّمَشْقِيِّ الْبَيْسَانِيِّ ، حَيْثُ يَقُولُ
فِي الْآثَارِ^١ :

[الكامل]

يَا عَيْنُ إِنْ بَعَدَ الْحَبِيبُ وَدَارُهُ وَنَأَتْ مَرَابِغُهُ وَشَطَّ مَمَزَاؤُهُ
فَلَقَدْ ظَفِرَتْ مِنَ الزَّمَانِ بِطَائِلٍ إِنْ لَمْ تُرِيهِ فَهَذِهِ آثَارُهُ

٢٠ وَقَدْ سَبَقَهُ لِذَلِكَ الصُّلَاحُ نَحِيلُ بنِ أَبِيكَ الصَّفَدِيِّ ، فَقَالَ :

[الكامل]

أَكْرَمَ بِآثَارِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ مَنْ زَارَهُ اسْتَوْفَى الشُّرُورَ مَمَزَاؤُهُ
يَا عَيْنُ دُونَكَ فَاَنْظُرِي وَتَمْتَعِي إِنْ لَمْ تُرِيهِ فَهَذِهِ آثَارُهُ

١ = ١١٧ ، السلوك ٢ : ٤١ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة

٤ : ٣٢٢ - ٣٢٣ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٨ : ٢٢٨ ، الزهور ١ / ١ : ٥٣ .

المنهل الصافي ٢ : ٦٩٠ - ٦٩١ .

واقْتَدَى بهما في ذلك أبو الحزَم المدني فقال :

[الكامل]

يا عَيْنُ كَمْ ذا تَشْفَحِين مَدَامِعا شَوْقًا لِقُرْبِ الْمُصْطَفَى وِدْيَارِهِ
إن كان صَرْفُ الدَّهْرِ عَاقِلِكِ عَنْهُمَا فَتَمَّتْ عِي يا عَيْنُ في آثَارِهِ

^a وكان شيخنا سراج الدين عمر بن علي الأنصاري المعروف بابن الملقن الشافعي يطعن في الآثار، وذكر لي أن له فيها مُصَنَّفًا ولم أقف عليه ^a.

رِبَاطُ الْأَفْرَمِ

هذا الرباط بسفح الجوف الذي عليه الرضد، وهو يُشرف على بركة الحبش، وكان من أحسن مُتَنَزَّهات أهل مصر. أنشأه الأمير عز الدين أئيك الأفرم، أمير خازن دار الصالحى النجمي، ورُتِبَ فيه صوفيَّةٌ وشيخا وإماما، وجعل فيه مئبرًا يُخطب عليه الجمعة والعيدين، وقرَّرَ لهم معالم من أوقاف أرصدتها لهم، وذلك في سنة ثلاث وستين وست مائة. وهو باق، إلا أنه لم يبق به ساكنٌ لخراب ما حوله، وله إلى اليوم مُتَحَصِّلٌ من وقفه.

والأفرم هذا هو الذي يُنسب إليه «جسر الأفرم» خارج مصر، وقد ذُكر عند ذكر الجسور من هذا الكتاب ^٢.

(a-a) هذه الفقرة ساقطة من بولاق.

^١ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر ٣٥٩؛ ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٠١ الذي حدَّد أن موضعه كان بحارة المجانين فيما بين شوق القضاين المتصل بالشوق الكبير والرُحبة بالمدرسة المعزية، وله باب من ناحية المطابخ السلطانية، وانظر فيما تقدم ٢: ٢٩٨.

^٢ راجع فيما تقدم ٣: ٥٥١-٥٥٢. وانظر ترجمة الأمير عز الدين أئيك الأفرم الصالحى

النجمي، المتوفى سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م عند، الصفدي: الوافي بالوفيات ٩: ٤٧٨؛ ابن حبيب: تذكرة النبي ١: ١٩١؛ ابن الفرات: تاريخ ٨: ٢١٥؛ المقرئ: السلوك ١: ٧٤٩، ١٠٢٤، المقفى الكبير ٢: ٣٢٨-٣٣٣؛ العيني: عقد الجمان ٣: ٣٣٨-٣٣٩؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٨٠، ١٨٩، المنهل الصافي ٣: ١٣٠-١٣٢.

الرباط العلامي

- هذا الرباط خارج مصر، بخطّ بين الزقاقين شرقي الخليج الكبير - يُعرف اليوم بـ «خانقاه المواصلّة» - وهو آيل إلى الدثور لخراب ما حوّلته. أنشأه الملك علاء الدين أبو الحسن عليّ ابن الملك المجاهد سيف الدين إسحاق صاحب الجزيرة ابن السلطان^(a) الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصيل، بجوار داره وحمّامه وطاحونه، وجعل له فيه مدقناً، ووقف عليه بُستانَ الجُرف، وبُستاناً بناحية سُبرا، وعدّة حصص من قرى فلسطين والساحل، وأحكاراً ودوراً بجانب الرباط^١. ومات يوم الجمعة ثامن ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وسبع مائة، ومولده يوم الجمعة ثامن عشرين المحرم سنة سبع وخمسين وست مائة بجزيرة ابن عمر، وكان من الحلقة، وسمع الحديث من النجيب الحرّاني وابن عرفة وابن علاق، ودُفن فيه.
- وبه إلى الآن بقيّة، ويحضّره الفقهاء يوماً في الأسبوع، وهم عشرة، شيخهم منهم، ومنهم قارئٌ ميعادٍ وقراء. وكان أولاً معموراً بشكّنى أهله دائماً فيه، وفي هذا الوقت لا يمكن سكناه لكثرة الخوف من السراق.

زاوية الدمياطي^(b)

- هذه الزاوية فيما بين حُطّ السبع سقايات وقنطرة السدّ خارج مصر^٢، إلى جانب حوض السبيل المعدّ لشرب الدواب^٣. أنشأها الأمير عزّ الدين أيتك الدمياطي الصالحى

(a) ساقطة من بولاق. (b) أضافت طبعة بولاق هنا عنواناً لا يوجد في النسخ: ذكر الزوايا.

^١ ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٠٢. نصّ أكثر تفصيلاً.
^٢ زاوية الدمياطي: ما تزال قائمة بشارع السدّ الجوّاني على رأس شارع الشيخ سليم بقسم العيّدة زينب، وتُعرف بجامع الحبيبي نسبة إلى الشيخ محمد الحبيبي - شيخ الطريقة الحبيبي الذي جدّد هذا المسجد في سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣١م، ثم دُفن فيه بجوار قبر الأمير أيتك - مؤسس الزاوية - .
 وجدّدت وزارة الأوقاف هذا الجامع سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٢٧٥هـ^٣)
^٣ اندثر الآن هذا الحوض وحلّ مكانه الدكاكين الواقعة بجوار جامع الحبيبي من الجهة البحرية المشرفة على شارع السدّ، وهو الطريق العام بين مصر والقاهرة من عهد الدولة الفاطمية. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٢٧٥هـ^٤).

التَّجْمِي ^١، أَحَدُ الْأُمَرَاءِ الْمُقَدِّمِينَ الْأَكْبَارِ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبِزُسَ، وَبِهَا دُفِنَ لَمَّا مَاتَ بِالْقَاهِرَةِ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ تَاسِعِ شَعْبَانَ سَنَةِ سِتِّ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ. وَإِلَى الْآنِ يُعْرَفُ الْحَوْضُ الْمُجَاوِرُ لَهَا بِحَوْضِ الدُّمِيَّاطِيِّ.

زَاوِيَةُ الشَّيْخِ خَضِرٍ

هَذِهِ الزَّوَايَةُ خَارِجُ بَابِ الْفُتُوحِ مِنَ الْقَاهِرَةِ بِحُطِّ زُقَاقِي الْكَحْلِ ^٢، تُشْرِفُ عَلَى الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ ^٣، عُرِفَتْ بِالشَّيْخِ خَضِرِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُوسَى الْمَهْرَانِيِّ الْعَدَوِيِّ، شَيْخِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبِزُسَ ^٤.

كَانَ أَوَّلًا قَدْ انْقَطَعَ بِجَبَلِ الْمِزَّةِ خَارِجَ دِمَشْقَ، فَعَرَفَهُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قَشْتَمُرُ الْعَجْمِي، وَتَرَدَّدَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: لَا بَدَأَنَّ يَتَسَلَطَنَّ الْأَمِيرُ بَيْبِزُسَ الْبُنْدُقْدَارِيُّ، فَأَخْبَرَ بَيْبِزُسَ بِذَلِكَ. فَلَمَّا صَارَتِ الْمَمْلَكَةُ إِلَيْهِ بَعْدَ قَتْلِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِّ قُطْرُ، اشْتَمَلَ عَلَى اعْتِقَادِهِ وَقَرَّبَهُ، وَبَنَى لَهُ زَاوِيَةً بِجَبَلِ

^١ الأمير عز الدين أئيك الدُّمِيَّاطِيُّ الصَّالِحِيُّ التَّجْمِي،

أَحَدُ أَكْبَارِ الْأُمَرَاءِ الْمُقَدِّمِينَ عَلَى الْجِيُوشِ، الْمَتُوفِيُّ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ ٦٧٦هـ/١٢٧٧م. (الصفدي: الوافي بالوفيات ٩: ٤٧٧؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٧: ١٠١؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٢٧٥، المنهل الصافي ٣: ١٣٤-١٣٥).

^٢ انظر عن زُقَاقِي الْكَحْلِ، فِيمَا تَقْدَمُ ٣: ١٣٩، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْوَاقِعُ جَنُوبَ جَامِعِ الظَّاهِرِ الْمَعْرُوفِ بِسَكَّةِ الظَّاهِرِ وَيَطْلُقُ عَلَيْهِ الْعَامَّةُ شَارِعَ الْمُنْسِيِّ.

^٣ كَانَتْ زَاوِيَةُ الشَّيْخِ خَضِرٍ قَائِمَةً حَتَّى نَهَايَةِ الْقُرُونِ الْعَاشِرِ الْهَجْرِيِّ حَيْثُ شَاهَدَهَا الشَّيْخُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الشُّعْرَانِيُّ، الْمَتُوفِيُّ سَنَةَ ٩٧٣هـ/١٥٦٥م، وَذَكَرَ أَنَّ قَبْرَ الشَّيْخِ خَضِرٍ كَانَتْ لِيَزَارُ فِي وَقْتِهِ، وَقَدْ انْدَثَرَتْ الْآنَ هَذِهِ الزَّوَايَةُ وَدَخَلَتْ فِي الْمَسَاكِينِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهَا الْمُرْتَبِعُ الْقَائِمُ عَلَيْهِ الْمُنْزَلَانِ رَقْمًا ٢٩ وَ ٣١ الْوَاقِعَانِ فِي نَهَايَةِ شَارِعِ الْإِمْبَائِيِّ مِنَ الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ عَلَى يَسَارِ الدَّخْلِ مِنَ سَكَّةِ الظَّاهِرِ فِيمَا بَيْنَ هَذِهِ السَكَّةِ وَشَارِعِ بُورْسَعِيدِ (الخليج المصري سابقًا). (أبو المحاسن: النجوم

الزاهرة ٧: ١٦١هـ).

^٤ الشَّيْخُ خَضِرُ بْنُ أَبِي بَكْرِ الْمَهْرَانِيِّ، شَيْخِ الظَّاهِرِ بَيْبِزُسَ، الْمَتُوفِيُّ سَنَةَ ٦٧٦هـ/١٢٧٧م. (راجع أخباره عند، النويري: نهاية الأرب ٣٠: ١٩٨-٢٠٠، ٣٧٦-٣٨٠؛ ابن أئيك: كنز الدرر ٨: ٢٢٠-٢٢٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٣: ٣٣٣-٣٣٥؛ الصقاعي: ثالي كتاب وفيات الأعيان ٩٠-٩٢؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر ٥٨-٦٠، ٢٧٢-٢٧٤؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان ٣: ٢٦٤-٢٦٨؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٧: ١٠٢-١٠٣؛ المقرئزي: السلوك ١: ٦٠٨، ٦٣٤، المقضي الكبير ٣: ٧٥٠-٧٥٦) (اعتمادًا على ابن فضل الله العمري)؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ١٦١-١٦٢، ٢٧٦-٢٧٧، المنهل الصافي ٥: ٢١٨-٢٢٠؛ Pouzet, L., «Hadir ibn Abi Bakr al-Mihrani (m. 7 muh. 676/ 11 juin 1277), sayh du sultan mamelouk al-Malik al-Zâhir Baibars», *BEOXXX* (1978), pp. 173-83; Holt, P.M., «An Early Source on Shaykh Khadir al-Mihrani», *BSOAS* 46 (1983), pp. 33-39.

الميزة، وزاوية بظاهر بعلبك، وزاوية بحماه، وزاوية بجمص، وهذه الزاوية خارج القاهرة، ووقف عليها أحكارا تغل في السنة نحو الثلاثين ألف درهم، وأنزله بها.

وصار ينزل إليه في الأسبوع مرة أو مرتين، ويطلع على غوامض أسراره، ويستشير في أموره، ولا يخرج عما يشير به، ويأخذه معه في أسفاره، وأطلق يده، وصرفه في مملكته. فهدم كنيسة اليهود بدمشق، وهدم كنيسة للنصارى بالقدس، كانت تعرف بالمصلبة، وعملها زاوية، وقتل قسيسها بيده، وهدم كنيسة للروم بالإسكندرية - كانت من كراسي النصارى، ويؤمنون أن بها رأس يحيى بن زكريا - وعملها مسجدا سماه الحضرا^(a). فاتفق جانبته الخاص والعام، حتى الأمير بدر الدين بيلبك الخازندار نائب السلطنة، والصاحب بهاء الدين علي بن حنا، ومُلوك الأطراف.

١٠ وكان يكتب إلى صاحب حماه، وجميع الأمراء إذا طلب حاجة، ما مثاله: / «الشيخ خضر نيك الحيمارة». وكان ربع القامة كث اللحية، يتعمم عشراوي^١، وفي لسانه عجمة، مع سعة صدر، وكرم شمائل، وكثرة عطاء من تفرقة الذهب والفضة، وعمل الأسمطة الفاخرة. وكانت أحواله عجيبة لا يتكيف، وأقوال الناس في مختلفة: منهم من يثبت صلاحه ويعتقده، ومنهم من يزيمه بالعظام.

١٥ وكان يخبر السلطان بأمور تقع، منها أنه لما حاصر أرسوف - وهي أول فتوحاته - قال له: متى نأخذ هذه المدينة؟ فعين له يوماً يأخذها فيه، فأخذها في ذلك اليوم بعينه، واتفق له مثل ذلك في فتح قيسارية، فلذلك كثر اعتقاده فيه. وما أحسن قول الشريف^(b) شرف الدين^(b) محمد بن رضوان الناسخ في ملازمة السلطان له في أسفاره^٢:

٢٠ [الكامل]

ما الظاهر السلطان إلا مالك ال
ولنا دليل واضح كالشمس في
لذنيا بذاك لنا الملاحم تخير
وسط السماء بكل عين تنظر

(a) بولاق: الخضر، المقفى الكبير: المدرسة الخضراء. (b-b) ساقطة من بولاق.

^١ عشراوي، أي نسبة إلى عشائر العروبان.

^٢ وردت هذه الأبيات في الوافي بالوفيات وتاريخ ابن

الفرات والنجوم الزاهرة.

لَمَّا رَأَيْنَا الْخِضْرَ يَقْدُمُ جَيْشَهُ أَبَدًا عَلِمْنَا أَنَّهُ الْإِسْكَندَرُ

وما برح على رُتْبَتِهِ إِلَى ثَامِنِ عَشْرِ شَوَّالِ سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ وَاعْتَقَلَ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ ، وَمُنِعَ النَّاسُ مِنَ الْاجْتِمَاعِ بِهِ . وَيُقَالُ إِنَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ أَنَّ السُّلْطَانَ كَانَ أُعْطَاهُ تُخْفًا قَدِمَتْ مِنَ الْيَمَنِ ، مِنْهَا كَرًّا يَمْنِي مَلِيحٌ إِلَى الْغَايَةِ ، فَأَعْطَاهُ خِضْرٌ لِبَعْضِ الْمُزْدَانِ . فَبَلَغَ ذَلِكَ الْأَمِيرَ بَدْرَ الدِّينِ الْخَازِنْدَارَ النَّائِبَ - وَكَانَ قَدْ ثَقُلَ عَلَيْهِ بِكَثْرَةِ تَسَلُّطِهِ ، حَتَّى لَقِيَ قَوْلَهُ لَهَا مَرَّةً بِحَضْرَةِ السُّلْطَانَ : كَأَنَّكَ تُشْفِقُ عَلَى السُّلْطَانِ وَعَلَى أَوْلَادِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ قُطْرُ بِأَوْلَادِ الْمُعِزِّ - فَأَسْرَهَا فِي نَفْسِهِ ، وَبَلَغَ خَبَرَ الْكَرِّ الْيَمَنِيَّ إِلَى السُّلْطَانَ . فَاسْتَدْعَاهُ ، وَحَضَرَ جَمَاعَةً حَاقَّقُوهُ عَلَى أُمُورٍ كَثِيرَةٍ مُنْكَرَةٍ - كَاللُّوَاطِ وَالزُّنَا وَنَحْوِهِ - فَاعْتَقَلَهُ ، وَرَتَّبَ لَهُ مَا يَكْفِيهِ مِنْ مَأْكُولٍ وَفَاكِهَةٍ وَخَلْوَى .

وَلَمَّا سَافَرَ السُّلْطَانُ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ ، قَالَ خِضْرٌ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : إِنَّ السُّلْطَانَ يَظْهَرُ عَلَى الرُّومِ - وَيَرْجِعُ إِلَى دِمَشْقَ فَيَمُوتُ بِهَا بَعْدَ أَنْ أَمُوتَ أَنَا بِعِشْرِينَ يَوْمًا . فَكَانَ كَذَلِكَ ، وَمَاتَ خِضْرٌ فِي مَحَبَّتِهِ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ فِي سَادِسِ الْمَحْرَمِ ، أَوْ سَابِعِهِ ، مِنْ سَنَةِ سِتِّ وَسَبْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَقَدْ أَنَا فِي عَلَى الْخَمْسِينَ ، فَسُلِّمَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَحَمَلُوهُ إِلَى زَاوِيَتِهِ هَذِهِ ، وَدَفَنُوهُ فِيهَا .

وَكَانَ السُّلْطَانُ قَدْ كَتَبَ بِالْإِفْرَاجِ عَنْهُ ، فَقَدِمَ الْبَرِيدُ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَمَاتَ السُّلْطَانُ بِدِمَشْقَ ، فِي سَابِعِ عَشْرِينَ الْمَحْرَمِ الْمَذْكُورِ ، بَعْدَ خِضْرَ بِعِشْرِينَ يَوْمًا .

وهذه الزاوية باقية إلى الآن (a).

زَاوِيَةُ ابْنِ مَنْظُورٍ

هَذِهِ الزَّاوِيَةُ خَارِجُ الْقَاهِرَةِ بِخَطِّ الدُّكَّةِ بِجَوَارِ الْمَقْسِ ، عُرِفَتْ بِالشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ مُحَمَّدِ ابْنِ أَحْمَدَ ابْنِ مَنْظُورِ بْنِ يَاسِينَ بْنِ خَلِيفَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْكِنَانِيُّ الْعَسْقَلَانِيُّ الشَّافِعِيُّ الصُّوفِيُّ ، الْإِمَامُ الزَّاهِدُ ٢ . كَانَتْ لَهُ مَعَارِفٌ وَأَتْبَاعٌ وَمُرِيدُونَ وَمَعْرِفَةٌ بِالْحَدِيثِ ؛ حَدَّثَ عَنْ أَبِي الْفَتْوحِ الْجَلَّالِيِّ (b) ، وَرَوَى عَنْهُ الدُّمِيَّاطِيُّ وَالدُّوَادَرِيُّ وَعِدَّةٌ مِنَ النَّاسِ ، وَنَظَرَ فِي الْفِقْهِ ، وَاشْتَهَرَ

(a) بولاق : اليوم . (b) بولاق : الجلاي .

١ الكُرُ - بالفتح والضم - قطعة من قماش تُصْنَعُ مِنْهَا
٢ ترجمته عند الصفدي : الوافي ٢ : ١٠٤ ؛ المقرئ :
المقفي الكبير ٥ : ٢٨١ - ٢٨٢ .
العمام (Dozy, Suppl. Dict. Ar. II, 460) .

بِالْفَضِيلَةِ ، وَكَانَتْ لَهُ ثُرُوءٌ وَصَدَقَاتٌ . وَمَوْلِدُهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ،
وَوَفَاتُهُ بِزَاوِيَتِهِ فِي لَيْلَةِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْفَرْدِ سَنَةَ سِتِّ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ .
وَكَانَتْ هَذِهِ الزَّوِيَةُ أَوْلَى تُعْرَفُ بِزَاوِيَةِ شَمْسِ الدِّينِ بْنِ كُرِّ الْبَغْدَادِيِّ .

زَاوِيَةُ الظَّاهِرِيِّ

- ٥ هذه الزَّوِيَةُ^١ خَارِجُ بَابِ الْبَحْرِ ، ظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ عِنْدَ حَمَامِ طُرْغَايَ عَلَى الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ .
كَانَتْ أَوْلَى تُشْرِفُ طَاقَاتُهَا عَلَى بَحْرِ النَّيْلِ الْأَعْظَمِ ، فَلَمَّا انْحَسَرَ الْمَاءُ عَنِ سَاحِلِ الْمَقْسِ ، وَخَفَرَ
الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ الْخَلِيجَ النَّاصِرِيَّ ، صَارَتْ تُشْرِفُ عَلَى الْخَلِيجِ الْمَذْكُورِ مِنْ بَرِّهِ
الشُّرُقِيِّ ، وَاتَّصَلَتْ الْمَنَاطِرُ هُنَاكَ ؛ إِلَى أَنْ كَانَتْ الْحَوَادِثُ مِنْ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، فَخَرِبَتْ
حَمَامُ طُرْغَايَ ، وَبِعَتْ أَنْقَاضُهَا وَأَنْقَاضٌ كَثِيرٌ مِمَّا كَانَ هُنَاكَ مِنَ الْمَنَاطِرِ ، وَأُنْشِيَ مَوْضِعُهَا^(a) بُسْتَانًا
عُرِفَ أَوْلَى بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ، صَيْرَفِيِّ الْأَمِيرِ جَمَالِ الدِّينِ الْأَسْتَاذِارِ ، لِأَنَّهُ أَوْلَى أَنْشَأَهُ ، ثُمَّ انْتَقَلَ عَنْهُ .

هذا هو أحمد بن محمد بن عبد الله ، أبو العباس جمال الدين الظاهري .

وَالظَّاهِرِيُّ

كان أبوه محمد بن عبد الله عميق الملك الظاهر شهاب الدين غازي ، وبرع
حتى صار إمامًا حافظًا ، وتوفي ليلة الثلاثاء لأربع بقين من ربيع الأول سنة ست وتسعين وست
مائة بالقاهرة ، ودُفِنَ بِتُرْبَتِهِ خَارِجَ بَابِ النَّصْرِ^٢ .

- ١٥ وابنه عثمان بن أحمد بن محمد بن عبد الله فخر الدين بن جمال الدين الظاهري الحلبي ،
الإمام العلامة المحدث الصالح ، وُلِدَ فِي سَنَةِ سَبْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَأَسْمَعَهُ أَبُوهُ بِدِيَارِ مِصْرَ وَالشَّامِ ،
وَكَانَ مُكْتَبًا ، وَمَاتَ بِزَاوِيَتِهِ^(b) هَذِهِ خَارِجَ بَابِ الْبَحْرِ^(b) فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ،^(b) وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ
بَابِ النَّصْرِ^(b) .^٣

(a) بولاق : هناك . (b-b) إضافة من المسوِّدة .

^١ في المقفى الكبير (٦٠٠:١) أن الذي ابتناها لأبي العباس الظاهري ، الأمير أيدغدي العزيزي .
طبقات القراء ١: ١٢٢؛ المقرئ: المقفى الكبير ١: ٦٠٠؛
أبا المحاسن: المنهل الصافي ٢: ١٢١ .

^٢ انظر في ترجمته ، الصفدي : أعيان العصر ١: ٣٤٠ -
انظر في ترجمته ، الصفدي : أعيان العصر ٣: ٢١٢ -
٣٤٢ ، الوافي بالوفيات ٨: ٣٦ ؛ الجزري : غاية النهاية في
٢١٣ ، الوافي بالوفيات ١٩: ٤٦٦ ؛ القرشي : الجواهر =

زَاوِيَةُ الْجَمِيَّةِ

/ هذه الزاوية موضعها من جملة أراضي الزهري ، وهي الآن خارج باب زويلة بالقرب من
معدية فريج^١ ، أنشأها الأمير سيف الدين جيزك السلاح دار المنصوري ، أخذ أمراء الملك المنصور
قلاوون ، في سنة اثنتين وثمانين وست مائة ، وجعلها^(a) مسجدا ورباطا ، وقرز^(a) فيها عدة من
الفقراء الصوفية .

زَاوِيَةُ الْحَلَاوِي

هذه الزاوية بخط الأبارين من القاهرة ، بالقرب من الجامع الأزهر ، أنشأها الشيخ مبارك
الهندي السعودي الحلوي ، أخذ الفقراء من أصحاب الشيخ أبي السعود بن أبي العشائر الباري
الواسطي ، في سنة ثمان وثمانين وست مائة ، وأقام بها إلى أن مات ودفن فيها .
فقام من بعده ابنه الشيخ عمر بن علي بن مبارك ، وكانت له سماعات ومزويات ، ثم قام من
بعده ابنه شيخنا جمال الدين عبد الله ابن الشيخ عمر بن علي ابن الشيخ مبارك الهندي ،
وحدث ، فسمعنا عليه بها إلى أن مات في صفر سنة ثمان وثمان مائة ، وبها الآن ولده ، وهي من
الزوايا المشهورة بالقاهرة ،^(a) تقصد لسماع الحديث النبوي بها^(a) .

زَاوِيَةُ الشَّيْخِ (b) نَصْر

هذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة ، أنشأها الشيخ نصر بن سليمان أبو الفتح المنبجي ،
الناسك القدوة ، وحدث بها عن إبراهيم بن خليل وغيره . وكان فقيها معتزلا عن الناس ، متخليا
للعبادة ، يتردد إليه أكابر الدولة وأعيان الناس^(c) .

(a-a) إضافة من المسودة . (b) إضافة من المسودة . (c) بولاق : أكابر الناس وأعيان الدولة .

^١ انظر عن معدية فريج ، فيما تقدم ٣٥٥ هـ .^٢

^٢ تُعرف هذه الزاوية الآن باسم «زاوية الحلوجي» .

= المضية ٢ : ٥١٧ ؛ المقرئ : السلوك ٢ : ٣٢٨ ؛ ابن

حجر : الدرر الكامنة ٣ : ٥٠ ؛ أبا المحاسن : المتهل الصافي

وكان للأمير رُكن الدين يَبْتِيزُ الجاشنكير فيه اعتقادًا كبيرًا، فلما ولي سلطنة مصر، أجلَّ قدره وأكْرَمَ محلّه، فهُرِعَ النَّاسُ إليه، وتَوَسَّلُوا به في حوائجهم. وكان يتغالى في مَحَبَّةِ العارِفِ مُحْيِي الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَرَبِيِّ الصُّوفِيِّ، ولذلك كانت بينه وبين شيخ الإسلام أحمد ابن تَيْمِيَّةَ مُنَاكَرَةً كَبِيرَةً، ومات - رحمه الله - عن بَضْعِ وثمانين سنة في ليلة السابِعِ والعشرين من جُمَادَى الآخِرَةِ سنة تسع عشرة وسبع مائة، ودُفِنَ بها.

زَاوِيَةُ الْخُدَّامِ

[هذه الزاوية^(a) خارج باب النُّصْر، فيما بين سُقَّةِ بابِ الفُتُوحِ مِنَ الحُسَيْنِيَّةِ وَبَيْنَ سُقَّةِ الحُسَيْنِيَّةِ خارج بابِ النُّصْر، أنشأها الطَّوَّاشِي بِلَالُ القَرَّاجِي^(b)، وجعلها وَقْفًا على الخُدَّامِ الحَبَشِ الأَجْنَادِ فِي سنة سَبْعٍ وأربعين وست مائة^١.

زَاوِيَةُ تَقِيِّ الدِّينِ

[أثر رقم ٣٢٦]

هذه الزاوية تحت قَلْعَةِ الجَبَلِ، أنشأها الملكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ، بعد سنة عشرين وسبع مائة، لسكنى الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ رَجَبِ بْنِ أَشِيرِكِ العَجَمِيِّ. وكان وَجِيهًا مُخْتَرَمًا عند أَمْرَاءِ الدَّوْلَةِ، ولم يَزَلْ بها إلى أن مات يوم السبت ثامن شهر رَجَبِ سنة أربع وعشرين^(c) وسبع مائة. وما زالت مَنزِلًا لِفُقَرَاءِ العَجَمِ إلى وَقْتِنَا هذا^٢.

(a) زيادة اقتضاها السياق. (b) بولاق: الفراجي. (c) في النسخ: أربع عشرة، والتصويب من السلوك والدرر الكامنة.

^١ كانت هذه الزاوية تقع في سوقة الدريس شاهدها علي باشا مبارك في نهاية القرن التاسع عشر وقال: إن شعائرها مقامة وتُعرَفُ أيضًا بـ «زاوية التميمي» لأنَّ الشَّيْخَ التَّمِيمِيَّ - مُفْتِي الحنفية سابقًا - أجرى بها عمارة سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م. (الخطط التوفيقية ٧١:٦-٧٢)

^٢ ما تزال هذه الزاوية موجودة، وقد تجددت أغلب مبانيها، بدرب اللبانة المتفرع من سكة المحجر تحت القلعة، وتُعرَفُ بـ «تكية العجمي» أو «تكية تقي الدين البشطامي» نسبة إلى الشَّيْخِ مُحَمَّدِ البَشْطَامِيِّ أحد مشايخها السابقين، المتوفى في رمضان سنة ٩٠٥هـ/١٥٠٠م.

وهذه الزاوية أنشأها في الأصل السلطان الملك المنصور =

زَاوِيَةُ الشَّرِيفِ مَهْدِي

هذه الزاوية بجوار زاوية الشيخ تقي الدين المذكورة، جددتها^(a) الأمير صرغتمش في سنة ثلاث وخمسين وسبع مائة.

زَاوِيَةُ الطَّرَاطِرِيَّةِ

هذه الزاوية بالقرب من مؤرودة البلاط، بناها الملك الناصر محمد بن قلاوون، بوساطة القاضي شرف الدين النشو ناظر الخاص، برسم الشيخين الأخوين محمد وأحمد - المعروفين بالطرايطرية - في سنة أربعين وسبع مائة. وكانا من أهل الخير والصلاح، ونزلا أولاً في مقصورة بالجامع الأزهر، فعرفت بهما. ثم عرفت بعدهما بمقصورة الحسام الصقري^(b)، والد الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام^(c)، وهذه المقصورة بآجر الرواق الأول مما يلي الركن الغربي.

ولم تزل هذه الزاوية عامرة، إلى أن كانت المحن من سنة ست وثمان مائة، وخرب حط زريفة قوصون وما في قبليته إلى منشأة المهراي، وما في بخره إلى قرب بولاق.

زَاوِيَةُ الْقَلَنْدَرِيَّةِ

القلندرية طائفة تنتمي إلى الصوفية، وتارة تُسمى أنفُسها «ملايئة»^١. وحقبة القلندرية أنهم قوم طرخوا التقييد بأداب المجالسات والمخالطات^(d)، وقلت أعمالهم من الصوم والصلاة إلا الفرائض، ولم يُبالوا بتناول شيء من اللذات / المباحة، واقتصروا على رعاية الرخصة، ولم يطلبوا

(a) بولاق : بناها . (b) بولاق : الصفدي . (c) المؤرودة : ناصر الدين الحسامي . (d) بولاق : المخاطبات .

= حسام الدين لاجين للشيخ تقي الدين رجب العنجي في شهر صفر سنة ١٢٩٧هـ/١٢٩٧م، ثم وسع السلطان الناصر محمد بن قلاوون مصلى الزاوية في سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م، ثم جددتها السلطان الظاهر أبو سعيد جقمق سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م. (راجع، المقرزي: السلوك ٢: ١٤١؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ١٩٩؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٨٠هـ ٢ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٦٠-٦١ (٢٢)، ١٥٦ (٥٤)؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٣: ٦٨٧-٦٩٦).

^١ الملامية. طريقة في التصوف الإسلامي، بدأت في الظهور في نيسابور في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وتبع «القلندرية» الملامية في إطار طريقة =

حَقَائِقَ الْعَزِيمَةِ ، وَالتَّرَمُّوا أَلَّا يَدْخِرُوا شَيْئًا ، وَتَرَكَوا الْجَمْعَ وَالِاسْتِكْثَارَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَلَمْ يَتَّقَشَفُوا ، وَلَا زَهَدُوا وَلَا تَعَبَدُوا ، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ قَدِ قَنَعُوا بِطَيْبِ قُلُوبِهِمْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَاقْتَصَرُوا عَلَى ذَلِكَ ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ تَطَلُّعٌ إِلَى طَلَبِ مَزِيدٍ سِوَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ طَيْبِ الْقُلُوبِ .

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمَلَامَتِي وَالْقَلَنْدَرِي : أَنَّ الْمَلَامَتِي يَعْمَلُ فِي كَثْمِ الْعِبَادَاتِ ، وَالْقَلَنْدَرِي يَعْمَلُ فِي تَخْرِيْبِ الْعَادَاتِ . وَالْمَلَامَتِي مُتَمَسِّكٌ بِكُلِّ أَبْوَابِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ ، وَيَرَى الْفَضْلَ فِيهِ ، إِلَّا أَنَّهُ يُخْفِي أَعْمَالَهُ وَأَحْوَالَهُ^(a) ، وَيُوقِفُ نَفْسَهُ مَوْقِفَ الْعَوَامِّ فِي هَيْئَتِهِ وَمَلْبُوسِهِ ، سَتْرًا لِلْحَالِ حَتَّى لَا يُفْطِنَ لَهُ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُتَطَلِّعٌ إِلَى طَلَبِ^(b) الْمَزِيدِ مِنَ الْعِبَادَاتِ . وَالْقَلَنْدَرِي لَا يَتَّقَيِدُ بِهَيْئَةٍ ، وَلَا يُيَالِي بِمَا يُعْرِفُ مِنْ حَالِهِ وَمَا لَا يُعْرِفُ ، وَلَا يَنْعَطِفُ إِلَّا عَلَى طَيْبِ الْقُلُوبِ وَهُوَ رَأْسُ مَالِهِ^(c) .

وهذه الزاوية خارج باب النصر من القاهرة ، من الجهة التي فيها التراب والمقابر التي تلي المساكن ، أنشأها الشيخ حسن الجوالقي القلندري ، أخذ فقراء العجم القلندرية على رأي الجوالقة^٢ . ولما قدم إلى ديار مصر ، تقدم عند أمراء الدولة التركية ، وأقبلوا عليه واعتقدوه ، فأثرى ثراء زائدًا في سلطنة الملك العادل كئيبًا ، وسافر معه من مصر إلى الشام . فاتفق أن السلطان اضطاد غزاليًا ، ودفعه إليه ليحمله إلى صاحب حماه . فلما أحضره إليه ، ألبسه تشريفًا من حرير طزد وخش^(c) وكتوتة زركش ، فقدم بذلك على السلطان ، فأخذ الأمراء في مداعبته ، وقالوا له على سبيل الإنكار : كيف تلبس الحرير والذهب وهما حرام على الرجال ؟ فأين التزهد وسلوك طريق الفقر ؟ ونحو ذلك .

(a) بولاق : أحواله وأعماله . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : طرزوحش .

٤ IV, p. 439؛ المقرئزي : السلوك ١: ٦٥٥-٦٥٦ هـ .

١ السهروردي : عوارف المعارف ٧٦ (وهو مصدر نقل المقرئزي) .

٢ يُدَلُّ عَلَى مَوْقِعِ هَذِهِ الزَّائِيَةِ الْآنَ الْجَامِعُ الْمَعْرُوفُ بِـ «جَامِعِ الْخَوَاصِّ» الْكَائِنُ بِحَارَةِ الْخَوَاصِّ الْمَتَفَرِّعَةِ مِنْ شَارِعِ الْحُسَيْنِيَّةِ خَارِجَ بَابِ الْقُتُوحِ . (رَاجِعِ ، الْمَقْرِئَزِي : السُّلُوكُ ٢: ٢٣٩؛ ابْنِ حَجَرٍ : الدَّرَرُ الْكَامِنَةُ ٢: ١٣٥-١٣٦؛ أَبَا الْحَاسَنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٩: ٢٥٦-٢٥٧ هـ) .

٣ انظر عن نسيج الطزدوخش ، فيما تقدم ٣: ٧٣٧ هـ .

= منظمة ، وإن كانت توجد فروق جذرية بين تفكير ومباشرة الملامية والقلندرية كما لاحظ ذلك الشهرزوري في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي . (عوارف المعارف ، القاهرة ١٩٧٣ ، ٧٢-٧٥) . وراجع لمزيد من التفصيلات حول هذا الموضوع ، أبا العلا عفيفي : «رسالة الملامية لأبي عبد الرحمن محمد السلمى» ، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة ٦ (مايو ١٩٤٢) ، ٤٧-١٠٥ ، Trimingham, J.S., *The Sûfi Orders in Islam*, Oxford 1971, pp. 264-69; De Jong, F., *El² art. Malâmatîyya VI*, pp. 217-18; Tuhrin Yazici, *El² art. al-Kalandariyya*

فَعِنْدَمَا حَضَرَ صَاحِبُ حَمَاهُ إِلَى مَجْلِسِ السُّلْطَانِ عَلَى الْعَادَةِ ، قَالَ لَهُ : يَا خَوْثِدُ ، إِيْشْ عَمَلْتْ مَعِي ؟ الْأَمْرَاءُ أَنْكَرُوا عَلَيَّ ، وَالْفُقَرَاءُ تُطَالِبُونِي . فَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ . فَجَمَعَ الْفُقَرَاءَ وَالنَّاسَ ، وَعَمِلَ وَقْتًا عَظِيمًا بِزَاوِيَةِ الشَّيْخِ عَلِيِّ الْحَرِيرِيِّ خَارِجَ دِمَشْقٍ .
وَكَانَ سَمِعَ النَّفْسَ ، جَمِيلَ الْعِشْرَةِ ، لَطِيفَ الرُّوحِ ، يَخْلُقُ لِحِيَّتَهُ وَلَا يَغْتَمُّ ، ثُمَّ إِنَّهُ تَرَكَ الْحَلْقَ ، وَصَارَتْ لَهُ لِحْيَةٌ ، وَتَعَمَّمَ عِمَامَةً صُوفِيَّةً ، وَكَانَتْ لَهُ غَضَبَةٌ^(a) ، وَفِيهِ مُرْوَعَةٌ وَعَصِيَّةٌ ، وَمَاتَ بِدِمَشْقٍ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ . وَمَا بَرِحَتْ^(b) هَذِهِ الزَّوَايَةُ مَثَرًا لِطَائِفَةِ الْقَلَنْدَرِيَّةِ ، وَلَهُمْ بِهَا شَيْخٌ ، وَفِيهَا مِنْهُمْ عَدَدٌ مَوْفُورٌ .

وَفِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، حَضَرَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ حَسَنُ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ بِخَائِقَاهُ أَبِيهِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ ، فِي نَاحِيَةِ سِرِّيَاقُوسَ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ ، وَمَدَّ لَهُ شَيْخُ الشُّيُوخِ سِمَاطًا كَانَ مِنْ جَمَلَةٍ مِنْ وَقَفَ عَلَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ السُّلْطَانِ الشَّرِيفِ عَلِيِّ ، شَيْخِ زَاوِيَةِ الْقَلَنْدَرِيَّةِ هَذِهِ ، فَاسْتَدْعَاهُ السُّلْطَانُ ، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ حَلْقَ لِحِيَّتِهِ وَاسْتَتَابَهُ ، وَكَتَبَ لَهُ تَوْقِيْعًا سُلْطَانِيًّا مَنَعَ فِيهِ هَذِهِ الطَّائِفَةَ مِنْ تَخْلِيقِ لِحَاهُمْ ، وَأَنَّ مِنْ تَظَاهَرٍ بِهَذِهِ الْبِدْعَةِ قُوْبِلَ عَلَى فِعْلِهِ الْمَحْرَمِ ، وَأَنْ يَكُونَ شَيْخًا عَلَى طَائِفَتِهِ كَمَا كَانَ مَا دَامَ وَدَائِمًا مُتَمَسِّكِينَ بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ .

وَهَذِهِ الْبِدْعَةُ لَهَا مِنْذُ ظَهَرَتْ مَا يَزِيدُ عَلَى أَرْبَعِ مِائَةِ سَنَةٍ ، وَأَوَّلُ مَا ظَهَرَتْ بِدِمَشْقٍ فِي سَنَةِ بَضْعِ عَشْرَةٍ وَخَمْسِ مِائَةٍ^(c) ، وَكُتِبَ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ بِالزَّامِ الْقَلَنْدَرِيَّةِ بِتَرْكِ زِيِّ الْأَعَاجِمِ وَالْمَجُوسِ ، وَلَا يُمَكِّنُ أَحَدٌ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ حَتَّى يَتْرَكَ هَذَا الزِّيِّ الْمُبْتَدِعِ وَاللِّبَاسِ الْمُسْتَبْشَعِ الْمُسْتَشْنَعِ^(d) ، وَمَنْ لَا يَلْتَزِمُ بِذَلِكَ يُعْزَرُ شَرْعًا ، وَيُقْلَعُ مِنْ قَرَارِهِ قَلْعًا . فَتَوَدَّى بِذَلِكَ فِي دِمَشْقٍ وَأَرْجَائِهَا يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ سَادِسَ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ .

قُبَّةُ النَّصْرِ

هَذِهِ الْقُبَّةُ زَاوِيَةٌ يَسْكُنُهَا فُقَرَاءُ الْعَجَمِ ، وَهِيَ خَارِجُ الْقَاهِرَةِ بِالصُّخْرَاءِ تَحْتَ الْجَبَلِ الْأَحْمَرِ ، بِأَخِيرِ مَيْدَانِ الْقَبْقِيقِ مِنْ بَحْرِيهِ^(e) . جَدَّدَهَا الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ

(a) بولاق : غصبة . (b) بولاق : وما زالت . (c) بولاق : وست مائة . (d) ساقطة من بولاق . (e) بياض بنسخة آياصوفيا .

¹ ذَكَرَ الْمُقْرِيزِيُّ (فِي مَا تَقَدَّمَ ٣: ٣٧٦) أَنَّ الْأَمِيرَ يُونُسَ الدَّوَادَارَ عَمَّرَ تَرْبَتَهُ بَعْدَ سَنَةِ ٥٧٨٠هـ/١٣٨٨م تَجَاهَ قُبَّةِ النَّصْرِ ، ثُمَّ =

قلاوون على يد الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك .

زَاوِيَةُ الرَّكَرَاكِيِّ

هذه الزاوية خارج القاهرة في أرض المقدس . عُرِفَتْ بالشَّيْخِ الْمُعْتَقَدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ الرَّكَرَاكِيِّ ، الْمَغْرِبِيِّ الْمَالِكِيِّ ، لِإِقَامَتِهِ بِهَا . وَكَانَ فَقِيهًا مَالِكِيًّا ، مُتَّصِدًّا لِأَشْغَالِ الْمَغَارِبَةِ ، يَتَّبِعُ النَّاسُ بِهِ ، إِلَى أَنْ مَاتَ بِهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ ثَانِي عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتَسْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، وَدُفِنَ فِيهَا ^{١٠} .

نِسْبَةٌ إِلَى رَكَرَاكَةَ ، بَلَدَةٌ بِالْمَغْرِبِ ، هِيَ أَحَدُ مَرَاسِي سَوَاحِلِ الْمَغْرِبِ بِقُرْبِ وَالرَّكَرَاكِيِّ الْبَحْرِ الْمَحِيطِ ، تَنْزِلُ فِيهِ الشُّغْنُ ، فَلَا تَخْرُجُ إِلَّا بِالرِّيحِ الْعَاصِفَةِ فِي زَمَنِ الشِّتَاءِ عِنْدَ تَكَثُّرِ الْهَوَاءِ .

زَاوِيَةُ الشَّيْخِ ^(a) إِبْرَاهِيمَ الصَّائِغِ

هذه الزاوية بوسط الجسر الأعظم ، تطل على بركة الفيل ، عَمَّرَهَا الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ طُغْاي بعد سنة عشرين ^(b) / وسبع مائة ، وَأَنْزَلَ فِيهَا فَقِيرًا عَجَمِيًّا مِنْ فُقَرَاءِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ رَجَبِ ، يُعْرَفُ بِالشَّيْخِ عَزِّ الدِّينِ الْعَجَمِيِّ ، وَكَانَ يَعْرِفُ عِلْمًا ^(a) صِنَاعَةَ الْمَوْسِيقَى ، وَلَهُ نَعْمَةٌ لَذِيذَةٌ وَصَوْتُ مُطْرِبٍ وَغِنَاءٌ جَيِّدٌ ، فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ . فَغَلَبَ عَلَيْهَا الشَّيْخُ ^(c) بُرْهَانَ الدِّينِ ^(c) إِبْرَاهِيمَ الصَّائِغِ ، إِلَى أَنْ مَاتَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ رَابِعَ عَشَرَ شَهْرَ رَجَبِ سَنَةِ أَرْبَعٍ ^{١٥} .

(a) ساقطة من بولاق . (b) المسودة : إحدى عشرة . (c-c) ساقطة من بولاق .

= عَمَّرَ الْأَمِيرُ قِجْمَاسَ - ابْنِ عَمِّ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقِ ثُرْبَةَ هُنَاكَ . وَذَكَرَ السَّخَاوِيُّ فِي حَوَادِثِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ٨٥٤هـ / ١٤٥١م ، أَنَّ السُّلْطَانَ أَمَرَ بِإِقَامَةِ صَلَاةِ اسْتِشْقَاءِ فِي الصُّخْرَاءِ ، فَخَرَجَ سَائِرُ النَّاسِ وَنُصِبَ لِلْإِمَامِ مِثْرٌ بَيْنَ ثُرْبَةِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقِ وَبَيْنَ قُبَّةِ النَّضْرِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْجَبَلِ . (التبر المسبوك (بولاق) ٣١١) . وَيُتَضَحُّ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ قُبَّةَ النَّضْرِ كَانَتْ وَاقِعَةً فِي الْقَضَاءِ الْكَائِنِ شَرْقِي خَانِقَاهِ السُّلْطَانَ بَرْقُوقِ وَقُبَّةِ الْأَمِيرِ يُوسُفِ الدُّوَادِرِ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْجَبَلِ الْأَحْمَرِ . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧ : ٤١١هـ) .
١ المقريزي : السلوك ٣ : ٧٧٩ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٢ : ١٣٤ .

وخمسين وسبع مائة، فعرّفت به^١.

زَاوِيَةُ الْجَعْبَرِيِّ

هذه الزاوية^٢ خارج باب النصر من القاهرة، تُنسب إلى الشيخ زُهّان الدين إبراهيم بن مِعْضاد ابن شَدّاد بن ماجد الجعبري، المُعْتَمَد الواعظ، كان يجلس للوعظ، فتجتمع إليه الناس، ويُذكّرهم ويروي الحديث، ويُشارك في علم الطب وغيره من العلوم، وله شعرٌ حسنٌ، وروى عن الشَّخاوي، وحدث عنه البرزالي^٣. وكان له أصحاب يُبالغون في اعتقاده، ويغفلون في أمره، وكان لا يراه أحدٌ إلاَّ عَظَمَ^٤ قدره وأجله وأثنى عليه، وحفظت عنه كلمات طعن عليه بسببها، وعُمِّر حتى جاوز الثمانين سنة.

فلما مرضَ أمرَ أن يُخْرَجَ به إلى مكانٍ قَبْرِهِ، فلما وَقَفَ عليه قال: قُبَيْرُ جَاكْ دُبَيْرِ^٥. ومات بعد ذلك بيومٍ في يوم السبت رابع عشرين المحرم سنة سبع وثمانين وست مائة^٦.
والجَعَابِرَةُ عِدَّةٌ، منهم^٧.

(a) بولاق: البرزاكي. (b) بولاق: أعظم. (c) بولاق: قبير وحال دبير. (d) بياض بالنسخ.

^١ انظر ترجمة إبراهيم بن مِعْضاد الجعبري عند الصفدي: الوافي بالوفيات ٦: ١٤٧-١٤٨؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٨: ١٢٣-١٢٤؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ١: ١١٦-١١٧؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٨: ٧٢-٧٣؛ المقرزي: السلوك ١: ٧٤٦، المقفى الكبير ١: ٣٢٠-٣٢٢؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٣٧٤-٣٧٦، المنهل الصافي ١: ١٧٧-١٧٨. والجعبري نسبة إلى جعبر: قلعة على الفرات بين بليس والرقة قُوب صِقِين. (ياقوت: معجم البلدان ٢: ١٤١-١٤٢).

^٢ رَجَّحَ علي باشا مبارك أن هذه الزاوية هي المكان الذي كان يُوجد لَصُق حوش إبراهيم جزكس في مقابلة منزل حسين باشا حسني الذي كان ناظرًا لمطبعة بولاق والواقعة على يسار المار في شارع مراسينا (عبد المجيد اللبّان الآن) في اتجاه ميدان السيدة زينب. (الخطط التوفيقية ٢: ٣٢٤ (١٢٠)، ٤٤: ٤٥-٤٦ (١٧)).

^٣ زالت الآن زاوية الجعبري، بينما مازال قبره ظاهرًا يُزار وعليه مقصورة من الخشب داخل قاعة بصخراء أبي قلاوة بجبانة باب النصر يتوصّل إليه من شارع نجم الدين تجاه حوش الحاج دسوقي الفوانيسي من الجهة الغربية. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٣٧٥ هـ).

زاوية أبي الشعود

[هذه الزاوية^(a)] خارج باب القنطرة من القاهرة، على حافة الخليج، عُرفت بالشيخ المبارك أيوب الشعودي. كان يُذكر أنه رأى الشيخ أبا الشعود بن أبي العشائر، وسلك على يديه، وانقطع بهذه الزاوية، وتبرك الناس به، واعتقدوا إجابة دُعائه، وعُمّر وصار يُحمل لعجزه عن الحركة^(b) لحضور الجماعة^(b). حتى مات، عن مائة سنة، أول صفر سنة أربع وعشرين وسبع مائة^١.

زاوية الحمصي

هذه الزاوية خارج القاهرة، بخط حكر خزائن السلاح والأوسية، على شاطئ خليج الذكر من أرض المنقس بجوار الدكة. أنشأها الأمير ناصر الدين محمد - ويُدعى طيقوش - ابن الأمير فخر الدين الطنبغا^(c) الحمصي، أخذ الأمراء في الأيام الناصرية. كان أبوه من أمراء الظاهر يتبرس.

ورثت بهذه الزاوية عشرة من الفقراء القادريّة^(d) شيخهم منهم، ووقف عليها عدة أماكن بجوارها^(e) وحصّة من قرية ثورين من قرى ساحل الشام، وغير ذلك في سنة سبع وسبع مائة. فلما خرب ما حولها، وازتدم خليج الذكر، تعطلت.

وهي الآن قد عزم مُستحققو ريعها على هدمها، لكثرة ما أحاط بها من الخراب من سائر جهاتها، وصار السلوك إليها مخوفاً بعد ما كانت تلك الخطة في غاية العمارّة، وفي جمادى سنة عشرين وثمان مائة^(f) هُدمت.

(a) زيادة اقتضاها السياق . (b-b) إضافة من المسوودة . (c) بولاق : الطنبغا . (d) ساقطة من بولاق . (e) بولاق : في جوارها . (f) بولاق : وسبع مائة .

^١ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٢٦١؛ وقارن مع علي مبارك : الخطط التوفيقية ٦ : ٤٥-٤٦ (١٧) ؛ وفيما تقدم

زَاوِيَةُ الْمُغْرِبِ

هذه الزاوية خارج القاهرة، بدرب الزقاق من الحكر، عُرفت بالشيخ المعتقد علي المغرب، ومات في يوم الجمعة خامس جمادى الأولى سنة اثنتين وتسعين وسبع مائة، ^(a) ودُفن بها ^(a). ولما كانت الحوادث من سنة ست وثمان مائة، خربت الحكورة، وهدم درب الزقاق وغيره^١.

زَاوِيَةُ الْقَضْرِي

هذه الزاوية بخط المقس خارج القاهرة. عُرفت بالشيخ أبي عبد الله محمد بن موسى عبد الله ابن حسن القصري، الرجل الصالح الفقيه المالكي المغربي، قديم من قصر كتامة بالمغرب إلى القاهرة، وانقطع بهذه الزاوية، على طريقة جميلة من العبادة وطلب العلم، إلى أن مات بها في التاسع من شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين وست مائة.

زَاوِيَةُ الْجَاكِي

هذه الزاوية في سويقة الريش، من الحكورة خارج القاهرة، بجانب الخليج الغربي. عُرفت بالشيخ المعتقد حسين بن إبراهيم بن علي الجاكي، ومات بها في يوم الخميس العشرين من شوال سنة سبع وثلاثين وسبع مائة، ودُفن خارج باب النصر، وكانت جنازته عظيمة جدًا. وأقام الناس يتبركون بزيارة قبره إلى أن كانت سنة سبع عشرة وثمان مائة، فأقبل الناس إلى زيارة قبره، وصار^(b) لهم هناك مجتمع عظيم في كل يوم، ويحملون إلى / قبره النذور^(c)، ويذعمون أن الدعاء عنده لا يرد، فتنة أضل الشيطان بها كثيرًا من الناس، وهم على ذلك إلى يومنا.

(a-a) إضافة من المستودة. (b) بولاق: وكان. (c) بولاق: ويحملون النذور إلى قبره.

^١ راجع، المقرئ: السلوك ٣: ٧٣٠؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٢: ١٢٢.

زَاوِيَةُ الْأَبْنَاسِيِّ

هذه الزاوية بِحُطِّ الْمَقْسِ^١ . عُرِفَتْ^٢ بِالشَّيْخِ الْفَقِيهِ بُرْهَانَ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ [بنِ حَسَنِ]^٣ بنِ مُوسَى بنِ أَيُّوبِ الْأَبْنَاسِيِّ الشَّافِعِيِّ^٤ . قَدِيمٌ مِنَ الرَّيْفِ ، وَبَرَعَ فِي الْفِقْهِ ، وَاشْتَهَرَ بِسَلَامَةِ الْبَاطِنِ ، وَعُرِفَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ ، وَكَتَبَ عَلَى الْفَتْوَى ، وَدَرَسَ بِالْجَامِعِ الْأَزْهَرِ وَغَيْرِهِ ، وَتَصَدَّى لِأَشْغَالِ الطُّلَبَةِ عِدَّةَ سِنِينَ ، وَوَلَّى مَشِيخَةَ الْخَائِنِقَاهِ الصَّلَاحِيَّةِ سَعِيدَ الشُّعْدَاءِ .

وطلَّبه الأميرُ سَيْفُ الدِّينِ بَرْقُوقٌ - وَهُوَ يَوْمئِذٍ أَتَابَكَ الْعَسَاكِرُ - حَتَّى يُقَلِّدَهُ قَضَاءَ الْقَضَاةِ بِدِيَارِ مِصْرَ . فَتَغَيَّبَ^٥ فِرَارًا مِنْ ذَلِكَ ، وَتَنَزَّهًا عَنْهُ ، إِلَى أَنْ وُلِّيَ غَيْرَهُ . وَكَانَتْ وِلَادَتُهُ قَبِيلَ سَنَةِ خَمْسِينَ وَعِشْرِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، وَوَفَاتَهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَوْلِيحَةِ مِنْ طَرِيقِ الْحِجَازِ - بَعْدَ عَوْدِهِ مِنَ الْحَجِّ - فِي ثَامِنِ الْمَحْرَمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، وَدُفِنَ بِعُيُونِ الْقَصَبِ .

زَاوِيَةُ الْيُونُسِيِّةِ

هذه الزاويةُ خَارِجُ الْقَاهِرَةِ ، بِالْقُرْبِ مِنْ بَابِ اللُّوقِ ، تَنْزِلُهَا الطَّائِفَةُ الْيُونُسِيَّةُ : وَاجِدُهُمْ يُونُسِيٌّ - بِضَمِّ الْيَاءِ الْمَعْجَمَةِ بَاثْنَتَيْنِ مِنْ تَحْتِهَا ، وَبَعْدَ الْيَاءِ وَاوْ ، ثُمَّ نُونٌ بَعْدَهَا سِينٌ

(a) الْمُسَوَّدَةُ : أَنْشَأَهَا الْفَقِيهُ الْمَعْتَقِدُ . (b) بُولَاقٌ : حَسِينٌ ، وَهُوَ زَائِدٌ فَصَوَّابٌ اسْمُهُ : إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى . (c) بُولَاقٌ :

فَغَيْبٌ .

^١ أَنْشَأَ هَذِهِ الزَّوَايَةَ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى الْأَبْنَاسِيُّ نَحْوَ سَنَةِ ٧٧٧هـ/١٣٧٥م ، بِجَوَارِ جَامِعِ التُّرْكَمَانِيِّ (فِيمَا تَقَدَّمَ ٢٥٥) بِشَارِعِ بَابِ الْبَحْرِ ، وَلَمْ يَتَّبِقْ مِنْهَا سِوَى مَعْدِنَتِهَا فَقَطْ حَيْثُ أُعِيدَ بِنَاءُ الزَّوَايَةِ سَنَةَ ١٣١٩هـ/١٩٠١م بَعْدَ أَنْ تَهَدَّمَتْ أَجْزَاؤُهَا .

وَقَدَّمَ مُحَمَّدُ الْجُهَيْنِيُّ وَضَفًا لِهَذِهِ الزَّوَايَةِ وَمَشْتَمَلَاتِهَا مِنْ خِلَالِ نَسْخَةٍ مِنْ وَثِيقَةٍ خَاصَّةٍ بِهَا كَتَبَتْ سَنَةَ ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م نَقْلًا عَنِ الْأَصْلِ الْمَكْتُوبِ سَنَةَ ٧٩٦هـ/١٣٩٣م حُرِّزَتْ بِاسْمِ نَاطِرِ الْوَقْفِ ، وَهُوَ ابْنُ الْمُتَشَيِّ شَهَابِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمِ الْأَبْنَاسِيِّ . وَالزَّوَايَةُ مَسْجَلَةٌ بِالْآثَارِ بِرَقْمِ

١٦٦ . (مُحَمَّدُ الْجُهَيْنِيُّ : أَحْيَاءُ الْقَاهِرَةِ الْقَدِيمَةِ وَأَثَارُهَا الْإِسْلَامِيَّةِ (حَمِيٌّ بِبَابِ الْبَحْرِ) ، ٢٢١-٢٣٠) .
^٢ انظُرْ تَرْجُمَةَ بُرْهَانَ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى بْنِ أَيُّوبِ الْأَبْنَاسِيِّ ، الْمَتَوَفَى سَنَةَ ٨٠٢هـ/١٣٩٩م ، أَيْضًا عِنْدَ الْمُقْرِيزِيِّ : الْمَقْفِيُّ الْكَبِيرُ ١ : ١٣٩-١٤٠ ، دَرَرُ الْعُقُودِ الْفَرِيدَةِ ١ : ٧٩-٨٠ ، السُّلُوكُ ٣ : ١٠٢٤ ؛ ابْنُ حَجَرٍ : إِنْبَاءُ الْغَمْرِ ٢ : ١١٢ ، ذَيْلُ الدَّرَرِ الْكَامِنَةِ ٨٤-٨٥ ؛ أَبِي الْمَحَاسَنِ : الْمَنْهَلُ الصَّافِي ١ : ١٧٨-١٨٠ ؛ السَّخَاوِيُّ : الضُّوءُ اللَّامِعُ ١ : ١٤١ ، ١٧٢ .

مهملة، في آخرها ياء آخر الحروف - نسبة إلى يونس .

ويونس المنسوب إليه الطائفة اليونسية غير واحد : فمنهم يونس بن عبد الرحمن القمّي ، مولى آل يقطين ، وهو الذي يزعم أن معبوده على عرشه ، تحمله ملائكته وإن كان هو أقوى منها ، كالركزي تحمله رجلاه وهو أقوى منهما . وقد كفر من زعم ذلك ، فإن الله تعالى هو الذي يحمل العرش وحملته . وهذه الطائفة اليونسية من غلاة الشيعة .

واليونسية أيضا فرقة من المزيعة ينتمون إلى يونس السمرى^(a) . وكان يزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله والخضوع له ، وهو ترك الاستكبار عليه والمحبة له ، فمن اجتمعت فيه هذه الخلال فهو مؤمن^١ . وزعم أن إبليس كان عارفاً بالله ، غير أنه كفر باستكباره عليه .

ولهم يونس بن يوسف^(b) بن مساعد الشيباني ثم الخارقي ، شيخ الفقراء اليونسية ، شيخ صالح له كرامات مشهورة ، ولم يكن له شيخ ، بل كان معذوباً ، جذب إلى طريق الخير . توفي بأعمال دارا ، في سنة تسع عشرة وست مائة^(c) ، وقد ناهز تسعين سنة ، وقبره مشهورٌ يُزار ويُتبرك به ، وإليه تُنسب هذه الطائفة اليونسية .

زَاوِيَةُ الْخَلَّاطِي

هذه الزاوية خارج باب النصير من القاهرة ، بالقرب من زاوية الشيخ نصر المنبجي . عُرِفَتْ^(d) وكانت لهم وجهة : منهم ناصر الدين محمد بن علاء الدين علي ابن محمد بن حسين الخلاطي ؛ مات في نصف جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وسبع مائة ، ودُفِنَ بها .

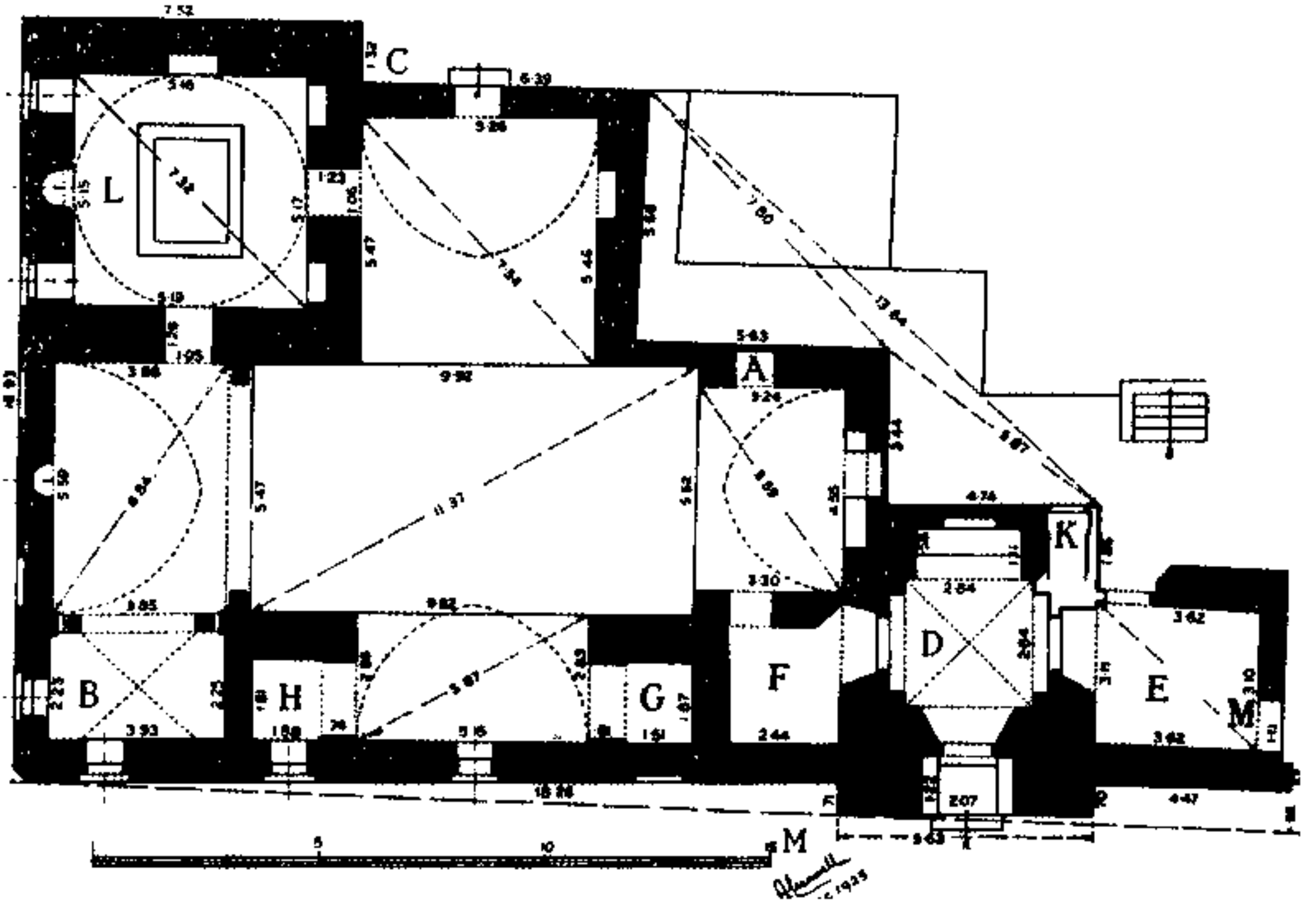
(a) بولاق : السموي . (b) بولاق : يونس . (c) بولاق : سبع مائة . (d) بياض بالنسخ .

^١ انظر فيما تقدم ٤١٥ : ١ ، وفيه أن اسمه يونس بن عمرو .

الزَاوِيَةُ الْعَدَوِيَّةُ بِالْفَرَاةِ

[أثر رقم ١٧٢]

هذه الزاوية تُنسب إلى الشيخ عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مزوان بن الحسن ابن مزوان الهكاري القرشي الأموي، وكان قد صحب عدّة من المشايخ - كعقيل المنبجي، وحمّاد الدّباس، وعبد القادر الشهرزدي^١، وعبد القادر الجيلي - ثم انقطع في جبل الهكارية من أعمال الموصل، وبني له زاوية، فمال إليه أهل تلك النواحي كلّها ميلاً لم يُسمع لأزباب الزوايا مثله، حتى مات سنة سبع - وقيل سنة خمس - وخمسين وخمسة مائة، ودُفن في زاويته.



مُخَطَّطُ زَاوِيَةِ الشَّيْخِ زَيْنِ الدِّينِ يَوْسُفَ (عَنْ كِرْسْوِل) (Creswell)

^١ راجع أخبار الشيخ عدي بن مسافر بن إسماعيل الشامي ثم الهكاري القرشي الأموي، المتوفى سنة ٥٥٥ هـ أو =

وقَدِيمُ ابْنُ أَخِيهِ إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ - وَهُوَ زَيْنُ الدِّينِ - فَأُكْرِمَ وَأُنْعِمَ عَلَيْهِ بِإِمْرَةٍ، ثُمَّ تَرَكَهَا وَانْقَطَعَ فِي قَرْيَةٍ بِالشَّامِ - تُعْرَفُ بِبَيْتِ فَارٍ - عَلَى هَيْئَةِ الْمَلُوكِ : مِنْ اقْتِنَاءِ الْخَيُْولِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْمَمَالِكِ وَالْجَوَارِي وَالْمَلَابِسِ، وَعَمَلِ الْأَشْمِطَةِ الْمَلُوكِيَّةِ. فَاقْتَنَتْ بِهِ بَعْضُ نِسَاءِ الطَّائِفَةِ الْقَيْمَرِيَّةِ، وَبَالَغَتْ فِي تَعْظِيمِهِ، وَبَدَلَتْ لَهُ أَمْوَالًا عَظِيمَةً، وَحَاشِيَتِهَا تَلُومُهَا فِيهِ، فَلَا تُضْغِي إِلَى قَوْلِهِمْ. فَاسْتَلَوْا حَتَّى أَوْقَفُوهَا عَلَيْهِ، وَهُوَ عَاكِفٌ عَلَى الْمُنْكَرَاتِ، فَمَا زَادَهَا ذَلِكَ إِلَّا ضَلَالًا، وَقَالَتْ : أَنْتُمْ تُنْكِرُونَ هَذَا عَلَيْهِ، إِنَّمَا الشَّيْخُ يَتَدَلَّلُ عَلَى رَبِّهِ.

وَأَتَاهُ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ عَلَمُ الدِّينِ سِنْجَرُ الدُّوَادِرِ وَمَعَهُ الشَّهَابُ مُحَمَّدُ لِتَخْلِيْفِهِ فِي أَوَّلِ دَوْلَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ خَلِيلُ بْنُ قَلَاوُونَ، إِلَى قَرْيَتِهِ. فَإِذَا هُوَ كَالْمَلِكِ فِي قَلْعَتِهِ : لِلتَّجَمُّلِ الظَّاهِرِ وَالْحِشْمَةِ الزَّائِدَةِ، وَالْفَرْشِ الْأَطْلَسِ، وَآيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَالتُّضَارِ الصُّيْنِيِّ وَأَشْيَاءَ تَفُوتُ الْعَدُّ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْرَبَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَلْوَانِ، وَالْأَطْعِمَةِ الْمُتَوَعَّعَةِ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ لَمْ يَحْتَفِلْ بِهِمَا، وَقَبَّلَ الْأَمِيرُ سِنْجَرَ يَدِهِ وَهُوَ جَالِسٌ لَمْ يَقُمْ، وَبَقِيَ قَائِمًا قُدَّامَهُ يُحَدِّثُهُ، وَزَيْنُ الدِّينِ يَسْأَلُهُ سَاعَةً، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَجْلِسَ، فَجَلَسَ عَلَى رِكْبَتِهِ مُتَأَدِّبًا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَمَّا خَلَّفَاهُ، / وَأُنْعِمَ عَلَيْهِمَا بِمَا يُقَارِبُ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

وَتَخَلَّفَ مِنْ طَائِفَةِ الشَّيْخِ عَزُّ الدِّينِ أَمِيرَانِ، وَأُنْعِمَ عَلَيْهِ بِإِمْرَةٍ دِمَشْقَ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى إِمْرَةٍ بِصَفَدٍ، ثُمَّ أُعِيدَ إِلَى دِمَشْقَ، وَتَرَكَ الْإِمْرَةَ وَانْقَطَعَ بِالْمَرْةِ، وَتَرَدَّدَ إِلَيْهِ الْأَكْرَادُ مِنْ كُلِّ قَطْرٍ، وَحَمَلُوا إِلَيْهِ الْأَمْوَالَ. ثُمَّ إِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ عَلَى السُّلْطَانِ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَكْرَادِ فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَبَاعُوا أَمْوَالَهُمْ، وَاشْتَرَوْا الْخَيْلَ وَالسَّلَاحَ، وَوَعَدَ رِجَالَهُ بِنِيَابَاتِ الْبِلَادِ، وَنَزَلَ بِأَرْضِ اللَّجُونِ. فَبَلَغَ ذَلِكَ السُّلْطَانَ الْمَلِكَ النَّاصِرَ مُحَمَّدَ بْنَ قَلَاوُونَ، فَكَتَبَ إِلَى الْأَمِيرِ تَنْكِزَ نَائِبِ الشَّامِ بِكَشْفِ أَخْبَارِهِمْ، وَأَمْسَكَ

سير أعلام النبلاء ٢٣: ٢٢٣-٢٢٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٢: ١٠١=١٠٣). وراجع عن اليزيدية دراسة أحمد تيمور باشا: اليزيدية ومنشأ نحلتهم، القاهرة ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م؛ إسماعيل بك جول: اليزيدية قديماً وحديثاً، عني بنشرها قسطنطين زريق، بيروت - الجامعة الأمريكية ١٩٣٤.

١ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣: ٢٥٤.

٢ زَيْنُ الدِّينِ أَبُو الْحَاسَنِ يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، المتوفى سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م، هو المدفون في هذه

= ٥٥٧هـ/١١٦٠م أو ١١٦٢م، عند ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١١: ٢٨٩؛ ابن المستوفي: تاريخ إزبل ١: ١١٤-١١٥؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣: ٢٥٤-٢٥٥ (مصدر المقرئ)؛ ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ٣١٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠: ٣٤٢-٣٤٤؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ٢٦١.

والشيخ عدي هو أصل الطريقة المعروفة بـ«اليزيدية» التي كوَّنها ابنه حسن بن عدي، المقتول سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م، والذي يعتقد الأكراد رجعتة ولا يعتقدون أنه قُتِلَ (الذهبي:

السلطان من كان بهذه الزاوية القديسة، ودرك على أمير طبر، واختلفت الأخبار: فقيل إنهم يريدون سلطنة مصر، وقيل يريدون ملك اليمن. فقلق السلطان لأمرهم وأهمه، إلى أن أمسك الأمير تنكيز عز الدين المذكور، وسجنه في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مائة حتى مات، وفرق الأكراد، ولو لم يتدارك لأوشك أن يكون لهم نوبة.

زَاوِيَةُ السُّدَّارِ

هذه الزاوية برأس حارة الديلم^١، بناها الفقير المعتقد علي بن السُّدَّار في سنة سبعين وسبع مائة، وتوفي سنة ثلاث وسبعين وسبع مائة^٢.

عُرِفَتْ بـ «الزاوية القادرية»، بسبب سكن جماعة من ذُرِّيَّةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلِيِّ بِهَا، تُعْرَفُ الْآنَ بِـ «جَامِعِ الْقَادِرِيَّةِ» وَ«جَامِعِ مُغَلَّبِي»، وَمَا تَزَالُ بَاقِيَةٌ خَارِجَ بَابِ الْقَرَّافَةِ عَنِ يَمِينِ السَّائِلِكِ مِنْهُ فِي شَارِعِ الْقَادِرِيَّةِ الْمُوصِّلِ إِلَى قَرَّافَةِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ. وَهِيَ مَكُونَةٌ مِنْ أَرْبَعَةِ إِيوَانَاتٍ؛ يَوْجَدُ ضَرْبُخَ الشَّيْخِ زَيْنِ الدِّينِ فِي الرُّوْحَنِ الْجَنُوبِيِّ مِنْهَا. (راجع، ابن الزيات: الكواكب السيارة ١٨٦-١٨٨؛ السخاوي: تحفة الأحياب ١٩٠-١٩٢؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ١٦٠:٥ (٦٨)؛ أحمد تيمور: اليزيدية ٤٤-٥٣؛ Creswell, K.A.C., MAE II, pp. 229-33; Layla 'Alī Ibrāhīm, «The Zāwiya of Shaykh Zain ad-Dīn Yūsuf in Cairo», MDAIK 34 (1978), pp. 79-110؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٢: ٢٨٧-٣٠٨).

^١ ذكر علي باشا مبارك أنها بحارة الروم بالقرب من باب زويلة. (الخطط التوفيقية ٦: ٨٥ (٣١)).

^٢ الشعراني: الطبقات الكبرى.

= الزاوية، يقول المقرئ عند ذكر وفاته سنة ٦٩٧هـ: «وله ثُرْبَةٌ جَلِيلَةٌ بِالْقَرَّافَةِ» (السلوك ١: ٨٥١). ويوجد داخل الزاوية ثلاث كتابات تاريخية تشير إحداها إلى تاريخ وفاة المنشئ في ربيع الأول سنة ٦٩٧هـ والثانية إلى تاريخ إنشاء القبة في ١٣٢٥هـ/١٣٢٥م (van Berchem, M., CIA Égypte, I, n° 96; Wiet, G., RCEA XIII, n° 5041 والثالثة مؤرخة سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م (Ibid I, n° 98; Ibid., XIII, n° 5042)، وتحمل النص التاريخي التالي:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الآيات ١٠ - ١٢ سورة الواقعة - هذا مقام الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْقُدْوَةِ شَيْخِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ شَيْخِ الطَّرِيقَةِ وَمَقْدِينِ الْحَقِيقَةِ، فَرِيدِ الْقَضْرِ، شَرَفَتْ بِأَقْدَامِهِ مِصْرَ، أَوْخَدَ شَيْخِ الْمُسْلِمِينَ زَيْنِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الشَّيْخِ عَدِيِّ بْنِ أَبِي [كذا] الْبِرَكَاتِ ابْنِ صَخْرَ بْنِ مُسَافِرِ الْأُمَوِيِّ، نَفَعَ اللَّهُ بِرِكَاتِهِمُ الْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسِينَ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ.» (Ibid., I, n° 97; Ibid XIV, n° 5504).

وهذه الزاوية التي كانت تُعْرَفُ بِـ «الزاوية القديسة» ثم

زِكْرُ الْمَشَاهِدِ الَّتِي يَتَبَرَّكُ النَّاسُ بِزِيَارَتِهَا

مَشْهَدُ زَيْنِ الْعَابِدِينَ

[الرّقم ٥٩٩]

- هذا المَشْهَدُ فيما بين الجامع الطُولُونِي ومَدِينَةِ مِصْرَ، تُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ «مَشْهَدَ زَيْنِ الْعَابِدِينَ»، وهو خَطَأً، وَإِنَّمَا هُوَ مَشْهَدٌ^(a) زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، الْمَعْرُوفِ بِزَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَيُعْرَفُ فِي الْقَدِيمِ بِمَسْجِدِ مَحْرَسِ الْخُصِّ^(b) ١.
- قال القُضَاعِي: مَسْجِدُ مَحْرَسِ الْخُصِّ^(b) يُنْبِئُ عَلِيَّ رَأْسِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، حِينَ أَنْفَذَهُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى مِصْرَ، وَنُصِبَ عَلَى الْمِنْبَرِ بِالْجَامِعِ، فَسَرَقَهُ أَهْلُ مِصْرَ، وَدَفَنُوهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.
- وقال الكِنْدِيُّ فِي كِتَابِ «الْأَمْزَاءِ»: وَقَدِمَ إِلَى مِصْرَ، فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ، أَبُو الْحَكَمِ ابْنُ أَبِي الْأَيْبِضِ الْعَبْسِيُّ^(c) خَطِيبًا بِرَأْسِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ - يَوْمَ الْأَحَدِ لِعَشْرِ خَلْوَنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ [الْجَامِعِ]^(d) ٢.

(a) بولاق: مشهد رأس. (b) بولاق: الخصي. (c) بولاق: القيسي. (d) زيادة من ولاية مصر مصدر النقل.

١ ما زالَ مَوْضِعُ مَشْهَدِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ موجودًا بِمَيْدَانِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بِحِي زَيْنْتُمْ جَنُوبَ الْقَاهِرَةِ، وَإِنْ كَانَ الْبِنَاءُ الْحَالِي - الَّذِي يُعَادُ بِنَاؤُهُ الْآنَ - يَرْجِعُ إِلَى آخِرِ عِمَارَةِ أَجْرَاهَا بِهِ عِثْمَانَ أَغَا أَعَاتِ مُنْتَحَفَظَانَ سَنَةِ ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م، وَيُوجَدُ مِنَ الْمَبْنِيِّ الْأَصْلِيِّ لِلْمَشْهَدِ الْمُدْخَلِ الْقَدِيمِ بِالْوَجْهَةِ الْغَرْبِيَّةِ وَهُوَ بَابٌ مَغْطَى بِمَقْرَنَاتٍ ذَاتِ دَلَالَاتٍ ذَاعَ اسْتِخْدَامُهَا فِي

أَبْوَابِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ الْهَجْرِيِّ. (الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ١٩٩؛ ابن الزيات: الكواكب السيارة ١٨٤؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ١٧:٥-١٨ (٤)؛ حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية ٩٤-٩٦؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ٩٥:٥-٢٢).

٢ الكندي: ولاية مصر ١٠٣.

وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني في كتاب «الجواهر المكنون في ذكر القبائل والبطنون»: وبنو زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب - عليهم السلام - الشهيد بالكوفة، ولم يبق له - عليه السلام - غير رأسه التي بالمشهد الذي بين الكومين بمصر، بطريق جامع ابن طولون وبزكة الفيل، وهو من الخطط يعرف بمسجد معزس الحصى^(a).

ولما صلب، كشفوا عورته، فنسخ العنكبوت فسترها، ثم إنه بعد ذلك أحرق، وذري في الريح، ولم يبق منه إلا رأسه التي بمصر. وهو مشهد صحيح لأنه طيف بها بمصر، ثم نصبت على المنبر بالجامع بمصر في سنة اثنتين وعشرين ومائة، فسرق وتدفنت في هذا الموضع إلى أن ظهرت، وبني عليها مشهد.

وذكر ابن عبد الظاهر أن الأفضل بن أمير الجيوش، لما بلغته حكاية رأس زيد، أمر بكشف المسجد - وكان وسط الأكوام، ولم يبق من معاله إلا مخراب - فوجد هذا العضو الشريف. قال محمد بن منجب بن الصيرفي: حدثني الشريف فخر الدين أبو الفتوح ناصر الزيدي خطيب مصر - وكان من جملة من حضر الكشف - قال: لما خرج هذا العضو رأته، وهو هامة وافرة، وفي الجبهة أثر في سعة الدرهم، فضمخ وعطر، وحمل إلى دار حتى عمّر هذا المشهد. وكان وجدانه في^(b) يوم الأحد تاسع عشرين ربيع الأول سنة خمس وعشرين وخمس مائة. وكان الوصول به في يوم أحد، ووجدانه في يوم أحد^١.

بن الحسين بن علي بن أبي طالب - كنيته أبو الحسن - الإمام الذي تُنسب إليه زئيد بن علي «الزئديّة»، إحدى طوائف الشيعة، سكن المدينة، وروى عن أبيه علي بن الحسين - الملقب زين العابدين - وعن أبيان بن عثمان، وعبيد الله بن أبي رافع، وعروة بن الزبير. وروى عنه محمد بن شهاب الزهري، وزكريا بن أبي زائدة، وخلق، ذكره ابن جبان في «الثقات»، وقال: رأى جماعة من الصحابة^٢.

(a) بولاق: الحصى. (b) ساقطة من بولاق.

^١ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٩٦؛ وقارن أبا المحاسن: النجوم ٣: ١٤، ٤١٣؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٥: ٢١-٢٢.

^٢ راجع ترجمة الإمام زيد بن علي الذي تُنسب إليه الزئديّة عند، ابن سعد: الطبقات الكبرى ٥: ٣٢٥-٣٢٦؛ الطبري: تاريخ ٧: ١٦٠-١٧٣؛ ابن جبان: مشاهير علماء=

وقيل لجعفر بن محمد الصادق عن الرافضة: إنهم يتبرأون من عمك زيد. فقال: برئ الله ممن تبرأ من عمي، كان والله أقرأنا لكتاب الله، وأفقهنا في دين الله، وأوصلنا للرحم، والله ما ترك فينا لدنيا ولا لآخرة مثله.

وقال أبو إسحاق الشيبعي: رأيت زيد بن علي، فلم أر في أهله مثله، ولا أعلم منه ولا أفضل، وكان أفصحهم لساناً، وأكثرهم زهداً وبياناً.

وقال الشعبي: والله ما ولد النساء أفضل من زيد بن علي، ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد.

وقال أبو حنيفة: شاهدت زيد بن علي كما شاهدت أهله، فما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أعلم، ولا أسرع جواباً ولا أئين قولاً، لقد كان منقطع القرين.

وقال الأعمش: / ما كان في أهل زيد بن علي مثل زيد، ولا رأيت فيهم أفضل منه، ولا

أفصح ولا أعلم ولا أشجع، ولقد وفى له من تابعه لإقامتهم على المنهج الواضح.

وسئل جعفر بن محمد الصادق عن خروجيه، فقال: خرج على ما خرج عليه أباه.

وكان يقال لزيد «خليفة القرآن»، وقال: خلوت بالقرآن ثلاث عشرة سنة أقرؤه وأتدبره، فما

وجدت في طلب الرزق رخصة، وما وجدت ﴿ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الآية ١٠ سورة الجمعة] إلا العبادة والفقه.

وقال عاصم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب: لقد أصيب عندكم رجل ما كان في زمانكم

مثله، ولا أراه يكون بعده مثله: زيد بن علي. لقد رأيتته وهو غلام حدث، وإنه ليسمع الشيء من

ذكر الله فيغشى عليه، حتى يقول القائل: ما هو بعائد إلى الدنيا!

وكان نقش خاتم زيد «أصبر تؤجر، اصدق تنجح». وقرأ مرة قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ

قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [الآية ٣٨ سورة محمد]. فقال: إن هذا لو عيّد وتهديد من الله.

ثم قال: اللهم لا تجعلنا ممن تولى عنك فاستبدلت به بدلاً.

وكان إذا كلمه إنساناً وخاف أن يهجم على أمر يخاف منه مأثماً، قال له: يا عبد الله،

أمسك أمسك، كف كف، إليك إليك، عليك بالنظر لنفسك. ثم يكف عنه ولا يكلمه.

Sezgin, F., *GAS*, pp. 556-60; *El art. Zayd b. Ali*

؛ XI, S. P.؛ ناجي حسن: ثورة زيد بن علي، بغداد ١٩٦٦؛

محمد أبو زهرة: الإمام زيد - حياته وعصره، آراؤه وفقهه،

القاهرة ١٩٥٩؛ أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن

٢١١-٢١٥.

= الأمصار ٦٣؛ أبي الفرج: مقاتل الطالبين ١٢٧-١٥١؛

المسعودي: مروج الذهب ٤: ٤١-٤٥؛ ابن خلكان: وفيات

الأعيان ٥: ١٢٢-١٢٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات

Montgomery Watt, W., «Shi'ism ٣٦-٣٣: ١٥

under the Umayyads», *JRAS* (1960), pp. 160-70;

وقد اختلف في سبب قيام زيد، وطلبه الأمر لنفسه . فقيل : إن زيد بن علي ، وداود بن علي ابن عبد الله بن عباس ، ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، قدموا على خالد بن عبد الله القسري بالعراق ، فأجازهم ورجعوا إلى المدينة . فلما ولي يوسف بن عمر العراق ، بعد عزل خالد ، كتب إلى هشام بن عبد الملك ، وذكر له أن خالداً ابتاع من زيد أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار ، ثم رد الأرض عليه . فكتب هشام إلى عامل المدينة أن يسيرهم إليه ، ففعل ، فسألهم هشام عن ذلك ، فأقروا بالجائزة ، وأنكروا ما سوى ذلك ، وحلفوا . فصدقهم وأمرهم بالمسير إلى العراق ليقابلو خالداً ، فساروا على كره ، وقابلوا خالداً ، فصدقهم ، وعادوا نحو المدينة . فلما نزلوا القادسية ، راسل أهل الكوفة زيدا ، فعاد إليهم .

وقيل : بل ادعى خالد القسري أنه أودع زيدا وداود بن علي ونفراً من قرينش مالا ، فكتب يوسف بن عمر بذلك إلى الخليفة هشام بن عبد الملك ، فأحضرهم هشام من المدينة ، وسيرهم إلى يوسف ليجمعهم وخالداً ، فقدموا عليه ، فقال يوسف لزيد : إن خالداً زعم أنه أودع عندك مالا . فقال زيد : كيف يودعني وهو يشتم آبائي على منبره ؟ فأرسل إلى خالد ، فأخضره في عبادة ، وقال له : هذا زيد قد أنكرك أنك أودعته شيئا . فنظر خالد إليه وإلى داود ، وقال ليوسف : أتريد أن تجمع إثمك مع إثمنا في هذا ؟ كيف أودعه وأنا أشتم آباءه وأشتمه على المنبر ؟ فقال زيد لخالد : ما دعاك إلى ما صنعت ؟ فقال : شدد علي العذاب ، فادعيت ذلك ، وأملت أن يأتي الله بفرج قبل قدومك . فرجعوا ، وأقام زيد وداود بالكوفة .

وقيل : إن يزيد بن خالد القسري هو الذي ادعى أن المال ودعة عند زيد . فلما أمرهم هشام بالمسير إلى العراق إلى يوسف ، استقالوه خوفاً من شر يوسف وظلمه ، فقال : أنا أكتب إليه بالكف عنكم . وألزمهم بذلك . فساروا على كره ، فجمع يوسف بينهم وبين يزيد ، فقال يزيد : ليس لي عندهم قليل ولا كثير . فقال له يوسف : أتتهزأ بأمر المؤمنين ؟ فعذبته يومئذ عذاباً كاد يهلكه ، ثم أمر بالقرشين فضربوا ، وترك زيدا ، ثم استخلفهم وأطلقهم ، فلحقوا بالمدينة ، وأقام زيد بالكوفة .

وكان زيد قال لهشام لما أمره بالمسير إلى يوسف : والله ما آمن إن بعثتني إليه ألا تجتمع أنا وأنت حبيبتين أبداً . قال : لا بُدَّ من المسير إليه ، فسار إليه .

وقيل : كان السبب في ذلك أن زيدا كان يخاصم ابن عمه جعفر بن الحسن بن الحسين ابن علي في وقوف علي ، رضي الله عنه : فزيد يخاصم عن بني حسين ، و جعفر يخاصم عن بني

حَسَنٌ ، فَكَانَا يَتَلَعَّانِ كُلُّ غَايَةٍ ، وَيَقُومَانِ فَلَا يُعِيدَانِ مِمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا حَرْفًا .

فَلَمَّا مَاتَ جَعْفَرٌ ، نَارَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ . فَتَنَازَعَا يَوْمًا بَيْنَ يَدَيْ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْحَارِثِ بِالْمَدِينَةِ ، فَأَغْلَظَ عَبْدُ اللَّهِ لَزَيْدٍ ، وَقَالَ : يَا ابْنَ السُّنْدِيَّةِ . فَضَحِكَ زَيْدٌ ، وَقَالَ : قَدْ كَانَ إِسْمَاعِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ابْنَ أُمَّةٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ صَبِرَتْ أُمِّي بَعْدَ وَفَاةِ سَيِّدِهَا ، وَلَمْ يَضْبِرْ غَيْرَهَا - يَعْنِي فَاطِمَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ - فَإِنَّهَا تَزَوَّجَتْ بَعْدَ أَبِيهِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ . ثُمَّ إِنَّ زَيْدًا نَدِمَ ، وَاسْتَحْيَى مِنْ فَاطِمَةَ فَإِنَّهَا عَمَّتَهُ ، وَلَمْ يَدْخُلْ إِلَيْهَا زَمَانًا . فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ : يَا ابْنَ أَخِي ، إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ أُمَّكَ عِنْدَكَ ، كَأُمِّ عَبْدِ اللَّهِ عِنْدَهُ . وَقَالَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ : بِئْسَ مَا قُلْتَ لِأُمِّ زَيْدٍ ، أَمَا وَاللَّهِ لِنِعْمَ دَخِيلَةَ الْقَوْمِ كَانَتْ .

وَذَكَرَ أَنَّ خَالِدًا قَالَ لِهَمَا : اغْدُوا عَلَيْنَا غَدًا فَلَسْتُ ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ إِذْ لَمْ أَفْصِلْ بَيْنَكُمَا . فَبَاتَتْ الْمَدِينَةُ تَغْلِي كَالْمَرْجَلِ : يَقُولُ قَائِلٌ قَالَ زَيْدٌ كَذَا ، وَيَقُولُ قَائِلٌ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ كَذَا . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ ، جَلَسَ خَالِدٌ فِي الْمَسْجِدِ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ ، فَمِنْ بَيْنِ شَأْمِثٍ وَمَهْمُومٍ . فَدَعَا بِهِمَا خَالِدٌ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَتَشَاوَمَا . فَذَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ يَتَكَلَّمُ ، فَقَالَ زَيْدٌ : لَا تَعْجَلْ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، أَغْتَقَ زَيْدٌ كُلَّ مَا يَمْلِكُ إِنْ خَاصَمَكَ إِلَى خَالِدٍ أَبَدًا . ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى خَالِدٍ ، فَقَالَ لَهُ : لَقَدْ جَمَعْتَ ذُرِّيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ، ﷺ ، لِأَمْرِ مَا كَانَ يَجْمَعُهُمْ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ . فَقَالَ خَالِدٌ : أَمَا لِهَذَا الشَّفِيهِ أَحَدٌ ؟ فَتَكَلَّمُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ آلِ / عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ أَبِي ثُرَابٍ وَابْنَ حَسَنِ الشَّفِيهِ ، أَمَا تَرَى لَوَالٍ عَلَيْكَ حَقًّا وَلَا طَاعَةً ؟! فَقَالَ زَيْدٌ : اشْكُتُ أَيُّهَا الْقَحْطَانِي ، فَإِنَّا لَا نُجِيبُ مِثْلَكَ . قَالَ : وَلَمْ تَرْغَبْ عَنِّي ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَخَيْرٌ مِنْكَ وَخَيْرٌ مِنْ أَيْبِكَ ، وَأُمِّي خَيْرٌ مِنْ أُمَّكَ . فَتَضَاحَكَ زَيْدٌ ، وَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، هَذَا الدِّينُ قَدْ ذَهَبَ ، أَفَتَذْهَبُ الْأَجْسَابُ ؟ فَوَاللَّهِ لَيَذْهَبُ دِينُ الْقَوْمِ وَمَا تَذْهَبُ أَحْسَابُهُمْ . فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَاقِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ : كَذَبْتَ وَاللَّهِ أَيُّهَا الْقَحْطَانِي ، فَوَاللَّهِ لَهَوُ خَيْرٌ مِنْكَ نَفْسًا وَأَبًا وَأُمًَّا وَمَحْتَدًا . وَتَنَاوَلَهُ بِكَلَامٍ كَثِيرٍ ، وَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَضْبَاءٍ وَضَرَبَ بِهَا الْأَرْضَ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ إِنَّهُ مَا لَنَا عَلَى هَذَا مِنْ صَبْرٍ ، وَقَامَ .

ثُمَّ شَخَّصَ زَيْدٌ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَجَعَلَ هِشَامٌ لَا يَأْذُنُ لَهُ ، وَهُوَ يَرْفَعُ إِلَيْهِ الْقَصَصَ . فَكَلَّمَا يَرْفَعُ قِصَّةً ، يَكْتُبُ هِشَامٌ فِي أَسْفَلِهَا «ارْجِعْ إِلَى مَثَلِكَ» ، فَيَقُولُ زَيْدٌ : وَاللَّهِ لَا أَرْجِعُ إِلَى خَالِدٍ أَبَدًا . ثُمَّ إِنَّهُ أَذِنَ لَهُ يَوْمًا بَعْدَ طُولِ حَبْسٍ ، فَصَعِدَ زَيْدٌ - وَكَانَ بَادِنًا - فَوَقَّفَ فِي بَعْضِ الدَّرَجِ وَهُوَ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَا يُحِبُّ الدُّنْيَا أَحَدٌ إِلَّا ذَلَّ . ثُمَّ صَعِدَ - وَقَدْ جَمَعَ لَهُ هِشَامٌ أَهْلَ الشَّامِ - فَسَلَّمَ ، ثُمَّ جَلَسَ . وَرَمَى عَلَيْهِ هِشَامٌ طَوِيلَةً ، فَحَلَفَ لِهِشَامٍ عَلَى شَيْءٍ ، فَقَالَ هِشَامٌ : لَا أَصَدُّقُكَ . فَقَالَ :

يا أمير المؤمنين ، إن الله لم يرفع أحداً عن أن يرضى بالله ، ولم يضع أحداً عن ألا يرضى بذلك منه . فقال هشام : أنت زئد المؤمل للخلافة وما أنت والخلافة - لا أم لك - وأنت ابن أمة ؟ فقال زئد : لا أعلم أحداً عند الله أفضل من نبي بعثه ، ولقد بعث الله نبياً وهو ابن أمة ، ولو كان به تفصيل عن منتهى غاية لم يُبعث ، وهو إسماعيل بن إبراهيم ، والثبوة أعظم منزلة من الخلافة عند الله ، ثم لم يمنعه الله من أن يجعله أباً للعرب ، وأباً للخير البشر محمد ﷺ ، وما يقصر برجل أبوه رسول الله ﷺ ، وبعد أمي فاطمة لا أفخر بأم . فوثب هشام من مجلسه ، وتفرق الشاميون عنه ، وقال لحاجبه : لا يبيت هذا في عسكري أبداً .

فخرج زئد وهو يقول : ما كره قوم قط جره السيوف إلا ذلوا . وسار إلى الكوفة ، فقال له محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب : أذكرك الله يا زئد لما لحقت بأهلك ، ولا تأت أهل الكوفة ، فإنهم لا يفون لك . فلم يقبل ، وقال : خرج بنا هشام أسراء على غير ذنب من الحجاز إلى الشام ، ثم إلى الجزيرة ، ثم إلى العراق ، ثم إلى تيس ثقيف يلعب بنا . وأنشد :

[الكامل]

بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي الْحُتُوفُ كَأَنِّي	أَصْبَحْتُ عَنْ عَرْضِ الْحَيَاةِ بِمَعَزَلٍ
فَأَجَبْتُهَا إِنَّ الْمَنِيَةَ مَسْرُورٌ	لَا بَدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ الْمَنَهْلِ
إِنَّ الْمَنِيَةَ لَوْ تَمَثَّلَ مَثَلْتُ	مِثْلِي إِذَا نَزَلُوا بِضَيْقِ الْمَنْزِلِ
فَاقْنِي حُبَاكَ ^(a) لَا أَبَا لَكَ وَأَعْلَمِي	إِنِّي امْرُؤٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ

أستودعك الله ، وإني أعطي الله عهداً إن دخلت يدي في طاعة هؤلاء ما عشت . وفارقه ، وأقبل إلى الكوفة ، فأقام بها مستخفياً يتنقل في المنازل . فأقبلت الشيعة تخلف إليه ثبايعه ، فبايعه جماعة من وجوه أهل الكوفة . وكانت بيعة :

«إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، وجهاد الظالمين ، والدفع عن المستضعفين ، وإعطاء المحرومين ، وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء ، ورد المظالم ، وأفعال الخير ، ونصرة أهل البيت ، أتبايعون على ذلك ؟» .

فإذا قالوا : نعم ، وضع يده على أيديهم ويقول :

«عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسول الله ﷺ : لتؤمنن بيعتي ،

ولتقاتلن عدوي ، ولتنصحن لي في السر والعلانية .

فَإِذَا قَالَ : نَعَمْ ، مَسَحَ يَدَهُ عَلَى يَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ فَاشْهَد . فَبَايَعَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا - وَقِيلَ
أَرْبَعُونَ أَلْفًا - وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالِاسْتِعْدَادِ . فَأَقْبَلَ مِنْ يُرِيدُ أَنْ يَفِي وَيَخْرُجَ مَعَهُ يَسْتَعِدُّ وَيَتَهَيَّأُ . فَشَاعَ
أَمْرُهُ فِي النَّاسِ . هَذَا عَلَى قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ أَتَى الْكُوفَةَ مِنَ الشَّامِ ، وَاخْتَفَى بِهَا يُبَايِعُ النَّاسَ .

وَأَمَّا عَلَى قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ أَتَى إِلَى يُوسُفَ بْنِ عُمَرَ ، لِمِرَاقَةَ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشْرِيِّ ، أَوْ ابْنِهِ
يَزِيدَ بْنِ خَالِدٍ ، فَإِنَّهُ قَالَ : أَقَامَ زَيْدٌ بِالْكُوفَةِ ظَاهِرًا ، وَمَعَهُ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ،
وَأَقْبَلَتِ الشُّبَيْعَةُ تَخْتَلِفُ إِلَيْهِ ، وَتَأْمُرُهُ بِالْخُرُوجِ وَيَقُولُونَ : إِنَّا لَنَرُجُو أَنْ تَكُونَ ابْنَتُ الْمَنْصُورِ ، وَإِنَّ هَذَا
الزَّمَانَ الَّذِي يَهْلِكُ فِيهِ بَنُو أُمَيَّةَ .

فَأَقَامَ بِالْكُوفَةِ ، وَيُوسُفُ بْنُ عُمَرَ يَسْأَلُ عَنْهُ ، فَيُقَالُ هُوَ هَاهُنَا ، وَيَتَعَثُّ إِلَيْهِ لِيَسِيرَ ، فَيَقُولُ :
نَعَمْ ، وَيَغْتَلُّ بِالْوَجْعِ . فَمَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَيْهِ يُوسُفُ بِالْمَسِيرِ عَنِ الْكُوفَةِ ، فَاحْتَجَّ بِأَنَّهُ
يُحَاكِمُ آلَ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بِمِلْكٍ بَيْنَهُمَا بِالْمَدِينَةِ . فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ لِيُؤَكِّلَ وَكَيْلًا وَيَرْحَلَ عَنْهَا . فَلَمَّا
رَأَى الْجَدَّ مِنْ يُوسُفَ فِي أَمْرِهِ ، سَارَ حَتَّى أَتَى الْقَادِسِيَّةَ - وَقِيلَ الثُّعَلِيَّةَ - فَتَبِعَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ ، وَقَالُوا
لَهُ : نَحْنُ أَرْبَعُونَ أَلْفًا ، لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْكَ أَحَدٌ ، نَضْرِبُ عَنْكَ بِأَسْيَافِنَا ، وَلَيْسَ هَاهُنَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ
إِلَّا عِدَّةٌ يَسِيرَةٌ ، وَبَعْضُ قَبَائِلِنَا يَكْفِيهِمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَحَلَفُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ الْمَغْلُظَةِ . فَجَعَلَ يَقُولُ : إِنِّي
أَخَافُ أَنْ تَحْذُلُونِي وَتُسَلِّمُونِي ، كَفِعْلِكُمْ بِأَبِي وَجَدِّي . فَيَخْلِفُونَ لَهُ .

فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ : لَا يَغْرُوكَ يَا ابْنَ عَمِّي هَؤُلَاءِ ، أَلَيْسَ قَدْ حَذَلُوا مِنْ كَانَ أَعَزَّ عَلَيْهِمْ مِنْكَ :
جَدُّكَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي / طَالِبٍ حَتَّى قُتِلَ ، وَالْحَسَنُ مِنْ بَعْدِهِ بَايَعُوهُ ، ثُمَّ وَثَبُوا عَلَيْهِ وَانْتَزَعُوا رِدَائِهِ
وَجَرَّحُوهُ ؟ أَوَلَيْسَ قَدْ أَخْرَجُوا جَدُّكَ الْحُسَيْنَ ، وَحَلَفُوا لَهُ ، ثُمَّ حَذَلُوهُ وَأَسْلَمُوهُ ، وَلَمْ يَرْضُوا بِذَلِكَ
حَتَّى قَتَلُوهُ ؟ فَلَا تَرْجِعْ مَعَهُمْ . فَقَالُوا : يَا زَيْدُ ، إِنَّ هَذَا لَا يُرِيدُ أَنْ تَظْهَرَ أَنْتَ ، وَيَزْعُمَ أَنَّهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ
أَوْلَى بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ . فَقَالَ زَيْدٌ لِدَاوُدَ : إِنَّ عَلِيًّا كَانَ يُقَاتِلُهُ مُعَاوِيَةَ بِذَهَبِهِ ، وَإِنَّ الْحُسَيْنَ قَاتَلَهُ
يَزِيدٌ وَالْأَمْرُ مُقْبِلٌ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ : إِنِّي أَخَافُ إِنْ رَجَعْتَ مَعَهُمْ أَلَّا يَكُونَ أَحَدٌ أَشَدَّ عَلَيْكَ
مِنْهُمْ ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ .

وَمَضَى دَاوُدُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَرَجَعَ زَيْدٌ إِلَى الْكُوفَةِ فَاتَاهُ سَلْمَةُ بْنُ كَهَيْلٍ ، فَذَكَرَ لَهُ قَرَابَتَهُ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَقِّهِ ، فَأَحْسَنَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ ، كَمْ بَايَعَكَ ؟ قَالَ : أَرْبَعُونَ أَلْفًا .
قَالَ : فَكَمْ بَايَعَ جَدُّكَ ؟ قَالَ : ثَمَانُونَ أَلْفًا . قَالَ : فَكَمْ حَصَلَ مَعَهُ ؟ قَالَ : ثَلَاثَ مِائَةٍ . قَالَ :
نَشَدْتُكَ اللَّهُ ، أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ جَدُّكَ ؟ قَالَ : جَدِّي . قَالَ : فَهَذَا الْقَرُونُ خَيْرٌ أَمْ ذَلِكَ الْقَرُونُ ؟ قَالَ :
ذَلِكَ الْقَرُونُ . قَالَ : أَفَتَطْمَعُ أَنْ يَفِي لَكَ هَؤُلَاءِ وَقَدْ غَدَرَ أَوْلِيَاكَ بِجَدِّكَ ؟ قَالَ : قَدْ بَايَعُونِي ،

وَوَجِبَتِ الْبَيْعَةُ فِي عُنُقِي وَعُنُقِهِمْ . قَالَ : أَفَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَخْرُجَ مِنْ هَذَا الْبَلَدِ ، فَلَا آمَنُ أَنْ يَحْدُثَ حَدَثٌ فَأَهْلِكَ نَفْسِي ؟ فَأَذِنَ لَهُ ، فَخَرَجَ إِلَى الْيَمَامَةِ .

وَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ إِلَى زَيْدٍ :

«أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ نَفَجَ الْعَلَانِيَةَ ، حُورَ السَّرِيرَةِ ، هَوَجَ فِي الرَّدِّ ، أَجْزَعَ فِي اللَّقَا ، تَقَدَّمَهُمُ أَلْسِنَتُهُمْ ، وَلَا تُتَابِعُهُمْ قُلُوبُهُمْ ، وَلَقَدْ تَوَاتَرَتْ كُتُبُهُمْ إِلَيَّ بِدَعْوَتِهِمْ ، فَصَمَّمْتُ عَنْ يَدَائِهِمْ ، وَأَلْبَسْتُ قَلْبِي عِشَاءً مِنْ ذِكْرِهِمْ ، يَا سَأَا مِنْهُمْ ، وَأَطْرَاحًا لَهُمْ . وَمَا لَهُمْ مِثْلُ إِلَّا مَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : إِنْ أَهْمَلْتُمْ خُضَّتُمْ ، وَإِنْ خَوَّزْتُمْ خُوِّتُمْ ، وَإِنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ ، وَإِنْ أَجَبْتُمْ إِلَى مَشَاقِقِهِ نَكَصْتُمْ .»

فَلَمْ يُضِغْ زَيْدٌ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَقَامَ عَلَى حَالِهِ يُبَايِعُ النَّاسَ ، وَيَتَجَهَّزُ لِلخُرُوجِ ، وَتَزَوَّجَ بِالْكَوْفَةِ امْرَأَتَيْنِ ، وَكَانَ يَتَّقِلُ تَارَةً عِنْدَ هَذِهِ فِي بَنِي سَلَمَةَ قَوْمِهَا ، وَتَارَةً عِنْدَ هَذِهِ فِي الْأَزْدِ قَوْمِهَا ، وَتَارَةً فِي بَنِي عَبَسَ ، وَتَارَةً فِي بَنِي تَغْلِبَ وَغَيْرِهِمْ ، إِلَى أَنْ ظَهَرَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ ، فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالِاسْتِعْدَادِ ، وَأَخَذَ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْوَفَاءَ بِالْبَيْعَةِ يَتَجَهَّزُ .

فَبَلَغَ ذَلِكَ يُوسُفَ بْنَ عُمَرَ ، فَبَعَثَ فِي طَلَبِ زَيْدٍ ، فَلَمْ يُوجَدِ . وَخَافَ زَيْدٌ أَنْ يُؤْخَذَ ، فَتَعَجَّلَ قَبْلَ الْأَجَلِ الَّذِي جَعَلَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَعَلَى الْكُوفَةِ يَوْمَئِذٍ الْحَكَمُ بْنُ الصَّلْتِ فِي نَاسٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَيُوسُفَ بْنَ عُمَرَ بِالْحَيْرَةِ .

فَلَمَّا عَلِمَ أَصْحَابُ زَيْدٍ أَنَّ يُوسُفَ بْنَ عُمَرَ قَدْ بَلَغَهُ الْخَبْرَ ، وَأَنَّهُ يَتَحَثُّ عَنْ زَيْدٍ ، اجْتَمَعَ إِلَى زَيْدٍ جَمَاعَةٌ مِنْ رُءُوسِهِمْ ، فَقَالُوا : رَحِمَكَ اللَّهُ ، مَا قَوْلُكَ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ؟ فَقَالَ زَيْدٌ : رَحِمَهُمَا اللَّهُ وَغَفَرَ لَهُمَا ، مَا سَمِعْتُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَقُولُ فِيهِمَا إِلَّا خَيْرًا ، وَإِنَّ أَشَدَّ مَا أَقُولُ فِيمَا ذَكَرْتُمْ : إِنَّا كُنَّا أَحَقُّ بِسُلْطَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، فَدَفَعُونَا عَنْهُ ، وَلَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ عِنْدَنَا بِهِمْ كُفْرًا ، وَقَدْ وُلُّوا فَعَدَلُوا فِي النَّاسِ ، وَعَمِلُوا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ . قَالُوا : فَلِمَ يَظْلِمُكَ هَؤُلَاءِ إِذَا كَانَ أَوْلَئِكَ لَمْ يَظْلِمُوا ؟ وَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ لَمْ يَظْلِمُوا فَلِمَ تَدْعُو إِلَى قِتَالِهِمْ ؟ فَقَالَ : إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَعِشُوا كَأَوْلِيكَ ، هَؤُلَاءِ ظَالِمُونَ لِي وَلِأَنْفُسِهِمْ وَلَكُمْ ، وَإِنَّمَا نَدْعُوهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَإِلَى السُّنَنِ أَنْ تُحْيَى ، وَإِلَى الْبِدْعِ أَنْ تُطْفَأَ ، فَإِنْ أَجَبْتُمُونَا سَعِدْتُمْ ، وَإِنْ أَيْبَسْتُمْ فَلَسْتُمْ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ .

فَفَارَقُوهُ وَتَكْتَبُوا بَيْعَتَهُ ، وَقَالُوا : قَدْ سَبَقَ الْإِمَامُ - يَعْنُونَ مُحَمَّدًا الْبَاقِرَ ، وَكَانَ قَدْ مَاتَ - وَقَالُوا :
جَعَفَرَ ابْنَهُ إِمَامَنَا الْيَوْمَ بَعْدَ أَبِيهِ . فَسَمَّاهُمْ زَيْدًا «الرَّافِضَةَ» ، وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْمَغِيرَةَ سَمَّاهُمْ الرَّافِضَةَ
حِينَ فَارَقُوهُ .

وَكَانَتْ طَائِفَةٌ قَدْ آتَتْ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقَ قَبْلَ قِيَامِ زَيْدٍ ، وَأَخْبَرُوهُ بِبَيْعَتِهِ ، فَقَالَ : بَايَعُوهُ
لَهُوَ وَاللَّهُ أَفْضَلُنَا وَسَيِّدُنَا . فَعَادُوا وَكَتَمُوا ذَلِكَ .

وَكَانَ زَيْدٌ قَدْ وَاَعَدَّ أَصْحَابَهُ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ صَفَرٍ . فَتَلَعَ ذَلِكَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ ، فَبَعَثَ إِلَى الْحَكَمِ
عَامِلَهُ عَلَى الْكُوفَةِ بِأَمْرِهِ بِأَنْ يَجْمَعَ النَّاسَ بِالْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ يَحْضُرُهُمْ فِيهِ ، فَجَمَعَهُمْ وَطَلَبُوا زَيْدًا ،
فَخَرَجَ لَيْلًا مِنْ دَارِ مُعَاوِيَةَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، وَكَانَ بِهَا ، وَرَفَعُوا النَّيْرَانَ ،
وَنَادُوا : يَا مَنْصُورَ ، حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا نَادَى أَصْحَابُ زَيْدٍ بِشِعَارِهِمْ وَنَارُوا ، فَأَغْلَقَ
الْحَكَمُ دُرُوبَ الشُّوقِ وَأَبْوَابَ الْمَسْجِدِ عَلَى النَّاسِ ، وَبَعَثَ إِلَى يُوسُفِ بْنِ عُمَرَ وَهُوَ بِالْحَيْرَةِ ،
فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ خَمْسِينَ فَارِسًا لِيَعْرِفُوا الْخَبَرَ ، فَسَارُوا حَتَّى عَرَفُوا الْخَبَرَ ، وَعَادُوا إِلَيْهِ .
فَسَارَتِ الْحَيْرَةُ بِأَشْرَافِ النَّاسِ ، وَبَعَثَ أَلْفِينَ مِنَ الْفُرْسَانِ وَثَلَاثَ مِائَةَ رَجَالًا مَعَهُمُ الشُّبَابُ .
وَأَصْبَحَ زَيْدٌ ، فَكَانَ جَمِيعٌ مِنْ وَاوَاهِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ مَائَتِي رَجُلٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، فَقَالَ : سُبْحَانَ
اللَّهِ ! أَيْنَ النَّاسُ ؟ فَقِيلَ : إِنَّهُمْ فِي الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ مَحْضُورُونَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا هَذَا بَعْدَ مَنْ
بَايَعَنَا .

وَأَقْبَلَ فَلَقِيهِ عَلَى جَبَّانَةِ الصَّايِدِيِّينَ خَمْسَ مِائَةَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ فِيمَنْ مَعَهُ حَتَّى
هَزَمَهُمْ ، وَانْتَهَى إِلَى دَارِ أَنَسِ بْنِ عُمَرَ الْأَزْدِيِّ - وَكَانَ فِيمَنْ بَايَعَهُ وَهُوَ فِي الدَّارِ - فَتَوَدَّى فَلَمْ
يُجِبْ ، فَنَادَاهُ زَيْدٌ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ ، فَقَالَ زَيْدٌ : مَا أَخْلَفَكُمْ ؟ قَدْ فَعَلْتُمُوهَا ، اللَّهُ حَسْبِيكُمْ . (هـ)
سَارَ إِلَى الْكُنَاسَةِ فَحَمَلَ عَلَى مَنْ بِهَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَهَزَمَهُمْ^(أ) ثُمَّ سَارَ وَيُوسُفُ بْنُ عُمَرَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ،
وَهُوَ فِي مَائَتِي رَجُلٍ ، فَلَوْ قَصَدَهُ زَيْدٌ لَقَتَلَهُ . وَالرِّبَّانُ يَتَّبِعُ آثَارَ زَيْدٍ بِالْكَوْفَةِ فِي أَهْلِ الشَّامِ ، فَأَخَذَ
زَيْدٌ فِي الْمَسِيرِ ، حَتَّى دَخَلَ الْكُوفَةَ ، فَسَارَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ إِلَى الْجَبَّانَةِ ، وَوَأَقَعُوا أَهْلَ الشَّامِ / الشَّامِ ، فَاسْتَرَ
أَهْلُ الشَّامِ مِنْهُمْ رَجُلًا ، وَمَضَوْا بِهِ إِلَى يُوسُفِ بْنِ عُمَرَ فَقَتَلَهُ . فَلَمَّا رَأَى زَيْدٌ خُذْلَانَ النَّاسِ إِلَيْهِ ،
قَالَ : قَدْ فَعَلْتُمُوهَا مُحْسِنِينَ^(ب) ، وَسَارَ ، وَهُوَ يَهْزِمُ مِنْ لَقِيهِ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ، فَجَعَلَ
أَصْحَابَهُ يُدْخِلُونَ رَايَاتِهِمْ مِنْ فَوْقِ الْبَابِ ، وَيَقُولُونَ : يَا أَهْلَ الْمَسْجِدِ اخْرُجُوا مِنَ الدُّلِّ إِلَى الْعِزِّ ،

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : حسي الله .

اخْرُجُوا إِلَى الدِّينِ والدُّنْيَا ، فَإِنَّكُمْ لَسْتُمْ فِي دِينٍ وَلَا دُنْيَا . وَزَيْدٌ يَقُولُ : وَاللَّهِ مَا خَرَجْتُ ، وَلَا قُمْتُ مَقَامِي هَذَا ، حَتَّى قَرَأْتُ الْقُرْآنَ ، وَأَثَقَنْتُ الْفَرَايِضَ ، وَأَحْكَمْتُ الشُّنْنَ والآدَابَ ، وَعَرَفْتُ التَّأْوِيلَ كَمَا عَرَفْتُ التَّنْزِيلَ ، وَفَهِمْتُ النَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ ، وَالْمُحْكَمَ وَالْمُتَشَابِهَ ، وَالْخَاصَّ وَالْعَامَّ ، وَمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ فِي دِينِهَا مِمَّا لَا بُدَّ لَهَا مِنْهُ وَلَا غِنَى لَهَا عَنْهُ ، وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي .

٥ فرمأهم أهل المسجد بالحجارة من فوق المسجد ، فأنصرف زيدٌ فيمن معه ، وخرج إليه ناسٌ من أهل الكوفة ، فنزل دار الرزق ، فاتاه الرزيان وقاتله ، وخرج أهل الشام مساء يوم الأربعاء أسوأ شيءٍ ظننا .

١٠ فلما كان من الغد ، أرسل يوسف بن عمر عدَّة عليهم العباس بن سعد المزني ، فلقبهم زيد ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أصحاب العباس ، وقتل منهم نحو من سبعين . فلما كان العشي ، عبأ يوسف بن عمر الجيوش وسرحهم ، فالتقاهم زيدٌ بمن معه ، وحمل عليهم حتى هزمهم وهو يتبعهم . فبعث يوسف طائفةً من الناسبة^a ، فرموا أصحاب زيد ، وهو يُقاتل حتى دخل الليل ، فرمى بسهم في جبهته اليسرى ثبت في دماغه . فرجع أصحابه ، ولا يظن أهل الشام أنهم رجعوا للمساء والليل ، فأنزلوا زيدا في دار ، وأتوه بطبيب فانتزع النصل ، فضج زيدٌ ومات رحمه الله ، ليلتين خلتا من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة ، وعمره اثنان وأربعون سنة .

١٥ ولما مات اختلف أصحابه في أمره ، فقال بعضهم : نطرحه في الماء ، وقال بعضهم : بل نحز رأسه ونلقيه في القتلى ، فقال ابنه يحيى بن زيد : والله لا يأكل لحم أبي الكلاب ، وقال بعضهم : ندفنه في الحفرة التي يؤخذ منها الطين ونجعل عليه الماء ، ففعلوا ذلك وأجروا عليه الماء . وكان معه مؤلى سندي فدل عليه ، وقيل رآهم قصاراً فدل عليه .

٢٠ وتفرق الناس من أصحاب زيد ، وسار ابنه يحيى نحو كربلاء ، وتتبع يوسف بن عمر الجزخي في الدور حتى دل على زيد في يوم الجمعة ، فأخرجه ، وقطع رأسه وبعث به إلى هشام بن عبد الملك ، فدفع لمن وصل به عشرة آلاف درهم ، ونصبه على باب دمشق ، ثم أرسله إلى المدينة ، وسار منها إلى مصر .

وأما جسده فإن يوسف بن عمر صلَّبه بالكُنَاسَة ، ومعه ثلاثة ممن كانوا معه ، وأقام الحرس عليه . فمكث زيدٌ مصلوباً أكثر من سنتين حتى مات هشام ، وولي الوليد من بعده ، وبعث إلى

(a) بولاق : المشية .

يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ أَنْ أَنْزَلَ زَيْدًا وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ ، فَأَنْزَلَهُ وَأَحْرَقَهُ ، وَذَرَى رَمَادَهُ فِي الرِّيحِ . وَكَانَ زَيْدٌ لَمَّا صُلِبَ وَهُوَ عُزَيَّانُ ، اسْتَرْخَى بَطْنُهُ عَلَى عَوْرَتِهِ حَتَّى مَا يُرَى مِنْ سَوْءَتِهِ شَيْءٌ .

وَمَرَّ زَيْدٌ مَرَّةً بِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ : أُعِيدُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَكُونَ زَيْدَ بْنِ عَلِيٍّ الْمَضْلُوبِ بِالْعِرَاقِ .

- ٥ وقال عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : «اللَّهُمَّ إِنَّ هِشَامًا رَضِيَ بِصَلْبِ زَيْدٍ فَاسْلُبْهُ مُلْكَهُ ، وَإِنَّ يُوسُفَ بْنَ عُمَرَ أَحْرَقَ زَيْدًا ، اللَّهُمَّ فَسَلِّطْ عَلَيْهِ مِنْ لَا يَرْحَمُهُ ، اللَّهُمَّ وَأَحْرَقِ هِشَامًا فِي حَيَاتِهِ إِنَّ شِئْتِ ، وَإِلَّا فَأَحْرِقْهُ بَعْدَ مَوْتِهِ» . قَالَ : فَرَأَيْتُ وَاللَّهِ هِشَامًا مُحْرَقًا لَمَّا أَخَذَ بِنُوحِ الْعَبَّاسِ دِمَشْقَ ، وَرَأَيْتُ يُوسُفَ بْنَ عُمَرَ بِدِمَشْقَ مُقَطَّعًا عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ دِمَشْقَ مِنْهُ عُضْوٌ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَتَاهُ وَافَقَتْ دَعْوَتُكَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ . فَقَالَ : لَا يَا بُنَيَّ ، بَلْ صُمْتُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ ، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ شَعْبَانَ ، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، كُنْتُ أَصُومُ الْأَرْبَعَاءَ وَالْخَمِيسَ وَالْجُمُعَةَ ، ثُمَّ أَدْعُو اللَّهَ عَلَيْهِمَا مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حَتَّى أَصَلِّيَ الْمَغْرِبَ .

وَبَعْدَ قَتْلِ زَيْدٍ ، انْتَقَضَ مُلْكُ بَنِي أُمَيَّةَ وَتَلَاشَى ، إِلَى أَنْ أزالَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِنُوحِ الْعَبَّاسِ .

وَهَذَا الْمَشْهَدُ بَاقٍ بَيْنَ كَيْمَانَ مَدِينَةِ مِصْرَ ، يَتَّبِعُكَ النَّاسُ بِزِيَارَتِهِ وَيَقْصِدُونَهُ ، لَا سِيَّمَا فِي يَوْمِ

- ١٥ عَاشُورَاءَ ، وَالْعَامَّةُ تُسَمِّيهِ «زَيْنَ الْعَابِدِينَ» ، وَهُوَ وَهَمٌّ ، وَإِنَّمَا زَيْنُ الْعَابِدِينَ أَبُوهُ ، وَلَيْسَ قَبْرُهُ بِمِصْرَ ، بَلْ قَبْرُهُ بِالْبَقِيْعِ .

وَلَمَّا قُتِلَ الْإِمَامُ زَيْدٌ سَوَّدَتِ الشُّيْعَةُ - أَي لَيْسَتْ السُّوَادُ - وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ سَوَّدَ عَلَى زَيْدِ شَيْخِ بَنِي

هَاشِمٍ فِي وَقْتِهِ الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ ، وَرِثَاهُ بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ ، وَشِعْرُهُ حُجَّةٌ اخْتَجَّ بِهِ سَيِّبُوئِهِ ، تُوْفِيَ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ .

٢٠

مَشْهَدُ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ

قَالَ الشَّرِيفُ النَّقِيبُ النَّسَابَةُ شَرَفُ الدِّينِ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ أَشْعَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَعْمَرِ بْنِ عُمَرَ

الْحُسَيْنِيِّ الْجَوَانِي الْمَالِكِيِّ فِي كِتَابِ «الرُّؤُورَةِ»^(a) الْأَيْسَةَ بِفَضْلِ مَشْهَدِ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : نَفِيسَةُ بِنْتُ^(b) الْحَسَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - أُمُّهَا أُمُّ

(a) بولاق : الروضة . (b) بولاق : ابنة .

وَلَدَ ، وَإِخْوَتُهَا : الْقَاسِمُ وَمُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَإِبْرَاهِيمُ وَزَيْدٌ وَعُبَيْدُ اللَّهِ وَيَحْيَى وَإِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ وَأُمُّ كَلْثُومَ ، أَوْلَادُ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، فَأُمُّهُمْ أُمُّ سَلَمَةَ ، وَاسْمُهَا زَيْنَبُ ابْنَةُ الْحَسَنِ ابْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَأُمُّهَا أُمُّ وَلَدٍ^١ .

تَزَوَّجَ أُمُّ كَلْثُومَ ، أُخْتُ نَفِيسَةَ ، عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ / عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - ثُمَّ نَخَلَ عَلَيْهِ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ . وَأُمُّا عَلِيٍّ وَإِبْرَاهِيمَ وَزَيْدَ ، إِخْوَةَ نَفِيسَةَ مِنْ أَبِيهَا ، فَأُمُّهُمْ أُمُّ وَلَدٍ تُدْعَى أُمُّ عَبْدِ الْحَمِيدِ . وَأُمُّا عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدِ ، فَأُمُّهُ الزَّائِدَةُ بِنْتُ بَشْطَامِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ قَيْسِ الشَّيْبَانِيِّ . وَأُمُّا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ فَهَذَا لِأُمِّيِّ وَلَدٍ . وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْخَيْرِ ، صَاحِبَ صَوْمٍ وَنُسُكٍ ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا . وَأُمُّا يَحْيَى بْنِ زَيْدِ فَلَهُ مَشْهُدٌ مَعْرُوفٌ بِالْمَشَاهِدِ ، يَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى^٢ .

وَتَزَوَّجَ بِنَفِيسَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - إِسْحَاقُ بْنُ جَعْفَرِ الصَّادِقِ بْنِ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ بْنِ عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - وَكَانَ يُقَالُ لَهُ إِسْحَاقُ الْمُؤْتَمَنُ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ وَالْفَضْلِ وَالِدِّينِ ، زُوِيَ عَنْهُ الْحَدِيثُ ، وَكَانَ ابْنُ كَاسِبٍ إِذَا حَدَّثَ عَنْهُ يَقُولُ : حَدَّثَنِي الثَّقَةُ الرَّضِي إِسْحَاقُ بْنُ جَعْفَرٍ . وَكَانَ لَهُ عَقِبٌ بِمِصْرَ مِنْهُمْ بَنُو الرَّقِيِّ ، وَبِحَلَبَ بَنُو زُهْرَةَ . وَلَدَتْ نَفِيسَةُ مِنْ إِسْحَاقَ وَلَدَيْنِ ، هُمَا الْقَاسِمُ وَأُمُّ كَلْثُومَ ، لَمْ يُعْقِبَا .

وَأُمُّا جَدُّ نَفِيسَةَ ، وَهُوَ زَيْدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، فَرَوَى عَنْ أَبِيهِ وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَرَوَى عَنْهُ ابْنُهُ . وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ حُصُومَةً ، وَقَدْ أُجْلِيهَا عَلَى الْوَلِيدِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ يَأْتِي الْجُمُعَةَ مِنْ ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ ، وَكَانَ إِذَا رَكِبَ نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، وَعَجِبُوا مِنْ عِظَمِ خَلْقِهِ ، وَقَالُوا : جَدُّهُ رَسُولُ اللَّهِ .

وَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَسْأَلُهُ أَنْ يُبَاعَ لِابْنِهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَيَخْلَعَ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَفَرَّقَ مِنْهُ وَأَجَابَهُ . فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ سُلَيْمَانُ ، وَجَدَ كِتَابَ زَيْدٍ بِذَلِكَ إِلَى الْوَلِيدِ ، فَكَتَبَ إِلَى

السيارة ٣١-٣٥؛ السخاوي: تحفة الأجيال ١٢٨-
١٣٦؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٢: ١٨٥-١٨٦
Ragib, Y., «Al-Sayyida Nafisa, sa légende, son
culte et son cimetiére», *SIXXLIV* (1976), pp. 61-
86, *XLV* (1977), pp. 27-55; Strothmann, R., *El*^٢
art. *al-Sayyida Nafisa* VII, p. 880 .

^٢ لم يذكره المقرئ .

^١ حاشية بخط المؤلف: وولدت السيدة نفيسة بمكة سنة
خمس وأربعين ومائة، وقدمت مصر سنة إحدى وسبعين
ومائة من المدينة، وبها نشأت .

وانظر ترجمة السيدة نفيسة، رضي الله عنها، عند
الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ١٥٩-١٩٢؛ ابن خلكان:
وفيات الأعيان ٥: ٤٢٣-٤٢٤؛ الصفدي: الوافي
بالوفيات ٢٧: ١٦٥-١٦٦؛ ابن الزيات: الكواكب

أبي بكر بن حزم أمير المدينة : « ادع زيد بن الحسن فأقره الكتاب ، فإن عرفه فاكتب إلي ، وإن هو نكل فقدمه ، فاحلف^(a) يمينه عند منبر رسول الله ﷺ أنه ما كتبه ، ولا أمر به » .

فخاف زيد الله واعترف ، فكتب بذلك أبو بكر ، فكتب سليمان أن يضربه مائة سوط ، وأن يذره عباءة ويمشيه حافيا . فحبس عمر بن عبد العزيز الرسول ، وقال : حتى أكلم أمير المؤمنين فيما كتب به في حق زيد . فقال للرسول : لا تخرج فإن أمير المؤمنين مريض . فمات سليمان ، وأحرق عمر الكتاب .

وأما والد نعيمة ، وهو الحسن بن زيد ، فهو الذي كان والي المدينة النبوية من قتل أبي جعفر عبد الله بن محمد المنصور ، وكان فاضلا أديبا عالما ، وأمه أم ولد ، توفي أبوه وهو غلام ، وترك عليه دينًا أربعة آلاف دينار ، فحلف الحسن ولده ألا يظلل رأسه سقفاً إلا سقفاً مسجد رسول الله ﷺ ، أو بيت رجل يكلمه في حاجة ، حتى يقضي دين أبيه . فوفاه ، وقضاه بعد ذلك .

ومن كرمه أنه أتى بشاب شارب متأذب ، وهو عامل على المدينة ، فقال : يا ابن رسول الله لا أعود ، وقد قال رسول الله ﷺ : « أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم » ، وأنا ابن أبي أمية بن سهل ابن حنيف ، وقد كان أبي مع أهلك كما قد علمت . قال : صدقت ، فهل أنت عائد ؟ قال : لا والله . فأقاله ، وأمر له بخمسين ديناراً ، وقال له : تزوج بها وعهد إلي . فتاب الشاب ، وكان الحسن بن زيد يُجري عليه النفقة .

وكانت نعيمة من الصلاح والزهد على الحد الذي لا مزيد عليه ، فيقال إنها حجت ثلاثين حجة . وكانت كثيرة البكاء ، تُديم قيام الليل وصيام النهار ، فقيل لها : ألا ترهقين بنفسك ؟ فقالت : كيف أرتق بنفسي وأمامي عقبة لا يقطعها إلا الفائزون .

وكانت تحفظ القرآن وتفسيره . وكانت لا تأكل إلا في كل ثلاث ليالٍ أكلة واحدة ، ولا تأكل من غير زوجها شيئاً .

وقد ذكر أن الإمام الشافعي محمد بن إدريس كان زارها ، وهي من وراء الحجاب ، وقال لها : « ادعي لي » ، وكان صاحبته عبد الله بن عبد الحكم . وماتت - رضي الله عنها - بعد موت الإمام الشافعي - رحمة الله عليه - بأربع سنين ، لأن الشافعي توفي سلخ شهر رجب سنة أربع ومائتين ، يُقال إنها فيمن^(b) صلى على الإمام الشافعي .

(a) بولاق : فأصاب . (b) بولاق : وقيل إنها كانت فيمن .

وَتُوفِّيَتِ السَّيِّدَةُ نَفِيسَةَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَمِائَتَيْنِ، ^(a) وَقِيلَ تُوْفِيَتِ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ، وَقَدْ أَقَامَتْ بِمِصْرَ سَبْعَ سِنِينَ ^(a)، وَدُفِنَتْ فِي مَنَزِلِهَا، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي بِهِ قَبْرُهَا الْآنَ، وَيُعْرَفُ بِحُطِّ دَرْبِ السَّبَاعِ وَدَرْبِ يَزْرِبِ. وَأَرَادَ إِسْحَاقُ بْنُ الصَّادِقِ - وَهُوَ زَوْجُهَا - أَنْ يَحْمِلَهَا لِيَدْفِنَهَا بِالْمَدِينَةِ، فَسَأَلَ أَهْلَ مِصْرَ أَنْ يَتْرُكَهَا، وَيَدْفِنَهَا عِنْدَهُمْ لِأَجْلِ الْبَرَكَاتِ.

وَقَبْرُ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ أَحَدُ الْمَوَاضِعِ الْمَعْرُوفَةِ بِاجَابَةِ الدُّعَاءِ بِمِصْرَ، وَهِيَ أَرْبَعَةُ مَوَاضِعٍ: سِجْنُ نَبِيِّ اللَّهِ يُوسُفَ الصُّدُوقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَسْجِدُ مُوسَى صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَهُوَ الَّذِي بَطْرًا، وَمَشْهَدُ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَالْمَخْدَعُ الَّذِي عَلَى يَسَارِ الْمُصَلِّيِّ فِي قِبْلَةِ مَسْجِدِ الْأَقْدَامِ بِالْقِرَافَةِ. فَهَذِهِ الْمَوَاضِعُ لَمْ يَزَلِ الْمِصْرِيُّونَ، مِمَّنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ أَوْ لَحِقَتْهُ فَاقَةٌ أَوْ جَائِحَةٌ، يَمْتَضُونَ إِلَى أَحَدِهَا، فَيَدْعُونَ اللَّهَ تَعَالَى، فَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ، مُجَرَّبٌ ذَلِكَ. انْتَهَى.

وَيُقَالُ إِنَّهَا حَفَرَتْ قَبْرَهَا هَذَا، وَقَرَأَتْ فِيهِ تِسْعِينَ وَمِائَةَ خَشْمَةَ، وَإِنَّهَا لَمَّا اخْتَضِرَتْ خَرَجَتْ مِنَ الدُّنْيَا، وَقَدْ انْتَهَتْ فِي جِزْبِهَا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ، كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [آيَةُ ١٢ سُورَةِ الْأَنْعَامِ]. فَفَاضَتْ نَفْسَهَا - رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى - مَعَ قَوْلِهِ ﴿الرَّحْمَةَ﴾.

وَيُقَالُ إِنَّ الْحَسَنَ بْنَ زَيْدٍ - وَالِدَ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ - كَانَ مُجَابَ الدُّعْوَةِ مَمْدُوحًا، وَإِنْ شَخْصًا وَشَى بِهِ إِلَى أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ أَنَّهُ يُرِيدُ الْخِلَافَةَ / لِنَفْسِهِ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ انْتَهَتْ ٢٢ إِلَيْهِ رِيَاةُ بَنِي حَسَنٍ، فَأَخْضَرَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَسَلَبَهُ مَالَهُ، ثُمَّ إِنَّهُ ظَهَرَ لَهُ كَذِبُ النَّاقِلِ عَنْهُ، فَمَنَّ عَلَيْهِ وَرَدَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ مُكْرَمًا. فَلَمَّا قَدِمَهَا بَعَثَ إِلَى الَّذِي وَشَى بِهِ بِهَدِيَّةٍ، وَلَمْ يَغْتَبِهِ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ.

وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ مُجَابَ الدُّعْوَةِ، فَمَرَّتْ بِهِ امْرَأَةٌ، وَهُوَ فِي الْأَبْطَحِ، وَمَعَهَا ابْنٌ لَهَا عَلَى يَدِهَا، فَاخْتَطَفَهُ عُقَابٌ، فَسَأَلَتِ الْحَسَنَ بْنَ زَيْدٍ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ لَهَا بِرَدِّهِ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَدَعَا رَبَّهُ، فَإِذَا بِالْعُقَابِ قَدْ أَلْقَى الصَّغِيرَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَضُرَّهُ بِشَيْءٍ، فَأَخَذَتْهُ أُمُّهُ. وَكَانَ يُعَدُّ بِالْفِ مِنْ الْكِرَامِ.

ولما قَدِمَت السَّيِّدَةُ نَفِيسَةُ إِلَى مِصْرَ ، مَعَ زَوْجِهَا إِسْحَاقَ بْنِ جَعْفَرٍ ، نَزَلَتْ بِالْمَنْصُوصَةِ^(a) ، وَكَانَ بِجَوَارِهَا دَارٌ فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الذُّمَّةِ ، وَلَهُمْ ابْنَةٌ مُقْعَدَةٌ لَمْ تَمُشْ قَطُّ . فَلَمَّا كَانَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ ، ذَهَبَ أَهْلُهَا فِي حَاجَةٍ مِنْ حَوَائِجِهِمْ ، وَتَرَكَوا الْمُقْعَدَةَ عِنْدَ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ ، فَتَوَضَّأَتْ وَصَبَّتْ مِنْ فَضْلِ وُضُوئِهَا عَلَى الصَّبِيَّةِ الْمُقْعَدَةَ ، وَسَمَّتْ اللَّهَ تَعَالَى ، فَقَامَتْ تَسْعَى عَلَى قَدَمَيْهَا لَيْسَ بِهَا بَأْسٌ أَلْبَتَّةُ . فَلَمَّا قَدِمَ أَهْلُهَا وَعَايَنُوهَا تَمَشِي ، أَتَوْا إِلَى السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ - وَقَدْ تَيَقَّنُوا أَنَّ مَشْيَ ابْنَتِهِمْ كَانَ بِبَرَكَاتِ دُعَائِهَا - وَأَسْلَمُوا بِأَجْمَعِهِمْ عَلَى يَدَيْهَا ، فَاشْتَهَرَ بِذَلِكَ بِمِصْرَ ، وَعُرِفَ أَنَّهُ مِنْ بَرَكَاتِهَا .



مِخْرَابُ مَشْهَدِ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ

وَتَوَقَّفَ النَّيْلُ عَنِ الزِّيَادَةِ فِي زَمَانِهَا ، فَحَضَرَ النَّاسُ إِلَيْهَا ، وَشَكَرُوا إِلَيْهَا مَا حَصَلَ مِنْ تَوَقُّفِ النَّيْلِ ، فَذَفَعَتْ قِنَاعَهَا إِلَيْهِمْ ، وَقَالَتْ لَهُمْ : أَلْقَوْهُ فِي النَّيْلِ ، فَالْقُوهُ فِيهِ ، فزَادَ حَتَّى بَلَغَ اللَّهُ بِهِ الْمَنَافِعَ .

وَأَسْرَأُ ابْنُ لَامِرَةَ ذِمِّيَّةٌ فِي بِلَادِ الرُّومِ ، فَأَتَتْ إِلَى السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ ، وَسَأَلَتْهَا الدُّعَاءَ أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ ابْنَهَا عَلَيْهَا . فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ لَمْ تَشْعُرْ الذَّمِّيَّةُ إِلَّا بِابْنِهَا وَقَدْ هَجَمَ عَلَيْهَا دَارُهَا ، فَسَأَلَتْهُ عَنْ خَبْرِهِ ، فَقَالَ : يَا أُمَّاهُ لَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَيدٌ قَدْ وَقَعَتْ عَلَى

الْقَيْدِ الَّذِي كَانَ فِي رِجْلِي ، وَقَائِلٌ يَقُولُ : أَطْلِقُوهُ قَدْ شَفَعَتْ قِيَهُ نَفِيسَةُ بِنْتُ الْحَسَنِ ، فَوَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ يَا أُمَّاهُ ، لَقَدْ كُسِرَ قَيْدِي ، وَمَا شَعَرْتُ بِنَفْسِي إِلَّا وَأَنَا وَاقِفٌ بِيَابِ هَذِهِ الدَّارِ . فَلَمَّا أَصْبَحَتِ الذَّمِّيَّةُ ، أَتَتْ إِلَى السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ ، وَقَصَّتْ عَلَيْهَا الْخَبَرَ ، وَأَسْلَمَتْ هِيَ وَابْنُهَا ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمَا .

(a) بولاق : المنصوصة .

وذكر غير واحد من علماء الأخبار^١ بمصر أن هذا قبر السيدة نفيسة بلا خلاف ، وقد زار قبرها من العلماء والصالحين خلق لا يحصى عددهم . ويقال إن أول من بنى على قبر السيدة نفيسة عبید الله بن الشري بن الحكم أمير مصر . ومكتوب في اللوح الرخام الذي على باب ضريحها - وهو الذي كان مصفحاً بالحديد - بعد التسمية ما نصه :

«نصر من الله وفتح قريب لعبيد الله ووليه ، معد أي تميم الإمام المستنصر بالله ، أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المكرمين . أمر بعمارة هذا الباب السيد الأجل أمير الجيوش ، سيف الإسلام ، ناصر الإمام^(a) ، كافل قضاة المسلمين ، وهادي دعاة المؤمنين ، عضد الله به الدين ، وأمتع بطول بقائه أمير^(b) المؤمنين ، وأدام قدرته ، وأعلى كلمته ، وشد عضده بولده الأجل الأفضل ، سيف الإمام ، جلال الإسلام ، شرف الأنام ، ناصر الدين خليل أمير المؤمنين ، زاد الله في علائه ، وأمتع المؤمنين بطول بقائه ، في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وأربع مائة»^٢ .

(a) بولاق : الأنام . (b) ساقطة من بولاق .

عليه في الإسكندرية سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م ، اشتتاب ولده الأفضل وجعله ولي عهده في جمادى الأولى من هذه السنة (أخبار مصر ١٤٧ : المقرئ : اتعاض . الحنفا ٢ : ٣٢١) وكذلك ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة ٢ / ٣ : ٢١٧-٢١٨) . ويؤكد ما جاء في هذا النص بسجل مؤرخ في ٧ محرم سنة ٤٧٩هـ/٢٥ أبريل سنة ١٠٨٦م ، تمت به الخليفة المستنصر بالله إلى دعائه باليمن ، تعرف من خلاله أن الإمام الفاطمي نقل سلطة تدر الجمالي إلى ولده الأفضل شاهنشاه في احتفال ضخم عقده بالقصر من أجل أن يتفرغ والده تدر الجمالي لتدريس علوم الأئمة والإشراف على الدعوة . (السجلات المستنصرية ، سجل رقم ١٥ عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧ : ١٨٣-١٨٥) . وعلى ذلك فليس من الغريب أن نجد اسم الأفضل شاهنشاه بألقابه الفخرية يظهر إلى جانب والده سنة =

^١ تصدّر المقرئ هنا هو الموفق بن عثمان صاحب كتاب «مؤيد الزوار إلى قبور الأبرار» ، حيث يتفق نص المقرئ تمامًا مع نص الموفق بن عثمان . (مرشد الزوار ١٩١-١٩٢) . غير أن الكتابة التاريخية التي أوردتها المقرئ تتفق أكثر مع الأسلوب الفاطمي في النصوص الإنشائية .

^٢ انظر هذا النص المهم ، الذي فقد تمامًا الآن ، عند الموفق ابن عثمان : مرشد الزوار ١٩٢ ؛ السخاوي : تحفة الأحباب ١٣٥ ؛ وكذلك عند علي مبارك : الخطط التوفيقية ٤ : ٣٠٤ van Berchem, M., *CIA Égypte I*, n° 38; (١٣٤) Wiet, G., *RCEA VII*, n° 2776; Fu'ad Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 442-43.

ويتحمل هذا النص إشارة ذات دلالة عن مشاركة الأفضل بن تدر الجمالي لوالده في السلطة في نهاية حياته . ففي نص مجمل أوردته ابن ميسر ، نعرف منه أن تدر الجمالي ، بعد أن قاد حملة لتأديب ولده الأوح الذي خرج

والقُبَّةُ التي على الصُّرِيحِ جَدَّدَهَا الخَلِيفَةُ الحَافِظُ لدين الله في سنة اثنتين وثلاثين وخمسة مائة ،
وأَمَرَ بِعَمَلِ الرِّخَامِ الذي بالمِحْرَابِ ١ .

مَشْهَدُ الشَّيْخَةِ كُلُّم^(a)

[أثر رقم ٥١٦]

- هي كُلُّم^(a) بنت القايم بن محمد بن جَعْفَرِ الصَّادِقِ بن محمد الباقِر بن عليّ زين العابدين ابن الحسن بن عليّ بن أبي طالب . مَوْضِعُهُ بِمَقَابِرِ قُرَيْشٍ بِمِصْرَ بِجِوَارِ الخَنْدَقِ . وهي أمُّ جَعْفَرِ ابنِ مُوسَى بن إسماعيل بن مُوسَى الكاظم بن جَعْفَرِ الصَّادِقِ ؛ كانت من الزَّاهِدَاتِ العَابِدَاتِ ٢ .

(a) بولاق : كلثوم .

البُلُوي ، المتوفى سنة ٧٤٠هـ / ١٣٤٠م ، في رحلته المعروفة بـ «تاج المَفْرِقِ في تحلية عُلماءِ المَشْرِيقِ» وَضَعًا نادرًا لمشهد الشَّيْخَةِ نَفِيسَةَ في النصف الأول من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، نشره يوسف راغب . (انظر ، Ragib Y., «Une description arabe du mausolée d' al-Sayyida Nafisa au Caire», *Arabica* XXIII (1976), pp. 37-41 .

وانظر كذلك فيما تقدم ٢١٤ .

٢ ما يزال مَشْهَدُ الشَّيْخَةِ كُلُّمِ قائمًا في شارع الإمام الشافعي بجوار مَشْهَدِي يحيى الشَّيْبِ والقاسم الطَّيِّبِ . (راجع ، الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ٢٦٢ ؛ ابن الزيات : الكواكب السيارة ٩٦ ، Creswell, K.A.C., *MAE* I, pp. 236-38 ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ١ : ٦٢٩-٦٣٩) .

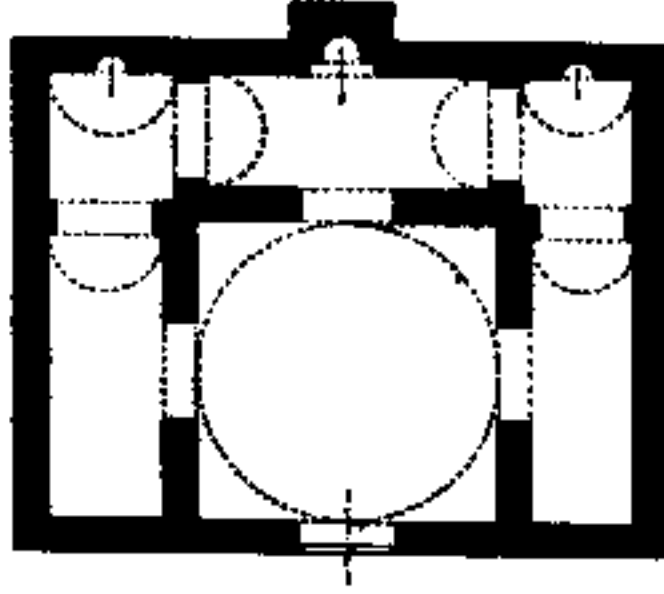
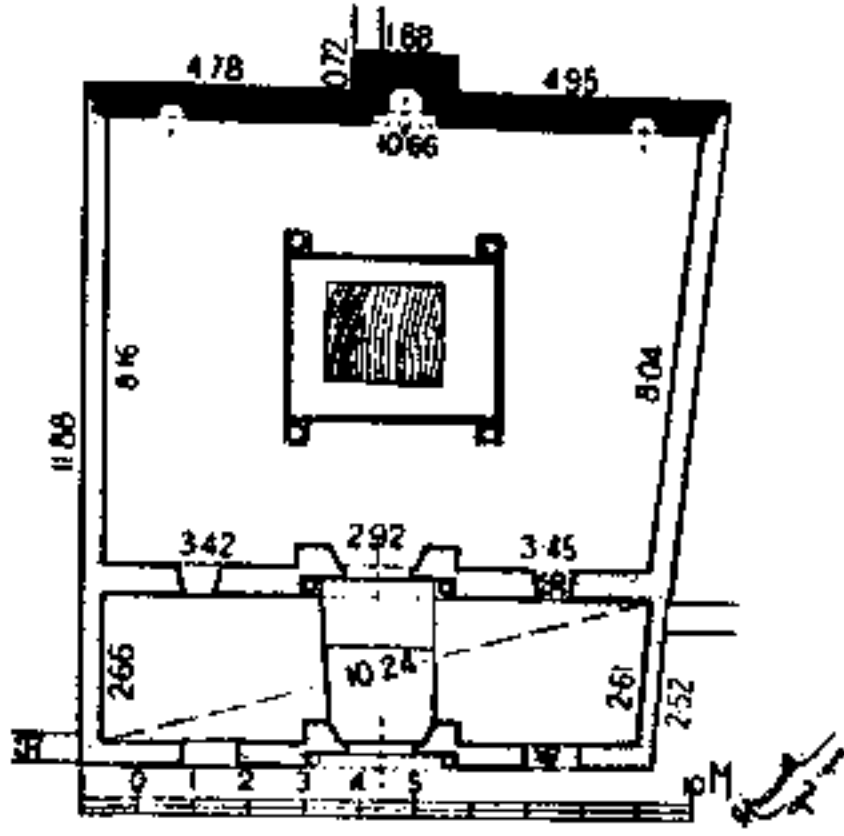
١٠٩٨هـ / ١٨٨٢م في الكتابة التاريخية الموجودة بالمَشْهَدِ الثَّقَيْسِيِّ . (أمين فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢١٧-٢١٨) .

١ الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ١٩٢ .

ويرجع المَشْهَدُ الثَّقَيْسِيُّ الموجود الآن إلى عام ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م ، ولم يبقَ من المَشْهَدِ نفسه أيُّ أثرٍ ، فيما عدا الموقع نفسه وميخرابٌ حَشَبِيٌّ مُتَنَقِّلٌ محفوظٌ الآنَ بِمُتَحَفِ الفن الإسلامي بالقاهرة . (راجع ، Ravaisse, P., «Sur trois mihrâbs en bois sculpté», *MIE* II/2 (1889), pp. 661-65; Creswell, K.A.C. *MAE* I, pp. 257-58; Behrens-Abouseif, D., «The Lost Minaret of Shajarat al-Durr at the Complex in the Cemetery of Sayyida Nafisa», *MDAIK* XXXIX (1983), pp. 4-7; Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 441-46

ومقال يوسف راغب المذكور في صفحة ٨٣٨هـ ١ .

وقَدَّمْ لَنَا الرَّوْحَالَةَ الأَنْدَلُسِيَّ أبو البَغَاءِ خَالِدُ بنِ عَمِيْسَى



مخطط مشهد السيدة كائم

سناوشنا

يُقالُ إنَّهما من أولادِ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدِ الصَّادِقِ . كانتا تَتْلوانِ القُرْآنَ الكَرِيمَ في كُلِّ لَيْلَةٍ فَمَاتَتْ إِحْدَاهُمَا ، فَصَارَتْ الأُخْرَى تَتْلُو وَتُهْدِي ثَوَابَ قِرَاءَتِهَا لِأُخْتِهَا حَتَّى مَاتَتْ^١ .

^١ ابن الزيات : الكواكب السيارة ٢٠١ ، وفيه : أنَّها تُؤبِّئُ ذاتِ بَاتِينَ عبارة عن حوشٍ لطيفٍ بغيرِ سَنَفٍ .

ذِكْرُ مَقَابِرِ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ الْمَشْهُورَةِ

القَبْرُ مَدْفَنُ الْإِنْسَانِ ، وَجَمْعُهُ قُبُورٌ ؛ وَالْمَقْبَرَةُ مَوْضِعُ الْقَبْرِ . قَالَ سِيبَوَيْهِ : الْمَقْبَرَةُ لَيْسَ عَلَى الْفِعْلِ ، وَلَكِنَّهُ اسْمٌ ، وَقَبْرَهُ يَقْبُرُهُ : دَفَنَهُ ، وَأَقْبَرَهُ : جَعَلَ لَهُ قَبْرًا ^١ .

وَاعْلَمْ أَنَّ لِأَهْلِ مَدِينَةِ مِصْرَ وَأَهْلِ الْقَاهِرَةِ عِدَّةَ مَقَابِرَ ، وَهِيَ «الْقَرَّافَةُ» ، فَمَا كَانَ مِنْهَا فِي سَفْحِ الْجَبَلِ يُقَالُ لَهُ «الْقَرَّافَةُ الصُّغْرَى» ، وَمَا كَانَ مِنْهَا فِي شَرْقِ مِصْرَ بِجِوَارِ الْمَسَاكِينِ يُقَالُ لَهُ «الْقَرَّافَةُ الْكُبْرَى» . وَفِي الْقَرَّافَةِ الْكُبْرَى كَانَتْ مَدَافِنُ أَمْوَاتِ الْمُسْلِمِينَ مِنْذُ افْتَتِحَتْ أَرْضُ مِصْرَ ، وَاحْتَطَّتْ الْعَرَبُ مَدِينَةَ الْفُسْطَاطِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَقْبَرَةٌ سِوَاهَا .

فَلَمَّا قَدِمَ الْقَائِدُ جَوْهَرُ بْنُ قَبَلِ الْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ وَبَنَى الْقَاهِرَةَ وَسَكَنَهَا الْخُلَفَاءُ ، اتَّخَذُوا بِهَا تَرْبَةً / عُرِفَتْ بِـ «تَرْبَةِ الزُّعْفَرَانِ» ، قَبَرُوا فِيهَا أَمْوَاتَهُمْ ^٢ ، وَدَفَنَ رَعِيَّتَهُمْ مِنْ مَاتَ مِنْهُمْ فِي الْقَرَّافَةِ ، إِلَى أَنْ اخْتَطَّتِ الْحَارَاتُ خَارِجَ بَابِ زَوَيْلَةَ ، فَقَبَرَتْ سُكَّانَهَا مَوْتَاهُمْ خَارِجَ بَابِ زَوَيْلَةَ مِمَّا يَلِي الْجَبَلَ ^٣ ، فِيمَا بَيْنَ جَامِعِ الصَّالِحِ وَقَلْعَةِ الْجَبَلِ ، وَكَثُرَتْ الْمَقَابِرُ بِهَا عِنْدَ مُحْدُوثِ الشَّدَّةِ الْعُظْمَى أَيَّامَ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَنْصِرِ .

ثُمَّ لَمَّا مَاتَ أَمِيرُ الْجُيُوشِ بَدْرُ الْجَمَالِيِّ دُفِنَ خَارِجَ بَابِ النَّصْرِ ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ هُنَالِكَ مَقَابِرَ مَوْتَاهُمْ ، وَكَثُرَتْ مَقَابِرُ أَهْلِ الْحُسَيْنِيَّةِ فِي هَذِهِ الْجِهَةِ ^٤ . ثُمَّ دَفَنَ النَّاسُ الْأَمْوَاتَ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي عُرِفَ بِمِيدَانِ الْقَبْقَبِ ، فِيمَا بَيْنَ قَلْعَةِ الْجَبَلِ وَقُبَّةِ النَّصْرِ ، وَبَنُوا هُنَاكَ التَّرْبَ الْجَلِيلَةَ ^٥ ، وَدَفَنَ النَّاسُ أَيْضًا خَارِجَ الْقَاهِرَةِ فِيمَا بَيْنَ بَابِ الْفُتُوحِ وَالْحَنْدَقِ .

(a) بولاق : الجامع .

^٣ فيما تقدم ٣ : ٦٣ ، ٣٦٨ ، ٤٦٢ .^٤ فيما تقدم ٣ : ٣٧٦ .^١ سيبويه : الكتاب ٤ : ٥٩ .^٢ فيما تقدم ٢ : ٣٥١ - ٣٥٣ .

ولكل مقبرة من هذ المقابر أنخبار ، سوف أقص عليك من أنبائها ما انتهت إلى معرفته قدرتي
إن شاء الله تعالى .

*
* *

ويتذكر أهل العناية بالأمور المتقدمة أن الناس في الدهر الأول لم يكونوا يدفنون موتاهم إلى أن
كان زمن دوناي - الذي يدعى سيد البشر ، لكثرة ما علم الناس من المنافع - فشكا إليه أهل زمانه
ما يتأذون به من خبث موتاهم ، فأمرهم أن يدفنهم في خواصي ، ويسدوا رؤوسها ، ففعلوا ذلك .
فكان دوناي أول من دفن الموتى .

وذكر أن دوناي هذا كان قبل آدم بدهر طويل ، مبلغه عشرون ألف سنة ، وهي دعوى لا
تصح . وفي القرآن الكريم ما يقتضي أن قابيل بن آدم أول من دفن الموتى ، والله أصدق القائلين .
وقد قال الشافعي ، رحمه الله : وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً ، مخافة الفتنه
عليه وعلى من بعده .

ذكر القرافة

روى الترمذي من حديث أبي طيبة عبد الله بن مسلم ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه -
رفعه - : «من مات من أصحابي بأرض ، بيعت قائداً ونورا لهم يوم القيامة» . قال : وهذا حديث
غريب ، وقد روي عن أبي طيبة عن ابن بريدة مرسلًا ، وهذا أصح .^١

قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب «فتوح مصر» : حدثنا
عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد ، قال : سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه
سفع المقطم بسبعين ألف دينار ، فعجب عمرو من ذلك ، وقال : أكتب في ذلك إلى أمير
المؤمنين . فكتب بذلك إلى عمر - رضي الله عنه - فكتب إليه عمر : «سله لِمَ أعطاك به ما

^١ يشير المقرئ إلى الآية رقم ٣١ سورة المائدة .
^٢ الترمذي : الجامع الصحيح ١٣ : ١٤٥ (باب المناقب) ، ونص الحديث فيه : «ما من أحد من أصحابي يمت بأرض إلا بيعت قائداً ونورا لهم يوم القيامة» ؛ الموفق ابن عثمان : مرشد الزوار ١٢ - ١٣ .

أَعْطَاكَ، وَهِيَ لَا تُزْدَرَعُ، وَلَا يُسْتَنْبَطُ بِهَا مَاءٌ، وَلَا يُنْتَفَعُ بِهَا؟». فَسَأَلَهُ فَقَالَ: إِنَّا لَنَجِدُ صِفَتَهَا فِي الْكُتُبِ أَنَّ فِيهَا غِرَاسَ الْجَنَّةِ. فَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: «إِنَّا لَا نَعْلَمُ غِرَاسَ الْجَنَّةِ إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ، فَاقْبُرْ فِيهَا مَنْ مَاتَ قِبْلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَبِعْهُ بِشَيْءٍ».

٥. فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ دُفِنَ فِيهَا رَجُلٌ مِنَ الْمَعَاوِرِ^(a)، يُقَالُ لَهُ عَامِرٌ، فَقِيلَ عُمِرَتْ. فَقَالَ الْمُقَوِّسُ لِعُمَرُو: مَا ذَلِكَ، وَلَا عَلَى هَذَا عَاهَدْتَنَا. فَقَطَعَ لَهُمُ الْحَدَّ الَّذِي بَيْنَ الْمَقْبَرَةِ وَبَيْنَهُمْ^١.
 وَعَنْ ابْنِ لَهَيْعَةَ: أَنَّ الْمُقَوِّسَ قَالَ لِعُمَرُو: «إِنَّا لَنَجِدُ فِي كِتَابِنَا أَنَّ مَا بَيْنَ هَذَا الْجَبَلِ وَحَيْثُ نَزَلْتُمْ، يَثْبُتُ فِيهِ شَجَرُ الْجَنَّةِ». فَكَتَبَ بِقَوْلِهِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ: «صَدَقَ، فَاجْعَلْهَا مَقْبَرَةً لِلْمُسْلِمِينَ»^٢. فَقَبِرَ فِيهَا يَمُنُّ عُرْفٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 ١٠. خَمْسَةٌ نَفَرٌ: عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ السُّهْمِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خُذَافَةَ السُّهْمِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَزْءِ الزُّبَيْدِيِّ، وَأَبُو بَصْرَةَ^(b) الْغِفَارِيُّ، وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرِ الْجُهَنِيِّ، وَيُقَالُ: وَمَسْلَمَةُ بْنُ مَخْلَدِ الْأَنْصَارِيِّ^٣. انْتَهَى.

ويُقَالُ: إِنَّ عَامِرًا هُوَ الَّذِي كَانَ أَوَّلَ مَنْ دُفِنَ بِالْقَرَافَةِ، قَبْرُهُ الْآنَ تَحْتَ حَائِطِ مَسْجِدِ الْفَتْحِ الشَّرْقِيِّ، وَقَالَتْ فِيهِ امْرَأَةٌ مِنَ الْعَرَبِ:

١٥ [السريع]

قَامَتْ تَبْكِيهِ^(c) عَلَى قَبْرِهِ مَنْ لِي مِنْ بَعْدِكَ يَا عَامِرُ
 تَرَكْتَنِي فِي الدَّارِ ذَا غُرْبَةٍ قَدْ ذُلُّ مِنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ

- وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ فِي «تَارِيخِ مِصْرَ»، مِنْ حَدِيثِ حَزْمَلَةَ ابْنِ عِمْرَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ أَبِي مُدْرِكِ الْخَوْلَانِيِّ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ وَهْبِ الْخَوْلَانِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ فِي سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، وَمَعَنَا الْمُقَوِّسُ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: يَا مُقَوِّسُ، مَا بَالُ جَبَلِكُمْ هَذَا أَقْرَعُ، لَيْسَ عَلَيْهِ نَبَاتٌ وَلَا شَجَرٌ عَلَى نَحْوِ بِلَادِ الشَّامِ؟ فَقَالَ: لَا أَذْرِي،

(a) بولاق: المغافر. (b) بولاق: أبو بصيرة. (c) بولاق: بواكيه.

^٢ نفسه ١٥٧؛ السيوطي: حسن المحاضرة ١: ١٣٧.

^٣ نفسه ١٥٧؛ نفسه ١: ١٣٧.

^١ ابن عبد الحكم: فتوح مصر ١٥٦، ١٥٧؛ أبو

المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ٣٦؛ السيوطي: حسن المحاضرة

١: ١٣٧؛ وانظر فيما تقدم ١: ٣٣٦.

ولكن الله أَعْنَى أَهْلَهُ بهذا التَّيْلِ عن ذلك ، و لكنه نَجِدُ تحتَهُ ما هو خَيْرٌ من ذلك . قال : وما هو ؟ قال : لِيُدْفَنَ تحتَهُ - أو لِيُقْبَرَ ن تحتَهُ - قَوْمٌ يَعْتَبُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا حِسَابَ عَلَيْهِم . قال عَمْرُو : اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْهُمْ . قال حَزْمَلَةُ بنِ عِمْرَانَ : فرأيتُ قَبْرَ عَمْرُو بنِ العاصِ ، وَقَبْرَ أَبِي بَصْرَةَ (a) ، وَقَبْرَ عُقْبَةَ بنِ عامِرٍ فِيهِ .

وخرَجَ أبو عيسى التِّرْمِذِيُّ ، من حَدِيثِ أَبِي طَيِّبَةَ عبدِ اللهِ بنِ مُسْلِمٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ بُرَيْدَةَ ، عن أبيهِ - رَفَعَهُ - : «مَنْ ماتَ من أَصْحَابِي بأَرْضٍ بُعثَ قائِداً لَهُم وَنُوراً لَهُم (b) يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ١ . وقال القاضي أبو عبد الله بن محمد بن سلامة القُضَاعِيُّ : القَرافَةُ هُم بنو غَضِّ بنِ سَيْفِ ابنِ وائلٍ من (c) المَعافِرِ (d) ، وفي نُسخةِ بنو غُضُنٍ ٢ .

وقال أبو عَمَرَ (d) الكِنْدِيُّ : بنو مَحْصَنِ بنِ سَيْفِ بنِ وائلٍ بنِ الجِيزِيِّ بنِ شِراخِيبِلِ / ابنِ المَعافِرِ (d) بنِ يَعْفُرٍ ، وقيل إنَّ قَرافَةَ اسمُ أُمِّ عُرَافِرٍ وَجَحْضِ ابْنِ سَيْفِ بنِ وائلٍ بنِ الجِيزِيِّ ٣ ، قد صَحَّفَ القُضَاعِيُّ في قَوْلِهِ «غُضُنٌ» بِالغَيْنِ المَعجمةً ، والأقْرَبُ ما قاله الكِنْدِيُّ ؛ لأنَّهُ أَقْعَدُ بِذلك .

وقال ياقوتُ : والقَرافَةُ - بفتحِ القافِ ورائِ مُخَفَّفَةٌ وألِفٌ خَفِيفَةٌ وفاءً - الأوَّلُ : مَقْبَرَةٌ بِمِصرَ مشهورةٌ ، مُسَمَّاةٌ بِقَبِيلَةٍ مِنَ المَعافِرِ يُقالُ لَهُم «بنو قَرافَةَ» . الثاني : القَرافَةُ مَحَلَّةٌ بِالإسْكَندَرِيَّةِ ، منسوبةٌ إلى القَبِيلَةِ أَيْضاً ٤ .

وقال الشَّرِيفُ مُحَمَّدُ بنُ أَسْعَدِ الجَوَانِي في كِتَابِ «النُّقْطِ» - وقد ذَكَرَ جَماعَةَ القَرافَةَ الَّذِي يُقالُ لَهُ اليَوْمَ جَماعَةُ الأَوْلِياءِ - : وكانَ جَماعَةً مِنَ الرُّؤَساءِ يَلْزَمُونَ النُّومَ بِهذا الجَماعِ ، وَيَجْلِسُونَ في لِيالي

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : بن . (c) بولاق : أبو عمرو . (d) بولاق : المعافر .

١ ابن يونس : تاريخ (تاريخ المصريين) ٣٧٤ - ٣٧٥ ؛
السيوطي : حسن المحاضرة ١ : ١٣٨ ؛ وقارن الموفق ابن
عثمان : مرشد الزوار ١٤٠ - ١٤١ .
٢ عند أبي المحاسن : «القَرافَةُ سُمِّيتْ بِطائفةٍ مِنَ المَعافِرِ
يُقالُ لَهُمُ القَرافَةُ ، نَزَلُوا هُناكَ» . (النجوم الزاهرة ١ : ٣٦) .
٣ فيما يلي ٨٥٩ .
٤ ياقوت : معجم البلدان ٤ : ٣١٧ ؛ وانظر كذلك ابن
حوقل : صورة الأرض ١٤٧ : ٥ ؛ المقدسي : أحسن
التقاسم ٢٠٩ : ١٢ ؛ ديوان تميم بن المعز الفاطمي ٢٧ ؛
الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ١١ ؛ ابن الزيات :
الكواكب السيارة ١٧٩ : ١٠ ، ١٦ ؛ الزبيدي : تاج
العروس ٦ : ٢١٩ - ٢٢٠ .

الصَّيْفِ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْقَمَرِ فِي صَحْنِهِ ، وَفِي الشِّتَاءِ يَنَامُونَ عِنْدَ الْمِنْبَرِ ، وَكَانَ يَحْضُلُ لَقِيمَهُ
الْأَشْوِيَّةَ^(a) وَالْحَلْوَى وَالْجِرَايَاتِ .

وَكَانَ النَّاسُ يُجِثُّونَ هَذَا الْمَوْضِعَ ، وَيَلْزَمُونَهُ لِأَجْلِ مَنْ يَحْضُرُ مِنَ الرُّؤَسَاءِ ، وَكَانَتِ الطُّفَيْلِيَّةُ
يَلْزَمُونَ الْمَبِيتَ فِيهِ لِيَالِي الْجُمُعِ ، وَكَذَلِكَ أَكْثَرَ الْمَسَاجِدِ الَّتِي بِالْقَرَاةِ وَالْجَبَلِ وَالْمَشَاهِدِ ، لِأَجْلِ مَا
يُحْمَلُ إِلَيْهَا ، وَيُعْمَلُ فِيهَا مِنَ الْحَلَاوَاتِ وَاللُّخُومَاتِ وَالْأَطْعِمَةِ^١ .

وَقَالَ^(b) عَلِيُّ بْنُ^(b) مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ فِي كِتَابِ «الْمَغْرِبِ فِي أَحْبَارِ الْمَغْرِبِ» : وَبِتُّ
لِيَالِي كَثِيرَةً بِقَرَاةِ الْفُسْطَاطِ ، وَهِيَ فِي شَرْقِيهَا ، بِهَا مَنَازِلُ الْأَعْيَانِ بِالْفُسْطَاطِ وَالْقَاهِرَةِ ، وَقُبُورُ
عَلَيْهَا مَبَانٍ مُعْتَنَى بِهَا ، وَفِيهَا الْقُبَّةُ الْعَالِيَةُ الْعَظِيمَةُ الْمَزْخَرَفَةُ الَّتِي فِيهَا قَبْرُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ - وَبِهَا مَسْجِدٌ جَامِعٌ ، وَتُرِبٌ كَثِيرَةٌ عَلَيْهَا أَوْقَافٌ لِلْقُرَاءِ ، وَمَدْرَسَةٌ كَبِيرَةٌ لِلشَّافِعِيَّةِ . وَلَا تَكَادُ
تَخْلُو مِنْ طَرَبٍ ، وَلَا سِيَّمَا فِي اللَّيَالِي الْمَقْمِرَةِ ، وَهِيَ مَعْظَمُ مُجْتَمَعَاتِ أَهْلِ مِصْرَ ، وَأَشْهَرُ
مَتَنَزَّهَاتِهِمْ ، وَفِيهَا أَقُولُ :

[الكامل]

دُنْيَا وَأُخْرَى فَهِيَ نِعَمَ الْمَنْزِلُ	إِنَّ الْقَرَاةَ قَدْ حَوَتْ ضِدَّيْنِ مِنْ
وَيَطُوفُ حَوْلَ قُبُورِهَا الْمُتَبَتِّلُ	يُغْشَى الْخَلِيعُ بِهَا السَّمَاعَ مُوَاصِلًا
لَحْنٌ يَكَادُ يَذُوبُ مِنْهُ الْجَنْدَلُ	كَمْ لَيْلَةٌ بِثَنَا بِهَا وَنَدِيمُنَا
فَكَأَنَّمَا قَدْ فَاضَ مِنْهُ جَدْوَلُ	وَالْبَدْرُ قَدْ مَلَأَ الْبَسِيطَةَ نُورَهُ
لَمَّا تَكَامَلَ وَجْهُهُ الْمُتَهَلَّلُ ^٢	وَبَدَا يُضَاحِكُ أَوْجُهَا حَاكِيَتَهُ

وَفَوْقَ الْقَرَاةِ مِنْ شَرْقِيهَا جَبَلُ الْمَقْطَمِ ، وَلَيْسَ لَهُ عُلوٌّ وَلَا عَلَيْهِ اخْضِرَارٌ ، وَإِنَّمَا يُقْصَدُ لِلبَرَكَةِ ،
وَهِوَ نَبِيهِ الدُّكْرُ فِي الْكُتُبِ ، وَفِي سَفْحِهِ مَقَابِرُ أَهْلِ الْفُسْطَاطِ وَالْقَاهِرَةِ^٣ .

وَالْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مَقْبَرَةٌ أَعْجَبُ مِنْهَا ، وَلَا أَتْبَهَى وَلَا أَعْظَمُ وَلَا أَنْظَفُ مِنْ
أَبْنَيْتِهَا وَقِيَابِهَا وَحُجْرِهَا ، وَلَا أَعْجَبُ ثُرْبَةً مِنْهَا كَأَنَّهَا الْكَافُورُ وَالزُّعْفَرَانُ ، مَقْدَسَةٌ فِي جَمِيعِ
الْكُتُبِ ، وَحِينَ تُشْرِفُ عَلَيْهَا تَرَاهَا مَدِينَةً بَيْضَاءَ ، وَالْمَقْطَمُ عَالٍ عَلَيْهَا كَأَنَّهُ حَائِطٌ مِنْ وَرَائِهَا .

(a) بولاق : الأشربة . (b-b) إضافة اقتضاها السياق .

^١ فيما تقدم ٢٩١ .

^٢ فيما تقدم ١ : ٣٣٥ - ٣٣٨ .

^٣ ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ١٠١ - ١١١ .

وقال شافع بن علي^١:

[الطويل]

تَعَجَّبْتُ مِنْ أَمْرِ الْقَرَاةِ إِذْ عَدَّتْ عَلَى وَحْشَةِ الْمَوْتَى لَهَا قَلْبُنَا يَضْبُو
فَأَلْفَيْتُهَا مَاوَى الْأَحِبَّةِ كُلِّهِمْ وَمُسْتَوَظِنَ الْأَحْبَابِ يَضْبُو لَهُ الْقَلْبُ

وقال الأديب أبو سعيد^(a) محمد بن أحمد العميدي^٢:

[الوافر]

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرِي لَمْ أَجِدْ لِي مَقَرَّ عِبَادَةٍ إِلَّا الْقَرَاةَ
لَيْسَ لَمْ يَزْحَمِ الْمَوْلَى اجْتِهَادِي وَقَلَّةَ نَاصِرِي لَمْ أَلْقَ رَاقَةَ^٣

واعلم أن الناس في القديم إنما كانوا يقبرون موتاهم فيما بين مسجد الفتح وسفح المقطم،
واتخذوا الثرب الجليلة أيضا فيما بين مصلى خولان وخطبة المغافر^(b) - التي موضعها الآن كيمان
ثراب - وتعرف الآن بـ «القرافة الكبرى»^٤.

(a) في النسخ: أبو سعيد. (b) بولاق: خط المغافر.

وقرافة القاهرة، إضافة إلى ما يُذكر في الهامش التالي:
Mehren, A., «Revue des monuments funéraires
de Kerafa ou de la ville des morts hors du Caire»,
*Bulletin de l'Académie impériale de Sciences de
St. Petersburg XVI* (1871), pp. 494-526; id.,
«Tableau général des Monuments religieux du
Caire», *Ibid XVI* (1871), pp. 530-63; Massignon,
L., «La Cité des morts au Caire (Qarâfa - Darb
al-Ahmar)», *BIFAO LVII* (1958), pp. 25-79;
Ragib, Y., *Le Cimetière de Misr de la conquête
arabe à la conquête fatimide 20/640 - 358/969*,
Thèse pour le doctorat du 3^e cycle, Université de
Paris III, 1972; id., «Sur un groupe de mausolée
du Cimetière du Caire», *REI XL/1* (1972), pp.
189-95; id., «Sur deux monuments funéraires du
Cimetière d'al-Qarâfa al-Kubrâ au Caire»,
An. Isl. XII (1974); pp. 67-83; Williams, C.,
«The Cult of 'Alid Saints in the Fatimid
Monuments of Cairo. Part II: The Mausolea»,
Muqarnas III (1985), pp. 39-60; Gayraud, R.-P.,

^١ انظر عن شافع بن علي، فيما تقدم ٨٦:١.
^٢ أبو سعيد محمد بن أحمد العميدي الكاتب، كان
يتولّى ديوان الترتيب في آخر عهد الحاكم بأمر الله وأول عهد
خلفه الظاهر لإعزاز دين الله، وعزل عنه سنة ٤١٣هـ/
١٠٢٢م، وتولّى كذلك ديوان الإنشاء في أيام المنتصر
بالله، عوضًا عن ولي الدولة بن خيران، وتوفي في
جمادى الآخرة سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م. وهو مؤلف كتاب
«الإبانة عن سرقات المتنبّي»، الذي نشره إبراهيم الدسوقي
البساطي، وصدر عن دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦١.
(راجع، ياقوت: معجم الأدباء ١٧: ٢١٢-٢١٣؛
القفطي: إنباه الرواة ٣: ٤٦-٤٧؛ الصفدي: الوافي
بالوفيات ٢: ٧٥-٧٦، وانظر كذلك المسبحي: أخبار
مصر ١٣-١٤).

^٣ انظر هذه الأبيات كذلك عند ياقوت: معجم البلدان
٤: ٣١٧.

^٤ راجع عن «القرافة الكبرى» وعن قرافة مصر المُشطاط

فلما دَفَنَ الملكُ الكاملُ محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ابنه ، في سنة ثمانٍ وستٍ مائة ، بجوار قبر الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، وبَنَى القُبَّةَ العظيمةَ على قبر الشافعي^١ ، وأجرى لها الماء من بركة الحبش بقناطرٍ مُتصلةٍ منها^٢ ، نَقَلَ النَّاسُ الأئبنة من القرافة الكبرى إلى ما حوَلَ الشافعي ، وأنشأوا هناك الثَّرب ، فعُرِفَتْ بـ «القرافة الصُّغرى» ، وأخذت عمائرُها في الزيادة ، وتلاشى أمرُ تلك^٣ .

وأما القِطعةُ التي تلي قلعةَ الجبل فتجددت بعد السبع مائة من سني الهجرة . وكان ما بين قبة الإمام الشافعي - رحمة الله عليه - وباب القرافة ميدانًا واحدًا تتسابق فيه الأمراء والأجناد ، ويجتمع الناس هنالك للتفرُّج على السباق ، فتصيرُ الأمراءُ تُسابقُ على جِدة ، والأجنادُ تُسابقُ في جهةٍ وهم مُنفردون عن الأمراء ، والشروطُ في السباق من تربة الأمير يتدرا إلى باب القرافة . ثم استجدَّ أمراءُ دولة الناصر محمد بن قلاوون في هذه الجهة الثَّرب ، فبَنَى الأميرُ ^(a) التُّركماني ، والأميرُ طَقْتَمُرُ الدَّمشقي ، والأميرُ قُوضون وغيرهم من الأمراء . وتبعهم الجندُ وسائرُ الناس ، فبنوا الثَّرب والخوانك والأسواق والطواحين والحمامات ، حتى صارَت العِمارةُ من بركة الحبش إلى باب القرافة ، ومن حدِّ مساكن مصر إلى الجبل^٤ .

(a) بولاق : بلغا .

^١ فيما يلي ٩١١ .
^٢ هذه إشارة إلى تجديد الملك الكامل لقناطر أحمد ابن طولون ، وليست إنشاءً جديدًا قام به هو . (انظر فيما يلي ٨٩٣) .
^٣ انظر فيما تقدم ٢: ٢٩٦ ، وفيما يلي ٩٠٩ - ٩١٢ .
^٤ المقرئزي : السلوك ٢ : ٥٤٠ .
 ومنطقة باب القرافة هي المنطقة الواقعة جنوب ميدان السيدة عائشة الحالي ، وعُرِفَتْ بذلك لوقوعها خارج باب القرافة ، أجد أبواب شور صلاح الدين الذي بناه بهاء الدين قراقوش ليحيط بالقاهرة والقلعة والمسطاط ، وسُمِّي بذلك لأنه يُخْرَجُ منه إلى القرافة . وتمَّ الكشف عن باب القرافة =

«Istabl 'Antar (Fostat). Rapport de fouilles», *An. Isl.* XXII (1986), pp. 126, XXIII (1987), pp. 55-71, XXV (1991), pp. 57-87, XXVII (1993), pp. 225-32, XXVIII (1994), pp. 1-27, XXIX (1995), pp. 1-24; Fu'ad Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 457-53, 643-64; Gayraud, R.-P., «Le Qarâfa al-kubrâ, dernière demeure des Fatimides», *L'Égypte fatimide*, Paris 1999, pp. 443-64; Taylor, Chr., *In the Vicinity of the Righteous. Ziyara and the Veneration of the Muslim Saints in Late Medieval Egypt*, Leiden 1999; Hani Hamza, *The Northern Cemetery of Cairo*, AUC 2001 .
 محمد حمزة إسماعيل الحداد : قرافة القاهرة في عصر سلاطين المماليك ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار - جامعة القاهرة ١٩٨٧ .

وانقسمت الطرُق في القِرافة، وتعددت بها / الشوارع، ورغب كثير من الناس في سُكناها، لعظم القصور التي أنشئت بها، وسُميت بـ «الترب»، ولكثرة تعاهد أصحاب الترب لها، وتواتر صدقاتهم ومبراتهم لأهل القِرافة.

وقد صنّف الناس فيمن قَبِرَ بالقِرافة، وأكثروا من التأليف في ذلك، ولست بصدد شيء مما صنّفوا في ذلك^١، وإنما غرضي أن أذكر ما تشتمل عليه القِرافة.

*
* *

وفي سنة ثلاث وثلاثين وأربع مائة ظهر بالقِرافة شيء، يُقال له القَطْرُبة، تنزل من جبل المقطم، فاخترت جماعة من أولاد سُكّانها، حتى رحل أكثرهم خوفاً منها. وكان شخص من أهل كِبارة مصر - يُعرف بحميد القوال - خرج من إطفح على حماره، فلما وصل إلى حلوان عشاء، رأى امرأة جالسة على الطريق، فشكت إليه ضعفاً وعجزاً فحملها خلفه، فلم يشفر بالحمار إلا وقد سقط، فنظر إلى المرأة، فإذا بها قد أخرجت جوف الحمار بمخاليبها، ففر وهو يعضد إلى والي مصر، وذكر له الخبر، فخرج بجماعته إلى الموضع، فوجد الدابة قد أكل جوفها. ثم صارت بعد ذلك تتبع الموتى بالقِرافة، وتنبش قبورهم، وتأكل أجوافهم، وتتركهم مطروحين، فامتنع الناس من الدفن في القِرافة زمناً حتى انقطعت تلك الصورة.

«هدم القباب والمدافن الكائنة بالقِرافة تحت المقلعة خوفاً من تترس المخارين بها» حيث هدموها بواسطة البارود والألغام. (عجائب الآثار ٣: ٢٦٤-٢٦٥).

^١ من أهم هذه المؤلفات التي وصلت إلينا، «مُرشد الزُّوار إلى قبور الأبرار» للمؤلفين عثمان، والكواكب الشيرة في ترتيب الزيارة لابن الزُّيات، و«تحفة الأحياب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات» لنور الدين الشخاوي الحنفي و«مضباح الدياجي» لابن عَيْن الفضلاء؛ وراجع كذلك مقال يوسف راغب Ragib, Y., «Essai d'inventaire chronologique des guides à l'usage des pèlerins du Caire», REI XLI/2 (1973), pp. 259-80

تقدم ١: ٢٧-٣٠.

= سنة ١٩٤٣، وهو يقع بجوار باب قايتباي بالسيدة عائشة من جهته الجنوبية، ولا يزال العقْد الداخلي للباب قائماً وتوجد تفاصيل مخططة تحت الرُدم حولها تحنق بسور مستدير من جهة شارع الأقدام. أمّا باب قايتباي فقد أزيل من موقعه لوقوعه في مسار كوبري السيدة عائشة العلوي وأعيد بناؤه في موضع مجاور لمكانه الأصلي بانحراف عن مسار السور. (محمد أبو العمام: «المشذنة القبلية وما حولها من الآثار خارج باب القِرافة بالقاهرة»، حوليات إسلامية ٣٤ An. Isl. (٢٠٠٠)، ٤٥، ٤٦).

وقد تحرّبت معظم العمائر التي كانت تقع في منطقة باب القِرافة، وعلى الأخص في فترة وجود الحملة الفرنسية في مصر يقول الجبّوتي: إن من بين ما قام به الفرنسيون

زَكَرُ الْمَسَاجِدِ الشَّهِيرَةِ بِالْقَرَّافَةِ الْكَبِيرَةِ

اعلم أن القرافة بمصر اسم لموضعين: «القرافة الكبيرة»، حيث الجامع الذي يُقال له جامع الأولياء^١، و«القرافة الصغيرة» وبها قبور الإمام الشافعي^٢. وكانتا في أول الأمر خطتين لقبيلة من اليمن، هم من المعافير^٣ بن يعفر، يُقال لهم «بنو قرافة».

ثم صارت «القرافة الكبيرة» جبانة، وهي حيث مصلّى خولان والنقعة^٤، وما هو حول جامع الأولياء، فإنه كان يشتغل على مساجد وربط وشوق وعدة مساكن: منها ما خرب، ومنها ما هو باق، وسترى من ذلك ما يتيسر ذكره.

مسجد الأقدام

هذا المسجد بالقرافة^(c) في خطة^(c) المعافير^(a)، قال القضاعي: ذَكَرَ الْكِنْدِيُّ أَنَّ الْجُنْدَ بَنَوْهُ، وَلَيْسَ مِنَ الْخِطَطِ.

وسُمِّيَ بِالْأَقْدَامِ لِأَنَّ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ لَمَّا دَخَلَ مِصْرَ، وَصَالَحَ أَهْلَهَا وَبَايَعُوهُ، امْتَنَعَ مِنْ يَتَعْتَبِهِ ثَمَانُونَ رَجُلًا مِنَ الْمَعَاوِرِ^(a) سِوَى غَيْرِهِمْ، وَقَالُوا: لَا تَنْكُثْ يَتَعْتَبُ ابْنُ الرَّبِيعِ. فَأَمَرَ مَرْوَانُ بِقَطْعِ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ، وَقَتَلَهُمْ عَلَى بَعْرِ الْمَعَاوِرِ^(a) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَسُمِّيَ الْمَسْجِدُ بِهِمْ لِأَنَّهُ بُنِيَ عَلَى آثَارِهِمْ. وَالْآثَارُ: الْأَقْدَامُ، يُقَالُ جِئْتُ عَلَى قَدَمِ فُلَانٍ، أَيْ عَلَى آثَرِهِ. وَقِيلَ بَلْ أَمَرَهُمْ بِالْبَرَاءَةِ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَلَمْ يَتَّبِعُوا مِنْهُ، فَقَتَلَهُمْ هُنَاكَ^(d).

(a) بولاق: المعافير. (b) بولاق: البقعة. (c-c) بولاق: بخط.

١ فيما تقدم ٢٨٨. ومسجل بالآثار برقم ٥٦٣. (الموفق بن عثمان: مرشد الزوار

٢٤٩-٢٥٣، ٣٠٥؛ ابن الزيات: الكواكب السيارة ٩،

٥٩-٦٣؛ Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 70-71؛ وفيما يلي ٨٧٩-٨٨١).

٤ ابن الزيات: الكواكب السيارة ١٨٢ وفيه: وهو

معروف بإجابة الدعاء وهو واسع البناء يُضَعَدُ إِلَيْهِ بِدَرَجٍ =

١ فيما تقدم ٢٨٨.

٢ فيما يلي ٩٠٩.

٣ كان مصلّى خولان بالقرب من مشهد آل طباطبا، والنقعة هي عين الماء المعروفة الآن بـ«عين الصيرة» جنوب سور مجرى العيون شرق طريق صلاح سالم، ومشهد آل طباطبا ما زال قائما على بُعد ٢٣٠ مترا شمال عين الصيرة،

وقيل إنما سُمِّي «مَسْجِدُ الْأَقْدَامِ» لِأَنَّ قَبِيلَتَيْنِ اخْتَلَفَتَا فِيهِ : كُلٌّ تَدَّعَى أَنَّهُ مِنْ خِطَّتَيْهَا ، فُقَيْسَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ كُلِّ قَبِيلَةٍ بِالْأَقْدَامِ ، وَجُعِلَ لِأَقْرَبِهِمَا مِنْهُ .
وَالْقَدِيمُ مِنْ هَذَا الْمَسْجِدِ هُوَ مِخْرَابُهُ ، وَالْأَزْوَاقَةُ الْمَحِيطَةُ بِهِ ، وَأَمَّا خَارِجُهُ فِزْيَادَةُ الْإِخْشِيدِ ، وَالزِّيَادَةُ الْجَدِيدَةُ الَّتِي فِي بَحْرِيهِ لِسَهْثُونَ^(a) - الْمَلْقَبُ بِسَهْمِ الدَّوْلَةِ - مُتَوَلِّي السُّنَارَةِ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْخَيْرِ .

وَيُقَالُ إِنَّمَا سُمِّي «مَسْجِدُ الْأَقْدَامِ» لِأَنَّهُ كَانَ يَتَدَاوَلُهُ الْعِبَادُ ، وَكَانَتْ حِجَارَتُهُ كَدَّانًا ، فَآثَرَ فِيهَا مَوْضِعُ أَقْدَامِهِمْ ، فَسُمِّيَ لِذَلِكَ «مَسْجِدُ الْأَقْدَامِ» .

مَسْجِدُ الرُّصْدِ

هَذَا الْمَسْجِدُ بِنَاءُ الْأَفْضَلِ أَبُو الْقَاسِمِ شَاهِنْشَاهِ بْنِ أَمِيرِ الْجُيُوشِ بَدْرِ الْجَمَالِيِّ ، بَعْدَ بِنَائِهِ لِلْجَامِعِ الْمَعْرُوفِ بِالْجَامِعِ الْفَيْلِيَّةِ ، لِأَجْلِ رِصْدِ الْكَوَاكِبِ بِالْآلَةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا ذَاتُ الْحَلْقِ ، كَمَا ذُكِرَ فِيمَا تَقَدَّمَ^١ .

مَسْجِدُ شَقِيقِ الْمَلِكِ

هَذَا الْمَسْجِدُ بِجَوَارِ مَسْجِدِ الرُّصْدِ ، بِنَاءُ شَقِيقِ الْمَلِكِ نُحْشِرُوَانَ صَاحِبِ بَيْتِ الْمَالِ ، أَخَذَ خُدَّامَ الْقَصْرِ فِي أَيَّامِ الْخَلِيفَةِ الْحَافِظِ لِدِينِ اللَّهِ ، فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، وَعَمِلَ فِيهِ لِلْحَافِظِ ضِيَافَةٌ عَظِيمَةٌ حَضَرَ فِيهَا بِنَفْسِهِ وَمَعَهُ الْأَمْرَاءُ وَالْأُسْتَاذُونَ وَكُلُّ الرُّؤَسَاءِ .
وَكَانَ فِيهِ كَرَمٌ وَسُمُوهُمَّةٌ ، وَكَانَ لِمَسَاجِدِ الْقَرَّافَةِ وَالْحَبَلِ عِنْدَهُ رُوزَنَامَجٌ بِأَسْمَاءِ أَرْبَابِهَا ، فَيُنْفَذُ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْعِنَبِ وَالتَّيْنِ لِكُلِّ مَسْجِدٍ^(b) قَفْصَ تَيْنٍ وَقَفْصَ عِنَبٍ ، وَيُرْسِلُ فِي أَيَّامِ الرُّطْبِ لِكُلِّ مَسْجِدٍ^(b) قَفْصَ رُطْبٍ ، وَيُرْسِلُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ لِيَالِي الْوَقُودِ لِكُلِّ مَسْجِدٍ خُرُوفَ شِوَاءٍ وَسَطْلَ جَوْذَابٍ وَجَامِ خَلْوَى ، وَلَا سِيَّمًا إِذَا كَانَ بَائِتًا فِي هَذَا الْمَسْجِدِ ، فَإِنَّهُ لَا يَأْكُلُ حَتَّى يُسِيرَ ذَلِكَ لِمَنْ اسْمُهُ عِنْدَهُ .

(a) بولاق : لسمعون . (b-b) ساقطة من بولاق .

^١ فيما تقدم ١٤٦-١٤٨ .

= من الحجر ، والخط معروف به . وعند باب هذا المسجد من الجهة القبليّة قُبْرُ السَيِّدَةِ الشَّرِيفَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْخَضْرَاءِ .

وكان يَعْمَلُ جِفَانَ الْقَطَائِفِ الْمَحْشُوَّةَ بِاللُّوزِ وَالشُّكَّرِ وَالْكَافُورِ وَالْمِشْكِ ، وَفِيهَا مَا فِيهِ بَدَلُ اللَّوزِ الْفُسْتِقِ ، وَيَسْتَدْعِي مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْجَبَلِ وَالْقَرَاةِ وَذَوِي الْبَيْتِ الْمُنْقَطِعِينَ ، وَيَأْمُرُ / إِذَا حَضَرُوا بِسَكْبِ الْحَلْوِ وَالسَّيْرِجِ عَلَيْهِ بِالْجِرَارِ ، وَيَأْمُرُهُمُ بِالْأَكْلِ مِنْهُ وَالْحَمْلِ مَعَهُمْ وَكَانَ أَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ مَنْ يَأْكُلُ طَعَامَهُ ، وَيَسْتَدْعِي بِرَّهْ وَإِنْعَامَهُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

مَسْجِدُ الْأَنْطَاكِيِّ

هذا الْمَسْجِدُ كَانَ أَيْضًا بِالرَّضْدِ .

وَمَا بَرِحَتْ هَذِهِ الْمَسَاجِدُ الثَّلَاثَةُ بِالرَّضْدِ يَسْكُنُهَا النَّاسُ إِلَى مَا بَعْدَ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ . ثُمَّ خَرِبَتْ ، وَصَارَ الرَّضْدُ مِنَ الْأَمَاكِينِ الْمَخُوفَةِ بَعْدَ مَا أَدْرَكَتْهُ مُتَنَزِّهًا لِلْعَامَّةِ .

مَسْجِدُ النَّارِجِ

١٠ هذا الْمَسْجِدُ عَامِرٌ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا ، فِيمَا بَيْنَ الرَّضْدِ وَالْقَرَاةِ الْكُبْرَى ، بِجَانِبِ سِقَايَةِ ابْنِ طُولُونَ - الْمَعْرُوفَةِ بِعَفْصَةِ الْكُبْرَى - غَرْبِيهَا إِلَى الْبَحْرِيِّ قَلِيلًا ، وَهُوَ الْمُطَّلُّ عَلَى بِرْكَةِ الْحَبَشِ شَرْقِي الْكَنْعِيِّ^a وَقَيْلِي الْقَرَاةِ . بِنْتُهُ الْجِيهَةُ الْأَمْرِيَّةُ ، الْمَعْرُوفَةُ بِجِهَةِ الدَّارِ الْجَدِيدَةِ ، فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، أَخْرَجَتْ لَهُ اثْنِي عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ عَلَى يَدِ الْأُسْتَاذَيْنِ : افْتِخَارِ الدَّوْلَةِ مَيْمَنَ ، وَمُعِزِّ الدَّوْلَةِ الطَّوِيلِ ، الْمَعْرُوفِ بِالْوَحْشِ .

١٥ وَتَوَلَّى الْعِمَارَةَ وَالْإِنْفَاقَ عَلَيْهِ الشَّرِيفُ أَبُو طَالِبِ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ مُشْرِفِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْمُسْلِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمِ بْنِ مُحَمَّدِ الْيَمَانِيِّ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى الْكَاطِمِ ، الْحُسَيْنِيِّ الْمَوْسَوِيِّ ، الْمَعْرُوفِ بِابْنِ أُخْيِ الطَّيِّبِ بْنِ أَبِي طَالِبِ الْوَرَّاقِ . وَسُمِّيَ «مَسْجِدُ النَّارِجِ» لِأَنَّ نَارِجَهُ لَا يَنْقَطِعُ أَبَدًا .

(a) بولاق : الكنفي .

مسجد الأندلس

هذا المسجد في شرقي القرافة الصغرى بجانب مسجد الفتح^١، في الموضع الذي يُعرف عند الزوّار بالنقعة^(a)، وهو مُصلى المعافر على الجنائز^٢. ويُقال إنه بُني عند فتح مصر، وقيل بُني في خلافة معاوية بن أبي سفيان. ثم بنته جهة مكنون - واسمها علم الأميرة - أم ابنة الأمير، التي يُقال لها بيت القصور، في سنة ست وعشرين وخمسة مائة، على يد المعروف بالشيخ أبي تراب^٣.

هذه كان الخليفة الأمير بأحكام الله كتب صداقها، وجعل المقدم منه أربعة عشر ألف دينار، وكان لها صدقات وبر وخير وفضل، وعندها خوف من الله، وكانت تبعث إلى الأشراف بصلوات جزيلة، وتُرسل إلى أزباب البيوت والمستورين أموالاً كثيرة.

ولما وهب الأمير لهزار الملوك ولبرغش، في كل يوم، مائتي ألف دينار عينا؛ لكل منهما مائة ألف دينار؛ حضر إليها عشاء على عادته، فأغلقت باب مقصورتها قبل دخوله، وقالت له: والله ما تدخل إلي، أو تهب لي مثل ما وهبت لواحد من غلاميك؛ فقال: الساعة؛ ثم استدعى بالفراشين فحضروا، فقال: هاتوا مائة ألف دينار الساعة. ولم يزل واقفا إلى أن حضرت عشرة كيسة، في كل كيس عشرة آلاف دينار، ويحمله عشرة من الفراشين؛ ففتحت له الباب ودخل إليها.

ومكنون هذا هو الأستاذ الذي كان يرسم خدمتها، ويُقال له مكنون القاضي لسكونه وهديته، وكان فيه خير وبر كبير.

وبجانب مسجد الأندلس هذا «رباط» من غزيه، بنته جهة مكنون هذه في سنة ست وعشرين وخمسة مائة، يرسم العجايز الأراميل. فلما كان في سنة أربع وسبعين^(b) وخمسة مائة،

(a) بولاق: البقعة. (b) في معجم البلدان: أربع وتسعين.

١: ٢٦٤، ومصدر ياقوت فيها: الشريف الجواني

١ فيما يلي ٨٥٨.

والقضاعي.

٢ فيما يلي ٨٧٨.

٣ مصدر هذه المعلومات ياقوت: معجم البلدان

بني الحاجب لؤلؤ العادلي ، برحبة الأندلس والرباط ، بشتانا وأحواضا ومقعدا ، وجمع بين مصلى الأندلس وبين الرباط بحائط بينهما^(a) ، وعمل ذلك لحوّل العفيف حاتم بن مسلم المقدسي الشافعي به .

ولما مات السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري بدمشق ، في المحرم سنة ست وسبعين وست مائة ، وقام من بعده في السلطنة ابنه الملك السعيد محمد بركة خان ، عمل لأبيه عزاء بالأندلس هذا . فاجتمع هناك القراء والفقهاء ، وأقيمت المطابخ ، وهيئت المطاعم الكثيرة ، وفُرقت على الزوايا ، ومدت أسيطة عظيمة بالخيام التي ضربت حول الأندلس . فأكل الناس على اختلاف طبقاتهم ، وقرأ القراء ختمة شريفة ، وعُد هذا الوقت من المهمات العظيمة المشهودة^(b) بديار مصر . وكان ذلك في المحرم سنة سبع وسبعين وست مائة ، على رأس سنة من موت الملك الظاهر ، فقال في ذلك القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر :

[مجزوء الرجز]

يا أيها الناس اسمعوا قولاً بصدق قد كُسي
إن عز السُلطان في غرب وشرق ما نُسي
أليس ذا مائمه يُعمل في الأندلس

ثم عمل بعد ذلك مجتمعا في المدرسة الناصرية بجوار قبّة الشافعي من القرافة ، ومجتمعا بجوامع ابن طولون ، ومجتمعا بجوامع الظاهر من الحسينية خارج القاهرة ، ومجتمعا بالمدرسة الظاهرية بين القصرين ، ومجتمعا بالمدرسة الصالحية ، ومجتمعا بدار الحديث الكاملية ، ومجتمعا بالخائفة الصلاحية سعيد السعداء ، ومجتمعا بالجامع الحاكمي^٢ .

وأقيم في كل واحد من هذه المجتمعات الأظعمة الكثيرة ، وعمل للتكارة حوان ، وللفقراء حوان حضره كثير من أهل الخير والصلاح ، فقبل في ذلك :

[الطويل]

فشكرا لها أوقات بر تُقبلت لقد كان فيها الخير والبر أجمعا

(a) بعد ذلك في معجم البلدان ، مصدر النقل : جعل موضعه دار بقر للشافية التي تشتقي الماء الذي يجري إلى البستان . (b) بولاق : المشهورة .

^١ ياقوت : معجم البلدان ١ : ٢٦٤ . الفرات : تاريخ الدول والملوك ٧ : ١١٥ ؛ المقرئ : السلوك

^٢ ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ٢٣١ - ٢٣٢ ؛ ابن ١ : ٦٤٨ - ٦٤٩ .

لقد عَمَّتِ النُّعْمَى بِهَا كُلُّ مَوْطِنٍ سَقَّتْهَا الْعَوَادِي مَرْبَعًا ثُمَّ مَرْبَعًا
وَلَمَّا مَضَى السُّلْطَانُ لَمْ يَمُضْ جُودُهُ وَخَلَّفَ فِينَا بِرَهُ مُتَتَوِّعًا
فَتَى عَيْشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ الشَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْبَعًا
قَدَامَ لَهُ مِنَّا الدُّعَاءُ مُكْرَبًا مَدَى ذَهْرِنَا، وَاللَّهِ يَسْمَعُ مَنْ دَعَا^١

مَسْجِدُ النَّقْعَةِ^(a)

هذا المسجدُ مُجاوِزٌ لمسجدِ الفتحِ من غزيبه، بناه الأمير أبو منصور صافي الأفضلي.

مَسْجِدُ الْفَتْحِ

هذا المسجدُ مشهورٌ بجوارِ قَبْرِ النَّاطِقِ، بناه شَرَفُ الْإِسْلَامِ سَيْفُ الْإِمَامِ يَانِسُ الرَّومِي وَزِيرُ
مِصْرَ. وَسُمِّيَ بِالْفَتْحِ لِأَنَّ مِنْهُ كَانَ انْهِزَامُ الرُّومِ إِلَى قَضْرِ الشُّنْعِ، حِينَ قَدِمَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ
وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ فِي سِوَاهِمَ، مَدَدَا لِعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، وَكَانَ الْفَتْحُ. ^{١٠}
وَيُقَالُ إِنَّ مِخْرَابَهُ اللَّطِيفُ الَّذِي بِجَانِبِهِ الشَّرْقِيِّ قَدِيمٌ، وَإِنَّ تَحْتَ حَائِطِهِ الشَّرْقِيِّ قَبْرَ عَامِرِ الَّذِي
كَانَ أَوَّلَ مَنْ دُفِنَ بِالْقَرَّاقَةِ^٢. وَمِخْرَابُ مَسْجِدِ الْفَتْحِ مُنْحَرِفٌ عَنْ خَطِّ سَمْتِ الْقِبْلَةِ إِلَى جِهَةِ
الْجَنُوبِ انْحِرَافًا كَثِيرًا كَمَا ذُكِرَ عِنْدَ ذِكْرِ مَحَارِبِ مِصْرَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^٣، وَاسْتَشْهَدَ يَوْمَئِذٍ
بِجَمَاعَةٍ دُفِنُوا فِي مَجْرِ الْحَصَا، فَكَانَ يُرَى عَلَى قُبُورِهِمْ فِي اللَّيْلِ نُورٌ.

مَسْجِدُ أُمِّ عَبَّاسٍ جَمْعَةُ الْعَادِلِ بْنِ سَلَّارٍ

هذا المسجدُ كَانَ بِجِوَارِ مُصَلَّى خَوْلَانَ بِالْمَعَاظِرِ^(b) غَرْبِي الْمَقَابِرِ^(c). بَنَتْهُ بُلَّارَةٌ^(d) زَوْجُ الْعَادِلِ ابْنِ
السَّلَّارِ، سُلْطَانِ مِصْرَ فِي خِلَافَةِ الظَّافِرِ، سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِينَ مِائَةً، عَلَى يَدِ الْمَعْرُوفِ
بِالشَّرِيفِ عِزِّ الدَّوْلَةِ الرَّضْوِيِّ بْنِ الْقَفَّاصِ، وَكَانَتْ بُلَّارَةٌ^(e) مَغْرِبِيَّةً، وَهِيَ أُمُّ الْوَزِيرِ عَبَّاسِ ^{١٥}

(a) بولاق: البقعة. (b) بولاق: بالمعافر. (c) في النسخ: بلاوة. والتصويب من المصادر.

^٣ فيما تقدم ٣٩.

^٤ فيما يلي ٨٧٩.

^١ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٧: ١١٥.

^٢ الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٢٨٦-٢٨٧.

الصنهاجي البادي سي . وقد دثر هذا المسجد .

مسجد الصالح

هذا المسجد كان بخط جامع القرافة ، المعروف بجامع الأولياء ، عُرف بمسجد بني عبيد الله ، وبمسجد القبة ، وبمسجد القراء^(a) ١ . والذي بناه الصالح طلائع بن زريك وزير مصر ، وكان في أعلاه مناظر ، وعمارته متقنة الزي ، وأدركته عامراً إلى ما بعد سنة ثمان مائة .

مسجد ولي عهد المؤمنين^(b)

الأمير أبي هاشم^(c) العباس بن شعيب بن داود المهدي ، أخذ الأقارب في الأيام الحاكمة . كان إلى جانب مسجد الصالح ، وبجانبه تربيته . وكان المسجد من حجر ، وبابه مخمول على أربع حنايا ، وتحت الحنايا باب المسجد ، وفي شرقية أيضا أربع حنايا .

وكانت دار أبي هاشم هذا بمصر دار الأفراح ، ومن ولده الشريف الأمير الكبير أبو الحسن علي^(d) ابن الأمير عباس بن شعيب بن مسلم بن^(d) أبي هاشم المذكور ، ويُعرف بالشريف الطويل وبالنباس .

مسجد الرخمة

كان^(e) في صدر القرافة الكبرى ، بالقرب من تربة ركن الإسلام محمود ابن أخت الملك الصالح طلائع بن زريك⁽²⁾ .

قال الكندي : ومنها مسجد القرافة ، وهم بنو مخصن بن سيف بن وإبل بن الجيزي ، قبلي القرافة على يمينك إذا أمت مسجد الأقدام ، مقابله فسقية صغيرة ، وله منارة ، يُعرف بمسجد

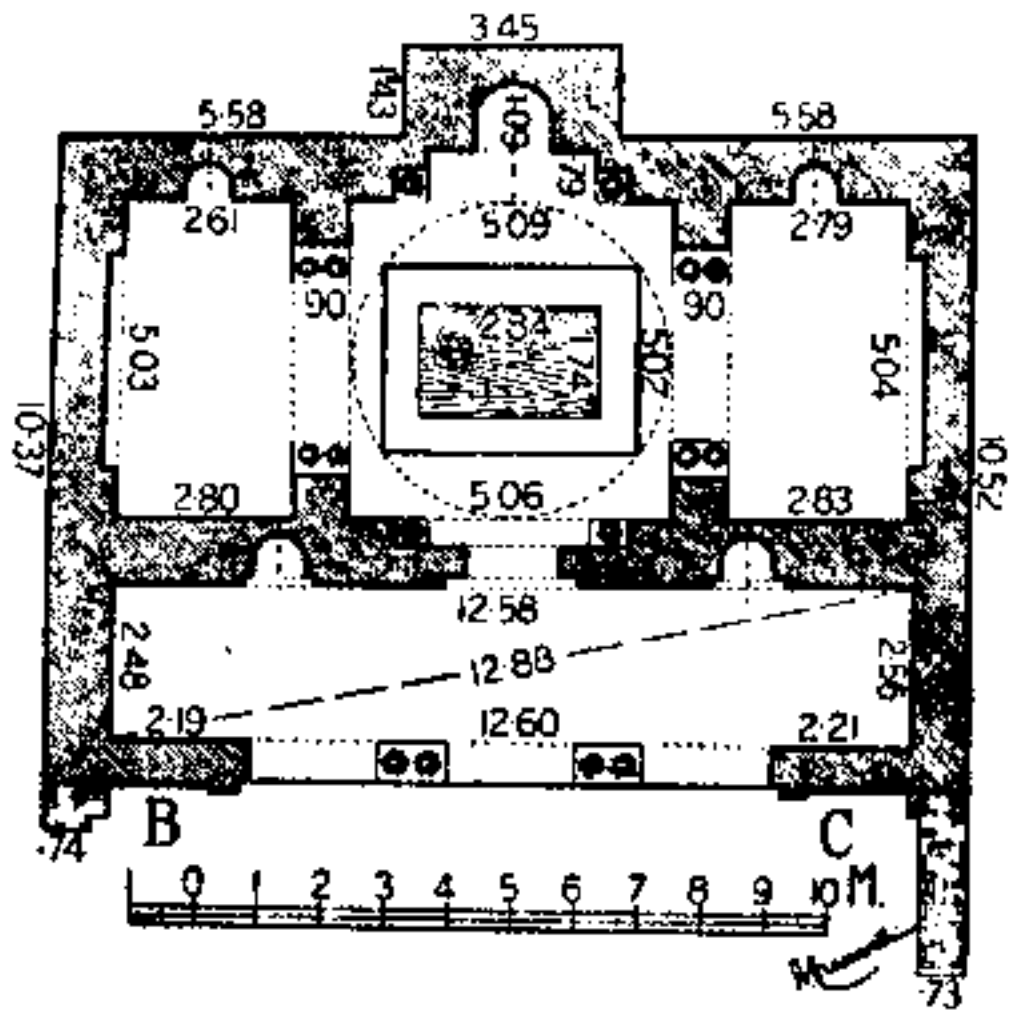
(a) بولاق : العزاء . (b) بولاق : ولي عهد أمير المؤمنين . (c) بولاق : هو الأمير أبو هاشم . (d-d) ساقطة من بولاق . (e) بولاق : هذا المسجد كان .

¹ قارن مع ابن الزيات : الكواكب السيارة ١٧٤-١٧٥ . وهو في الرخمة التي قبلي سوق القرافة تجاه دار حسن

² ابن الزيات : الكواكب السيارة ١٧٩: ٢٠ وفيه : الرائف .

الرَّحْمَةَ . وَغَرِفَ هَذَا الْمَسْجِدُ بِأَبِي ثُرَابٍ / الصَّوَّافِ ، وَكَيْلِ الْجِهَةِ الَّتِي بَنَى الْأَنْدَلُسُ^(a) وَرِبَاطَهُ وَمَشْهَدَ رُقَيْةَ^(b) . وَهَذَا أَبُو ثُرَابٍ تَوَلَّى بِنَاءَهُ^١ ، وَكَانَ يَقُومُ بِخِدْمَتِهِ الشَّيْخُ نَسِيمٌ .

وَأَبُو ثُرَابٍ هُوَ الَّذِي أُخْرِجَ إِلَيْهِ وَلَدُ الْإِمْرِ فِي قُبَّةٍ مِنْ خُوصٍ فِيهَا حَوَائِجٌ طَبِيخٌ مِنْ كُرَاثٍ وَتَصَلِيٍّ وَجَزْرٍ ، وَهُوَ طِفْلٌ فِي الْقِمَاطِ ، فِي أَسْفَلِ الْقُبَّةِ وَالْحَوَائِجِ فَوْقَهُ ، وَوَصَلَ بِهِ إِلَى الْقَرَاةِ ، وَأَرْضَعَتْهُ الْمُرْضِعَةُ بِهَذَا الْمَسْجِدِ ، وَخَفِيَ أَمْرُهُ عَنِ الْحَافِظِ حَتَّى كَبُرَ وَصَارَ يُسَمَّى قُفَيْفَةَ . فَلَمَّا حَانَ نَفْعُهُ ، نَمَّ عَلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْفَضْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْجَوْهَرِيِّ الْوَاعِظِ ، بَعْدَمَا مَاتَ الشَّيْخُ أَبُو ثُرَابٍ ، عِنْدَ الْحَافِظِ . فَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَفَصَدَّهُ فَمَاتَ ، وَخَلَعَ عَلَى ابْنِ الْجَوْهَرِيِّ ، ثُمَّ



مُخَطَّطُ مَشْهَدِ السَّيِّدَةِ رُقَيْةَ (عَنْ CRESWELL)

(a) بولاق : مسجد الأندلس . (b) بولاق : مسجد رقية .

بخدمتها القاضي مكنون الحافظي على يد السني أبو [كذا] ثراب حيدر بن أبي الفتح ، فرحم الله من تزعم عليه ، في سنة ثلاث وثلاثين وخمسة مائة . (Wiet, G., CIA) Égypte II, n° 591 ; Wiet, G., RCEA VIII, (n° 3092)

وراجع كذلك ، ابن الزيات : الكواكب السيارة ١٧٨ ، ١٨٤ : ١٨٨ ؛ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٩٣ - ٩٤ ؛ السخاوي : تحفة الأحياب ١٢٠ - ١٢٣ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ١٨٧ : ٢ - ١٨٨ ، ٥٦ : ٦ ؛ Wiet, G., CIA Égypte, II, pp. 195-207; Creswell, K.A.C., MAE I, pp. 247-51 ؛ زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ٢٢٠ - ٢٢١ ؛ أحمد فكري : مساجد القاهرة ١٠٣ : ١ - ١٠٩ ؛ سعاد ماهر : مساجد مصر ١٢٦ : ٢ - ١٣٠ ؛ Ragib, Y., «Les mausolées fatimdes du

^١ ذكر ابن الزيات أنه يوجد بالمؤممة قبر مكتوب عليه : «أبو تميم ثراب الحافظي جد بني ثراب ... وهو الذي بنى للحافظ مشهد رقية» . (الكواكب السيارة ١٧٨ : ١٠) . وما زال مشهد السيدة رقية ، وهو أحد مشاهد الرؤية ، موجوداً في شارع الخليفة بجوار مشهدي عاتكة والجعفري ، وهو مسجل بالآثار برقم ٢٧٣ ، ويوجد على الضريح الموجود بالمشهد كتابة تاريخية تؤكد ما ذكره المقرئ ، نضها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - سورة الإخلاص - هذا ضريح السيدة رقية بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعلى الأئمة من عترته أجمعين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين . بسم الله الرحمن الرحيم - الآيات ٣٣ ، ٥١ - ٥٤ سورة الأحزاب - لما أمر بعمل هذا الضريح المبارك الجهة الكريمة الأمرية التي يقوم

تُفِي إِلَى دِيْمِيَاطَ، فَمَاتَ بِهَا فِي جُمَادَى سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ^١.

مَسْجِدُ مَكْنُونٍ

هُوَ بِجَانِبِ مَسْجِدِ الرَّحْمَةِ، بِنَاءُ الْأَسْتَاذِ مَكْنُونِ الْقَاضِي، الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي مَسْجِدِ الْأَنْدَلُسِ^٢.

مَسْجِدُ رَيْحَانَ^٥

هَذَا الْمَسْجِدُ كَانَ فِي وَجْهِ مَسْجِدِ أَبِي ثَرَابٍ، قُبَالَةَ دَارِ الْبَقَرِ مِنَ الْقَرَاةِ الْكُبْرَى. وَجَدَّه أَسْتَاذُ الْجِهَةِ الْحَافِظِيَّةِ، وَاسْمُهُ رَيْحَانَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ.

مَسْجِدُ جِهَةِ بَيَانَ

هَذَا الْمَسْجِدُ كَانَ فِي بَطْحَاءِ مَسْجِدِ الْأَقْدَامِ بِجِوَارِ ثَرْبِ الْمَآذِرَاتَيْنِ، بَنَتْهُ الْجِهَةُ الْحَافِظِيَّةُ، الْمَعْرُوفَةُ بِجِهَةِ بَيَانَ الْحُسَامِيِّ، عَلَى يَدِ أَبِي الْفَضْلِ الصَّعِيدِيِّ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ مُوَفَّقٍ^٦.

وَحَكَى الْخَلِيفَةُ عَنْ هَذِهِ الْجِهَةِ نَحْبًا عَجِيبًا، قَالَ الْقَاضِي الْمَكِينُ أَبُو الطَّاهِرِ إِسْمَاعِيلُ ابْنَ سَلَامَةَ: قَالَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْحَافِظُ يَوْمًا: يَا قَاضِي أبا الطَّاهِرِ؛ قُلْتَ: لَبَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ قَالَ: أَحَدُثْكَ بِحَدِيثٍ عَجِيبٍ؟ قُلْتَ: نَعَمْ؛ قَالَ: لَمَّا جَرَى مِنْ أَبِي عَلِيِّ بْنِ الْأَفْضَلِ مَا جَرَى، بَيْنَا أَنَا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كُنْتُ مُغْتَقَلًا فِيهِ، رَأَيْتُ كَأَنِّي قَدْ جَلَسْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْقَضْرِ أَعْرَفَهُ، وَكَأَنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ أُعِيدَتْ إِلَيَّ، وَكَأَنَّ الْمُغْنِيَّاتِ قَدْ دَخَلْنَ يُهَيِّئُنَنِي وَيَغْنِينَ بَيْنَ يَدَيَّ، وَفِي جَمَلَتَهُنَّ جَارِيَّةٌ مَعَهَا عُودٌ - يَعْنِي هَذِهِ الْجَارِيَّةُ الْمَذْكُورَةُ - فَأَنْشَأَتْ تُغْنِي قَوْلَ أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ^٣:

(a) بولاق: جهة ريحان. (b) بولاق: الموفق.

٢٤٩-٢٥٣.

^٢ فيما تقدم ٨٥٦.

^٣ ديوان أبي العتاهية، تحقيق شكري فيصل، دمشق

١٩٦٥، ٦١٢.

quartier d'al-Mashâhid», *An. Isl.* XVII (1981), pp. 18-29; Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 651-57

العمارة الإسلامية ١: ٦٨١-٦٩٩.

^١ راجع، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر

[المقارب]

أَتَشَهُ الْخِلَافَةَ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تُجَرِّزُ أَذْيَالَهَا
فَلَمْ تَكُ تَضْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَضْلُحْ إِلَّا لَهَا
وَلَوْ نَالَهَا أَحَدٌ غَيْرَهُ لَزُلْزَلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا

وكانني قمتُ إلى خزانة بالمجلس أخذتُ منها حُقَّةً فيها جَوْهَرٌ فَمَلَأْتُ فَمَهَا مِنْهُ ، ثُمَّ اسْتَيْقَظْتُ . فَوَاللَّهِ يَا قَاضِي مَا كَانَ إِلَّا يَوْمَانِ حَتَّى كُسِرَ عَلِيٌّ الْحَبَسُ ، لَمَّا قُتِلَ أَبُو عَلِيٍّ ابْنِ الْأَفْضَلِ ، وَقِيلَ لِي : السَّلَامُ عَلَيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَلَمَّا خَرَجْتُ ، وَأَقَمْتُ أَبَامَا ، جَلَسْتُ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ الَّذِي رَأَيْتُهُ فِي النَّوْمِ ، وَدَخَلَ الْجَوَارِي يُهَنِّئُنِي ، فَغَنَّتْ إِحْدَاهُنَّ - وَهِيَ ذَاتُ عُدُودٍ - ذَلِكَ الصَّوْتُ بَعِينَهُ ، فَقُلْتُ لَهَا : عَلِيُّ رَسِيكَ حَتَّى نَقُضِي نَحْنُ أَيْضًا مِنْ حَقِّكَ مَا يَجِبُ عَلَيْنَا ، وَقَمْتُ إِلَى الْخِزَانَةِ ، وَأَخَذْتُ الْحَقُّ الَّذِي فِيهِ الْجَوْهَرُ ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَيْهَا وَقُلْتُ لَهَا : افْتَحِي فَانْكَ ، فَفَتَحَتْهُ وَحَشَوْتُهُ جَوْهَرًا ، وَقُلْتُ لَهَا : إِنَّ لَكَ عَلَيْنَا فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ مِثْلَ ذَلِكَ .

مَسْجِدُ تَوْبَةِ

ابن^(a) مَيْسَرَةَ الْكُتَامِي مُعْنَى الْمُسْتَنْصِرِ ، كَانَ فِي شَرْقِي الْأَقْهُوبِ ، وَقُبَالَتِهِ تَرْبَةٌ نَسَبَ الطَّبَّالَةَ^(b) صَاحِبَةَ أَرْضِ الطَّبَّالَةَ ، وَكِلَاهُمَا فِي الْقَرَّافَةِ الْكُبْرَى^(c) .

مَسْجِدُ دُرِّي

كَانَ^(c) فِي الْقَرَّافَةِ الْكُبْرَى فِي رَحْبَةِ الْأَقْهُوبِ ، بَنَاهُ شِهَابُ الدَّوْلَةِ دُرِّي ، غُلَامُ الْمُظْفَرِ أَخِي الْأَفْضَلِ بْنِ أَمِيرِ الْجُيُوشِ ، فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، وَكَانَ أَرْمَنِيًّا فَأَسْلَمَ ، وَصَارَ مِنَ الْمُتَشَدِّدِينَ فِي مَذْهَبِ الْإِمَامِيَّةِ ، وَقَرَأَ «الْجَمَلُ» لِلزُّجَاجِيِّ فِي النَّحْوِ ، وَ«اللُّمَعُ» لِابْنِ جُنِّي . وَكَانَتْ لَهُ خَرَائِطُ مِنَ الْقُطْنِ الْأَبْيَضِ يَعْمَلُهَا^(d) فِي يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، وَكَانَ يَتَوَلَّى خَزَائِنَ الْكُتُوبِ ، وَلَا يَدْخُلُ عَلَى بُسْطِ السُّلْطَانِ ، وَلَا عَلَى بُسْطِ الْخَلِيفَةِ الْحَافِظِ لِدِينِ اللَّهِ ، وَلَا يَدْخُلُ / مَجْلِسَهُ إِلَّا بِالْخَرَائِطِ فِي رِجْلَيْهِ ، وَلَا يَأْخُذُ مِنْ أَحَدٍ رُقْعَةً إِلَّا وَفِي يَدِهِ خَرِيطَةٌ ، يَنْظُرُ أَنْ مِنْ لَمَسَهُ نَجَسَهُ ،

(a) بولاق : هو ابن . (b) بولاق : تربة تنسب إلى الطبالاة . (c) بولاق : هذا المسجد كان . (d) بولاق : يلبسها .

وَسَوْسَةٌ مِنْهُ . فَإِنْ اتَّفَقَ أَنَّهُ صَافِحٌ أَحَدًا ، أَوْ أَمْسَكَ رُقْعَةً بِيَدِهِ مِنْ غَيْرِ خَرِيطَةٍ ، لَا يَمَسُّ ثَوْبَهُ وَلَا بَدَنَهُ حَتَّى يَغْسِلَهَا ، فَإِنْ مَسَّ ثَوْبَهُ غَسَلَ الثَّوْبَ . وَكَانَ الْأُسْتَاذُونَ يَعْثُونَ بِهِ ، وَيَزْمُونَ فِي بَسَاطِ الْخَلِيفَةِ الْحَافِظِ الْعِنَبِ ، فَإِذَا مَشَى عَلَيْهِ وَانْفَجَرَ ، وَوَصَلَ مَأْوَهُ إِلَى رَجْلَيْهِ ، سَبَّهْمُ وَحَرَدٌ ، فَيَضْحَكُ الْخَلِيفَةُ مِنْهُ^(a) وَلَا يُؤَاخِذُهُ .

- ٥ وَعَمِلَ مَرَّةً الْوَزِيرُ رِضْوَانُ بْنُ وَحْشِي دَوَاةً جَلِيَّتَهَا أَلْفُ دِينَارٍ مُرْصَعَةٌ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ شِهَابُ الدَّوْلَةِ دُرِّي الصَّغِيرُ هَذَا ، وَقَدْ أُحْضِرَتِ الدَّوَاةُ الْمَذْكُورَةُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا مَوْلَانَا أَحْسَنَ مَا مُدُّ مِنْ^(b) هَذِهِ الدَّوَاةِ ، وَوَقَّعَ عَلَى هَذِهِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ زَكَاتُهَا ، إِذْ لَلَّهِ فِيهِ رِضًا وَلِنَبِيِّهِ . وَنَاوَلَهُ رُقْعَةَ الشَّرِيفِ الْقَاضِي سَنَاءِ الْمَلِكِ أَسْعَدَ الْجَوَانِي النَّحْوِي ، يَطْلُبُ فِيهَا رَأْيًا لِابْنِ الشَّرِيفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ فِي الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ دَنَانِيرٍ ، فَوَقَّعَ عَلَيْهَا . فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلِ رَأَى فِي نَوْمِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ يَقُولُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا عَلَى فِعْلِكَ الْيَوْمَ .

مَسْجِدُ سِتِّ غَزَالٍ

هَذَا الْمَسْجِدُ كَانَ فِي الْقَرَّافَةِ الْكُبْرَى بِجَوَارِ ثُرَيَّةِ الثُّعْمَانِ^٢ ، بَنَتْهُ سِتُّ غَزَالٍ فِي سَنَةِ سِتِّ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ . وَكَانَتْ غَزَالٌ هَذِهِ صَاحِبَةَ دَوَاةِ الْخَلِيفَةِ ، لَا تَعْرِفُ شَيْئًا إِلَّا أَحْكَامَ الدَّوِيِّ وَاللُّبِقِ وَمَسْحَ الْأَقْلَامِ وَالدَّوَاةِ ، وَكَانَ يَرْسُمُ خِدْمَتِهَا الْأُسْتَاذُ مَأْمُونُ الدَّوْلَةِ الطُّوَيْلِ .

مَسْجِدُ رِيَاضِ

١٥ وَقَافَةٌ^(c) الْحَافِظِ لِدِينِ اللَّهِ ، كَانَتْ تَقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْقَضْرِ . وَكَانَ بِجَوَارِ الْمَصْنَعَةِ الصُّغْرَى الطُّوَيْلُونِيَّةِ الَّتِي يَجِيءُ الْمَاءُ إِلَيْهَا مِنْ عَفْصَةِ الْكُبْرَى ، وَكَانَ فِيهِ حُوشٌ بِهِ عِدَّةُ بُيُوتٍ لِلنِّسَاءِ الْمُتَقَطِّعَاتِ .

(a) مِنْهُ ، سَاقِطَةٌ مِنْ بَوْلَاقٍ . (b) أَحْسَنَ مِنْ مَدَادٍ . (c) بَوْلَاقٍ : هُوَ لَوْقَافَةٌ .

١ فيما تقدم ٣: ٢٦٩-٢٧١ .

٢ فيما تقدم ١: ٥٠٤ ، وفيما يلي ٨٦٧ .

٢ أشار المقرئ غرضًا إلى ثُرَيَّةِ الثُّعْمَانِ بِالْقَرَّافَةِ الْكُبْرَى ،

مسجد وعظيم الدولة

كان^(a) معلقًا بخط سوق القرافة الكبرى، وكان عظيم الدولة هذا صقليًا، صاحب الستر وحامل المظلة. وكان بجوار هذا المسجد مسجد التمساح، ومسجد السدرة، ومسجد جهة مراد.

وكان القاضي أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج هبة الله بن الميستر، لما عمل قدامه منارة النحاس الرومية ذات الشواهد، واجتاز بها من تحت سدرة المسجد في ليلة الوقود، نصف شهر رجب سنة ثلاثين وخمس مائة، عاقتها السدرة، فأمر بقطع بعضها، فقيل له: لا تفعل فإن قطع السدر مخدور، وقد روى أبو داود في كتاب «السنن» له أن رسول الله ﷺ قال: «من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار»^١، فقطعها على ركب نصف شعبان، فما أسنى، وصرف في المحرم، ونفي إلى تيس وقيل^٢.

مسجد أبي صادق

هذا المسجد كان غربي مسجد الأقدام، بناء ابن سعدون، أبو الحسن علي بن محمد البغدادي، بعد سنة عشرين وأربع مائة، وجدده أخوه أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسن ابن سعدون البغدادي، سنة ثلاث وأربعين وأربع مائة.

وهو مسجد أبي صادق مزيه المدني المالكي المحدث، وكان قارئ المصحف بالجامع ومصليًا به، ومصدّرًا فيه لإقراء السبع، وكان فيه حنة على الحيوانات، لا سيما على القطط والكلاب، وكان مشارف الجامع، وجعل عليه جاريًا من الغدد كل يوم لأجل القطط. وكان عند داره بزقاق الأبقال من مصر، كلاب يطعمها ويسقيها، وربما تبع دابته منها شيء معه في الأسواق. قال الشريف محمد بن أسعد الجواني النشابة في كتاب «النقط على الخطط»: حدثني الشيخ منجب، غلام أبي صادق، قال: كان لمولاي الشيخ أبي صادق كلب لا يفارقه

(a) بولاق: هذا المسجد كان.

^٢ ابن حجر: رفع الإصر ٤٢٧ (نقل عن الشريف الجواني).

^١ أبو داود: السنن ٢: ٦٥٠ (باب قطع السدر).

أَبْدًا : إذا كان رَاكِبًا يَمْشِي خَلْفَهُ ، فَإِذَا وَقَفَتْ بَعْلَتُهُ قَامَ تَحْتَ يَدَيْهَا ، فَإِذَا رَأَى النَّاسَ قَالُوا : هَذَا أَبُو صَادِقٍ وَكَلْبُهُ .

وَحَدَّثَنِي قَالَ : وَلَدَتْ كَلْبَةً فِي مُسْتَوَقَدِ حَمَامٍ ، وَكَانَ الْمُؤَذِّنُ يَأْتِي خَلْفَ مَوْلَايَ سَحْرًا كُلَّ يَوْمٍ لِقِرَاءَةِ الْمُضْحَفِ ، وَكَانَ مَوْلَايَ يَأْخُذُ فِي كُمِّهِ كُلَّ يَوْمٍ رَغِيْفًا . فَإِذَا حَادَى مَوْضِعَ الْكَلْبَةِ ، قَلَعَ طَيْلَسَانَهُ ، وَقَطَعَ الْخُبْزَ لِلْكَلْبَةِ ، وَيَزِمِي لَهَا بِنَفْسِهِ إِلَى أَنْ تَأْكُلَ ، ثُمَّ يَسْتَدْعِي الْوَقَادَ وَيُعْطِيهِ قِيرَاطًا ، وَيَقُولُ لَهُ : اغْسِلْ قَدَحَهَا وَاْمَلَأْهُ مَاءً مَحْلُومًا ، وَيَسْتَحْلِفُهُ عَلَى ذَلِكَ . / فَلَمَّا كَبِرَ أَوْلَادُهَا ، صَارَ يَأْخُذُ بَعْدَ رَغِيْفَيْنِ إِلَى أَنْ كَبُرُوا وَتَفَرَّقُوا .

وَحَدَّثَنِي قَالَ : كَانَ قَدْ جَعَلَ كِرَاءَةَ حَائِثِي ، بِرِسْمِ الْقِطَاطِ بِالْجَامِعِ الْعَتِيقِ ، مِنَ الْأَحْبَاسِ . وَكَانَ يُؤْتِي بِالْعُدَدِ مُقَطَّعَةً فَيَجْلِسُ وَيُقْسِمُ عَلَيْهَا ، وَإِنْ قِطَّةٌ كَانَتْ تَحْمِلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَتَمْضِي بِهِ ، وَقَعَلَتْ ذَلِكَ مِرَارًا . فَقَالَ مَوْلَايَ لِلشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ فَرَجٍ : امْضِ خَلْفَ هَذِهِ الْقِطَّةِ ، وَأَنْظُرْ إِلَى أَيْنَ تُؤَدِّي ذَلِكَ . فَمَضَى ابْنُ فَرَجٍ فَإِذَا بِهَا تُؤَدِّيهِ إِلَى أَوْلَادِهَا ، فَعَادَ إِلَيْهِ وَأَخْبَرَهُ . فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقْطَعُ عُذْدًا صِغَارًا عَلَى قَدْرِ مَسَاغِ الْقِطَطِ الصُّغَارِ ، وَعُذْدًا كِبَارًا لِلْكِبَارِ ، وَيُرْسِلُ بِجُزْءِ الصُّغَارِ إِلَيْهِمْ إِلَى أَنْ كَبُرُوا .

مَسْجِدُ الْفَرَّاشِ

١٥ كان^(a) بِالْقَرَّافَةِ الْكُبْرَى ، بَنَاهُ أَحْمَدُ فَرَّاشُ الْأَفْضَلُ بْنُ أَمِيرِ الْجَيْوشِ . وَبِجَوَارِهِ مَسْجِدُ بَنِي يَزِيدَ^(b) بْنِ حُسَّامٍ ، وَمَسْجِدُ الْإِجَابَةِ الْقَدِيمِ ، وَتُزْبَةُ الْعَطَّارِ ، وَدَارُ الْبَقَرِ ، وَقَنَاطِرُ الْإِطْفِيحِيِّ كُلِّ ذَلِكَ بِالْقُرْبِ مِنْ جَامِعِ الْقَرَّافَةِ .

مَسْجِدُ تَاجِ الْمُلُوكِ

٢٠ هَذَا الْمَسْجِدُ قُدَّامَ دَارِ النُّعْمَانِ وَتُزْبِيهِ مِنَ الْقَرَّافَةِ الْكُبْرَى^(a) ، بَنَاهُ تَاجُ الْمُلُوكِ بَدْرَانُ بْنُ أَبِي الْهَيْجَاءِ الْكُرْدِي الْمَازَوَانِي^(c) ، وَهُوَ أَخُو سَيْفِ الدِّينِ مُحْسِنِ بْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ ، صَهْرُ

(a) بولاق : هذا المسجد كان . (b) بولاق : بناء زيد . (c) بولاق : المارداني .

بني رزّيك، وكان مُجتمِعُ أهلِ مصر عنده في الأعيادِ والموايسِمِ وليالي الوُقُودِ.

مَسْجِدُ الثَّمَارِ

كان^(a) مُلاصِقًا للزُّيَاةِ التي في بَحْرِي مَسْجِدِ الأَقْدَامِ، وفيه قُبُورُ بني الثَّمَارِ.

مَسْجِدُ الحَجَرِ

كان^(a) بَحْرِي مَسْجِدِ عَمَّارِ بنِ يُونُسَ مَوْلَى المَعَاوِرِ^(b)، وشَرْقِي قَصْرِ الرُّجَاجِ مِنَ القَرَاةِ الكُبْرَى. بَنَتْهُ مَوْلَاةُ عَلِي بنِ يَحْيَى بنِ طَاهِرٍ - المَعْرُوفِ بَابنِ أَبِي الخَارِجِيِّ المُوَصِّلِيِّ - فِي ربيعِ الأَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِ مَائَةٍ.

مَسْجِدُ القَاضِي يُونُسَ

كان^(a) غَرْبِي مَسْجِدِ الحَجَرِ المَذْكُورِ. بَنَاهُ الشَّيْخُ عَدِيّ المُلْكِ [أبو البَرَكَاتِ مُحَمَّد] ^(c) ابنِ عُثْمَانَ، صَاحِبِ دَارِ الضِّيَافَةِ^١، ثُمَّ صَارَ بِيَدِ قَاضِي القَضَاةِ بِمِصْرَ المُوَفَّقِ كَمَالِ الدِّينِ أَبِي الفَضَائِلِ يُونُسَ بنِ مُحَمَّدِ ابنِ الحَسَنِ - المَعْرُوفِ بِجَوَامِرْدٍ - خَطِيبِ القُدْسِ القُرَشِيِّ. وَكَانَ مِنَ الأَعْيَانِ، وَلَمْ يَشْرَبْ قَطُّ مِنْ مَاءِ النَّيْلِ بَلْ مِنْ مَاءِ الآبَارِ، وَلَمْ يَأْكُلْ قَطُّ لِلسُّلْطَانِ خُبْزًا، وَكَانَ يَزُوي الحَدِيثَ عَنِ جَدِّهِ.

مَسْجِدُ الوَازِيرِيَّةِ

كان^(a) بالقَرَاةِ الكُبْرَى وَلَهُ مَنَارَةٌ بِجِوَارِ بَابِ رِبَاطِ الحِجَازِيَّةِ وَكَانَتِ الحِجَازِيَّةُ وَاعِظَةً زَمَانِهَا، وَكَانَتِ مِنَ الخَيْرَاتِ لَهَا القَبُولُ الثَّامِ، وَتُدْعَى أُمُّ الخَيْرِ، وَكَانَ لَهَا مِنَ الصُّبُوتِ كَمَا كَانَ لابنِ الجَوْهَرِيِّ، وَكَانَتِ عَلَى غَايَةِ مِنَ الكَرَمِ وَالمُحَسِنِ الأَخْلَاقِ وَالشَّيْمِ.

(a) بولاق: هذا المسجد كان. (b) بولاق: المغافر. (c) زيادة اقتضاها السياق.

^١ انظر عن الشيخ عدّي الملك أبي البركات محمد بن عثمان، فيما تقدم ٢: ٥٣٦، ٥٨٥، وهذا المجلد ٧١١.

ومن مكارم أخلاقها، وحسن طباعها وكياسة انطباعها، ما حكاها الجواني النسابة في كتاب «النقط على الخطط»، قال: حدثني الشيخ أبو الحسن بن السراج، المؤذن بالجامع بمصر، قال: كان قدام الباب الأول من أبواب جامع مصر يتباع رطب يقعد على الأرض وبين يديه أقفاص رطب من أحسن الأزطاب. فبينا الحجازية الواعظة هذه ذات يوم قد قاربت الخروج من باب الجامع، وهي في حفتها وجواربها، وإذا ذلك الرطاب يتنادي على قفص رطب قدامه: معاشر الناس، اشترى الطيبة الحجازية على أربعة، على أربعة، يُريد على أربعة أزطال رطب بدرهم. فلما سمعته الحجازية، وقفت قبل أن تخرج من باب الجامع، وأنفذت إليه بعض الجوّاري فصاحت به، فلما أتاها قالت له: يا أخي قولك «الحجازية على أربعة» مُشكل، لا تزجج تُنادي كذا، وهذا رباعي هدية مني لك، ربح هذا القفص، ولا تُناد كذا. فأخذته وقبل يدها، وقال: السمع والطاعة.

مسجد ابن العكر

/ غربي^(a) مسجد أبي صادق، بحضرة مسجد الأقدام مقابل^(b) قصر الكنعني^(c)، وبجذاء مسجد الثارنج، بناء القاضي العادل ابن العكر.

مسجد ابن كئاس

كان^(d) مجاورًا للقناطر الإطيجية، على يسار من أم طريق الجامع. بناء القاضي ابن كئاس.

مسجد السرمية

كان^(d) شرقي مسجد الأقدام، وغربي قناطر ابن طولون، مجاورًا لثوبة القاضي ابن قابوس. كان يُعرف بمسجد الفقاعة من الكلاع، ويُعرف أيضًا بمسجد شاذن الفضلي، غلام الوزير جعفر ابن الفضل بن الفرات.

(a) بولاق: هذا المسجد غربي. (b) بولاق: قبالة. (c) بولاق: الكنعني. (d) بولاق: هذا المسجد كان.

مَسْجِدُ زَيْكِنَادَه^(a)

كان^(b) غزبي مَسْجِدُ عَمَّار بن يُونُس . بناه زَيْكِنَادَه^(a) المَحْنُثُ ، بعدما تَاب ، في سنة خمس وثلاثين وخمسة مائة .

جَامِعُ الْقَدَافَةِ

هذا الجَامِعُ يُعْرَفُ اليوم بـ «جَامِعِ الْأَوْلِيَاءِ» . وهو مَسْجِدُ بني عَبْدِ اللَّهِ بن مانِع بن مَزْرُوع ، ويُعْرَفُ بِمَسْجِدِ الْقُبَّةِ ، وقد ذَكَرَ عند ذِكْرِ الجَوَامِعِ من هذا الْكِتَابِ .

مَسْجِدُ الْإِطْفِيحِيِّ

هذا الْمَسْجِدُ كان في الْبَطْحَاءِ ، بَحْرِي مَعْجَرِي جَامِعِ الْفَيْلَةِ إِلَى الشَّرْقِ ، مُخَالِطًا لِحِطِّ الْكِلَاعِ وَرُغَيْنِ وَالْأَكْنُوعِ وَالْأَكْحُولِ . وَيُقَالُ لَهُ «مَسْجِدُ وَحَاظَةَ بن سَعْدِ الْإِطْفِيحِيِّ» ، من أَهْلِ إِطْفِيحِ ، شَيْخٌ لَهُ سَمْتُ ، وَكَتَبَ الْحَدِيثَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ وَمَا قَبْلَهَا ، وَسَمِعَ مِنَ الْحَبَّالِ^٢ ، وَهُوَ فِي طَبَقَتِهِ ، وَهُوَ رَفِيقُ الْفَرَاءِ ، وَابْنُ مُشْرِفٍ ، وَابْنُ الْحَظِيَّةِ ، وَأَبِي صَادِقٍ ، وَسَلَّكَ طَرِيقَ أَهْلِ الْقَنَاةِ وَالزُّهْدِ وَالْعَزَلَةِ كَأَبِي الْعَبَّاسِ ابْنِ الْحَظِيَّةِ .

(a) بولاق : زيكناده . (b) بولاق : هذا المسجد كان .

الوافي بالوفيات ٥ : ٣٥٥ ؛ المقرئ : المقفى الكبير ١ : ١٦٢ -
١٦٣ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ١٢٩ ؛ السيوطي :
حسن المحاضرة ١ : ٣٥٣ - ٣٥٤ .
وكتب ابن الحبال قائمة سَجَلٍ فيها «وفيات المصريين في
العهد الفاطمي» ، بَعَثَ بِهَا إِلَى مَحْدُثِ دِمَشْقِ الْكَبِيرِ ابْنِ
الْأَكْفَانِيِّ ، بِدَأَمَا بِذِكْرِ وَفِيَاتِ الْمَصْرِيِّينَ مِنْ سَنَةِ ٣٧٥هـ /
٩٨٥م وانتهى فيها إلى سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م ، نَشَرَهَا
الدكتور صلاح الدين المنجد في مجلة معهد المخطوطات
العربية ٢ (١٩٥٦) ، ٢٨٦ - ٣٣٨ ، كما أعاد نَشَرَهَا
محمود محمد الحداد ، وصدرت عن دار العاصمة =

^١ فيما تقدم ٢٨٨ - ٢٩٤ .
^٢ الْحَبَّالُ ، هُوَ الْحَافِظُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بن سَعِيدِ ابْنِ
عَبْدِ اللَّهِ التُّعْمَانِيِّ ، الْمَعْرُوفُ بِالْحَبَّالِ ، الْمَتُوفَى سَنَةَ ٤٨٢هـ /
١٠٨٩م ، مُحَدَّثٌ ثِقَةٌ ، قَالَ الذَّهَبِيُّ : «كَانَ يَتَعَانَى التَّجَارَةَ
فِي الْكُتُبِ ، وَلِهَذَا حَصَلَ عِنْدَهُ مِنَ الْأَصُولِ وَالْأَجْزَاءِ مَا لَا
يُوصَفُ كَثْرَةً» . (تذكرة الحفاظ ٣ : ١١٩٢ ، سير أعلام
النبلاء ١٨ : ٤٩٦) . راجع ترجمته عند ، ابن ميسر : أخبار
مصر ٥٠ - ٥١ (وفيه وفاته سنة ٤٨٣هـ) ، وعنه المقرئ :
اتعاظ الخنفا ٢ : ٣٢٦ ؛ الذهبي : تذكرة الحفاظ ٣ : ١١٩١ -
١١٩٦ ، سير أعلام النبلاء ١٨ : ٤٩٥ - ٥٠٣ ؛ الصغدني :

وكان الأفضل الكبير شاهنشاه، صاحب مصر، قد لزمه، واتخذ الشعي إليه مفترضا، والحديث معه شهوة وغرضا لا ينقطع عنه. وكان فكة الحديث، قد وقف من أخبار الناس والدول على القديم والحديث، وقصده الناس لأجل حلول السلطان عنده لقضاء حوائجهم، فقضاها. وصار مسجده مؤثلا للحاضر والبادي، وصدى لإجابة صوت النادي.

٥ وشكا الشيخ إلى الأفضل تعذر الماء ووضوله إليه، فأمر ببناء «القناطر»، التي كانت في عرض القرافة، من الحجر الكبيرة الطولونية. فبنيت إلى المسجد الذي به الإطفيحي، ومضى عليها من النفقة خمسة آلاف دينار، وعمل الإطفيحي صهريج ماء شرقي المسجد عظيما مُحكم الصنعة، وحماما وبستانا كان به نخلة سقطت بعد سنة خمس^(a) وخمس مائة.

١٠ وعمل الأفضل له مقعدا بجذاء المسجد إلى الشرق، علو زيادة في المسجد شرقيه، وقاعة صغيرة مريحة. إذا جاء إلى^(b) عنده جلس فيها، وخلأ بنفسه، واجتمع معه وجالسه^(c)، وكان هذا المقعد على هيئة المنطرة بغير ستائر، كل من قصد الإطفيحي من الكنعاني^(d) يراه.

وكان الأفضل لا يأخذه عنه القرار. يخرج في أكثر الأوقات من دار الملك - باكرا أو ظهرا أو عصرًا - بغتة، فيترجل، ويدق الباب وقارا للشيخ - كما كان الصحابة - رضي الله عنهم - يقرعون أبواب النبي ﷺ - بظفر الإبهام والمِسْبَحة، كما يخضب بهما الحاصب.

١٥ فإن كان الشيخ يصلي، لا يزال واقفا حتى يخرج من الصلاة ويقول: من؟ فيقول: ولذك شاهنشاه، فيقول: نعم. ثم يفتح فيصافحه الأفضل، ويمر بيده التي لمس بها يد الشيخ على وجهه، ويدخل. فيقول الشيخ: نصرك الله، أيذك الله، سدّدك الله، هذه الدعوات الثلاث لا غير أبدا. فيقول الأفضل: آمين.

٢٠ وبني له الأفضل المصلي ذات المحارب الثلاثة، شرقي المسجد إلى القبلي قليلا، ويعرف بمصلي الإطفيحي. كان يصلي فيه على جنايز موتى القرافة.

وكان سبب اختصاص الأفضل بهذا الشيخ، أنه لما كان محاصرا نزار بن المشتنصر بالإشكندرية، وناصر الدولة أفتكين الأزمني، أحد مماليك أمير الجيوش بدر، وكانت أم الأفضل

(a) بولاق: خمسين. (b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: حادثة. (d) بولاق: الكنعاني.

إذ ذاك - وهي عجوز لها سمّت ووقار - تطوف كل يوم وفي الجمعة الجوامع والمساجد والرباطات والأسواق، وتستقصي الأخبار، وتعلم محب ولدها الأفضل من مبعضه .

وكان الإطفيحي قد سمع بخبرها، فجاءت يوم / الجمعة إلى مسجده، وقالت له : يا سيدي ولدي في العسكر مع الأفضل، الله يأخذ لي الحق منه، فإني خائفة على ولدي، فاذع الله لي أن يسلمه . فقال لها الشيخ : يا أمة الله، أما تستحيين تدعين على سلطان الله في أرضه، المجاهد عن دينه؟ الله تعالى ينصره ويظفره ويسلمه ولديك، ما هو إن شاء الله إلا منصور مؤيد مظفر كأنك به وقد فتح الإسكندرية، وأسر أعداءه، وأتى على أحسن قضية وأجمل طوية، فلا تشغلي لك سراً، فما يكون إلا خيراً إن شاء الله تعالى .

ثم إنهما اجتازت بعد ذلك بالفار الصيرفي بالقاهرة بالشرابين، وهو والد الأمير عبد الكريم الأميري صاحب السيف، وكان عبد الكريم قد ولي مصر بعد ذلك في الأيام الحافظية، وكان عبد الكريم هذا له في أيام الأمير وجاهة عظيمة وصولة، ثم افتقر .

فوقفت أم الأفضل على الصيرفي تصرف ديناراً، وتسمع ما يقول لأنه كان إسماعيلياً متغالياً، فقالت له : ولدي مع الأفضل، وما أذري ما خبره؟ فقال لها الفار المذكور : لعن الله المذكور الأزمني الكلب، العبد الشوء ابن العبد الشوء، مضى يُقاتل مولاة ومولى الخلق . كأنك والله يا عجوز برأسه جائزاً من هاهنا على رُمح، قدام مولاة نزار ومولاة ناصر الدولة، إن شاء الله تعالى، والله يُلطف بولدك، من قال لك تخليه يمضي مع هذا الكلب المنافق؟ وهو لا يعرف من هي .

ثم وقفت على ابن بابان الحلبي - وكان بزّازاً بسوق القاهرة - فقالت له مثل ما قالت للفار الصيرفي، وقال لها مثل ما قال لها .

فلما أخذ الأفضل نزاراً وناصر الدولة، وفتح الإسكندرية حدثته والديته الحديث، وقالت : إن كان لك أب بعد أمير الجيوش، فهذا الشيخ الإطفيحي . فلما خلغ عليه المشتغلي بالقصر، وعاد إلى دار الملك بمصر، اجتاز بالبرازين يوماً، فلما نظر إلى ابن بابان الحلبي، قال : انزلوا بهذا، فنزلوا به، فقال : رأسه، فضربت عنقه تحت دُكّانه، ثم قال لعبيد على أحد مُقدمي ركابه الحلقف هاهنا، لا يضيع له شيء إلى أن يأتي أهله، فيتسلموا قماشه .

ثم وصل إلى دُكّان الفار الصيرفي، فقال : انزلوا بهذا، فنزلوا به، فقال رأسه، فضربت عنقه تحت دُكّانه . وقال ليوسف الأصغر، أحد مُقدمي الركاب . اجلس على حائوته إلى أن يأتي أهله

وَيَسْأَلُوا مَوْجُودَهُ ، وَإِيَّاكَ وَمَالَهُ وَصُنْدُوقَهُ ، وَإِنْ ضَاعَ مِنْهُ دِرْهَمٌ ضَرَبْتُ عُنُقَكَ مَكَانَهُ ، كَانَ لَنَا خَصْمٌ أَخَذْنَاهُ ، وَقَدْ فَعَلْنَا بِهِ مَا يَزِدُّعُ غَيْرَهُ عَنْ فِعْلِهِ ، وَمَا لَنَا مَالَهُ وَلَا فَقْرُ أَهْلِهِ .
ثُمَّ أَتَى الْأَفْضَلَ إِلَى الشَّيْخِ أَبِي طَاهِرِ الْإِطْفِيحِيِّ ، وَقَرَّبَهُ وَخَصَّصَهُ ، إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا شَرَحْنَاهُ .

مَسْجِدُ الرِّثَاتِ

مُجاوِرٌ^(a) بَيْتِ الْخَوَاصِ غَرْبِيهِ .

وَمَسْجِدُ ابْنِ أَبِي الرَّدَّادِ يُعْرَفُ بِمَسْجِدِ الْأَنْطَاكِيِّ ، وَمَسْجِدُ الْفَاخُورِيِّ يَعْرِفُ بِمَسْجِدِ الْبَطْحَاءِ ، وَمَسْجِدُ ابْنِ أَبِي الصَّغِيرِ ، قِبْلِي مَسْجِدِ بَنِي مَانِعٍ ، وَهُوَ جَامِعُ الْقَرَّاقَةِ . وَمَسْجِدُ الشَّرِيفَةِ بُنِيَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِ مِائَةٍ ، وَمَسْجِدُ ابْنِ أَبِي كَامِلِ الطَّرَابُلُسِيِّ كَانَ بِحَاوِرَةِ الْقُرُونِ ، بَنَاهُ الْأَعَزُّ بْنُ أَبِي كَامِلٍ . وَالْمَعْبُدُ الَّذِي كَانَ عَلَى رَأْسِ الْعَقَبَةِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ مِنْهَا إِلَى الرَّضِيدِ ، بَنَاهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ الطَّبَّاحُ ، وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ بِالْقَرَّاقَةِ الْكُبْرَى اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَسْجِدٍ .

القَصْرُ الْمَعْرُوفُ بِبَابِ لِيُونِ بِالشَّرْفِ

هَذَا الْقَصْرُ كَانَ عَلَى طَرَفِ الْجَبَلِ ، بِالشَّرْفِ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالرَّضِيدِ^(b) ، وَجَاءَ الْفَتْحُ وَهُوَ مَبْنِيٌّ بِالْحِجَارَةِ ، ثُمَّ صَارَ فِي مَوْضِعِهِ مَسْجِدٌ عُرِفَ بِمَسْجِدِ الْمَقْسِ .
وَالْمَقْسُ ضَيْعَةٌ كَانَتْ تُعْرَفُ بِأَمِّ دُنَيْنَ ، سُمِّيَتْ الْمَقْسُ لِأَنَّ الْعَاشِرَ كَانَ يَقْعُدُ بِهَا وَصَاحِبُ الْمَقْسِ ، فَقَلِبَ فَقِيلَ «الْمَقْسُ» ، وَلِيُونُ اسْمُ بَلَدٍ بِمِصْرَ ، بَلُغَةُ السُّودَانَ وَالرُّومِ . وَقَدْ ذُكِرَ الْمَقْسُ عِنْدَ ذِكْرِ ظَوَاهِرِ الْقَاهِرَةِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^١ .

(a) بولاق : هذا المسجد مجاور . (b) بياض في الأصول ، والمثبت مما تقدم .

^١ فيما تقدم ٣ : ٤٠٣ - ٤١٣ .

ذِكْرُ الْجَوَاسِقِ الَّتِي بِالْقَرَّافَةِ

قال ابنُ سَيِّدَةَ: الْجَوْسِقُ: الْحِضْنُ، وَقِيلَ هُوَ شَبِيهُ بِالْحِضْنِ، مُعْرَبٌ^١.

وقال الشُّرَيْفُ مُحَمَّدُ بْنُ أَشْعَدَ الْجَوَانِي النَّشَابَةِ فِي «كِتَابِ النَّقَطِ عَلَى الْخِطَطِ»: الْجَوَاسِقُ بِالْقَرَّافَةِ وَالْجَبَّانَةِ كَانَتْ تُسَمَّى الْقُصُورَ، وَكَانَ بِالْقَرَّافَةِ قَصْرُ الْكَنْعِيِّ^(a)، وَقَصْرُ بَنِي كَنْعٍ، وَقَصْرُ بَنِي عُقْبَةَ، وَقَصْرُ أَبِي قُبَيْلٍ، وَقَصْرُ الْعَزِيزِ، وَقَصْرُ الْبَغْدَادِيِّ، وَقَصْرُ يَشْبَ، وَقَصْرُ ابْنِ كَرَامَةَ.

جَوْسِقُ بَنِي عَبْدِ الْحَكَمِ

كَانَ جَوْسِقًا كَبِيرًا لَهُ حُوشٌ، وَكَانَ فِي وَسْطِ الْقَرَّافَةِ، بِحَضْرَةِ مَسْجِدِ بَنِي سَرِيعَ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْجَامِعُ الْعَتِيقُ، وَهُوَ أَحَدُ الْجَوَاسِقِ الثَّلَاثَةِ، وَهُوَ جَوْسِقُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ الْفَقِيهِ الْإِمَامِ، وَجَدَّدَ هَذَا الْجَوْسِقَ ابْنُ اللَّهَيْبِ الْمَغْرِبِيُّ.

جَوْسِقُ بَنِي غَالِبِ

وَيُعْرَفُ بِنِي بَابَشَاذَ، كَانَ بِالْمَعَاغِرِ^(b)، بُنِيَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ، وَالْإِلَى جَانِبِهِ قَبْرُ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ طَاهِرِ بْنِ بَابَشَاذَ.

جَوْسِقُ ابْنِ مُيَسَّرِ

كَانَ بِجَوَارِ جَوْسِقِ بَنِي غَالِبِ. بَنَاهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ الْقَاضِي أَبِي الْفَرَجِ هِبَةَ اللَّهِ. وَكَانَ أَبُو الْفَرَجِ هُوَ الْخَطِيبُ بِجَامِعِ مِصْرَ وَيَوْمَ الْعَدِيرِ، وَهُوَ شَافِعِي الْمَذْهَبِ، وَهُوَ هِبَةَ اللَّهِ ابْنُ هِبَةَ اللَّهِ بْنِ الْمَيْسَّرِ، وَذَلِكَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ خَمْسِ عَشْرَةَ وَخَمْسِ مِائَةٍ.

(a) بولاق: الكنفي. (b) بولاق: بالمعافر.

^١ ابن سيدة: المحكم والمحيط الأعظم (جسق) ٦: ٩٤.

- وأبو عبد الله هذا هو الذي كان بعد ذلك قاضي القضاة بمصر، وهو الذي حبس القياسير التي كانت في القشاشين بمصر، وكان يُحْمَلُ قُدَّامَهُ المنازة الرومية النحاس ذات السواعد التي عليها الشَّمْعُ ليالي الوُقُودات . وكان فيه كَرَمٌ ، سَمِعَ أَنَّ الماذرائي^a عَمِلَ فِي أَيَّامِهِ الكَعْكُ الصَّغِيرَ ، المَحْشُوَّ بالسُّكَّرِ - المَسْمِيُّ «أفطن له» - فَأَمَرَ هُوَ بِعَمَلِ لُبِّ الفُسْتُقِ المَلْبَسِ بالسُّكَّرِ الأبيضِ الفانيدِ المَطْبُوبِ بالمِسْكِ ، وَعَمِلَ مِنْهُ فِي أَوَّلِ الحَالِ شَيْئًا عِوَضَ لُبِّ ذَهَبٍ فِي صَخْنٍ وَاحِدٍ ، فَتَمَضَى فِيهِ جُمَّلَةً ، وَخُطِفَ قُدَّامَهُ ، تَخَاطَفَهُ الحَاضِرُونَ ، وَلَمْ يَعدْ لِعَمَلِهِ بَلِ الفُسْتُقِ المَلْبَسِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أُخْرِجَهُ بِمِصْرَ . وَكَانَ قَدْ سَمِعَ فِي سِيرَةِ أَبِي بَكْرِ الماذرائي^a أَنَّهُ عَمِلَ هَذَا الأفطنَ لَهُ ، وَجَعَلَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ خَمْسَةَ دَنَانِيرَ ، وَوَقَّفَ أَشْتَاذَ عَلِي السَّمَاطِ ، فَقَالَ لِأَحَدِ الجُلَسَاءِ : «أفطن له» ، وَكَانَ عَلِي السَّمَاطِ عِدَّةَ صُحُونٍ مِنْ ذَلِكَ الجِنْسِ ، لَكِنْ مَا فِيهَا مَا فِيهِ دَنَانِيرٌ إِلَّا صَخْنٌ وَاحِدٌ . فَلَمَّا رَمَزَ الأَسْتَاذُ لِأَحَدِ الجُلَسَاءِ عَلِي سَمَاطِ الماذرائي^a بِقَوْلِهِ «أفطن له» - وَأَشَارَ إِلَى الصَّخْنِ - تَنَاوَلَ الرَّجُلُ مِنْهُ ، فَأَصَابَ ذَلِكَ فَاعْتَمَدَ لَهُ ، فَحَصَلَ لَهُ جُمَّلَةً . وَرَأَى النَّاسُ وَهُوَ إِذَا أَكَلَ يُخْرِجُ شَيْئًا مِنْ فَمِهِ وَيَجْمَعُ بِيَدِهِ ، وَيَخُطُّ فِي حِجْرِهِ ، فَتَنَبَّهُوا وَتَرَاخَمُوا عَلَيْهِ ، فَقِيلَ لِذَلِكَ المَعْمُولِ مِنْ ذَلِكَ الوَقْتِ : «أفطن له» .
- وَقُتِلَ هَذَا القَاضِي فِي تَيْسِ ، فِي أَيَّامِ بَهْرَامِ الوَازِرِ النُّصْرَانِي الأَزْمَنِيِّ ، سَنَةَ وَعِشْرِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ .

جوسق ابن مفسر^c

كان جوسقا طويلاً ذا ثوبية إلى جانيه .

جوسق الشيخ أبي محمد

عامل ديوان الأشراف الطالبيين . و«جوسق ابن عبد المحسن» بخط الأكمول . و«جوسق البغدادي الجزجرائي» - كان قبره إلى جانيه - خرب في سنة عشرين وخمسة مائة ، و«جوسق الشريف أبي إسماعيل إبراهيم بن نسيب الدولة الكلثمي الموسوي» نقيب مصر .

(a) بولاق : المادرائي . (b) بياض في النسخ ، وفي بولاق ست (؟) (c) بولاق : ابن مفسر .

¹ ابن ميسر : أخبار مصر ١٢٧ ؛ ابن حجر : رفع الإصر ١٦٣ : ٣ ، المقفى الكبير ٤٠٠ : ٧ - ٤٠١ ؛ السيوطي : حسن ٤٢٧-٤٢٨ (عن الشريف الجواني) ؛ المقرئ : اتعاظ الخفا المحاضرة ٢ : ١٥٢ ، وفيما تقدم ١٢٨ : ٢ (عن الشريف الجواني) .

جَوْسِقُ الْمَاذِرَائِي^(a)

هذا الجَوْسِقُ لم يَبْقَ من جَوَاسِقِ الْقَرَّافَةِ غَيْرِهِ . وهو جَوْسِقٌ كَبِيرٌ جِدًّا عَلَى هَيْئَةِ الْكَعْبَةِ ، بِالْقُرْبِ مِنْ مُصَلَّى خَوْلَانَ فِي بَحْرِيهِ ، عَلَى جَانِبِيهِ الْمَمْرُ مِنْ مَقْطَعِ الْحِجَارَةِ ؛ بِنَاءِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدِ ابْنِ عَلِيِّ الْمَاذِرَائِيِّ^(a) فِي وَسْطِ قُبُورِهِمْ مِنَ الْجَبَانَةِ .

وَكَانَ النَّاسُ يَجْتَمِعُونَ عِنْدَ هَذَا الْجَوْسِقِ فِي الْأَعْيَادِ ، وَيُوقَدُ جَمِيعُهُ فِي لَيْلَةِ النُّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ كُلِّ سَنَةٍ وَقُودًا عَظِيمًا ، وَيَتَحَلَّقُ الْقُرَاءُ حَوْلَهُ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، فَيَمُرُّ لِلنَّاسِ هُنَالِكَ أَوْقَاتٌ ، فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَفِي الْأَعْيَادِ ، بِدَيْعَةٍ حَسَنَةٍ .

جَوْسِقُ حَبِّ الْوَرَقَةِ

كَانَ هَذَا الْجَوْسِقُ بِحَضْرَةِ ثُرَيَّةِ ابْنِ طَبَّاطَبَا . أَدْرَكْتُهُ عَامِرًا ، وَقَدْ خَرِبَ فِيمَا خَرَبَتِ الشُّفَهَاءُ مِنْ تَرْبِ الْقَرَّافَةِ وَجَوَاسِقِهَا ، زَعَمًا مِنْهُمْ أَنَّ فِيهَا خَبَايَا .

وَكَانَ أَكْبَرُ أَمْرَاءِ الْمَعَاوِرِ^(b) ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَمَنْ يَجْرِي مَجْرَاهُمْ ، لِكُلِّ مِنْهُمْ جَوْسِقٌ بِالْقَرَّافَةِ يَنْزُهُ فِيهِ ، وَيَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى هُنَاكَ ، وَكَانَ مِنْ هَذِهِ الْجَوَاسِقِ مَا تَحْتَهُ حَوْضٌ مَاءٍ لَشُرْبِ الدُّوَابِ وَفَسْقِيَّةٌ وَبُشْتَانٌ .

وَكَانَ بِالْقَرَّافَةِ عِدَّةٌ قُصُورٌ ، وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى بِـ «الْجَوَاسِقِ» ، لَهَا مَنَاطِرٌ وَبَسَاتِينٌ ، إِلَّا أَنَّ الْجَوَاسِقَ أَكْثَرُهَا بَغِيرَ بَسَاتِينٍ ، وَلَا يَثْرُ ، بَلْ مَنَاطِرٌ مُرْتَفِعَةٌ ، وَيُقَالُ لَهَا كُلُّهَا «قُصُورٌ» :

قَصْرُ الْقَرَّافَةِ

بَنَتْهُ السَّيِّدَةُ تَغْرِيدُ^(c) ، أُمُّ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ ، فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، عَلَى يَدِ الْحَسَنِ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْفَارِسِيِّ الْمُحْتَسِبِ ، هُوَ وَالْحَمَّامُ الَّذِي كَانَ فِي غَزْوِيهِ ، وَبَنَتِ الْبَيْرُ وَالْبُشْتَانُ الْمَعْرُوفُ بِالتَّاجِ ، الْمَعْرُوفُ بِحِصْنِ أَبِي الْمَعْلُومِ ، وَبَنَتِ جَمِيعَ الْقَرَّافَةِ .

(a) بولاق : المادرائي . (b) بولاق : المغافر . (c) بولاق : تغريد .

ثم جدده الأمر بأحكام الله ، ويخصه في سنة عشرين وخمسة مائة ، وعمل شرقي باب مَضطَبَة للصوفيّة ، وكان مقدّمهم الشيخ أبو إسحاق إبراهيم المعروف بالمايح ، وكان الأمر يجلس في الطاق بالمنظر الذي بناه بأعلى القصر ، ويخص أهل الطريقة قدامه .
وقد ذكر هذا القصر عند ذكر مناظر الخلفاء من هذا الكتاب ^١ . ولم يزل هذا القصر إلى ربيع الآخر سنة سبع وستين وخمسة مائة .

ذكر الرباطات التي كانت بالقرافة

/ كان بالقرافة الكبيرة عدّة دُورٍ ، يُقال للدّار منها «رباط» ، على هَيْمَة ما كانت عليه يُيوث أزواج النبي ﷺ ، يكون فيها العجايز والأرامل العابدات ، وكانت لها الجرايات والفتوحات ، وكان لها المقامات المشهورة من مجالس الوعظ .

رباط بنت الخواص

كان تجاه مسجد بيد الفقيه مجلّي بن جميع بن نجّ الشافعي ، مؤلف كتاب «الدّخائر» ، وقاضي القضاة بمصر .

رباط الأشراف

كان برحبة جامع القرافة يُعرف بالقراء ، وبينه عبد الله ، وبمسجد القبة ، وهو شرقي بُستان ابن نصر . بناه أبو بكر محمد بن علي الماذراني ^(a) ، ووقفه على نساء الأشراف .

رباط الأندلس

بنته الجهة المعروفة بجهة مكنون الأميرة كما تقدّم .

(a) بولاق : الماذراني .

^١ فيما تقدم ٢ : ٥٨٠-٥٨١ .

رباط ابن العكاري

كان بحضرة مسجد بني سريع، المعروف بالجامع العتيق.

رباط الحجازية

بنته، وحبسته على الحجازية، فوز؛ جارية علي بن أحمد الجزجرائي الوزير، هو والمسجد الذي تقدم ذكره.

رباط رياض

كان بجوار مسجد الحاجية رياض.

ذكر المصليات والمخاريب التي بالقرافة

وكان في القرافة عدة مصليات وعدة مخاريب، منها:

مُصَلَّى الْمَعَاْفِر^(a)

وَهُوَ الْأَثَدَس

جدده ابن برك الإخشيدى، ثم بنته جهة مكنون الأميرة في سنة ست وعشرين وخمس مائة.

مُصَلَّى الشَّرِيفَةِ

كان بدرب القرافة بحذرة الجباسين وخطة الصدف. بناء أبو محمد عبد الله بن الأزسوفى الشامي التاجر سنة سبع وسبعين وخمس مائة.

(a) بولاق : المغافر.

مُصَلَّى عَقَبَةِ الْقَرَّاقَةِ

يُعرف بـ «مُصَلَّى الأَنْدَلُسِ»، كان ذا مَضْطَبَةٍ مُرَبَّعَةٍ عَلَى يَسْرَةِ الطَّالِعِ إِلَى الْقَرَّاقَةِ . بَنَاهُ يُوسُفُ ابْنُ أَحْمَدَ الأَنْدَلُسِيُّ الأَنْصَارِيُّ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ خَمْسِ عَشْرَةَ وَخَمْسِ مِائَةٍ .

مُصَلَّى الْقَرَّاقَةِ

بَنَاهُ جَدُّهُ الفَقِيهُ ابْنُ الصُّبَّاحِ المَالِكِيُّ فِي سَنَةِ عِشْرِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ ، وَكَانَ بِحَضْرَةِ مَسْجِدِ أَبِي تَرَابٍ تَجَاهَ دَارِ التُّبْرِ .

مُصَلَّى الفَتْحِ

كَانَ مُلَاصِقًا لِمَسْجِدِ الفَتْحِ . بَنَاهُ أَبُو مُحَمَّدٍ القَلْعِيُّ المَغْرِبِيُّ المُنْجَمُ الحَافِظِيُّ .

مُصَلَّى جَمَّةِ العَارِلِ

أَبِي الحَسَنِ بِنِ الشَّلَارِ وَزَيْرِ مِصْرَ .

مُصَلَّى الإِطْفِيحِيِّ

بِجَوَارِ مَسْجِدِ الإِطْفِيحِيِّ الَّذِي تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ .

مُصَلَّى الجَزْجَرَانِيِّ^(a)

بَنَاهُ الوَزِيرُ عَلِيُّ بِنِ أَحْمَدَ الجَزْجَرَانِيِّ^(a) .

وَكَانَتْ بِالْقَرَّاقَةِ الكَبْرَى وَالجَبَّانَةَ عِدَّةَ مَحَارِيبَ خَرِبَتْ كُلُّهَا^(b) .

مُصَلَّى خَوْلَانَ

هَذِهِ المُصَلَّى عُرِفَتْ بِطَائِفَةٍ مِنَ العَرَبِ الَّذِينَ شَهِدُوا فَتْحَ مِصْرَ ، يُقَالُ لَهُمْ خَوْلَانَ ، وَهَمٌّ مِنْ

(a) بولاق : المجراني . (b) هنا في هامش نسخة ميونخ : يياض في الأصل .

قبائل اليمن، واسمه نكل بن عمرو بن مالك بن زيد بن عريب. وفي هذه المصلى مشهد الأعياد، ويؤم الناس ويخطب لهم بها في يوم العيد، خطيب جامع عمرو بن العاص. وليست هذه المصلى هي التي أنشأها المسلمون عند فتح أرض مصر، وإنما كانت مصلى العيد في أول الإسلام غير هذه.

قال القضاعي: «مصلى العيد»، كان مصلى عمرو بن العاص مقابل اليعقوم، وهو الجبل المطل على القاهرة، فلما ولي عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر، أمر بتحويله، فحول إلى موضعه، المعروف اليوم بـ «المصلى القديم»، عند درب السباع، ثم زاد فيه عبد الله بن طاهر سنة عشر ومائتين، ثم بناه أحمد بن طولون في سنة ست وخمسين ومائتين، واسمه باقي عليه إلى اليوم.

قال الكندي: ولما قدم شفي الأصبحي إلى مصر، وأهل مصر قد اتخذوا مصلى بجذاء ساقية أبي عون عند العسكر، قال: ما لهم وضعوا مصلاًهم في الجبل الملعون، وتركوا الجبل المقدس، يعني المقطم؟

قال [الحسن بن ثوبان] ^(a): فقدّموا مصلاًهم إلى / موضعه الذي هو به اليوم، يعني المصلى القديم المذكور.

وقال الكندي: ثم ضاق المصلى بالناس في إمارة عنبسة بن إسحاق الضبي على مصر، في أيام المتوكل على الله، فأمر عنبسة بابتناء المصلى الجديد. فابتدى بينائه في العشر الأخير من شهر رمضان سنة أربعين ومائتين، وصلى فيه يوم النحر من هذه السنة ^١.

وعنبسة هو أخير عربي ولي مصر، وأخير أمير صلي بالناس في المسجد ^٢، وهو المصلى الذي بالصحرَاء عند الجارودي. ثم جدّده الحاكم وزاد فيه، وجعل له قبة، وذلك في سنة ثلاث وأربع مائة.

(a) زيادة من ولاية مصر اقتضاها السياق وهو سند الرواية.

^٢ نفسه ٢٢٨؛ وفيما تقدم ٢: ٧٨.

^١ الكندي: ولاية مصر ٢٢٧-٢٢٨.

وكان أمراء مصر إذا خَرَجُوا إلى صلاة العيد بالمُصَلَّى، أوقفوا جيشًا في سفح الجبل - مما يلي بركة الحبش - ليراعي الناس حتى ينصرفوا من الصلاة، خوفًا من البجعة. فإنهم قَدِمُوا غير مرة، رُكبانًا على النُجُب، حتى كَبَسُوا الناس في مُصَلَّاهم، وقتلوا ونهبوا، ثم رجَعُوا من حيث أتوا.

٥ فخرَجَ عبد الحميد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، غَضَبًا لله وللمسلمين مما أصابهم من البجعة، فكَمَنَ لهم بالصَّعيد في طريقهم، حتى أقبلوا، كعادتهم في أخذ الناس في مُصَلَّى العيد، فكَبَسَهُم، وقتل الأعمور رئيسهم. بعدما أقبلوا إلى المُصَلَّى في العيد في سنة ست وخمسين ومائتين - وأمير مصر أحمد بن طولون - على النُجُب، وكَبَسُوا الناس في مُصَلَّاهم، وقتلوا ونهبوا منهم، وعادوا سالمين.

١٠ ثم دَخَلَ العُمري إلى بلاد البجعة غازيًا، فقتل منهم مَقْتلة عظيمة، وضايقهم في بلادهم إلى أن أعطوه الجزية - ولم يكونوا أعطوا أحدًا قبله الجزية - وسار في المسلمين وأهل الذمة سيرة حسنة، وسالم التوبة إلى أن بدأ التوبة بالعدر في الموضع المعروف بالمريس^١. فمال عليهم وحاربهم، وخرَّب ديارهم، وسبى منهم عالمًا كبيرًا، حتى كان الرجل من أصحابه يبتاع الحاجة من الزيات والبقال بنوبي أو نوبية لكثرتهم معهم. فجاءوا إلى أحمد بن طولون، وشكوا له من العُمري، فبعث إليه جيشًا ليحاربه، فأوقع بالجيش وهزمهم، وكانت له أنباء وقصص. إلى أن قتل غلامان من أصحابه، وأحضرا رأسه إلى أحمد بن طولون، فأنكر فعلهما، وضرب أعناقهما، وغسل الرأس ودفنه^٢.

^١ انظر عن مريس التوبة فيما تقدم ١: ٥١٨، ٥١٩، راجع، المقرئ: المقفى الكبير ٤: ٤٠٣-٤١٥؛

^٢ وفيما تقدم ١: ٥٣٤.

٥٣٧، ٥٣٨.

زِكْرُ الْمَسَاجِدِ وَالْمَعَابِدِ الَّتِي بِالْجَبَلِ وَالصَّخْرَاءِ

وكان بجبل المقطم وبالصخراء - التي تُعرف اليوم بالقرافة الصغرى - عدة مساجد وعدة مغائر يتقطع العبادة بها، منها ما قد دثر، ومنه شيء قد بقي أثره.

التثور^(١)

هذا المسجد في أعلى جبل المقطم من وراء قلعة الجبل في شرقها أدركته عامراً، وفيه من يُقيم

به .

قال القضاعي: المسجد المعروف بالتثور بالجبل، هو موضع ثور فزعون. كان يُوقد له عليه^(ب)، فإذا رأوا النار علموا بركوبه، فأتخذوا له ما يُريد، وكذلك إذا ركب منصرفاً من عين شمس. ثم بناه أحمد بن طولون مسجداً في صفر سنة تسع وخمسين ومائتين. ووجدت في كتاب قديم أن يهوداً بن يعقوب، أختا يوسف - عليه السلام - لما دخل مع إخوته على يوسف، وجرى من أمر الصواع ما جرى، تأخر عن إخوته، وأقام في ذروة الجبل المقطم في هذا المكان، وكان مُقابلاً لثور فزعون الذي كان يُوقد له فيه النار.

ثم خلا ذلك الموضع إلى زمن أحمد بن طولون، فأخبر بفضل الموضع، وبمقام يهودا فيه، فابتنى فيه هذا المسجد والمنارة التي فيه، وجعل فيه صهريجاً فيه الماء، وجعل الإنفاق عليه بما وقفه على البيمارستان بمصر والعين التي بالمعافر^(ج) وغير ذلك.

ويقال: إن ثور فزعون لم يزل في هذا الموضع بحاله، إلى أن خرج إليه قائد من قواد أحمد ابن طولون، يُقال له وصيف قاطرميز^(د)، فهدمه وحفر تحته، وقدّر أن تحته مالا، فلم يجد فيه شيئاً، وزال رسم الثور وذهب^١.

(a) بولاق: مسجد التنور. (b) في مرشد الزوار: كان يوقد عليه بالطرفاء واللبان والصندل ليرفع عن أهل مصر الوباء. (c) بولاق: المغافر. (d) ولاية مصر (٢٦٨، ٢٦٩): وصيف القطرميز.

^١ الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ١٩ - ٢٠؛ ابن الزيات: الكواكب السيارة ١٣ - ١٤.

وَأَنْشَدَ أَبُو عُمَرَ الْكِنْدِيُّ فِي كِتَابِ «أَمْزَاءِ مِصْرَ» مِنْ آيَاتِ لَسَعِيدِ الْقَاصِّ^١:

[الطويل]

وَتَشُورُ فِرْعَوْنَ الَّذِي فَزَقَ قُلْبَهُ عَلَى جَبَلِ عَالٍ عَلَى شَاهِقٍ وَعُغْرٍ^(a)
بَنَى مَسْجِدًا فِيهِ يَرُوقُ^(b) بِنَاؤُهُ وَيَهْدِي بِهِ فِي اللَّيْلِ إِنْ ضَلَّ مَنْ يَشْرِي
تَحَالَ سَنَا قِنْدِيلِهِ وَضِيَاءُهُ سَهَيْلًا إِذَا مَا لَاحَ فِي اللَّيْلِ لِلسَّفْرِ

القرظوبي

قال القضاعي: المسجد المعروف بالقرظوبي هو على قُرُونَةِ الْجَبَلِ الْمُطَّلِّ عَلَى كَهْفِ الشُّودَانَ .
بناه أبو الحسن القرظوبي الشاهد، وَكَيْلُ التُّجَّارِ بِمِصْرَ، فِي سَنَةِ خَمْسِ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ^٢. وَكَانَ
فِي مَوْضِعِهِ مِخْرَابٌ حِجَارَةٌ يُعْرَفُ بِمِخْرَابِ ابْنِ الْفُقَّاعِيِّ، الرَّجُلِ الصَّالِحِ، وَهُوَ عَلَى يَسَارِ
المِخْرَابِ^٣.

مسجد أمير الأمراء

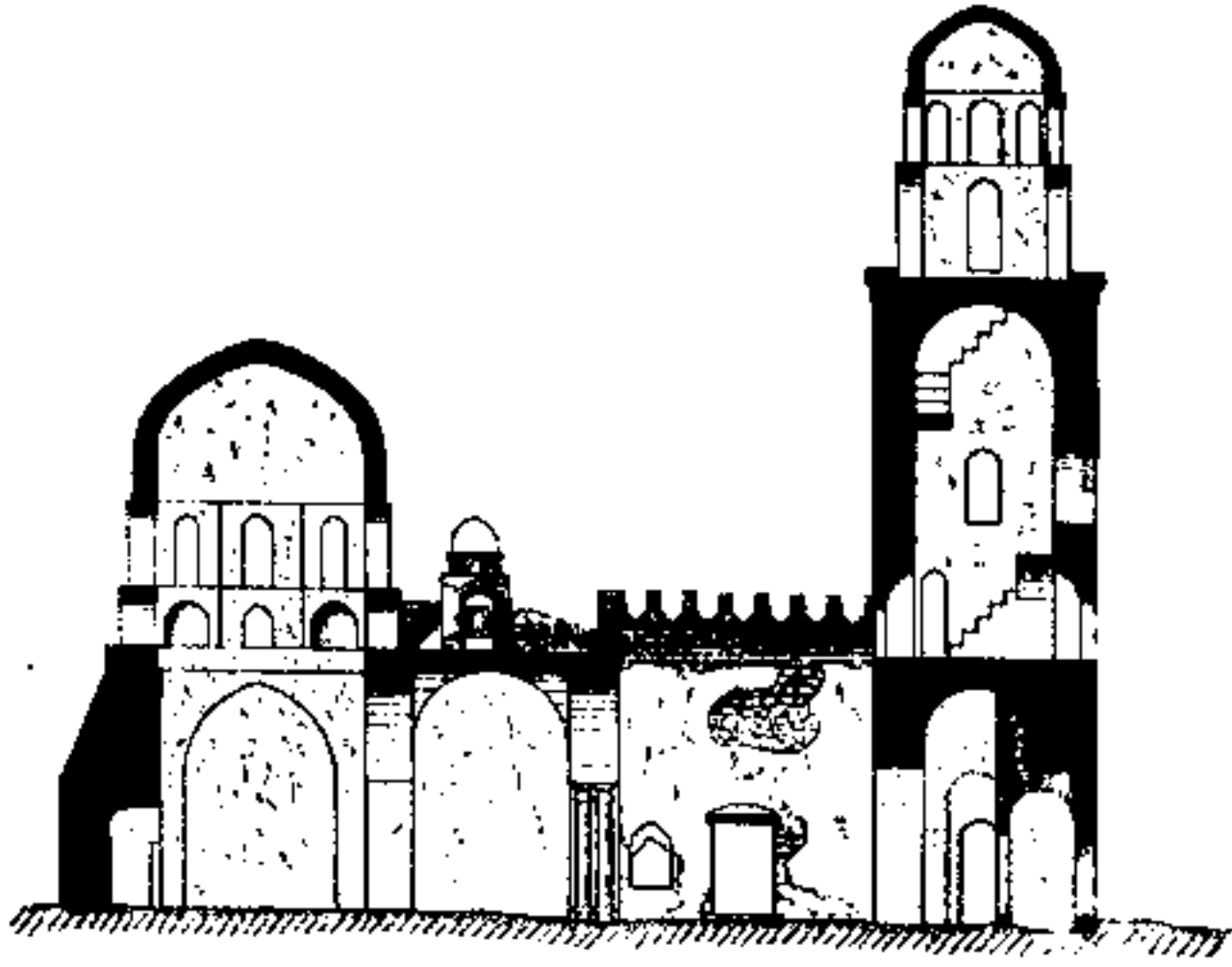
بئر المشتنصري^(c)

[أثر رقم ٣٠٤]

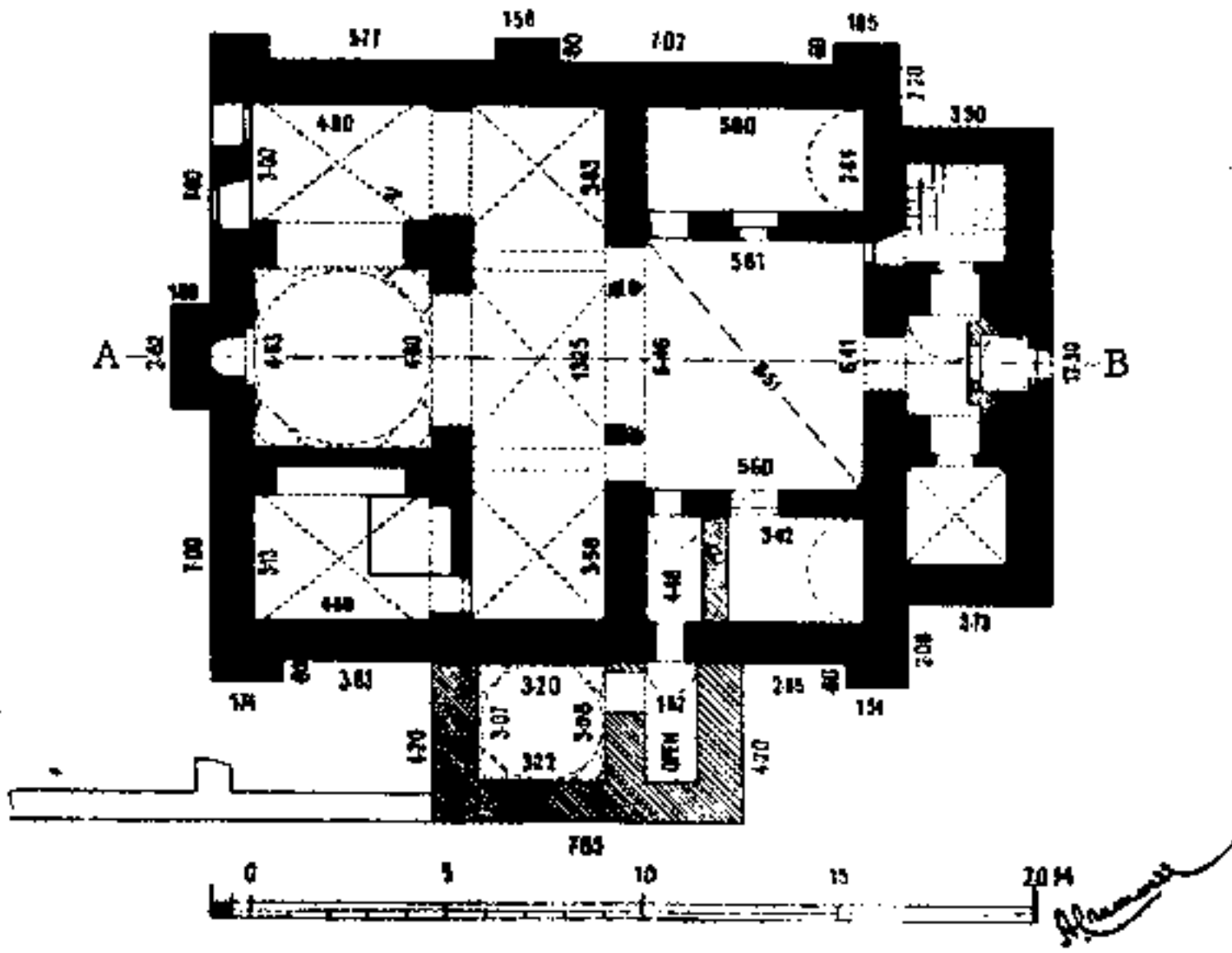
على قُرُونَةِ الْجَبَلِ الْبَحْرِيَّةِ، الْمُطَّلَّةِ عَلَى وَادِي مَسْجِدِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ^٤.

(a) فِي وِلَاةِ مِصْرَ: عَلَى شَاهِقِ عَالٍ عَلَى جَبَلِ وَعُغْرٍ. (b) وِلَاةِ مِصْرَ: بِفَوْقِ. (c) فِي النِّسْخِ وَفِي مَرشِدِ الزُّوَارِ،
مِصْرَ الْمَقْرِيظِيِّ: رَفَقَ الْمُسْتَنْصِرِيُّ وَهُوَ خَطَأً صَوَابُهُ مَا أَثْبَتَهُ، وَانظُرْ هُ^٤ فِيمَا يَلِي.

- ^١ الكندي: ولاية مصر ٢٧٦؛ وفيما تقدم ٢: ١٠٧.
^٢ زُبَيْمًا كَانَ هُوَ نَفْسُهُ أَبُو الْحَسَنِ (الْحَسَنِ) عَلِيَّ بْنَ ...
القرظوبي الذي ذكره المُسَبِّحِي فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٤١٥ هـ.
(أخبار مصر ٥٨، ٩٦).
^٣ الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٢١ ابن الزيات:
الكواكب السيارة ١٤.
^٤ نفسه ٢٢، وبقية الخبر فيه: وأنشأه الإمام المُسْتَنْصِرُ
بِالله أمير المؤمنين فِي أَيَّامِ الْجَنَابِ الشَّيْخِ الْأَجَلِّ أمير الجيوش
سَيِّفِ الْإِسْلَامِ رَفَقَ الْمُسْتَنْصِرِيُّ فِي شَهْرِ الْمُحْرَمِ الْحَرَامِ سَنَةِ
٤٨٧ هـ، وَالذُّعَاءُ مُجَابٌ بِهَذَا الْمَكَانِ وَليْسَ لَهُ نَظِيرٌ.
وَوَاضِحٌ أَنَّ هُنَاكَ خَطَأً فِي نَصِّ الْمَوْفِقِ بْنِ عِثْمَانَ - الَّذِي
اعْتَمَدَ عَلَيْهِ الْمَقْرِيظِيُّ - فَالْأَلْقَابُ الشَّرِيفَةُ الْمَذْكُورَةُ هِيَ بِلَا
جِدَالِ أَلْقَابِ أمير الجيوش بئر المشتنصري لا رَفَقَ
المُسْتَنْصِرِيُّ عُدَّةَ الدَّوْلَةِ وَعَمَادَهَا زَمَامَ الْأَثْرَاكِ وَمُتَوَلَّى =



Section A-B



مسجد بدير المنتصرى أو المشهد الجيوشى، المخطط والمنظور (عن Creswell)

العصر. (ابن ميسر: أخبار مصر ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٤: ١٣٨)، والتاريخ المذكور يتفق تماما مع التاريخ المثبت على اللوح الموجود فوق مدخل المشهد الواقع على قرنة الجبل المقطم المطلة على وادي موسى، المعروف بـ «المشهد» = الجيوشى، والمسجل بالآثار برقم ٣٠٤. ويحمل هذا اللوح كتابة تاريخية بالخط الكوفي من خمسة أسطر، نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم - الآيات ١٨ سورة الجن، و ١٠٨ سورة التوبة - مما أمر بعمارة هذا المشهد المبارك =

كهف السودان

[أثر رقم ٥١٧]

مغارة في الجبل لا يُعلم من أخذته^(a)، ويقال إن قوماً من السودان نَقَرُوهُ فَنَسِبَ إليهم، وكان صغيراً مُظْلِماً، فَبَنَاهُ الأَخْدَبُ الأَنْدَلُسِيُّ القَرَّازُ، وزادَ في سِيفِهِ مَوَاضِعَ نَقَرَهَا، وَبَنَى عُلُوَّهُ. وَيُقَالُ إِنَّهُ أَنْقَقَ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ دِينَارٍ، وَوَسَّعَ المَجَازَ الَّذِي يُسَلِّكُ مِنْهُ إِلَيْهِ، وَعَمِلَ الدَّرَجَ النَّقْرَ الَّتِي يُصْعَدُ عَلَيْهَا إِلَيْهِ، وَبَدَأَ بِنِيَانَهُ^(b) مُسْتَهْلَ سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ، وَفَرَّغَ مِنْهُ فِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ^١.

(a) بعد ذلك عند الموفق بن عثمان: ولا في أي زمان أُخْدِثَ. (b) بولاق: في بنيانه.

«The Earliest Islamic Commemorative Structures», *Ars Orientalis* VI (1966), pp. 27-29, n°48; سعاد ماهر: مساجد مصر ١: ٢٧٧-٢٨٤; Ragib, Y., «Un oratoire fatimide au sommet du Muqattam», *SI LXV* (1987), pp. 51-67; Fu'ad Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 433-40; عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ٤٥٥-٤٦٨.

^١ الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٢١-٢٢، ٣١٩؛ ابن الزيات: الكواكب السيارة ١٤. وكهف السودان في أصله مَحَجَّرٌ فرعونِي قَدِيمٌ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ مَغَارَةٍ عَمِيقَةٍ فِي دَاخِلِ الجبلِ فَوْقَ مَنطِقَةِ الإِبَاجِيَّةِ أَسْفَلَ مَشْهَدِ الجِيوشِيِّ، اسْتغْلَتْ فِي النصفِ الأَوَّلِ مِنَ القَرْنِ العِشْرِينَ طَائِفَةً المُنْتَصِرَةَ المَعْرُوفَةَ بِالإِكْتِاشِيَّةِ، وَعَرَفَ كَذَلِكَ بِتَكْيَةِ المَغَاوِرِيِّ لِوُجُودِ قَبْرِ قَائِمِوزَيْسِ أِبْدَالِ المَعْرُوفِ بِعَبْدِ اللهِ المَغَاوِرِيِّ بِدَاخِلِهِ، كَمَا دُفِنَ بِالقَرْبِ مِنْهُ ابْنُ لِلْمُلْطَانِ حَسِينِ كَامِلِ سُلْطَانِ مِصْرَ بَيْنَ سَنَتَيْ (١٩١٤-١٩١٧). (انظر كذلك، عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ٤٤٩-٤٥٤).

= فتى مولانا وسيدنا الإمام المُسْتَنْصِرُ بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الأئمة الطاهرين وأبنائه الأكرمين، وسَلَّمَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، الشَّيْخُ الأَجَلُّ أمير الجيوشِ سَيِّفُ الإِسْلَامِ ناصِرُ الإِمَامِ كَافِلُ قُضَاةِ المُسْلِمِينَ وَهَادِي دُعَاةِ المُؤْمِنِينَ - عَضَّدَ اللهُ بِهِ الدِّينَ، وَأَمْتَقَ بِطَوْلِ بَقَائِهِ أمير المؤمنين، وَأَدَامَ قُدْرَتَهُ وَأَعْلَى كَلِمَتِهِ وَكَيَّدَ عُدُوَّهُ وَخَسَدَتَهُ - ابْتِغَاءً مَرْضَاةَ اللهِ فِي المَحْرَمِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ.

van Berchem, M., *CIA Égypte* I, n°32, pp. 56-57; Wiet, G., *RCEA* VII, n°2752.

وراجع عن المَشْهَدِ وَتَخْطِيطِهِ وَالعَرَضِ مِنْ بِنَائِهِ، van Berchem, M., «Une mosquée du temps des Fatimides au Caire - Notice sur le gami' al-Guyûshi», *MIE* II (1889), pp. 605-17; Hauteceur, L., *Les mosquées du Caire* I, pp. 229-32; Creswell, K.A.C., *MAE* I, pp. 155-60; أحمد فكري: مساجد القاهرة ١: ٨٩-٩٤، Shâfê'i, F., «The Mahhad al-Juyûshi - Archeological Notes and Studies», in *Studies in Islamic Art and Architecture in honour of Professor K.A.C. Creswell*, AUC 1965, pp. 237-52; Grabar, O.,

العَارِضُ

هذا المكان مَغَارَةٌ فِي الْجَبَلِ ، عُرِفَتْ بِأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٍ جَدِّ مُسْلِمِ الْقَارِي لِأَنَّهُ نَقَرَهَا ، ثُمَّ عُمِّرَتْ بِأَمْرِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ^١ ، وَأُنشِئَتْ فِيهَا مَغَارَةٌ هِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى الْيَوْمِ . وَتَحْتَ الْعَارِضِ قَبْرُ الشَّيْخِ الْعَارِفِ عُمَرَ بْنِ الْفَارِضِ ^٢ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَهُوَ دَرُّ الْقَائِلِ ^٣ :

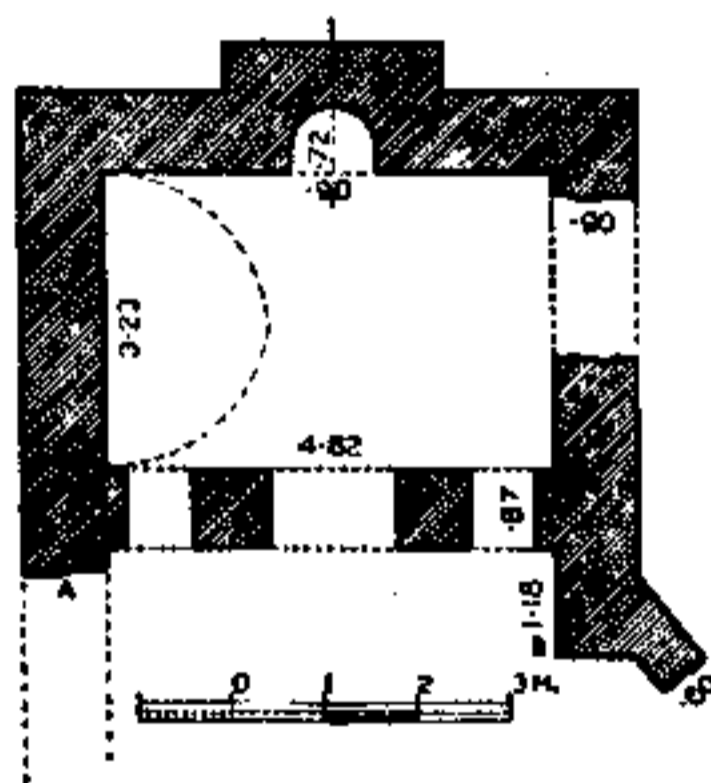
[الكامل]

جُزْ بِالْقِرَافَةِ تَحْتَ ذَيْلِ الْعَارِضِ وَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ الْفَارِضِ
وَقَدْ ذَكَرَ الْقَضَاعِيُّ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مَغَارَةً فِي الْجَبَلِ ، مِنْهَا مَا هُوَ بَاقٍ ، وَلَيْسَ فِي ذِكْرِهَا فَائِدَةٌ .

اللُّؤْلُؤَةُ

[الررقم ٥١٥]

- ١٠ هذا المكان مَسْجِدٌ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ بَاقٍ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا . كَانَ مَسْجِدًا خَرَابًا ، فَبَنَاهُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَسَمَّاهُ «اللُّؤْلُؤَةُ» . قِيلَ كَانَ بِنَاؤُهُ فِي سَنَةِ سِتِّ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ ، وَهُوَ بِنَاءٌ حَسَنٌ ^٤ .



مُخَطَّطُ مَسْجِدِ اللُّؤْلُؤَةِ (عَنْ CRESWELL)

وانظر كذلك حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية

Homerin, Th. E., «The Domed Shrine of Ibn al-Fârid», *An. Isl.* XXV (1991), pp. 133-38.

^٣ هو الشَّيْخُ عَلِيُّ سِبْطِ بْنِ الْفَارِضِ (ابن بنته) كما عند المؤتَّق بن عثمان : مرشد الزوار ٥٤٧ .

^٤ يوجد «مسجد اللؤلؤة» على بُعد أمتارٍ جنوب شرق -

^١ الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ٢٣ (ومصدره القضاعي) . وشبه أن يكون العارض هو الحرف الكلسي الذي يقع عليه الآن خائفيه شاهين الخلوتي .

^٢ المنذري : التكملة لوفيات النقلة ٣ : ٣٨٨ - ٣٨٩ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣ : ٤٥٥ ؛ الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ٥٤٦ - ٥٥٠ ؛ ابن الزيات : الكواكب السيارة ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ؛ السخاوي : تحفة الأحباب ٣٨٢ - ٣٨٣

مَسْجِدُ الدُّعَاءِ (a)

فيما بين اللؤلؤة ومسجد محمود، وهو مسجد قديم يُتبرك بالصلاة فيه^١، وقد ذكر مسجد محمود عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب؛ لأنه تُقام فيه الجمعة^٢.

دِكَّةُ القُضَاةِ

قال القضاعي: هي دِكَّةٌ مُرتفعةٌ عن المساجد في الجبل، كان القضاة بمصر يخرجون إليها لتَظير الأهل كل سنة، ثم بُني عليها مسجد.

مَسْجِدُ فَايِقِ

مولى حمارويه بن أحمد بن طولون: كان في سفح الجبل مما يلي طريق مسجد موسى، عليه السلام.

مَسْجِدُ مُوسَى

بناه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات^٣.

(a) بولاق: مسجد الهرعاء.

«مشهد إخوة يوسف» في سفح المقطم. وكان هذا المسجد يشتد في الأساس إلى جبل المقطم، ولكن الحجارين عزلوه تمامًا عن هذا الموقع وأصبح قائمًا وحده بعد أن ابتعد عن جدار الجبل، ونراه الآن فوق قمة منحدر كجزيرة منعزلة في وسط المحاجر، بعد أن قامت بترميمه وإعادة بنائه طائفة البهرة في عقد التسعينيات من القرن العشرين. (الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٢٤؛ ابن الزيات: الكواكب السيارة ١٤، ٢٤؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ١: ٣٠١-٣١؛ Ragib., Y., «Deux monuments fatimides au

١ الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٢٤ (ومصدره القضاعي)، وأضاف بعد ذلك: «ويُعرف بمسجد الإجابة أيضًا».

٢ فيما تقدم ١٧٩-١٨٠.

٣ الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٢٣.

«مشهد إخوة يوسف» في سفح المقطم. وكان هذا المسجد يشتد في الأساس إلى جبل المقطم، ولكن الحجارين عزلوه تمامًا عن هذا الموقع وأصبح قائمًا وحده بعد أن ابتعد عن جدار الجبل، ونراه الآن فوق قمة منحدر كجزيرة منعزلة في وسط المحاجر، بعد أن قامت بترميمه وإعادة بنائه طائفة البهرة في عقد التسعينيات من القرن العشرين. (الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٢٤؛ ابن الزيات: الكواكب السيارة ١٤، ٢٤؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ١: ٣٠١-٣١؛ Ragib., Y., «Deux monuments fatimides au

١ الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٢٤ (ومصدره القضاعي)، وأضاف بعد ذلك: «ويُعرف بمسجد الإجابة أيضًا».

٢ فيما تقدم ١٧٩-١٨٠.

٣ الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٢٣.

مسجد زهرون بالصخرة

هو مسجد أبي محمد الحسن بن عمر الخولاني، ثم عُرف بابن المبيض. وكان زهرون قبته، فُنسب إليه^١.

مسجد الفقاعي

هو أبو الحسن علي بن الحسن بن عبد الله، كان أبوه فقاعيًا بمصر، وهو مسجد كبير، بناه كافور الإخشيدي^٢، ثم جدده وزاد فيه مشغود بن محمد صاحب الوزير أبي القاسم علي ابن أحمد الجزجرائي.

وكان في وسط هذا المسجد ميخراب مبني بطوب، يُقال إنه من بناء حاطب بن أبي بلتعة رسول رسول الله ﷺ إلى المقوقس، ويُقال إنه أول ميخراب اختط في مصر، وكان أبو الحسن التميمي قد زاد فيه بناء قبل ذلك.

مسجد الكنز

هذا المسجد كان شرقي الخندق، وبخري قبر ذي النون المصري^٣. وكان مسجدًا صغيرًا يُعرف بالدعام^(a)، ومات قبل تمامه، فهدمه أبو طاهر محمد بن علي القرشي القرقوبي، ووسّعه وبناه.

وحكي أنه لما هدمه رأى قائلًا يقول في المنام: على أذرع من هذا المسجد كنز. فاستيقظ وقال: هذا من الشيطان، فرأى هذا القائل ثلاث مرّات. فلما أصبح أمر بحفر

(a) بولاق: بالزمام، ونسخة الفاعح: الدعام.

^١ الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٢٧٦-٢٧٧، وفيه بعد ذلك: وقبره مُستئم على صورة الهزم خارج المسجد. (مرشد الزوار ٣٢٠-٣٢١).

^٢ توفي أبو الحسن علي بن الحسن بن عبد الله، لثمانٍ تخلون من صفر سنة ثلاث وخمسين وثلاث مائة، كما هو مكتوب على قبره، كذا ذكره الموفق بن عثمان وأضاف: ٢٣٣-٢٣٧.

^٣ راجع عن قبر ذي النون المصري، الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٣٧٧-٤٣٨٧ ابن الزيات: الكواكب السيارة ٢٣٣-٢٣٧.

الموضع فإذا فيه قبر، وظهر له لوح كبير تحته ميث في الحديد، كأعظم ما يكون من الناس جثة ورأسا، وأكفائه طرية لم تبل منها إلا ما يلي جمة الرأس، فإنه رأى شعر رأسه قد خرج من الكفن، وإذا له جمة^١. فزاعه ما رأى، وقال: هذا هو الكثر بلا شك، وأمر بإعادة اللوح والتراب كما كان، وأخرج القبر عن سائر الحيطان، وأبرزه للناس، فصار يُزار ويُتبرك به^٢.

مشجد في غربي الخندق

أنشأه أبو الحسن بن النجار الزيات في سنة إحدى وأربعين وأربع مائة.

مشجد لؤلؤ الحجاب بالقراة الصغرى

١٠ بنى بجانيه مقبرة، وحفر عندها بئرا حتى انتهى الحفار إلى قزب الماء، فقال الحفار: إنني أجد في البئر شيئا كأنه حجر. فقال له لؤلؤ: تسبب في قلعه. فلما قلعه فاز الماء وأخرجه، وإذا هو / اسطام مزكب، وهو الخشبة التي تبنى عليها السفينة^٣.

وهذا يصدق ما قاله أرسطاطاليس في كتاب «الآثار العلوية»؛ قال: إن أهل مصر يشكنون فيما انحسر عنه البحر الأحمر^٤، يعني بحر الشام.

وقد ذكر خبر لؤلؤ هذا عند ذكر حمام لؤلؤ^٥.

^١ الجمة بضم الجيم؛ مجتمع شعر الرأس.

^٢ الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٣٩٢-٣٩٣؛ ابن

الزيات: الكواكب السيارة ٢٣١-٢٣٢ وسماه: الثوبة المعروفة بالكثر ونقل نص ابن عثمان.

^٣ أشار ابن الزيات: الكواكب السيارة ٢١٥ إلى

ثوبة الشنجاري لا مدرسته وذكر أنها الثوبة العظمى

الحسنة البناء المقابلة لجامع الشافعي، بها جماعة من العلماء والقضاة.

^٤ أرسطوطاليس: الآثار العلوية، تحقيق عبد الرحمن بدوي، القاهرة ١٩٦١.

^٥ فيما تقدم ٢٨٣:٣-٢٨٥.

[121r] ^a مَدْرَسَةُ السُّنْجَارِيِّ

بِالْقَرَّافَةِ

هذه المَدْرَسَةُ بجانب جامع القَرَّافَةِ المجاور لِتَرْبِيَةِ الشَّافِعِيِّ^١، رحمه الله، أنشأها بَدْرُ الدِّينِ أَبُو المَحَاسِنِ يُوْسُفُ بنِ الحَسَنِ بنِ عَلِيِّ بنِ الخِضْرِ المعروف بالسُّنْجَارِيِّ. ومَوْلَدُهُ في سنة ثمانٍ وسبعين وخمسة مائة بِسَوَادِ إِزْبِلَ، ومات يوم السَّبْتِ رابعَ عَشَرَ رَجَبِ سنة ثلاثٍ وستين وست مائة بالقاهرة^٢، وذلك أَنَّهُ دَخَلَ الحَمَّامَ وأكَلَ بعد خروجه مُطَبَّجًا أَصْفَرَ وسَكَنَ جَبِينًا وأرادَ أَن يَتَّقِيَا فلم يَقْدِر ومات، فَحَضَرَ تاجُ الدِّينِ عبد الوَهَّابِ بن بنت الأَعَزِّ العَلَائِيِّ دَفَنَهُ وَحَضَرَ وَلَدُ بَدْرِ الدِّينِ فَأَخَذَهُ تاجُ الدِّينِ وجَعَلَهُ في مِحْرَابِ المَدْرَسَةِ، وقال له: إن كنت عاقلاً فهذا مَوْضِعُكَ وإلا فلا تلوَمَنَّ إلا نَفْسَكَ^٣.

مَسْجِدُ الأَشْعُوبِ

بِالْقَرَّافَةِ

قال الشَّرِيفُ النَّقِيبُ مُحَمَّدُ بنُ أسْعَدِ بنِ عَلِيِّ بنِ [مَعْمَرِ بنِ عُمَرَ]^b الحُسَيْنِيِّ الجَوَانِي النَّسَابَةَ في كِتَابِ «الجَوْهَرِ المَكْتُونِ في ذِكْرِ القَبَائِلِ والبُطُونِ»: الأَشْعُوبُ فَخَذُ من جَمِيرٍ، وهم بنو أَشْعَبَانَ بنِ عَمْرُو بنِ قَيْسِ بنِ معاوية بن جُشَمِ بنِ عبد شَمْسِ بنِ وإيَلِ بنِ قَطَنِ بنِ عَرِيبِ بنِ زُهَيْرِ ابنِ أَيْمَنِ بنِ هَمَيْسِعِ بنِ جَمِيرِ بنِ سَبَأِ بنِ يَشْجُبِ بنِ يَعْزُبِ بنِ قَحْطَانَ، ولهم خِطَّةٌ مَسْجِدٌ بِالقَرَّافَةِ معروفٌ بالأَشْعُوبِ مُجاوِزٌ لِقَنَاطِرِ المَجْرَاةِ التي عَمِلَهَا الأَفْضَلُ بنُ أميرِ الجِيُوشِ سُلْطَانِ مصر، لَتَوْصَلَ المَاءَ إلى مَسْجِدِ الرُّجْلِ الصَّالِحِ الإطْفِيحِيِّ. وكان هذا الأَشْعُوبُ بيَدِ الفَقِيهِ الصُّدْرِ العَالِمِ أَبِي الحَسَنِ يَحْيَى بنِ زُهَيْرِ بنِ الصُّوَّافِ المَالِكِيِّ رحمه الله^a.

(a-a) إضافة من مُتَوَدِّة الخِطَط. (b) زيادة مما يلي.

٤١٢؛ أَبِي المَحَاسِنِ: النجوم الزاهرة ٧: ٢١٩.

^٣ أقام عبد اللطيف البغدادي، في فترة إقامته في مصر،

بهذا المسجد يُقْرَأُ النَّاسُ، كما ذكر في سيرته التي نُقِلَ عنها

ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ٢: ٢٠٥: ٢٤.

^١ تَقَعُ تَرْبِيَةُ (قُبَّة) الشَّافِعِيِّ بِالقَرَّافَةِ الصُّغْرَى (فيما يلي

^٢ راجع ترجمة بَدْرِ الدِّينِ السُّنْجَارِيِّ عند، الصَّفدي:

الوافي بالوفيات ٢٩: ١٨٣-١٨٥؛ ابن الفرات: تاريخ

الدول والملوك ٧: ٣٨؛ العيني: عقد الجمان ١: ٤١١-

مَقَامُ الْمُؤْمِنِ

قيل إنه مؤمن آل فِرْعَوْنَ لأنه أقام فيه ^١. وهذا بعيد من الصِّحَّة .

قَنَاطِرُ ابْنِ طُولُونٍ وَبَيْرُهُ

[أثر رقم ٣٠٦]

- هذه القناطر قائمة إلى اليوم من بئر أحمد بن طولون التي عند بركة الحبش ، وتُعرف هذه البئر في زَمِنَانَا^(a) ببئر عَفْصَة ، ولا تزال هذه القناطر إلى أثناء القرافة الكبرى ، ومن هناك خفيت لتهدمها ، وهي من أعظم المباني ^٢.

- قال القضاعي : «قناطر أحمد بن طولون وبئرته بظاهر المعافر» ، كان السبب في بناء هذه القناطر أن أحمد بن طولون ركب فمراً بمسجد الأقدام وحده ، وتقدم عشكره وقد كده العطش ، وكان في المسجد خياط ، فقال : يا خياط ، أعنذك ماء؟ قال : نعم . فأخرج له كوزاً فيه ماء ^{١٠} وقال : اشرب ولا تمد ، يعني لا تشرب كثيراً . فتبسم أحمد بن طولون ، وشرب فمد فيه حتى شرب أكثره ، ثم ناوله إياه ، وقال : يا فتى سقينا وقلت لا تمد ! فقال : نعم ، أعزك الله ، موضعا

(a) بولاق : عندنا .

وإد صغير اقتطع من الصخر ، ويتجه نحو السهل الخصب لمنطقة البساتين . وهي مبنية بأجر يماثل في الشكل والحجم آجر الجامع الطولوني ، وعقودها منكسرة مثل عقود الجامع أيضاً . (راجع ، البلوي : سيرة أحمد بن طولون ٣٥١ ؛ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٥٧-٥٨ ؛ Hassan, Z. M., Les Tulumides, pp. 295-97 ؛ زكي محمد حسن : الفن الإسلامي في مصر ٥٥ ، ٦٤-٦٦ ؛ Creswell, K.A.C., EMA II, pp. 329-32 ؛ فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الإسلامية ١ : ٥٠١-٥١٠ ؛ Fu'ad Sayyid, A., La capitale de l'Égypte, pp. 56-57 ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ١ : ٩٧-١١٤) .

^١ الموقف بن عثمان : مرشد الزوار ٢٠ .
^٢ لا تزال بعض عقود قناطر ابن طولون التي تُعرف الآن بـ «بجري الإمام» قائمة ، يتوصل إليها من الطريق المؤدي إلى قرافة البساتين ؛ فإذا سار المرء في الشارع المؤدي إلى قبة الإمام الشافعي ثم يدخل في شارع الطحاوية إلى اليسار ، ثم يعطف إلى اليمين في شارع الكردي ، تظهر له بعدما يقرب من كيلومترين القناطر وبُرج المأخذ المتصل بها على بعد نحو نصف كيلومتر من هذا الشارع المؤدي إلى البساتين والمعادي . وبُرج المأخذ هذا هو أكثر أجزاء القناطر الباقية تماسكاً ، وشيّد عند حافة صخرة بارزة من الأرض يخرج منها

هل هنا مُنْقَطِع ، وإنما أُخِيطُ جُمَعَتِي حَتَّى أَجْمَعَ ثَمَنَ رَاوِيَةٍ . فقال له : والماء عندكم هاهنا مُعْزُوز ؟
فقال : نَعَمْ .

فَمَضَى أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ . فَلَمَّا حَصَلَ فِي دَارِهِ قَالَ : جِئْتُنِي السَّاعَةَ^(a) بِخَيْطٍ فِي مَسْجِدِ
الْأَقْدَامِ ، فَمَا كَانَ بِأَسْرَعٍ مِنْ أَنْ جَاءُوا بِهِ . فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : سِيرَ مَعَ الْمُهَنْدِسِينَ حَتَّى يَخْطُوا عِنْدَكَ
مَوْضِعَ سِقَايَةِ وَيُجْرُوا الْمَاءَ ، وَهَذِهِ أَلْفُ دِينَارٍ نَحْنُهَا .

وَابْتَدَأَ فِي الْإِنْفَاقِ ، وَأَجْرَى عَلَى الْخَيْطِ فِي كُلِّ شَهْرٍ عَشْرَةَ دنانير ، وَقَالَ لَهُ : بَشِّرْنِي سَاعَةَ
يَجْرِي الْمَاءُ فِيهَا . فَجَدُّوا فِي الْعَمَلِ ، فَلَمَّا جَرَى الْمَاءُ أَتَاهُ مُبَشِّرًا ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَهُ ، وَاشْتَرَى لَهُ
دَارًا يَسْكُنُهَا ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ الرُّزْقَ الشَّخِي الدَّارَ .

وَكَانَ قَدْ أُشِيرَ عَلَيْهِ بِأَنْ يُجْرِيَ الْمَاءَ مِنْ عَيْنِ أَبِي نُحَيْلٍ الْمَعْرُوفَةِ بِالنَّعْشِ . فَقَالَ : هَذِهِ الْعَيْنُ لَا
تُعْرَفُ أَبَدًا إِلَّا بِأَبِي نُحَيْلٍ ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْتَنْبِطَ بِقَرَا . فَعَدَلَ عَنِ الْعَيْنِ إِلَى الشَّرْقِ ، فَاسْتَنْبَطَ بِقَرَاهُ
هَذِهِ ، وَبَنَى عَلَيْهَا الْقَنَاطِرَ ، وَأَجْرَى الْمَاءَ إِلَى الْفَسْقِيَّةِ الَّتِي بِقَرْبِ دَرْبِ سَالِمٍ⁽¹⁾ .

وَقَالَ جَامِعُ «السِّيَرَةِ الطُّولُونِيَّةِ» : وَأَمَّا رَغْبَتُهُ فِي أَبْوَابِ الْخَيْرِ فَكَانَتْ ظَاهِرَةً بَيِّنَةً وَاضِحَةً . فَمِنْ
ذَلِكَ : بِنَاءُ الْجَامِعِ وَالْبِيمَارِشْتَانِ ، ثُمَّ الْعَيْنِ الَّتِي بَنَاهَا بِالْمَعَاغِرِ^(b) ، وَبَنَاهَا بِنِيَّةٍ صَاحِبِيَّةٍ وَرَغْبَةٍ قَوِيَّةٍ ،
حَتَّى إِنَّهَا لَيْسَ لَهَا نَظِيرٌ ، وَلِهَذَا اجْتَهَدَ الْمَادْرَائِيُّونَ وَأَنْفَقُوا الْأَمْوَالَ الْخَطِيرَةَ لِيَتَحَكَمُوا ، فَأَعْجَزَهُمْ
ذَلِكَ ، لِأَنَّهَا وَقَعَتْ فِي مَوْضِعٍ جَبْرَانَةٍ كُلُّهُمْ مُخْتَابُونَ إِلَيْهَا . وَهِيَ مَفْتُوحَةٌ طُولَ النَّهَارِ لِيَمُنَّ
كَشَفَ وَجْهَهُ لِلأَخْذِ مِنْهَا ، وَلَمَنْ كَانَ لَهُ غُلَامٌ أَوْ جَارِيَةٌ ، وَاللَّيْلَ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ فَهِيَ جِبَاةٌ
وَمَعُونَةٌ . وَاتَّخَذَ لَهَا مُسْتَغْلًا فِيهِ فَضْلٌ وَكِفَايَةٌ لِمَصَالِحِهَا .

وَالَّذِي تَوَلَّى لِأَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ بِنَاءَ هَذِهِ الْعَيْنِ رَجُلٌ نَضْرَانِيٌّ ، حَسَنُ الْهَنْدَسَةِ حَازِقٌ
بِهَا ، وَأَنَّهُ دَخَلَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ فِي عَشِيَّةٍ مِنَ الْعَشَايَا ، فَقَالَ لَهُ : إِذَا فَرَّغْتَ مِمَّا تَحْتَاجُ
إِلَيْهِ فِيهَا^(a) ، فَأَعْلِمْنِي لِنَزَكَبِ إِلَيْهَا لِنَرَاهَا^(c) . فَقَالَ : يَزَكَبُ الْأَمِيرُ - (d) أَيْدَهُ اللَّهُ (d) - إِلَيْهَا فِي
عَدٍ فَقَدْ فَرَّغْتَ .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : بالمعافر . (c) بولاق : لنها . (d-d) ساقطة من بولاق .

¹ ابن دساق : الانتصار ٤ : ٥٧ - ٥٨ .

وتقدّم النّصراني فرأى موضعا بها يحتاج إلى قصريّة جبر وأربع طوبات ، فبادر إلى عمل ذلك . وأقبل أحمد بن طولون يتأمل العين ، فاستحسن جميع ما شاهده فيها ، ثم أقبل إلى الموضع الذي فيه قصريّة الجبر ، فوقف بالاتفاق عليها ، فلرطوبة الجبر غاصت يد الفرس فيه فكبا بأحمد ، ولسوء ظنه قدر أن ذلك لمكروه أراد به النّصراني ، فأمر به فشق عنه ما عليه من الثياب ، وضربه خمس مائة سوط ، وأمر به إلى المطبق ، وكان المسكين يتوقع من الجائزة مثل ذلك دنانير ، فاتفق له اتفاق سوء .

وانصرف أحمد بن طولون وأقام النّصراني ، إلى أن أراد أحمد بن طولون بناء الجامع ، فقدر له ثلاث مائة عمود ، فقيل له : ما تجدها ، أو تُنفذ إلى الكنائس في الأزياف والضياح الخراب فتحمل ذلك ، فأنكره ولم يختره ، وتعدّب قلبه بالفكر في أمره .

وبلغ النّصراني وهو في المطبق الخبر ، فكتب إليه : أنا أبنيه لك كما تحب وتختار بلا عمد إلا عمودي القبلة ، فأخضره - وقد طال شعره حتى تدلى على وجهه - فبتاه ^١ .

قال : ولما بنى أحمد بن طولون هذه السقاية . بلغه أن قومًا لا يستحلون شرب مائها . قال مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الحكم الفقيه : كنت ليلة في داري ، إذ طرقت بخادم من خدام أحمد ابن طولون ، فقال لي : الأمير يدعوك . فركبت مدعورا مزعوبا ، فعدل بي عن الطريق ، فقلت : أين تذهب بي ؟ فقال : إلى الصخراء والأمير فيها . فأتيت بالهلاك ، وقلت للخادم : الله الله في ، فإنني شيخ كبير ضعيف مسن ، فتدري ما يراد مني فازحمي . فقال لي : احذر أن يكون لك في السقاية قول .

وسرت معه وإذا بالمشاعل في الصخراء ، وأحمد بن طولون راكب على باب السقاية وبين يديه الشمع ، فنزلت وسلّمت عليه ، فلم يرد علي ، فقلت : أيها الأمير إن الرسول أعنتني وكذني وقد عطشت ، فيأذن لي الأمير في الشرب ، فأراد الغلمان أن يشقوني ، فقلت : أنا آخذ لتنفس فاستقيت وهو يراني ، وشربت وازددت في الشرب حتى كدت أنشق ، ثم قلت : أيها الأمير ، سقائك الله من أنهار الجنة فلقد أزويت / وأغنيت ، ولا أدري ما أصف : أطيّب الماء في خلواته وبزده ، أم صفائه ، أم طيب ریح السقاية ؟ قال : فنظر إلي وقال : أريدك لأمر وليس هذا وقتك ، فاضرفوه ، فضرفت . فقال لي الخادم : أصبت . فقلت : أحسن الله جزاءك ، فلولاك لهلكت ^٢ .

^١ البلوي : سيرة أحمد بن طولون ١٨٠ - ١٨٢ .

^٢ لم أجد هذا النص فيما وصل إلينا من «السيرة»

وكان مَبْلَغُ التَّفَقُّهِ عَلَى هَذِهِ الْعَيْنِ فِي بِنَائِهَا وَمُسْتَعْلَمَاتِهَا أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ .
وَأَنْشَدَ أَبُو عُمَرَ ^(a) الْكِنْدِيُّ فِي كِتَابِ «الْأَمْرَاءِ» لِسَعِيدِ الْقَاصِّ أَيْبَاتًا فِي رِثَاءِ دَوْلَةِ بَنِي طُولُونَ ،
مِنْهَا فِي الْعَيْنِ وَالسَّقَايَةِ :

[الطويل]

وَعَيْنٌ مَعِينُ الشُّرْبِ غَيْرٌ ^(b) زَكِيَّةٌ وَعَيْنٌ أُجَاجٌ لِلرُّوَاةِ وَلِلطُّهْرِ
كَأَنَّ وَفُودَ النَّيْلِ فِي جَنْبَاتِهَا تَزْرُوحُ وَتَغْدُو بَيْنَ مَدِّ إِلَى جَزْرِ
فَارَقَهَا ^(c) مُسْتَبْطًا لِمَعِينِهَا مِنْ الْأَرْضِ مِنْ بَطْنِ عَمِيقٍ إِلَى ظَهْرِ
بِنَاءٍ لَوْ أَنَّ الْجِرَّ جَاءَتْ بِمِثْلِهِ لَقَيْلٌ لَقَدْ جَاءَتْ بِمُسْتَفْظِعٍ نُكْرٍ
تَمَّرَ عَلَى أَرْضِ الْمَغَافِرِ كُلِّهَا وَشَعْبَانَ وَالْأَحْمُورِ وَالْحَيِّ مِنْ بَشْرِ
قَبَائِلٍ لَا نَوْءُ السَّحَابِ يَمُدُّهَا وَلَا النَّيْلُ يَزُوبُهَا وَلَا جَدْوَلٌ يَجْرِي ^١

وَقَالَ الشَّرِيفُ مُحَمَّدُ بْنُ أَسْعَدِ الْجَوَانِي التُّسَابَةَ فِي كِتَابِ «الْجَوْهَرِ الْمَكْتُونِ فِي ذِكْرِ الْقَبَائِلِ
وَالْبَطُونِ» : سَرِيعٌ فَخَذٌ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ ، وَهَمُّ وَلَدٌ سَرِيعٌ بَنِي مَاتِعٍ ، مِنْ بَنِي الْأَشْعَرِ بْنِ أَدَدَ بْنِ زَيْدِ
ابْنِ يَشْجُبَ بْنِ عَرِيبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأَ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قَعَطَانَ ، وَهَمُّ رَهْطُ
أَبِي قَبِيلِ التَّابِعِيِّ الَّذِي خِطَّتْهُ الْيَوْمَ الْكُومُ ، شَرْقِي قَنَاطِرِ سِقَايَةِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ - الْمَعْرُوفَةِ بِعُقْصَةِ
الْكَبِيرَةِ - بِالْقَرَاةِ .

الْحَنْدَقُ

هَذَا الْحَنْدَقُ كَانَ بِقَرَاةِ مِصْرَ قَدْ دَثَّرَ ، وَعَلَى شَفِيرِهِ الْعَرَبِيُّ قَبِيْرُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- وَكَانَ مِنَ النَّيْلِ إِلَى الْجَبَلِ . مُحْفَرٌ مَرَّتَيْنِ : مَرَّةً فِي زَمَنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، وَمَرَّةً فِي خِلَافَةِ الْأَمِينِ
مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ ^٢ ، ثُمَّ حَفَرَهُ أَيْضًا الْقَائِدُ جَوْهَرٌ .

(a) بولاق : أبو عمرو . (b) بولاق : عين . (c) بولاق : قارن بها .

النجوم الزاهرة ١ : ١٥٨ ، ١٦٥ - ١٦٨ . وتخصّص أبو عمر
محمد بن يوسف الكندي كتابًا خاصًا حول الحروب التي
وقعت في سنة ٦٥ هـ على الحندق الذي حفّره ابن جهم
عامل عبد الله بن الزبير للدفاع عن القسطنطين . وعنوان هذا =

= الطولونية للتلوي .

^١ الكندي : ولاية مصر ٢٧٦ .

^٢ راجع حول تحفر هذا الحندق ، المسعودي : مروج
الذهب ٣ : ٤٢٨٨ الكندي : ولاية مصر ٤٦٥ أبا المحاسن :

قال القضاعي: الخندق، هو الخندق الذي في شرقي الفسطاط في المقابر. كان الذي أثار حفرة مسير مزوان بن الحكم إلى مصر، وذلك في سنة خمس وستين، وعلى مصر يومئذ عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم الفهري، من قتل عبد الله بن الزبير - رضي الله عنه. فلما بلغه مسير مزوان إلى مصر، أعد واستعد وشاور الجندي في أمره. فأشاروا عليه بحفر الخندق، والذي أشار به عليه ربيعة بن حبيش الصديفي. فأمر ابن جحدم بإحضار المحارث^(a) من الكور لحفر الخندق على الفسطاط، فلم يبق قرية من قرى مصر إلا حضر من أهلها الثغر.

وكان ابتداء حفره غرة المحرم سنة خمس وستين، فما كان شيء أشرع من فراغهم منه، حفره في شهر واحد. وكانت الحرب من ورائه يقدون إليها ويروحون، فسُميت تلك الأيام «أيام الخندق والترابيح» لرواجهم إلى القتال. وكانت المعافير^(b) أكثر قبائل أهل مصر عددًا، كانوا عشرين ألفًا.

ونزل مزوان عين شمس، لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين، في اثني عشر ألفًا، وقيل عشرين ألفًا، فخرج أهل مصر إلى مزوان، فحاربوه يومًا واحدًا بعين شمس، ثم تهاجزوا، ورجع أهل مصر إلى خندقهم فتحصنوا به، وصحبهم جيوش مزوان على باب الخندق. فاضطف أهل مصر على الخندق، فكانوا يخرجون إلى أصحاب مزوان فيقاتلونهم نوبًا نوبًا، وأقاموا على ذلك عشرة أيام، ومزوان مقيم بعين شمس^(c).

وكتب مزوان إلى شيعته من أهل مصر - كريب بن أبرهة بن الصباح الحميري، وزياد ابن حنيفة الشجبي، وعائش^(c) بن سعيد المرادي - يقول: إنكم ضمنت لي ضمانًا لم تقوموا به، وقد طالت الأيام والممانعة. فقام كريب وزياد وعائش^(c) إلى ابن جحدم، فقالوا له: أيها الأمير، إنه لا قوام لنا بما ترى، وقد رأينا أن نسعى في الصلح بينك وبين مزوان، وقد مل الناس الحرب وكرهوها وقد خفنا أن يسلمك الناس إلى مزوان فيكون مُحكمًا فيك. فقال: ومن لي بذلك؟ فقال كريب: أنا لك به.

(a) وردت هذه الكلمة في أصل نسخة المؤلف المنقول منها: الموارث، وكتب النسخ فوقها: كذا، ووضح أنه سبق قلم، صوابه ما أثبتته. (b) بولاق: المغافر. (c) بولاق: عابس.

= الكتاب - الذي لم يصل إلينا - «الخندق» أو «كتاب الخندق» المقريري. (فيما تقدم ٣: ٥٤٥).
والترابيح لأن أهل مصر كانوا يقاتلون نوبًا، وهو من مصادر الكندي: ولاية مصر ٦٦.

فَسَفِرَ^(a) كُرَيْبٌ وَصَاحِبَاهُ فِي الصُّلْحِ عَلَى أَمَانٍ كَتَبَهُ مَرْوَانُ لِأَهْلِ مِصْرَ وَغَيْرِهِمْ يَمْنُ شَرِبَ مَاءَ النَّيْلِ ، وَعَلَى أَنْ يُسَلِّمَ لَابْنَ جَعْدَمَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، وَثَلَاثَ مِائَةِ ثَوْبٍ بِقَطْرِيَّةٍ ، وَمِائَةَ رِيْطَةٍ ، وَعَشْرَةَ أَفْرَاسٍ ، وَعِشْرِينَ بَعْلًا ، وَخَمْسِينَ بَعِيرًا . فَتَمَّ الصُّلْحُ عَلَى ذَلِكَ .

وَدَخَلَ مَرْوَانُ الْفُسْطَاطَ مُسْتَهْلًا جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ ، فَتَنَزَلَ دَارَ الْفُلْفُلِ ، وَدَفَعَ إِلَى ابْنِ جَعْدَمَ جَمِيعَ مَا صَالَحَهُ عَلَيْهِ ، وَسَارَ ابْنُ جَعْدَمَ إِلَى الْحِجَازِ ، وَلَمْ يَلْقَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْآخَرَ^(٢) .

وَتَفَرَّقَ الْمِصْرِيُّونَ ، وَأَخَذُوا فِي دَفْنِ قَتْلَاهُمْ وَالْبُكَاءِ عَلَيْهِمْ ، فَسَمِعَ مَرْوَانُ الْبُكَاءَ ، فَقَالَ : مَا هَذِهِ النَّوَادِبُ ؟ فَقِيلَ عَلَى الْقَتْلَى ، قَالَ : لَا أَسْمَعُ نَائِحَةً تَنُوحُ إِلَّا أَحَلَّتْ بِنِي فِي دَارِهِ الْعُقُوبَةُ . فَسَكَّتْ عِنْدَ ذَلِكَ .

وَدَفَنَ أَهْلُ مِصْرَ قَتْلَاهُمْ فِيمَا بَيْنَ الْحَنْدَقِ وَالْمُقَطَّمِ ، وَهِيَ الْمَقَابِرُ الَّتِي يُسَمِّيهَا الْمِصْرِيُّونَ «مَقَابِرَ الشُّهَدَاءِ» ، وَدَفَنَ أَهْلُ الشَّامِ قَتْلَاهُمْ فِيمَا بَيْنَ الْحَنْدَقِ وَمُنْبِيَةِ الْأَصْبَعِ^(٣) . وَكَانَ قَتْلَى أَهْلِ مِصْرَ مَا بَيْنَ السِّتِّ مِائَةٍ إِلَى السَّبْعِ مِائَةٍ ، وَقَتْلَى أَهْلِ الشَّامِ / نَحْوًا مِنَ الثَّمَانِي مِائَةٍ^(b) .

وَلَمَّا بَرَزَ مَرْوَانُ مِنَ الْفُسْطَاطِ سَائِرًا إِلَى الشَّامِ ، سَمِعَ رَجَبَةَ^(c) النِّسَاءَ يَتَذَبَّنُ قَتْلَاهُنِ ، قَالَ : وَيَتَحَنَّنُ ، مَا هَذَا ؟ قَالُوا : النِّسَاءُ عَلَى مَقَابِرِهِنَّ يَتَذَبَّنُ قَتْلَاهُنِ ، فَعَرَجَ عَلَيْهِنَّ ، فَأَمَرَ بِالْإِنْصِرَافِ . قَالُوا : كَذَا هُنَّ كُلُّ يَوْمٍ . قَالَ : فَاثْنَعُوهُنَّ إِلَّا مَنْ سَبَبَتْ إِلَى سَبَبْتِ^(d) .

وَخَرَجَ مَرْوَانُ مِنْ مِصْرَ إِلَى الشَّامِ لِهَيْلَالِ رَجَبِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ ، وَكَانَ مُقَامُهُ بِالْفُسْطَاطِ شَهْرَيْنِ ، وَاسْتَحْلَفَ ابْنَهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى مِصْرَ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ - وَكَانَ حَدَثًا - ثُمَّ وَلَّى عَبْدِ الْمَلِكِ بِشْرًا بَعْدَ ذَلِكَ الْبَصْرَةَ .

قَالَ : ثُمَّ دَثَرَ هَذَا الْحَنْدَقَ إِلَى أَيَّامِ نَحْلِ الْأَمِينِ بِمِصْرَ ، وَبَيْعَةِ الْمَأْمُونِ ، وَوَلَّى الْبَلَدَ عَبَادَ بْنَ مُحَمَّدِ ابْنَ جَبَانَ - مَوْلَى كِنْدَةَ - مِنْ قِبَلِ الْمَأْمُونِ . فَكَتَبَ الْأَمِينُ بِمِصْرَ إِلَى أَهْلِ الْحَوْفَيْنِ فِي الْقِيَامِ بِيَتِّعْتِهِ ، وَقِتَالِ عَبَادِ وَأَهْلِ مِصْرَ ، فَتَجَمَّعَ أَهْلُ الْحَوْفِ لِذَلِكَ وَاسْتَعَدُّوا .

(a) بولاق : فسعى . (b) بولاق : نحو الثلاث مائة . (c) بولاق : وجبة . (d) بولاق : إلا من سبب .

^١ الكندي : ولاية مصر ٦٧ . خارج القاهرة .

^٢ حاشية بخط المؤلف : «مُنْبِيَةِ الْأَصْبَعِ ظَاهِرُ الْحُسَيْنِيَّةِ»

وَبَلَغَ أَهْلَ مِصْرَ، فَأَشَارُوا عَلَى عِبَادِ بَحْفَرِ الْخَنْدَقِ، فَحَفَرُوا خَنْدَقًا مِنَ النَّيْلِ إِلَى الْجَبَلِ، وَاحْتَفَرُوا هَذَا الْخَنْدَقَ الْعَتِيقَ. فَكَانَ الْقِتَالُ عَلَيْهِ أَيَّامًا مَتَفَرِّقَةً إِلَى أَنْ قُتِلَ الْأَمِينُ، وَتَمَّتْ بَيْعَةُ الْمَأْمُونِ. ثُمَّ لَمْ يُحْفَرْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا^١.

وَذَكَرَ ابْنُ زُوَلَّاقٍ أَنَّ الْقَائِدَ جَوْهَرَ مَا اخْتَطَّ الْقَاهِرَةَ، وَكَثُرَ الْإِرْجَافُ بِمَسِيرِ الْقَرَامِطَةِ إِلَى مِصْرَ، حَفَرَ خَنْدَقَ الشَّرِيِّ بْنِ الْحَكَمِ بِيَابِ مَدِينَةِ مِصْرَ، وَعَمِلَ عَلَيْهِ بَابًا فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سِتِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، وَحَفَرَ خَنْدَقًا فِي وَسْطِ مَقْبَرَةِ مِصْرَ، وَهُوَ الْخَنْدَقُ الَّذِي حَفَرَهُ ابْنُ جَعْفَرِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ إِدْرِيسِ الشَّافِعِيِّ، ثُمَّ حَفَرَ مِنَ الْجَبَلِ إِلَى أَنْ وَصَلَ لَخَنْدَقِ ابْنِ جَعْفَرِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ إِدْرِيسِ الشَّافِعِيِّ، وَبَدَأَ بِهِ يَوْمَ السَّبْتِ التَّاسِعِ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، وَفَرَّغَ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ.

الِقِبَابُ السَّبْعُ

[أثر رقم ٤٧٣]

هذه القِبابُ بِأَخْرِ الْقَرَّافَةِ الْكُبْرَى مِمَّا يَلِي مَدِينَةَ مِصْرَ^٢. قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ فِي كِتَابِ «الْمَغْرِبِ»: وَالْقِبَابُ السَّبْعُ، الْمَشْهُورَةُ بِظَاهِرِ الْقُسْطَاطِ، هِيَ مَشَاهِدٌ عَلَى سَبْعَةٍ مِنْ بَنِي الْمَغْرِبِيِّ، قَتَلَهُمُ الْخَلِيفَةُ الْحَاكِمُ بَعْدَ فِرَارِ الْوَزِيرِ أَبِي الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْمَغْرِبِيِّ إِلَى أَبِي الْفُتُوحِ حَسَنِ ابْنِ جَعْفَرِ بَمَكَةَ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ الْمَغْرِبِيِّ:

لم يصل إلينا.

ولا نستطيع أن نُعَيِّنَ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الْقِبَابِ الْآنَ سِوَى أَطْلَالِ ثَلَاثِ قِبَابٍ عَلَى نَاحِيَةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَطْلَالِ قُبَّةٍ رَابِعَةٍ إِلَى الْجَنُوبِ تَنَحَّرُ قَلِيلًا. وَتُمَثِّلُ الْقِبَابُ الْأَرْبَعَةَ نَفْسَ الشَّكْلِ وَنَفْسَ الْأَتْعَادِ. وَالْقُبَّةُ الثَّلَاثَةُ، الْأَكْثَرُ اكْتِمَالًا، تَتَكُونُ مِنْ قَاعَةٍ مُرْتَبِعَةٍ طَوَّلُ كُلِّ ضِلْعٍ مِنْهَا ٤,٩٥ مِتْرًا، وَجُدْرَانِهَا الْأَرْبَعَةُ يَتَخَلَّلُهَا فِي وَسْطِهَا فَتْحَةٌ مَعْقُودَةٌ. وَكَانَتْ هَذِهِ الْقِبَابُ فِي الْأَسَاسِ سِتْ تُرُوبٍ وَمَعَ ذَلِكَ تَعْرِفُ بِالْقِبَابِ السَّبْعِ، كَمَا يَذْكَرُ النُّوَيْرِيُّ (نَهَايَةُ الْأَرْبَعِ ٢٨: ١٨٧)، وَذَلِكَ بِسَبَبِ تُرُوبَةٍ سَابِعَةٍ تَوْجَدُ بِالْقُرْبِ مِنْهَا هِيَ تُرُوبَةُ أَبِي الطَّاهِرِ الْإِطْفِيحِيِّ (السَّخَاوِيُّ: تَحْفَةُ الْأَحْبَابِ ٢٩٣). وَجَعَلَ =

^١ راجع، الكندي: ولاة مصر ١٧٥-١٧٧.

^٢ توجد في المنطقة الحالية المتسعة الواقعة شرق طريق صلاح سالم على بُعد نحو كيلومتر جنوب عين الصيرة، مجموعة أطلال يُطلق عليها العامَّة اسم «السَّبْعِ بَنَاتٍ». فَقَدْ كَانَ يَوْجَدُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ سَبْعُ قِبَابٍ تَصْنُمُ رُفَاتِ أَعْضَاءِ أُسْرَةِ بَنِي الْمَغْرِبِيِّ الَّذِينَ رَاحُوا ضَحِيَّةً لَجُنُونِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ.

وَذَكَرَ ابْنُ الزُّبَيْرِ السَّبْعَ قِبَابٍ، وَقَالَ: لِئِنَّهَا عَلَى صَفِّ ذَكَرَهَا ابْنُ مَيْسَرٍ فِي قِصَّةِ طُوبَلَةَ، وَهِيَ مِنَ الْفَاطِمِيِّينَ. وَقَدْ ابْتَدَأَ صَاحِبُ «الْمِضْبَاحِ» بِزِيَارَةِ الْقَرَّافَةِ مِنْ هُنَا. (الْكُوكَبِ السَّيَّارَةِ ١٧٨؛ السَّخَاوِيُّ: تَحْفَةُ الْأَحْبَابِ ٢٩٣). وَلِلْأَسْفِ فَإِنَّ نَصْرَ ابْنِ مَيْسَرٍ الَّذِي يُشِيرُ إِلَيْهِ ابْنُ الزُّبَيْرِ

[الطويل]

إذا شئت أن تزُتو إلى الطّف باكيًا
تجدُ من رجالِ المَغْرِبِي عِصَابَةً
فكم تَرَكوَا مِحْرَابَ آيٍ مُعْطَلٍ
فدُونك فأنظِرِ نحو أرضِ المَقْطَمِ
مُضْمَخَةَ الأَجْسَامِ من حَلَلِ الدَّمِ
وكم تَرَكوَا من سُورَةٍ لم تُخْتَمِ

وقد ذَكَرْتُ أختبَارَ بني المَغْرِبِي عند ذِكْرِ بساتين الوَازِرِ من بِرَكَةِ الحَبَشِ ٢.

ويتعلّق بهذا المَوْضِعِ من حَبْرِهِم أَنَّ أبا الحَسَنِ، عَلِيَّ بنِ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدِ ابْنِ المَغْرِبِي، لما خَرَجَ من بَغْدَادِ وَصَرَ إلى مِصْرَ في أَيَّامِ العَزِيزِ باللهِ بنِ المُعِزِّ لدينِ اللهِ، في سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، رَتَّبَ لَهُ في كُلِّ سَنَةٍ سِتَّةَ آلَافِ دِينَارٍ، وَصَرَ من شُيُوخِ الدَّوْلَةِ. فَقَالَ يَوْمًا لِمُؤَدِّبِ وَوَلَدِهِ أَبِي القَاسِمِ حُسَيْنِ - وَهُوَ عَلِيٌّ بنِ مَنصُورِ بنِ طَالِبِ، المَعْرُوفِ بِأبي الحَسَنِ دَوْخَلَةَ ابْنِ القَارِحِ^a - سِرًّا: أَنَا أَحَافُ هِمَّةِ ابْنِي أَبِي القَاسِمِ أَن تَزُورَ بِهِ إلى أَن يُورِدَنَا مَوْرِدًا لَا صَدْرَ عَنْهُ، فَإِن كَانَتِ الأَنْفَاسُ مِمَّا تُحْفَظُ وَتُكْتَبُ، فَانكُتِبْهَا وَاحْفَظْهَا وَطَالِعْنِي بِهَا.

فقال أبو القاسم في بعض الأيام لمؤدّبه هذا: إلى متى ترضى بالحمول الذي نحن فيه؟ فقال له: وأي حمول هذا؟ تأخذون من مولانا في كل سنة ستة آلاف دينار، وأبوكم من شيوخ الدولة. فقال: أريد أن تُصَارَ إلى أبوابنا الكتائب والمواكب والمقائب، ولا أرضى بأن يُجرى علينا كالولدان والنسوان.

(a) بولاق: القادح.

30، *Ars Orientalis* VI (1966), pp. 22-23, n°
ماهر: مساجد مصر ٢٤٠-٢٤٣؛ Sur، Ragib, Y., «Sur un groupe de mausolées du cimetière du Caire», *REIXL/1* (1972), pp. 189-95; Fu'ád Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 647-49؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ٢٢٩-٢٤٣.

١ ابن سعيد: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ٥٧-٥٨؛ السخاوي: تحفة الأحياب ١٧٠-١٧١.

٢ فيما تقدم ٣: ٥٢٣-٥٢٧.

= النويري بناء الحاكم بأمر الله لهذه القباب نحو شهر ربيع الأول سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م. (نهاية الأرب ٢٨: ١٨٧). راجع أيضًا، علي مبارك، الخطط التوفيقية ٩: ١٦٨-١٦٣-٦٤؛ Herz, M., «Les Mausolées d'el-Saba^١ Banât dans la plaine entre l'Imâm al-Chafei et le Vieux - Caire», *CR du Comité XXVIII* (1911), pp. 122-25; Creswell, K.A.C., *MAEI*, pp. 107-113; Massignon, L., «La Cité des morts» *BIFAO* LVII (1958), pp. 51-57؛ أحمد فكري: مساجد القاهرة ١: ٣١-٣٣؛ Grabar, O., «The Earliest Islamic Commemorative Structures».

فأعاد ذلك على أبيه ، فقال : ما أخوفني أن يُخضَّب أبو القاسم هذه من هذه . وقبض على
لحيته وهامته وعلم ذلك أبو القاسم ، فصارت بينه وبين مؤذبه وحشة ؛ وكان ذلك في خلافة
الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز .

وتحدث القائد أبي عبد الله الحسين بن جُوهر ، وكان الحاكم قد أكثر من قتل رؤساء دولته ،
وصار يتبع إلى القائد كلما قتل رئيساً برأسه ، ويقول : هذا عدوي وعدوك . فقبض على أبي
الحسن علي بن الحسين المغربي ، والد الوزير أبي القاسم الحسين ، وعلى أخيه أبي عبد الله محمد
ابن الحسين ، وعلى محسين ومحمد أخوي الوزير المذكور لثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربع
مائة ، وفرَّ الوزير أبو القاسم الحسين بن المغربي من مصر ، في زي حمال ، لليال من ذي القعدة ،
ولحق بحسان بن الجراح ، وكان من أمره ما كان .

زُكْرُ الْأَخْوَاضِ وَالْأَبَارِ الَّتِي بِالْقَرَّافَةِ

خَوْضُ الْقَرَّافَةِ

أمر بينائه السيِّدة سيِّدُ المَلِك ، عمَّة الحاكم بأمر الله ابنة المعز لدين الله ، في شعبان سنة ست /
وستين وثلاث مائة ، واختل في أيام العادل أبي الحسن ابن السُّلار ، وزير مصر في سنة ست
وأربعين وخمس مائة ، فأمر بعمارته .

ثم انشق في سنة ثمانين وخمس مائة . فجده القاضي السعيد ثقة الثقات ذو الرياستين أبو
الحسن علي بن عثمان بن يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن أحمد بن يعقوب بن مسلم بن منبه ،
أحد بني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم
المخزومي ، صاحب النظر في ديوان مصر ، ومُصنِّف كتاب «المتهاج في أحكام الخراج» ، وهو
كتابٌ جليلُ الفائدة^١ .

^١ راجع ما كتبه عن المخزومي وكتابه «المتهاج في أحكام خراج مصر» فيما تقدم ١: ٨٢-٨٣ .

ولم تزل آثارُ هذا القاضي حميدةً ، ومقاصِدهُ سديدةً ، وعنده نَخْوَةٌ قُرَشِيَّةٌ ومُرُوَّةٌ وَعَصَبِيَّةٌ . وهو وإن طابَ أُصُولًا فقد زكا فُرُوعًا ، وإن تفرَّقت في سواه فضائلُ فقد جمَعها اللهُ جميعًا ، ولم يزل مُدًّا كان يسعى في الأمانة على صراطِ مُستقيم ، آخذًا بقوله تعالى إخبارًا عن الكريم ابن الكريم : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي خَفِيفٌ ذَلِيلٌ ﴾ [الآية ٥٥ سورة يوسف] .

الحَوْضُ

بِجِوَارِ قَصْرِ الْقَرَّاقَةِ

في ظَهْرِ الحَمَّامِ العَزِيزِيِّ ، بِحَضْرَةِ فُزْنِ الْقَرَّاقَةِ ، أَمَرَتْ بِنَائِهِ أُمُّ الخَلِيفَةِ الظَّاهِرِ لِإِغْزَازِ دِينِ اللهِ - واسمها السَّيِّدَةُ رَصْدٌ - عَلَى يَدِ وَكَيْلِهَا الشَّرِيفِ المُحَدِّثِ أَبِي إِبْرَاهِيمِ أَحْمَدَ بْنِ القَاسِمِ ابْنِ المَيْمُونِ ابْنِ حَمْزَةَ الحُسَيْنِيِّ العَبْدَلِيِّ ، شَيْخِ القُرَّاءِ^(a) وابنِ الخَطَّابِ التَّكْكِيِّ^(b) .

حَوْضُ بَحْضَرَةِ الْأَشْعُوبِ

وهو قَصْرُ بَنِي عُقَيْبٍ

(c)

حَوْضٌ فِي رَاخِلِ قَصْرِ أَبِي المَعْلُومِ

مُجَاوِرٍ لِلبَيْتِ الكَبِيرَةِ ذَاتِ الدَّوَالِيبِ . بَنَاهُ المَحْتَسِبُ الفَارِسِيُّ ، مَعَ بِنَائِهِ^(d) البَيْتَ والمَيْضَاةَ ، فِي أَيَّامِ السَّيِّدَةِ أُمِّ العَزِيزِ . وَيُقَالُ إِنَّ الحَوْضَ والبَيْتَ مِنْ بِنَائِ المَادْرَانِيِّ^(e) ، وَإِنَّمَا جَدَّدَتْهُ عَمَّةُ الحَاكِمِ .

حَوْضُ بَقَصْرِ بَنِي كَعْبٍ وَبِجَانِبِهِ بَيْتٌ

أُنشِأَهُ الحَاجِبُ لُؤْلُؤُ ، وَهُوَ مِنْ حُقُوقِ قَصْرِ بَنِي كَعْبٍ . وَقَدْ خَرِبَتْ هَذِهِ الأَحْوَاضُ وَدَثُرَتْ .

(a) بولاق : الفراء . (b) بولاق : الفلكي . (c) بياض بنسختي ميونخ وأياصوفيا . (d) بولاق : عمارة . (e) بولاق : المادرائي .

ذِكْرُ الْآبَارِ الَّتِي بِبِرْكَةِ الْحَبَشِ وَالْقَرَاةِ

بِشْرِ أَبِي سَلَامَةَ

وتُعرف بِبِشْرِ الْعَتَمِ ، وهي قِبْلِي البوينة ، وموضعها أَحْسَنُ مَوْضِعٍ فِي البِرْكَةِ ، وهي التي عَنَى أَبُو الصَّلْتِ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِقَوْلِهِ :

[السريع]

والأفقُ بين الضيَاءِ والغَبَشِ	لله يَوْمِي بِبِرْكَةِ الْحَبَشِ
كصَارِمٍ فِي يَمِينِ مُزْتَعِشِ	وَالنَّيْلُ تَحْتَ الرِّيَّاحِ مُضْطَرِبِ
دُبُجٍ بِالنُّورِ عَطْفُهَا وَوُشِي	وَنَسْحُنُ فِي رَوْضَةٍ مُفَوِّقَةِ
فَنَحْنُ مِنْ نَسِجَتِهَا عَلَى فَرْشِ	قَدْ نَسِجَتِهَا يَدُ الْعَمَامِ لَمَّا
دَعَاهُ دَاعِي الْهَوَى فَلَـمَ يَطِشِ	وَأَثَقُلُ النَّاسِ كُلَّهُمْ رَجُلُ
مِنْ سُورَةِ الْهَمِّ غَيْرِ مُنْتَعِشِ	فَعَاطِنِي الرَّاحُ إِنْ تَارِكِهَا
فَهَنَ أَسْفِي لَشِدَّةِ الْعَطَشِ	وَاشْقِنِي بِالْكَبَارِ مُشْرَعَةِ

بِشْرِ غَزِي دَيْرِ مَرْحَتَا وَبُسْتَانِ الْعَيْدِي

وَدَيْرِ مَرْحَتَا يُعْرَفُ الْيَوْمَ فِي زَمَانِنَا بِدَيْرِ الطَّيْنِ ، وَهُوَ عَامِرٌ بِالنَّصَارَى ^١.

بِشْرِ الدَّرَجِ

شَرْقِي بَسَاتِينِ الْوَزِيرِ ، لَهَا دَرَجٌ يُنْزَلُ بِهِ إِلَيْهَا ، عَمَلَهَا الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَشَرْقِيهَا قُبُورُ النَّصَارَى ، وَبَعْدَهُمْ إِلَى جِهَةِ الْجَبَلِ قُبُورُ الْيَهُودِ ، وَالبُسْتَانُ الْمَجَاوِرُ لِعَقْصَةِ الصُّغْرَى - أَوَّلُ بِرْكَةِ الْحَبَشِ - عَلَى لِسَانِ الْجَبَلِ الْخَارِجِ إِلَى الْبِرْكَةِ ، مُجَاوِرَةٌ لِبِشْرِ النَّعْشِ وَبِشْرِ السَّقَايِينِ ، وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِبِشْرِ أَبِي مُوسَى خُلَيْدٍ ، وَقَدْ صَارَ هَذَا الْبُسْتَانُ إِلَى الْمُهَذَّبِ بْنِ الْوَزِيرِ ^٢.

^٢ علي مبارك : الخلط التوفيقية ٩: ١٦٨ (٦٤).

^١ فيما يلي .

بَشْرُ الزُّوقِ

شَرْقِي عَفْصَةِ الصُّغْرَى ، وَالزُّوقُ مَعْرُوفٌ إِذْ ذَاكَ فِي الْجَبَلِ ، وَفِي أَوَّلِهِ بِئْرٌ مُرَبَّعَةٌ كَانَ يُسْقَى مِنْهَا الْبَقَرُ وَالغَنَمُ .

ذِكْرُ السَّبَعَةِ الَّتِي تُزَارُّ بِالْقَرَّافَةِ ١

٥ اعْلَمَ أَنَّ زِيَارَةَ الْقَرَّافَةِ كَانَتْ أَوَّلًا يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ، ثُمَّ صَارَتْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، وَأَمَّا زِيَارَةُ يَوْمِ السَّبْتِ فَقِيلَ إِنَّهَا قَدِيمَةٌ ، وَقِيلَ / مَتَأَخَّرَةٌ . وَأَوَّلُ مَنْ زَارَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ، وَابْتَدَأَ بِالزِّيَارَةِ مِنْ مَشْهَدِ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ ، الشَّيْخُ الصَّالِحُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعِ بْنِ تَرْجَمِ بْنِ رَافِعِ ، الشَّارِعِيُّ الشَّافِعِيُّ الْمَقَابِرِيُّ ، الزُّوَارُ الْمَعْرُوفُ بِعَابِدٍ . وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، وَوَفَاتَهُ بِالْهَيْلَالِيَّةِ خَارِجَ بَابِ زَوَيْلَةَ فِي لَيْلَةِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ الْمُقَطَّمِ عَلَى تَرْبَةِ بَنِي نَهَارٍ بِحَرِيِّ تَرْبَةِ الرُّدَيْبِيِّ .

١٠ وَأَوَّلُ مَنْ زَارَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْمُقَرَّرِيُّ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جَوْشَنَ - الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْجَبَّاسِ - وَالِدُ شَرْفِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْجَبَّاسِ ، فَجَمَعَ النَّاسَ وَزَارَ بِهِمْ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ ، وَزَارَ مَعَهُ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْكَامِلُ نَاصِرُ الدِّينِ أَبُو الْمَعَالِيِّ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ ، وَمَشَى مَعَهُ أَكْبَارُ الْعُلَمَاءِ .

١٥ وَكَانَ سَبَبُ تَجَرُّدِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْجَبَّاسِ وَانْقِطَاعِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، أَنَّهُ ذَوَّلَبَ مَطْبِخَ سُكَّرِ شَرِكَةِ رَجُلٍ ، فَوَقَّفَ عَلَيْهِمَا مَالَ لِلدُّيَّانِ فَسُجِنَا بِالْقَضْرِ ، فَقَرَأَ ابْنُ الْجَبَّاسِ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي سُورَةَ الرَّعْدِ ، فَسَمِعَهُ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْعَادِلُ أَبُو بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ ، فَقَامَ حَتَّى وَقَّفَ عَلَيْهِ وَسَأَلَهُ عَنْ خَبْرِهِ ، فَأَعْلَمَهُ بِأَنَّهُ سُجِنَ عَلَى مَبْلَغِ كَذَا ، فَأَمَرَ بِالْإِفْرَاجِ عَنْهُ ، فَأَبَى إِلَّا أَنْ يُفْرَجَ عَنْ رَفِيقِهِ أَيْضًا ، فَأُفْرَجَ عَنْهُمَا جَمِيعًا .

٢٠ وَاتَّفَقَ أَنَّهُ مَرَّ فِي بَعْضِ لَيَالِي الزِّيَارَةِ بِزَاوِيَةِ الْفَخْرِ الْفَارِسِيِّ ، فَخَرَجَ وَقَالَ لَهُ : مَا هَذِهِ الْبِدْعَةُ ؟ فِي غَدٍ أُبْطَلُهَا . ثُمَّ دَخَلَ الزَّوَايَةَ وَخَرَجَ بَعْدَ سَاعَةٍ ، وَأَمَرَ بِرَدِّ ابْنِ الْجَبَّاسِ ، فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ : دُمَّ عَلَى مَا

Lecture d'un texte de Maqrîzî», *Arabica*
XXXVI (1989), pp. 93-108.

^١ انظر ما كتبه حول هذا الموضوع أنور لوقا في مجلة
أرابيكا . Louca, A., «Pèlerinage à trois voix.

أنت عليه ، فإنني رأيت قَوْمًا السَّاعَةَ ، فقالوا : هل تُعطينا ما يُعطينا ابنُ الجَبَّاسِ في ليالي الجُمُعِ ؟
فَعَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الدُّعَاءُ وَالْقِرَاءَةُ .

وأما زيارة يوم السبت ، فقد تقدّم أنه اختلف فيها ، وحكى الموفق بن عثمان ، عن القضاعي ،
أنه كان يحث على زيارة سبعة قبور ، وأن رجلاً شكاً إليه ضيق حاله والدين ، فقال له : عليك
بزيارة سبعة قبور^١ .

أولهم : الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن سهل بن الصائغ الدينوري ، وتوفي ليلة الثلاثاء
لثلاث عشرة بقيت من شهر رجب سنة إحدى وثلاثين وثلاث مائة .

والثاني : عبد الصمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم البغدادي ، صاحب الخلفاء ،
وتوفي سنة خمس وثلاثين وثلاث مائة .

والثالث : أبو إبراهيم إسماعيل ابن

المنزني ، وتوفي سنة أربع وستين ومائتين .

والرابع : القاضي بكار بن قتيبة ، وتوفي سنة سبعين ومائتين .

والخامس : القاضي المفضل بن فضالة ، وتوفي سنة اثنتين وخمسين ومائتين .

والسادس : القاضي أبو بكر عبد الملك بن الحسن القمني ، وتوفي في ذي الحجة سنة اثنتين
وثلاثين وأربع مائة .

والسابع : أبو الفيض ذو الثون ثوبان بن إبراهيم المصري ، وتوفي سنة خمس وأربعين ومائتين .
وكانوا أولاً يزورون بعد صلاة الصبح ، وهم مشاة على أقدامهم ، إلى أن كانت أيام شيخ
الزوار محمد العجمي السعودي ، فزاروا كتباً في يوم السبت بعد طلوع الشمس ، لأن رجليه كانتا
مُعَوَّجَتَيْنِ لا يستطيع المشي عليهما ، وذلك في أواخر سنة ثمان مائة . وتوفي في عاشر شهر
رمضان سنة تسع وثمان مائة .

فجاء بعده الزائر شمس الدين محمد بن عيسى المزجوشي السعودي ، ومحيي الدين عبد القادر بن
علاء الدين محمد بن علم الدين بن عبد الرحمن - الشهير بابن عثمان - ففعل ذلك ، ومات ابن عثمان
في سابع شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وثمان مائة . فاستمرت الزيارة على ذلك .

وقد حكى صاحب كتاب «محاسن الأبرار ومجالس الأخيار» سبعة غير من ذكرنا ، وسماهم
المحققين ، وهم : صيلة بن مؤمل ، وأبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن علي بن جعفر الخوارزمي ،
وسالم العفيف ، وأبو الفضل بن الجوهري ، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين - عُرف

^١ الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ٣٣٢ ؛ ابن الزيات : الكواكب السيرة ٣٢١ .

بالبزّار - ، وأبو الحسن علي - عُرفَ بطَيْرِ الوَحْشِ - ، وأبو الحسن علي بن صالح الأندلسي الكحال .

وذكر أيضًا سبعةً أُخرَ ، وهم : عُقْبَةُ بن عامر الجهني ، والإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، وأبو بكر الدقاق ، وأبو إبراهيم إسماعيل المزني ، وأبو العباس أحمد الجزار ، والفقهاء ابن دحية ، والفقهاء ابن فارس اللّحمي . وزيارتهم يوم الجمعة بعد صلاة الصُّبح ، والعمل عليها في الزيارة الآن ، إلا إنهم يجتمعون طوائفَ ، لكل طائفة شيخ ، ويُقيمون مناوِرَ كِبَارًا وصِغَارًا ، ويخرجون في ليالي الجُمُع ، وفي كلِّ سَبْتِ بُكْرَةَ النَّهَارِ ، وفي كلِّ يومٍ أَرْبَعَاءَ بعد الظُّهر ، وهم يذكرون الله ، فيزورون ، ويَجْتَمِعُ معهم من الرُّجَالِ والنِّسَاءِ خَلَائِقُ لا تُحْصَى ، ومنهم من يَعْمَلُ مِيعَادَ وَعَظِ ، ويقال لشيخ كلِّ طائفة «الشيخ الزائر» . فتمُّ لهم في الزيارة أمورٌ منها ما يُشْتَحْسَنُ ، ومنها ما يُنْكَرُ ، ولكلُّ عبْدٍ ما نَوَى .

فمن أشهر مزارات القرافة

قَبْرُ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ^١

رَحْمَةُ اللَّهِ وَرِضْوَانُهُ عَلَيْهِ

[أثر رقم ٢٨١]

١٥ وتوفي يوم الجمعة آخِرَ يومٍ من شهر رَجَبِ سنة أربع ومائتين بفسطاط مصر ، وحُجِلَ على الأعناقِ حتَّى دُفِنَ في مقبرة بني زُهْرَةَ ، أولاد عبد الله بن عبد الرَّحْمَنِ بن عَوْفِ الزُّهْرِيِّ - رضي الله عنه - وعُرفت أيضًا بثربة أولاد ابن عبد الحكم .

وقال القضاة : وقد جرت النَّاسُ خَيْرَ هذه الثُّرْبَةِ المباركة والقبر المبارك .

ويُنْقَلُ عن المزني أنه قال فيه :

٢٠ [الطويل]

سقى الله هذا القبر من أجل من به^(أ) من العفو ما يُغْنِيهِ عَنْ طَلْلِ المُنِّ

(أ) بولاق : وتل مزيه .

^١ انظر مراجع ترجمة الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، فيما تقدم ٣٦٩ هـ .

لقد كان كُفُوا لِلْعِدَاةِ وَمَعْقِلًا وَرُكْنَا لِهَذَا الدِّينِ ، بَلْ أَيُّمَا رُكْنٍ
هَكَذَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ رَأَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ الْمُرْنِيَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - لَمَّا دُفِنَ ، مَرَّ رَجُلٌ عَلَى قَبْرِهِ ،
وَإِذَا بِهَا تَفِي يَقُولُ ... فَذَكَرَ الْبَيْتَيْنِ .

وقال آخر :

[السيط]

لله دُرُّ الثَّرَى مَا ضَمَّ مِنْ كَرَمٍ بِالشَّافِعِيِّ حَلِيفِ الْعِلْمِ وَالْأَثَرِ
يَا جَوْهَرَ الْجَوْهَرِ الْمَكْنُونِ مِنْ مُضَرٍ وَمِنْ قُرَيْشٍ وَمِنْ سَادَاتِهَا الْآخِرِ
لَمَّا تَوَفَّيْتَ وَلَّى الْعِلْمَ مُكْتَسَبًا وَضُرَّ مَوْتُكَ أَهْلَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ

ولآخر :

[السيط]

أَكْرِمَ بِهِ رَجُلًا مَا مِثْلُهُ رَجُلٌ مُشَارِكٌ لِرَسُولِ اللَّهِ فِي نَسَبِهِ
أَضْحَى بِمِصْرَ دَفِينًا فِي مُقَطِّعِهَا نِعَمَ الْمُقَطِّعِ وَالْمَدْفُونِ فِي ثَرْبِهِ
وَمَنَاقِبُ الشَّافِعِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَثِيرَةٌ ، قَدْ صَنَّفَ الْأَيْمَةُ فِيهَا عِدَّةَ مُصَنَّفَاتٍ ٢ ، وَهُوَ فِي
«تاريخي الكبير المقفى» ترجمة كبيرة ٣ .

وَمِنْ أَبْدَعِ مَا مُحْكَمِي مِنْ مَنَاقِبِهِ : أَنَّ الْوَزِيرَ نِظَامَ الْمَلِكِ ، أبا عَلِيٍّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ إِسْحَاقَ ، لَمَّا
بَنَى الْمَدْرَسَةَ النَّظَامِيَّةَ بِبَغْدَادَ ، فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ ، أَحَبَّ أَنْ يَنْقَلِ الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ مِنْ
مَقْبَرَتِهِ بِمِصْرَ إِلَى مَدْرَسَتِهِ ، وَكَتَبَ إِلَى أَمِيرِ الْجُيُوشِ بَدْرِ الْجَمَالِيِّ - وَزِيرِ الْإِمَامِ الْمُشْتَنَصِرِ بِاللَّهِ مَعَدِّ
- يَسْأَلُهُ فِي ذَلِكَ ، وَجَهَّزَ لَهُ هَدِيَّةً جَلِيلَةً . فَرَكِبَ أَمِيرُ الْجُيُوشِ فِي مَوْكِبِهِ ، وَمَعَهُ أَعْيَانُ الدَّوْلَةِ
وَوُجُوهُ الْمَصْرِيِّينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرِهِمْ ، وَقَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ لِرُؤْيَيْهِ . فَلَمَّا نَبَشَ الْقَبْرَ ، شَقَّ ذَلِكَ
عَلَى النَّاسِ وَمَاجُوا ، وَكَثُرَ اللَّعْطُ ، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ ، وَهَمُّوا بِرَجْمِ أَمِيرِ الْجُيُوشِ وَالشُّورَةَ بِهِ ،
فَسَكَّتَهُمْ ، وَبَعَثَ يُعَلِّمُ الْخَلِيفَةَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُشْتَنَصِرَ بِصُورَةِ الْحَالِ . فَأَعَادَ جَوَابَهُ بِإِمضَاءِ مَا
أَرَادَ نِظَامُ الْمَلِكِ ، فَقَرَأَ كِتَابَهُ بِذَلِكَ عَلَى النَّاسِ عِنْدَ الْقَبْرِ ، وَطَرَدَتِ الْعَامَّةُ وَالْعَوَاغَاءُ مِنْ
حَوْلِهِ ، وَوَقَعَ الْحَفْرُ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى اللَّحْدِ . فَعِنْدَمَا أَرَادُوا قَلْعَ مَا عَلَيْهِ مِنَ اللَّيْنِ ، خَرَجَ مِنْ
اللَّحْدِ رَائِحَةٌ عَطِيرَةٌ أَشْكُرَتْ مِنْ حَضَرَ فَوْقَ الْقَبْرِ حَتَّى وَقَعُوا صَرَعَى ، فَمَا أَفَاقُوا إِلَّا بَعْدَ

١ الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ٤٩٥-٤٩٦ .

٢ تقدم ٣٦٩-٣٧٠ هـ .

٣ المقرئ : المقفى الكبير ٣٠٩:٥-٤١٩ .

٢ انظر الكتب المصنفة في مناقب الإمام الشافعي ، فيما

سَاعَةً، فَاسْتَغْفَرُوا مِمَّا كَانَ مِنْهُمْ، وَأَعَادُوا رِذْمَ الْقَبْرِ كَمَا كَانَ، وَأَنْصَرَفُوا.

وَكَانَ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ الْمَذْكُورَةِ، وَتَزَاحَمَ النَّاسُ عَلَى قَبْرِ الشَّافِعِيِّ يَزُورُونَهُ مُدَّةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا بِلِيَالِيهَا، حَتَّى كَانَ مِنْ شِدَّةِ الْإِزْدِحَامِ لَا يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِعَنَاءٍ وَمَشَقَّةٍ زَائِدَةٍ. وَكَتَبَ أَمِيرُ الْجُيُوشِ مَحْضَرًا بِمَا وَقَعَ، وَبَعَثَ بِهِ وَبَهْدِيَّةٍ عَظِيمَةٍ مَعَ كِتَابِهِ إِلَى نِظَامِ الْمَلِكِ، فَقُرِئَ هَذَا الْمَحْضَرُ وَالكِتَابُ بِالْمَدْرَسَةِ النَّظَامِيَّةِ^(١) بِبَغْدَادٍ وَقَدْ اجْتَمَعَ الْعَالَمُ عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ لَسَمَاعِ ذَلِكَ، فَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا بِبَغْدَادٍ.

وَكَتَبَ نِظَامُ الْمَلِكِ إِلَى عَامَّةِ بُلْدَانِ الْمَشْرِقِ - مِنْ حُدُودِ الْقُرَاتِ إِلَى مَا وَرَاءَ النَّهْرِ - بِذَلِكَ، وَبَعَثَ مَعَ كُتُبِهِ بِالْمَحْضَرِ وَكِتَابِ أَمِيرِ الْجُيُوشِ، فَقُرِئَتْ فِي تِلْكَ الْمَمَالِكِ بِأَسْرِيهَا، فَزَادَ قَدْرُ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ عِنْدَ كَافَّةِ أَهْلِ الْأَقْطَارِ وَعَامَّةِ جَمِيعِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ بِذَلِكَ.

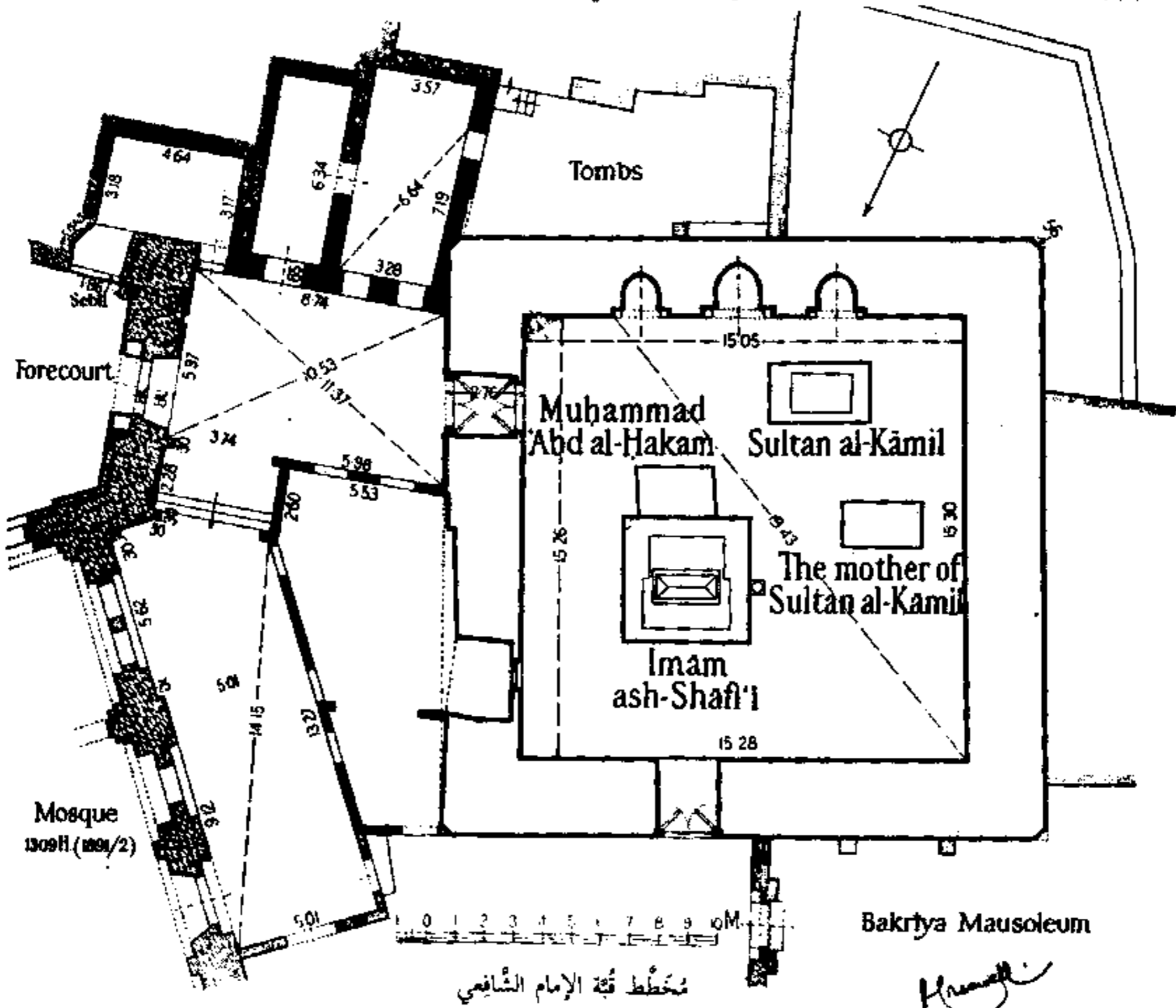
١٠ وَقَدْ أُورِدَتْ فِي كِتَابِ «إِمْتِنَاعِ الْأَسْمَاعِ بِمَا لِلرُّسُولِ مِنَ الْأَنْبَاءِ وَالْأَحْوَالِ وَالْحَفَدَةِ وَالْمَتَاعِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» نَظِيرُ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ، وَقَعَ لِضَرِيحِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَمْ يَزَلْ قَبْرُ الشَّافِعِيِّ يُزَارُ وَيُتَبَرَّكُ بِهِ، إِلَى أَنْ كَانَ يَوْمَ الْأَحَدِ لَسَبْعِ نَحَلَتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّ مِائَةٍ، فَانْتَهَى بِنَاءُ هَذِهِ الْقُبَّةِ الَّتِي عَلَى ضَرِيحِهِ، وَقَدْ أَنْشَأَهَا الْمَلِكُ الْكَامِلُ الْمُظَفَّرُ الْمُتَّصِرُ أَبُو الْمَعَالِي نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ، ظَهِيرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، ابْنُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ سَيِّفِ الدِّينِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ، وَبَلَغَتْ النُّقْفَةُ عَلَيْهَا خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ مِصْرِيَّةٍ، وَأُخْرِجَ فِي وَقْتِ بِنَائِهَا بِعِظَامٍ كَثِيرَةٍ مِنْ مَقَابِرَ كَانَتْ هُنَاكَ، وَدُفِنَتْ فِي مَوْضِعٍ مِنَ الْقَرَّافَةِ^(١).

(a) بولاق: بالنظامية.

وصفي محمد: مقام الإمام الشافعي والشاري ٦٠٨ هـ -
١٢١١ م، مجلة كلية الآثار - جامعة القاهرة ٢ (١٩٧٧)،
Wiet, G., «Les inscriptions du ٢٢٠-٢٣٢: Mousolée de Shâfi'î», *BIE XV* (1932-33), pp. 167-85; Creswell, K.A.C., *MAEII*, pp. 64-76; van Reeth, J., «La barque de l'Imam as Safi'î» in *Egypt and Syria in the Fatimid, Ayyûbid and Mamluk Eras II*, pp. 249-63; عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ٩٧١-٩٨٣.

^١ فيما تقدم ٨٥١.
وما تزال قُبَّةُ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ قَائِمَةً فِي الشَّارِعِ الْمَعْرُوفِ بِهِ وَالَّذِي يَبْدَأُ مِنْ أَشْقَلِ كُوبَرِي الشَّيْخَةِ عَائِشَةَ عِنْدَ بَابِ الْقَرَّافَةِ. (رَاجِعْ، ابْنُ جَبْرِ: الرَّحْلَةُ ٢٢-٢٣؛ الْمَوْفِقُ ابْنُ عَثْمَانَ: مَرشِدُ الزُّوَارِ ٤٨٣-٤٩٦؛ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ: الرَّوْضَةُ الْبَهِيَّةُ ١٠٤؛ ابْنُ الزِّيَّاتِ: الْكُوكَبُ السِّيَّارَةُ ٢٠٩-٢١٥؛ حَسَنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ: تَارِيخُ الْمَسَاجِدِ الْأَثَرِيَّةِ ١٠٦-١١٣؛ أَحْمَدُ فِكْرِي: مَسَاجِدُ الْقَاهِرَةِ ٢: ٣٣-٣٦؛ سَعَادُ مَاهِر: مَسَاجِدُ مِصْرَ ٢: ١٤٠-١٥٧؛ مُحَمَّدُ



وبهذه القبة أيضا قبر السلطان الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب، وقبر أمه شمسة. وقيل فيها عدة أشعار، منها قول الأديب الكاتب ضياء الدين أبي الفتح موسى بن ملهم:

[التغارب]

مررت على قبّة الشافعي فعائن طرّفي عليها العشاري
فقلت لصحبي لا تعجبوا فإن المراكب فوق البحار

/وقال علاء الدين أبو عمرو^(a) عثمان بن إبراهيم النابلسي:

(a) بولاق: أبو علي.

¹ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٨٠.

[المتقارب]

لقد أَضْبَحَ الشَّافِعِيُّ الإِمَامَ
ولو لم يَكُنْ بَحْرَ عِلْمٍ لِمَا
مُ فِينَا لَهُ مَذْهَبٌ مُذْهَبٌ
عَدَا وَعَلَى قَبْرِهِ مَرْكَبٌ

وقال آخر:

[الطويل]

أَتَيْتُ لِقَبْرِ الشَّافِعِيِّ أَرْوَرَهُ
فَقُلْتُ تَعَالَى اللَّهُ تِلْكَ إِشَارَةٌ
فَعَارَضْنَا قُلُوكَ وَمَا عِنْدَهُ بَحْرٌ
تُشِيرُ بِأَنَّ الْبَحْرَ قَدْ ضَعَّهُ الْقَبْرُ

وقال شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد البوصيري صاحب البيهية:

[الطويل]

بِقُبَّةِ قَبْرِ الشَّافِعِيِّ سَفِينَةٌ
وَمُدَّ غَاضَ طُوفَانِ الْعُلُومِ بِقَبْرِهِ اشْ
رَسَتْ فِي بِنَاءٍ مُحْكَمٍ فَوْقَ جُلْمُودِ
تَوَى الْقُلُوكَ مِنْ ذَاكَ الضَّرِيحِ عَلَى الْجُودِيِّ^١

ومنها:

قَبْرِ الإِمَامِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ

رَحِمَهُ اللَّهُ^٢

قد اشتهر قبره عند المتأخرين . وأول ما عرفته من خبير هذا القبر: أنه وجدت مصطبة في آخر
قِيَابِ الصَّدَفِ^٣ - وكانت قِيَابُ الصَّدَفِ أربع مائة قُبَّةٍ فيما يُقال - عليها مكتوب:
«الإمام الفقيه الزاهد العالم اللَّيْثُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو الْحَارِثِ
المصري، مُفْتِي أَهْلِ مِصْرٍ» .

^١ جنوب قبة الإمام الشافعي، راجع حسن عبد الوهاب:
تاريخ المساجد الأثرية ١٩٨-٢٠١؛ وانظر مراجع ترجمة
اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، المتوفى سنة ١٧٥هـ/٧٩١م فيما تقدم
٣٦٤هـ^١.

^٢ في مُرشد الزوار ٤٠٥، ٤٠٨، ٤٧٧؛ وقِيَابُ
الصَّدَفِيِّينَ، وفي الكواكب السيارة ٨٣: «مقابر بني
الصَّدَفِ» الذين منهم المؤرخ المصري أبو العباس أحمد ابن
نُؤْسِ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّدَفِيِّ الشَّافِعِيِّ.

^١ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٨١. وانظر عن
العشاري الموجودة فوق قبة الشافعي، محمد وصفي محمد:
«مقام الإمام الشافعي والعشاري ٦٠٨هـ-١٢١١م»، مجلة
كلية الآثار - جامعة القاهرة ٢ (١٩٧٧)، ٢٢٠-٢٣٢؛
van Reeth, J., «La barque de l'Imam ash-Shâfi'î»,
dans U. Vermeulen (ed.) *Egypt and Syria in
Fatimid, Ayyubid and Mamluk Eras*, II, pp.
249-63.

^٢ ما زال قبر الإمام اللَّيْثِ قائما بشارع الإمام اللَّيْثِ

كما ذَكَرَ فِي كِتَابِ «هَادِي الرَّاعِيَيْنِ فِي زِيَارَةِ قُبُورِ الصَّالِحِينَ» لِأَبِي مُحَمَّدِ عَبْدِ الْكَرِيمِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ طَلْحَةَ^١، وَفِي كِتَابِ «مُرْشِدِ الزُّوَارِ» لِلْمَوْفِقِ ابْنِ عُثْمَانَ^٢. وَذَكَرَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْأَزْهَرِيُّ فِي كِتَابِهِ «فِي الزِّيَارَةِ» أَنَّ أَوَّلَ مَنْ بَنَى عَلَيْهِ وَحَيَّرَ، كَبِيرُ الثُّجَارِ أَبُو زَيْدٍ الْمَصْرِيُّ، بَعْدَ سِنَةِ أَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ.

وَلَمْ يَزَلِ الْبِنَاءُ يَتَزَايَدُ إِلَى أَنْ جَدَّدَ الْحَاجُّ سَيْفُ الدِّينِ الْمَقْدَمُ عَلَيْهِ قُبَّتَهُ، فِي أَيَّامِ الْأَشْرَفِ شُعْبَانَ ابْنَ حُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ، قُبَيْلَ سِنَةِ ثَمَانِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ، ثُمَّ جَدَّدَتْ فِي أَيَّامِ النَّاصِرِ فَرَجِ ابْنَ الظَّاهِرِ بَرْقُوقَ، عَلَى يَدِ الشَّيْخِ أَبِي الْخَيْرِ مُحَمَّدِ ابْنِ الشَّيْخِ سَلِيمَانَ الْمَادِحِ، فِي مُحَرَّمِ سِنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَمَانِ مِائَةٍ.

ثُمَّ جَدَّدَتْ فِي سِنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ عَلَى يَدِ امْرَأَةٍ قَدِمَتْ مِنْ دِمَشْقَ، فِي أَيَّامِ الْمُؤَيَّدِ شَيْخِ، عُرِفَتْ بِمَرْحَبَا بِنْتِ إِبْرَاهِيمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أُخْتِ عَبْدِ الْبَاسِطِ، وَكَانَ لَهَا مَعْرُوفٌ وَبُرٌّ، تُؤَفِّقَتْ فِي تَاسِعِ عَشْرِينَ ذِي الْقَعْدَةِ سِنَةِ أَرْبَعِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ.

وَيَجْتَمِعُ بِهَذِهِ الْقُبَّةِ، فِي لَيْلَةِ كُلِّ سَبْتٍ، جَمَاعَةٌ مِنَ الْقُرَاءِ، فَيَتْلُونَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ تِلَاوَةً حَسَنَةً حَتَّى يَخْتِمُوا خَشْمَةً كَامِلَةً عِنْدَ السَّحَرِ. وَيَقْصِدُ الْمَبِيتَ عِنْدَهُمْ، لِلتَّبَرُّكِ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، عِدَّةٌ مِنَ النَّاسِ. ثُمَّ تَفَاحَشَ الْجَمْعُ، وَأَقْبَلَ النِّسَاءُ وَالْأَحْدَاثُ وَالقَوَاعِءُ، فَصَارَ أَمْرًا مُنْكَرًا، لَا يُنْصَبُونَ لِقِرَاءَةٍ، وَلَا يَتَّعِظُونَ بِمَوَاعِظَ، بَلْ يَخْذُثُ مِنْهُمْ عَلَى الْقُبُورِ مَا لَا يَجُوزُ. ثُمَّ زَادُوا فِي التَّعْدِي حَتَّى حَفَرُوا مَا هُنَالِكَ خَارِجَ الْقُبَّةِ مِنَ الْقُبُورِ، وَبَنَوْا مَبَانِي اتَّخَذُوهَا مَرَاحِضَ وَسِيقَايَاتِ مَاءٍ. وَيَزْعَمُ مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ أَنَّ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ، فِي كُلِّ لَيْلَةٍ سَبَّتْ عِنْدَ قَبْرِ اللَّيْثِ بِزَعْمِهِمْ، قَدِيمَةٌ مِنْ عَهْدِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ. وَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ، وَإِنَّمَا حَدَّثَتْ بَعْدَ السَّبْعِ مِائَةٍ مِنْ سِنِي الْهَجْرَةِ بِمَنَامِ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ رَأَاهُ، وَكَانُوا إِذْ ذَاكَ يَجْتَمِعُونَ لِلْقِرَاءَةِ عِنْدَ قَبْرِ أَبِي بَكْرٍ الْأَذْفُوي.

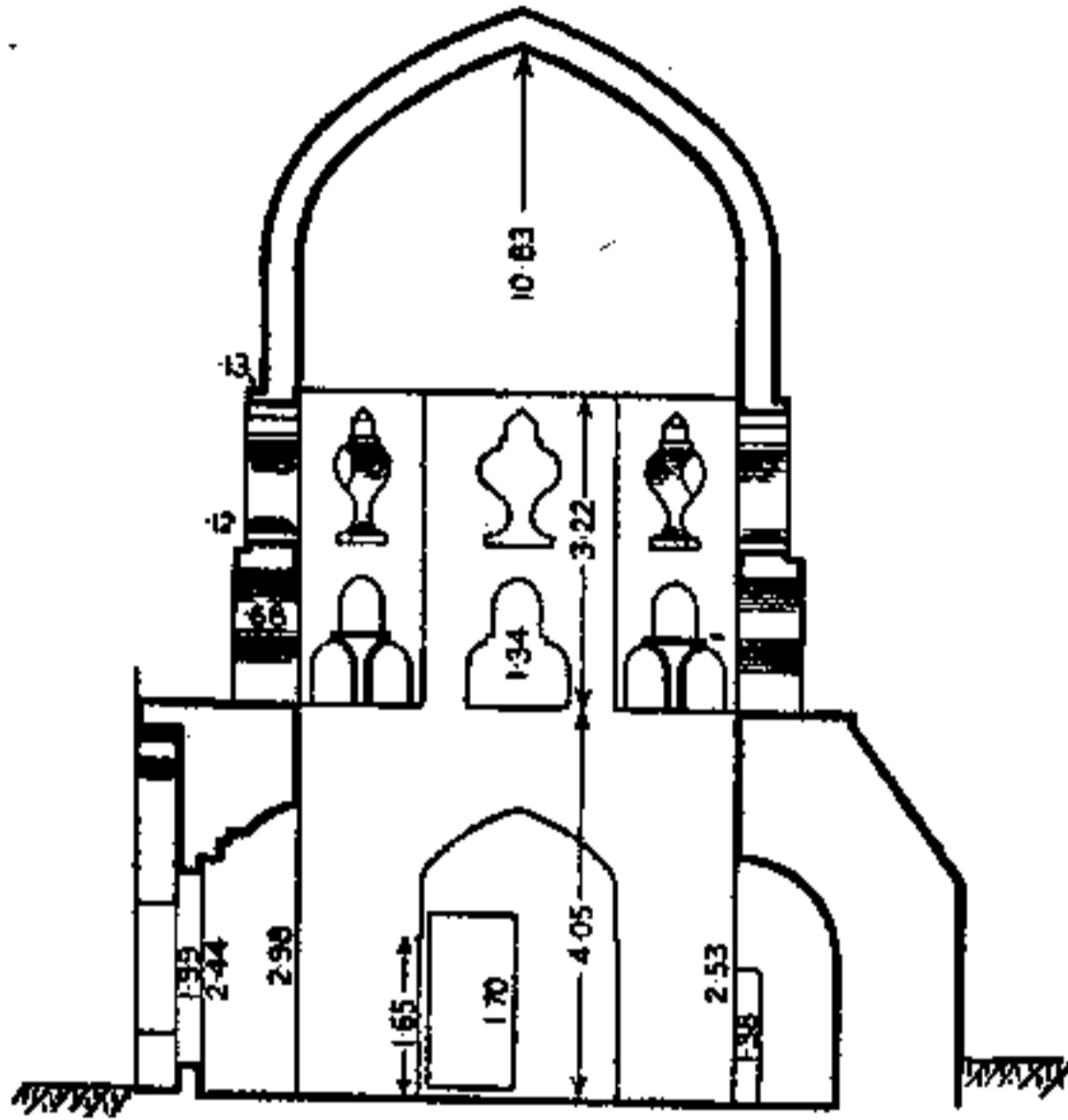
^١ صَوَابٌ اسْمُهُ كَامِلًا، أَبُو مُحَمَّدٍ (الْفَضْلُ) عَبْدِ الْكَرِيمِ ابْنِ عَطَايَا بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ طَلْحَةَ.

الْقُرَشِيُّ الرَّهْرِيُّ الْإِسْكَندَرِيُّ نَزِيلُ الْقَرَافَةِ، الْمُتَوَفَّى فِي رَمَضَانَ سِنَةِ ٦١٢ هـ/ يَنَايِرِ سِنَةِ ١٢١٦ م. (رَاجِعْ، الْمُنْذَرِيُّ: التَّكْمَلَةُ لَوْفِيَاتِ النَّقْلَةِ ٢: ٣٤٦؛ الذَّهَبِيُّ: تَارِيخُ الْإِسْلَامِ، الطَّبَقَةُ الثَّانِيَةُ وَالسُّتُونَ (نَشْرَةُ مَوْسَمَةِ الرِّسَالَةِ) ١٠٦-١٠٧؛ الصَّفْدِيُّ: الْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ ١٩: ٨١؛ السِّيَوطِيُّ: حَسَنُ الْمَحَاضِرَةِ ١: ٤٥٦، بَغِيَّةُ الْوَعَاةِ ٣١١، وَفِيهِ: «أَوْرَدَهُ الْمَقْرِيزِيُّ

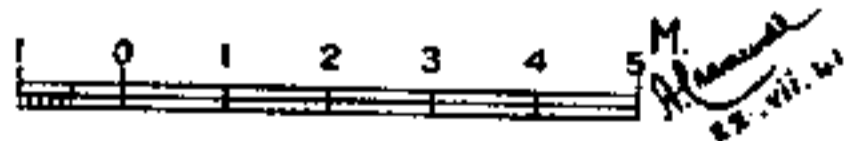
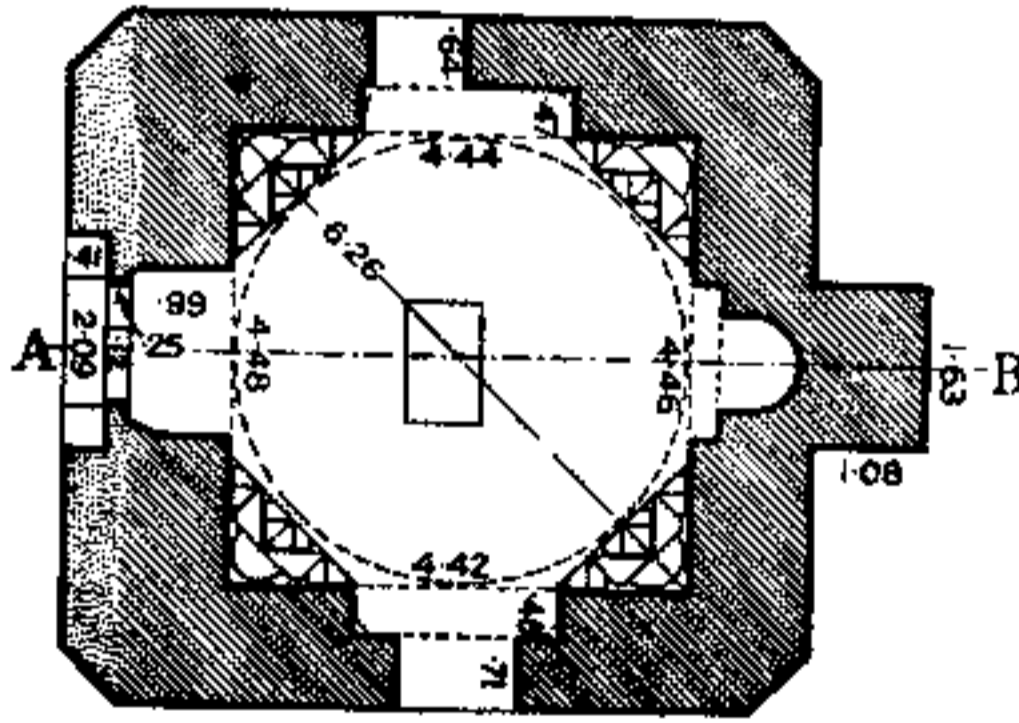
^٢ الْمَوْفِقُ بْنُ عُثْمَانَ: مَرشِدُ الزُّوَارِ ٤٠٨-٤٨١.

ذكر المقابر خارج باب النصر

اعلم أن المقابر، التي هي الآن خارج باب النصر، إنما حدثت بعد سنة ثمانين وأربع مائة. وأول تربة بُيّتت هناك «تربة أمير الجيوش بدر الجمالي» لما مات ودُفِن فيها، وكان خطها يُعرف برأس الطائفة^١.



Section A-B



مخطط قبة بدر الجمالي (الشيخ يونس) (عن Creswell)

^١ فيما تقدم ٣: ٦٣، ٣٦٨، ٤٦٢.

قال الشريف أمين الدولة، أبو جعفر محمد بن محمد بن هبة الله العلوي الأقطسي، وقد مرَّ
بثُوبَةِ الأفضَلِ :

[مجزوء الكامل]

أجرى دَمًا أجنانيه حدث برأس الطَّابِيَةِ
(الأعزَّ مَفْقُودٌ بِهِ^a) صَدَعَ الزُّمَانُ صَفَاتِيهِ
بَالٍ وَمَا بَلَيْتُ أَيَا دِيهِ عَلَيَّ البَاقِيهِ

وبخارج باب النَّصْرِ، في أوائل المقابر، قَبْرُ زَيْنَب بنت أحمد بن محمد بن عبد الله بن جعفر
ابن الحَنَفِيَّة يُزار، وتُسَمِّيهِ العَامَّةُ «مَشْهَدَ السَّتِ زَيْنَب» .

ثم تتابع دَفَنُ النَّاسِ مَوْتَاهُمْ في الجِهَةِ التي هي اليوم من بَحْرِي مُصَلَّى الأَمْوَاتِ إلى نحو
الرَّيْدَانِيَّة . وكان ما في شَرْقِي هذه المَقْبَرَةِ إلى الجَبَلِ بَرَاخًا واسِعًا - يُعْرَفُ بِمَيْدَانِ القَبْقُوقِ،
ومَيْدَانِ العِيدِ، والمَيْدَانِ الأَسْوَدِ - وهو ما بين قَلْعَةِ الجَبَلِ إلى قُبَّةِ النَّصْرِ تَحْتَ الجَبَلِ
الأَحْمَرِ^١ .

فلَمَّا كان بعد سنة عشرين / وسبع مائة، تَرَكَ المَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بن قَلاوون التُّزُولَ إلى هذا
المَيْدَانِ وَهَجَرَهُ . فَأَوَّلُ من ابتدأ فيه بِالْعِمَارَةِ الأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ قَراسُنْقَرُ، فَاحْتَطَّ ثُوبَتَهُ التي تُجَاوِرُ
اليوم ثُوبَةَ الصُّوفِيَّةِ، وَبَنَى حَوْضَ مَاءٍ لِلسَّبِيلِ، وَجَعَلَ فَوْقَهُ مَسْجِدًا . وهذا الحَوْضُ بِجِوَارِ بابِ
ثُوبَةَ الصُّوفِيَّةِ، أَدْرَكْتُهُ عَامِرًا هو وما فَوْقَهُ، وَقَدْ تَهَدَّمَتْ وَبَقِيَتْ مِنْهُ بَقِيَّةٌ^٢ . ثم عَمَّرَ بَعْدَهُ نِظَامُ الدِّينِ
آدَمُ، أَخُو الأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ سَلَارَ، تِجَاهَ ثُوبَةَ قَراسُنْقَرِ مَدْفِنًا وَحَوْضَ مَاءٍ لِلسَّبِيلِ وَمَسْجِدًا
مُعَلَّقًا^٣ . وَتَتَابَعَ الأَمْرَاءُ والأَجْنَادُ وَسُكَّانُ الحُسَيْنِيَّةِ في عِمَارَةِ الثُّرْبِ هُنَاكَ، حَتَّى انْسَدَّتْ طَرِيقُ
المَيْدَانِ، وَعَمَّرُوا بِجِوَانِيهِ أَيْضًا^b .

(a-a) إضافة من المُسَوِّدَةِ . (b) المُسَوِّدَةُ : أَيْضًا جِوَانِيهِ، وَالمَثْبُتُ مِنْ مِيونِخَ وَبُولَاقَ : الجِوَانِيَّةُ .

^١ فيما تقدم ٣: ٣٦٩-٣٧٦ .
^٢ المقرئ: السلوك ٢: ٥٤٠؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٨٧، وتبدل وصفهما على أن ثُوبَةَ قَراسُنْقَرِ كانت تقع في قَرَاةِ المُجَاوِرِينَ شرقَ القَاهِرَةِ، لا خَارِجَ بابِ النَّصْرِ .
^٣ لم أجد ذكرًا لثُوبَةِ نِظَامِ الدِّينِ آدَمَ فيما بين يدي من مصادر. ووَزِدَ ذَكَرُ نِظَامِ الدِّينِ آدَمَ عَرَضًا عِنْدَ المقرئ: السلوك ٢: ٧٥؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١١ .

وأخذ صوفيّة الخائقاء الصّلاحيّة سعيد الشّعداء قطعة كبيرة^a قدر فدانين وأداروا عليها سورًا من حجر، وجعلوها مقبرة لمن يموت منهم، ^b فسُمّيت «تُربة الصّوفيّة»^b، وهي باقية إلى يومنا هذا، وقد وسّعوا فيها بعد سنة تسعين وسبع مائة بقطعة من تُربة قراشتر^١.

وما يرح الناس يقصدون «تُربة الصّوفيّة» هذه لزيارة من فيها من الأموات، ويَزغَبون في الدفن بها، إلى أن تولى مشيخة الخائقاء الشيخ شمس الدين محمد البلالي، فسَمَح لكلِّ أحد أن يقبر مَيته بها على مال يأخذه منه، فقبر بها كثير من أعوان الظلمة ومن لم تُشكر طريقته، فصارت مَجْمَع نِسوان ومَجْلِس لَعِب.

وعَمَّر أيضًا بجوار «تُربة الصّوفيّة» الأمير مشعود بن خطير تُربة، وعَمِل لها منارة من حجارة لا نظير لها في هَيئتها، وهي باقية^٢. وعَمَّر أيضًا معجد الدين السّلامي تُربة^٣، وعَمَّر الأمير سيف الدين كوكاي تُربة^b (مقابل تُربة الصّوفيّة)^b،^٤ وعَمَّر الأمير طاجار^c الدوّادار على رأس المطبق^a مقابل قبة النضر، تُربة^٥. وعَمَّر الأمير سيف الدين طششمر السّاقبي على الطّريق تُربة^٦. وبني

(a) إضافة من المُسوّدة. (b-b) إضافة من المُسوّدة. (c) بولاق: طاجاي. (d) بولاق: القبق.

^٤ توفي الأمير سيف الدين كوكاي المنصوري السّلاح دار سنة ١٣٤٨هـ/٧٤٩م. (المقريزي: السلوك ٢: ٧٩٦؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٤١).

وذكر أبو المحاسن أنها كانت على رأس الهدفة تجاه تُربة الملك الظاهر بزقوق؛ وانظر كذلك ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٩: ٣٢٩، ٣٥٨، ٣٩٤، ٤٧٥؛ المقريزي: السلوك ٣: ٣١٩، ٤٥١ - ٤٥٢.

^٥ الأمير سيف الدين طاجار المازديني الناصري الدوّادار، كان من خواص الملك الناصر محمد بن قلاوون ومن أكابر مماليكه. ورَقاه في الرّتب حتى وُلّاه الدوّادارية. وكان ممن انضم إلى الملك المنصور أبي بكر فقُبض عليه عند خَلعه وقُتل مع الأمير بشتاك بقُفر الإسكندرية سنة ١٣٤٨هـ/٧٤٢م. (المقريزي: السلوك ٢: ٥٧١، ٦١٤؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٣١٤؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٦: ٣٦٠ - ٣٦٢، النجوم الزاهرة ١٠: ٧٥).

^٦ تُربة طششمر السّاقبي أنشئت سنة ١٣٣٥هـ/٧٣٥م، وتُعرف أيضًا بتُربة حُصص أخضر، ما تزال قائمة في شارع =

^١ كانت تُربة الصّوفيّة في الموضع الذي يُعرف الآن بجبّانة باب النضر خارج باب النضر. وقد دُفن بهذه التُربة إضافة إلى صوفيّة الخائقاء الصّلاحية وخائقاء بيبرس الجاشنكير عدد كبير من العلّماء منهم: مؤسس علم الاجتماع العلّامة عبدالرحمن بن خلدون ومؤرخنا تقي الدين المقريزي. (راجع، ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٩: ٢٣٤، ٢٧٥، ٣٢٤، ٤٧٥؛ المقريزي: درر العقود الفريدة ٢: ٣٦٨، ٥٢٢، ٧٢: ٣، ٢٥٦، ٣٧٦).

وللأسف فقد أزيلت هذه التُربة في عام ٢٠٠٢م بغرض توسيع الطريق المعروف بشارع جلال الواقع بمحاذاة سور القاهرة الشمالي ليُربط بين شارع المنصورية شرقًا وشارع الجيش غربًا.

^٢ الأمير بندر الدين أمير مشعود بن أوحد بن الخطير، أحد مُقدّمي الألف، المتوفى سنة ١٣٥٤هـ/٧٥٣م. (المقريزي: السلوك ٢: ١٠٢٢؛ (الكشاف)؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٥: ١١٧ - ١١٨؛ أبو المحاسن: الدليل الشافي ٢: ٧٣٣ - ٧٣٤). وأشار إلى تُرته صاحب كتاب تاريخ سلاطين المماليك ٢١٣.

^٣ انظر فيما تقدم ٣: ١٣٢ - ١٣٣.

الأمراء إلى جانبه عدة ترب ، وبني الطواشي مُحسن البهائي تربة عظيمة ، وبنت خوند طغاي تربة تجاه تربة طشتمر الساقى ، وجعلت لها وقفًا^١ . وبني الأمير (a) سيف الدين (a) طغاي ثمر النجمي الدوادار تربة وجعلها خانقاه ، وأنشأ بجوارها حمامًا وحوانيت ، وأسكنها للصوفية والقراء^٢ . وبني الأمير منكلي بغا الفخري تربة^٣ ، والأمير طشتمر طللته تربة^٤ ، والأمير أرنان تربة . وبني كثير من الأمرء وغيرهم الترب ، حتى اتصلت العماراة من ميدان القبتى إلى تربة الروضة خارج باب البرقية . و (a) عمّرت بميدان القبتى أيضًا عدة ترب (a) .

فما مات الملك الناصر (a) محمد بن قلاوون (a) حتى بطل من الميدان السباق بالخيل (c) ، ومُنعت طريقه من كثرة العمائر . (a) قال كاتبه (a) : وأدركت بعد سنة ثمانين وسبع مائة عدة عواميد من رخام منصوبة - يُقال لها عواميد السباق - فيما بين قبة النضر (a) وموضع تربة الملك الظاهر بزقوق (a) وقرب من القلعة^٥ .

وأول من أدركناه (d) عمّر في البراح الذي كان فيه عواميد السباق الأمير يونس الدوادار ، في أيام الملك الظاهر ، توبته الموجودة هناك^٦ (a) والمكتب السبيل (a) . ثم عمّر الأمير قجماس ابن عم الملك الظاهر بزقوق ، تربة بجانب تربة يونس . وأحيط على قطعة كبيرة حائط ، وقبر فيها من مات من مماليك السلطان ، وقبر فيها الشيخ علاء الدين السيرامي شيخ الخانقاه الظاهرية ، والشيخ المعتقد طلحة ، والشيخ المعتقد أبو بكر البجائي^٧ .

فلما مرض الملك الظاهر بزقوق ، أوصى أن يُدفن تحت أرجل هؤلاء الفقراء ، وأن يُبنى على قبره تربة ، فدُفن حيث أوصى ، وأخذت قطعة مساحتها عشرة آلاف ذراع ، وجعلت خانقاه ،

(a-a) إضافة من المسوذة . (b) في المسوذة : خانقاه ودكاكين وحمامًا ، وزخرف ذلك بالرخام والذهب ، ورتب فيها صوفية وقراء . (c) المسوذة : انقطع الميدان عن سباق الخيل . (d) إضافة من المسوذة .

= الدرمللي المتفرع من شارع الغيفي بقرافة المماليك شرق طريق صلاح سالم ، ومسجلة بالآثار برقم ٩٢ .

^١ انظر عن تربة خوند طغاي ، فيما تقدم ٧٨٤ .

^٢ انظر أيضًا فيما تقدم ٧٨٢-٧٨٣ .

^٣ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٢/٩ : ٤٤٤ ؛ وانظر

فيما تقدم ٣ : ١٦٥ .

^٤ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ١٨٨ ، والأمير سيف

الدين طشتمر الناصري أحد أمراء الألوفا بالديار المصرية ، توفي بالقاهرة في شوال سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م . وقيل له طللته لأنه كان إذا تكلم قال في آخر كلامه : طللته . (المقريزي : السلوك ٢ : ٧٩٤ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠ : ٢٣٧) .

^٥ فيما تقدم ٣ : ٣٧٦ ، وهذا المجلد ٧٩٠ .

^٦ فيما تقدم ٧٨٩-٧٩٠ .

^٧ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٩ : ٤٤ ، ٤١٨ .

وَجُعِلَ فِيهَا قُبَّةٌ عَلَى قَبْرِ السُّلْطَانِ وَقُبُورِ الْفُقَرَاءِ الْمَذْكُورِينَ ، وَتَجَدَّدَ مِنْ حَيْثُ هُنَاكَ عِدَّةٌ تُرَبِّ جَلِيلَةٌ ، حَتَّى صَارَ الْمَيْدَانُ سُورِغَ وَأَزْرَقَةً^(a) .

و^(b) كَانَ عَزْمٌ^(b) الْمَلِكِ النَّاصِرِ فَرَجِ بْنِ بَرْقُوقٍ^(c) أَنْ يَتَّخِذَ حَوْلَ ثَرْبَةِ أَبِيهِ عِدَّةً مَسَاكِينَ ، فَبَنَى سُوقًا وَرَبَعًا بِجَوَارِهَا ، وَبَنَى حَمَامًا تَجَاهَهَا ، وَنَقَلَ^(c) سُوقَ الْجِمَالِ وَسُوقَ الْحَمِيرِ مِنَ الرَّهْمَيْلَةِ^(d) تَحْتَ الْقَلْعَةِ إِلَى تَجَاهِ بَابِ^(d) الثَّرْبَةِ الَّتِي عَمَّرَهَا عَلَى قَبْرِ أَبِيهِ ، فَاسْتَمَرَ ذَلِكَ أَيَّامًا فِي سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، ثُمَّ أُعِيدَتْ الْأَسْوَاقُ إِلَى مَكَانِهَا . وَكَانَ قَصْدُهُ أَنْ يَبْنِيَ هُنَاكَ خَانًا كَبِيرًا يَنْزِلُ فِيهِ الْمُسَافِرُونَ ، وَيَجْعَلُ بِجَانِبِهِ سُوقًا ، وَبَنَى طَاحُونًا وَحَمَامًا وَفُرْنَا لَتَعْمُرَ تِلْكَ الْجِهَةَ بِالنَّاسِ ، فَمَاتَ قَبْلَ بِنَاءِ الْخَانِ ، وَخَلَّتِ الْحَمَامُ وَالطَّاحُونُ وَالْفُرْنُ بَعْدَ قَتْلِهِ^(١) .

^(c) وَلَقَدْ قَالَ لِي شَيْخُنَا أَسْتَاذُ الزَّمَانِ قَاضِي الْقَضَاةِ أَبُو زَيْدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَلْدُونَ غَيْرَ مَرَّةٍ :

١٠ لَا بُدَّ أَنْ يَصِيرَ هَذَا الْمَكَانُ مَدِينَةً . وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي هَذَا الْبَابِ عَجَبًا ، يَقُولُ أُمُورًا جَرَّبْنَاهَا عَلَيْهِ فَلَمْ تُخْطِئْ ، فَكُنْتُ أَرَى أَنَّهُ مَحْدُثٌ ! وَأَخْبَرَنِي صَاحِبُنَا الْخَطِيبُ زَيْنُ الدِّينِ أَبُو هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ النَّقَّاشِ قَالَ :

(c)

(a) الْمُسْوَدَّةُ : سَكْنَا وَطَرَقًا . (b-b) بُولَاقُ وَالنَّسَخُ : وَنَقَلَ ، وَالْمَثَبُ مِنَ الْمُسْوَدَّةِ . (c-c) إِضَافَةٌ مِنَ الْمُسْوَدَّةِ . (d) إِضَافَةٌ مِنَ الْمُسْوَدَّةِ .

Mostafa, S., *Kloster und Mausoleum Farag ibn Barqûq in kairo*, Gluckstaat 1968 وفيما تقدم ٧٥١ هـ^١ .

^١ راجع لتفاصيل أكثر ، حسن عبد الوهاب : «خانقاه لرج بن برقوق وما حولها» ، المؤتمر الثالث للآثار في البلاد لعربية ، القاهرة ١٩٦١ ، ٢٨٣ - ٣٠٥ ؛ Lamei

ذِكْرُ كَنَائِسِ الْيَهُودِ

قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفُتَّتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [آية ٤٠، سورة الحج]، قال المفسرون: الصوامع للصائمين، والبيع للنصارى، والصلوات كنائس اليهود، والمساجد للمسلمين؛ قاله ابن قتيبة^١. والكنيس كلمة عبرانية معناها بالعربية: الموضع الذي يجتمع فيه للصلاة.

ولهم بديار مصر عدة كنائس: منها كنيسة دُمُوهُ بالجيزة، وكنيسة جَوْجَر من القرى الغربية، وبمصر الفسطاط كنيسة بَخُط المصاصة في دَرْب الكزومة، وكنيسة بَخُط قَصْرِ الشَّمع، وبالقاهرة كنيسة بالجَوْدَرِيَّة، وفي حارة زويلة خمس كنائس.

كَنِيسَةُ دُمُوهُ^٢

١٠ هذه الكنيسة أعظم مقبلة لليهود بأرض مصر. فإنهم لا يختلفون في أنها الموضع الذي كان يأوي إليه موسى بن عمران - صلوات الله عليه - حين كان يُبَلِّغُ رسالات الله - عز وجل - إلى فرعون، مدة / مقامه بمصر، منذ قديم من مدين إلى أن خرج بيني إسرائيل من مصر. ويَزْعَمُ يَهُودٌ أنها بُنِيَتْ هذا البناء الموجود، بعد خراب بيت المقدس الخراب الثاني على يد طيطش بيضع وأربعين سنة، وذلك قبل ظهور الملة الإسلامية بما ينيف على خمس مائة سنة.

١٥ وبهذه الكنيسة شجرة زُرِّحَتْ في غاية الكبر، لا يشكون في أنها من زمن موسى - عليه السلام - ويقولون: إن موسى - عليه السلام - غرس عصاه في موضعها، فأثبت الله هناك هذه

^١ هذا الفصل من هنا وحتى صفحة فيما يلي، نشره وترجمه إلى اللغة الفرنسية L. Leroy بعنوان Leroy, L., «Les Synagogues des Juifs. Moise et Élite d'après les traditions arabes», ROC XI (1906), pp. 149-190-208, 269-79; 62, 371-402; XII (1907), pp. 190-208, 269-79 كما نشر هذا الفصل كاملاً حتى صفحة ٩٦٣ فيما يلي، عبد المجيد دياب بعنوان: «تاريخ اليهود وآثارهم في مصر»، القاهرة - دار الفضيلة ١٩٩٧.

^٢ ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ١٦٢.

^٣ دُمُوهُ. بضم الدال والميم وسكون الواو وهاء خالصة. (ياقوت: المشترك وضعا ١٨٢).

الشَّجَرَةَ ، وَأَنَّهَا لَمْ تَزَلْ ذَاتَ أَغْصَانٍ نَضِرَةَ ، وَسَاقِي صَاعِدٍ فِي السَّمَاءِ ، مَعَ مُحْسِنِ اسْتِوَاءٍ وَتُخْنٍ فِي اسْتِقَامَةٍ^١ ، إِلَى أَنْ أَنْشَأَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ شُعْبَانَ بْنَ مُحْسِنٍ مَدْرَسَتَهُ تَحْتَ الْقَلْعَةِ ، فَذَكَرَ لَهُ مُحْسِنٌ هَذِهِ الشَّجَرَةَ ، فَتَقَدَّمَ بِقَطْعِهَا لِيَتَفَعَّ بِهَا فِي الْعِمَارَةِ ، فَمَضَوْا إِلَى مَا أَمَرُوا بِهِ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَصْبَحَتْ وَقَدْ تَكَوَّرَتْ وَتَعَقَّقَتْ ، وَصَارَتْ شَيْعَةَ الْمَنْظَرِ ، فَتَرَكَوْهَا ، وَاسْتَمَرَّتْ كَذَلِكَ مُدَّةً^٢ . فَاتَّفَقَ أَنْ زَنَى يَهُودِيٌّ يَهُودِيَّةً تَحْتَهَا ، فَتَهَدَّلَتْ أَغْصَانُهَا ، وَتَحَاتَّ وَرَقُهَا ، وَجَفَّتْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ بِهَا وَرَقَةٌ خَضِرَاءَ ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ كَذَلِكَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا .

ولهذه الكنيسة عيدٌ يَزْحَلُ الْيَهُودُ بِأَهَالِيهِمْ إِلَيْهَا فِي «عِيدِ الْخِطَابِ» ، وَهُوَ فِي شَهْرِ سِيَوَانَ ، وَيَجْعَلُونَ ذَلِكَ بَدَلًا حَجَّهِمْ إِلَى الْقُدْسِ^٣ .

وقد كان لموسى - عليه السلام - أنباءٌ قد قصَّها الله تعالى في القرآن الكريم وفي التوراة ، وروى أهل الكتاب وعلماء الأختبار من المسلمين كثيرًا منها^٤ . وساقصُّ عليك في هذا الموضع منها ما فيه كفاية ، إذ كان ذلك من شرط هذا الكتاب .

وفي التوراة : عَمْرَامُ بْنُ قَاهَتَ^(a) بْنِ لَآوِي بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَهُ عَلَيْهِمْ ، أُمُّهُ يُونَابَدُ^(b) بِنْتُ لَآوِي ، فَهِيَ عَمَّةُ عِمْرَانَ وَالِدِ مُوسَى^٥ . وَوُلِدَ بِمِصْرَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ شَهْرِ آذَارِ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ لِلدُّخُولِ يَعْقُوبَ عَلَى يُوسُفَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِمِصْرَ^٦ .

(a) كذا في النسخ ، وفي التوراة قهات . (b) بولاق : يوحاند ، وفي التوراة : يوكابد .

^١ بنيامين التطيلي : الرحلة ، ترجمة وتعليق عزرا خداد ، بغداد ١٣٨٤هـ ، ١٧٥ .
^٢ فيما تقدم ٦٦١ .
^٣ فيما يلي ٩٤٨ .
^٤ على الأخص الثعلبي : قصص الأنبياء ١٤٧-٢٢١ ؛ المسعودي : مروج الذهب ١ : ٥٤-٥٦ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ١٦-٢٠ ؛ النويري : نهاية الأرب ١٣ : ١٧٣-٢٧٧ ؛ وانظر كذلك Heller, B., *El*² art.

^٥ التوراة ، سفر القدد ، ٥٨/٢٦ - ٥٩ .
^٦ وُلِدَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بَعْدَ مِائَةٍ وَثَلَاثِينَ عَامًا مِنْ دُخُولِ يَعْقُوبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَى مِصْرَ ، وَبِمَا أَنَّهُ كَانَ فِي سِنِّ الثَّمَانِينَ وَقَدْ خَرَجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ ، فَيَكُونُ مَجْمُوعٌ ذَلِكَ مِائَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً ، هِيَ فِتْرَةُ إِقَامَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي مِصْرَ . وَبِذَلِكَ تُتَّفَقُ رِوَايَةُ الْمُقْرِئِيِّ تَقْرِيبًا مَعَ مَا جَاءَ فِي التُّورَةِ .

وكان بنو إسرائيل - منذ مات لاوي بن يعقوب في سنة أربع وتسعين لدخول يعقوب مصر^١ - في البلاء مع القبط ، وذلك أن يوسف - عليه السلام - لما مات في سنة ثمانين من قدوم يعقوب مصر ، كان الملك إذ ذاك بمصر دارم بن الرثيان - وهو الفرعون الرابع عندهم ، وتسميه القبط دريموس - فاستوزر بعده رجلاً من الكهنة يقال له بلاطس ، فحمله على أذى الناس ، وخالف ما كان عليه يوسف^٢ .

وساءت سيره الملك حتى اغتصب كل امرأة جميلة بمدينة منف وغيرها من النواحي فشق ذلك من فعله على الناس ، وهموا بخلعه من الملك . فقام الوزير بلاطس في الوساطة بينه وبين الناس ، وأسقط عنهم الخراج لثلاث سنين ، وفرق فيهم مالا حتى سكنوا^٣ .

واتفق أن رجلاً من الإسرائيليين ضرب بعض سدنة الهياكل فأذماه ، وعاب دين الكهنة ، فعضب القبط ، وسألوا الوزير أن يخرج بني إسرائيل من مصر ، فأبى . وكان دارم الملك قد خرج إلى الصعيد ، فبعث إليه يخبره بأمر الإسرائيليين ، وما كان من القبط في طلبهم إخراج بني إسرائيل من مصر ، فأرسل إليه ألا يحدث في القوم حديثاً دون موافاته ؛ فشغب القبط ، وأجمعوا على خلع الملك وإقامة غيره . فسار إليهم الملك ، وكانت بينه وبينهم حروب قتل فيها خلق كثير ، ظفر فيها الملك ، وصلب ممن خالفه بحافتي النيل طوائف لا تحصى ، وعاد إلى أكثر مما كان عليه من ابتزاز النساء ، وأخذ الأموال ، واستخدم الأشراف والوجوه من القبط ومن بني إسرائيل فأجمع الكل على دمه . واتفق أنه ركب في النيل ، فهاجت به الرياح ، وأغرقه الله ومن معه ، ولم توجد جثته إلا عند شطوف^٤ .

فأقام الوزير من بعده في الملك ابنه معاديبوس ، وكان صبيًا - وتسميه بعضهم معدان - فاستقام الأمر له ، ورد النساء اللاتي اغتصبهن أبوه ، وهو خامس الفراعنة . فكثر بنو إسرائيل في زمنه ، ولهجوا بثلب الأضنام وذمها^٥ .

^١ يتفق هذا التاريخ مع ما جاء في سفر التكوين بالتوراة ، ٣٨٤:١ - ٣٨٥ .

^٢ نفسه ١٢٨:١٥ - ١٢٩ .

^٣ نفسه ١٢٩:١٥ - ١٣٠ .

وانظر عن قرينة شطوف وتحديد موضعها ، فيما تقدم

١٦٦:١ هـ^٤ .

^٥ نفسه ١٥:١٣٠ ؛ وفيما تقدم ١:٣٨٥ .

^٦ النويري : نهاية الأرب ١٥:١٢٧ ، وفيما تقدم

وهلك بلاطس الوزير، وقام من بعده في الوزارة كاهن يقال له أملاده، فأمر بإفراد بني إسرائيل ناحية في البلد، بحيث لا يختلط بهم غيرهم، فأقطعوا موضعاً في قبلي مدينة منف صاروا إليه، وبنوا فيه معبداً كانوا يتلون به صُحف إبراهيم، عليه السلام^١.

- فخطب رجل من القبط بعض نسائهم، فأبوا أن يُنكحوه - وقد كان هويتها - فأكبر القبط فعلهم، وصاروا إلى الوزير، وشكوا من بني إسرائيل، وقالوا: هؤلاء قوم يعيبوننا، ويزعجون عن مناكحتنا، ولا نحب أن يجاوزونا ما لم يدينوا بديننا. فقال لهم الوزير: قد علمتم إكرام طوطيس الملك لجدهم، ونهراوش من بعده، وقد علمتم بركة يوسف، حتى جعلتم قبره وسط النيل، فأخصب جانباً مصر بمكانه. وأمرهم بالكف عن بني إسرائيل؛ فأمسكوا، إلى أن اختجب معدان وقام من بعده في الملك ابنه أكساميس - الذي يُسميه بعضهم كاسيم - بن معدان بن الرثان ابن الوليد بن ذومع العمليقي، وهو السادس من فراعنة مصر، وكان أولهم يقال له فيرعان، فصار ذلك اسماً لكل من تجبر وعلا أمره^٢.

- وطالت أيام كاسيم، ومات وزير أبيه، فأقام من بعده رجلاً من بيت المملكة/ يقال له طلما ابن قومس. وكان شجاعاً ساحراً، كاهناً كاتباً حكيماً، ذهياً متصرفاً في كل فن، وكانت نفسه تُنازعه الملك - ويقال إنه من ولد أشمون الملك، وقيل من ولد صا - فأحبه الناس، وعمّر الخراب، وبنى مدناً من الجانيين، ورأى في نجومه أنه سيكون حدثاً وشدة^٣.

- وشكا القبط إليه من الإسرائيليين، فقال: «هم عبيدكم». فكان القبطي إذا أراد حاجة، سخر الإسرائيلي وضربه، فلا يغير عليه أحد ولا يُنكر عليه ذلك، فإن ضرب الإسرائيلي أحداً من القبط قتل البتة، وكذلك كانت تفعل نساء القبط بالنساء الإسرائيليات. فكانت أول شدة وذل أصاب بني إسرائيل، وكثر ظلمهم وأذاهم من القبط^٤.

- واستبد الوزير طلما بأمر البلد، كما كان العزيز مع نهراوش، وتوفي أكساميس الملك، فأتهم طلما بأنه سمه، فركب في سلاجه، وأقام لاطس الملك مكان أبيه. وكان ابنه جريئاً مُعجباً، فصرف طلما بن قومس عما كان عليه من خلافته، واستخلف رجلاً يقال له «لاهوق» من ولد صا، وأنفذ طلما عاملاً على الصعيد، وسير معه جماعة من الإسرائيليين، وزاد تجبره وعتوه، وأمر

^٣ نفسه ١٥: ١٣٣.

^١ النويري: نهاية الأرب ١٥: ١٣٠.

^٤ نفسه ١٥: ١٣٣، سفر الخروج ١٣/١ - ١٤.

^٢ نفسه ١٥: ١٣٠ - ١٣٢، وفيما تقدم ١: ٣٦٣.

النَّاسَ جَمِيعًا أَنْ يَقُومُوا عَلَى أَرْجُلِهِمْ فِي مَجْلِسِهِ ، وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى الْأَمْوَالِ ، وَمَنَعَ النَّاسَ مِنْ فَضُولِ مَا بَأْيَدِيهِمْ ، وَقَصَّرَهُمْ عَلَى الْقُوتِ ، وَابْتَزَّ كَثِيرًا مِنَ النِّسَاءِ ، وَفَعَلَ أَكْثَرَ مِمَّا فَعَلَهُ مَلِكٌ تَقَدَّمَهُ ، وَاسْتَعْبَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَأَبْغَضَهُ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ .

وَكَانَ طَلْمًا ، لَمَّا صُرِفَ عَنِ الْوِزَارَةِ وَخَرَجَ إِلَى الصَّعِيدِ ، أَرَادَ إِزَالَةَ الْمَلِكِ وَالخُرُوجَ عَنْ طَاعَتِهِ . فَجَبَى الْمَالَ ، وَامْتَنَعَ مِنْ حَمَلِهِ ، وَأَخَذَ الْمَعَادِينَ لِنَفْسِهِ ، وَهَمَّ أَنْ يُقِيمَ مَلِكًا مِنْ وَدَدِ قُبَطْرِينَ وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى طَاعَتِهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْ ذَلِكَ ، وَدَعَا لِنَفْسِهِ ، وَكَاتَبَ الْوُجُوهَ وَالْأَعْيَانَ ، فَافْتَرَقَ النَّاسُ ، وَتَطَاوَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَهْنَاءِ الْمُلُوكِ إِلَى الْمَلِكِ ، وَطَمِعَ فِيهِ . وَيُقَالُ : إِنَّ رُوحَانِيًّا ظَهَرَ لَطَلْمًا ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّ أَطْعَمْتَنِي قَلْدَتِكَ مِضْرَ زَمَانًا طَوِيلًا ، فَأَجَابَهُ وَقَرَّبَ إِلَيْهِ أَشْيَاءَ ، مِنْهَا غَلَامٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَصَارَ عَوْنًا لَهُ ^١ .

وَبَلَغَ الْمَلِكُ خَبْرَ خُرُوجِ طَلْمًا عَنْ طَاعَتِهِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ قَائِدًا قَلَدَهُ مَكَانَهُ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْبِضَ عَلَى طَلْمًا ، وَيَبْعَثَ بِهِ إِلَيْهِ مُوثِقًا ، فَصَارَ إِلَيْهِ ، وَخَرَجَ طَلْمًا لِلِقَائِهِ ، وَحَارَبَتْهُ فَظْفَرَتْ بِهِ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى مَا مَعَهُ ، فَجَهَّزَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ قَائِدًا آخَرَ فَهَزَمَهُ ، وَسَارَ فِي إِثْرِهِ - وَقَدْ كَثَّفَ جَمْعَهُ - فَتَبَرَّزَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ ، وَاحْتَرَبَا ، فَكَانَتْ لَطَلْمًا عَلَى الْمَلِكِ فَقَتَلَهُ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى مَدِينَةِ مَنْفَ ، وَنَزَلَ قَصْرَ الْمَمْلُوكَةِ ^٢ .

وَهَذَا هُوَ فِرْعَوْنُ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّيهِ الْوَلِيدَ بْنِ مُضْعَبَ ، وَقِيلَ هُوَ مِنَ الْعَمَالِقَةِ ، وَهُوَ سَابِعُ الْفَرَاعِنَةِ . وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ قَصِيرًا ، طَوِيلَ اللَّحْيَةِ ، أَشْهَلَ الْعَيْتِينَ ، صَغِيرَ الْعَيْنِ الْيُسْرَى ، فِي جَبِينِهِ شَامَةٌ ، وَكَانَ أُعْرَجَ . وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ يُكْنَى بِأَبِي مُرَّةَ ، وَإِنَّ اسْمَهُ الْوَلِيدَ ابْنَ مُضْعَبَ ، وَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ خَضَّبَ بِالسُّوَادِ لَمَّا شَابَ ؛ ذَلَّهُ عَلَيْهِ إِبْلِيسُ ^٣ .

وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْقِبْطِ ، وَقِيلَ إِنَّهُ دَخَلَ مَنْفَ عَلَى أَنَانٍ يَحْمِلُ النَّطْرُونَ لِبَيْعِهِ ، وَكَانَ النَّاسُ قَدْ اضْطَرَبُوا فِي تَوَلِيَةِ الْمَلِكِ ، فَحَكَّمُوهُ وَرَضُوا بِتَوَلِيَةِ مَنْ يُؤَلِّيهِ عَلَيْهِمْ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ خَرَجُوا إِلَى ظَاهِرِ مَدِينَةِ مَنْفَ يَنْتَظِرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ لِيَحْكُمُوهُ ، فَكَانَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ أَقْبَلَ بِحِمَارِهِ ، فَلَمَّا

^١ طرد من مصر نتيجة هذه الاضطرابات وأنه اضطر للجوء

إلى الحبشة حيث بقي بها ثلاثة عشر عامًا . (Josephus

with an english translation by Louis H.

(Feldman, London 1965, I, p. 281

^٢ نفسه ١٥:١٣٥-١٣٦ .

^١ النويري : نهاية الأرب ١٥:١٣٤-١٣٥ .

^٢ نفسه ١٥:١٣٥ .

وتتفق أحداث هذه الاضطرابات هنا مع الروايات المصرية عن خروج بني إسرائيل والتي حفظها المؤرخ اليهودي يوسفوس Josephus نقلًا عن المؤرخ مانيتون Manetho . وتشير هذه الرواية إلى أن الفِرْعَوْنَ أَمِينُوفِس

حَكَّمُوهُ وَرَضُوا بِحُكْمِهِ ، أَقَامَ نَفْسَهُ مَلِكًا عَلَيْهِمْ . وَأَنْكَرَ قَوْمٌ هَذَا ، وَقَالُوا : كَانَ الْقَوْمُ أَذْهَى مِنْ أَنْ يُقْلَدُوا مُلْكَهُمْ مِنْ هَذِهِ سَبِيلُهُ .

فَلَمَّا جَلَسَ فِي الْمَلِكِ اخْتَلَفَ النَّاسُ عَلَيْهِ ، فَبَدَلَ لَهُمُ الْأَمْوَالَ ، وَقَتَلَ مَنْ خَالَفَهُ مِنْ أَطَاعِهِ حَتَّى اعْتَدَلَ أَمْرُهُ ، وَرَتَّبَ الْمَرَاتِبَ ، وَشَيَّدَ الْأَعْمَالَ ، وَبَنَى الْمُدُنَ ، وَخَنَدَقَ الْخَنَادِقَ ، وَبَنَى بِنَاحِيَةَ الْعَرِيشِ حِصْنًا ، وَكَذَلِكَ عَلَى جَمِيعِ حُدُودِ مِصْرَ ، وَاسْتَخْلَفَ هَامَانَ - وَكَانَ يَقْرُبُ مِنْهُ فِي نَسَبِهِ - وَأَثَارَ الْكُنُوزِ ، وَصَرَفَهَا فِي بِنَاءِ الْمَدَائِنِ وَالْعِمَارَاتِ ، وَخَفَرَ نَخْلِيحَ سَرْدُوسَ وَغَيْرِهِ ، وَبَلَغَ الْخَرَاجَ بِمِصْرَ فِي زَمَانِهِ سَبْعَةَ وَتِسْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، بِالْدِينَارِ الْفِرْعَوْنِيِّ ، وَهُوَ ثَلَاثَةٌ مِثْقَالِ ١ .

وَفِرْعَوْنٌ هُوَ أَوَّلُ مَنْ عَرَّفَ الْعُرَفَاءَ عَلَى النَّاسِ . وَكَانَ مِمَّنْ صَحِبَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ إِمْرِي - وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بِالْعِبْرَانِيَةِ عِمْرَامُ وَبِالْعَرَبِيَّةِ عِمْرَانُ - بِنُ قَاهْتِ بْنِ لَآوِي ، وَكَانَ قَدِيمَ مِصْرَ مَعَ يَعْقُوبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَجَعَلَهُ حَرَسًا لِقَصْرِهِ يَتَوَلَّى حِفْظَهُ وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُهُ وَإِعْلَاقُهُ بِاللَّيْلِ . وَكَانَ فِرْعَوْنٌ قَدْ رَأَى فِي كِهَانَتِهِ وَنُجُومِهِ أَنََّّهُ يَجْرِي هَلَاكُهُ عَلَى يَدِ مَوْلُودٍ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ ، فَمَنْعَهُمْ مِنَ الْمُنَاكِحَةِ ثَلَاثَ سِنِينَ الَّتِي رَأَى أَنَّ ذَلِكَ الْمَوْلُودَ يُوَلَدُ فِيهَا . فَأَتَتْ امْرَأَةٌ إِمْرِي إِلَيْهِ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي بِشَيْءٍ قَدْ أَضْلَحَتْهُ لَهُ ، فَوَاقَعَهَا ، فَاسْتَمَلَتْ مِنْهُ عَلَى هَارُونَ ، وَوَلَدَتْهُ لثَلَاثِ وَسَبْعِينَ مِنْ عَمْرِهِ ، فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ لِقُدُومِ يَعْقُوبَ إِلَى مِصْرَ ، ثُمَّ أَتَتْهُ مَرَّةً أُخْرَى ، فَحَمَلَتْ بِمُوسَى لثَمَانِينَ سَنَةً مِنْ عُمُرِهِ ٢ .

وَرَأَى فِرْعَوْنٌ فِي نُجُومِهِ أَنََّّهُ قَدْ حُمِلَ بِذَلِكَ الْمَوْلُودِ ، فَأَمَرَ بِذِيحِ الذُّكْرَانِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْقَوَائِلِ بِذَلِكَ ، فَوُلِدَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ لِقُدُومِ يَعْقُوبَ إِلَى مِصْرَ ، وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ لَوْلَادَةِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَلِضِيِّ أَلْفٍ وَخَمْسِ مِائَةٍ وَسِتِّ سِنِينَ مِنَ الطُّوفَانِ .

وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَصَّه اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ قَذْفِ أُمِّهِ لَهُ فِي التَّائِبَاتِ ، فَأَلْقَاهُ النَّيْلُ إِلَى تَحْتِ قَصْرِ الْمَلِكِ ، وَقَدْ أَرْضَدَتْ أُمُّهُ أُخْتَهُ عَلَى بُعْدٍ لَتَنْظُرَ مِنْ يَلْتَقِطُهُ فَجَاءَتْ ابْنَةً / فِرْعَوْنٌ إِلَى الْبَحْرِ مَعَ جَوَارِيهَا ، فَرَأَتْهُ وَاسْتَحْرَجَتْهُ مِنَ التَّائِبَاتِ ، فَرَحِمَتْهُ وَقَالَتْ : هَذَا مِنَ الْعِبْرَانِيِّينَ مِنْ لَنَا بِظَنِّرٍ ٣ تَرْضِعُهُ ؟ فَقَالَتْ لَهَا أُخْتُهُ : أَنَا آتِيكَ بِهَا . وَجَاءَتْ بِأُمِّهِ ، فَاسْتَرْضَعَتْهَا لَهُ ابْنَةً فِرْعَوْنٌ إِلَى أَنْ

١ النويري : نهاية الأرب ١٥ : ١٣٦ .

٢ الظنن . الموضوعة لغير ولدها . (الفيروزآبادي : القاموس

نفسه ١٥ : ١٣٧ ، وكذلك ١٣ : ١٧٨ - ١٧٩ ؛ المحيط ٥٥٥) .

التوراة ، سفر الخروج ١/ ١٥ - ٢٢ .

فَصَلَ، فَأَتَتْ بِهِ إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ، وَسَمَّته «مُوسَى»، وَتَبَّتْهُ وَنَشَأَ عِنْدَهَا^١.

وقيل بل أَخَذَتْهُ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ، وَاسْتَرْضَعَتْهُ أُمَّهُ، وَمَنْعَتْ فِرْعَوْنَ مِنْ قَتْلِهِ، إِلَى أَنْ كَبُرَ وَعَظُمَ شَأْنُهُ، فَرَدَّ إِلَيْهِ فِرْعَوْنُ كَثِيرًا مِنْ أَمْرِهِ، وَجَعَلَهُ مِنْ قُوَّادِهِ - وَكَانَتْ لَهُ سَطْوَةٌ - ثُمَّ وَجَّهَهُ لِقَوْمِ الْكُوثَانِيِّينَ^(a)، وَقَدْ عَاشُوا فِي أَطْرَافِ مِصْرَ، فَخَرَجَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ وَأَوْقَعَ بِهِمْ، فَأَظْفَرَهُ اللهُ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ كَثِيرًا وَأَسَرَ كَثِيرًا، وَعَادَ غَانِمًا، فَسَرَ ذَلِكَ فِرْعَوْنَ، وَأَعْجَبَ بِهِ هُوَ وَامْرَأَتُهُ^٢. وَاسْتَوَلَى مُوسَى، وَهُوَ غُلامٌ، عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَمْرِ فِرْعَوْنَ، فَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يَسْتَخْلِفَهُ؛ حَتَّى قَتَلَ رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِ الْقِبْطِ لَهُ قَرَابَةٌ مِنْ فِرْعَوْنَ، فَطَلَبَهُ^٣.

وذلك أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا يَمْشِي فِي النَّاسِ - وَهُوَ صَوْلَةٌ بِمَا كَانَ لَهُ فِي بَيْتِ فِرْعَوْنَ مِنَ الْمَرْبِيِّ وَالرُّضَاعِ - فَرَأَى عِبْرَانِيًّا يُضْرَبُ، فَقَتَلَ الْمِصْرِيَّ الَّذِي ضَرَبَهُ وَدَفَنَهُ، وَخَرَجَ يَوْمًا آخَرَ فَإِذَا بِرَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَدْ سَطَا أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرَ، فَزَجَرَهُ، فَقَالَ لَهُ: وَمَنْ جَعَلَ لَكَ هَذَا؟ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ الْمِصْرِيَّ بِالْأَمْسِ؟^٤ وَنَمَّا الْخَبْرُ إِلَى فِرْعَوْنَ فَطَلَبَهُ، وَأَلْقَى اللهُ فِي نَفْسِهِ الْخَوْفَ لِمَا يُرِيدُ مِنْ كِرَامَتِهِ، فَخَرَجَ مِنْ مَنَفٍ، وَلَحِقَ بِمَدْيَنَ عِنْدَ عَقَبَةِ أُيْلَةَ - وَبَنُو مَدْيَنَ أُمَّةٌ عَظِيمَةٌ، مِنْ بَنِي إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانُوا سَاكِنِينَ هُنَاكَ - وَكَانَ فِرَاؤُهُ وَهُوَ مِنْ الْعُمَرِ أَرْبَعُونَ سَنَةً، فَتَزَلَّ عِنْدَ يَتْرُونَ^(b)، وَهُوَ شُعَيْبٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ وَلَدِ مَدْيَنَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَ مِنْ تَرْوِيجِهِ ابْنَتَهُ، وَرِعَايَتِهِ غَنَمَهُ، مَا كَانَ لَهُ، فَأَقَامَ هُنَاكَ تِسْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، نَكَحَ فِيهَا صَفْوَرَاءَ ابْنَةَ شُعَيْبٍ^٥. وَبَنُو إِسْرَائِيلَ مَعَ

(a) بولاق: اليونانيين. (b) بولاق: ييرون.

^١ راجع الآيات ٧-١٤ سورة القصص؛ والتوراة، سفر الخروج ١/٢-١٠.

^٢ يُشِيرُ الْمُؤَرِّخُ الْيَهُودِي يُوسُفُوسُ Josephus إِلَى أَنَّ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - تَوَلَّى قِيَادَةَ حَمَلَةٍ ضِدَّ الْإِثْيُوبِيِّينَ فِي الْجَنُوبِ وَأَنَّهُ اسْتَوَلَى عَلَى عَاصِمَتِهِمْ سَابَا Saba - الَّتِي أُطْلِقَ عَلَيْهَا قَمْبِيزُ فِيمَا بَعْدَ مِروِي Meroe. (Josephus IV, p. 273). وَقَدْ حُلَّ اسْمُ الْكُوثَانِيِّينَ عِوَضًا عَنِ الْإِثْيُوبِيِّينَ فِي نَصِّ الْمُقْرِئِي، لِأَنَّ الْقَرْبَ كَانُوا يُشِيرُونَ إِلَى إِثْيُوبِيَا بِاسْمِ الْحَبَشَةِ فَاسْتَحْلَطَ عَلَيْهِمُ الْاسْمَ.

^٣ النويري: نهاية الأرب ١٥: ١٣٧.

^٤ راجع، الآيات ١٥-٢٠ سورة القصص؛ التوراة، سفر الخروج ١١/٢-١٥؛ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٢٩، ونشرة Breydy ١: ١؛ النويري: نهاية الأرب ١٣: ١٨٣-١٨٤.

^٥ أُطْلِقَتْ عَلَيْهِ التَّورَةُ اسْمَ رَاجِلِ Ragueel، وَأُطْلِقَ عَلَيْهِ يُوسُفُوسُ Josephus جِثْرُو Jéthro.

^٦ الآيات ٢١-٢٨ سورة القصص؛ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٢٩؛ النويري: نهاية الأرب ١٣: ١٨٤-١٨٦.

فِرْعَوْنَ وَأَهْلَ مِصْرَ - كما قال الله تعالى : ... يَشُومُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَسْتَعْبِدُونَهم^١ .

فلَمَّا مَضَى مِنْ سَنَةِ الثَّمَانِينَ لِمُوسَى شَهْرَ وَأَشْبُوعَ ، كَلَّمَهُ اللهُ جَلَّ اسْمُهُ - وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ نَيْسَانَ - وَأَمَرَهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ ، وَشَدَّ عَضُدَهُ بِأَخِيهِ هَارُونَ ، وَأَيْدَهُ بَأَيَاتٍ : مِنْهَا قَلْبُ الْعَصَا حَيَّةً ، وَبِيَاضُ يَدِهِ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْعَشْرِ الَّتِي أَحَلَّهَا اللهُ بِفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ، وَكَانَ مَجِيءُ الْوَحْيِ مِنْ اللهِ تَعَالَى إِلَيْهِ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً .

ثُمَّ قَدِمَ مِصْرَ فِي شَهْرِ أَيَّارَ ، وَلَقِيَ أَخَاهُ هَارُونَ ، فَسَرَّ بِهِ ، وَأَطْعَمَهُ جُلْبَانًا فِيهِ ثَرِيدٌ ، وَتَنَبَّأَ هَارُونَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً ، وَغَدَا بِهِ إِلَى فِرْعَوْنَ ، وَقَدْ أُوجِيَّ إِلَيْهِمَا أَنْ يَأْتِيَا إِلَى فِرْعَوْنَ لِيَبْعَثَ مَعَهُمَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَيَسْتَقْدِنَهُمْ مِنْ هَلَكَةِ الْقَيْطِ وَجُورِ الْفِرَاعِنَةِ ، وَيَخْرِجُونَ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي وَعَدَهُمُ اللهُ بِمَلِكِهَا عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ، فَأَبْلَغَا ذَلِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنِ اللهِ ، فَأَمَّنُوا بِمُوسَى وَاتَّبَعُوهُ .

ثُمَّ حَضَرَ إِلَى فِرْعَوْنَ ، فَأَقَامَا بَيْتَيْهِ أَيَّامًا - وَعَلَى كُلِّ مِنْهُمَا جُبَّةٌ صُوفٌ ، وَمَعَ مُوسَى عَصَاهُ - وَهُمَا لَا يَصِلَانِ إِلَى فِرْعَوْنَ لِشِدَّةِ حُجَابِهِ . حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ مُضْجِكٌ كَانَ يَلْهُو بِهِ ، فَعَرَفَهُ أَنَّ بِالْبَابِ رَجُلَيْنِ يَطْلُبَانِ الْإِذْنَ عَلَيْكَ ، يَزْعُمَانِ أَنَّ إِلَهُهُمَا قَدْ أَرْسَلَهُمَا إِلَيْكَ ، فَأَمَرَ بِادْخَالِهِمَا . فَلَمَّا دَخَلَا عَلَيْهِ خَاطَبَهُ مُوسَى بِمَا قَصَّه اللهُ فِي كِتَابِهِ ، وَأَرَاهُ آيَةَ الْعَصَا وَآيَتَهُ فِي بِيَاضِ الْيَدِ^٢ .

فَغَاظَ فِرْعَوْنَ مَا قَالَهُ مُوسَى ، وَهَمَّ بِقَتْلِهِ ، فَمَنَعَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْ رَأَى صُورَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ ، وَمَسَّحَتْ عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَعَمُوا . ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا فَتَحَ عَنْ عَيْنَيْهِ ، أَمَرَ قَوْمًا آخَرِينَ بِقَتْلِ مُوسَى ، فَأَتَتْهُمُ نَارٌ أَخْرَقَتْهُمْ ، فَازْدَادَ غَيْظُهُ ، وَقَالَ لِمُوسَى : مَنْ أَتَى لَكَ هَذِهِ النَّوَامِيسُ الْعِظَامُ ؟ أَسْحَرَهُ بَلَدِي عِلْمُوكَ هَذَا ، أَمْ تَعَلَّمْتَهُ بَعْدَ خُرُوجِكَ مِنْ عِنْدِنَا ؟ فَقَالَ : هَذَا نَامُوسُ السَّمَاءِ ، وَلَيْسَ مِنْ نَوَامِيسِ الْأَرْضِ . قَالَ فِرْعَوْنُ : وَمَنْ صَاحِبُهُ ؟ قَالَ : صَاحِبُ الْبَيْتَةِ الْعُلْيَا . قَالَ : بَلْ تَعَلَّمْتَهَا مِنْ بَلَدِي .

وَأَمَرَ بِجَمْعِ السَّحَرَةِ وَالْكَهَنَةِ وَأَصْحَابِ النَّوَامِيسِ ، وَقَالَ : اعْرِضُوا عَلَيَّ أَعْمَالِكُمْ ، فَإِنِّي أَرَى نَوَامِيسَ هَذَا السَّاحِرِ رَفِيعَةً جَدًّا . فَعَرَضُوا عَلَيْهِ أَعْمَالَهُمْ ، فَسَرَّهُ ذَلِكَ ، وَأَحْضَرَ مُوسَى ، وَقَالَ لَهُ : لَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى سِحْرِكَ ، وَعِنْدِي مَنْ يَفُوقُ عَلَيْكَ . فَوَاعَدَهُمْ «يَوْمَ الزُّيْنَةِ» . وَكَانَ جَمَاعَةً مِنَ الْبَلَدِ قَدْ اتَّبَعُوا مُوسَى فَقَتَلَهُمْ فِرْعَوْنُ . ثُمَّ إِنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ مُوسَى وَبَيْنَ سَحَرَتِهِ ، وَكَانُوا مَائَتِي أَلْفٍ

^١ يعني ما ذكرته الآيات أرقام ٤٩ سورة البقرة و١٤١ الخروج ٢٣/٢-٢٥ .

^٢ يعني الآيات ٩-٢٢ سورة طه . سورة الأعراف و٦ سورة إبراهيم ؛ وكذلك التوراة ، سفر

وأربعين ألفاً، يَعْمَلُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا يُخَيِّرُ الْعُقُولَ، وَيَأْخُذُ الْقُلُوبَ، مِنْ دُخَانِ مُلَوَّنَاتِ تُرَى
 الْوُجُوهِ مَقْلُوبَةً مُسْوَهَةً، مِنْهَا الطَّوِيلُ وَالْعَرِيضُ، وَالْمَقْلُوبُ جَبْهَتَهُ إِلَى أَسْفَلٍ وَخِيَّتَهُ إِلَى فَوْقٍ،
 وَمِنْهَا مَا لَهُ قُرُونٌ، وَمِنْهَا مَا لَهُ خُرْطُومٌ وَأَنْيَابٌ ظَاهِرَةٌ كَأَنْيَابِ الْفَيْلَةِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ عَظِيمٌ فِي قَدْرِ
 التُّرْسِ الْكَبِيرِ، وَمِنْهَا مَا لَهُ آذَانٌ عِظَامٌ، وَشِبْهُ وَجْهِ الْقُرُودِ بِأَجْسَادٍ عَظِيمَةٍ تَبْلُغُ السَّحَابَ،
 وَأَجْنِحَةٌ مُرَكَّبَةٌ عَلَى حَيَاتٍ عَظِيمَةٍ تَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ وَيَرْجِعُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فَيَتَّبِعُهُ، وَحَيَاتٍ
 يَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهَا نَارٌ تَنْتَشِرُ فِي النَّاسِ، وَحَيَاتٍ تَطِيرُ وَتَرْجِعُ فِي الْهَوَاءِ، وَتَنْحَدِرُ عَلَى كُلِّ
 مَنْ حَضَرَ لَتَبْتَلِعَهُ، فَيَتَهَارَبُ النَّاسُ مِنْهَا، وَعِصِيٌّ تُحَلِّقُ فِي الْهَوَاءِ، فَتَصِيرُ حَيَاتٍ بِرُؤُوسِ
 وَشُعُورِ وَأُذْنَابٍ تَهَمُّ بِالنَّاسِ أَنْ تَنْهَشَهُمْ، وَمِنْهَا مَا لَهُ قَوَائِمٌ، وَمِنْهَا تَمَائِلٌ مَهُولَةٌ. وَعَمِلُوا لَهُ
 دُخَانًا تُغْشِي أَبْصَارَ النَّاسِ عَنِ النَّظَرِ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَدُخَانًا تُظْهِرُ صُورًا كَهَيْئَةِ الشَّيْرَانِ
 فِي الْجَوِّ عَلَى دَوَابِّ يَصْدِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيُسْمَعُ لَهَا ضَجِيجٌ، وَصُورًا خُضْرًا عَلَى دَوَابِّ
 خُضِرَ، وَصُورًا سُودًا عَلَى دَوَابِّ سُودٍ هَائِلَةٌ. فَلَمَّا رَأَى فِرْعَوْنُ ذَلِكَ، سَرَّهُ مَا رَأَى هُوَ وَمَنْ
 حَضَرَهُ، وَاعْتَمَّ مُوسَى وَمَنْ آمَنَ بِهِ، حَتَّى أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ * وَأَلْقَى مَا
 فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا ﴿[الآيات ٦٨، ٦٩ سورة طه].

وكان للسحرة ثلاثة رؤساء - ويقال بل كانوا سبعين رئيسًا - فأَسْرَ إليهم موسى : قد رأيت ما
 صَنَعْتُمْ ، فَإِنْ قَهَرْتُمْ أَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ؟ قَالُوا : نَفَعَلْ . فغَاظَ فِرْعَوْنَ مُسَارَةُ مُوسَى لِرُؤَسَاءِ السَّحَرَةِ ؛ هَذَا
 وَالنَّاسُ يَسْحَرُونَ مِنْ مُوسَى وَأَخِيهِ ، وَيَهْزَأُونَ بِهِمَا وَعَلَيْهِمَا دُرَاعَتَانِ مِنْ صُوفٍ ، وَقَدْ احْتَرَمَا بَلِيفَ .
 فَلَوَّحَ مُوسَى بَعْضَاهُ حَتَّى غَابَتْ عَنِ الْأَعْيُنِ ، وَأَقْبَلَتْ فِي هَيْئَةٍ تَبِينُ عَظِيمٍ لَهُ عَيْنَانِ تَتَوَقَّدَانِ ،
 وَالنَّارُ تَخْرُجُ مِنْ فِيهِ وَمِنْخَرِيهِ ، فَلَا يَقَعُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بَرِصٌ ، وَوَقَعَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ
 فَبَرِصَتْ . وَصَارَ التَّنِينُ فَاغْرًا فَاهَ ، فَالْتَقَطَ جَمِيعَ مَا عَمِلْتَهُ السَّحَرَةُ ، وَمَاتِي مَرْكَبٍ كَانَتْ مَمْلُوءَةً
 جِبَالًا وَعِصِيًّا وَسَائِرٍ مِنْ فِيهَا مِنَ الْمَلَّاحِينَ - وَكَانَتْ فِي النَّهْرِ الَّذِي يَتَّصِلُ بِدَارِ فِرْعَوْنَ - وَابْتَلَعَ
 عُمْدًا كَثِيرَةً وَحِجَارَةً قَدْ كَانَتْ حُمِلَتْ إِلَى هُنَاكَ لِيَبْنِيَ بِهَا .

وَمَرَّ التَّنِينُ إِلَى قَصْرِ فِرْعَوْنَ لِيَتَّبِعَهُ - وَكَانَ فِرْعَوْنُ جَالِسًا فِي قُبَّةٍ عَلَى جَانِبِ الْقَصْرِ لِيُشْرِفَ
 عَلَى عَمَلِ السَّحَرَةِ - فَوَضَعَ نَابَهُ تَحْتَ الْقَصْرِ ، وَرَفَعَ نَابَهُ الْآخَرَ إِلَى أَعْلَاهُ ، وَلَهَبُ النَّارِ يَخْرُجُ مِنْ
 فِيهِ حَتَّى أَحْرَقَ مَوَاضِعَ مِنَ الْقَصْرِ ، فَصَاحَ فِرْعَوْنُ مُسْتَعِينًا بِمُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَزَجَرَ مُوسَى
 التَّنِينَ ، فَانْعَطَفَ لِيَتَّبِعَ النَّاسَ ، فَفَرُّوا كُلُّهُمْ مِنْ يَدَيْهِ ، وَأَنْسَابَ يُرِيدُهُمْ ، فَأَمْسَكَهُ مُوسَى ،
 وَعَادَ فِي يَدِهِ عَصًا كَمَا كَانَ .

ولم يَرِ النَّاسُ مِنْ تِلْكَ الْمَرَائِبِ ، وما كان فيها من الخيَالِ والعِصِيِّ والنَّاسِ ، ولا من العُمْدِ والحِجَارَةِ ، وما شَرِبَهُ مِنْ مَاءِ النَّهْرِ حتى بَانَتْ أَرْضُهُ أَثْرًا . فعند ذلك قالت السَّحْرَةُ : ما هذا من عَمَلِ الْآدَمِيِّينَ ، وإِنَّمَا هُوَ مِنْ فِعْلِ جَبَّارٍ قَدِيرٍ عَلَى الْأَشْيَاءِ ! فقال لهم مُوسَى : أوفوا بَعْهْدِكُمْ ، وإِلَّا سَلَّطْتُهُ عَلَيْكُمْ يَتَّبِعُكُمْ كَمَا ابْتَلَعَ غَيْرَكُمْ . فَأَمَنُوا بِمُوسَى ، وجَاهَرُوا فِرْعَوْنَ ، وقالوا : هذا من فِعْلِ إلهِ السَّمَاءِ ، وليس هذا من فِعْلِ أَهْلِ الْأَرْضِ . فقال : قد عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ واطَأْتُمُوهُ عَلَيَّ وَعَلَى مُلْكِي حَسَدًا مِنْكُمْ لِي . وَأَمَرَ فَقَطَّعَتْ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ ، وَضَلَبُوا^١ ، وجَاهَرَتْهُ امْرَأَتُهُ ، وَالْمُؤْمِنُ الَّذِي كَانَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ^٢ .

وَأَنْصَرَفَ مُوسَى ، فَأَقَامَ بِمِصْرَ يَدْعُو فِرْعَوْنَ أَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْ شَهْرِ آيَارَ إِلَى شَهْرِ نَيْسَانَ الْمُسْتَقْبَلِ ، وَفِرْعَوْنَ لَا يُجِيبُهُ ، بل اشْتَدَّ جَوْرُهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاسْتِعْبَادُهُمْ ، وَاتَّخَذَهُمْ سُحْرِيًّا فِي مِهْنَةِ الْأَعْمَالِ . فَأَصَابَتْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ الْجَوَائِحُ الْعَشْرُ^٣ ، وَاحِدَةٌ بَعْدَ أُخْرَى ، وَهُوَ يَتَشَبَّهُ لَهُمْ عِنْدَ وَقُوعِهَا ، وَيَفْزَعُ إِلَى مُوسَى فِي الدُّعَاءِ بِأَنْجِلَائِهَا ، ثُمَّ يُلْجَأُ عِنْدَ انْكِشَافِهَا ، فَإِنَّهَا كَانَتْ عَذَابًا مِنْ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - عَذَّبَ اللَّهُ بِهَا فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ .

فَمِنْهَا أَنَّ مَاءَ مِصْرَ صَارَ دَمًا حَتَّى هَلَكَ أَكْثَرُ أَهْلِ مِصْرَ عَطَشًا ، وَكَثُرَتْ عَلَيْهِمُ الضَّفَادِعُ حَتَّى وَسَّخَتْ جَمِيعَ مَوَاضِعِهِمْ ، وَقَدَّرَتْ عَلَيْهِمْ عَيْشَهُمْ وَجَمِيعَ مَا كَلِمَهُمْ ، وَكَثُرَ الْبُغُوضُ حَتَّى حَبَسَ الْهَوَاءَ وَمَنَعَ النَّسِيمَ ، وَكَثُرَ عَلَيْهِمْ ذُبَابُ الْكِلَابِ حَتَّى جَرَّحَ أَبْدَانَهُمْ وَنَعَّصَ عَلَيْهِمْ حَيَاتَهُمْ ، وَمَاتَتْ دَوَابُّهُمْ وَأَغْنَامُهُمْ فَجَاءَتْ ، وَعَمَّ النَّاسُ الْجَرَبَ ، وَالْجُدْرِي حَتَّى زَادَ مَنَظَرَهُمْ قُبْحًا عَلَى مَنَاطِرِ الْجَذَمِيِّ .

وَنَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ بَرْدٌ مَخْلُوطٌ بِصَوَاعِقَ أَهْلَكَ كُلَّ مَا أَدْرَكَهُ مِنَ النَّاسِ وَالْحَيَوَانَاتِ ، وَذَهَبَ بِجَمِيعِ الثَّمَارِ ، وَكَثُرَ الْجَرَادُ وَالْجِنَادِبُ الَّتِي أَكَلَتْ الْأَشْجَارَ ، وَاسْتَقْفَصَتْ أَصُولَ النَّبَاتِ ، وَأَظْلَمَتِ الدُّنْيَا ظُلْمَةً سَوْدَاءَ غَلِيظَةً حَتَّى كَانَتْ مِنْ غَلْظِهَا تُحَسُّ بِالْأَجْسَامِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ كَلَّهُ نَزَلَ الْمَوْتُ فَجَاءَتْ عَلَى بُكُورِ أَوْلَادِهِمْ ، بِحَيْثُ لَمْ يَبْقَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَدٌ يَكُرُّ إِلَّا فُجِعَ بِهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، لِيَكُونَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ شُغْلٌ عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

^١ وهو ما رَوَتْهُ الْآيَاتُ مِنْ ٤٢ إِلَى ٧٩ مِنْ سُورَةِ طه ، وَمِنْ ١٠٦ إِلَى ١٢٦ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ ، وَكَذَلِكَ الْآيَاتُ مِنْ ٧٥ إِلَى ٨٩ مِنْ سُورَةِ يُونُسَ ، وَالْآيَاتُ ٢٩ إِلَى ٥١ مِنْ سُورَةِ الشُّعْرَاءِ .

^٢ رَاجِعِ الْآيَاتِ ٢٨-٣٥ مِنْ سُورَةِ غَافِرٍ .

^٣ انظُرِ الْآيَةَ ١٠١ مِنْ سُورَةِ الْإِشْرَاءِ ، وَنَصُّ الْآيَةِ أَنَّهَا تَسَعُ آيَاتٍ لَا عَشْرًا ؛ وَانظُرْ كَذَلِكَ النَّوِيرِي : نَهَايَةُ الْأَرْبِ ١٣ : ١٩٧-١٩٨ .

وكانت الليلة الخامسة عشرة، من شهر نيسان سنة إحدى وثمانين لموسى، فعند ذلك سارع فرعون إلى ترك بني إسرائيل، فخرج موسى - عليه السلام - من ليلته هذه، ومعه بنو إسرائيل، من عين شمس.

وفي «التوراة» أنهم أمروا عند خروجهم أن يذبح أهل كل بيت حملاً من الغنم إن كان كفايتهم، أو يشتركوا مع جيرانهم إن كان أكثر، وأن يذبحوا من دمه على أبوابهم ليكون علامة، وأن يأكلوا شواء رأسه وأطرافه ومعاه، ولا يكسروا منه عظماً، ولا يدعوا منه شيئاً خارج البيوت، وليكن خبزهم فطيراً، وذلك في اليوم الرابع عشر من فصل الربيع، وليأكلوا بسرعة، وأوساطهم مشدودة وخفافهم في أزجلهم وعصيهم في أيديهم، ويخرجوا ليلاً، وما فضل من عشائهم ذلك أحرقوه بالنار. وشرع هذا عيداً لهم ولأعقابهم، ويسمى هذا «عيد الفصح»^١.

وفيها أنهم أمروا أن يشتعروا منهم خليلاً كثيراً يخرجون به، فاستعاروه وخرجوا في تلك الليلة بما معهم من الدواب والأنعام، وأخرجوا معهم تابوت يوسف - عليه السلام - استخرجته موسى من المدفن الذي كان فيه بالهام من الله تعالى. وكانت عدتهم ست مائة ألف رجل محارب، سوى النساء والصبيان والغرباء^٢، وشغل القبط عنهم بالمآتم التي كانوا فيها على موتاهم، فساروا ثلاث مراحل ليلاً ونهاراً، حتى وافوا إلى قوهة الجبوت - وتسمى نار موسى - وهو ساحل البحر بجانب الطور.

فانتهى خبزهم إلى فرعون في يومين وليلة، فندم بعد خروجهم، وجمع قومه، وخرج في كثرة، كفاك / عن مقدارها قول الله - عز وجل، إخباراً عن فرعون، أنه قال عن بني إسرائيل - وعدتهم ما قد ذكر، على ما جاء في التوراة - : ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ وإنهم لنا لغائظون ﴿[الآيات ٥٤، ٥٥ سورة الشعراء]. ولحق بهم في اليوم الحادي والعشرين من نيسان، فأقام العسكران ليلة الواحد والعشرين على شاطئ البحر.

وفي صبيحة ذلك اليوم، أمر موسى أن يضرب البحر بعصاه ويفتحه، ففلق الله لبني إسرائيل البحر اثني عشر طريقاً، عبر كل سبط من طريق، وصارت المياه قائمة عن جانبيهم كأمثال الجبال، وصير قاع البحر طريقاً مشلو كما لموسى ومن معه، وتبعهم فرعون وجنوده فلما خاض بنو

^١ التوراة، سفر الخروج ١٢/١-٢٨. الثعلبي: قصص الأنبياء ١٧٣-١٧٤؛ النوري: نهاية

^٢ التوراة، سفر الخروج ١٢/٣٥-٣٨؛ وقارن سعيد بن الأرب ١٣: ٢٠٨.

البطريق: التاريخ المجموع ١: ٣١، ونشرة Breydy ٢-٣؛

إسرائيل إلى عَدْوَةِ الطُّورِ، انطَبَقَ البَحْرُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، فَأَغْرَقَهُمُ اللهُ جَمِيعًا، وَنَجَّى مُوسَى وَقَوْمَهُ^١.

وَنَزَلَ بنو إسرائيل جَمِيعًا فِي الطُّورِ، وَسَبَّحُوا مَعَ مُوسَى بِتَشْبِيحٍ طَوِيلٍ قَدْ ذُكِرَ فِي التَّوْرَةِ. وَكَانَتْ مَرْيَمُ، أُخْتُ مُوسَى وَهَارُونَ، تَأْخُذُ الدُّفَّ بِيَدَيْهَا، وَنِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي أَثَرِهَا بِالذُّفُوفِ وَالطُّبُولِ، وَهِيَ تُرْتَلُ التَّشْبِيحُ لَهُمْ. ثُمَّ سَارُوا فِي الْبَرِّ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَأَقْفَرَتْ مِصْرُ مِنْ أَهْلِهَا وَمَرَّ مُوسَى بِقَوْمِهِ، فَفَتَى زَادَهُمْ فِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ مِنْ آيَارَ، فَضَجُّوا إِلَى مُوسَى، فَدَعَا رَبَّهُ، فَنَزَلَ لَهُمُ الْمُنُّ مِنَ السَّمَاءِ. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثَ وَالْعِشْرُونَ مِنْ آيَارَ عَطِشُوا وَضَجُّوا إِلَى مُوسَى، فَدَعَا رَبَّهُ، فَفَجَّرَ لَهُ [اِثْنَتَيْ عَشْرَةَ]^٢ عَيْنًا مِنَ الصُّخْرَةِ^٣.

وَلَمْ يَزَلْ يَسِيرُ بِهِمْ حَتَّى وَاقَوْا طُورَ سَيْنِينَ عُرَّةَ الشَّهْرِ الثَّلَاثِ لِخُرُوجِهِمْ مِنْ مِصْرَ، فَأَمَرَ اللهُ مُوسَى بِتَطْهِيرِ قَوْمِهِ، وَاسْتِعْدَادِهِمْ لِسَمَاعِ كَلَامِ اللهِ سُبْحَانَهُ، فَطَهَّرَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ - وَهُوَ السَّادِسُ مِنَ الشَّهْرِ - رَفَعَ اللهُ الطُّورَ وَأَسْكَنَهُ نُورَهُ، وَظَلَّلَ حَوَالِيَهُ بِالْغَمَامِ، وَأَظْهَرَ فِي الْآفَاقِ الرُّعُودَ وَالْبُرُوقَ وَالصُّوَاعِقَ^٤، وَأَسْمَعَ الْقَوْمَ مِنْ كَلَامِهِ عَشْرَ كَلِمَاتٍ، وَهِيَ: «أَنَا اللهُ رَبُّكُمْ وَاحِدٌ، لَا يَكُنْ لَكُمْ مَعْبُودٌ مِنْ دُونِي، لَا تَحْلِفُ بِاسْمِ رَبِّكَ كَاذِبًا، إِذْ ذُكِرَ يَوْمَ السَّبْتِ وَاحْفَظْهُ، بَرِّ وَالِدَيْكَ وَأَكْرِمْهُمَا، لَا تَقْتُلِ النَّفْسَ، لَا تَزْنِ، لَا تَشْرِقْ، لَا تَشْهَدْ بِشَهَادَةٍ زُورٍ، لَا تَحْسِبْ أَخَاكَ فِيمَا رُزِقَهُ».

فَصَاحَ الْقَوْمُ وَارْتَعَدُوا، وَقَالُوا لِمُوسَى: لَا طَاقَةَ لَنَا بِاسْتِمَاعِ هَذَا الصَّوْتِ الْعَظِيمِ، كُنِ الشَّفِيرَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَبِّنَا، وَجَمِيعَ مَا يَأْمُرُنَا بِهِ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا^٥. فَأَمَرَهُمْ بِالْانْصِرَافِ، وَصَعِدَ مُوسَى إِلَى الْجَبَلِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي عَشَرَ، فَأَقَامَ فِيهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَدَفَعَ اللهُ إِلَيْهِ اللَّوْحَيْنِ الْجَوْهَرِ الْمَكْتُوبَ عَلَيْهِمَا الْعَشْرُ كَلِمَاتٍ، وَنَزَلَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ تَمُوزَ، فَرَأَى الْعِجْلَ، فَارْتَفَعَ الْكِتَابُ وَثَقَلَ عَلَى يَدَيْهِ، فَأَلْقَاهُمَا وَكَسَرَهُمَا، ثُمَّ بَرَدَ الْعِجْلَ وَذَرَاهُ عَلَى الْمَاءِ، وَقَتَلَ مِنَ الْقَوْمِ مَنْ اسْتَحَقَّ الْقَتْلَ^٥.

(a) زيادة اقتضاها السياق تبعًا لما وُزِدَ فِي الْآيَةِ ١٦٠ سُورَةِ الْأَعْرَافِ.

^١ التوراة، سفر الخروج ٣٢/٧-٢٠، وسفر التثنية ٩/

٩-٢١؛ والآيات ١٤٨-١٥٢ سورة الأعراف؛ سعيد بن

الطريق: التاريخ المجموع ٣٢، ونشرة Breydy ٣.

^٢ الآيات ٦٣-٦٨ سورة الشعراء.

^٣ الآية ١٦٠ سورة الأعراف.

^٤ الآية ١٧١ سورة الأعراف.

^٥ التوراة، سفر الخروج ٢٠/١-٢٠.

وصعد إلى الجبل في اليوم الثالث والعشرين من تموز، ليشفع في الباقين من القوم، ونزل في اليوم الثاني من أيلول بعد الوعد من الله له بتعويضه لوحيين آخرين مكتوبًا عليهما ما كان في اللوحين الأولين. فصعد إلى الجبل، وأقام أربعين ليلة أخرى، وذلك من ثالث أيلول إلى اليوم الثاني عشر من تشرين^١.

ثم أمره الله بإصلاح القبة، وكان طولها ثلاثين ذراعًا في عرض عشرة أذرع، وارتفاع عشرة أذرع، ولها سرادق مضروب حوالها مائة ذراع في خمسين ذراعًا، وارتفاع خمسة أذرع فأخذ القوم في إصلاحها، وما تزيّن به من الشثور من الذهب والفضة والجواهر، ستة أشهر الشتاء كله. ولما فرغ منها نصبت في اليوم الأول من نيسان في أول السنة الثانية.

ويقال إن موسى - عليه السلام - حارب هنالك العرب، مثل طشم وجديس والعماليق وجزهم وأهل مدين، حتى أفناهم جميعًا، وأنه وصل إلى جبل فاران، وهو مكة، فلم ينج منهم إلا من اعتصم بمليك اليمن، أو انتمى إلى بني إسماعيل، عليه السلام.

وفي ثلثي الشهر الثاني^٢ من هذه السنة، ظعن القوم في برية الطور بعد أن نزلت عليهم التوراة، وجملة شرائعها ست مائة وثلاث عشرة شريعة.

وفي آخر الشهر الثالث حرمت عليهم أرض الشام أن يدخلوها، وحكم الله تعالى عليهم أن يتيهوا في البرية أربعين سنة لقولهم: نخاف أهلها لأنهم جبارون. فأقاموا تسع عشرة سنة في رقيم^٣، وتسع عشرة سنة في أحد وأربعين موضعًا مشروحة في التوراة.

وفي اليوم السابع من شهر أيلول من السنة الثانية، خسف الله بقارون وبأولياؤه - بدعاء موسى - عليه السلام - عليهم - لما كذبوا^٤. وفي شهر نيسان من السنة الأربعين، توفيت مريم ابنة عمران، أخت موسى - عليه السلام - ولها مائة وست وعشرون سنة. وفي شهر آب منها، مات هارون - عليه السلام - وله مائة وثلاث وعشرون سنة^٥.

(a) بولاق: الباقي.

^١ التوراة، سفر الخروج ١/٣٤-٤، وسفر التثنية ١٠/١-٢. ^٣ الآيات ٧٦-٨٢ سورة القصص.

^٢ حاشية بخط المؤلف: «الرقيم بينها وبين مدينة كرك». ^٤ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ٣٢، ونشرة

Breydy ٤.

الشونك مزخلتان.

ثم كان حرب الكنعانيين وسيجون ، والعوج صاحب البشينة من أرض حوران ، في الشهر التي بعد ذلك إلى شهر شباط .

فلما أهل شباط أخذ موسى في إعادة التوراة على القوم ، وأمر بكتب نسختها وقراءتها ، وحفظ ما شاهدوه من آثاره ، وما أخذوه عنه من الفقه ، وكان نهاية ذلك في اليوم السادس من آذار . وقال لهم في اليوم السابع منه : إنني في يومي هذا استوفيت عشرين ومائة سنة ، وإن الله قد عرفني أنه يقبضني فيه ، وقد أمرني أن أستخلف عليكم يوشع بن نون ، ومعه السبعون رجلاً الذين اختارتهم قبل هذا الوقت ، ومعهم إعاير بن هارون / أخي ، فاسمعوا له وأطيعوا ، وأنا أشهد عليكم الله الذي لا إله إلا هو والأرض والسّموات أن تعبدوا الله ، ولا تُشركوا به شيئاً ، ولا تبدّلوا شرائع التوراة غيرها . ثم فارّقهم ، وصعد الجبل ، فقبضه الله تعالى هناك ، وأخفاه ، ولم يعلم أحد منهم قبره ، ولا شاهدَه ^١ .

وكان بين وفاة موسى وبين الطوفان ألف وست مائة وست وعشرون سنة ، وذلك في أيام منوجهر ملك الفرس .

وزعم قوم أن موسى كان ألتغ . فمنهم من جعل ذلك خلقه ، ومنهم من زعم أنه إنما اغتراه حين قالت امرأة فِرْعَوْنَ لِفِرْعَوْنَ : لا تقتل طفلاً لا يعرف الجمر من الثمر . فلما دعا له فِرْعَوْنَ بهما جميعاً ، تناول جمره فأهوى بها إلى فيه ، فاغتراه من ذلك ما اغتراه . وذكر محمد بن عمّار الواقدي أن لسان موسى كانت عليه شامة فيها شعرات ، ولا يدل القرآن على شيء من ذلك ، فليس في قوله تعالى : ﴿واخلل عقدة من لسانی﴾ [الآية ٢٧ سورة طه] . دليل على شيء من ذلك دون شيء .

فأقاموا بعده ثلاثين يوماً يتكفون عليه ، إلى أن أوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون بتزجيلهم ، فقادهم وعبر بهم الأزدن في اليوم العاشر من نيسان ، فوافقوا أريحا ، فكان منهم ما هو مذكور في مواضعه . فهذه جملة خبر موسى ، عليه السلام ^٢ .

^٢ سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ٣٢ ، ونشرة Breydy ٤٤ : النويري : نهاية الأرب ١ : ١٤ - ٤ .

^١ التوراة ، سفر التثنية ، الإصحاح الثاني والثلاثون إلى الرابع والثلاثين .

كَنِيسَةُ جَوْجَر

هذه الكنيستة من أجل كنائس اليهود . وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا تُنسَب لِنَبِيِّ اللَّهِ إِيَّاس - عليه السلام -
وَأَنَّهُ وُلِدَ بِهَا ، وَكَانَ يَتَعَاهَدُهَا فِي طُولِ إِقَامَتِهِ بِالْأَرْضِ إِلَى أَنْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ .

هو فينحاس بن إلعازر بن هارون - عليه السلام ^١ - ويُقال إياسين بن ياسين
بن عيزار بن هارون ، ويُقال هو إياهو - وهي عبرانية معناها قادر أزلي -

إِيَّاس

وَعَرَبَ فَقِيلَ إِيَّاسٌ ^٢ .

ويذكر أهل العلم من بني إسرائيل أَنَّهُ وُلِدَ بِمِصْرَ ، وَخَرَجَ بِهِ أَبُوهُ إِلْعَازِرُ مِنْ مِصْرَ مَعَ مُوسَى -
عليه السلام - وَعُمُرُهُ نَحْوُ الثَّلَاثِ سِنِينَ ، وَأَنَّهُ هُوَ الْخِضْرُ الَّذِي وَعَدَهُ اللَّهُ بِالْحَيَاةِ ، وَأَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ
بِلُغَامِ بْنِ بَاعُورًا لِيَدْعُوَ عَلَى مُوسَى صَرَفَ اللَّهُ لِسَانَهُ حَتَّى يَدْعُوَ عَلَى نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ .

وَكَانَ مِنْ زَنَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِنِسَاءِ الْأُمُورَانِيِّينَ وَأَهْلِ مُؤَابَ مَا كَانَ ، فَغَضِبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ ،
وَأَوْقَعَ فِيهِمُ الْوَبَاءَ ، فَمَاتَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا ، إِلَى أَنْ هَجَمَ فِينَحَاسُ هَذَا عَلَى نِجَابٍ فِيهِ
رَجُلٌ عَلَى امْرَأَةٍ يَزْنِي بِهَا ، فَنَظَّمَهُمَا جَمِيعًا بِرُؤْمِحِهِ ، وَخَرَجَ وَهُوَ رَافِعُهُمَا ، وَشَهَرَهُمَا غَضَبًا لِلَّهِ ،
فَرَجَمَهُمُ اللَّهُ شُبْحَانَهُ ، وَرَفَعَ عَنْهُمْ الْوَبَاءَ وَكَانَتْ لَهُ أَيْضًا آثَارٌ مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ يُوشَعَ بْنِ نُونَ ، وَلَمَّا مَاتَ
يُوشَعَ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ فِينَحَاسُ هَذَا هُوَ وَكَالَابُ ابْنُ يَوْفَنَّا ، فَصَارَ فِينَحَاسُ إِمَامًا ، وَكَالَابُ يَحْكُمُ
بَيْنَهُمْ .

وَكَانَتْ الْأَخْدَاتُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَسَاحَ إِيَّاسُ ، وَلَيْسَ الْمُسُوحُ ، وَلَزِمَ الْقِفَارَ ، وَقَدْ وَعَدَهُ اللَّهُ
- عَزَّ وَجَلَّ - فِي الثُّورَةِ بِدَوَامِ السَّلَامَةِ فَأَوَّلَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ لَا يَمُوتُ فَامْتَدَّتْ عُمُرُهُ إِلَى أَنْ مَلَكَ
يَهُوشَافَاظُ بْنُ آسَا بْنِ أَفْيَا بْنِ رَحْبَعَمَ ^(a) بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - عَلَى سِبْطِ يَهُوذَا فِي

(a) عند سعيد بن البطريق : رحبعام .

البطريق : التاريخ المجموع ١ : ٣٤ ، ونشرة Breydy ٥٥

النوري : نهاية الأرب ١٤ : ٩ - ٢٨ : Wensinck, A. L. & Vajda G., *El* ² art. *Ilyâs III*, pp. 1184-85

^١ كتاب يوشع بن نون ٢٢ / ٣٢ ، ٢٤ / ٣٣ .

^٢ وَزِدَ ذِكْرُ إِيَّاسٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَإِنَّ
إِيَّاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية ١٢٣ سورة ص] ، وانظر كذلك
الشملي : قصص الأنبياء ٢٢٣ - ٢٢٩ : سعيد بن

بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَمَلِكِ آخَاب^(a) بنِ عَمْرِي عَلَى الْأَشْبَاطِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَدِينَةِ شَمْرُونَ الْمَعْرُوفَةِ الْيَوْمَ بِنَابُلُس^١ .

وَسَاءَتْ سِيرَةُ آخَاب^(a) حَتَّى زَادَتْ فِي الْقُبْحِ عَلَى جَمِيعِ مَنْ مَضَى قَبْلَهُ مِنْ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَانَ أَشَدَّهُمْ كُفْرًا ، وَأَكْثَرَهُمْ رُكُوتًا لِلْمُنْكَرِ ، بِحَيْثُ أَرْتَى فِي الشَّرِّ عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى سَائِرِ مَنْ تَقَدَّمَ ، وَكَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا سَيْضِيَال^(b) ابْنَةُ أَشَاعِيلَ مَلِكِ صَيْدَا ، أَكْفَرُ مِنْهُ بِاللَّهِ وَأَشَدُّ عُتُوًّا وَاسْتِكْبَارًا ، فَعَبَدَا وَتَنَ بَعَال^٢ الَّذِي قَالَ اللَّهُ جَلُّ ذِكْرِهِ فِيهِ : ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ [الآيات ١٢٥ ، ١٢٦ سورة الصافات] ، وَأَقَامَا لَهُ مَذْبَحًا بِمَدِينَةِ شَمْرُونَ .

فَأَرْسَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَى آخَاب^(a) عَبْدَهُ إِيَّاسَ رَسُولًا لِيُنْهَاهُ عَنْ عِبَادَةِ وَتَنَ بَعْلَ ، وَيَأْمُرَهُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ - عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿وَإِنَّ إِيَّاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ * فَكَذَّبُوهُ...﴾ [الآيات ١٢٣ - ١٢٧ سورة الصافات] ، وَلَمَّا أَيْسَ مِنْ إِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ وَتَرْكِهِمْ عِبَادَةَ الْوَتَنِ ، أَقْسَمَ فِي مُخَاطَبَتِهِ آخَاب^(a) أَنْ لَا يَكُونُ مَطَرٌ وَلَا نَدَى ، ثُمَّ تَرَكَهُ .

فَأَمَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَذْهَبَ نَاحِيَةَ الْأُرْدُنِّ . فَمَكَثَ هُنَاكَ مُخْتَفِيًا - وَقَدْ مَنَعَ اللَّهُ قَطْرَ السَّمَاءِ حَتَّى هَلَكْتَ الْبَهَائِمُ وَغَيْرُهَا - فَلَمْ يَزَلْ إِيَّاسٌ مُقِيمًا فِي اسْتِتَارِهِ إِلَى أَنْ جَفَّ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْمَاءِ . وَفِي طُولِ إِقَامَتِهِ كَانَ اللَّهُ - جَلُّ جَلَالُهُ - يَنْعَثُ إِلَيْهِ بِغُرْبَانٍ تَحْمِلُ لَهُ الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ ، فَلَمَّا جَفَّ مَاؤُهُ الَّذِي كَانَ يَشْرَبُ مِنْهُ لَامْتِنَاعِ الْمَطَرِ ، أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى بَعْضِ مَدَائِنِ صَيْدَا . فَخَرَجَ حَتَّى وَافَى بَابَ الْمَدِينَةِ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَحْتَطِبُ ، فَسَأَلَهَا مَاءً يَشْرَبُهُ وَخُبْزًا يَأْكُلُهُ ، فَأَقْسَمَتْ لَهُ أَنَّ مَا عِنْدَهَا إِلَّا مِثْلُ غَرْفَةِ دَقِيقٍ فِي إِنَاءٍ وَشَيْءٍ مِنْ زَيْتٍ فِي جِرَّةٍ ، وَأَنَّهَا تَجْمَعُ الْحَطَبَ لِتَقْتَاتَ مِنْهُ هِيَ وَابْنُهَا . فَبَشَّرَهَا إِيَّاسٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَقَالَ لَهَا : لَا تَجْزَعِي وَأَفْعَلِي مَا قُلْتُ لَكَ ، وَاعْمَلِي لِي خُبْزًا قَلِيلًا قَبْلَ أَنْ تَعْمَلِي لِنَفْسِكَ وَلِوَلَدِكَ ، فَإِنَّ الدَّقِيقَ لَا يَعْجِزُ مِنَ الْإِنَاءِ وَلَا الزَّيْتُ مِنَ الْجِرَّةِ

(a) بولاق : أحوب . (b) كذا في نسخ الخطط ، وفي المصادر : أرابيل أو أرييل أو زابل (?)

^١ سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ٥٣ ، ونشرة
^٢ نفسه ١ : ٥٦ ، نفسه ١٩ .
Breydy ١٨ - ١٩ .

حتى ينزل المطر ، ففعلت ما أمرها به ، وأقام عندها ، فلم ينقص الدقيق ولا الزيت بعد ذلك ، إلى أن مات ولدها ، وجزعت عليه ، فسأل إلياس ربه تعالى فأخيا الولد ^١ .

وأمره الله أن يسير إلى آخاب ^٢ ملك بني إسرائيل لينزل المطر عند إخباره له بذلك ، فسار إليه ، وقال له : اجتمع بني / إسرائيل وأبناء بعال . فلما اجتمعوا قال لهم إلياس : إلى متى هذا الضلال ؟ إن كان الرب الله فاعبدوه ، وإن كان بعال هو الله ، فارجعوا بنا إليه . وقال : ليقرّب كل منا قربانا ، فأقرّب أنا الله ، وقرّبوا أنتم لبعال ، فمن تقبل منه قربانه ، ونزلت نار من السماء فأكلته ، فالهله الذي يعبد . فلما رضوا بذلك ، أحضروا ثورين ، واختاروا أحدهما وذبحوه ، وصاروا ينادون عليه : يال بعال ، يال بعال ، وإلياس يسخر بهم ويقول : لو رفعتكم أصواتكم قليلا فلعل إلهكم نائم أو مشغول . وهم يضربون ويجرحون أيديهم بالسكاكين ودمائهم تسيل ، فلما أيسوا من أن تنزل النار وتأكل قربانهم ، دعا إلياس القوم إلى نفسه ، وأقام مذبحا ، وذبح ثوره وجعله على المذبح ، وصب الماء فوقه ثلاث مرات ، وجعل حول المذبح خندقا محفورا . فلم يزل يصب الماء فوق اللحم حتى امتلأ الخندق من الماء ، وقام يدعو الله - عز اسمه - وقال في دعائه : اللهم أظهر لهذه الجماعة أنك الرب ، وأني عبدك عامل بأمرك . فأنزل الله سبحانه نارا من السماء أكلت القربان ، وحجارة المذبح التي كان فوقها اللحم ، وجميع الماء الذي صب حوله . فسجد القوم اجتمعون ، وقالوا : نشهد أن الرب الله ، فقال إلياس : خذوا أنبياء ^٣ بعال ، فأخذوا وجيء بهم ، فذبحهم كلهم ذبحا ، وقال لآخاب ^٤ : انزل وكل واشرب ، فإن المطر نازل ، فنزل المطر على ما قال .

وكان الجهد قد اشتد ، لانقطاع المطر مدة ثلاث سنين وأشهر ، وغزر المطر حتى لم يستطع آخاب ^٥ أن يتصرف لكثرتة ، فعصبت سيضيا ، امرأة آخاب ^٦ ، لقتل أنبياء ^٧ بعال ، وحلفت بالهتها لتجعلن روح إلياس عوضهم ^٨ . ففرغ إلياس ، وخرج إلى المفاوز وقد اغتم غمًا شديدًا ، فأرسل الله إليه ملكًا معه خبز ولحم وماء ، فأكل وشرب ، وقواه الله حتى مكث بعد هذه الأكلة

(a) بولاق : أحوب . (b) بولاق : أبناء .

^١ سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ٥٧ ، ونشرة
^٢ نفسه ١ : ٥٧ - ٥٨ ، نفسه ٢١ - ٢٢ .
Breydy . ٢٠ .

أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب . ثم جاءه الوحي بأن يمضي إلى دمشق ، فسار إليها ، وصحب إليشع بن شافات^(a) - ويقال بن حظور - فصار تلميذه . فخرج من أريحا ومعه إليشع حتى وقف على الأزدن ، فنزع رداءه ولفه ، وضرب به ماء الأزدن ، فافترق الماء عن جانبيه وصار طريقاً . فقال إلياس حينئذ لإليشع : اسأل ما شئت قبل أن يحال بيني وبينك ، فقال إليشع : أسأل أن يكون زوحك في مضاعفاً ، فقال : لقد سألت جسيماً ، ولكن إن أبصرتني إذا رفعت عنك يكون ما سألت ، وإن لم تبصرتني لم يكن . وبينما هما يتحدثان إذ ظهر لهما كالنار فرق بينهما ، ورفع إلياس إلى السماء وإليشع ينظره ، فانصرف وقام في النبوة مقام إلياس .

وكان رفع إلياس في زمن يهورام بن يهوشافاط ، وبين وفاة موسى - عليه السلام - وبين آخر أيام يهورام خمس مائة وسبعون سنة ، ومدة نبوة موسى - عليه السلام - أربعون سنة . فعلى هذا يكون مدة عمر إلياس ، من حين ولد بمصر إلى أن رفع بالأزدن إلى السماء ، ست مائة سنة وبضع سنين .

والذي عليه علماء أهل الكتاب ، وجماعة من علماء المسلمين ، أن إلياس حي لم يموت . إلا أنهم اختلفوا فيه ، فقال : بعضهم إنه هو فينحاس كما تقدم ذكره ، ومنع هذا جماعة وقالوا : هما اثنان ، والله أعلم .

كَنِيسَةُ الْمَصَّاصَةِ

١٥

هذه الكنيسة يُجلُّها اليهود ، وهي بخط المصاصة من مدينة مصر ، ويؤمنون أنها رُمّت في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وموضعها يُعرف بدرب الكرامة ، وبُنيت في سنة خمس عشرة وثلاث مائة للإسكندر ، وذلك قبل الملة الإسلامية بنحو ست مائة وإحدى وعشرين سنة ، ويؤمن اليهود أن هذه الكنيسة كانت مجلساً لنبي الله إلياس^١ .

(a) عند ابن البطريق : إليشع بن يوثافاط .

^١ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٠٨ ، وفيه أنها كنيسة لليهود القرائين بالمتنصوصة بزقاي من أريكة غرب الكرامة .

كَنِيسَةُ الشَّامِيِّينَ

هذه الكَنِيسَةُ بِحُطِّ قَصْرِ الشَّمْعِ مِنْ مَدِينَةِ مِصْرَ . وَهِيَ قَدِيمَةٌ مَكْتُوبٌ عَلَى بَابِهَا بِالْحِطِّ الْعِبْرَانِيِّ - حَفْرًا فِي الخَشَبِ - أَنَّهَا بُنِيَتْ فِي سَنَةِ سِتِّ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ لِلإِسْكَانْدَرِ ، وَذَلِكَ قَبْلَ خَرَابِ بَيْتِ المَقْدِسِ الخَرَابِ الثَّانِي - الَّذِي خَرَبَهُ طِيطُشُ - بِنَحْوِ خَمْسِينَ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَقَبْلَ الهِجْرَةِ بِنَحْوِ سِتِّ مِائَةِ سَنَةٍ ، وَبِهَذِهِ الكَنِيسَةِ نُسخَةٌ مِنَ التَّوْرَةِ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي أَنَّهَا كَلَّمَا بِحُطِّ عِزْرَا النَّبِيِّ ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ العُزَيْرُ ^١ .

كَنِيسَةُ العِرَاقِيِّينَ

هذه الكَنِيسَةُ أَيْضًا بِحُطِّ قَصْرِ الشَّمْعِ ^٢ .

كَنِيسَةُ البَجَوَذَرِيَّةِ

هذه الكَنِيسَةُ بِحَارَةِ البَجَوَذَرِيَّةِ مِنَ القَاهِرَةِ . وَهِيَ خَرَابٌ مِنْذُ أُحْرِقَ الخَلِيفَةُ الحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ حَارَةَ البَجَوَذَرِيَّةِ عَلَى اليَهُودِ ، كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ فِي الحَارَاتِ ، فَانظُرْهُ ^٣ .

^١ أبو المكارم : تاريخ ٥٤ (أبو صالح : تاريخ ٥٦) ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٥ : ٣١٧ ؛ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٠٨ ، وفيه أنها بجوار شُوخَّة خبيصة والدُّرْبِ هناك . وهذه الكَنِيسَةُ هي التي عُرِفَتْ فيما بعد بـ «مَعْبَدِ بنِ عِزْرَةَ» وتَقَعُ شَرْقَ كَنِيسَةِ أَبُو سِرْجَةَ بِالقَرَبِ مِنْ كَنِيسَةِ السَّتِّ بِزِيَارَةِ دَاخِلِ حِصْنِ بَابِلْيُونِ ، وَكَانَتْ فِي الأَصْلِ كَنِيسَةً لِلْمَلَاكِ مِيخَائِيلِ وَيَعْتَلِيهَا لليَهُودِ فِي عَهْدِ أَحْمَدَ بنِ طُولُونِ (فِي مَا يَلِي ١٠٠٤) . وَهَدِمَتْ هَذِهِ الكَنِيسَةُ وَأُعِيدَتْ بِنَاؤُهَا فِي نِهَايَةِ القَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ ، وَفِي أَثْنَاءِ عَمَلِيَةِ الهَدْمِ كُثِفَ بِدَاخِلِهَا عَن مَجْمُوعَةِ أَوْرَاقِ الجِنِيزَةِ Cairo Geniza Documents . (راجع ، Coquin, Ch., *Les édifices chrétiens du*

^٢ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٠٨ ، وفيه أنها بزقاق اليهود بجوار المُعَلَّقَةِ .

^٣ فيما تقدم ٣ : ١٢ .

Vieux-Caire, pp. 173-76 ؛ بديرام ميكال : الآثار اليهودية في مصر ، ترجمة الضوي بونس وعمروز كريبا ، القاهرة - دار الفكر الحديث ١٩٩٦ ، ٢٩ - ٤٤ ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ١ : ٤٢٧ - ٤٣٨ ؛ الأنبا صموئيل : دليل الكنائس والأديرة في مصر ٩١ . وراجع عن أوراق الجنيزة واكتشافها المُقَدِّمَةَ الشاملة التي كتبها س . د . جويتين Goitein, S.D. *A Mediterranean Society I*, pp. 1-28; id., *El² art. Genniza II*, pp. 1010-12 .

كنيسة القرائين

هذه الكنيسة كان يُسلك إليها من تجاه باب سِرِّ المارشان المنصوري في حذرة ينتهي إليها بحارة زويلة^١، وقد سُدت الخوخة التي كانت هناك، فصار لا يتوصل إليها إلا من حارة زويلة. وهي كنيسة تختص بطائفة اليهود القرائين.

كنيسة دار الحذرة

هذه الكنيسة بحارة زويلة، في دَرْب يُعرف الآن بدَرْب الرهاض، وهي من كنائس

كنيسة الرهبانيين

هذه الكنيسة بحارة زويلة، بدَرْب يُعرف الآن بدَرْب البتادين، يُسلك منه إلى تجاه السبع قاعات وإلى سويقة المشعودي وغيرها وهي كنيسة تختص بالرهبانيين من اليهود.

كنيسة ابن شنج

هذه الكنيسة بجوار المدرسة العاشورية من حارة زويلة. وهي مما يختص به طائفة القرائين.

كنيسة الشمرة

هذه الكنيسة بحارة زويلة، في حُط دَرْب ابن الكوراني، تختص بالشمرة. وجميع كنائس القاهرة المذكورة مُحدثة في الإسلام بلا خلاف.

(a) يباض في الأصول.

^١ بعد من ضمن حارة زويلة القديمة الحارة المعروفة الآن بحارة اليهود الرهبانيين التي يُسلك إليها من سوق الضيافة، وحارة اليهود القرائين التي يُسلك إليها من الخرنفش عند باب سوق السمك وأيضاً من شارع تخميس القدس ودَرْب الصقالية. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٧٣:٣ (٥)).

ذكر تاريخ اليهود وأعيادهم^١

قد كانت اليهود أولاً تُورَّخُ بِوفاةِ مُوسَى - عليه السلام - ثم صارت تُورَّخُ بتأريخ الإسكندر ابن فيلبس . وشهور سنتهم اثنا عشر شهراً ، وأيام السنة ثلاث مائة وأربعة وخمسون يوماً . فأما الشهور فإنها : تِشْرِي ، مَرْحِشْوَان ، كِشْلِيو ، طِيَّيْت ، شِفَط ، آدَر ، نِيَسَن ، أَيْار ، سِيَوَان ، تُمُوز ، آب ، أَيْلُول^٢ .

وأيام سنتهم أيام سنة القمر ، ولو كانوا يشتعملونها على حالها لكانت أيام سنتهم وعدد شهورهم شيئاً واحداً ، ولكنه لما خرج بنو إسرائيل من مِصر مع مُوسَى - عليه السلام - إلى التَّيَّة ، وتخلَّصوا من عذابِ فِرْعَوْنَ وما كانوا فيه من العبودية ، واثتمروا بما أمروا به - كما وُصِفَ في السُّفَرِ الثَّانِي مِنَ التَّوْرَةِ - اتَّفَقَ ذلك ليلة اليوم الخامس عشر من نيسن ، والقمر تامُّ الضوء ، والزمانُ

«Christian and Jewish Religious Dignitaris in Mamluk Egypt and Syria: Qalqashandi's Information on their Hierarchy, Titulature and Appointment», *IJMES* 3 (1972), pp. 59-74, 199-216; Cohen, M. R., *Jewish Self-Governement in Medieval Egypt. The Origins of the Office of Head of the Jews, Ca 1065-1126*. Princeton 1980; Stilman, N.A., «The Non-Muslim Communities: The Jewish Community» in *The Cambridge History of Egypt*, vol I-Islamic Egypt, Petry C. F., (ed.), Cambridge 1998, pp. 198-210
كوهن: المجتمع اليهودي في مصر الإسلامية في العصور الوسطى ، جامعة تل أبيب ١٩٨٧ ؛ قاسم عبده قاسم : أهل الذمة في مصر العصور الوسطى - دراسة وثائقية ، القاهرة ١٩٧٧ ، نفسه : اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني ، القاهرة ١٩٨٧ .

^٢ البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ٥٢ ؛
التويري : نهاية الأرب ١ : ١٥٩ .

^١ لمزيد من المعلومات عن تاريخ اليهود في مصر ، راجع مصطفى كمال عبد العليم : اليهود في مصر في عصر البطالمة والرومان ، القاهرة ١٩٦٨ ؛ Mann, J., *The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid Caliphs*, I-II, Oxford 1920; Fischel, W. J., *Jews in the Economic and Political Life of Mediaeval Islam*, NY 1969; Goitein, S.D., *A Mediterranean Society. The Jews Communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza*, I-V, Berkely - Los Angles 1967-89; Golb N., «The Topography of the Jews of Medieval Egypt: Inductive Studies Based Primarily upon Documents from the Cairo Geniza», *JNES* 24 (1967), pp. 251-70, 32 (1974), pp. 116-49; Stern, S. M., «A Petition of the Fatimid Caliph al-Mustanir concerning a Conflict within the Jews Community», *REJ* 138 (1969), pp. 203-15; Ashtor, E., «The Number of the Jews in Mediaeval Egypt», *JJS* 18 (1967), pp. 9-42, 19 (1969), pp. 1-22; Bosworth, C.E.,

- زيع . فأمرُوا بِحِفْظِ هذا اليوم ، كما قال في السُّفْرَ الثَّانِي من التُّوراة : احْفَظُوا هذا اليوم سُنَّةً ،
 لَخُلُوفِكُمْ إِلَى الدَّهْرِ فِي أَرْبَعَةِ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ الْأَوَّلِ ، وَلَيْسَ مَعْنَى الشَّهْرِ الْأَوَّلِ هَذَا شَهْرُ تِشْرِي ،
 وَلَكِنَّهُ عَنَى بِهِ شَهْرُ نَيْسَن ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ أَمَرُوا أَنْ يَكُونَ شَهْرُ الْبَاسِخِ^(a) رَأْسَ شُهُورِهِمْ ، وَيَكُونَ
 أَوَّلَ السَّنَةِ . فَقَالَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَام - لِلشُّعْبِ : «اذْكُرُوا اليَوْمَ الَّذِي حَرَجْتُمْ فِيهِ مِنَ التَّعْبُدِ ، فَلَا
 تَأْكُلُوا خَمِيرًا فِي هذا اليَوْمِ ، فِي الشَّهْرِ الَّذِي يَنْضُرُ فِيهِ الشَّجَرُ»^١ . فَلذَلِكَ اضْطَرُّوا إِلَى اسْتِعْمَالِ
 سَنَةِ الشَّمْسِ ، لِيَقَعَ اليَوْمُ الرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ نَيْسَن فِي أَوَّلِ الرَّبِيعِ حِينَ تُورِقُ الْأَشْجَارُ وَتُزْهِرُ^(b)
 الثَّمَارُ ، وَإِلَى اسْتِعْمَالِ سَنَةِ^(c) الْقَمَرِ لِيَكُونَ جِزْمُهُ فِيهِ بَدْرًا تَامَ الضُّوءِ فِي بُرْجِ الْمِيزَانِ .
 وَأَخَوَجَهُمْ ذَلِكَ إِلَى إِحْقَاقِ الْأَيَّامِ الَّتِي يَتَقَدَّمُ بِهَا عَنِ الْوَقْتِ الْمَطْلُوبِ بِالشُّهُورِ إِذَا اسْتَوَقَّتْ أَيَّامُ
 شَهْرٍ وَاحِدٍ ، فَالْحَقُّوْهَا بِهَا شَهْرًا تَامًا سَمَّوْهُ آذَارَ الْأَوَّلِ وَسَمَّوْهُ آذَارَ الثَّانِي لِأَنَّهُ رَدَفَ
 سَمِيًّا لَهُ وَتَلَاهُ ، وَسَمَّوْهُ السَّنَةَ الْكَبِيْسَةَ «عِبْرًا» اسْتِيقَاقًا مِنْ مُعْبَارِثٍ وَهِيَ الْمَرْأَةُ الْحُبْلَى بِالْعِبْرَانِيَّةِ ،
 لِأَنَّهُمْ سَبَّهَوْا دُخُولَ الشَّهْرِ الزَّائِدِ فِي السَّنَةِ بِحَمْلِ الْمَرْأَةِ مَا لَيْسَ مِنْ جُمْلَتِهَا^٢ ، وَلَهُمْ فِي اسْتِخْرَاجِ
 ذَلِكَ حِسَابَاتٌ كَثِيرَةٌ مَذْكُورَةٌ فِي الْأَزْيَاجِ .

وهم في عمَلِ الْأَشْهُرِ مُفْتَرِقُونَ فِي وَقْتَيْنِ :

- إِحْدَاهُمَا الرَّبَّانِيَّةُ : وَاسْتِعْمَالُهُمْ لِأَيَّامِهَا عَلَى وَجْهِ الْحِسَابِ بِمَسِيرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ الْوَسْطِ ، سِوَا
 رُبِّي الْهِلَالِ أَوْ لَمْ يُرَ ، فَإِنَّ الشَّهْرَ عِنْدَهُمْ هُوَ مُدَّةٌ مَفْرُوضَةٌ تَمْتَضِي مِنْ لَدُنِ الْاجْتِمَاعِ الْكَائِنِ بَيْنَ
 الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي كُلِّ شَهْرٍ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا - وَقَتَّ عَوْدِهِمْ مِنَ الْجَالِيَةِ بَبَائِلَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ
 - يَنْصَبُونَ عَلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ دِيَادِبَ ، وَيُقِيمُونَ رُقَبَاءَ لِلْفَحْصِ عَنِ الْهِلَالِ ، وَالزُّمُومُومَ بِإِيقَادِ
 النَّارِ ، وَتَدَخِينِ دُخَانِ يَكُونُ عَلَامَةً لِحُصُولِ الرَّؤْيَةِ .
 وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّامِرَةِ الْعِدَاوَةُ الْمَعْرُوفَةُ ، فَذَهَبَتْ السَّامِرَةُ وَرَفَعُوا الدُّخَانَ فَوْقَ الْجَبَلِ قَبْلَ
 الرَّؤْيَةِ بِيَوْمٍ ، وَوَالَوْا بَيْنَ ذَلِكَ شُهُورًا اتَّفَقَ فِي أَوَائِلِهَا أَنَّ السَّمَاءَ كَانَتْ مُتَغَيِّمَةً حَتَّى فَطِنَ لِذَلِكَ مَنْ
 فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَرَأَوْا الْهِلَالَ غَدَاةَ اليَوْمِ الرَّابِعِ أَوْ الثَّلَاثِ مِنَ الشَّهْرِ مُرْتَفِعًا عَنِ الْأَفْقِ مِنْ جِهَةِ
 الْمَشْرِقِ ، فَعَرَفُوا أَنَّ السَّامِرَةَ فَتَنَتْهُمْ ، فَالْتَجَأُوا إِلَى أَصْحَابِ التَّعَالِيمِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ لِیَأْمَنُوا بِمَا

(a) عند البيروني : الفضح ، وهي الصواب . (b) بولاق : تزهر . (c) عند البيروني : شهر .

^١ ويعرف بـ «عيد القطيرة» ، انظر فيما يلي ٩٦١ . ^٢ البيروني : الآثار الباقية ٥٢ - ٥٣ .

يَتَلَقَّوْهُ مِنْ حِسَابِهِمْ مَكَايِدَ الْأَعْدَاءِ ، وَاعْتَلُّوا لِحَوَازِ الْعَمَلِ بِالْحِسَابِ ، وَنِيَابَتِهِ عَنِ الْعَمَلِ بِالرُّؤْيَةِ ، بِيَعْلَلِ ذَكَرُوهَا . فَعَمِلَ أَصْحَابُ الْحِسَابِ لَهُمُ الْأَذْوَارَ ، وَعَلَّمُوهُمْ اسْتِخْرَاجَ الْأَجْتِمَاعَاتِ وَرُؤْيَةَ الْهَيْلَالِ ^١ .

وَأَنْكَرَ بَعْضُ الرُّبَانِيَّةِ حَدِيثَ الرُّقَبَاءِ وَرَفَعَهُمُ الدُّخَانَ ، وَزَعَمُوا أَنَّ سَبَبَ اسْتِخْرَاجِ هَذَا الْحِسَابِ هُوَ أَنَّ عُلَمَاءَهُمْ عَلِمُوا أَنَّ آخِرَ أَمْرِهِمْ إِلَى الشُّتَاتِ ، فَخَافُوا إِذَا تَفَرَّقُوا فِي الْأَقْطَارِ ، وَعَوَّلُوا عَلَى الرُّؤْيَةِ ، أَنَّ تَخْتَلِفَ عَلَيْهِمْ فِي الْبُلْدَانِ الْمُخْتَلَفَةِ ، فَيَتَشَاخَرُوا ، فَلِذَلِكَ اسْتِخْرَجُوا هَذِهِ الْحُسْبَانَاتِ ، وَاعْتَنَى بِهَا الْيَعَازِرُ بْنُ فَرُوحٍ ، وَأَمَرُوهُمْ بِالْتِزَامِهَا وَالرُّجُوعِ إِلَيْهَا حَيْثُ كَانُوا ^٢ .

وَالْفِرْقَةُ الثَّانِيَةُ هُمُ الْمَبَادِيَّةُ ^(a) الَّذِينَ يَعْمَلُونَ ^(b) مَبَادِيَّ الشُّهُورِ مِنَ الْأَجْتِمَاعِ ^(c) ، وَيُسَمَّوْنَ الْقُرَّاءَ وَالْأَشْمَعِيَّةَ ، لِأَنَّهُمْ يُرَاعُونَ الْعَمَلَ بِالنُّصُوصِ دُونَ الْاَلْتِفَاتِ إِلَى النَّظَرِ وَالْقِيَاسِ ^٣ .

وَلَمْ يَزَالُوا عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ قَدِمَ عَانَانُ رَأْسِ الْجَالُوتِ مِنْ بِلَادِ الْمَشْرِقِ ، فِي نَحْوِ الْأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ ، إِلَى دَارِ السَّلَامِ بِالْعِرَاقِ ، فَاسْتَعْمَلَ الشُّهُورَ بِرُؤْيَةِ الْأَهْلَةِ ، عَلَى مِثْلِ مَا شَرَعَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يُبَالِ / أَيَّ يَوْمٍ وَقَعَ مِنَ الْأُسْبُوعِ ، وَتَرَكَ حِسَابَ الرُّبَانِيِّينَ ، وَكَبَسَ الشُّهُورَ بِأَنَّ نَظَرَ كُلِّ سَنَةٍ إِلَى زَرْعِ الشُّعَيْرِ بِنَوَاحِي الْعِرَاقِ وَالشَّامِ ، فِيمَا بَيْنَ أَوَّلِ شَهْرِ نَيْسَانَ إِلَى أَنْ يَمُضِيَ مِنْهُ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ يَوْمًا ، فَإِنْ وَجَدَ بَاكُورَةً تَصْلُحُ لِلْفَرِيكِ وَالْحَصَادِ تَرَكَ السَّنَةَ بَسِيطَةً ، وَإِنْ وَجَدَهَا لَمْ تَصْلُحْ لِذَلِكَ كَبَسَهَا حَيْثُ لَدَى ^{١٠} .

وَتَقَدَّمَتِ الْمَعْرِفَةُ بِهَذِهِ الْحَالَةِ أَنَّ مِنْ أُخِذَ بِرَأْيِهِ يَخْرُجُ لِسَبْعَةٍ تَبْقَى مِنْ شِفْطٍ ، فَيَنْظُرُ بِالشَّامِ وَالْبِقَاعِ الْمُشَابِهَةِ لَهُ فِي الْمَزَاجِ إِلَى زَرْعِ الشُّعَيْرِ ، فَإِنْ وَجَدَ الشَّفَا - وَهُوَ شَوْكُ الشُّبُلِ - قَدْ طَلَعَ عَدُوًّا مِنْهُ إِلَى الْبَاسِحِ ^(d) خَمْسِينَ يَوْمًا ، وَإِنْ لَمْ يَرَهُ طَالِعًا كَبَسَهَا بِشَهْرِ : فَبَعْضُهُمْ يُؤَدِفُ الْكَبَسَ بِشِفْطٍ ، فَيَكُونُ فِي السَّنَةِ شِفْطٌ وَشِفْطٌ مَرَّتَيْنِ ، وَبَعْضُهُمْ يُؤَدِفُهُ بِأَذْرِ ، فَيَكُونُ أَذْرٌ وَأَذْرٌ فِي السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ . وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالِ الْعَانَانِيَةِ لِشِفْطٍ دُونَ أَذْرِ ، كَمَا أَنَّ الرُّبَانِيَّةَ تَسْتَعْمِلُ أَذْرَ دُونَ غَيْرِهِ ^٤ . ^{٢٠}

(a) التسخ: الميلادية، وانظر فيما يلي ٩٥٥: ٤. (b) بولاق: يعلمون. (c) في الآثار الباقية: من عند الاجتماع. (d) الآثار الباقية: الفصح.

^٣ نفسه ٥٨؛ وفيما يلي ٩٥٥.

^٤ نفسه ٥٩.

^١ البيروني: الآثار الباقية ٥٧-٥٨.

^٢ نفسه ٥٨.

فمن يَعْتَمِدُ من الرّبانيّة عمَلُ الشُّهور بالحِسابِ ، يقول : إنَّ شَهْرَ تِشْرِي لا يكون أوَّلُهُ يومَ الأحدِ والأربعاءِ ، وَعِدَّتُهُ عندهم ثلاثون يومًا أبدًا ، وفيه «عيد رأس السنّة» ، وهو عيدُ البِشارةِ بعَتِّي الأرقاءِ ، وهذا العيدُ في أوَّلِ يومٍ منه ^١ .

ولهم أيضًا في اليوم العاشر منه «صَوْمُ الكِبُورِ» ، ومعناه «الاستِغْفار» . وعند الرّبانيين أن هذا الصَّومَ لا يكون أبدًا يوم الأحد ولا الثلاثاء ولا الجمُعَة ، وعند من يَعْتَمِدُ في الشُّهور الرُّويّة أنَّ ائْتِدَاءَ هذا الصَّومِ من غُرُوبِ الشَّمْسِ في ليلة العاشر إلى غُرُوبِهَا من ليلة الحادي عَشْرَ ، وذلك أَرْبَعِ وعشرون سَاعَةً . والرّبانيّون يجعلون مُدَّةَ الصَّومِ خمسًا وعشرين سَاعَةً إلى أن تَشْتَبِكَ النُّجُومُ ، ومن لم يَصُمْ منهم هذا الصَّومُ قُتِلَ شَرَعًا ، وهم يَعْتَقِدُونَ أنَّ الله يَغْفِرُ لهم فيه جَمِيعَ الذُّنُوبِ ، ما خَلا الرُّنَا بالمُحَصَّنَاتِ ، وظَلَمَ الرَّجُلِ أَخَاهُ ، وَجَحَدَ الرُّبُوبِيَّةَ ^٢ .

- ١٠ وفيه أيضًا «عِيدُ المِظْلَةِ» ^(a) ، وهو سبعة أيّام ، يُعَيِّدُونَ في أوَّلِهَا ، ولا يَخْرُجُونَ من بُيُوتِهِمْ كما هو العَمَلُ يومَ السَّبْتِ . وَعِدَّةُ أَيّامِ المِظْلَةِ إلى آخِرِ اليَوْمِ الثَّانِي والعشرين تمام سبعة أَيّام ، واليوم الثامن يقالُ له «عِيدُ الاغْتِكَافِ» ، وهم يَجْلِسُونَ في هذه الأيّام السَّبْعَةَ - التي أوَّلُهَا خامِسَ عَشْرَ تِشْرِي - تحت ظِلَالِ سَعْفِ النَّخْلِ الأخضرِ وأَغْصَانِ الزَّيْتُونِ ، ونحوها من الأشجار التي لا يَتَنَاقَرُ وَرَقُهَا على الأرضِ ، وَيَرَوْنَ أنَّ ذلك تَذْكَارٌ منهم لإِظْلَالِ الله آبَاءَهُمْ في التَّيِّهِ بِالْعَمَامِ . وفيه أيضًا ، عند القَرَّائِنِ خَاصَّةً ، صَوْمٌ في اليَوْمِ الرَّابِعِ والعشرين منه ، يُعْرَفُ بـ «صَوْمِ كَدَلِيَا» ، وعند الرّبانيين يكون هذا الصَّومُ في ثَالِثِهِ ^٣ .

وشهر مَزِحْشَوَانِ رُبَّمَا كان ثلاثين يومًا ، ورُبَّمَا كان تسعة وعشرين يومًا ، وليس فيه عيد ^٤ .
وكِشْلِيو رُبَّمَا كان ثلاثين يومًا ، ورُبَّمَا كان تسعة وعشرين يومًا ، وليس فيه عيد ، إلا أن الرّبانيين

(a) الآثار الباقية : عيد المظال .

^١ البيروني : الآثار الباقية ٢٧٥ ؛ ويسمونه «عيد رأس

هيشاه أي «عيد رأس الشهر» (فيما يلي ٩٦٢) .

^٢ نفسه ٢٧٦-٢٧٧ ، وفيه أن صَوْمَ الكِبُورِ يدعى

الأعشى ٢: ٤٣٦-٤٣٧ .

^٤ نفسه ٢٧٧ ، وفيه : وَعَدَّدُ أَيّامَهُ ثلاثون في السنة التامة

الفلقشندي : صبح الأعشى ٢: ٤٣٦ وسماه كذلك : وتسعة وعشرون في المعتدلة والثاقصة .

يَسْرُجُونَ عَلَى أَبْوَابِهِمْ لَيْلَةَ الْخَامِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْهُ ، وَهُوَ مُدَّةُ أَيَّامٍ يُسَمُّونَهَا « الْحَنْكَةَ »^١ ، وَهُوَ أَمْرٌ مُخَدَّتٌ عِنْدَهُمْ ، وَذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الْجَبَابِرَةِ^٢ تَغَلَّبَ عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَقَتَلَ مِنْ فِيهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَافْتَضَّ أَبْكَارَهُمْ . فَوَثِبَ عَلَيْهِ أَوْلَادُ كَاهِنِهِمْ^٣ . وَكَانُوا ثَمَانِيَةً - فَقَتَلَهُ أَصْغَرَهُمْ ، وَطَلَبَ الْيَهُودُ زَيْتًا لَوْقُودِ الْهَيْكَلِ ، فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا يَسِيرًا وَزَعُوهَ عَلَى عَدَدِ مَا يُوقِدُونَهُ مِنَ الشَّرِجِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى ثَمَانِ لَيَالٍ ، فَاتَّخَذُوا هَذِهِ الْأَيَّامَ عِيدًا ، وَسَمَّوْهَا « أَيَّامَ الْحَنْكَةِ » ، وَهِيَ كَلِمَةٌ مَأْخُودَةٌ مِنَ التَّنْظِيفِ ، لِأَنَّهْمَ نَظَّفُوا فِيهَا الْهَيْكَلَ مِنْ أَقْدَارِ أَشْيَاعِ ذَلِكَ الْجَبَّارِ . وَالْقَرَّاءُونَ لَا يَتَعَمَّلُونَ ذَلِكَ ، لِأَنَّهْمَ لَا يُعْوَلُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْبَيْتِ الثَّانِي^٤ .

وَشَهْرٌ طَيِّبٌ عَدَدُ أَيَّامِهِ تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ يَوْمًا . وَفِي عَاشِرِهِ صَوْمٌ ، سَبَّبَهُ أَنَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ كَانَ ابْتِدَاءُ مُحَاصِرَةِ بُخْتِ نَصْرَ لِمَدِينَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَمُحَاصِرَةِ طَيْطُشَ لَهَا أَيْضًا فِي الْخَرَابِ الثَّانِي^٥ . وَشِفَطُ أَيَّامُهُ أَبَدًا ثَلَاثُونَ يَوْمًا ، وَلَيْسَ فِيهِ عِيدٌ .

وَشَهْرٌ آذَرُ عِنْدَ الرَّبَّانِيِّينَ - كَمَا تَقَدَّمَ - يَكُونُ مَرَّتَيْنِ فِي كُلِّ سَنَةٍ : فَآذَرُ الْأَوَّلِ عَدَدُ أَيَّامِهِ ثَلَاثُونَ يَوْمًا إِنْ كَانَتِ السَّنَةُ كَبِيْسَةً ، وَإِنْ كَانَتْ بَسِيْطَةً فَأَيَّامُهُ تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ يَوْمًا ، وَلَيْسَ فِيهِ عِيدٌ عِنْدَهُمْ . وَآذَرُ الثَّانِي أَيَّامُهُ تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ يَوْمًا أَبَدًا ، وَفِيهِ عِنْدَ الرَّبَّانِيِّينَ صَوْمٌ الْبُورِي [وَمَعْنَاهُ الْمُسَاهَمَةُ] فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ عَشَرَ مِنْهُ ، وَالْفُورُ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ عَشَرَ وَالْيَوْمِ الْخَامِسِ عَشَرَ .

وَأَمَّا الْقَرَّاءُونَ فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ فِي السَّنَةِ شَهْرٌ آذَرٌ سِوَى مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ ، وَيَجْعَلُونَ صَوْمَ الْفُورِ فِي ثَالِثِ عَشْرِهِ ، وَبَعْدَهُ إِلَى الْخَامِسِ عَشْرِهِ ، وَهَذَا أَيْضًا مُخَدَّتٌ . وَذَلِكَ أَنَّ بُخْتِ نَصْرَ لَمَّا أَجْلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَخَرَّبَهُ ، سَاقَهُمْ جِلَالِيَّةً إِلَى بِلَادِ الْعِرَاقِ ، وَأَسْكَنَهُمْ فِي مَدِينَةِ جِي الَّتِي يُقَالُ لَهَا أَصْبَهَانَ . فَلَمَّا مَلَكَ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ مُلْكَ الْفُرْسِ - وَتَسَمَّيَهُ الْيَهُودَ إِحْشَوَارِسَ^٦ - كَانَ لَهُ وَزِيرٌ يُسَمَّى هِيمُونَ ، وَكَانَ لِلْيَهُودِ حِينِيذٌ حَبْرٌ يُقَالُ لَهُ مَرْدُوخَايَ ، فَبَلَغَ أَرْدَشِيرَ أَنَّ لَهُ ابْنَةَ عَمٍّ جَمِيلَةَ الصُّورَةِ ، فَتَزَوَّجَهَا وَحَضَيْتَ عِنْدَهُ ، وَاسْتَدْنَى مَرْدُوخَايَ ابْنَ عَمِّهَا وَقَرَّبَهُ . فَحَسَدَهُ الْوَزِيرُ

(a) صبح الأعشى : أولاد كُهانهم . (b) صبح الأعشى : أجدادوس .

^١ ومعناه التَّنْظِيفُ . الأَعْشَى ٢ : ٤٣٨ - ٤٣٩ .

^٢ هو : إِحْشَطِينُوسُ مَلِكُ الْيُونَانِيِّينَ . ^٤ نَفْسُهُ ٢٧٩ .

^٣ الْبَيْرُونِيُّ : الْآثَارُ الْبَاقِيَةُ ٢٧٨ ؛ الْقَلْقَشَنْدِيُّ : صَبْحُ ^٥ نَفْسُهُ ٢٧٩ .

هيمون ، وعَمِلَ على هلاكه وهلاك اليهود الذين في مملكة أزدشير ، ورَتَّبَ مع نوابِ أزدشير في سائر أعماله أن يَقتُلُوا كلَّ يَهُودِيٍّ عندهم في يومِ عَيْتِه لهم ، وهو الثالث عشر من آذار^(a) ، فَبَلَغَ ذلك مرزُدوخاي ، فأَعْلَمَ ابنةَ عَمِّه بما دَبَّرَه الوَزيزُ ، وَحَثَّها على إَعْمَالِ الحِيلَةِ في تَخْلِيصِ قَوْمِها من الهَلَكَةِ . فأَعْمَلَت أزدشير بحَسَدِ الوَزيزِ لمرزُدوخاي على قُربِه من الملك وإِكْرَامِه ، وما كَتَبَ به إلى العُمَّالِ من قَتْلِ اليَهُودِ ، وما زالت به تُغْرِيه على الوَزيزِ إلى أن أَمَرَ بِقَتْلِه وَقَتْلِ أَهْلِه ، وَكَتَبَ /
لليَهُودِ أمانًا .

فَاتَّخَذَ اليَهُودُ هذا اليوم من كلِّ سنة عيدًا ، وَصَامُوهُ شُكْرًا لله تعالى ، وَجَعَلُوا من بعده يومين اتَّخَذُوهُما أَيَّامَ فَرَجٍ وَسُرُورٍ وَلَهْوٍ وَمُهَادَاةٍ من بَعْضِهِم لِبَعْضٍ ، وهم على ذلك إلى اليوم . وَرُبَّمَا صَوَّرَ بَعْضُهُم في هذا اليوم صُورَةَ هَيْمُونِ الوَزيزِ ، وهم يُسَمُّونَه هَامانَ ، فإذا صَوَّرُوهُ أَلْقَوْهُ بعد العَبَثِ به في النَّارِ حتى يَحْتَرِقَ .^٢

وَشَهْرُ نَيْسَنَ عَدَدُ أَيَّامِهِ ثَلَاثُونَ يَوْمًا أَبَدًا . وفيه « عيد الباسح » ، الذي يُعْرَفُ اليوم عند النَّصَارَى بِالْفِضْحِ ، ويكون في الخَامِسِ عَشْرَ مِنْهُ ، وهو سَبْعَةُ أَيَّامٍ يَأْكُلُونَ فِيهَا القَطِيرَ ، وَيُنْتَظَفُونَ يَبُوتَهُمْ ، من أَجْلِ أَنَّ اللهَ سَبَّحَانَهُ خَلَّصَ بني إِسْرَائِيلَ من أَسْرِ فِرْعَوْنَ في هذه الأَيَّامِ ، حتى خَرَجُوا من مِصْرَ مع نَبِيِّ الله مُوسَى بنِ عِمْرَانَ - عليه السَّلَامُ - وَتَبِعَهُمْ فِرْعَوْنُ فَأَغْرَقَهُ اللهُ وَمِنْ مَعَهُ ، وَسَارَ مُوسَى بِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى التِّيهِ .

ولَمَّا خَرَجُوا من مِصْرَ مع مُوسَى ، كانوا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ والخُبْزَ والقَطِيرَ ، وهم فَرِحُوا بِخَلَاصِهِمْ من يَدِ فِرْعَوْنَ ، فَأَمَرُوا بِاتِّخَاذِ القَطِيرِ وَأَكْلِهِ في هذه الأَيَّامِ ، لِيَذْكُرُوا ما مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ به من إِنْقَاذِهِمْ من العُبُودِيَّةِ ، وفي آخِرِ هذه الأَيَّامِ السَّبْعَةِ كان غَرَقُ فِرْعَوْنَ ، وهو عندهم يَوْمٌ كَبِيرٌ .^٣ ولا يكون أَوَّلُ هذا الشَّهْرِ عند الرُّبَّانِيِّينَ أَبَدًا يومَ الاثْنَيْنِ ، ولا يومَ الأَرْبَعاءِ ولا يومَ الجُمُعَةِ ، ويكون أَوَّلُ الخَمْسِينِيَّاتِ من نِصْفِهِ .

(a) صبح الأعشى : النصف من آذار .

^١ أضاف في صبح الأعشى : «ولمَّا خَصَّ هذا اليوم دون سائر الأَيَّامِ لأنَّ اليَهُودَ يَزْعُمُونَ أَنَّ مُوسَى وُلِدَ فِيهِ وَتَوَفَّى بِهِ» .
وواضح من تطابق نَصِّه مع نَصِّ المقرئين أنَّهما اعتمدا على مُصَدِّرٍ مشترك .

^٢ الفلقشندي : صبح الأعشى ٤٣٧:٢ - ٤٣٨ .
^٣ نفسه ٤٣٧:٢ .

وشَهْرُ أَيَّارِ عَدَدُ أَيَّامِهِ تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ يَوْمًا . وفيه « عِيدُ الْمَوْقِفِ » ، وهو حَجُّ الْأَسَابِيعِ ، وهي الْأَسَابِيعُ الَّتِي فَرَضَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيهَا الْفَرَايِضُ . وَيُقَالُ لِهَذَا الْعِيدِ فِي زَمَانِنَا « عِيدُ الْعَنْصُرَةِ » ، و « عِيدُ الْخِطَابِ » ، ويكون بعد « عِيدِ الْفَطِيرِ » ، وفيه تُحَوِّطُ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي طُورِ سَيْنَاءَ ، ويكون هذا الْعِيدُ فِي السَّادِسِ مِنْهُ ، وفيه أَيضًا يَوْمُ الْخَمِيسِ ، وهو آخِرُ الْخَمْسِينِيَّاتِ وَلَا يَكُونُ « عِيدُ الْعَنْصُرَةِ » عِنْدَ الرَّبَّانِيِّينَ أَبَدًا يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ، وَلَا يَوْمَ الْخَمِيسِ وَلَا يَوْمَ السَّبْتِ ^١ .

وشَهْرُ تَمُوزِ أَيَّامُهُ تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ يَوْمًا . وليس فيه عِيدٌ ، لكنَّهُمْ يَصُومُونَ فِي تَاسِعِهِ لِأَنَّ فِيهِ هَدَمَ سُورُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ عِنْدَ مُحَاصِرَةِ بُخْتِ نَصْرَ لَهُ . وَالرَّبَّانِيُّونَ خَاصَّةً يَصُومُونَ يَوْمَ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْهُ ، لِأَنَّ فِيهِ هَدَمَ طَيْطُشُ سُورَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَخَرَبَ الْبَيْتَ الْخَرَابَ الثَّانِي .

وشَهْرُ آبِ ثَلَاثُونَ يَوْمًا وفيه « عِيدُ الْقَرَّائِينَ » ؛ صَوْمٌ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وَالْيَوْمِ الْعَاشِرِ ، لِأَنَّ بَيْتَ الْمَقْدِسِ خَرِبَ فِيهِمَا عَلَى يَدِ بُخْتِ نَصْرَ . وفيه أَيضًا كَانَ إِطْلَاقُ بُخْتِ نَصْرِ النَّارِ فِي مَدِينَةِ الْقُدْسِ وَفِي الْهَيْكَلِ ، وَيَصُومُ الرَّبَّانِيُّونَ الْيَوْمَ التَّاسِعَ مِنْهُ ، لِأَنَّ فِيهِ خُرِبَ الْبَيْتُ عَلَى يَدِ طَيْطُشِ الْخَرَابِ الثَّانِي .

وشهر أيلول تسعة وعشرون يومًا أبدًا ، وليس فيه عِيدٌ ^٢ . والله أعلم .

زَكَرْمَعْنَى قَوْمِ إِسْرَائِيلَ

اعْلَمْ أَنَّ يَعْقُوبَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - سَمَّاهُ اللَّهُ « إِسْرَائِيلَ » ، وَمَعْنَى ذَلِكَ الَّذِي رَأَاهُ الْقَادِرِ ، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْوَالِدِ اثْنَا عَشَرَ ذَكَرًا ، يُقَالُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سِبْطٌ وَيُقَالُ لِمَجْمُوعِهِمُ الْأَسْبَاطُ ، وَهَذِهِ أَسْمَاؤُهُمْ : زُوَيْلٌ ، وَشَمْعُونُ ، وَلاوِي ، وَيَهُوذَا ، وَيَسَاخِرُ ، وَزُبُولُونُ - وَالسَّتَّةُ أُشْقَاءُ : أُمَّهُمُ لِيَا بِنْتُ لَابَانَ بْنِ بَثْوَيْلَ بْنِ نَاحُورَ ، أَخِي إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ [كَذَا] وَكَانَ ، وَأَشَارُ ، وَدَانَ ، وَنَفْتَالِي ، وَيُوشَفُ ، وَبَنِيَامِينَ ^٣ .

فَلَمَّا كَبِرَ هَؤُلَاءِ الْأَسْبَاطُ الْاثْنَا عَشَرَ ، قَدَّمَ عَلَيْهِمْ أَبُوهُمْ يَعْقُوبُ - وَهُوَ إِسْرَائِيلُ - ابْنَهُ يَهُوذَا ، وَجَعَلَهُ حَاكِمًا عَلَى إِخْوَتِهِ الْأَحَدِ عَشَرَ سِبْطًا ، فَاسْتَمَرَ رَئِيسًا وَحَاكِمًا عَلَى إِخْوَتِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ ،

^١ القلقشندي : صبح الأعشى ٢ : ٤٣٧ ؛ النويري : نهاية

^٢ البيروني : الآثار الباقية ٢٨٢ .

^٣ القلقشندي : صبح الأعشى ١٣ : ٢٦٤ .

الأرب ١ : ١٩٦ - ١٩٧ .

فَوَرِثَتْ أَوْلَادُ يَهُودَا رِيَاةَ الْأَسْبَاطِ مِنْ بَعْدِهِ . إِلَى أَنْ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ بْنِ قَاهَاثِ ابْنِ لَآوِي بْنِ يَعْقُوبَ إِلَى فِرْعَوْنَ ، بَعْدَ وَفَاةِ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - بِمِائَةِ وَأَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَهُمْ رُؤَسَاءُ الْأَسْبَاطِ .

فَلَمَّا نَجَّى اللَّهُ مُوسَى وَقَوْمَهُ بَعْدَ غَرَقِ فِرْعَوْنَ وَمَنْ مَعَهُ ، رَتَّبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بَنِي إِسْرَائِيلَ الْإِسْنِي عَشْرَ سِبْطًا أَرْبَعَ فِرْقٍ ، وَقَدَّمَ عَلَى جَمِيعِهِمْ سِبْطَ يَهُودَا . فَلَمْ يَزَلْ سِبْطُ يَهُودَا مُقَدَّمًا عَلَى سَائِرِ الْأَسْبَاطِ أَيَّامَ حَيَاةِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَأَيَّامَ حَيَاةِ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ . فَلَمَّا مَاتَ يُوشَعُ سَأَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ اللَّهَ تَعَالَى ، وَابْتَهَلُوا إِلَيْهِ فِي قُبَّةِ الشَّمْشَارِ أَنْ يُقَدَّمَ عَلَيْهِمْ وَاحِدًا مِنْهُمْ ، فَجَاءَ الْوَحْيُ مِنَ اللَّهِ بِتَقْدِيمِ عِشْيَالَ بْنِ قَنَازٍ مِنْ سِبْطِ يَهُودَا ، فَتَقَدَّمَ عَلَى سَائِرِ الْأَسْبَاطِ ، وَصَارَ بَنُو يَهُودَا مُقَدَّمِينَ عَلَى سَائِرِ الْأَسْبَاطِ مِنْ حَيْثُ ذَلِكَ إِلَى أَنْ مَلَكَ اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ نَبِيَّهُ دَاوُدُ - وَهُوَ مِنْ سِبْطِ يَهُودَا - فَوَرِثَ مُلْكُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ . فَلَمَّا مَاتَ سُلَيْمَانُ افْتَرَقَ مُلْكُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَصَارَ لِمَدِينَةِ شَمْرُونَ - الَّتِي يُقَالُ لَهَا الْيَوْمَ نَابُلُسُ - عَشْرَةُ أَسْبَاطٍ ، وَبَقِيَ بِمَدِينَةِ الْقُدْسِ سِبْطَانُ : هُمَا سِبْطُ يَهُودَا ، وَسِبْطُ بَنِيَامِينَ .

وَكَانَ يُقَالُ لِسُكَّانِ شَمْرُونَ « بَنُو إِسْرَائِيلَ » ، وَيُقَالُ لِسُكَّانِ الْقُدْسِ « بَنُو يَهُودَا » ، إِلَى أَنْ انْقَرَضَتْ دَوْلَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مَدِينَةِ شَمْرُونَ بَعْدَ مِائَتَيْنِ وَوَاحِدِيٍّ وَخَمْسِينَ سَنَةً ، فَصَارُوا كُلُّهُمْ بِالْقُدْسِ تَحْتَ طَاعَةِ الْمُلُوكِ مِنْ بَنِي يَهُودَا إِلَى أَنْ قَدِمَ بُحْتُ نَصْرٍ وَخَرَّبَ الْقُدْسَ ، وَجَلَّ جَمِيعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى بَابِلَ ، فَعَرِفُوا هُنَاكَ بَيْنَ الْأُمَمِ بِ « بَنِي يَهُودَا » .

وَاسْتَمَرَ هَذَا سِمَةً لَهُمْ بَيْنَ الْأُمَمِ بَعْدَ ذَلِكَ ، إِلَى أَنْ / جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ ، فَكَانَ يُقَالُ لِلوَاحِدِ مِنْهُمْ « يَهُودِيٌّ » بِذَلِكَ مَعْجَمَةَ نَسْبَةٍ إِلَى سِبْطِ يَهُودَا ، وَتَلَاَعَبَ الْعَرَبُ بِذَلِكَ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي التَّلَاَعِبِ بِالْأَسْمَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَقَالُوهَا بِدَالٍ مَهْمَلَةً ، وَسَمَّوْا طَائِفَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ « الْيَهُودَ » ، وَبِهَذِهِ اللَّغَةِ نَزَلَ الْقُرْآنُ . وَيُقَالُ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ سَمَّى بَنِي إِسْرَائِيلَ « الْيَهُودَ » بُحْتُ نَصْرٌ ^١ ، ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الآية ٢١٦ ، ٢٣٢ سورة البقرة ، والآية ٦٦ سورة آل عمران ، والآية ١٩ سورة النور] .

^١ رَجَّحَ الْقَلْقَشَنْدِيُّ أَنَّ اشْتِقَاقَ كَلِمَةِ « يَهُودَ » مِنْ قَوْلِهِمْ : أَي رَجَّعْنَا وَنَصَّرَعْنَا . (القلقشندي : صبح الأعشى هَادَ إِذَا رَجَّعَ . وَلَزِمَتْهُمُ هَذَا الْأَسْمُ مِنْ قَوْلِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ [الآية ١٥٦ سورة الأعراف] ،

ذِكْرُ أَصْلِ^(a) مُعْتَقَدِ الْيَهُودِ وَكَيْفَ وَقَعَ عِنْدَهُمُ التَّبْدِيلُ

اعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى^(b) لَمَّا أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى نَبِيِّهِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ضَمَّنَهَا شَرَائِعَ الْمِلَّةِ الْمَوْسَوِيَّةِ ، وَأَمَرَ فِيهَا أَنْ يُكْتَبَ لِكُلِّ مَنْ يَلِي أَمْرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كِتَابٌ يَتَّضَمَّنُ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ لِيَنْظَرَ فِيهِ ، وَيَعْمَلَ بِهِ ، وَسُمِّيَ هَذَا الْكِتَابُ بِالْعِبْرَانِيَةِ « مِشْنَا » ، وَمَعْنَاهُ : اسْتِخْرَاجُ الْأَحْكَامِ مِنَ النَّصِّ الْإِلَهِيِّ ، وَكَتَبَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِحَظِّ يَدِهِ « مِشْنَا » كَأَنَّهُ تَفْسِيرٌ لِمَا فِي التَّوْرَةِ مِنَ الْكَلَامِ الْإِلَهِيِّ^١ .

فَلَمَّا مَاتَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ بِأَمْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ وَمَنْ بَعْدَهُ ، إِلَى أَنْ كَانَتْ أَيَّامُ يَهُيَّاخِيمِ^(c) مَلِكِ الْقُدْسِ ، غَزَاهُمْ بُحْتٌ نَصَرَ الْعَزْوَةَ الْأُولَى وَهُمْ يَكْتُبُونَ لِكُلِّ مَنْ مَلَكَهُمْ « مِشْنَا » ، يَتَّقِلُونَهَا مِنَ الْمِشْنَا الَّتِي بِحَظِّ مُوسَى ، وَيَجْعَلُونَهَا بِاسْمِهِ . فَلَمَّا جَلَّأ بُحْتٌ نَصَرَ يَهُيَّاخِيمِ^(c) الْمَلِكِ ، وَمَعَهُ أَغْيَانُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكُتُبَاءُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ - وَهُمْ فِي زِيَادَةٍ عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ نَفْسٍ - سَارُوا ، وَمَعَهُمْ نُسخُ « الْمِشْنَا » الَّتِي كُتِبَتْ لِسَائِرِ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَجْمَعِهَا ، إِلَى بِلَادِ الْمَشْرِقِ .

فَلَمَّا سَارَ بُحْتٌ نَصَرَ مِنْ بَابِلِ الْكُرَّةَ الثَّانِيَةَ لِعَزْوِ الْقُدْسِ ، وَخَرَّبَهَا ، وَجَلَّأَ جَمِيعَ مَنْ فِيهِ وَفِي بِلَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْأَسْبَاطِ الْإِثْنِي عَشَرَ ، إِلَى بَابِلِ ، أَقَامُوا بِهَا ، وَبَقِيَ الْقُدْسُ خَرَابًا لَا سَاكِنَ فِيهِ مُدَّةَ سَبْعِينَ سَنَةً ، ثُمَّ عَادُوا مِنْ بَابِلِ بَعْدَ سَبْعِينَ سَنَةً ، وَعَمَّرُوا الْقُدْسَ ، وَجَدَّدُوا بِنَاءَ الْبَيْتِ ثَانِيًا ، وَمَعَهُمْ جَمِيعُ نُسخِ « الْمِشْنَا » الَّتِي خَرَجُوا بِهَا أَوَّلًا .

فَلَمَّا مَضَتْ مِنْ عِمَارَةِ الْبَيْتِ الثَّانِي بَعْدَ الْجِلَالَةِ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَتَيْفٍ مِنَ السَّنِينَ ، اخْتَلَفَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي دِينِهِمْ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَخَرَجَ طَائِفَةٌ مِنْ آلِ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ،

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : سبحانه . (c) بولاق : يهوياقيم .

Neuser, J., *ER art. Mishna and Tosefta IX*, pp. 559-63.

^١ راجع عن التَّوْرَةِ - *JE art. Torah XII*, pp. 196-99; Urbach, E.E., *ER art. Torah XIV*, pp. 556-65; وعن « الْمِشْنَا » *JE art. Mishnah VIII*, pp. 609-19.

وساروا إلى الشرق كما فعل آباؤهم أولاً ، وأخذوا معهم نُسخًا من « المِشْنَا » التي كُتبت للملوك من « مِشْنَا » موسى التي بخطه ، وعمِلوا بما فيها ببلاد الشرق من حين خَرَجُوا من القُدس إلى أن جاء الله بدين الإسلام ، وقَدِمَ عانان رأس الجالوت من المشرق إلى العراق ، في خلافة أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور ، سنة ست وثلاثين ومائة من سني الهجرة المحمديَّة^١ .

٥ وأما الذين أقاموا بالقُدس من بني إسرائيل بعد خروج من ذكّرنا إلى الشرق من آل داود فإنهم لم يزالوا في افتراق واختلاف في دينهم إلى أن غزاهم طيطش ، وخرّب القُدس الخراب الثاني - بعد قتل يحيى بن زكريا ، ورفع المسيح عيسى بن مريم - عليهما السلام - وسبى جميع من فيه وفي بلاد بني إسرائيل بأشهرهم ، وغَيَّب نُسخ « المِشْنَا » التي كانت عندهم ، بحيث لم يبق معهم من كُتب الشريعة سوى التوراة وكُتب الأنبياء . وتفرّق بنو إسرائيل من وقت تخریب طيطش بيت المقدس في أقطار الأرض ، وصاروا ذمّة إلى يومنا هذا .

١٠ ثم إن رجلين ممن تأخر إلى قبيل تخریب القُدس - يُقال لهما شمائي وهلال - نزلا مدينة طبرية ، وكتبتا كتابًا سُمّياه « مِشْنَا » باسم مِشْنَا موسى - عليه السلام - وضمنا هذا « المِشْنَا » الذي وضعاه أحكام الشريعة ، ووافقهما على وضع ذلك عدّة من اليهود .

وكان شمائي وهلال في زمن واحد ، وكانا في أواخر مُدّة تخریب البيت الثاني ، وكان لهلال ثمانون تلميذًا أصغرهم يوحانان بن زكاي ، وأدرك يوحانان بن زكاي خراب البيت الثاني على يد طيطش . وهلال وشمائي أقوالهما مذكورة في « المِشْنَا » ، وهي في ستة أسفار تشتمل على فقه التوراة ، وإنما رتبها الثوسي ، من ولد داود النبي ، بعد تخریب طيطش للقُدس بمائة وخمسين سنة .

٢٠ ومات شمائي وهلال ولم يكملا المِشْنَا ، فأكمّله رجلٌ منهم يُعرف بيهوذا من ذريّة هلال ، وحمل اليهود على العمل بما في هذا « المِشْنَا » ، وحقيقته أنه يتضمّن كثيرًا مما كان في مِشْنَا النبي موسى - عليه السلام - وكثيرًا من آراء أكابرهم . فلمّا كان بعد وضع هذا « المِشْنَا » بنحو خمسين سنة ، قام طائفة من اليهود يُقال لهم « السنّهذرين »^(a) - ومعنى ذلك : الأكابر - وتصرّفوا في

(a) بولاق : السنهدوين .

^١ انظر فيما يلي ٩٥٢ ، ٩٥٥ .

تفسير هذا «المشنا» برأيهم ، وعملوا عليه كتاباً اسمه «التلمود» أخفوا فيه كثيراً مما كان في ذلك «المشنا» ، وزادوا فيه أحكاماً من رأيهم^١ . وصاروا منذ وضع هذا «التلمود» الذي كتبه بأيديهم ، وضموه ما هو من رأيهم ، ينسبون ما فيه إلى الله تعالى ، ولذلك ذمهم الله في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَسْتَرُوا بِهِ ثَمَّ قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [الآية ٧٩ سورة البقرة] .

وهذا «التلمود» نسختان مختلفتان في الأحكام . والعمل إلى اليوم على هذا «التلمود» عند فرقة الربانيين ، بخلاف القرائين فإنهم لا يعتقدون العمل بما في هذا «التلمود» . فلما قدم عانان رأس / الجالوت إلى العراق ، أنكر على اليهود عملهم بهذا التلمود ، وزعم أن الذي بيده هو الحق لأنه كتب من النسخ التي كتبت من مشنا موسى - عليه السلام - الذي بخطه^٢ .

والطائفة الربانيون ومن وافقهم لا يعولون من التوراة التي بأيديهم إلا على ما في هذا «التلمود» ، وما خالف ما في «التلمود» لا يعباون به ولا يعولون عليه ، كما أخبر تعالى ، إذ يقول حكاية عنهم : ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الآية ٢٣ سورة الزخرف] .

ومن أطلع على ما بأيديهم وما عندهم من التوراة ، تبين له أنهم ليسوا على شيء ، وأنهم إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس . ولذلك لما تبع فيهم موسى بن ميثون القرطبي عولوا على رأيه ، وعملوا بما في كتاب «الدلالة» وغيره من كتبه^٣ ، وهم على رأيه إلى زمننا .

سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م ، ونقل جسمائه بعد وفاته ودُفن بجوار
بُخَيْرَةَ طَبْرِيَّةَ بِنَاءَ عَلِيٍّ وَصِيَّتِهِ . (ابن العبري : تاريخ مختصر
الدول ٢٣٩-٢٤٠ ، ٢٤٢ ؛ القفطي : تاريخ الحكماء
٣١٧-٣١٩ ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ٢ : ١١٧ ؛ ابن
شاعر : فوات الوفيات ٤ : ١٧٥-١٧٦) . وقد أصبح ابن
ميثون رأساً لأشربة يهودية لعبت دوراً هاماً في تاريخ اليهود في
مصر خاصة زمن ابن إبراهيم وحفيده داود . (راجع ، Vajda
G., *El² art. Ibn Maymún III*, pp. 900-2; *EJ art. Maimonides Moses XI*, pp. 754-81; *Arabham*
Ben Moses II, pp. 150-52 ؛ وإسحاق ولفسون
كتاب : موسى بن ميثون ، القاهرة ١٩٤٥ . وكتابه «دلالة
الحائرين» نشره حسين آتاي بعد أن عارضه بأصوله العربية
والعبرية وصدر عن كلية الإلهيات بجامعة أنقرة سنة =

^١ راجع عن «التلمود» JEart. *Talmud* XII, pp. 1-40.

^٢ فيما يلي ٩٥٥ .

^٣ موسى بن ميثون اليهودي القرطبي Moses Ben Maymoun ، نشأ بالأندلس وقرأ بها العلوم ، وأكثره مع آخرين على الإسلام ، فأظهره وأسر اليهودية إلى أن أمكنته الفرصة في الرحلة فخرج عن الأندلس إلى مصر ، زمن الفاطميين ، ومعه أهله ونزل مدينة القسطنطينية بين يهودها ، فأظهر دينه وارتزق بالتجارة في الجوهري وما يجري مجراه . وبعد سقوط الدولة الفاطمية قرَّبته القاضي الفاضل وقرَّر له رزقاً . ولما كان ابن ميثون عالماً بشرائع اليهود فقد أصبح رئيساً لليهود مصر ، وصنَّف كتاباً في مذهب اليهود سماه «الدلالة» ويُعرف أيضاً به «دلالة الحائرين» يستجده بعض اليهود ويذمه بعضهم ويسميه «الضلالة» . وتوفي ابن ميثون

زَكَرُ فِرْقِ الْيَهُودِ الْآنَ

اعْلَمَ أَنَّ الْيَهُودَ الَّذِينَ قَطَعَهُمُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ إِنَّمَا [هي] ^a أَرْبَعُ فِرْقٍ ، كُلُّ فِرْقَةٍ تُحَطِّي الطَّوَائِفَ الْأُخْرَى ، وَهِيَ : « طَائِفَةُ الرِّبَائِيِّينَ » ، وَ « طَائِفَةُ الْقَرَّائِينَ » ، وَ « طَائِفَةُ الْعَانَانِيَةِ » ، وَ « طَائِفَةُ السَّمْرَةِ » . وَهَذَا الْاِخْتِلَافُ حَدَثَ لَهُمْ بَعْدَ تَخْرِيْبِ بُحْتِ نَصْرَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَعَوْدِهِمْ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ بَعْدَ الْجِلَالِيَةِ إِلَى الْقُدْسِ ، وَعِمَارَةِ الْبَيْتِ ثَانِيًا . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ فِي إِقَامَتِهِمْ بِالْقُدْسِ أَيَّامَ الْعِمَارَةِ الثَّانِيَةِ ، افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ ، وَسَارُوا سَبِيلًا .

فَلَمَّا مَلَكَهُمْ الْيُونَانُ بَعْدَ الْإِسْكَانْدَرِ بْنِ فِيلِبَسَ ، وَقَامَ بِأَمْرِهِمْ فِي الْقُدْسِ هُورْقَانُوسُ بْنُ شَمْعُونِ ابْنِ مَشِيئَا ، وَاسْتَقَامَ أَمْرُهُ فَسُمِّيَ مَلِكًا - وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ هُوَ وَجَمِيعٌ مِنْ تَقْدَمِهِ ، يَمُنُّ وَلِيَّ أَمْرِ الْيَهُودِ فِي الْقُدْسِ بَعْدَ عَوْدِهِمْ مِنَ الْجِلَالِيَةِ ، إِنَّمَا يُقَالُ لَهُ « الْكُوهِنُ الْأَكْبَرُ » - فَاجْتَمَعَ لَهُورْقَانُوسُ مَنْزِلَةً الْمَلِكِ وَمَنْزِلَةً الْكُوهِنِيَّةِ ، وَاطْمَأَنَّ الْيَهُودُ فِي أَيَّامِهِ ، وَأَمِنُوا سَائِرَ أَعْدَائِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ ، فَجَبَطُوا مَعِيشَتَهُمْ ، وَاخْتَلَفُوا فِي دِينِهِمْ ، وَتَعَادَوْا بِسَبَبِ الْاِخْتِلَافِ .

وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ فِرْقِهِمْ إِذْ ذَاكَ طَائِفَةٌ يُقَالُ لَهَا « الْفُرُوشِيمِ » [pharisees] - وَمَعْنَاهُ الْمُعْتَزِلَةُ - وَمِنْ مَذْهَبِهِمُ الْقَوْلُ بِمَا فِي التَّوْرَةِ عَلَى مَعْنَى مَا فَسَّرَهُ الْحُكَمَاءُ مِنْ أَسْلَافِهِمْ ؛ وَطَائِفَةٌ يُقَالُ لَهُمْ « الصَّدُوقِيَّةُ » ^b [Sadducees] تُسَبِّحُوا إِلَى كَبِيرٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ صَدُوقٌ ^c ، وَمَذْهَبُهُمُ الْقَوْلُ بِنَصْرِ التَّوْرَةِ وَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقَوْلُ الْإِلَهِيِّ فِيمَا دُونَ مَا عَدَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ ؛ وَطَائِفَةٌ يُقَالُ لَهُمْ « الْحَسِيدِيمِ » ^d [Essenes] - وَمَعْنَاهُ الصُّلَحَاءُ - وَمَذْهَبُهُمُ الْاِسْتِغَالُ بِالنُّسْكِ وَعِبَادَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَالْأَخْذُ بِالْأَفْضَلِ وَالْأَسْلَمُ فِي الدِّينِ ^١ .

(a) بولاق: أمما، والنسخ: إنما، وأضاف ناسخ نسخة ميونخ في الهامش: لعله سقط هي. (b) بولاق: الصدوقية. (c) بولاق: صدوف. (d) بولاق: الجسديم.

= ١٩٧٤، وأعادت طبعه بالتصوير مكتبة الثقافة الدينية المعلومات كما صرح هناك هو تاريخ يوسف بن كزيبون Joseph Ben Gorion أو Josephus .Gorionides

^١ فيما يلي ٩٥٩-٩٦٠، ومصدره في هذه

وكانت الصدوقية^(a) تُعادي المُعْتزِلَةَ عداوةً شديدةً، وكان الملك هوزقائوس أولاً على رأي المُعْتزِلَةَ - وهو مذهبُ آبائِهِ - ثم إنَّهُ رَجَعَ إلى مذهبِ الصدوقية^(a)، وبأين المُعْتزِلَةَ وعاداهم، وناذى في سائر مملكته بمنع الناس جملةً من تعلُّم رأي المُعْتزِلَةَ والأخذ عن أحدٍ منهم، وتبَّعهم وقتل منهم كثيراً^١.

وكانت العامة بأسرها مع المُعْتزِلَةَ، فنارت الشُّرُوزُ بين اليهود، واتَّصَلت الحُرُوبُ بينهم، وقتل بعضهم بعضاً^٢ إلى أن حُرِبَ البَيْتُ على يد طيطُش الخراب الثاني، بعد رَفْعِ عيسى - صلوات الله عليه - وتَفَرَّقَ اليَهُودُ من حيثُ في أقطارِ الدنيا، وصاروا ذِمَّةً، والنُّصَارَى تَقْتُلُهُمْ حيثما ظَفِرَتْ بهم، إلى أن جاء الله بالمِلَّةِ الإسلاميَّةِ، وهم في تَفَرُّقِهِمْ ثلاثُ فِرَقٍ: الرِّبَّانِيونَ، والقُرَّاءُ، والسُّمَرَةُ.

فأما «الرِّبَّانِيَّةُ» فيقالُ لهم بنو مَشَنُو - ومعنى مَشَنُو: الثاني - وقيل لهم ذلك لأنهم يَعتَبِرُونَ أمرَ البَيْتِ الذي بُني ثانياً، بعد عَوْدِهِمْ من الجِلايةِ وخَرَبَةِ طيطُش، ويُتَزَلُّونَهُ في الاحْتِرَامِ والإِكْرَامِ والتَّعْظِيمِ مَنزِلَةَ البَيْتِ الأوَّلِ الذي ابتداءً عمارته داود، وأتمه ابنه سليمان - عليهما السلام - وخَرَبَهُ بُحْتُ نَصْرٍ، فصَارَ كأنَّهُ يُقالُ لهم «أصحابُ الدَّعوةِ الثانيَّةِ». وهذه الفِرْقَةُ هي التي كانت تَعْمَلُ بما في المِشْنَا الذي كُتِبَ بطَبْرِيةَ بعد تَخريبِ طيطُش القُدْسِ، وتُعَوِّلُ في أَحْكامِ الشَّرِيعَةِ على ما في التَّلْمُودِ إلى هذا الوَقْتِ الذي نحن فيه، وهي بَعِيدَةٌ عن العَمَلِ بالنُّصُوصِ الإلهيَّةِ، مُتَّبِعَةٌ لآراءٍ من تَقَدَّمَها من الأَحْبَارِ^٣.

ومن أطلَعَ على حَقِيقَةِ دينِها، تَبَيَّنَ له أن الذي ذَمَّهُم اللهُ به في القُرْآنِ الكَرِيمِ حَقٌّ لا مِرْيَةَ فيه، وأنَّهُ لا يَصِحُّ لهم من اسمِ اليَهُودِيَّةِ إلا مُجَرَّدُ الانْتِمَاءِ فقط، لا أَنَّهُمْ في الاتِّبَاعِ على المِلَّةِ المُوسَوِيَّةِ، لا سِوَمَا منذ ظَهَرَ فيهم مُوسَى بن مَيْمُونِ القُرْطُبِيِّ، بعد الخمسِ مائةٍ من سِنِي الهِجْرَةِ المَحْمُديَّةِ، فإنَّهُ رَدَّهُمْ مع ذلك مُعْطَلَةً، فصَارُوا في أَصُولِ دينِهِمْ وفُرُوعِهِ أَبْعَدَ النَّاسِ عَمَّا جَاءَ به أنبياءُ الله تعالى من الشَّرَائِعِ الإلهيَّةِ^٤.

وأما «القُرَّاءُ» فإنَّهُمْ بنو مَقْرَا - ومعنى مَقْرَا: الدَّعوة - وهم لا يُعَوِّلُونَ على البَيْتِ الثانيِ جملةً. ودَعْوَتُهُمْ إنما هي لما كان عليه العَمَلُ مُدَّةَ البَيْتِ الأوَّلِ، وكان يُقالُ لهم «أصحابُ

(a) يولاق: الصدوقية.

^٣ القلقشندي: صبح الأعشى ١٣: ٢٥٦-٢٦٧.^١ يوسف بن كريبون: منتخبات من تاريخ يوسفوس ٩٣-٩٤.^٤ فيما تقدم ٩٥٢.^٢ نفسه ٩٥-٩٦.

الدُّعْوَة الأولى ، وهم يُحْكَمُونَ نُصُوصَ التَّوْرَةِ ، ولا يَلْتَفِتُونَ إلى قَوْلِ مَنْ خَالَفَهَا ، وَيَقْفُونَ مع النَّصِّ دون تَقْلِيدٍ من سَلَفٍ . وهم مع الرُّبَّانِيِّينَ من العداوة بحيث لا يَتَنَاكحُونَ ، ولا يَتَجَاوَزُونَ ، ولا يَدْخُلُ بَعْضُهُمْ كَنِيْسَةَ بَعْضٍ .

ويُقَالُ لِلقَّرَائِنِ أَيْضًا « المَبَادِيَّةُ » ، لأنَّهُم كانوا يَعْمَلُونَ مَبَادِي الشُّهُورِ من الاجْتِمَاعِ الكائِنِ بين الشَّمْسِ والقَمَرِ ، ويُقَالُ لَهُمُ أَيْضًا / « الأَسْمَعِيَّةُ » ، لأنَّهُم يُرَاعِعُونَ العَمَلَ بِنُصُوصِ التَّوْرَةِ دون العَمَلِ بِالقِيَاسِ والتَّقْلِيدِ ١ .

وأَمَّا « العَانَانِيَّةُ » فإنَّهُم يُنْسَبُونَ إلى عَانَانَ رَأْسِ الجَالُوتِ الَّذِي قَدِمَ من المَشْرِيقِ ، في أَيَّامِ الخَلِيفَةِ أَبِي جَعْفَرِ المَنْصُورِ ، ومعه نُسخُ « المِشْنَا » الَّذِي كُتِبَ من الحِطِّ الَّذِي كُتِبَ من نَحْطِ النَّبِيِّ مُوسَى . وأنَّهُ رأى ما عليه اليَهُودُ من الرُّبَّانِيِّينَ والقَّرَائِنِ يُخَالِفُ ما معه ، فَتَجَرَّدَ لِخِلَافِهِمْ ، وَطَعَنَ عَلَيْهِمْ في دِينِهِمْ ، وازْدَرَى بِهِمْ . وكان عَظِيمًا عِنْدَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُ من وَلَدِ دَاوُدَ - عليه السَّلَامُ - وعلى طَرِيقِ فاضِلَةٍ من النُّسُكِ على مُقْتَضَى مِلَّتِهِمْ ، بحيث يَرَوْنَ أَنَّهُ لو ظَهَرَ في أَيَّامِ عِمَارَةِ البَيْتِ لكان نَبِيًّا ، فلم يَقْدِرُوا على مُناظَرَتِهِ لما أُوتِيَ مع ما ذَكَرْنَا من تَقْرِيبِ الخَلِيفَةِ لَهُ وإكْرَامِهِ ٢ .

وكان مِمَّا خَالَفَ فِيهِ اليَهُودَ اسْتِعْمَالَ الشُّهُورِ بِرُؤْيَا الأَهْلِ على مِثْلِ ما شُرِعَ في المِلَّةِ الإِسْلامِيَّةِ ، ولم يُبَالِ في أي يَوْمٍ وَقَعَ من الأَسْبُوعِ ، وَتَرَكَ حِسَابَ الرُّبَّانِيِّينَ ، وَكَبَسَ الشُّهُورَ ، وَخَطَّأَهُمْ في العَمَلِ بِذَلِكَ ، واعْتَمَدَ على كَشْفِ زَرْعِ الشُّعَيْرِ ٣ ، وَأَجْمَلَ القَوْلَ في المَسِيحِ عِيسَى بنِ مَرْيَمَ - عليه السَّلَامُ - وَأَثَبَتْ نُبوَّةَ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ ، وقال : هو نَبِيُّي أُزِيلَ إلى العَرَبِ ، إلا أنَّ التَّوْرَةَ لم تُنسخْ . والحَقُّ أَنَّهُ أُزِيلَ إلى النَّاسِ كافَّةً ﷺ .

ذِكْرُ السَّمرةِ

اعْلَمْ أَنَّ طائِفَةَ السَّمرةِ لیسوا من بني إِسْرَائِيلَ ألبتَّةَ ، وإِنَّمَا هم قَوْمٌ قَدِيمُوا من بِلَادِ المَشْرِيقِ ، وَسَكَنُوا بِلَادَ الشَّامِ وَتَهَوَّدُوا . ويُقالُ إِنَّهم من بني سامرَكِ بنِ كَفْرَكا ابنِ رَمِي - وهو شَعْبٌ من شُعُوبِ الفُزْرِيسِ - خَرَجُوا إلى الشَّامِ ومَعَهُم الخَيْلُ والغَنَمُ

١ والنحل ١ : ١٩٦ ، *El*² art. "Anâniyya I", Vajda, G., وفيما تقدم ٩٥٢ .

١ فيما تقدم ٩٤٤ ؛ وانظر كذلك Nemoy, L., *El*² art. Karaites IV, pp. 627-32; Faû, J.-F., *Les Caraites*, édition Brepols 2000.

٢ نفسه ٥٨ .

٢ البيروني : الآثار الباقية ٥٨ - ٥٩ ؛ الشهرستاني : الملل

والإيل والقيسي والنشاب والشيوخ والمواشي، ومنهم السامرة الذين تفرقوا في البلاد. ويقال إن سليمان بن داود لما مات، افترق ملك بني إسرائيل من بعده، فصار رخبعام^(a) ابن سليمان على سبط يهودا بالقدس، وملك يوبعام^(b) بن نياط على عشرة أسباط من بني إسرائيل، وسكن خارجا عن القدس، واتخذ عجولين دعا الأسباط العشرة إلي عيادتهما من دون الله إلى أن مات. فولّي ملك بني إسرائيل من بعده عدّة ملوك، على مثل طريقته في الكفر بالله وعبادة الأوثان^(c). إلى أن ملكهم عمري بن مذاب^(c)، من سبط منشا بن يوسف، فاشترى مكانا من رجل اسمه شامير بقنطار فضة، وبني فيه قصرا، وسماه باسم اشتقه من اسم شامير الذي اشترى منه المكان، وصير حول هذا القصر مدينة، وسماها مدينة شمرون، وجعلها كرسي ملكه إلى أن مات؛ فاتخذها ملوك بني إسرائيل من بعده مدينة للملك، وما زالوا فيها إلى أن ولي هوشاع ابن إيل، وهم على الكفر بالله، وعبادة وثن^(d) بعال وغيره من الأوثان، مع قتل الأنبياء؛ إلى أن سلط الله عليهم سنحاريب ملك الموصل، فحاصرهم بمدينة شمرون ثلاث سنين، وأخذ هوشاع أسيرا، وجلاه ومعه جميع من في شمرون من بني إسرائيل، وأنزلهم بهزة وبلخ ونهاوند وحلوان. فانقطع من حينئذ ملك بني إسرائيل من مدينة شمرون، بعدما ملكوا من بعد سليمان - عليه السلام - مدة مائتي سنة وإحدى وخمسين سنة.

ثم إن سنحاريب ملك الموصل نقل إلى شمرون كثيرا من أهل كوشا وبابل وحمّاه، وأنزلهم فيها ليعمروها، فبعثوا إليه يشكون من كثرة هجوم الوحش عليهم بشمرون. فسير إليهم من علمهم التوراة، فتعلموها على غير ما يجب، وصاروا يقرأونها ناقصة أربعة أحرف: الألف والهاء والحاء والعين، فلا ينطقون بشيء من هذه الأحرف في قراءتهم التوراة، وعرفوا بين الأمم بالسامرة لسكناهم بمدينة سمرون.

وشمرون هذه هي مدينة نابلس، وقيل لها سمرون - بسين مهملة - لسكنائها سامرة، ويقال معنى السامرة حفظة ونواطير. فلم تزل السامرة بنابلس إلى أن غزا بخت نصر القدس، وأجلى اليهود منه إلى بابل، ثم عادوا بعد سبعين سنة، وعمروا البيت ثانيا؛ إلى أن قام الإسكندر من بلاد

(a) بولاق: رجبم، المسعودي: أرخبعم. (b) بولاق: برعم، والمسعودي: يوربعم. (c) بولاق: نوزب. (d) بولاق: بعل.

¹ قارن مع المسعودي: مروج الذهب ١: ٦٥-٦٦.

اليونان ، وخرَج يُريدُ غَزْوَ الفُرسِ ، فَمَرَّ على القُدسِ ، وخرَج منه يُريدُ عُمانَ ، فاجتازَ على نابلسَ ، وخرَج إليه كَبيرُ الشَّجرةِ بها - وهو سِنْبِلاطُ السَّاميري - فَأَنْزَلَهُ ، وَصَنَعَ لَهُ ولِقُوادِهِ وَعُظَمَاءِ أَصْحَابِهِ صَنِيعًا عَظِيمًا ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ أَمْوَالًا جَمَّةً وَهَدَايَا جَلِيلَةً ، وَاسْتَأْذَنَهُ فِي بِنَاءِ هَيْكَلِ اللَّهِ على الجَبَلِ ، الَّذِي يُسَمَّى عِنْدَهُمْ « طُورِ بَرِيكٍ » ، فَأَذِنَ لَهُ وَسَارَ عَنْهُ إِلَى مُحَارَبَةِ دارِ ملكِ الفُرسِ . فَبَنَى سِنْبِلاطُ هَيْكَلًا شَبِيهَا بِهَيْكَلِ القُدسِ لِيَسْتَمِيلَ بِهِ اليَهُودُ ، وَمَوَّةٌ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ « طُورِ بَرِيكٍ » هُوَ المَوْضِعُ الَّذِي اخْتَارَهُ اللهُ تَعَالَى ، وَذَكَرَهُ فِي التَّوْرَةِ بِقَوْلِهِ فِيهَا « اجْعَلْ البَرَكَةَ على طُورِ بَرِيكٍ » . وَكَانَ سِنْبِلاطُ قد زَوَّجَ ابنتَهُ بِكاهِنٍ مِنْ كُهَّانِ بَيْتِ المَقْدِسِ يُقالُ لَهُ مِئْشَا ، فَمَقَّتِ اليَهُودُ مِئْشَا على ذلكَ ، وَأَبْعَدُوهُ وَحَطُّوهُ عَنْ مَرْتَبَتِهِ عُقُوبَةً لَهُ على مُصَاهَرَةِ سِنْبِلاطِ . فَأقامَ سِنْبِلاطُ مِئْشَا زَوْجَ ابنتِهِ كاهِنًا فِي هَيْكَلِ طُورِ بَرِيكٍ ، وَأَتَتْهُ طَوَائِفُ مِنَ اليَهُودِ وَضَلُّوا بِهِ ، وَصَارُوا يَحُجُّونَ إِلَى هَيْكَلِهِ فِي الأعيادِ ، وَيَقْرُبُونَ قَرابِينَهُمْ إِلَيْهِ ، وَيَحْمِلُونَ إِلَيْهِ نُذورَهُمْ وَأَعْشَارَهُمْ ، وَتَرَكَوا قُدسَ اللهِ وَعَدَلُوا عَنْهُ . فَكَثُرَتِ الأَمْوَالُ فِي هَذَا الهَيْكَلِ ، وَصَارَ ضِدُّ البَيْتِ المَقْدِسِ ، / وَاسْتَعْنَى كَهَنَتُهُ وَخُدَّامُهُ ، وَعَظَمَ أَمْرُ مِئْشَا ، وَكَبُرَتْ حالَتُهُ .

فَلَمْ تَزَلْ هَذِهِ الطَّائِفَةُ تَحُجُّ إِلَى « طُورِ بَرِيكٍ » حَتَّى كانَ زَمَنُ هُورْقَانُوسِ بنِ شَمْعُونِ الكُوهِنِ ، مِنْ بني حِثْمَتايَ ، فِي بَيْتِ المَقْدِسِ . فَسَارَ إِلَى بِلادِ الشَّجرةِ ، وَنَزَلَ على مَدِينَةِ نابلسَ ، وَحَصَرَها مُدَّةً وَأَخَذَها عَنوَةً ، وَخَرَّبَ هَيْكَلَ طُورِ بَرِيكٍ إِلَى أَساسِهِ - وَكانتْ مُدَّةُ عِمَارَتِهِ مائتي سَنَةٍ - وَقَتَلَ مَنْ كانَ هُنَاكَ مِنَ الكَهَنَةِ . فَلَمْ تَزَلِ الشَّجرةُ بَعْدَ ذَلِكَ إلى يَوْمِنَا هَذَا تَسْتَقْبِلُ فِي صَلَاتِهَا - حَيْثُما كانَتْ مِنَ الأَرْضِ - طُورِ بَرِيكٍ بِجَبَلِ نابلسَ ، وَلَهُمْ عِباداتٌ تُخالِفُ ما عَلَيْهِ اليَهُودُ ، وَلَهُمْ كَنائِسُ فِي كُلِّ بَلَدٍ تُحْصِيهِمْ .

وَالشَّجرةُ يُنْكِرُونَ نُبوَّةَ داوُدَ وَمَنْ تَلاهُ مِنَ الأنبياءِ ، وَأَبوا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - نَبِيًّا ، وَجَعَلُوا رُؤساءَهُمْ مِنْ وَلَدِ هارُونَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَأَكْثَرَهُمْ يَسْكُنُ فِي مَدِينَةِ نابلسَ ، وَهَمَّ كَثِيرٌ فِي مَدائِنِ الشَّامِ ، وَيُذَكِّرُ أَنَّهُمُ الَّذِينَ يَقولونَ : « لا مِساسَ » ^١ ، وَيَزْعُمونَ أَنَّ نابلسَ هِيَ بَيْتُ المَقْدِسِ ، وَهِيَ مَدِينَةُ يَعْقُوبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَهناكَ مَراعِيه ^٢ .

^١ وهو ما جاء في الآية ٩٧ سورة طه : « قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا ميساس وإن لك موعدا لن نخلفنك » .

^٢ المسعودي : مروج الذهب ١ : ٦٦ - ٦٧ . وأضاف من القرى إلى مدينة نابلس .

وذكر المسعودي أن السامرة صنفان متباينان: أحدهما يقال له «الكوشان»، والآخر «الروشان»، أحد الصنفين يقول بقدّم العالم^١.

والسامرة تزعم أن التوراة التي في أيدي اليهود ليست التوراة التي أوردتها موسى - عليه السلام - ويقولون توراة موسى حُرِّفَتْ وعُيِّرَتْ وبُدِّلَتْ، وإن التوراة هي ما بأيديهم دون غيرهم^٢.

وذكر أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني أن السامرة تُعرف باللامسائية. قال: وهم «الأبدال» الذين بدلهم بُحْت نصر بالشام حين أسر اليهود وأجلاها. وكانت السامرة أعانوه ودلوه على عورات بني إسرائيل، فلم يُحرِّكهم^٣ ولم يقتلهم ولم يشبههم، وأنزلهم فلسطين من تحت يده، ومذاهبهم مُتَزَجَّة من اليهودية والمجوسية. وعامتهم يكوئون بموضع من فلسطين يُسمى نابلس، وبها كنائسهم، ولا يدخلون حدَّ بيت المقدس منذ أيام داود النبي - عليه السلام - لأنهم يدعون أنه ظلم واعتدى، وحول الهيكل المقدس من نابلس إلى إيليا - وهو بيت المقدس - ولا يمشون الناس، وإذا مشوهم اغتسلوا، ولا يقرون بنبوّة من كان بعد موسى - عليه السلام - من أنبياء بني إسرائيل^٤.

وفي «شرح الإنجيل» أن اليهود انقسمت بعد أيام داود إلى سبع فرق^٤:

الكتاب - وكانوا يحافظون على العادات التي أجمع عليها المشايخ مما ليس في التوراة.

والمعتزلة - وهم «الفريسيون»، وكانوا يُظهرون الزهد، ويصومون يومين في الأسبوع، ويُخرجون العشر من أموالهم، ويجعلون خيوط القرمز في رؤوس ثيابهم، ويغسلون جميع أوانيهم، ويبالغون في إظهار النظافة.

(a) بولاق: يحربهم.

^٤ قارن كذلك مع ابن العبري: مختصر تاريخ الدول

٦٨-٦٩، وسمي فيه الفرق السبع: الرثانيون،

واللاويون، والمعتزلة، والزنادقة، والمغتسلون، والشاك،

والشعرة.

^١ المسعودي: مروج الذهب ١: ٦٧.

^٢ نفسه ١: ٦٨-٦٩.

^٣ البيروني: الآثار الباقية ٢١؛ وانظر كذلك Noja

Nosedá, S., *El*² art. *al-Sámira* VII, pp. 1080-82.

وَالزَّنَادِقَةُ - وَهَم مِّن جِنْسِ السَّامِرَةِ وَهَم مِّن « الصَّدُوقِيَّةِ » ، فَيَكْفُرُونَ بِالْمَلَائِكَةِ وَالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ وَبِجَمِيعِ الأنبياءِ ، مَا خِلا مُوسَى فَقَطْ فَإِنَّهُمْ يُقَرِّونَ بِبُيُوتِهِ .

وَالْمُتَطَهِّرُونَ - وَكَانُوا يَغْتَسِلُونَ كُلَّ يَوْمٍ ، وَيَقُولُونَ : لَا يَسْتَحِقُّ حَيَاةَ الأَبَدِ إِلاَّ مَن يَتَطَهَّرُ كُلَّ يَوْمٍ .

٥ وَالْأَسَائِيُونَ - وَمَعْنَاهُ : الغِلَاظُ الطُّبَاعُ ، وَكَانُوا يُوجِبُونَ جَمِيعَ الأوامِرِ الإلهيةِ ، وَيُنْكِرُونَ جَمِيعَ الأنبياءِ سِوَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَيَتَعَبَّدُونَ بِكُتُبِ غَيْرِ الأنبياءِ .

وَالْمُتَقَشِّفُونَ - وَكَانُوا يَمْنَعُونَ أَكْثَرَ المَآكِلِ وَخَاصَّةً اللَّحْمَ ، وَيَمْنَعُونَ مِنَ التَّرْجُوحِ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ ، وَيَقُولُونَ بِأَنَّ التَّورَةَ لَيْسَتْ كُلُّهَا لِمُوسَى ، وَيَتَمَسَّكُونَ بِصُحُفٍ مَنْسُوبَةٍ إِلى أَخْنُوخَ وَإِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَيَنْظُرُونَ فِي عِلْمِ النُّجُومِ وَيَعْمَلُونَ بِهَا .

١٠ وَالهِيرُذُوسِيُّونَ - سَمَّوْا أَنفُسَهُمْ بِذَلِكَ لِمُوالَاتِهِمْ هِيرُذُوسَ مَلِكِهِمْ ، وَكَانُوا يَتَّبِعُونَ التَّورَةَ وَيَعْمَلُونَ بِهَا فِيهَا . انتهى .

وَذَكَرَ يُوْسُفُ بْنُ كَرِيُونَ^١ فِي « تَارِيخِهِ » أَنَّ اليَهُودَ كَانُوا فِي زَمَنِ مَلِكِهِمْ هُورْقَانُوسَ - يَعْنِي فِي زَمَنِ بِنَاءِ البَيْتِ بَعْدَ عَوْدِهِمْ مِنَ الجَالِيَّةِ^(a) - ثَلَاثَ فِرْقٍ : الفَرُوشِيْمِ^(b) [pharisees] ، وَمَعْنَاهُ المُعْتَرِلَةُ ، وَمَذْهَبُهُمُ القَوْلُ بِمَا فِي التَّورَةِ وَمَا فَسَّرَهُ الحُكَمَاءُ مِنْ سَلْفِهِمْ . وَالصَّدُوقِيَّةِ [Sadducees]^(c) ،

(a) بولاق : الجلاية . (b) بن كريون : الفروسمر . (c) بولاق : الصدوقية ، بن كريون : الصدوقيون .

^١ يوسف بن كزريون اليهودي Joseph Ben Gorion (Josephus Gorionides) ، مؤلف يهودي يُرَجَّحُ أَنَّهُ عَاشَ فِي النِّصْفِ الأَوَّلِ لِلقَرْنِ العَاشِرِ المِيلَادِيِّ ، كَتَبَ كِتَابًا يُعْرَفُ بِـ *Sefer Yosippon* ، وَلَكِنْ عَنَوَانُهُ الأَصْلِيُّ كَانَ «تَارِيخُ وَحُرُوبِ اليَهُودِ» أَوْ «تَارِيخُ بَيْتِ المَقْدِسِ» . وَهُوَ تَارِيخٌ لِّليَهُودِ مِنْذُ زَمَنِ السَّبْئِيِّ البَابِلِيِّ (٥٣٩ قَبْلَ المِيلَادِ) إِلى سَقُوطِ دَوْلَةِ اليَهُودِ سَنَةَ سَبْعِينَ لِلْمِيلَادِ ، مَعَ رِوَايَاتٍ تَارِيخِيَّةٍ عَنِ بَابِلْيُونَ وَاليُونَانِ وَرُومَا وَبِلَادٍ أُخْرَى . وَهَذَا الكِتَابُ ائْتِصَارٌ لِتَارِيخِ يُوْسُفُوسَ

اليهودي الذي كتبه باللغة اليونانية . وقد تعرّف ابنُ حزم الأندلسي ، المتوفى سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م ، على ترجمة عربية لهذا الكتاب عملها يهودي من أهل اليمن ، يبدو أنّها نفس الترجمة التي اعتمدها المقرئ في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي . (The Jewish Encyclopedia VII, pp. 259-60) . وحقّق يوسف السلفون منتخبات من الترجمة العربية لمختصر تاريخ يوسُفوس التي كتبها يوسُف بن كزريون ، ونشرها في بيروت سنة ١٨٦٦ ، ١٨٧٢ .

أصحاب رَجُلٍ من العُلَمَاءِ يُقالُ له صَدُوقٌ^(a)، ومَذْهَبُهُمُ القَوْلُ بِنَصِّ التَّوْرَةِ وما دَلَّتْ عليه دون غيره . والحَسِيدِيم [Essenes]^(b)، ومعناه الصُّلَحَاءُ، وهم المُسْتَعْمِلُونَ بِالْعِبَادَةِ والنُّشْكِ، الآخِذُونَ فِي كُلِّ أَمْرٍ بِالْأَفْضَلِ وَالْأَسْلَمِ فِي الدِّينِ^١. انتهى . وهذه الفِرْقَةُ هي أَصْلُ فِرْقَتِي الرِّبَّانِيِّينَ والقُرَّاءِ .

فصل

زَعَمَ بَعْضُهُم أَنَّ اليَهُودَ عانائِيَّةَ وشَمْعُونِيَّةَ^(c) - نِسْبَةً إِلَى شَمْعُونَ الصِّدِّيقِ، وَالْيَاقِينِ^(d) القُدُّسِ عِنْدَ قُدُومِ الإسْكَندَرِ^(e) - وَجَالُوتِيَّةَ، وَقَيْومِيَّةَ، وَسَامِرِيَّةَ، وَعُكْبَرِيَّةَ، وَأَصْبَهَانِيَّةَ، وَعِراقِيَّةَ، وَمَغَارِبَةَ^(f)، وَشُرُشْتَانِيَّةَ، وَفِلَسْطِينِيَّةَ، وَمَالِكِيَّةَ، وَرَبَّانِيَّةَ .

فَالْعانائِيَّةُ^٢ تقولُ بِالتَّوْحِيدِ والعَدْلِ وَنَفْيِ التَّشْبِيهِ، وَأَشْمَعَثُ^(g) تُشَبِّهُهُ، وتُبَالِغُ الجَالُوتِيَّةُ فِي التَّشْبِيهِ . وَأَمَّا القَيْومِيَّةُ فَإِنَّهَا تُنْسَبُ إِلَى أَبِي سَعِيدِ القَيْومِيِّ، وَهَمُ يُفَسِّرُونَ التَّوْرَةَ عَلَى الحُرُوفِ المَقْطَعَةِ . وَالسَّامِرِيَّةُ يُنْكِرُونَ كَثِيرًا مِنْ شَرَائِعِهِمْ، وَلَا يُقَرِّونَ بِنُبُوَّةِ مَنْ جَاءَ بَعْدَ يُوْسَعٍ . وَالْعُكْبَرِيَّةُ، أَصْحَابُ أَبِي مُوسَى البَغْدَادِيِّ العُكْبَرِيِّ وإِسْمَاعِيلِ العُكْبَرِيِّ، يُخَالِفُونَ أَشْيَاءَ مِنَ السَّنَنِ وَتَفْسِيرِ التَّوْرَةِ .

وَالأَصْبَهَانِيَّةُ^٣ أَصْحَابُ أَبِي عِيسَى الأَصْبَهَانِيِّ، وَادَّعَى النُّبُوَّةَ، وَأَنَّهُ عَرَجٌ^(h) إِلَى السَّمَاءِ فَمَسَّحَ الرَّبُّ عَلَى رَأْسِهِ، وَأَنَّهُ رَأَى مُحَمَّدًا ﷺ / فَاثْمَنَ بِهِ . وَيَزْعُمُ يَهُودُ أَصْبَهَانَ أَنَّهُ الدَّجَالُ، وَأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ نَاجِيَّتِهِمْ .

(a) بولاق : صادوف . (b) بولاق : الجسدِيم . (c) وردت هذه الكلمة في سائر النسخ بعد كلمة الإسكندر . (d) بولاق : ولي . (e) بولاق : أبي الأسكندر . (f) الملل والنحل : مقاربة . (g) بولاق : الشمعونية . (h) بولاق : عرج به .

Edition Brepols 1990.

^٢ سَمَّاهُمُ الشَّهْرِسْتَانِيِّ : العِبانِيَّةُ بَدَلًا مِنَ العانائِيَّةِ وَنَسَبَهُمْ إِلَى عِبانَ (لَا عانان) بِنِ داودِ رَأْسِ الجالوتِ . (الملل والنحل ١: ١٩٦)، وانظر فيما تقدم ٩٥٥ .

^٣ سَمَّاهُمُ الشَّهْرِسْتَانِيِّ : العِيسَوِيَّةُ وَنَسَبَهُمْ إِلَى كُنْيَتِهِ : أَبِي عِيسَى . (الملل والنحل ١: ١٩٦) .

^١ Josephus with an english translation by Louis H. Feldman, London 1965, IX, pp. 9-21 يوسف بن كريون : منتخبات من تاريخ يوسفوس ، بيروت ١٨٧٢ ، ٩٣ - ٩٤ .

وراجع عن هذه الفِرْقِ الثَلَاثَةِ JE art. Pharisees IX, pp. 630-33; art. Essenes V, pp. 224-32. وانظر كذلك عن الحَسِيدِيمِ الَّذِينَ يَعادِلُونَ المُتَّصِفَةَ دراسة Robberechts, E., Les Hassidim,

والعِراقِيَّةُ تُخَالِفُ الحُرَّاسِيَّةَ فِي أَوْقَاتِ أَعْيَادِهِمْ ، وَمُدَدِ أَيَّامِهِمْ .

والشَّرِشْتَانِيَّةُ ، أَصْحَابُ شِرِشْتَانَ ، زَعَمَ أَنَّهُ ذَهَبَ مِنَ التَّوْرَةِ ثَمَانُونَ سُوقَةً - أَي آيَةً - وَادَّعَى أَنَّ لِلتَّوْرَةِ تَأْوِيلًا بَاطِنًا مُخَالِفًا لِلظَّاهِرِ .

وَأَمَّا يَهُودُ فَلِسْطِينَ فَرَعَمُوا أَنَّ العَزِيزَ ابْنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنكَرَ أَكْثَرَ اليَهُودِ هَذَا القَوْلَ .

والمالِكِيَّةُ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحْيِي يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ المَوْتِ إِلَّا مَنْ اِحتَجَّ عَلَيْهِ بِالرُّسُلِ وَالكُتُبِ .
ومالكٌ هذا هو تلميذ عانان .

والرَّبَّانِيَّةُ تَزْعُمُ أَنَّ الحَائِضَ إِذَا مَسَّتْ ثَوْبًا بَيْنَ ثِيَابِ ، وَجَبَ غُشْلُ جَمِيعِهَا .

والعِراقِيَّةُ تَعْمَلُ رُؤُوسَ الشُّهُورِ بِالْأَهْلَةِ ، وَآخَرُونَ يَعْمَلُونَ بِالْحِسَابِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فصل

١٠ وهم يُوجِبُونَ الإِيمَانَ بِاللَّهِ وَحَدَهُ ، وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِالتَّوْرَةِ ، وَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ دَرْسِهَا وَتَعَلُّمِهَا ، وَيَغْتَسِلُونَ وَيَتَوَضَّأُونَ ، وَلَا يَمْسَحُونَ رُؤُوسَهُمْ فِي وُضُوئِهِمْ ، وَيبدأون بِالرَّجُلِ اليُسْرَى ، وَفِي شَيْءٍ مِنْهُ خِلَافٌ بَيْنَهُمْ ، وَعانان يَرَى أَنَّ الاسْتِئْجَاءَ قَبْلَ الوُضُوءِ ، وَيَرَى أَشْمِعْتَ أَنَّ الاسْتِئْجَاءَ بَعْدَ الوُضُوءِ ، وَلَا يَتَوَضَّأُونَ بِمَا تَغْيِيرَ لَوْنِهِ أَوْ طَعْمَهُ أَوْ رِيحَهُ ، وَلَا يُجِيزُونَ الطَّهَارَةَ مِنْ غَدِيرٍ مَا لَمْ يَكُنْ عَشْرَةَ أَذْرُعٍ فِي مِثْلِهَا ، وَالتَّوْمُ قَاعِدًا لَا يَنْقُضُ الوُضُوءَ عِنْدَهُمْ مَا لَمْ يَضَعْ جَنْبَهُ الأَرْضَ ، إِلَّا العانانِيَّةُ فَإِنَّ مُطْلَقَ التَّوْمِ عِنْدَهُمْ يَنْقُضُ .

١٥ وَمَنْ أَحْدَثَ فِي صَلَاتِهِ مِنْ قِيءٍ أَوْ رُعَافٍ أَوْ رِيحٍ ، انصَرَفَ وَتَوَضَّأَ ، وَبَنَى عَلَى صَلَاتِهِ ، وَلَا تَجُوزُ صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ : قَمِيصٍ ، وَسراويلٍ ، وَمِلاءَةٍ يَتَرَدَّى بِهَا ، فَإِنْ لَمْ يَجِدِ المِلاءَةَ صَلَّى جالِسًا ، فَإِنْ لَمْ يَجِدِ القَمِيصَ وَالسراويلَ صَلَّى بِقَلْبِهِ ، وَلَا تَجُوزُ صَلَاةُ المَرْأَةِ فِي أَقَلِّ مِنْ أَرْبَعَةِ أَثْوَابٍ . وَعَلَيْهِمْ فَرِيضَةٌ ثَلَاثَ صَلَوَاتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ : عِنْدَ الصُّبْحِ ، وَبَعْدَ الزُّوَالِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ، وَوَقْتُ العَثْمَةِ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ ، وَيَسْجُدُونَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ سَجْدَةً طَوِيلَةً ، وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ وَأَيَّامِ الأَعْيَادِ يَزِيدُونَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ عَلَى تِلْكَ الثَّلَاثِ .

وَلَهُمْ خَمْسَةُ أَعْيَادٍ :

عِيدُ القَطِيرِ - وَهُوَ الحَامِيسَ عَشَرَ مِنْ نَيْسَانَ ، يُقِيمُونَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ لَا يَأْكُلُونَ سِوَى القَطِيرِ ، وَهِيَ الأَيَّامُ الَّتِي تَخَلَّصُوا فِيهَا مِنْ فِرْعَوْنَ وَأَغْرَقَهُ اللَّهُ .

وعيدُ الأسابيع - بعد الفطير بسبعة أسابيع ، وهو اليوم الذي كَلَّمَ اللهُ تعالى فيه بني إسرائيل من طور سيناء .

وعيدُ رأس الشهر - وهو أوَّلُ تَشْرِي ، وهو الذي فُدي فيه إسحاق - عليه السلام - من الذَّبْحِ ، ويُسمونه « عيد رأس هشايا » ، أي : رأس الشهر .

وعيدُ صومازيا - يعني الصَّوْمِ العَظِيمِ .

وعيدُ المِظْلَةِ - يَسْتَنْظِلُونَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ بِقُضْبَانِ الآسِ والخِلافِ^١ .

ويجب عليهم الحج في كل سنة ثلاث مرَّاتٍ لما كان الهيكلُ عامراً ، ويُوجِبُونَ صَوْمَ أربعة أَيَّامٍ : أوَّلُها سابع عشر تموز من الغروب إلى الغروب - وعند العانانية هو اليوم الذي أَخَذَ فيه بُحْتِ نَصْرِ البَيْتِ - والثاني عاشر آب ، والثالث عاشر كانون الأول ، والرابع ثالث عشر آذار .

ويَتَشَدَّدُونَ في أمرِ الحائض بحيث يَغْتَرِلُونَهَا وثيابها وأوانيتها ، وما مَسَّتْهُ من شيءٍ فإنه يُنَجِّسُ ويجب غُسله ، فإن مَسَّتْ لَحْمَ القُرْبَانِ أُحْرِقَ بالنَّارِ ، وَمَنْ مَسَّهَا أو شِئًا من ثيابها وَجَبَ عليه الغُسلُ ، وما عَجَنَتْهُ أو خَبَزَتْهُ أو طَبَخَتْهُ أو غَسَلَتْهُ فَكُلُّهُ نَجِسٌ حَرَامٌ على الطاهرين جِلٌّ للحيض .

وَمَنْ غَسَلَ مِيْتًا نُجِسَ سبعة أَيَّامٍ لا يُصَلِّي فيها ، وهم يُغَسِّلُونَ مَوْتَاهُمْ ، ولا يُصَلُّونَ عليهم . ويُوجِبُونَ إخراج العُشْرِ من جميع ما يملك ولا يجب حتى يَبْلُغَ وَزْنُهُ أو عَدَدُهُ مائة ، ولا يُخْرَجُ العُشْرُ إلا مرَّةً واحدةً ، ثم لا يُعادُ إخراجُه .

ولا يصحُّ النكاحُ عندهم إلا بوليٍّ وخطبةٍ وثلاثة شهود ، ومهر مائتي دِرْهَمٍ للبكر ومائة للثيب لا أقلَّ من ذلك . ويُحَضَّرُ عند عَقْدِ النكاحِ كأسٌ خَمْرٍ وبقاقة مَرَسِين ، فيأخذ الإمامُ الكأسَ ، ويُبارك عليه ، وَيَخْطُبُ خِطْبَةَ النكاحِ ، ثم يَدْفَعُهُ إلى الخَتَنِ ويقول : قد تزوجت فلانة بهذه الفضة أو بهذا الذهب - وهو خاتم في يده - وبهذا الكأس من الخمر وبمهر كذا ، ويشرب جرعةً من الخمر ، ثم يَنْهَضُونَ إلى المرأة ، ويأمرونها أن تأخذ الخاتم والمَرَسِينَ والكأس من يد الختن ، فإذا أَخَذَتْ وشربت جرعةً ، وَجَبَ عَقْدُ النكاحِ . ويضمن أولياء المرأة البكارة ، فإذا زُفَّت إليه ، وَكَلَّ

^١ السويدي : نهاية الأرب ١ : ١٩٥ - ١٩٧ ؛ قاسم : أهل الذمة في مصر العصور الوسطى ١٢٣ - ١٢٧ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٢ : ٤٣٦ - ٤٣٧ ؛ قاسم عبده وفيما تقدم ٩٤٥ .

الولي من يقف بباب الخلوّة - وقد فرشت ثياب بيض - حتى يشاهد الوكيل الدّم، فإن لم توجد بكراً رجعت .

ولا يجوز عندهم نكاح الإماء حتى يعتقن ، ثم يُنكحن .

والعبد يُعتق بعد خدمته لسنتين معلومة ، وهي ست سنين ، ومنهم من يجوز بيع صغار أولاده إذا احتاج .

ولا يجوزون الطلاق إلا بفاحشة أو سحر ، أو رجوع عن الدين ، وعلى من طلق خمسة وعشرون درهمًا للبكر ، ونصف ذلك للثيب ، وينزل في كتابها طلاقها بعد أن يقول الزوج : أنت طالق مني مائة مرة ومختلعة مني ، وفي سعة أن تزوجي من شئت .

ولا يقع طلاق الحامل أبدًا ، نعم إلا أن يجوزوه .

ويراجع الرجل امرأته ما لم تزوج ، فإن تزوجت حرمت عليه إلى الأبد .

والخيار بين المتبايعين ما لم يُنقل المبيع إلى البائع .

والحدود عندهم على خمسة أوجه : حرق ، ورجم ، وقتل ، وتعزير ، وتعريم . فالحرق على من زنى بأمرأته أو ربيبتها أو امرأة أبيه / أو امرأة ابنه ، والقتل على من قتل ، والرجم على المحصن إذا زنى أو لاط ، وعلى المرأة إذا مكنت من نفسها بهيمة ، والتعزير على من قذف ، والتعريم على من سرق ، ويرون أن البيئة على المدعي ، واليمين على من أنكر .

وعندهم أن من أتى بشيء من سبعة وثلاثين^a عملاً في يوم السبت أو ليلته ، استحققت القتل ، وهي : كزب الأرض ، وزرعها ، وحصاد الزرع ، وسياقة الماء إلى الزرع ، وحلب اللبن ، وكسر الحطب ، وإشعال النار ، وعجن العجين ، وخبزه ، وحياطة الثوب ، وغسله ، ونسج سلكين ، وكتابة حرفين أو نحوهما ، وأخذ الصيد ، وذبح الحيوان ، والخروج من القرية ، والانتقال من بيت إلى آخر ، والبيع ، والشراء ، والدق ، والطحن ، والاختطاب ، وقطع الخبز ، ودق اللحم ، وإصلاح الثعل إذا انقطعت ، وخلط علف الدابة ، ولا يجوز للكاتب أن يخرج يوم السبت من منزله ومعه قلمه ، ولا الخياط ومعه إبرته . وكل من عمل شيئاً استحق به القتل ، فلم يسلم نفسه ، فهو ملعون .

(a) كذا في سائر النسخ ، وضواحه سبعة وعشرين ليوافق التفصيل بعده .

ذَكَرَ قَبْطُ مِصْرَ وَرِيَانَا تَحْمُ الْقَدِيمَةَ وَكَيْفَ تَنْصَرُّوا ثُمَّ صَارُوا
زِمَّةً لِلْمُسْلِمِينَ ، وَمَا كَانَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْقِصَصِ وَالْأَنْبَاءِ وَذَكَرَ
الْحَبْرَ عَنْ كُنَائِسِهِمْ وَرِيَارَتِهِمْ وَكَيْفَ كَانَ ابْتِدَاءُهَا وَمَصِيرُ أُمَّرِهَا^١

اعلم أن جميع أهل الشرائع ، أتباع الأنبياء - عليهم السلام - من المسلمين واليهود والنصارى ،
قد أجمعوا على أن نوحاً - عليه السلام - هو الأب الثاني للبشر ، وأن العقب من آدم - عليه السلام
- انحصر فيه ، ومنه ذرأ الله تعالى جميع أولاد آدم ، فليس أحداً من بني آدم إلا وهو من أولاد
نوح .

وخالفت القبط والمجوس وأهل الهند والصين ذلك ، فأنكروا الطوفان ، وزعم بعضهم أن الطوفان
إنما حدث في إقليم بابل وما وراءه من البلاد الغربية فقط ، وأن أولاد كيموزت - الذي هو عندهم
الإنسان الأول^٢ - كانوا بالبلاد الشرقية من بابل ، فلم يصل الطوفان إليهم ولا إلى الهند والصين .
والحق ما عليه أهل الشرائع ، وأن نوحاً - عليه السلام - لما أنجاه الله ومن معه بالسفينة نزل بهم
- وهم ثمانون رجلاً سوى أولاده - فماتوا بعد ذلك ولم يعقبوا ، وصار العقب من نوح في أولاده
الثلاثة ، ويؤيد هذا قول الله تعالى عن نوح : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ [الآية ٧٧ سورة
الصافات] ^٣ .

بولاق ، مينا إشكندر الحامي في القاهرة سنة ١٨٩٨ على نفقة
جمعية التوفيق القبطية بعنوان : «القول الإبريزي للعلامة المقريري» ؛
ثم نشره مؤخرًا عبد المجيد دياب بعنوان : «تاريخ الأقباط المعروف
بالقول الإبريزي للعلامة المقريري» ، القاهرة - دار الفضيلة ١٩٩٨
اعتمادًا على نشرة مينا إشكندر ومقابلًا بنسخة الخط المحفوظة في
مكتبة طلعت بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٧٩ جغرافيا .

^٢ المسعودي : مروج الذهب ١ : ٢٦٠ - ٢٦٢ ، ٢٧٩ .

^٣ نفسه ١ : ٤٤ .

^١ نشر هذا الفصل مع ترجمة ألمانية المستشرق الألماني
فرديناند وستنفلد بعنوان Wustenfled, F., *Macrizi's*
Geschichte der Capten, Gottingen 1847
[réédition par Hildesheim, New York: Olms
Gotha 1979] اعتمادًا على نسختي مكتبة غوطا
بألمانيا ومكتبة فيينا Wien بالنمسا ، وذلك قبل صدور طبعة
بولاق . ونقله إلى الإنجليزية مالان بعنوان Malan, S.C., *A*
Short History of the Coptes and their Church
Transleted from the Arabic of Taqi-ed- Dîn el-
Maqrizi, London 1873 . كما نشره ، نقلًا عن طبعة

وكان من خبر ذلك أن أولاد نوح الثلاثة - وهم : سام ، وحام ، ويافث - اقتسموا الأرض .
فصار لبني سام بن نوح أرض العراق وفارس إلى الهند ، ثم إلى حضرموت وعمان والبحرين
وعالج ويرين ووبار والدو والدهناء ، وجميع أرض اليمن وأرض الحجاز . وصار لبني حام بن نوح
جنوب الأرض مما يلي أرض مصر ، مغرباً إلى بلاد المغرب الأقصى . وصار لبني يافث بن نوح
بحر الخزر ، مشرقاً إلى الصين .

فكان من ذرية سام بن نوح : القضاعيون ، والفرس ، والسريانيون ، والعبرانيون ، والعرب
المستغربة ، والنبط ، وعاد وثمود ، والآمورانيون ، والعماليق ، وأمم الهند وأهل السند ، وعدة أمم قد
بادت .

وكانت ذرية حام بن نوح من أربعة أولاده الذين هم : كوش ومضرايم وفوط^a وكتعان . فمن
كوش الحبشة والزنج ، ومن مضرايم قبط مصر والثوبة ، ومن فوط^a الأفرقة أهل إفريقية ومن
جاورهم إلى المغرب الأقصى ، ومن كتعان أمم كانت بالشام حاربتهم موسى بن عمران - عليه
السلام - وقومه من بني إسرائيل ، ومنهم أجناس عديدة من البربر درجوا .

وكانت مساكن بني حام من صيدا إلى أرض مصر ، ثم إلى آخر إفريقية نحو البحر المحيط ،
وانتشروا فيما بين ذلك إلى الجنوب ، وهم ثلاثون جنساً .

وكان من ذرية يافث بن نوح : الصقلب ، والفرنجية ، والغاليون من قبائل الروم ، والقوط^b ،
وأهل الصين ، وقوم عرفوا بالمادنيين ، واليونانيون ، والروم الفريقيون ، وقبائل الأتراك ، ويأجوج
ومأجوج ، وأهل قبزس وزودس . وعدة بني يافث خمسة عشر جنساً ، سكنوا القطر الشمالي إلى
البحر المحيط ، فضاقت بهم بلادهم ، ولم تسعهم لكثرتهم فخرجوا منها ، وتغلّبوا على كثير من
بلاد بني سام بن نوح .

وذكر الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه الكاتب : أن القبط تُنسب إلى قبطيم بن مضرايم ابن
مضر بن حام بن نوح ، وأن قبطيم أول من عمل العجايب بمصر وأثار بها المعادن وشق
الأنهار ، لما ولي أرض مصر بعد أبيه مضرايم ، وأنه لحق بلبلة الألسن وخرج منها وهو يعرف
اللغة القبطية ، وأنه ملك مدة ثمانين سنة ومات ، فاعتّم لموته بنوه وأهله ، ودقنوه في الجانب

(a) بولاق : قبط . (b) بولاق : الغوط .

الشُّرقي من النيل بسُرْبٍ تحت الجبل الكبير، فقام من بعده في ملك مصر ابنه قِطِيم ابن قِطِيم^١.

وزعم بعض النسابية أن مصر بن حام بن نوح - ويقال له مضرايم، ويقال بل مضريم بن هزمس ابن هرذوس جد الإسكندر، وقيل بل قِط بن حام بن نوح - نكح بنت تباويل بن ترس ابن يافث بن نوح. فولدت له بوقير وقبط أبا قِبط مصر. قال ابن إسحاق: ومن هاهنا قالوا إن مصر ابن حام بن نوح، وإنما هو مصر بن هزمس بن هرذوس بن ميطون بن رومي بن ليطي بن يونان، وبه سُميت مصر، فهي مقدونية. وقيل القبط من ولد قِبط بن مصر بن قِط بن حام بن نوح، وبمصر هذا سُميت مصر^٢.

ذِكْرُ دِيَانَةِ الْقِبْطِ قَبْلَ تَنْصُرِهِمْ

اعلم أن قِط مصر كانوا في غابر الدهر أهل شرك بالله يعبدون الكواكب، ويُقرَّبون لها قرايبتهم، ويُقيمون على أسمائها التماثيل كما هي أفعال الصابئة. وذكر ابن وصيف شاه، أن عبادة الأصنام أول ما عرفت بمصر، أيام قِطِيم بن قِطِيم ابن مضرايم بن بيصر بن حام بن نوح، وذلك أن إبليس أثار الأصنام التي غرقها الطوفان، وزين للقِبط عبادتها، وأن البوذسير بن قِطِيم أول من تكهن وعمل بالسحر، وأن مناوش ابن منقاوش أول من عبد البقر من أهل مصر^٣.

وذكر الموفق أحمد بن أبي القاسم بن خليفة - المعروف بابن أبي أصيبعة - أنه كان للقِبط مذهب مشهور من مذاهب الصابئة ولهم هياكل على أسماء الكواكب يحج إليها الناس من أقطار الأرض، وكانت الحكماء والفلاسفة ممن سواهم تتهاقت عليهم، وتريد التقرب إليهم لما كان عندهم من علوم السحر والطلسمات والهندسة والنجوم والطب والحساب والكيمياء، ولهم في ذلك أخبار كثيرة، وكانت لهم لغة يختصون بها، وكانت خطوطهم

^١ النويري: نهاية الأرب ١٥: ٤٦؛ وفيما تقدم ١: ٤٦-٤٧.

^٢ النويري: نهاية الأرب ١٥: ٤٦-٤٧، ٤٩، ٦٧.

^٣ الهمداني: الإكليل ١: ٦٣، ٦٤-٦٥؛ وفيما تقدم

ثلاثة أصناف: خَطُّ العَامَّةِ، وخَطُّ الخَاصَّةِ - وهو خَطُّ الكَهَنَةِ المَخْتَصِرِ - وخَطُّ المُلُوكِ ^١. وقال ابنُ وَصِيف شاه: كانت كَهَنَةُ مصر أعظَم الكُهَّانِ قَدْرًا، وأجلُّها عِلْمًا بالكِهانة، وكانت حُكَمَاءَ اليونانيين تصِفُهُم بذلك، وتَشْهَدُ لَهُم به، فيقولون: اختَبَرْنَا حُكَمَاءَ مصر بكذا وكذا، وكاثُوا يَنْحُون بكهانتِهِم نحو الكواكب، وَيَزْعُمُونَ أَنَّها هي التي تُفِيضُ عَلَيْهِم العُلُومَ وتُخْبِرُهُم بِالغُيُوبِ، وهي التي تُعَلِّمُهُم أسرارَ الطُّوالِغِ وصِفَةَ الطُّلَاسِمِ، وتَدُلُّهُم على العُلُومِ المَكْتُومَةِ والأَسْمَاءِ الجَلِيلَةِ المَخزُونَةِ. فَعَمِلُوا الطُّلُسماتِ المشهورة، والنُّواميسِ الجَلِيلَةِ، وولَدُوا الأشكالَ النَّاطِقَةَ، وصَوَّرُوا الصُّورَ المُتَحَرِّكَةَ، وبنوا العالِي من الثِّنيانِ، وزَبَرُوا عُلُومَهُم في الحِجَارَةِ ^(a)، وَعَمِلُوا من الطُّلُسماتِ ما دَفَعُوا به الأعداءَ عن بلادِهِم، فِحَكْمُهُم باهْرَةً، وَعَجَائِبُهُم ظاهِرَةً ^٢.

١٠ وكانت أرضُ مصر خَمْسًا وثمانين كُورَةً، منها: أسفلُ الأرضِ خمسَ وأزْبَعونَ كُورَةً، ومنها بالصَّعيدِ أزْبَعونَ كُورَةً، وكان في كُلِّ كُورَةٍ رَئِيسٌ من الكَهَنَةِ وهم السَّحْرَةَ. وكان الذي يَتَعَبَّدُ مِنْهُم للكواكبِ السَّبْعَةِ السَّيَّارَةِ سَبْعَ سِنينَ يُسَمُّونَهُ «باهر» ، والذي يَتَعَبَّدُ مِنْهُم لها تِسْعًا وأربعينَ سنةً - لِكُلِّ كَوَكَبٍ سَبْعَ سِنينَ - يُسَمُّونَهُ «قاطر» ، وهذا يقوم له المَلِكُ إجلالًا ، ويُجْلِسُهُ معه إلى جانبِهِ ، ولا يَتَصَرَّفُ إلا برأْيِهِ ، وتَدْخُلُ الكَهَنَةُ وَمَعَهُم أَصْحَابُ الصَّنَائِعِ فيَقْفُونَ حِذاءَ القاطِرِ ^٣.

١٥ وكان كُلُّ كاهِنٍ مِنْهُم يَنْفَرِدُ بِخِدمَةِ كَوَكَبٍ من الكواكبِ السَّبْعَةِ السَّيَّارَةِ لا يَتَعَدَّاهُ إلى سِوَاهِ ، وَيُدْعَى بِعَبْدِ ذَلِكَ الكَوَكَبِ ، فيقالُ: عَبْدُ القَمَرِ ، عَبْدُ عَطارِدِ ، عَبْدُ الزُّهْرَةِ ، عَبْدُ الشَّمْسِ ، عَبْدُ المَرِيخِ ، عَبْدُ المُشْتَرِيِّ ، عَبْدُ زُحَلِ . فإذا وَقَفُوا جَمِيعًا قال «القاطرُ» لأَحَدِهِم: أين صَاحِبُكَ اليَوْمَ؟ فيقولُ: في بُرْجِ كذا، ودَرْجَةِ كذا، ودَقِيقَةِ كذا. ثم يَقُولُ لِلآخَرِ كَذَلِكَ ، فيجيبُهُ ، حتى يَأْتِي على جَمِيعِهِم ، وَيَعْرِفُ أَمَاكِنَ الكواكبِ من فَلَكَ البُرُوجِ . ثم يَقُولُ لِلْمَلِكِ: يَتَّبِعُنِي أن تَعْمَلَ اليَوْمَ كذا ، أو تَأْكُلَ كذا ، أو تُجَامِعَ في وَقْتِ كذا ، أو تَزُكِبَ وَقْتِ كذا ، إلى آخِرِ

(a) عند النويري: في الصُّلبِ من الصُّوانِ .

^٢ النويري: نهاية الأرب ١٥: ٤٠.

^٣ نفسه ١٥: ٤٠.

^١ قارن ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ١: ٣٨؛ وهو ما أطلق عليه علماء المصريات: الخطَّ الديموطيقي والخطَّ الهيراطيقي والخطَّ الهيروغليفي .

ما يحتاج إليه ، والكاتب قائم بين يديه يكتب ما يقول ، ثم يلتفت « القاطر » إلى أهل الصناعات ويخرجهم إلى دار الحكمة ، فيضعون أيديهم في الأعمال التي يصلح عملها في ذلك اليوم ، ثم يؤرخ ما جرى في ذلك اليوم في صحيفة ، وتُخزن في خزائن الملك ^١ .

وكان الملك إذا همم أمر ، جمع الكهان خارج مدينة منف - وقد اضطف الناس لهم بشوارع المدينة - ثم يدخل الكهان ركبانا على قدر مراتبهم والطبل بين أيديهم ، وما منهم إلا من أظهر أعجوبة قد عملها : فمنهم من يعلو وجهه نور كهيئة نور الشمس لا يقدر أحد على النظر إليه ، ومنهم من على بدنه جواهر مختلفة الألوان قد نسجت على ثوب ، ومنهم من يتوشح بحيات عظيمة ، ومنهم من يعقد فوقه قبة من نور ، إلى غير ذلك من بديع أعمالهم . ويصيرون كذلك إلى حضرة الملك ، فيخبرهم بما نزل به ، فيجبلون رأيهم فيه حتى يتفقوا على ما يصرفونه به ^٢ . وهذا - أعزك الله - من خبرهم لما كان الملك فيهم . فلما استولت العماليق على ملك مصر ، وملكتها الفراعنة ، ثم تداولتها من بعدهم أجناس آخر ، تناقصت علوم القبط شيئا بعد شيء إلى أن تنصروا ، فعادروا عوايد أهل الشرك ، واتبعوا ما أمروا به من دين النصرانية ، كما ستقف عليه تلوهذا إن شاء الله تعالى .

ذكر دخول قبط مصر في دين النصرانية ^٣

اعلم أن النصاري ، أتباع عيسى نبي الله ابن مريم - عليه السلام - سُموا نصاري لأنهم ينتسبون إلى قرية الناصرة من / جبل الجليل - بالجيم - ويُعرف هذا الجبل بجبل كنعان ، وهو الآن في زمينا من جملة معاملة صفد ^٤ .

^١ Aegypto Arabice, Solisbaci 1828.

^٢ النويري : نهاية الأرب ١٥ : ٤١ .

^٣ المسعودي : مروج الذهب ١ : ٧٠ - ٧١ ؛ القلقشندي :

نفسه ١٥ : ٤١ .

صبح الأعشى ١٣ : ٢٧١ ، الذي أضاف إلى التفسير الذي أورده

^٤ من هنا وحتى صفحة فيما يلي ، وكذلك خبر كنيسة

المقريري ، أنها أخذت من قول المسيح - عليه السلام - للخواريين :

الزهري فيما يلي ، نشرة هنريكو جوزيف ويتزر مع ترجمة

﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ وقول الخواريين : ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾

لاتينية سنة ١٨٢٨م بعنوان : Wetzer, H.J., Taki-eddini

[الآية ٥٢ سورة آل عمران ، والآية ١٤ سورة الصف] .

Makriri Historia Coptorum Christianorum in

وَالْأَصْلُ فِي تَسْمِيَّتِهِمْ «نَصَارَى» أَنَّ عَيْسَى بْنَ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَمَّا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مَرْيَمُ ابْنَةَ عِمْرَانَ بَيْتِ لَحْمٍ، خَارِجَ مَدِينَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، ثُمَّ سَارَتْ بِهِ إِلَى أَرْضِ مِصْرَ وَسَكَنْتُهَا زَمَانًا، ثُمَّ عَادَتْ بِهِ إِلَى أَرْضِ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمِهَا، نَزَلَتْ قَرْيَةَ النَّاصِرَةِ. فَتَشَأَ عَيْسَى بِهَا، وَقِيلَ لَهُ يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ^١.

فَلَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِ مَا سَتَرَاهُ إِلَى أَنْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، تَفَرَّقَ الْخَوَارِثِيُّونَ - وَهُمْ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ - فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى دِينِهِ، فَتَسَبَّحُوا إِلَى مَا نُسِبَ إِلَيْهِ نَبِيُّهُمْ عَيْسَى بْنَ مَرْيَمَ، وَقِيلَ لَهُمْ «النَّاصِرِيَّةُ»، ثُمَّ تَلَاعَبَ الْعَرَبُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ وَقَالُوا: «نَصَارَى»^٢.

قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ: وَنَصْرِيٌّ وَنُصْرِيٌّ^٣ وَنَاصِرَةٌ وَنُصُورِيَّةٌ: قَرْيَةٌ بِالسَّامِ، وَالنَّصَارَى مَنْشُوبُونَ إِلَيْهَا. هَذَا قَوْلُ أَهْلِ اللُّغَةِ، وَهُوَ ضَعِيفٌ إِلَّا أَنْ نَادَرَ النَّسَبَ يَسَعُهُ^٤. وَأَمَّا سَبَبُ تَسْمِيَّتِهِ فَقَالَ: أَمَّا النَّصَارَى فَذَهَبَ الْخَلِيلُ إِلَى أَنَّهُ جَمْعُ نَصْرِيٍّ وَنُصْرَانٍ، كَمَا قَالُوا: نَذْمَانُ وَنَدَامَى، وَلَكِنْهُمْ حَذَفُوا إِحْدَى الْيَاءَيْنِ كَمَا حَذَفُوا مِنْ أَثْفِيَّةٍ، وَأَبْدَلُوا مَكَانَهَا أَلْفًا. قَالَ: وَأَمَّا الَّذِي تُوجِّهُهُ نَحْنُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ جَاءَ عَلَى نُصْرَانٍ، لِأَنَّهُ قَدْ تَكَلَّمَ بِهِ، فَكَأَنَّكَ جَمَعْتَ وَقُلْتَ نَصَارَى كَمَا قُلْتَ نَدَامَى، فَهَذَا أَقْبَسُ، وَالْأَوَّلُ مَذْهَبٌ، وَإِنَّمَا كَانَ أَقْبَسَ لِأَنَّا لَمْ نَسْمَعْهُمْ قَالُوا نَصْرِيٌّ.

وَالنَّصْرُ: الدُّخُولُ فِي دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَنُصْرُهُ: جَعَلَهُ كَذَلِكَ. وَالنَّصْرُ: الْأَقْلَفُ، وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ النَّصَارَى قُلْفٌ^٥.

وَفِي «شَرْحِ الْإِنْجِيلِ» أَنَّ مَعْنَى قَرْيَةِ نَاصِرَةَ: الْجَدِيدَةَ، وَالنَّصْرَانِيَّةُ: التَّجَدُّدُ، وَالنَّصْرَانِيُّ: الْمَجْدُّدُ. وَقِيلَ نُسِبُوا إِلَى نُصْرَانَ، وَهُوَ مِنْ أَثْنِيَّةِ الْمَبَالِغَةِ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ هَذَا الدِّينَ فِي غَيْرِ عِصَابَةِ صَاحِبِهِ، فَهُوَ دِينٌ مِنْ يَنْصُرُهُ مِنْ أَتْبَاعِهِ.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: بسنيعة.

^١ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٩١، ونشرة Breydy ٤٨؛ ساويرس بن المقفع: كتاب الجامع ١٤٠. أنفسهم فقط. (السمعاني: الأنساب ٥٣٠ ظ). وراجع مناقشة تاريخ استخدام هذه الكلمة في المصادر العربية المختلفة في مقال Fiey, J.M., *El² art. Nasârâ VII*, pp. 970-74.

^٢ ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم ٨: ١٩٩-٢٠٠.

^٣ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٩١، ونشرة Breydy ٤٨؛ ساويرس بن المقفع: كتاب الجامع ١٤٠.

^٤ وَرَدَّتْ كَلِمَةُ «نَصَارَى» خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي تَسْتَعْمَلُهَا الْمَصَادِرُ الْعَرَبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِتَعْرِيفِ أَتْبَاعِ الدِّيَانَةِ الْمَسِيحِيَّةِ. أَمَّا كَلِمَةُ «مَسِيحِي» ج. مَسِيحِيُونَ فَلَمْ تَطْهَرْ إِلَّا ابْتِدَاءً مِنَ الْقَرْنِ

وإذا تقررَ هذا ، فاعلم أن المسيح - رُوح الله وكلمته ألقاها إلى مريم - هو « عيسى »^١ . وأصلُ اسمه بالعبرانية - التي هي لغة أمه وأبائها - إنما هو « ياشوع » ، وسَمَّته النَّصَارَى « يسوع » ، وسَمَّاهُ اللهُ تعالى - وهو أَصْدَقُ القائلين - « عيسى » ومعنى يسوع في اللغة السريانية : المخلص ، قاله في « شرح الإنجيل » .
ونعته بالمسيح ، وهو الصديق ، وقيل لأنه كان لا يمسح بيده صاحب عاهة إلا برأ ، وقيل : لأنه كان يمسح رؤوس اليتامى ، وقيل لأنه خرج من بطن أمه تمسوحاً بالدهن ، وقيل لأن جبريل - عليه السلام - مسحه بجناحه عند ولادته صوتاً له من مس الشيطان .

وقيل المسيح اسم مشتق من المسح ، أي الدهن ؛ لأن رُوح القدس قام بجسد عيسى مقام الدهن الذي كان عند بني إسرائيل يمسح به الملك ويمسح به الكهنة ، وقيل لأنه مسح بالبركة ، وقيل لأنه أَمْسَحَ الرَّجُلَيْنِ لَيْسَ لِرَجْلَيْهِ أَحْمَصُ ، وقيل لأنه يمسح الأرض بسياحته لا يستوطن مكاناً ، وقيل هي كلمة عبرانية أصلها « ماسيح » ، فتلاعبت بها العرب وقالت : « مسيح »^٢ .

وكان من خبره - عليه السلام - أن مريم ابنة عمران ، بينا هي في مخرابها ، إذ بشرها الله تعالى بعيسى ، فخرجت من بيت المقدس وقد اغتسلت من المحيض ، فتتمثل لها الملك بشراً في صورة يوسف بن يعقوب النجار - أحد خدام القدس - فتفتح في جيبها ، فسرت النفخة إلى جوفها ، فحملت بعيسى كما تحمل النساء بغير ذكر ، بل حلت نفخة الملك منها محل اللقاح ، ثم وضعت بعد تسعة أشهر - وقيل بل وضعت في يوم حملها - بقريّة بيت لحم من عمل مدينة القدس ، في يوم الأربعاء خامس عشرين كانون الأول ، وتاسع عشرين كيهك ، سنة تسع عشرة وثلاث مائة للإسكندر^٣ .

فقدمت رسل ملك فارس في طلبه ، ومعهم هديّة له فيها ذهب ومز ولبان ، فتطلبته^٤ هيردوس - ملك اليهود بالقدس - ليقّته وقد أنذر به . فسارت أمه مريم به ، وعمره سنتان ، على جمار

(a) بولاق : فطلبه .

^١ عيسى بن مريم ، هو الاسم الذي استخذه القرآن الكريم للحديث عن يسوع المسيح ، وقد ورد في خمس عشرة سورة وخصص له فيها ثلاث وتسعون آية ، هي أساس المفهوم الإسلامي للمسيحية . (راجع Anawati G.C., El² art. 'Isa' IV, pp. 85-90 وما ذكر من

^٢ السمعاني : الأنساب ٥٣٠ ظ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ١٣ : ٢٨١ .

^٣ سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ٨٩ ، ونشرة Breydy ٤٦ .

ومعها يُوسُفُ النَّجَّارُ، حَتَّى قَدِمُوا إِلَى أَرْضِ مِصْرَ، فَسَكَنُوا مُدَّةَ أَرْبَعِ سِنِينَ، ثُمَّ عَادُوا وَعُمَّرَ عِيسَى سِتَّ سِنِينَ، فَتَزَلَّتْ بِهِ مَرْيَمُ قَرْيَةَ النَّاصِرَةِ مِنْ جَبَلِ الْجَلِيلِ فَاسْتَوَطَّنَتْهَا.

فَنَشَأَ بِهَا عِيسَى حَتَّى بَلَغَ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَسَارَ هُوَ وَابْنُ خَالَتِهِ يَحْيَى بْنُ زَكْرِيَّا - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - إِلَى نَهْرِ الْأُرْدُنِّ، فَاعْتَسَلَ عِيسَى فِيهِ، فَحَلَّتْ عَلَيْهِ النَّبُوءَةُ^١. فَمَضَى إِلَى الْبَرِّيَّةِ، وَأَقَامَ بِهَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا لَا يَتَنَاوَلُ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ بِأَنْ يَدْعُوَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَطَافَ الْقُرَى، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَأَبْرَأَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَأَحْيَا الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ، وَبَكَتِ الْيَهُودَ، وَأَمَرَهُمْ بِالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالتَّوْبَةِ مِنَ الْمَعَاصِي^٢.

فَأَمَنَ بِهِ الْحَوَارِيُّونَ - وَكَانُوا قَوْمًا صَيَّادِينَ - وَقِيلَ قَصَّارِينَ، وَقِيلَ مَلَّاحِينَ - وَعَدَّدَهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا^٣ وَصَدَّقُوا بِالْإِنْجِيلِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَكَذَّبَهُ عَامَّةُ الْيَهُودِ وَضَلَّلُوهُ، وَاتَّهَمُوهُ بِمَا هُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ. فَكَانَتْ لَهُ وَلَهُمْ عِدَّةٌ مُنَاطِرَاتٍ آلَتْ بِهِمْ إِلَى أَنْ اتَّفَقَ أَحْبَابُهُمْ عَلَى قَتْلِهِ، وَطَرَقُوهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَقِيلَ إِنَّهُ رُفِعَ عِنْدَ ذَلِكَ، وَقِيلَ بَلْ أَخَذُوهُ وَأَتَوْا بِهِ إِلَى بِلَاطُسِ الْبَنْطِي [Pilatus]^(a) - شِخْنَةَ الْقُدْسِ مِنْ قِبَلِ الْمَلِكِ طِيْبَارِيُوسِ قَيْصَرَ [Tiberius] - وَرَاوَدُوهُ عَلَى قَتْلِهِ وَهُوَ يَدْفَعُهُمْ عَنْهُ، حَتَّى غَلَبُوهُ عَلَى رَأْيِهِ بِأَنْ دِينَهِمْ اقْتَضَى قَتْلَهُ، فَأَمَكَنَهُمْ مِنْهُ^٤.

وَعِنْدَمَا أَدْنَوْهُ مِنَ الْخَشَبَةِ لِيُصَلِّبُوهُ، رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ - وَذَلِكَ فِي السَّاعَةِ السَّادِسَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ خَامِسَ عَشَرَ شَهْرِ نَيْسَانَ، وَتَاسِعَ عَشْرِينَ شَهْرِ بَرْمَهَاتَ، وَخَامِسَ عَشَرَ شَهْرِ آذَارَ^٥، وَسَابِعَ عَشَرَ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ - وَهُوَ مِنْ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ. فَصَلَّبُوا الَّذِي شُبِّهَ لَهُمْ، وَصَلَّبُوا مَعَهُ لِيُصَيَّنَ، وَسَمَّرُوهُمْ بِمَسَامِيرِ الْحَدِيدِ، وَأَقْتَسَمَ الْجُنْدُ ثِيَابَ الْمَصْلُوبِ. فَغَشِيَتِ الْأَرْضَ ظُلْمَةٌ دَامَتْ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ حَتَّى صَارَ النَّهَارُ شِبْهَ اللَّيْلِ، وَرُئِيَتْ

(a) بولاق: البطني.

^١ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٩١، ونشرة Breydy ٤٨.

^٢ ساويرس بن المقفع: كتاب الجامع ١٤٠-١٤١.

^٣ وهم: سمعان الذي يُقال له بطرس، وأندراوس

أخوه، ويغقوب بن زبدي، ويوحنا أخوه، وفيلبس، وبزوثولماوس، وثوما، ومثى العشار، ويغقوب بن حلفاء،
^٤ ساويرس بن المقفع: كتاب الجامع ١٦٣؛ سعيد ابن
البطريق: التاريخ المجموع ١: ٩١، ٩٢، ونشرة Breydy ٤٨.
^٥ ورَدَ التاريخُ عند سعيد بن البطريق: الجمعة ثلاثة وعشرين من آذار، وسبع وعشرين يوماً من برمهات.

النُّجُومُ، وكان مع ذلك هَزَّةٌ وزَلْزَلَةٌ^١.

ثم أُنْزِلَ المَصْلُوبُ عن الخَشَبَةِ بُكْرَةً يوم السبت، ودُفِنَ تَحْتَ صَخْرَةٍ فِي قَبْرِ جَدِيدٍ، وَوُكِّلَ بِالقَبْرِ من يَحْرُسُهُ لئلا يَأْخُذَ المَقْبُورَ أَصْحَابُهُ. فزَعَمَ النَّصَارِيُّ أَنَّ المَقْبُورَ قَامَ من قَبْرِهِ لَيْلَةَ الأَحَدِ سَحَرًا، وَدَخَلَ عَشِيَّةَ ذَلِكَ اليَوْمِ على الحَوَارِيِّينَ وَحَادَثَهُمْ وَوَصَّاهُمْ، ثم بعد الأربعين يَوْمًا من قِيَامِهِ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ والحَوَارِيُّونَ يُشَاهِدُونَهُ، فَاجْتَمَعُوا بعد رَفْعِهِ بِعَشْرَةِ أَيَّامٍ فِي عِلْيَةِ صَيُّونَ - الَّتِي يُقَالُ لَهَا اليَوْمِ صَهْيُونَ - خَارِجَ القُدْسِ، وَظَهَرَتْ لَهُمْ خَوَارِقُ، فَتَكَلَّمُوا بِجَمِيعِ الأَلْسُنِ، فَأَمَّنَ بِهِمْ فِيمَا يُذَكَّرُ زِيَادَةً على ثَلَاثَةِ آلافِ إنْسَانٍ، فَأَخَذَهُمُ اليَهُودُ وَحَبَسُوهُمْ، فَظَهَرَتْ كَرَامَتُهُمْ، وَفَتَحَ اللهُ لَهُمَ بَابَ السُّجُنِ لَيْلًا، فَخَرَجُوا إِلَى الهَيْكَلِ، وَطَفِقُوا يَدْعُونَ النَّاسَ، فَهَمَّ اليَهُودُ بِقَتْلِهِمْ وَقَدْ آمَنَ بِهِمْ نَحْوُ الخَمْسَةِ آلافِ إنْسَانٍ، فَلَمْ يَتِمَّ كُنُوفُ قَتْلِهِمْ. فَتَفَرَّقَ الحَوَارِيُّونَ فِي أَقْطَارِ الأَرْضِ يَدْعُونَ إِلَى دِينِ المَسِيحِ^٢.

فَسَارَ بُطْرُسُ [Petrus]، رَأْسَ الحَوَارِيِّينَ، وَمَعَهُ شَمْعُونُ الصِّفَا إِلَى أنطاكية وَرُومِيَّةَ، فَاسْتَجَابَ لَهُمْ بَشَرًا كَثِيرًا، وَقُتِلَ فِي خَامِسِ أَيَّامٍ وَهُوَ «عِيدُ القَصْرِيةِ».

وَسَارَ أَنْدْرَاوَسُ أَخُوهُ إِلَى نِيْقِيَّةَ وَمَا حَوْلَهَا، فَأَمَّنَ بِهِ كَثِيرًا، وَمَاتَ فِي بَرْنَطِيَّةَ فِي رَابِعِ كِيْفِهِكِ. وَسَارَ يَعْقُوبُ بنَ زَبْدِي^(a)، أَخُو يُوْحَنَّا الإنْجِيلِيِّ، إِلَى بَلَدِ أبْدِينِيَّةَ، فَتَبِعَهُ جَمَاعَةٌ، وَقُتِلَ فِي سَابِعِ عَشْرِ بَرْمُودَةَ.

وَسَارَ يُوْحَنَّا الإنْجِيلِيُّ إِلَى آسِيَا وَأَفُسُسَ، وَكَتَبَ إنْجِيلَهُ بِاليُونَانِيَّةِ، بَعْدَمَا كَتَبَ مَتَّى وَمَرْقُسَ وَلُوقَا أَنَاجِيلَهُمْ، فَوَجَدَهُمْ قَدْ قَصَّروا فِي أُمُورٍ فَتَكَلَّمَ عَلَيْهَا - وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ رَفْعِ المَسِيحِ بِثَلَاثِينَ سَنَةً - وَكَتَبَ ثَلَاثَ رَسَائِلَ، وَمَاتَ وَقَدْ أَنَاَفَ على مِائَةِ سَنَةٍ.

(a) بولاق: زيدي.

^١ وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الآيات ١٥٧، ١٥٨ سورة

[النساء]؛ وقارن مع سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٩٢، ونشرة Breydy ٥٠.

^٢ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٩٢-٩٣، ونشرة Breydy ٥٠-٥١.

وسار فيلبس إلى قيسارية وما حولها، وقُتِلَ بها في ثامن هاتور، وقد اتبعه جماعات من الناس.

وسار بزتولوماؤس إلى أزمينية وبلاد البربر وواحات مصر، فأمن به كثير، وقُتِلَ.

وسار ثوما إلى الهند، فقُتِلَ هناك.

٥ وسار متى العشار إلى فلسطين وضور وصيدا ومدينة بصرى، وكتب إنجيله بالعبراني بعد رفع المسيح بتسع سنين، ونقله يوحنا إلى اللغة الرومية^١. وقُتِلَ متى بقرطاجنة في ثامن عشر بابه بعدما اشتجاب له بشر كثير.

وسار يعقوب بن خلفا إلى بلاد الهند، ورجع إلى القدس، وقُتِلَ في عاشر أمشير.

وسار يهوذا بن يعقوب من أنطاكية إلى الجزيرة، فأمن به كثير من الناس، ومات في ثاني

١٠ أيب.

وسار شمعون إلى سميساط وحلب ومنبج وبنطية، وقُتِلَ في سابع أيب.

وسار ميتاس إلى بلاد الشرق، وقُتِلَ في ثامن عشر برمهات.

وسار بولص الطرسوسي إلى دمشق وبلاد الروم ورومية، فقُتِلَ في خامس أيب.

وتفرق أيضا سبعون رسولا آخر في البلاد، فأمن بهم الخلائق. ومن هؤلاء السبعين مرقص

١٥ الإنجيلي، وكان اسمه أولا يوحنا، فعرف ثلاثة ألسن: الفرنجي، والعبراني، واليوناني. ومضى

إلى بطرس برومية ومصر والحبشة والثوبة، وأقام حنانيا أسقفا على الإسكندرية، وخرج إلى بركة،

فكثرت النصاري في أيامه، وقُتِلَ في ثاني عيد الفصح بالإسكندرية.

ومن السبعين أيضا: لوقا الإنجيلي الطبيب تلميذ بولص. كتب الإنجيل باليونانية، عن بولص

بالإسكندرية، بعد رفع المسيح بعشرين سنة، وقيل باثنتين وعشرين سنة.

٢٠ ولما فر بطرس رأس الحواريين من حبس رومية، ونزل بأنطاكية، أقام بها دازيوس بطركا -

وأنطاكية أحد الكراسي الأربعة التي للنصارى، وهي: رومية، والإسكندرية، والقدس،

وأنطاكية - فأقام دازيوس بطرك أنطاكية سبعا وعشرين سنة، وهو أول بطاركتها، وتوارث من

بعده البطاركة بها البطركية واجدا بعد واحد^٢.

^١ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٩٤، ونشرة Breydy ٥٣.

^٢ القلقشندي: صبح الأعشى ٥: ٤٧٣، ١٣: ٢٧٤. كديانة رسمية للدولة في عهد الإمبراطور قسطنطين.

ودعا شمعون الصفا برومية خمسا وعشرين سنة، فآمنت به بطريركيته وسارت إلى القدس، وكشفت عن خشبات الصليب، وسلمتها إلى يعقوب بن يوسف الأسقف، وبنت هناك كنيسة، وعادت إلى رومية - وقد اشتدت على دين النصرانية - فآمن معها عدة من أهلها.

واجتمع الرسل بمدينة رومية، ووضعوا القوانين، وأرسلوها على يد قليموس، تلميذ بطرس، فكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبولها من العتيقة والجديدة^١.

فأما العتيقة: فالثوراة، وكتاب يوشع بن نون، وكتاب القضاة، وكتاب راعوت^٢، وكتاب يهوديت، وسير الملوك، وسفر بنيامين، وكتب المكابيين^٣، وكتاب عزرة، وكتاب أستير، وقصة هامان، وكتاب أيوب، وكتاب مزامير داود، وكتاب سليمان بن داود، وكتب الأنبياء - وهي ستة عشر كتابا^٤ - وكتاب يوشع بن سيراخ^٥.

وأما الكتب الحديثة: فالأنجيل الأربعة^٦، وكتاب القائلين^٧، وكتاب بولص، وكتاب الأبركسيس - وهو قصص الحواريين^٨ - وكتاب أقليموس^٩، وفيه ما أمر به الحواريون وما نهوا عنه. ولما قتل الملك نيرون قيصر، بطرس رأس الحواريين برومية، أقيم من بعده لينوس بطرك رومية - وهو أول بطرك صار على رومية - فأقام في البطريركية اثني عشرة سنة، وقام من بعده البطاركة بها واجدا بعد واجد إلى يومنا هذا الذي نحن فيه.

(a) بولاق: راغون. (b) بولاق: المقانين، والنسخ: المقانين، والصواب ما أثبتته. (c) بولاق: شبراخ. (d) بولاق: القائلون.

^١ الكتب العتيقة هي المعروفة بالعهد القديم، Ancient Testament (Old Testament)؛ والكتب الحديثة هي المعروفة بالعهد الجديد، Nouveau (New) Testament.

^٢ في العهد القديم ثمانية عشر كتابا هي: سفر أشعيا، سفر إزميا، سفر المراثي، سفر بازوك، سفر حزقيال، سفر دانيال، سفر هوشع، سفر يوثيل، سفر عاموس، سفر عويديا، سفر يونان، سفر ميخا، سفر نحوم، سفر حزقوف، سفر صغنيا، سفر حجاي، سفر زكريا، سفر ملاخي.

^٣ هي: إنجيل مرقس، وإنجيل متى، وإنجيل لوقا، وإنجيل

يوحنا. (المسعودي: مروج الذهب ١: ٧١، ٢: ٣٧؛ الشهرستاني: الملل والنحل ١: ٢٠٢، القلقشندي: صبح الأعشى ١٣: ٢٧١-٢٧٣؛ وراجع مقال الأب قنواني. (Anawati, G.C. El² art. Indjil III, pp. 1235-38

^٤ المعروف بالرسائل القائمة.

^٥ ويُعرف بأعمال الرسل، كتبه لوقا بالرومية لرجل شريف من عظماء الروم يُقال له تاؤفيل.

^٦ زُبما كان المقصود به الرسالة التي بكت بها البابا Clement I^١ إلى الكورنثيين.

ولما قُتِلَ يَعْقُوبُ، أُسْقِفَ الْقُدْسَ، عَلَى يَدِ الْيَهُودِ، هَدَمُوا بَعْدَهُ الْبَيْعَةَ، وَأَخَذُوا خَشَبَةَ الصُّلْبِ وَالْخَشَبَتَيْنِ مَعَهَا وَدَفَنُوهَا، وَأَلْقَوْا عَلَى مَوْضِعِهَا ثَرَابًا كَثِيرًا، فَصَارَ كَوْمًا عَظِيمًا، حَتَّى أُخْرِجَتْهَا هِيلَانَةُ أُمُّ قُسْطَنْطِينِ، كَمَا سَتَرَاهُ قَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.^١

وَأَقِيمَ بَعْدَ قَتْلِ يَعْقُوبَ سَمْعَانُ ابْنُ عَمِّهِ، أُسْقِفَ الْقُدْسَ، فَكَتَبَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً أُسْقِفًا وَمَاتَ، فَتَدَاوَلَ الْأَسَاقِفَةُ بَعْدَهُ الْأُسْقُفِيَّةَ بِالْقُدْسِ وَاحِدًا بَعْدَ آخَرَ.

ولما أقامَ مُرْقُصُ حَنَانِيَا - وَيُقَالُ أَنَانِيُو - بَطْرِكُ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ، جَعَلَ مَعَهُ اثْنَيْ عَشَرَ قِسًّا، وَأَمَرَهُمْ إِذَا مَاتَ الْبَطْرِكُ أَنْ يَجْعَلُوا عِوَضَهُ وَاحِدًا مِنْهُمْ، وَيُقِيمُوا بَدَلَ ذَلِكَ الْقِسِّ وَاحِدًا مِنَ النَّصَارَى حَتَّى لَا يَزَالُوا أَبَدًا اثْنَيْ عَشَرَ قِسًّا، فَلَمْ تَزَلِ الْبَطَارِكَةُ تُعْمَلُ مِنَ الْقُسُوسِ إِلَى أَنْ اجْتَمَعَ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ، كَمَا سَتَرَاهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.^٢

- ١٠ وكان بَطْرِكُ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ يُقَالُ لَهُ «الْبَابَا» مِنْ عَهْدِ حَنَانِيَا هَذَا، أَوَّلِ بَطَارِكَةِ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ، إِلَى أَنْ أَقِيمَ دِيمِثْرِيُوسُ، وَهُوَ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ بَطَارِكَةِ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ، وَلَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ مِصْرَ أُسَاقِفَةً، فَنَصَبَ الْأَسَاقِفَةَ بِهَا، وَكَثُرُوا. فَغَزَاهَا فِي بَطْرِكِيَّةِ هِرَقْلٍ، وَصَارَ الْأَسَاقِفَةُ يُسَمُّونَ الْبَطْرِكُ «الْأَب»، وَالْقُسُوسُ وَسَائِرُ النَّصَارَى يُسَمُّونَ الْأُسْقُفَ «الْأَب»، وَيَجْعَلُونَ لِقَوْلِهِ «الْبَابَا» تَخْتَصُّ بِبَطْرِكِ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ، وَمَعْنَاهَا «أَبِ الْآبَاءِ»^(b). ثُمَّ انْتَقَلَ هَذَا الْأِسْمُ عَنْ كُرْسِيِّ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ إِلَى كُرْسِيِّ رُومِيَّةِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ كُرْسِيُّ بَطْرِكِ رَأْسِ الْحَوَارِيِّينَ، فَصَارَ بَطْرِكُ رُومِيَّةِ يُقَالُ لَهُ «الْبَابَا»، وَاسْتَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ إِلَى زَمَانِنَا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ.^٣

(a) كذا في النسخ، وعند ابن البطريق لنيوس. (b) بولاق: أبو الآباء.

^١ فيما تقدم ١: ٧٢٢-٧٢٣؛ وفيما يلي ٩٨٣.
^٢ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٩٥، ونشرة Breydy ٥٣؛ وفيما يلي ٩٨٢: ٣.
^٣ نفسه ٩٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٥: ٤٧٢، ١٣: ٢٧٤.
 وقد جَمَعَ المقرئ في روايته عن تاريخ التُّصْرَانِيَّةِ بَيْنَ ذِكْرِ أَبَاطِرَةِ الرُّومَانِ - سِوَاءَ فِي رُومَا أَوْ فِي بِيْزَنْطَهْ (القُسْطَنْطِينِيَّةِ) - وَذِكْرِ الْبَطَارِكَةِ الَّذِيْنَ تَوَلَّوْا فِي عَهْدِهِمْ فِي الْأَزْبَعِ كِرَاسِي الرُّومِيَّةِ: رُومَا وَالْإِسْكََنْدَرِيَّةِ وَأَنْطَاكِيَّةِ وَبَيْتِ

المقدس ثم القُسْطَنْطِينِيَّةِ، مُتَّبِعًا فِي ذَلِكَ نَصًّا يَجْمَعُ بَيْنَ رِوَايَتِي سَعِيدِ بْنِ الْبَطْرِيْقِ (أَوْتِيخْيُوسِ) وَالْمَكِينِ جِرْجِسِ بْنِ الْعَمِيدِ (رَاجِعِ الْمَقْدَمَةَ)؛ بَيْنَمَا أَفْرَدَ مُعَاصِرُهُ الْقَلْقَشَنْدِي ذِكْرَ الْأَبَاطِرَةِ عَنِ ذِكْرِ الْبَطَارِكَةِ، وَنَصَّ صِرَاحَةً عَلَى اعْتِمَادِهِ عَلَى تَارِيخِ الْمَكِينِ جِرْجِسِ بْنِ الْعَمِيدِ. (القلقشندي: صبح الأعشى ٥: ٣٠٨-٣٢١) (ذكر البطارقة)، وقد نقل تيسيران وفييت هذه القائمة إلى اللغة الفرنسية، Tisserant, E. et Wiet, G., «La liste des Patriarches d'Alexandrie», ROC XXIII (1922-23), pp. 123-43؛ ٥: ٣٨٤-٣٩٦ (ذكر الأباطرة).

وأقام أنانيوا، وهو حنائيا، في بطرِكِيَّة الإسكندرية اثنتين وعشرين سنة، ومات في عشرين هاتور سنة سبع وثمانين لظهور المسيح. فأقيم بعده مينيوا، فأقام ثنتي عشرة سنة وتسعة أشهر، ومات^١.

وفي أثناء ذلك ناز اليهود على النصارى، وأخرجوهم من القدس، فعبروا الأزدن، وسكنوا تلك الأماكن^٢. فكان بعد هذا بقليل خراب القدس، وجلالية اليهود، وقتلهم على يد طيطش - ويقال طيطوس - بعد رفع المسيح بنحو أربع وأربعين سنة. فكثرت النصارى في أيام بطرِكِيَّة مينيوا، وعاد كثير منهم إلى مدينة القدس بعد تخريب طيطش لها، وبنوا بها كنيسة وأقاموا عليها سمعان أشقفا، ثم أقيم بعد مينيوا في الإسكندرية في البطرِكِيَّة كزتيانوا^٣.

وفي أيام الملك أنديانوس قيصر، أصاب النصارى منه بلاء كثير، وقتل منهم جماعة كثيرة، واستعبد باقيهم. فنزل بهم بلاء لا يوصف في العبودية، حتى رحمهم الوزراء وأكابِر الرُوم، وشفعوا فيهم، فمن عليهم قيصر وأعتقهم^٤. ومات كزتيانوا بطرك الإسكندرية، في حادي عشر برمودة، بعدما دبّر الكرسي إحدى عشرة سنة، وكان جيِّدًا^٥ السيرة. فقدم بعده إيريموا، فأقام اثنتي عشرة سنة، ومات في ثالث مشرى.

واشتد الأمر على النصارى في أيام الملك أرنديريانوس، وقتل منهم خلايق لا يحصى عددهم، وقدم مصر، فأنتى من بها من النصارى، وخرب ما بيني في مدينة القدس من كنيسة النصارى، ومنعهم من التردد إليها، وأنزل عوضهم بالقدس اليونانيين، وسمى القدس إيليا، فلم يتجاسر نصراني أن يدنو من القدس^٥.

وأقيم بعد موت إيريموا بطرك الإسكندرية يُسطس [Justus]، فأقام إحدى عشرة سنة، ومات في ثاني عشر بؤونة. فخلف بعده أومانيوا [Eumenes]، فأقام عشر سنين وأربعة أشهر، ومات في عاشر بابة. فأقيم بعده مزقيانو^٥ [Mark]، بطرك الإسكندرية، تسع سنين وستة أشهر، ومات في

(a) بولاق: حميد. (b) بولاق: أرمانيون. (c) بولاق: موقيانو.

^١ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٩٦.

^٤ نفسه ١: ١٠٠.

^٢ نفسه ١: ٩٧، ونشرة Breydy ٥٧.

^٥ نفسه ١: ١٠١-١٠٢، ونشرة Breydy ٥٨-٥٩.

^٣ نفسه ١: ٩٨-٩٩.

القلقشندي: صبح الأعشى ٥: ٣٨٦.

سادس طوبى . فقدم بعده على الإسكندرية كلوثيانوا [Celadian]، فأقام أربع عشرة سنة ، ومات في تاسع أبيب . وفي أيامه اشتد الملك أوراليانوس قيصر على النصارى ، وقتل منهم خلقا كثيرا .
 وقدم على كزسي الإسكندرية بعد كلوثيانوا غربنو [Agrippirus] بطركا ، فأقام اثني عشرة سنة ، ومات في خامس أمشير . وفي أيام بطركيته اتفق رأي البطارقة ، بجميع الأمصار ، على حساب فضح النصارى وصومهم ، ورثبوا كيف يشتخرج ، ووضعوا « حساب الأبطي » ، وبه يشتخرجون معرفة وقت صومهم وفضحهم ، واستمر الأمر على ما رثبوه فيما بعد . وكانوا قبل ذلك يصومون بعد الغطاس أربعين يوما - كما صام المسيح - عليه السلام - ويفطرون ، وفي عيد الفصح يعملون الفصح مع اليهود . فنقل هؤلاء البطارقة الصوم وأوصلوه بعيد الفصح ، لأن عيد الفصح كانت فيه قيامة المسيح من الأموات بزعمهم وكان الحواريون قد أمروا أن لا يغير عن وقته ، وأن يعملوه كل سنة في ذلك الوقت ^١ .

ثم أقيم بكزسي الإسكندرية بعد غربنو في البطركية يوليانوس [Julian] ، فأقام عشر سنين ، ومات في ثامن برمهات . فاستخلف بعده ديمثريوس [Demetrius] فأقام بعده في البطركية ثلاثا وثلاثين سنة ، ومات ^٢ . وكان فلاحا أميا ، وله زوجة ذكر عنه أنه لم يجامعها قط . وفي أيامه أثار الملك شوزيانوس ^(a) قيصر على النصارى بلاء كبيرا في جميع مملكته ، / وقتل منهم خلقا كثيرا ، وقدم مصر وقتل جميع من فيها من النصارى ، وهدم كنائسهم ، وبني بالإسكندرية هيكلًا لأصنامهم ^٣ .

ثم أقيم بعده في بطركية الإسكندرية تاوكلاب ^(b) ، فأقام ست عشرة سنة ، ومات في ثامن كيهك . فلقى النصارى من الملك مكسيموس قيصر شدة عظيمة ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، فلما ملك فيليبس قيصر أكرم النصارى . وقدم على بطركية الإسكندرية دنوشوس ، فأقام تسع عشرة

(a) عند ابن البطريق : أوربليوس . (b) بولاقي : باركلا .

^١ سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ١٠٤ - ١٠٥ ،
 ونشرة Breydy ٥٩ - ٦٠ ؛ يحيى بن سعيد : تاريخ الأنطاكي ٢٧١ - ٢٧٢ ، ٢٧٤ . وكان سعيد بن البطريق قد تخصص المقالة الثانية من تاريخه (التي لم تصل إلينا) لذكر كيف يشتخرج فضح اليهود وفضح النصارى وصومهم .
^٢ تتفق فترة تولي ديمثريوس مع ما جاء عند المكين بن العميد ، بينما هي عند ابن الزاهب ٣٢ سنة و ٢١٩ يوما ، وعند سعيد بن البطريق ٤٣ سنة .
^٣ سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ١٠٤ .

سنة ، ومات في ثالث ثوت . وفي أيامه كان الراهب أنطوثيوس المصري ، وهو أول من ابتدأ بلبس الصوف ، وابتدأ بعمارة الديارات في البراري ، وأنزل بها الرهبان .

ولقي النصارى من الملك داقثيوس قيصر شدة . فإنه أمرهم أن يشجذوا لأصناميه ، فأبوا من الشجود لها ، فقتلهم أبرح قتل ، وفر منه الفتيحة أصحاب الكهف من مدينة أفسس ، واختفوا في مغارة في جبل شرقي المدينة وناموا ، فضرب الله على آذانهم ، فلم يرأوا نائمين ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا^١ . فقام من بعده بالإسكندرية مكسيموس ، وأقام بطرركا اثنتي عشرة سنة ، ومات في رابع عشر برمودة .

فأقيم بعده ثاوبا^a بطرركا مدة تسع^b سنين وتسعة أشهر ، ومات . وكانت النصارى قبله تُصلي بالإسكندرية خفية من الروم خوفا من القتل ، فلاطف ثاوبا^a الروم ، وأهدى إليهم تحفا جليلة حتى بنى كنيسة مزيم بالإسكندرية فصلى بها النصارى جهرا .

واشتد الأمر على النصارى في أيام الملك طياريوس قيصر ، وقتل منهم خلقا كثيرا . فلما كانت أيام دقليطيانوس قيصر ، خالف عليه أهل مصر والإسكندرية ، فقتل منهم خلقا كثيرا ، وكتب بعلق كنائس النصارى ، وأمر بعبادة الأصنام ، وقتل من امتنع منها ، فازتد خلايق كثيرة جدا . وأقام في البطرركية بعد ثاوبا^a بطرس ، فأقام إحدى عشرة سنة ، وقُتل في الإسكندرية بالسيف ، وقُتل معه امرأته وابنتاه لامتناعهم من الشجود للأصنام . فقام بعده تلميذه أرشلاؤس ، فأقام ستة أشهر ومات^٢ .

وبدقليطيانوس هذا ، وقتله لنصارى مصر ، يُورخ قبسط مصر إلى يؤمينا هذا - كما قد ذكرناه في تاريخ القبط عند ذكر التواريخ من هذا الكتاب - فراجع^٣ .

(a) بولاق : ثوبا . (b) بولاق : سبع .

^١ هم الفتيحة أصحاب الكهف الذين أورد الله تعالى قستهم في سورة الكهف : الآيات ٩ - ٢٦ . وراجع ، سعيد ابن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ١١٦ ابن العربي : تاريخ مختصر الدول ٧٧ - ٧٨ .
^٢ سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ١١٦ ابن العربي : تاريخ مختصر الدول ٧٧ - ٧٨ .
^٣ فيما تقدم ١ : ٧١٠ - ٧١٢ .

ثم قام من بعده مكسيمائوس قيصر، فاشتد على النصارى، وقتل منهم خلقًا كثيرًا، حتى كانت القتلى منهم تُحمل على العجل، وترمى في البحر^١.

ثم قام بعد أريشلاوس في بطركية الإسكندرية إسكندروس، تلميذ بطرس الشهيد، فأقام ثلاثًا وعشرين سنة، ومات في ثاني عشرين برمودة. وفي بطركيته كان «مجمع النصارى بمدينة نيقية»، وفي أيامه كتب النصارى وغيرهم من أهل رومية إلى قسطنطين - وكان على مدينة بزنطية - يخشونه على أن يُنقدهم من جور مكسيمائوس، وشكوا إليه عتوه، فأجمع على المسير لذلك.

وكانت أمه هيلاني، من أهل قرى مدينة الرها، قد تنصرت على يد أسقف الرها، وتعلمت الكتب. فلما مر بقرية قسطنس - صاحب شرطة دقلياتوس - رآها فأعجبته، فتروجها، وحملها إلى بزنطية مدينته، فولدت له قسطنطين، وكان جميلًا، فأندر دقلياتوس منجموه بأن هذا الغلام قسطنطين سيملك الروم، ويبدل دينهم، فأراد قتله، ففر منه إلى الرها، وتعلم بها الحكمة اليونانية حتى مات دقلياتوس، فعاد إلى بزنطية، فسلمها له أبوه قسطنس ومات^٢.

فقام بأمرها، بعد أبيه، إلى أن استدعاه أهل رومية، فأخذ يدبر في مسيره، فرأى في منامه كواكب في السماء على هيئة الصليب، وصوت من السماء يقول له: «احمل هذه العلامة تنصير على عدوك». فقص رؤياه على أعوانه، وعمل شكل الصليب على أعلامه وبثوده، وسار لحرب مكسيمائوس برومية، فبرز إليه وحاربه، فانتصر قسطنطين عليه، وملك رومية، وتحوّل منها فجعل دار ملكه قسطنطينية. فكان هذا ابتداء رفع الصليب وظهوره في الناس، فاتخذ النصارى من حينئذ، وعظموه حتى عبّده^٣.

وأكرم قسطنطين النصارى، ودخل في دينهم بمدينة نيقوميديا في السنة الثانية عشرة من ملكه على الروم، وأمر ببناء الكنائس في جميع ممالكه، وكسر الأصنام، وهدم بيوتها.

مرقس داود، القاهرة - مكتبة المحبة ١٩٧٥، ٢٤-٢٥؛

أوروسوس (Orosius): تاريخ العالم ٤٦٠.

وراجع حول هذا الموضوع أيضًا *The Oxford Dictionary of Byzantium* art. *Cross, Cult of the I*, pp. 551-53.

١ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ١١٨.

٢ نفسه ١: ١١٧-١١٨.

٣ نفسه ١: ١٢١؛ المسعودي: مروج الذهب ٢: ٤٣،

ومضدّر هذه الروايات هو يوسايوس القيصري (Eusebius of Caesarea): حياة قسطنطين العظيم، تعريب القمص

وعَمِلَ «المَجْمَعُ بِمَدِينَةِ نَيْقِيَّةِ»^١، وَسَبَّبَهُ: أَنَّ الْإِسْكََنْدَرُوسَ، بَطْرِكَ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ، مَنَعَ أَرْيُوسَ [Arius] مِنْ دُخُولِ الْكَنِيسَةِ وَحَرَمَهُ لِمُقَاتَلَتِهِ، وَنَقَلَ عَنْ بَطْرُوسِ الشَّهِيدِ بَطْرِكَ إِسْكََنْدَرِيَّةِ أَنَّهُ قَالَ عَنْ أَرْيُوسَ: إِنَّ إِيمَانَهُ فَاسِدٌ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى جَمِيعِ الْبَطَارِكَةِ.

فَمَضَى أَرْيُوسَ إِلَى الْمَلِكِ قُسْطَنْطِينِ وَمَعَهُ أُسْقُفَانِ^٢ فَاسْتَعَاثُوا بِهِ وَشَكَّوْا الْإِسْكََنْدَرُوسَ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ مِنَ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ، فَحَضَرَ هُوَ وَأَرْيُوسَ، وَجَمَعَ لَهُ الْأَعْيَانَ مِنَ النَّصَارَى لِنِظَارِهِ. فَقَالَ أَرْيُوسَ: كَانَ الْأَبُ إِذْ لَمْ يَكُنِ الْإِبْنُ، ثُمَّ أُخْدِتَ الْإِبْنُ فَصَارَ كَلِمَةً لَهُ، فَهُوَ مُخْدَتٌ مَخْلُوقٌ فَوَضَّ إِلَيْهِ الْأَبُ كُلَّ شَيْءٍ، فَخَلَقَ الْإِبْنَ - الْمُسَمَّى بِالْكَلِمَةِ - كُلَّ شَيْءٍ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا، فَكَانَ هُوَ الْخَالِقَ بِمَا أَعْطَاهُ الْأَبُ. ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ الْكَلِمَةَ تَجَسَّدَتْ مِنْ مَرْيَمَ وَرُوحِ الْقُدُسِ، فَصَارَ ذَلِكَ مَسِيحًا، فَإِذَا الْمَسِيحُ مَعْنِيَانِ: كَلِمَةٌ، وَجَسَدٌ، وَهُمَا جَمِيعًا مَخْلُوقَانِ. فَقَالَ الْإِسْكََنْدَرُوسَ: أَيُّمَا أَوْجِبَ عِبَادَةٌ: مَنْ خَلَقْنَا، أَوْ عِبَادَةٌ مَنْ لَمْ يَخْلُقْنَا؟ فَقَالَ أَرْيُوسَ: بَلْ عِبَادَةٌ / ١٠
مَنْ خَلَقْنَا أَوْجِبَ. فَقَالَ الْإِسْكََنْدَرُوسَ: فَإِنْ كَانَ الْإِبْنُ خَلَقْنَا كَمَا وَصَفْتِ، وَهُوَ مَخْلُوقٌ، فِعِبَادَتُهُ أَوْجِبَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَبِ الَّذِي لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، بَلْ تَكُونُ عِبَادَةُ الْخَالِقِ كُفْرًا، وَعِبَادَةُ الْمَخْلُوقِ إِيمَانًا، وَهَذَا أَقْبَحُ الْقَبِيحِ^٣.

فَاسْتَحْسَنَ الْمَلِكُ قُسْطَنْطِينُ كَلَامَ إِسْكََنْدَرُوسَ، وَأَمَرَ أَنْ يَحْرِمَ أَرْيُوسَ فَحَرَمَهُ، وَسَأَلَ إِسْكََنْدَرُوسَ الْمَلِكَ أَنْ يُحْضِرَ الْأَسَاقِفَةَ، فَأَمَرَ بِهِمْ، فَأَتَوْهُ مِنْ جَمِيعِ مَمَالِكِهِ، وَاجْتَمَعُوا بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ بِمَدِينَةِ نَيْقِيَّةِ، وَعِدَّتْهُمْ أَلْفَانِ وَثَلَاثَ مِائَةٍ وَأَرْبَعُونَ^(a) أُسْقُفًا، مُخْتَلِفُونَ فِي الْمَسِيحِ. فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: الْإِبْنُ مِنَ الْأَبِ بِمَنْزِلَةِ شُعْلَةٍ نَارٍ تَعَلَّقَتْ مِنْ شُعْلَةٍ أُخْرَى، فَلَمْ تَنْقُصِ الْأُولَى بِانْفِصَالِ الثَّانِيَةِ عَنْهَا. وَهَذِهِ مَقَالَةُ سَبَلْيُوسِ^(b) الصَّعِيدِيِّ وَمَنْ تَبِعَهُ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ مَرْيَمَ لَمْ تَحْمِلْ بِالْمَسِيحِ

(a) في المصادر المسيحية: ألفان وثمانية وأربعون. (b) عند ابن البطريق: سابلْيوس.

التركية التي تعرف الآن باسم إزنيك Eznik. (راجع، The Oxford Dictionary of Byzantium Nicaea, Council of II, pp. 1464-65; Karen Torjesen, CE art. Nicaea, Council of VI, pp. 1790-92.

^٢ هما: أومانيوس أسقف مدينة نيومدية، وأوسابيوس أسقف مدينة فيلا.

^٣ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١٢٤-١٢٥.

^١ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١٢٣:١-١٢٤؛ نفسه ٢: ٤٢؛ يوسابيوس القيصري: حياة قسطنطين ٨٦-٩٥؛ ساويرس بن المقفع: كتاب الجامع ١٦٢-١٦٤؛ الفلقشندي: صبح الأعشى ١٣: ٢٧٥-٢٧٦. وعقد «مجمع نيقية» في الفترة بين ١٩ يونية و ٢٥ أغسطس سنة ٣٢٥م في مدينة نيقية Nicaea إحدى مدن الأناضول الكبيرة التي كان لها شأن كبير في عصر الدولة البيزنطية، وهي المدينة

تسعة أشهر ، بَلْ مَرَّ بِأَحْشَائِهَا كَمُرُورِ الْمَاءِ بِالْمِيزَابِ . وَهَذَا قَوْلُ إِيَّانٍ وَمَنْ تَبِعَهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ :
 الْمَسِيحُ بَشَرٌ مَخْلُوقٌ ، وَإِنْ ابْتَدَأَ الْإِبْنُ مِنْ مَرْيَمَ ، ثُمَّ إِنَّهُ اضْطَفِيَ فَصَجِبَتْهُ النُّعْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ بِالْحَبِيَّةِ
 وَالْمَشِيئَةِ ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ ابْنُ اللَّهِ - تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ - وَمَعَ ذَلِكَ فَاللَّهُ وَاحِدٌ قَيُّومٌ ، وَأَنْكَرَ هَوْلَاءُ
 الْكَلِمَةَ وَالرُّوحَ فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِمَا . وَهَذَا قَوْلُ بُوَلُسِ السِّيمَسَاطِيِّ بِطَرِكِ أَنْطَاكِيَّةٍ وَأَصْحَابِهِ . وَمِنْهُمْ
 ٥ مَنْ قَالَ : الْآلِيَةُ ثَلَاثَةٌ : صَالِحٌ ، وَطَالِحٌ ، وَعَدْلٌ بَيْنَهُمَا ؛ وَهَذَا قَوْلُ مَرْقِيُونٍ وَأَتْبَاعِهِ . وَمِنْهُمْ مَنْ
 قَالَ : الْمَسِيحُ وَأُمُّهُ إِلَهَانِ مِنَ دُونَ اللَّهِ . وَهَذَا قَوْلُ الْمَرَايِمَةِ مِنْ فِرْقِ النَّصَارِيِّ ١ . وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : بَلْ
 اللَّهُ خَلَقَ الْإِبْنَ - وَهُوَ الْكَلِمَةُ فِي الْأَزْلِ - كَمَا خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ رُوحًا طَاهِرَةً مُقَدَّسَةً بِسَيْطَةِ مُجَرَّدَةٍ
 عَنِ الْمَادَّةِ ، ثُمَّ خَلَقَ الْمَسِيحَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِنْ أَحْشَاءِ مَرْيَمَ الْبَتُولِ الطَّاهِرَةِ ، فَاتَّخَذَ الْإِبْنُ الْمَخْلُوقُ فِي
 الْأَزْلِ بِنَاسَانِ الْمَسِيحِ ، فَصَارَا وَاحِدًا . وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : الْإِبْنُ مَوْلُودٌ مِنَ الْأَبِ قَبْلَ كُلِّ الدُّهُورِ غَيْرِ
 ١٠ مَخْلُوقٍ ، وَهُوَ جَوْهَرٌ مِنْ جَوْهَرِهِ وَنُورٌ مِنْ نُورِهِ ، وَإِنَّ الْإِبْنَ اتَّخَذَ بِالْإِنْسَانِ الْمَأْخُودِ مِنْ مَرْيَمَ ، فَصَارَا
 وَاحِدًا وَهُوَ الْمَسِيحُ . وَهَذَا قَوْلُ الثَّلَاثِ مِائَةٍ وَثَمَانِيَةِ عَشْرٍ .

فَتَحَيَّرَ قُسْطَنْطِينُ فِي اخْتِلَافِهِمْ ، وَكَثُرَ تَعَجُّبُهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَمَرَ بِهِمْ فَأَنْزَلُوا فِي أَمَاكِنَ ، وَأَجْرَى
 لَهُمُ الْأَرْزَاقَ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَتَنَاظَرُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ صَوَابُهُمْ مِنْ خَطِّئِهِمْ . فَثَبَّتَ الثَّلَاثَ مِائَةً وَثَمَانِيَةَ
 عَشْرَ عَلَى قَوْلِهِمُ الْمَذْكُورِ ، وَاخْتَلَفَ بَاقِيَهُمْ . فَمَالَ قُسْطَنْطِينُ إِلَى قَوْلِ الْأَكْثَرِ ، وَأَعْرَضَ عَمَّا
 ١٥ سِوَاهُ ، وَأَقْبَلَ عَلَى الثَّلَاثِ مِائَةٍ وَثَمَانِيَةِ عَشْرَ ، وَأَمَرَ لَهُمْ بِكَرَاسِي ، وَأَجْلَسَهُمْ عَلَيْهَا ، وَدَفَعَ إِلَيْهِمْ
 سَيْفَهُ وَخَاتَمَهُ ، وَبَسَطَ أَيْدِيَهُمْ فِي جَمِيعِ مَمْلَكَتِهِ . فَبَارَكُوا عَلَيْهِ ، وَوَضَعُوا لَهُ كِتَابَ « قَوَانِينِ الْمُلُوكِ
 وَقَوَانِينِ الْكَنِيسَةِ » ، وَفِيهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَحَاكِمَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَالْمُنَاكَحَاتِ ، وَكَتَبُوا بِذَلِكَ إِلَى سَائِرِ
 الْمَمَالِكِ ٢ .

وَكَانَ رَئِيسُ هَذَا الْجَمْعِ : الْإِسْكَنْدَرُوسُ بِطَرِكِ ٣ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَإِسْطَارِسُ بِطَرِكِ أَنْطَاكِيَّةِ ،

١ إلى هنا يَتَّفِقُ مَعَ نَصِّ سَعِيدِ بْنِ الْبَطْرِيْقِ : التَّارِيخُ
 الْمَجْمُوعُ ١: ١٢٥-١٢٦ .

٢ النَّصُّ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ الْبَطْرِيْقِ : « وَوَضَعُوا لَهُ أَرْبَعِينَ كِتَابًا
 فِيهَا الشَّرَائِعُ وَالشَّرَائِعُ ، مِنْهَا مَا يَضْلَعُ لِلْمَلِكِ أَنْ يَعْمَلَهَا وَيَعْمَلَ
 بِهَا ، وَمِنْهَا مَا يَضْلَعُ لِلْأَسَاقِفَةِ أَنْ يَفْعَلُوا بِهَا فِيهَا » . (التَّارِيخُ
 الْمَجْمُوعُ ١: ١٢٧) .

٣ حَاشِيَةُ بَخْطِ الْمُؤَلَّفِ : « أَضْلُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ بِطَرِيْقِ ،
 وَكَانَتْ تُقَالُ بِاللُّغَةِ الرَّومِيَّةِ : أَرْسِيَارُوسُ وَمَعْنَاهَا هُنَا : رَئِيسُ
 الْآبَاءِ ، ثُمَّ حُوِّلَتْ مِنَ اللَّغَةِ الرَّومِيَّةِ إِلَى اللَّغَةِ الْقِبْطِيَّةِ فَقِيلَ :
 بِطَرِيرَارِكُ ، ثُمَّ تَلَاعَبَ بِهَا الْعَرَبُ » .

أَقْوَلُ : وَعِنْدَ الْقَلْقَشَنْدِيِّ : « الْبَطَارِكَةُ جَمْعُ بِطَرِكِ ، وَهِيَ
 كَلِمَةٌ يُونَانِيَّةٌ مَرْكَبَةٌ مِنْ لَفْظَيْنِ أَحَدُهُمَا : بِطَرُ وَمَعْنَاهُ [بِيَاضُ
 بِالْأَصْوَلِ] وَالثَّانِيَةُ : يَزُوكُ وَمَعْنَاهَا [بِيَاضُ بِالْأَصْوَلِ] . وَرَأَيْتُ
 فِي تَرْشُلِ الْقَلَاءِ بْنِ الْمُوَصَّلَايَا ، كَاتِبِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ =

ومقازيوس، أسقف القدس، ووجه سلطوس^a بطرك رومية بقسيسين اتفقاً معهم على حرمان آزيوس، فخرموه ونفوه.

ووضع الثلاث مائة وثمانية عشر «الأمانة» المشهورة عندهم، وأوجبوا أن يكون الصوم متصلاً بعيد الفصح على ما رتبته البطاريكة في أيام الملك أوراليانوس قيصر، كما تقدم^١، ومنعوا أن يكون للأسقف زوجة - وكان الأساقفة قبل ذلك إذا كان مع أحدهم زوجة لا يمنع منها إذا عمل أسقفاً، بخلاف البطرك فإنه لا يكون له امرأة ألبنة - وانصرفوا من مجلس قسطنطين بكرامة جليلة^٢.

والإسكندروس هذا هو الذي كسر الصنم النحاس الذي كان في هيكل زحل بالإسكندرية، وكانوا يعبدونه، ويجعلون له عيداً في ثاني عشر هاتور، ويذبحون له الذبائح الكثيرة فأراد الإسكندروس كسر هذا الصنم، فمنعه أهل الإسكندرية، فاحتال عليهم، وتلطف في حيلته إلى أن قرب العيد، فجمع الناس، ووعظهم، وقبح عندهم عبادة الصنم، وحثهم على تركه، وأن يعمل هذا العيد لميكائيل، رئيس الملائكة الذي يشفع فيهم عند الإله، فإن ذلك خير من عمل العيد للصنم، فلا يتغير عمل العيد الذي جرت عادة أهل البلد بعمله، ولا تبطل ذبائحهم فيه. فرضي الناس بهذا، ووافقوه على كسر الصنم، فكسره وأحرقه، وعمل بيته كنيسة على اسم ميكائيل. فلم تزل هذه الكنيسة بالإسكندرية إلى أن حرقها جيوش الإمام المعز لدين الله أبي تميم معذ، لما قدموا في سنة ثمان وخمسين وثلاث مائة، واشتمر عيد ميكائيل عند النصارى بديار مصر باقياً يعمل في كل سنة^٣.

(a) عند ابن البطريق: سلبطرس.

= العباسي: «فطرك» بإبدال الباء فاء، والعامّة يقولون: «بترك» بإبدال الطاء تاء. (صبح الأعشى ٥: ٤٧٣، ١٣: ٢٧٣).

^١ فصل ذلك ابن البطريق فقال: «ويجوز أن الابن مؤلود من الأب قبل كل الدهور، وأن الابن من طبيعة الأب غير مخلوق... واتفقوا على أن يكون فصح النصارى في يوم الأحد الذي يكون بعد فصح اليهود، وأن لا يكون فصح اليهود مع فصح النصارى في يوم واحد. (انظر كيفية حساب فصح النصارى عند يحيى بن سعيد: تاريخ الأنطاكي

^٢ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ١٢٦-١٢٧،

١٢٨.

^٣ نفسه ١: ١٢٤.

وفي السنة الثانية والعشرين من مُلك قُسطنطين، سارت أمه هيلاني إلى القُدس، وبنّت به كنائس للنصارى، فدلّها مقارنُيوس الأسقف على الصليب، وعرفّها ما عملته اليهود، فعاقبت كهنة اليهود حتى دلّوها على الموضع، فحفرته فإذا قبرٌ وثلاث خشبات، زعموا أنهم لم يعرفوا الصليب المطلوب من الثلاث خشبات، إلا بأن وُضعت كلٌ واجدة منها على ميّت قد يلي قيام حيًا عندما وُضعت عليه خشبة منها. فعملوا لذلك عيدًا، مُدة ثلاثة أيام، عُرف عندهم بـ « عيد الصليب ».

ومن حينئذٍ عبد النصارى الصليب، وعمِلت له هيلاني غلافًا من ذهب، وبنّت كنيسة القيامة - التي تُعرف بكنيسة قمامة - وأقامت مقارنُيوس الأسقف على بناء بقية الكنائس، وعادت إلى بلادها. فكانت مُدة ما بين ولادة المسيح وظهور الصليب / ثلاث مائة وثمان وعشرين سنة^١.
ثم قام في بطريركية الإسكندرية، بعد إسكندروس، تلميذه إثناسيوس الرسولي، فأقام سنًا وأربعين سنة، ومات بعد ما ابتلي بشدائد، وغاب عن كُرسية ثلاث مرّات^٢.

وفي أيامه جرت مناظرات طويلة مع أوسانيوس^٣ للأسقف آلت إلى ضربه وفراره. فإنه تعصب لأزيوس، وقال: إنه لم يقل إن المسيح خلق الأشياء، وإنما قال: به خلق كل شيء، لأنه كلمة الله التي بها خلق السموات والأرض، وإنما خلق الله تعالى جميع الأشياء بكلمته، فالأشياء به كوّنت لا أنه كوّنّها، وإنما الثلاث مائة وثمانية عشر تعدّوا عليه^٤.

وفي أيامه تنصّر جماعة من اليهود، وطعن بعضهم في التوراة التي بأيدي اليهود، وأنهم نقصوا منها، وأن الصحيحة هي التي فسرها السبعون^٤. فأمر قُسطنطين اليهود بإحضارها، وعاقبتهم

(a) ابن البطريق: أومانوس.

^١ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ١٢٩-١٣٠؛ القلقشندي: صبح الأعشى ١٣: ٢٨٣؛ وفيما تقدم ١: ٧٢١-٧٢٤.
^٢ نفسه ١: ١٣٠.
^٣ نفسه ١: ١٣١.
^٤ التوراة السبعينية: هي التوراة التي نُقلت إلى اليونانية في عهد بطريركوس الثاني Philadelphos، الذي كان يشهد

جلّسات جوار القلايصة، فلقت انتباهه تفوق طائفة معينة أعلنوا عن أنفسهم أنهم يهود. فطلب الملك ترجمة التوراة التي يستندون إليها في حوارهم. فبعث إلى أورشليم فأشخص منها سبعين رجلًا من اليهود وأمرهم أن يفسروا له التوراة وكُتب الأنبياء من العبرانية إلى اليونانية، وصيّر كل واحد منهم في بيت على جدّة لينظر كيف يكون تفسير كل واحد منهم. تقول المصادر: إنهم لما فسروا الكُتب نظروا إلى =

على ذلك حتى ذلّوه على موضعها بمصر ، فكتب باخضارها فحملت إليه ، فإذا بينها وبين توراة اليهود نقص ألف وثلاث مائة وتسع وستين سنة ، زعموا أنهم نقصوها من مواليد من ذكر فيها لأجل المسيح .

وفي أيامه بعثت هيلاني بمال عظيم إلى مدينة الرها ، فبنى به كنائسها العظيمة ، وأمر قسطنطين بإخراج اليهود من القدس ، وألزمهم بالدخول في دين النصرانية ، ومن امتنع منهم قتل . فتصّر كثير منهم ، وامتنع أكثرهم فقتلوا ، ثم امتحن من تصّر منهم بأن جمعهم يوم الفسح في الكنيسة وأمرهم بأكل لحم الخنزير ، فأبى أكثرهم أن يأكل منه ، فقتل منهم في ذلك اليوم نحلائق كثيرة جدًا^١ .

ولما قام قسطنطين بن قسطنطين في الملك بعد أبيه ، غلبت مقالة أريوس على القسطنطينية وأنطاكية والإسكندرية ، وصار أكثر أهل الإسكندرية وأرض مصر أريوسيين ومنايين ، واستولوا على ما بها من الكنائس ، ومال الملك إلى رأيهم ، وحمل الناس عليه ، ثم رجّع عنه^٢ .

وزعم كيرلس^(a) ، أشقف القدس ، أنه ظهر من السماء ، على القبر الذي بكنيسة القمامة ، شبه صليب من نور في يوم عيد العنصرة ، لعشرة أيام من شهر أيار ، في الساعة الثالثة من النهار ، حتى غلب نوره على نور الشمس ، وراه جميع أهل القدس عيانا ، فأقام فوق القبر عدة ساعات والناس تشهد . فأمن يومئذ من اليهود وغيرهم عدة آلاف كثيرة^٣ .

ثم لما ملك يوليانوس^(b) ابن عم قسطنطين ، اشتدت نكايته للنصارى ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، ومنعهم من النظر في شيء من الكتب وأخذ أواني الكنائس والديارات ، ونصب مائدة كبيرة عليها أطعمة مما ذبحه لأصنامهم ، ونادى : « من أراد المال فليضع البخور على النار ، وليأكل من ذبائح الخنفاء ويأخذ ما يريد من المال » ، فامتنع كثير من الروم ، وقالوا : نحن نصارى ، فقتل منهم

(a) بولاقي : ايرس . (b) بولاقي : موليانوس .

مصر في عصر البطلمة والرومان ، القاهرة ١٩٦٨ ، ٣٣ . وقد أصبحت هذه الترجمة فيما بعد تمثّل النصّ المعتمد للعهد القديم في الكتاب المقدس عند المسيحيين .

^١ ابن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ١٣٣ .

^٢ نفسه ١ : ١٣٦ . ^٣ نفسه ١ : ١٣٥ .

= تفاسيرهم فإذا التفسير واحد ليس فيه اختلاف ! فجمع الكتب وحنتمها بخاتمها وصيرها في هيكل صنم يقال له ميرايون . (يوسف بن كريون : منتخبات من تاريخ يوسفوس ٤٩ - ٥١ ؛ سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ٨٥ ، نشرة Breydy ٤١ ؛ مصطفى كمال عبد العليم : اليهود في

خَلَائِقَ، وَمَحَا الصَّلِيبَ مِنْ أَعْلَامِهِ وَبُنُوْدِهِ ^١.

وَفِي أَيَّامِهِ سَكَنَ الْقِدِّيسُ أَنْارِيُونُ ^٢ بَرِّيَّةَ الْأَزْدُنِ، وَبَنَى بِهَا الدِّيَارَاتِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَكَنَ بَرِّيَّةَ الْأَزْدُنِ مِنَ النَّصَارَى ^٣.

فَلَمَّا مَلَكَ يَوْسَانِيُوسُ ^٤ عَلَى الرُّومِ - وَكَانَ مُتَنَصِّرًا - أَعَادَ ^٥ كُلَّ مَنْ فَرَّ ^٦ مِنَ الْأَسَاقِفَةِ إِلَى كُرْسِيِّهِ، وَكَتَبَ إِلَى إِثْنَاثِيُوسَ - بَطْرِكِ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ، أَنْ يَشْرَحَ لَهُ الْأَمَانَةَ الْمُسْتَقِيمَةَ فَجَمَعَ الْأَسَاقِفَةَ وَكَتَبُوا لَهُ أَنْ يَلْزِمَ أَمَانَةَ الثَّلَاثِ مِائَةِ وَثَمَانِيَةِ عَشْرَةَ.

فَنَارَ أَهْلُ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ عَلَى إِثْنَاثِيُوسَ ^٧ لِيَقْتُلُوهُ فَفَرَّ، وَأَقَامُوا بَدَلَهُ لُوقِيُوسَ - وَكَانَ آزْيُوسِيًّا - فَاجْتَمَعَ مَجْمَعُ الْأَسَاقِفَةِ بَعْدَ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ، وَحَرَمُوهُ وَنَفَوْهُ، وَأَعَادُوا إِثْنَاثِيُوسَ ^٨ إِلَى كُرْسِيِّهِ، فَأَقَامَ بَطْرِكًا إِلَى أَنْ مَاتَ؛ فَخَلَفَهُ بَطْرُسُ، ثُمَّ وَثَبَ الْآزْيُوسِيُّونَ عَلَيْهِ بَعْدَ سِتِّينَ فَفَرَّ مِنْهُمْ، وَأَعَادُوا لُوقِيُوسَ، فَأَقَامَ بَطْرِكًا ثَلَاثَ سِنِينَ، وَوَثَبَ عَلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ فَفَرَّ مِنْهُمْ، فَزَدُوا بَطْرُسَ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ أَمْشِيرٍ، فَأَقَامَ سَنَةً ^٩.

وَقَدِيمَ فِي أَيَّامِ وَالِيَسَ مَلِكِ الرُّومِ آزْيُوسَ أُسْقِفَ أَنْطَاكِيَّةَ إِلَى الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ بِإِذْنِ الْمَلِكِ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا جَمَاعَةً مِنَ الرُّومِ، وَحَبَسَ بَطْرُسَ بَطْرِكَهَا، وَنَصَبَ بَدَلَهُ آزْيُوسَ السِّيمِسَاطِيَّ. فَفَرَّ بَطْرُسُ مِنَ الْحَبْسِ إِلَى رُومِيَّةَ، وَاسْتَجَارَ بِبَطْرِكِهَا. وَكَانَ وَالِيَسَ آزْيُوسِيًّا، فَسَارَ إِلَى زِيَارَةِ كَنِيسَةِ مَارْتُومَا بِمَدِينَةِ الرَّهَا، وَنَفَى أُسْقِفَهَا وَجَمَاعَةً مَعَهُ إِلَى جَزِيرَةِ رُودَسَ، وَنَفَى سَائِرَ الْأَسَاقِفَةِ لِمُخَالَفَتِهِمْ لِرَأْيِهِ مَا عَدَا اثْنَيْنِ، وَأَقَامَ فِي بَطْرِكِيَّةِ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ طِيمَاثَاوُسَ، فَأَقَامَ سَبْعَ سِنِينَ وَمَاتَ.

وَفِي أَيَّامِهِ كَانَ « الْمَجْمَعُ الثَّانِي مِنْ مَجَامِعِ النَّصَارَى بِقُسْطَنْطِينِيَّةِ »، فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَمِائَةً ^{١٠} لِدِقْلَطِيَانُوسَ، فَاجْتَمَعَ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ أُسْقِفًا، وَحَرَمُوا مَقْدِسِيُونُ ^{١١}، عَدُوَّ رُوحِ الْقُدْسِ، وَكُلَّ مَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ، وَسَبَّبَ ذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ مَخْلُوقٌ، وَحَرَمُوا مَعَهُ غَيْرَ وَاحِدٍ لِعَقَائِدِ شَنِيعَةٍ تَظَاهَرُوا بِهَا فِي الْمَسِيحِ. وَزَادَ الْأَسَاقِفَةُ فِي الْأَمَانَةِ الَّتِي رَتَّبَهَا الثَّلَاثِ مِائَةِ وَثَمَانِيَةِ عَشْرَةَ ^{١٢}. وَتُؤْمِنُ

(a) بولاق: أبارنوس. (b) بولاق: يوسيانوس. (c) بولاق: عاد. (d) بولاق: كان فر. (e) بولاق: إيناسيوس. (f) عند ساويرس: السنة السابعة عشر ومائة. (g) عند ابن البطريق وساويرس: مقدونيوس.

^٤ فيما تقدم ٩٨٢، وراجع *The Oxford Dictionary of Byzantium* art. *Constantinople, Council of I*, p. 512; *Frend, W.H.C., CE art. Constantinople, First Council of II*, pp. 593-95.

^١ ابن البطريق: التاريخ المجموع ١: ١٣٧.

^٢ نفسه ١: ١٣٧-١٣٨.

^٣ نفسه ١: ١٣٩.

بالروح القدس، الرب المحيي المُنْبَتِق من الأب - قُلْتُ: تعالى الله عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا - وَحَرَّمُوا
 أَنْ يُزَادَ فِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَكَانَ هَذَا الْجَمْعُ بَعْدَ مَجْمَعِ نَيْقِيَّةِ بَشْمَانٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً^١.

وَفِي أَيَّامِهِ بُنِيَتْ عِدَّةُ كَنَائِسَ بِالإِسْكَنْدرِيَّةِ، وَاسْتُشِيبَ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ مَقَالَةِ أَرْيُوسَ. وَفِي
 أَيَّامِهِ أُطْلِقَ لِلأَسَاقِفَةِ وَالرُّهْبَانِ أَكْلَ اللَّحْمِ يَوْمَ الْفِشْحِ لِئِخَالِفُوا الطَّائِفَةَ الْمَنَائِيَّةَ^٢، فَإِنَّهُمْ كَانُوا
 يُحَرِّمُونَ أَكْلَ اللَّحْمِ مُطْلَقًا، وَرَدَّ الْمَلِكُ أَعْرَادِيَانُوسَ كُلَّ مَنْ نَفَاهُ وَالْيَسَ مِنَ الأَسَاقِفَةِ، وَأَمَرَ أَنْ
 يَلْزَمَ كُلُّ وَاحِدٍ دِينَهُ مَا خَلَا الْمَنَائِيَّةَ^٣.

ثُمَّ أُقِيمَ بِكُرْسِيِّ الإِسْكَنْدرِيَّةِ ثَاوُفِيلَا، فَأَقَامَ سَبْعًا وَعَشْرِينَ سَنَةً، وَمَاتَ فِي ثَامِنِ عَشْرِ بَابَةِ^٤.
 وَفِي أَيَّامِهِ ظَهَرَ الْفِثِيَّةُ أَهْلُ الْكَهْفِ - وَكَانَ تَاوُذَاسِيُوسَ إِذْ ذَاكَ مَلِكًا عَلَى الرُّومِ - فَجَنَى عَلَيْهِمْ
 كَنِيْسَةً، وَجَعَلَ لَهُمْ عِيدًا فِي كُلِّ سَنَةٍ^٥.

وَاسْتَدَّ الْمَلِكُ تَاوُذَاسِيُوسَ عَلَى الأَرِيُوسِيِّينَ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِمْ، وَأَمَرَ فَأُخِذَتْ مِنْهُمْ كَنَائِسُ
 النَّصَارَى بَعْدَمَا حَكَمُوهَا نَحْوَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَأَسْقَطَ مِنْ جَيْشِهِ مَنْ كَانَ أَرِيُوسِيًّا، وَطَرَدَ مَنْ كَانَ
 فِي دِيَوَانِهِ وَخَدَمِهِ مِنْهُمْ، وَقَتَلَ مِنَ الْحُنَفَاءِ كَثِيرًا، وَهَدَمَ بُيُوتَ الأَصْنَامِ بِكُلِّ مَوْضِعٍ وَفِي أَيَّامِهِ
 بُنِيَتْ كَنِيْسَةً مَرْيَمَ بِالْقُدُسِ.

وَفِي أَيَّامِ الْمَلِكِ أَرْقَادِيُوسَ^(a) بُنِيَ دَيْرُ الْقَصِيرِ^(b) - الْمَعْرُوفُ الْآنَ بِدَيْرِ الْبَعْلِ - وَفِي جَبَلِ الْمُقَطَّمِ
 شَرْقِي طَرَا خَارِجَ مَدِينَةِ قُسْطَاطِ مِصْرَ^٦.

ثُمَّ أُقِيمَ فِي بَطْرِكِيَّةِ الإِسْكَنْدرِيَّةِ كِرْلُصَ، فَأَقَامَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَمَاتَ فِي ثَالِثِ أَيْيَبَ.
 وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَقَامَ الْقَوْمَةَ فِي كَنَائِسِ الإِسْكَنْدرِيَّةِ وَأَرْضِ مِصْرَ.

(a) النسخ: أَرْغَادِيُوسَ. (b) بُولَاقَ: دَيْرُ الْقَصْرِ.

^١ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ١٤٥-١٤٦؛ وكان أكثر مطاردة مصر وأساقفتهم منانية.

^٢ ساويرس بن المقفع: كتاب الجامع ١٦٤-١٦٦؛ وفيما تقدم

٤٨٦:٢.

^٣ انظر وصف الطائفة المنائية عند ابن البطريق: التاريخ ٥: ٣٩٣؛ وفيما تقدم ٢: ٤٨٥.

^٤ القلقشندي: صبح الأعشى ٥: ٣٩٣؛ وفيما تقدم ٥: ٣٩٣؛ وفيما تقدم

^٥ نفسه ١: ١٥٠-١٥١؛ القلقشندي: صبح الأعشى ١٠٣٠.

^٦ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ١٤٦؛ وفيه:

١: ١٤٧-١٤٨ و *The Blackwell Dictionary of Eastern Christianity*, art. *Manicheanism*, pp. 302-4.

وفي أيامه كان « المَجْمَعُ الثَّالِثُ من مَجَامِعِ النَّصَارَى » ، بسبب نَسْطُورِسِ بَطْرِكِ قُسْطَنْطِينِ ، فإنه مَنَعَ أن تكونَ مَرْيَمُ أمَ عِيسَى ، وقال : إِنَّمَا وُلِدَتْ مَرْيَمُ إِنْسَانًا اتَّخَذَ بِمَشِيئَةِ الإِلهِ - يعني عِيسَى - فَصَارَ الاتِّحَادُ بِالمَشِيئَةِ خَاصَّةً لا بِالذَّاتِ ، وَإِنَّ إِطْلَاقَ الإِلهِ عَلَى عِيسَى لَيْسَ هُوَ بِالحَقِيقَةِ بل بِالمَوْهَبَةِ وَالكِرَامَةِ . وقال : إِنَّ المَسِيحَ حَلَّ فِيهِ الابْنُ الأَزَلِيُّ ، وَإِنِّي أُعْبِدُهُ لِأَنَّ الإِلهَ حَلَّ فِيهِ ، وَإِنَّه جَوْهَرَانِ وَأَقْنُومَانِ وَمَشِيئَةٌ وَاحِدَةٌ . وقال في حُطْبَتِهِ يَوْمَ المِيلَادِ : إِنَّ مَرْيَمَ وُلِدَتْ إِنْسَانًا ، وَأَنَا لا أَعْتَقِدُ فِي ابْنِ شَهْرَيْنِ وَثَلَاثَةِ الإِلهِيَّةِ ، وَلا أَسْجُدُ لَهُ سَجُودِي لِلإِلهِ . وَكانَ هَذَا هُوَ اعْتِقَادُ تَادْرُوسِ وَدِيُونَادَارِسِ الأُسْقُفِيَيْنِ ، وَكانَ مِنْ قَوْلِهِمَا : إِنَّ المَوْلُودَ مِنْ مَرْيَمَ هُوَ المَسِيحُ ، وَالمَوْلُودَ مِنَ الأبِّ هُوَ الابْنُ الأَزَلِيُّ ، وَإِنَّه حَلَّ فِي المَسِيحِ فَسُمِّيَ ابْنُ الإِلهِ بِالمَوْهَبَةِ وَالكِرَامَةِ ، وَإِنَّ الاتِّحَادَ بِالمَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ ، وَأَثْبَتُوا لِلَّهِ - تَعَالَى عَنْ قَوْلِهِمْ - وَالدَّيْنِ : أَحَدُهُمَا بِالْجَوْهَرِ ، وَالأُخَرَ بِالنُّعْمَةِ .

- ١٠ فلَمَّا بَلَغَ كُرْلُصُ بَطْرِكُ الإِسْكَانْدَرِيَّةِ مَقَالَ نَسْطُورِسِ ، كَتَبَ إِليه يُرْجِعُهُ عِنهَا ، فلم يَرْجِعْ . فَكَتَبَ إِلى إِكْلِيمَسِ بَطْرِكِ رُومِيَّةِ ، وَإلى يُوحَنَّا بَطْرِكِ أَنْطَاكِيَّةِ ، وَإلى يُونانِيُوسِ أُسْقُفِ القُدْسِ ، يُعَرِّفُهُمْ بِذَلِكَ . فَكَتَبُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلى نَسْطُورِسِ لِيَرْجِعَ عَنْ مَقَالَتِهِ ، فلم يَرْجِعْ . فَتَوَاعَدَ البِطْرَارِكَةُ عَلَى الاجْتِمَاعِ بِمَدِينَةِ إِفْسُسِ . فَاجْتَمَعَ بِهَا مائتا أُسْقُفٍ ، وَلَمْ يَحْضُرْ يُوحَنَّا بَطْرِكُ أَنْطَاكِيَّةِ ، وَامْتَنَعَ نَسْطُورِسُ مِنَ المَجِيءِ إِليهِمْ بَعْدَما كَرَّرُوا الإِرْسَالَ فِي طَلْبِهِ غَيْرَ مَرَّةٍ ، فَنَظَرُوا فِي مَقَالَتِهِ ، وَحَزَمُوهُ وَنَقَوْهُ . فَحَضَرَ بَعْدَ ذَلِكَ يُوحَنَّا ، فَعَزَّ عَلَيْهِ فَضْلُ الأَمْرِ قَبْلَ قُدُومِهِ ، وَانْتَصَرَ لِنَسْطُورِسِ ، وقال : قَدْ حَزَمُوهُ بِغَيْرِ حَقٍّ^١ .

وَتَفَرَّقُوا مِنْ إِفْسُسِ عَلَى شَرٍّ ، ثُمَّ اضْطَلَحُوا ، وَكَتَبَ المَشْرِيقِيُّونَ صَحِيفَةً بِأَمَانَتِهِمْ وَبِحَزْمَانِ نَسْطُورِسِ ، وَبَعَثُوا بِهَا إِلى كُرْلُصِ . فَقَبِلَهَا ، وَكَتَبَ إِليهِمْ بِأَنَّ أَمَانَتَهُ عَلَى ما كَتَبُوا . فَكانَ بَيْنَ المَجْمَعِ الثَّانِي وَبَيْنَ هَذَا المَجْمَعِ خَمْسُونَ - وَقِيلَ خَمْسٌ وَخَمْسُونَ - سَنَةً .

- ٢٠ وَأما نَسْطُورِسُ فَإِنَّه نُفِيَ إِلى صَعِيدِ مِصْرَ ، فَتَزَلَّ مَدِينَةَ إِخْمِيمِ ، وَأقامَ بِهَا سَبْعَ سَنِينَ ، وَماتَ فَذْفِنَ بِهَا . وَظَهَرَتْ مَقَالَتُهُ ، فَقَبِلَهَا بَرُصُوما أُسْقُفِ نَصِيبِينَ ، وَدانَ بِهَا نَصَارَى أَرْضِ فَارِسِ وَالعِراقِ وَالمُؤَصِّلِ وَالجَزِيرَةِ إِلى الفُراتِ ، وَغَرَّفُوا إِلى اليَوْمِ بِ « النُّسْطُورِيَّةِ »^٢ .

^١ ابن البطريق: التاريخ المجموع ١: ١٥٥، ١٥٦ -

١٥٨، وانظر كذلك الشهرستاني: الملل والنحل ١: ٢٠٥ -

Holmberg, B., *El*² art. *Nastûriyyûn* VII, ٢٠٦

pp. 1032-35، وانظر ردة سعيد بن البطريق على النسطوريين

في التاريخ المجموع ١: ١٥٩-١٧٦ .

^٢ راجع عن مجمع إفسس الذي عُقد سنة ٤٣١ م،

ساويرس بن المقفع: كتاب الجامع ١٦٦-١٦٨ The

Oxford Dictionary of Byzantium art. *Ephesus*,

Council of I, p. 707, Leslie W. Barnard, *CE* art.

Ephesus, First Council of III, pp. 959-60.

ثم قَدَّمَ تاوداسيوس ملك الروم ، في الثامنة من مُلكه ، دِيَسْقُورُسَ بَطْرَكًا بالإسكندرية ، فظَهَرَ في أَيامه مَذْهَبُ أوطاخي ، أَحَدِ القُسُوسِ^(a) بالقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَزَعَمَ أَنَّ جَسَدَ المَسِيحِ لَطِيفٌ غير مُساوٍ لأجسادنا ، وَأَنَّ الابنَ لم يأخذ من مريمَ شيئًا . فَاجْتَمَعَ عليه مائةٌ وثلاثونَ أسقفًا ، وَحَرَّمُوهُ^١ .

وَاجْتَمَعَ بالإسكندرية كثيرٌ من اليَهُودِ في يومِ الفِصحِ ، وَصَلَبُوا صَنَمًا على مِثَالِ المَسِيحِ وَعَبَثُوا به ، فَتَارَ بَيْنَهُمُ وَبَيْنَ النَّصَارَى شَرٌّ قُتِلَ فِيهِ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ مَلِكُ الرُّومِ جَيْشًا قَتَلَ أَكْثَرَ يَهُودِ الإسكندرية .

وَكَانَ « المَجْمَعُ الرَّابِعُ مِنْ مَجَامِعِ النَّصَارَى بِمَدِينَةِ خَلْقِدُونِيَّةِ » . وَسَبَبُهُ أَنَّ دِيَسْقُورُسَ ، بَطْرَكَ الإسكندرية ، قَالَ : إِنَّ المَسِيحَ جَوْهَرٌ مِنْ جَوْهَرَيْنِ ، وَقُنُومٌ مِنْ قُنُومَيْنِ ، وَطَبِيعَةٌ مِنْ طَبِيعَتَيْنِ ، وَمَشِيقَةٌ مِنْ مَشِيقَتَيْنِ . وَكَانَ رَأْيُ مَرْقِيَانُوسِ مَلِكِ الرُّومِ أَنَّهُ جَسَدٌ ، وَأَهْلِي مَمْلَكَتِهِ أَنَّهُ جَوْهَرَانِ وَطَبِيعَتَانِ وَمَشِيقَتَانِ وَقُنُومٌ وَاحِدٌ . فَلَمَّا رَأَى الأَسَاقِفَةَ أَنَّ هَذَا رَأْيَ المَلِكِ خَافُوهُ ، فَوَافَقُوهُ عَلَى رَأْيِهِ ، مَا خِلا دِيَسْقُورُسَ وَسِتَّةَ أَسَاقِفَةَ ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يُوَافِقُوا المَلِكَ ، وَكَتَبَ مَنْ عَدَاهُمْ مِنَ الأَسَاقِفَةِ خُطُوبَهُمْ بِمَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ .

فَبَعَثَ دِيَسْقُورُسَ يَطْلُبُ مِنْهُمُ الكِتَابَ لِيَكْتُبَ فِيهِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ كِتَابُهُمْ ، كَتَبَ فِيهِ أَمَانَتَهُ هُوَ ، وَحَرَّمَهُمْ وَكُلَّ مَنْ يَخْرُجُ عَنْهَا . فَغَضِبَ المَلِكُ مَرْقِيَانُوسَ ، وَهَمَّ بِقَتْلِهِ ، فَأَشِيرَ عَلَيْهِ بِإِحْضَارِهِ وَمُنَاطَرَتِهِ ، فَأَمَرَ بِهِ فَحَضَرَ ، وَحَضَرَ سِتُّ مِائَةٍ وَأَرْبَعَةٌ وَثَلَاثُونَ أُسْقَفًا . فَأَشَارَ الأَسَاقِفَةُ وَالبَطَارِكَةُ عَلَى دِيَسْقُورُسَ بِمُوَافَقَةِ رَأْيِ المَلِكِ ، وَاسْتِمْرَارِهِ عَلَى رِيَاسَتِهِ . فَدَعَا لِلْمَلِكِ وَقَالَ لَهُمْ : المَلِكُ لَا يَلْزِمُهُ البَحْثُ فِي هَذِهِ الأُمُورِ الدَّقِيقَةِ ، بَلْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتَغِلَ بِأُمُورِ مَمْلَكَتِهِ وَتَدْبِيرِهَا ، وَيَدْعَ الكَهَنَةَ يَتَحَثُّونَ عَنِ الأَمَانَةِ المُسْتَقِيمَةِ فَإِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ الكُتُبَ ، وَلَا يَكُونُ لَهُ هَوَى مَعَ أَحَدٍ وَيَتَّبِعُ الحَقَّ .

فَقَالَتْ بَلْخَارِيَّةُ زَوْجَةُ المَلِكِ مَرْقِيَانُوسَ ، وَكَانَتْ جَالِسَةً / بِإِزَائِهِ : يَا دِيَسْقُورُسَ قَدْ كَانَ فِي زَمَانِ أُمِّي إِنْسَانٌ قَوِي الرُّأْسِ مِثْلِكَ ، وَحَرَّمُوهُ وَنَفَّوهُ عَنِ كُرْسِيِّهِ ، تَعْنِي يُوحَنَّا فَمَ الذَّهَبَ بَطْرَكَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ . فَقَالَ لَهَا : قَدْ عَلِمْتَ مَا جَرَى لِأُمَّكَ ، وَكَيْفَ ابْتَلَيْتِ بِالْمَرَضِ الَّذِي تَعْرِفِيهِ ، إِلَى أَنْ

(a) بولاقي : الثانية . (b) بولاقي : القنوميين .

^١ ابن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ١٧٩-١٨٠ ؛ ساويرس بن المقفع : كتاب المجامع ١٦٦-١٦٨ .

مَضَتْ إِلَى جَسَدِ يُوْحَنَّا فَمِ الدَّهَبِ ، وَاسْتَعْفَرَتْ فَعُوفِيثُ . فَحَنَقَتْ مِنْ قَوْلِهِ ، وَلَكَمْتَهُ ، فَانْقَلَعَ لَهُ ضِرْسَانٌ ، وَتَنَاوَلَتْهُ أَيْدِي الرِّجَالِ ، فَتَنَّقُوا أَكْثَرَ لِحْيَتِهِ ، وَأَمَرَ الْمَلِكُ بِحِرْمَانِهِ وَنَفِيهِ عَنْ كُرْسِيِّهِ . فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَحَرَّمُوهُ وَنَفَوْهُ ، وَأَقِيمَ عِوَضَهُ بُرْطَاوُسٌ^(a) .^١

ومن هذا المجمع افترق النصارى ، وصاروا « ملكية » على مذهب مزقياثوس الملك ، و« يعقوبية » على رأي ديشقورس ، وذلك في سنة ثلاث وتسعين ومائة لديقلياثوس ، وكتب مزقياثوس إلى جميع مملكته أن كل من لا يقول بقوله يقتل . فكان بين المجمع الثالث وبين هذا المجمع إحدى وعشرون سنة^٢ .

وأما ديشقورس فإنه أخذ ضرسيه وشعر لحيته وأرسلها إلى الإسكندرية ، وقال : هذه ثمرة تعبي على الأمانة . فتبعه أهل إسكندرية ومصر ، وتوجه في نفيه فعبر على القدس وفلسطين ، وعرفهم مقالته ، فتبعوه وقالوا بقوله ، وقدم عدة أساقفة يعقوبية ، ومات وهو منفي في رابع ثوت ، فكانت مدة بطركيته أربع عشرة سنة . وبقي كرسي المملكة بغير بطرك مدة مملكة مزقياثوس ، وقيل بل قدم برطاوس^(a) .^{١٠}

وقد اختلف في تسمية « اليعقوبية » بهذا : فقيل : إن ديشقورس كان يسمى قبل بطركيته يعقوب ، وإنه كان يكتب وهو منفي إلى أصحابه بأن يثبتوا على أمانة المسكين المنفي يعقوب . وقيل : بل كان له تلميذ اسمه يعقوب ، وكان يرسله وهو منفي إلى أصحابه ، فسيبوا إليه . وقيل : بل كان يعقوب تلميذ ساويرس بطرك أنطاكية ، وكان على رأي ديشقورس ، فكان ساويرس يبعث يعقوب إلى النصارى ، ويثبتهم على أمانة ديشقورس ، فسيبوا إليه . وقيل بل كان يعقوب كثير العبادة والزهد ، يلبس خرق البراذع ، فسُمي يعقوب البراذعي من أجل ذلك ، وأنه كان يطوف البلاد ، ويرد الناس إلى مقالة ديشقورس ، فنسب من أتبع رأيه إليه ، وسُموا « يعقوبية » ، ويقال ليعقوب أيضا : يعقوب السروجي^٣ .^{١٥}

(a) عن ابن البطريق : بروطاريوس .

^٢ نفسه ١ : ١٨٣ ؛ وقارن القلقشندي : صبح الأعشى

٥ : ٣١٢ .

^٣ عن مذهب « اليعقوبية » أو « أصحاب الطبيعة الواحدة »

أتباع يعقوب البراذعي ، راجع Frend, W.H.C., *The Rise*

^١ سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ١٨١-١٨٢ ؛

ساويرس بن المقفع : كتاب المجمع ١٦٩-١٨٤ ؛ وانظر

كذلك *The Oxford Dictionary of Byzantium* art.

Chalcedon, Council of I, p. 404; Frend, W.H.C.,

CE art. Chalcedon, Council of II, pp. 512-15.

وفي أيام مَرْقِيَانُوس كان سَمْعَانُ الحَبِيس ، صَاحِبُ العَمُود ، وهو أَوَّلُ رَاهِبٍ سَكَنَ صَوْمَعَةً ، وكان مُقَامُهُ بِمَغَارَةٍ فِي جَبَلِ أَنْطَاكِيَّةِ ^١ .

ولَمَّا مَاتَ مَرْقِيَانُوس ، وَثَبَ أَهْلُ الإِسْكَنْدرِيَّةِ عَلَى بُرْطَاوُس ^a البَطْرِكِ ، وَقَتَلُوهُ فِي الكَنِيسَةِ ، وَحَمَلُوا جَسَدَهُ إِلَى المَلْعَبِ الَّذِي بَنَاهُ بَطْلَمِيُوس ، وَأَحْرَقُوهُ بِالنَّارِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ مَلِكِي الاِغْتِقَادِ ، فَكَانَتْ مُدَّةُ بَطْرِكِيَّتِهِ سِتِّ سِنِينَ ^٢ .

وَأَقَامُوا عِوَضَهُ طِيمَاثَاوُس ^b - وَكَانَ يَعْقُوبِيًّا - فَأَقَامَ ثَلَاثَ سِنِينَ ، وَقَدِيمَ قَائِدٍ مِنْ قُسْطَنْطِينِيَّةِ ^٣ فَتَفَاهَ ، وَأَقَامَ عِوَضَهُ سَاوِيرُس - وَكَانَ مَلِكِيًّا - فَأَقَامَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَمَاتَ فِي سَابِعِ مِيسْرَى ^٤ .

فَلَمَّا مَلَكَ زَيْتُونُ بْنُ لَأُونِ الرُّومِ ، أَكْرَمَ اليَعْقُوبِيَّةَ ، وَأَعَزَّهُمْ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْقُوبِيًّا ، وَكَانَ يَحْمِلُ إِلَى دَيْرِ بَوْمَقَار ^a ^٥ كُلَّ سَنَةٍ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ القَمْحِ وَالزَّيْتِ . وَهَزَبَ سَاوِيرُسُ مِنْ كُرْسِيِّ الإِسْكَنْدرِيَّةِ إِلَى وَادِي هُبَيْبٍ ، وَرَجَعَ طِيمَاثَاوُسُ مِنْ نَفْيِهِ ، فَأَقَامَ بَطْرِكًا سِنَيْنِ وَمَاتَ . فَأَقِيمَ بَعْدَهُ بُطْرُسُ ، فَأَقَامَ ثَمَانِ سِنِينَ وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَسِتَّةَ أَيَّامٍ ، وَمَاتَ فِي رَابِعِ هَتُور ^٦ .

فَأَقِيمَ بَعْدَهُ اثْنَاثِيُوس ^c ، فَأَقَامَ سَبْعَ سِنِينَ ، وَمَاتَ فِي العِشْرِينَ مِنْ ثُوتٍ ، وَفِي أَيَّامِهِ اخْتَرَقَ المَلْعَبُ الَّذِي بَنَاهُ بَطْلَمِيُوس ^٧ . وَأَقِيمَ يُوْحَنَّا فِي بَطْرِكِيَّةِ الإِسْكَنْدرِيَّةِ - وَكَانَ يَعْقُوبِيًّا - فَأَقَامَ تِسْعَ سِنِينَ ، وَمَاتَ فِي رَابِعِ بَشْنَسٍ ، فَخَلَا الكُرْسِيَّ بَعْدَهُ سَنَةً . ثُمَّ أَقِيمَ يُوْحَنَّا الحَبِيسُ ، فَأَقَامَ إِحْدَى

(a) عند ابن البطريق: بروطاروس . (b) عند ابن البطريق: ثيموثاوس . (c) عند ابن البطريق: إيناس .

^٣ يقال له بلاوس (ابن البطريق) .

^٤ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ١٨٤ (وفيه) وكان يعقوبيا أقام خمس عشر سنة ومات ؟ .

^٥ حاشية بخط المؤلف: «أثنا مقل كان أشف أذكر، فنفى مع ديشقورس، ودتر بو مقل بوادي هبيب». (انظر فيما يلي ٥٠٨:٢) .

^٦ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ١٨٥ .

^٧ نفسه ١: ١٨٦ .

of the Monophysite Movement, 2nd edition, Cambridge 1979; id., CE art. Monophysitism V, pp. 1669-79; Aziz S. Atiya, CE art. Jacob Baradaeus IV, pp. 1318-19; , El² art. Ya'kubiyya؛ وكذلك الشهرستاني: الملل والنحل ١: ٢٠٦-٢٠٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى ١٣: ٢٧٨-٢٨٠ .

^١ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ١٨٣ .

^٢ نفسه ١: ١٨٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى

وعشرين سنة^a، ومات في سابع عشرين بشنس . فأقيم بعده ديسقورس الجديد ، فأقام سنتين وخمسة أشهر ، ومات في سابع عشر بابة^b ١ .

وكتب إيليا بطرك القدس ، إلى نسطاس ملك الروم ، بأن يرجع عن مقالة اليعقوبية إلى مقالة الملكية ، وبعث إليه جماعة من الرهبان بهديّة سنّية . فقبل هديّته ، وأجاز الرهبان بجوائز جليّة ، وجّهز له مالا جزيلًا لعمارة الكنائس والديارات والصدقات . فتوجه ساويرس إلى نسطاس ، وعرفه أن الحق هو اعتقاد اليعقوبية ، فأمر أن يكتب إلى جميع مملكته بقبول قول ديسقورس ، وترك المجمع الخلقدوني . فبعث إليه بطرك أنطاكية بأن هذا الذي فعلته غير واجب ، وأن المجمع الخلقدوني هو الحق . فغضب الملك ونفاه ، وأقام بدله .

فأمر إيليا ، بطرك القدس ، بجمع الرهبان ورؤساء الديارات . فاجتمع له منهم عشرة آلاف نفس ، وأحرموا نسطاس الملك ومن يقول بقوله . فأمر نسطاس بنفي إيليا إلى مدينة أيلة ، فاجتمع بطارقة الملكية وأساقفتهم وأحرموا الملك نسطاس ومن يقول بقوله ٢ .

وفي أيام نسطانوس الملك ، ألزم الحنفاء أهل حرّان - وهم الصابئة - بالتنصر . فتنصر كثير منهم ، وقتل أكثرهم على امتناعهم من دين النصرانية ، ورد جميع من نفاه نسطاس من الملكية ، فإنه كان ملكيًا . وأقيم طيماتاوس^c في بطركية الإسكندرية - وكان يعقوبيًا - فأقام ثلاث سنين ونفى ٣ .

وأقيم بدله أبوليناريوس ، وكان ملكيًا ، فجدد في رجوع النصارى بأجمعهم إلى رأي الملكية ، وبذل جهده في ذلك ، وألزم نصارى مصر بقبول الأمانة المحدثّة ، فوافقوه / ووافقهم رهبان ديارات بومقار بوادي هبيب . هذا ويعقوب البراذعي يدور في كل موضع ، ويثبت أصحابه على الأمانة التي زعم أنها مستقيمة . وأمر الملك جميع الأساقفة بعمل الميلاد في خامس عشرين كانون الأوّل ، وعمل الغطاس ليست تخلو من كانون الثاني ، وكان كثير منهم

(a) عند ابن البطريق : إحدى عشرة سنة . (b) عند ابن البطريق : أقام سنة واحدة ومات . (c) عند ابن البطريق :

ثاودوسيوس .

^٣ نفسه ١ : ١٩٩ .

^١ ابن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ١٩٢ .

^٢ نفسه ١ : ١٩٣ - ١٩٤ .

يَعْمَل الميلاذ والغطاس في يومٍ واحدٍ، وهو سادس كانون الثاني، وعلى هذا الرأي الأزمن إلى يومنا هذا.

وفي هذه الأيام ظهر يوحنا النحوي بالإسكندرية، وزعم أن الأب والابن وروح القدس ثلاثة آلهة، وثلاث طبائع وجوهز واحد. وظهر يوليان، وزعم أن جسد المسيح نزل من السماء، وأنه لطيف روحاني لا يقبل الآلام إلا عند مقارفة الخطيئة، والمسيح لم يقارِف خطيئة، فلذلك لم يَصَلب حقيقة ولم يتألم ولم يمُت، وإنما ذلك كله خيال.

فأمر الملك البطرِك طيماتاؤس أن يزجِع إلى مذهب الملكيَّة فلم يفعل، فأمر بقتله، ثم شفَع فيه ونفي. وأقيم بدلَه بولص - وكان ملكيًّا - فأقام سنتين، فلم يزُصه اليعاقبة، وقيل إنهم قتلوه، وصيِّروا عوضه بطرِكا ديلوس - وكان ملكيًّا - فأقام خمس سنين في شدَّة من التعب، وأرادوا قتله، فهرب وأقام في هربه خمس سنين ومات^١.

فبلغ ملك الروم يوشطيانوس أن اليعقوبية قد غلبوا على الإسكندرية ومصر، وأنهم لا يقبلون بطارِكتَه. فبعث أبولينازيوس أحد قواده، وضم إليه عسكرا كبيرا، إلى الإسكندرية. فلما قدِمها، ودخل الكنيسة نزع عنه ثياب الجند، وليس ثياب البطارِكة وقدس. فهم ذلك الجمع برجمه، فأنصرف وجمع عسكره، وأظهر أنه قد أتاه كتاب الملك ليقرأه على الناس، وضرب الجرس في الإسكندرية يوم الأحد. فاجتمع الناس إلى الكنيسة حتى لم يبق أحد، فطلع المنبر وقال: يا أهل الإسكندرية إن تركتم مقالة اليعقوبية، وإلا أخاف أن يُرسل الملك فيقتلكم، ويستبيح أموالكم وحرمتكم. فهتموا برجمه، فأشار إلى الجند، فوضَعوا السيف فيهم، فقتل من الناس ما لا يُحصى عدده حتى خاض الجند في الدماء، وقيل إن الذي قُتل يومئذ مائتا ألف^٢ إنسان، وفرَّ منهم خلق إلى الديارات بوادي هيب، وأخذ الملكية كنائس اليعاقبة^٣. ومن يومئذ صار كُرسي اليعقوبية في دَيْر بومقار بوادي هيب^٣:

(a) في صبح الأعشى: مائتين.

^٢ القلقشندي: صبح الأعشى ٥: ٣١٢.

^١ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ١٩٩-٢٠٠،

^٣ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٢٠٠-٢٠١،

ويشتمل نص المقريري على معلومات عن اليعاقبة لا توجد في

ونشرة Breydy ١٠٥.

نص ابن البطريق؟

وفي أَيَّامِهِ ثَارَتِ السَّامِرَةُ عَلَى أَرْضِ فَلَسْطِينَ ، وَهَدَمُوا كَنَائِسَ النُّصَارِيِّ ، وَأَحْرَقُوا مَا فِيهَا ، وَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِنَ النُّصَارِيِّ فَبَعَثَ الْمَلِكُ جَيْشًا قَتَلُوا مِنَ السَّامِرَةِ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَوَضَعَ مِنْ خَرَجِ فَلَسْطِينَ جُمْلَةً ، وَجَدَّدَ بِنَاءَ الْكَنَائِسِ ، وَأَنْشَأَ مَارِسْتَانًا بِيْتِ الْمَقْدِسِ لِلْمَرْضَى ، وَوَسَّعَ فِي بِنَاءِ كَنِيسَةِ بَيْتِ لَحْمٍ ، وَبَنَى دَيْرًا بِطُورِ سِينَاءٍ^١ ، وَعَمِلَ عَلَيْهِ حِصْنًا حَوْلَهُ عِدَّةَ قَلَالِي ، وَرَتَّبَ فِيهَا حَرَسًا لِحِفْظِ الرُّهْبَانِ^٢ .

وفي أَيَّامِهِ كَانَ « الْمَجْمَعُ الْخَامِسُ مِنْ مَجَامِعِ النُّصَارِيِّ » . وَسَبَبُهُ أَنَّ أُرِيَجَانُسَ ، أُسْقُفَ مَدِينَةِ مَنبِجٍ ، قَالَ بِتَنَاسُخِ الْأَزْوَاحِ ، وَقَالَ كُلُّ مَنْ أُسْقِفَ أَنْقَرَةَ وَأُسْقِفَ الْمَصِيصَةَ وَأُسْقِفَ الرُّهْمَا : إِنَّ جَسَدَ الْمَسِيحِ نَحِيَالٌ لَا حَقِيقِي . فَحَمِلُوا إِلَى القُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَجُمِعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَطْرِكِهَا أَوْطَسَ^٣ ، وَنَظَرَهُمْ وَأَوْقَعَ عَلَيْهِمُ الْحِرْمَانَ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يُجْمَعَ لَهُمْ مَجْمَعٌ ، وَأَمَرَ بِأَخْضَارِ الْبَطَارِكَةِ وَالْأَسَاقِفَةِ ، فَاجْتَمَعَ مِائَةٌ وَأَرْبَعُونَ أُسْقُفًا ، وَحَرَمُوا هَوْلَاءِ الْأَسَاقِفَةِ وَمَنْ يَقُولُ بِقَوْلِهِمْ . فَكَانَ بَيْنَ الْمَجْمَعِ الرَّابِعِ الْخَلِيقْدُونِيِّ وَبَيْنَ هَذَا الْمَجْمَعِ مِائَةٌ وَثَلَاثَ وَسِتُّونَ سَنَةً^٤ .

وَلَمَّا مَاتَ الْقَائِدُ الَّذِي عَمِلَ بِطْرِكِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، بَعْدَ سَبْعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ ، أُقِيمَ بَعْدَهُ يُوحَنَّا - وَكَانَ مَنَاتِيًّا - فَأَقَامَ ثَلَاثَ سِنِينَ وَمَاتَ^٥ .

وَقَدَّمَ الْيَعَاقِبَةُ بِطْرِكًا اسْمُهُ ثَاوَدَاسِيُوسُ [Theodose] ، أَقَامَ مُدَّةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَقَدَّمَ الْمَلِكِيَّةَ بِطْرِكًا اسْمُهُ دَاقِيُوسُ^٦ [Gainus] . فَكَتَبَ الْمَلِكُ إِلَى مُتَوَلِّيِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ أَنْ يَعْزِضَ عَلَى بِطْرِكِ الْيَعَاقِبَةَ أَمَانَةَ الْمَجْمَعِ الْخَلِيقْدُونِيِّ ، فَإِنَّ لَمْ يَقْبَلْهَا أَخْرَجَهُ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ ذَلِكَ فَلَمْ يَقْبَلْهُ ، فَأَخْرَجَهُ وَأَقَامَ بَعْدَهُ بُوَلُصَ التَّنِيسِيِّ [Paul le Tobennesiote] ، فَلَمْ يَقْبَلْهُ أَهْلُ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَمَاتَ ، فَعَلَّقَتْ كَنَائِسُ الْقِبْطِ الْيَعَاقِبَةَ ، وَأَصَابَهُمْ مِنَ الْمَلِكِيَّةِ شَدَائِدٌ كَثِيرَةٌ ، وَاسْتَجَدَّ الْيَعَاقِبَةُ

(a) عند ابن البطريق : أوتيشيوس . (b) عند ابن البطريق : مائة سنة وثلاث سنين . (c) في صبح الأعشى :

داقيانوس .

الفترة بين ٥ مايو ويونيه سنة ٥٥٣م ، راجع *The Oxford Dictionary of Byzantium* art. *Constantinople, Council of I*, p. 512; Friend, W.H.C., *CE* art. *Constantinople, Second Council of II*, pp. 595-96.

^١ هو الدَيْرُ الَّذِي يُعْرَفُ الْآنَ بِ«دَيْرِ سَائِتِ كَاثَرِينَ» فِي جَنُوبِ شِبْهِ جَزِيرَةِ سِينَاءِ . (فِيمَا بَلِي ١٠٥٦-١٠٥٩) .

^٢ سَعِيدُ بْنُ الْبَطْرِيْقِ : التَّارِيخُ الْمَجْمُوعُ ١: ٢٠١-٢٠٤ . نَصٌّ أَكْثَرُ تَفْصِيْلًا ، وَنَشْرَةُ Breydy ١٠٥-١٠٦ .

^٣ نَفْسُهُ ١: ٢٠٥ ، وَعَقِدَ هَذَا الْمَجْمَعُ فِي القُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي

^٤ نَفْسُهُ ١: ٢٠٩ .

بالإسكندرية كنيستين في سنة ثمان وأربعين ومائتين لدقليطيانوس^١.

ومات ثاوداشيوس ثامن عشرين بؤونة بعد اثنتين وثلاثين سنة من بطركيته ، منها مدة أربع سنين مدة نفيه في صعيد مصر ، وأقيم بعده بطرس - وكان يعقوبيا - في حفية بدير الزجاج بالإسكندرية ، قدمه ثلاثة أساقفة . فأقام سنتين ، ومات في خامس عشرين بؤونة .

وفي سنة إحدى وثمانين وثمان مائة للإسكندرية^٢ ، أقيم داميانو بطركا بالإسكندرية - وكان يعقوبيا - فأقام ستا وثلاثين سنة ، ومات في ثامن عشرين بؤونة . وفي أيامه خربت الديارا ، وأقام الملكة لهم بالإسكندرية بطركا منايثا اسمه أثناس [Athanasé] ، فأقام خمس سنين ومات . فأقيم بعده يوحنا - وكان منايثا - ولقب بـ « القائم بالحق » ، فأقام خمسة أشهر ومات . فأقيم بعده يوحنا « القائم بالأمر » - وكان ملكيا - فأقام إحدى عشرة سنة ، ومات^٣ .

وفي أيام الملك طيباريوس ملك الروم ، بنى النصارى بالمداين - مداين كسرى - هيكلا وبنوا أيضا بمدينة واسط هيكلا آخر .

وفي أيام الملك موريق قيصر ، زعم راهب اسمه مارون أن المسيح - عليه السلام - طبيعتان ومشية واحدة / وأقوم واحد . فتبعه على رأيه أهل حماة وقنشرين والعواصم وجماعة من الروم ، ودأبوا بقوله ، فعرفوا بين النصارى بـ « المارونية » ، فلما مات مارون ، بنوا على اسمه دير مارون بحماة^٣ .

وفي أيام فوفا ملك الروم ، بعث كسرى ملك فارس جيوشه إلى بلاد الشام ومصر ، فحربوا كنائس القدس وفلسطين وعامة بلاد الشام ، وقتلوا النصارى بأجمعهم ، وأتوا إلى مصر في طلبهم ، فقتلوا منهم أمة كبيرة ، وسبوا منهم سببا لا يدخل تحت حصر . وساعدتهم اليهود في

(a) ساقطة من بولاق .

«المقالات في أصول الديانات» ، وهو كتاب مفقود الآن ؛ وراجع عن المارونية أتباع القديس مارون والمنتشرين الآن في لبنان على وجه الخصوص Janin, J., *Les églises orientales et les rites orientaux*, Letouzey & Ané 1997, pp. 446-67; *The Blackwell Dictionary of Eastern Christianity*, art. *Maronite Church*, pp. 305-8.

^١ القلقشندي : صبح الأعشى ٥ : ٣١٣ .

^٢ Wiet, G., Note sur Maspero, J., *Historie des Patriarches d'Alexandrie*, Paris 1922, p. 220.

^٣ سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ١ : ٢١٠ ؛ المسعودي : التنبيه والإشراف ١٥٣-١٥٤ وأضاف المسعودي : «وقد أتينا على شرح مذهبه ... في كتابنا في

مُحَارَبَةِ النَّصَارَى وَتَخْرِيْبِ كَنَائِسِهِمْ ، وَأَقْبَلُوا نَحْوَ الفُرْسِ مِنْ طَبْرِيَّةَ وَجَبَلِ الْجَلِيلِ وَقَرْيَةَ النَّاصِرَةِ وَمَدِينَةَ صُورِ وَبِلَادِ المَقْدِسِ ، فَنَالُوا مِنَ النَّصَارَى كُلَّ مَنَالٍ ، وَأَعْظَمُوا النُّكَايَةَ فِيهِمْ ، وَخَرَّبُوا لَهُمْ كَنِيسَتَيْنِ بِالقُدْسِ ^١ ، وَخَرَّبُوا أَمَا كِنْتَهُمْ ، وَأَخَذُوا قِطْعَةً مِنْ عُوْدِ الصَّلِيبِ ، وَأَسْرَوْا بَطْرِكَ القُدْسِ وَكَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِهِ . ثُمَّ مَضَى كِشْرَى بِنَفْسِهِ مِنَ العِرَاقِ لَغَزْوِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ ، تَحْتَ مَلِكِ الرُّومِ ، فَحَاصَرَهَا أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً ^٢ .

وَفِي أَيَّامٍ فَوْقَ أَقِيمَ يُوحَنَّا الرَّحْمِ ، بَطْرِكَ الإسْكَندَرِيَّةِ ، عَلَى المَلِكِيَّةِ . فَدَبَّرَ أَرْضَ مِصْرَ كُلَّهَا عَشْرَ سِنِينَ ، وَمَاتَ بِقُبُورِ وَهُوَ فَارٌّ مِنَ الفُرْسِ . فَخَلَا كُرْسِيَّ إسْكَندَرِيَّةَ مِنَ البَطْرِكِيَّةِ سَبْعَ سِنِينَ ، لِحُلُوقِ أَرْضِ مِصْرَ وَالشَّامِ مِنَ الرُّومِ ، وَاخْتَفَى مِنْ بَقِيَّةِهَا مِنَ النَّصَارَى خَوْفًا مِنَ الفُرْسِ ^٣ .

وَقَدَّمَ اليَعَاقِبَةُ نَسْطَاسِيُوسَ بَطْرِكًا ، فَأَقَامَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَمَاتَ فِي ثَانِي عَشْرِينَ كَيْفَ سَنَةٍ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ لِدِقْلَطِيَانُوسَ ، فَاسْتَرَدَّ مَا كَانَتْ المَلِكِيَّةُ قَدْ اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ مِنَ كَنَائِسِ اليَعَاقِبَةُ ، وَرَمَّ مَا سَعَّهَ الفُرْسُ مِنْهَا . وَكَانَتْ إِقَامَتُهُ بِمَدِينَةِ الإسْكَندَرِيَّةِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنَسَاسِيُوسَ بَطْرِكَ أَنْطَاكِيَّةَ هَدِيَّةً صُحْبَةً عِدَّةَ كَثِيرَةٍ مِنَ الأَسَاقِفَةِ ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ زَائِرًا ، فَتَلَقَّاهُ وَسُرَّ بِقُدُومِهِ ، وَصَارَتْ أَرْضُ مِصْرَ فِي أَيَّامِهِ جَمِيعُهَا يَعَاقِبَةُ لِحُلُوقِهَا مِنَ الرُّومِ .

فَنَارَتْ اليَهُودُ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ بِمَدِينَةِ صُورِ ، وَرَاسَلُوا بِقِيَّتِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ ، وَتَوَاعَدُوا عَلَى الإِيْقَاعِ بِالنَّصَارَى وَقَتْلِهِمْ . فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ حَزْبٌ اجْتَمَعَ فِيهَا مِنَ اليَهُودِ نَحْوَ عَشْرِينَ أَلْفًا ، وَهَدَمُوا كَنَائِسَ النَّصَارَى خَارِجَ صُورِ فَقَوِيَ النَّصَارَى عَلَيْهِمْ وَكَاتَرُوهُمْ ، فَانْهَزَمَ اليَهُودُ هَزِيمَةً قَبِيحَةً ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ^٤ .

وَكَانَ هِرَقْلُ قَدْ مَلَكَ الرُّومَ بِقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَغَلَبَ الفُرْسَ بِجِيلَةٍ دَبَّرَهَا عَلَى كِشْرَى حَتَّى رَحَلَ عَنْهُمْ ، ثُمَّ سَارَ مِنَ قُسْطَنْطِينِيَّةِ لِيَمَهَّدَ مَمَالِكَ الشَّامِ وَمِصْرَ ، وَيُجَدِّدَ مَا خَرَّبَهُ الفُرْسُ مِنْهَا . فَخَرَجَ إِلَيْهِ اليَهُودُ مِنْ طَبْرِيَّةَ وَغَيْرِهَا ، وَقَدَّمُوا لَهُ الهَدَايَا الْجَلِيلَةَ ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُؤْمِنَهُمْ ، وَيُخَلِّفَ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَمَّنَهُمْ وَخَلَفَ لَهُمْ ^٥ .

^١ هما : كَنِيسَةُ الجِسمَانِيَّةِ ، وَكَنِيسَةُ البِنَةِ .

١١٩-١٢١ .

^٢ ابن البَطْرِيْقِ : التَّارِيخُ المَجْمُوعُ ١ : ٢١٦ ، وَنَشْرَةُ Breydy ١١٨-١١٩ .

^٤ نَفْسُهُ ١ : ٢١٨-٢١٩ ، وَنَشْرَةُ Breydy ١٢٢ .

^٥ نَفْسُهُ ٢ : ٢-٤ ، وَنَشْرَةُ Breydy ١٢٤-١٢٧ .

^٣ نَفْسُهُ ١ : ٢١٦-٢١٧ ، ٢١٨ ، وَنَشْرَةُ Breydy

ثم دخل القدس - وقد تلقاه النصارى بالأناجيل والصُّلبان والبُحور والشُّموع المُشعّلة - فوجد المدينة وكنائسها وقمامتها خرابًا، فسأه ذلك وتوجّع له. وأعلمه النصارى بما كان من ثورة اليهود مع الفرس، وإيقاعهم بالنصارى وتخريبهم الكنائس، وأنهم كانوا أشد نكاية لهم من الفرس، وقاموا قيامًا كبيرًا في قتلهم عن آخرهم، وحثوا هرقل على الوقيعة بهم، حَسَنُوا له ذلك. فاحتج عليهم بما كان من تأمينه لهم وحلفه، فأفتاه زُهبانهم وبطاركتهم وقسيسوهم بأنه لا يخرج عليه في قتلهم، فإنهم عملوا عليه حيلة حتى أمّتهم من غير أن يعلم بما كان منهم، وأنهم يقومون عنه بكفارة يمينه: بأن يلتزموا ويلزموا النصارى بصوم جماعة في كل سنة عنه على تمر الزمان والدُّهور. فمال إلى قولهم، وأوقع باليهود وقيعة شنعاء أبادهم جميعهم فيها، حتى لم يبق في ممالك الروم بمصر والشام منهم إلا من قرّ واختفى. فكتب البطارقة والأساقفة إلى جميع البلاد بإلزام النصارى بصوم أسبوع في السنة، فالتزموا صومه إلى اليوم، وعرفت عندهم بـ «جمعة هرقل»، وتقدّم هرقل بعمارة الكنائس والديارات، وأنفق فيها مالًا كبيرًا^١.

وفي أيامه أقيم أدراسلون^(a)، بطرك اليعاقبة بالإسكندرية، فأقام ست سنين، ومات في ثامن طوبة، فخربت الديارات في مدة بطركيته^٢. وأقيم بعده على اليعاقبة بنيامين، فعمر الدّير الذي يُقال له «دير أبو يشاي» و«دير سيّدة أبو يشاي»، وهما في وادي هيب، فأقام تسعًا وثلاثين سنة، ملك الفرس منها مصر عشر سنين^٣.

ثم قدم هرقل فقتل الفرس بمصر، وأقام فيرش بطرك الإسكندرية - وكان مناتيًا - وطلب بنيامين ليقتله فلم يقدر عليه لفراره منه^٤. وكان هرقل مارونيًا، فظفر بمينا أخي بنيامين، فأخرقه بالنار عداوة لليعاقبة، وعاد إلى القسطنطينية. فأظهر الله دين الإسلام في أيامه، وخرج ملك مصر والشام من يد النصارى، وصار النصارى ذمة للمسلمين.

فكانت مدة النصارى منذ رفع المسيح إلى أن فتحت مصر، وصار النصارى من القبط ذمة للمسلمين^(b) منها مدة كونهم تحت أيدي الروم يقتلونهم أترح قتل بالصليب والتخريق بالنار والرجم بالحجارة وتقطيع الأعضاء^(b) ومنها مدة استيلائهم بتنصر الملوك^(b).

(a) كذا في النسخ، والصواب كما في تاريخ بطاركة الكنيسة: أندرونيقوس. (b) بياض في الأصول.

^١ سعيد بن البطريق ٢: ٥-٧، ونشرة Breydy (1907), pp. 484-86.

^٢ Ibid., pp. 487-518. ١٢٧-١٣٠.

^٣ Ibid., pp. 493. ^٤ ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة POI

زَلُّ دُخُولِ النَّصَارَى مِنْ قِبْطٍ مِصْرَ فِي طَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَأَرَائِهِمْ الْجِزْيَةَ وَاتِّخَاذِهِمْ زِمَّةَ لَهُمْ، وَمَا كَانَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَوَارِثِ وَالْأَنْبَاءِ

اعْلَمَ أَنَّ أَرْضَ مِصْرَ، لَمَّا دَخَلَهَا الْمُسْلِمُونَ، كَانَتْ بِأَجْمَعِهَا مَشْحُونَةً بِالنَّصَارَى. وَهُمْ عَلَى قِسْمَيْنِ مَتَبَايِنَيْنِ فِي أَجْناسِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ: أَحَدُهُمَا: «أَهْلُ الدَّوْلَةِ»، وَكُلُّهُمْ رُومٌ مِنْ جُنْدِ صَاحِبِ الْقِسْطَنْطِينِيَّةِ مَلِكِ الرُّومِ، وَرَأْيُهُمْ وَدِيَانَتُهُمْ بِأَجْمَعِهِمْ «دِيَانَةُ الْمَلِكِيَّةِ»، وَكَانَتْ عِدَّتُهُمْ تَزِيدُ عَلَى ثَلَاثِ مِائَةِ أَلْفِ رُومِي. وَالْقِسْمُ الْآخَرُ «عَامَّةُ أَهْلِ مِصْرَ» - وَيُقَالُ لَهُمْ «الْقِبْطُ»^١ - وَأَنْسَابُهُمْ مُخْتَلِطَةٌ، لَا يَكَادُ يَتَمَيَّزُ مِنْهُمْ الْقِبْطِيُّ مِنَ الْحَبَشِيِّ مِنَ الثُّوبِيِّ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيِّ الْأَصْلِ مِنْ غَيْرِهِ، وَكُلُّهُمْ «يَعَاقِبَةُ»: فَمِنْهُمْ كُتَّابُ الْمَمْلُوكَةِ، وَمِنْهُمْ التُّجَّارُ وَالبَاعَةُ، وَمِنْهُمْ الْأَسَاقِفَةُ وَالْقُسُوسُ وَنَحْوُهُمْ، وَمِنْهُمْ أَهْلُ الْفِلاخَةِ وَالزَّرْعِ، وَمِنْهُمْ أَهْلُ الْخِدْمَةِ وَالْمِهْنَةِ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَلِكِيَّةِ أَهْلُ الدَّوْلَةِ مِنَ الْعِدَاوَةِ مَا يَمْتَنِعُ مَنَاكَحَتَهُمْ، وَيُوجِبُ قَتْلَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَيَتَلَعَّ عِدَّتُهُمْ عَشْرَاتِ آلَافٍ كَثِيرَةً جِدًّا، فَإِنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ أَهْلُ أَرْضِ مِصْرَ أَغْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا^٢.

فَلَمَّا قَدِمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِجُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ مَعَهُ إِلَى مِصْرَ، قَاتَلَهُمُ الرُّومُ جِمَاطَةً لِمَلِكِهِمْ وَدَفَعَا لَهُمْ عَنِ بِلَادِهِمْ. فَقَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ، وَغَلَبُوهُمْ عَلَى الْخِصْنِ كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ^٣. فَطَلَبَ الْقِبْطُ مِنْ عَمْرُو الْمُصَالِحَةَ عَلَى الْجِزْيَةِ، فَصَالَحَهُمْ عَلَيْهَا، وَأَقْرَهُمْ عَلَى مَا بَأْيَدِيهِمْ مِنَ الْأَرْضِ وَغَيْرِهَا، وَصَارُوا مَعَهُ عَوْنًا لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى الرُّومِ حَتَّى هَزَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ.

وَكَتَبَ عَمْرُو لِبَنِيَامِينَ بَطْرِكِ الْيَعَاقِبَةِ «أَمَانًا»، فِي سَنَةِ عَشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، فَسَرَّهُ ذَلِكَ وَقَدِمَ عَلَى عَمْرُو، وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ بَطْرِكِيَّةِ بَعْدَمَا غَابَ عَنْهُ ثَلَاثَ عَشْرَةِ سَنَةٍ: مِنْهَا فِي مُلْكِ فَارِسَ لِمِصْرَ عَشْرَ سَنِينَ، وَبَاقِيهَا بَعْدَ قُدُومِ هِرَقْلَ إِلَى مِصْرَ. فَغَلَبَتِ الْيَعَاقِبَةُ عَلَى كَنَائِسِ مِصْرَ وَدِيَارَاتِهَا كُلِّهَا، وَانْفَرَدُوا بِهَا دُونَ الْمَلِكِيَّةِ.

^٢ انظر فيما يلي ١٠٢٤.

^٣ فيما تقدم ١٠٠٢-٢٤.

^١ راجع عن القبط ومدلول المصطلح A.S. Atiya, *El*² art. *al-Kibt* V, pp. 92-97; *The Coptic Encyclopedia* II, pp. 599-635.

ويذكر علماء الأختبار من النصارى^١: أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لما فتح مدينة القدس، كتب للنصارى «أماناً» على أنفسهم وأولادهم ونسائهم وأموالهم، وجميع كنائسهم لا تهدم ولا تُسكن، وأنه جلس في وسط صحن كنيسة القيامة، فلما حان وقت الصلاة خرج وصلى خارج الكنيسة على الدرجة التي على بابها بمفرده، ثم جلس وقال للبطررك: لو صليت داخل الكنيسة لأخذها المسلمون من بعدي، وقالوا: «هاهنا صلى عمر». وكتب كتاباً يتضمن أنه لا يصلي أحد من المسلمين على الدرجة إلا واحداً واحداً، ولا يجتمع المسلمون بها للصلاة فيها، ولا يؤذنون عليها، وأنه أشار عليه البطررك باتخاذ موضع الصخرة مشجداً - وكان فوقها تراب كثير - فتناول عمر - رضي الله عنه - من التراب في ثوبه، فبادر المسلمون لرفعه حتى لم يبق منه شيء، وعمّر المسجد الأقصى أمام الصخرة^٢. فلما كانت أيام عبد الملك ابن مروان، أدخل الصخرة في حرم الأقصى، وذلك سنة خمس وستين من الهجرة^٣.

ثم إن عمر - رضي الله عنه - أتى بيت لحم، وصلى في كنيسته عند الحنية^(a) التي وُلد فيها المسيح، وكتب سجلاً بأيدي النصارى أن لا يصلي في هذا الموضع أحد من المسلمين إلا رجل بعد رجل، ولا يجتمعوا فيه للصلاة، ولا يؤذنوا عليه^٤.

ولما مات البطررك بنيامين في سنة تسع وثلاثين من الهجرة بالإسكندرية، في إمارة عمرو الثانية، قدم اليعاقبة بعده أغاثو^(b)، فأقام سبع عشرة سنة، ومات سنة ست وخمسين^٥. وهو الذي بنى كنيسة مرقس بالإسكندرية، فلم تزل إلى أن هدمت في سلطنة الملك العادل أبي بكر ابن أيوب. وكان في أيامه الغلاء مدة ثلاث سنين، وكان يهتّم بالضعفاء.

(a) بولاق: الخشبية. (b) كذا في النسخ، وعند ساويرس بن المقفع: أغاثون.

^١ يقصد بذلك سعيد بن البطريق (أوتخيوس) والمكين جرجس بن العميد اللذين أوردتا نص الأمان الذي أعطاه الخليفة عمر بن الخطاب لصفروثيوس بطررك بيت المقدس، والذي قدم المقريري هنا ملخصاً محتواه. (وفيما يلي (١٠٥٨).

^٢ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ٢: ١٧-١٨، وفيه: «وهي الصخرة التي كلم الله يعقوب عليها، وسماها

^٣ يعقوب «باب السماء» وسماه بنو إسرائيل «قدس الأقداس»؛ المكين بن العميد: تاريخ المسلمين ٢٨-٢٩. نفسه ٢: ٣٩؛ نفسه ٥٨.

^٤ نفسه ٢: ١٨؛ نفسه ٢٨-٢٩.

^٥ ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة POV (1910), pp. 3-10.

فَأَقِيمَ بَعْدَهُ إِسْكَانًا - وَكَانَ يَغْتَوِيًّا - فَأَقَامَ سِتِينَ وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا وَمَاتَ ١. فَقَدَّمَ الْيَعَاقِبَةُ بَعْدَهُ سَيِّمُونَ الشَّرِيَانِي، فَأَقَامَ سَبْعَ سِنِينَ وَنِصْفًا وَمَاتَ ٢. وَفِي أَيَّامِهِ قَدِمَ رَسُولُ أَهْلِ الْهِنْدِ فِي طَلَبِ أُسْقُفٍ يُقِيمُهُ لَهُمْ، فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى يَأْذَنَ لَهُ السُّلْطَانُ ٣، وَأَقَامَ غَيْرَهُ، وَخَلَا بَعْدَ مَوْتِهِ كُرْسِي الْإِسْكَانِيَّةِ ثَلَاثَ سِنِينَ بَغَيْرِ بَطْرِكٍ.

٥ ثم قَدَّمَ الْيَعَاقِبَةُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ الْإِسْكَانِيَّةَ رُوسَ، فَأَقَامَ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَنِصْفًا - وَقِيلَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً - وَمَاتَ سَنَةَ سِتِّ وَمِائَةٍ ٤. وَمَرَّتْ بِهِ شِدَائِدُ صُودِرَ فِيهَا مَرَّتَيْنِ، أُخِذَ مِنْهُ فِيهِمَا سِتَّةَ آلَافٍ دِينَارٍ. وَفِي أَيَّامِهِ أَمَرَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ، فَأَمَرَ بِإِخْصَاءِ الرُّهْبَانِ فَأَخْضَوْا، وَأُخِذَتْ مِنْهُمْ الْجِزْيَةُ عَنْ كُلِّ رَاهِبٍ دِينَارٍ. وَهِيَ أَوَّلُ جِزْيَةٍ أُخِذَتْ مِنَ الرُّهْبَانِ ٥.

١٠ وَلَمَّا وَلِيَ مِصْرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، اسْتَدَّ عَلَى النَّصَارَى، وَاقْتَدَى بِهِ قُرَّةُ ابْنِ شَرِيكٍ أَيْضًا فِي وِلَايَتِهِ عَلَى مِصْرَ، وَأَنْزَلَ بِالنَّصَارَى شِدَائِدًا لَمْ يُبْتَلَوْا قَبْلَهَا بِمِثْلِهَا ٦. وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الْحَبَّاحِ، مُتَوَلِّيَ الْخَرَاجِ، قَدْ زَادَ عَلَى الْقِبْطِ قِيرَاطًا فِي كُلِّ دِينَارٍ. فَانْتَقَضَ عَلَيْهِ عَامَّةُ الْخَوْفِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْقِبْطِ، فَحَارَبْتَهُمُ الْمُسْلِمُونَ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ عِدَّةً وَافِرَةً فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَمِائَةٍ ٧.

١٥ وَاسْتَدَّ أَيْضًا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدِ التُّوْخِي مُتَوَلِّيَ الْخَرَاجِ عَلَى النَّصَارَى، وَأَوْقَعَ بِهِمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، وَوَسَّمَ أَيْدِي الرُّهْبَانِ بِحَلْقَةٍ حَدِيدٍ فِيهَا اسْمُ الرَّاهِبِ وَاسْمُ دَيْرِهِ وَتَارِيخُهُ. فَكُلٌّ مِنْ وَجَدَهُ بَغَيْرِ وَسْمٍ قَطَعَ يَدَهُ، وَكَتَبَ إِلَى الْأَعْمَالِ / بِأَنَّ مِنْ وَجَدَ مِنَ النَّصَارَى، وَلَيْسَ مَعَهُ مَنَشُورٌ، أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُ عَشْرَةُ دَنَانِيرٍ. ثُمَّ كَبَسَ الدِّيَارَاتِ، وَقَبَضَ عَلَى عِدَّةٍ مِنَ الرُّهْبَانِ بَغَيْرِ وَسْمٍ، فَضَرَبَ أَعْنَاقَ بَعْضِهِمْ، وَضَرَبَ بَاقِيَهُمْ حَتَّى مَاتُوا تَحْتَ الضَّرْبِ ٨. ثُمَّ هُدِمَتِ الْكَنَائِسُ، وَكُسِرَتِ الصُّلْبَانُ،

١ Ragib, Y., «Sauf-Conduits d'Egypte omayyade et abbasside», *An.Isl.* XXXI (1997), pp. 143-68، الذي أورد فيه من خلال أوراق البيروني صورًا لبعض تصاريح الأمان أو جوازات المرور التي كانت تُمنح لدفاعي الجزية في العصرين الأموي والعباسي.

٢ *Ibid.*, p. 64، نفسه ٦٩؛ وراجع مناقشة حقيقة ما يُنارُ حول فترة ولاية قُرَّة بن شريك من خلال أوراق البيروني، فيما تقدم ٤٩:٢ هـ.

٣ الكندي: ولاية مصر ٩٥؛ وفيما تقدم ٢١٢:١-٢١٣.

٤ المكي بن العميد: تاريخ المسلمين ٦٩.

١ ساويرس بن المقفع. *op.cit.*, pp. 21-26.

٢ *Ibid.*, pp. 27-48.

٣ *Ibid.*, pp. 36-37. المكي بن العميد: تاريخ

المسلمين ٦٧-٦٨ (مصدر المقرئ).

٤ *Ibid.*, pp. 50-83؛ نفسه ٦٨.

٥ *Ibid.*, pp. 51-52, 56-60 (وصحف النص فيه فصار

«فأخصى جميع الرهبان» بدل: فأخصى بالحاء المهملة؛

نفسه ٦٨-٦٩.

وانظر حوّل الجزية، فيما تقدم ٢٠٧:١-٢٠٨،

٢٨٨-٢٨٩؛ وأضيف إلى ما ذُكر هناك مقال يوسف

ومُحِيتِ التَّمائِيلُ ، وكُسِرَتِ الأَصْنَامُ بِأَجْمَعِهَا - وكانت كثيرة - في سنة أربع ومائة ، والخليفة يومئذ يزيد بن عبد الملك ^١ .

فلما قام هشام بن عبد الملك في الخلافة ، كَتَبَ إلى مصر بأن يعجري النَّصَارَى على عوايديهم وما بأيديهم من العهد . فقدم حنظلة بن صفوان أميراً على مصر في ولايته الثانية ، فتشدَّد على النَّصَارَى ، وزاد في الخراج ، وأحصى النَّاسَ والبهايم ، وجعل على كل نصراني وشماً صورة أسد ، وتبعهم فمن وجدته بغير وشم قطع يده ^٢ .

ثم أقام اليعاقبة بعد موت الإسكندروس بطركاً اسمه قسيما ، فأقام خمسة عشر شهراً ومات ، فقدموا بعده تاذرس في سنة تسع ومائة ، ومات بعد إحدى عشرة سنة . وفي أيامه أخذت كنيسة بومينا^(a) بخطط الحمراء ، ظاهر مدينة مصر ، في سنة سبع عشرة ومائة ، فقام جماعة من المسلمين على الوليد بن رفاعه أمير مصر بسببها ^٣ .

وفي سنة عشرين ومائة ، قدَّم اليعاقبة ميخائيل بطركاً ، فأقام ثلاثاً وعشرين سنة ومات . وفي أيامه انتقض القبط بالصعيد ، وحاربوا الثعال في سنة إحدى وعشرين ، فحوربوا ، وقُتِلَ كثير منهم . ثم خرج يُحنس بسمنود وحارب ، وقُتِلَ في الحرب ، وقُتِلَ معه قبط كثير في سنة اثنتين وثلاثين ومات . ثم خالفت القبط برشيد ، فبعث إليهم مزوان بن محمد ، لما قدِم مصر ، وهزَمَهُمْ ^٤ .

وقبض عبد الملك بن موسى بن نصير أمير مصر على البطررك ميخائيل ، فاغتنقه وألزمه بمال ، فسار بأساقفة في أعمال مصر يسأل أهلها ، فوجدتهم في شدائد ، فعاد إلى الفسطاط ودفع إلى عبد الملك ما حصل له ، فأفرج عنه . فنزل به بلاء كبير من مزوان ، وبطش به وبالنصارى ، وأحرق مصر وغلاتها . وأسرد عدة من النساء المترهبات ببعض الديارات ، وراود واحدة منهم عن نفسها ، فاحتالت عليه ، ودفعته عنها بأن رغبته في ذهن معها إذا ادَّهن به الإنسان لا يعمل فيه

(a) بولاق : يوفنا .

^١ المكين بن العميد : تاريخ المسلمين ٧٠ ، وقارن مع الكندي : ولاية مصر ٩٩ - ١٠٠ ، وفيما يلي

ساويرس بن المقفع Ibid., pp. 67-72 .

^٢ نفسه ١٠٣ ، ١١٦ ، ١١٨ ، وفيما تقدم ١ : ٢١٣ .

^٣ نفسه ٧٠ .

السُّلَاحَ ، وَأَوْثَقْتَهُ بِأَنْ مَكَّنْتَهُ مِنَ التَّجْرِبَةِ فِي نَفْسِهَا ، فَتَمَّتْ حِيلَتُهَا عَلَيْهِ ، وَأَخْرَجَتْ زَيْتًا أَذْهَنَتْ بِهِ ، ثُمَّ مَدَّتْ عُنُقَهَا ، فَضَرَبَهَا بِسَيْفِهِ أَطَارَ رَأْسُهَا . فَعَلِمَ أَنَّهَا اخْتَارَتْ الْمَوْتَ عَلَى الزَّيْنِ .

وَمَا زَالَ الْبَطْرُكُ وَالنَّصَارَى فِي الْحَدِيدِ مَعَ مَرْوَانَ ، إِلَى أَنْ قُتِلَ بِيُوصِيرَ ، فَأُفْرِجَ عَنْهُمْ .

وَأَمَّا « الْمَلِكِيَّة » فَإِنَّ مَلِكَ الرُّومِ لَاحُونَ ، أَقَامَ قَسِيمًا بَطْرُكَ الْمَلِكِيَّةِ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَمِائَةٍ ، فَمَضَى وَمَعَهُ هَدِيَّةٌ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَكَتَبَ لَهُ بِرَدِّ كَنَائِسِ الْمَلِكِيَّةِ إِلَيْهِمْ ، فَأَخَذَ مِنَ الْيَعَاقِبَةِ كَنِيْسَةَ الْبَشَارَةِ . وَكَانَ الْمَلِكِيَّةُ أَقَامُوا سَبْعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً بَعْدَ بَطْرُكِ فِي مِصْرَ ، مِنْ عَهْدِ عُومَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِلَى خِلَافَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَغَلَبَ الْيَعَاقِبَةُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ عَلَى جَمِيعِ كَنَائِسِ مِصْرَ ، وَأَقَامُوا بِهَا مِنْهُمْ أَسَاقِفَةً . وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ أَهْلَ بِلَادِ الثُّوْبَةِ فِي طَلَبِ أَسَاقِفَةٍ ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِمْ مِنْ أَسَاقِفَةِ الْيَعَاقِبَةِ ، فَصَارَتِ الثُّوْبَةُ مِنْ ذَلِكَ الْعَهْدِ يَعَاقِبَةً ^١ .

١٠ ثُمَّ لَمَّا مَاتَ مِيخَائِيلُ ، قَدَّمَ الْيَعَاقِبَةُ فِي سَنَةِ سِتِّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ أَنْبَا مَسْنَا ، فَأَقَامَ سَبْعَ سِنِينَ وَمَاتَ . وَفِي أَيَّامِهِ خَرَجَ الْقِبْطُ بِنَاحِيَةِ سَخَا ، وَأَخْرَجُوا الْعُمَّالَ فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ ، وَصَارُوا فِي جَمْعٍ . فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ يَزِيدُ بْنُ حَاتِمِ بْنِ قَبِيْصَةَ أَمِيرَ مِصْرَ عَسْكَرًا ، فَأَتَاهُمُ الْقِبْطُ لَيْلًا ، وَقَتَلُوا عِدَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَزَمُوا بَاقِيَهُمْ ^٢ .

١٥ فَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَى النَّصَارَى ، وَاجْتَأَجُوا إِلَى أَكْلِ الْجَيْفِ ، وَهَدِمَتِ الْكَنَائِسُ الْمُحَدَّثَةُ بِمِصْرَ ، فَهَدِمَتِ كَنِيْسَةُ مَرْيَمَ الْمَجَاوِرَةَ لِأَبِي سِنُودَةَ بِمِصْرَ ، وَهَدِمَتِ كَنَائِسُ مَحَارِسِ قُسْطَنْطِينَ . فَبَدَلَ النَّصَارَى لِسُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ أَمِيرِ مِصْرَ فِي تَرْكِهَا خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَأَتَى . فَلَمَّا وُلِيَ بَعْدَهُ مُوسَى بْنُ عِيْسَى ، أذِنَ لَهُمْ فِي بِنَائِهَا ، فَبُنِيَتْ كُلُّهَا بِمَشُورَةِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ لَهِيْعَةَ قَاضِي مِصْرَ ، وَاجْتَجَّجَا بِأَنْ يَبْنِئَهَا مِنْ عِمَارَةِ الْبِلَادِ ، وَبِأَنَّ الْكَنَائِسَ الَّتِي بِمِصْرَ لَمْ تُبْنَ إِلَّا فِي الْإِسْلَامِ فِي زَمَنِ الصُّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ^٣ .

٢٠ فَلَمَّا مَاتَ أَنْبَا مَسْنَا ، قَدَّمَ الْيَعَاقِبَةُ بَعْدَهُ يُوحَنَّا ، فَأَقَامَ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَمَاتَ . وَفِي أَيَّامِهِ خَرَجَ الْقِبْطُ بِبُلْهَيْبِ سَنَةِ سِتِّ وَخَمْسِينَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مُوسَى بْنُ عُخْلِيِّ أَمِيرَ مِصْرَ ، وَهَزَمَهُمْ ^٤ .

^١ ابن بطريق ، التاريخ المجموع ٢: ٤٥-٤٦ ، المكين ابن ٢١٣: ١ .

العميد : تاريخ المسلمين ٨٣-٨٤ .

^٣ الكندي : ولاة مصر ١٥٦ ؛ وفيما يلي ١٠٦٣ .

^٤ نفسه ١٤١ ؛ وفيما تقدم ٢١٣: ١ .

وقدّم بعده اليعاقبة مُرْقُص الجَدِيد، فأقامَ عشرين سنةً وسبعين يومًا ومات . وفي أيامه كانت الفِئْتَةُ بين الأمين والمأمون، فانتَهَبَت النَّصَارَى بالإسكَنْدَرِيَّة، وأُخْرِقَت لهم مواضعٌ عَدِيدَةٌ، وحُرِّقَت دِيَارَاتُ وادي هُبَيْب ونُهِبَت، فلم يَبْقَ بها من رُهبانها إِلَّا نَفَرٌ قَلِيلٌ . وفي أيامه مَضَى بَطْرِكُ المَلِكِيَّةِ إِلَى بَغْدَاد، وعَالَجَ بَعْضَ حَظَايَا أَهْلِ الخَلِيفَةِ، فَإِنَّهُ كَانَ حَادِقًا بِالطُّبِّ، فَلَمَّا عُرِفَت كَتَبَ لَهُ بَرْدٌ كَنَائِسُ المَلِكِيَّةِ الَّتِي تَغَلَّبَ عَلَيْهَا اليعاقبةُ بِمِصْرَ، فاستَرَدَّهَا مِنْهُمْ، وَأَقَامَ فِي بَطْرِكِيَّةِ المَلِكِيَّةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَمَاتَ ١ .

ثُمَّ قَدَّمَ اليعاقبةُ بَعْدَ مُرْقُصِ يَعْقُوبَ، فِي سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، فَأَقَامَ عَشْرَ سِنِينَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَمَاتَ . وَفِي أَيَّامِهِ / عُمِّرَتِ الدِّيَارَاتُ، وَعَادَ الرُّهْبَانُ إِلَيْهَا، وَعُمِّرَتِ كَنِيسَةُ القُدْسِ لِمَنْ يَرِدُ مِنْ نِصَارَى مِصْرَ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ دِيُونُوشِيْسُ بَطْرِكُ أَنْطَاكِيَّةِ، فَأَكْرَمَهُ حَتَّى عَادَ إِلَى كُرْسِيِّهِ ٢ .

وَفِي أَيَّامِهِ انْتَقَضَ القِبْطُ فِي سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ . فَأَوْقَعَ بِهِمُ الأَفْشِيْنَ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ أميرِ المُؤْمِنِينَ عبدِ اللهِ المأمونِ، فَحَكَمَ فِيهِمْ بِقَتْلِ الرِّجَالِ، وَبَيْعِ النِّسَاءِ وَالدُّرِّيَّةِ، فَبِيعُوا وَشِئِي أَكْثَرُهُمْ ٣ .

وَمِنْ حِينئِذٍ ذَلَّتِ القِبْطُ فِي جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ، وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الخُرُوجِ عَلَى السُّلْطَانِ، وَغَلَبَهُمُ المُسْلِمُونَ عَلَى عَامَّةِ القُرَى؛ فَرَجَعُوا مِنَ المَحَارَبَةِ إِلَى المَكَايِدَةِ، وَاسْتَعْمَالِ المَكْرِ وَالحِيلَةِ وَمَكَايِدَةِ المُسْلِمِينَ، وَعَمِلُوا كُتَابَ الخِرَاجِ، فَكَانَتْ لَهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ يَأْتِي ذِكْرُهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ٤ .

ثُمَّ قَدَّمَ اليعاقبةُ سِيْمَاوْنَ بَطْرِكًا فِي سَنَةِ اثْنِينَ وَعَشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، فَأَقَامَ سَنَةً وَمَاتَ - وَقِيلَ بَلْ أَقَامَ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَسِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا - فَخَلَا كُرْسِيَ البَطَارِكَةِ بَعْدَهُ سَنَةٌ وَسَبْعَةٌ وَعَشْرِينَ يَوْمًا ٥ .

وَقَدَّمَ اليعاقبةُ يُوْسَابَ فِي دَيْرِ بَوْمَقَارِ بَوَادِي هُبَيْبَ، فِي سَنَةِ سَبْعِ وَعَشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، فَأَقَامَ ثَمَانِيَةَ عَشْرَةَ سَنَةً وَمَاتَ . وَفِي أَيَّامِهِ قَدِمَ مِصْرَ يَعْقُوبُ مُطْرَانُ الحَبَشَةِ، وَقَدْ نَفَّثَهُ زَوْجَةٌ مَلِكِهِمْ وَأَقَامَتْ عِوَضَهُ أُسْقُقًا، فَبَعَثَ مَلِكُ الحَبَشَةِ يَطْلُبُ إِعَادَتَهُ مِنَ البَطْرِكِ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ، وَبَعَثَ أَيْضًا

١ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ٢: ٥١-٥٢، وفيه

أَنَّهَا حَظِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ كَانَتْ لِلخَلِيفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ؛ ٢١٣:١ .

٢ فيما تقدم ١: ٢١٤ .

٣ الكندي: ولاة مصر ٢١٥، ٢١٦؛ وفيما تقدم

٤ فيما تقدم ١: ٢١٤ .

٥ المكين بن العميد: تاريخ المسلمين ١٤٤ .

٦ المكين بن العميد: تاريخ المسلمين ١٤٠ .

عدّة أساقفة إلى إفريقية . وفي أيامه مات بطرّك أنطاكية الوارد إلى مصر في السنة الخامسة عشرة من بطرّكيته^١ .

وفي أيامه أمر المتوكل على الله ، في سنة خمس وثلاثين ومائتين ، أهل الذمة بلبس الطيالبسة العسليّة وسدّ الزنانير ، وركوب الشروج بالركب الخشب ، وعمل كرتين في مؤخر الشروج ، وعمل رقتين على لباس رجالهم تخالفان لون الثوب ، قدر كل واحدة منهما أربع أصابع ، ولون كل واحدة منهما غير لون الأخرى ، ومن خرج من نسائهم تلبس إزارًا عسليًا ، ومنعهم من لباس المناطق ، وأمر بهدم بيعتهم المحدثّة ، وبأخذ العشر من منازلهم ، وأن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب . ونهى أن يشتعان بهم في أعمال السلطان ولا يعلمهم مسلم ، ونهى أن يظهروا في شعابهم صليبا ، وأن لا يشعلوا في الطريق نارا^٢ ، وأمر بتسوية قبورهم مع الأرض ، وكتب بذلك إلى الآفاق^٣ .

ثم أمر في سنة تسع وثلاثين أهل الذمة بلبس ذراعين عسليتين على الدرايع والأقيبة ، وبالاقتصار في مراكبهم على ركوب البغال والحمير دون الخيل والبراذين^٤ .

فلما مات يوساب ، في سنة اثنتين وأربعين ومائتين ، خلا الكرسي بعده ثلاثين يومًا . وقدم اليعاقبة قسيسًا بدير يحسن ، يدعى بميكائيل ، في البطرّكية . فأقام سنة وخمسة أشهر ، ومات فدفن بدير بومقار ، وهو أول بطرّك دُفن فيه ، فخلا الكرسي بعده أحدًا وثمانين يومًا^٥ .

(a) كذا في النسخ ، وعند الطبري : أن يشعلوا في الطريق أي يشرعوا .

^١ المكين بن العميد : تاريخ المسلمين ١٤٤-١٤٥ .
^٢ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ١٧١:٩-١٧٢ .
^٣ نفسه ٩:١٩٦ ؛ وانظر كذلك أبا المكارم : تاريخ ٦٤ (أبا صالح : تاريخ ٦٦) ؛ ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، تحقيق صبحي الصالح ، دمشق ١٩٦١ ، ٢١٩-
^٤ المكين بن العميد : تاريخ المسلمين ١٥١-١٥٢ ؛ ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة ١:٢-٢ واسمه فيه : خيال البطرّك .
^٥ نفسه ٩:١٩٦ ؛ وانظر كذلك أبا المكارم : تاريخ ٦٤ (أبا صالح : تاريخ ٦٦) ؛ ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، تحقيق صبحي الصالح ، دمشق ١٩٦١ ، ٢١٩-٢٢٤ ؛ سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ٢:٦٣ ؛ جان موريس فييه : أحوال النصارى في خلافة بني العباس ، بيروت

ثم قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ في سنة أربع وأربعين ومائتين سَمَاسًا بَدِيرَ بَوْمَقَّارَ، اسْمُهُ قَسِيمًا، فأقامَ في البَطْرِكِيَّةِ سَبْعَ سنين وخمسة أشهر وماتَ . فحَلَا الكُرْسِي بعده أحدًا وخمسين يومًا^١ . وفي أَيامِهِ أمرَ تُوْفِيلَ بنَ مِيخائِيلَ، ملكَ الرُّومِ، بِمَحْوِ الصُّورِ مِنَ الكَنائِسِ، وأن لا تَبْقَى صُورَةٌ في كَنِيسَةٍ . وكان سَبَبُ ذلك أَنَّهُ بَلَغَهُ عن قِيَمِ كَنِيسَةٍ أَنَّهُ عَمِلَ في صُورَةٍ مَرِيْمَ - عليها السلام - شِبْهَ نُذْيٍ يَخْرُجُ مِنْهُ لَبَنٌ يَنْقُطُ في يَوْمِ عِيدِهَا . فَكَشَفَ عن ذلك، فإذا هو مَصْنُوعٌ لِيَأْخُذَ بِهِ القِيَمُ المَالَ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ، وَأَبْطَلَ الصُّورَ مِنَ الكَنائِسِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ قَسِيمًا^٢، بَطْرِكَ اليَعاقِبَةَ، وناظَرَهُ حتى سَمَحَ بِإِعَادَةِ الصُّورِ على ما كانت عليه^٣ .

ثم قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ سَاتِيرًا^(a) بَطْرَكًا، فأقامَ تسع عشرة سنة وماتَ^٤ .

فَأَقِيمَ يُوْسائِيوسَ في أوَّلِ خِلَافَةِ المُعْتَزِّ، فأقامَ إحدى عشرة سنة وماتَ، وَعَمِلَ في بَطْرِكِيَّةِ مَجاري تَحْتَ الأَرْضِ بالإسْكَندَرِيَّةِ يَجْرِي بِهَا المَاءُ مِنَ الخَلِيجِ إلى البِيوتِ . وفي أَيامِهِ قَدِمَ أَحْمَدُ ابنَ طُولُونِ مِصرَ أميرًا عليها^٥ .

ثم قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ مِيخائِيلَ، فأقامَ خَمْسًا وَعشرين سنةً، وماتَ بعدما أَلَزَمَهُ أَحْمَدُ بنَ طُولُونِ بِحَمْلِ عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، باعَ فيها رِباعَ الكَنائِسِ المَوْقُوفَةِ عليها، وَأَرْضَ الحَبَشِ ظاهِرَ قُسْطاطِ مِصرَ، وِباعَ الكَنِيسَةَ بِجِوَارِ المُعَلَّقَةِ مِنَ قَصْرِ الشُّمُوعِ لِلْيَهُودِ^٦، وَقَرَّرَ «الدِّيَارِيَّةَ» على كُلِّ نِصْرانِي قِيراطًا في السَّنَةِ^٧، فقامَ بنِصْفِ المُقَرَّرِ عليه . وفي أَيامِهِ قُتِلَ الأميرُ أَبُو الجَيْشِ حُمارَوِيَّةُ بنَ أَحْمَدِ ابنِ

(a) كذا في النسخ، وفي المصادر النصرانية: سانيتو، سانوتيوس .

المعروفة بـ«كنيسة الشاميين» والتي تُعرف الآن بـ«مقعد بن عجزرة» . (فيما تقدم ٩٤٠) .

^١ الدِّيَارِيَّةُ . هي الصَّدَقَاتُ التي كان النِصْرانِيُّ يَدْفَعُونَهَا كُلَّ عامٍ إلى الأَساقِفَةِ أو الأَدْيِرَةِ، ثم يَتَوَلَّى البَطْرِكُ جَمْعَها من كُلِّ أَسْقَفٍ . واشتَقَّتْ الدِّيَارِيَّةُ في جَمِيعِ كِراسِي مِصرَ على كُلِّ نَسَمَةٍ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ قِيراطٌ ذَهَبٌ في السَّنَةِ، وصارَ الأَساقِفَةُ يَأْخُذُونَ ذلكَ فيقتاتُونَ بِهِ وَيَدْفَعُوا مِنْهُ «الدِّيَارِيَّةَ» لِلبَطْرِكِ في كُلِّ سَنَةٍ، وهي جَمَلَةٌ دنانيرٍ على كُلِّ واحدٍ على قَدْرِ كَرْسِيهِ . (ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/١: ٢٥، ٢/٢: ٧٩) .

^١ ابن العميد ١٥٢؛ ساويرس ١/٢: ٢-١٢ .

^٢ عند ابن البطريق وابن العميد: صفرونيوس .

^٣ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ٢: ٦٣-٦٤؛ المكين بن العميد: تاريخ المسلمين ١٥٢-١٥٣ .

^٤ المكين بن العميد: تاريخ المسلمين ١٥٩؛ ساويرس:

تاريخ البطاركة ٢/٢: ٧٠ .

^٥ نفسه ١٦١ .

^٦ المكين بن العميد: تاريخ المسلمين ٢٢١؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٥: ٣١٧ . وهي الكنيسة

- طُولُون ؛ فَلَمَّا مَاتَ شَغَرَ كُرْسِيَّ الإسكندرية بعده من البطاركة أُرْبِعَ عشرة سنة ^١.
- وفي يوم الاثنين ثالث شوال سنة ثلاث مائة أُحْرِقَت الكَنِيسَةُ الكُبْرَى المعروفة بالقيامة ^(a) في الإسكندرية ، وهي التي كانت هيكل زُحَل ، وكانت من بناء كَلَاوْبَطْرَةَ ^(b) ^٢.
- وفي سنة إحدى وثلاث مائة قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ عُزْرِيَال بَطْرَكًا ، فأقام إحدى عشرة سنة ومات ، وأخِذَت في أَيَّامه « الدِّيارية » على الرِّجالِ والنِّساءِ ^٣.
- وقَدَّمَ بَعْدَه اليَعاقِبَةُ في سنة إحدى عشرة وثلاث مائة قَسِيمًا ، فأقام اثنتي عشرة سنة ومات ^٤.
- وفي يوم السبت النُّصْف من شهر رَجَب سنة اثنتي عشرة ^(c) وثلاث مائة ، أُحْرِقَ المُسْلِمُونَ كَنِيسَةَ مَرْيَمَ بَدَمَشَق ، ونَهَبُوا ما فيها من الآلات والأواني ، وقِيمَتُهَا كثيرةٌ جدًّا ، ونَهَبُوا دَيْرًا للنِّساءِ بجوارها ، وشَعَّوْا كَنَائِسَ التُّسْطُورِيَّةِ واليَعْقُوبِيَّةِ ^٥.
- وفي سنة ثلاث عشرة وثلاث مائة ، قَدِمَ / الوَزِيرُ علي بن عيسى بن الجراح إلى مصر . فكشَفَ البَلَدَ ^٦ ، وألَزَمَ الأَساقِفَةَ والرهبانَ وَضَعْفَاءَ النُّصَارَى بأداء الجزية ، فأدَّوْها ، ومَضَى طائِفَةً منهم إلى بَغداد ، واستَغاثُوا بالمُقْتَدِر بالله . فكَتَبَ إلى مصر بأن لا يُؤخَذَ من الأَساقِفَةَ والرهبانَ والضُّعْفَاءِ جَزِيَّةً ، وأن يَجْزُوا على العَهْدِ الذي بأيديهم ^٧.
- وفي سنة ثلاثٍ وعشرين وثلاث مائة ، قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ بَطْرَكًا اسْمُهُ ^(c) ، فأقام عشرين سنة ومات . وفي أَيَّامه نَارَ المُسْلِمُونَ بِالقُدْسِ سنة خمسٍ وعشرين وثلاث مائة ، وحَرَقُوا كَنِيسَةَ القِيَامَةِ ونَهَبُوهَا ، وخرَّبُوا منها ما قَدَرُوا عليه ^٨.

(a) عند ابن البطريق : التي كانت تسمى القيسارية ؟ (b) بولاق : كلابطره . (c) بياض في النسخ ، وفي تاريخ بطاركة الكنيسة ٨٢:٢/٢ أن اسمه مقاره الراهب .

^١ المكين بن العميد : تاريخ المسلمين ١٧٦ ؛ ساويرس المسلمين ١٩٦ .
^٢ ابن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة ٧٠:٢/٢ - ٧١ .
^٣ سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ٢: ٢٧٩ المكين ابن العميد : تاريخ المسلمين ١٩٦ .
^٤ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣: ٢١٣ .
^٥ سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ٢: ٨٣ المكين ابن العميد : تاريخ المسلمين ٩١ .
^٦ ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/٨٠-٧٨:٢ .
^٧ سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ٢: ٨٣ المكين ابن العميد : تاريخ المسلمين ٩١ .
^٨ نفسه ٨٠:٢/٢ - ٨٢ المكين بن العميد : تاريخ (وهو آخر ما وصل إلينا من تاريخ =

وفي يوم الاثنين آخر شهر رجب سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مائة مات سعيد بن بطريق، بطرك الإسكندرية على الملكية، بعدما أقام في البطركية سبع سنين ونصفًا، في شُورٍ مُتَّصِلَةٍ مع طائفته. فبعث الأمير أبو بكر محمد بن طُغج الإخشيد أبا الحسين^١ من قُوَادِهِ في طائفة من الجُند، إلى مدينة تَيس حتى حَتَمَ على كَنَائِسِ المَلِكِيَّةِ، وأخضَرَ آلايها إلى الفُسطاط - وكانت كثيرة جدًا - فافتكها الأُسقفُ بخمسة آلاف دينار، باعوا فيها من وَقْفِ الكَنَائِسِ^٢، ثم صَالَحَ طائفتَه، وكان فاضلاً وله تاريخٌ مُفيد^٣.

وثار المسلمون أيضًا بمدينة عسقلان، وهدموا كنيسة مزيم الخضرَاء، ونهبوا ما فيها، وأعانهم اليهود حتى أحرقوها ففرَّ أسقفُ عسقلان إلى الرملة، وأقام بها حتى مات^٤.

وقدَّم اليعاقبة في سنة خمسٍ وأربعين وثلاث مائة تاوفانيوس بطركًا، فأقام أربَع سنين وستة أشهر ومات. فأقيم بعده مينا، فأقام إحدى عشرة سنة ومات. فخلا الكرسي بعده سنة^٥.

ثم قدَّم اليعاقبة أفراهام بن زُرْعَةَ في سنة ستِّ وستين وثلاث مائة، فأقام ثلاث سنين وستة أشهر، ومات مشمومًا من بعض كُتَابِ النَّصَارَى، وسببه أنه منعه من التَّسْرِي^٦.

فخلا الكرسي بعده ستة أشهر. وأقيم فيلاتاؤس في سنة تسع وستين، فأقام أربَعًا وعشرين سنة ومات، وكان مُتْرَفًا^٧. وفي أيامه أخذت الملكية كنيسة السيِّدة - المعروفة بكنيسة البطرِك -

^٣ هو التاريخ المعروف بـ «كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتضديق»، الذي نشره لويس شيخو اليسوعي وكارا دي فو وحبيب الزيات بعنوان *Eutychii Patriarchae Alexandrini Annales*, CSCO 7 Paris 1905-9، والذي وجدَّ له Breydy نصًا آخر مخالفًا في مكتبة دُور سانت كاترين يُظنُّ أنه التَّأليفُ الأوَّل للكتاب، نشره سنة ١٩٨٧ (انظر المقدمة).

^٤ يحيى بن سعيد: تاريخ الأنطاكي ٢٨؛ المكين ابن العميد: تاريخ المسلمين ٢٠٩.

^٥ المكين بن العميد: تاريخ المسلمين ٢٢٩، ٢٣٠؛ ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/٢: ٨٣-٨٤.

^٦ نفسه ١٤٦؛ نفسه ٢/٢: ٩١-١٠٠.

^٧ نفسه ٢/٢: ١٠٠-١١٥.

= سعيد بن البطريق)؛ المكين بن العميد: تاريخ المسلمين ٢٠٨.

^١ ويُعرف بابن الأخول - (يحيى بن سعيد: تاريخ ٢٥).

^٢ المكين بن العميد: تاريخ المسلمين ٢٠٨-٢٠٩؛ يحيى بن سعيد: تاريخ ٢٣-٢٤؛ وسعيد بن بطريق المعروف بأوتيوخوس Eutychiès (٢٦٣-٣٢٨هـ/٨٧٧-٩٤٠م) هو بطرك الإسكندرية الملكاني بين سنتي ٣٢١-٣٢٨هـ/٩٣٣-٩٤٠م، ومؤلف العديد من الكتب الطيِّبة والتاريخية وأخذ أبرز الرُّجوه في الأدب الملكاني في عصره. (راجع، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ٢: ٨٦-٨٧؛ Françoise Micheau, *El*² art. Sa'id b al-Bitrik VIII, pp. 883-85; Aziz S. Atiya, *CE* art. Ibn al-Bitriq IV, pp. 1265-66).

تسلّمها منهم بطرك الملكيّة أرسانيوس في أيام العزيز بالله نزار بن المعز^١.

وفي سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة، قدّم اليعاقبة زخارياس^٢ بطركا، فأقام ثمانى وعشرين سنة: منها في البلايا مع الحاكم بأمر الله أبي علي منصور بن العزيز بالله تسع سنين، اعتقله فيها ثلاثة أشهر، وأمر به فألقي للسياح هو وسوسنة التوبي، فلم تضره فيما زعم النصارى. ولما مات خلا الكرسي بعده أربعة وسبعين يوماً^٣.

وفي بطركيته نزل بالنصارى شدائد لم يعهدوا مثلها، وذلك أن كثيرا منهم كان قد تمكن في أعمال الدولة حتى صاروا كالوزراء وتعاظموا لا تساع أحوالهم وكثرة أموالهم، فاشتد بأسهم، وتزايد ضررهم ومكائدهم للمسلمين. فأغضب الحاكم بأمر الله ذلك - وكان لا يملك نفسه إذا غضب - فقبض على عيسى بن نشطورس النصراني، وهو إذ ذاك في رتبة تضاهي رتبة الوزراء، وضرب عنقه^٤. ثم قبض على فهد بن إبراهيم النصراني، كاتب الأستاذ بزجوان، وضرب عنقه^٥.

وتشدّد على النصارى، وألزمهم بلبس ثياب الغيار وشدّ الزنار في أوساطهم^٥، ومنعهم من عمل الشعانين وعيد الصليب، والتظاهر بما كانت عاداتهم فعله في أعيادهم من الاجتماع واللّهو، وقبض على جميع ما هو محبوس على الكنائس والديارات، وأدخله في الديوان، وكتب إلى

(a) في النسخ: زخريس، والتصويب من تاريخ بطاركة الكنيسة.

أغلب الظن نقلا عن المسيحي - : فتأسف الحاكم على فقده من غير قتل وقال: ما أسفّت على شيء قطّ أسفي على خلاص ابن نشطورس من سفي و كنت أودّ ضرب عنقه لأنه أفسد دولتي وخائني وناقى علي... (اتعاظ الحنفا ٢: ٨٥، ٩٣).

^٤ المقرئ: اتعاظ الحنفا ٢: ٤٤؛ ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/٢: ١٢٣.

^٥ انظر تفصيل ذلك عند يحيى بن سعيد: تاريخ ٢٥٦، ٢٩٥-٢٩٩؛ ساويرس بن المقفع: تاريخ ٢/٢: ١٢٤-١٢٥، ١٢٥، ١٢٨؛ المقرئ: اتعاظ الحنفا ٢: ٨٥، ٩٣-٩٥، وفيما تقدم ٢: ٢٨٣.

^١ المكين بن العميد: تاريخ المسلمين ٢٤٧، وفيه أن سبب ذلك «أن العزيز بالله تزوج امرأة نصرانية ملكية ورزق منها بنتا. وكان للمرأة أخوان: أحدهما اسمه أرسنس صيره بطركا على بيت المقدس، والآخر أرسانيوس صيره بطركا للملكية على القاهرة ومصر، وكان لهما من العزيز جانب لأنهما أخوة ابته وتقدما في مملكته، وأن أرسانيوس طلب الكنيسة من العزيز فأمر أن تعطى له».

^٢ نفسه ٢٦٣-٢٦٤؛ ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/٢: ١١٦-١٥١.

^٣ توفي عيسى بن نشطورس في ثاني عشر ربيع الأول سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م من علّة ألت به، يقول المقرئ -

أعماله كلها بذلك ، وأحرق عدّة صُلبانٍ كثيرة ، ومنع النَّصارى من شراء العبيد والإماء . وهدم الكنائس التي بخطّ راسِدة ظاهر مدينة مصر ، وأحرب كنائس المقس خارج القاهرة ، وأباح ما فيها للناس ، فانتهبوا منها ما يجلب وصفه^١ وهدم دَيْر القَصِير ، وأنهب العائمة ما فيه ، ومنع النَّصارى من عمَل الغطاس على شاطئ النيل بمصر ، وأبطل ما كان يُعمل فيه من الاجتماع للنُّور .

وألزم رجال النَّصارى بتعليق الصُّلبان الخشب - التي زينة كُلِّ صليبٍ منها خمسة أظال - في أعناقهم ، ومنعهم من رُكوب الخيل ، وجعل لهم أن يركبوا البغال والحُمير بشروج ولحم غير مُحلاة بالذهب والفضة ، بل تكون من جلود سود .

وضرب بالجرس في القاهرة ومصر . أن لا يُركب أحدٌ من المكارية ذميًّا ، ولا يحمل نوتي مسلمٌ أحدًا من أهل الذمة ، وأن تكون ثياب النَّصارى وعمائمهم شديدة السواد ، وركب شروجهم من خشب الحمير ، وأن يُعلق اليهود في أعناقهم خشبًا مُدورًا زينة الخشبة منها خمسة أظال ، وهي ظاهرة فوق ثيابهم .

وأخذ في هدم الكنائس كلها ، وأباح ما فيها وما هو مُحبس عليها للناس نهبًا وإقطاعًا . فهدمت بأسرها ، ونهب جميع أمتعتها ، وأقطع أعباسها ، وبنى في مواضعها المساجد ، وأذن بالصلاة في كنيسة سُودة بمصر ، وأحيط بكنيسة المُعلّقة في قصر الشمع .

وأكثر الناس من رفع القصاص بطلب كنائس أعمال مصر ودياراتها . فلم يزد قصة منها إلا وقد وقع عليها بإجابة رافعها لما سأل فأخذوا أمتعة الكنائس والديارات ، وباعوا بأسواق مصر ما وجدوا من أواني الذهب والفضة وغير ذلك ، وتصرفوا في أعباسها . ووجد بكنيسة سُودة مالٌ جليل ، ووجد في المُعلّقة من المصاغ وثياب الديباج أمرٌ كثيرٌ جدًا إلى الغاية .

وكتب إلى ولاة الأعمال بتمكين المسلمين من هدم الكنائس والديارات ، / فعَمَّ الهدم فيها من سنة ثلاث وأربع مائة ؛ حتى ذكر من يوثق به في ذلك أن الذي هدم إلى آخر سنة خمس وأربع مائة ، بمصر والشام وأعمالهما ، من الهياكل التي بناها الروم نيّف وثلاثون ألف بيعة ، ونهب ما فيها من آلات الذهب والفضة وقبض على أوقافها ، وكانت أوقافًا جليّة على مبانٍ عجيبة .

وألزم النَّصارى أن تكون الصُّلبان في أعناقهم إذا دخلوا الحمام ، وألزم اليهود أن يكون في أعناقهم الأجراس إذا دخلوا الحمام ثم ألزم اليهود والنَّصارى بخروجهم كلهم من أرض مصر إلى

^١ يحيى بن سعيد : تاريخ ٢٥٢ - ٢٥٣ ؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ٢٧٠ ؛ المقرئ : اتعاظ الخفا ٢ : ٤٨ .

بلاد الروم . فاجتمعوا بأسيروهم تحت القصر من القاهرة ، واشتغلوا ولاذوا بعفو أمير المؤمنين حتى أعفوا من النفي . وفي هذه الحوادث أسلم كثير من النصارى ^١ .

وفي سنة سبع وأربع مائة ، وثب بعض أكابر البلغَر على ملكهم قَمَطُورُس فقتله ، ومَلَكَ عَوْضَه ، وكتب إلى باسيل ملك قُسطنطينية بطاعته فأقره ، ثم قُتِل بعد سنة . فسار الملك باسيل إليهم ، في شَوال سنة ثمان وأربع مائة ، واستولى على مملكة البلغَر ، وأقام في قلاعها عدة من الروم ، وعاد إلى قُسطنطينية . فاحتلَط الروم بالبلغَر ، ونكحوا منهم ، وصاروا يداً واحدة بعد شدة العداوة ^٢ .

وقدَّم اليعاقبة عليهم سائونيوس ^a بطرركا بالإسكندرية ، في سنة إحدى وعشرين وأربع مائة ، في يوم الأحد ثالث عشرين برمهاث فأقام خمس عشرة سنة ونصفاً ، ومات في طوبة ، وكان مُحباً للمال وأخذ « الشرطونية » . فخلَا الكرسي بعده سنة وخمسة أشهر ^٣ .

ثم قدَّم اليعاقبة إجرِسْطُودُلُس بطرركا ، في سنة تسع وثلاثين وأربع مائة ، فأقام ثلاثين سنة ، ومات بالمعلقة من مصر . وهو الذي جعل كنيسة بومَرْقُورَة بمصر ، وكنيسة السيدة بحارة الروم من القاهرة في أيام بطركيته . فلم يقم بعده بطرك اثنين وسبعين يوماً ^٤ .

(a) بولاق : سابونين .

^١ عن وضع أهل الذمة عموماً في عهد الحاكم بأمر الله ، الذي يُعدُّ استثناءً في العصر الفاطمي الذي اتسم بتسامح الفاطميين مع أهل الذمة ، راجع ، أيمن قواد : الدولة الفاطمية في مصر ١٦٥-١٦٧ و ما ذكر من مصادر ومراجع ؛ وكذلك سلام شافعي محمود : أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول ، القاهرة - تاريخ المصريين ١٩٩٥ ؛ فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي ، ١-٢ ، القاهرة - تاريخ المصريين ٢٠٠٠ ؛ Ferré, A., *CEart. Hakim bi-Amr- Illâh IV*, pp. 1200-3.

سعيد : تاريخ ٣٢٧-٣٢٨ .

^٣ نفسه ٢٦٥ ؛ ساويرس بن المقفع : تاريخ بطارقة الكنيسة ٢/٢ : ١٥١-١٥٩ .

والشرطونية The Laying on of hands : نوع من الضريبة نقض بها البطارقة قانون الآباء الحواريين ومعلمي البيعة القديسين القائلين أن لا يؤخذ عن مؤهبة الله ، وهي الكهوت ، لا ذهب ولا فضة ، وقيمتها قيراط ذهب من كل أشقِب مقابل ترسيمه . (ساويرس بن المقفع : تاريخ بطارقة الكنيسة ٢/٢ : ٧٤ ، ٧٥) .

^٤ نفسه ٢٧٩ ، نفسه ٣/٢ : ١٦٣-٢٠٧ .

^٢ المكين بن العميد : تاريخ المسلمين ٢٦٤ ؛ يحيى ابن

ثم أقام اليعاقبة كيرلص ، فأقام أربع عشرة سنة وثلاثة أشهر ونصفاً ، ومات بكنيسة [ميكائيل
ب] (a) المختار من جزيرة مضر - المعروفة بالروضة - في سلخ ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وأربع
مائة ، وعمل بدلة للبطاركة من ديباج أزرق وبلاية ديباج أحمر بتصاوير ذهب ، وقطع
« الشرتونية » . فلم يؤل بعده بطرك مدة مائة وأربعة وعشرين يوماً^١ .

ثم أقيم ميخائيل الحبيس بسنجار (b) [من أعمال نستروه^(c)] في سنة اثنتين وثمانين وأربع مائة ،
فأقام تسع سنين وثمانية أشهر ، ومات في المعلقة بمصر^٢ .

وكان المشتنصر بالله ، لما نقص نيل مصر ، بعثه إلى بلاد الحبشة بهدية سنينة فتلقاه ملكها ،
وسأله عن سبب قدومه ، فعرفه نقص النيل ، وضرر أهل مصر بسبب ذلك . فأمر بفتح سد يجري
منه الماء إلى أرض مصر ففتح ، وزاد النيل في ليلة واحدة ثلاثة أذرع ، واستمرت الزيادة حتى
رويت البلاد وزرعت . ثم عاد البطرك فخلع عليه المشتنصر وأحسن إليه^٣ .

وفي سنة اثنتين وتسعين وأربع مائة ، قدم اليعاقبة أبا مقاره (d) بطركاً بدير بومقار ، وكمل
بالإسكندرية وعاد إلى مصر ثم مضى إلى دير بومقار فقدس به ، ثم جاء إلى مصر فقدس بالمعلقة ،
فأقام ستاً وعشرين سنة وأحدًا وأربعين يوماً ومات^٤ . فخلت مضر من بطرك اليعاقبة سنتين
وشهرين .

(a) زيادة من تاريخ بطاركة الكنيسة . (b) في النسخ : سنجار وبولاق : بسنجار ، والمثبت من تاريخ بطاركة
الكنيسة . (c) زيادة من المكين بن العميد . (d) النسخ وابن العميد : مقاري ، والتصويب من تاريخ بطاركة
الكنيسة .

^١ المكين ٢٧٩ - ٢٨٠ ؛ ساويرس ٢٠٧ : ٣/٢ - ٢٣٢ .
^٢ نفسه ٢٨٩ ؛ نفسه ٢٣٣ : ٣/٢ - ٢٤٩ .
وسنجانر اسم لقرتين في الوجه البحري ، الأولى إحدى
قرى كورة الشراوية - وهي المقصودة هنا - كانت
كرسي أسقفية قبل الإسلام ، وحل محلها الآن كوم سنجانر
في جزيرة واقعة في بحيرة نستراوة التي تعرف اليوم ببحيرة
البرلس . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ١ : ٢٨٤) ؛
والثانية كانت تقع بين إنيار وبرما في محافظة الغربية ، تبدل
^٣ المكين بن العميد : تاريخ المسلمين ٢٨٩ - ٢٩٠ .
^٤ نفسه ٢٩٨ ؛ ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة
الكنيسة ١ : ٣ - ٢٥ .

عليها الآن القرية المعروفة بكوم النجار بمركز كفر الزيات
بمحافظة الغربية ، وكان اسمها القنطي هو بشنجري .
(محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/٢ : ١٣٠) . وراجع
أيضاً Meinardus, O., «Singar, an Historical and
Geographical Study», *BSAC* XVIII (1966), pp.
175-79; id., *CE* art. *Sinjar* VII, p. 2140.

وفي أيامه حدثت زلزلة عظيمة بمصر هدم فيها كنيسة [ميخائيل ب^a] المختار بالروضة ، وأتهم الأفضل ابن أمير الجيوش بهدمها فإنها كانت في بستانه ، وفي أيامه أبطل عوايد كثيرة للنصارى ، فبطلت بعده^١ .

ثم قدم اليعاقبة عُبريال ، المكنى بأبي العلا صاعد بن تريك ، الشماس بكنيسة مزقوريوس في سنة خمس وعشرين وخمس مائة بالمعلقة ، وكمل بالإسكندرية ، وقُدس بالأديرة بوادي هبيب ، وأقام أربع عشرة سنة ومات^٢ . فخلا بعده كرسي اليعاقبة ثلاثة أشهر .

ثم قدم اليعاقبة ميخائيل بن التقدوسي ، الراهب بقلية دمشري^b ، بطركا^c بكنيسة المعلقة بمصر وكمل في الإسكندرية ، فأقام تسعة أشهر ومات يوم الجمعة رابع شوال سنة إحدى وأربعين وخمس مائة فلم يؤل بعده بطرك^c مدة سنة وسبعين يوماً^٣ .

ثم أقيم يونس أبو الفتح بطركا بالمعلقة ، وكمل بالإسكندرية ، فأقام تسع عشرة سنة ، ومات في سابع عشرين جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وخمس مائة . فخلا الكرسي بعده ثلاثة وأربعين يوماً^٤ .

وقدم مزقوص بن زريعة ، المكنى بأبي الفرج ، بطرك اليعاقبة بمصر ، وكمل بالإسكندرية ، فأقام اثنين وعشرين سنة وستة أشهر وخمسة وعشرين يوماً ومات^٥ .

وفي أيامه انتقل مزقوص بن قنبر ، وجماعة من القنابرة ، إلى رأي الملكية ، ثم عاد إلى اليعقوبية فقبل ، ثم عاد إلى الملكية ورجع فلم يقبل . وكان هذا البطرك له هممة ومروعة ، وفي أيامه كان حريق شاور الوزير لمصر في ثامن عشر هاتور ، فاخترقت كنيسة بومزقورة ، وخلا بعده كرسي البطاركة سبعة وعشرين يوماً^٦ .

(a) زيادة من تاريخ بطاركة الكنيسة . (b) كذا في النسخ وفي تاريخ بطاركة الكنيسة : دنشيري . (c-c) ساقطة من بولاغ .

^١ المكين ٢٩٨-٢٩٩ ، ساويرس ١/٣: ٥-٧ .
^٢ نفسه ١/٣: ٢٥-٣٦ .
^٣ نفسه ١/٣: ٣٦-٤٠ .
^٤ نفسه ١/٣: ٤٠-٥٧ وهو فيه : يوحنا البطرك .
^٥ نفسه ٢/٣: ٥٩-٩٨ .
^٦ أبو المكارم : تاريخ أبي المكارم ٢: ٤٥ (أبو صالح : تاريخ ٤٧) ، وانظر عن حريق الفسطاط فيما تقدم ٢: ١٤٢-١٤٦ .

ثم قَدَّمَ اليَعاقِبَةُ يُوانِس^a بن أبي غَالِبٍ بَطْرَكا، في يوم الأحد عاشر ذي الحجة سنة أربع وثمانين وخمسة مائة، وَكَمَلَ بالإسْكَندَرِيَّةِ. فأقام سِتًّا وعشرين سنة وأحد عشر شهرًا وثلاثة عشر يومًا، ومات يوم الخميس رابع عشر شهر رَمَضان سنة ثنتي عشرة وست مائة بالمُعَلِّقَةِ بِمِصرَ، وَدُفِنَ بِالْحَبَشِ^١.

وكان في ابتداء أمره تاجرًا يتردد إلى اليمن^b في المتجر^c حتى كثر ماله^٢، وكان معه مال لأولاد الجباب^d، فاتفق أنه غرق في بحر الملح وذهب ماله، ونجا بنفسه إلى القاهرة، وقد أيس أولاد الجباب^d من مالهم. فلما لقيهم أعلمهم أن مالهم قد سليم، فإنه كان قد عمله في نقائر خشب مسمرة في المركب، فصار لهم به عناية. فلما مات مرقص بن زُرعة، سعى يُوانِسُ هذا للقسّ أبي ياسر، / فقال له أولاد الجباب^d: خذ أنت البطركية ونحن نركبك، فوافقهم، وأقيم بطركا، فشق ذلك على أبي ياسر، وهجره بعد ضحبة طويلة. وكان معه لما استقر في البطركية سبعة عشر ألف دينار مصرية أنفقها على الفقراء، وأبطل «الديارية»، ومنع «الشرطونية»، ولم يأكل لأحد من النصارى خبزًا، ولا قبل من أحد هدية^٢.

فلما مات قام أبو الفتح نشو الخليفة^e بن الميقات، كاتب الجيش مع السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب، في ولاية القس داود بن يوحنا بن لقلق الفيومي، فإنه كان خصيصًا به^٣. فأجابته، وكتب توقيعه من غير أن يعلم الملك الكامل محمد ابن السلطان، فشق ذلك على النصارى، وقام منهم الأسعد بن صدقة، كاتب دار التفاح بمصر، ومعه جماعة، وتوجهوا سحرًا ومعهم الشموع إلى تحت قلعة الجبل - حيث كان سكن الملك الكامل - واستغاثوا به، ووقعوا في القس، وقالوا: لا يصلح، وفي شريعتنا أنه لا يقدم البطرک إلا باتفاق الجمهور عليه. فبعث الملك الكامل يطيب خواطرهم.

(a) النسخ وابن العميد: يونس. (b) عند ابن العميد: إلى بلاد الهند واليمن. (c) بولاق: البحر. (d) بولاق:

الجباب. (e) بولاق: نشو الخليفة.

^١ ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ٣ / فيها ويبيع ويشترى أصناف البضائع، وله شكرية لعمل السكر وطواحين وأملاك. (تاريخ بطاركة الكنيسة ٣/٢: ٩٩). ١٣٢-٩٨:٢

^٢ عند ساويرس: «ذو مالي ويسار من صباه، سار ذلك إليه من أبيه وأجداده. وكان له دار وكالة بمدينة مصر يتجر (المقريزي).

^٣ المكين بن العميد: أخبار الأيوبيين ١٢٨ (مصدر

وكان القيس قد ركب بُكرةً، ومعه الأساقفة وعالمٌ كثيرٌ من النَّصارى، ليُقدِّموه بالمعلقة بمصر وذلك يوم الأحد. فركب الملك الكامل بسحر كثير^(a) من القلعة إلى أبيه بدار الوزارة من القاهرة حيث سكنه، وأوقف ولاية القيس. فبعث السلطان في طلب الأساقفة ليتحقق الأمر منهم، فوافقهم^(b) الرسل مع القيس في الطريق، فأخذوهم ودخل القيس إلى كنيسة بُوجرج التي بالحمام^(c)، وبطلت بطركيته، وأقامت مصرٌ بغير بطرك تسع عشرة سنة ومائة وستين يوماً^١.

ثم قُدِّم هذا القيس^(d) بطركاً، في يوم الأحد تاسع عشرين شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وست مائة، فأقام سبع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام، ومات يوم الثلاثاء سابع عشر شهر رمضان سنة أربعين وست مائة، ودُفن بدائر الشمع بالحيزة، وكان عالماً بدينه، مُحبباً للرياسة، وأخذ «الشروطونية» في بطركيته، وكانت الديارات بأرض مصر^(e) قد خلت من الأساقفة، فقُدِّم جماعة أساقفة كثيرة بمالٍ كثير أخذه منهم، وقاسى شدائد، ورافعه الراهب عماد المرشار^(f)، ووكل عليه وعلى أقاربه وأزواجه، وساعده الراهب السني ابن الثعبان، وأشاع مثالبه، وقال: لا يصح له كهنوتية^(g) لأنه تقدّم بالرشوة وأخذ «الشروطونية». وجمَعَ عليه طائفة كثيرة، وعقد مجلساً عند الصاحب معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ، في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأثبت على البطرك قوادح، فقام الكتاب النَّصارى في أمره مع الصاحب، بمالٍ يحمله إلى السلطان، حتى استمر على بطركيته، وخلّا كرسي البطارقة بعده سبع سنين وستة أشهر وستة وعشرين يوماً^٢.

ثم قُدِّم اليعاقبة أثناسيوس ابن القيس أبي المكارم بن كليل بالمعلقة، في يوم الأحد رابع شهر رجب سنة ثمان وأربعين وست مائة، وكمل بالإسكندرية، فأقام إحدى عشرة سنة وخمسة وخمسين يوماً، ومات يوم الأحد ثالث^(h) المحرم سنة ستين وست مائة، فخلت مصرٌ من البطركية خمسة وثمانين يوماً^٣.

(a) بولاق: بشجو كبير، وعند ابن العميد: باكرًا جدًا. (b) بولاق: فواقهم. (c) بعد ذلك عند ابن العميد: عند السبع سقايات. (d) عند ابن العميد: قُدِّم أنبا كيرلس داود بن لقلق. (e) ابن العميد (مصدر النقل): وكانت الديار المصرية. (f) بولاق: المرشار. (g) بولاق: كهنوتية، ابن العميد: كهنوت. (h) ابن العميد: ثالث عشر. (i) ابن العميد: وثلاثين.

^١ المكين بن العميد: أخبار الأيوبيين ١٢٨-١٢٩، وقارن مع ساويرس بن المقفع: تاريخ بطارقة الكنيسة ١٢٣:٢/٣-١٣٠.
^٢ نفسه ١٤٢.
^٣ المكين بن العميد: أخبار الأيوبيين ١٦٢.

وفي أيامه أخذ الوزير الأشعدُ شرفُ الدين هبةُ الله بن صاعد الفايزي الجوالي من النَّصارى مُضاعفةً^١.

وفي أيام [الملك المظفر قُطر]^a ثارت عوامُ دِمَشق، وخُرِبَتْ كَنيسةُ مَرِيمَ بَدِمَشق بعد إحراقها ونهب ما فيها، وقُتِل جماعةٌ من النَّصارى بَدِمَشق، ونهب دُورهم وخرابها في سنة ثمان وخمسين وست مائة، بعد وقعة عَيْن جالوت وهزيمة المغل. فلما دخل السلطان الملك المظفر قُطر إلى دِمَشق، قرَّر على النَّصارى بها مائة ألف وخمسين ألف دِرْهم، جمَعوها من بينهم، وحَمَلوها إليه بسفارة الأمير فارس الدين أقطاي المُستغرب أتابك العسكر^٢.

وفي سنة اثنتين وتسعين^b وست مائة، كانت «واقعة النَّصارى». ومن واقعة النَّصارى خَبَرها أن الأمير سِنجر الشجاعى كانت حُرْمته وإفزة في أيام الملك المنصور قلاوون، فكان النَّصارى يركبون الحمير بزنانير في أوساطهم، ولا يجسر نصرانيُّ يُحدث مُسليماً وهو راكبٌ، وإذا مشى فبذلة، ولا يقدرُ أحدٌ منهم يلبس ثوباً مضطرباً. فلما مات الملك المنصور، وتسلطن من بعده ابنه الملك الأشرف خليل، خَدَم الكُتَّاب النَّصارى عند الأمراء الخاصكية، وقووا نفوسهم على المُسلمين، وترَفَعوا في مَلايسهم وهَيئاتهم. وكان منهم كاتبٌ عند خاصكي يُعرف بعين الغزال، فصَدَفَ يوماً في طريق مصر سُمسار شونة مَخدومه، فنزَلَ السُمسارُ عن دابته، وقَبَلَ رَجُلَ الكاتب فأخذ يسبّه، ويهدده على مالٍ قد تأخر عليه من ثمن غلة الأمير، وهو يتَرَفَّقُ له ويتَعَدَّرُ، فلا يزيدُه ذلك عليه إلا غِلظة. وأمرَ غلامه فنزَلَ، وكَتَفَ السُمسار، ومضى به - والناسُ تجتمع عليه - حتى صار إلى صليبة جامع أحمد بن طولون، ومعه عالمٌ كبيرٌ، وما منهم إلا من يسأله أن يُخلى عن السُمسار، وهو يمتنع عليهم، فتكاثروا عليه، وألقوه عن حماره، وأطلقوا السُمسار وكان قد قَرَبَ من بيتِ أستاذه، فبعثَ غلامه ليُنَجِّده بمن فيه، فأتاه بطائفة من غلمان الأمير وأوجاقيته، فخلَّصوه من الناس، وشرَعوا في القَبْضِ عليهم ليقتكوا بهم. فصاحوا عليهم ما يحلُّ، ومروا مُشرعين إلى أن وقفوا تحت القلعة، واستغاثوا:

(a) في النسخ: وفي أيامه، والزيادة من المكين بن العميد. (b) كذا بالنسخ وهو خطأ صوابه ما أثبتته اعتماداً على نص العيني.

^٢ نفسه ١٧٥-١٧٦؛ وتاريخ المسلمين ١٦٩.

^١ المكين بن العميد: أخبار الأيوبيين ١٦٥.

« نَصَرَ اللهُ السُّلْطَانَ » ، فَأَرْسَلَ يَكْشِفُ الْخَبَرَ . فَعَرَّفُوهُ مَا كَانَ مِنْ اسْتِطَالَةِ الْكَاتِبِ النَّصْرَانِيِّ عَلَى السُّمَسَارِ ، وَمَا جَرَى لَهُمْ .

فَطَلَبَ عَيْنَ الْعَزَالِ ^(a) وَصَاحَ بِهِ : كَيْفَ تُسَلِّطُ غُلَمَانِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لِأَجْلِ نَصْرَانِي ؟ فَاغْتَدَّرَ بِأَنَّهُ وَقِفٌ فِي الْخِدْمَةِ وَلَا عِلْمَ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا ، فَجَعَلَ السُّلْطَانُ يَطْلُبُ جَمِيعَ مَنْ فِي إِسْطَبْلِ عَيْنِ الْعَزَالِ ^(a) ، وَرَسَمَ لِلْعَامَّةِ بِإِحْضَارِ النَّصَارَى إِلَيْهِ ، وَطَلَبَ الْأَمِيرَ بَدْرَ الدِّينِ يَتَدْرَا النَّائِبِ وَالْأَمِيرَ سِينَجِرَ الشُّجَاعِي ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمَا بِإِحْضَارِ جَمِيعِ النَّصَارَى بَيْنَ يَدَيْهِ لِيَقْتُلَهُمْ . فَمَا زَالَا بِهِ حَتَّى اسْتَقَرَّ الْحَالُ عَلَى أَنْ يُنَادَى فِي الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ : أَلَا يَخْدِمُ أَحَدٌ مِنَ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ عِنْدَ أَمِيرٍ . وَأَمَرَ الْأَمْرَاءَ بِأَجْمَعِهِمْ أَنْ يَعْضُوا عَلَى مَنْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْكُتَّابِ النَّصَارَى الْإِسْلَامَ ، فَمَنْ امْتَنَعَ مِنَ الْإِسْلَامِ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ ، وَمَنْ أَسْلَمَ اسْتُخْدِمُوهُ عِنْدَهُمْ . وَرَسَمَ لِلنَّائِبِ بَعْضَ جَمِيعِ مُبَاشِرِي دِيْوَانِ السُّلْطَانَ وَيَفْعَلُ فِيهِمْ ذَلِكَ .

فَنَزَلَ الطَّلَبُ لَهُمْ وَقَدْ اخْتَفَوْا ، فَصَارَتِ الْعَامَّةُ تَسْبِقُ إِلَى بِيوتِهِمْ وَتَنْهَبُهَا ، حَتَّى عَمَّ النَّهْبُ بُيُوتَ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ بِأَجْمَعِهِمْ ، وَأُخْرِجُوا نِسَاءَهُمْ مَسْبِيَّاتٍ ، وَقَتَلُوا جَمَاعَةً بِأَيْدِيهِمْ . فَقَامَ الْأَمِيرُ يَتَدْرَا النَّائِبِ مَعَ السُّلْطَانَ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ ، وَتَلَطَّفَ بِهِ حَتَّى رَكِبَ وَالِي الْقَاهِرَةَ وَنَادَى : « مَنْ نَهَبَ بَيْتَ نَصْرَانِي سُتِقَ » . وَقَبِضَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ الْعَامَّةِ ، وَشَهَرَهُمْ بَعْدَمَا ضَرَبَهُمْ فَاثْكَفُوا عَنِ النَّهْبِ بَعْدَمَا نَهَبُوا كَنِيْسَةَ الْمُعَلَّقَةِ بِمِصْرَ ، وَقَتَلُوا مِنْهَا جَمَاعَةً .

ثُمَّ جَمَعَ النَّائِبُ كَثِيرًا مِنَ النَّصَارَى ، كُتَّابِ السُّلْطَانَ وَالْأَمْرَاءَ ، وَأَوْقَفَهُمْ بَيْنَ يَدَيْ السُّلْطَانَ عَنِ بُعْدِهِ مِنْهُ . فَرَسَمَ لِلشُّجَاعِي وَأَمِيرِ جَائِدَارٍ أَنْ يَأْخُذَ عِدَّةً مَعَهُمَا ، وَيَنْزِلُوا إِلَى سُوقِ الْخَيْلِ تَحْتَ الْقَلْعَةِ ، وَيَحْفِرُوا حَفِيرَةً كَبِيرَةً ، وَيُلْقُوا فِيهَا الْكُتَّابَ الْحَاضِرِينَ ، وَيُضْرِمُوا عَلَيْهِمُ الْحَطَبَ نَارًا . فَتَقَدَّمَ الْأَمِيرُ يَتَدْرَا ، وَشَفَعَ فِيهِمْ . فَأَتَى أَنْ يَقْبَلَ شَفَاعَتَهُ ، وَقَالَ : مَا أُرِيدُ فِي دَوْلَتِي دِيْوَانًا نَصْرَانِيًّا فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى سَمِعَ بِأَنْ مِنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ يَسْتَقِرُّ فِي خِدْمَتِهِ ، وَمَنْ امْتَنَعَ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ . فَأُخْرِجَهُمْ إِلَى دَارِ النَّيَابَةِ ، وَقَالَ لَهُمْ : « يَا جَمَاعَةَ ، مَا وَصَلَتْ قُدْرَتِي مَعَ السُّلْطَانَ فِي أَمْرِكُمْ إِلَّا عَلَى شَرْطٍ ، وَهُوَ أَنْ مِنْ اخْتَارَ دِينَهُ قُبِلَ ، وَمَنْ اخْتَارَ الْإِسْلَامَ نُحْلِغَ عَلَيْهِ وَبَاشَرَ » .

فَابْتَدَرَهُ الْمَكِينُ بْنُ الشُّقَاعِي ، أَحَدُ الْمُسْتَوْفِينَ ، وَقَالَ : « يَا خَوْنُدُ وَأَيُّنَا قَوَادِ يَخْتَارُ الْقَتْلَ عَلَى هَذَا الدِّينِ الْخَرَا ؟ وَاللَّهِ دِينَ نُقْتَلُ وَنَمُوتُ عَلَيْهِ يَزُوجُ لَا كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ سَلَامَةً ، قَوْلُوا لَنَا الَّذِي تَخْتَارُوهُ

حتى نرُوح إليه . فغَلَبَ يَتَدْرَا الضَّحِكُ ، وقال له : وَتِلْكَ أَنْحُنْ نَحْتَارُ غَيْرَ دِينِ الْإِسْلَامِ ؟ فقال :
يا خَوْنُدُ مَا نَعْرِفُ ، قُولُوا وَنَحْنُ نَتَّبِعُكُمْ .

فَأَخْضَرَ الْعُدُولَ وَاسْتَسَلَمَهُمْ ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ شَهَادَاتٍ عَلَيْهِمْ ، وَدَخَلَ بِهَا عَلَى السُّلْطَانِ .
فَأَلْبَسَهُمْ تَشَارِيفَ ، وَخَرَجُوا إِلَى مَجْلِسِ الْوَزِيرِ الصَّاحِبِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ السُّلْعُوسِ . فَبَدَأَ
بَعْضُ الْحَاضِرِينَ بِالْمَكِينِ بْنِ الشَّقَاعِيِّ وَنَاوَلَهُ وَرَقَةً لِيَكْتُبَ عَلَيْهَا ، وَقَالَ : يَا مَوْلَانَا الْقَاضِي أَكْتُبْ
عَلَى هَذِهِ الْوَرَقَةِ ، فَقَالَ : يَا بَنِي مَا كَانَ لَنَا هَذَا الْقَضَاءُ فِي خَلْدٍ . فَلَمْ يَزَالُوا فِي مَجْلِسِ الْوَزِيرِ إِلَى
الْعَصْرِ ، فَجَاءَهُمُ الْحَاجِبُ وَأَخَذَهُمْ إِلَى مَجْلِسِ النَّائِبِ ، وَقَدْ جَمَعَ بِهِ الْقَضَاةَ ، فَجَدُّوا إِسْلَامَهُمْ
بِحَضْرَتِهِمْ .

فَصَارَ الدَّلِيلُ مِنْهُمْ بِإِظْهَارِ الْإِسْلَامِ عَزِيزًا ، يُبْدِي مِنْ إِذْلَالِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالتَّسَلُّطِ عَلَيْهِمْ
بِالظُّلْمِ ، مَا كَانَ تَمْتَعَهُ نَصْرَانِيَّتُهُ مِنْ إِظْهَارِهِ . وَمَا هُوَ إِلَّا كَمَا كَتَبَ بِهِ بَعْضُهُمْ إِلَى الْأَمِيرِ
يَتَدْرَا النَّائِبِ :

[الرمل]

أَسْلَمَ الْكَافِرُونَ بِالسَّيْفِ قَهْرًا وَإِذَا مَا خَلَوْا فَهَمُّ مُجْرِمُونَا
سَلِمُوا مِنْ زَوَاحِ مَالٍ وَزَوْجِ فَهَمُّ سَائِلُونَ لَا مُسْلِمُونَا^١

وَفِي أُخْرِيَاتِ شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ سَبْعِ مِائَةٍ ، قَدِيمِ وَزِيرٍ مُتَمَلِّكِ الْمَغْرِبِ إِلَى الْقَاهِرَةِ حَاجًّا^٢ ، وَصَارَ
يَرْكَبُ إِلَى الْمَوْكِبِ السُّلْطَانِيِّ وَيُتَوَاتِرُ الْأَمْرَاءَ . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ بِسُوقِ الْخَيْلِ تَحْتَ الْقَلْعَةِ ، إِذَا هُوَ
بِرَجُلٍ رَاكِبٍ عَلَى فَرَسٍ ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ بَيْضَاءُ وَفَرْجِيَّةٌ مَضْفُوقَةٌ ، وَجَمَاعَةٌ يَمْشُونَ فِي رِكَابِهِ ، وَهُمْ
يَسْأَلُونَهُ وَيَنْصَرِّغُونَ إِلَيْهِ وَيُقْبَلُونَ رِجْلَيْهِ ، وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْهُمْ وَيَنْهَرُهُمْ ، وَيَصِيحُ بِغِلْمَانِهِ أَنْ
يَطْرُدُوهُمْ عَنْهُ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : يَا مَوْلَايَ الشَّيْخُ بِحَيَاةٍ وَلَدِكَ النَّشْوُ تَنْظُرُ فِي حَالِنَا . فَلَمْ يَزِدْهُ
ذَلِكَ إِلَّا عُثْوًا وَتَحَامُّقًا . فَرَقَّ الْمَغْرِبِيُّ لَهُمْ ، وَهُمْ بِمُخَاطَبَتِهِ فِي أَمْرِهِمْ ، فَقِيلَ لَهُ وَإِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ
نَصْرَانِي . فَغَضِبَ لَذَلِكَ ، وَكَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِهِ ، ثُمَّ كَفَّ عَنْهُ وَطَلَعَ إِلَى الْقَلْعَةِ ، وَجَلَسَ مَعَ الْأَمِيرِ
سَلَارِ نَائِبِ السُّلْطَانِ وَالْأَمِيرِ يَبْيِزَسَ الْجَاشَنْكِيرِ ، وَأَخَذَ يُحَادِثُهُمْ بِمَا رَأَى وَهُوَ يَبْكِي رَحْمَةً
لِلْمُسْلِمِينَ بِمَا نَالَهُمْ مِنْ قَسْوَةِ النَّصَارَى . ثُمَّ وَعَظَ الْأَمْرَاءَ ، وَحَدَّرَهُمْ نِقْمَةَ اللَّهِ ، وَتَسْلِيطَ عَدُوِّهِمْ

^٢ كان سلطان المغرب وقتذاك الناصر لدين الله أبو
يغثوب يوسف بن يغثوب المريني (٦٨٥-٧٠٦هـ).
(مجهول : تاريخ سلاطين المماليك ٩٨).

^١ العيني : عقد الجمان ٣ : ١٨١-١٨٥ Mounir
Megally, CE art. Waq'at al-Nasara VII, pp.
2316-18.

عليهم من تمكين النَّصَارَى من رُكُوبِ الخَيْلِ ، وتَسَلُّطهم على المُسْلِمِينَ وإذْلالِهِمْ إِيَّاهُمْ ، وَأَنْ الواجِبَ إلِزامُهُم الصَّغارَ وحَمْلَهُمْ على العَهْدِ الَّذِي كَتَبَهُ أميرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عنه ^١ . فمَالُوا إلى قَوْلِهِ ، وَطَلَبُوا بَطْرِكَ النَّصَارَى وَكُتَبَاءَهُمْ وَدِيَانَ الْيَهُودِ .

فَجُمِعَتِ نَصَارَى كَنِيسَةِ الْمُعَلَّقَةِ ، وَنَصَارَى دَيْرِ البَغْلِ وَنحوِهِمْ ، وَحَضَرَ كُتَبَاءَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، وَقَدْ حَضَرَ القُضَاةَ الأربعةَ ، وَنَظَرُوا النَّصَارَى وَاليَهُودَ . فَأذَعَنُوا إلى التَّيْزَامِ « العَهْدِ العُمَرِيِّ » ، وَأَلْزَمَ بَطْرِكَ النَّصَارَى طَائِفَتَهُ النَّصَارَى يَلْبَسُ العِمَائِمَ الزُّرْقَ ، وَشَدَّ الزُّنَارَ فِي أَوْسَاطِهِمْ ، وَمَنَعَهُمْ مِنْ رُكُوبِ الخَيْلِ وَالبِغَالِ ، وَالتَّيْزَامِ الصَّغارَ ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ مُخَالَفَةَ ذَلِكَ أَوْ شَيْءٍ مِنْهُ ، وَإِنَّهُ بَرِيءٌ مِنَ النَّصْرَانِيَةِ إِنْ خَالَفَ ^٢ . ثُمَّ اتَّبَعَهُ دِيَانَ الْيَهُودِ بِأَنْ أَوْقَعَ الكَلِمَةَ على مَنْ خَالَفَ مِنَ الْيَهُودِ مَا شَرِطَ عَلَيْهِ مِنْ لَيْسَ العِمَائِمَ الصُّفْرَ وَالتَّيْزَامِ / « العَهْدِ العُمَرِيِّ » ، وَكُتِبَ بِذَلِكَ عِدَّةٌ تُسَخَّرُ سُوِّرَتِ إلى الأَعْمَالِ ^٣ .

فَقَامَ المُغْرَبِيُّ فِي هَدْمِ الكَنَائِسِ . فَلَمْ يُمْكِنَهُ قَاضِي القُضَاةِ تَقِيُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنُ دَقِيقِ العَيْدِ مِنْ ذَلِكَ ، وَكُتِبَ خَطُّهُ بِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُهْدَمَ مِنَ الكَنَائِسِ إِلَّا مَا اسْتَجِدُّ بِنَاوِهِ . فَعُلِّقَتْ عِدَّةٌ كَنَائِسٍ بِالقَاهِرَةِ وَمِصرَ مُدَّةَ أَيَّامٍ فَسَعَى بَعْضُ أَغْيَانِ النَّصَارَى فِي فَتْحِ كَنِيسَةٍ حَتَّى فَتَحَهَا . فَتَارَتِ العَامَّةُ ،

Cahen, Cl., «Histoires كاهن أقسامًا منه بعنوان Coptes d'un Cadi médiéval», *BIFAO* LIX (1960), pp. 133-50; id., *El* ² art. *Dhimma* II, pp. 234-38; Fattal, A., *Le statut légal des Non-musulmans en pays d'Islam*, Beyrouit 1958; Bar Ye'or, *The Dhimmi Jews and Christians under Islam*, London 1985; Aziz S. Atiya, *CE* art. *Ahl* *al-Dhimma* I, pp. 72-73; إضافة إلى كتاب تريتون: أهل الذمة في الإسلام، ترجمة حسن حبشي، القاهرة ١٩٦٧.

^٣ تناول دراسة «العهد العُمري» والشروط الواردة فيه، العديد من المصادر المتقدمة والدراسات الحديثة، وهي بين مثبت له أو مُنكِر له، وقد أُوْجِزَ هذه الدراسات وعُلِّقَ عليها عبادة عبد الرحمن كحيل في كتابه: عهد عمر... قراءة جديدة، القاهرة ١٩٩٦.

^١ من بين ما قاله لهم: «كيف تزجون النَّصْرَةَ والنَّصَارَى تزكَّب عندكم الخيول وتلبس العمامم البيض، وتذبل المسلمين وتمشيهم في خدمتهم؟» (المقريزي: السلوك ١: ٩١٠).
^٢ حاشية بخط المؤلف: «الأضل في تعبير الذمة منهم أن سعد بن أبي وقاص استخلف خالد بن عوفطة على الكوفة، فأسلمت امرأة فأتته فذكرت أن زوجها يضربها على أن تعود إلى النصرانية وأقامت على ذلك بيته؛ فضربه خالد وحلّفه وقرق بينها وبينه. فأتى النصراني عمر بن الخطاب فشكا خالدًا، فأشخص عمر خالدًا إليه فأخبره أنه نصراني وقص عليه قصيبته، فقال عمر: «الحكم ما حكمت فيه»، وكتب إلى الأمصار أن تجزئ نواصيهم، وأن لا تلبسوا ملابس المسلمين حتى يقرؤوا».

وراجع كذلك، ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، تحقيق صبحي الصالح، دمشق ١٩٦١؛ النابلسي: تجريد سنن الهمة لاستخراج ما في ذمة أهل الذمة، نشر كلود

ووقفوا للنائب والأمراء، واستغاثوا بأن النصارى قد فتحوا الكنائس بغير إذن، وفيهم جماعة تكبروا عن لبس العمائم الزرق، واختفى كثير منهم بالأمراء، فتودي في القاهرة ومصر: أن يلبس النصارى بأجمعهم العمائم الزرق، ويلبس اليهود بأسرهم العمائم الصفراء، ومن لم يفعل ذلك نهب ماله وحل دمه. ومنعوا جميعاً من الخدمة في ديوان السلطان ودواوين الأمراء حتى يسلموا. فتسلطت الغوغاء عليهم وتبعوهم، فمن رأوه بغير الزي الذي رسم به ضربوه بالنعال وشفقوا عنقه حتى يكاد يهلك، ومن مر بهم وقد ركب ولا يثني رجله القوه عن دابته، وأوجعوه ضرباً. فاخترى كثير منهم، وألجأت الضرورة عدداً من أعيانهم إلى إظهار الإسلام أنفةً من لبس الأزرق ورؤوب الحمير^١.

^a وقد أكثر شعراء العصر في ذكر تغيير زي أهل الذمة. فقال علاء الدين علي بن مظفر

الوداعي:

[الطويل]

لقد ألزم الكفار شاشات ذلّة
فقلت لهم ما ألبسوك عمائمًا
تزيدهم من لعنة الله تشويشًا
ولكنهم قد ألزموك براطيشًا

وقال شمس الدين الطيبي:

[البيط]

تعجبوا للنصارى واليهود معًا
كأنما بات بالأضباع منسهلاً
والسامريين لما غمموا الخرقًا
نشر السماء فأضحى فوقهم ذرقًا^a

فبعث ملك بربلونة، في سنة ثلاث وسبع مائة، هدية جليلة زائدة عن عادته، عم بها جميع أرباب الوظائف من الأمراء مع ما خص به السلطان، وكتب ينال في فتح الكنائس. فاتفق

(a-a) كل هذه الفقرة ساقطة من نسخة ميونخ.

^١ راجع حول هذا الموضوع بتفاصيل أكثر، النويري: الزاهرة ٨: ١٣٢-١٣٥؛ وكذلك قاسم عبده قاسم: أهل نهاية الأرب ٣١: ٤١٦-٤٢٦؛ ابن أبيك: كثر الدرر ٩: ٤٧-٥١؛ مفضل بن أبي الفضائل: النهج السديد PO ٣٨-٤٠ (1929) XX؛ القلقشندي: صبح الأعشى ١٣: ٣٧٧-٣٧٨؛ المقرئ: السلوك ١: ٩٠٩-٩١١؛ العيني: عقد الجمان ٤: ١٤٠-١٤١، أبا المحاسن: النجوم

^٢ انظر الأبيات كذلك عند أبي المحاسن: النجوم الزاهرة

الرُّأْيِي عَلَى فَتْحِ كَنِيسَةِ حَارَةِ زَوَيْلَةَ لِلْيَعَاقِبَةِ ، وَفَتْحِ كَنِيسَةِ الْبُنْدُقَانِيِّينَ مِنَ الْقَاهِرَةِ ^١ .

ثُمَّ لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ تَاسِعِ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، هُدِمَتِ كَنَائِسُ أَرْضِ مِصْرَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، كَمَا ذُكِرَ فِي أَخْبَارِ كَنِيسَةِ الزُّهْرِيِّ ^٢ .

وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، رُسِمَ بِتَحْرِيرِ مَا هُوَ مَوْقُوفٌ عَلَى الْكَنَائِسِ مِنْ أَرْضِي مِصْرَ ، فَأَنَافَ عَلَى خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ أَلْفَ فِدَانٍ . وَسَبَبُ الْفَخْصِ عَنْ ذَلِكَ كَثْرَةُ تَعَاظُمِ النَّصَارَى ، وَتَعَدِّيهِمْ فِي الشَّرِّ وَالْإِضْرَارِ بِالْمُسْلِمِينَ ، لِتَمَكُّنِهِمْ مِنْ أَمْرَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَتَفَاخُرِهِمْ بِالْمَلَابِسِ الْجَلِيلَةِ وَالْمُعَالَاةِ فِي أَثْمَانِهَا ، وَالتَّبَسُّطِ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ ، وَخُرُوجِهِمْ عَنِ الْحَدِّ فِي الْجِرَاعَةِ وَالسَّلَاطَةِ . إِلَى أَنْ اتَّفَقَ مُرُورُ بَعْضِ كُتَّابِ النَّصَارَى عَلَى الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ مِنَ الْقَاهِرَةِ ، وَهُوَ رَاكِبٌ بِخُفٍّ وَمِهْمَازٍ ، وَبِقَبَائِلِ إِسْكَنْدَرِي طُرِحَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَقُدَّامَهُ طَرَادُونَ يَمْتَنِعُونَ النَّاسَ مِنْ مُزَاحَمَتِهِ ، وَخَلْفَهُ عِدَّةٌ عَبِيدٌ بِثِيَابٍ سَرِيَّةٍ عَلَى أَكَادِيَشِ فَارِهَةَ . فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَثَارُوا بِهِ وَأَنْزَلُوهُ عَنِ فَرَسِهِ ، وَقَصَدُوا قَتْلَهُ وَقَدْ اجْتَمَعَ عَالَمٌ كَبِيرٌ ، ثُمَّ نَحَلُوا عَنْهُ . وَتَحَدَّثَ جَمَاعَةٌ مَعَ الْأَمِيرِ طَازٍ فِي أَمْرِ النَّصَارَى وَمَا هُمْ عَلَيْهِ ، فَوَعَدَهُمْ بِالْإِنصَافِ مِنْهُمْ ، فَرَفَعُوا قِصَّةَ عَلَى لِسَانِ الْمُسْلِمِينَ - قُرِئَتْ عَلَى السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ صَالِحِ بَحْضَرَةَ الْأَمْرَاءِ وَالْقُضَاةِ وَسَائِرِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ - تَتَضَمَّنُ الشُّكُورَى مِنَ النَّصَارَى ، وَأَنْ يُعْقَدَ لَهُمْ مَجْلِسٌ لِيَتَلْتَمِزُوا بِمَا عَلَيْهِمْ مِنَ الشُّرُوطِ . فَرُسِمَ بِطَلَبِ بَطْرِكِ النَّصَارَى وَأَعْيَانِ أَهْلِ مِلَّتِهِمْ ، وَبَطَلِبِ رَئِيسِ الْيَهُودِ وَأَعْيَانِهِمْ ، وَحَضَرَ الْقُضَاةَ وَالْأَمْرَاءَ بَيْنَ يَدَيْ السُّلْطَانِ ، وَقَرَأَ الْقَاضِي عِلَاءُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ ، كَاتِبَ السَّرِّ ، الْعَهْدَ الَّذِي كُتِبَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ أَهْلِ الدِّمَّةِ - وَقَدْ أَحْضَرُوهُ مَعَهُمْ - حَتَّى فَرَّغَ مِنْهُ . فَالْتَزَمَ مِنْ حَضَرَ مِنْهُمْ بِمَا فِيهِ ، وَأَقْرَبُوا بِهِ ، فَعُدَّدَتْ لَهُمْ أَفْعَالُهُمْ الَّتِي جَاهَرُوا بِهَا وَهَمَّ عَلَيْهَا ، وَأَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ عَنْهَا غَيْرَ قَلِيلٍ ، ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَيْهَا كَمَا فَعَلُوهُ غَيْرَ مَرَّةٍ فِيمَا سَلَفَ .

فَاسْتَقَرَّ الْحَالُ عَلَى أَنْ يُمْتَنِعُوا مِنَ الْمُبَاشَرَةِ بِشَيْءٍ مِنْ دِيْوَانِ السُّلْطَانِ وَدَوَابِنِ الْأَمْرَاءِ وَلَوْ أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ ، وَأَلَّا يُكْرَهَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى إِظْهَارِ الْإِسْلَامِ ، وَيُكْتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْأَعْمَالِ . فَتَسَلَّطَتِ الْعَامَّةُ عَلَيْهِمْ ، وَتَتَبَّعُوا آثَارَهُمْ ، وَأَخَذُوهُمْ فِي الطَّرِيقَاتِ ، وَقَطَعُوا مَا عَلَيْهِمْ مِنَ الثِّيَابِ ، وَأَوْجَعُوهُمْ ضَرْبًا ، وَلَمْ يَتْرُكُوهُمْ حَتَّى يُسَلِّمُوا ، وَصَارُوا يُضْرِمُونَ لَهُمُ النَّارَ لِيَلْقُوهُمْ

^١ مفضل بن أبي الفضائل: النهج السديد PO XX ملك أرنجونة Jayme II ، وكانت قاعدة مملكته مدينة بوشلونة .

مفضل بن أبي الفضائل: النهج السديد PO XX (1929), pp. 95-96؛ المقرئ: السلوك ١: ٩٥٠-٩٥١

^٢ فيما يلي ١٠٦٦ .

العيني: عقد الجمان ٤: ٣٠٤-٣٠٥ ، والمقصود في النص

فيها. فاخْتَفَوْا فِي بُيُوتِهِمْ^١، وَلَمْ يَتَجَسَّرُوا عَلَى الْمَشِيِّ بَيْنَ النَّاسِ، فَتُودِي الْمَنَعُ مِنَ التَّعَرُّضِ لَأَذَاهِمِ.

فَأَخَذَتِ الْعَامَّةُ فِي تَتَبِعِ عَوْرَاتِهِمْ، وَمَا عَلَّوهُ مِنْ دُورِهِمْ عَلَى بِنَائِ الْمُسْلِمِينَ فَهَدَمُوهُ، وَاسْتَدَّتْ الْأُمْرُ عَلَى النَّصَارَى بِاخْتِفَائِهِمْ؛ حَتَّى إِنَّهُمْ فُقِدُوا مِنَ الطَّرِيقَاتِ مُدَّةً، فَلَمْ يُرَ مِنْهُمْ وَلَا مِنَ الْيَهُودِ أَحَدٌ. فَرَفَعَ الْمُسْلِمُونَ قِصَّةً، قُرِئَتْ فِي دَارِ الْعَدْلِ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ رَابِعِ عَشْرِ شَهْرِ رَجَبٍ، تَتَضَمَّنُ أَنَّ النَّصَارَى قَدْ اسْتَجَدُّوا عِمَارَاتٍ فِي كَنَائِسِهِمْ، وَوَسَّعُوهَا.

هذا وقد اجْتَمَعَ بِالْقَلْعَةِ عَالَمٌ عَظِيمٌ، وَاسْتَعَاثُوا بِالسُّلْطَانِ / مِنَ النَّصَارَى، فَزَسَمَ بِرُكُوبِ وَالِي الْقَاهِرَةِ، وَكَشَفَهُ عَلَى ذَلِكَ. فَلَمْ تَتَمَهَّلِ الْعَامَّةُ وَمَرَّتْ بِسُرْعَةٍ، فَخَرَّبَتِ كَنِيسَةَ بِجَوَارِ قَنَاطِرِ السَّبَاعِ، وَكَنِيسَةَ بِطَرِيقِ مِصْرَ لِلْأَشْرِيِّ، وَكَنِيسَةَ الْفَهَّادِينَ بِالْجَوَانِيَةِ مِنَ الْقَاهِرَةِ، وَدَيْرَ نَهْيَا مِنَ الْجِيْزَةِ، وَكَنِيسَةَ بِنَاحِيَةِ بُولَاقِ التُّكْرُورِيِّ، وَنَهَبُوا حَوَاصِلَ مَا خَرَّبُوهُ مِنْ ذَلِكَ - وَكَانَتْ كَثِيرَةً - وَأَخَذُوا أَنْحُسَابَهَا وَرُخَامَهَا، وَهَجَمُوا كَنَائِسَ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةَ، وَلَمْ يَتَّقِ إِلَّا أَنْ يُخَرَّبُوا كَنِيسَةَ الْبُنْدُقَانِيِّينَ بِالْقَاهِرَةِ، فَزَكَبَ الْوَالِي وَمَتَّعَهُمْ مِنْهَا، وَاسْتَدَّتْ الْعَامَّةُ، وَعَجَزَ الْحُكَّامُ عَنْ كَفِّهِمْ. وَكَانَ قَدْ كُتِبَ إِلَى جَمِيعِ أَعْمَالِ مِصْرَ وَبِلَادِ الشَّامِ أَنْ لَا يُسْتَخْدَمَ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ وَلَوْ أَسْلَمَ، وَأَنَّهُ مِنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ لَا يُمْكِنُ مِنَ الثُّبُورِ إِلَى بَيْتِهِ وَلَا مِنْ مُعَاشَرَةِ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يُسْلِمُوا، وَأَنْ يُنَزَّمُ مِنَ أَسْلَمَ مِنْهُمْ بِمُلَازِمَةِ الْمَسَاجِدِ وَالْجَوَامِعِ لِشُهُودِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجُمُعِ، وَأَنْ مِنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الذُّمَّةِ يَتَوَلَّى الْمُسْلِمُونَ قِسْمَةَ تَرِكَتِهِ عَلَى وَرَثَتِهِ إِنْ كَانَ لَهُ وَارِثٌ، وَإِلَّا فَهِيَ لِبَيْتِ الْمَالِ، وَكَانَ يَضْلِي ذَلِكَ الْبَطْرِكُ. وَكُتِبَ بِذَلِكَ مَرْسُومٌ قَرِئَ عَلَى الْأَمْرَاءِ، ثُمَّ نَزَلَ بِهِ الْحَاجِبُ فَقَرَأَهُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَادِسِ عَشْرِينَ جُمَادَى الْآخِرَةِ بِجَوَامِعِ الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ، فَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا^٢.

ثُمَّ أُخْضِرَ فِي أَخْرِيَاتِ شَهْرِ رَجَبٍ، مِنْ كَنِيسَةِ شَبْرَا بَعْدَمَا هُدِمَتْ، أَصْبِغَ الشَّهِيدَ - الَّذِي كَانَ يُلْقَى فِي النَّيْلِ حَتَّى يَزِيدَ بِرُزْمِهِمْ - وَهُوَ فِي صَنْدُوقٍ. فَأُخْرِقَ بَيْنَ يَدَيْ السُّلْطَانِ بِالْمَيْدَانِ مِنَ قَلْعَةِ الْجَبَلِ، وَذُرِّي رَمَادِهِ فِي الْبَحْرِ خَشِيَّةً مِنْ أَخْذِ النَّصَارَى لَهُ^٣.

^١ أكثر تفصيلاً، وأورد القلقشندي نصّ المرسوم الذي أصدره السلطان الملك الصالح صالح باعتماد اليهود والنصارى والشايرة لحكم عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. (صبح الأعشى ١٣: ٣٧٨-٣٨٧).

^٢ انظر عن عيد الشهيد والغايه، فيما تقدم ١: ١٨٣-١٨٥.

^١ انظر عن أماكن تجمع أهل الذمة - وعلى الأخص النصارى - في القاهرة في العصر الإسلامي، دراسة دوريس بهرن أبو سيف Behrens - Abouseif, D., «Locations of Non-Muslim Quarters in Medieval Cairo», *An. Isl.* XXII (1986), pp. 117-32.

^٢ راجع، المقرئ: السلوك ٢: ٩٢١-٩٢٧، نصاً

فَقَدِمَتِ الْأَنْبِيَاءُ بِكَثْرَةٍ دُخُولِ النَّصَارَى، مِنْ أَهْلِ الصَّعِيدِ وَالْوَجْهِ الْبَحْرِيِّ، فِي الْإِسْلَامِ وَتَعَلَّمَهُمُ الْقُرْآنَ، وَأَنَّ أَكْثَرَ كَنَائِسِ الصَّعِيدِ هُدِمَتْ وَبُنِيَتْ مَسَاجِدَ، وَأَنَّهُ أَسْلَمَ بِمَدِينَةِ قَلْبُوبِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ أَرْبَعِ مِائَةٍ وَخَمْسُونَ نَصْرَانِيًّا، وَكَذَلِكَ بِعَامَّةِ الْأَرْيَافِ، مَكْرًا مِنْهُمْ وَخَدِيْعَةً حَتَّى يُسَخِّدُوا فِي الْمُبَاشَرَاتِ، وَيَتَكَبَّرُوا الْمُسْلِمَاتِ. فَتَمَّ لَهُمْ مُرَادُهُمْ، وَاسْتَحْتَلَطَتْ بِذَلِكَ الْأَنْسَابِ حَتَّى صَارَ أَكْثَرُ النَّاسِ مِنْ أَوْلَادِهِمْ^١.

وَلَا يَخْفَى أَمْرُهُمْ عَلَى مَنْ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ. فَإِنَّهُ يَظْهَرُ مِنْ آثَارِهِمُ الْقَبِيْحَةَ، إِذَا تَمَكَّنُوا مِنَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلَهُ، مَا يَعْرِفُ بِهِ الْفِطْنِ شَوْءَ أَضْلِهِمْ وَقَدِيمَ مُعَادَاةِ أَسْلَافِهِمْ لِلَّذِينَ وَحَمَلْتَهُ.

فَصْل

النَّصَارَى فِرْقٌ كَثِيرَةٌ: الْمَلِكَانِيَّةُ، وَالنَّشْطُورِيَّةُ، وَالْيَعْقُوبِيَّةُ، وَالْبُودَعَانِيَّةُ، وَالْمَرْقُولِيَّةُ - وَهُمْ الرِّهَاقِيَّةُونَ الَّذِينَ كَانُوا بَنَوَاحِي حِرَّانَ - وَغَيْرَ هَؤُلَاءِ. فَمِنْهُمْ مَنْ مَذْهَبُهُ مَذْهَبُ الْحَرَّانِيَّةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ بِالنُّورِ وَالظُّلْمَةِ، وَالشُّنُوبِيَّةِ كُلُّهُمْ يَقْرُونَ بِنُبُوَّةِ الْمَسِيحِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْتَقِدُ مَذْهَبَ أَرِسْطَاطَالِيْسَ.

وَالْمَلِكَانِيَّةُ وَالْيَعْقُوبِيَّةُ وَالنَّشْطُورِيَّةُ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ مَعْبُودَهُمْ ثَلَاثَةٌ أَقَانِيمَ، وَهَذِهِ الْأَقَانِيمُ الثَّلَاثَةُ شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ جَوْهَرٌ قَدِيمٌ، وَمَعْنَاهُ أَبٌ وَابْنٌ وَرُوحُ الْقُدُسِ إِلَهُ وَاحِدٌ، وَأَنَّ الْإِبْنَ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، فَتَدْرَعُ جَسَدًا مِنْ مَرْيَمَ، وَظَهَرَ لِلنَّاسِ يُحْيِي وَيُثَبِّتُ وَيُثَبِّتُ، ثُمَّ قُتِلَ وَصُلِبَ، وَخَرَجَ مِنَ الْقَبْرِ لثَلَاثِ، فَظَهَرَ لِقَوْمٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَعَرَفُوهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، ثُمَّ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ أَبِيهِ؛ هَذَا الَّذِي يَجْمَعُهُمْ اعْتِقَادُهُ.

^١ الوسطى، ١٧١-١٧٩.

^٢ حَوْلَ فِرْقِ النَّصَارَى وَالْفُرُوقِ بَيْنَهَا، رَاجِعِ الشَّهْرِسْتَانِي: الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ ١: ٢٠١-٢٠٨؛ الْقَلْقَشَنْدِي: صَبْحُ الْأَعْيُنِ ١٣: ٢٧٦-٢٩١؛ Janim, J., *Les églises orientales et les rites orientaux*, Letouzey & Ané 1997; *The Blackwell Dictionary of Eastern Christianity*, Blackwell - Oxford 2001.

^١ رَاجِعِ عَنِ تَحْوِيلِ الْأَقْبَاطِ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي الْعَصْرِ الْمَمْلُوكِيِّ الْبَحْرِيِّ دَرَاةَ دُونَالْدِ لَيْتِلِ Little, D.P., «Coptic Conversion to Islam under the Bahri Mamluks», *BSOASXXXIX* (1978), pp. 552-69 وَأَعَادَ نَشْرَهَا فِي كِتَابِ Gervers, M. and Bikkazi, R. J. (eds.), *Conversion and Continuity: Indigenous Christian Communities in Islamic Lands, Eighth to Eighteenth Centuries*, Toronto 1990, pp. 263-88؛ وَدَرَاةَ قَاسِمِ عِبْدِهِ قَاسِمِ: أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي مِصْرَ الْعَصُورِ

ثم إنهم يَحْتَلِفُونَ في العبارة عنه : فمنهم من يزعم أن القديم جوهر واحد يجمعه ثلاثة أقانيم - كل أقنوم منها على جوهر خاص - فأحد هذه الأقانيم أب واحد غير مؤلود ، والثالث روح فائضة مُنْبِيئة بين الأب والابن ، وأن الابن لم يزل مؤلوداً من الأب ، وأن الأب لم يزل والداً للابن ، لا على جهة النكاح والتناسل ، لكن على جهة تولد ضياء الشمس من ذات الشمس ، وتولد حر النار من ذات النار .

ومنهم من يزعم أن معنى قولهم أن الإله ثلاثة أقانيم ، أنها ذات لها حياة ونطق : فالحياة هي روح القدس ، والنطق هو العلم والحكمة ، والنطق والعلم والحكمة والكلمة عبارة عن الابن ، كما يقال الشمس وضياؤها والنار وحرها ، فهو عبارة عن ثلاثة أشياء ترجع إلى أصل واحد .

ومنهم من يزعم أنه لا يصح له أن يثبت الله فاعلاً حكيماً ، إلا أنه يثبت حياً ناطقاً . ومعنى الناطق عندهم العالم المميز ، لا الذي يخرج الصوت بالحروف المركبة ، ومعنى الحي عندهم من له حياة بها يكون حياً ، ومعنى العالم من له علم به يكون عالماً ؛ قالوا : فدائه وعلمه وحياته ثلاثة أشياء والأصل واحد . فالذات هي العلة للابن اللذين هما العلم والحياة ، والابن هما المعلولان للعلة .

ومنهم من يَنْزِعُهُ عن لفظ العلة والمعلول في صفة القديم ، ويقول : أب وابن ، ووالدة وروح ، وحياة وعلم ، وحكمة ونطق .

قالوا : والابن اتحد بإنسان مخلوق ، فصار هو وما اتحد به مسيحاً واحداً ، وإن المسيح هو إله العباد وربهم .

ثم اختلفوا في صفة الاتحاد . فزعم بعضهم أنه وقع بين جوهر لاهوتي وجوهر ناسوتي اتحاداً فصاراً مسيحاً واحداً ، ولم يخرج الاتحاد كل واحد منهما عن جوهريته وغنصره ، وأن المسيح إله معبود ، وأنه ابن مريم الذي حملته وولده ، وأنه قتل وصلب .

وزعم قوم أن المسيح بعد الاتحاد جوهران أحدهما لاهوتي ، والآخر ناسوتي ، وأن القتل والصلب وقعا به من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته ، وأن مريم حملت المسيح وولده من جهة ناسوته ، وهذا قول النسطورية . ثم يقولون : إن المسيح بكماله / إله معبود ، وأنه ابن الله ؛ تعالى الله عن قولهم .

وزعم قوم أن الاتحاد وقع بين جوهرين : لاهوتي ، وناسوتي ، فالجوهر اللاهوتي بسيط غير منقسم ولا متجزئ . وزعم قوم أن الاتحاد على جهة حلول الابن في الجسد ومخالطته إياه . ومنهم

من زعم أن الاتحاد على جهة الظهور، كظهور كتابة الخاتم والنقش إذا وقع على طين أو شمع، و كظهور صورة الإنسان في الميزة، إلى غير ذلك من الاختلاف الذي لا يوجد مثله في غيرهم، حتى لا تكاد تجد اثنين منهم على قول واحد.

- و «الملكانية» تُنسب إلى ملك الروم، وهم يقولون: إن الله اسم لثلاثة معانٍ، فهو واحد ثلاثة، وثلاثة واحد. و «اليقونية» تقول: إنه واحد قديم، وإنه كان لا جسم ولا إنسان، ثم تجسم وتأنس^١. و «المزقولية» قالوا: الله واحد، وعلمه غيره قديم معه، والمسيح ابنه على جهة الرحمة، كما يقال إبراهيم خليل الله. والمزقولية تزعم أن المسيح يطوف عليهم كل يوم وليلة. و «البوزغانية» تزعم أن المسيح هو الذي يحشر الموتى من قبورهم ويحاسبهم.

فصل

- ١٠ وعندهم لا بُد من «تنصير» أولادهم، وذلك أنهم يغمشون المولود في ماء قد أُغلي بالزيتاحين وأوان الطيب في إجانة جديدة، ويقرأون عليه من كتابهم، فيزعمون أنه حينئذ ينزل عليه روح القدس، ويسمّون هذا الفعل «المعمودية»^٢.

«وطهارتهم» إنما هي غسل الوجه واليدين فقط، ولا يختزن منهم إلا اليقونية، ولهم سبعة «صلوات» يستقبلون فيها المشرق، و «يخجون» إلى بيت المقدس، و «زكاتهم» العشر من أموالهم، و «صيامهم» خمسون يومًا.

- ١٥ فالثاني والأربعون منه «عيد الشعانين»، وهو اليوم الذي نزل فيه المسيح من الجبل ودخل بيت المقدس. وبعده بأربعة أيام «عيد الفصح»، وهو اليوم الذي خرج فيه موسى وقومه من مصر.

^٣ حاشية بخط المؤلف: «اعلم أن المسيح بنص إنجيلهم إنما يُصلي إلى اورشليم، وهي البيت المقدس، التي هي قبلة الأنبياء، ولم يزل يتوجه إليها إلى أن رفع. وكان بما أخذت النصارى بعد المسيح الصلاة إلى جهة المشرق زعمًا منهم بأن صاحبهم صلب بتلك الجهة، قالوا: فتوجب علينا التوجه إلى حيث صلب، وهم محجوجون بما لا تصفه هذه الطريقة».

^١ الملكية أو الملكانية. هم الطائفة المعروفة بالروم الأرثوذكس، واليعاقبة هم المونوفيزيين، أي أتباع مذنب الطبيعة الواحدة. (انظر فيما تقدم ٩٨٩).

^٢ حاشية بخط المؤلف: «الثعميد هو عفس النائب في الماء، يُشرون بذلك إلى الانغماس في الطاعة والتجود عن المخالفة، كما وردت شريعة الإسلام بتطهير الكافر حين يُسلم. هذا أصله عندهم وعهدتهم فيه تعميد يُوحنا للمسيح، ثم صاروا يُعمدون أولادهم».

وبعده بثلاثة أيّام « عيد القيامة » ، وهو اليوم الذي خرج فيه المسيح من القبر بزعمهم . وبعده
بثمانية أيّام « عيد الجديد » ، وهو اليوم الذي ظهر فيه المسيح لتلاميذته بعد خروجه من القبر .
وبعده بثمانية وثلاثين يوماً « عيد الشّلاق » ، وهو اليوم الذي صعد فيه المسيح إلى السّماء . ولهم
« عيد الصّليب » ، وهو اليوم الذي وجدوا فيه خشبة الصّليب ، وزعموا أنّها وُضعت على ميّت
فعاش^١ .

ولهم أيضاً « عيد الميلاد » و « عيد الذّبْح » .

ولهم قرابين وكهنة : فالشّمس فوقه القس ، وفوق القس الأسقف ، وفوق الأسقف المطران ،
وفوق المطران البطريرق^٢ .

والسكّر عندهم حرام ، ولا يحلّ لهم أكل اللحم ولا الجِمَاع في الصّوم ، وكلّ ما يُباع في
السوق ولم تعفه أنفسهم يُباع أكّله ، ولا يصحّ النكاح إلا بحضور شّمس وقس وعُدول ومهر ،
ويُحرّمون من النّساء ما يُحرّمه المسلمون ، ولا يحلّ الجَمْع بين امرأتين ، ولا التّسرّي بالإماء إلا أن
يُعْتَقْنَ ويُتَزَوَّجَ بهن ، وإذا خَدَمَ العَبْدُ سَبْعَ سنين عُتِقَ .

ولا يحلّ طلاق المرأة ، إلا أن تأتي بفاحشة مُبينّة فتطلق ، ولا تحلّ للزّوج أبداً ، وحُدّ المحصّن إذا
زنى الرّجْم ، فإن زنى غير مُحصّن وحملت منه المرأة تزوّج بها ، ومن قتل عمداً قُتِل ، ومن قتل
خطأ يهْرَب ولا يحلّ طلبه ، وأكثر أحكامهم من الثّوراة ، وقد لُعنَ منهم من لاط أو شهّد بالزّور أو
قامر أو زنى أو سكر .

^١ راجع عن أعياد القبط ، التويري : نهاية الأرب ٧٢٩ .

^٢ راجع ، القلقشندي : صبح الأعشى ٢ : ٤٢٥ - ١٩١ : ١٩٤ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٥ : ٤٧٢ -

٤٣٥ ، ١٣ : ٢٨٤ ؛ قاسم عبده قاسم : أهل الذمة في مصر ٤٧٤ ، ١٣ : ٢٧٤ .

العصور الوسطى ١٢٠ - ١٢٣ ؛ وفيما تقدم ٧١٤ : ١ -

ذِكْرُ دِيَارَاتِ النَّصَارَى^١

قال ابن سيده: الدَّيْرُ نَحَانُ النَّصَارَى، والجَمْعُ أَدْيَارٌ، وصاحِبُهُ دَيَّارٌ ودَيَّرَانِي^٢. قُلْتُ: الدَّيْرُ عند النَّصَارَى يَخْتَصُّ بالنُّسَاكِ المقيمين به، والكنيسة مُجْتَمَعُ عَامَّتِهِم للصلاة.

[الوجه القبلي]

القلالية بمصر

هذه القلالية بجانب المعلقة، التي تُعرف بقصر الشمع، في مدينة مصر. وهي مجمع أكابر الرهبان وعلماء النَّصَارَى، وحكمها عندهم حكم الأديرة.

كاملة للكتاب دلت على أن المؤلف الأصلي لهذا الكتاب هو المؤمن أبو المكارم سعد الله بن جرجس بن مشغود، نشرها في أربعة أجزاء الأنبا صموئيل الشرنوباني، القاهرة ١٩٨٤، ٢٠٠٠. (وانظر المقدمة)؛ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ١: ٣٦٠-٣٨٦؛ Walters, C., *Monastic Archeology in Egypt*, London 1974 (نقله إلى العربية إبراهيم سلامة إبراهيم بعنوان: الأديرة الأثرية في مصر، القاهرة - المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٢)؛ Meinardus, O., *Monks and Monasteries of the Egyptian Deserts*, Cairo - AUC 1989 صموئيل وبديع حبيب جورجى: دليل الكنائس والأديرة في مصر، القاهرة ٢٠٠٢؛ *The Coptic Encyclopedia* III, pp. 695-884، وفيما يلي ١٠٦٠ هـ^١.

^٢ ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ١٠٢؛ وانظر معنى الدَّيْر أيضًا عند ياقوت: معجم البلدان ٢: ٤٩٥.

^١ نشر L. Leroy ترجمة فرنسية للفضل الخاص بالأديرة عند المقرئى. «Les convents des chrétiens. Traduction de l'arabe d'al-Makrizî», *ROC XIII* (1908), pp. 33-46, pp. 192-204. وراجع حول ديارات النَّصَارَى وكنائسهم في مصر، الشابشي: الديارات، تحقيق كوركيس عواد، بغداد ١٩٥١، ١٩٦٦ (وكان عزيز سوريال عطية قد نشر ما يتعلّق بالأديرة المصرية التي وُردت في كتاب الشابشي في مقالٍ عنوانه «Some Egyptian Monasteries according to the unpublished Ms of al-Shabushti's Kitab al-Diyarat», *BSAC V* (1939), pp. 1-28؛ أبا صالح الأرمني: تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمني تُذكر فيه أخبارًا من نواحي مصر وأقطاعها، نشره B.T.A. Evetts, *The Churches and Monasteries of Egypt and Some Neighbouring Countries*, Oxford 1895 ثم وُجدت نسخة جديدة

دَيْرُ طَرَا

ويُعرَف بدَيْر أبي جُرْج ، وهو على شاطئ النيل^١ .

وأبو جُرْج هذا هو جُرْجس . وكان يَمُنَّ عَدْبَهُ المَلِكُ دِقْلَظِيَانُوس لِيَزْجِعَ عن دين النَّصْرَانِيَّة ، وتَوَّعَ له العُقُوبَات من الضَّرْبِ والتَّحْرِيقِ بِالنَّارِ فلم يَزْجِع ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ بِالسَّيْفِ فِي ثَالِثِ تَشْرِينِ وَسَابِعِ بَابَةِ^٢ .

دَيْرُ شَهْرَانَ

هذا الدَّيْرُ فِي حُدُودِ نَاحِيَةِ طَرَا ، وَهُوَ مَبْنِي بِالْحَجَرِ وَاللِّبْنِ ، وَبِهِ نَخْلٌ ، وَبِهِ عِدَّةُ رُهْبَانٍ . وَيُقَالُ إِنَّمَا هُوَ دَيْرُ شَهْرَانَ بِالْهَاءِ ، وَإِنَّ شَهْرَانَ كَانَ مِنْ حُكَمَاءِ النَّصَارَى ، وَقِيلَ بَلْ كَانَ مَلِكًا^٣ . وَكَانَ هَذَا الدَّيْرُ يُعْرَفُ قَدِيمًا بِمَرْقُورِيُوس - الَّذِي يُقَالُ لَهُ مَرْقُورَةٌ وَأَبُو مَرْقُورَةٌ - ثُمَّ لَمَّا سَكَنَهُ بَرِصُومَا بْنُ التَّبَّانِ ، عُرِفَ بِدَيْرِ بَرِصُومَا . وَلَهُ عِيدٌ يُعْمَلُ فِي الْجُمُعَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الصَّوْمِ الْكَبِيرِ ، فَيَحْضُرُهُ البَطْرِكُ وَأَكَابِرُ النَّصَارَى ، وَيُنْفِقُونَ فِيهِ مَالًا كَثِيرًا^٤ . وَمَرْقُورِيُوسُ هَذَا كَانَ يَمُنُّ قَتْلَهُ دِقْلَظِيَانُوس ، فِي تَاسِعِ عَشَرَ تَمُوزَ وَخَامِسِ عَشْرِينَ أَيْبِ ، وَكَانَ جُنْدِيًّا .

دَيْرُ الرُّمْلِ

هذا الدَّيْرُ خَارِجُ نَاحِيَةِ الصَّفِّ وَالوَدْيِ ، وَهُوَ دَيْرٌ قَدِيمٌ لَطِيفٌ .

القاموس الجغرافي ١ : ٢٦٠ ؛ Coquin, R.-G. & Martin, M., CE art. Dayr Shahrân III, pp. 862-63.

^١ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ١ : ٣٧٣ ، وفيه : وموقعه قبلي القرافة ومصر يلي بركة الحبش .

^٢ حاشية بخط المؤلف : «قال الشعبي عن ابن عباس في قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الآية ٧٢ سورة الفرقان] ، قال : أعياد المشركين ، يعني الشعانين وغير ذلك .

^٣ أبو المكارم : تاريخ ٢ : ٥٩ (أبو صالح : تاريخ) .
^٤ لا يزال هذا الدَّيْرُ قائمًا ويُعرَفُ بِ«دَيْرِ شَهْرَانَ» و«دَيْرِ الغُزبان» ، ويقع في المنطقة المعروفة الآن بـ«المعصرة» بين طَرَا وحُلوان جنوب القاهرة . (نفسه ٢ : ٥٨ ؛ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ١ : ٣٦٦-٣٦٩ ؛ محمد رمزي :

دَيْرُ بَطْرُسَ وَبُولُصَ

هذا الدَيْرُ خَارِجٌ إِطْفِيحٍ مِنْ قِبَلِهَا ، وَهُوَ دَيْرٌ لَطِيفٌ ، وَلَهُ عِيدٌ فِي خَامِسِ أَيَّامِ يُعْرَفُ بِعِيدِ الْقَصْرِيةِ^١ .

وَبَطْرُسُ هَذَا هُوَ أَكْبَرُ الرُّسُلِ الْحَوَارِيِّينَ ، وَكَانَ دَبَّاعًا - وَقِيلَ صَيَّادًا - قَتَلَهُ الْمَلِكُ نِيرُونَ فِي تَاسِعِ عَشْرِينَ حَزْرِيَّانَ وَخَامِسِ أَيَّامِ . وَبُولُصَ هَذَا كَانَ يَهُودِيًّا ، فَتَنَصَّرَ بَعْدَ رَفْعِ الْمَسِيحِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَدَعَا إِلَى دِينِهِ ، فَقَتَلَهُ الْمَلِكُ نِيرُونَ بَعْدَ قَتْلِهِ بَطْرُسَ بِسَنَةِ .

دَيْرُ الْجُمَيْزَةِ

وَيُعْرَفُ بِدَيْرِ الْجُودِ ، وَيُسَمَّى مَوْضِعَهُ الْبَحَّارَةُ جَزَائِرِ الدَّيْرِ ، وَهُوَ قِبَالَةُ الْمَيْمُونِ ، وَهُوَ عَزْبَةٌ لَدَيْرِ الْعَرَبَةِ^(a) . يُنْبِئُ عَلَى اسْمِ أَنْطُونِيُوسَ - وَيُقَالُ أَنْطُونَةَ - وَكَانَ مِنْ أَهْلِ قِمْنِ ، فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُ الْمَلِكِ دِقْلَطِيَانُوسَ وَفَاتَتْهُ الشَّهَادَةُ ، أَحَبَّ أَنْ يَتَعَوَّضَ عَنْهَا بِعِبَادَةِ تُوَصِّلُ ثَوَابَهَا أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ ، فَتَرَهَّبَ^٢ . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَخَذَتْ الرُّهْبَانِيَّةَ لِلنَّصَارَى عِوَضًا عَنِ الشَّهَادَةِ ، وَوَاصَلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا لَيْلًا وَنَهَارًا طَاوِيًّا لَا يَتَنَاوَلُ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا مَعَ قِيَامِ اللَّيْلِ ، وَكَانَ هَكَذَا يَفْعَلُ فِي الصِّيَامِ الْكَبِيرِ كُلِّ سَنَةٍ .

دَيْرُ الْعَرَبَةِ^(a)

هذا الدَيْرُ يُسَارُ إِلَيْهِ فِي الْجَبَلِ الشَّرْقِيِّ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بِسَيْرِ الْإِبِلِ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ بَحْرِ الْقَلْزَمِ مَسَافَةٌ يَوْمٍ كَامِلٍ ، وَفِيهِ غَالِبُ الْفَوَاكِهِ مُزْدَرَعَةٌ ، وَبِهِ ثَلَاثَةُ أَعْيُنٍ تَجْرِي ، وَبَنَاهُ أَنْطُونِيُوسَ الْمَقْدَمُ ذَكَرَهُ^٣ .

(a) بولاق : العزبة .

G. & Martin, M., *CE art. Dayr al-Maymûn III*, p. 838.

^١ راجع ، Coquin, R.-G., Martin, M. & Grossmann, P., *CE art. Dayr al-Qasriyyah III*, pp. 849-50.

^٢ هو الدَيْرُ المعروف بـ «دَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ أَنْطُونِيُوسَ وَالْوَاقِعِ عَلَى بُغْدِ ٤٥ كَمِ جَنُوبِ غَرْبِ فَنَارِ الرُّعْفَرَانَةِ بِالْبَحْرِ الْأَحْمَرِ عِنْدَ سَفْحِ النِّهَايَةِ الْجَنُوبِيَّةِ لِسُلْسَلَةِ جَبَلِ جَلَالَةَ ، وَعَلَى بُغْدِ =

^٢ أَبُو الْمَكَارِمِ : تَارِيخُ ٦٩:٢ (أَبُو صَالِحٍ : تَارِيخُ ٧٠) ؛ مُحَمَّدُ رَمَزِي : الْقَامُوسُ الْجُغْرَافِيُّ : ٢٥٨ ؛ Coquin, R.-

ورُهبانُ هذا الدَّير لا يَزَالون دَهْرَهُم صَائِمِينَ ، لَكِن صَوْمَهُم إِلَى الْعَصْرِ فَقَط ، ثُمَّ يُفْطِرُونَ ، مَا خَلَا الصَّوْمَ الْكَبِيرَ وَالتَّبْرُمُولَاتِ ، فَإِنَّ صَوْمَهُم فِي ذَلِكَ إِلَى طُلُوعِ النُّجْمِ . وَالتَّبْرُمُولَاتِ هِيَ الصَّوْمُ كَذَلِكَ بُلْعَتِهِمْ .

رَبِيعُ أَنْبَا بُولَا

وكان يُقالُ له أوَّلًا « دَيْرُ بُولُص » ، ثم قيل له « دَيْرُ بُولَا » ، ويُعرفُ بـ « دَيْرِ التَّمُورَةِ » أيضًا . وهذا الدَيْرُ فِي الْبَرِّ الْغَرْبِيِّ مِنَ الطُّورِ ، عَلَى عَيْنِ مَاءٍ يَرُدُّهَا الْمُسَافِرُونَ . وَعِنْدَهُمْ أَنَّ هَذِهِ الْعَيْنَ تَطَهَّرَتْ مِنْهَا مَرْيَمُ ، أَنْحَتِ مُوسَى - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - عِنْدَ نُزُولِ مُوسَى بَيْتِي إِسْرَائِيلَ فِي بَرِّيَّةِ الْقُلْزَمِ^١ .

وَأَنْبَا بُولَا هَذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُوهُ تَرَكَ لَهُ وَأَخِيهِ مَالًا جَمًّا ، فَخَاصَمَهُ أَخُوهُ فِي ذَلِكَ وَخَرَجَ مُغَاضِبًا لَهُ ، فَرَأَى مَيْتًا يُقْبَرُ فَاعْتَبَرَ بِهِ ، وَمَرَّ عَلَى وَجْهِهِ سَائِحًا حَتَّى نَزَلَ عَلَى هَذِهِ الْعَيْنِ ، فَأَقَامَ هُنَاكَ وَاللَّهِ تَعَالَى يَزُوقُهُ ، فَمَرَّ بِهِ أَنْطُونِيُوسُ ، وَصَحِبَهُ حَتَّى مَاتَ ، فَبَنَى هَذَا الدَّيْرَ عَلَى قَبْرِهِ . وَبَيْنَ هَذَا الدَّيْرِ وَالْبَحْرِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ ، وَفِيهِ بُسْتَانٌ فِيهِ نَخْلٌ وَعِنَبٌ ، وَبِهِ عَيْنٌ مَاءٍ تَجْرِي أَيْضًا .

رَبِيعُ الْقَصِيرِ

قال أبو الحسن علي بن محمد الشَّابُثِيُّ فِي كِتَابِ « الدِّيَارَاتِ » : وَهَذَا الدَّيْرُ فِي أَعْلَى الْجَبَلِ ، عَلَى سَطْحٍ فِي قَلْتِهِ ، وَهُوَ دَيْرٌ حَسَنُ الْبِنَاءِ مُحْكَمُ الصَّنْعَةِ ، نَزَهُ الْبُقْعَةُ ، وَفِيهِ رُهْبَانٌ مُقِيمُونَ بِهِ ، وَلَهُ بَيْتٌ مَنْقُورَةٌ فِي الْحَجَرِ يُسْتَقَى لَهُ مِنْهَا الْمَاءُ ، وَفِي هَيْكَلِهِ صُورَةٌ مَرْيَمَ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - فِي لَوْحٍ ، وَالنَّاسُ يَقْصِدُونَ الْمَوْضِعَ لِلنُّظَرِ إِلَى هَذِهِ الصُّورَةِ . وَفِي أَعْلَاهُ غُرْفَةٌ بَنَاهَا أَبُو الْجَيْشِ خُمارَوِيَّةُ ابْنُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، لَهَا أَرْبَعُ طَاقَاتٍ إِلَى أَرْبَعِ جِهَاتٍ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْغَشْيَانِ لِهَذَا الدَّيْرِ ، مُعْجَبًا

٢٥ كم جنوب غروب فنار الزعفرانة . (راجع ، أبا المكارم : تاريخ ٧٠: ٢ (أبا صالح : تاريخ ٧١) ؛ Otto Meinardus, CE art. Dayr Arbâ Antuniyûs III, pp. 720-21؛ الأنبا صموئيل : دليل الكنائس ٢٢٠-٢٢١ .)

دليل الكنائس ٢٢٢-٢٢٣ .

= ٢٩٠ كم من القاهرة من طريق الشونيس . (راجع ، Otto Meinardus, CE art. Dayr Arbâ Antuniyûs III, pp. 720-21؛ الأنبا صموئيل : دليل الكنائس ٢٢٠-٢٢١ .)

(٢٢١) .

^١ يقع هذا الدَيْرُ قُرْبَ شاطئِ الْبَحْرِ الْأَخْمَرِ عَلَى بُغْدِ

بالصورة التي فيه ، يَسْتَحْسِنُهَا وَيَشْرَبُ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْهَا . وفي الطَّرِيقِ إِلَى هَذَا الدَّيْرِ مِنْ جِهَةِ مِصْرَ صُعُوبَةٌ ، وَأَمَّا مِنْ قِبَلِهِ فَسَهْلُ الصُّعُودِ وَالنُّزُولِ ، وَإِلَى جَانِبِهِ صَوْمَعَةٌ لَا تَحُلُو مِنْ حَيْبِيسٍ يَكُونُ فِيهَا . وَهُوَ مُطَّلٌّ عَلَى الْقَرْيَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِشَهْرَانَ^١ ، وَعَلَى الصَّخْرَاءِ وَالْبَحْرِ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ عَامِرَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ، وَيَذْكُرُونَ أَنَّ مُوسَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - وُلِدَ فِيهَا ، وَمِنْهَا أَلْقَتْهُ أُمُّهُ إِلَى الْبَحْرِ فِي الثَّابُوتِ^٢ .^(a) وَبِهِ أَيْضًا دَيْرٌ يُعْرَفُ بِدَيْرِ شَهْرَانَ^(a) .

وَدَيْرُ الْقَصِيرِ هَذَا أَحَدُ الدِّيَارَاتِ الْمَقْصُودَةِ وَالْمُنْتَزَهَاتِ الْمَطْرُوقَةِ ، لِحُسْنِ مَوْضِعِهِ وَإِشْرَافِهِ عَلَى مِصْرَ وَأَعْمَالِهَا^٣ ، وَقَدْ قَالَ فِيهِ شُعْرَاءُ مِصْرَ وَوَصَفُوهُ ، فَذَكَرُوا طَيْبَهُ وَتَزَهَّتَهُ ، وَلَأَبِي هُرَيْرَةَ بْنِ أَبِي الْعِصَامِ فِيهِ مِنَ الْمُنْسَرِحِ :

كَمْ لِي بِدَيْرِ الْقَصِيرِ مِنْ قَضِبٍ مَعَ كُلِّ ذِي صَبْوَةٍ وَذِي ظُرْفٍ
لَهْوَتْ فِيهِ بِشَادِنِ غَنَجٍ تَقْصُرُ عَنْهُ بَدَائِعُ الْوَصْفِ^٤

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ فِي كِتَابِ «فَتْوحِ مِصْرَ» : وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي الْقَصِيرِ : فَعَنْ ابْنِ لَهِيْعَةَ قَالَ : لَيْسَ بِقَصِيرِ مُوسَى النَّبِيِّ ﷺ وَلَكِنَّهُ مُوسَى الشَّاحِرِ . وَعَنْ الْمُفْضِلِ بْنِ فَضَالَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : دَخَلْنَا عَلَى كَعْبِ الْأَخْبَارِ ، فَقَالَ لَنَا : مِمَّنْ أَنْتُمْ ؟ قُلْنَا : فِتْيَانٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ، فَقَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي الْقَصِيرِ ؟ قُلْنَا : قَصِيرِ مُوسَى ؟ فَقَالَ : لَيْسَ بِقَصِيرِ مُوسَى ، وَلَكِنَّهُ قَصِيرِ عَزِيزِ مِصْرَ ، كَانَ إِذَا جَرَى النَّيْلُ يَتَرَفُّعُ فِيهِ ، وَعَلَى ذَلِكَ إِنَّهُ لِمُقَدَّسٌ مِنَ الْجَبَلِ إِلَى الْبَحْرِ .

(a-a) هذه العبارة مقحمة على نص الشاهشتي .

^١ شهران . هو الموضع المعروف الآن بـ «المقصرة» بين طرا وحلوان جنوب القاهرة .
^٢ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبيصار ١ : ٣٦٣-٣٦٦ .
^٣ أقول : ودَيْرُ الْقَصِيرِ أَيْضًا هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي اخْتَضَى قَرْبَهُ الْخَلِيفَةُ الْفَاتِمِي الثَّلَاثُ فِي مِصْرَ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ سَنَةَ ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م . (يحيى بن سعيد : تاريخ ٣٥٩-٣٦٠ ؛ أبو المكارم : تاريخ ٢ : ٦٥) (أبو صالح : تاريخ ٦٦) ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ١٩١) .
^٤ يقع هذا الدَّيْرُ أَعْلَى جَبَلِ طُرَا غَرْبَ مَحْطَةِ كَوْتَسْكَا (راجع ، الشاهشتي : الديارات ٢٨٤-٢٨٥ ؛ وراجع كذلك أبا المكارم : تاريخ ٢ : ٦٠-٦٢ ؛ ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٥٢٦-٥٢٨ ، Coquin, R. - G. & Grossmann, P., CE art. Dayr al-Qusayr III, pp. 853-55 الأنبا صموئيل : دليل الكنائس ١٢٢ ، وأطلق عليه أيضًا اسم «دَيْرِ الْأَنْبَا أَرَسَانْيُوسِ» .

قال: ويقال بل كان موقداً يُوقد فيه لفرعون إذا هو ركب من منف إلى عين شمس. وكان على المقطم موقداً آخر، فإذا رأوا النار علموا بركوبه فأعدوا له ما يريد، وكذلك إذا ركب منصرفاً من عين شمس، والله أعلم^١.
وما أحسن قول كشاجم^٢:

[الطويل]

سَلامٌ على دَيْرِ القَصِيرِ وسَفْجِه
مَنازِلُ كانت لي بهنَّ مَاربٍ
إذا جِئتُها كان الجِياذُ مَراكِبي
/ فأقْبِضُ بالأشْجارِ وَحِشِي عَيْتِها
معي كُلُّ بَسامٍ أَعْرَ مُهْدَبٍ
ولِحْمانٍ مِمَّا أَمْسَكْتُهُ كِلابِنا
وَكأْسٌ وإبريقٌ ونائٍ ومزهرٌ
كأنَّ قَضيبَ البانِ عند اهْتِزازِه
هُنالِكَ تَصْفُو لي مَشارِبُ لَدَّتِي
بجَناتٍ حُلوانٍ إلى النُّحلاتِ
وَكُنَّ مَواخِيري ومُنْتزَهاي
ومُنْصَرَفِي في السُّفنِ مُنْخِدراتِ
وأقْتِنِصُ الإنْسيَّ في الظُّلماتِ
على كُلِّ ما يَهْوى التَّدِيمُ مُواتِي
عَلَيْنا ومِمَّا صِيدَ في الشُّبْكاتِ^٣
وساقٍ غَريبٍ فاتِرِ اللَّحْظاتِ
تَعَلَّمَ من أعْطافِه الحَرَكاتِ
وتَصْحَبُ أَيَّامُ الشُّرورِ حَياتِي

وقال علماء الأختبار من النصاري: إن أرقاديوس، ملك الروم، طلب أرسانيوس ليُعلم ولده، فظن أنه يقتله، ففرَّ إلى مصر وترهب، فبعث إليه أماناً، وأعلمه أن الطلب من أجل تعليم ولده، فاستغفى وتحوّل إلى الجبل المقطم شرقي طرا، وأقام في مغارة ثلاث سنين ومات. فبعث إليه أرقاديوس، فإذا هو قد مات، فأمر أن يُنقى على قبره كنيسة^٤. وهو المكان المعروف بدَيْرِ القَصِيرِ، ويُعرف الآن بـ «دَيْرِ البَعْلِ»، من أجل أنه كان به بَعْلٌ يُسْتَقى عليه الماء، فإذا خرج من الدَّير أتى الموردة هناك من يَمَلأ عليه؛ فإذا فرغ من الماء تَرَكه فعادَ إلى الدَّير^٥.

وفي رمضان سنة أربع مائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم دَيْرِ القَصِيرِ، فأقام الهدم والنهب فيه مُدَّة أَيَّام^٦.

^١ وانظر كذلك فيما تقدم ٩٨٦: ١٤.

^١ ابن عبد الحكم: فتوح مصر ١٥٧-١٥٨.

^٥ انظر كذلك فيما تقدم ١: ١٩٢، وهذا المجلد ٧٠٧، ٩٨٦.

^٢ انظر ديوان كشاجم، دراسة وشرح وتحقيق النبوي

^٦ المقرئزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٨١؛ بينما يذكر يحيى ابن

عبد الواحد شغلان، القاهرة - مكتبة الخانجي ١٩٩٧، ٥٤.

سعيد: تاريخ ٣٥٤-٣٥٥، أن الحاكم بأمر الله أذن بتجديد

^٣ ياقوت: معجم البلدان ٢: ٥٢٧.

عمارة هذا الدَّير؟

^٤ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١٥٢، ونشرة

Breydy ٨٩؛ والنص عند ابن البطريق غني بالتفصيلات،

دَيْرُ مَرْحَنًا

قال الشَّابُثِيُّ: دَيْرُ مَرْحَنًا على شاطئ بركة الحَبَشِ، وهو قَرِيبٌ من النَّيْلِ، وإلى جَانِبِهِ بَسَاتِينٌ أَنشَأَ بَعْضُهَا الأَمِيرُ تَمِيمُ بنُ المَعَزِّ، ومَجْلِسٌ على عُمْدِ حَسَنِ البِنَاءِ مَلِيحِ الصَّنْعَةِ مُسَوَّرٌ أَنشَأَهُ الأَمِيرُ تَمِيمٌ أَيضًا. وبِقَرَبِ الدَّيْرِ بِئْرٌ تُعْرَفُ بِبَيْرِ مَمَاتِي، عَلَيْهَا جُمُيزَةٌ كَبِيرَةٌ يَجْتَمِعُ النَّاسُ إِلَيْهَا، وَيَشْرَبُونَ تَحْتَهَا.

وهذا المَوْضِعُ من مَغَانِي اللَّعْبِ، ومَوَاطِنُ القَصْفِ والطَّرَبِ، وهو نَزَهٌ في أَيَّامِ النَّيْلِ وزيَادَةِ البَحْرِ وامتلاءِ البِرْكَاتِ، حَسَنُ المَنْظَرِ في أَيَّامِ الزَّرْعِ والنَّوَاوِيرِ، لا يَكَادُ حِينَئِذٍ يَخْلُو من المُنْتَزِهِينَ والمُنْتَظَرِينَ، وقد ذَكَرَتِ الشُّعْرَاءُ حُسْنَهَ وطِيبَهُ^١. وهذا الدَّيْرُ يُعْرَفُ اليَوْمَ بِدَيْرِ الطُّينِ (بالتُّون).

دَيْرُ أَبِي النُّعْنَاعِ

- ١٠ هذا الدَّيْرُ خَارِجٌ أَنصِنًا، وهو من جَمَلَةِ عِمَارَاتِهَا القَدِيمَةِ، وَكُنِيَستُهُ في قَصْرِه لا في أَرْضِهِ، وهو على اسْمِ أَبِي يُحَنَسِ القُصَيْرِ، وعِيدُهُ في العَشْرِينَ من بَابِهِ^٢، وسيأتي ذِكْرُ أَبِي يُحَنَسِ هذا^٣.

دَيْرُ مَعَارَةَ شِقْلَقِيل

هو دَيْرٌ لَطِيفٌ مُعَلَّقٌ في الجَبَلِ، وهو نَقْرٌ في الحَجَرِ على صَخْرَةٍ تَحْتَهَا عَقَبَةٌ، لا يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ من أَعْلَاهُ ولا من أَسْفَلِهِ ولا سُلَّمٌ لَهُ، وَإِنَّمَا جُعِلَتْ لَهُ نُقُورٌ في الجَبَلِ، فإذا أَرَادَ أَحَدٌ أن يَصْعَدَ إِلَيْهِ

اعتبارًا من عام ١٢٣٠هـ/١٨١٥م قُبِدَ زَمَامُهَا بِاسْمِ الشَّيخِ عُبَادَةَ، إِحْدَى تَوَابِعِ أَنصِنَا، وَصَارَ اسْمُ قَرْيَةِ الشَّيخِ عِبَادَةَ يُطَلَّقُ على كُلِّ المَدِينَةِ. وهي تَقَعُ الآنَ في مَرَكزِ مَلُوي بِمَحَافِظَةِ المَنِيَا. (ياقوت: معجم البلدان ١: ٢٦٥-٢٦٦؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي ١: ١٣٢-١٣٣، ٢/

٤: ٦٣؛ وانظر عن الدَّيْرِ Coquin, R.-G., Martin, M. & Grossmann, P., *CE art. Dayr Abû Hinnis III*, pp. 701-3.

^٣ فيما يلي ١٠٤٢.

^١ الشَّابُثِيُّ: الديارات ٢٨٩-٢٩٠؛ ياقوت: معجم البلدان ٢: ٥٣٥-٥٣٦؛ ابن فضل الله العمري: مسالك الأَبصار ١: ٣٦١-٣٦٢ وهو فيه: دَيْرُ مَرْحَنًا، وانظر كذلك Coquin, R.-G., *CE art. Dayr al-Tin III*, pp. 881-82.

^٢ مَدِينَةُ أَنصِنَا التي كان يَقَعُ بِهَا هذا الدَّيْرُ أَصْلُهَا مَدِينَةُ Antinoé التي أَنشَأَهَا في شَرْقِ النَّيْلِ الإمبراطور الروماني هَدْرِيَانُ قَبْرًا لِعَلَامِهِ أَنطُونِيُو (أنطونيوس) الذي عَرِقَ عِنْدَهَا في النَّيْلِ، ثم بنى حوله أَعْيَانُ المَدِينَةِ مَسَاكِنَهُمْ، وعندما جَاءَ العَرَبُ أَطْلَقُوا عَلَيْهَا اسْمَ أَنصِنَا. وبسبب خَرَابِ هذه المَدِينَةِ

أُزْحِيَتْ لَهُ سَلْبَةٌ فَأَمْسَكَهَا بِيَدِهِ ، وَجَعَلَ رِجْلَيْهِ فِي تِلْكَ النَّقُورِ وَصَعِدَ ، وَبِهِ طَاحُونَةٌ يُدِيرُهَا حِمَارٌ وَاحِدٌ^١ .

وَيُطَلُّ هَذَا الدَّيْرُ عَلَى النَّيْلِ تَجَاهَ مَنْقَلُوطٍ وَتَجَاهَ أُمِّ الْقُصُورِ ، وَتَجَاهَهُ جَزِيرَةٌ يُحِيطُ بِهَا الْمَاءُ - وَهِيَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا شِقْلَقِيلٌ - وَبِهَا قَرْيَتَانِ : إِحْدَاهُمَا شِقْلَقِيلٌ ، وَالْأُخْرَى بَنِي شُقَيْرٍ^٢ وَلِهَذَا الدَّيْرُ عِيدٌ يَجْتَمِعُ فِيهِ النَّصَارَى ، وَهُوَ عَلَى اسْمِ بُومِيْنَا ، وَهُوَ مِنَ الْأَجْنَادِ الَّذِينَ عَاقَبَهُمْ دِقْلِطِيَانُوسُ لِيَرْجِعَ عَنِ النَّصْرَانِيَّةِ وَيَسْجُدَ لِلْأَصْنَامِ ، فَتَبَّتْ عَلَى دِينِهِ ، فَقَتَلَهُ فِي عَاشِرِ حُزَيْرَانَ وَسَادِسَ عَشَرَ بَابَهُ .

دَيْرُ بَقَطْرٍ

بِحَاجِرِ أَثْنُوبِ ، مِنْ شَرْقِي بَنِي مُرَّ ، تَحْتَ الْجَبَلِ عَلَى مَائَتِي قَصَبَةٍ مِنْهُ . وَهُوَ دَيْرٌ كَبِيرٌ جَدًّا ، وَلَهُ عِيدٌ يَجْتَمِعُ فِيهِ نَصَارَى الْبِلَادِ شَرْقًا وَغَرْبًا ، وَيَحْضُرُهُ الْأَشْقَفُ .
وَبُقَطْرٌ هَذَا هُوَ ابْنُ رُومَانُوسُ كَانَ أَبُوهُ مِنْ وُزْرَاءِ دِقْلِطِيَانُوسِ ، وَكَانَ هُوَ جَمِيلًا شَجَاعًا لَهُ مَنَزَلَةٌ مِنَ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا تَنَصَّرَ وَعَدَّهُ الْمَلِكُ وَمَنَاهُ لِيَرْجِعَ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَقَتَلَهُ فِي ثَانِي عَشْرِينَ نَيْسَانَ وَسَابِعَ عَشْرِينَ بَرْمُودَةَ .

دَيْرُ بَقَطْرِ شُو^١

فِي بَحْرِي أَثْنُوبِ وَهُوَ دَيْرٌ لَطِيفٌ خَالٍ ، وَإِنَّمَا تَأْتِيهِ النَّصَارَى مَرَّةً فِي كُلِّ سَنَةٍ^٣ .
وَبُقَطْرُ شُو^١ مِنْ عَدْبَةِ دِقْلِطِيَانُوسِ لِيَرْجِعَ عَنِ النَّصْرَانِيَّةِ فَلَمْ يَرْجِعْ ، فَقَتَلَهُ فِي الْعَشْرِينَ مِنْ هَتُورِ ، وَكَانَ جُنْدِيًّا .

(a) بولاق : بقطر شق .

^١ يُعْرَفُ هَذَا الدَّيْرُ أَيْضًا بِـ « دَيْرِ مَارِ مِينَا » بِجَبَلِ أَبِي فُودِ .

(٢/٤ : ٦ ، ٧٦ ، ٧٧) .

^٢ كَانَ هَذَا الدَّيْرُ يَقَعُ عَلَى الصُّفَّةِ الشَّرْقِيَّةِ لِلنَّيْلِ عَلَى بُغْدِ

Coquin, R.-G., & Martin, M., *CE art. Dayr Mâr* .
(*Minâ III*, p. 834 .

خَمْسَةَ كِيلُومَتَرَاتٍ شِمَالِ مَدِينَةِ أَثْنُوبِ بِمَحَافِظَةِ أَسْهُوطِ .

Coquin, R.-G. & Martin, M., *CE art. Dayr*

^٢ شِقْلَقِيلٌ ، اسْمُهَا الْأَصْلِي شِقَاقِيلٌ ، إِحْدَى قَرَى مَرْكَزِ

(*Buqtur & Shû III*, pp. 797-98 .

أَثْنُوبِ بِمَحَافِظَةِ أَسْهُوطِ ، وَبَنِي شُقَيْرٍ إِحْدَى قَرَى مَرْكَزِ

مَنْقَلُوطِ بِمَحَافِظَةِ أَسْهُوطِ . (مُحَمَّدُ رَمَزِي : الْقَامُوسُ الْجُغْرَافِي

دَيْرُ بُوْجُزْج

يُنْبِئُ عَلَى اسْمِ بُوْجُزْج وَهُوَ خَارِجُ الْمَعْيَصِرَةِ بِنَاحِيَةِ شَرْقِ بَنِي مُرَّ، وَتَارَةً يَخْلُو مِنَ الرُّهْبَانِ، وَتَارَةً يَغْتَمِرُ بِهِمْ، وَلَهُ وَقْتُ يُعْمَلُ الْعِيدُ فِيهِ.

دَيْرُ حَمَّاس

وَحَمَّاسُ اسْمُ بَلَدٍ هُوَ بِخَرْبِيهَا، وَلَهُ عِيدَانُ فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَجُمُوعَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ^١.

دَيْرُ الطَّيْرِ

هَذَا الدَّيْرُ قَدِيمٌ، وَهُوَ مُطَّلٌ عَلَى النَّيْلِ، وَلَهُ سَلَالِمٌ مَنَحُوْتَةٌ فِي الْجَبَلِ، وَهُوَ قُبَالَةَ سَمَلُوطِ. وَقَالَ الشَّابْشْتِي: وَبَنَوَاحِي إِخْمِيمِ دَيْرٌ كَبِيرٌ عَامِرٌ يُقْصَدُ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ، وَهُوَ بِقُرْبِ الْجَبَلِ الْمَعْرُوفِ بِجَبَلِ الْكَهْفِ، وَفِي مَوْضِعٍ مِنَ الْجَبَلِ شَقٌّ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ عِيدِ هَذَا الدَّيْرِ لَمْ يَتَّقِ فِي الْبَلَدِ بُوقِيرٌ حَتَّى يَجِيءَ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ، فَيَكُونُ أَمْرًا عَظِيمًا / بِكَثْرَتِهَا وَاجْتِمَاعِهَا وَصِيَاغِهَا عِنْدَ الشَّقِّ، وَلَا يَزَالُ الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ يُذْخِلُ رَأْسَهُ فِي ذَلِكَ الشَّقِّ وَيَصِيحُ، وَيَخْرُجُ وَيَجِيءُ غَيْرُهُ؛ إِلَى أَنْ يَغْلِقَ رَأْسَ أَحَدِهَا، وَيَنْشَبُ فِي الْمَوْضِعِ، فَيَضْطَرِبُ حَتَّى يَمُوتَ، وَتَتَفَرَّقُ حَيْثُذِ الْبَاقِيَةِ فَلَا يَبْقَى مِنْهَا طَائِرٌ^٢.

وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو جَعْفَرِ الْقَضَاعِي: وَمِنْ عَجَائِبِهَا - يَعْنِي مِصْرَ - شِعْبُ الْبُوقَيْرَاتِ بِنَاحِيَةِ أَشْمُومٍ مِنْ أَرْضِ الصُّعَيْدِ، وَهُوَ شِعْبٌ فِي جَبَلٍ فِيهِ صَدْعٌ تَأْتِيهِ الْبُوقَيْرَاتُ فِي يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ كَانَ

١ يا قوت: معجم البلدان ٢: ٥٢٠؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي (٢/٣: ٢٤٠). وجمع راييز بظرس روايات المؤرخين والرَّحَّالَةِ الْعَرَبِ وَالرَّحَّالَةِ الْأُورُوبِيِّينَ حَوْلَ دَيْرِ جَبَلِ الطَّيْرِ فِي مَقَالِ عِنَوَانِهِ - Ramez W. Boutros, «Dayr al-°Adrâ - Gabal al-Tayr (Moyenne - Egypte) d'après les polygraphes arabes et les voyageurs européens», Cahiers de la bibliothèque Copte 11, édité par A. Boud'hors, Paris-Louvain 2000, pp. 107-19 صموئيل: دليل الكنائس ١٤٤-١٤٥).

١ رَجَّحَ Coquin أَنَّهُ الدَّيْرُ الْمَعْرُوفُ بِـ «دَيْرِ الْعَوَانَةِ» بِمَحَافِظَةِ أَشْشُوطِ. (Coquin, R.-G. & Martin, M., CE). (art. Dayr al-°Awâna III, p. 784).

٢ كَانَ دَيْرُ الطَّيْرِ أَوْ دَيْرُ جَبَلِ الطَّيْرِ وَعِزَّتُهُ مِنْ تَوَابِعِ نَاحِيَةِ طَهْنَا الْجَبَلِ إِلَى أَنْ فُصِّلَ مِنْهَا بِزِمَامٍ خَاصٍّ فِي تَارِيحِ سَنَةِ ١٢٦٨هـ/١٨٥٢م، وَبِذَلِكَ أَصْبَحَ نَاحِيَةً قَائِمَةً بِذَاتِهَا. وَهُوَ يَبْقَى الْآنَ فِي نِطَاقِ مَرَكُزِ سَمَالُوطِ بِمَحَافِظَةِ الْمِنْيَا عَلَى بُعْدِ كِيلُومَتْرَيْنِ جَنُوبَ مَعْدِيَّةِ بَنِي خَالِدِ. (رَاجِعْ، الشَّابْشْتِي: الدِّيَارَاتُ ٣١٤-٣١٥؛ أبا المكارم: تَارِيحُ ٩٨: ٢-٩٩).

مَعْرُوفًا ، فَتَعْرِضُ أَنْفُسَهَا عَلَى الصَّدْعِ ، فَكُلَّمَا أُدْخِلَ بُوقِيرٌ مِنْهَا مِنْقَارَهُ فِي الصَّدْعِ مَضَى لَطِيئَتَهُ ، فَلَا تَزَالُ تَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى يَلْتَقِيَ الصَّدْعُ عَلَى بُوقِيرٍ مِنْهَا فَيَحْبِسُهُ ، وَتَمْضِي كُلُّهَا ، وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ الَّذِي تَحْبِسُهُ مُعَلَّقًا حَتَّى يَتَساقَطَ ^١ .

قال مؤلفه : وقد بطل هذا في جملة ما بطل .

دَيْرُ بُوهرَمِينَةَ ^(a)

بَحْرِي فَاو الخَرَابِ ، وَبَحْرِيهِ بِرَبَا فَاو ، وَهِيَ مَمْلُوءَةٌ كُتْبًا وَجِجًا ، وَبَيْنَ دَيْرِ الطَّيْنِ وَهَذَا الدَّيْرِ نَحْوُ يَوْمَيْنِ وَنِصْفٍ . وَأَبُو هِرْمِينَةَ هَذَا مِنْ قَدَمَاءِ الرُّهْبَانِ الْمَشْهُورِينَ عِنْدَ النَّصَارَى .

دَيْرُ السَّبْعَةِ جِبَالِ إِخْمِيمٍ ^٢

هَذَا الدَّيْرُ دَاخِلٌ سَبْعَةَ أُوْدِيَةٍ ، وَهُوَ دَيْرٌ عَالٍ بَيْنَ جِبَالِ شَامِيخَةَ ، وَلَا تُشْرِقُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ إِلَّا بَعْدَ سَاعَتَيْنِ مِنَ الشُّرُوقِ لَعُلُوِّ الْجَبَلِ الَّذِي هُوَ فِي لَحْفِهِ ، وَإِذَا بَقِيَ لِلْعُرُوبِ نَحْوُ سَاعَتَيْنِ ، نُحِيلَ لِمَنْ فِيهِ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ غَابَتْ وَأَقْبَلَ اللَّيْلُ ، فَيُشْعِلُونَ حَيْثُ الضُّوءَ فِيهِ . وَعَلَى هَذَا الدَّيْرِ مِنْ خَارِجِهِ عَيْنٌ مَاءٍ تُظَلِّهَا صَفْصَافَةٌ ، وَيُعْرَفُ هَذَا الْمَوْضِعَ الَّذِي فِيهِ « دَيْرُ الصَّفْصَافَةِ » بِوَادِيِ الْمَلُوكِ ؛ لِأَنَّ فِيهِ نَبَاتًا يُقَالُ لَهُ الْمُلُوكَةُ ، وَهُوَ شَبَهُ الْفِجْلِ ، وَمَاؤُهُ أَحْمَرٌ قَانَ يَدْخُلُ فِي صِبَاغِ أَهْلِ عِلْمِ الْكِيمِيَاءِ ^(b) ^٣ .

ومن داخل هذا الدَّيْرِ

(a) بولاق : أبو هرمنية . (b) بولاق : صناعة علم أهل الكيمياء .

^١ فيما تقدم ١ : ٨٣ .

^٢ يقع دَيْرُ السَّبْعَةِ جِبَالِ الْإِخْمِيمِ فِي وَادِي بَيْرِ الْعَيْنِ جَنُوبَ عَرَبِ إِخْمِيمِ ، (Coquin, R.-G., Martin, M. & Grossmann, P., CE art. Bayr al-Sab' at Jibâl III, pp. 857-58؛ وراجع عن أُذْيَرَةِ إِخْمِيمِ Coquin, R.-G. & McNally, Sh., CE art. Akhmîm I, pp. 78-80 .

^٣ يقع هذا الدَّيْرُ عَلَى مَسَافَةِ كِيلُومَتْرَيْنِ شِمَالِ عِرْزَةِ الْأَقْبَاطِ الَّتِي تَبْعُدُ ١٥ كَمِ جَنُوبَ الْبَدَارِيِّ وَقَرْبَ قَرْيَةِ الْعُثْمَانِيَةِ بِمَحَافِظَةِ أَسِيُوطَ فِي مَنطِقَةِ مَنعَزَلَةٍ فِي الصَّحْرَاءِ . (أُنْبَأَ صَمُوثِيلُ : دَلِيلُ الْكِنَائِسِ ١٦٩) .

دَيْرُ الْقُرْقُس

وهو في أعلى جَبَلٍ قد نُقِرَ فيه ، ولا سَلَمَ له^(a) بل يُصْعَدُ إليه في نُقُورٍ في الجَبَلِ ، ولا يُتَوَصَّلُ إليه إلا كذلك .^(b) وَيَيْنُ إِخْمِيمِ وَيَيْنُ دَيْرِ عَيْنِ الصَّفْصَافَةِ نصفَ نهارٍ^(b) ، وَيَيْنُ دَيْرِ الصَّفْصَافَةِ ودَيْرِ الْقُرْقُسِ ثلاثُ ساعاتٍ ، وتحت دَيْرِ الْقُرْقُسِ عَيْنُ مَاءٍ عَذْبٍ وأشجارٌ بان^١ .

دَيْرُ صَبْرَةَ

في شَرْقِي إِخْمِيمِ ، عُرِفَ بِعَرَبٍ يُقَالُ لَهُمْ صَبْرَةَ^(c) ، وهو على اسمِ مِيخَائِيلَ الْمَلِكِ ، وليس به غيرَ رَاهِبٍ واحدٍ^٢ .

دَيْرُ بُوَأَسَادَةَ^(e) الْأَشْقَفُ

قَرِيبٌ من ناحية تَفِهَ ، وهو بالحَاجِرِ ، وتِجَاهُهُ في الغَرْبِ مُنْشَأَةُ إِخْمِيمِ . كان أبو أُبْسَادَةَ هذا من عُلَمَاءِ النَّصَارَى^٣ .

دَيْرُ بُوهُورِ الرَّاهِبِ

ويُعرَفُ بِدَيْرِ سَوَادَةَ ، وسَوَادَةَ عَرَبٌ تَنْزِلُ هناك ، وهو قَبَاةٌ مُنْيَةُ بني خَصِيبٍ ، خَرَّبَتْهُ العَرَبُ^٤ .

(a) العبارة في بولاق : ولا يُعَلَمُ له طريق . (b-b) ساقطة من بولاق . (c) كذا في جميع النسخ المعتمدة ، وفي بولاق : بني صَبْرَةَ . (e) بولاق : أبي بشادة .

^٤ تَقَعُ أَطْلَالُ دَيْرِ بُوهُورِ عند سَفْحِ جَبَانَةِ النَّصَارَى الكَبِيرِ بِالْمَيْيَا على الصَّفْةِ اليمَنِ للثَّلِ ، وعلى بُعْدِ نحو أربعة كيلومترات جنوب شرق المدينة ، وعلى بُعْدِ كيلومتر واحد شرق قرية سَوَادَةَ . (علي مبارك : الخَطَطُ التوفيقية ١٢: ١٦٥ (٦٣) ؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٣/٢ : ٢٠١ ، Coquin, R.-G., CE art. Dayr Apa Hor III, pp. 770-71 ؛ الأنبا صموئيل : دليل الأديرة ١٤٦) .

^١ راجع ، Coquin, R.-G. & Martin, M., CEart. Dayr al-Qurqás III, pp. 852-53 .

^٢ راجع ، Coquin, R.-G. & Martin, M., CEart. Dayr al-Malák Mikká'il III, pp. 823 .

^٣ تَقَعُ دَيْرُ بُوَأَسَادَةَ على الصَّفْةِ اليمَنِ للثَّلِ في بَلَدَةِ الأَحَابِيَةِ شَرْقِ على بُعْدِ ١٨ كم جنوب مدينة إِخْمِيمِ بِمحافظة سوهاج . (Coquin, R.-G. & Martin, M., CE art.) Dayr Anbá Bisádah III, pp. 732-33 .

وهذه الأديرة كلها في الشرق من النيل ، وجميعها لليعاقبة ، وليس في الجانب الشرقي الآن سواها ، وأما الجانب الغربي من النيل فإنه كثير الديار لكثرة عمارته .

دير دُمُوهُ بِالْحِيْزَةِ

ويُعرف بدُمُوهُ السَّبَاع ، وهو على اسم قُزْمان وِدْمِيان ، وهو دَيْرٌ لَطِيفٌ ، وتزعم النصارى أن بعض الحكماء - كان يُقال له سبع - أقام بدُمُوهُ ، وأن كنيسة دُمُوهُ التي بأيدي اليهود الآن كانت ديرًا من ديار النصارى ، فابتاعته منهم اليهود في ضائقة نزلت بهم ^١ ، وقد تقدّم ذكر كنيسة دُمُوهُ ^٢ . وقُزْمان وِدْمِيان من حكماء النصارى ورهبانهم العبّاد ، ولهما أخبار عندهم .

دير نَحْيَا

قال الشَّابُثِيُّ : ونَهْيَا بِالْحِيْزَةِ ، ودَيْرُهَا هذا من أحسن ديار مصر وأنزهها ، وأطيبها موضعا ، وأجلها موقعا ، عامر برهبانه وسكانه ، وله في أيام النيل منظرٌ عجيبٌ ، لأن الماء يُحيطُ به من جميع جهاته ، فإذا انصرف الماء ، وزرعت الأرض ، أظهرت أراضيهِ غرائب الثواوير وأصناف الزهر . وهو من المتنزّهات الموصوفة ، والبقاع المستحسنة ، وله خليجٌ يجتمع فيه سائر الطير ، فهو أيضا مُتَّصِدٌ مُتَمِّعٌ ، وقد وصفته الشعراء وذكّرت حسنه وطيبته ^٣ ؛ قلتُ : وقد خرب هذا الدير .

دير طَمُوَيْهِ

قال ياقوت : طَمُوَيْهِ - بفتح الطاء وسكون الميم وفتح الواو وياء ساكنة - قريتان بمصر : إحداهما في كورة المَرْتاحِيَّة ، والأخرى بِالْحِيْزَةِ ^٤ .

الله العمري : مسالك الأبحار ١ : ٣٦٢ ؛ Coquin, R.-G. & Martin, M., CE art. Dayr Nahyâ III, pp. 843-45. وترجم الأنبا صموئيل أنه الدير الذي كشفت عن أساساته هيئة الآثار في الأطراف الغربية لقريّة المنصورية على مسافة مائة متر من قصر حافظ عفيفي ، والتي تبعد ١٨ كم من الحيزة . (دليل الكنائس ٨٠) .

^٤ ياقوت : المشترك وضعا ٢٩٤ .

^١ أبو المكارم : تاريخ ٢ : ٨٥ ، وفيه : جلد عمارته الشيخ أبو سعيد الكاتب كان بدوان المكاتب ؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٣/٢ : ٢٠-٢٢ ، وفيه : أن دُمُوهُ هي الموضع المعروف الآن بـ «منيل شبيحة» الواقع عند أول طريق الصعيد .

^٢ فيما تقدم ٩٢٢-٩٢٣ .

^٣ الشَّابُثِيُّ : الديار ٢٩٤ ؛ أبو المكارم : تاريخ ٢ : ٧٧ ؛ ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٥٣٩-٥٤٠ ؛ ابن فضل

قال الشَّابِثِيُّ: وَطَمُوَيْه فِي الْغَرْبِ بِإِزَاءِ حُلْوَانَ، وَالدَّيْرُ رَاكِبُ الْبَحْرِ، حَوْلَهُ الْكُرُومُ وَالتَّبَسَاتِينُ وَالتُّخْلُ وَالشُّجْرُ، وَهُوَ نَزْعٌ عَامِرٌ أَهْلٌ، وَلَهُ فِي النَّيْلِ مَنْظَرٌ حَسَنٌ، وَحِينَ تَحْضُرُ الْأَرْضُ يَكُونُ فِي بِسَاطِينٍ مِنَ الْبَحْرِ وَالزُّرْعِ. وَهُوَ أَحَدُ مُتَنَزِّهَاتِ أَهْلِ مِصْرَ الْمَذْكُورَةِ، وَمَوَاضِعُ لَهَا الْمَشْهُورَةُ^١.

ولابن أبي عاصم المِصْرِيُّ فِيهِ مِنَ الْبَسِيطِ^٢:

وَاشْرَبْتُ بِطَمُوَيْهٍ مِنْ صَهْبَاءٍ صَافِيَةٍ
عَلَى رِيَاضٍ مِنَ النَّوَارِ زَاهِرَةٍ
كَأَنَّ نَبْتَ الشَّقِيقِ الْعُضْفُرِيِّ بِهَا
كَأَنَّ نَزْجَتَهَا مِنْ حُسْنِهِ حَدَقٌ
كَأَمَّا النَّيْلُ فِي مَرِّ النَّسِيمِ بِهِ
مَنَازِلَ كُنْتُ مَفْتُونًا بِهَا يَفْعًا
إِذْ لَا أَزَالُ مُلِحًّا بِالصُّبُوحِ عَلَى

تُزْرِي بِخَمْرِ قُرَى هَيْبٍ وَعَانَاتِ
تَجْرِي الْجَدَاوِلُ فِيهَا بَيْنَ جَنَّاتِ
كَاسَاتِ خَمْرِ بَدَتْ فِي إِثْرِ كَاسَاتِ
فِي حُفْيَةٍ يُشَاجِي بِالْإِشَارَاتِ
مُسْتَلِئِمٌ فِي دُرُوعِ سَابِرِيَّاتِ
وَكُنَّ قَدَمًا مَوَاجِيزِي وَحَانَاتِي
ضُرِبَ النَّوَاقِيسُ صَبًّا بِالذِّيَارَاتِ

قُلْتُ: هَذَا الدَّيْرُ عِنْدَ النَّصَارَى عَلَى اسْمِ بُوجُوجٍ، وَيَجْتَمِعُ فِيهِ النَّصَارَى مِنَ النَّوَاحِي.

دَيْرُ أَقْفَاصِ

وَصَوَابِهَا أَقْفَهْسُ، وَقَدْ خَرِبَ^٣.

دَيْرُ خَارِجِ نَاحِيَةِ مِنتَهْرِي

خَامِلُ الذِّكْرِ لِأَنَّهُمْ لَا يُطْعِمُونَ فِيهِ أَحَدًا^٤.

١: ٣٧١-٣٧٢.

٢ أبو المكارم: تاريخ: ٢: ١٠٥-١٠٦، ١٢١ (أبو صالح: تاريخ: ١٠١-١٠٢، ١١٥) Coquin, R.-G., CE art. Aqfahs I, p. 183.

٣ خَلُّ مَحَلِّ هَذَا الدَّيْرِ الْآنَ، الدَّيْرُ الْمَعْرُوفُ بِـ «دَيْرِ الْعَجَائِبِي» وَسَطَ الْمَزَارِعِ بَيْنَ قَرْيَةِ مِنتَهْرِي وَالشُّكَّةِ الْحَدِيدِ قُرْبَ مَحْطَةِ أَبِي قُرْقَاصِ بِمَحَافِظَةِ الْمَنِيَا. (الأنبا صموئيل: دليل الكنائس ١٤٧).

١ الشَّابِثِيُّ: الدِّيَارَاتِ ٢٩٨-٢٩٩، ٤١٠-٤١١؛ أبو المكارم: تاريخ: ٢: ٨٥ (أبو صالح: تاريخ: ٨٥)؛ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ١: ٣٧١، وفيه: وهو فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ بِإِزَاءِ حُلْوَانَ، وَالدَّيْرُ رَاكِبٌ عَلَى الْبَحْرِ؛ مُحَمَّدٌ رَمَزِي: الْقَامُوسُ الْجُغْرَافِيُّ ٣/٢: ٢١.

٢ الشَّابِثِيُّ: الدِّيَارَاتِ ٢٩٩؛ ياقوت: معجم البلدان ٢: ٥١٩؛ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار

دَيْرُ الْحَامِ

على جانب المنهى بأعمال البهنسا ، على اسم غبزيال الملك ، به بُسْتَانٌ فيه نَخْلٌ وزَيْتُونٌ^١ .

دَيْرُ أَشْنِينِ

عُرِفَ بناحية أَشْنِينِ فَإِنَّهُ فِي بَحْرِيهَا ، وَهُوَ لَطِيفٌ عَلَى اسْمِ السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ ، وَلَيْسَ بِهِ سِوَى رَاهِبٍ وَاحِدٍ^٢ .

دَيْرُ إِيسُوسَ

وَمَعْنَى إِيسُوسَ : يَسُوعَ . وَيُقَالُ لَهُ « دَيْرُ أَرْجَنْتُوسَ » ، وَلَهُ عِيدٌ فِي خَامِسِ عَشْرِينَ بَشْنَسَ . فَإِذَا كَانَ لَيْلَةً هَذَا الْيَوْمِ شَدَّتْ بِمَرِّ فِيهِ تُعْرَفُ بِبَيْتِ إِيسُوسَ ، وَقَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَى السَّاعَةِ السَّادِسَةِ مِنَ النَّهَارِ ، ثُمَّ كَشَفُوا الطَّبَاقَ عَنِ الْبَيْتِ ، فَإِذَا بِهَا قَدْ فَاضَ مَائُهَا ثُمَّ يَنْزِلُ ، فَحَيْثُ وَصَلَ الْمَاءُ قَاسُوا مِنْهُ إِلَى مَوْضِعِ اسْتَقَرَّ فِيهِ الْمَاءُ ، فَمَا بَلَغَ كَانَتْ زِيَادَةَ النَّيْلِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ مِنَ الْأَذْرَعِ^٣ .

دَيْرُ سَدَمَنْتَ

عَلَى جَانِبِ الْمُنْهَى ، بِالْحَاجِرِ بَيْنِ الْفَيُومِ وَالرَّيْفِ ، عَلَى اسْمِ بُوجُزَجٍ وَقَدْ ضَعُفَتْ أَحْوَالُهُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ ، وَقَلَّ سَاكِنُهُ^٤ .

^١ أبو المكارم : تاريخ ٩٧:٢ (أبو صالح : تاريخ ٩٤) ؛ ابن دقماق : الانتصار ٥ : ٨ ، Coquin, R.-G. & Martin, M., CE art. *Dayr al-Khâdim* III, p. 814.
^٢ نفسه ١٢١:٢ (نفسه ١١٥) . وأشنين هي القرية المعروفة الآن بـ «أشنين النصارى» : وتبعد تسعة كيلومترات غرب مَعَاغَةَ بِمَحَافِظَةِ الْمَنِيَا . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٣/٢ : ٢٤٣ ؛ الأنبا صموئيل : دليل الكنائس ١٣٨) .
^٣ يقع هذا الدَّيْرُ الْآنَ فِي الضَّفَّةِ الْغَرْبِيَّةِ لِلنَّيْلِ إِلَى الشَّرْقِ
^٤ النابلسي : تاريخ الفيوم وبلاده ٢٢ ، ١١٨ ، وفيه أنه «على بحر الفيوم بحري سَدَمَنْتَ فِي الْجَبَلِ بِأَرْضِي قَعْبَشَا» ، وتُعرَفُ هَذِهِ الْبَلَدَةُ الْآنَ بِاسْمِ سَدَمَنْتَ الْجَبَلِ ، وَتَدْخُلُ فِي نِطَاقِ مَحَافِظَةِ بَنِي شَوَيْفَ . (محمد رمزي : القاموس =

دَيْرُ الثَّقَلُونِ

ويقال له « دَيْرُ الخَشَبَةِ » و « دَيْرُ عُتْرِيَالِ المَلِكِ » ، وهو تحت مَغَارَةَ فِي الجَبَلِ الذي يُقَالُ له طَارِفُ الفَيُومِ ، وهذه المَغَارَةُ تُعْرَفُ عندهم بِمِظَلَّةِ يَعْقُوبَ ، يَزْعُمُونَ أَنَّ يَعْقُوبَ - عليه السَّلَامُ - لما قَدِمَ مِصرَ كان يَسْتَتِظِلُّ بِهَا . وهذا الجَبَلُ مُطِلٌّ على بِلَدَيْنِ يُقَالُ لهُمَا : إِطْفِيحُ شَلَا وشَلَا^١ .

ويَمَلَأُ المَاءُ لهذا الدَّيْرِ من بَحْرِ المُنْتَهَى ، ومن تحت دَيْرِ سَدَمَنْتِ ، ولهذا الدَّيْرِ عيدٌ يَجْتَمِعُ فِيهِ نِصَارِيُّ الفَيُومِ وغيرهم ، وهو على السُّكَّةِ التي تَنْزِلُ إلى الفَيُومِ ، ولا يَسْلُكُهَا إِلَّا القَلِيلُ من المِساْفِرِينَ .

دَيْرُ القَلَمُونِ

هذا الدَّيْرُ فِي بَرِّيَّةٍ ، تحت عَقَبَةِ القَلَمُونِ ، يَتَوَصَّلُ المِساْفِرُ مِنْهَا إلى الفَيُومِ ، يُقَالُ لَهَا عَقَبَةُ الغَرِيْقِ ، وَبُنِيَ هذا الدَّيْرُ على اسمِ صَمُوئِيلِ الرَّاهِبِ ، وكان فِي زَمَنِ الفِتْرَةِ ما بين عِيسَى ومُحمَّدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمُ ، ومَاتَ فِي ثَامِنِ كَيْتِهْكَ . وفي هذا الدَّيْرِ نَخْلٌ كَثِيرٌ يُعْمَلُ مِنْ ثَمَرِهِ العَجْوَةُ ، وفيه أَيْضًا شَجَرُ اللَّبْنِخِ ولا يُوجَدُ إِلَّا فِيهِ ، وَثَمَرُهُ بِقَدْرِ اللَّيْمُونِ طَعْمُهُ حُلُوٌّ فِي مِثْلِ طَعْمِ الرَّامِيخِ ، ولِتَوَاهُ عِدَّةُ مَنَافِعِ^٢ .

وقال أبو حَنِيفَةَ فِي كِتَابِ « الثَّبَاتِ » : ولا يَنْبُتُ اللَّبْنِخُ إِلَّا بِأَنْصِينَا ، وهو عُوْدٌ تُنْشَرُ مِنْهُ أَلْوَاخُ الشُّفْنِ ، وَرُبَّمَا أَرْعَفَ نَاشِرُهَا ، وَيُبَاعُ اللَّوْخُ مِنْهَا بِخَمْسِينَ دِينَارًا ونحوها ، وإذا شُدَّ لَوْخٌ مِنْهَا بِلَوْخٍ ، وَطُرِحَا فِي المَاءِ سَنَةً ، أَلْتَامَا وَصَارَا لَوْخًا وَاحِدًا^٣ .

^٢ أبو المكارم : تاريخ ٢ : ٩٢-٩٣ ، (أبو صالح : تاريخ ٩١-٩٢) ؛ النابلسي : تاريخ القيوم ٢٢ وفيه : وهو آخر الأعمال قريب من البهتنتسا ؛ ويُعرف هذا الدَّيْرُ الآن باسم « دَيْرِ الأَنْبَا صموئيل القَلَمُونِي » ، ويقع جنوب غربي الفَيُومِ فِي القسم الشمالي من وادي المُوَيْلِحِ . (Coquin, R.-G., Martin, M. & Grossmann, P., CE art. Deyr Samû'il of Qalâmun III, pp. 758-60.

^٣ أبو حنيفة الدينوري : كتاب النبات ، اعتنى بجمعه محمد حميد الله ، القاهرة - المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٧٣ ، ٢٥٤ ؛ وفيما تقدم ١ : ٥٥٥ : ١٠ =

= الجغرافي ٣/٢ : ١٦١) . ويقع الدَّيْرُ الآن على بَحْرِ يُوسُفَ بجوار مدينة إهناشيا ، وَيَبْعُدُ عَنْهَا سَبْعَةَ كيلومترات وَيَبْعُدُ عن بني شوَيْفَ عَشْرِينَ كيلومترًا . (الأبنا صموئيل : دليل الكنائس ١٢٥) .

^١ أبو المكارم : تاريخ ٢ : ٩١ (أبو صالح : تاريخ ٩٠) ؛ ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٥٢٨ ؛ النابلسي : تاريخ القيوم ٢٢ . وهو قريب من قَمْبَشَا الواقعة قبلي الفَيُومِ إلى الشَّرْقِ مِنْهَا على بعد خمسة عشر كيلومترًا . (Meinardus, O. & Grossmann, P. CE art. Dayr al-Naqlûn III, pp. 845-47) ؛ الأبا صموئيل : دليل الكنائس ١٣١ .

وفي هذا الدَّير قَصْران مَبْنِيان بالحِجَارَة ، وهما عاليان كبيران لبياضيهما إشراق . وفيه أيضًا عَيْنُ ماءٍ تَجْرِي ، وفي خارجه عَيْنٌ أُخْرَى . وبهذا الوادي عِدَّةُ مَعَابِدٍ قَدِيمَةٍ ، وثُمَّ وادٍ يُقَالُ له الأَمْتِيلِح فيه عَيْنُ ماءٍ تَجْرِي ، ونخيلٌ مُثْمِرَةٌ تَأْخُذُ العَرَبُ ثَمَرَهَا . وخارج هذا الدَّير مَلَاخَةٌ يَبِيعُ رُهْبَانُ الدَّيرِ مِلْحَهَا ، فيُعَمُّ تلكَ الجِهَاتِ .

دَيْرُ السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ

خارج طَنْبَدَى^١ ، ليس فيه سوى راهبٍ واحدٍ ، وهو على غير الطريق المسلوك . وكان بأعمال البهتسا عِدَّةُ ديارات خربت .

دَيْرُ بُوْقَانَا^(a)

بَحْرِي بنِي خَالِدٍ^٢ ، وهو مَبْنِي بالحَجَر ، وِعِمَارَتُهُ حَسَنَةٌ ، وهو من أَعْمَالِ المُنِيَّةِ ، وكان به في القَدِيمِ أَلْفُ رَاهِبٍ ، وليس به الآن سوى رَاهِبَيْنِ ، وهو في الحَاجِرِ تحت الجَبَلِ^٣ .

دَيْرُ بِالْوَجْه

على جَنْبِ المُنْهَى ، وهو لِأَهْلِ دَلْجَةَ^٤ ، وهو من الأَدِيرَةِ الكِبَارِ ، وقد خربت حتر لم يبق به سوى رَاهِبٍ أو رَاهِبَيْنِ ، وهو بِإِزَاءِ دَلْجَةَ ، بينه وبينها نحو ساعتين^٥ .

(a) بولاق : بوقانا .

^٣ تقع بقايا دئر بوقانا في الصحراء الغربية على بُعْدِ أربع

كيلومترات غرب قصر هور . (راجع ، Coquin, R.-G., Martin, M. & Grossmann, P., CE art. Dayr Abū Fanah III, pp. 698-700؛ الأنا صموئيل : دليل الكنائس ١٤٩) .

^٤ دَلْجَةَ . قريةٌ بصعيد مصر غربي النيل ، وهي إحدى قرى مركز دئر مواس بمحافظة المنيا . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٤٧/٢ : ٤٦-٤٧) .

^٥ راجع كذلك أبا المكارم : تاريخ ١٢٢:٢ (أها =

= وصوب الكلمة هناك إلى اللبخ عوضًا عن البنج .

^١ طَنْبَدَى : قريةٌ إلى جوار أشني (أشنين النصارى) غربي النيل بصعيد مصر ، تقع الآن بمركز مفاغة بمحافظة المنيا . (ياقوت : معجم البلدان ٤٢:٤-٤٣ محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢٤٩:٣/٢ & Coquin, R.-G. & (Martin, M., CE art. Tanbida VII, pp. 2201-2) .

^٢ بني خالد . تقع غربي بئر يوسف ، وهي إحدى قرى مركز ملوي بمحافظة المنيا . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٦٤:٤/٢) .

دَيْرُ مَرْقُورَةَ

ويُقالُ أبو مَرْقُورَةَ . هذا الدَيْرُ تحت دَلْجَةَ بخارجِها من شَرْقيها ، وليس به أُحَدٌ .

دَيْرُ صَنْبُو

في خارجِها من بَحْرِيها . على اسمِ السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ ، وليس به أُحَدٌ ^١ .

دَيْرُ تَادُوسَ

قِبْلِي صَنْبُو ، وقد تَلَّاشَى أمرُه لِاتِّضَاعِ حَالِ النَّصَارَى .

دَيْرُ الرَّيْزُمُونِ

في شَرْقي نَاجِيَةِ الرَّيْزُمُونِ ^٢ ، وهو شَرْقي مَلُوي وَعَزْبِي أَنْصِنَا ، وهو على اسمِ المَلِكِ عُثْرِيَالِ .

دَيْرُ الْمُحَرَّقِ

١٠ تَزْعُمُ النَّصَارَى أَنَّ المَسِيحَ - عليه السَّلَامُ - أَقَامَ في مَوْضِعِهِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا . وله عِيدٌ عَظِيمٌ - يُعْرَفُ بـ «عِيدِ الزَّيْتُونَةِ» و «عِيدِ العَنْصَرَةِ» - يجتمع فيه عَالَمٌ كَثِيرٌ ^٣ .

^٣ سَمَّاهَا أبو المكارم : تاريخ ١٠٢ (أبو صالح : تاريخ

= صالح : تاريخ ١١٦) .

(٩٩) كنيسة العنراء بقوص قام (ومعنى قوس قام - المكفّن بالحلفاء) ، وذكر أنها أول كنيسة بُنيت في أرض مصر ، وجاء إليها المسيح والسيدة مَرْيَمَ ، وعادوا منها إلى الشام . ويقع الدَيْرُ غربي الثَّيْلِ على رأسِ جَبَلٍ على بُعْدِ عشرة كيلومترات غرب القوصية بمحافظة أشيوط . (باقوت : معجم البلدان ٥٣٢:٢ - ٥٣٣) محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/٢

^١ أبو المكارم : تاريخ ١٠١ (أبو صالح : تاريخ ٩٨) . وصَنْبُو ، واسمها الأصلي سَنْبُو ، قرية بصعيد مصر غربي الثَّيْلِ تقع الآن في مركز دَيْرُوط بمحافظة أسيوط . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٤٨:٤/٢) . وتقع كنيسة الدَيْرِ الآن داخل مدينة صَنْبُو على بُعْدِ ثمانية كيلومترات جنوب دَيْرُوط . (الأبنا صموئيل : دليل الكنائس ١٥٩) .

Coquin, R.-G. & Martin, M., CEart. ٧٧:٤ - ٧٨ :
Deyr al-Muharraq III, pp. 840-41
الأبنا صموئيل : دليل الكنائس ١٦٠) . و«عِيدِ الزَّيْتُونَةِ» هو المعروف بـ Palm Sunday و«عِيدِ العَنْصَرَةِ» هو المعروف بـ Pentecast .

^٢ الرَّيْزُمُونِ . إحدى قرى مركز مَلُوي بمحافظة المنيا . (نفسه ٦٣:٤/٢) . ويقع الدَيْرُ على الضَّفَّةِ الغربية للثَّيْلِ ويبعد عن مَلُوي بنحو أربع كيلومترات . (الأبنا صموئيل : دليل الكنائس ١٥١) .

دَيْرُ بَنِي كَلْبِ

عُرِفَ بِذَلِكَ لِتَزْوُلِ بَنِي كَلْبٍ حَوْلَهُ^١، وَهُوَ عَلَى اسْمِ غُبْرِيَالٍ، وَليْسَ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ الرُّهْبَانِ، وَإِنَّمَا هُوَ كَنِيسَةٌ لِنَصَارَى مَنَقْلُوطَ، وَهُوَ غَزْبِيهَا.

دَيْرُ الْجَاوِلِيَّةِ

هَذَا الدَّيْرُ نَاحِيَةِ الْجَاوِلِيَّةِ مِنْ قِبَلِهَا، وَهُوَ عَلَى اسْمِ الشَّهِيدِ مَرْقُورُسَ - الَّذِي يُقَالُ لَهُ مَرْقُورَةٌ - وَعَلَيْهِ رِزْقٌ مُحَبَّبَةٌ، وَتَأْتِيهِ الثَّدُورَاتُ وَالْعَوَايِدُ، وَلَهُ عِيدَانٌ فِي كُلِّ سَنَةٍ^٢.

دَيْرُ السَّبْعَةِ جِبَالِ

هَذَا الدَّيْرُ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ الَّذِي غَزْبِي شَيْوُطَ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ، وَيُعْرَفُ بِـ «دَيْرِ يُحْنَسِ الْقَصِيرِ»، وَلَهُ عِدَّةٌ أَعْيَادٍ، وَخَرِبَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ مِنْ مَنَسْرِ طَرَقِهِ لَيْلًا^٣.

وَيُقَالُ أَبُو يُحْنَسِ^(a) الْقَصِيرُ، كَانَ رَاهِبًا قُمْصًا لَهُ أَحْبَابٌ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا أَنَّهُ غَرَسَ خَشَبَةً يَابِسَةً فِي الْأَرْضِ بِأَمْرِ شَيْخَةٍ لَهُ، وَسَقَاهَا الْمَاءَ مُدَّةً، فَصَارَتْ شَجَرَةً مُثْمِرَةً تَأْكُلُ مِنْهَا الرُّهْبَانُ، وَسُمِّيَتْ شَجَرَةَ الطَّاعَةِ وَدُفِنَ فِي دَيْرِهِ.

(a) بولاق : بهخس .

^٢ يَقَعُ هَذَا الدَّيْرُ جَنُوبَ قَرْيَةِ الْجَاوِلِيِّ الَّتِي تَبْعُدُ ثَمَانِيَةَ كِيلُومِتْرَاتٍ جَنُوبَ مَنَقْلُوطَ بِمَحَافِظَةِ أُشْبُوطَ . (مُحَمَّدُ رَمَزِي : الْقَامُوسُ الْجُغْرَافِيُّ ٤/٢ : ٧٥ ؛ Coquin, R.-G. & Martin, M., CE art. Dayr al-Jawli III, p. 814 الأَنْبَا صَمُوئِيلُ : دَلِيلُ الْكِنَائِسِ ١٦٤).

^٣ انظُرْ فِيمَا يَلِي ١٠٥٥ .

^١ بَنِي كَلْبِ هِيَ الْقَرْيَةُ الْمَعْرُوفَةُ الْآنَ بِـ «بَنِي مَجْدِ»، تَعَيَّرَ اسْمُهَا إِلَى هَذَا الْاسْمِ الْجَدِيدِ فِي ٧ دَيْسَمْبَرِ سَنَةِ ١٩٣١، وَهِيَ إِحْدَى قَرْيِ مَرْكَزِ مَنَقْلُوطَ بِمَحَافِظَةِ أُسْبُوطَ . (مُحَمَّدُ رَمَزِي : الْقَامُوسُ الْجُغْرَافِيُّ ٤/٢ : ٧٧) . وَتَقَعُ بِقَايَا كَنِيسَةِ الدَّيْرِ وَسَطَ قَرْيَةِ بَنِي مَجْدِ عَلَى بُعْدِ ثَلَاثَةِ كِيلُومِتْرَاتٍ غَرْبَ مَنَقْلُوطَ . (الأَنْبَا صَمُوئِيلُ : دَلِيلُ الْكِنَائِسِ ١٦٢) .

دَيْرُ الْمُطَّلِ

هذا الدَيْرُ على اسمِ السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ ، وهو على طَرَفِ الجَبَلِ تحت دَيْرِ السَّبْعَةِ جِبَالِ قُبَالَةَ سُيُوطَ ، وله عِيدٌ يَحْضُرُهُ أَهْلُ النُّوَاحِي ، وليس به أَحَدٌ مِنَ الرُّهْبَانِ .

أُذَيْرَةُ أُذْرُنْكَةَ

- ٥ اعْلَمَ أَنَّ نَاحِيَةَ أُذْرُنْكَةَ^١ هي من قَرْيَةِ النَّصَارَى الصَّعَائِدَةِ ، وَنَصَارَاهَا أَهْلُ عِلْمٍ فِي دِينِهِمْ وَتَفَاسِيرِهِمْ فِي اللُّسَانِ الْقِبْطِيِّ ، لَهُمْ أُذَيْرَةٌ كَثِيرَةٌ فِي خَارِجِ البَلَدِ مِنْ قِبَلِهَا مَعَ الجَبَلِ ، وَقَدْ خَرِبَ أَكْثَرُهَا^٢ ، وَيَبْقَى مِنْهَا :

دَيْرُ بُوْجُرْجِ

وهو عَامِرٌ البِنَاءِ ، وليس به أَحَدٌ مِنَ الرُّهْبَانِ ، وَيُعْمَلُ فِيهِ عِيدٌ فِي أَوَانِهِ .

دَيْرُ أَرْضِ الحَاجِرِ وَدَيْرُ مِيكَائِيلَ وَدَيْرُ كَرْفُونَةَ

١٠ على اسمِ السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ « أَرَفُونَةَ وَأَعْرَفُونَا » ، وَمَعْنَاهُ : الشَّيْخُ ، فَإِنَّ نُسَاخَ عُلُومِ النَّصَارَى كَانَتْ فِي القَدِيمِ تُقِيمُ بِهِ . وَهُوَ عَلَى طَرَفِ الجَبَلِ ، وَفِيهِ مَغَايِرُ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا مَا يَسِيرُ المَاشِي بِجَنْبِهِ نَحْوَ يَوْمَيْنِ .

دَيْرُ أَبِي بَفَامِ

١٥ تحت دَيْرِ كَرْفُونَةَ بِالحَاجِرِ ، وَقَدْ كَانَ أَبُو بَفَامِ مُجَنِّدِيًّا فِي أَيَّامِ دِقْلَظِيَانُوسَ فَتَنَصَّرَ ، وَعُذِّبَ لِيَرْجِعَ عَنِ دِينِهِ ، ثُمَّ قُتِلَ فِي ثَامِنِ عَشْرِينَ كَانُونَ الأَوَّلِ وَثَانِي كِيَهَكَ^٣ .

Coquin, R.-G. & Martin, M., *CEart. Dayr* ؛ (٩٤) *Durunkah III*, pp. 799-800 ؛ الأنا صموئيل : دليل الكنائس ١٧٠-١٧١ .

^١ أُذْرُنْكَةَ . هي المعروفة الآن باسم دُرُنْكَةَ وتقع جنوب غرب مدينة أشيوط الحالية بالوجه القبلي . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٤/٢ : ٢٧-٢٨) .

^٣ أبو المكارم : تاريخ ٢ : ٧٦ ، ١١٩ (أبو صالح : =

^٢ راجع ، أبو المكارم : تاريخ ٢ : ٩٧ (أبو صالح : تاريخ

دَيْرُ بوساويرس

بَحَاجِرُ أُذْرُنْكَةَ ، كَانَ عَلَى اسْمِ السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ . وَكَانَ سَاوِيرُسُ مِنْ عُظَمَاءِ الرُّهْبَانِ ، فَعَمِلَ بَطْرِكًا وَظَهَرَتْ آيَةٌ عِنْدَ مَوْتِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَنْذَرَهُمْ لَمَّا سَارَ إِلَى الصَّعِيدِ بِأَنَّهُ إِذَا مَاتَ يَنْشَقُّ الْجَبَلَ ، وَتَقَعُ مِنْهُ قِطْعَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى الْكَنِيسَةِ فَلَا تَضُرُّهَا . فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ سَقَطَتْ قِطْعَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْجَبَلِ كَمَا قَالَ ، فَعَلِمَ رُهْبَانُ هَذَا الدَّيْرِ بِأَنَّ سَاوِيرُسَ قَدْ مَاتَ ، فَأَرْخُوا ذَلِكَ فَوَجَدُوهُ وَقَتَّ مَوْتَهُ ، فَسَمُّوا الدَّيْرَ حَيْثُذِ بِاسْمِهِ ^١ .

دَيْرُ تَادْرُس

تَحْتَ دَيْرِ بوساويرس . وَتَادْرُسُ اثْنَانِ كَانَا مِنْ أَجْنَادِ دِقْلِطِيَانُوسَ : أَحَدُهُمَا يُقَالُ لَهُ قَاتِلُ التَّنِينِ ، وَالْآخَرُ : الإِسْفِهَسَلَارُ ، وَقَتِلَا كَمَا قُتِلَ غَيْرَهُمَا .

دَيْرُ مَنَسَى أَكْ

وَيُقَالُ مَنَسَاكُ ، وَمَنَى مَسَاكُ ، وَأَيْسَاكُ ، وَمَعْنَى ذَلِكَ إِسْحَاقُ . وَكَانَ عَلَى اسْمِ السَّيِّدَةِ مَارِيَّيْنَامَ - يَعْنِي مَارْمَرْيَمَ - ثُمَّ عُرِفَ بِمَنَسَاكُ ، وَكَانَ رَاهِبًا قَدِيمًا لَهُ عِنْدَهُمْ شُهْرَةٌ . وَبِهَذَا الدَّيْرِ بَعَثَ تَحْتَهُ فِي الْحَاجِرِ مِنْهَا شُرْبَ الرُّهْبَانِ ، فَإِذَا زَادَ النَّيْلُ شَرِبُوا مِنْ مَائِهِ .

دَيْرُ الرُّسُلِ

تَحْتَ دَيْرِ مَنَسَاكُ ، وَيُعْرَفُ بِدَيْرِ الْأَثَلِ ، وَهُوَ لِأَعْمَالِ بُوتِيحَ ^{١٥} وَدَيْرِ مَنَسَاكُ لِأَهْلِ رَيْفَةِ ^(a) ^٢ هُوَ وَدَيْرِ سَاوِيرُسَ ، وَدَيْرِ كَرْفُونَةَ لِأَهْلِ سَيُوطَ ، وَدَيْرِ بُوجْرَجَ لِأَهْلِ

(a) بولاق : ريفته .

Sawirus III, pp. 760-61.

- تاريخ ٧٦ ، ١١٤) Coquin, R.-G. & Martin, M. ؛

CE art. Dayr Abu Bifām III, p. 969. الأنبا

صموئيل : دليل الكنائس ١٧٧ ، ويقع هذا الدير في مدينة طما .

^١ أبو المكارم : تاريخ ٢ : ١١٨ ؛ ياقوت : معجم البلدان

Coquin, R.-G., CE art. Dayr Anbā ؛ ٤٩٦ : ٢

^٢ ذكر ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ١ : ٣٨٤

دَيْرِ رَيْفَةِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ بِصَعِيدِ مِصْرَ فَوْقَ سَيُوطَ لَا يَبْعُدُ عَنِ

الْجَبَلِ الْغَرْبِيِّ الْمُطَّلِ عَلَى رَيْفَةِ .

دُرُنُكَّةٌ^(c). ودَيْرُ الأَثَلِ كانَ في خَرَابٍ ، فَعَمَّرَ بِجَانِبِهِ كَفَرًا لَطِيفٌ عُرِفَ بِمُنْشَأَةِ الشَّيْخِ ، لِأَنَّ الشَّيْخَ أبا بَكْرَ الشَّاذِلِيَّ أَنْشَأَهُ ، وَأَنْشَأَ بُسْتَانًا كَبِيرًا ، وَقَدْ وَجَدَ مَوْضِعَهُ بَقْرًا كَبِيرَةً ، وَجَدَ بِهَا كَثْرًا . أَخْبَرَنِي مِنْ شَاهِدٍ مِنْ ذَهَبِهِ دَنَانِيرٌ مُرَبَّعَةٌ بِأَحَدٍ وَجْهَيْهَا صَلِيبٌ ، وَزِنَةُ الدِّينَارِ مِثْقَالٌ وَنِصْفٌ . وَأَذْيِرَةُ دُرُنُكَّةٌ^(a) الْمَذْكُورَةُ قَرِيبٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، وَبَيْنَهَا مَغَايِرٌ عَدِيدَةٌ مَنقُوشٌ عَلَى ألْوَاحٍ فِيهَا نُقُوشَاتٌ مِنْ كِتَابَةِ الْقَدَمَاءِ ، كَمَا عَلَى البَرَابِيِّ ، وَهِيَ مُزَخْرَفَةٌ بِعِدَّةِ أَصْبَاغٍ مُلَوَّنَةٍ تَشْتَمِلُ عَلَى عُلُومٍ شَتَّى .

ودَيْرُ السَّبْعَةِ جِبَالٌ ، وَدَيْرُ المِطَلِّ ، / وَدَيْرُ النَّسَاخِ ، خَارِجٌ سُيُوطٍ فِي المَقَابِرِ . وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ فِي الحَاجِرِ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَسِتُونَ دَيْرًا ، وَإِنَّ المُسَافِرَ كَانَ لَا يَزَالُ مِنَ البَدْرَشِينِ إِلَى أَصْفُونٍ فِي ظِلِّ البَسَاتِينِ ، وَقَدْ خَرِبَ ذَلِكَ وَبَادَ أَهْلُهُ .

دَيْرُ مُوشَةَ

ومُوشَى^١ خَارِجٌ سُيُوطٍ مِنْ قِبَلِهَا . بُنِيَ عَلَى اسْمِ ثُومَا الرَّسُولِ الهِنْدِيِّ ، وَهُوَ بَيْنَ الغِيْطَانِ قَرِيبٌ مِنْ رِبْقَةٍ^(c) ،^٢ وَفِي أَيَّامِ النَّبْلِ لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ إِلَّا فِي مَرْكَبٍ ، وَلَهُ أُغْيَادٌ . وَالأَعْلَبُ عَلَى نَصَارَى هَذِهِ الأَذْيِرَةِ مَعْرِفَةُ القِبْطِيِّ الصُّعَيْدِيِّ ، وَهُوَ أَصْلُ اللُّغَةِ القِبْطِيَّةِ ، وَتَعَدَّهَا اللُّغَةُ القِبْطِيَّةُ البَحْرِيَّةُ^(d) . وَنِسَاءُ نَصَارَى الصُّعَيْدِ وَأَوْلَادُهُمْ لَا يَكَادُونَ يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا بِالقِبْطِيَّةِ الصُّعَيْدِيَّةِ ، وَلَهُمْ أَيْضًا مَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِاللُّغَةِ الرُّومِيَّةِ^٣ .

دَيْرُ بومَقْرُوقَةَ

وأبو مَقْرُوقَةَ اسْمٌ لِلبَلَدَةِ الَّتِي بِهَا هَذَا الدَّيْرُ . وَهُوَ مَنقُورٌ فِي لَحْفِ الجَبَلِ ، وَفِيهِ عِدَّةٌ مَغَايِرٍ ، وَهُوَ

(a) بولاق : أدرنكة . (b) بولاق : أدرنكة . (c) بولاق : ربقة . (d) بولاق : البحرية .

^١ مُوشَه (مُوشَا) . قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ فِي غَرْبِي النَّبْلِ تَقَعُ مِبَانِيهَا عَلَى مُرْتَفَعٍ مِنَ الأَرْضِ بِحَيْثُ بِهِ قَرْيُوسٌ ، أَي حَائِطٌ بِرِصِيفٍ مَبْنِيٍّ بِالطُّوبِ الأَحْمَرِ وَالمَوْنَةِ ، يَقِي مِبَانِيهَا مِنْ تَأْثِيرِ مِيَاهِ مَلَقَّةِ أَشْيُوطِ ، أَي حَوْضِ الرُّمِّيِّ وَقَتِ فَيْضَانِ النَّبْلِ . وَهِيَ إِحْدَى قَرَى مَرْكَزِ أَشْيُوطِ بِمَحَافِظَةِ أَشْيُوطِ الحَالِيَةِ . (مُحَمَّدُ رَمَزِي :

القاموس الجغرافي ٢/٤: ٢٩) .

^٢ رِبْقَةُ . قَرْيَةٌ تَقَعُ جَنُوبَ مَدِينَةِ أَشْيُوطِ الحَالِيَةِ . كَانَتْ فِي الأَصْلِ مِنْ أَعْمَالِ دُرُنُكَّةِ . (نَفْسُهُ ٢/٤: ٢٨) .

^٣ فِيمَا يَلِي ١٠٨٣ .

على اسم السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ . وبمَقْرُوفَةِ نَصَارَى كَثِيرَةٍ غَنَّامَةٌ ، وَرِعَاةٌ أَكْثَرُهُمْ هَمَجٌ ، وَفِيهِمْ قَلِيلٌ مِنْ يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ . وَهُوَ دَيْرٌ مُعَطَّشٌ ^١ .

دَيْرُ بُوَيْفَامَ

خَارِجٌ طِمَاً ، وَأَهْلُهَا نَصَارَى ، وَكَانُوا قَدِيمًا أَهْلَ عِلْمٍ ^٢ .

دَيْرُ بُوَيْشُنُودَةَ

وَيُعْرَفُ بِـ « الدَّيْرِ الأَبْيَضِ » وَهُوَ غَرْبِي نَاحِيَةِ سُوهَاجٍ ، وَبِنَاؤُهُ بِالْحَجَرِ ، وَقَدْ خَرِبَ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا كَنِيستُهُ . وَيُقَالُ : إِنَّ مِسَاحَتَهُ أَرْبَعَةُ فِدَادِينَ وَنِصْفَ وَرُبْعٍ ، وَالبَاقِي مِنْهُ نَحْوُ فِدَانٍ ، وَهُوَ دَيْرٌ قَدِيمٌ ^٣ .

الدَّيْرُ الأَحْمَرُ

وَيُعْرَفُ بِدَيْرِ بُوَيْشَايَ ، وَهُوَ بَحْرِي الدَّيْرِ الأَبْيَضِ بَيْنَهُمَا نَحْوُ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ ، وَهُوَ دَيْرٌ لَطِيفٌ مَبْنِي بِالطُّوبِ الأَحْمَرِ . وَأَبُو بَيْشَايَ هَذَا مِنَ الرُّهْبَانِ المَعَاصِرِينَ لِشِينُودَةَ ، وَهُوَ تَلْمِيذُهُ ، وَصَارَ مِنْ تَحْتِ يَدِهِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ رَاهِبٍ ، وَلَهُ دَيْرٌ آخَرٌ فِي بَرِّيَّةِ شِيهَاتٍ ^٤ .

الأزمعي ، وهو الوزير الثُّصْرَانِي الوَحِيدُ بَيْنَ وُزَرَاءِ العَبَاسِيَّةِ الفَاعِطِيَّةِ ، اتَّقَاءً لِحَرَكَةِ الجِهَادِ الَّتِي قَادَهَا الوَازِرُ الشُّنِي رِضْوَانُ بْنُ وَالحَشِي وَالِي الغَرِيبَةِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ . (رَاجِعْ ، يَاقُوتُ : مَعْجَمُ البُلْدَانِ ٢ : ٤٩٧ ؛ ابنُ فَضْلِ اللهِ العَمْرِي : مَسَالِكُ الأَبْصَارِ ١ : ٣٧٤ - ٣٨٤ ؛ Coquin, R.-G. & Martin, M., CE art. Dayr Anbû Shinuda III, pp. 69-761 ؛ الأَبَا صَمُوئِيلُ : دَلِيلُ الكَنَائِسِ ١٧٨ - ١٧٩) .

^٢ رَاجِعْ ، Coquin, R.-G. & Martin, M., CE art. Dayr Anbû Bishoi III, pp. 39-736 ؛ الأَبَا صَمُوئِيلُ : دَلِيلُ الكَنَائِسِ ١٧٩ - ١٨٠ .

^١ يَقَعُ دَيْرٌ بُوَيْفَامَ عَلَى الصُّفَّةِ الِيسْرَى لِلنَّيْلِ عَلَى بُعْدِ اثْنَيْ عَشَرَ كِيلُومِتْرًا جَنُوبَ أَبِي تَيْجٍ بِمَحَافِظَةِ أَشِيطُوطَ ، وَتُعْرَفُ البَلَدُ الآنَ بِدَيْرِ الجِنَادِلَةَ . (رَاجِعْ ، ابنُ دِقْمَاقٍ : الأَنْتِصَارُ ٥ : ٢٤ ؛ مُحَمَّدُ رَمَزِي : القَامُوسُ الجِغْرَافِي ٢ / ٤ : ١٨ ؛ Coquin, R.-G. & Crossmann, P., CE art. Dayr (Abû Maqrûfa III, pp. 704-6) .

^٢ يَقَعُ مَدِينَةُ طِمَاً فِي مَحَافِظَةِ سُوهَاجٍ (مُحَمَّدُ رَمَزِي : القَامُوسُ الجِغْرَافِي ٢ / ٤ : ١٣٥ ، وَرَاجِعْ عَنِ الدَّيْرِ ، Coquin, R.-G., CE art. Dayr Abû Bifûm III, p. 697) .

^٣ هَذَا الدَّيْرُ ، هُوَ الدَّيْرُ الَّذِي لَجَأَ إِلَيْهِ الوَازِرُ الفَاعِطِي بَهْرَامُ

دَيْرُ بوميَسَّاس

ويقال أبو ميسيس، واسمه موسى. وهذا الدير تحت البليتا، وهو دَيْرٌ كبير^١.
وأبو ميسيس هذا كان راهبًا من أهل البليتا، وله عندهم شهرة، وهم يندرونه، فيزعمون فيه
مزاعم.

- ٥ ولم يتق بعد هذا^(a) إلا أديرة بحاجر إسنا ونقادة قليلة العمارة. وكان بأصفون «دَيْرٌ كبيرٌ»،
وكانت أصفون من أحسن بلاد مصر، وأكثر نواحي الصعيد قواكه، وكان رهبان ديرها معروفين
بالعلم والمهارة فيه^(b)، فخربت أصفون، وخرّب ديرها.
وهذا آخر أديرة الصعيد، وهي كلها متلاشية آيلة إلى الدثور، بعد كثرة عمارتها، ووفور
أعداد رهبانها وسعة أزواجهم، وكثرة ما كان يُحمل إليهم.

١٠

وَأَمَّا الْوَجْهُ الْبَحْرِي

فكان فيه أديرة كثيرة خربت، وبقي منها بقية. فكان بالمقس - خارج القاهرة من بحريها -
عدّة كنائس هدمها الحاكم بأمر الله أبو علي منصور، في تاسع عشر ذي الحجة سنة تسع وتسعين
وثلاث مائة، وأباح ما كان فيها، فنهب منها شيء كثير جدًا بعدما أمر، في شهر ربيع الأول
منها، بهدم كنائس راشدة خارج مدينة مصر من شرقها، وجعل موضعها الجامع المعروف
براشدة^٢.

١٥

وهدم أيضًا في سنة أربع وتسعين كنيسة هناك، وألزم النصارى لبس السواد وشد الزنار،
وقبض على الأملاك التي كانت مُحَبَّسَة على الكنائس والأديرة، وجعلها في ديوان السلطان،
وأحرق عدّة كثيرة من الصلبان، ومنع النصارى من إظهار زينة الكنائس في عيد الشعانين،

(a) بولاق: هذا الدير. (b) ساقطة من بولاق.

^١ أبو المكارم: تاريخ ١٠٦:٢-١٠٧؛ ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ١٨٩:٣/٢-١٩٠؛ الأنبا صموئيل: دليل الكنائس ١٩١. وتقع البقايا الأثرية لهذا
الدير على مساحة كيلومترين شمال معبد أيديوس بالعرابة المدفونة بمحافظة سوهاج.
^٢ فيما تقدم ١٢٦-١٢٩.

وتَشَدَّدَ عليهم، وَضَرَبَ جَمَاعَةً مِنْهُمْ^١.

وكانت بالروضة كنيسته بجوار المقياس، فهَدَمَهَا السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ^٢.

وكان في ناحية أبي الثمرس من الجزيرة « كنيسته »، قام في هدمها رجل من الزبالعة، لأنه سمع أصوات النواقيس يُجهر بها في ليلة الجمعة بهذه الكنيسته. فلم يتمكّن من ذلك في أيام الأشرف شعبان بن حسين، لتَمَكَّنَ الأقباط في الدوالة، فقام في ذلك مع الأمير الكبير بزقوق - وهو يومئذ القائم بتدبير الدوالة - حتى هَدَمَهَا عَلَى يَدِ الْقَاضِي جَمَالِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الْعَجْمِي، مُخْتَبِيبَ الْقَاهِرَةِ، فِي ثَامِنِ عَشَرَ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ، وَعَمِلَتْ مَسْجِدًا.

دَيْرُ الْخَنْدَقِ

ظاهر القاهرة من بحريها، عمّره القائد جوهر عوضاً عن دَيْرِ هَدَمَهُ فِي الْقَاهِرَةِ كَانَ بِالْقُرْبِ مِنَ الْجَامِعِ الْأَقْمَرِ، حَيْثُ الْبَيْتِ الَّتِي تُعْرَفُ الْآنَ بَيْتِ الْعِظْمَةِ، وَكَانَتْ إِذْ ذَاكَ تُعْرَفُ بَيْتِ الْعِظَامِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ نَقَلَ عِظَامًا كَانَتْ بِالْدَيْرِ، وَجَعَلَهَا بِدَيْرِ الْخَنْدَقِ^٣. ثُمَّ هُدِمَ دَيْرُ الْخَنْدَقِ فِي رَابِعِ عَشْرِينَ شَوَّالَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ، ثُمَّ جُدِّدَ هَذَا الدَّيْرُ الَّذِي هُنَاكَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَعَمِلَ كَنِيسَتَيْنِ يَأْتِي ذَكَرُهُمَا فِي الْكِنَائِسِ.

دَيْرُ سِرِّيَا قَوْسِ

كان يُعْرَفُ بِأَبِي هُورٍ، وَلَهُ عِيدٌ يَجْتَمِعُ فِيهِ النَّاسُ، وَكَانَ فِيهِ أُعْجُوبَةٌ ذَكَرَهَا الشَّابُّسْتِي. وَهُوَ أَنَّ مِنْ كَانَ بِهِ خَنَازِيرٌ، أَخَذَهُ رَئِيسُ هَذَا الدَّيْرِ وَأَضَجَّعَهُ، وَجَاءَهُ بِخَنَزِيرٍ فَلَحَسَ مَوْضِعَ الْوَجَعِ، ثُمَّ أَكَلَ الْخَنَازِيرَ / الَّتِي فِيهِ، فَلَا يَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى الْمَوْضِعِ الصَّحِيحِ، فَإِذَا تَنَظَّفَ الْمَوْضِعَ،

^١ الروضة البهية ١٥. وتدلُّ على موضع هذا الدَيْرِ الْآنَ الْمَنْطِقَةُ

المعروفة بِدَيْرِ الْأَنْبَا رُويس وَدَيْرِ الْمَلَاكِ الْبَحْرِيِّ، حَيْثُ مَقَرُّ

الْبَطْرِكِيَّةِ الْمَرْقُوسِيَّةِ بِشَارِعِ رَمْسِيْسِ بِالْعَبَّاسِيَّةِ؛ وَرَاجِعْ أَيْضًا

Grossmann, P., CE art. *Dayr al-Izâm* III, p. 810;

Coquin, R.-G. & Martin, M., CE art. *Dayr al-*

Khandaq III, pp. 814-15 وفيما يلي ١٠٦١.

^٢ فيما تقدم ١٠٠٧-١٠٠٨.

^٣ هي المعروفة بكنيسة ميكايل (ميخائيل) المختارة بجزيرة

مصر. (ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/

٢٠٩:٣، ٢١٠؛ وفيما تقدم ٥٨٢:٣:١.

^٣ أبو المكارم: تاريخ ٢٠١-٢١؛ ابن عبد الظاهر:

ذُرُّ عَلَيْهِ رَئِيسُ الدَّيْرِ مِنْ رَمَادِ خِثْزِيرٍ فَعَلَّ مِثْلَ هَذَا الْعَمَلِ مِنْ قَبْلِ ، وَدَهَنَهُ بِزَيْتِ قَنْدِيلِ البَيْعَةِ ، فَإِنَّهُ يَبْرَأُ ، ثُمَّ يُؤَخَذُ ذَلِكَ الخِثْزِيرُ الَّذِي أَكَلَ خَنَازِيرَ العَلِيلِ ، فَيُدْبَحُ وَيُحْرَقُ ، وَيُعَدُّ رَمَادُهُ لِمِثْلِ هَذِهِ الحَالَةِ . فَكَانَ لِهَذَا الدَّيْرِ دَخْلٌ عَظِيمٌ مِمَّنْ يَبْرَأُ مِنْ هَذِهِ العِلَّةِ ، وَفِيهِ خَلْقٌ مِنَ النُّصَارَى ^١ .

دَيْرُ أَثْرِب

- ٥ وَيُعْرَفُ بِمَارِي مَرْيَمَ ، وَعِيدُهُ فِي حَادِي عَشْرِينَ بَوُونَةَ ، وَذَكَرَ الشَّابُشْتِيُّ أَنَّ حَمَامَةَ يَبْصَاءَ تَأْتِي فِي ذَلِكَ العِيدِ فَتَدْخُلُ المَذْبَحَ ، لَا يَدْرُونَ مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ ، وَلَا يَرَوْنَهَا إِلَى يَوْمِ مِثْلِهِ ^٢ . وَقَدْ تَلَاشَى أَمْرُ هَذَا الدَّيْرِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ بِهِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ مِنَ الرُّهْبَانِ ، لَكِنِّهِمْ يَجْتَمِعُونَ فِي عِيدِهِ ، وَهُوَ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ قَرِيبٌ مِنْ بَنِي العَسَلِ .

دَيْرُ الْمُعْطَس

- ١٠ عِنْدَ المَلَّاحَاتِ ، قَرِيبٌ مِنْ بُحَيْرَةِ البُرُوسِ ، وَتَمُوجُ إِلَيْهِ النُّصَارَى مِنْ قِبَلِي أَرْضِ مِصْرَ وَمِنْ بَحْرِيهَا - مِثْلَ حَجِّهِمْ إِلَى كَنِيسَةِ القُمَامَةِ - وَذَلِكَ يَوْمَ عِيدِهِ ، وَهُوَ فِي بَشْنَسِ ، وَيُسَمُّونَهُ «عِيدَ الظُّهُورِ» ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ السَّيِّدَةَ مَرْيَمَ تَظْهَرُ لَهُمْ فِيهِ ، وَلَهُمْ فِيهِ مَزَاعِمٌ كُلُّهَا مِنْ أَكَاذِبِهِمُ المِخْتَلَقَةِ ^٣ .
- ١٥ وَلَيْسَ بِجِذَاءِ هَذَا الدَّيْرِ عِمَارَةٌ ، سِوَى مُنْشَأَةٍ صَغِيرَةٍ فِي قِبَلِيهِ بِشَرْقِي ، وَبِقُرْبِهِ المَلَّاحَةُ الَّتِي يُؤَخَذُ مِنْهَا المِلْحُ الرَّشِيدِي . وَقَدْ هُدِمَ هَذَا الدَّيْرُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ بِقِيَامِ بَعْضِ الفُقَرَاءِ المُعْتَقِدِينَ ^٤ .

^٤ المقرئزي: السلوك ٤: ١٠٣٤. وهذا التاريخ المتأخر الوارد في هذه العبارة إضافةً أضافها المقرئزي إلى نسخته عندما كان يكتب أحداث السنوات الأخيرة من «السلوك»، فقد وردت نفس الخبر في «السلوك» في حوادث سنة ٨٤١هـ وأوردته المقرئزي بقوله: «وقد تسطت الكلام على هذا عند ذكر الكنائس والديارات من كتاب «المواعظ والاعتبار بذكر الخطيئ والآثار».

^١ الشابشتي: الديارات ٣١١، وسماه «بيعة أبي هور» أبو المكارم: تاريخ ٤١: ٢ (أبو صالح: تاريخ ٤٣). (وفيه جددها الشيخ أبو الفخر كاتب الرواتب بديوان المجلس)؛ ياقوت: معجم البلدان ٢: ٤٩٧؛ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ١: ٣٦٠؛ Coquin, R.-G., CE art. Dayr Apa Har III, pp. 771-72.

^٢ نفسه ٣١٣؛ ياقوت: معجم البلدان ٢: ٤٩٧.

^٣ Coquin, R.-G., CE art. Dayr al-Maghtis

III, pp. 818-19.

دَيْرُ الْعَسْكَرِ

في أرض السَّبَاخِ عَلَى يَوْمٍ مِنْ دَيْرِ الْمُعْطَسِ ، عَلَى اسْمِ الرَّسُلِ ، وَبِقُرْبِهِ مَلَاخَةُ الْمَلِحِ الرَّشِيدِي ، وَلَمْ يَتَّقِ بِهِ سِوَى زَاهِبٍ وَاحِدٍ^١ .

دَيْرُ جَيْمَانَةَ

عَلَى اسْمِ بُوجُوجٍ ، قَرِيبٌ مِنْ دَيْرِ الْعَسْكَرِ ، عَلَى ثَلَاثِ سَاعَاتٍ مِنْهُ ، وَعِيدُهُ عَقِبَ عِيدِ دَيْرِ الْمُعْطَسِ ، وَلَيْسَ بِهِ الْآنَ أَحَدٌ^٢ .

دَيْرُ الْمَيْمَةِ (a)

بِالْقُرْبِ مِنْ دَيْرِ الْعَسْكَرِ . كَانَتْ لَهُ حَالَاتٌ جَلِيلَةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَدِيمِ دَيْرٌ بِالْوَجْهِ الْبَحْرِي أَكْثَرَ زُهْبَانًا مِنْهُ ، إِلَّا أَنَّهُ تَلَاشَى أَمْرُهُ وَخَرِبَ ، فَتَزَلَهُ الْحَبَشُ وَعَمَّرُوهُ^٣ .
وَلَيْسَ فِي السَّبَاخِ سِوَى هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ الْأَذْيِرَةِ . وَأَمَّا « وادي هَيْب » .
وهو « وادي النَّطْرُون » - وَيُعْرَفُ بِبَرْيَةِ شِيهَاتٍ ، وَبِبَرْيَةِ الْأَسْقِيَطِ (b) ، وَبِمِيزَانِ الْقُلُوبِ - فَإِنَّهُ كَانَ بِهَا فِي الْقَدِيمِ مَائَةٌ دَيْرٌ ، ثُمَّ صَارَتْ سَبْعَةٌ مُتَمَدِّدَةٌ غَرْبًا عَلَى جَانِبِ الْبَرْيَةِ الْقَاطِعَةِ بَيْنَ بِلَادِ الْبَحْرِيَّةِ وَالْفَيْثُومِ . وَهِيَ فِي رِمَالٍ مُنْقَطِعَةٍ ، وَسِيبَاخٍ مَالِحَةٍ ، وَبِرَارٍ مَنْقُطِعَةٍ مُعْطَشَةٍ ، وَقِفَارٍ مُهْلِكَةٍ . وَشَرَابٌ أَهْلِهَا مِنْ حَفَائِرٍ ، وَتَحْمِيلُ النَّصَارَى إِلَيْهِمُ التُّدُورَ وَالْقَرَايِينَ^٤ . وَقَدْ تَلَاشَتْ فِي هَذَا الْوَقْتِ ،

(a) بولاق : الميمة . (b) بولاق : الأسقط .

^١ يَقَعُ هَذَا الدَّيْرُ بِالْقُرْبِ مِنْ بَلْقَاسِ شِمَالِ شَرْقِ الْغُرْبِيَّةِ ،

وَهِيَ الْآنَ تَابِعَةٌ لِمَحَافِظَةِ الدَّقْهَلِيَّةِ . (مُحَمَّدُ رَمَزِي : الْقَامُوسُ الْجُغْرَافِيُّ ١ : ٨٤ ، ٢/٢ : ٢٧٧) .
Coquin, R.-G., CE art. (Dayr al-Astar III, pp. 783-84)

^٣ ذَكَرَ مُحَمَّدُ رَمَزِي أَنَّ الْمَيْمَةَ وَالْعَسْكَرَ كَانَتَا ذَاتَ وَحْدَةٍ مَالِيَّةٍ مَشْرُوكَةٍ وَيَجْمَعُهُمَا زِمَامٌ وَاحِدٌ ، وَخَلَّ مَحَلَّهُمَا اعْتِبَارًا مِنْ سَنَةِ ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م مَدِينَةَ بَلْقَاسِ بِمَحَافِظَةِ الدَّقْهَلِيَّةِ .
(الْقَامُوسُ الْجُغْرَافِيُّ ٢/٢ : ٢٧٧) .
Coquin, R.-G., CE art. (Dayr al-Maymah III, pp. 837-38)

^٢ يُعْرَفُ الْآنَ بِـ « دَيْرِ بَيْتِ دِيمْيَانَةَ » ، وَهُوَ عَلَى بُعْدِ عَشْرَةِ كِيلُومِتْرَاتٍ شِمَالِ مَدِينَةِ بَلْقَاسِ بِمَحَافِظَةِ الدَّقْهَلِيَّةِ . (رَاجِعْ)
Coquin, R.-G. & Grossmann, P. CE art. Dayr

^٤ وادي هَيْب - بَضْمُ الْهَاءِ وَفَتْحُ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَبَاءٌ =

بعدما ذَكَرَ مُؤَرِّخُو النَّصَارَى أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ مِنْ هَذِهِ الْأَذْيِرَةِ سَبْعُونَ أَلْفَ رَاهِبٍ ،
بِيَدِ كُلِّ وَاحِدٍ عُكَّازٌ ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ، وَأَنَّهُ كَتَبَ لَهُمْ كِتَابًا هُوَ عِنْدَهُمْ .

فمنها :

دَيْرُ بَوْمَقَّارِ الْكَبِيرِ

- وهو دَيْرٌ جَلِيلٌ عِنْدَهُمْ ، وَبِخَارِجِهِ أَذْيِرَةٌ كَثِيرَةٌ خَرِبَتْ ، وَكَانَ دَيْرُ النَّشَاكِ فِي الْقَدِيمِ ، وَلَا
يَصِحُّ عِنْدَهُمْ بَطْرِكِيَّةُ الْبَطْرِكِ حَتَّى يُجْلِسُوهُ فِي هَذَا الدَّيْرِ بَعْدَ جُلُوسِهِ بِكُرْسِيِّ سَكَنْدَرِيَّةٍ . وَيُذَكَّرُ
أَنَّهُ كَانَ فِيهِ مِنَ الرُّهْبَانِ أَلْفٍ وَخَمْسَ مِائَةٍ لَا تَزَالُ مُقِيمَةً بِهِ ، وَلَيْسَ بِهِ الْآنَ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ^١ .
وَالْمَقَارَاتُ ثَلَاثَةٌ : أَكْبَرُهُمْ صَاحِبُ هَذَا الدَّيْرِ ، ثُمَّ أَبُو مَقَّارِ الْإِسْكَنْدَرَانِيِّ ، ثُمَّ أَبُو مَقَّارِ
الْأَسْقُفِ . وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ قَدْ وُضِعَتْ رِثْمُهُمْ فِي ثَلَاثِ أَنْيَابٍ مِنْ خَشَبٍ ، وَتَزُورُهَا النَّصَارَى بِهَذَا
الدَّيْرِ ، وَبِهِ أَيْضًا الْكِتَابُ الَّذِي كَتَبَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لِلرُّهْبَانِ وَادِي هُبَيْبٍ ، بِجَرَانَةِ نَوَاحِي الْوَجْهِ
الْبَحْرِيِّ ، عَلَى مَا أَخْبَرَنِي مِنْ أَخْبَرَ بَرُؤَيْتِهِ فِيهِ .

هو مقارزئوس ^٢ . أَخَذَ الرُّهْبَانِيَّةَ عَنِ أَنْطُونْيُوسِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ
أَبُو مَقَّارِ الْأَكْبَرِ الْقُلُنْسُورَةَ وَالْأَسْكِيمَ - وَهُوَ سَيِّرٌ مِنْ جِلْدٍ فِيهِ صَلِيبٌ يَتَوَسَّحُ بِهِ الرُّهْبَانُ فَقَطْ -

Alexandria 1931; Russel, D., *Mediaeval Cairo and the Monasteries of the Wadi al-Natrun. A Historical Guide*, London 1962; Aelred Cody, CE art. Scetis VII, pp. 2102-6.

^١ ما زال هذا الدَيْرُ قائمًا بِوَادِي النَّطْرُونِ . (رَاجِعْ ، أَبَا
المَكَارِمِ : تَارِيخٌ : ١ : ٩٥-٩٨ ؛ بَتْلَرُ ، أ : الكِنَائِسُ القِبْطِيَّةُ
القَدِيمَةُ : ١ : ٢٤١-٢٥٧ ؛ صَمُوئِيلُ السَّرْيَانِيُّ : دَلِيلُ الكِنَائِسِ
والأَذْيِرَةِ : ٢٧-٢٨ ؛ CE art. Dayr Matta al-Miskin, pp. 348-56 .
(Anbá Maqqâr III, pp. 348-56 .

^٢ أَبُو مَقَّارِ الْأَكْبَرِ ، هُوَ الْقُدَيْسُ مَقَّارِزْيُوسُ المِصْرِيُّ أَوْ
الْأَكْبَرِ ، مِنْ كِبَارِ نَشَاكِ القَرْنِ الرَّابِعِ المِيلَادِيِّ فِي صَخْرَاءِ
وَادِي النَّطْرُونِ ، وَيُحْتَقَلُّ بَعِيدَهُ فِي ٢٧ بَرْمَهَاتٍ ، وَأُطْلِقَ عَلَيْهِ
اسْمُ : المِصْرِيِّ أَوْ الْأَكْبَرِ لِتَمْيِيزِهِ عَنِ مَعَاصِرِهِ مَقَّارِزْيُوسِ
السَّكَنْدَرِيِّ . (رَاجِعْ ، GUILLAUMONT, A., CE art. (Macarius the Egyptian, Saint V, pp. 1491-92 .

= سَاكِنَةٌ وَبَاءَ أُخْرَى - يُنْسَبُ إِلَى الصَّخْرَاءِ هُبَيْبِ بْنِ مُعْقَلِ
الْبَغْدَادِيِّ ، وَيَتَدَلُّ عَلَى مَوْضِعِهِ الْآنَ الْمَوْضِعُ المَعْرُوفُ بِ«وَادِي
النَّطْرُونِ» فِي الصَّخْرَاءِ الغَرِبِيَّةِ غَرْبِي الدَّلْتَا جَنُوبِي مَحَافِظَةِ
الْبَحِيرَةِ . (رَاجِعْ : يَاقُوتُ : مَعْجَمُ البِلْدَانِ ٥ : ٣٤٦ ؛ أَبَا
المَكَارِمِ : تَارِيخٌ : ١ : ٩٥-١٠٦ ؛ ابْنُ فَضْلِ اللهِ العِمْرِيُّ :
مَسَالِكُ الأَبْصَارِ : ١ : ٣٧٤ ، وَسَمَّى دِيَارَاتِهِ «الدِّيَارَاتِ
الشَّبْعِيَّةِ» ، وَذَكَرَ أَنَّهُ مَرَّ عَلَى بَعْضِهَا فِي الصَّخْرَةِ الشَّرِيفَةِ
النَّاصِرِيَّةِ ، أَيْ مَعَ السُّلْطَانِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَاطُونَ ؛ ابْنُ
دِقْمَاقٍ : الْإِنْتِصَارُ : ٥ : ١١٣ ؛ مُحَمَّدُ رَمْزِي : القَامُوسُ
الجُغْرَافِيُّ : ١ : ٤٧٤ ؛ وَفِيمَا تَقَدَّمَ : ١ : ٥٠٦-٥٠٧) .

وَعَنِ أَذْيِرَةِ وَادِي النَّطْرُونِ رَاجِعْ ، EVELYN - WHITE,
H. G., *The Monasteries of the Wadi'n Natrun, I-III*, New York 1926-33; TOUSSOUN, O., *Etude
sur Wadi Natrun, ses moines et ses cowents*,

ولقى أنطونيوس بالجبل الشرقي من حيث دَيْرِ العَرَبَةِ^(a)، وأقام عنده مُدَّةً، ثم ألبسه لباسَ الرهبانية، وأمره بالمسير إلى وادي النطرون ليقيم هناك، ففعل ذلك. واجتمع عنده الرهبانُ الكثيرة العدد، وله عندهم فضائلُ عديدة، منها: أنه كان لا يصومُ الأربعين إلا طَوِيًّا في جميعها، لا يتناول غذاءً ولا شرابًا ألبنةً، مع قيام ليلها، وكان يعمل الخوص ويتقوت منه، وما أكل خبزًا طريًا قط، بل يأخذ القرايش فيلها في نقاعة الخوص، ويتناول منها هو ورهبانه^(b) ما يُمسيك الرمق من غير زيادة، هذا قوتهم مُدَّةَ حياتهم حتى مضوا لسبيلهم.

وأما أبو مقار الإسكندراني^١، فإنه سآخ من الإسكندرية إلى مقارثيوس المذكور، وترهب على يديه.

ثم كان أبو مقار الثالث، وصار أسقفًا.

دَيْرُ بُوَيْحَنَسِ القَصِيرِ

يقال إنه عُمرَ في أيام قُسطنطين بن هيلانة. ولأبي يُحَنَسِ هذا فضائلُ مذكورة، وهو من أجل الرهبان. وكان لهذا الدير حالات شهيرة، وبه طوائف من الرهبان، ولم يبق به الآن إلا ثلاثة رهبان^٢.

دَيْرُ إِيَّاسِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهو دَيْرٌ للحبشة. وقد خرب دَيْرُ يُحَنَسِ، كما خرب دَيْرُ إِيَّاسِ، أكلت الأرضةُ أخشابهما

(a) بولاق: العربة. (b) بولاق: رهبان الدير.

(راجع، Guillaumont, A. CE art. Kellia V, pp. 1396-98؛ صموئيل السرياني: دليل الكنائس ١٧).

^٢ بدأت جامعة ميتشجان الأمريكية في يناير سنة ١٩٩٢

مَشْرُوعًا للمشح الأثري لمنطقة دَيْرِ بُوَيْحَنَسِ القَصِيرِ، ووجدت بعض أراضيات الدَيْرِ على عُفق ثلاثة أمتار من سطح الكوم، كما وجدت أكثر من خمس عشرة منشورية (أي

مَسْكَنُ الرُّهْبَانِ) في المنطقة المحيطة بالدَيْرِ. (صموئيل

السرياني: دليل الكنائس ٣٤).

^١ أبو مقار الإسكندراني أو القديس مقاريوس

السكندري، أخذ رُهْبَانِ منطقة القلابة Kellia في القرن

الرابع الميلادي، ويحتفل بعيده في ٦ بَشْنَسِ. (راجع،

Guillaumont, A., CE art. Macarius Alexandrinus, Soitv, pp. 1488-90).

وتقع منطقة القلابة بين بلدتي أبي

المطامير وحوش عيسى شمالاً وبلده الدلتجات جنوباً،

وهي المنطقة الواقعة أيضًا بين دَمَنْهُور ووادي النطرون،

وبدئ في الكشف عنها ودراستها اعتبارًا من عام ١٩٦٤.

فَسَقَطْنَا، وَصَارَ الْحَبَشَةُ إِلَى دَيْرِ سَيِّدَةِ بُوَيْحَنْسِ الْقَصِيرِ، وَهُوَ دَيْرٌ لَطِيفٌ بِجَوَارِ دَيْرِ بُوَيْحَنْسِ الْقَصِيرِ.

وبالقرب من هذ الأديرة :

دَيْرُ أَنْبَانُوبٍ

وقد خرب هذا الدَيْرُ أيضًا.

أنبانوب : هذا من أهل سَمْنُودِ قُتِلَ فِي الْإِسْلَامِ، وَوُضِعَ جَسَدُهُ فِي بَيْتٍ بِسَمْنُودِ.

دَيْرُ الْأَرْمَنِ

قريب من هذه الأديرة، وقد خرب^١.

وبجوارها أيضًا :

دَيْرُ بُوَأَشَايَ

وهو دَيْرٌ عَظِيمٌ عِنْدَهُمْ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ أَبَشَايَ هَذَا كَانَ مِنَ الرُّهْبَانِ الَّذِينَ فِي طَبَقَةِ مَقَارِئُوسِ وَبُوَيْحَنْسِ الْقَصِيرِ، وَهُوَ دَيْرٌ كَبِيرٌ جِدًّا^٢.

دَيْرُ بِلَازِيَاءِ دَيْرِ بُوَأَشَايَ

كان بيد اليعاقبة، ثم ملكته رُهبانُ السُّرْيَانِ مِنْ نَحْوِ ثَلَاثِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَهُوَ بِيَدِهِمُ الْآنَ. وَمَوَاضِعُ هَذِهِ الْأَدِيرَةِ يُقَالُ لَهَا بِرُكَّةِ الْأَدِيرَةِ.

^١ دَيْرُ الْأَنْبَا بُوَيْحَنْسِ الْقَصِيرِ، وَعَلَى مَسَافَةِ قَرِيبَةٍ مِنْهُ آثَارُ دَيْرِ الْحَبَشِ وَدَيْرِ أَنْبَانُوبِ. (Coquin, R.-G. & Martin, M., CE art. *Dayr al-Arman* III, p. 782؛ صموئيل السرياني : دليل الكنائس ٣٤).

^٢ يَقَعُ هَذَا الدَيْرُ مَعَ دَيْرِ السَّيِّدَةِ الْعَذْرَاءِ لِلسُّرْيَانِ فِي الْمَنْطِقَةِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ دَيْرِ الْبِرَامُوسِ وَدَيْرِ أَبِي مَقَارِ، وَيَتَّخِذُ عَنِ الرُّشْتِ هَاوَسَ بِمَسَافَةِ ١٢ كَمِ، وَعَنْ دَيْرِ السُّرْيَانِ =

يَرْجِعُ تَارِيخُ هَذَا الدَيْرِ إِلَى الْفَتْرَةِ الَّتِي انْتَشَرَ فِيهَا الْغُضْرُ الْأَرْمَنِي فِي مِصْرَ مَعَ قُدُومِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ بَدْرِ الْجَمَالِيِّ إِلَيْهَا فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهَجْرِيِّ / الْحَادِي عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ، وَالَّذِينَ تَزَايَدَ عَدَدُهُمْ وَأَصْبَحَ لَهُمْ تَطَرُّكٌ خَاصٌّ بِهِمْ فِي الرَّبِيعِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَرْنِ السَّادِسِ الْهَجْرِيِّ / الثَّانِي عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ. وَكُشِفَتْ هَيْئَةُ الْآثَارِ الْمِصْرِيَةِ هَذَا الدَيْرِ وَبِهِ كَنِيسَةٌ وَمَائِدَةٌ وَالْعَدِيدُ مِنْ حُجَرِ الرُّهْبَانِ. وَتَوْجَدُ إِلَى الشَّرْقِ مِنْهُ آثَارُ

دَيْرُ سَيِّدَةِ بَرْمُوس^١

على اسم السيِّدة مَرِّيم^٢. فيه بعضُ رُهْبَانٍ، ويزائره :

دَيْرُ مُوسَى

ويقالُ أبو موسى الأسود ويُقالُ بَرْمُوس ، وهذا الدَيْرُ لسيِّدة بَرْمُوس ، فبَرْمُوس اسم الدَيْر ، وله قصةٌ حاصلها أنَّ مَكْسِيْمُوس ودُوماذْيُوس كانا ولَدَي مَلِكِ الرُّومِ ، وكان لهما مُعَلِّمٌ يُقالُ له أَرَسَانْيُوس ، فسارَ المُعَلِّمُ من بلادِ الرُّومِ إلى أرضِ مصر ، وعَبَرَ بَرِّيَّةَ شِيْهَاتِ هذه ، وتَرَهَّبَ وأقامَ بها حتى مات ، وكان فاضلاً ، وأتاه في حياته ابنا الملك المذكوران ، وتَرَهَّبَا على يَدَيْهِ ، فلَمَّا ماتا ، بَعَثَ أبوهما فَبَنَى على اسميهما كنيسته بَرْمُوس .

وأبو موسى الأسود كان لِيصًا فاتِكًا قَتَلَ مائة نفس ، ثم إنَّه تَنَصَّرَ وتَرَهَّبَ ، وصَنَّفَ عِدَّةَ كُتُبٍ ، وكان مِمَّنْ يَطْوِي الأربعين في صَوْمِهِ ، وهو بَزْبَرِي .

دَيْرُ الرُّجَّاجِ

هذا الدَيْرُ خارجُ مَدِينَةِ الإسكَنْدَرِيَّةِ ، ويُقالُ له « دَيْرُ^(a) الهانطون^(b) » ، وهو على اسم بُوَجْرُجِ الكبير . ومن شَرَطِ البَطْرِكِ أَنَّهُ لا بُدَّ أن يَتَوَجَّهَ من المُعلِّقة بِمصر إلى دَيْرِ الرُّجَّاجِ هذا ، ثم إنَّهم في هذا الزَّمانِ تَرَكَوا ذلك^٣ .

فهذه أَدْبِرَةُ الصَّاقِبَةِ .

(a) ساقطة من بولاقي . (b) بولاقي : الهابطون .

^٢ هو المعروف بـ «دَيْرِ السيِّدة العذراء البَرَامُوس» ، ويقع في أقصى شمال وادي الثُّطْرُونِ ويبعد عن الرُّسْتِ هاوس بنحو ١٢ كم . (نفسه ٣٠ - ٣١) .

^٣ يُعرَفُ بالـ Pehenaton ، ويقع على بُعد تسعة كيلومترات غَرب الإسكندرية . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ١: ٢٥٨) .

= بمسافة ٥٠٠ متر . (صموئيل السرياني : دليل الكنائس ٢١، ٢٦) .

^١ يقع هذا الدَيْرُ مع دَيْرِ الأنا بيشوي في المنطقة الواقعة بين دَيْرِ البَرَامُوس ودَيْرِ أبي مَقَار ، ويُعرَفُ بـ «دَيْرِ السيِّدة العذراء السرياني» ، بسبب وجود بعض الرُهْبَانِ السرياني به (صموئيل السرياني : دليل الكنائس ٢١) .

و « لِلنِّسَاءِ دِيَارَاتٌ » تَخْتَصُّ بِهِنَ ، فَمِنْهَا :

رَيْرُ الرَّاهِبَاتِ

بَحَارَةُ زَوَيْلَةَ مِنَ الْقَاهِرَةِ ، وَهُوَ دَيْرٌ عَامِرٌ بِالْأَنْكَارِ الْمُتْرَهَّبَاتِ وَغَيْرِهِنَّ مِنْ نِسَاءِ النَّصَارَى .

رَيْرُ الْبَنَاتِ

بَحَارَةُ الرُّومِ بِالْقَاهِرَةِ . عَامِرٌ بِالنِّسَاءِ الْمُتْرَهَّبَاتِ .

رَيْرُ الْمُعَلَّقَةِ

بِمَدِينَةِ مِصْرَ . وَهُوَ أَشْهُرُ دِيَارَاتِ النِّسَاءِ ، عَامِرٌ بِهِنَ .

رَيْرُ بَرْبَارَةَ

بِمِصْرَ بِجَوَارِ كَنِيسَةِ بَرْبَارَةَ . عَامِرٌ بِالْبَنَاتِ الْمُتْرَهَّبَاتِ .

- ١٠ كانت قَدِيْسَةً فِي زَمَانِ دِقْلِيْطِيَانُوسَ ، فَعَذَّبَهَا لِتَرْجِعَ عَنِ دِيَانَتِهَا وَتَسْجُدَ
لِلْأَصْنَامِ ، فَثَبَّتَتْ عَلَى دِينِهَا ، وَصَبَّرَتْ عَلَى عَذَابٍ شَدِيدٍ - وَهِيَ يَكْتَرُ لَمْ
يَمْسَسْهَا رَجُلٌ - فَلَمَّا يَمَسَّ مِنْهَا ضَرْبَ عُنُقِهَا وَعُنُقَ عِدَّةٍ مِنَ النِّسَاءِ مَعَهَا .
وَلِلنَّصَارَى الْمَلِكِيَّةِ قَلَائِيَّةٌ بَطْرُكِهِمْ بِجَوَارِ كَنِيسَةِ مِيكَائِيلَ ، بِالْقُرْبِ مِنْ جِسْرِ الْأَفْرَمِ خَارِجَ
مِصْرَ ، وَهِيَ مَجْمَعُ الرُّهْبَانِ الْوَارِدِينَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ .

١٥

رَيْرُ يُحْسِنُ الْقَصِيرِ المعروف بالقصير

وَصَوَائِبُهُ عِنْدَهُمْ « دَيْرُ الْقَصِيرِ » ، عَلَى وَزْنِ شَهِيدٍ ، وَحُرُوفٌ فَقِيلَ « دَيْرُ الْقَصِيرِ » - بَضَمُ الْقَافِ
وَفَتْحُ الصَّادِ وَتَشْدِيدُ الْيَاءِ - فَسَمَّاهُ الْمُسْلِمُونَ دَيْرَ الْقَصِيرِ - بَضَمُ الْقَافِ وَفَتْحُ الصَّادِ وَإِسْكَانُ الْيَاءِ
أَخْرَجَ الْحُرُوفَ - كَأَنَّهُ تَصْغِيرُ قَصِيرٍ^١ .

^١ أبو المكارم : تاريخ : ١٠٦ : ١ .

وأضله - كما عرفتك - دَيْرُ الْقَصِيرِ الذي هو ضد الطويل ، وسُمِّيَ أيضًا دَيْرَ هِرْقَلٍ ، ودَيْرُ الْبَغْلِ ، وقد تَقَدَّمَ ذكره ^١ . وكان من أعظم ديارات النَّصَارَى ، وليس به الآن سوى واحدٍ يحرسه ، وهو بيد الملكة .

رَيْسُ الطُّورِ

قال ابنُ سيده : الطُّورُ الجَبَلُ ، وقد غَلَبَ على طُورِ سَيْنَاءَ - جَبَلِ الشَّامِ - وهو بالشَّرِّيَانِيَّةِ طُورَى ، والنَّسَبُ إليه طُورِيٌّ وطُورَانِيٌّ ^(a) ^٢ .

وقال ياقوتٌ : طُورٌ سبعةٌ مواضع . الأولُ : طُورُ زَيْتَا ، بَلْفَظِ الزَّيْتِ من الأذْهَانِ مَقْصُورٍ ، عَلِمَ لَجَبَلٍ بِقَرْبِ رَأْسِ عَيْنَ . الثاني : طُورُ زَيْتَا ^(b) أيضًا ، جَبَلِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، وهو شَرْقِي سُلْوَانَ ^(c) . الثالث : الطُّورُ عَلِمَ لَجَبَلٍ بِعَيْنِهِ مُطَلَّ عَلَى مَدِينَةِ طَبْرِيَّةَ بِالْأَزْدُنِ . الرابع : الطُّورُ عَلِمَ لَجَبَلِ كُورَةَ تَشْتَمِلُ عَلَى عِدَّةِ قُرَى بِأَرْضِ مِصْرَ ، من الجِهَةِ الْقِبْلِيَّةِ بَيْنَ مِصْرَ وَجَبَلِ فَارَانَ . الخامس : طُورُ سَيْنَاءَ . اِخْتَلَفُوا فِيهِ : فَقِيلَ هُوَ جَبَلٌ بِقَرَبِ أَيْلَةَ ، وَقِيلَ جَبَلٌ بِالشَّامِ ، وَقِيلَ سَيْنَاءُ حِجَازِيَّةً ^(d) ، وَقِيلَ شَجَرٌ فِيهِ ^(e) . السادس : طُورُ عَجْبِيدِينَ - / بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَسُكُونِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَكَسْرِ الدَّالِ الْمَهْمَلَةِ وَيَاءِ آخِرِ الْحُرُوفِ وَنُونِ - : اسْمٌ لِبَلَدَةٍ مِنْ نَوَاحِي نَصِيبِينَ ، فِي بَطْنِ الْجَبَلِ الْمُشْرِفِ عَلَيْهَا الْمُتَّصِلِ بِجَبَلِ جُودِي . السابع : طُورُ هَارُونَ أَخِي مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ^٣ .

٥١٠:٢

(a) بولاق : طواري . (b) بولاق : زيت . (c) بولاق : ساوان . (d) بولاق : حجازية . (e) بولاق : سحرته .

^١ فيما تقدم ، ، وراجع كذلك Fayek Ishak, CE art. *Dayr Yuhannes al-Qasir* III, pp. 883-84.
^٢ ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ٩ : ١١٩٠ وعند ياقوت : المشترك وضعا ٢٩٧ : «الطور في اللغة العبرانية اسم لكل جبل ، ثم صار علما لجبال بعينها» ، وعند البكري : «كل جبل طور ، وأيضا : الطور كل جبل أجرد لا يثبت شجره» . (الحميري : الروض المعطار ٣٩٧) . وانظر كذلك Honigman, E. & Bosworth, C.E., *El* ^٢ art. *al-Dacène, J.-Ch.*, «Une *Tûr* X, pp. 715-17 description arabe du H^{me}/10^{me} siècle du Mont Sinai», *Acta Orientalia Academiae Scientiarum*

الذي عرض فيه لوصف جديد مبكر لجبل الطور ورد في كتاب «دلائل القبلة» لابن القاص ، المتوفى سنة ٣٣٦هـ/١٩٤٧م ، ويتفق في قسم كبير منه مع وصف أبي عبيد البكري في كتاب «المسالك والممالك» . وقدم لي الصديق العزيز Jean-Michel Mouton الأستاذ في جامعة ليون Lyon II في فرنسا والمتخصص في دراسة تاريخ سيناء صورة من هذا المقال . وورد كذلك لفظ «الطور» في القرآن الكريم في عشرة مواضع ، قرن في موضعين منها مع سيناء وسينين .

^٣ ياقوت : المشترك وضعا والمفترق وضعا ٢٩٧ .

- وقال الواحدي في «تفسيره»: وقال الكلبي وغيره: والجبل في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ [الآية ١٤٣ سورة الأعراف] أعظم جبل بمدين يُقال له زبير^١، وذكر البكري^(a) أن الطور سُمي بيطور بن إسماعيل. قال الشَّهَيْلي: فَلَعَلَّهُ مَحذُوفُ الْيَاءِ إِنْ كَانَ صَحَّحَ مَا قَالَهُ.
- وقال عمر بن شبة^(b): أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْبَعَةٌ أَنْهَارٌ فِي الْجَنَّةِ، وَأَرْبَعَةٌ أَجْبَلٍ وَأَرْبَعٌ مَلَاحِمٌ فِي الْجَنَّةِ، فَأَمَّا الْأَنْهَارُ فَسَيْحَانٌ وَجَيْحَانٌ وَالنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ، وَأَمَّا الْأَجْبَلُ فَالطُّورُ وَابْنَانُ وَأُحُدٌ وَوَزْقَانُ» وَسَكَتَ عَنِ الْمَلَاحِمِ.
- وعن كعب الأختار: معاقل المسلمين ثلاثة: فمَعْقِلُهُمْ مِنَ الرُّومِ دِمَشْقُ، وَمَعْقِلُهُمْ مِنَ الدَّجَالِ الْأَزْدُنُ، وَمَعْقِلُهُمْ مِنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ الطُّورُ.
- وقال شعبة عن أزطاة بن المنذر: إِذَا خَرَجَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ خَلْقًا مِنْ خَلْقِي لَا يُطِيقُهُمْ أَحَدٌ غَيْرِي، فَمُرَّ بِنِ مَعَكَ إِلَى جَبَلِ الطُّورِ. فَمُرَّ وَمَعَهُ مِنَ الذَّرَارِيِّ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا.
- وقال طلق بن حبيب عن زُرْعَةَ: أَرَدْتُ الْخُرُوجَ إِلَى الطُّورِ، فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فَقُلْتُ لَهُ، فَقَالَ: إِذَا تَشَدُّ الرِّيحُ إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، فَدَعَّ عَنْكَ الطُّورُ فَلَا تَأْتِيهِ.
- وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، وقد ذكر كور أرض مصر: ومن كور القبلة قرى الحجاز، وهي كورة الطور وفاران، وكورة راية والقلم، وكورة أيلة وخيزها، ومدين وخيزها، والغوييد والحوزاء وخيزهما، ثم كورة بذا وشعيب [كذا].
- قلت: لا خلاف بين علماء الأخبار، من أهل الكتاب، أن جبل الطور هذا هو الذي كلم الله تعالى نبيه موسى - عليه السلام - عليه أو عنده، وبه إلى الآن دَيْرُ بَيْدِ الْمَلِكِيَّةِ، وهو عامرٌ، وفيه بُشْتَانٌ كَبِيرٌ بِهِ نَخْلٌ وَعِنَبٌ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْفَوَاكِهِ.

(a) بولاق: الكلبي. (b) بولاق: شيبه.

^١ البكري: معجم ما استعجم ٣: ٨٩٧.

وقال الشَّابِثِيُّ: وَطُورُ سَيْنَاءَ هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي تَجَلَّى فِيهِ التُّورُ لِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
 وَفِيهِ صُيْعَقٌ، وَالدَّيْرُ فِي أَعْلَى الْجَبَلِ مَبْنِي بِحَجَرٍ أَسْوَدَ، عَرِضٌ حِصْنُهُ سَبْعَ أَذْرُعَ، وَلَهُ ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ
 حَدِيدَ، وَفِي غَرْبِهِ بَابٌ لَطِيفٌ، وَقُدَّامَهُ حَجَرٌ أُقِيمَ: إِذَا أَرَادُوا رَفَعَهُ رَفَعُوهُ، وَإِذَا قَصَدَهُمْ أَحَدٌ
 أَرْسَلُوهُ، فَانْطَبَقَ عَلَى الْمَوْضِعِ، فَلَمْ يُعْرِفْ مَكَانَ الْبَابِ .
 وَدَاخِلُ الدَّيْرِ عَيْنُ مَاءٍ، وَخَارِجُهُ عَيْنٌ أُخْرَى .

وَزَعَمَ النَّصَارِيُّ أَنَّ بِهِ نَارًا مِنْ أَنْوَاعِ النَّارِ الَّتِي كَانَتْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، يَقْدُونَ مِنْهَا فِي كُلِّ
 عَشِيَّةٍ، وَهِيَ بَيْضَاءٌ لَطِيفَةٌ ضَعِيفَةٌ الْحَرَّ لَا تَحْرُقُ، ثُمَّ تَقْوَى إِذَا أَوْقَدَ مِنْهَا السَّرَاحُ .
 وَهُوَ عَامِرٌ بِالرُّهْبَانِ، وَالنَّاسُ يَقْصِدُونَهُ، وَهُوَ مِنَ الدِّيَارَاتِ الْمَوْصُوفَةِ . قَالَ ابْنُ عَاصِمٍ^(a) فِيهِ ١:

[البيسط]

يا راهبَ الدَّيْرِ مَاذَا الضُّوْءُ وَالتُّورُ فَقَدْ أَضَاءَ بَمَا فِي دَيْرِكَ الطُّورُ؟
 هَلْ حَلَّتِ الشَّمْسُ فِيهِ دُونَ أُبْرُجِهَا أَوْ غُيِبَ الْبَدْرُ فِيهِ وَهُوَ مَشْتَوْرُ؟
 فَقَالَ: مَا حَلَّهُ شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ لَكِنْ يُقْرَبُ فِيهِ الْيَوْمَ قَوْرِيْرُ

قُلْتُ: ذَكَرَ مُؤَرِّخُو النَّصَارِيِّ^٢ أَنَّ هَذَا الدَّيْرَ أَمَرَ بِعِمَارَتِهِ يُوسُطِنْيَانُوسُ، مَلِكُ الرُّومِ
 بِقُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَعَمِلَ عَلَيْهِ حِصْنٌ فَوْقَهُ عِدَّةُ قَلَالِي، وَأُقِيمَ فِيهِ الْحَرَسُ لِحِفْظِ رُهْبَانِهِ مِنْ قَوْمٍ يُقَالُ لَهُمْ
 بَنُو صَالِحٍ مِنَ الْعَرَبِ . وَفِي أَيَّامِ هَذَا الْمَلِكِ كَانَ « الْمَجْمَعُ الْخَامِسُ » مِنْ مَجَامِعِ النَّصَارِيِّ^٣ .

وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُلْزُومِ - وَكَانَتْ مَدِينَةً - طَرِيقَانِ: إِحْدَاهُمَا فِي الْبَرِّ وَالْأُخْرَى فِي الْبَحْرِ، وَهُمَا جَمِيعًا
 يُؤَدِّيَانِ إِلَى مَدِينَةِ فَارَانَ، وَهِيَ مِنْ مَدَائِنِ الْعَمَالِيقَةِ، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى الطُّورِ مَسِيرَةٌ يَوْمَيْنِ، وَمِنْ مَدِينَةِ
 مِصْرَ إِلَى الْقُلْزُومِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَيُضْعَدُ إِلَى جَبَلِ الطُّورِ بَسْتَةٌ أَلْفٌ وَسِتُّ مِائَةٌ وَسِتُّ وَسْتِينَ مَرَقَاةً .
 وَفِي نِصْفِ الْجَبَلِ كَنِيسَةٌ لِإِيلِيَاءِ النَّبِيِّ، وَفِي قَلْبِهِ كَنِيسَةٌ عَلَى اسْمِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
 بِأَسَاطِينٍ مِنْ رُخَامٍ وَأَبْوَابٍ مِنْ صُفْرٍ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ مُوسَى، وَقَطَعَ مِنْهُ

(a) بولاق والنسخ: ابن عامر، والمثبت من الديارات للشابثي ومعجم البلدان لياقوت، وانظر فيما تقدم ١٠٣٧.

^١ الشابثي: الديارات ٣١٠؛ ياقوت: معجم البلدان
^٢ ٥٢٠: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار
^٣ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ٢٠٥:١ -
 ٣٧٢:١ .
^٢ أي سعيد بن البطريق (أوتيوخوس) وهو المصدر الذي
 اعتمد عليه المقرئ. (فيما تقدم ٩٩٨) .
 ٢٠٦ .

الألواح، ولا يكون فيها إلا راهبٌ واحدٌ للخدمة، ويَزْعُمُونَ أَنَّهُ لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أن يَبِيْتَ فيها، بل يُهَيِّأُ له مَوْضِعٌ من خَارِجِ بَيْتِ فيه^١. ولم يَتَّقِ لَهَا تَيْنَ الكَنِيسَتَيْنِ وَجُودًا.

دَيْرُ البَنَاتِ بِقَضْرِ الشَّمْعِ بِمِصْرَ

وهو على اسم بوجرج^٢، وكان مِقْيَاسَ النَّيْلِ قَبْلَ الإِسْلَامِ، وبه آثَارُ ذَلِكَ إلى اليوم. وهذا ما لِلنُّصَارَى اليَعَاقِبِيَّةِ وَالْمَلِكِيَّةِ، رِجَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ، من الدِّيَارَاتِ بِأَرْضِ مِصْرَ قِبْلِيهَا وَبَحْرِيهَا، وَعِدَّتْهَا سِتَّةٌ وَثَمَانُونَ دَيْرًا؛ مِنْهَا لِلْيَعَاقِبِيَّةِ (a) دَيْرٌ، وَلِلْمَلِكِيَّةِ (a).

(a) بياض بالنسخ.

الخلفاء الفاطميون والسلاطين الأيوبيون والمماليك لُرُهْبَانِ الدَّيْرِ لِتَأْمِينِهِمْ، وَالتِّي نَشَرَّ القِسْمَ الفاطمي منها صمويل شتيرن Stern, S.M., *Fatimid Decrees. Original Documents from the Fatimid Chancery*, London Ernest, 1964؛ وَنَشَرَّ القِسْمَ المملوكي منها هانس أرنست, Ernest H., *Die mamlukischen Sultansurkunden des Sinai Klosters*, Wiesbaden 1960. كما نَشَرَّ أَحْمَدُ عَيْسَى تَوْقِيْعَاتِ الخلفاء والسلاطين الواردة في هذه الوثائق في مقال هام عنوانه: «مخطوطات ووثائق دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء»، المجلة التاريخية المصرية ٥ (١٩٥٦)، ١٠٥-١٢٤.

^٢ ربما كان الدَّيْرُ الَّذِي حُلَّ مَحَلَّهُ الآن دَيْرُ مَارِجِرْجِسَ لِلرَّاهِبِيَّاتِ. (الأبنا صموئيل: دليل الكنائس ٨٧).

^١ سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ١: ٢٠٢-٢٠٤، ونشرة Breydy ١٠٧؛ وانظر كذلك ابن أليك: كنز الدرر ٩: ١١٦؛ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ١: ٣٧١؛ Rabino, M.H.L., *Monastère de Sainte Chatherine du Mont Sinai*, Le Caire 1938; Atiya, A. S., *Monastery of St. Catherine in Mount Sinai*, Cairo 1950; Forsyth, G. H., «The Monastery of Saint Catherine at Mount Sinai. Church and Fortress of Justinian», *Dumberton Oaks Papers XXII* (1968), pp. 3-19; id., *CE art. Mount Sinai Monastery of Saint Catherine V*, pp. 1681-86. قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر

العصور الوسطى، ١٣٤-١٣٥

وتشتمل مكتبة الدَّيْرِ على الوثائق الأصلية التي منحتها

ذِكْرُ كَنَائِسِ النَّصَارَى

قال الأزهري: كَنِيسَةُ الْيَهُودِ جَمْعُهَا كَنَائِسٌ، وَهِيَ مُعَرَّبَةٌ أَضْلُهَا كُنَيْسَتْ^(a) ٢. انتهى .
وقد نَطَقَتِ الْعَرَبُ بِذِكْرِ الْكَنِيسَةِ، قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسِ السُّلَمِيِّ^٣:

[الطويل]

يَدُورُونَ بِي فِي ظِلِّ كُلِّ كَنِيسَةٍ وَمَا كَانَ قَوْمِي يَبْتَثُونَ الْكَنَائِسَا
وقال ابن قيس الرقيات^٤:

[المنسرح]

كَانَهَا دُمَيْةٌ مُصَوَّرَةٌ فِي بَيْعَةٍ مِنْ كَنَائِسِ الرُّومِ

(a) بولاق : كنشت .

١ خليل : أهم الكنائس القبطية بمنطقة مصر القديمة : حصن
بابلون والمعبد اليهودي ، القاهرة ١٩٨٥ .

٢ الأزهري : تهذيب اللغة ١٠ : ٦٤ .

٣ لم أجد البيت في السينية في الديوان .

٤ البيت في ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ،
تحقيق وشرح محمد يوسف نجم ، بيروت - دار صادر
١٩٥٨ ، ٧١ :

كانها دُمَيْةٌ مُصَوَّرَةٌ مَبِيعٌ عَلَيْهَا الزُّزْيَابُ وَالْوَرِقُ
وَوَاضِحٌ أَنَّ الْمُقْرِزِيَّ قَدْ أَطَّلَعَ عَلَى رِوَايَةٍ مُخَالِفَةٍ لِرِوَايَةِ
الدِّيَّانِ الْمُنْشُورِ !

ويَدُلُّ عَلَى مَوْضِعِ كَنِيسَةِ الْخَنْدَقِ الْآنَ الْكَاتِبُ الرَّائِيَّةُ
الرُّؤَيْسِيَّةُ الْوَاقِعَةُ فِي شَارِعِ رَمْسِيْسِ بِالْقُرْبِ مِنْ مَقْدَانِ
الْعَبَّاسِيَّةِ . (الأنبا صموئيل : دليل الكنائس ١٠٠) .

١ نَقَلَ L. Leroy هَذَا الْفَضْلَ إِلَى اللُّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ وَنَشَرَهُ

بِعَنْوَانِ Leroy, L., «Les églises des Chrétiens. Traduction de l'arabe de Makrizi», ROC XII (1907), pp. 190-208, 269-79.

وراجع عن كنائس مصر المصادر والمراجع المذكورة فيما

تقدم ١٠٢٥ هـ^١؛ وأضف إليها Butler, A.J., *Ancient Coptic Churches of Egypt*, I-II, Oxford 1884-86

(نقله إلى العربية إبراهيم سلامة إبراهيم بعنوان : الكنائس

القبطية القديمة في مصر ، ١ - ٢ ، القاهرة سلسلة الألف

كتاب الثاني ، ١٩٩٣) ؛ Barmester, O.H.E., *Guide to the Ancient Coptic Churches of Cairo*, Cairo

1951؛ رؤوف حبيب : الموجز التاريخي عن الكنائس القبطية

القديمة بالقاهرة ، القاهرة ١٩٩٧ ؛ صموئيل الشرباني :

عمارة الكنائس والأديرة الأثرية في مصر ، د.ت ؛ مرقس عزيز

كنيسة الخندق^١

ظاهرة القاهرة

إحداهما على اسم عُبريال الملاك، والأخرى على اسم مَرْقُورْيُوس، وعُرفت بِرُؤَيْس، وكان رايها مشهورًا بعد سنة ثمان مائة. وعند هاتين الكنيستين يُقْبَرُ النَّصَارَى مَوْتَاهُم، وتُعرَف بِ«مَقْبَرَةِ الخَنْدَقِ». وعُمِّرت هاتان الكنيستان عِوَضًا عن كَنَائِسِ المَقْسِ فِي الأَيَّامِ الإِسْلَامِيَّةِ.

بالدُّرْبِ المعروف بالشديد ببر زويلة، وهي لطيفة وجدد إنشائها في الخلافة الأيوبية واهتمَّ بعمارها وليُّ الدَّوْلَةِ أبو البَرَكَاتِ بُحْتَا بن أبي اللَّيْث، مُتَوَلَّى ديواني التَّحْقِيقِ والمَجْلِسِ بين سَنِي ٥٠٤ و٥٢٧هـ/١١١٥-١١٣٣م، وأضاف أبو المكارم أنها خُصِّصَتْ للكاثوليك وأن الروم والفِرَنْج وغيرهم كانوا يُقَدِّسون بها على مَذْبَحٍ مُفْرَدٍ، وإذا حَضَرَ بَطْرِكُ المَلِكِيَّةِ نَزَلَ بِهَا. (أبو المكارم: تاريخ ٤: ١). وقد خَرِبَتْ أيضًا هذه الكنيسة في واقعة الكنائس عام ٧٢١هـ/١٣٢١م، وحلَّ محلها في تاريخ لاحق كنيسة يُضَعَدُ إليها بِتَرْجٍ من المَدْخَلِ المُؤَصَّلِ للكنيسة الكبرى. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٢١٩-٧٥)؛ وانظر كذلك Wissa, M., CE art. Harit Zawayleh IV, (pp. 1207-8).

أبو المكارم: تاريخ ٥: ١-٦؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٢٢٠-٢٢١ (٧٦). النويري: نهاية الأرب ٣٢: ٢٨٥؛ مفضل بن أبي الفضائل: النهج السديد (نشرة S.Kartantamer) ٥ (451)؛ المقرئزي: السلوك ٢: ١٨٢؛ وانظر كذلك Aziz S. Aliya, CE art. Harit al-Rûm IV, pp. 1206-7. الأنا صموئيل: دليل

الكنائس ٩٩-١٠٠.

^١ دَكَرَ أبو المكارم سَعْدَ الله هَاتِنِ الكَنِيسَتَيْنِ، وَوَصَفَ الكَنِيسَةَ الأُولَى بِأَنَّهَا «الكنيسة العظمتى» وأن بها من الأبنية المُشِيدَةَ والأُخْجِبَةَ المُطَقَّمَةَ بالعاج والأبْتُوسِ والتَّصَاوِيرِ والتَّغُوشِ المُذَهَّبَةِ من عَمَلِ الصُّنَّاعِ والمُصَوِّرِينَ الأَقْبَاطِ والعُمُدِ المَرْمَرِ وغير ذلك ما يُذهل الناظرين. وأشهَمَ فِي تَرْيِينِ هذه الكنيسة جمال الكفاه أبو سعيد، أخذ موظفي الدواوين فِي الأَيَّامِ الحَافِظِيَّةِ. وَأَنَّهُ كَانَ من بين المترددين للصلاة بهذه الكنيسة وتناول القُرْبَانَ الشَّيْخُ الرَّئِيسُ صَنِيعَةُ الخِلافةِ أبو ذَكْرِي يحيى المعروف بالأخزم (الأخزم) بن الشيخ الشهيد أبي المكارم هبة الله بن مينا، المعروف بابن بولس الكاتب النَّصْرَانِي مُتَوَلَّى ديوان التَّحْقِيقِ وديوان النَّظَرِ بين سَنِي ٥٣٠-٥٤٢هـ/١١٣٦-١١٤٨م. (أبو المكارم: تاريخ ١: ١-٣؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٢١٦-٢١٧ (٧٤)). ودَكَرَ المقرئزي (فيما يلي ١٠٧٦) أن كنيستي حَازَةَ زَوِيلَةَ تَحْرُوبًا فِي واقعة الكنائس سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م، وَعَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ كَنِيسَةَ حَازَةَ زَوِيلَةَ المَوْجُودَةَ الآنَ مَحَلٌّ للكنيسة العظمتى مُخَدَّدَةٌ بِنَيْتِ فِي العَصْرِ العُثْمَانِي. (علي مبارك: الخطط التوفيقية ٦: ٢١٧-٢١٨ (٧٤-٧٥)؛ الأنا صموئيل: دليل الكنائس ٩٧-٩٨).

أما الكنيسة الثانية فكانت تُعرف بِ«كَنِيسَةِ مَارِ نِقُولَةَ»

كَنِيسَةُ حَارَةِ زُوَيْلَةَ

بالحمامة

كَنِيسَةٌ عَظِيمَةٌ عِنْدَ النَّصَارَى الْيَعاقِبَةِ ، وَهِيَ عَلَى اسْمِ السَّيِّدَةِ ، وَزَعَمُوا أَنَّهَا قَدِيمَةٌ تُعْرَفُ بِالْحَكِيمِ زَائِلُونَ ، وَكَانَ قَبْلَ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِنَحْوِ مَائَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَأَنَّهُ صَاحِبُ عُلُومٍ شَتَّى ، وَأَنَّ لَهُ كَثْرًا عَظِيمًا يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ مِنْ بَثْرِ هُنَاكَ .

كَنِيسَةٌ تُعْرَفُ بِالْمُعَيْشَةِ

بِحَارَةِ الرُّومِ مِنَ الْقَاهِرَةِ ، عَلَى اسْمِ السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ .
وَلَيْسَ لِلْيَعاقِبَةِ بِالْقَاهِرَةِ سِوَى هَاتَيْنِ الْكَنِيسَتَيْنِ .
وَكَانَ بِحَارَةِ الرُّومِ أَيْضًا كَنِيسَةٌ أُخْرَى ، يُقَالُ لَهَا :

كَنِيسَةُ بَرْبَارَةَ

هُدِمَتْ فِي سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَسَبْعَ مَائَةٍ . وَسَبَّبَ ذَلِكَ أَنَّ النَّصَارَى رَفَعُوا قِصَّةَ لِلْسُلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ يَسْأَلُونَ الْإِذْنَ فِي إِعَادَةِ مَا تَهَدَّمُ مِنْهَا ، فَأُذِنَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ ، فَعَمَّرُوهَا أَحْسَنَ مَا كَانَتْ . فَغَضِبَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَرَفَعُوا قِصَّةَ لِلْسُلْطَانِ بِأَنَّ النَّصَارَى أَخَذُوا بِجَانِبِ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ بِنَاءً لَمْ يَكُنْ فِيهَا ، فَرَسَمَ لِلْأَمِيرِ عَلَمِ الدِّينِ سِنْجَرَ الْخَازِنِ وَالِي الْقَاهِرَةِ بِهَدْمِ مَا جَدُّوهُ .

فَرَكِبَ ، وَقَدْ اجْتَمَعَ الْخَلَائِقُ ، فَبَادَرُوا وَهَدَمُوا الْكَنِيسَةَ كُلَّهَا فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ ، وَأَقَامُوا فِي مَوْضِعِهَا مِخْرَابًا ، وَأَذَّنُوا وَصَلُّوا وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ ، كُلُّ ذَلِكَ بِأَيْدِيهِمْ ، فَلَمْ تُمَكِّنْ مُعَارَضَتُهُمْ خَشْيَةَ الْفِتْنَةِ . فَاسْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى النَّصَارَى ، وَشَكَّوْا أَمْرَهُمْ لِلْقَاضِي كَرِيمِ الدِّينِ نَازِرِ الْخَاصِ ، فَقَامَ وَقَعَدَ عَضْبًا لِدِينِ أَسْلَافِهِ ، وَمَا زَالَ بِالسُّلْطَانِ حَتَّى رَسَمَ بِهَدْمِ الْمِخْرَابِ ، فَهَلِيمَ وَصَارَ مَوْضِعُهُ كَوْمَ ثُرَابٍ ، وَمَضَى الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ .

كنيسة بومنا

هذه الكنيسة قريبة من السد، فيما بين الكيمان بطريق مصر، وهي ثلاث كنائس متجاورة: إحداهما لليعاقبة، والأخرى للشريتان، وأخرى للأزمن. ولها عيد في كل سنة يجتمع إليه النصارى.

كنيسة المعلقة

بمدينة مصر، في حُطَّ قَصْرِ الشَّمْع، على اسم السيدة. وهي جليلة القدر عندهم^١، وهي غير القلاية التي تقدّم ذكرها.

كنيسة شنودة بمصر

نسبت لأبي شنودة الراهب القديم، وله أختار: منها أنه كان ممن يطوي في الأربعين إذا صام، وكان تحت يده ستة آلاف راهب يتقوت هو وإياهم من عمل الخوص، وله عدة مصنّفات^٢.

كنيسة مزيم

بجوار كنيسة شنودة. هدمها علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، أمير مصر، لما ولي من قبل أمير المؤمنين الهادي موسى في سنة تسع وستين ومائة، وهدم كنائس مخرس قسطنطين، وبذل له النصارى في تزكيتها خمسين ألف دينار فامتنع. فلما عزل بموسى بن عيسى ابن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، في خلافة هارون الرشيد، أذن موسى ابن

^١ وعرفت هذه الكنيسة بالمعلقة لأنها بُنيت فوق بُرجين من أبراج حصن بابليون الروماني الجنوبية.

^٢ ابن سعيد: المغرب (قسم مصر) ١: ١٨٣-١٨٤؛ ابن حجر: رفع الإصر ٣٣٤-٣٣٥ (عن ابن زولاق)؛ Coquin, Ch., *op.cit.*, pp. 37-45؛ الأنبا صموئيل: دليل الكنائس ٩٣.

^١ ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/ ٧٣: ٢؛ ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٠٧؛ Coquin, Ch., *Les édifices chrétiens du Vieux-Caire*, pp. 63-86; id., *CE art. Church of al-Mûallaqa II*, pp. 557-60؛ بتر، أ.: الكنائس القبطية القديمة في مصر ١: ١٨٠-٢٠٢؛ رؤوف حبيب: الكنائس القبطية القديمة بالقاهرة ١٧-٢٤؛ عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية ١: ٢٨٣-٢٩٩؛ الأنبا صموئيل: دليل الكنائس ٨٨-٨٩.

عيسى للنصارى في بُنيان الكنائس التي هدمها علي بن سليمان ، فبُنيَت كلها بمشورة الليث ابن سعد وعبد الله بن لهيعة ، وقالوا : « هو من عمارة البلاد » ، واحتجاً بأن الكنائس التي بمصر لم تُبن إلا في الإسلام في زمن الصحابة والتابعين ^١ .

كنيسة بوجرج الثقة

هذه الكنيسة في دزب بخط قصر الشمع بمصر ، يُقال له دزب الثقة ، ويُجاوِزها كنيسة سيِّدة بوجرج ^٢ .

كنيسة بربارة بمصر

كبيرة جليَّة عندهم ، وهي تُنسب إلى القديسة بربارة الراهبة ، وكان في زمانها راهبتان أباكارا ^٣ ، وهما إيسي وتكلة ، ويُعمل لهن عيدٌ عظيم بهذه الكنيسة يحضره البطريق ^٤ .

كنيسة بوسرجة

بالقرب من بربارة ، بجوار زاوية ابن الثعمان ، فيها مغارة يُقال إن المسيح وأمه مريم - عليهما السلام - جلسا بها ^٤ .

(a) بولاق : بكران .

^٤ هي الكنيسة المعروفة بـ «كنيسة أبي بروججة» St. Sergius ، وهي أقدم كنائس حوض بابلْيون ومركز أسقفية بنيت عند منقلب القرن الأول إلى القرن الثاني في زمن عبد الملك بن مروان وفي بطركية يوحنا الثالث . (نفسه ١٠٧:٤) وفي أنها في دزب بقصر الروم بخري مسجد الشيخ شمس الدين بن الثعمان ؛ Coquin, Ch., *op.cit.*, pp. 87-113 ؛ بتر ، أ. : المرجع السابق ١٦٠-١٨٠ ؛ رؤوف حبيب : المرجع السابق ٢٥-٣١ ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ١:٣٠١-٣٠٥ ؛ Grossmann, P., *CEart.*

^١ الكندي : ولاية مصر ٩٩-١٠٠ ، وفيما تقدم ١٠٠١ .

^٢ سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع ٢:٤١ .

^٣ ابن دقماق : الانتصار ٤:١٠٧ وفيه : هذه الكنيسة بقصر الروم بجوار نخوة تحبيصة يفصل بينهما مسجد ؛ Coquin, Ch., *op.cit.*, pp. 115-130 ؛ بتر ، أ. : المرجع السابق ١:٢٠٢-٢١١ ؛ رؤوف حبيب : المرجع السابق ٣٢-٣٨ ؛ عاصم محمد رزق : أطلس العمارة الإسلامية ١:٢٦٥-٢٨٢ ؛ الأنبا صموئيل : دليل الكنائس ٨٦-٨٧ .

كنيسة بابليون

في قبلي قصر الشمع بطريق جسر الأفرام^١. وهذه الكنيسة قديمة جدًا، وهي لطيفة، ويُذكَرُ /
أن تحتها كنز بابليون، وقد حُرِبَ ما حَوْلَهَا.

كنيسة تاوذرؤوس الشهيد

بجوار بابليون. نُسِبَت للشهيد تاوذرؤوس الإسفيهسلار^٢.

كنيسة بومينا

بجوار بابليون أيضًا^٣. وهاتان الكنيستَان مغلوقتان لخراب ما حَوْلَهُمَا.

كنيسة بومينا بالحرماء

وتُعرَف الحمرَاء اليوم بِحُطِّ قَنَاطِرِ السَّبَاعِ، فيما بين القاهرة ومِصر. وأُخْدِثت هذه الكنيسة في
سنة سبع عشرة ومائة من سني الهجرة، بإذن الوليد بن رفاعَة أمير مصر. فغَضِبَ وَهَيْب
اليَحْضَبِي، وَخَرَجَ عَلَى السُّلْطَانِ، وَجَاءَ إِلَى ابْنِ رِفَاعَةَ لِيَقْتِكَ بِهِ، فَأُخِذَ وَقْتِلَ، وَكَانَ وَهَيْب
مَدْرِيًّا مِنَ الْيَمَنِ قَدِيمَ إِلَى مِصر. فَخَرَجَ الْقُرَاءُ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ رِفَاعَةَ غَضَبًا لَوْهَيْبٍ وَقَاتَلُوهُ.
وَصَارَتْ مَعُونَةً، امْرَأَةٌ وَهَيْبٍ، تَطُوفُ لَيْلًا عَلَى مَنَازِلِ الْقُرَاءِ تُحَرِّضُهُمْ عَلَى الطَّلَبِ بِدَمِهِ، وَقَدْ
حَلَقَتْ رَأْسَهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً جَزَلَةً. فَأُخِذَ ابْنُ رِفَاعَةَ أَبُو عَيْسَى مَرْوَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْيَحْضَبِي
بِالْقُرَاءِ، فَاغْتَدَرَ وَخَلَّى ابْنَ رِفَاعَةَ عَنْهُمْ، فَسَكَنَتِ الْفِئْتَةُ بَعْدَمَا قَتَلَ جَمَاعَةً^٤.

^٣ نفسه ٤: ١٠٧، *Ibid.*, pp. 197-202.

^٤ الكندي: ولاية مصر ٩٩-١٠٠.

وَذَكَرَ أَبُو الْمَكَارِمِ: تَارِيخُ ٤١: ٢ (أَبُو صَالِحٍ: تَارِيخُ
٤٣)، كَنِيسَةٌ أُخْرَى بِالْحَمْرَاءِ الْوَشْطَى تُعْرَفُ بِكَنِيسَةِ أَبِي
نُقْرَةَ كَانَ يَجَاوِرُهَا فِي الْعَصْرِ الْفَاطِمِي سَكَنَ أَمِينُ الْأَمْنَاءِ
أَبِي الْيَمَنِ مَاورِسُ بْنُ مَكْرَاوَةَ بْنِ زُبَيْرِ نَاطِرِ الرَّيْفِ (مُتَوَلِّي
دِيْوَانِ أَسْفَلِ الْأَرْضِ) وَوَلَدَهُ الْوَزِيرُ الْأَوْخَدُ سَيِّدُ رُؤَسَاءِ =

Babylon I, pp. 318-19 = الأنا صموئيل: دليل
الكنائس ٨٥-٨٦).

^١ ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٠٧، Coquin, Ch.,
op.cit., pp. 179-87.

^٢ ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٠٧، *Ibid.*, pp. 189-
٩5؛ بترل، أ. المرجع السابق؛ رؤوف حبيب: المرجع السابق
٥١-٥٢؛ الأنا صموئيل: دليل الكنائس ٩٥.

ولم تزل هذه الكنيسة بالحمرَاء إلى أن كانت «واقعة هدم الكنائس» ، في أيام الناصر محمد ابن قلاوون ، علي ما يأتي ذكر ذلك والخبر عن هدم جميع كنائس أرض مصر وديارات النصارى في وقت واحد .

كنيسة الزهري

كانت في الموضع الذي فيه اليوم البركة الناصرية ، بالقرب من قناطر السباع ، في بر الخليج العزبي عزبي اللوق .

واتفق في أمرها عدة حوادث ؛ وذلك أن الملك الناصر محمد بن قلاوون لما أنشأ ميدان المهاري ، المجاور لقناطر السباع ، في سنة عشرين وسبع مائة ، قصد بناء زريبة على النيل الأعظم بجوار الجامع الطيبرسي . فأمر بنقل كوم تراب كان هناك ، وحفر ما تحته من الطين لأجل بناء الزريبة ، وأجرى الماء إلى مكان الحفر ، فصارت تغرق إلى اليوم بـ «البركة الناصرية»^١ .

وكان الشروع في حفر هذه البركة من آخر شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وسبع مائة . فلما انتهى الحفر إلى جانب كنيسة الزهري - وكان بها كثير من النصارى لا يزالون فيها ، وبجانبها أيضا عدة كنائس في الموضع الذي يعرف اليوم بحكر أقبغا ، ما بين السبع سقايات وبين قنطرة السد خارج مدينة مصر^٢ - أخذ الفعلة في الحفر حول كنيسة الزهري ، حتى بقيت قائمة في وسط الموضع الذي عينه السلطان ليحفر ، وهو اليوم بركة الناصرية ، وزاد الحفر حتى تعلقت الكنيسة . وكان القصد من ذلك أن تسقط من غير قصد لحرابها .

^٣ وصارت العائمة ، من غلمان الأمراء العمالين في الحفر ، وغيرهم في كل [واقعة الكنائس] وقت يضربون على الأمراء في طلب هدمها ، وهم يتخافلون عنهم ؛ إلى أن كان يوم الجمعة التاسع من شهر ربيع الآخر من هذه السنة ، وقت اشتغال الناس بصلاة الجمعة ،

= الشيف والقلم أبي سعد منصور (ابن الضيفي : الإشارة السلوك ٢: ٢١٦؛ وفيما تقدم ٣: ٥٤٩-٥٥٠ ، ٥٥٠-٦٣٠-

إلى من نال الوزارة ٩٣؛ ابن ميسر : أخبار مصر ٣١ ، ٦٣١ ، ٢: ٣٠٣ .

^٢ فيما تقدم ٣: ٣٨٤-٣٨٦ .

٥٦؛ المقرئ : اتعاظ الحنفا ٢: ٢٧٢) ، وأخرقت هذه

^٣ راجع تفاصيل واقعة الكنائس كذلك عند ، النويري :

الكنيسة في حريق القسطنطين سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م .

نهاية الأرب ٣٣: ١٤-١٥؛ ابن أيبك : كنز الدرر =

^١ انظر النويري : نهاية الأرب ٣٣: ١٦؛ المقرئ :

والعمل من الحفر بطال ، فتجمع عدة من غوغاء العامة بغير مرسوم السلطان ، وقالوا بصوت عالٍ مرتفع : «الله أكبر» ، ووضعوا أيديهم بالمساحي ونحوها في كنيسة الزهري ، وهدموا حتى بقيت كومتا ، وقتلوا من كان فيها من النصارى ، وأخذوا جميع ما كان فيها .

وهدموا «كنيسة بومنا» التي كانت بالحمرء - وكانت مَعْظَمَةً عند النصارى من قديم الزمان - وبها عدة من النصارى قد انقطعوا فيها ، ويحمل إليهم نصارى مصر سائر ما يحتاج إليه ، ويُنَعَث إليها بالثُذُور الجليّة والصدقات الكثيرة . فوجد فيها مال كثير ما بين نقد ومصاغ وغيره ، وتسلق العامة إلى أعلاها ، وفتحوا أبوابها ، وأخذوا منها مالا وقماشًا وجرار خمر ، فكان أمرًا مهولًا .

ثم مضوا من «كنيسة الحمرء» ، بعدما هدموها ، إلى كنيسةين بجوار السبع سقايات - تُعرف إحداهما بـ«كنيسة البنات» ، كان يسكنها بنات النصارى وعدة من الرهبان - فكسروا أبواب الكنيسةين ، وسبوا البنات ، وكنّ زيادة على ستين بنتًا - وأخذوا ما عليهن من الثياب ، ونهبوا سائر ما ظفروا به ، وخرقوا وهدموا تلك الكنائس كلها ، هذا والناس في صلاة الجمعة .

فعندما خرج الناس من الجوامع ، شاهدوا هولًا كبيرًا من كثرة العُبار ودُخان الحريق ، ومرج الناس وشدة حركاتهم ومعهم ما نهّبوه ، فما شبه الناس الحال لهؤلاء إلا بيوم القيامة ، وانتشر الخبر ، وطار إلى الرميّة تحت قلعة الجبل . فسمع السلطان ضجة عظيمة ورجة منكّرة أفزعته ، فبعث لكشف الخبر ، فلما بلغه ما وقع انزعج انزعاجًا عظيمًا ، وغضب من تجرّي العامة وإقدامهم على ذلك بغير أمره ، وأمر الأمير أيدغمش أمير آخور أن يركب بجماعة الأوشاقية ، ويتدارك هذا الخلل ، ويقبض على من فعله .

فأخذ أيدغمش يتهيأ للركوب ، وإذا بخبر قد ورد من القاهرة أن العامة ثارت في القاهرة ، وخرّبت كنيسة بخارة الروم وكنيسة بخارة زويلة . وجاء الخبر من مدينة مصر أيضًا بأن العامة قامت بمصر في جمع كثير جدًا ، وزحفت إلى «كنيسة المعلّقة» بقصر الشمع ، فأغلقها النصارى وهم محصورون بها ، وهي على أن تؤخذ .

= ٣٠٦:٩؛ مفضل بن أبي الفضائل : النهج السديد (نشرة

(S. Kortanlamer) ١٤-١٣ (442-43)؛ المقرئ : Kaniâ'is VII, pp. 2313-16.

السلوك ٢١٦:٢-٢٢٠؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة

٥١٣:٢ فتزايد غضب السلطان ، وهم أن يزكّب بنفسه / ويبتطش بالعامّة ، ثم تأخر لما راجعه الأمير
أيدغمش ، ونزل من القلعة في أربعة من الأمراء إلى مصر ، وزكّب الأمير يبيزس الحاجب والأمير
ألماس الحاجب إلى موضع الحفر ، وزكّب الأمير طينال إلى القاهرة ، وكلّ منهم في عدّة وافرة ،
وقد أمر السلطان بقتل من قدروا عليه من العامّة بحيث لا يغفرو عن أحد . فقامت القاهرة ومصر
على ساق ، وفرت الثّهابة ، فلم يظفر الأمراء منهم إلا بمن عجز عن الحركة بما غلبته من السكر
بالخمر الذي نهته من الكنائس ، ولحق الأمير أيدغمش بمصر ، وقد زكّب الوالي إلى المعلقة قبل
وُصوله ليخرج من زقاق المعلقة من حضر للثّهب ، فأخذته الرّجْم حتى فرّ منهم ، ولم يتق إلا أن
يحرق باب الكنيسة .

١٠ فجرد أيدغمش ومن معه السيوف يريدون الفتح بالعامّة ، فوجدوا عالماً لا يقع عليه حضر ،
وخاف سوء العاقبة فأمسك عن القتل ، وأمر أصحابه بإرجاف العامّة من غير إهراق دم ، ونادى
مُناديه : « من وقف حلّ دمه » . ففرّ سائر من اجتمع من العامّة وتفرّقوا ، وصار أيدغمش واقفاً إلى
أن أذن العُصْر خوفاً من عود العامّة ، ثم مضى والرّم والي مصر أن يبيت بأغوانه هناك ، وترك معه
خمسين من الأوشاقية .

١٥ وأما الأمير ألماس فإنه وصل إلى كنائس الحمراء وكنائس الزهري ليتداركها ، فإذا بها قد بقيت
كيماثا ليس بها جدار قائم ، فعاد وعاد الأمراء ، فرّدوا الخبر على السلطان وهو لا يزيد إلا حنقا ،
فما زالوا به حتى سكن غضبه .

٢٠ وكان الأمر في هدم هذه الكنائس عجباً من العجب . وهو أن الناس لما كانوا في صلاة الجمعة
من هذا اليوم بجامع قلعة الجبل ، فعندما فرغوا من الصلاة ، قام رجل مؤله وهو يصيح من وسط
الجامع : « اهدموا الكنيسة التي في القلعة اهدموها » ، وأكثر من الصياح المزعج حتى خرج عن
الحد ، ثم اضطرب . فتعجب السلطان والأمراء من قوله ، ورسم لتقيب الجيوش والحاجب
بالفحص عن ذلك ، فمضيا من الجامع إلى خرائب التتر من القلعة ، فإذا فيها كنيسة قد بُيّت
فهدمها ولم يفرغوا من هدمها حتى وصل الخبر بواقعة كنائس الحمراء والقاهرة ، فكثرت تعجب
السلطان من شأن ذلك الفقير ، وطلب فلم يوقف له على خبر .

٢٥ واتفق أيضا بالجامع الأزهر أن الناس لما اجتمعوا في هذا اليوم لصلاة الجمعة ، أخذ شخصاً من
الفقراء مثل الرّعدة ، ثم قام بعدما أذن قبل أن يخرج الخطيب ، وقال : « اهدموا كنائس الطغيان
والكفرة ، نعم الله أكبر ، فتح الله ونصره » ، وصار يُزعج نفسه ، ويصرخ من الأساس إلى

الأساس . فحدق الناس بالنظر إليه ، ولم يذروا ما خبّره ، واقترقوا في أمره ، فقائل : هذا مخجون ، وقائل : هذه إشارة لشيء . فلما خرج الخطيب أمسك عن الصياح ، وطلب بعد انقضاء الصلاة فلم يوجد ، وخرج الناس إلى باب الجامع ، فرأوا النهابة ومعهم أخشاب الكنائس وثياب النصارى وغير ذلك من الثوب ، فسألوا عن الخبر ، فقيل قد نادى السلطان بحراب الكنائس ، فظن الناس الأمر كما قيل ، حتى تبين بعد قليل أن هذا الأمر إنما كان من غير أمر السلطان . وكان الذي هدم في هذا اليوم من الكنائس بالقاهرة : كنيسة بحارة الروم ، وكنيسة بالبندقيين ، وكنيسة بحارة زويلة .

وفي يوم الأحد الثالث من يوم الجمعة - الكائن فيه هدم كنائس القاهرة ومصر - ورد الخبر من الأمير بدر الدين يتلبك المحسني ، والي الإسكندرية ، بأنه لما كان يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر بعد صلاة الجمعة ، وقع في الناس هرج ، وخرجوا من الجامع وقد وقع الصياح : هدمت الكنائس . فركب المملوك من فورهِ ، فوجد الكنائس قد صارت كوماً ، وعدتها أربع كنائس ، وأن بطاقة وقعت من والي البحيرة : بأن كنستين في مدينة دمنهور هدمتا والناس في صلاة الجمعة من هذا اليوم ، فكثرت التعجب من ذلك . إلى أن ورد في يوم الجمعة سادس عشرة الخبر ، من مدينة قوص ، بأن الناس عندما فرغوا من صلاة الجمعة في اليوم التاسع من شهر ربيع الآخر ، قام رجل من الفقراء وقال : «يا فقراء اخرجوا إلى هدم الكنائس» . وخرج في جمع من الناس ، فوجدوا الهدم قد وقع في الكنائس ، فهدمت ست كنائس كانت بقوص وما حولها في ساعة واحدة .

وتواتر الخبر من الوجه القبلي والوجه البحري بكثرة ما هدم في هذا اليوم ، وقت صلاة الجمعة وما بعدها ، من الكنائس والأديرة في جميع إقليم مصر كله ما بين قوص والإسكندرية ودمياط . فاشتد حنق السلطان على العامة خوفاً من فساد الحال ، وأخذ الأمراء في تسكين غضبه ، وقالوا : هذا الأمر ليس من قدرة البشر فعله ، ولو أراد السلطان وقوع ذلك على هذه الصورة لما قدر عليه ، وما هذا إلا بأمر الله سبحانه وبقدره لما علم من كثرة فساد النصارى وزيادة طغيانهم ، ليكون ما وقع نعمة وعذاباً لهم .

هذا والعامة بالقاهرة ومصر قد اشتد خوفهم من السلطان ، لما كان يتلغهم عنه من التهديد لهم بالقتل ، ففر عدد من الأوباش والغوغاء ، وأخذ القاضي / فخر الدين ، ناظر الجيش ، في تزجيع السلطان عن الفتك بالعامة وسياسة الحال معه ، وأخذ كريم الدين الكبير - ناظر الخاص - يُغريه بهم إلى أن أخرج السلطان إلى الإسكندرية بسبب تحصيل المال ، وكشف الكنائس التي خربت بها .

فلم يمض سوى شهر من يوم هدم الكنائس حتى وقع الحريق بالقاهرة
 [الحريق بالقاهرة ومصر] ومصر في عدة مواضع ، وحصل فيه من الشناعة أضعاف ما كان من
 هدم الكنائس^١ . فوقع الحريق في ربيع بخطر الشوائب من القاهرة في يوم السبت عاشر جمادى
 الأولى ، وسرت النار إلى ما حوله ، واستمرت إلى آخر يوم الأحد . فتلف في هذا الحريق شيء
 كثير .

وعندما أطفئ وقع الحريق بحارة الديلم ، في زقاق العريسة ، بالقرب من دور كريم الدين ناظر
 الخاص في خامس عشرين جمادى الأولى ، وكانت ليلة شديدة الريح ، فسرت النار من كل
 ناحية حتى وصلت إلى بيت كريم الدين . وبلغ ذلك السلطان فانزعج انزعاجاً عظيماً لما كان
 هناك من الحواصل السلطانية ، وسير طائفة من الأمراء لإطفائه ، فجمعوا الناس لإطفائه ، وتكاثروا
 عليه .

وقد عظم الخطب من ليلة الاثنين إلى ليلة الثلاثاء ، فتزايد الحال في اشتعال النار ، وعجز
 الناس عن إطفائها لكثرة انتشارها في الأماكن وقوة الريح التي ألقت بأسقام النخل ، وغرقت
 المراكب ، فلم يشك الناس في حريق القاهرة كلها ، وصعدوا المآذن ، وبرز الفقراء وأهل الخير
 والصالح ، وضجوا بالتكبير والدعاء وجأروا ، وكثر صراخ الناس وبكاؤهم ، وصعد السلطان إلى
 أعلى القصر فلم يتمالك الوقوف من شدة الريح .

واستمر الحريق والاشتخات يرد على الأمراء من السلطان في إطفائه إلى يوم الثلاثاء . فنزل
 نائب السلطان ومعه جميع الأمراء وسائر الشقائين ، ونزل الأمير بكتمر الشاقي ، فكان يوماً
 عظيماً لم ير الناس أعظم منه ولا أشد هولاً .

وكل أبواب القاهرة من يرد الشقائين إذا خرجوا من القاهرة لأجل إطفاء النار ، فلم يبق أحد
 من سقائي الأمراء وسقائي البلد إلا وعمل ، وصاروا ينقلون الماء من المدارس والحمامات ، وأخذ
 جميع التجارين وسائر البتائين لهدم الدور . فهدم في هذه التوبة ما شاء الله من الدور العظيمة
 والرباع الكبيرة .

^١ راجع عن أخبار هذا الحريق كذلك ، النويري : نهاية الأرب ١٥:٣٣-٢٧ ؛ ابن أبيك : كنز الدرر ٩:٣٠٦ ؛ تذكرة النبيه ٢:١٢١ المقرضي : السلوك ٢:٢٢٠-٢٢٧ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٩:٦٣-٧٣ .

وعَمِلَ في هذا الحريق أربعة وعشرون أميرًا من الأمراء المُقَدِّمِينَ ، سيوى من عداهم من أمراء
الطبلخانات والعشراوات والماليك ، وعَمِلَ الأمراء بأنفسهم فيه ، وصار الماء من باب زويلة إلى
حارة الديلم في الشارع بحرًا من كثرة الرجال والجمال التي تحمل الماء .

ووقف الأمير بكتمر الساقى والأمير أرغون النائب ، على نقل الحواصِل السلطانية من بيت
كريم الدين إلى بيت ولده بدزب الرصاصي ^١ ، وخرَّبوا ستة عشر دارًا من جوار الدار وقبالتها حتى
تمكَّنوا من نقل الحواصِل .

فما هو إلا أن كَمَلَ إطفاء الحريق ونقل الحواصِل ، وإذا بالحريق قد وَقَعَ في ربيع الظاهر خارج
باب زويلة ^٢ ، وكان يشتعل على مائة وعشرين بيتًا ، وتحتة قيسارية تُعرف بقيسارية الفقراء ^٣ ،
وهب مع الحريق ريح قوية فركب الحاجب والوالي لإطفائه ، وهدموا عدة دور من حوله حتى
انطفأ .

فوقَّع في ثاني يوم حريق بدار الأمير سلار في حط بين القصرين ^٤ ، ابتدأ من البادهنج - وكان
ارتفاعه عن الأرض مائة ذراع بالعمَل - فوقَّع الاجتهاد فيه حتى أطفئ . فأمر السلطان الأمير علم
الدين سنجر الخازن والي القاهرة ، والأمير ركن الدين بيترس الحاجب ، بالاحتراز واليقظة .

وتودي بأن يُعمَل عند كل حائوت دن فيه ماء أو زيت مملوء بالماء ، وأن يُقام مثل ذلك في جميع
الحارات والأزقة والدروب . فبلغ ثمن كل دن خمسة دراهم بعد درهم ، وثمن الزيت ثمانية دراهم .
ووقَّع حريق بحارة الروم وعدة مواضع ، حتى إنه لم يخل يوم من وقوع الحريق في موضع .

فتنبه الناس لما نزل بهم ، وظنوا أنه من أفعال النصارى - وذلك أن النار كانت تُرى في منابر
الجوامع وحيطان المساجد والمدارس - فاستعدوا للحريق ، وتبعوا الأحوال حتى وجدوا هذا الحريق
من نطف قد لُف عليه خرق مبلولة بزيت وقطران .

فلما كان ليلة الجمعة النصف من جمادى ، قبض على راهبين عندما خرجا من المدرسة
الكهارية ^٥ بعد العشاء الآخرة ، وقد اشتعلت النار في المدرسة ورائحة الكبريت في أيديهما فحملا
إلى الأمير علم الدين الخازن والي القاهرة ، فأعلم السلطان بذلك ، فأمر بعقوبتهما .

^٤ انظر فيما تقدم .

^١ انظر عن موقع دزب الرصاصي ، فيما تقدم ٣ : ١٢٣ .

^٥ انظر عن المدرسة الكهارية ، فيما تقدم ٦٧٨ .

^٢ انظر عن موقع ربيع الظاهر ، فيما تقدم ٥٠٠ .

^٣ انظر عن موقع قيسارية الفقراء ، فيما تقدم ٣ : ٣٠٠ .

فما هو إلا أن نزل من القلعة ، وإذا بالعامّة قد أمسكوا نصرانيًا ، ووجد في جامع الظاهر ومعه خرق على هيئة الكعكة في داخلها قطران ونفط ، وقد ألقى منها واحدة بجانب المنبر ، وما زال واقفا إلى أن خرج الدخان ، فمشى يريد الخروج من الجامع . وكان قد فطن به شخص ، وتأمله من حيث لم يشعر به النصراني ، فقبض عليه ، وتكاثرت الناس فجروه إلى بيت الوالي ، وهو بهيئة المسلمين ، فعوقب عند الأمير ركن الدين بيبوزس الحاجب . فاعترف بأن جماعة من النصاري قد اجتمعوا على عمل نفط وتفريقه مع جماعة من أتباعهم ، وأنه ممن أعطي ذلك ، وأمر بوضعه عند منبر جامع الظاهر .

٥١٥:٢ ثم أمر بالراهبين فعوقبا ، فاعترفوا/ أنهما من سكان دير البغل ، وأنهما هما اللذان أحرقا المواضع التي تقدم ذكرها بالقاهرة ، غيرة وحنقا من المسلمين لما كان من هدمهم الكنائس ، وأن طائفة النصاري تجتمعوا ، وأخرجوا من بينهم مالا جزيلًا لعمل هذا النفط .

١٠ واتفق وصول كريم الدين ناظر الخاص من الإسكندرية ، فعرفه السلطان ما وقع من القبض على النصاري ، فقال : النصاري لهم بطرك يرجعون إليه ، ويعرف أحوالهم . فرسم السلطان بطلب البطرک عند كريم الدين ، ليتحدث معه في أمر الحريق ، وما ذكره النصاري من قيامهم في ذلك ، فجاء في حماية والي القاهرة ، في الليل خوفاً من العامّة . فلما أن دخل بيت كريم الدين بحارة الديلم ، وأحضر إليه الثلاثة النصاري من عند الوالي ، قالوا لكريم الدين - بحضرة البطرک والوالي - جميع ما اعترفوا به قبل ذلك . فبكى البطرک عندما سمع كلامهم ، وقال : هؤلاء سفهاء النصاري قصدوا مقابلة سفهاء المسلمين على تخريبهم الكنائس . وانصرف من عند كريم الدين متجلاً مكرماً ، فوجد كريم الدين قد أقام له بغلة على بابها ليزكبتها ، فركبها وسار .

١٥ فعظم ذلك على الناس ، وقاموا عليه يداً واحدة ، فلولا أن الوالي كان يسايره وإلا هلك . وأصبح كريم الدين يريد الركوب إلى القلعة على العادة ، فلما خرج إلى الشارع ، صاحت به العامّة : ما يحل لك يا قاضي نحامي للنصاري وقد أحرقوا بيوت المسلمين ، وتزكبتهم بعد هذا البغال ، فشق عليه ما سمع ، وعظمت نكايته .

٢٠ واجتمع بالسلطان ، فأخذ يهون أمر النصاري الممسوكين ، ويذكر أنهم سفهاء وجهال . فرسم السلطان للوالي بتشديد عقوبتهم ، فنزل وعاقبهم عقوبة مؤلمة ، فاعترفوا بأن أربعة عشر راهباً بدير البغل قد تحالفوا على إخراج ديار المسلمين كلها ، وفيهم راهب يصنع النفط ، وأنهم اقتسموا القاهرة ومصر : فجعل للقاهرة ثمانية ، ولمصر ستة .

فكَبَسَ دَيْرَ البَغْلِ ، وَقَبِضَ عَلَى مَنْ فِيهِ ، وَأَحْرَقَ مِنْ جَمَاعَتِهِ أَرْبَعَةَ بَشَارِعَ صَلِيْبِيَّةِ جَامِعِ ابْنِ طُولُونَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، وَقَدْ اجْتَمَعَ لِمُشَاهَدَتِهِمْ عَالَمٌ عَظِيمٌ . فَضَرَى مِنْ حَيْثُذِ جُمُهورِ النَّاسِ عَلَى النَّصَارَى ، وَفَتَكُوا بِهِمْ ، وَصَارُوا يَسْلُبُونَ مَا عَلَيْهِمْ مِنَ الثِّيَابِ ، حَتَّى فَحَشَ الأَمْرُ ، وَتَجَاوَزُوا فِيهِمِ المِقْدَارَ ، فَغَضِبَ السُّلْطَانُ مِنْ ذَلِكَ ، وَهَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِالْعَامَّةِ .

٥ وَأَتَّفَقَ أَنَّهُ رَكِبَ مِنَ القَلْعَةِ يُرِيدُ المَيْدَانَ الكَبِيرَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ ، فَرَأَى مِنَ النَّاسِ أُمَّةً عَظِيمَةً قَدْ مَلَأَتِ الطُّرُقَاتِ ، وَهُمْ يَصِيحُونَ : «نَصَرَ اللهُ الإِسْلَامَ» ، «انصُرْ دِينَ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ» ، فَخَرَجَ مِنْ ذَلِكَ . وَعِنْدَمَا نَزَلَ المَيْدَانَ ، أَحْضَرَ إِلَيْهِ الخَازِنُ نَصْرَانِيَيْنِ قَدْ قُبِضَ عَلَيْهِمَا وَهُمَا يَحْرِقَانِ الدُّورَ ، فَأَمَرَ بِتَحْرِيقِهِمَا ، فَأَخْرِجَا وَغَمِلَ لِهَما حَفْرَةً ، وَأَحْرَقَا بِمَرَأَى مِنَ النَّاسِ .

وَبِئْسَ هُمْ فِي إِحْرَاقِ النَّصْرَانِيَيْنِ إِذَا بَدِيوَانِ الأَمِيرِ بَكَتَمُرَ السَّاقِي قَدْ مَرَّ يُرِيدُ بَيْتَ الأَمِيرِ بَكَتَمُرَ ،

١٠ وَكَانَ نَصْرَانِيًّا ، فَعِنْدَمَا عَايَنَهُ العَامَّةُ ، أَلْقَوْهُ عَنِ دَائِيَّتِهِ إِلَى الأَرْضِ ، وَجَرَّدُوهُ مِنْ جَمِيعِ مَا عَلَيْهِ مِنَ الثِّيَابِ ، وَحَمَلُوهُ لِيُلْقُوهُ فِي النَّارِ ، فَصَاحَ بِالشَّهَادَتَيْنِ ، وَأَظْهَرَ الإِسْلَامَ ، فَأُطْلِقَ . وَأَتَّفَقَ مَعَ هَذَا مُرُورُ كَرِيمِ الدِّينِ ، وَقَدْ لَبَسَ التَّشْرِيفَ مِنَ المَيْدَانَ ، فَرَجَمَهُ مِنْ هُنَالِكَ رَجْمًا مُتَتَابِعًا ، وَصَاحُوا بِهِ : «كَمْ تُحَامِي لِلنَّصَارَى وَتَشُدُّ مَعَهُمْ» ، وَلَعَنُوهُ وَسَبُّوهُ . فَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنَ العُودِ إِلَى السُّلْطَانِ وَهُوَ بِالْمَيْدَانَ وَقَدْ اشْتَدَّ ضَجِيجُ العَامَّةِ وَصِيَاخُهُمْ حَتَّى سَمِعَهُمُ السُّلْطَانُ .

١٥ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ ، وَأَعْلَمَهُ الخَبَرَ ، امْتَلَأَ غَضَبًا ، وَاسْتَشَارَ الأَمْرَاءَ - وَكَانَ بِحَضْرَتِهِ مِنْهُمُ الأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ نَائِبُ الكَرَكِ ، وَالأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ البُوبَكْرِي ، وَالخَطِيرِي ، وَبَكَتَمُرَ الحَاجِبِ فِي عِدَّةٍ أُخْرَى - فَقَالَ الأَبُوبَكْرِي : العَامَّةُ عَمَى ، وَالمُصْلَحَةُ أَنْ يُخْرَجَ إِلَيْهِمُ الحَاجِبُ ، وَيَسْأَلَهُمْ عَنِ اخْتِيَارِهِمْ حَتَّى يُعْلَمَ . فَكَرِهَ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ السُّلْطَانِ ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ . فَقَالَ نَائِبُ الكَرَكِ : كُلُّ هَذَا مِنْ أَجْلِ الكُتَابِ النَّصَارَى ، فَإِنَّ النَّاسَ أَبْغَضُوهُمْ ، وَالرَّأْيُ أَنَّ السُّلْطَانَ لَا يَعْمَلُ فِي العَامَّةِ شَيْئًا ،

٢٠ وَإِنَّمَا يَغْزِلُ النَّصَارَى مِنَ الدِّيوانِ . فَلَمْ يُعْجِبْ هَذَا الرَّأْيَ أَيْضًا ، وَقَالَ لِلأَمِيرِ أَلْمَاسِ الحَاجِبِ : امْضُ وَمَعَكَ أَرْبَعَةٌ مِنَ الأَمْرَاءِ ، وَضَعْ السَّيْفَ فِي العَامَّةِ مِنْ حِينَ تَخْرُجُ مِنْ بَابِ المَيْدَانَ إِلَى أَنْ تَصِلَ إِلَى بَابِ زَوَيْلَةَ ، وَاضْرِبْ فِيهِمُ بِالسَّيْفِ مِنْ بَابِ زَوَيْلَةَ إِلَى بَابِ النَّصْرِ بِحَيْثُ لَا تَرْفَعُ السَّيْفَ عَنْ أَحَدٍ أَلْبَنَةَ . وَقَالَ لُوَالِي القَاهِرَةِ : ازْكَبْ إِلَى بَابِ اللُّوقِ وَإِلَى بَابِ البَحْرِ ، وَلَا تَدْعُ أَحَدًا حَتَّى تَقْبِضَ عَلَيْهِ وَتَطْلُعَ بِهِ إِلَى القَلْعَةِ ، وَمَتَى لَمْ تُحْضِرِ الَّذِينَ رَجَمُوا وَكَيْلِي -

٢٥ يَعْنِي كَرِيمَ الدِّينِ - وَإِلَّا وَحَيَاةَ رَأْسِي سَنَنْتَكَ عِوَضًا عَنْهُمْ ، وَعَمِينَ مَعَهُ عِدَّةٌ مِنَ المَمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ .

فَخَرَجَ الْأَمْرَاءُ بَعْدَمَا تَلَكَّأُوا فِي الْمَسِيرِ حَتَّى اسْتَهْرَ الْخَبِيرُ ، فَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا مِنَ النَّاسِ حَتَّى وَلَا
عِلْمَانَ الْأَمْرَاءِ وَخَوَاشِيهِمْ . وَوَقَعَ الْقَوْلُ بِذَلِكَ فِي الْقَاهِرَةِ ، فَغُلِّقَتِ الْأَشْوَاقُ جَمِيعُهَا ، وَحَلَّ
بِالنَّاسِ أَمْرٌ لَمْ يُسْمَعْ بِأَشَدِّ مِنْهُ ، وَسَارَ الْأَمْرَاءُ فَلَمْ يَجِدُوا فِي طُولِ طَرِيقِهِمْ أَحَدًا إِلَى أَنْ بَلَغُوا بَابَ
النُّصْرِ ، وَقَبَضَ الْوَالِي مِنْ بَابِ اللُّوقِ وَنَاحِيَةِ بُولَاقٍ وَبَابِ الْبَحْرِ كَثِيرًا مِنَ الْكَلَابِزِيَّةِ وَالتَّوَابِيَةِ
وَأَسْقَاطِ النَّاسِ .

فَاسْتَدَّ الْخَوْفُ ، وَعَدَّى كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَى الْبَرِّ الْعَرَبِيِّ بِالْحِيْزَةِ ، وَخَرَجَ السُّلْطَانُ مِنَ الْمَيْدَانِ ،
فَلَمْ يَجِدْ فِي طَرِيقِهِ إِلَى أَنْ صَعِدَ قَلْعَةَ الْجَبَلِ / أَحَدًا مِنَ الْعَامَّةِ . وَعِنْدَمَا اسْتَقَرَّ بِالْقَلْعَةِ ، سَيَّرَ إِلَى
الْوَالِي يَسْتَعِجِلُ حُضُورَهُ ، فَمَا غَزَبَتْ الشَّمْسُ حَتَّى أَحْضَرَ يَمُنَّ أَمْسَكَ مِنَ الْعَامَّةِ نَحْوَ مَائَتِي
رَجُلٍ . فَعَزَلَ مِنْهُمْ طَائِفَةً أَمَرَ بِسُنْقِهِمْ ، وَجَمَاعَةً رَسَمَ بِتَوْسِيْطِهِمْ ، وَجَمَاعَةً رَسَمَ بِقَطْعِ أَيْدِيهِمْ .
فَصَاحُوا بِأَجْمَعِهِمْ : يَا خَوْنُدُ ، مَا يَجِلُّ لَكَ ، مَا نَحْنُ الَّذِينَ رَجَمْنَا . فَبَكَى الْأَمِيرُ بِكَثْرَةِ السَّاقِي ،
وَمِنْ حَضَرَ مِنَ الْأَمْرَاءِ رَحْمَةً لَهُمْ ، وَمَا زَالُوا بِالسُّلْطَانِ إِلَى أَنْ قَالَ لِلْوَالِي : اغْزِلْ مِنْهُمْ جَمَاعَةً ،
وَانْصُبِ الْخَشَبَ مِنْ بَابِ زَوَيْلَةَ إِلَى تَحْتِ الْقَلْعَةِ بِسُوقِ الْخَيْلِ وَعَلِّقْ هَؤُلَاءِ بِأَيْدِيهِمْ . فَلَمَّا أَصْبَحَ
يَوْمَ الْأَحَدِ ، عَلَّقَ الْجَمِيعَ مِنْ بَابِ زَوَيْلَةَ إِلَى سُوقِ الْخَيْلِ ، وَكَانَ فِيهِمْ مِنْ لَهْ بَزَّةٍ وَهَيْبَةٍ ، وَمَرَّ
الْأَمْرَاءُ بِهِمْ ، فَتَوَجَّعُوا لَهُمْ وَبَكَوْا عَلَيْهِمْ . وَلَمْ يَفْتَحْ أَحَدٌ مِنْ أَبْوَابِ الْحَوَانِيتِ بِالْقَاهِرَةِ وَمِضَرَ فِي
هَذَا الْيَوْمِ حَانُوتًا ، وَخَرَجَ كَرِيمُ الدِّينِ مِنْ دَارِهِ يُرِيدُ الْقَلْعَةَ عَلَى الْعَادَةِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْمُرُورَ عَلَى
الْمَصْلُوبِينَ ، وَعَدَلَ عَنْ طَرِيقِ بَابِ زَوَيْلَةَ .

وَجَلَسَ السُّلْطَانُ فِي الشُّبَّاكِ ، وَقَدْ أَحْضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَمَاعَةً مِّنْ قَبَضَ عَلَيْهِمُ الْوَالِي ، فَقَطَّعَ
أَيْدِي وَأَرْجُلَ ثَلَاثَةَ مِنْهُمْ ، وَالْأَمْرَاءُ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْكَلَامِ مَعَهُ فِي أَمْرِهِمْ لِشِدَّةِ حَنْقِهِ .
فَتَقَدَّمَ كَرِيمُ الدِّينِ ، وَكَشَفَ رَأْسَهُ ، وَقَبَلَ الْأَرْضَ وَهُوَ يَسْأَلُ الْعَفْوَ ، فَقَبِلَ سُؤَالَهُ وَأَمَرَ بِهِمْ أَنْ
يَعْمَلُوا فِي حَفِيرِ الْحِيْزَةِ ، فَأَخْرِجُوا وَقَدْ مَاتَ مِمَّنْ قَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ اثْنَانِ ، وَأُنْزِلَ الْمُعَلَّقُونَ مِنْ عَلَى
الْخَشَبِ .

وَعِنْدَمَا قَامَ السُّلْطَانُ مِنَ الشُّبَّاكِ ، وَقَعَ الصَّوْتُ بِالْحَرِيقِ فِي جِهَةِ جَامِعِ ابْنِ طُولُونَ ، وَفِي قَلْعَةِ
الْجَبَلِ ، وَفِي بَيْتِ الْأَمِيرِ رُكْنِ الدِّينِ الْأَحْمَدِيِّ بِحَارَةِ بَهَاءِ الدِّينِ ، وَبِالْفُنْدُقِ خَارِجِ بَابِ الْبَحْرِ مِنَ
الْمَقْسِ ، وَمَا قَوَّعَهُ مِنَ الرَّبْعِ . وَفِي صَبِيحَةِ يَوْمِ هَذَا الْحَرِيقِ ، قُبِضَ عَلَى ثَلَاثَةِ مِنَ النَّصَارِيِّ وَوُجِدَ
مَعَهُمْ فَتَاتِلِ النَّفْطِ ، فَأَحْضِرُوا إِلَى السُّلْطَانِ ، وَاعْتَرَفُوا بِأَنَّ الْحَرِيقَ كَانَ مِنْهُمْ ، وَاسْتَمَرَ الْحَرِيقُ فِي
الْأَمَاكِنِ إِلَى يَوْمِ السَّبْتِ .

فلما ركب السلطان إلى الميدان على عادته ، وجد نحو عشرين ألف نفس من العامة قد صبغوا خرقاً بلون أزرق ، وعملوا فيها ضلباناً بيضاً ، وعندا رأوا السلطان صاحوا بصوت عالٍ واحد : « لا دين إلا دين الإسلام » . « نصر الله دين محمد بن عبد الله » . « يا ملك الناصر يا سلطان الإسلام انصرونا على أهل الكفر ، ولا تنصر النصارى » . فازجت الدنيا من هول أصواتهم ، وأوقع الله الرعب في قلب السلطان وقلوب الأمراء ، وسار وهو في فكر زائد حتى نزل بالميدان ، وصراخ العامة لا يتطبل . فرأى أن الرأي في استعمال المداواة ، وأمر الحاجب أن يخرج وينادي بين يديه : من وجد نصرانياً فله ماله ودمه ، فخرج ونادى بذلك ، فصاحت العامة وصرخت : « نصرك الله » ، وضجوا بالدعاء .

وكان النصارى يلبسون العمامم البيض ، فتودي في القاهرة ومصر : « من وجد نصرانياً بعمامة بيضاء حل له دمه وماله ، ومن وجد نصرانياً راكباً حل له دمه وماله » . وخرج مرشوم بلبس النصارى العمامة الزرقاء ، وألا يركب أحد منهم فرساً ولا بغلاً ، ومن ركب حماراً فليركبه مقلوباً ، ولا يدخل نصراني الحمام إلا وفي عنقه جرس ، ولا يتزياً أحد منهم بزى المسلمين .

ومنع الأمراء من استخدام النصارى ، وأخرجوا من ديوان السلطان ، وكُتِب لسائر الأعمال بصرف جميع المباشرين من النصارى ، وكثر إيقاع المسلمين بالنصارى حتى تركوا السقي في الطرقات ، وأسلم منهم جماعة كثيرة^١ . وكان اليهود قد سكت عنهم في هذه المدة ، فكان النصراني إذا أراد أن يخرج من منزله ، يشتعير عمامة صفراء من أحد من اليهود ، ويلبسها حتى يسلم من العامة .

واتفق أن بعض دواوين النصارى كان له عند يهودي مبلغ أربعة آلاف درهم نُقِرَة ، فصار إلى بيت اليهودي وهو متنكر في الليل ليطلبه ، فأمسكه اليهودي وقال : أنا بالله وبالمسلمين ، وصاح . فاجتمع الناس لأخذ النصراني ، ففر إلى داخل بيت اليهودي ، واستجار بامرأته ، وأشهد عليه بإبراء اليهودي حتى خلص منه .

وعثر على طائفة من النصارى بدير الخندق يعملون النقط لإحراق الأماكن ، فقبض عليهم وسُمروا .

^١ انظر فيما تقدم ١٠٢٠-١٠٢١ .

ونودي في الناس بالأمان، وأنهم يتفرجون على عادتهم عند ركوب السلطان إلى الميدان .
 وذلك أنهم كانوا قد تحوفوا على أنفسهم لكثرة ما أوقفوا بالنصارى، وزادوا في الخروج عن
 الحد، فاطمأنوا وخرجوا على العادة إلى جهة الميدان، ودعوا للسلطان، وصاروا يقولون: «نصرك
 الله يا سلطان الأرض، اصطلحنا اصطلحنا»، وأعجب السلطان ذلك، وتبسم من قولهم .
 وفي تلك الليلة وقع حريق في بيت الأمير ألماس الحاجب من القلعة، وكان الريح شديدا،
 فقويت النار وسرت إلى بيت الأمير أتمش، فانزعج أهل القلعة وأهل القاهرة، وحسبوا أن القلعة
 جميعها احترقت .

ولم يسمع بأشنع من هذه الكائنة . فإنه احترق على يد النصارى بالقاهرة ربع في سوق
 الشوائين، وزقاق العريسة بخارة الديلم، وستة عشر بيتا بجوار بيت كريم الدين، وعدة أماكن
 بخارة الروم، ودار بهادر بجوار المشهد الحسيني، وأماكن يسطبل الطارمة وبدرب العسلي،
 وقصر أمير سلاح، وقصر سلار بخط بين القصرين، وقصر يتسري، ونحان الحجر والجملون،
 وقيسارية الأدم، ودار يتبوس / بخارة الصالحية، ودار ابن المغربي بخارة زويلة، وعدة أماكن
 بخط يثر الوطاويط وبالحكر وفي قلعة الجبل، وفي كثير من الجوامع والمساجد، إلى غير ذلك من
 الأماكن بمصر والقاهرة يطول عددها .

وخرب من الكنائس «كنيسة بحرائب التتر» من قلعة الجبل، و«كنيسة الزهري» في الموضع
 الذي فيه الآن البركة الناصرية، و«كنيسة الحمراء» و«كنيسة بجوار السبع سقايات تعرف ب«كنيسة
 البنات»، و«كنيسة أبي المنيا»، و«كنيسة الفهادين» بالقاهرة، و«كنيسة بخارة الروم»، و«كنيسة
 بالبندقابين»، و«كنيستان بخارة زويلة»، و«كنيسة بخزانة البثود»، و«كنيسة بالحنديق»، و«أربع
 كنائس بشعر الإسكندرية»، و«كنيستان بمدينة دمنهور الوحش»، و«أربع كنائس بالغربية»،
 و«ثلاث كنائس بالشرقية»، و«ست كنائس بالبهنساوية»، وبشيوط ومنقلوط ومئية الخصيب
 «ثمان كنائس»، وبقوص وأسوان «إحدى عشرة كنيسة»، وبالأطفيحية «كنيسة»، وبسوق
 وردان من مدينة مصر، وبالمصاصة وقصر الشمع من مصر «ثمان كنائس». وخرب من الديار
 شيء كثير، وأقام دَيْرُ البغلِ ودَيْرُ شهرانِ مُدَّةً ليس فيهما أحد .

وكانت هذه الخطوب الجليلة في مدة يسيرة، قلما يقع مثلها في الأزمان المتطاولة، هلك فيها
 من الأنفس، وتلف فيها من الأموال وخرب من الأماكن، ما لا يمكن وصفه لكثرته، والله عاقبة
 الأمور .

كنيسة ميكايل

هذه الكنيسة كانت عند خليج بني وائل خارج مدينة مصر، قبلي عقبة يحضب، وهي الآن قرية من جسر الأفرم، أُعيدت في الإسلام، وهي مليحة البناء.

كنيسة مريم

في بساتين الوزير قبلي بركة الحبش، خالية ليس بها أحد.

كنيسة مريم

بناحية العدوية من قبليها قديمة، وقد تلاشت^١.

كنيسة أنطونيوس

بناحية بياض^٢ قبلي أطيح، وهي مُحدثة.

١٠ وكان بناحية شرنوب عدة كنائس خربت، وبقي بناحية أهريت الجبل^٣ قبلي بياض بيومين.

رؤوف حبيب: الكنائس القبطية (٥٣).

^٢ بياض. تقع على الجانب الشرقي للنيل، وهي إحدى قرى محافظة بني سويف، وتُعرف الآن بـ«بياض النصارى» لكثرة عدد النصارى بها. (محمد رمزي: القاموس الجغرافي ١٥٩:٣/٢).

^٣ أهريت الجبل. تقع على الشاطئ الشرقي للنيل، عُرفت ابتداءً من العصر العثماني باسم الشيخ فضل، صاحب المقام الكائن بها. وهي إحدى قرى مركز بني مزار بمحافظة المنيا. (محمد رمزي: القاموس الجغرافي ٢/٣:٢١٣-٢١٤).

^١ ذكر أبو المكارم أن كنيسة مريم شيدتها امرأة اسمها عدوية وصلت من المغرب في زمن المعز لدين الله في منطقة نية السودان المعروفة بالعدوية، وهي تعادل الآن منطقة المعادي القديمة جنوب القاهرة. واهتم بعمارة هذه الكنيسة في عصر الدولة الفاطمية الشيخ أبو اليعن وزير ابن عبد المسيح متولي الديوان بأسفل الأرض في وزارة الأفضل شاهنشاه وخلافة الأمير بأحكام الله. ويدل على موضعها الكنيسة القائمة الآن على الشاطئ الشرقي للنيل بين ضاحيتي المعادي وطرا جنوب القاهرة والمعروفة بـ«كنيسة القذراء». (أبو المكارم: تاريخ ٥٤:٢-٥٥؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي ١٧:٣/٢-١٨؛ Coquin, R.-G. & Martin, M., CEart. Dayr al-Adawiyyah III, pp. 712-13

كَنِيسَةُ السَّيِّدَةِ

بناحية أشكرا^١ وعلى بابها بُرِّجٌ مَبْنِي بِلَيْسٍ كِبَارٍ، يُذَكِّرُ أَنَّهُ مَوْضِعُ وُلْدِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

كَنِيسَةُ مَرْيَمَ

بناحية الخُصُوصِ^٢، وَهِيَ بَيْتٌ فَعَمِلُوهُ كَنِيسَةً لَا يُغْبَأُ بِهَا.

كَنِيسَةُ مَرْيَمَ، وَكَنِيسَةُ بَحْسِ الْقَصِيرِ، وَكَنِيسَةُ عُثْرِيَالِ

هذه الكنائس الثلاث بناحية أثنوب^٣.

كَنِيسَةُ إِسْبُوطِ

ومعناه المخلص

هذه الكنيستة بمدينة إخميم، وهي كنيستة مُعَظَّمَةٌ عندهم، وهي على اسم الشُّهَدَاءِ، وفيها يَبْرُزُ إِذَا جُعِلَ مَأْوَاهَا فِي الْقَيْدِيلِ صَارَ أَحْمَرَ قَانِيًا كَأَنَّهُ الدَّمُ.

كَنِيسَةُ مِيكَائِيلِ

بمدينة إخميم^٤ أيضًا.

ومن عادة النَّصَارَى بهَاتَيْنِ الكَنِيسَتَيْنِ إِذَا عَمِلُوا عِيدَ الزَّيْتُونَةِ - المعروف بعِيدِ الشُّعَائِينَ - أَنْ يَخْرُجَ الْقُسُوسُ وَالشُّمَامِسَةُ بِالْحَجَامِرِ وَالْبَحُورِ وَالصُّلْبَانَ وَالْأَنَاجِيلِ وَالشُّمُوعَ الْمُشَعَّلَةَ، وَيَقْفُوا عَلَى

^١ أشكرا. تقع شرق النيل، وهي من أعمال الأَطْفِيحِيَّةِ بِمَرْكَزِ الصُّفِّ بِمَحَافِظَةِ الْجِيزَةِ. (محمد رمزي: القاموس الجغرافي ٣/٢: ٢٥؛ وفيما تقدم ١: ٥٥٨).

^٢ الخُصُوصُ. قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ صَعِيدِ مِصْرَ شَرْقِي النَّيْلِ قِبَالَةَ أَشْيُوطَ، قَالَ يَاقُوتُ: «كُلُّ مَنْ فِيهَا نَصَارَى». وَظَلَّتْ تُعْرَفُ بِهَذَا الْإِسْمِ إِلَى سَنَةِ ١٢٣٠هـ/١٨١٥مِ الَّتِي قُلِّدَ فِيهَا

^٣ أثنوب. أخذ مراكز محافظة أشيوط، تُعْرَفُ الْآنَ بِ«أَثْنُوبِ النَّصَارَى». (نفسه ٣: ٤/٢).

^٤ إخميم. انظر عنها فيما تقدم ١: ٦٤٩ - ٦٥٠.

باب القاضي ، ثم أبواب الأعيان من المسلمين ، فيبخرُوا ويقرأوا فضلاً من الإنجيل ، ويطرخوا له طرخوا ؛ يعني يمدحونه .

كنيسة بونخوم

بناحية إئفه^١ ، وهي آخر كنائس الجانب الشرقي . وبخوم - ويقال بخومئوس - كان راهباً في زمن بوشنودة ، ويقال له أب الشراكة من أجل أنه كان يرعى الرهبان ، فيجعل لكل راهب مقلماً ، وكان لا يمكن من دخول الخمر ولا اللحم إلى ديره ، ويأمر بالصوم إلى آخر التاسعة من النهار ، ويطعم رهبانه الخمص المصلوق - ويقال له عندهم حصص القلة - وقد خرب ديره ، وبقيت كنيسة هذه بإئفه قبلي إخميم .

كنيسة مرقص الإنجيلي بالجيزة

خربت بعد سنة ثمان مائة ، ثم عمرت . ومرقص هذا أحد الخواريين ، وهو صاحب كرسي مضر والحبشة .

كنيسة بوجرج

بناحية أبي الثموس من الجيزة . هدمت في سنة ثمانين وسبع مائة - كما تقدم ذكره - ثم أعيدت بعد ذلك .

كنيسة بوفار

آخر أعمال الجيزة .

^١ إئفه . إحدى قرى مركز إخميم بمحافظة سوهاج ، رمزها : القاموس الجغرافي ٤/٢ : ١١٣ ؛ الأنبا صموئيل : تُعرف الآن باسم : إذفا ، على بُعد عشرة كيلومترات غرب سوهاج وثلاثة كيلومترات شرق دير الأنبا بشاي . (محمد

كَنِيسَةُ سُشُورَةَ

بناحية هِرَبَشْت^١.

كَنِيسَةُ بُوجُرْج

بناحية بِتَا^٢: وهي جَلِيلَةٌ عندهم يَأْتُونَهَا بِالتُّدُورِ، وَيَخْلِفُونَ بِهَا، وَيَجْهَدُونَ لَهَا فَضَائِلَ مُتَعَدَّةً.

كَنِيسَةُ مَارُوطَا القُدَيْسِ

بناحية سُشُوطَا^٣: وهم يُبَالِغُونَ فِي مَارُوطَا هَذَا، وَكَانَ مِنْ عُظَمَاءِ رُهبَانِهِمْ، وَجَسَدُهُ / فِي ٥١٨:٢
أَنْبُوبِيَّةَ بَدَيْرِ بُوبِشَايَ مِنْ بَرِّيَّةِ شِيهَاتٍ يَزُورُونَهُ إِلَى الْيَوْمِ.

كَنِيسَةُ مَرْزِيمِ بِالْمَنْسَا

وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ بِالْبَهْنَسَا ثَلَاثَ مِائَةٍ وَسِتُونَ كَنِيسَةً خَرِبَتْ كُلُّهَا، وَلَمْ يَبْقَ بِهَا إِلَّا هَذِهِ الْكَنِيسَةُ لَا غَيْرَ.

كَنِيسَةُ صَمُوئِيلِ

الرَّاهِبِ بِبناحية شَبْرِي.

كَنِيسَةُ مَرْزِيمِ

بناحية طَنْبَدِي، وهي قَدِيمَةٌ.

^١ هِرَبَشْت. إحدى قرى مركز بيتا بمحافظة بني (نفسه ١٣٧:٣/٢).

سُوَيْف. (محمد رمزي: القاموس الجغرافي ١٤٢:٣/٢). ^٣ سُشُوطَا. إحدى قرى مركز بيتا بمحافظة بني سُوَيْف

^٢ بيتا. قاعدة مركز بيتا تقع غربي الثيل، إحدى قرى الأعمال البهنساوية، وهي الآن ضمن محافظة بني سُوَيْف. (نفسه الأعمال البهنساوية، وهي الآن ضمن محافظة بني سُوَيْف. (١٣٩:٣/٢).

كنيسة ميخائيل

بناحية طنبدي، وهي كبيرة قديمة، وكان هناك كنائس كثيرة خربت. وأكثر أهل طنبدي نصارى أصحاب صنائع.

كنيسة الأيضطوي

أعني الرشل بناحية أشنين، وهي كبيرة جدًا.

كنيسة مزيم

بناحية أشنين أيضًا، وهي قديمة.

كنيسة ميخائيل وكنيسة غبريال

بناحية أشنين أيضًا. وكان بهذه الناحية مائة وستون كنيسة، خربت كلها إلا هذه الكنائس الأربعة. وأكثر أهل أشنين نصارى، وعليهم الدرك في الخفارة. وبظاهرها آثار كنائس يعملون فيها أعيادهم: منها كنيسة بوجرج، وكنيسة مزيم، وكنيسة ماروطا، وكنيسة بزبارة، وكنيسة كفريل، وهو جبريل عليه السلام.

وفي مئنة ابن خصيب ست كنائس: كنيسة المعلقة وهي كنيسة السيدة، وكنيسة بطرس وبولص، وكنيسة ميكايل، وكنيسة بوجرج، وكنيسة أنبا بولا الطمويهي، وكنيسة الثلاث فتية - وهم حنانيا، وعزازيا، وميصائيل - وكانوا أجنادا في أيام بُخت نصر، فعبدوا الله تعالى خفية. فلما عثروا عليهم، زاودهم بُخت نصر أن يرجعوا إلى عبادة الأصنام، فامتنعوا من ذلك فسجنهم مدة ليرجعوا، فلم يرجعوا، فأخرجهم وألقاهم في النار فلم تحرقهم. والنصارى تعظمهم وإن كانوا قبل المسيح بدهر.

كنيسة بناحية طمحا

على اسم الحواريين الذين يُقال لهم عندهم الرشل.

كَنِيسَةُ مَرْيَمَ

بناحية طحا أيضا .

كَنِيسَةُ الْحَكِيمَيْنِ

بناحية منهرى : لها عيدٌ عظيمٌ في بثنُس يخضره الأسقفُ ، ويقامُ هناك سوقٌ كبيرٌ في العيد .
وهذان الحكيمان هما : قُزَمان ودميان الراهبان .

كَنِيسَةُ السَّيِّدَةِ

بناحية بُقرقاس : قديمةٌ كبيرةٌ ، وبناحية ملوي كنيسته .
« كنيسته الرُّسل » ، وكنيستان خراب : إحداهما على اسم بوجرج ، والأخرى على اسم الملك
ميخائيل .

وبناحية دلجة كنائسٌ كثيرةٌ لم يتبق منها إلا ثلاثُ كنائس : كنيسته السيِّدة وهي كبيرةٌ ،
وكنيسته سُثوذة ، وكنيسته مَرْقُورَة . وقد تلاشت كلها .
وبناحية صنَّبُو كنيسته أنبا بولا ، وكنيسته بوجرج . وصنَّبُو كثيرةٌ النَّصَارَى .
وبناحية بيسلا (a) - وهي بعري صنَّبُو - كنيسته قديمةٌ ، بجانبها الغزبي ، على اسم جرجس وبها
نصارى كثيرون فلاحون .

وبناحية دَرُوط كنيسته ، وفي خارجها شبه الدَّير على اسم الراهب سارامابون ، وكان في زمان
سُثوذة ، وعمل أسقفًا ، وله أخبارٌ شهيرةٌ (b) .

وبناحية بوق بني زَيْد « كنيسته كبيرةٌ على اسم الرُّسل » ، ولها عيد .
وبالقوصية « كنيسته مَرْيَمَ » ، و« كنيسته غُزريال » .

وبناحية دَمَشِير « كنيسته الشهيد مَرْقُورُيُوس » وهي قديمةٌ ، وبها عدةٌ نصارى .
وبناحية أم القُصور « كنيسته بويُحْنَس القَصر » ، وهي قديمةٌ .

وبناحية بَلُوط ، من ضواحي منقلوط ، « كنيسته ميخائيل » ، وهي صغيرةٌ .

وبناحية البلاغزة، من ضواحي منقلوط كنيسة صغيرة يُقيم بها القسيس بأولاده .
وبناحية شقلمقيل ثلاث كنائس كبار قديمة : إحداهما على اسم الرُّسل ، وأخرى باسم ميخائيل ،
وأخرى باسم بومينا .

وبناحية منشأة النصارى «كنيسة ميخائيل» ، وبمدينة شبوط «كنيسة بوسدرة» ، و«كنيسة
الرُّسل» ، وبخارجها «كنيسة بومينا» .

وبناحية دزنكة كنيسة قديمة كبيرة^a جدًا على اسم الثلاثة فتية : حنانيا ، وعزازيا ،
وميصائيل ، وهي مؤرد لفقراء النصارى . ودزنكة أهلها من النصارى يعرفون اللغة القبطية ،
فيتحدث صغيرهم وكبيرهم بها ، ويُفسرونها بالعربية .

وبناحية ريفة «كنيسة بوقلثة» ، الطبيب الراهب ، صاحب الأحوال العجبية في مداواة الرمدى
من الناس ، وله عيد يُعمل بهذه الكنيسة ، وبها «كنيسة ميخائيل» أيضًا ، وقد أكلت الأرضة
جانب ريفة الغزي .

وبناحية موشة «كنيسة» مَرْكَبَة على حَمَام ، على اسم الشهيد بقطر ، وبنيت في أيام قسطنطين
ابن هيلانة ، ولها رصيف عَرْضُه عَشْرَة أذْرَع ، ولها / ثلاث قباب ، ارتفاع كل منها نحو الثمانين
ذراعًا ، مبنية بالحجر الأبيض كلها ، وقد سقط نصفها الغربي ، ويُقال إن هذه الكنيسة على كثر
تحتها ، ويُذكر أنه كان من شبوط إلى موشة هذه ممشاة تحت الأرض .

وبناحية بفور ، من ضواحي بوتيح ، «كنيسة» قديمة للشهيد أكلوذْيوس ، وهو يُعَدل عندهم
مَرْقُورْيوس وجا أَرْجِيوس ، وهو أبو جرج ، والإسقف سَلار تاذرُوس ومِنْسَاوُس ، وكان أكلوذْيوس
أبوه من قواد دِقْلِيْطِيَانُوس وعُرف هو بالشجاعة فتنصر ، فأخذَه الملك وعذبه ليُرْجِع إلى عبادة
الأصنام ، فثبت حتى قُتِل ، وله أخبار كثيرة .

وبناحية القطيعة «كنيسة» على اسم السيِّدة . وكان بها أسقف ، يُقال له الدُّوَيْن ، بينه وبينهم
مُنافَرة ، فدَفَنوه حَيًّا ، وهم من شرار النصارى معروفون بالشر ، كان منهم نصراني ، يُقال له
جِرْجِس بن الراهبة تَعْدَى طَوْرَه ، فضرب رَقَبَتَه الأميرُ جَمَالُ الدِّينِ يُوْسُفُ الأستادار بالقاهرة في
أيام الناصر فرج بن برفوق .

(a) ساقطة من بولاقي .

وبناحية بوتيح «كنائس كثيرة» قد خربت . وصار النصارى يصلون في بيت لهم سراً ، فإذا طلع النهار خرجوا إلى آثار كنيسة ، وعملوا لها سياجاً من جريد شبه القفص ، وأقاموا هناك عباداتهم .

وبناحية بومقروفة «كنيسة قديمة لميخائيل» ، ولها عيد في كل سنة . وأهل هذه الناحية نصارى أكثرهم زعاة غنم ، وهم همج رعاع .

وبناحية ذويثة «كنيسة على اسم بويحنس القصير» ، وهي قبة عظيمة ، وكان بها رجل يقال له يونس ، عمل أسقفاً ، واشتهر بمعرفة علوم عديدة . فتعصبوا عليه حسداً منهم له على علمه ، ودفعوه حياً وقد توغك جسمه .

وبالمراغة التي بين طهطا وطما «كنيسة» .

وبناحية قلفاو «كنيسة كبيرة» ، وتعرف نصارى هذه البلدة بمعرفة السحر ونحوه . وكان بها في الأيام الظاهرية بزوق شماس ، يقال له أبصلطيس ، له في ذلك يد طولى ، ويحكى عنه ما لا أحب حكايته لغرابتة .

وبناحية فرشوط «كنيسة ميخائيل» ، و«كنيسة السيدة مازت مزيم» . وبمدينة هو «كنيسة السيدة» و«كنيسة بومنا» .

وبناحية بهجورة «كنيسة الرسل» . وياسنا «كنيسة مزيم» ، و«كنيسة ميخائيل» ، و«كنيسة يوحنا المعمدان» ، وهو يحيى بن زكريا - عليهما السلام - . وبنقادة «كنيسة السيدة» و«كنيسة يوحنا المعمدان» ، و«كنيسة غبريال» ، و«كنيسة يوحنا الرحوم» وهو من أهل أنطاكية ذوي الأموال ، فزهد وفرق ماله كله في الفقراء ، وساخ - وهو على النصرانية^(a) - في البلاد ، فعمل أبواه عزاءه ، وظنوا أنه قد مات ، ثم قدم أنطاكية في حالة لا يعرف فيها ، وأقام في كوخ على مزبلة ، وأقام رَمَقَه بما يُلقى على تلك المزبلة حتى مات ، فلما عملت جنازته كان ممن حضرها أبوه فعرف عنده^(b) غلاف إنجيله ، ففحص عنه حتى عرف أنه ابنه فدفعه ، وبني عليه كنيسة بأنطاكية .

كنيسة السيدة بمدينة قفط ، وكان بأصفون عدة كنائس خربت بخرابها . وبمدينة قوص عدة أديرة ، وعدة كنائس خربت بخرابها ، وبقي بها كنيسة السيدة ، ولم يبق بالوجه القبلي من الكنائس سوى ما تقدم ذكرنا له .

(a) بولاق : دين النصرانية . (b) ساقطة من بولاق .

وَأَمَّا الْوَجْهُ الْبَحْرِي

ففي مُنْيَة صُرْد^١، من ضواحي القاهرة، «كَنِيسَةُ السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ»، وهي جَلِيلَةٌ عندهم .
 وبنَاجِيَةِ سِنْدَوَةَ^٢ كَنِيسَةٌ مُحَدَّثَةٌ، على اسم بُوجُرج .
 وبمَرْصَفَا^٣ كَنِيسَةٌ مُسْتَجَدَّةٌ، على اسم بُوجُرج أيضًا .
 وبَسَمْنُود^٤ كَنِيسَةٌ على اسم الرُّسُلِ، عُيِّلَتْ في تَيْتِ .
 وبسُنْبَاط^٥ كَنِيسَةٌ جَلِيلَةٌ عندهم، على اسم الرُّسُلِ .
 وبصُنْدُفَةَ^٦ كَنِيسَةٌ مُعْتَبَرَةٌ عندهم، على اسم بُوجُرج .
 وبالرَّيْدَانِيَّةِ^٧ «كَنِيسَةُ السَّيِّدَةِ»، ولها قَدْرٌ جَلِيلٌ عندهم .

المحلة الكبرى. (نفسه ٦٩:٢/٢ - ٧٦؛ Ayman F.؛
 Sayyid, El² art. Samannūd VIII, pp. 1066-67
 وفيما تقدم ٤٩٧:١).

^٥ سُنْبَاط . من القرى القديمة تقع على الضفة الغربية لقرع
 دمياط . وهي الآن إحدى قرى مركز زفتى بمحافظة الغربية .
 (نفسه ٥٨:٢/٢) . والكنيسة الموجودة بها الآن ترجع إلى
 القرن التاسع عشر (دليل ٦٣) .

^٦ صُنْدُفَةَ (صُنْدُفَا) . من القرى القديمة المجاورة للمحلة
 الكبرى بمحافظة الغربية، وضُمت إليها اعتبارًا من عام
 ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م، مما أدى إلى اختفاء اسمها هي وهورين
 بهرمس والمنتصرية . (نفسه ١٧:٢/٢) .

^٧ الرَّيْدَانِيَّة . من القرى القديمة أحد قرى مركز المنصورة
 بمحافظة الدقهلية تبعد تسعة كيلومترات شمال المنصورة .
 (نفسه ٢١٤:١/٢)، والكنيسة الموجودة الآن يرجع
 بناؤها إلى القرن التاسع عشر . (صموئيل السرياني : دليل
 الكنائس ٦١) .

^١ مُنْيَة صُرْد . هي البلدة المعروفة الآن بـ «مسطرد» إحدى
 ضواحي القاهرة الشمالية وتقع في نطاق محافظة القليوبية
 على شاطئ تَزَعَة الإسماعيلية، وقد وَرَدَتْ في كَشْفِ
 الأَسْقِيَّاتِ القَيْطِيَّةِ Tinoni Sourat وهو ترجمة اسمها
 الغربي بالحروف اللاتينية . وقد حُرِفَ هذا الاسم إلى
 «مسطرد» في العصر العثماني بإدخال الضمير في العجز
 لسهولة النطق . (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ٢/
 ١٤:١) .

^٢ سِنْدَوَةَ . إحدى قرى مركز شبين القناطر بمحافظة
 القليوبية . (نفسه ٣٥:١/٢) .

^٣ مَرْصَفَا . من القرى القديمة ذكر ياقوت أنها قَرْيَةٌ كبيرة
 شمال مصر (قُرب مُنْيَةِ عَمْرٍ (معجم البلدان ١٠٧:٥) . وهي
 الآن إحدى قرى مركز بئها بمحافظة القليوبية . (محمد
 رمزي : القاموس الجغرافي ٢/٢٦) .

^٤ سَمْنُود . أحد مراكز محافظة الغربية، تقع على الضفة
 الغربية لقرع دمياط على بُعد ثمانية كيلومترات شرق مدينة

وفي دمياط أربع كنائس : للسيدة ، وليخائيل ، وليوحنّا المعمداني ، ولماري جرجس ، ولها
مجدّ عندهم .

وبناحية شبك العبيد^١ كنيسةٌ مُحدثةٌ ، في بيتٍ ، على اسم السيدة .

وبالنحرارية^(b) ٢ كنيسةٌ مُحدثةٌ ، في بيتٍ مخفي^(a) ، وفي لقانة كنيسةٌ بُويحنس القصير ،
وبدمنهور كنيسةٌ مُحدثةٌ في بيتٍ مخفي ، على اسم ميخائيل ، وبالإسكندرية : المعلقة ، على اسم
السيدة ، وكنيسةٌ بُوجرج ، وكنيسةٌ يُوحنا المعمداني ، وكنيسةٌ الرسل .

فهذه كنائسُ «اليعاقبة» بأرض مصر .

ولهم بغزة «كنيسةٌ مريم» ، ولهم بالقدس «القمامة» ، و«كنيسةٌ صهيون» .

وأما «الملكية» فلهم بالقاهرة «كنيسةٌ ماري نقولا» بالبندقانيين ، وبمصر «كنيسةٌ عُبريال
الملاك» بخط قصر الشمع ، وبها قلاية لبطركهم و«كنيسةٌ السيدة» بقصر الشمع
أيضاً ، و«كنيسةٌ الملك ميخائيل» بجوار بزهارة بمصر ، و«كنيسةٌ مازيُوحنا» بخط دبر
الطين .

والله أعلم .

(a) بولاق : في بيت جحفي . (b) بولاق : النحرارية .

^١ شبك العبيد . قرية قديمة تقع على الطريق بين
شطونف وزشيد ، وهي الطريق التي تبدأ من شطونف
إلى شبك العبيد ثم مُتوف ثم محلّة صُرد ، وهي القرية
التي تُعرف الآن باسم «شبك الأحد» إحدى قرى
مركز أشمون بمحافظة المنوفية تبعد ٣ كم غرب
سنتريس . (نفسه ٢/٢ : ١٦٠-١٦١) ، صموئيل
السرياني : دليل الكنائس (٦٧) .

^٢ النحرارية . هي نفسها القرية التي ذكرها المقريري .
(فيما تقدم ١ : ٦١٣ ، ٦٧٦) باسم النحرورية ، وهي تعرف
الآن باسم «النحرارية» إحدى قرى مركز كفر الزيات بمحافظة
الغربية . (نفسه ٢/٢ : ١٢٢-١٢٣) .

^٣ لقانة . قرية قديمة اسمها الاصلّي نقانة ، إحدى قرى
مركز شبراخيت بمحافظة البحيرة . (نفسه ٢/٢ : ٣٠٨-
٣٠٩) .

دار الكتب والوثائق القومية
مكتبة مركز ترميم التراث
التسجيل :
التأليف :

[142v] ^a من أسباب الخراب

- أنه لم تزل العادة جارية من قديم الزمان في مصر بخروج أحد أمراء الدولة إلى جهة أعلى الأرض - التي يقال لها بلاد الصعيد - وخروج آخر إلى أسفل الأرض حيث البلاد البحرية والوجه البحري ، لتأمين السابلة وتتبع أهل الدغارة والفساد من قطاع الطريق والبطش بهم ، وكان يقال لذلك : «صاحب السيادة»^١ ، ثم قيل له في الدولة التركية : «الكاشف»^٢ . فلما كان في زمن الظاهر بزقوق صار يولي الكشاف والولاية بالبراطيل ، ويخرجون إلى الأعمال فيجربون من أهل الأقاليم أموالاً يستمونها «القدوم والضيفة» ، فاحتل بذلك الحال بعض الخلل ، حتى إنه بلغني عن الوزير صاحب سعد الدين نصر الله بن البقري أنه قال : اعتبرت ما يأخذه السلطان من الولاية والكشاف ، فوجدت ما يخسر في كل سنة ويتقص من الخراج أكثر من ذلك .
- ١٠ فلما مات الظاهر وأقيم بعده ابنه الناصر فرج في السلطنة ، وكان من قبل أمراء أبيه ما كان ، ثم قدم تيمورلنك إلى دمشق وأحرقها ، وخرجت مملكة الشام من حينئذ عن طاعته وصار نوابها في مخالفة له وعضيان لأمره ، احتاج إلى الأموال حتى يتجهز لمحاربتهم . فخرج مراراً بعساكره من مصر إلى الشام ولم ينل غرضاً من الأمير شيخ والأمير نوروز وأتلف في كل سفرة مما يُنفقه للمالِك ويوتاته ما يُنيف عن ألف ألف دينار ذهباً ، سوى ما معه من الخيل والجمال والسلاح والآلات ، وهي بما يُنيف عن عشرة آلاف ألف دينار ، وسوى ما يحتاج إليه الأمراء والأعيان وهو قريب من ذلك . فاحتاج أن مد يده لأموال الرعيّة ، وكان جريماً مُفسداً ، فصار يبعث في الوجه القبلي والبحري ويحتاط على ما هنالك من الجمال والأغنام والخيول ، ومدت الكشاف والولاية

(a-a) هذه الفقرة التي تنتهي فيما يلي صفحة ١٠٨٨ إضافة من مُسوّدة الخطوط .

^١ انظر عن وظيفة «صاحب السيادة» أو «مُتولي السيادة» ، وهي وظيفة عُرفت في العصر الفاطمي الأول . (أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٣٢٨-٣٢٩) .
 المملوكي كاشفان من أمراء الطبلخانا : كاشف للوجه البحري وكاشف للوجه القبلي ، ويُطلق عليه أحياناً «والي الولاية» . (القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٢٥) .

^٢ كاشف (ج. كشاف) . كان هناك في العصر

أيديها أيضًا إلى أموال الكافة حتى صار الوالي والكاشف يزكب فإذا مرَّ في طريقه بغنم أو بقر أو جمال أو غيرها أحاطَ بها وقتل صاحبها ، فامتنع التجار من المسير إلى مصر من بلاد البجة وبلاد الثوبة وبلاد سواكن وبلاد عذاب وبلاد بركة ، وكان يردُّ إلى إقليم مصر من هذه الأقاليم في آخر سنته من الإبل والغنم ومن الرقيق وغير ذلك ما لا يُقدَّر قدره .

٥ واشتدَّ الفحش في أخذ الأموال حتى بلغني عن كاشف كان يُقال له أبو دقن أنه مرَّة قديم من بلاد الصعيد يُريد القاهرة ، فلما قاربها إذا بمزكب سائر بعدة من الناس ما بين تجار وسوقة وغيرهم ، فأمر بإدخال المزكب إلى البر وقتل سائر من فيها - وكانوا فوق المائة - وأخذ جميع ما كان معهم . ومات الناصر والأمر على ذلك ؛ فلما قام من بعده الملك المؤيد شيخ وأقام الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الطرابلسي الملكي أستاذار السلطان ، قرَّر على البلاد فرائض من ذهب تُجبي من جميع البلاد ، فجبَّيت وصار يثوب كل قرية للأغوان مزيد مما يُجبي منهم ما يعتمد السلطان .

١٠ فلما عزَّم على التوجه لحرب الأمير نوروز ، سيَّر الأمير فخر الدين عبد الغني ابن الأمير الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج ، وهو يومئذ يتولى أستاذارية السلطان بعد عزل محب الدين إلى بلاد الصعيد ، فما عفا ولا كف ، وكان يدخل إلى البلد فما يدعُ بها شيئًا من الحيوان حتى يقبض عليه . ويفتح أغوائه دور الناس كافة فينتهبون ثياب النساء وحليهن ومتاعهن ، فإذا خرج عن القرية أحاط بجميع أغوائه وأخذ منهم سائر ما انتهبوه ، فقدَّر ما معه من الأنعام على اختلاط جبايتها ، ومن الأعسال والقنود والغلال والخيل بأمر عظيم ، فطرَّحه على الناس بأغلى الأثمان . ثم خرج إلى الوجه البحري فصار الناس معه وقدم منه يوم الثلاثاء حادي عشر صفر وقد عزَّم سائر بلاد الوجه البحري أموالاً يُقال إنها مئة ألف من الذهب وسار إلى لقاء السلطان (a) سابع عشره سبعين ألف دينار وثياب وفضة وعروض بنحو ثلاثين ألف دينار (b) .

٢٠ أنه لما رمى العسل الذي أحضره من بلاد الصعيد ألزم أهل سوق حارة بزجوان بشيء من العسل يقرونه من الباعة وقبض الأغوان واحداً منهم في أول ما (c) الأغوان ، وكان العسل قد فرغ فأدخلوه السجن حتى يحضر إليهم عسلاً آخر من بلاد الصعيد فيأخذَه وأقام في السجن مدة أيام (a) .

(a) كلمة غير واضحة . (b) بياض بالمشوذة . (c) عبارة غير واضحة .

^١ قارن مع المقرئبي : السلوك ٤ : ٢٦٧ ، ٢٧٤-٢٧٥ ، ٢٨٢ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢ : ٣٠٥-٣٠٦ .



«أَخِرُّ مَا وُجِدَ بِخَطِّهِ رَحِمَهُ اللهُ وَأَرْضَاهُ وَجَعَلَ
الْجَنَّةَ مَقَرَّهُ وَمَثْوَاهُ . وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ كِتَابِيهِ يَوْمَ
السَّبْتِ الْمُبَارَكِ خَامِسَ عَشَرَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ
تِسْعِ وَسَبْعِينَ وَثَمَانِ مِائَةِ أَحْسَنَ اللهُ تَعَالَى
عَاقِبَتَهَا ، وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .
 وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ . غَفَرَ اللهُ لِكِتَابِهِ وَمَالِكِهِ
 وَالتَّاخِطِرِ فِيهِ وَالْمُسْلِمِينَ»^١ .

^١ خَرُودُ مَثْنٍ Colophon نُسخةِ الأضَلِّ المعتمدة في تحقيق هذا الجزء، وهي نُسخةُ مكتبة ميونخ بألمانيا رقم